الدكتورة: فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية

للعلوم الإسلامية

الناشر



دار الغد العربي
٢ شارع دانش . العباسية
ت : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الخامس عشر

الناشر



دار الغد العربي
٣ شارع دانش . العباسية
ت: ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة

للناشر
دار الغد العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
٣ شارع دانش - العباسية - عبده باشا - القاهرة
الإدارة : ٢٨٥٦١٢٢/ ٤٨٢٤٣٢٩/ ٢٨٤٣١١٥
فاكس : ٤٨٢٤٣٢٩ القاهرة
جمهورية مصر العربية

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الحاء

*** ابن حنزابة (٣٠٨-٣٩١ هـ) :**

ذكره الحافظ السيوطي فيمن كان بمصر من حفاظ الحديث وقال عنه :

ابن حِنْزابة الوزير الكامل الحافظ أبو الفضل جعفر بن الوزير أبي الفتح الفضل بن الفرات البغدادي . نزيل مصر، وزر لصاحب مصر كافور الخادم ، وحدث عن محمد بن هارون الحضرمي وغيره . ورحل إليه الدارقطني ، وعزم على التأليف على مسنده . قال السلفي : كان من الحفاظ المتقنين ، يملي ويروي في حال الوزارة ، عندي من أماليه ، ومن كلامه على الحديث ، الدال على حدة فهمه وقوة علمه . وحنزابة اسم جدته أم أبيه . ولد سنة ثمان وثلاثمائة ، ومات في ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين (العبر ٣ / ٤٩) .

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١ / ٣٥٢ ، ٣٥٣) .

*** الحنطة :**

من النباتات التي أحصاها القزويني وقال عنها :

الحنطة : قال كعب الأحبار رضي الله عنه : لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشيء من حب الحنطة وقال : هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث الأرض وابذر البذر، وقال : لم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس عليهما السلام كبيض النعامة ، فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة ، وكان زمن العزيز على قدر الحمصة . قال صاحب الفلاحة : الحبة التي تقع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا . حبها ينقي الوجه وكذلك النشا ، ومدقوقها ينفع من عضة الكَلْب الكَلِب ضمادا ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويصلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها ، خميرها يخلط بالملح ويضمد به الدماميل ينضجها ، خبزها يبل بماء وملح ويضمد به القوباء ينفعها (عجائب المخلوقات / ١٨٥) .

وقال ابن النفيس :

حنطة : حارة في الأولى معتدلة في الرطوبة واليبس والمقلوة بطيئة الهضم ، نفاخة ، تولد الدود ، والحنطة الكبيرة الحمراء أغذى (الموجز في الطب / ٩٦) .

وقد ذكرها صاحب « المعتمد في الأدوية المفردة » واستخدم هذين الرمزين للدلالة على مصادره :

ع : عبد الله البيطار صاحب « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسي .

حنطة « ع » أجود ما يستعمل منها في وقت الصحة الحديث الذي قد استكمل بالامتلاء ، ولونه إلى الصفرة ، ، والذي بين وقت ما يزرع ووقت ما يحصد ثلاثة أشهر . والحنطة إذا وضعت ، من خارج البدن تسخن البدن . وهي في الدرجة الثانية من درجات الأشياء المسخنة ، وفيها شيء لزج يشد ويغري ، والخيل إذا أكلت الحنطة لم تسلم من مضرتها ، وإذا أكلت الحنطة لينة ولدت الدود ، وإذا مضغت وتضمد بها نفعت من عضة الكَلْب الكَلِب ، وأجودها الحديثة ، المتوسطة في الصلابة والسخافة (سخف الشيء : رق وضعف المعجم الوجيز / ٣٠٥) العظيمة السليمة الملساء التي بين الأحمر والأبيض ، والحنطة السوداء رديئة ، وهي معتدلة في الرطوبة واليبوسة ، والكبيرة والحمراء أكثر غذاء ، والمسلوقة بطيئة الهضم نفاخة ، لكن غذاؤها إذا استمرئ كثير ، والدقيق الحُوَّاري قريب من النشا ، لكنه أسخن ، والدقيق اللزج بطبعه ، غير اللزج بالصنعة ، فليس للزج بالصنعة ما للزج بطبعه . والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز ، وأشدها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل ، وإذ أكلت نيئة ربما تولد حب القرع ، وإدمان أكل المقلو (في الجامع لابن البيطار: الفطير ، في مكان : المقلو)منها يعقل البطن ، والمطبوخة والفريكية ينفخان البطن جدا .

« ف » حنطة مسلوقة أجودها الأحمر الكبار النضيج ، وهي حارة رطبة ، تنفع الأبدان المتخللة ، وتزيد في قوة البدن ، والحساء المتخذ من دقيقها وماء الكشك المعمولان منها

نـافعـان من السعـال . « ف » حب معـروف مشهـور، أجـوده الكبار الرزيـن، المائل إلى الحمرة ، طبعها حارة معتـدلة فى الـرطوبـة واليبوسـة ، الممضـوغ منها ينضج الأورام الصلبـة ، وسويقها بطيء الانحدار، يستعمل بقدر الحاجة (المعتمد ١ / ١٠٩ ، ١١٠) .

أما عن زراعة الحنطة فقد قال ابن وحشية : ينبغى أن تزرع الحنطة فى الأرض العميقـة التى هى ما بين السمينة والـدسمة والقشفـة ، وهى التى نسميهـا الأرض السهلـة ، وفى الأرض الصلبة التى تضـرب إلى غبرة وإلى بيـاض ، وهى التى تسمى الشديدة ، وفى الأرض الرقيقة ، والأرض الدسمة موافقة لسائر الحبوب المقتاتة على الإطلاق ، وأوان زرعها المبكر من أيلول (سبتمبر) من نصفه إلى غاية كانون الثانى (يناير) ، وما زرع فى كانـون الأول (ديسمبر) وحُصد فى نيسان (إبـريل) كان أسمن وأجود ، وما زرع فى كانون الثانى (يناير) حُصد فى أيار (مايو) .

قالت المؤلفة : أوردنا لك الشهور السريانية وما يقابلها من الشهود الميـلادية فى مادة « أسمـاء الشهور » فى م ٤ / ٥١٢ فارجع إليها إن شئت .

قـال ابن وحشية : وأجـود الحبـوب المقتاتـة للازدراع مـا حالت عليـه سنة واحدة ، وما مضى له سنتـان كان أضعف ، والأيـام الـدفيئـة فى الشتـاء فى أوقـات زرع الحنطـة هى المحمـودة ، وإن اتفق يوم تهب فيـه ريح جنـوب فهو أحمـد الأوقات . وإن كان اليوم من الأيـام التى يكون فيها القمر زائدًا فإنه لا يكون أجود ولا أدسم ولا أقوى من حب ما زرع فيه .

قـــال ابن وحشيـــة : متى سحق شيء من عظـم الفيل وأضيف إليه سحيق المـاذريون ، ونقعا فى المـاء يـوماً وليلة ، ورش ذلك المـاء على الحنطة أو الشعيـر أو الذرة أو الـدُخن قبل وضعها فى الأرض وزرعه فيها ، ثم زرعت ، حفظها ذلك من الدبيب كله ، وخاصة الفأر والطير، ويكون نباتها أجود .

وقال ديمقراطيس : إن دخن الزرع أو الشجر بثوم أو عيدان السرو تساقط كل دود فيها . وإن أخذ قرن أيل أو ظلف شاة أو نشـارة عظم فيل ، أى ذلك كان ، ودخن بـه الزرع لم يبق فيـه دود إلا هلك ، وإن أخذ ورق السرو وورق الدلب بعد خفافهما وتركا مع البزور دفعا عنهما فى الأرض جميع الآفات السماوية والأرضية (مفتاح الراحة / ١٢٥ ، ١٢٦) .

(عجـائب المخلـوقـات وغرائب المـوجـودات للقـزوينى / ١٨٥ ، والموجز فى الطـب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكـريم الغرباوى ، مـراجعـة د. أحمد عمـار / ٩٦ ، والمعتمـد فى الأدويـة المفردة للمظفـر الرسولى ـ تصحيح وفهرسة مصطفى السقا ١/ ١٠٩ ، ١١٠ ، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحـة لمؤلف مجهول من القـرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية ، ود. إحسان صدقى العمد / ١٢٥ ، ١٢٦) .

*** الحنظل :**

الحنظل : نبت مفترش ، ثمرته فى حجم البرتقالة ولونها ، فيها لـب شديـد المرارة (المعجم الـوسيط ١/ ٢٠٢) وهـو من النباتات التى أحصاها القزوينى وقال عنه :

الحنظل : نبت معروف تحب الظبـاء أكله والسبـاع تهرب من شجر الحنظل والشجرة التى ليس عليها إلا حبة واحدة من الحنظل فإنها رديئة جدا ، ورنهـا الطرى يقطع نزف الدم وينفع من المـاليخوليا والصرع ، ثمرتها إذا نقعتها فى الماء ورشَّت به البيت ماتت براغيثه . قال القاضى أبو على التنوخى عن بعض بنى عقيل إنه قال : كانت عندنا جارية زمنة ومن عادتنا أنا نقور الحنظل ونجعل فيـه شيئـا من اللبن ونـرد رأسها إلى مكـانهـا وندفنـه فى الرمـاد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسـا ذلك من أراد الإسهـال . قال : فـاتخـذنا ثـلاث حنـاظل لثلاثـة أنفس فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسنا من حياتها ، فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعـد ذلك سنين ، والحنظل يدلك به الجذام وداء الفيـل وعرق النسا والنقـرس ، وأصله نـافع لنهش الأفاعى وهـو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيـا وطلاء ، وسقى واحد لدغته العقرب فى أربع مواضع فبرئ فى الحال (عجائب المخلوقات / ١٨٥) .

وقـد أورده المظفـر الـرسـولـى فى « المعتمـد » نقـلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بـن البيطار صاحـب « الجامع لقـوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جـزلـة صـاحـب « منهاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

قال : حنظل ـ « ع » هو نبات يخرج أغصانا وورقا مفروشة

على الأرض شبيهة بأغصان ورق القثاء البستاني، وورقه مشرف، وله ثمرة مستديرة، شبيهة بكرة متوسطة فى العظم، شديدة المرارة. وينبغى أن يجنى من شجرتها إذا ابتدأ لونها إلى الصفرة، والحبة الواحدة لا تجنى، فإنها قتالة، وإذا كان الحنظل أخضر ودلك به الورك ممن يوجعه، انتفع به، وشحم الحنظل خاصيته إسهال البلغم الغليظ، إذا شرب منه، وقلع صفرة اليرقان من العين إذا استعط بمائه، ويسهل البلغم الغليظ الذى ينصب إلى مفاصل البدن، وله أيضا صعود إلى الرأس، يسهم منه الأخلاط السوداوية، ولا يسقى فى برد شديد، ولا فى حر شديد، وهو يسهل من لا تكاد طبيعته تجيب من أهل البلاد الباردة، ومَن غذاؤه الألبان والأجبان. ومن أراد إصلاحه وخلطه بالأدوية فليخلص شحمه من حبه وقشره الخارج، ويخلط بوزنه صمغ أبيض، وكثيرا أو نشاستج، منفردة أو مؤلفة، وأكثر ما يشرب منه إذا دبر بهذا التدبير مع غيره. دانقان، وأقله قيراط، والأقوياء: نصف درهم، وإذا أخرج الشحم من البطيخة نقص فعله، فمن أراد بقاءه أبقاه فيها لوقت الحاجة. والحنظل صنفان: ذكر وأنثى، فالذكر ليفى، والأنثى رخو سلس، ولا يجتنى حتى يصفر، ولا يقرب وهو أخضر، ومن أراد أن يجعله فى الحقن ألقاه فى طبيخ الحقنة صحيحا، فإنه ينفع من القولنج، وينزل الخام والمرة السوداء، ويلقى منه فى الحقنة من درهمين إلى أربعة دراهم، وليس ينبغى أن يستعمل فى الأدوية شىء من قشور الحنظل، ولا من حبه، لأنهما غليظان يابسان جدا، يلصقان بالمعدة والأمعاء، ويمغصان إمغاصا شديدا، ولا يسهلان، فأما ورقه الغض فإنه يحلل الأورام إذا ضمد به مع النشاستج، وينفع انفجار الدم، وإذا طبخ ورقه كما يطبخ البقل أسهل الطبيعة أيضا، وكذلك تفعل قضبانه، وأصله أعظم دواء للسع العقرب، والذكر الليفى أقوى من الأنثى الرخوة.

والحنظل حار فى الثالثة، يابس فى الثانية. « ج » حنظل: وهو العلقم. وحبه يسمى الهبيد، ومنه ذكر، ومنه أنثى، والأخضر منه ردىء، وما كان واحدة على شجرة فهى رديئة قتالة، وأجوده الأصفر المدرك أيام الربيع، وهو حار فى الدرجة الثالثة، وقيل فى الثانية، يابس فى الثانية. وقال: عن الكندى إنه بارد رطب، وهو محلل مقطع، جاذب من بعد، ينفع إذا دلك به من الجذام وداء الفيل، وينفع من أوجاع العصب والمفاصل والنَّسا والنقرس البارد، وينقى الدماغ، ومن بدء الماء فى العين، وأصله نافع من الاستسقاء، وشحمه يسهل البلغم الغليظ من المفاصل، والمرار الأسود والأصفر، وينفع من القولنج الريحى، والشربة منه: درهم مع عسل، ودانق ونصف مع الأدوية، وأصله ينفع من لدغ الأفاعى والعقرب طلاء وشربا، وإذا احتمل قتل الجنين، والمجتنى أخضر يسهل بإفراط، ويقىء بإفراط وكرب، حتى ربما قتل، والحبة المنفردة وحدها فى شجرتها ربما قتل منها دانقان، ومن قشرها وحبها دانق. « ف » ثمرة كالبطيخة الصغيرة، أصفر اللون، أجوده البالغ الكثير العدد على شجرته، وهو حار يابس فى الثانية، ويسهل الأخلاط البلغمية، وينفع من القولنج الرطب، ويسهل البلغم الغليظ اللزج المخاطى من المفاصل، ويسهل المرة السوداء من الدماغ، وينفع دلكا الجذام وداء الفيل، وورقه الغض يحلل الأورام وينضجها، وأصله يطبخ مع الخل ويتمضمض به لوجع الأسنان والاستفراغ به ينفع من انتصاب النفس، وأصله نافع للاستسقاء ردىء للمعدة، وشحمه ينفع من القولنج الرطب والريحى، وينفع من أوجاع الكلى والمثانة، والشربة منه: دانق، وبدله: حب الخروع.

(المعتمد ١ / ١١٠ـ١١٢).

قال ابن النفيس: والشربة منه اثنا عشر قيراطا ... وإصلاحه بالكثيراء ودهن اللوز (الكثيراء: صمغ القتاد، وهى شجرة شوكة) (الموجز فى الطب / ٩٦).

وقال الحافظ الذهبى: الحنظل حار يابس فى الثالثة. وينبغى أن يجتنب حبه وقشره، ويستعمل شحمه مفروطا بلب الفستق. والمفرد منه على الشجر قاتل، وهو يسهل البلغم بعنف. وقال رسول الله ﷺ: « مثل المنافق كالحنظله لا ريح لها وطعمها مر » (الطب النبوى / ٨١).

قالت المؤلفة: أخرج الإمام السيوطى هذا الحديث فى الجامع الصغير بلفظ « مثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » لأحمد فى مسنده، والبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى موسى (الجامع الصغير ٢ / ١٦١).

(المعجم الوسيط ١ / ٢٠٢، وعجائب المخلوقات وغرائب

الموجودات للقزوينى / ١٨٥ ، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٠ ـ ١١٢ ، والموجز فى الطب لابن النفيس ـ تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ، مراجعة د. أحمد عمار / ٩٦ ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد ابن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨١ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٦١) .

*** حنظلة بن الربيع :**

قال عنه صاحب الرياض المستطابة : حنظلة بن الربيع ابن صيفى الأسيدى بتخفيف الياء الأولى أو تشديدها .

نسبة إلى أسيد بن عمر بن تميم . وحنظلة هذا هو ابن أخى أكثم بن صيفى حكيم العرب، وكان حنظلة أحد كتَّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بعثه إلى أهل الطائف يعرض عليهم الصلح : فلما توجه إليهم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ائتموا بهذا وأشباهه » .

روى عنه أنه مر بأبى بكر وهو يبكى فقال له أبو بكر : ما لك يا حنظلة ؟ فقال : نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرنا بالنار والجنة فكأنما نراهما رأى عين ، فإذا رجعنا عافسنا الأزواج والضيعة ، نسينا كثيرا . فذهبوا إلى رسول الله فأخبروه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لو تدومون على الحال التى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة فى مجالسكم ، وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ، ساعة فساعة » .

روى حنظلة فى صحيح مسلم حديثا واحدا، وهو السابق . وخرج عنه الترمذى والنسائى وابن ماجه . وكان حنظلة ممن تخلف عن مولانا على كرم الله وجهه فى حرب الجمل ثم انتقل إلى قرقيسا فمات بها ، (وقيل بالكوفة) بعد على رضى الله عنه . ولما مات جزعت عليه زوجته وتمادت فى الحزن فنهاها جاراتها وقلن لها : يحبط أجرك! فقالت :

تعجبت دعد لمحزونة ... تبكى على ذى شيبة شاحب
إن تسألينى اليوم ما شفَّنى ... أخبرك قولا ليس بالكاذب
إن سواد العين أودى به ... حزن على حنظلة الكاتب

رضى الله تعالى عنه ورحمه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٦ ـ ٥٨) .

*** حنظلة بن أبى عامر:**

قال الإمام النووى : حنظلة بن الراهب الصحابى رضى الله عنه : مذكور فى المختصر والمهذب فى كتاب السير وفى جنائز المهذب أيضا هو حنظلة بن أبى عامر واسم أبى عامر عمرو بن صيفى بن زيد بن أمية بن ضبيعة وقيل اسم أبى عامر عبد بن عمرو الأنصارى الأوسى المدنى وكان أبو عامر يعرف فى الجاهلية بالراهب وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول منافقين فعبد الله يبطن النفاق وأبو عامر يظهره. ومات أبو عامر كافرا سنة تسع وقيل سنة عشر من الهجرة. وأما حنظلة فهو من سادات الصحابة وفضلائهم وهو المعروف بغسيل الملائكة وإنما قيل له ذلك لما اشتهر فى كتب التواريخ والمغازى أنه حين استشهد بأُحد قال النبى ﷺ ما شأن حنظلة أنه غسلته الملائكة فسألوا امرأته فقالت سمع الهيعة وهو جنب فلم يتأخر للاغتسال استشهد يوم أحد نصف شوال سنة ثلاث من الهجرة رضى الله عنه .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٠ ، ١٧١) .

*** حنظلة بن قيس :**

قال الإمام النووى : حنظلة المذكور فى المهذب فى كتاب الصيام فى مسألة الغلط بالفطر قبل غروب الشمس هو حنظلة بن قيس بن عمرو بن حصين بن خلدة بن مخلد بضم الميم وتشديد اللام ابن زريق بتقديم الزاى الأنصارى الزرقى المدنى التابعى. روى عن عمر بن الخطاب وعثمان وابن الزبير وأبى هريرة ورافع بن خديج رضى الله عنهم . روى عنه يحيى الأنصارى والزهرى وربيعة وغيرهم وهو ثقة روى له البخارى ومسلم وكان ذا حزم .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧١) .

*** الحنظلى :**

قال السمعانى :

الحنظلى بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح الظاء

المعجمة هذه النسبة إلى بنى حنظلة ، وهم جماعة من غطفان فأما الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى، هو مولى بنى حنظلة ، من أهل مرو، يروى عن إسماعيل بن أبى خالد وحميد الطويل وعاصم الأحول، روى عنه أهل البلاد، وهو من أهل مرو، كان مولده بها سنة ثمانى عشرة ومائة ومات فى شهر رمضان منصرفا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة، وقبره بهيت ـ مدينة على الفرات مشهور يزار، والأخبار فى مناقب ابن المبارك وشمائله أشهر وأكثر من أن يحتاج إلى الإغراق فى ذكرها ، كانت فيه خصال لم تجتمع فى أحد من أهل العلم فى زمانه فى الدنيا كلها، كان فقيها، ورعا عالما، بالاختلاف حافظا، يعرف السنن، رحالا فى جمع العلم، شجاعا، ينازل الأقران ويكاشف الأبطال، أديبا يقول الشعر فيجيد، سخيا بما ملك من الدنيا ـ والله يرحمه وبالرى درب مشهور يقال له درب حنظلة منها أبو حاتم محمد ابن إدريس بن المنذر (بن داود بن مهران) الرازى الحنظلى إمام عصره والمرجوع إليه فى مشكلات الحديث، وهو من هذا الدرب، وكان من مشاهير العلماء ومن مذكورى العلماء الموصوفين بالفضل والحفظ والرحلة ولقى العلماء، سمع محمد بن عبد الله الأنصارى وأبا زيد النحوى وعبيد الله بن موسى وهوذة بن خليفة وأبا مسهر الدمشقى وعثمان بن الهيثم المؤذن وسعيد بن أبى مريم المصرى وأبا اليمان الحمصى فى أمثالهم ، كان أول كتبه الحديث فى سنة تسع ومائتين ، روى عنه الأعلام الأئمة مثل يونس بن عبد الأعلى والربيع بن سليمان المصريين وهما أكبر منه سنا وأقدم سماعا وأبو زرعة ـ الرازى والدمشقى ومحمد بن عوف الحمصى ـ وهؤلاء من أقرانه ، وعالم لا يحصون؛ وذكر أبو حاتم وقال : أول سنة خرجت فى طلب الحديث أقمت سنين أحصيت ما مشيت على قدمى زيادة على ألف فرسخ لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته؛ وقال أبو حاتم قلت على باب أبى الوليد الطيالسى : من أغرب علىَّ حديثا غريبا مسندا صحيحا لم أسمع به فله علىَّ درهم يتصدق به ـ وقد حضر على باب أبى الوليد خلق من الخلق أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادى أن يلقى على ما لم أسمع به فيقول هو عند فلان فأذهب فأسمع، وكان مرادى أن أستخرج منهم ما ليس عندى فما تهيأ لأحد منهم أن يغرب علىَّ حديثا . وكان أحمد بن سلمة يقول ما رأيت بعد إسحاق ـ يعنى بن راهويه ـ ومحمد ابن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبى حاتم محمد بن أدريس . قال أبو حاتم قال لى هشام بن عمار يوما أى شىء يحفظ على الأدواء قلت له : ذو الأصابع ، وذو الجوشن، وذو الزوائد، وذو اليدين، وذو اللحية الكلابى ـ وعددت له ستة ، فضحك وقال : حفظنا نحن ثلاثة، وزدت أنت ثلاثة . مات أبو حاتم بالرى فى شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين . سمع جماعة من شيوخ البخارى ومسلم . وتوفى سنة نيف وثلاثمائة بالرى . سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان أنا أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى الحافظ إجازة قال : أبو حاتم الرازى الحنظلى منسوب إلى درب حنظلة بالرى وداره ومسجده فى هذا الدرب رأيته ودخلته ؛ ثم قال : سمعت أبا على الشافعى يقول أنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد البزاز فى المسجد الحرام ثنا أبو الحسين على بن إبراهيم الرازى سمعت أبا محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى يقول قال أبى : نحن من موالى تميم بن حنظلة من غطفان قال المقدسى : والاعتماد على هذا أولى والله أعلم .

وأبو محمد عبد الصمد بن إبراهيم بن الفضل الحنظلى البخارى، من أهل بخارا، سمع أبا الفضل أحمد بن على السليمانى وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الغنجار وأبا بكر محمد بن إدريس الجرجرائى وأبا القاسم على بن أحمد القضاعى وأبا إسحاق الحضرمى وجماعة كثيرة ببخارا روى عنه أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن محمد النخشبى وأبو بكر محمد بن على بن حيدرة الجعفرى، وقال عبد العزيز: أبو محمد الحنظلى هذا يدعى الحفظ والمعرفة وله شىء من الفهم ، مشتغل بأعمال السلطان يتعصب لأهل الرأى ويشنع على أهل الأثر والسنة ، تاب الله علينا وعليه ، رأيته بسمرقند يقرأ كتاب ذكر الصالحين لأبى عبد الرحمن بن أبى الليث من كتابه الذى سمعه ببخارا، ومع القوم نسخة كتبت بسمرقند فما نقص من رواية البخاريين قرأ من نسختهم التى زادها المصنف بسمرقند ولم يسمعها هو ، فعلمت أنه ليس بثقة (الأنساب ٢/ ٢٧٩، ٢٨٠) .

وقد استدرك ابن الأثير فى اللباب على السمعانى فقال : قلت : فاته النسبة إلى حنظلة تميم، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر، منهم الفرزدق الشاعر، وإسحاق بن

راهويه الحنظلى، روى عن ابن عيينة، وغيره. روى عنه البخارى ومسلم، وغيرهما، وكان فقيها إماما، وخلق لا يحصون كثرة من القراء والشعراء والعلماء، وهو أشهر حنظلة ينسب إليها.

وفاته : النسبة إلى حنظلة بن كعب بن سعد بن عوف بن حُريم بن جُعفى بطن من بطن جعفى (اللباب ١/ ٤٦١).

قال الجوهرى : حنظلة أكرم قبيلة فى تميم، يقال لهم حنظلة الأكرمون، وأبوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم (اللسان ١٢/ ١٠٢٥).

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٢٧٩، ٢٨٠، واللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٤٦١، ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٠٢٥).

*** الحنفى :**

قال السمعانى :

الحنفى : بفتح الحاء المهملة والنون وفى آخرها الفاء، هذه النسبة إلى بنى حنيفة، وهم قوم أكثرهم نزلوا اليمامة وكانوا قد تبعوا مسيلمة الكذاب المتنبى ثم أسلموا زمن أبى بكر رضى الله عنه وقتل مسيلمة، فالمشهور بالنسبة إليها جماعة كثيرة منهم سراج بن عقبة بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن عمته خلدة بنت طلق، روى عنه ملازم بن عمرو وقد قيل إن اسم عمته جعدة. وعبد الله بن بدر ابن عميرة بن الحارث بن شمر الحنفى اليمامى، جد ملازم بن عمرو، يروى عن قيس بن طلق بن على وعبد الرحمن بن على ابن شيبان، روى عنه ملازم بن عمرو. وعبد الحميد بن عقبة ابن قيس بن طلق بن على الحنفى من أهل اليمامة يروى عن قيس بن طلق، روى عنه ملازم بن عمرو. وعبد الحميد بن عبد الحميد الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن هوذة بن قيس، روى عنه ملازم بن عمرو والسرى بن هوذة. وأثال بن قرة الحنفى من أهل اليمامة، يروى عن [شهر بن حوشب عن] أم سلمة رضى الله عنها، روى عنه عكرمة بن عمار. وجماعة سواهم مثل إسماعيل بن سميع الحنفى (وأيوب بن النجار الحنفى. وأبى سليمان خليد بن جعفر الحنفى. وأبى رميل سماك بن الوليد الحنفى وغيرهم) وأبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أبى رجاء الحنفى الهروى، يروى عن يحيى بن سعيد القطان ومحمد بن عبيد الكوفى ؛ قال ابن أبى حاتم سمعت أبا زرعة يقول : يعد فى الهرويين وكتبت عنه. قال ابن أبى حاتم : كتب عنه أبى على باب إبراهيم بن موسى ؛ سئل أبى عنه فقال صدوق. وأما أبو عبد الله محمد ابن الحنفية، ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه نسب إلى أمه واسمها خولة، وسميت الحنفية وغلب عليها لأنها كانت من سبى بنى حنيفة أعطاها إياه الصديق أبو بكر (رضى الله عنه، ولو لم يكن إماما لما صح قسمته) وبهذا يستدل أهل السنة على الشيعة أن خولة كانت من سبى بنى حنيفة وقسمها أبو بكر رضى الله عنه ولو لم يكن لما صح قسمته وتصرفه فى خمس الغنيمة، وعلى رضى الله عنه أخذ خولة وأعتقها وتزوج (بها) (الأنساب ٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

وقد استدرك ابن الأثير فى اللباب على السمعانى فقال :

قلت : فاته النسبة إلى الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه، ولا يدخل من ينسب إلى مذهبه تحت الحصر، واسمه النعمان بن ثابت، من أهل الكوفة، توفى ببغداد سنة خمسين ومائة، وقبره مشهور، وولد سنة ثمانين، وهو أشهر من أن ينبه على فضله. وممن ينسب إليه ابنه حماد بن أبى حنيفة. والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على بن محمد بن جعفر الصيمرى الحنفى، كان إماما فى مذهبه، وهو أستاذ قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى، توفى فى شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وأبو الحسن عبد الله بن الحسين الكرخى الحنفى صاحب التصانيف المشهورة (اللباب ١/ ٤٦٢).

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٢٨٠، ٢٨١ وهامش ٢ للمحقق، واللباب لابن الأثير ــ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٤٦٢).

*** الحنفى (الجامع -) :**

قال عنه على باشا مبارك : هذا الجامع بخط الحنفى بين سوق مسكة وسويقة اللالا. أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود محمد الحنفى بجوار داره فى سنة سبع عشرة وثمانمائة - كما فى المقريزى - وله ثلاثة أبواب : أشهرها المفتوح على الشارع، يعلوه شباك من الخشب الخرط دقيق الصنعة، وبجواره على يسار الداخل مدفن الشيخ عمر شاه والشيخ عمر الركنى، ومكتب لتعليم الأطفال وسبيل،

سليمان أفندى تابع أفندينا محمد على باشا فى شهر رمضان سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين، وبأعلى القبلة حجر أحمر عليه كتابة عسرة القراءة، وبه بئران قديمتان : إحداهما فى الإيوان الصغير البحرى، كان يملأ منها حوض الحنفية، وكان بجوارها قبة أزالها بعض النظار وسد فم البئر بالحجر، وكانت تسمى بئر الكرامة . والثانية تجاه باب المقصورة بجوار العمود، يستشفون بمائها ويتبركون بالشرب منها ، ويزعمون أنها من ماء زمزم، ولها فم ضيق عليه غطاء من خشب يقفل بقفل من حديد، ولا تفتح إلا نادرا كأيام المولد، ويملأ منها بإناء فخار ورشاء قصير لقرب مائها ، وعن يمين الداخل من الباب الكبير شجرة سدر غليظة الساق جدا نافذة فى السقف، تقصدها العامة للتبرك بها ، ويعتقدون أنها مسكونة بولية تسمى الشيخة خضرة، يحلفون عليها ويدقون بها المسامير لشفاء الأسنان. وضريح الشيخ بالجانب الأيمن من الجامع من داخل قبة مرتفعة ، عليه مقصورة من الخشب المرصع بالصدف والعاج وضبة باب المقصورة بقفيز فضة، وبأعلى الباب لوح فيه دوائر منقوش فيها لفظ الجلالة وأسماء بعض الصحابة وفيها : يا سيدى محمد يا شمس دين الله يا حنفى مددك « ثلاث مرات » وعاداتك « مرة » وبجوار المقصورة قنديل بلور أخضر كبير منقوش معلق بأعلى القبة ، وفيها قبلة بها عمودان من الرخام ، وباب القبة مرصع بالعاج والصدف عليه اسم صانعه إبراهيم مع ﴿ **نصر من الله وفتح قريب** ﴾ وفوق الباب بيتان من الشعر يقال إنهما من كلامه رضى الله عنه وهما :

وحط فى بابنا ما شئت من ثقل
وعنك دع حادثات خفتها وعنا
فكل فضل بنى الصديق كعبته
وكل أمر عسير قد يهون بنا

وكان موضع هذا الجامع ملكا للشيخ أبى العباس نقيب الأستاذ الحنفى، ففى كتاب مختصر السر الصفى فى مناقب الأستاذ الحنفى : أن الشيخ أبا العباس أخذ بيد الشيخ فى مبدأ زهده فى الدنيا وجاء به إلى موضع الزاوية الآن قبل عمارتها ، وكان منشرا وبه البئر التى هى الآن بالزاوية، وكان ذلك الموضع ملكا لسيدى أبى العباس، فأشار الشيخ لأبى العباس أن يبنى له فى ذلك الموضع خلوة يختلى فيها فبناها له تحت الأرض، وشرع سيدى أبو العباس فى بناء الزاوية ، فبناها من ماله وأخذ عنه وكان يخدمه ويتردد عليه ولا ينقطع عن خدمته . انتهى .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

قالت المؤلفة : هذا الجامع ليس مدرجا فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة .

* **الحنفى (شمس الدين) (ـ ٨٤٧ هـ / ـ ١٤٤٣ م) :**

محمد بن حسن بن على التيمى البكرى الشاذلى ، أبو عبد الله شمس الدين الحنفى، صوفى مصرى، من أهل القاهرة . اشتهر بأخبار حكيت عنه مع السلطان فرج بن برقوق وغيره . له « الروض النسيق فى علم الطريق » مخطوط شرح به كلام شيخه محمد العجان ، و « ديوان » مخطوط ذكره بروكلمان. وللشيخ نور الدين على بن عمر البتنونى كتاب «السر الصفى فى مناقب سيدى محمد الحنفى » مطبوع ، جزءان فى مجلد صغير. وفى شعره شطحات ومفردات، منها :

فإن قلبى بيت لربى
قطوف من حوله القلوب

(الأعلام ٦ / ٨٨) .

وطريقته هى طريقة الشاذلية ، وهو خامس الخلفاء فيها ... وله الأمثال فى التصوف . ومن ذلك حكايته عن التوتة قال :

قالت لى : زرعونى فلما سقونى أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت ، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت . وقال : فكان كلامها سلوكا لى .

وكان الحنفى يحب الفاخر من الثياب، وينكره عليه القوم. وقال عن الولى : هو من قال لا إله إلا الله ، وقام بشروطها، وشروطها أن يوالى الله ورسوله ، بمعنى أنه يواد الله بشهادته له بالوحدانية ، ولمحمد ﷺ بالرسالة . وكان يقول : إذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون من الإمداد، وإذا حصل للزائر مدد بعد الموت ، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت ، فيعطى الزائر من المدد على قدر المزور. وهو قول جديد فى هذا الأمر من

الحنفى يخرج بـه إلى دائرة العقل . وقالوا فى تفسير مقـالته : ليس المزور فى الحقيقة إلا الصفات لا الذوات ، فإن الذوات تبلى وتفنى ، والصفات هى البـاقية . والناس فى الزيـارة إنما تتذاكر الصفات . وكان الحنفى نفسه يزور قبر أحد الصالحين وكـان فى زمنه أبـارا وكلمه أصحـابه فى سبب هـذه الزيـارات فذكر أن الـرجل كان كثيرا ما يطلب من النـاس أن يقوموا لأهل العلوم الـربانية ، ويعلل طلبـه منه أن قيامهم فى حقيقتـه هو قيام لصفة من صفات الله أناء بها قلوب هؤلاء الأولياء . ومات الحنفى سنة ٨٤٧هـ (الموسوعة الصوفية / ١٣١ ، ١٣٢) .

الإمام الحنفى وقـد بسط الكلام عليه على باشـا مبارك فى خططه وأسماه سلطاناً فقال عنه :

تـرجم هـذا السلطان جمـاعـة كثيـرون ، وأفرد تـرجمتـه بـالتأليف جماعـة ، منهم : الشيخ نـور الدين على بن عمـر البتنونى فقد كتب فى ذلك مجلدين .

وترجمه الإمام الشعرانى فى طبقـاته بنحو كراسة ، فقال : هو سيدنا ومولانا شمس الدين محمد الحنفى رضى الله عنه ، كـان من أجـلاء مشايخ مصـر وسـادات العارفيـن ، له البـاع الطـويل فى التصريـف ، واليد البيضـاء فى الـولاية ، والقـدم الراسخة فى درجـات النهاية ، وهو أحد أركان الطـريق وأكابر أئمتها علما وعملا وحالا وقالا وزهـدا وتحقيقا ومهابة ، وكان ظريفا جميلا فى بدنه وثيـابه ، وهو من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، تـربى يتيما من أمـه وأبيه ، ربتـه خالتـه فكان زوجها يريد أن يعلمه الصنعة فمضى به إلى الغرابلى فهرب إلى المكتب ، ثم مضى به إلى المناخلى فهرب إلى المكتب فكف عنه فحفظ القـرآن ، وكان ابن حجر رفيقـه فى المكتب ، ولما خـرج من المكتب جلس يبيع الكتب فى سوقهـا ، فمر عليـه بعض الرجال فقال : يا محمد ما للدنيا خُلِقْتَ . فترك الدكان بمـا فيه ولم يسأل عنـه . ثم حبب إليـه الخلـوة فدخل خلـوة تحت الأرض وهو ابن أربع عشرة سنة ، فاختلى بها سبع سنين ولم يخرج منها حتـى سمع هاتفا يقول : يا محمـد اخرج انفع الناس «ثلاث مرات » وقال فى الثـالثة : إن لم تخرج وإلا هيه . فقال الشيخ : ما بعد « هيه » إلا القطيعة ، فخرج إلى الزاوية فكان يجلس يعظ النـاس على غير موعـد فيجىء الناس حتى يملأوا زاويته ، وكان رضى الله عنه حنفى المذهب وعلى خده الأيمن خال ، وهو أبيض مشرب بحمرة وفى عينيه حور ، وتربى يتيما فقيرا ، أخذ الطريق رضى الله عنه بعد أن خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن الميلق ، عن جده شهاب الدين بن الميلق ، عن يـاقـوت العـرشى ، عن المـرسى ، عن الشـاذلى رضى الله عنـه ، فلـذا كان الشـاذلى يقـول : الحنفى خـامس خليفة من بعدى . وكان أولا يتعمم بعمـامة صماء ، ثم رئى له فى المنام أن جده أبا بكر الصديق رضى الله عنه عممه بحضرة النبى ﷺ ، وأرخى للعمـامـة عـذبة يسـاره فأرخى العـذبـة ، وكذلك فعل كل من فى مجلسه ، وصار رضى الله عنه إذا ركب يـرخى العذبـة ، وتـرك الطيلسان الـذى كـان يركب بـه إلى أن مات ، وكان رضى الله عنه يلبس المثمنة الفاخرة ، وكان لا ترد له شفاعة عند من يعرفه وعند من لا يعرفه .

وقـال شيخ الإسـلام العينى فى تـاريخـه الكبيـر : والله مـا سمعنا ولا رأينـا فيما حـويناه من كتبنـا وكتب غيرنـا ، ولا فيما اطلعنا عليه من أخبـار الشيوخ بعد الصحابة إلى يـومنا هذا أن أحدًا أعطى من العز والرفعة ونفـوذ الكلمة وقبول الشفاعة عند الملوك والأمراء وأربـاب الدولة والوزراء عنـد من يعرفه ومن لا يعـرفه مثل مـا أعطى الشيخ شمس الدين الحنفى . ثم قـال : وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السلطان أن ينزل إليه خاضعا حتى يجلس بين يـديـه ويقبلهمـا لكـان ذلك أحب الأيـام إلى السلطان ، ولم يقم قط لأحد من الملوك ولا الأمراء ولا القضاة ، ولم يغير قعدته لدخولهم ، ولا يجلس أحد منهم إلى جانبه ، ولا يتربع بل يجلـس جاثيا متأدبـا خاضعـا لا يلتفت يمينا ولا شمالا .

وكان الملـك الظاهر جقمق يكـرهه ويقـول : إنى لا أقبل لهـذا الـرجل شفـاعـة ، ومع ذلك يـرسل لـه فى الشفـاعـات فيقضيها ، ويقول لمن حولـه : أنا لا أستطيع رد شفاعته ، بل أقبلها وأتعجب من نفسى .

ونزل إليه السلطان الملك المؤيد فجـاء إلى الزاوية فوجده فوق سطح البيت ، فطلع إليـه سيدى أبو العباس وأخبـره فقال لـه : قل له : إنـه مـا يجتمع بأحـد فى هذا الـوقت . فـوضع السلطـان يـده على رأسـه ورجع إلى القلعـة ، ولم يتغيـر من ذلك .

وكـان أهل المغـرب يـرسلـون يأخـذون من تـراب زاويتـه

ويجعلونه فى ورق المصاحف، وأهل الروم يكتبون اسمه على أبواب دورهم يتبركون به . وكان رضى الله عنه يقول كثيرا : لو كان عمر بن الفارض فى زماننا ما وسعه إلا الوقوف ببابنا . وكان الشيخ طلحة المدفون بالمنشية الكبرى يقول : قال لى سيدى محمد الحنفى : يا طلحة خرج من زاويتى هذه أربعمائة ولى على قدمى كلهم داعون إلى الله تعالى، وأصحابنا بالمغرب كثير، وبالروم والشام أكثر، وأكثر أصحابنا باليمن والبرارى والكهوف والمغارات .

وكان رضى الله عنه يلقن الخائف من ظالم ويقول : إذا دخلت عليه فقل : بسم الله الخالق الأكبر حرز لكل خائف، لا طاقة لمخلوق مع الله عز وجل .

وسمع جلال الدين البلقينى تفسيره للقرآن العظيم فقال : والله لقد طالعت أربعين تفسيرا ما رأيت فيها شيئا من هذه الفوائد، وقبله سراج الدين البلقينى بين عينيه وقال له : أنت تعيش زمانا طويلا ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

وكانت ملوك أقاليم الأرض ترسل الهدايا فيقبلها . وكان يتنزه عن سماع المعازف وجميع آلات اللهو ، فدخل يوما يزور ابن الفارض رضى الله عنه فرأى عمالا وآلات تضرب فأمر بالسكوت حتى يزور ولم يتعرض لكسر الآلات . وسمع حنفيا يقول فى درسه : الحكم كذا خلافا للشافعى . فزجره، وقال : تقول خلافا للشافعى بقلة أدب، لم لا تقول رضى الله عنه ، أو رحمه الله تعالى ؟ وكان إذا رأى فى جبهة فقير أثر سجود يقول : يا ولدى أخاف عليك أن يكون هذا من الرياء . وكان يكره مشايخ القرى والمدركين للبلاد ويقول : أنا لا أقول بإسلامهم . وكان يكره للفقير لبس الطليحية ويقول : الفقر فى الباطن لا فى الظاهر . وإذا رأى من الفقراء والمجاورين عورة سترها عليهم ، ويرغبهم فى الأمر الذى فيه صلاحهم ، وكان إذا ركب فى شوارع مصر لا يلقاه أمير أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أى مكان أراد . وتلقاه رجل عجمى فأنشده :

نهارى نسيم كله إن تبسمت

أوائله منها ببرد تحية

وكان به عدة أمراض كل مرض منها يهد الجبال، منها البلغم الحار والبلغم البارد، واجتمع عنده الأطباء وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه البلغم الحار، والنصف الأسفل قد تحكم منه البلغم البارد، فإن داوينا الأعلى غلب عليه الأسفل، وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى وأقام بذلك المرض سبع سنين ملازما فراشه إلى أن توفى سنة سبع وأربعين وثمانمائة . وكان مع هذا البلاء يتوضأ قبل دخول الوقت بخمس درج، ولا يصلى إلا مع جماعة، ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه فى الشوارع . انتهى باختصار.

وله حضرة كل يوم سبت يجتمع فى مسجده القراء والذاكرون والمنشدون وأهل الموسيقى، ويتناوبون بغرائب الألحان وبدائع الموشحات ويسمون ذلك بالوعظيات، فينشدون من موشحات الوزراء وفرائد المنشئين وبدائع الشعراء مما فيه المديح النبوى مثل :

يا نسيم بلغ سلام المستهام المستقيم

للكريم طه إمام المرسلين العظيم

عن أليم وجدى به حدث وشوقى القديم

ليس لى من ملجأ سوى الحمى الأفضلى

الجلى وآله أولى الجناب العلى

ويستمر المجلس نحو الساعتين قبل الظهر بجوار المزار، ولأربابه مرتب من الخبز كل جمعة، ومن النقود كل شهر، ومن الكسوة كل سنة، وله مولد يعمل كل سنة من أول شهر شعبان إلى قرب آخره، ويصرف أهل الخط فيه أموالا كثيرة فى العزومات والوقدات ونحو ذلك (الخطط التوفيقية الجديدة ٤ / ٢٠٦ـ٢٠٩) .

(الأعلام للزركلى ٦/ ٨٨، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٣١، ١٣٢، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٠٦ ـ ٢٠٩) .

* **الحنفى (المذهب -) :**

صاحبه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، إمام أهل الرأى فى عصره (ينقسم العلماء إلى أهل حديث وأهل رأى، وأكثر علماء العراق كانوا أهل رأى) .

ولد سنة ٨٠ هـ بالكوفة . وتوفى سنة ١٥٠ هـ (انظر ترجمته تحت عنوانه) .

وهذا المذهب أقدم المذاهب الأربعة ، والذين دونوه أربعون رجلا أشهرهم ثلاثة :

(١) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وكان أكبر أصحاب أبى حنيفة، وهو الذى نشر علم الإمام فى أقطار الأرض كما سيجىء، وكانت وفاته سنة ١٨٣ هـ .

(٢) ومحمد بن الحسن الشيبانى وقد أخذ عن أبى حنيفة طريقة أهل العراق، وأتمها على أبى يوسف بعد وفاة الإمام. وكانت كتبه مرجع الحنفية فى مذهبهم وتوفى سنة ١٨٩ هـ .

(٣) وزفر بن الهذيل الكوفى المتوفى سنة ١٥٨ هـ .

وقد وصل هؤلاء الثلاثة إلى مرتبة الاجتهاد، وخالفوا إمامهم فى كثير من آرائه، وإذا قيل « الصاحبان » فى هذا المذهب كان المراد. أبا يوسف . ومحمدا .

وقد استكثر أبو حنيفة وأصحابه من القياس ومهروا فيه ؛ لأن الحديث كان بالعراق قليلا؛ ولهذا قيل لهم أهل الرأى.

نشأ هذا المذهب بالكوفة (موطن الإمام) رضى الله عنه ! ثم انتشر منها فى سائر بلاد العراق وكثير من البلاد الإسلامية .

وسبب انتشاره أن الرشيد حين ولى الخلافة عهد بالقضاء إلى الإمام أبى يوسف ، ووكل إليه تولية القضاة فى العِمالات ، فكان لا يولى إلا من كان على مذهبه .

ففشا هذا المذهب فى بغداد ومصر وبلاد الروم وبلاد فارس وبعض بلاد اليمن وغيرها، واستمر كذلك مدة الخلفاء العباسيين لإيثارهم الحنفية بالقضاء .

وأول من أدخله مصر إسماعيل بن اليسع الكوفى أول قاض حنفى بمصر، ولاه المهدى، ثم فشا فيها بعد ذلك مدة الرشيد ومن بعده من الخلفاء .

ولما جاء الفاطميون غضوا من هذا المذهب ؛ لأنه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم بالمشرق، فلم تكن له سوق نافقة بمصر (أى رائجة) .

وفى مدة الدولة الأيوبية كثر الحنفية بمصر، وفى عهد الدولتين التركية والشركسية عاد أهل هذا المذهب إلى القضاء بعد انقطاعه عنهم .

ولما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء فى أهله، فأصبح مذهب أمراء الدولة ، ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولى القضاء.

شيوعه فى عصرنا (فى سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢) :

وهو مذهب الدولة المصرية والمتبع فى القضاء والإفتاء إلا فى بعض مسائل فى الأحوال الشخصية، رؤى من مصلحة المتقاضين أخذ أحكامها من المذاهب الثلاثة الأخرى وغيرها .

وأكثر أتباعه الآن من المتعلمين والموظفين والأمراء والأسر التركية ، ويقل فى الريف والصعيد .

ويغلب فى الشام والعراق وفى الجمهورية التركية وبلاد الألبان وسكان البلقان وفى الأفغان والهند وتركستان .

ويقل فى فارس واليمن والحجاز وفلسطين (الدين الإسلامى ٢ / ٨٠-٨٣) .

وعن فقه أبى حنيفة كتب الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى يقول :

قال الشافعى رضى الله عنه : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » وقال فيه عبد الله بن المبارك : « أنه مخ العلم » ، أى أنه يصل دائما إلى اللباب الخالص من العلم فى غير انحراف. وقال فيه الإمام مالك بعد أن ناقشه فى مسائل مختلفة من العلم : « إنه لفقيه » .

فأبو حنيفة كان فقيها جليلا بلا ريب، شغل عصره بفقهه، واختلف الناس فى أمره، لأنه أتاهم بطريقة فى التفكير الفقهى لم يسبق بها ، أو على الأقل لم يأخذ أحد بمقدار ما أخذ فيها ، مع استقلال فى التفكير، واستقامة فى النظر فغضب عليه المتمسكون بظواهر النصوص الذين لا يتغلغلون فى أعماق معانيها ، ورموه بالخروج عن الجادة ، وغضب عليه أهل الانحراف الفكرى، لأنهم وجدوه يضع دعائم ثابتة للاستنباط فى الفقه الإسلامى ، ويحد الحدود فيها .

منهاجه :

رسم أبو حنيفة منهاجا للاستنباط ، وإذا لم يكن مفصلا، فإنه جامع لأنواع الاجتهاد. ولقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد فى كتاب الله تعالى، ولا سنة رسول الله ﷺ، أخذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم . فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم (أى النخعى) والشعبى وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب ... فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا»

وهذا الكلام يدل على أنه يأخذ بالكتاب ، ثم السنة ، ثم أقوال الصحابة ، ولا يأخذ بأقوال التابعين ... وإن هذا هو الاجتهاد بالنصوص . أما الاجتهاد بغير النصوص ، فقد جاء فى المناقب للمكى عن أحد معاصريه ما نصه :

« كلام أبى حنيفة أخذ بالثقة وفرار من القبح ، والنظر فى معاملات الناس ، وما استقاموا عليه ، وصلح عليه أمورهم . يمضى الأمور على القياس ، فإذا قبح القياس يمضيها على الاستحسان ما دام يمضى له ، فإذا لم يمض له رجع إلى ما يتعامل المسلمون به . وكان يوصل الحديث المعروف الذى أجمع عليه ، ثم يقيس عليه ما دام القياس سائغا ، ثم يرجع إلى الاستحسان : أيهما كان أوفق رجع إليه . قال سهل : هذا علم أبى حنيفة ، وهو علم العامة » .

والمنهاج الذى رسمه أبو حنيفة لنفسه يقوم على أصول سبعة :

١ ـ الكتاب : وهو عمود الشريعة وحبل الله المتين ، ونور الشرع الساطع إلى يوم القيامة . وهو كل الشريعة ، إليه ترجع أحكامها ، وهو مصدر المصادر لها ، وما من مصدر إلا يرجع إليه فى أصل ثبوته .

٢ ـ السنة : وهى المبينة لكتاب الله ، المفصلة لمجمله . وهى تبليغ النبى ﷺ رسالة ربه ، فهى بلاغ لقوم يوقنون ، ومن لم يأخذ بها ، فإنه لا يقر بتبليغ النبى لرسالة ربه .

٣ ـ أقوال الصحابة : لأنهم هم الذين بلغوا الرسالة ، وهم الذين عاينوا التنزيل ، وهم الذين يعرفون المناسبات المختلفة للآيات والأحاديث ، وهم الذين حملوا علم الرسول ، ﷺ ، إلى الأخلاف من بعده .

وليست أقوال التابعين لها هذه المنزلة ، لأنه فرض فى أقوال الصحابة أنها كانت بالتلقى عن رسول الله ، ﷺ ، ولم تكن بالاجتهاد المجرد . وأن بعض أقوالهم ، أو أكثرها مبنية على أقوال للنبى ، وإن لم يرووا الأقوال فإن أبا بكر وعمر وعليا وغيرهم لم يرووا أحاديث عن النبى ﷺ بمقادير تتناسب مع طول صحبتهم وملازمتهم للنبى ﷺ فلا بد أنهم كانوا يفتون بأقوال النبى من غير أن ينسبوها إليه خشية الكذب عليه ﷺ .

٤ ـ القياس : فهو يأخذ بالقياس إذا لم يكن نص من قرآن أو سنة أو قول لصحابة . والقياس هو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لعلة جامعة بينهما ، فهو فى حقيقته حمل على النص ، بأن تتعرف الأسباب والأوصاف المناسبة للحكم الذى نص عليه ، حتى إذا عرفت علته طبق الحكم فى كل موضع تنطبق فيه العلة .

ولقد سماه بعض العلماء تفسيرا للنصوص . وأبو حنيفة قد بلغ فى الاستنباط بالقياس الذروة ، وبه بلغ ما بلغ فى المرتبة الفقهية ... كان يبحث عن العلة فإذا وصل إليها أخذ يختبرها ، ويفرض الفروض ، ويقدر وقائع لم تقع ليطبق عليها العلة التى وصل إليها . وذلك النوع من الفقه يسمى الفقه التقديرى ، إذ تقدر وقائع لم تقع ، ثم يذكر حكمها ، وهذا لاختبار العلة التى وصل إليها .

٥ ـ الاستحسان : والاستحسان أن يخرج عن مقتضى القياس الظاهر ، إلى حكم آخر يخالفه : إما لأن القياس الظاهر قد تبين من الاختيار عدم صلاحيته فى بعض الجزئيات ، فيبحث عن علة أخرى ، ويسمى العمل بموجب هذه اللعة القياس الخفى . وإما لأن القياس الظاهر قد عارضه نص ، فإنه يترك لأجل النص ، لأن العمل بموجب القياس يكون إذا لم يكن نص ، وإما لأن القياس خالف الإجماع ، أو خالف العرف ، فإنه يترك القياس ، ويؤخذ بما انعقد عليه الإجماع أو العرف .

٦ ـ الإجماع : وهو فى ذاته حجة ، ثم هو إجماع المجتهدين فى عصر من العصور على حكم من الأحكام . وقد اتفق العلماء على أنه حجة ، ولكن اختلفوا فى وجوده بعد عصر الصحابة . وقد أنكره الإمام أحمد فى غير عصر الصحابة لإمكان اجتماعهم واتفاقهم ، ولا يمكن اجتماع الفقهاء بعد عصر الصحابة .

٧ ـ العرف : وهو أن يكون عمل المسلمين على أمر لم يرد فيه نص من القرآن أو السنة أو عمل الصحابة ، فإنه يكون حجة ... والعرف قسمان : عرف صحيح ، وعرف فاسد . فالعرف الصحيح هو الذى لا يخالف نصا ، والعرف الفاسد هو الذى يخالف نصا . والعارف الفاسد لا يلتفت إليه ، والعرف الصحيح حجة فيما وراء النص .

نقل مذهب أبى حنيفة :

لم يؤلف أبو حنيفة كتابا ، إلا رسائل صغيرة نسبت إليه ،

كرسالته المسماة الفقه الأكبر، وكرسالته العالم والمتعلم ، ورسالته إلى عثمان البتى المتوفى عام ١٣٢هـ، ورسالته فى الرد على القدرية . وهذه الرسائل كلها فى علم الكلام أو المواعظ . ولم يؤلف كتابا فى الفقه، بل إن تلاميذه هم الذين قاموا بمدرسته وتدوين آرائه، والآثار التى رواها .

وأخص هؤلاء التلاميذ الذين قاموا بحفظ آثار فقيه العراق وآرائه : تلميذان جليلان سميا فى تاريخ الفقه الإسلامى باسم الصاحبين لتلازمهما وطول صحبتهما ، وقيامهما على المدرسة الفقهية التى أنشأها شيخهما، وهما : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى نسبا ، والذى يكنى بأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن (انظر كلا تحت عنوانه) .

وقد نما المذهب الحنفى بالاستنباط والتخريج نموا عظيما، وكانت عوامل نموه ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها : كثرة تلاميذ أبى حنيفة، وعنايتهم بنشر آرائه وبيان الأسس التى قام عليها فقهه، وقد خالفوه فى القليل ووافقوه فى الكثير، وعنوا ببيان دليله فى الوفاق وفى الخلاف معا .

وقد أكثروا من التفريع على آرائه، وبيان الأقيسة التى قام عليها التفريع .

وثانيها : أنه جاء بعد تلاميذه طائفة أخرى عنيت باستنباط علل الأحكام ، وتطبيقها على ما يجد من الوقائع فى العصور، وأنهم بعد أن استنبطوا علل الأحكام التى قامت عليها فروع المذهب جمعوا المسائل المتجانسة فى قواعد عامة شاملة ، فاجتمع فى المذهب التفريع ووضع القواعد والنظريات العامة التى تجمع أشتاته . وتوجه إلى كلياته .

وثالثها : انتشاره فى مواطن كثيرة ذات أعراف مختلفة ، وتتولد فيها أحداث تقتضى تخريجات كثيرة ، وذلك لأنه كان يعتبر مذهب الدولة العباسية الرسمى، فمكث بهذا أكثر من خمسمائة سنة يطبق فى نواحى البلاد الإسلامية ، وذلك لأن الرشيد عين أبا يوسف قاضيا لبغداد، وما كان القضاة يعينون إلا باقتراحه فى كل الأقاليم فكان لا يعين إلا من يعتنق المذهب العراقى، وبذلك عم وذاع .

وإن الأعراف المختلفة تنمى الاستنباط بلا ريب وخصوصا أن من أصول الاستنباط فى المذهب الحنفى العرف فى غير موضع النص، وعندما يكون الاستنباط بالقياس .

البلاد التى ذاع فيها المذهب الحنفى :

وانتشر المذهب الحنفى فى كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه ، وكان يخف سلطانه كلما خف سلطانها ، غير أن بعض البلاد تغلغل فيه بين الشعب، وبعض البلاد كان فيه المذهب الرسمى من غير أن يسود بين الشعب فى العبادات ... فكان فى العراق وما وراء النهر والبلاد التى فتحت فى المشرق المذهب الرسمى، وكان مع ذلك مذهبا شعبيا، وإن نازعه فى بلاد التركستان وما وراء النهر المذهب الشافعى فى وسط الشعب وكانت المناظرات تجرى بين الشافعية والحنفية، وكانت المآتم تحيا بالمناظرات الفقهية ، فكانت هى العزاء . ومن المناظرات الفقهية المستمرة تولدت الأدلة المختلفة، فتولد عنها علم ، ولم تتولد عنها عداوة .

وإذا تركنا العراق وما وراءه من بلدان المشرق نجد المذهب الحنفى يسود فى الشام شعبا وحكومة، حتى إذا جاء إلى مصر وجد المذهب المالكى والمذهب الشافعى يتنازعان السلطان فى الشعب المصرى : الأول لإقامة كثيرين من تلاميذ الإمام مالك ، والثانى لإقامة الشافعى بمصر فى آخر حياته، ودفنه بها . وكان للمذهبين علماء أجلاء، فلما جاء المذهب الحنفى كان له سلطان رسمى، ولم يكن له سلطان شعبى، حتى جاءت الدولة الفاطمية فأزالت ذلك السلطان، وأحلت محله المذهب الشيعى الإمامى، حتى إذا حل محلهم الأيوبيون قووا نفوذ المذهب الشافعى، حتى جاء نور الدين الشهيد، فأراد نشر المذهب الحنفى فى الشعب، وأنشأ له المدارس . ولما جاءت دولة المماليك جعلت القضاء بالمذاهب الأربعة، حتى آل الأمر إلى محمد على، فأعاد إلى المذهب الحنفى صفته الرسمية منفردا .

ولم يتجاوز المذهب الحنفى بلاد مصر إلى المغرب إلا فى عهد أسد بن الفرات ، وكان ذلك زمنا قصيرا، لأن دولة الأغالبة كانت ذات سلطان ، وانفرد المذهب المالكى بالنفوذ فى المغرب والأندلس (« أبو حنيفة » / ٣٦٩ - ٣٧١، ٣٧٥ - ٣٧٧)

ويقول الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم : إن من الثابت أن أبا حنيفة لم يتول أى وظيفة من وظائف الدولة أو يشغل أى عمل قضائى يمكن أن يمارس فيه أبحاثه الفقهية ممارسة عملية تجريبية وإنما كان منهجه التدقيق وإطالة النظر فى أهداف الفقه دون وقائع حدثت تحتاج إلى حكم، أى أن أبا

حنيفة كان فقيها يعمل ويفكر ويتحرك على أرض المرويات باحثا عن الحكم الذى يمكن أن يستنبط منها سواء أكان حكما لأمر واقع أو ليتم به تدبيرا تشريعيا لحادثة يمكن أن يحدث مثلها وهذا هو ما عرف باسم الفقه الفرضى أو التقديرى المبنى على مسائل فرضية وتقديرية .

ومن أمثلة ما مارسه أبو حنيفة فى هذا الفقه التقديرى أنه كان يفرض قضية غير واقعية ويعرضها على تلاميذه ثم يطلب إلى كل منهم البحث والتفكير فى استنباط الحكم الصحيح لها فيدلى كل واحد من التلاميذ برأيه ويعرض كل منهم على الأستاذ رأيه ، وبعد مناقشته لآرائهم جميعا ويختار الحل الصحيح الذى يقبله يقوم التلاميذ بتدوينه لديهم كرأى فقهى يرضاه أبو حنيفة ، بهذه الطريقة وغيرها جمع هؤلاء التلاميذ آراء أستاذهم ودونوها لتكون أساسا للمذهب الحنفى فى التشريع .

ولم يعرف عن أبى حنيفة أنه اشتغل فى حياته بتأليف أى كتب تشمل أصول مذهبه ، وإنما الذين اهتموا بتدوين آرائه فى الفقه هم تلاميذه من بعده وأخصهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى اللذين كانا ألصق تلاميذه به وأشربا روح تفكيره ومنهجه ، وقد أنس خلفاء الدولة العباسية من أن فقه أبى حنيفة القائم على مدرسة الرأى هو أصلح ما يلائم التطور العمرانى الجديد فى العراق لذلك أسندوا إلى أبى يوسف ومحمد وظائف القضاء فى العراق وما جاورها .

لقد كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله ـ كما أوردنا فى ترجمته ـ تاجرا ذا خبرة واسعة بالأعمال التجارية ومعاملاتها وقد كان قسم وقته بين التجارة والفقه والعبادة قسمة عادلة فهو فى الليل العابد المتهجد وفى ضحوة النهار التاجر الذى يتولى العقود حتى إذا جاء الغداة عكف على العلم دارسا ومذاكرا أو مؤصلا الأصول ومفرعا الفروع وكان خير من يشرع بين الناس فى معاملاتهم التجارية بيعا وشراء لمعرفته بكل ما يقره الشرع .

وقد صار من الضرورى لبلاد العراق من تشريع ينظم المعاملات التجارية بحكم ما صارت إليه العراق من مركز تجارى عظيم بين الدول المحيطة بها وحاجة أهلها إلى فقه أبى حنيفة الذى مارس التجارة على اختلاف صورها وفى جميع موادها ممارسة عملية بحكم عقليته المالية التجارية فكان فكره فى ذلك أصح وأدق ما كان من تشريع مستمد من الكتاب والسنة (أئمة المذاهب الأربعة / ٦٠ ، ٦١) .

وعن المؤلفات فى المذهب الحنفى من كتب ومخطوطات يقول الدكتور محمد الزحيلى :

وأهم كتب الحنفية كتب ظاهر الرواية الستة للإمام محمد ابن الحسن (وهى الجامع الكبير والجامع الصغير، والسير الكبير والسير الصغير، والمبسوط أو الأصل ، والزيادات) وتمثل الآراء الراجحة فى المذهب الحنفى ، ثم كتب النوادر للإمام محمد أيضا (وهى الجرجانيات والهارونيات والكيانيات والرقيات) وكتاب الكافى للحاكم الشهيد المروزى (٣٧٤ هـ) الذى جمع كتب ظاهر الرواية وصاغها من جديد ، وحذف المكرر، والمبسوط للسرخسى (٤٨٣ هـ) الذى شرح كتاب الكافى بأسلوب سهل مبسط ، مع الأدلة والمناقشة والمقارنة ، ثم كتاب بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للكاسانى (٥٨٧ هـ) الذى شرح فيه كتاب تحفة الفقهاء للسمرقندى (٥٣٩ هـ) ومختصر الهداية للمرغينانى (٥٩٣ هـ) وهو أشهر وأهم مختصر فى الفقه الحنفى ، وعليه شروح كثيرة أهمها فتح القدير للكمال بن الهمام (٨٦١ هـ) ثم كتاب رد المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) وهو حاشية على شرح الدر المختار للحصكفى ، على متن تنوير الأبصار للتمرتاشى ، وأخيرا مجلة الأحكام العدلية التى وضعتها لجنة من العلماء فى الدولة العثمانية وأصبحت قانونا مدنيا مستمدا من الفقه على المذهب الحنفى ، وصدرت الإرادة السنية بلزوم العمل بها سنة ١٢٩٣ هـ على جميع الأراضى للدولة العثمانية ، ومنها سورية والأردن وفلسطين ولبنان ، وسوف نعرف بأهم هذه الكتب فى المبحث الثالث .

ثم يقول عن مخطوطات الفقه الحنفى فى مكتبة الأسد بدمشق :

لقد احتل المذهب الحنفى مكانة مرموقة فى بلاد الشام منذ العصر العباسى عندما زاحم مذهب الأوزاعى ، ثم صار المذهب الرسمى طوال هذه المدة ـ تقريبا ـ حتى نهاية الدولة العثمانية ، وأنشئت مدارس كثيرة لتدريسه ، وآلت مناصب الإفتاء والقضاء ـ غالبا ـ إلى علمائه الذين قاموا برعايته وخدمته ونشره وتنقيحه والتأليف فيه .

وظهر منهم علماء أجلاء ، وتركوا لنا تراثا زاخرا، وثروة فقهية عظيمة، انحصر أكثرها فى الظاهرية بدمشق، والأحمدية بحلب، ثم ضم القسمان إلى مكتبة الأسد .

١ ـ مخطوطات الظاهرية فى الفقه الحنفى كثيرة، وقد وضع فهرسا لها الأستاذ محمد مطيع الحافظ، ونشر الفهرس مجمع اللغة العربية بدمشق فى جزأين، وكشف الفهرس عن «كتب كثيرة كانت فى عالم النسيان» وأخرى مثلها فريدة لا نظير لها فى مكتبات العالم ، ومؤلفات لعلماء شاميين بخطوط مؤلفيها ومجاميع فقهية نادرة ، كان للظاهرية فضل حفظها وصيانتها من العابثين والجاهلين ، ثم انتقلت إلى مكتبة الأسد لتأخذ الحظ الأوفى فى الرعاية والعناية والترميم والحفظ، وترنو بأعناقها إلى الأيدى الحانية لإخراجها إلى النور، وتحقيقها وطبعها، ليطلع الخلف على تراث الآباء والأجداد، ويستفيدوا من اللبنات والبنيان الذى شيدوه للعالم، وحملوا فيه مشعل النور والحضارة للأمة ، وتغطى مختلف جوانب الحياة والأحكام العملية التى تبين حكم الله تعالى فى كل صغيرة وكبيرة ، ويمكن الرجوع للفهرس للاستفادة منه .

قالت المؤلفة : هذا الفهرس المشار إليه اشتريته من مجمع اللغة العربية بدمشق أثناء زيارتنا الأولى لها من الإثنين ٢ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٢ أغسطس ١٩٩١م إلى الخميس ١٢ صفر/ ٢٢ أغسطس . وننقل مواده تباعا فى هذه الموسوعة وفقا لترتيب ورودها . وقد حرصت عند إدخال كل مخطوط إلى التنويه بأنه قد يكون بمكتبة الأسد الآن وتم نقله من دار الكتب الظاهرية ، وذلك تنبيها للدارسين والباحثين فى مصر ممن يحتاجون إلى الحصول على نسخة من مخطوطاتها . وقد تاكدنا من ذلك بزيارتنا لقسم المخطوطات بمكتبة الأسد، التى تقع على مقربة من دار الكتب الظاهرية .

٢ ـ مخطوطات الفقه الحنفى فى المكتبة الأحمدية بحلب التى ضمت إلى مكتبة الأسد أيضا وجاءت فى الفهرس الخطى

ويضاف إلى ذلك رسائل فى الفقه الحنفى جاءت فى مجاميع، وصنفت فى فهرس مخطوطات الظاهرية ـ مجاميع (١ / ٤٥٢ ـ ٤٥٥) (٢ / ٤٠٢) (مرجع العلوم الإسلامية / ٣٦٥ ـ ٣٦٧) .

ويقول الأستاذ محمد مطيع الحافظ :

ونستطيع التعرف على مدى انتشاره فى بلاد الشام وبخاصة دمشق من خلال المدارس التى شادها الخلفاء والملوك والولاة فى تدريس الفقه الحنفى، إذ كانت أول مدرسة أنشئت بدمشق هى المدرسة الصادرية (قرب المسجد الجامع الأموى) وقد تم بناؤها سنة ٣٩١ هـ ـ وهى مدرسة شرط واقفها تعليم الفقه الحنفى فيها، ويجد الباحث أسماء المدارس التى كانت تقوم بتدريس المذهب الحنفى إلى جانب علوم أخرى وهى إحدى وخمسون مدرسة فى كتاب النعيمى : « المدارس فى تاريخ المدارس » . وفى هذه المدارس نشأ كثير من كبار العلماء الأحناف مثل أبى الحسن الكرخى وعمر الخبازى وتاج الدين الكندى، وجلال الدين الرازى وجمال الدين الحصيرى، ثم أنشأ العثمانيون بعض المدارس فتابعت تدريس الفقه الحنفى فيها ، ونجد وصفا لها فى ذيل كتاب ثمار المقاصد ليوسف بن عبد الهادى والذى وضعه الدكتور محمد أسعد طلس كالمدرسة المرادية والبخارية ومدرسة الخياطين ومدرسة العظم والفتحية ... وغيرها وقد ضمت هذه المدارس مكتبات كثيرة وكتبا قيمة، فيها مجموعات ضخمة من كتب الفقه الحنفى، ثم ازدادت هذه الثروة نماء بما انضاف إليها من هدايا مثل مكتبة الشيخ عبد الغنى النابلسى، ومكتبة نقيب أشراف الشام الأستاذ محمد سعيد آل حمزة رحمه الله ومكتبة الشيخ عبد الله الكزبري ومكتبة الشيخ حامد التقي وغيرها .

لقد ظفر المذهب الحنفى فى العهود المتتابعة فى ظل الخلافة العباسية والدولة النورية والخلافة العثمانية بالحظوة الكبيرة ، فكان المذهب الرسمى والسائد فى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبخارى ...

وقد تتابعت دراسات العلماء لهذا المذهب فاستنبطوا أصوله، ثم خرجوا الفروع على هذه الأصول مستفيدين من أقوال الإمام الأعظم وأصحابه، معتمدين على مرونة التخريج وقوة الترجيح .

ولهذا أضحى الفقه الحنفى بفضل عبقرية الإمام الأعظم وموهبته الفذة وبفضل الاجتهادات التى لم تنقطع أو لم تكد غنيا ثريا، الأمر الذى حدا بالإمام الشافعى رضى الله عنه إلى

إطلاق قولته الشهيرة : « الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة » (فهرس الظاهرية ١/ ٧ ـ ٩) .

(الدين الإسلامى ـ الشيخ حسن منصور، والشيخ عبد الوهاب خير الدين ، والشيخ مصطفى عنانى ٢ / ٨٠ ـ ٨٣ ، و « أبو حنيفة » ـ الإمام محمد أبو زهرة . دائرة معارف الشعب كتاب الشعب ٨٨ ، مطابع الشعب ١٩٦٠/ ٣٦٩ ـ ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، وأئمة المذاهب الأربعة ـ محمد إسماعيل إبراهيم / ٦٠ ، ٦١ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٧ ـ ٩) .

*** ابن الحَنَفِيَّة (٢١ ـ ٨١هـ / ٦٤٢ ـ ٧٠٠ م) :**

محمد بن على بن أبى طالب ، الهاشمى القرشى ، المدنى ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحنفية ، من كبار التابعين ، أحد فقهاء المدينة ، وأحد الأبطال الأشداء الأقوياء فى صدر الإسلام . ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وهو أخو الحسن والحسين ، غير أن أمهما فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ، وينسب لها تمييزا له عنهما ، وكان يقول : « الحسن والحسين أفضل منى ، وأنا أعلم منهما » كان كثير العلم والورع ، سمع من أبيه وعثمان ، وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وعون وإبراهيم وجماعات من التابعين ، وكان اسمه وكنيته رخصة لعلى رضى الله عنه ، قال على : «قلت : يا رسول الله ، إن ولد لى مولود بعدكِ أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم » وكان كثير الإسناد عن والده وكان ثقة ، وأخرج أحاديثه أصحاب الكتب الستة قال الحافظ إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد : « لا نعلم أحدا أسند عن على عن النبى ﷺ أكثر، ولا أصح ، مما أسنده محمد ابن الحنفية» وكان أسود اللون ، وله أخبار طريفة فى القوة والشجاعة ، وكان يحمل راية أبيه بصفين ، وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته . ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية (وهى فرقة من فرق المسلمين ، تنسب إلى المختار، أو إلى كيسان مولى على) تزعم أنه لم يمت ، وأنه مقيم بجبل رضوى ، عنده عسل وماء ، وأنه سيرجع ، توفى بالمدينة سنة ٨١ هـ ، وقيل غير ذلك ، وقيل : خرج إلى الطائف هاربا من ابن الزبير، فمات هناك (مرجع العلوم الإسلامية / ٨٦) .

وقد ذكر الشيخ الشبلنجى مناقب ابن الحنفية فقال : فى طبقات الشعرانى كان يقول رضى الله عنه من كرمت عليه نفسه لم يكن عنده للدنيا قدر وكان يقول ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له مخرجا . ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف فى البر ومائة ألف فى البحر أو يؤدى إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد ابن الحنفية تتهدده وتتوعده ثم اعلمنى بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد ابن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن الله عز وجل ثلثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلىَّ نظرة يمنعنى بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم هذا ما خرج منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوة . لما بلغ محمدا مسير أخيه الحسين رضى الله عنهما إلى الطف وكان بين يديه طشت يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه (كرامة) مر زيد بن على زين العابدين بمحمد ابن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك بالله أن تكون زيد بن على المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا فى الخطط ومن كلامه رضى الله عنه وكل الله الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شىء حكى أبو طالب المكى فى القوت أن عليا رضى الله عنه قال لابنه محمد ابن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل اقدم اقدم ومحمد يتأخر وهو يكرهه بقائم الرمح فالتفت إليه محمد وقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه علىٌّ بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها . وكانت الشيعة تسميه المهدى وهو يقول كل مؤمن مهدى وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل وكان شجاعا كريما فصيحا توفى محمد ابن الحنفية رضى الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين من الهجرة كذا فى مختصر التواريخ ويقال إنه مات بالطائف (نور الأبصار / ١٨١) .

(مرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٨٦ وما جاء بهامش (١) من مصادر، ونور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار للشبلنجى . ط دار الغد العربى / ١٨١ ، ١٨٢ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٦ / ٢٧٠)

*** أبو حنيفة الاتقانى (٦٨٥ ـ ٧٥٨ هـ / ١٢٨٦ ـ ١٣٥٧ م) :**

أحد الذين تولوا مشيخة مدرسة الإمام أبى حنيفة ببغداد .

وهو الإمام لطف الله أمير كاتب العميد ابن أمير عمر بن

أمير غازى قوام الدين المكنى بأبى حنيفة الاتقانى الفارابى .

ولد فى اتقان فى شوال سنة ٦٨٥ هـ ، وأخذ عن أحمد بن أسعد الخريفغنى وعن حميد الدين على الضرير البخارى وغيرهم من علماء عصره ومصره . حتى نبغ وبرع ، وصار رأسا لعلماء الحنفية ، بارعا فى الفقه واللغة والأدب والتفسير والحديث . وكان كثير الإعجاب بنفسه . شديد التعصب لمذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه .

وله من التصانيف شرح المنتخب الحسامى وسماه (التبيين) وله شرح على كتاب الهداية سماه (غاية البيان ونادرة الأقران) وقدم بغداد ، وكان خبره قد ذاع فيها ، وانتشر صيته ، فاستقبله العلماء فيها وأكرموه وأخذوا عنه ، وقد ولى التدريس بمدرسة الإمام أبى حنيفة بالمشهد .

وزار دمشق سنة ٧٤٧ هـ واجتمع بنائب السلطنة فيها . وولاه تدريس دار الحديث الظاهرية . ومنها زار مصر سنة ٧٥١ هـ ، وقابل الأمير صرغتمش فأكرمه وبنى له المدرسة الصرغتمشية ، ثم عاد إلى بغداد وولى قضاءها ، ثم رحل إلى دمشق ثانية .

توفى فى الحادى عشر من شوال سنة ٧٥٨ هـ .

راجع الفوائد البهية / ٥٠ ـ ٥٢ وكشف الظنون ٢ / ١١٩١ (مدرسة الإمام أبى حنيفة ـ وليد الأعظمى / ٦٩) .

انظر : أبو حنيفة (مدرسة الإمام ـ) .

*** أبو حنيفة (الإمام الأعظم ـ) (٨٠ ـ ١٥٠هـ / ٦٩٩ ـ ٧٦٧ م) :**

هو النعمان بن ثابت ، التيمى بالولاء ، الكوفى ، أبو حنيفة إمام الحنفية ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . كان عالما عاملا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، تقيا ، كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى . ولد سنة ٨٠ هـ ، وأدرك أربعة من الصحابة هم : أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وسهل بن سعد الساعدى وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، ولم يلق أحدا منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : لقى جماعة من الصحابة ، وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل . وفى «تاريخ بغداد » أنه رأى أنس بن مالك . أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان خزازا يبيع الخز ويطلب العلم فى صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء . وأراده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين على القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد ـ آخر ملوك بنى أمية ـ فامتنع ورعا ، فضربه ١١٠ أسواط ، كل يوم ١٠ أسواط ، وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله ، وأراده المنصور العباسى بعد ذلك على القضاء ببغداد ، فأبى ، فحلف عليه ليفعلن ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل ، فحبسه إلى أن مات وكان قوى الحجة ، من أحسن الناس منطقا . قيل لمالك بن أنس : « هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته » . وعن الإمام الشافعى : « الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة » وقال جعفر بن ربيع : «أقمت على أبى حنيفة خمس سنين ، فما رأيت أطول صمتا منه ، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادى ، وسمعت له دويا وجهارة فى الكلام » توفى سنة ١٥٠ هـ . وكانت وفاته فى السجن له « مسند » فى الحديث جمعه تلاميذه ، و «الخارج» فى الفقة ، رواه عنه تلميذه أبو يوسف . (كتاب الوفيات / ١٢٩) .

روى الحديث وأخذه عن الصحابة ، ودون تصانيفهم ، مثل كتاب « الآثار » لمحمد بن الحسن ، وفى تصانيف أبى يوسف منه الكثير ، وجمع أبو محمد الحارثى بعد الثلثمائة مسندا من حديثه فى مجلد ، رواه عن أبى حنيفة الحسن بن زياد اللؤلؤى ، ورتبه على أبواب الفقه قاسم بن قطلوبغا ، وشرحه السيوطى فى التعليقة المنيفة ، وملا على القارى ، والملا محمد حسن فى « تنسيق النظام بشرح مسند الإمام » وجمعه أيضا أبو بكر بن المقرى فى مسند أقل من مسند الحارثى ، وجمع أبو الخير بن المظفر له مسندا ، وجمع ابن خسرو له مسندا .

جمع له محمد بن محمود الخوارزمى خمسة عشر مسندا جمعها فحول المحدثين ، وذكر أيوب الخلوتى أن له سبعة عشر مسندا .

أخذ أبو حنيفة الفقه والحديث عن حماد بن أبى سليمان ، وعطاء ، ونافع ، وابن هرمز ، وقتادة ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم وتفقه به وروى عنه أصحابه : زفر ، وأبو يوسف ، والحسن ابن زياد ، وأبو مطيع البلخى ، وابن المبارك ، ووكيع ، وداود الطائى وغيرهم .

شهد له العلماء بالفقه وجودة الرأى ، وقرأ عليه علماء الكوفة وبغداد ، وتخرج عليه منها الأئمة من أصحابه .

ولم يصل إلينا شيء من كتبه في الفقه، وإنما وصلت إلينا كتب تلاميذه ولا سيما أبي يوسف ومحمد، ويلقبان عادة بالصاحبين، أي صاحبي أبي حنيفة. توفي الإمام أبو حنيفة ببغداد سنة ١٥٠ هـ، وهو من الطبقة السادسة، وقد انتشر مذهبه في العراق (المبتكر / ٢٦١ ـ ٢٦٤) .

وهو أول من بوب الفقه وحرر فصوله ورتب قياسه وقال فيه بالرأى لكثرة الوضاعين من زنادقة العراق، وحرصه على ألا يأخذ بالشك في دينه. فلم يصح عنده إلا سبعة عشر حديثا . (تاريخ الأدب العربي / ٣٨٢) .

شيوخ أبي حنيفة وأصحابه :

قال الذهبي :

تفقه بحماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وبغيره وقال : اختلفت إلى حماد خمس عشرة سنة . وفي رواية أخرى عنه قال : صحبته عشرة أعوام أحفظ قوله وأسمع مسائله . وسمع الحديث من عطاء بن أبي رباح بمكة ، وقال : ما رأيت أفضل من عطاء . وسمع من عطية العوفي، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعكرمة، ونافع، وعدي بن ثابت، وعمرو بن دينار، وسلمة بن كهيل، وقتادة بن دعامة ، وأبي الزبير، ومنصور، وأبي جعفر محمد بن على بن الحسين، وعدد كثير من التابعين .

تفقه به جماعة من الكبار، منهم زفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضي، وابنه حماد بن أبي حنيفة، ونوح بن أبي مريم المعروف بنوح الجامع، وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، والحسن بن زياد اللؤلؤى، ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو القاضي . وروى عنه من المحدثين والفقهاء عدة لا يحصون، فمن أقرانه مغيرة بن مقسم، وزكريا بن أبي زائدة، ومسعر بن كدام ، وسفيان الثورى، ومالك بن مغول ، ويونس بن أبي إسحاق . وممن بعدهم زائدة، وشريك ، والحسن بن صالح، وأبو بكر بن عياش، وعيسى بن يونس، وعلى بن مسهر، وحفص بن غياث، وجرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن المبارك ، وأبو معاوية ، ووكيع ، والمحاربي، وأبو إسحاق الفزارى، ويزيد بن هارون ، وإسحاق بن يوسف الأزرق، والمعافى بن عمران ، وزيد بن الحباب، وسعد بن الصلت ، ومكي بن إبراهيم ، وأبو عاصم النبيل، وعبد الرزاق ابن همام ، وحفص بن عبد الرحمن السلمي وعبيد الله بن موسى ، وأبو عبد الرحمن بن المقرىء، ومحمد بن عبد الله الأنصارى، وأبو نعيم ، وهوذة بن خليفة، وأبو أسامة، وأبو يحيى الحماني ، وابن نمير، وجعفر بن عون، وإسحاق بن سليمان الرازى، وخلائق .

(مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه / ١١ ، ١٢) .

أبو حنيفة والحديث الشريف :

للإمام أبي حنيفة رحمه الله مسانيد كثيرة رواها جماعة من حفاظ الحديث؛ قدامى ومحدثون :

قال في « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص٥٤ » :

« ... ومنهم أبو حنيفة (أي ممن أخذ عن مالك) فقد ذكر غير واحد أنه لقي مالكا وأخذ عنه شيئا من الأحاديث .

وذكر الجلال السيوطي في كتابه « تزيين الممالك بترجمة الإمام مالك » أن رواية أبي حنيفة عن مالك ذكرها جماعة من المتقدمين والمتأخرين .

فمن المتقدمين : الدارقطني في كتابه، وابن حجر، والبزار في « مسند أبي حنيفة (وهذا مسند آخر له رواه البزار الحافظ المشهور) » والخطيب البغدادي في كتب « الرواة عن مالك » .

وذكرها من المتأخرين : الحافظ مغلطاى، وسراج الدين البلقيني .

قال الزركشي في نكته : « صنف الدارقطني جزءا في الأحاديث التي رواها أبو حنيفة عن مالك » .

وقال الحنفية : « أجل من روى عن مالك أبو حنيفة » اهـ بلفظه .

المسانيد التي ذكر الحافظ لأبي حنيفة :

ذكر في « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » أن للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت خمس عشرة مسندا، سردها ورواتها ، فقال :

« مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة : رواه حسن بن زياد اللؤلؤى » .

ورتب المسند المذكور الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، برواية الحارثي على أبواب الفقه ، وله عليه « الأمالي » (ذكر

الإمام العينى فى عمدة القارى « أنه قرأ منه إلى الجزء الخامس» ولعله هو الذى أوله : « أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث البخارى المصنف . حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد الهروى ، حدثنى أحمد بن عبد الله بن محمد الكندى بمصر، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا المبارك ، حدثنا أبو حنيفة ... » إلخ) .

ومختصر المسند المسمى بـ المعتمد لـ « جمال الدين محمود بن أحمد القونوى الدمشقى » المتوفى سنة ٧٧٠ هـ ، ثم شرحه وسماه « المستند » .

وجمع « زوائده » أبو المؤيد : محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥هـ أوله : الحمد لله الذى سقانا بطوله من أصفى شرائع الشرائع إلخ .

قال : « وقد سمعت بالشام عن بعض الجاهلين بمقداره ما ينقصه ويستصغره ، ويستعظم غيره وينسبه إلى قلة رواية الحديث، ويستدل على ذلك بمسند الإمام الشافعى وموطأ مالك . وزعم أنه ليس لأبى حنيفة مسند، وكان لا يروى إلا عدة أحاديث، فلحقتنى حمية دينية ، فأردت أن أجمع بين خمسة عشر من مسانيده التى جمعها له فحول علماء الحديث :

الأول : الإمام الحافظ أبو محمد : عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثى المعروف بـ « عبد الله الأستاذ » .

الثانى : أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر : « الشاهد العدل » .

الثالث : الإمام الحافظ : أبو الحسن محمد بن المطهر ابن موسى بن عيسى بن محمد .

الرابع : أبو نعيم : الحافظ الأصبهانى الشافعى صاحب حلية الأولياء .

الخامس : الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى .

السادس : الإمام أبو أحمد : عبد الله بن عدلى الجرجانى .

السابع : الحافظ عمر بن حسن الشيبانى .

الثامن : أبو بكر أحمد بن محمد بن خالد الكلاعى .

التاسع : الإمام أبو يوسف القاضى : يعقوب بن إبراهيم الأنصارى والمروى عنه يسمى : « نسخة أبى يوسف » .

العاشر : الإمام محمد بن حسن الشيبانى ، والمروى عنه يسمى « نسخة محمد » .

الحادى عشر : ابنه الإمام حماد (هو : حماد بن أبى حنيفة سماه باسم شيخه) ورواه عن أبى حنيفة .

الثانى عشر : الإمام محمد أيضا ، وروى معظمه عن التابعين (أى ما رواه أبو حنيفة عن التابعين) وما رواه يسمى «الآثار» .

الثالث عشر: الإمام الحافظ أبو القاسم : عبد الله بن أبى العوام السعدى .

الرابع عشر : الإمام الحافظ حسين بن محمد بن خسرو البلخى المتوفى سنة ٥٢٣هـ ، وقد خرجه تخريجا حسنا .

الخامس عشر : الإمام الماوردى .

واختصره الإمام شرف الدين إسماعيل بن عيسى بن دولة الأوغانى المكى وسماه : « اختيار اعتماد المسانيد فى اختصار أسماء بعض رجال المسانيد » وتوفى سنة ٨٩٢ هـ . ذكر فيه نبذة من مناقب الإمام .

واختصره أيضا الإمام أبو البقاء : أحمد بن أبى الضياء محمد القرشى العدوى المالكى . أوله : « الحمد لله رب العالمين إلخ ...

فهذا مختصر مسند الإمام الأعظم الذى جمعه الإمام أبو المؤيد الخوارزمى ، حذفت الأسانيد منه ، وما كان مكررا ، وسميته « المستند فى مختصر المسند » .

واختصره محمد بن عباد الخلاطى المتوفى سنة ٦٥٢ هـ وسماه « مقتصد المستند » .

واختصره : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الحنفى . وجمع زوائده أيضا : حافظ الدين محمد الكردرى المعروف بابن البزار، المتوفى سنة ٨٢٧هـ .

وشرحه جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ وسماه « التعليقة المنيفة على مسند أبى حنيفة » .

واختصره بعضهم : أوله : الحمد لله الذى أكمل ديننا » إلخ ... قال : لما رأى المسند الكبير لأبى المؤيد الخوارزمى ووجده مطولا بالأسانيد، فحذفه، ثم وجد مختصرين من المسند الكبير: أحدهما للإمام جمال الدين محمود بن

أبـى العبـاس القونوى، والثـانى للإمام أحمـد بن أبى الضياء المكى، ورأى الأول ما وفى المقصود، والثـانى أتى به ، لكنه ما حذف الحديث المكرر » اهـ بلفظه من كشف الظنون .

(مسند الإمام أبى حنيفة برواية الحصكفى / ١٨ ـ ٢٣) .

وقـد ذكر الكتـانى مسند أبى حنيفـة فى كلامـه على كتب الأئمـة الأربعة فقـال : ومسنـد إمام الأئمـة ركن الإسـلام أبى حنيفة النعمان بن ثـابت الفارسى الكوفى فقيـه العراق المتوفى ببغداد سنـة خمسين أو إحدى وخمسيـن ومائة ، ولـه خمسة عشر مسندا وأوصلهـا الإمام أبو الصبر أيـوب الخلوتى فى ثبته إلى سبعة عشر مسندا كلها ينسب إليـه لكونها من حديثه وإن لم تكن من تأليفه (الرسالة المستطرفة / ١٣) .

قال الإمام أبو زهرة رحمه الله :

وقد مات أبو حنيفة كما يموت الصديقون والشهداء، وكان ذلك فى عـام ١٥٠ هــ . وقـد كان فى المـوت راحـة لـذلك الضمير المعنـى، ولذلك الوجـدان الدينى المـرهف، وذلك القلب القـوى، والعقل الجبــار، ولتلك النفس الصبـور التى لاقت الأذى فـاحتملتـه، لاقتــه من المخــالفين فى الآراء، ورميت بكل رميــة ، فتحملت مـا رميت بـه مطمئنــة راضيـة مـرضية، ولقيـت الأذى من السفهاء، ثـم لقيتـه من الأمـراء ثم الخلفاء، ومـا ضعفت وما وهنت، وإذا كان للنفـوس جهاد، ولجهادهـا ميادين ، فأبـو حنيفة رضى الله عنـه كان من أعظم أبطال ذلك النـوع من الجهاد ، وممن انتصر فى كل ميـادينه، وكان جلـدا فى جهاده، حتى وهـو يلفظ النفس الأخيـر. فهو يـوصى بأن يدفن فى أرض طيبـة لـم يجر عليهـا غصب، وألا يدفن فى أرض قد اتهم فيها الأمير.

ولعظمـة العلـم والدين والخلق روعـة وتأثيـر ، لا تقل عن عظمـة السلطان وجـاه الحكام ، ولـذلك شيعت بغداد كلهـا جنازة فقيه العراق، والإمـام الأعظم. ولقد قدر عدد من صلى عليه بخمسين ألفـا، بل أن أبا جعفـر الذى عـذبه صلى على قبره بعد دفنـه . ولا ندرى أكان ذلك إقرارا منـه بعظمة الخلق والـدين وجلال التقى، أم لإرضـاء العامـة ، ولعله مـزيج من الأمرين ، فقد كان أبو حنيفة عظيما حقا . ولقد ذهبت أخبار الذين آذوه ، فـلا يذكرون إلا بمظلمة ارتكبـوها، أو دم أراقوه. أمـا هو فلـه آراء تـدرس فى مشـارق الأرض ومغاربهـا، وعلم يتذاكره النـاس ويتعلمونه ، ويجلون صـاحبه ، رضى الله عنه وأرضاه (« أبو حنيفة » / ٣٧٧) .

قال الذهبى فى وفاة أبى حنيفة :

قيل إنـه بقى فى نفس المنصور من أبى حنيفـة لقيامـه مع إبراهيم بن عبيد الله على المنصور، وكان أبو جعفر لا يصطلى له بنار، وفيه جبـروت وشهامة . قال بشر بن الـوليد: مات أبو حنيفة بـالسجن ببغداد، ودفن فى مقابر الخيـزران. أحمد بن القـاسم البرتى، عن بشـر بن الوليـد، عن أبى يوسف قـال : مـات أبو حنيفـة فى نصف شوال سنـة خمسين ومائة. وقـال الواقدى وغيـره: مات أبو حنيفة فى رجب سنـة خمسين ومائة وله سبعـون سنة . وقال الواقـدى : مات ببغداد وكنت يـومئذ بالكوفة . وقال أبو حسـان الزيادى، ويعقوب بن شيبة: مات فى رجب سنــة خمسيـن . وجـاء عـن بعضهم : مــات فى شعبان. وفى رجب أصح رحمـه الله تعالى . (مناقب الإمـام أبى حنيفة/ ٣٠) .

تـرجم له صـاحب الطبقـات السنية تـرجمـة حافلـة ننقل بعضها فيما يلى . قال المؤلف رحمه الله :

هو إمام الأئمـة، وسراج الأمة، وبحر العلـوم والفضائل، ومنبع الكمالات والفـواضل، عالـم العراق، وفقيه الـدنيا على الإطلاق، من أعجـز من بعده عن لحـاقه، وفات من عـاصره فى سياقه، ومن لا تنظر العيون مثلـه ، ولا ينال مجتهد كماله وفضله .

أبو حنيفـة النعمان بن ثابت بـن زوطى، بضم الزاى وفتح الطاء، وهو المشهور، وقال ابن الشحنة ، نقلا عن شيخه مجد الدين الفيـروزابادى، فى « طبقات الحنفية »: إنـه بفتح الزاى والطاء المهملـة ، مثل سكرى . وكان زوطى مملـوكا لبنى تيم الله ابن ثعلبة، واختلف فى أصله ، فقيل : من كابل، وقيل : من بـابل، وقيـل : من نسـا ، وقيل: من تـرمــذ، وقيل: من الأنبار، وقيل غير ذلك .

قال السراج الهندى : ووجـه التلفيق بين هذه الروايات أن يكون جده من كابل، ثم انتقل منها إلى نسا، ثم إلى ترمذ، أو ولد أبوه بترمذ، ونشأ بالأنبار، ... إلخ .

قـال ابن الشحنة : وهـذا التلفيق أصله لخطيب خـوارزم، ونظر ذلك ببعض مشايخـه، فقال: كأبى المعالى الفضل بن

سهل الإسفرايني ، فإن أباه من أسفراين ، وولد هو بمصر ، ونشأ بحلب ، ثم أقام ببغداد ، ومات بها ، ويقال له : المصري الحلبي ، البغدادي .

وروى الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٦) بسنده ، عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، أنه كان يقول : أنا إسماعيل ابن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان ، من أبناء فارس الأحرار ، والله ما وقع علينا رق قط ؛ ولد جدي في سنة ثمانين ، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وهو صغير ، فدعا له بالبركة فيه ، وفي ذريته ، ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك لعلي بن أبي طالب ، رضي الله تعالى عنه فينا . انتهى .

قال السراج الهندي ، بعد نقل ما ذكر عن إسماعيل : وكذلك قاله أخو إسماعيل ، ولا يحل لمسلم أن يظن بهما مع جلالة قدرهما ، ودقة ورعهما ، أن ينتسبا إلى غير آبائهما .

قال الخطيب البغدادي : والنعمان بن المرزبان ، أبو ثابت ، هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب الفالوذج يوم النيروز ، فقال : نوروزنا كل يوم . وقيل : كان ذلك في المهرجان ، فقال : مهرجونا كل يوم .

وذكر في « الجواهر المضية » (١ / ٢٦ ، ٢٧) لأبي حنيفة نسبا طويلا ، أوصله إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، تركنا ذكره لعدم صحته ، والله تعالى أعلم .

مولده ، ووفاته ، وصفته :

عن مزاحم بن داود بن علية ، أنه كان يذكر عن أبيه أو غيره ، أن أبا حنيفة ولد سنة إحدى وستين ، ومات سنة خمسين ومائة . وقال الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٠) لا أعلم لصاحب هذا القول متابعا ، ثم روى بسنده عن أبي نعيم ، أن أبا حنيفة ولد سنة ثمانين ، وكان له يوم مات سبعون سنة ، ومات في سنة خمسين ومائة ، وهو النعمان ثابت ، وروى عنه بسند آخر ، أنه قال : ولد أبو حنيفة سنة ثمانين بلا مائة ، ومات سنة خمسين ومائة ، عاش سبعين سنة ، واختلف في الشهر الذي مات فيه ، فقال بعضهم : في شعبان ، وقال بعضهم : في رجب ، وعن أبي يوسف : أنه مات في النصف من شوال ، وكانت وفاته بمدينة بغداد ، ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران ، وقبره هناك ظاهر معروف مقصود بالزيارة .

وقال ابن خلكان (وفيات الأعيان ٥ / ٤٦ ، ٤٧) : وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ، مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي ، على قبره مشهدا وقبة ، وبنى عنده مدرسة كبيرة للحنفية (أفردنا مادة لكل من الضريح والمدرسة وتأتيان بعد هذه المادة) ولما فرغ من عمارة ذلك ، ركب إليها في جماعة من الأعيان ليشاهدوها ، فبينما هم هناك إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي ، وأنشد :

(جاء تعليق المحقق في هامش (٢) كما يلي :

البيتان في مناقب الإمام الأعظم ٢ / ١٩٤ ، ومناقب الكردري ٢/ ٣٣ ، وهما في المصدرين للشريف أبي جعفر مسعود بن أبي المحسن العباسي ، وفي الاسم خطأ كما ترى) .

ألم تر أن العلم كان مبددا
فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة
فأنشرها فعل العميد أبي سعد

فأجازه أبو سعد بجائزة سنية ، وكان بناء المشهد والقبة ، في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، وقيل : الذي بنى ذلك ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه . قال ابن خلكان : والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابة عن ألب أرسلان المذكور ، وهو كان المباشر ، كما جرت عادة النواب مع ملوكهم ، فنسبت العمارة إليه بهذا الطريق انتهى .

وأما ما ورد في صفة أبي حنيفة :

فمنه ما ذكر أبو نعيم ، قال : كان أبو حنيفة حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، حسن المجلس ، شديد الكرم ، حسن المواساة لإخوانه . وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة ربعة من الرجال ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، وكان أحسن الناس منطقا ، وأحلاه نغمة ، وأنبهه على ما يريده . وعن عمر ابن حماد بن أبي حنيفة ، أن أبا حنيفة كان طوالا تعلوه سمرة ، وكان لباسا ، حسن الهيئة ، كثير التعطر ، يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله قبل أن نراه رضي الله عنه .

مناقب أبي حنيفة رضي الله عنه وثناء الأئمة عليه :

عن إبراهيم بن عبد الله الخلال ، قال : سمعت ابن المبارك يقول : كان أبو حنيفة آية . فقال له قائل : في الشر يا

أبا عبد الرحمن ، أو في الخير؟ فقال : اسكت يا هذا؛ فإنه يقال : غاية في الشر، آية في الخير، ثم تلا هذه الآية : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون : ٥٠] وعن ابن المبارك أيضا (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٦) قال : ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة ، كان حسن السمت ، حسن الوجه ، حسن الثوب، ولقد كنا يوما في مسجد الجامع ، فوقعت حية ، فسقطت في حجر أبي حنيفة، وهرب الناس غيره، ما رأيته زاد على أن نفض الحية ، وجلس مكانه . وعنه أيضا، أنه قال : لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان، لكنت كسائر الناس . وعن أبي يحيى الحماني أنه كان يقول : ما رأيت رجلا قط خيرا من أبي حنيفة . وكان أبو بكر الواعظ (هو ابن عياش) يقول : أبو حنيفة أفضل أهل زمانه . وعن سهل بن مزاحم (تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٧) أنه كان يقول : بذلت الدنيا لأبي حنيفة فلم يردها ، وضُرب عليها بالسياط فلم يقبلها .

وقيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود : ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة ؟ قال : ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة . وحدث الشافعي محمد بن إدريس، قال : قيل لمالك بن أنس : هل رأيت أبا حنيفة؟ قال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا ، لقام بحجته . وعن روح بن عبادة، أنه قال : كنت عند ابن جريج سنة خمسين، وأتاه موت أبي حنيفة، فاسترجع، وتوجع، وقال : أي علم ذهب قا ل : ومات فيها ابن جريج ...

وعن أبي عبد الله الكاتب، قال : سمعت عبد الله بن داود الخريبي (نسبة إلى الخريبة وهي محلة بالبصرة) يقول : يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلواتهم .

قال : وذكر حفظه عليهم السنن والفقه .

وقال شداد بن حكيم : ما رأيت أعلم من أبي حنيفة .

وقا ل مكي بن إبراهيم : كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه .

وقال النضر بن شميل : كان الناس نياما عن الفقه، حتى أيقظهم أبو حنيفة فيما فتقه وبينه ولخصه .

وحدث أحمد بن علي بن سعيد القاضي، قال سمعت يحيى بن معين، يقول : سمعت يحيى بن سعيد القطان، يقول : لا نكذب الله ، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله .

قال يحيى بن معين : وكان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين، ويختار من قولهم قوله، ويتبع رأيه من بين أصحابه .

وقال الإمام الشافعي : الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه . وقال أيضا : ما رأيت أفقه من أبي حنيفة . يعني ما علمت . وقال : كان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان .

وعن حرملة، أنه قال : سمعت الشافعي، يقول : الناس عيال على هؤلاء الخمسة .

وعن الحسن بن عثمان ، أنه كان يقول : وجدت العلم بالعراق والحجاز ثلاثة ، علم أبي حنيفة، وتفسير الكلبي، ومغازي محمد بن إسحاق .

وعن أحمد بن عطية ، قال : سمعت يحيى بن معين، يقول : القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس .

وعن أبي علي الجبائي المعتزلي المشهور، أنه قال : الحديث لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبي حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة .

وقال جعفر بن ربيع : أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتا منه، فإذا سئل عن شيء من الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويا، وجهارة بالكلام .

وقال إبراهيم بن عكرمة المخزومي : ما رأيت أحدا أورع، ولا أفقه من أبي حنيفة ...

وروى الخطيب أيضا (تاريخ بغداد ١٣/ ٣٤٨، ٣٤٩)، عن النضر بن محمد، قال : دخل قتادة الكوفة، ونزل في دار أبي بردة، فخرج يوما ، وقد اجتمع إليه خلق كثير، فقال قتادة : والله الذي لا إله إلا هو ، ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته . فقام إليه أبو حنيفة، فقال : يا أبا الخطاب، ماتقول في رجل غاب عن أهله أعواما ، فظنت

امرأته أن زوجها مات، فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول، ما تقول فى صداقها ؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه : لئن حدث بحديث ليكذبن، و إن قال برأى نفسه ليخطئن. فقال قتادة : ويلك، أوقعت هذه المسألة؟ قال : لا قال : فلم تسألنى عما لم يقع؟ فقال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه قال قتادة : والله لا أحدثكم بشىء من الحلال والحرام، سلونى عن التفسير فقام إليه أبو حنيفة، فقال له : يا أبا الخطاب : ما تقول فى قول الله تعالى : ﴿ **قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ ؟ قال : نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعيا، كاتب سليمان بن داود. وكان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة : وهل كان يعرف الاسم سليمان ؟ قال : لا . قال : فيجوز أن يكون فى زمان نبى من هو أعلم من النبى؟ قال : فقال قتادة : والله لا أحدثكم بشىء من التفسير، سلونى عما اختلف فيه العلماء. قال : فقام إليه أبو حنيفة، فقال : يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال : أرجو قال : ولم ؟ قال : لقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام [الشعراء : ٨٢] ﴿ **والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين** ﴾ فقال أبو حنيفة : فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : قال ﴿ **أولم تؤمن قال بلى** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] قال، فقام قتادة مغضبا، ودخل الدار، وحلف أن لايحدثهم ...

فى ذكر ما نقل فى حق الإمام، رضى الله تعالى عنه، من أنه كان من كبار الحفاظ للحديث الشريف، وكان مقبول القول فى الجرح والتعديل، وفى ذكر طائفة ممن روى عن الإمام، وروى الإمام عنه، وأنه كان من كبار الثقات، وثقات الكبار، رضى الله تعالى عنه : قال الخطيب فى تاريخه (تاريخ بغداد ١٢ / ٣٢٣، ٣٢٤) : النعمان بن ثابت، أبو حنيفة، التيمى، رأى أنس بن مالك، رضى الله عنه، وسمع عطاء بن أبى رباح، وأبا إسحاق السبيعى، ومحارب بن دثار، وحماد ابن أبى سليمان، والهيثم بن حبيب الصراف، وقيس بن مسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافعا مولى ابن عمر، وهشام بن عروة، ويزيد الفقير، وسماك بن حرب، وعلقمة بن مرثد، وعطية العوفى، وعبد العزيز بن رفيع، وعبد الكريم أبا أمية وغيرهم.

وروى عنه أبو يحيى الحمانى، وهشيم بن بشير، وعباد بن العوام، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وعلى بن عاصم، ويحيى بن نصر بن حاجب، وأبو يوسف القاضى، ومحمد بن الحسن الشيبانى، وعمرو بن محمد العنقزى (نسبة إلى العنقز، وهو المرزنجوش، وقيل الريحان وكان عمرو بن محمد يبيعه أو يزرعه) وهوذة بن خليفة، وأبو عبد الرحمن المقرى، وعبد الرزاق بن همام، فى آخرين لا يحصون.

وقال فى « الجواهر » (الجواهر المضية ١/ ٣) نقلا عن «كتاب التعليم » : إنه روى عن أبى حنيفة، ونقل مذهبه نحو من أربعة آلاف نفر.

وقال أبو إسحاق الشيرازى : كان فى زمنه أربعة من الصحابة : أنس بن مالك، وعبد الله بن أبى أوفى، وسهل بن سعد، وأبو الطفيل، ولم يأخذ عن أحد منهم.

وكان أبو حنيفة ممن تلقى عنه الحفاظ، وعملوا بقوله فى الجرح والتعديل، كتلقيهم عن الإمام أحمد، والبخارى، وابن معين، وابن المدينى، وغيرهم من شيوخ الفن.

وعن يحيى الحمانى، قال : سمعت أبا حنيفة، يقول : ما رأيت أكذب من جابر الجعفى، ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح.

وعن عبد الحميد الحمانى : سمعت أبا سعيد الصنعانى وقام إلى أبى حنيفة، فقال : يا أبا حنيفة، ما تقول فى الأخذ عن الثورى فقال : اكتب عنه، فإنه ثقة، ما خلا أحاديث أبى إسحاق عن الحريث، وحديث جابر الجعفى.

وقال أبو حنيفة : طلق بن حبيب كان يرى القدر.

وقال : زيد بن عياش ضعيف.

وعن سفيان بن عيينة، قال : أول من أقعدنى للحديث أبو حنيفة، قدمت الكوفة، فقال أبو حنيفة : إن هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، فاجتمعوا علىَّ، فحدثتهم.

فى ذكر عبادته، وورعه، وثناء الناس عليه بذلك :

عن يحيى بن معين، أنه قال : سمعت يحيى القطان، يقول : جالسنا والله أبا حنيفة، وسمعنا منه، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت فى وجهه أنه يتقى الله عز وجل.

وعن الحسن بن محمد الليثى، أنه كان يقول : قدمت

الكوفة، فسألت عن أعبد أهلها، فدفعت إلى أبى حنيفة، ثم قدمتها وأنا شيخ، فسألت عن أفقه أهلها، فدفعت إلى أبى حنيفة.

وعن سويد بن سعيد، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول ما قدم رجل مكة فى وقتنا أكثر صلاة من أبى حنيفة.

وقال أبو مطيع: كنت بمكة، فما دخلت الطواف فى ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة وسفيان فى الطواف.

وقال يحيى بن أيوب الزاهد: كان أبو حنيفة لا ينام الليل.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الوتد؛ لكثرة صلاته.

وعن أسد بن عمرو، قال: صلى أبو حنيفة - فيما حفظ عليه - صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، فكان عامة الليل يقرأ القرآن جميعه فى ركعة واحدة، وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة...

وكان خارجة بن مصعب، يقول: ختم القرآن فى الكعبة أربعة من الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الدارى، وسعيد بن جبير، وأبو حنيفة، رضى الله تعالى عنهم.

وكان أبو حنيفة ربما ختم القرآن فى شهر رمضان ستين ختمة...

وقال وكيع: كان، والله، أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله فى قلبه جليلا كبيرا عظيما، وكان يؤثر رضاء ربه على كل شىء، ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل، رحمه الله تعالى، ورضى عنه رضى الأبرار، فلقد كان منهم.

وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدا أورع من أبى حنيفة، وقد جرب بالسياط والأموال.

فى بيان ما روى وصح عن أبى حنيفة، من إرادتهم إياه على القضاء، وامتناعه من قبوله، وضربهم إياه بالسياط على ذلك، رحمه الله تعالى.

روى الخطيب بسنده، أن ابن هبيرة (والى مروان بن محمد على العراقين) كلم أبا حنيفة أن يلى قضاء الكوفة، فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله. وكان ابن هبيرة إذ ذاك عامل مروان على العراق فى زمان بنى أمية.

وروى الخطيب أيضا، أنه كان يخرج كل يوم، أو بين الأيام، فيضرب، ليدخل فى القضاء، فيأبى. ولقد بكى فى بعض الأيام، فلما أطلق، قال: كان غم والدتى أشد علىَّ من الضرب.

وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر له ذلك بكى، وترحم عليه، خصوصا بعد أن ضُرب هو أيضا.

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة، أنه قال: مررت مع أبى بالكناسة (محلة بالكوفة) فبكى، فقلت: ما يبكيك يا أبت؟ قال: يا بنى، فى هذا الموضع ضرب ابنُ هبيرة أبى عشرة أيام، فى كل يوم عشرة أسواط، على أن يلى القضاء، فلم يفعل.

وروى الخطيب بسنده، عن بشر بن الوليد الكندى، قال: أشخص أبو جعفر المنصور أبا حنيفة من الكوفة، فأراده على أن يوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فحلف المنصور ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فقال الربيع الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف! فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيمانى. فأبى أن يلى، فأمر به إلى الحبس فى الوقت.

وروى أن أبا جعفر المنصور بعد أن حبسه دعاه يوما، وقال له: أترغب عن ما نحن فيه؟ فقال أصلح الله أمير المؤمنين، لا أصلح للقضاء. فقال له: كذبت. ثم عرض عليه الثانية، فقال أبو حنيفة: قد حكم على أمير المؤمنين أنى لا أصلح للقضاء، لأنه نسبنى إلى الكذب، فإن كنت كاذبا فلا أصلح، وإن كنت صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين أنى لا أصلح. فلم يقبل منه ورده إلى الحبس، فأقام به إلى أن مات فيه، على الصحيح من الروايات...

قال عباس: وهذا قبره فى مقابر الخيزران إذا دخلت من باب القطانين يسرة، بعد قبرين أو ثلاثة. وقيل: إن المنصور أقدمه بغداد لأمر آخر غير القضاء، وقيل: إنه أقام بعد قدومه إلى بغداد خمسة عشر يوما، ثم سقاه المنصور، فمات، رحمه الله تعالى، ورضى الله عنه، وذلك فى سنة خمسين ومائة، وله من العمر سبعون سنة.

فى ذكر جود أبى حنيفة، وسماحه، وحسن عهده، رضى الله تعالى عنه :

عن قيس بن الربيع، قال : كان أبو حنيفة رجلا ورعا فقيها، محسودا، وكان كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه .

وقال أيضا : كان أبو حنيفة من عقلاء الرجال، وكان يبعث بالبضائع إلى بغداد، يشترى بها الأمتعة، ويحملها إلى الكوفة ، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة ، فيشترى بها حوائج الأشياخ المحدِّثين وأقواتهم ، وكسوتهم ، وجميع حوائجهم ، ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم ، فيقول : أنفقوا فى حوائجكم، ولا تحمدوا إلا الله ؛ فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا، ولكن من فضل الله على فيكم وهذه أرباح بضاعتكم؛ فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدى فما فى رزق الله حول لغيره .

وحدث حجر بن عبد الجبار، قال : ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبى حنيفة ، ولا أكثر إكراما لأصحابه .

وقال حفص بن حمزة القرشى : كان أبو حنيفة ربما مر به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مجالسه، فإذا قام سأل عنه، فإن كانت به فاقة وصله ، وإن مرض عاده .

وكان أكرم الناس مجالسة . .

وأما ما ينسب إلى أبى حنيفة من الشعر فكثير، منه قوله :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم
قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم
ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ومنه قوله وقد اتفق له مع شيطان الطاق فى الحمام لما رآه الإمام مكشوف العورة، ونهاه عن ذلك، ما هو مشهور، وهو :

أقول وفى قولى بلاغ وحكمة
وما قلت قولا جئت فيه بمنكر
ألا يا عباد الله خافوا إلهكم
فلا تدخلوا الحمّام إلا بمئزر

قالت المؤلفة : يلاحظ الاقتباس فى عجز البيت الثانى فقد ضمنه الإمام أبو حنيفة جزءا من الحديث النبوى الشريف الذى أوردناه فى مادة « الحمامات » (م١٤/ ٥٤٩)نقلا عن كتاب الترغيب والترهيب لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى (ص١٩) الذى أورده بلفظ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ... إلخ » رواه النسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه . كما أخرج الحديث الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٨٦) بلفظ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار ... إلخ» من رواية الترمذى والحاكم عن جابر وقال عنه حديث حسن .

وأما شيطان الطاق : كما جاء فى هامش (٣) للمحقق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ـ

فهو أبو جعفر محمد على بن النعمان البجلى الكوفى الأحول .

وإنما سمى بالطاق؛ لأنه كان يعانى الصرف بطاق المحامل بالكوفة .

كان فصيحا بليغا، فقيها مناظرا ويقال إن أبا حنيفة هو الذى سماه شيطان الطاق .

وكانت وفاته نحو سنة ستين ومائة .

قال صاحب الطبقات السنية :

وأما ما كان يتمثل به أبو حنيفة من الشعر، وما مدح به رضى الله تعالى عنه من النظم، فكثير لا يدخل تحت الحصر، ومنه قول بعضهم :

لأبى حنيفة ذى الفخار قراءة
مشهورة منخولة غراء
عرضت على القراء فى أيامه
فتعجبت من حسنها القراء
لله در أبى حنيفة إنه
خضعت له القراء والفقهاء
خلف الصحابة كلهم فى علمهم
فتضاءلت لجلاله العلماء
سلطان من فى الأرض من فقهائها
وهم إذا أفتوا له أصداء
إن المياه كثيرة لكنه
فضل المياه جميعها صَدّاء

(صداء : ركية ليس عند العرب ماء أعذب منها ، ومنه قولهم « ماء ولا كصداء » وهو مثل يقال فى الرجلين يكونان ذوى فضل ، غير أن لأحدهما فضلا على الآخر. معجم البلدان ٣/ ٣٧٢) .

قال ابن الشحنة : وكأن « أصداء » هذا جمع صدى بالقصر، وهو الذى يجيبك مثل صوتك فى الجبال وغيرها ، إشارة إلى أن الأصل منه نشأ وعنه أخذ؛ لأنه كان كافل الفقهاء ومربيهم، لأنهم عياله ، كما نص عليه الشافعي . انتهى .

وفى هذه الأبيات تصريح بأن الإمام رضى الله تعالى عنه كان من المتقدمين فى فن القراءات، كما هو من المتقدمين السابقين فى علم الفقه . وهو كذلك، فقد أفردوا بالتآليف قراءته التى انفرد بها، ورووها عنه بالأسانيد.

وممن أفردها بالتأليف أبو القاسم الزمخشرى، وأبو القاسم يوسف بن على بن جبارة الهذلى البسكرى، بموحدة وسين مهملة ، فى كتابه المعروف بـ« الكامل »، وغيرهما .

وممن روى عنه القراءة أبو يوسف، ومحمد رحمهما الله، وغيرهما وحروفه معروفة مذكورة فى « المناقب»، وغيرها.

وقد وضع بعض الحساد قراءات ونسبها إليه ، فأظهر الله الحق، ومحق الباطل، وجوزى كل بفعله .

وقال صاحب المناقب يمدحه (البيتان فى : مناقب الإمام الأعظم ١/ ٢٣، مناقب الكردرى ١/ ٣٠) .

رسول الله قال سراج دينى
وأمتى الهداة أبو حنيفه
غدا بعد الصحابة فى الفتاوى
لأحمد فى شريعته خليفه

وقال غيره، يصفه بالعلم والعبادة، من أبيات :

نهار أبى حنيفة للإفاده
وليل أبى حنيفة للعباده
وودع نومه خمسين عاما
لطاعته وخداه الوساده

وكان يحيى بن معين إذا ذكر من يتكلم فى أبى حنيفة، يقول :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدا وبغيا إنه لذميم

وقيل لعبد الله بن طاهر: الناس يقعون فى أبى حنيفة، فقال :

ما يضر البحر أمسى زاخرا
أن رمى فيه غلام بحجر

ثم أنشد :

إن يحسدونى فزاد الله فى حسدى
لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يُحسد المرء إلا من فضائله
بالعلم والبأس أو بالمجد والجود

وقال :

فازداد لى حسدا من لست أحسده
إن الفضيلة لا تخلو عن الحسد
ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذوو النقصان
يا بؤس قوم ليس ذنبى بينهم
إلا تظاهر نعمة الرحمن

ولله در الشريف الرضى، حيث يقول :

نظروا بعين عداوة ولو انها
عين الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا
يولوننى شزر العيون لأننى
غلَّست فى طلب العلى وتصبَّحوا

ومما أنشده صاحب المناقب فى مدح الإمام، وذكر واقعته مع ابن هبيرة، قوله :

أرضيت نفسك ضارب النعمان
فكسبت جهلا سخطة الرحمن
ما زلت تنقص لا تزيد بضربه
يا بئس ما قدمت للميزان
أضربت عابد ربه فى ليله
ونهاره يا عابد الشيطان

أعطيتـــه الـــدنيـــا ولكـن ردهـــا
رد التقى الخـــائف الـــربـــانـى
حـــر السيـــاط قـــد ارتضى كى لا يـــرى
يـــوم الجـــزاء مقـــامع النيـــران
مـــا ذل يـــا ابـن هبيـرة بـــالضـرب من
مـــلأ الفـــؤاد بعـــزة الإيمـــان

وعن سفيـان بن عيينة، قـال: قال مسـاور الوراق، وكـان رجلا صالـحا فى أبى حنيفة، وله فيه رأى :

إذا مـــا النـــاس يـــومـــا قـــايسـونـــا
بمعضلــــة مـن الفتيـــا لطيفـــــه
أتينــــاهـم بمقيـــــاس صحيح
بـــديع من طـــراز أبى حنيفـــــه
إذا سمع الفقيـــــه بـــه وعـــــاه
وأثبتــــه بحبـــر فـى صحيفـــــه

وعن الحسن بـن الـربيع، قـال: سمعـت عبـد الله بن المبارك، يقول:

رأيت أبـــا حنيفـــة كـل يـــوم
يـــزيـــد نبـاهـــة ويـــزيـــد خيـــرا
وينطق بـــالصـــواب ويصطفيـــه
إذا مـــا قـــال أهـل الحق حـــورا
يقـــايس من يقـــايســـه بلـب
ومـن ذا تجعلـــون لـــه نظيـــرا
كفـــانـــا فقـــد حمَّـــاد وكـــانت
مصيبتنـــا بـــه أمـــرا كبيـــرا
رأيت أبـــا حنيفـــة حين يـــؤتـى
ويطلـب علمـــه بحـــرا غـــزيـــرا
إذا مـــا المشكـــلات تـــدافعتهـــا
رجـــال العلم كـــان بهـــا بصيـــرا

(الطبقـات السنيـة ١/ ٨٦ ـ ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣ ـ ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٩ ـ ١٢٣، ١٥٨ ـ ١٦٦) .

وقـد أورد صـاحب الطبقـات السنيـة فى ختـام تـرجمتـه وصيتين للإمام أبى حنيفة، الأولى منهما وصية عامة أوصى بها أصحابه وإخوانه، والثانية أوصى بها الإمام أبا يوسف وقد آثرنا أن ندرجهما تحت مادة « الوصايا » التى تأتى فى حرف الواو إن شاء الله تعالى .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ١٢٩، ١٣٠ هامش المحقـق، والمبتكر الجامع لكتابى «المختصر والمعتصر» ـ عبـد الوهـاب عبـد اللطيف / ٢٦١ ـ ٢٦٤، وتاريخ الأدب العربى ـ أحمـد حسن الزيات / ٣٨٢، ومنـاقب الإمام أبى حنيفة وصاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمـد بن عثمان الذهبى ـ عنى بتحقيقه والتعليق عليـه محمد زاهد الكـوثرى، وأبـو الوفـا الأفغانى. عنيت بنشـره لجنة إحيـاء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند. بدون تاريخ / ١١، ١٢، ٣٠، ومسند الإمام أبى حنيفـة برواية الحصكفى ـ قـدم له وقام بتصحيحه عبـد الرحمن حسـن محمود . مكتبـة الآداب . القاهـرة ١٩٨١ / ١٩ ـ ٢٢، والـرسالـة المستطـرفة لمولانا الإمـام السيد محمد بن جعفـر الكتانى / ١٣، و « أبو حنيفـة » فضيلة الشيخ محمـد أبـو زهـرة . دائرة معارف الشعب . كتـاب الشعب ٨٨. مطابع الشعب ١٩٦٠ / ٣٧٧، والطبقـات السنية فى تراجم الحنفية للمولى تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى العربى المصرى ـ تحقيق عبـد الفتـاح محمـد الحلـوا / ٨٦ ـ ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣ ـ ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١١٩ ـ ١٢٣، ١٥٨ ـ ١٦٦. انظر أيضا الأعلام للـزركلى ٨ / ٣٦، والانتصـار والترجيح للمـذهب الصحيح لأبى المظفر جمال الدين يـوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى سبط ابن الجوزى ـ قدم له وعلق عليه فضيلة الأستاذ محمد زاهد الحسن الكوثرى. وقف على طبعه وراجع أصله السيد عـزت العطار الحسينى بدون تاريخ / ١٨ ـ ٢٤، والانتقاء فى فضـائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لـلإمام الحافظ أبى عمر يـوسف بن عبد البر / ١٢٢، ١٢٣، ونور الأبصار للشبلنجى . ط دار الغد العربى / ٣٦٨ ـ ٣٧٣، و « الإمام أبو حنيفة » ـ الشيخ وهبى سليمان غاوجى . من أعلام التربية العربية الإسلامية . مكتب التربية العربى لدول الخليج م ١ / ١٢٥ ـ ١٥٥، وأبجد العلـوم لصديق بن حسن القنـوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٢٥، ١٢٦، والفهرست لابن النديم / ٢٨٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥ / ١٧٤ ـ ١٩٤).

انظر : الحنفى (المذهب ـ) ، أبـو حنيفة (مدرسة ـ) ، أبو حنيفة (مسجد وضريح) .

*** أبو حنيفة الدينورى (ـ ٢٨٢ هـ / ـ ٨٩٥ م) :**

يحتل أبو حنيفة الـدينورى مكانة هامة وخـاصة بين علماء العرب الذيـن اهتموا بالنبات، وتـركوا كتبا خاصـة فيه ، وإنما

استحق أبـو حنيفـة هـذه المكـانـة لأسبـاب كثيـرة أهمهـا : المؤلفات الكثيرة التى تركهـا والتى بلغ عددها واحدا وعشرين كتابا تناولت تفسير القرآن، والفقه، والمنطق، والرياضيات، والأدب، واللغة والبلاغـة، والأنواء، والفلك، والتاريخ. ثم وفـرة المصادر التى تحـدثت عنه والتى بلغ عـددها أكثـر من خمسين بحثا باللغات العربية والأجنبية . والقيمة التى يحملها كل من كتابيـه فى التاريخ(الأخبار الطـوال) . وفى النبات، الذى استطـاع فى أولها أن يكتسـب نبوغـا ممتازا فى تصـوير الحوادث التـاريخية بأسلوب عـربى مبين، وبطراز فـريد فى المنهج التأليفى. إنه أسلوب منطقى يخاطب العقل ويستهوى القارىء، فى لفظ سهل، وجـرس موسيقى متـلاحق، وعبارة متصلة أخاذة، نسجها الدينورى نسجا فريدا .

وعلى الرغم من هذه المكانة الهامة التى يحتلها الدينورى فى تـاريخ علم النبـات العربـى، ومن كونـه « شيخ النبـاتيين العـرب على الإطـلاق »، فإننا لا نعـرف الكثيـر من تفـاصيل حياته، التى نوجزها فيما يلى :

فهو أبـو حنيفة أحمد بن داود بن ونَنْد، ويسمى أيضـا أبا عبد الله بن على العشاب. ينسب إلى دينور.

ولـد أبو حنيفـة فى دينـور هذه فـى العقد الأول من القـرن الثالث الهجرى. وعاش معظم حياته فيها، وأمضى شبابه فى الرحـلات التى قادته إلى قلب الحضـارة العربية، فى بـلاد ما بين النهرين والفرات، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة المنورة وإلى فلسطين، وإلى شـواطىء الخليج العربى، ولقـد عاش فيها أزمانا، طالت أو قصرت وتركت فى نفسه ذكرا، وفى فكره علماً.

أخذ دروسه عن البصريين والكوفيين، وتتلمذ فى فقه اللغة على العالم النحوى الكوفى السكيت وعلى ولده ابن السكيت نفسه، ودرس معارف كثيرة، جعلت منه دائرة معارف عصره، ودفعتـه إلـى التأليف فى النحـو واللغــة والهنـدســة والهيئـة والحساب والنبات والتاريخ .

انتقل إلى أصفهـان سنـة ٣٣٥ هــ (٨٥٠ م) وعـاش بهـا مدة، واشتغل برصد الكواكب، وسجل نتائج الأرصاد التى قام بها فى معمله الفلكى الـذى كان يقيمه فى بيته والـذى شاهده الفلكى المشهور، عبد الـرحمن الصوفى المتوفى سنة ٣٧٦هـ (٩٨٦ م).

أما وفاة أبى حنيفـة الدينورى فقد كـانت فى أوثق الروايات يـوم السادس والعشـرين من جمـادى الأولى سنـة ٢٨٢هــ، (الرابع والعشرين من تموز - يولية ٨٩٥ م)

(تراث العرب القديم / ٢٥، ٣٠).

قال القفطى :

أحمد بن داود أبو حنيفة الدينورى، من أهل الدينور، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت وأبيه، وكان مفتنًا فى علوم كثيرة، منها النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب، ثقة فيما يرويه ويمليـه، معروفا بالصدق، وله من الكتب كتاب « الفصاحة » . كتاب « الأنواء» . كتاب «حساب الدور » كتـاب « الرد على رصد الأصبهـانى » (هو الحسن بن عبد الله المعـروف بلغزة الأصبهانـى) ذكر الداودى أنـه كتاب «الرد على لغـزة »، كتاب « البحث فى حساب الهنـد » كتاب «البلـدان » كبيـر. كتاب « الجمع والتفـريق » كتـاب « الجبـر والمقابلـة » كتاب « نـوادر الجبر» كتاب « الـوصايـا » . كتاب «الشعر والشعـراء » كتاب « لحن العـامة » (فى الفهـرست : كتاب ما يلحن فيه العامة) كتاب «الكسوف »، ملكته بخطه. كتاب « تـاريخ الأخبار الطوال » فى الفهـرست ومعجم الأدباء والخـزانة، كتـاب « الأخبار الطـوال » وسماه صـاحب كشف الظنـون « تاريخ أبى حنيفـة »، ونقل عن المسعودى: « وهـو كتاب كبيـر، أخذ ابن قتيبة مـا ذكره وجعله لنفسـه » . « كتاب النبـات » (زاد ياقـوت وصـاحب الخـزانـة : كتاب « إصـلاح المنطق»، وكتاب « القبلـة والزوال » . وحكى يـاقوت عن أبى حيان أن له كتابا فى تفسير القرآن) .

نقلت من خط يـاقـوت المـوصلى الكـاتب مـا مثـالـه : «وجـدت على ظهـر الجـزء الأول من كتـاب « النبـات » لأبى حنيفة الـدينورى بخط أبى محمد عبد الله بن أحمـد بن أحمد ابن الخشاب مـا هذه حكايته فنقلته : وجـدت بخط أبى عبد الله الحسين بن محمد بن جعفـر الخالع الشاعر - رحمه الله - ما هذه حكايته، فنقلته : قرأت هذا الكتاب على القاضى أبى سعيد السيرافى ورواه لى عن مسبح بن الحسين ابن أخت أبى حنيفة الـدينورى، وذكـر أنه قرأه على خـاله أبى حنيفـة . وقرأ عليه بهذه الرواية كتاب « الأنواء »، وسمعته قراءة عليه، وقرأناه على أبى عبـد الله الحسين بـن هـارون القـاضى الضبى بهـذه الـروايـة أيضا، وبقـراءة أبى أحمـد عبـد السـلام بن الحسين البصـرى، وسمع أبـو الحسيـن السمسمى، وسمع الشـريف المرتضى أبو القاسم. نقله أحمد بن أحمد فى جمادى الآخرة

سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وبخطه أيضا على ظهر النسخة المذكورة : قرأ جميع هذه المجلدة ـ وعددها سبع عشرة كراسة على الشيخ يحيى بن الحسين بن أحمد بن البناء من أولها إلى البلاغ المقابل لنسخة الخالع بروايته عن أبى القاسم على بن أحمد السرى، إجازة عن أبى عبد الله الضبى، وإجازة عن مسبح بن الحسين عن أبى حنيفة ـ عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب فى مجالس آخرها يوم الأحد سابع رجب من سنة سبع وعشرين وخمسمائة، والباقى وجادة؛ لأنه لم يقابل بالمسموع من الضبى، وأثبت بحمد الله نقل المذكور جميعه ياقوت بن عبد الله فى سابع رجب من سنة ست وستمائة بمدينة الموصل » .

(الوجادة، بالكسر، وهى فى اصطلاح المحدثين : اسم لما أخذ من العلم من صحيفة، من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة . تاج العروس ٢/ ٥٢٤) .

توفى أبو حنيفة أحمد بن داود ليلة الإثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ـ رحمه الله .

وحكى ابن رواحة البروجردى (منسوب إلى بروجرد) قال : زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل إليه وقضى سلامه قال له : أيها الشيخ، ما الشاة المجثمة التى نهى النبى ﷺ عن أكل لحمها ؟ فقال : هى الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة، فقال : هل من شاهد ؟ فقال : نعم، قول الراجز :

لم يبق من آل الجعيد نسمة

إلا عنيز لجبة مجثمة

فإذا بالحاجب يستأذن لأبى حنيفة الدينورى، فأذن له، فلما دخل قال له عيسى بن ماهان : ما الشاة المجثمة التى نهى النبى ﷺ عن أكلها؟ فقال : هى التى جثمت على ركباتها ونحرت من قفاها فقال : كيف تقول وهذا شيخ العراق ـ يعنى أبا العباس المبرد ـ يقول : هى مثل اللجبة، وهى القليلة اللبن، وأنشد البيتين . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه .

فقال أبو العباس المبرد : صدق الشيخ أبو حنيفة، أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكرى ما قد شاع، فأول ما تسألنى عنه لا أعرفه . فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت (البهت : الكذب) .

ترجمته فى بغية الوعاة / ١٣٢، وتلخيص ابن مكتوم/ ١٢، وخزانة الأدب ١/ ٢٦، وسلم الوصول / ٨٢، والفهرست/ ٧٨، وكشف الظنون / ٢٨٠، ٦٦٤، ١٣٩٩، ١٤٤٦، ومعجم الأدباء ٣/ ٢٦ ـ ٣٢، ونزهة الألباء / ٣٠٥ ـ ٣٠٦، وذكره ابن كثير وأبو الفدا فى وفيات سنة ٢٨٢ . انظر أيضا الفهرست لابن النديم / ٧٨، والإرشاد لياقوت ١/ ١٢٣ ـ ١٢٧، وبغية الوعاة للسيوطى / ١٣٢، وضحى الإسلام لأحمد أمين ١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨ (إنباه الرواة ١ / ٤١ ـ ٢٤٤، والفهرست/ ١١٦) .

وعن أبى حنيفة الدينورى ومصنفاته يقول بروكلمان :

وكان مثل ابن قتيبة، فى تعدد نواحى العلم واتساع دائرة المعارف وكثرة التصنيف، معاصره أبو حنيفة أحمد بن داود بن ونند الدينورى .

وفوق علوم النحو والعربية، التى أخذها أبو حنيفة الدينورى عن أستاذه الكوفى « ابن السكيت »، اهتم أيضا بعلوم الحساب والنجوم والجغرافية والتاريخ فوسع بكل ذلك دائرة ثقافته وعلمه، وكان الجاحظ يشبهه فى سعة العلوم والمعارف بأبى سهل بن أحمد البلخى .

ويحصى مصنفاته على النحو التالى :

١ ـ الأخبار الطوال .

٢ ـ كتاب النبات .

٣ ـ كتاب المجالسة : ذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى ١٩٣ س ٢٧ .

٤ ـ كتاب الأنواء، أخذ ابن سيده قسما منه فى كتاب المخصص ٩ : ١٠ وما بعدها .

٥ ـ الدرة الفريدة فى الدروس المفيدة، فى تسعة أجزاء : آصفية ٢ : ١٥ رقم ١٠، ١٢٦ ـ ١٣٤ .

وذكره كراتشكوفسكى بقية مصنفات أبى حنيفة الدينورى فى كتاب الأخبار الذى نشره ص٢٩ وما بعدها .

أما الطعن الذى وجهه المسعودى فى مروج الذهب ٣/ ٤٤٢ إلى ابن قتيبة بأنه سطا على مصنفات أبى حنيفة

الدينوري، فربما كان راجعا إلى كتاب الأنواء، إذ ألف كل منهما كتابا بهذا العنوان، انظر كراتشكوفسكي ٤٠، وانظر أيضا خزانة الأدب ١/ ٢٦، ٤/ ١٠، طبقات الأمم لصاعد ٧٠س ١٠، وانظر أيضا كراتشكوفسكي ٤٩ (تاريخ الأدب العربي ٢/ ٢٣١، ٢٣٢) .

(تراث العرب القديم في ميدان علم النبات - فريد حجا/ ٢٥، ٣٠، وإنباه الرواة للقفطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٤١ - ٤٤، والفهرست لابن النديم / ١١٦، وتاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان - نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار. دار المعارف ٢/ ٢٣١، ٢٣٢. انظر أيضا الأعلام للزركلي وقد أورده تحت عنوان « الدينوري » والخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك ٨/ ٣٢٢) .

*** أبو حنيفة (مدرسة الإمام -) :**

خص الخطاط وليد الأعظمي هذه المدرسة التاريخية بكتاب يحتوي على معلومات مستفيضة، وننقل لك هنا بعض ما جاء فيه - يقول المؤلف :

إن من أكبر ما تعتز به الأمم والشعوب، ما يضمه تاريخها من مراكز العلم، والعلماء فيها، وما يشير إلى مظاهر حضارتها. و (مدرسة الإمام أبي حنيفة) من المدارس العريقة في تاريخ العراق، وهي من أبرز معاهد بغداد العلمية التي نباهي بها ونعتز ونفتخر.

وقد أنشئت عند منتصف القرن الخامس الهجري، سنة ٤٥٩هـ. وافتتحت قبل المدرسة النظامية الشهيرة بخمسة شهور.

ووصفها الدكتور مصطفى جواد بأنها : « أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العراق ... » (دليل خارطة بغداد / ١٥٦).

ثم أنشئت بعدها المدرسة النظامية، ثم التاجية، ثم مدرسة تركان خاتون، ومدرسة سعادة، والمدرسة التتشية، والمغيثية، والموفقية. والزيركية. والكمالية ثم توجت المدارس في بغداد بالمدرسة المستنصرية الشهيرة التي افتتحت سنة ٦٣١هـ (مدارس بغداد في العصر العباسي للدكتور عماد عبد السلام رؤوف) .

وكانت بغداد مأوى العلماء والفضلاء، يقصدها طلاب العلم والمعرفة من أقصى الدنيا، لينعموا فيها بالأمن والعلم والطمأنينة، حيث المدارس العديدة وهي تعج بالعلماء والطلاب. والمساكن المريحة لطلبة العلوم والنفقات والأرزاق المخصصة لهم من أصحاب الوقوف. والمكتبات الجامعة لمصادر مختلف العلوم والفنون .

حتى بلغت المدارس الكبيرة في بغداد عند واقعة هولاكو ٣٨ مدرسة عدا المدارس الصغيرة الملحقة بالمساجد والتكايا والربط، والكتاتيب لتعليم الصغار ذكوراً وإناثًا .

وخلال هذا التاريخ الطويل ، قد اندثرت تلك المدارس، وتغيرت خطط بغداد، ومعالمها التاريخية .

وزالت تلك المدارس على شهرتها وذيوعها ، وبقي صيتها يتردد في تضاعيف كتب التاريخ والأدب .

وبقيت المدرسة المستنصرية في مكانها، ولكنها بقيت أثرا من الآثار، يقصدها الزوار والسياح، ليس فيها شيوخ، ولا طلاب، ولا تدريس . منذ زمن بعيد .

أما « مدرسة الإمام أبي حنيفة » فهي المدرسة الوحيدة في العراق، التي بقيت محافظة على مكانها ومكانتها العلمية، طيلة تسعة قرون ونصف، شهدت خلال ذلك أحداثا جليلة وخطيرة في تاريخ العراق .

وبقيت تواصل رسالتها العلمية في مختلف الظروف، يسرًا وعسرًا، وتلقى رعاية وبرًّا، وتعاني عنتا وشدة .

وكنت أجد أخبارها متناثرة في ثنايا الكتب .

وقد تناول بعض الأفاضل من الباحثين، جوانب يسيرة من تاريخ هذه المدرسة الطويل الحافل بالأمجاد .

ومن أشهر الذين كتبوا عنها الدكتور مصطفى جواد، والدكتور ناجي معروف، والدكتور عماد عبد السلام رؤوف .

وكان الشيخ هاشم الأعظمي، قد وضع كتابا في « تاريخ جامع الإمام الأعظم ومدرسته العلمية » تناول في الجزء الأول بعض الجوانب من تاريخ المدرسة، وترجم لطائفة قليلة من شيوخها ومدرسيها، كما ترجم لجماعة من طلابها الذين تخرجوا فيها .

ورأيت من الوفاء لهذه المدرسة، أن يكون لها كتاب جامع لأخبارها، تمجيدًا لها، وتخليدًا لعلمائها، واعتزازا بها ... إلخ واعقدت العزم على ذلك ، وبمعونة الله سبحانه أكملت

كتابي هذا وسميته « مدرسة الإمام أبي حنيفة ، تاريخها ، وتراجم شيوخها ومدرسيها » وجعلته في ثلاثة فصول .

تناولت في الفصل الأول . تاريخ المدرسة ومراحل تطورها ، من حيث التنظيم ، والمناهج ، وأسلوب التعليم ، وما يتعلق بذلك .

وخصصت الفصل الثاني ، في تراجم الذين تولوا مشيختها وعمادتها . ورتبتهم حسب تاريخ تسلسل تولي المشيخة والعمادة .

وجعلت الفصل الثالث ، في تراجم الذين تولوا التدريس فيها . ورتبتهم حسب تسلسل وفياتهم ، وأما الأحياء فقد رتبتهم على تاريخ تولدهم .

وجعلت في آخر الكتاب ملحقا بأسماء الأساتذة الذين شغلوا وظيفة التدريس فيها ، من غير العراقيين .

إنشاء المدرسة :

وفي سنة ٤٥٩ هـ ذكر ابن الجوزي (المنتظم ٨/ ٢٤٥) أن أبا سعد المستوفي الملقب شرف الملك ، بنى في تلك السنة مشهد الإمام أبي حنيفة وعمل لقبره ملبنا ، وعقد القبة ، وعمل المدرسة بإزائه ، وأنزلها الفقهاء ، ورتب لهم مدرسًا ، فدخل أبو جعفر بن البياضي (ت٤٦٨هـ) إلى الزيادة ، وأنشد ارتجالاً:

ألم تر أن العلم كان مضيعا
فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة
فأنشرها جود العميد أبي سعد

وذكر ابن الأثير : أن هذين البيتين كتبا على القبة بخط جميل وقال ابن الجوزي (المنتظم ٨/ ٢٤٥) : « قرأت بخط أبي الوفاء بن أبي عقيل قال : وضع أساس مسجد بين يدي ضريح الإمام أبي حنيفة بالكلس والنورة وغيره ، فجمع سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وأنا ابن خمس سنين أو دونها ، وكان المنفق عليه تركي قدم حاجا ، ثم قدم أبو سعد المستوفي ، وكان حنفيا متعصبا ، وكان قبر الإمام أبي حنيفة تحت سقف عمله أمراء التركمان ، وكان قبل ذلك ــ وأنا صبي ـ عليه (خربشت) (كلمة فارسية معناها « الستارة ») خاصا له ، وذلك في سني سبع أو ثمان وثلاثين ، قبل دخول الغز بغداد سنة سبع وأربعين ، فلما جاء شرف الملك سنة ثلاث وخمسين ، عزم على إحداث القبة ، وهي هذه ، فهدم جميع أبنية المسجد ، وما يحيط بالقبر ، وبنى هذا المشهد ، فجاء بالقطاعين والمهندسين ، وقدر لها ما بين ألوف آجر ، وابتاع دورًا من جوار المشهد ، وحفر أساس القبة ، وكانوا يطلبون الأرض الصلبة ، فلم يبلغوا إليها إلا بعد حفر سبعة عشر ذراعا في ستة عشر ذراعا ، فخرج من هذا الحفر عظام الأموات ، الذين كانوا يطلبون جوار النعمان ... » .

وكان الابتداء في إنشاء المدرسة يوم ١٨ صفر من سنة ٤٥٩ هـ ، واستغرق بناؤها مدة أربعة شهور ، وكمل إنشاؤها وافتتحت يوم ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ هـ ، وتعتبر مدرسة الإمام أبي حنيفة أول مدرسة منتظمة واسعة أنشئت في العراق ، إذ افتتحت قبل المدرسة النظامية بخمسة شهور . وكان أول من ولي مشيختها الفقيه أبو طاهر الديلمي الحنفي المتوفى سنة ٤٦١ هـ ، وتعاقب بعده أعلام المشايخ والفقهاء كالإمام أبي طالب الزينبي المتوفى سنة ٥١٢ هـ والإمام أبي إسحاق الشلجي المتوفى سنة ٥١٥هـ ، والإمام أبي يوسف اللمغاني المتوفى سنة ٥٣٦هـ ، والقاضي أبي منصور الهيتي المتوفى سنة ٥٣٧ ، وقاضي القضاة الزينبي المتوفى سنة ٥٤٣ ، وزين الأئمة الحنفي المتوفى سنة ٥٤٦هـ ، والفقيه أبي الغنائم البغدادي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ ، والعلامة ابن الكيال الواسطي المتوفى سنة ٦٠٥هـ ، والفقيه الأشهر العلامة ضياء الدين التركستاني المتوفى سنة ٦١٠ ، وغيرهم من فحول العلماء وأكابر المشايخ .

وكانت هذه المدرسة محط أنظار العلماء وطلاب العلوم في مختلف الأقطار ، وكانت خاصة بالفقه الحنفي ، وتقابلها المدرسة النظامية في بغداد وهي خاصة بالفقه الشافعي ، وإلى جانب هاتين المدرستين الكبيرتين ، قامت مدارس أخرى أقل منهما شأنا وأثرا .

حتى قامت المدرسة المستنصرية في سنة ٦٣١هـ ، والتفتت الأنظار إليها ، وصار في بغداد ثلاث من كبار المدارس .

وبعد نكبة بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ اضطربت

الأحـوال ، وسـاءت الأوضـاع ، وتشتت شمل العلمـاء والطلاب ، وتدهورت الدراسة ، ثم استعادت المدرسة سيرتها بعـد مدة وجيـزة حين تـولى مشيختهـا الإمام مجـد الـدين بن بلدجي الموصلي سنة ٦٦٧ هـ فسار فيها سيرة حسنة ، وكانت حلقته في مشهد الإمام أبي حنيفة من أوسع الحلقات يقصدها العلماء والطلاب ، وتدور فيها المناظرات العلمية .

وازدهـرت المـدرسة بصـورة أوضح حين تـولى مشيختهـا الإمام تاج الدين بن السباك البغدادي في الربع الثاني من القرن الثـامن الهجري ، وكـان رئيس علماء الحنفيـة ، وكبير علمـاء العراق ، وقد تولى التدريس في المستنصرية أيضا .

وتولاهـا بعده الإمام ابن الفصيح الكوفي الـذي انتهت إليه رئاسة الحنفية في بغداد .

ثم اضطربت الأحـوال الاجتماعية والسياسيـة في العراق ، وأثر سوء الأوضاع في سير الحركـة العلمية ، فأخذت المدرسة بالتدهـور والضمور والانحطاط ، حتى انقطعت أخبـارها عند نهايـة القرن الثامن الهجري ، حتـى عدنا لا نجد لهـا ذكرا ولا خبرا في كتب التاريخ . وامتد هذا السبات حتى منتصف القرن الثاني عشـر الهجري ، وهي مرحلـة طويلة من تـاريخ العراق استغرقت ثلاثة قرون ونصفا ، وكانت بغداد ترزح تحت تعسف حكـومتي الخـروف الأبيض والخـروف الأسـود من القـزلبـاش والصفويين والعثمانيين ، حتى استـولى الخراب والدمار على مشاريع الري والعمران والتعليم وغيرها من أسباب الحضارة .

وعنـد منتصف القرن الثـاني عشر الهجـري ، أعيد تعميـر جـامع الإمـام الأعظم ، وبـدأت حلقـات العلـم تلتئم في المشهد ، وبخاصـة في أيام الوالي أحمد باشـا بن حسن باشا المتوفـى سنة ١١٦٠هـ وقد تولـى مشيخة المـدرسة العـلامة الشيخ مصطفى العلقبند الكبيـر المتوفى سنة ١١٦٥ هـ ، ثم أخـذ النشـاط العلمي يـدب في حجـرات المشهـد ، حتى استعادت سيرتها ، وازدهرت تحت رعاية شيخها العلامة الإمام عبد الله السويدي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ ، وكثر عدد طلابها ومدرسيها في عهـد شيخها العلامة عبـد الله الآلوسي المتوفى في الطاعـون سنة ١٢٤٦ هـ وهـو والد العلامة الإمـام المفسر أبي الثناء الآلوسي (انظر الآلوسي (أبو الثناء) في م١/ ٥٥٤ ـ ٥٦١ والآلوسيون في م ١/ ٥٧٣ ، ٥٧٤) .

ثم أخـذت المدرسـة بعـده تضمحل ، وقل عـدد طلابهـا وساءت أحوالها ولم يبق فيها سـوى عدد يسير من المجاورين في المشهد ، وأكثرهم من الهنود والأفغان والأتراك .

المناهج وأسلوب التعليم

كـانت الدراسـة في مـدرسـة الإمام أبي حنيفـة في العهـد العبـاسي تقـوم على نظـام الحلقـات ، وعلى سنتهـا سـارت المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية فيما بعد .

وكان يعين المدرس في درسه أحد الطلاب المتقدمين ، ويعيد الـدرس بعد شيخه ، وكـذلك كان الطلاب المتقـدمون المتفـوقـون يعلمـون المبتـدئين والـذين هـم أدنى منهم في المراحل العلمية .

ونجد في نص التوقيع الصادر بتعيين العـلامة ضياء الدين التـركساني سنة ٦٠٤هـ ما يرشدنـا إلى مناهج التعليم في هذه المدرسة جاء فيه : « ... وأن يذكر من الأصول فصلا يكون من سهـام الشبه جُنـة . ولنصر اليقين مظنـة ، متبعا من المـذهب مفرداته ، ونكتـه ومشكلاته ما ينتفع بـه المتوسط والمبتدي ، ويتبينه ويستضيء به المنتهي ، وليذكر من المسائل الخلافية ما يكون داعيا إلى وفاق المعاني والعبارات ، هاديا لشوارد الأفكار إلى مـوارد المنـافسـات ، نـاظمـا عقـود التحقيق في سلـوك المحافظات ، مصوبا أسنة البديهة إلى ثغر الأناة ... » (الجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧) .

أما ما يتعلق بشيخ المـدرسة وواجبه في رعايتهـا فقد جاء فيه :

« وليبذل جهده في عمـارة الوقوف المذكـورة واستنمائها ، واستثمار حاصلهـا وارتفاعها مستخيرا من يستخـدمه فيها من الأجـلاء الأمنـاء ، ذوي العفة والغنـاء متطلعـا إلى حـركـاتهم وسكناتهم ، مؤاخذا لهم على مالعله يتصل بهم من فرطاتهم ، لتكون الأحـوال متسقة النظـام والمال محـروسا مـن الانثلام ، وليبتدئ بعمـارة المشهد والمدرسـة ، المذكـورين ، وإصلاح فرشها ومصـابيحها ، وأخذ القوَّام بـالمواظبة على الخـدمة بها وإلزام المتفقهة بملازمة الدروس وتكرارها وإتقان المحفوظات وإحكامها ، وليثبـت ما بخزانة الكتب من المجلـدات وغيرها معارضـا ذلك بفهرسته . متطلبا مـا عساه قد شذ عنهـا وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ونفضها في كل وقت ، ومرمّة

شعثهـا ، وأن لا يخرج شيئـا منهـا إلا إلى ذى أمـانة مستظهـرا بالرهن عن ذلك » (المرجع السابق) .

ويشير هـذا التوقيع إلى أن شيخ المدرسة كـان مسئولا عن الأوقاف المخصصة للجامع والمدرسة فقد جاء فيه .

« ... رأينـا الإحسان إليـه ، والتعـويل عليه فى التـدريس بمشهد الإمام أبـى حنيفة رحمة الله عليه ، ومـدرسته ، وإسناد النظر فى وقف ذلك أجمع إليه ... » (المصدر نفسه) .

وبقيت المدرسة على هذه الحالة إلى عهود الانحطاط فى القرنين العاشر والحادى عشر الهجريين .

وعند استيلاء العثمانيين ، جعلوا الأوقـاف الموسومة باسم الإمام أبى حنيفة تدار من قبل الدولـة ، وتوسعوا فى الوظائف ، فهنـاك المتـولى والسـادن ، والمـدرس والـواعظ والخطيب والإمام ، والقارئ ولكل واحـد من هؤلاء راتب مخصص وليس له الإشراف علـى الأوقاف . وكانت المدرسة فـى أواخر العهد العثمـانى يقوم بهـا اثنـان من العلمـاء وهما المـدرس الأول . ويقوم مقـام المدير، ثم المـدرس الثانى ، ويعينهمـا الطلاب المعيدون للدرس ، وهم المتفوقون .

وكان آخـر من شغل منصب المـدرس الأول فيها سمـاحة العلامة المـرحوم الشيخ سعيد النقشبندى ، وكـان قد أقام فى سامراء عند تأسيس المدرسـة العلمية فيها ، وكان هو الساعى فـى تأسيسهـا ، وبقى فيهـا ست سنوات من ١٣١٢هـ إلى ١٣١٨هـ ثم أعيـد إليه التـدريس فى مدرسـة الإمام الأعظم ، وفى ذلك يقول المرحوم الرصافى :

ألا قـــد ســـرَّ طـــالب كل علم
ومـن بـــذل النفـــائس فـى طـــلابــه
صبيحـــة شـــرَّف الـــزورا سعيـــد
بمقـــدمـــه المبـــارك من غيـــابـــه
وتـــدريس العلـــوم لطـــالبيهـــا
لـــدى (النعمـــان) عـــاد إلى جنـــابـــه
هـــو البحـــر الخضم بغيـــر حـــد
فـــرائد كـل علم فـى عبـــابـــه
فقلت بمعـــرض التـــاريخ بشـــرى
وأمـــر الـــدرس عـــاد إلى نصـــابـــه

سنة ١٣١٨ هـ

مدرسة القرآن الكريم

كـانت الجـوامع فى بغـداد ، لا تخلو من مـدرسـة لتعليم القرآن الكريم ، وبخـاصة منها الجوامع الكبيـرة ، وكانت فى جـامع الإمام الأعظم مـدرسـة لتعليم القـرآن الكريم ، وكـان موضعهـا فى حجرة خاصـة كبيرة تقع فى جهة الجنـوب، وقد ادخلت ضمن كلية الشريعة .

وكان المرحوم الملا عبد الرزاق الأعظمى سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م مدرسا فيها .

ثم تـولى التـدريس فيهـا وكـالـة المرحـوم المـلا شـريف المغربى ، ثم أعيـد التدريس فيهـا إلى المـلا فـاضل بن المـلا عبد الـرزاق عنـد بلـوغه ، وفى سنـة ١٩٢٣م نظمت الأوقـاف مدرسة القرآن الكريم فى جامع الإمام الأعظم واعتبرت درجتها بمنزلة المدارس الابتدائية .

وفى سنـة ١٩٢٨ م أعـادت الأوقـاف تنظيم المـدرسـة ، وجعلتها خـاصة بتعليم أصـول التجويـد ، وعينت فيها الشيخ سليمان سالم الكركوكلى مدرسا ، ثم نقل إلى جامع الأزبك .

وفى سنة ١٩٤٥م عين الشيخ عبد القادر الخطيب مدرسا فيها . ويكـون الدوام بعـد صلاة العصـر عدا يـومى الثـلاثاء والجمعة . وبعد وفاة الشيخ عبد القادر أهملت المدرسة .

كلية الإمام الأعظم :

بعـد إعـلان الـدستـور (المشـروطيـة) سنـة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م بدأ الـوعى يدب فى العقول والنفـوس ، ويحرك ذوى الفكر المنيـر بالمطالبة ، والسعى لإصـلاح أوضاع التعليم فى العراق . وكان المرحوم العلامة الشيخ نعمان الأعظمى ، العقل المـدبـر لإعـادة بنـاء المـدرسـة ، وحسن تنظيمهـا ، والأخـذ بالأساليب والأسباب العصرية فى نشر العلوم والمعارف .

وكان دؤوبا فى عمل الخير، وله همة عالية ، وطموح بالغ فى إعـلاء شأن المدرسـة فى العـراق خاصـة والعالم العـربى والإسلامى عامة . وقد شاور بعض علماء الأعظمية فى إيصال خبر المدرسة ومطالبتهم بتنظيمها والعناية بها ، إلى السلطان ، محمد رشاد ، واتفقوا على تقديم طلب بذلك حتى إذا جاءت الموافقة من السلطان يكون عنـد ذلك الوالى وموظفو الأوقاف تبعا ومنفذين ، ولا يستطيعون أن يعارضوا أمرًا للسلطان .

وجعل الحـاج نعمان طلبـه هذا رسالـة على لسـان الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمـان يطالب فيهـا السلطان بإعـادة بناء مدرسته العلمية وتخصيص نفقات الطلاب من أوقافه .

وصنع الحاج نعمان ختما كبيرا باسم الإمام الأعظم وختم به الرسالة وأرسلها مع العلامة السيد علاء الدين الآلوسى. والعلامة السيد مصطفى الواعظ عضوى (مجلس المبعوثين) إلى السلطان محمد رشاد، كما طلب الحاج نعمان من والى بغداد ناظم باشا ومجلس الولاية، أن يبرقوا إلى السلطان فى تأييد هذا الطلب الكريم وتعضيده ...

وقد وافق السلطان محمد رشاد على إعادة تعمير المدرسة ... وأنه تخصص للطلبة ثمانون ألف قرش سنويا ...

وفى أوائل شهر جمادى الآخرة ١٣٢٩ هـ الموافق أوائل حزيران (يونية) سنة ١٩١١م تم تخطيط كلية العراق الإسلامية المعروفة بـ (الكلية الأعظمية) ، ولا زالت عناية دولة الوالى يوسف باشا (آكاه) ، مصروفة إلى إخراج هذه الكلية من عالم الخيال إلى عالم المثال. وهى تلك الكلية التى رفعت إلى هذه المرتبة نهار الجمعة ١٦ أيار ١٩١١م الموافق ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ ، وكان قد حضر حفلة ترقيتها جم غفير من أكابر البلدة، ورجالها الأماثل من عسكريين ومدنيين .

وتم إنشاء الطابق الأول فى عهد الوالى يوسف باشا آكاه، وتم بناء الطابق الثانى، وتزويدها بالأثاث واللوازم فى عهد الوالى أحمد جمال باشا (السفاح) وافتتحت فى أول سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١٢م .

نظام الكلية الجديد:

ذكرت مجلة سبل الرشاد (العدد ١ ص ٣، ٤ سنة ١٩١٢) تفصيلا لنظام الكلية الجديد، الذى بموجبه ستنقسم هذه الكلية إلى ثلاث شعب مستقلة، إحداها: القسم الرشدى، والثانية : القسم الإعدادى، والثالثة : القسم العالى، وتكون مدة التعليم فى كل من شعبة الرشدى والإعدادى أربع سنوات. وفى الشعبة العالية ست سنوات ، فيكون كل مدة التعليم فى المدرسة أربع عشرة سنة ، تدرس فى شعبتى الرشدى والإعدادى. كل العلوم والفنون الموجودة فى بروغرام المكاتب العالية (اللغات الأجنبية مستثناة)، وتكون التدريسات باللغة العربية ، لغة الأهلين خاصة، وتعلم القواعد العربية، وعلم الأدب، وفروعهما باهتمام كبير من أول سنة الرشدى إلى سنة الإعدادى، وكذلك تعلم فى صفوف الرشدى والإعدادى العلوم الخاصة بالدين كالتفسير والحديث والفقه. ويكون تعلم اللغة التركية والفارسية إجباريا. وتعلم لغة الأوردو ـ من اللغات الشائعة فى الهند ـ اختياريا .

والطلاب الذين يرقون إلى الصف العالى. يتعلمون فى السنوات الست الخاصة بهم ، علوم الدين، ويتبحرون فى غوامضها .

وتعلم فى هذه المدرسة الكبرى، كل ما اعتبر تدريسه فى مدارسنا من العلوم الشريفة ، وتعلم فى صفوفها العالية عدا ما تقدم: فلسفة الأديان، وتاريخ الأديان ، وأصول الأديان المختلفة، والمطالب المتعلقة بالحقوق العمومية ، وتعلم كذلك الفلسفة الجديدة .

وستكون فى المدرسة مطبعة صغيرة، تنشر فيها مجموعة دينية، تصدر باللغة التركية والعربية الفارسية فى كل شهر مرة.

وتكون المدرسة بأجمعها تحت إدارة مدير عام ، ويكون لهذا المدير معاون ، وكتَّاب، ومأمورون ، ويكون لكل شعبة من شعب المدرسة ناظر للدروس، يسأل عن انضباط الطلاب وسائر الخصوصيات .

وتكون للمدرسة لجنة علمية. تؤلف من المدير العام ، والمدرسين ، ونظار الشعب ومعاون المدير، وتجتمع تحت رئاسة المدير العام كل خمسة عشر يوما مرة واحدة أو أقل، حسب دعوة المدير العام ، وهذه اللجنة تتذاكر فيما بينها كل ما يتعلق بأمور التعليم من الخصوصيات ، وتتعاطى الآراء فيما يختص بالأحكام الدينية وعلومها وتدير أمور الرسالة الشهرية التى تختص بالمدرسة .

ومن وظائف هذه اللجنة العلمية أن تدقق المحاضرات التى تلقى على الطلاب وغيرهم قبل إلقائها فى غرفة المدرسة الكبيرة من المباحث المتنوعة الدينية والفنية، وأن تنظر فى تحرير المجموعة السنوية الباحثة عن المعاملات التدريسية لكل سنة ، وعن الشئون العامة السنوية مما يتعلق بالعالم الإسلامى .

وأن تفحص تقارير الدعاة الذين يتخرجون من صفوف المدرسة العالية ، ويعينون بمرتبات كافية ، تعطى من قبل الحكومة ، مأمورين لبث الدين الإسلامى فى أنحاء الأرض، وتعطيهم التعاليم اللازمة لهذا الأمر الجليل .

الوظائف المهمة الخادمة لمنافع المسلمين بهذه اللجنة المؤلفة من مدرسيها المنتخبين من كبار علماء الأمة المشهورين بسعة الاطلاع، فإن وظائفهم تحدد وتوضح كما ينبغي في نظام داخلي يسن لها .

وسيوجد في كل صف من صفوف قسم الرشدي المؤلف من أربعة صفوف ثمانون تلميذا ليليا، وأربعون نهاريا، فيكون عدد التلاميذ (١٢٠) ، وينقسم كل صف إلى ثلاثة أقسام ، عدد تلاميذ كل منها أربعون .

وأما صفوف القسم الإعدادي. فسيكون عدد التلامذة الليليين في كل منها (٧٥) وعدد النهاريين منهم (٣٠) فيكون عدد مجموع تلاميذ كل صف منها (١٠٥)، وينقسم هذا أيضا إلى ثلاثة أقسام كل قسم منها عدد تلاميذه (٣٥) والشعبة العالية : صفوفها ستة ، يحتوى كل منها على (٦٠) تلميذا ليليا و (٣٠) نهاريا ، فيكون عدد مجموع التلاميذ فيها (٥٤٠) وينقسم كل صف إلى قسمين، يضم كل منهما إليه (٤٥) تلميذا .

وعلى هذا الحساب سيكون عدد مجموع التلاميذ في كلية الإمام الأعظم (١٤٤٠) تلميذا ، (٩٨٠) منهم ليلى و (٤٦٠) نهارى .

من خلال ما تقدم ، يتضح لنا التقدم الواضح الذى حققته الكلية في هذا النظام الجيد المتكامل .

لكن مما يؤسف عليه ، أن هذه الكلية ما إن باشرت بالدوام شهرا أو شهرين حتى بدأت العوائق تلقى في مسيرتها ، فقد خفضت نفقاتها في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٢م واقتطع من نفقاتها مبلغ ١٦,٠٠٠ قرش .

فكان هذا التقليص في الميزانية أول صدمة أصابتها ، وهى بعد في أول نشأتها .

تحويل الكلية إلى مستشفى :

ما إن سلخت الكلية من عمرها سنتين ، وبدأ شمل الطلاب يلتئم فيها ، وتنتظم الدروس والمحاضرات ، حتى قامت الحرب العالمية الأولى وأعلن النفير العام ، واضطربت الأحوال، واستدعى المدرسون والطلاب الكبار إلى الخدمة العسكرية ، فألغيت الدراسة فيها ، واتخذت السلطات العسكرية التركية قرارا بتحويل الكلية إلى مستشفى عسكرية لجرحى الحرب ، وكذلك جعلت الرواق من جامع الإمام الأعظم مستشفى أيضا . وبقيت كذلك حتى سقوط بغداد، واحتلالها من قبل الإنجليز في ١١ آذار (مارس) ١٩١٧م . واستؤنفت الدراسة فيها بتاريخ ١٧ نيسان (إبريل) ١٩١٧م وعين الشيخ النقشبندى عميدًا لها .

وكانت الطامة حين نفى الإنجليز العلامة الحاج نعمان الأعظمى إلى الهند بتاريخ ٣١ مارس ١٩١٧م بعد الاحتلال بخمسين يوما ، فبقيت الكلية من دون راع يرعاها ، ويدافع عن حماها مدة ثلاث سنوات .

وبعد وفاة الشيخ سعيد النقشبندى سنة ١٩٢٠م عين العلامة نور الدين الشيروانى عميدا لها، ثم أعيد النظر في نظام ومناهج الكلية وأصبحت الدراسة فيها ست سنوات تتكون من مرحلتين :

الأولى : إعدادية ودراستها سنتان .

والثانية : ومدتها أربع سنوات .

وبموجب هذا النظام اكتسب خريجوها حق التوظف في وظائف الدولة والأوقاف .

وكان منهج الدراسة في الكلية يتضمن المواد العلمية التالية :

التفسير، الفقه، الحديث، التجويد، النحو، المنطق، البيان، الحساب، الحكمة، الطبيعة، الجغرافية، التاريخ ، البلاغة، الأدب، الإنشاء، الرياضيات .

وكانت الدراسة فيها نهارا، ولم يكن فيها قسم داخلى في تلك المرحلة ، لذلك كانت الأوقاف تصرف للطلاب مكافآت شهرية وهى :

١٥ ربية للطالب في الصفين الأول والثانى .

١٧ ربية للطالب في الصفين الثالث والرابع .

٢٠ ربية للطالب في الصفين الخامس والسادس .

ونتيجة لنظامها الجديد، فقد أعلنت إدارة الكلية في مطلع سنة ١٩٢١م شروطا لقبول الطلاب وهى :

١ ـ أن يكون الطالب (على الأقل) مجازا من إحدى المدارس الابتدائية ذات الصفوف الستة، أو يبرز القابلية في الامتحان .

٢ ـ أن لا يكون عمره أقل من ثلاث عشرة سنة .

٣ ـ أن يكون سالم الأطراف مع سلامته من الأمراض السارية .

٤ ـ أن يكون مشهود الأطوار والأخلاق .

٥ ـ أن يقدم كفيلا بضمان ما صرف عليه عند ترك الدراسة

وأشار نظام الكلية إلى أن الغاية من العناية بهذه الكلية «تخريج أناس لائقين لتقلد القضاء، والفتيا، والتدريس، والوعظ، وكتابة الضبط، وغير ذلك من الوظائف العلمية والدينية » .

وكان قد بلغ عدد الطلاب فى الكلية (٨٠) طالبا فى سنة ١٩٢٠م ...

وفى سنة ١٩٢٣ م افتتحت الشعبة العالية من جامعة آل البيت فى الأعظمية، وكان أمينها العام المرحوم فهمى المدرس يسعى جاهدا لجعل الكلية الأعظمية، بدرجة المدارس الثانوية، لينتسب طلابها بعد تخرجهم إلى جامعة آل البيت التابعة لوزارة الأوقاف .

وكان ساطع الحصرى يسعى من جانبه لتكون الكلية (ثانوية عامة) ينتسب خريجوها إلى الكليات التى تنشئها وزارة المعارف ...

وفى سنة ١٩٢٨ م أدمجت مع جامعة آل البيت، وصارت الدراسة فيها أربع سنوات ، وفى الشعبة العالية من الجامعة ثلاث سنوات .

دار العلوم الدينية والعربية :

وفى نيسان (إبريل) سنة ١٩٣٠م ألغيت جامعة آل البيت، وصدر النظام الجديد للكلية الأعظمية فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠هـ / الأول من أكتوبر سنة ١٩٣١م بعنوان (دار العلوم الدينية والعربية) وعين العلامة الأعظمى عميدًا لها ، واستعادت سيرتها بصورة منتظمة، وهذا نص تعديل نظام دار العلوم الدينية والعربية :

« تُدرس فى الدورة المتوسطة العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، العبادات، المناكحات، المعاملات، الفرائض والوصايا، اللغة، الصرف، النحو، تاريخ الآداب، قراءة ومحفوظات، الإنشاء، الحساب، الهندسة، الطبيعيات، الجغرافية، التاريخ، الرسم .

وتدرس فى الدورة الثانوية العلوم الآتية :

التفسير وأصوله، الحديث وأصوله، أصول الفقه، الكلام، تاريخ التشريع، المعاملات، الأوقاف، التربية وعلم النفس، التطبيقات، اللغة، النحو، البلاغة، العروض، تاريخ الآداب، الإنشاء تاريخ الإسلام، الأخلاق، المنطق .

وتعين مفردات هذه العلوم ، لجنة تؤلفها مديرية الأوقاف العامة بعد استشارة وزارة المعارف .

المادة الثالثة : تبدل كلمة (الكلية) الواردة فى المادة التاسعة عشرة من النظام المذكور بكلمة (المدرسة) ... إلخ .

وفى سنة ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤ م أجرى تعديل فى نظامها، وفى سنة ١٩٣٦م، بلغ عدد طلابها (١٢٠) طالبا، تنفق وزارة الأوقاف على (٩٠) طالبا منهم فى أقسامها الداخلية، وتنقسم الدراسة فيها إلى دورتين . خلال ست سنوات .

الأولى : تتألف من ثلاثة صفوف، وهى تعادل الدراسة المتوسطة .

والثانية : من ثلاثة صفوف أيضا، على أن يتخصص الطلاب باللغة العربية ، والدين ، وأصول التربية والتعليم .

وتجرى الامتحانات العامة مع وزارة المعارف .

ويشترط فى قبول الطالب أن يكون ناجحا فى الامتحان العام للدراسة الابتدائية، ويجتاز الفحص الطبى، ويتعهد باكتساء الكسوة العلمية ...

وفى عام ١٩٤٦ م ألغيت دار العلوم ، وصدر النظام الجديد بعنوان « كلية الشريعة » .

فى عام ١٩٤٦م صدر (نظام كلية الشريعة رقم ٥٥ لسنة ١٩٤٦ م) . وأصبحت بموجبه كلية دينية عالية ...

ويكون التعليم فيها على مرحلتين :

١ ـ المرحلة الإعدادية : ومدتها سنتان ، ولا يقبل فيها إلا خريجو الدراسة الدينية ، وخريجو المدارس المعترف بشهادتها .

٢ ـ المرحلة العالية : ومدتها أربع سنوات ، ويكون طلابها من الناجحين فى إعداديتها .

وتدرس فيها العلوم المتعلقة بالدين، والتشريع، والتاريخ، واللغة العربية والفلسفة .

وفيها قسم داخلى تنفق الأوقاف فيه على الطلاب .

ولخريجى هـذه الكلية ما لخـريجى المدارس العـالية من الحقـوق والامتيازات ، ويـرجح المتخـرج فيها على سـواه فى وظـائف الأوقـاف العلميـة والإدارية ، والمحـاكم الشـرعيـة ، ويعين لتدريس العلوم العربية والدينية فى مدارس المعارف .

وفى سنة ١٩٥٢م صـدر نظام جديـد لكلية الشريعـة برقم (٤٤) ...

إلحاقها بجامعة بغداد

بقى النظام رقم (٤٤) سـائدا حتى ثورة ١٤ تموز (يـولية) ١٩٥٨م . فألغى وحل محله نظام كلية الشريعة رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٨م .

وكانت الكلية تابعة إلى مديرية الأوقاف العامة حتى صدر النظـام رقم ٤٧ لسنـة ١٩٦٠م القـاضى بإلحـاق الكلية بـوزارة المعـارف . على أن تلحق بجـامعـة بغـداد فى نهـايـة السنـة الدراسيـة ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ ، على أن يجـرى تطويـر الدراسـة فيها ، والتوسـع بعلوم اللاهوت ، والفقه ، والشـرائع ، وقد نص النظام على أن تكـون كلية الشـريعة . كليـة عاليـة تنفق عليها وزارة المعارف ، وتعنى بشؤونها الإدارية والعلمية .

وأن الغرض من تأسيسها هو إقامة دراسة ثقافية منظمة من مستـوى عال فى علـوم الشريعـة الإسلامية . واللغـة العربيـة وآدابهـا وتـاريخ الأديـان والـلاهـوت ، والعلـوم الاجتمـاعيـة والتربوية .

وجعلت مـدة الـدراسـة فـى الكليـة أربع سنـوات ، بعـد الدراسة الثانـوية ، ويمنح خريجوها شهادة البكـالوريوس فى العلوم .

وقد نصت المادة الخامسة من النظام على أن : لخريجى كلية الشريعـة من الحقوق والامتيازات ، مـالحملة الشهادات العالية الأخرى ، الممنوحة وفقا لقانون جامعة بغداد .

كما نصت المـادة التاسعـة على أن : الدراسـة فى الكلية مجـانية ، ويلحق بهـا قسم داخلى ، يقبل فيه على نفقـة وزارة المعـارف الطلاب مـن خارج مـدينـة بغـداد ، وتتعهد الـوزارة بإطعامهم وإكسائهم ، وتجهيزهم بـالكتب المدرسية ، ولوازم التـدريس ، وتدفع لهم مخصصـات شهـرية يحـددها وزيـر المعارف ، بنـاء على اقتراح مجلس الكليـة ، وتتبع فى القسم الداخلى التعليمات المطبقة فى إدارة الأقسام الداخلية التابعة لجامعة بغداد ، وللكلية مجلس يتولى شئونها ...

وفى سنـة ١٩٦٧م صـدر القـانـون رقم (٣٨) وبمـوجبـه أسست « كلية الإمام الأعظم للدراسات الإسلامية » من جديد وهى تابعة للأوقاف ... وألغيـت كلية الشريعة وصارت تسمى «قسم الدين » فى كلية الآداب بجامعة بغداد .

وفى تشرين الثـانى (نوفمبر) من سنة ١٩٧٢م صدر قانون الجامعة الإسلامية رقم (١١٦) لسنة ١٩٧٢ م ...

وكـان القـانون يتضمن تسعـا وعشـرين مـادة ، وأن تتألف الجامعة الإسلامية من الكليات التالية :

١ ـ كلية الشريعة .

٢ ـ كلية أصول الدين .

٣ ـ كلية الدراسات العربية .

... ثم توقف العمل بمشـروع الجامعة الإسـلامية ... وفى سنـة ١٩٨٠م ألغيت كليـة الإمـام الأعظـم وأبـدلت إلى كليـة الشريعة ، وانقطعت علاقتها بوزارة الأوقاف ، وألحقت بجامعة بغداد .

ونسوق لك بيانا لكل مما يلى :

١ ـ العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة .

٢ ـ العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها .

٣ ـ العلماء والأسـاتذة الذين تولوا التـدريس فيها من غير العراقيين .

أولا : العلماء الذين تولوا مشيخة المدرسة :

	تاريخ الوفاة
١ ـ الفقيه أبو طاهر الديلمى الحنفى	٤٦١هـ
٢ ـ الإمام أبو طالب الزينبى	٥١٢ هـ
٣ ـ الإمام أبو إسحاق الشلجى	٥١٥ هـ
٤ ـ الإمام أبو يوسف اللمغانى	٥٢٦ هـ
٥ ـ القاضى أبو منصور الهيتى	٥٣٧ هـ
٦ ـ قاضى القضاة أبو القاسم الزينبى	٥٤٣ هـ
٧ ـ زين الأئمة الحنفى	٥٤٦ هـ
٨ ـ الفقيه أبو الغنائم البغدادى	٥٥٧ هـ

٩ ـ أبو الحسن اليزيدى ٥٧١ هـ
١٠ ـ ابن الكيال الواسطى ٦٠٥ هـ
١١ ـ الفقيه الأشهر ضياء الدين التركستانى ٦١٠ هـ
١٢ ـ أبو الكرم البغدادى ٦٢١ هـ
١٣ ـ الشيخ مجد الدين اللمغانى ٦٤٨ هـ
١٤ ـ الإمام أبو الفضل اللمغانى ٦٤٩ هـ
١٥ ـ الإمام مجد الدين بن بلدجى ٦٨٣ هـ
١٦ ـ الإمام حسام الدين السغناقى ٧١٤ هـ
١٧ ـ تاج الدين بن السباك البغدادى ٧٥٠ هـ
١٨ ـ فخر الدين بن الفصنيح الكوفى ٧٥٥ هـ
١٩ ـ الإمام أبو حنيفة الإتقانى ٧٥٨ هـ
٢٠ ـ القاضى حسام الدين الغورى ٧٧١ هـ
٢١ ـ الشيخ مصطفى العلقبند الكبير ١١٦٥ هـ
٢٢ ـ العلامة الشيخ عبد الله السويدى ١١٧٤ هـ
٢٣ ـ الشيخ أمد العلقبند الأعظمى ١١٧٦ هـ
٢٤ ـ السيد عبد الله الراوى ٠٠٠ هـ
٢٥ ـ العلامة الشيخ عبد الله الآلوسى ١٢٤٦ هـ
٢٦ ـ العلامة الشيخ حسين البشدرى ١٣٢٢ هـ
٢٧ ـ العلامة الشيخ سعيد النقشبندى ١٣٣٩ هـ
٢٨ ـ الشيخ نور الدين الشيروانى ١٣٦١ هـ
٢٩ ـ العلامة الحاج نعمان الأعظمى ١٣٥٥ هـ
٣٠ ـ الأستاذ فهمى المدرس ١٣٦٣ هـ
٣١ ـ الأستاذ عاصم الجلبى ١٣٨٢ هـ
٣٢ ـ العلامة الحاج حمدى الأعظمى ١٣٩١ هـ
٣٣ ـ الدكتور ناجى معروف الأعظمى ١٣٩٧ هـ
٣٤ ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ٠٠٠
٣٥ ـ الأستاذ هاشم الآلوسى ١٣٨٤ هـ
٣٦ ـ الأستاذ رشيد العبيدى ١٤٠٠ هـ
٣٧ ـ الدكتور جميل سعيد ٠٠٠
٣٨ ـ الأستاذ عمر باوزير ١٣١٩ هـ
٣٩ ـ الدكتور أحمد ناجى القيسى ٠٠٠
٤٠ ـ الدكتور عمر الملاحويش ٠٠٠
٤١ ـ الدكتور حمد ياسين الكبيسى ٠٠٠
٤٢ ـ الأستاذ ياسين أشكح العزاوى ٠٠٠
٤٣ ـ الدكتور هاشم جميل ٠٠٠

ثانيا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها :

٤٤ ـ الفقيه أبو سعيد النسفى بعد ٥٦٦ هـ
٤٥ ـ الفقيه عبد العزيز الخوارزمى بعد ٥٦٨ هـ
٤٦ ـ الفقيه الحسن بن ناصر الكاغدى ٥٧٩ هـ
٤٧ ـ الإمام يوسف اللمغانى ٦٠٦ هـ
٤٨ ـ الفقيه أبو الفرج الحنفى ٦٠٩ هـ
٤٩ ـ الشيخ شمس الدين الجبى ٦١٦ هـ
٥٠ ـ الشيخ عبد الكريم بن بلدجى بعد ٦٨٣ هـ
٥١ ـ الشيخ حسام الدين الفرغانى النعمانى ٧٨٢ هـ
٥٢ ـ العلامة مصطفى المدرس الأعظمى ١٢٣٤ هـ
٥٣ ـ الشيخ محمد العلقبند الأعظمى ١٢٤٦ هـ
٥٤ ـ العلامة الشيخ بهاء الحق الهندى ١٣٠٠ هـ
٥٥ ـ الملا عبد الرزاق الأعظمى ١٣٠٣ هـ
٥٦ ـ الشيخ عبد الغنى المدرس الأعظمى بعد ١٣٠٣ هـ
٥٧ ـ الشيخ قاسم الغواص ١٣١٧ هـ
٥٨ ـ العلامة الشيخ أحمد السمين ١٣٢٠ هـ
٥٩ ـ الملا فاضل الأعظمى ١٣٢٦ هـ
٦٠ ـ الحاج شريف المغربى ١٣٣١ هـ
٦١ ـ الشيخ معروف البشدرى ١٣٤٥ هـ
٦٢ ـ الشيخ على القره داغى ١٣٥١ هـ
٦٣ ـ الشيخ محمد رشيد آل الشيخ داود ١٣٥٧ هـ
٦٤ ـ الشيخ محمد فخرى الموصلى ١٣٥٨ هـ
٦٥ ـ الأستاذ عبد الهادى الأعظمى ١٣٦١ هـ
٦٦ ـ الأستاذ عبد اللطيف آل ثنيان ١٣٦٤ هـ
٦٧ ـ الشيخ عبد المحسن الطائى ١٣٦٤ هـ
٦٨ ـ العلامة طه الراوى ١٣٦٥ هـ
٦٩ ـ الشيخ عبد الوهاب الأعظمى ١٣٦٦ هـ

٧٠ ـ الشيخ بهاء الدين النقشبندى	١٣٦٨ هـ
٧١ ـ العلامة الشيخ يوسف العطا	١٣٧١ هـ
٧٢ ـ العلامة الحاج نعمان العمر الأعظمى	١٣٧١هـ
٧٣ ـ الأستاذ حسين على الأعظمى	١٣٧٥ هـ
٧٤ ـ العلامة الشيخ قاسم القيسى	١٣٧٥ هـ
٧٥ ـ السيد سامح الأعظمى	١٣٧٨ هـ
٧٦ ـ العلامة الشيخ محمد القزلجى	١٣٧٩ هـ
٧٧ ـ العميد طَه الهاشمى	١٣٨٠ هـ
٧٨ ـ الدكتور ناجى الأصيل	١٣٨٢ هـ
٧٩ ـ الشيخ محمد وحيد الدين القادرى	١٣٨٤ هـ
٨٠ ـ العلامة الشيخ أمجد الزهاوى	١٣٨٧ هـ
٨١ ـ العلامة السيد منير القاضى	١٣٨٨ هـ
٨٢ ـ العلامة الشيخ عبد القادر الخطيب	١٣٨٩ هـ
٨٣ ـ الدكتور مصطفى جواد	١٣٨٩ هـ
٨٤ ـ الأستاذ عبد العزيز الخياط	١٣٩٠ هـ
٨٥ ـ الشيخ عبد العزيز الشواف	١٣٩٠ هـ
٨٦ ـ الأستاذ شفيق العانى	١٣٩١ هـ
٨٧ ـ الأستاذ عبد الرحمن البزاز	١٣٩٣ هـ
٨٨ ـ الشيخ نجم الدين الواعظ	١٣٩٦ هـ
٨٩ ـ الأستاذ حسن رضا	١٣٩٧ هـ
٩٠ ـ الشيخ كمال الدين الطائى	١٣٩٧ هـ
٩١ ـ الأستاذ محمد سعيد عارف	١٣٩٩هـ
٩٢ ـ الأستاذ محمد سعيد المبصر	١٤٠٢ هـ
٩٣ ـ الدكتور محمد بديع شريف	١٤٠٢هـ
٩٤ ـ الأستاذ جمال الدين الآلوسى	...
٩٥ ـ الدكتور فاضل الجمالى	...
٩٦ ـ الشيخ عبد الله الصوفى	...
٩٧ ـ السيد شاكر البدرى	...
٩٨ ـ الشيخ جلال الحنفى	...
٩٩ ـ الشيخ عبد الله الشيخلى	...
١٠٠ ـ الدكتور عبد العزيز البسام	...
١٠١ ـ الشيخ محمد محمود الصواف	...
١٠٢ ـ الدكتور عبد العزيز الدورى	...
١٠٣ ـ الدكتور صالح أحمد العلى	...
١٠٤ ـ الدكتور فاضل النعيمى	...
١٠٥ ـ الدكتور يوسف عز الدين	...
١٠٦ ـ الشيخ عبد القادر إبراهيم	...
١٠٧ ـ الأستاذ نظام الدين عبد الحميد	...
١٠٨ ـ الدكتور أحمد شاكر شلال	...
١٠٩ ـ الدكتور عبد الله عبد الحميد السامرائى	...
١١٠ ـ الدكتور على محسن مال الله	...
١١١ ـ الأستاذ إبراهيم المدرس	...
١١٢ ـ الدكتور حسيب السامرائى	...
١١٣ ـ الأستاذ سعيد عبد الكريم	...
١١٤ ـ الدكتور عبد الستار حامد	...
١١٥ ـ الدكتور أحمد مطلوب	...
١١٦ ـ الشيخ أحمد حسن السامرائى	...
١١٧ ـ الشيخ إبراهيم الدبو	...
١١٨ ـ الدكتور بدرى محمد فهد	...
١١٩ ـ الدكتور محسن عبد الحميد	...
١٢٠ ـ الدكتور محمد رمضان عبد الله	...
١٢١ ـ الأستاذ أبو اليقظان الجبورى	...
١٢٢ ـ الدكتور عبد الرحيم الزقة	...
١٢٣ ـ الدكتور بشار عواد معروف	...
١٢٤ ـ الدكتور الشيخ عبد الله الجبورى	...
١٢٥ ـ الدكتور حارث الشيخ سليمان الضارى	...
١٢٦ ـ الدكتور محمد مخروس المدرس	...
١٢٧ ـ الشيخ عبد اللطيف البرزنجى	...
١٢٨ ـ الأستاذ غانم قدورى حمد	...

ثالثا : العلماء والأساتذة الذين تولوا التدريس فيها من غير العراقيين والأقطار التى ينتسبون إليها :

١ ـ أكرم زعيتر	فلسطين

٢ ـ على الطنطاوى	سورية
٣ ـ الدكتور صبحى الصالح	لبنان
٤ ـ الشيخ يوسف عبد الرازق	فلسطين
٥ ـ الدكتور أحمد محمد الحوفى	مصر
٦ ـ شمس الدين عبد الحافظ	مصر
٧ ـ عبد الفتاح على شحاته	مصر
٨ ـ الدكتور إبراهيم أبو الخشب	مصر
٩ ـ أحمد محمد الحجار	مصر
١٠ ـ حسن الشافعى الظواهرى	مصر
١١ ـ الشيخ عبد الحميد المسلوت	مصر
١٢ ـ ماهر حسن فهمى	مصر
١٣ ـ محمد جمعة حسنين	مصر
١٤ ـ محمد رفعة فتح الله	مصر
١٥ ـ أحمد فهمى أبو سنة	مصر
١٦ ـ الشيخ عبد الوهاب البحيرى	مصر
١٧ ـ عبد العظيم الغباشى	مصر
١٨ ـ زكى محمد غيث	مصر
١٩ ـ الشيخ محمود جميلة	مصر
٢٠ ـ الشيخ عبد الرحيم فرغلى	مصر
٢١ ـ الشيخ بدر المتولى عبد الباسط	مصر
٢٢ ـ الدكتور تقى الدين الهلالى	المغرب
٢٣ ـ الدكتور محمد حسين الذهبى	مصر
٢٤ ـ الدكتور محمد ندى	مصر
٢٥ ـ الشيخ عبد الغنى الراجحى	مصر
٢٦ ـ الشيخ محمد خطاب	مصر
٢٧ ـ الشيخ عبد المقصود شنلتوت	مصر
٢٨ ـ الأستاذ محمود يوسف	مصر
٢٩ ـ الدكتور محمود بدير	مصر
٣٠ ـ الدكتور محمود أحمد الدهمة	مصر
٣١ ـ الشيخ عبد الرحيم الكشكى	مصر
٣٢ ـ الشيخ محمد صبحى الخيزران	فلسطين
٣٣ ـ الشيخ محمد نمر الخطيب	فلسطين
٣٤ ـ الشيخ على حسن محمود حبيبة	مصر
٣٥ ـ الدكتور عبد الغنى إسماعيل	مصر
٣٦ ـ محمد الطيب النجار	مصر
٣٧ ـ الدكتور عبد الله عبد الفتاح درويش	مصر
٣٨ ـ شاكر محمود عطية	مصر
٣٩ ـ إبراهيم عبد الرزاق	مصر
٤٠ ـ الشيخ عبد المجيد المهنا	مصر
٤١ ـ الشيخ ياسين الشاذلى	مصر
٤٢ ـ الشيخ أحمد السيد غالى	مصر
٤٣ ـ الشيخ يوسف البيومى البسيونى	مصر
٤٤ ـ الشيخ يحيى محمد عبد العاطى	مصر
٤٥ ـ محمد المتولى سعد	مصر
٤٦ ـ محمد عيسى الشتتلى	مصر
٤٧ ـ عبد الله محمد عبد النبى	مصر
٤٨ ـ عبد العزيز عبيد	مصر

(مدرسة الإمام أبى حنيفة ـ الخطاط وليد الأعظمى / ٤، ٥، ١١ ـ ١٧، ٢١ـ٢٥، ٣٠ـ٣٥، ٤٢، ٤٣، ٢٢٤ـ٢٢٨، ٢١٣، ٢١٤) .

انظر : أبو حنيفة (الإمام الأعظم ـ) ، أبو حنيفة (جامع وضريح) .

* **أبو حنيفة (جامع وضريح ـ) :**

الأعظمية : .

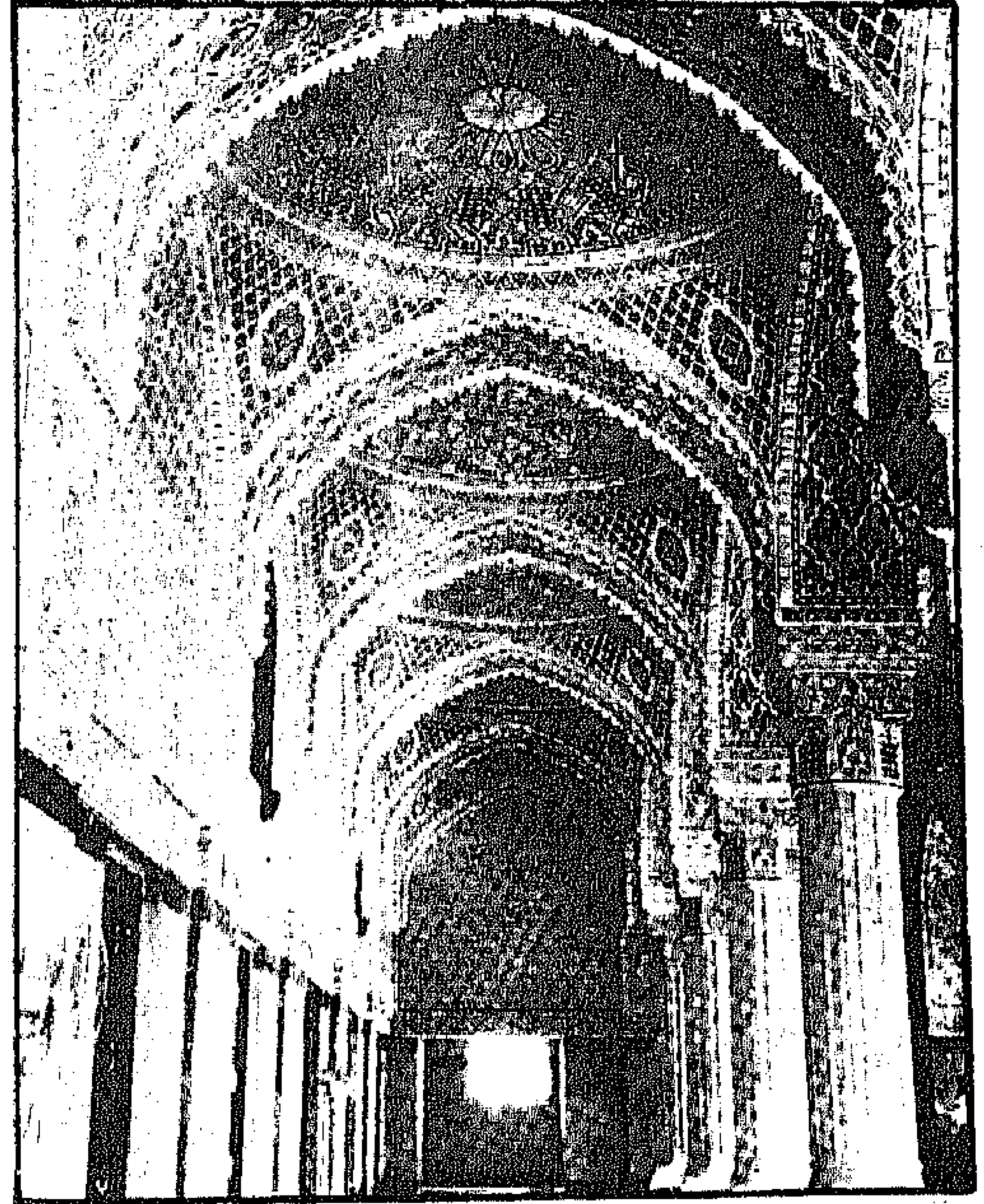
أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الذى دعى باسمه، توفى عام ١٥٠هـ (٧٦٣م) ودفن فى مقبرة الخيزران وصارت تعرف بعد ذلك باسمه ودعيت المحلة التى قامت حول الضريح والمسجد باسمه أيضا ولكن طغى على المنطقة اسم « الأعظمية » من كلمة « الأعظمْ » وهو اللقب الذى أعطى للإمام .

ولا شك أن العراق قد كرم الإمام النعمان بن ثابت بإقامة بناء على قبره . وتذكر المصادر الأدبية أن الاهتمام قد ازداد بضريح الإمام فى عهد السلطنة السلجوقية فقد جاء أن العميد شرف الملك أبو سعد مستوفى السلطنة السلجوقية قد أمر عام

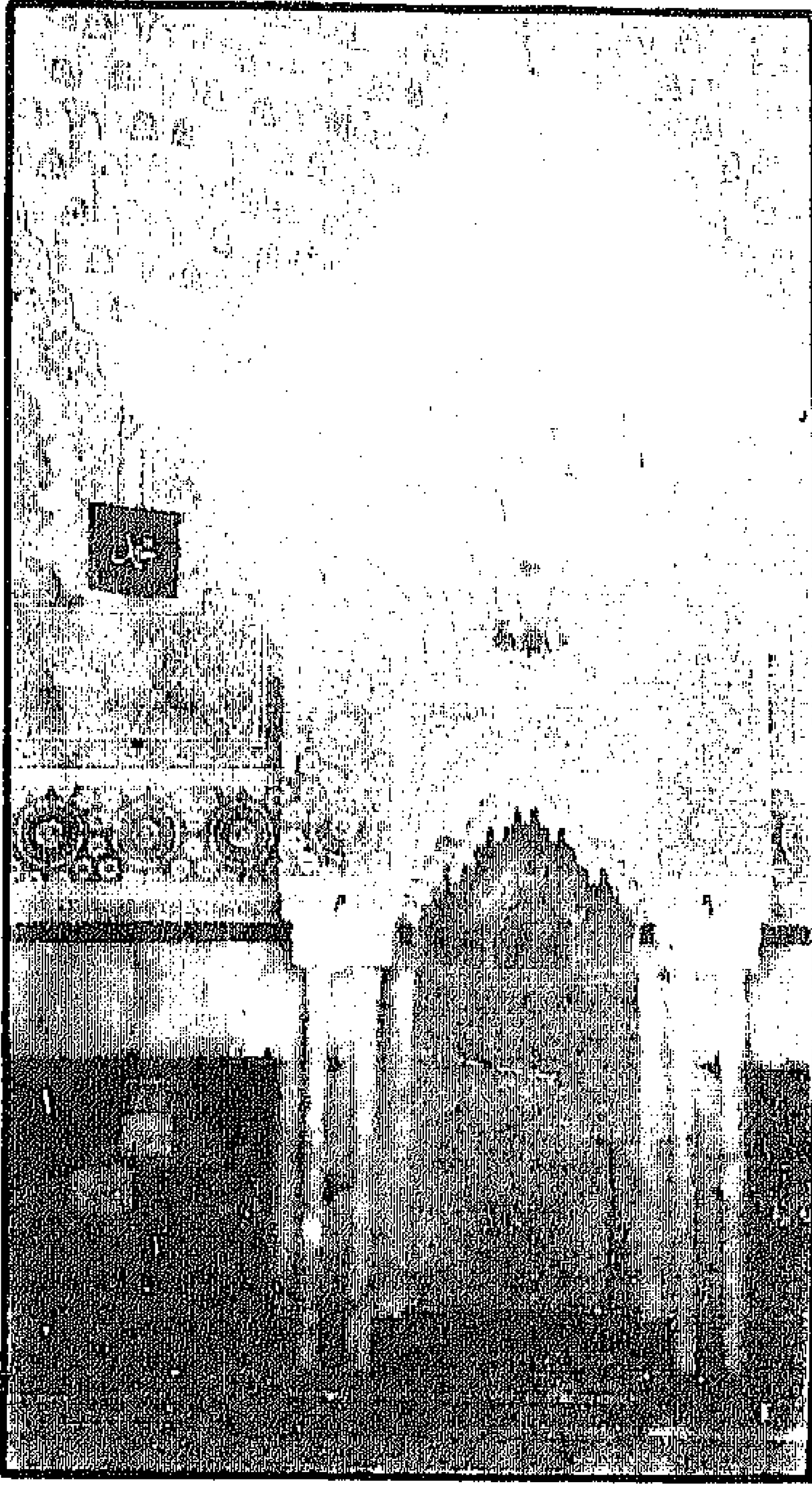
٤٥٩هـ (١٠٦٦م) بتجديد الضريح ، وجعله على غرار مشاهد آل أبى طالب وجعل له رواقا وصحنا ، وبنى بلصقه مدرسة؛ وتعتبر هذه المدرسة أولى مدارس الحنفية فى العراق (أفردنا لها مادة خاصة تحت عنوان « أبو حنيفة (مدرسة ـ) »)

لم تبق الأبنية التى أمر بها أبو سعد على حالها، بل تعرضت إلى تجديدات وتعميرات كثيرة خاصة عندما حكم العثمانيون العراق. فقد قام عمر باشا ببناء قبة ومئذنة بأمر السلطان أبى الفتح محمد العثمانى عام ١٠٩٢ هـ (١٦٨١م) وأمر والى بغداد سليمان باشا عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) بتذهيب رأس المئذنة، وأجريت تجديدات فى البناء على عهد السلطان عبد الحميد الذى أمر بهدم الأبنية المحيطة بالتربة والمسجد، وتم عقد قبة ضخمة على مصلى المسجد، كما أمر بتوسيع الصحن وأضاف بناء مدرسة تتألف من طابقين فى القسم الشمالى الغربى من الأرض التى تشغلها الأبنية فى الوقت الحاضر وأضيفت أيضا غرف أخرى ومرافق لرواد الإمام.

وقامت رئاسة ديوان الأوقاف قبيل سنوات بتحلية المسجد ومحرابه بمقرنصات متدلية وبطلب من الملك محمد الخامس ملك المغرب. وقامت الرئاسة أيضا بتجديدات



رواق فى جامع الامام الأعظم



لوح ٨٠: محراب جامع الامام الاعظم

وإضافات شملت أجزاء من المسجد وبعض الجدران الخارجية ، وحررت المشهد بصورة عامة من جملة الأبنية التى كانت تلتصق به ، ليظهر بالمظهر اللائق وكست الرئاسة أجزاء من وجوه هذه التجديدات بقراميد مزجج محلى بتشكيلات متقنة من زخارف نباتية وهندسية وكتابية .

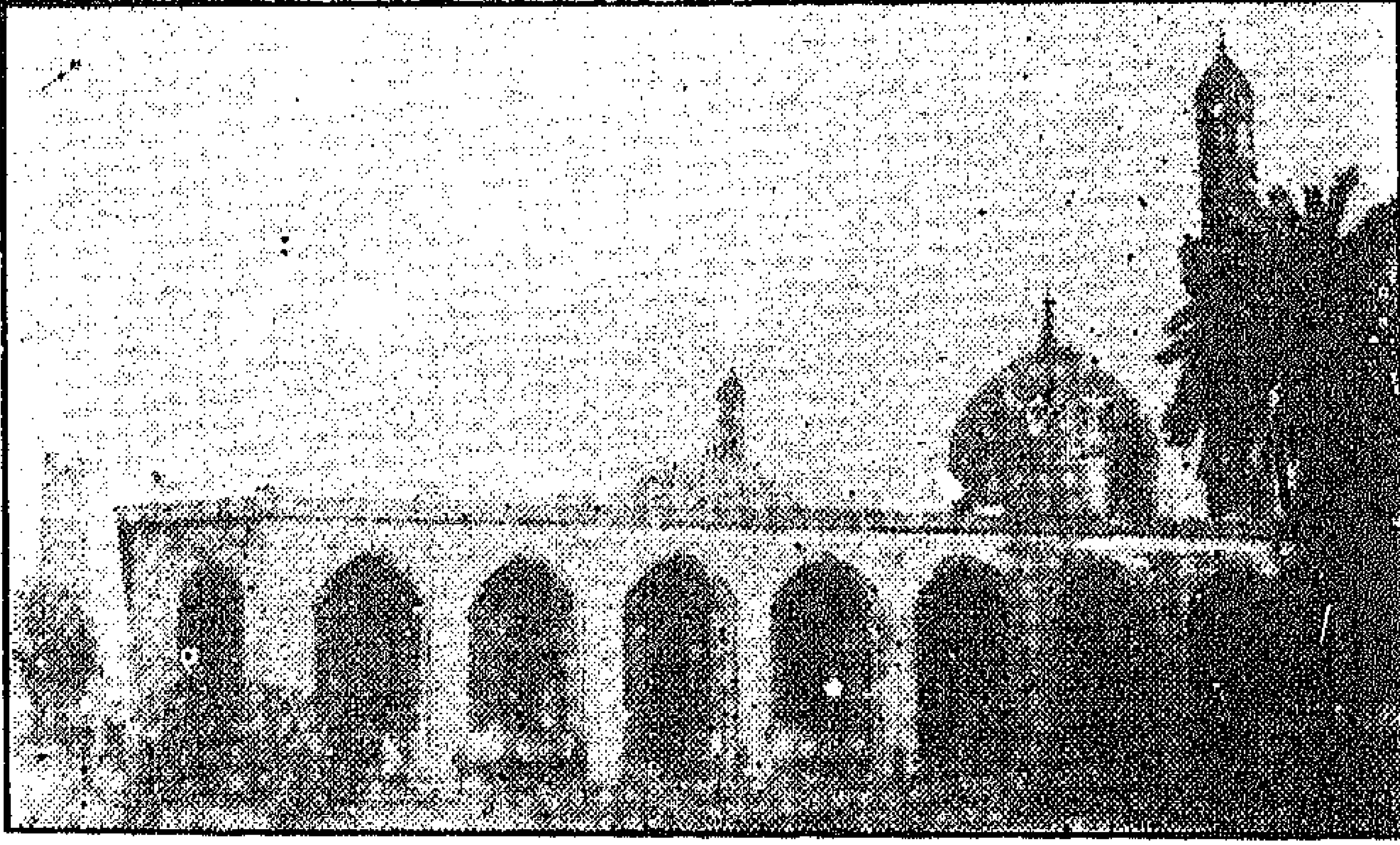
يقوم البناء فى قضاء الأعظمية بمحافظة بغداد بالقرب من جسر الأئمة الذى يربط بين الأعظمية والكاظمية ، وتعرف العمارة بين أهالى المنطقة بجامع (الإمام أبى حنيفة) ويعتبر فى الحقيقة من بين جوامع العراق المشهورة ، وتقوم مجمل الأبنية على مساحة أرض شبه منحرفة أبعادها ١٢٠ × ٩٠ مترا.

ويكشف تخطيط الأبنية هذه عن تشابه بتخطيط الحضرة الكيلانية ، ويمتد هذا التشابه إلى قضايا أخرى ضمن الطراز المعمارى والعناصر المعمارية والزخرفية . وتتألف الأبنية هنا من مشهد ومسجد جامع ومدرسة تشغل القسم الشمالى الغربى من الأرض ويسورها جميعا سياج بتصميم معين وشيدت الأبنية جميعها بالطابوق والجص.

وغرفة الضريح مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار، تلتصق

بجدار الجامع عند الركن الغربي، وتبرز عنه بمقدار عشر أمتار. وجدران الغرفة سميكة والدخول إليها يكون عن طريق الجامع ، حيث تتصل ببيت الصلاة عن طريق مدخل في الضلع الجنوبي الغربي، ويتوسط القبر هذه الغرفة ، وهو مغطى بصندوق وقد زينت جدران الغرفة من الداخل بزخارف جميلة وتتربع على غرفة القبر هذه قبة مرتفعة نصف كروية مدببة قليلا وتتميز هذه القبة برقبتها الطويلة وتتشابه مع قبة ضريح الشيخ الكيلاني من حيث شكل القبة وطول الرقبة، ويمتد هذا الشبة أيضا إلى التشكيلات الزخرفية التي تحلي القراميد المزججة والتي تغطي القبة والرقبة ، فتشكيلات كسوة القبة نباتية ذات ألوان صفراء وبيضاء وسوداء على أرضية بلون أزرق فاتح . وتحلى الرقبة أنطقة متناسقة قراميدية مزججة أيضا ويتوسطها نطاق مشغول بكتابات بخط جميل متقن يتضمن آيات بتشكيلات من الزخارف النباتية والهندسية .

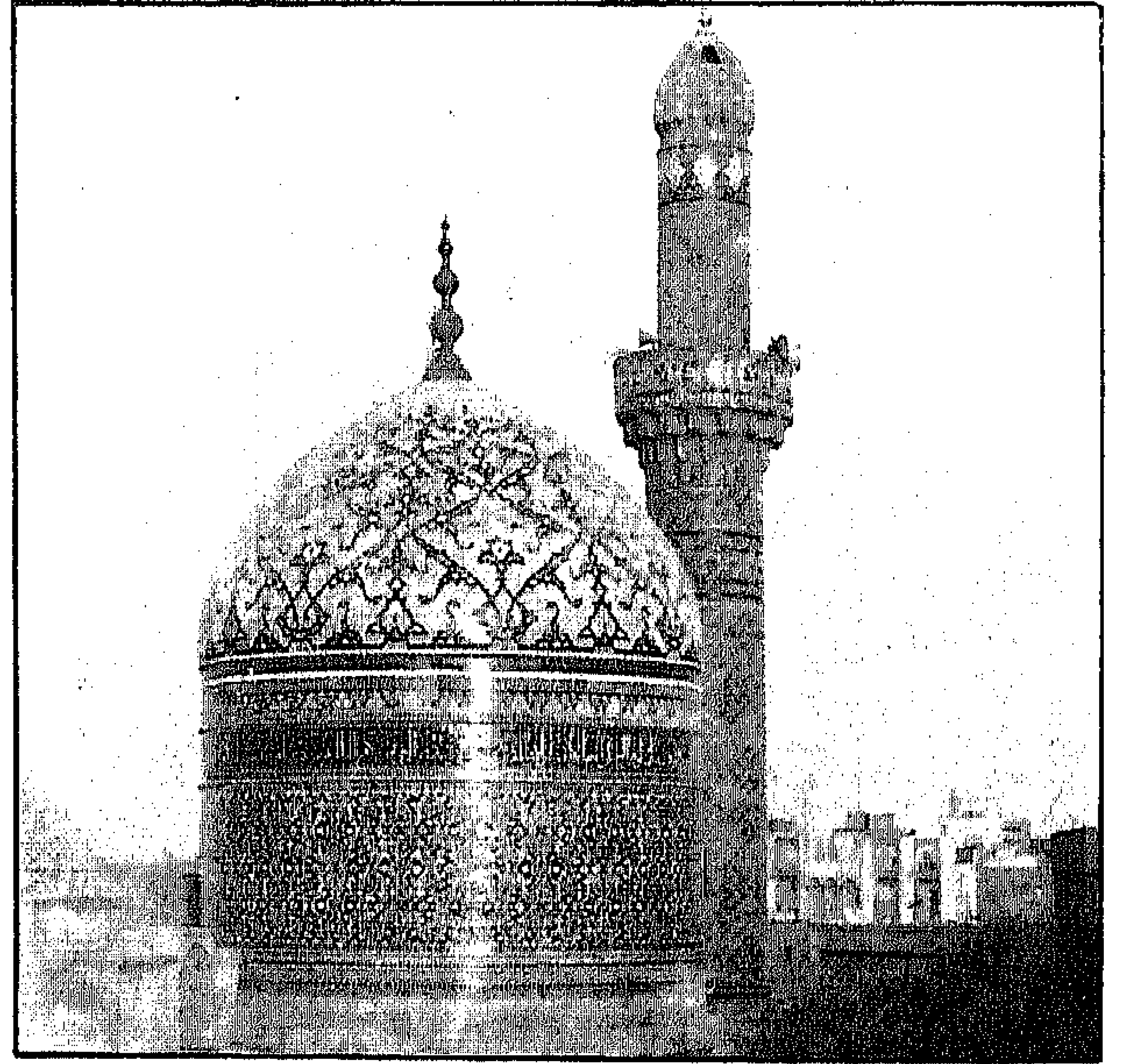
يشغل الجامع مساحة كبيرة نسبيا وهو مستطيل الشكل أبعاده ٣٥ × ٤٠ مترا ويتألف من خمسة أساكيب وست بلاطات وقد صمم بطريقة معينة بحيث جعلت بلاطة المحراب واسعة جدا امتدت على تسعة من المربعات الناتجة من تقاطع الأساكيب مع البلاطات . وتغطى هذا القسم من المصلى قبة كبيرة مفرطحة لا تختلف كثيرا عن قبة مسجد الحضرة القادرية والحقيقة أن طول ضلع المساحة المربعة التي تغطيها هو ١٤ مترا لا عشرين مترا كما هو الحال في قبة مسجد الحضرة القادرية وتتميز قبة الجامع بأنها تجلس على قاعدة مرتكزة على أعمدة وبطريقة فنية نجدها لأول مرة في هذه العمارة وتستند القبة على ثمانية من الأعمدة ومن ثلاث جهات أما الجهة الرابعة فهي جدار القبلة الذي يتوسطة محراب جميل للغاية وقبة جامع الإمام أبي حنيفة بدون رقبة أيضا حيث تظهر واطئة مثل قبة الحضرة الكيلانية والقبة مغطاة بقراميد مزججة ذات تشكيلات من الزخارف النباتية الجميلة .



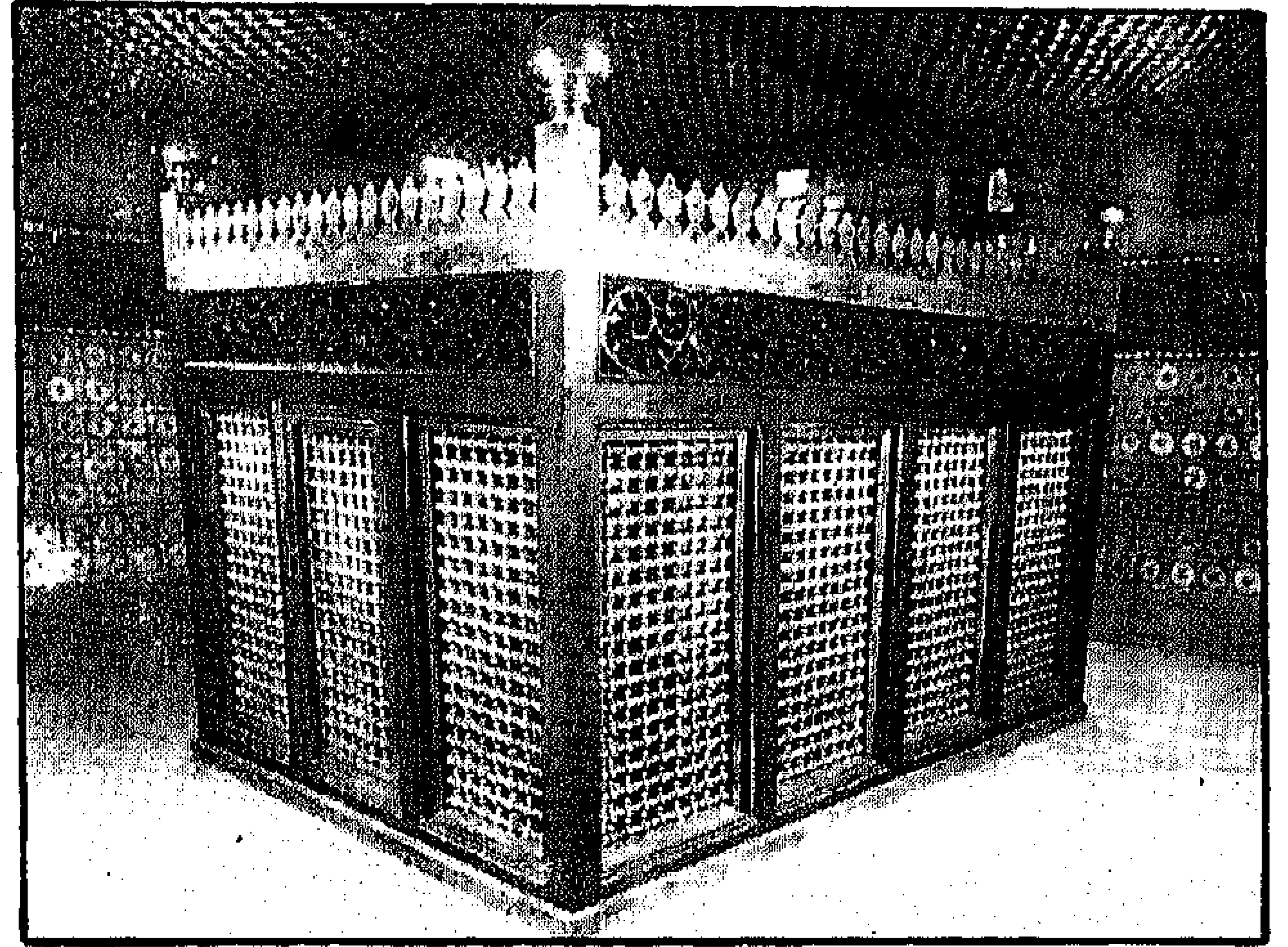
منظر عام لواجهة جامع الامام الاعظم من جهة الشرق



الباب الرئيسي لجامع الامام الاعظم



الأعظمية : قبة ضريح الإمام أبي حنيفة النعمان



الضريح الشريف وفوقه ستار أخضر وجدران الغرفة مبلطة بالكاشاني ذي الورود وقد أبدل بالمرمر الاردني عام ١٩٥٩

وتجد الإشارة هنا إلى أن الأعمدة التى ترفع القبة رخامية أسطوانية الشكل قطر كل منها ٩٠ سنتيمترا وتجلس الأعمدة هذه على قواعد مربعة طول ضلعها متر واحد وتنتهى بتيجان جميلة تمتد رؤوسها مع العقود التى تصل بين الأعمدة ، وتضم داخلها حشوات زخرفية مفرغة وغير مفرغة وقبل عدة سنوات أمر الملك محمد الخامس ملك المغرب بأن تكسى القبة وبعض الأروقة والمحراب بمقرنصات متدلية متقنة . جميلة .

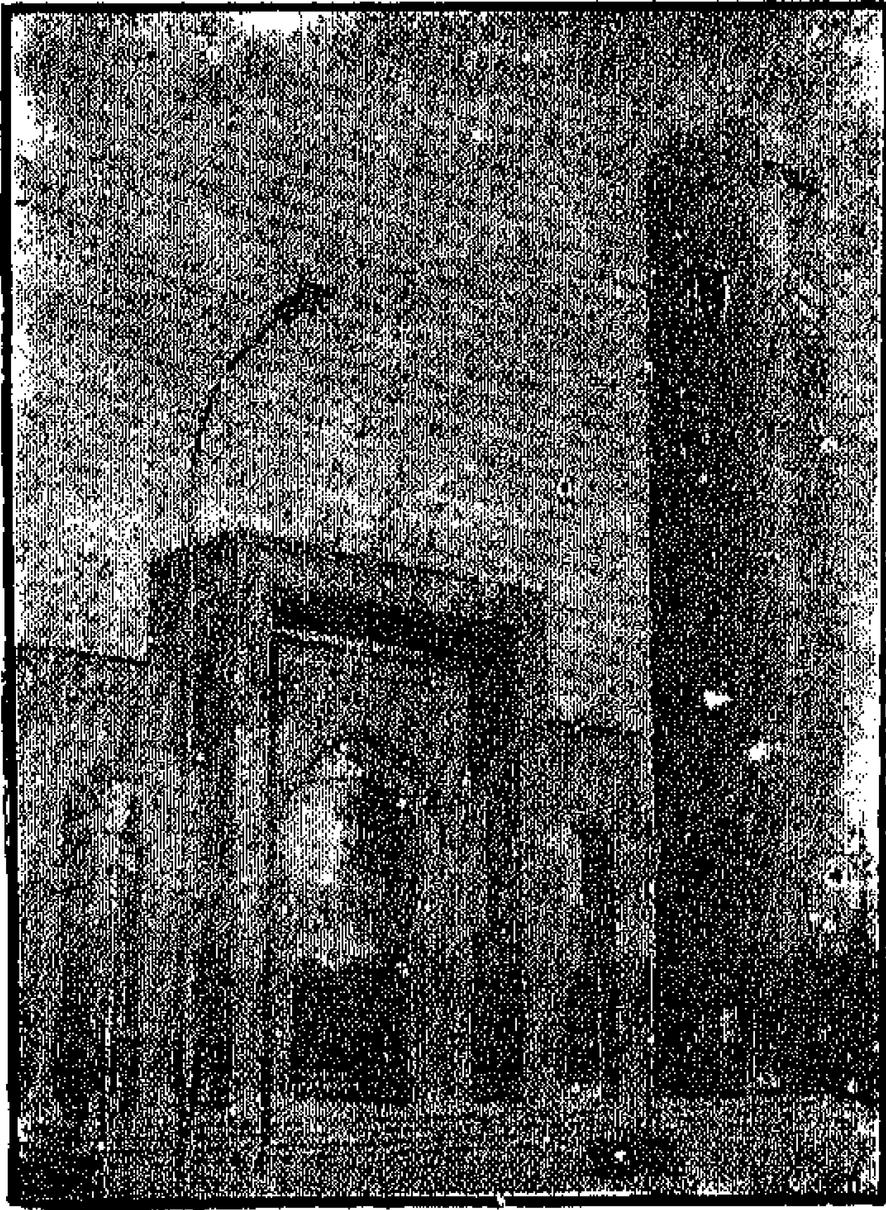
ومثل مسجد الحضرة القادرية ومشهدها فإن الجامع والمشهد يفصلهما عن الساحة الرئيسية رواق بعرض عشرة أمتار ويحيط بها من ثلاث جهات وتتوسط الرواق هذا بائكة من عقود قائمة على دعامات مربعة طول ضلعها متر واحد . والعقود هنا مدببة مطولة ، ويتقدم هذا الرواق رواق آخر تطل بوائكه على الصحن مباشرة وتتناظر مع بوائك الرواق الداخلى . ونتيجة للتجديدات المستمرة التى أجريت فى الجامع خلال السنوات الأخيرة فقد تم الوصل بينه وبين جامع يجاوره من الجهة الشمالية الغربية ، ويضم الجامع هذا محرابا ومنبرا بنى على غرار محراب ومنبر الجامع الأصيل . وللجامع بصورة عامة أربعة مداخل ضخمة يتوسط واحد منها الضلع الشرقى ويقابل الآخر محراب الجامع .

تحتل مئذنة المسجد الركن الجنوبى فيه وتجاور قبة الضريح وتكشف عناصرها المعمارية والزخرفية أنها تعود فى تاريخها إلى عهد من أمر ببنائها وبناء القبة أى قبة الضريح وكان ذلك عام ١٠٩٢هـ (١٦٨١م) ويزيد ارتفاع المئذنة هذه على عشرين مترا وقد غطت أبنية الجامع قاعدتها والجزء الظاهر منها هو البدن والرقبة والرأس فقط وبدنها أسطوانى رشيق نسبيا يتوجه حوض يستند على صفين من المقرنصات ورقبتها طويلة نسبيا رشيقة فى مظهرها ، ويتوجها رأس مضلع ذو شكل بصلى . ولقد زينت جميع أجزاء المئذنة هذه بتشكيلات زخرفية تتألف من وحدات هندسية وكتابات بخط دقيق وقد شكلت هذه الوحدات عن طريق التفنن فى صف الطابوق المزجج .

للجامع صحن واسع يشغل القسم الشمالى الشرقى والقسم الجنوبى الشرقى من الأرض وتطل المدرسة على الصحن من الجهة الشمالية الغربية ويفصل الجامع عن الشارع العام من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية سياج بسيط جدد عدة مرات وينتصب فى الركن الشمالى من الأرض برج طويل لساعة وهذا البرج حديث البناء ومصمم بطريقة لا تنسجم مع المظهر العام لأبنية هذا المجمع (انظر الصورة) (العمارات العربية الإسلامية فى العراق ٢/ ١٣٣ ــ ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١) .

وعن برج الساعة هذا يقول الشيخ هاشم الأعظمى :

فى الجامع برج يبلغ ارتفاعه ٢٢م وضعت عليه ساعة



برج الساعة الأعظمية

عراقية الصنع . صنعها المرحوم الحاج عبد الرزاق محسوب الأعظمي عام ١٩٢٢ بنى برجها في جامع الإمام الأعظم (أبي حنيفة) رضي الله عنه عام ١٩٦٢ ونصبت عليه وقد غلف برجها بالألمنيوم الذهبي عام ١٩٧٣ وقال فيها الأستاذ الأديب قاضي بغداد الأسبق الحاج عطا نجل العلامة المرحوم الحاج حمدي الأعظمي .

يد محسوب يد ماهرة
صنعت للجامع المعمور ساعة
جاورت قبر إمام أعظم
منه ترجى ساعة الحشر الشفاعه
كلما دقت ذكرنا فضله
وسألنا الله أن يجزى اختراعه
وسألنا الله أن يرحمه
إن شكر الله من شكر الجماعه

ويقول الشيخ هاشم الأعظمي عن التطورات التي مرت بالجامع عبر القرون الخوالي :

بعد بناء السلاجقة المسجد ٤٥٩ هـ لم يذكر التاريخ عنه شيئا حتى عام ٩٤١ هـ وذلك عندما احتل السلطان سليمان القانوني بغداد وطرد الفرس منها الذين هدموا المسجد والمدرسة العلمية .

أعاد بناء المسجد والمشهد وبنى المنارة القائمة حاليا وقلعة مدورة حصينة ودار ضيافة وحماما وخانا وعدة دكاكين ومسناة على نهر دجلة لحفظ الأعظمية من مياه الفيضان . وآثارها لا زالت تحت المياه غرب الجسر. وفي عام ١٠٣٢ هجرية احتل بغداد عباس الصفوي فعمل ضروبا من وحشية القرون الوسطى قتلا وهدما للأماكن المقدسة وفي مقدمتها جامع مولانا السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما . وفي عام ١٠٤٦ هـ تم احتلال بغداد وطرد الفرس إلى الأبد من قبل السلطان الصالح مراد الرابع رحمه الله تبارك وتعالى . وبعد أن أقام مدة من الزمن أمر بإعادة تشييد المسجدين المباركين ومدرسة الإمام أبي حنيفة وتعيين مدرسين وطلابا للمدرسة الحنفية وأجرى عليها الجرايات تصرف غلتها على إدارتها وبعد تمام البناء المحكم وإقامة القبة الضخمة حاليا فوق غرفة المشهد أقام احتفالا كبيرا لافتتاحه حضره شيخ الإسلام يحيى أفندى كان الله معه وجمهرة من العلماء والوجهاء ورجال الحكومة والجيش فنحرت الذبائح لوجه الله تبارك وتعالى ونصبت الموائد وعليها ما لذ وطاب من الطعام ثم ودع بغداد راجعا إلى مقر خلافته .

بناؤه مجددا ١٢٨٨ هـ زمن السلطان عبد العزيز وذلك عندما أوعزت والدته المرحومة برتو نبال بتجديد وتوسيع الجامع وبناء مدرسته العلمية بناء يتفق مع هندسته الجديدة وهو الحالي القائم وخصصت مبلغا قدره عشرون ألف ليرة ذهبية على نفقتها الخاصة . وشكلت لجنة من المدرسين والأئمة ومدير الناحية آنذاك وأخذت بعض الدور المجاورة له وأدمجت أرضها مع أرض الجامع ثم وضعت له خارطة وكذلك للمدرسة العلمية وبوشر بناؤه فانتهى بعد عدة سنوات وبعد أن قام بناؤه جعل له حفل افتتاح مشهود حضره والى بغداد آنذاك السيد رديف ورجال ولايته وأعيان بغداد ووجهاؤها وعلماؤها وألقى الشاعر عبد الغفار الأخرس .

لله والدة المليك وما بنت
من جامع رحب الفناء متمم
للراكعين الساجدين لقد زها
سمة التقى للناظر المتوسم
ترجو من الله الكريم مشوبة
أجر المثيب على الجليل المنعم
إذ غيرته وقدرته بحكمة
وكذا يراد من البناء المحكم
أخذت بتوسعة وأعانها
نظر الرديف وخدمة المستخدم
فيه الإمام أبو حنيفة ومن له
زهو المناقب مثل زهر الأنجم
أخذت علوم أصولها وفروعها
عند الأئمة في الزمان الأقدم
لقد عمرته وسيدته وجددت
تأريخ مسجد الإمام الأعظم

وقال ما دحا ولدها السلطان عبد العزيز:

أجـــامع مـن بعـــد مـــا درســـا
بأمـــر سلطـــان الـــزمـــان أسســـا
عبـــد العـــزيـــز الملك المـــولى
الـــذى مـــراميـــه تسـاوى الأطلســا
ظـل الإلـــه قـــد غـــدا فـى أرضـــه
لـــدين طـــه حـــافظـــا وحـــارســا
لا زال فـى الست الجهـــــــات
أحكـــامـــه لخمس أصحـــاب الكســا
بـــاشـــره الـــوالى رديف الـــذى قـــد
طـــاب فى وادى الجنـــان مغـــرســا
فـى حضـــرة النعمـــان من عملــــه
أصبـح كـل عـــــالم مقتبســــا
ثـم بنــــاؤه المشيـــد أرخـــوا
ببيـــانــــه على التقى تأسســـا

غرفة المرقد الشريف

بناؤها أثرى قديم يعود إلى زمن السلطان مراد الرابع عليه الرحمة عام ١٠٤٦هـ شكلها مربع ٧,٥ × ٧,٥ وسطها الضريح الشريف عليه قفص ذو شبابيك معدنية توج بأسماء الله الحسنى على المينة البيضاء خطت على أوراق من الزهور بشكل بديع وأحيط القفص بالمينة البيضاء كتب عليها ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ وقال ﷺ « لو كان العلم معلقا عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس » .

هذا مرقد الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبى حنيفة نعمان ابن ثابت الكوفى كانت ولادته ٨٠ للهجرة الشريفة ووفاته رحمه الله ورضى الله عنه سنة ١٥٠ للهجرة الشريفة ...

وقد جدد العمل بعد اندراسه ومحو آثاره ... وكان ذلك سنة ١٣٤٧ هـ وداخل الغرفة شمعدانان أثريان كبيران فضيان مزخرفان بزخارف مدهشة يرجع تاريخهما إلى ١٢٦٣ هـ وآخران أصغر منهما وفى قطبها ثريا علقت فيها قناديل فضية وذهبية ومعادن أخرى ذات أهمية أهديت من قبل سلاطين آل عثمان وولاتهم وفيها قنديل أثرى أهدته بنت السلطان مراد خان الرابع أسمخان سنة ١٠٨٥ هـ وقرآن مخطوط وغلافه مرصع بالأحجار الكريمة والياقوت ومذهب أهداه القائد التركى أنور باشا ، والشعرات النبوية الشريفة أهداها للجامع السلطان عبد الحميد خان عليه الرحمة عام ١٣٠٤هـ تُخرج للتبرك ليلة القدر والمولد النبوى الشريف وأيام الأعياد وآخر جمعة من رمضان للتبرك بها كما تخرج لرؤساء الدول الضيوف للتشرف بها .

ثم يصف الشيخ هاشم الأعظمى الجامع فيقول :

هندسة الجامع تعتبر فخر الهندسة المعمارية فنا حرمه كبير. مقبب يشكل مستطيل ١٤ ×٣٤ م٢ رحب تقوم فوق وسطه قبة فخمة جلست على أطواق تحملها ، والأطواق تسعة اعمدة من الرخام الموصلى العراقى تحيط بها من جهاتها الثلاث تسعة قباب استندت إلى الأعمدة والجدران ودعامتان تحملان ثلاث قباب أخرى ومحرابان ومنبر ومحفل قبالة المحراب مرتفع عمل من خشب الساج علقت فى وسط القبة ثريا فخمة وفرش بالسجاد الإيرانى وله أحد عشر بابا على الأروقة وباب المرقد داخل الحرم ويحيط بالحرم ثلاثة أروقة من جهاته الثلاث مقببة تقوم قبابه وعددها ٣٢ على أطواق من الطابوق تحملها والأطواق أعمدة رخامية متينة تبلغ مساحتها ٨٠٠م تقريبا لها ثلاثة أبواب واحد من جهة الغرب وبابان من جهة الشمال وتسعة شبابيك مطلة على الطارمة وباب المرقد والمأذنة من جهة القبلة وغرف ثلاث والرواقان توّجا بأفريز من الكاشانى الأزرق خطت عليه سورة الفتح بخط جميل وحروف غاية الإبداع ومنارة فخمة جميلة المنظر شامخة يبلغ ارتفاعها ٢٩ م تقريبا لها خوذة مضلعة حليت بالذهب حلاها الوالى سليمان باشا عام ١٢١٧ هجرية وساحتان من جهتى الشمال والشرق ومصلى صيفى وقد أزيل مع عدة غرف وحوض ماء الوضوء عام ١٩٣٥ م .

عام ١٩٣٥ : فى هذا العام أجريت تصليحات شاملة للمسجد والكلية البابان الرئيسيان والسور وبنى مكانهما بابان فخمان وسور جميل وأبدلت شبابيك الرواقين الحديدية بشبابيك خشبية من الساج الفاخر وبلطت الساحة بالمرمر.

عام ١٩٤٨ :

فى هذا العام بنيت الطارمة الأمامية لإسناد بناء الجامع

القديم ونقل الإفريز الكاشاني الأزرق الذى كان الرواقان متوجين به فوضع عليها من جهة الساحتين بنى على شكل أطواق تزينها الورود الكاشانية .

عام ١٩٥٩ :

بعد ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ أجريت بعض الإصلاحات والزيادات فبنى نصف رواق من جهة الشرق وبُلط جدار الحرم والأروقة بالمرمر الأردنى بارتفاع ثلاثة أمتار وجددت أسس الحرم وبلط الجامع كله بالكاشى الموزائيك وبنى برج الساعة (الأعظمية) وهدمت الأبواب الرئيسية والسور وبنيت مكانها أبواب كونكريتية على شكل أطواق وبنى سور جميل مطعم جداره بالكاشى ذى الورود ونقش الحرم جدرانه وسقوفه وقبابه وكذلك الأروقة بفن عربى إسلامى مغربى بنقوش جصية على شكل ورود وأزهار ذات بهجة تدهش الناظرين إليها ونقشت قبة الضريح كذلك وبلطت جدرانها بالمرمر الأردنى وبلطت قبة الحرم من الخارج بالكاشانى الجميل .

وفى عام ١٣٨٩ عصر يوم المولد النبوى وضع حجر الأساس لإعادة الأبواب الرئيسية المغلقة فى العهد القاسمى المنقرض نيابة عن السيد رئيس الجمهورية باحتفال مشهود ثم عدل عن فتحها فى محلها إلى محل آخر.

عام ١٩٧١ :

بالنظر للتوسع الذى طرأ على منطقة الأعظمية عمرانا ونفوسا أصبح الجامع لا يسع المصلين أيام الأعياد والجمع الرمضانية ويضيق بالاحتفالات والمناسبات الدينية . ومن هذا الشعور أمر السيد رئيس الجمهورية بتوسعته توسعه تكون على شكل الجامع القائم ففى عام ١٩٦٨ اشتريت بعض الدور المجاورة من جهة الغرب والسوق القديم والزقاق وأدمجت أرضها مع أرض الجامع لتنفيذ هذا المشروع ثم صممت له خارطة على نمط هندسة الجامع الحالى . وفى ١٨ تموز فى عام ١٩٧١ أجرى احتفال مشهود لوضع حجر الأساس لهذا المشروع الضخم ...

وتضمن المشروع بناء حرم ورواقين وقاعات تحتها سرداب كبير مساحته ١٠٤٠ م^2 وطارمة أمامية ومنارة وقبة موازية لقبة المرقد تكون مكتبة تضم الكتب التى كانت قديما فى الجامع (يأتى الكلام على المكتبة فيما بعد) وعدة غرف ذات طابقين من جهة الغرب يكون هيكل البناء كونكريت مسلح وتجديد الأبواب والسور وبناء الكلية بناء جديدا ونقش البناء الجديد وزيادة بابين كبيرين للجامع ونُقش الرواقان والحرم على نمط نقش البناء القائم إلا أنه بأيد عراقية وبنى باب كبير فخم مكان الباب القديم أقيم هيكله بالكونكريت المسلح وغلف بالطابوق المحفور نقشا على شكل أزهار وورود ذات بهجة تسر الناظرين إليها جاءت آية فى الفن المعمارى وتحفة فنية ذات ثلاثة مداخل توجت بالآيات القرآنية ﴿ **الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٤].

وعلى الجانبين لوحتان مستطيلتان بنيتا بالطابوق المحفور فنا على شكل ورود وأزهار داخلها لوحة كاشانية خط عليها قوله تبارك وتعالى ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** ﴾ وبنى سياج جميل على شكل أطواق بالطابوق المحفور نقشا وفنا توج بأسماء الله الحسنى كتبت على ألواح كاشانية بخط جميل وجعل للجامع أربعة أبواب بلغت مساحته العمومية مع الكلية قرابة من ٨ آلاف متر مربع تقريبا ومقدار الأرض التى ضمت إلى الجامع بهذه التوسعة يبلغ حوالى ١٠ آلاف متر مربع تقريبا (جامع الإمام الأعظم / ٧٠ ـ ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ـ ٨١) .

ويتحدث الأستاذ وليد الأعظمى الخطاط عن مكتبة المشهد والكلية فيقول :

منذ أن حول مرقد الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، إلى مشهد ، وكثر تردد الزوار والعلماء إليه ، عند بداية القرن الثالث الهجرى ، وصار العلماء يعقدون حلقات العلم والمناظرة فى المشهد ، ثم أخذ المشهد بالتوسع من قبل القضاة والمحسنين ، حتى بنى فيه أحد الحجاج الأتراك صُفَّة للعلماء فى سنة ٣٧٥هـ .

ونفهم من هذا أن نواة المكتبة بدأت مع حلقات العلماء ، ثم أخذت بالنمو والزيادة ، وصار العلماء يقفون كتبهم على المشهد ليفيد منها العلماء وطلاب العلم .

وتذكر لنا كتب التاريخ أن الطبيب العالم الخطاط يحيى ابن عيسى بن جزلة المتوفى فى سنة ٤٩٣ هـ قد وقف كتبه كلها على مشهد الإمام أبى حنيفة فى حياته .

وإذا قرأت ترجمة هذا العالم الجليل تتضح لك قيمة كتبه وعددها وأهميتها .

وكذلك فعل العالم الكبير والمفسر الشهير جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

قال الزمخشري عند رحلته إلى مكة المكرمة لمجاورة بيت الله الحرام : « ... وأما ما طلب عندى ، وخطب إلى من العلوم والدرايات ، والسماعات والروايات ، فبنات خلعت على تربيتهن الشباب ، ثم دفنتهن وحثوت عليهن التراب ، وذلك حين آثرت الطريقة الأويسية على بنيات الطرائق ، وأخذت نفسى برفض الحجب والعوائق ، ونقلت كتبى كلها إلى مشهد الإمام أبى حنيفة رحمه الله ، فوقفتها ، وأصفرتُ منها يدى إلا دفترًا واحداً ، تركته تميمة فى عضدى ، وهو كتاب الله المبين . والحبل المتين .

ولك أن تتصور ضخامة مكتبة الإمام الزمخشري ، وما كانت تحتويه من الكتب المهمة فى مقاصدها وأغراضها .

وفى كتب التاريخ إشارات إلى هذه المكتبة ، وإلى بعض الذين تولوا الإشراف عليها . ومنهم الفقيه الكبير عبد العزيز ابن على بن أبى سعيد الخوارزمى المتوفى بعد سنة ٥٦٨ هـ ، قدم من خراسان وسكن بغداد ، وكان يقيم فى مشهد الإمام أبى حنيفة ، ويتولى خزانة الكتب فيه . وكذلك الشيخ ابن الأهوازى المتوفى فجأة سنة ٥٦٩هـ . وقد ذكر ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ أنه رأى ثبت كتب مشهد الإمام أبى حنيفة .

ومن المناسب أن نذكر جانبا من (التوقيع) الصادر فى عهد الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ هـ المتضمن توجيه التدريس فى مشهد الإمام أبى حنيفة إلى العالم الشيخ ضياء الدين أحمد بن مسعود التركستانى المتوفى سنة ٦١٠ هـ جاء فيه ما يخص المكتبة : « ... ويثبّت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها ، معارضا ذلك بفهرسته متطلبا ما عساه قد شذ منها ، وليأمر خازنها بعد استصلاحه بمراعاتها ، ونفضها فى كل وقت ، ومرمة شعثها ، وإن لا يخرج شيئا منها إلا إلى ذى أمانة مستظهرا بالرهن عن ذلك ... » (صيد الخاطر لابن الجوزى ـ تحقيق الشيخ محمد الغزالى . القاهرة ، مطبعة السعادة / ٤٤٠) .

ولا بد أن يكون قد أصاب المكتبة فى واقعة هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ما أصاب دور العلم والمدارس والمؤسسات الثقافية من العبث والحرق والإتلاف .

ومما لا شك فيه أن يحاول بعض العلماء الاحتفاظ ببعض الكتب وإخفاءها حرصا عليها فى مثل هذه الجوائح .

وقد ذكر محمد بن يعقوب الفيروزابادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٧هـ أنه رأى نسخة من الكشاف للزمخشري بخط المؤلف بمدينة السلام مختبئة فى تربة الإمام أبى حنيفة ، خالية عن أثر كشط وإصلاح .

ثم بدأت المكتبة بالنمو والازدهار حتى عادت روضة يانعة ، فأصابتها نكبة أخرى على أيدى الفرس الصفويين ، لا تقل عن سابقتها خسارة ، ولم يعد لها ذكر ولا خبر .

وبدأت المكتبة تزدهر فى عهد الإمام الشيخ عبد الله السويدى المتوفى سنة ١١٧٤هـ مدرس شهد الإمام أبى حنيفة ، ومن بعده العلامة الشيخ عبد الله الآلوسى المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ والد الإمام المفسر أبى الثناء الآلوسى (انظر : الآلوسى (أبو الثناء) م١/ ٥٥٤ ـ ٥٦١) ...

وفى سنة ١٩٢٩ أمرت وزارة الأوقاف بنقل المكتبة إلى المكتبة العامة التى أنشأتها وزارة الأوقاف ...

ثم بدأت المكتبة تنمو من جديد ، وعين الشيخ رشيد بن أحمد أغا مشرفا عليها إلى سنة ١٩٤٦ م حيث صدر نظام كلية الشريعة وألحقت المكتبة بالكلية وأصبحت خاصة بها ...

وما زالت ملحقة بكلية الشريعة بعد انتقالها إلى جامعة بغداد ، ولم تطالب الأوقاف بها .

وفى سنة ١٩٧٩م عند إتمام الحرم الجديد لجامع الإمام الأعظم خصص جانب منه إلى المكتبة وهى قاعة جميلة تحت القبة الثانية وأخذت وزارة الأوقاف تزودها بالمصادر والمراجع (مدرسة الإمام أبى حنيفة / ٤٣ ـ ٤٦) .

قالت المؤلفة : أسعدنا الحظ بزيارة الأعظمية والضريح الجليل يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٨٦ .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق ـ د. عيسى سلمان وزميلاته ٢/ ١٣٣ ـ ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، وجامع الإمام الأعظم ـ الشيخ هاشم الأعظمى / ٧٠ ـ ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ـ ٨١ ، ومدرسة الإمام أبى حنيفة ـ الخطاط وليد الأعظمى / ٤٣ ـ ٤٦) .

*** أبو حنيفة (مسجد وضريح ـ) :**

انظر : أبو حنيفة (جامع وضريح ـ) .

* حنين :

حُنَيْن : يجوز أن يكون تصغير الحنان ، وهو الرحمة ، تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون تصغير الحِنّ ، وهو حى من الجن ، وقال السهيلى : سمى بحنين بن قانية بن مهلائيل ، قال : وأظنه من العماليق ؛ حكاه عن أبى عبيد البكرى ، وهو اليوم الذى ذكره جل وعز فى كتابه الكريم : وهو قريب من مكة ، وقيل : هو واد قبل الطائف ، وقيل : واد بجنب ذى المجاز ، وقال الواقدى : بينه وبين مكة ثلاث ليال ، وقيل : بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ، وهو يذكر ويؤنث ، فإن قصدت به البلد ذكّرته وصرفته كقوله عز وجل : ﴿ ويوم حنينٍ إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ [التوبة : ٢٥] وإن قصدت به البلدة والبقعة أنثته ولم تصرفه كقول الشاعر :

نصروا نبيهم وشدوا أزره
بحنينَ ، يوم تواكل الأبطال

(معجم البلدان ٢ / ٣١٣) .

فحنين هنا ممنوعة من الصرف لوجود العلمية والتأنيث ، (كما فى المختار وغيره) (الرسالة الرشادية / ٢٢) .

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

ولما دنونا من حنين ومائه
رأينا سوادا منكر اللون أخصفا
بملمومة عمياء لو قذفوا بها
شماريخ من عروى ، إذًا عاد صفصفا
ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم ،
إذا ما لقينا العارض المتكشفا
إذا ما لقينا جند آل محمد
ثمانين ألفًا ، واستمدوا بخندفا

كأنه تصغير حَنَّ عليه إذا أشفق ، وهى لغة فى أحنى ، موضع عند مكة يذكر مع الولج ؛ وقال بشر بن أبى خازم :

لعمرك ما طلابك أم عمرو ،
ولا ذكراكها إلا ولوع
أليس طلاب ما قد فات سهلا ،
وذكر المرء ما لا يستطيع ؟
أجدك ما تزال تحن هما ،
وصحبى بين أرحلهم هجوع
وسائدهم مرافق يعملات ،
عليها دون أرجلها قطوع

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣١٣ ، والرسالة الرشادية ـ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٢) .

انظر : حنين (غزوة ـ) .

* حُنَيْن (غزوة ـ) (٨ هـ) :

قال تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم** ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] وتسمى أيضا «غزوة هوازن » ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ـ ﷺ ـ ، كما تسمى أيضا « غزوة أوطاس » باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة ... و « حنين» واد إلى جنب ذى المجاز قريب من «الطائف » بينه وبين « مكة » بضعة عشر ميلا .

قال ابن كثير :

ولما بلغ فتح مكة هوازن جمعهم مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه ثقيف وقومه بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وبشر من بنى هلال بن عامر ، وقد استصحبوا معهم أنعامهم ونساءهم لئلا يفروا ، فلما تحقق ذلك دريد بن الصمة شيخ بنى جشم ـ وكانوا قد حملوه فى هودج لكبره تيمنا برأيه ـ أنكر ذلك على مالك بن عوف النصرى وهجنه ، وقال : إنها إن كانت لك لم ينفعك ذلك ، وإن كانت عليك فإن المنهزم لا يرده شىء . وحرضهم على ألا يقاتلوا إلا فى بلادهم ، فأبوا عليه ذلك واتبعوا رأى مالك بن عوف ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يغب عنى .

وبعث ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فاستعلم له خبر القوم وقصدهم ، فتهيأ رسول الله ﷺ للقائهم ، واستعار من صفوان بن أمية أدراعا ، قيل : مائة . وقيل أربعمائة . واقترض منه جملة من المال ، وسار إليهم فى العشرة آلاف الذين كانوا معه فى الفتح ، وألفين من طلقاء مكة (هم الذين شملهم عفو النبى ﷺ من أهل مكة حين قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء ») . وشهد معه صفوان بن أمية حنينا وهو

مشرك، وذلك فى شوال من هذه السنة ، واستخلف على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس، وله نحو عشرين سنة .

ومر ﷺ فى مسيره ذلك على شجرة يعظمها المشركون يقال لها ذات أنواط ، فقال بعض جهال العرب: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : « قلتم والذى نفسى بيده ـ كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، لتركبن سنن من كان قبلكم » (ذات أنواط : أنواط جمع نوط، وهو معلق كل شىء سميت الشجرة بذلك لأن كفار قريش كانوا يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها . ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوما) .

ثم نهض ﷺ فوافى حنينا ، وهو واد حدور من أودية تهامة، وقد كمنت لهم هوازن فيه ، وذلك فى عماية الصبح ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ، فولى المسلمون لا يلوى أحد على أحد، فذلك قوله تعالى : ﴿ **ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾ [التوبة : ٢٥] وذلك أن بعضهم قال : لن نُغلب اليوم من قِلَّة . وثبت رسول الله ﷺ، ولم يفر، ومعه من الصحابة : أبو بكر، وعمر ، وعلى ، وعمه العباس، وابناه : الفضل ، وقثم ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه جعفر، وآخرون . وهو ﷺ يومئذ راكب بغلته التى أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى، وهو يركضها إلى وجه العدو، والعباس آخذ بحكمتها يكفها عن التقدم ، وهو ﷺ ينوه باسمه يقول :

« أنا النبى لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب » .

ثم أمر العباس، وكان جهير الصوت، أن ينادى : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب الشجرة ، يا معشر أصحاب السمرة، فلما سمعه المسلمون وهم فارون كروا وأجابوه : لبيك ، لبيك ، وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يثنى بعيره لكثرة المنهزمين ، نزل عن بعيره وأخذ درعه فلبسها ، وأخذ سيفه وترسه ، ويرجع راجلا إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع حوله عصابة منهم نحو المائة ، استقبلوا هوازن فاجتلدوا هم وإياهم ، واشتدت الحرب، وألقى الله فى قلوب هوازن الرعب حين رجعوا ، فلم يملكوا أنفسهم ، ورماهم ﷺ بقبضة حصى بيده ، فلم يبق منهم أحد إلا ناله منها ، وفسر قوله تعالى : ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [الأنفال : ١٧] بذلك . وعندى فى ذلك نظر، لأن الآية نزلت فى قصة بدر كما تقدم .

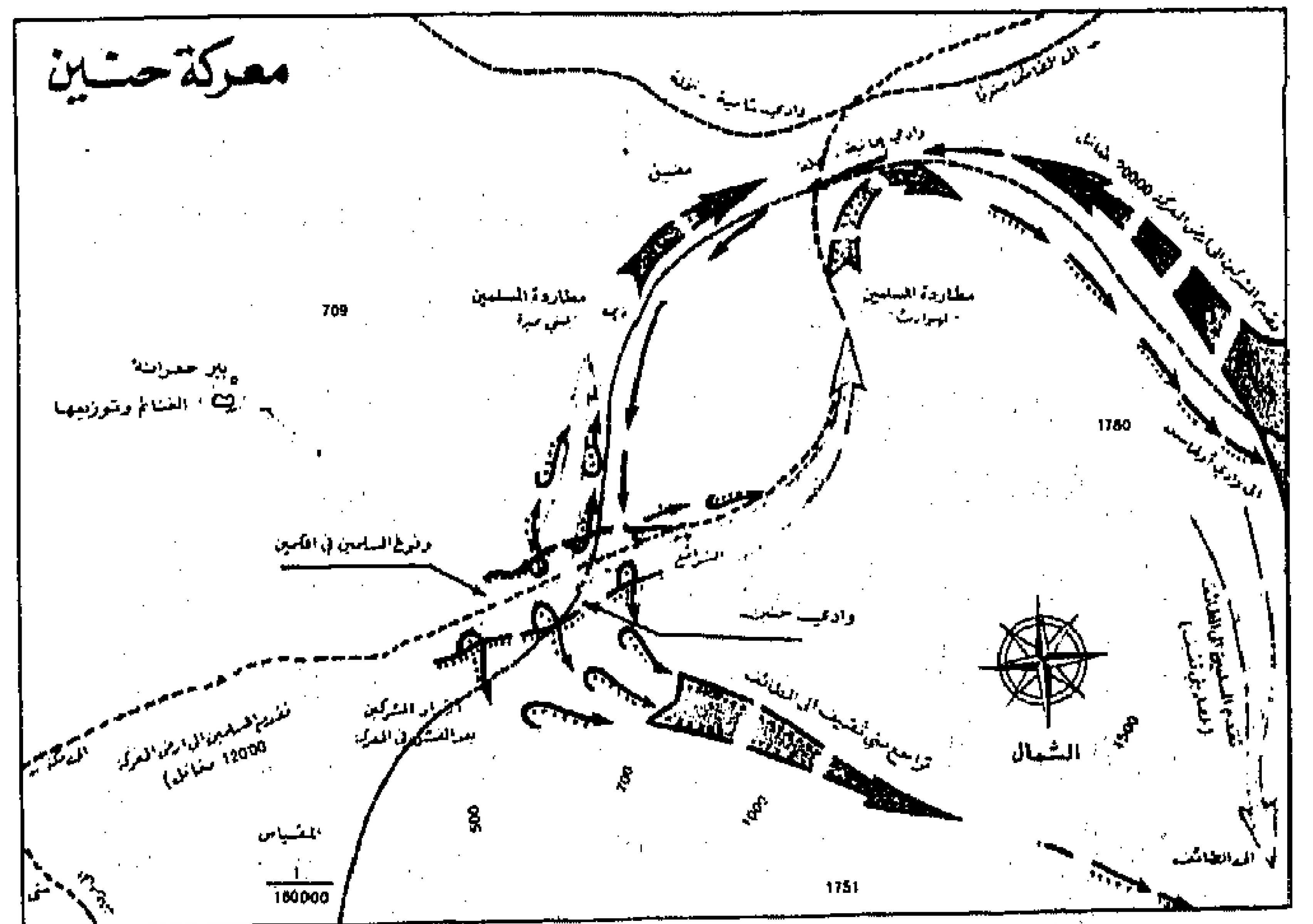
وتفر هوازن بين يدى المسلمين ، ويتبعونهم يقتلون ويأسرون، فلم يرجع آخر الصحابة إلى رسول الله ﷺ إلا والأسارى بين يديه ، وحاز ﷺ أموالهم وعيالهم .

وانحازت طوائف من هوازن إلى أوطاس، فبعث ﷺ إليهم أبا عامر الأشعرى واسمه عبيد ومعه ابن أخيه أبو موسى الأشعرى حامل راية المسلمين فى جماعة من المسلمين، فقتلوا منهم خلقا ، وقُتل أمير المسلمين أبو عامر، رماه رجل فأصاب ركبته، وكان منها حتفه، فقَتل أبو موسى قاتله، وقيل: بل أسلم قاتله بعد ذلك، وكان أحد إخوة عشرة قتل أبو عامر التسعة قبله، فالله أعلم. ولما أخبر أبو موسى رسول الله ﷺ بذلك استغفر ﷺ لأبى عامر.

وكان أبو عامر رابع أربعة استشهدوا يوم حنين، والثانى أيمن ابن أم أيمن ، والثالث يزيد بن زمعة بن الأسود، والرابع سراقة بن الحارث بن عدى من بنى العجلان من الأنصار رضى الله عنهم .

وأما المشركون فقتل منهم خلق كثير نحو الأربعين .

وفى هذه الغزوة قال ﷺ: « من قتل قتيلا فله سلبه » فى



قصة أبى قتادة رضى الله عنه (الحديث رواه البخارى فى كتاب المغازى) (الفصول / ٨٧ ـ ٨٩) .

وجاء تفصيل ما صحب هذه الغزوة من أحاديث نبوية فى تيسير الوصول على النحو التالى :

١ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا ؟ منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر » أخرجه الشيخان . (الخيف) ما انحدر عن غليظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .

٢ ـ وعن سهل بن الحنظلية رضى الله عنه قال : « سرنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين . فأطنبنا السير حتى كانت عشية . فحضرت صلاة الظهر وجاء فارس . فقال : يا رسول الله ؟ إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا . فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين . فتبسم ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله . ثم قال : من يحرسنا الليلة . فقال : أنس بن أبى مرثد الغنوى : أنا يا رسول الله . قال : اركب ، فركب فرسا له وجاء إلى رسول الله ﷺ . فقال له : استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة . فلما أصبحنا خرج ﷺ إلى مصلاه . فركع ركعتين ثم قال : هل أحسستم فارسكم؟ قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا فثوب بالصلاة فجعل ﷺ يصلى وهو يلتفت إلى الشعب ، حتى إذا قضى صلاته وسلم قال : أبشروا فقد جاء فارسكم . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر فى الشعب . فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ . فقال إننى انطلقت حتى كنت فى أعلا هذا الشعب ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ . فلما أصبحت اطلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا ، فقال له رسول الله ﷺ : هل نزلت الليلة ؟ قال : لا إلا مصليا أو قاضى حاجة . فقال له ﷺ : قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها » أخرجه أبو داود .

(جاء القوم عن بكرة أبيهم) إذا لم يتخلف منهم أحد و(ثوب بالصلاة) نادى إليها وأقامها . و (أوجب فلان) إذا فعل ما يوجب له الجنة أو النار ، والمراد هنا الجنة .

٣ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذراريهم ونعمهم ؛ ومع رسول الله ﷺ يومئذ عشرة آلاف . ومعه الطلقاء . فأدبروا عنه حتى بقى وحده . فنادى يومئذ نداءين ، لم يخلط بينهما شيئا قال : التفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار . فقالوا : لبيك يا رسول الله ، نحن معك ، أبشر ثم التفت عن يساره . فقال : يا معشر الأنصار . فقالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء . فنزل فقال : أنا عبد الله ورسوله فانهزم المشركون ، وأصاب غنائم كثيرة فقسمها بين المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار منها شيئا ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، ويعطى الغنائم غيرنا ، فبلغه ذلك فجمعهم وقال : يا معشر الأنصار ، ما شىء بلغنى عنكم؟ فسكتوا فقال : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم . قالوا : بلى يا رسول الله رضينا . فقال : ﷺ : لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار » أخرجه الشيخان والترمذى .

(الطلقاء) جميع طليق وهو الذى خلى سبيله ، وهم أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح قال ﷺ لأهل مكة يومئذ : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

٤ ـ وعن أبى إسحاق قال : « جاء رجل إلى البراء بن عازب رضى الله عنهما . فقال : أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة . فقال : أشهد على نبى الله ﷺ أنه ما ولى . ولكن انطلق أخفاء من الناس وحُسَّرًا إلى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رِجْل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضى الله عنه يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول :

أنا النبى لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

اللهم أنزل نصرك ثم صفهم قال البراء رضى الله عنه : كنا والله إذا احمر البأس نتقى برسول الله ﷺ وإن الشجاع منا للذى يحاذى به » أخرجه الشيخان والترمذى .

(الأخفاء) جمع خفيف وهو المسرع الذى ليس له شىء يعوقه . و (الحُسَّر) جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه . و(الرشق) الرمى و (الرجل من الجراد) القطعة الكبيرة

و (انكشفوا) أى انهزموا . و(البأس) الشدة والخوف . ومعنى (احمر البأس) اشتد الحرب .

٥ ـ وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : « أتى النبى ﷺ عين من المشركين وهو فى سفر فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انفتل . فقال رسول الله ﷺ : اطلبوه فاقتلوه ، فقتلته فنفلنى رسول الله ﷺ سلبه » أخرجه الشيخان وأبو داود .

٦ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال « اتخذت أم سليم خنجرا أيام حنين فكان معها . فقال لها النبى ﷺ : ما هذا يا أم سليم؟ فقالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه . فجعل ﷺ يضحك . فقالت يا رسول الله : أقتل من يعدنا من الطلقاء الذين انهزموا بك فقال رسول الله ﷺ، يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن » أخرجه مسلم وأبو داود . (البقر) الشق .

(تيسير الوصول ٣ / ٢٠٧ ـ ٢٠٩) وكانت أم سليم قد خرجت إلى الغزوة مع زوجها أبى طلحة وتأتى ترجمتها فى موضعها فى حرف السين إن شاء الله تعالى .

ويمكن تلخيص مراحل هذه الغزوة على النحو التالى : أسباب الغزوة ، تجهيز المسلمين ، سير المعركة فى شوال عام ٨ هـ ، هجوم المسلمين المقابل ، مطاردة المشركين ، خصار الطائف (ويأتى الكلام عليها فى مادة « الطائف (غزوة ـ) إن شاء الله تعالى) ، خسائر الطرفين ، توزيع الغنائم ، العودة إلى المدينة (الدروس المستفادة / ٤٩٧ ـ ٥٠٢) .

وقد أورد صاحب السيرة النبوية ما قيل من الشعر يوم حنين ننقل لك بعضه فيما يلى ، وهو من شعر الحماسة ومن الشعر التاريخى الذى يسجل الأحداث التاريخية ويؤرخ لوقائعها .

قال بجير بن أبى سلمى فى يوم حنين :

لولا الإله وعبده وليتم
حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا أقراننا
وسوابح يكبون للأذقان
من بين ساع ثوبه فى كفه
ومقطر بسنابك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا
وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم
وأذلهم بعبادة الشيطان

(الجزع : ما انعطف من الوادى . حبا اعترض . سوابح . أى خيل سوابح . وهى المسرعة يكبون : يسقطون .

مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره) .

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه
يدعون : يا لكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم
يوم العريض وبيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس :

يا خاتم النبباء إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة
فى خلقه ومحمدًا سمَّاكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم
جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلا به ذرب السلاح كأنه
لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وإنما
يبغى رضا الرحمن ثم رضاكا
أنبيك أنى قد رأيت مكره
تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طورا يعانق باليدين وتارة
يفرى الجماجم صارما بتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى
منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون أمامه
ضربا وطعنا فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم
أسد العرين أردن ثم عراكا

مـا يـرتجـون من القـريب قـرابـة
إلا لطـاعـة ربهم وهـواكـا
هـذى مشاهـدنـا التى كـانت لنـا
معـروفـة ولينـا مـولاكـا

(الذرب : الحدة . بتاك : قاطع . معنقون : مسرعون . دراك : متتابع . العراك : المدافعة) .

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفـا مجـدل من أهلـه فمتـالع
فمطـلا أريك قـد خـلا فـالمصـانع
ديـار لنـا يـا جُمل إذ جل عيشنـا
رخـى وصـرف الـدار للحى جـامع
حبيبـة ألـوت بهـا غـربة النـوى
لبيـن فهل مـاض مـن العيش راجع
فـإن تبتغى الكفـار غيـر ملـومـة
فـإنـى وزيـر للنبى وتـابع
دعـانى إليهم خيـر وفـد علمتهم
خـزيمـة والمـرار منهم وواسع
فجئنـا بـألـف من سليم عليهم
لبـوس لهم مـن نسج داود رائع
نبـايعـه بـالأخشبين وإنمـا
يـد الله بين الأخشبيـن نبـايع
فجسنـا مع المهـدى مكـة عنـوة
بأسيـافنـا والنقع كـاب وسـاطع
عـلانيـة والخيـل يغشى متـونهـا
حميم وآن مـن دم الجـوف نـاقع
ويـوم حنيـن حين سـارت هـوازن
إلينـا وضـاقت بـالنفوس الأضـالع
صبـرنـا مع الضحـاك لا يستفـزنـا
قـراع الأعـادى منهم والـوقـائع
أمـام رسـول الله يخفـق فـوقنـا
لـواء كخـذروف السحـابـة لامع
عشيـة ضحـاك بـن سفيـان معتص
بسيف رسـول الله والمـوت كـانع
نـذود أخـانـا عن أخينـا ولـو تـرى
مصـالا لكنـا الأقـربين نتـابع
ولكـن ديـن الله ديـن محمـد
رضينـا بـه ، فيـه الهـدى والشـرائع
أقـام بـه بعـد الضـلالـة أمـرنـا
وليس لأمـر حمَّـه الله دافع

(مجـدل : مكـان . متـالع : جبل . المطـلاء : الأرض السهلـة . أريك : مـوضع . المصـانـع : ما يجتمع فيهـا مـاء المطر كالأحواض . الأخشبان : جبلان بمكه . جسنا : وطئنا المهدى : نبى الهدى محمد ﷺ . كـاب : مرتفع . ساطع : متفرق . الحميم هنـا : العرق . آن : حـار ، نـاقع : كثير . خذروف السحابة : طرفها) .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصـرنـا رسـول الله من غضب لـه
بـألف كمى لا تعـد حـواسـره
حملنـا لـه فى عـامل الـرمح رايـة
يـذود بهـا فى حـومـة المـوت نـاصـره
ونحن خضبنـاهـا دمـا فهـو لـونهـا
غـداة حنين يـوم صفـوان شـاجـره
وكنـا على الإسـلام ميمنـة لـه
وكـان لنـا عقـد اللـواء وشـاهـره
وكنـا لـه دون الجنـود بطـانـة
يشـاورنـا فى أمـره ونشـاوره
دعـانـا فسمـانـا الشعـار مقـدمـا
وكنـا لـه عـونـا على من ينـاكـره
جـزى الله خيـرا من نبى محمـدا
وأيـده بـالنصـر والله نـاصـره

قال ابن هشام : أنشدنى من قـوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعض أهل العلم بـالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا فى عـامل الرمح راية » . وأنشدنى بعـد قوله :

«وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، ونحن خضبناه دما فهو لونه» .

(الحواسر : الذين لا دروع عليهم ، شاجره : خالطه بالرمح . الشعار : أصل الشعار : الثياب التي تلي الجسد . كناية عن القرب) .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من مبلغ الأقوام أن محمدا
رسول الإله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده
فأصبح قد وفى إليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديدا محمدا
يؤم بنا أمرا من الله محكما
تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا
مع الفجر فتيانا وغابا مقوما
على الخيل مشدودا علينا دروعنا
ورجلا كدفاع الآتى عرمرما
فإن سراة الحى إن كنت سائلا
سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الأنصار لا يخذلونه
أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فإن تك قد أمرت فى القوم خالدا
وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره
تصيب به فى الحق من كان أظلما
حلفت يمينا برة لمحمد
فأكملتها ألفا من الخيل ملجما
وقال نبى المؤمنين تقدموا
وحب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن
بنا الخوف إلا رغبة وتحزما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم
وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه
ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى
وكل تراه عن أخيه قد احجما
لدن غدوة حتى تركنا عشية
حنينا وقد سالت دوافعه دما
إذا شئت من كلٍّ رأيت طمرة
وفارسها يهوى ورمحا محطما
وقد أحرزت منا هوازن سربها
وحب إليها أن نخيب ونحرما

(تماروا : شكوا ، الغاب : الرماح ، الآتى : السيل . العرمرم : الكثير، من تسلما : يريد أن فى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك ، كما تقول : تقيَّس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس . أنشد سيبويه :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

يلملم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها . الأبلق : الذى يختلط لونه بالسواد والبياض . الورد : المشرب بالحمرة ، يسوَّم : يعلَّم . القطا : طائر، زفه : أسرع به . دوافع : مجارى السيل . الطمرة : الفرس السريعة . (السيرة النبوية ٤ / ٧٦ ـ ٧٩ ، ٨٣ ـ ٨٥) .

ملاحظة : الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « معارك الإسلام الكبرى » لمحمد فتحى بكوش ص ١٤٤ .

(الفصول فى سيرة الرسول ﷺ للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير / ٨٧ ـ ٨٩ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣ / ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، و « الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف » ـ اللواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الرابع السنة الخامسة والستون . ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م / ٤٩٧ ـ ٥٠٢ ، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٤ / ٧٦ ـ ٧٩ ، ٨٣ ـ ٨٥ . انظر أيضا معارك الإسلام الكبرى ـ محمد فتحى بكوش / ١٤٥ ـ ١٦٣ ، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٣٣ ، وأيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٠٤ ـ ١٢٢ ، والمنتخب من السنة . المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية . الطبعة الثانية . القاهرة ١٣٥٥هـ / ٢٩٨ - ٣٠١ ، ومحاسن الإسلام - الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى / ٩٢ - ٩٥ ، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للشيخ عبد الرزاق المناوى / ٢٠٦ - ٢٠٨) .

انظر حُنين .

*** حنين (معركة) :**

انظر : حنين (غزوة -) .

*** حنين (يوم) :**

انظر : حنين (غزوة -) .

*** حواء أم البشر :**

جاء فى طبقات ابن سعد : قال : أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله : ﴿ **وخلق منها زوجها** ﴾ ، قال : خلق حواء من قصيرى آدم ﷺ - والقصيرى الضلع الأقصر - وهو نائم ، فاستيقظ فقال : أثا ! امرأة بالنبطية . قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدى، حدثنا سفيان بن سعيد الثورى، عن أبيه ، عن مولى لابن عباس، عن ابن عباس، قال : إنما سميت حواء، لأنها أم كل حى . قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم بالهند وحواء بجدة ، فجاء فى طلبها حتى أتى جمعا ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سميت المزدلفة ، واجتمعا بجمع ، فلذلك سميت جمعا (الطبقات الكبرى ١ / ١٦) .

وقال الإمام النووى : حواء أم البشر عليها السلام مذكورة فى آخر باب ميراث العصبة من المهذب هى بالمد . قال أقضى القضاة الماوردى فى تفسيره : اختلف العلماء فى الوقت الذى خلقت فيه حواء على قولين : أحدهما قاله ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما : دخل آدم عليه السلام الجنة وحده فلما استوحش خلقت له حواء فى الجنة من ضلعه ، والثانى قاله ابن إسحاق : إنها خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ، ثم أدخلا جميعا إلى الجنة .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر الحافظ أبى القاسم أن حواء سكنت ببيت لهيا قرية معروفه من غوطة دمشق، وفيه بإسناده عن ابن عباس قال : سميت حواء لأنها أم كل شىء حى، وفيه أن حواء أهبطت من الجنة بجدة ، وفيه عن عثمان ابن الساج قال : بلغنى أن حواء ولدت لآدم أربعين ولداً فى عشرين بطنا ، وكانت تلد غلاما وجارية . وعن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أنهم قالوا : ولد لآدم فى الجنة هابيل وقابيل وأختاهما . قال ابن إسحق : بلغنى عن غير هؤلاء أنه لم يولد لآدم فى الجنة والله أعلم أى ذلك كان (تهذيب ٢ / ٣٤٠) .

(الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى . كتاب التحرير ١ حـ ١ / ١٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢ / ٣٤٠) .

*** الحَوْأب :**

قال ياقوت :

الحوأب : بالفتح ثم السكون ، وهمزة مفتوحة ، وباء موحدة؛ وأصله فى اللغة ، يقال : حافرٌ حوأب وأب صعب ، والحوأبة : العلبة الضخمة ، والحوأب : الوادى الوسيع فى هذه . والحوأب : موضع فى طريق البصرة محاذى البقرة ماءة أيضا من مياههم ، قال أبو زياد : ومن مياه أبى بكر بن كلاب الحوأب ، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهلى ، وقال نصر : الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة؛ والحوأب والعناب والحزيز : جبال سود أظنها فى ديار عوف بن عبد بن أبى بكر ابن كلاب أخى قريط بن عبد ، وقيل : سمى الحوأب بالحوأب بنت كلب بن وبرة ، وهى أم تميم وبكر المعروف بالشعيراء والغوث وهو الربيط ، وهو صوفة وثعلبة ، وهو ظاعنة وغيرهم من ولد مر بن أد بن طابخة ، وبالحوأب حصن لعبد العزيز بن زرارة الكلبى ؛ وقال أبو منصور : الحوأب موضع بئر نبحت كلابه على عائشة أم المؤمنين عند مقبلها إلى البصرة؛ ثم أنشد :

ما هى إلا شربة بالحوأب ، فصعِّدى من بعدها أو صوِّبى

وفى الحديث : أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوأب ، فقالت : إنا والله ما أرانى إلا صاحبة القصة ، فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه

ليس بالحوأب؛ وفى كتاب سيف : أن فلال يوم بزاخة الذين كانوا مع طليحة المتنبى أجمعت إلى ظفر وبها أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية ، وكانت عزيزة فى أهلها مثل أمها أم قرفة ، فنزلوا إليها فذمرتهم وأقرتهم بالحرب، وكانت أم زمل قد سبيت أيام أم قرفة فوهبت لعائشة فأعتقتها، فكانت تكون عندها ، وقد كان النبى، ﷺ، دخل عليهن فقال : إن إحداكن تستنبح كلاب أهل الحوأب، ثم رجعت سلمى إلى قومها وارتدت فيمن ارتد، فلما رجع إليها الفلال طلبت بذلك الثأر فسيرت ما بين ظفر والحوأب حتى تجمع لها خلق كثير من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطيء، فبلغ ذلك خالدا، فسار إليها واقتتل الفريقان قتالا شديدا وهى راكبة على جمل أمها حتى اجتمع على الجمل أناس من المسلمين فعقروه وقتلوها وقتلوا حولها مائة رجل، فكانوا يروون أنها التى عناها النبى، ﷺ. والحوأب فى أخبار الردة : مخلاف بالطائف. والحوأب أيضا : جبل أسود تقدم ذكره .

(معجم البلدان ٢ / ٣١٤) .

***الحواتكة :**

وصفها على باشا مبارك كما كانت فى زمانه فقال عنها :

(الحواتكة) قرية كبيرة من مديرية أسيوط بقسم منفلوط على الشاطىء الغربي للنيل فى شرقى الإبراهمية فى جنوب منفلوط بأقل من ساعة ، وأبنيتها من أحسن أبنية الأرياف، وفيها قصور مشيدة بشبابيك الزجاج والحديد لأولاد أبى محفوظ، وبها مساجد جامعة ومساجد غير جامعة ومعمل دجاج ونخيل وأشجار وجنات ، وأطيانها جامعة المحصول ويزرع فى جزيرتها الدخان البلدى والسلجم والبصل والمقاثىء خصوصا الحرش الكبير، وتكسب أهلها من الزرع ومنهم حاكة ينسجون الصوف .

وأولاد أبى محفوظ عائلة مشهورة من أجيال، ولهم أملاك كثيرة ويزرعون الألوف من الأطيان الخصبة ... إلخ .

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ١٠ / ١٨٩، ١٩٠) .

*** الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابقه:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١١١٣ .

لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن المفضل الشيبانى البغدادى المعروف بابن الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ هـ ١٣٢٣م وهو كتاب فى تأريخ العراق رتبه المؤلف على السنين تبدأ هذه النسخة بحوادث سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٨م وتنتهى بحوادث سنة ٧٠٠هـ ١٣٠٠ م نقلت هذه النسخة عن نسخة الخزانة التيمورية بالقاهرة ولم يذكر عنوان المخطوط أو اسم المؤلف . فى أولها تعليقات ليوسف اليان سركيس . والأب انستاس مارى الكرملى والدكتور مصطفى جواد ... وقد كتب يوسف اليان سركيس فى أولها أنها أهديت من أحمد تيمور بمصر إلى الأب انستاس مارى الكرملى ببغداد سنة ١٩٢١ م .

نشر الكتاب سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣٢ م ببغداد بتصحيح الدكتور مصطفى جواد (انظر المخطوطات التاريخية فى مكتبة المتحف العراقى لكوركيس عواد مجلة سومر عدد ١٣ لسنة ١٩٥٧ ص ٥٤).

القياس ٤٤٥ص　　٢٥,٥ × ٢٠,٥ سم　　١٤س

معجم المؤلفين ٥/ ٢١٥ كشف١ / ٢٧٩ فهرس المطبوعات العراقية ٢/ ٣٩٠ .

نسخة أخرى .

الرقم : ١١٦٠٦

كتبت بقلم جيد ولعلها بخط عبد الرزاق بن فليح البغدادى .

القياس ٤٠٠ص　　٢٥ × ١٨ سم　　١٩ س

نسخة أخرى :

الرقم : ١٣٧٩ .

حديثة الخط منقولة عن النسخة التيمورية .

القياس ٤٢٤ص　　٢٠,٥ × ١٤ سم　　١٨س

نسخة أخرى :

الرقم : ١٥٩٩ .

تتضمن قطعة من الكتاب تنتهى بحوادث سنة ٦٣هـ ١٢٣٢م بقلم عبد الرزاق فليح البغدادى عن نسخة الخزانة التيمورية .

القياس٦٠ص　　٢٩ × ٢٠ سم　　١٩س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٦٠ ، ١٦١) .

*** حوادث الزمان وأنباؤه:**

من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط ، وجاء بيانه كما يلي :

لشمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري الدمشقي المتوفى سنة ٧٣٩هـ ، كتب عليه الحريري بدل الجزري غلطا ، الجزء الثاني ، من نسخة بخط نسخي جيد ، من خطوط القرن التاسع تقديرًا . وهو نادر يبتدئ بحوادث سنة ٦٠٨هـ إلى سنة ٦٥٨هـ ، في ١٨٠ ورقة .

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة في المغرب مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٨٤) .

*** الحُوّاري :**

أدرجه صاحب كتاب التنوير في باب الأطعمة والأشربة وقال عنه : الحواري : ما بُلّ ، وقشر بالدق ، ثم طحن .

(كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري ـ تحقيق وفاء تقي الدين / ٥٠) .

*** حُوّارين :**

هي اليوم في محافظة حمص ، وتتبع ناحية القريتين (من كتاب معجم البلدان س ٣ ق ١ / ٣٩٠) قال عنها ياقوت :

حوارين : بالضم ، وتشديد الواو ، ويختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم من يفتحها ، وياء ساكنة ، ونون :

وحوارين : من قرى حلب معروفة .

وحوارين : حصن من ناحية حمص ؛ قال بعضهم :

يا ليلة لي بحوارين ساهرة
حتى تكلم في الصبح العصافير

وقال أحمد بن جابر : مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق إلى الشام بتدمر والقريتين ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها ، فقاتلوه وقد جاءهم مدد من أهل بعلبك ثم أتى مرج راهط ، وفي كتاب الفتوح لأبي حذيفة إسحاق بن بشير : وسار خالد بن الوليد من تدمر حتى مر بالقريتين ، وهي التي تدعى حوارين ، وهي من تدمر على مرحلتين ، وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي الرومي ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ٣ق١/ ٣٩٠، ٣٩١ ، ومعجم البلدان٢/ ٣١٥، ٣١٦) .

*** حواريو رسول الله ﷺ :**

جاء في اللسان : قال بعضهم : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم : وقال الزجاج : الحواريون خلصاء الأنبياء عليهم السلام ، وصفوتهم . قال : والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : « الزبير ابن عمتي وحواريَّ من أمتي » أي خاصتي من أصحابي وناصري . قال : وأصحاب النبي ﷺ حواريون ، وتأويل الحواريين في اللغة الذين أخلصوا ونُقُّوا من كل عيب ، وكذلك الحوارَّى من الدقيق سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، قال : وتأويله في الناس الذي قد روجع في اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب .

ابن سيده : وكل مبالغ في نصرة آخر حواري ، وخص بعضهم به أنصار الأنبياء ، عليهم السلام ، وقوله أنشده ابن دريد .

بكي بعينك واكف القطر
ابن الحواري العالي الذكر

إنما أراد ابن الحواري ، يعني بالحواري الزبير ، وعنى بابنه عبد الله بن الزبير .

وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون للبياض ، لأنهم كانوا قصارين (القصار: المبيض للثياب . المعجم الوجيز / ٥٠٤) والحواري : البياض ، وهذا أصل قوله ﷺ في الزبير : «حواري من أمتي » ، وهذا كان بدأه ، لأنهم كانوا خلصاء عيسى وأنصاره ، وأصله من التحوير التبييض ، وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب ، أي يحورونها ، وهو التبييض (اللسان ١٢ / ١٠٤٤) .

قال الشيخ الشبلنجي عن حواريي رسول الله ﷺ :

وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش وهم اثنا عشر رجلا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون والذي جمع بين النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم أجمعين . من المحاضرات للشيخ محيي الدين (نور الأبصار / ٨٦) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٥٧٤٤ ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٦) .

*** حواش على حاشية الحفيد وحاشية العبادى وحاشية عيسى على شرح مختصر التلخيص للتفتازانى :**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١٨٥

لياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن محمد العليمى الحمصى المتوفى سنة ١٠٦١ هـ ١٦٥٠ م .

كتبت بخط مغربى .

القياس ص ١٣٢   ٢٧,٥ × ٢٠ سم   س ٢٩

معجم ١٩٤٦ ، كشف ١ / ٤٧٦

(الحفيد : أحمد بن محمد بن يحيى حفيد التفتازانى المتوفى سنة ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م ، العبادى : أحمد بن قاسم العبادى المتوفى سنة ٩٩٤هـ / ١٥٨٥م ، عيسى : عيسى الصفوى الإيجى) .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ١٢٢) .

*** حواش على الكتاب الهندى فى الحساب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربيه .

تأليف عيسى بن أحمد بن يوسف .

أولها : الحمد لله الذى لم يجعل الواحد من العدد ... أما بعد ، فهذه حواش علقتها على كتاب « الهندى » المنتزع من «الكافى » وذلك على ما أشكل ... إلخ .

نسخة بقلم معتاد بخط تلميذ مؤلف الحاشية يحيى بن على بن إسماعيل بن على بن عبد القادر سنة ١٢٠٥ فى ١٥ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا تقريبا .

١٥ × ٢٠ سم

انظر هذه الحواشى مع : الكتاب الهندى .

دار الكتب المصرية ٨٤ رياضة ـ ف ١٠٣٤ .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد . القاهرة ١٩٦٠ / ٤٤) .

*** حواش لبعض العلماء على تفسير بعض الآيات :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ١٠٢٣٨ .

المؤلف : حبيب العمرى الأقسرائى .

أولها : الحمد لله الذى بين بقرآنه الكريم على رسوله آيات بينات ، وأعلى به على عباده رايات عاليات ... وبعد قال العلامة الزمخشرى فى الكشاف فى سورة الحشر فى تفسير قوله تعالى ﴿ **والذين تبوؤوا** ﴾ معطوف على المهاجرين ، وهم الأنصار ، فإن قلت : ما معنى عطف الإيمان على الدار ، ولا يقال تبوؤوا الإيمان .

آخرها : وإضافة الشح إلى النفس فى قوله تعالى ﴿ **ومن يوق شح نفسه** ﴾ لأنه صفة عزيزة مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل ، ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها ، فيما يغلب عليها ، لا يكون إلا الفلاح الفائز بكل مطلوب ، والعدل أقرب للتقوى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى ، كتبت بخط فارسى معتاد ، ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش بعض الشروح المكتوبة بخط دقيق ، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالذهب . توجد هذه الرسالة فى مجموع يحوى عددا من الرسائل فى التفسير ، المجموع مصاب بالرطوبة ، غلافه من الورق المقوى .

٦ (١٩ـ٢٤) ق   ١٧ × ١٢ م   ٢١ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣ / ٢٩٠ ، ٢٩١) .

*** حواش مقيدة على شرح الجزرية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٠٥٧٧ .

المؤلف : حسن بن على بن أحمد بن عبد الله المنطاوى الشافعى الشهير بالمدابغى المتوفى سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦م

فاتحة المخطوط : الحمد لله الذى أولع قلوب العارفين بتلاوة كتابه وجعلهم مجودين واقفين عند حدوده ... وبعد فيقول راجى عفو ربه المنان عبد الرحمن النحراوى ، قد حملنى أستاذى عطية الله الأجهورى على تبييض ما لخصه شيخنا المدابغى من حاشية الشبراملسى على شرح الجزرية لشيخ الإسلام وأن أدخل فيه ما كتبه بالهامش فامتثلت قوله المأمون فجاء بحمد الله كالجوهر المكنون ...

خاتمة المخطوط : المحمود الاختيارى حقيقة أو حكما ، فدخل : نحو صفات الله تعالى من حيث إنها مبدأ للأفعال الاختيارية على جهة التبجيل بالإضافة البيانية أى على جهة هى التبجيل أى التعظيم ، قاله النور الحلبى فى شرح الكلام على البسملة .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى مخرومة الآخر كتبت بخط معتاد بالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش الكثير من الشروح المختلفة ، أصيبت النسخة بالرطوبة فى بعض أوراقها دون أن تتأثر الكتابة فيها ، أما غلافها فهو من الورق .

١٢ ق ١٥ × ٢٢ م ٢٣ س

المصادر : عجائب الآثار ١/ ٢٠٩، فهرس الفهارس ٢/ ٥ ، هدية العارفين ١/ ٢٩٨ ، فهرس التيمورية ٣/ ٢٧٤، بروكلمان: الذيل ٢/ ٤٥٥ ، معجم المطبوعات/ ١٧١٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن الكريم ـ المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١/ ١٥٨، ١٥٩) .

*** الحواشى الأزهرية فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

الرقم : ٤٤٨٨ .

المؤلف : زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الجرجاوى الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥ هـ .

فاتحة الكتاب : يقول الفقير إلى عفو ربه الغنى خالد بن عبد الله الأزهرى رحمه الله تعالى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ووعد من تلاه وعمل به جزيل الثواب ...

أما بعد : فإن أولىَ ما تصرف فيه الهمم العوالى كلام الكبير المتعالى ، وأهم ما يبدأ به تجويد حروفه وتحسين ألفاظه ومعرفة وقوفه ، وما يتبع ذلك مما يحتاج إليه المنقول وكيفية الوقوف على المقطوع والموصول، وتتميم معرفة وجوب الإظهار والإدغام وأحكام النون الساكنة والتنوين والروم والإشمام .

خاتمة الرسالة : التقصى : الانتهاء شيئا فشيئا . والنظم : جمع الأشياء على هيئة مناسبة . وقوله : مقدمة أى تحفة وهدية ، وختمها بالحمد والصلاة لتكون ميمونة الافتتاح والاختتام والحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله رب العالمين . تم الكتاب ولله الحمد بعون الملك الوهاب فى الواحد والعشرين يوما خلون من شهر رجب الفرد سنة ١١٦٦ .

أوصاف المخطوط : الرسالة من مكتوبات القرن الثانى عشر الهجرى ، وقد كتبت بخط نسخى معتاد ، أبيات الأصل والفصول مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر. على الهوامش بعض التصويبات والشروح . أصيبت النسخة بالرطوبة فى أعالى الأوراق، وهى موجودة فى مجموع يحوى عددا كبيرا من الرسائل المختلفة فى مواضيع متعددة أغلبها فى علوم القرآن والقراءات والتجويد . أولها : الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاوى صاحب الكشاف لمحمد بن يوسف الشامى وآخرها القول المفيد فى حل بعض مشكلات من القرآن المجيد لأحمد بن سليمان الخالدى، المجموع مكتوب بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة ، وهو بحاجة إلى ترميم .

١٥ (٨٣ ـ ٩٧) ق ٢١ × ١٥ م ٢٥ س

المصادر : الضوء اللامع : ٣/ ١٧١ ، شذرات الذهب: ٨/ ٢٦، الكواكب السائرة : ١/ ١٨٨، كشف الظنون : ١/ ١٢٤، إيضاح المكنون : ١/ ١١٨، بروكلمان الذيل : ٢/ ٢٢ .

نسخة ثانية :

الرقم : ٥٦٠٦ .

خاتمة المخطوط : والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، قال المؤلف : هذا الشرح للشيخ خالد الوقاد الأزهرى تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته إنه على ما يشاء قدير ...

وكان الفراغ من كتابته نهار السبت المبارك أوائل شهر ربيع الأول الذى هو من شهور سنة ٩٦٤ هـ .

أوصاف الكتاب والمجموع : المخطوط من مكتوبات القرن العاشر الهجرى وقد أصابت الرطوبة أعالى الأوراق فيه فتأثرت الكتابة بذلك كتب بخط نسخى معتاد مشكول، أبيات الأصل والفصول ، ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، النسخة مخرومة مقدار ورقة واحدة وقد عوضت بخط مختلف عن الأصل ، . وهى موجودة فى مجموع يحوى - الفوائد الجلية شرح المقدمة الجزرية لعلاء الدين الطرابلسى ... على الورقة الأولى قيد تملك باسم محمد سعيد ابن محمد السمان، وبعض الفوائد . المجموع بحالة حسنة .

٣٥ (١٨ق - ٥١)   ٢١م × ١٥   ١٥س

- نسخة ثالثة :

الرقم : ٨٤٧٥

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، أصيبت بالرطوبة فى جميع أوراقها وقد رممت جميعا ، كتبت بخط نسخى معتاد وبالمداد الأسود ، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر .

النسخة فى مجموع يحوى الأنوار البهية شرح المقدمة الميدانية لخليل بن حسن التاجى، وهى فى علم التجويد ، على الورقة الأولى قيد مطالعة لعبد الله أبى سالم يوسف ، وعلى الورقة الأخيرة فائدة فى أقسام التنوين ، ثم منظومة فى ظاءات القرآن العظيم .

٢٧ (٢٥ق - ٥١)   ٢٢م × ١٦   ١٩س

- نسخة رابعة :

الرقم : ١٠٥٨١

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى صغير وبالمداد الأسود ، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر ، أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف ، وقد رممت قديما ، على الورقة الأولى قيد تملك باسم محيى الدين بن العطار تاريخه رجب ١٢٢١ هـ وقيد آخر مطموس ظهر فيه كلمة الحفار تاريخه سنة ١٢٨٠ هـ بالإضافة إلى حديث شريف مروى عن ابن عساكر .

على الورقة الأخيرة أربعة أبيات فى وصف جامع يلبغا، ثم قصيدة ميمية فى الغزل . أوراق النسخة جافة وغلافها عادى .

١٩ق   ٩م × ١٤   ١٧س

- نسخة خامسة :

الرقم : ٨٠١١

خاتمة المخطوط : وافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة أربع وخمسين وماية وألف على يد الفقير الحقير عبد الواحد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن سراج الدين سنة ١١٥٤هـ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط ردىء . المقدمة مكتوبة بالمداد الأحمر، والشرح بالمداد الأسود النسخة فى مجموع يحوى فوائد فى أصول الدين ، ثم رسالة فى صفات الحروف ، ثم المقدمة الجزرية وأخيرا مرشدة المشتغلين فى أحكام النون الساكنة والتنوين لمحمد ناصر الدين الطبلاوى .

المجموع مفروط الأوراق مصاب بالرطوبة يحتاج إلى صيانة .

٣٨ (١٠٠م - ١٣٧)   ١٦ × ١١م   ١٧س

(فهرس الظاهرية ١ / ١٥٠ - ١٥٤) .

توجد نسخة فى الخزانة الطلسية بحلب ضمن مجموع فيه التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى .

قالت المؤلفة : وجاء فيها خطأ أن وفاة الشيخ الأزهرى سنة ٨٠٥ هـ والصحيح ٩٠٥ هـ كما ورد العنوان بدون كلمة «ألفاظ» .

والنسخة حسنة الخط بقلم كاتب التيسير . وقد طبعت الحاشية مرات بمصر انظر كشف الظنون ص٣٠٣ . مقياسه : ١٦ × ٢٠ (المنتخب ق٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . القرآن الكريم . المصاحف - التجويد - القراءات - وضعه صلاح محمد الخيمى ١ / ١٥٠ - ١٥٤ ، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤ / ٣٢١ ، ٣٢٢) .

*** حواشى عبد اللطيف البغدادى على القانون :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب .

يوجد مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية .

وهو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ .

أوله : إنه لا يعرف مشاق الأعمال إلا من كان لـه مشاركة فيها .

وآخره : وقد سبق ذكرها فى المعاجين ... آخر ما كتب على القانون .

نسخة بقلم نسخى ٦١٦ هـ .

٩٠ صفحة　　　٢١ سطرا .

[الرضوية ـ مشهد ـ إيران ٥٠٧٥]

(فهرست المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب . الكتاب الثانى . القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٨٥)

*** الحواشى الكبرى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦١٧ ـ تفسير ٢٤٢ .

المؤلف : مصلح الدين مصطفى بن شعبان الكليبولى الرومى الحنفى المعروف بسرورى جلبى المتوفى سنة ٩٦٩ هـ

أولها : الحمد لله الذى جعلنى كشاف القرآن ، وقاضيا بين أهل الحق وأرباب البطلان والصلاة على نبيه المبعوث على أفصح لسان وعلى آله وصحبه الذين سبقونا بالإيمان أما بعد : فيقول العبد الفقير سرورى الحقير : أردت أن أكتب تيسير تفسير القرآن وشرح تفسير القاضى بأبلغ البيان فكتبت لفظ القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا فى المسطر وفسرت القرآن بالمداد الأحمر وجعلت التفسير سطورا فى المسطر وفسرت القرآن فيما يحتاج إلى التبيين وبينت تفسيره بالتبيان المتين ...

آخرها : وفى الحديث : نسخت الزكاة كل صدقة . مقصود المصنف من إيراد هذا الحديث الذى هو دليل من أنكر أن لا يكون فى المال حق غير الزكاة ترجيح الاحتمالين على الثالث وقد مر الكلام المتعلق به قريبا فتذكروا الأمر الرابع من الأمور التى اعتبرها الله تعالى فى تحقيق البر والوفاء بالعهد ولهذا قال : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ عطف على من آمن لأنه من مجموع المغنى . أقول : هذا إنما يصح إذا قدر المضاف المعطوف عليه فى جانب الموضع .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى ، كتبت بمجموعة من الخطوط كلها فارسى بعضها دقيق وبعضها معتاد . ألفاظ القرآن الكريم ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش الكثير من الشروح والزيادات المختلفة . أصابتها الرطوبة فى مواضع متعددة ولكنها لا تزال بحالة حسنة .

على الأوراق الأولى بعد الغلاف قيود تملك منها : قيد باسم محمد طالبى وآخر باسم محمد المسرور وثالث باسم يحيى بن محمد الشهير بعينى زادة . ثم ترجمة مختصرة للمؤلف وذكر لبعض مؤلفاته .

٣٤٨ ق　　٢٨ × ١٦,٥ م　　٢٩ ـ ٣١ س

المصادر : العقد المنظوم : ٢/ ٢١٤ ، شذرات الذهب : ٨/ ٣٥٩ ، كشف الظنون / ١٨٩ ، هدية العارفين : ٢/ ٢٣٤ ، بروكلمان : الذيل : ٢/ ٦٥٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٩١ ، ٢٩٢) .

*** الحواشى المفهمة فى شرح المقدمة « شرح المقدمة الجزرية فى علم التجويد » :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التجويد .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم : ١٧٩ .

المؤلف : أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٨٢٧هـ . (وهو ابن ناظم المقدمة الجزرية فى علم التجويد) .

فاتحة الرسالة : الحمد لله المتعالى فى جلال قدسه ، لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، حَمْد من خَلَقَه فسواه ، موقن أنه لا رب له سواه ... وبعد : فإن أولى ما تصرف فيه الهمم العوالى كلام الله الكبير المتعالى ، وأهم ما يبدأ به قبل تلاوته تجويد حروفه وتصحيح قراءته ، وكان أنفع ما ألف فى ذلك الأرجوزة المسماة المقدمة ... نظم سيدى ووالدى .

خاتمة الرسالة : قال الإمام أبو الحسين الواحدي : الأولى ترك السلام عليه لاشتغاله بالتلاوة ، فإن سلم كفاه الرد بالإشارة، وإن ردها استأنف ثم عاد إلى التلاوة ، وهذا آخر ما قصدته من هذا الشرح .

وقد منَّ الله الكريم بما هو له أهل من الفوائد النفيسة والدقائق اللطيفة من أنواع علوم القرآن ومهماتها ، والله المحمود على ذلك وغيره من نعمه التي لا تحصى أن هداني لذلك ووفقني لجمعه ...

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة سنة خمس وأربعين ومائة وألف في بلدة جزير ... ؟

أوصاف الرسالة والمخطوط : النسخة من مكتوبات القرن الثاني عشر الهجري، وقد كتبت بخط نسخي حسن ، على الهوامش بعض التعليقات والإضافات والشروح .

توجد الرسالة في مجموع يحوي مجموعة كبيرة من الرسائل المختلفة منها : شرح معاني كلمة التوحيد لأحمد البدليسي، ورسالة الورقات في أصول الفقه ، ثم باب وقف حمزة وهشام على الهمزة، ثم مناجاة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره ... ثم مختصر الأسباب في تجويد القرآن ... وينتهي بإجازة لعبد اللطيف بن جعفر البدليسي سنة ١١٧٤هـ.

كتب المجموع بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى ترميم ...

١٩ (٥٢ - ٧٠) ق ٢٢ × ١٦,٥ م ١٦ س

المصادر :

كشف الظنون : ٢/ ١٧٩٩ ــ بروكلمان الذيل : ٢ / ٢٧٦ .

ـ نسخة ثانية .

الرقم : ٥٧٤٠ .

خاتمة المخطوط : تمت بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو ربه القدير أحمد بن محمد المنادهلي بلدا والشافعي مذهبا الأزهري الشهير بالكونسي في ثاني عشرين من شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وثمانماية ، بلغت مقابلة على نسخة كتبت منها معتمدة .

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة من القرن التاسع الهجري كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود ، أبيات الأصل ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر . على الورقة الأولى قيد تملك باسم السيد حسن المدرس بأموي حلب . على الورقة الأخيرة أرجوزة فيما خرج من الهمز عن القياس في الرسم ، النسخة مفروطة الأوراق مصابة بالرطوبة ، غلافها ممزق ، تنقص مقدار ورقة واحدة في نهاية الورقة (٩) تحتاج النسخة إلى ترميم .

٦٧ ق ١٨ × ١٣ م ١٧ س

ـ نسخة ثالثة مخرومة .

الرقم : ٦٦

خاتمة الرسالة : ونهاك عن الوقف على رؤوس الآية ، وهو سنة . وأول بالوقف على المضاف دون ما يضاف إليه من نحو «وإله» ، أو على الاسم الموصول دون صلته من نحو «والذين» . .

أوصاف الرسالة والمخطوط : نسخة ناقصة ، خرمت كبيرا بمقارنتها مع النسخة ذات الرقم ـ ٥٧٤٠ ـ كتبت بخط مغربي دقيق جدا عسير القراءة ، كتبت النسخة سنة ١٠٣١هـ، وكتبها محمد بن محمد بن علي المغربي المكناسي (ق ١٦٥) . توجد هذه النسخة في مجموع يحوي مجموعة من الكتب والرسائل في القراءات والتجويد والتصوف وجميعه بالخط المغربي ، وهو مفروط الأوراق يحتاج إلى صيانة وترميم .

٩ (١٦٥ - ١٧٣) ق ٢١,٥ × ١٥ م ٤١ س

ـ نسخة رابعة :

الرقم : ٩٥٦٩ .

خاتمة الشرح : وفرغت من تأليفه يوم الخميس من غرة شهر رمضان المعظم سنة ٨٠٦ ست وثمان ماية بمدينة رندة من معاملة قرمان من البلاد الرومية حماها الله وحرسها وعمرها ببقاء مالكها ، أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وثبت أركانه ونصر جيوشه ...

أوصاف المخطوط : نسخة قيمة وقد تكون نسخة المؤلف، خرم القسم الأول منها ومقداره تسع ورقات وعوض بخط نسخي آخر مكتوب بالمدادين الأسود والأحمر .

القسم الأصلي من الكتاب مكتوب بخط نسخي جيد، أبيات الأصل مكتوبة بالأحمر وهي مضبوطة بالشكل على الهوامش بعض الشروح القليلة، توجد هذه النسخة في مجموع يحوي: السراجية في الفرائض، وأرجوزة بالفرائض ليحيى بن أبي بكر الحنفي، ونصيحة الأحباب في لبس فروة السنجاب لنجم الدين محمد بن عبد الله ابن قاضي عجلون ورسالة تتعلق بالفرق بين الحياة المستقرة والحياة المستمرة.

كتب المجموع بخطوط مختلفة وقد أصيب بالرطوبة ورممت بعض أوراقه مع غلافه قديما.

٣٦ ق ١٨ × ١٣ م ٢٥ س

ـ نسخة خامسة:

الرقم: ٦٤٦٢.

خاتمة المخطوط: وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الخميس خامس عشرين من ربيع الأول من شهور سنة ٩٨٧ على يد العبد الفقير إسماعيل بن خليل ...

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجري كتبت بخط معتاد وبالمداد الأسود. أبيات المقدمة مكتوبة بالمداد الأحمر على الورقة الأولى مجموعة من الفوائد المختلفة على الهامش في الورقة الأولى (ب) قيد وقف باسم الشيخ محمد عاشور البخاري في البدرعية، وعلى الورقة الأخيرة قيد مطالعة باسم محمد بن الشيخ عبد الله سبط أبي أيوب الأنصاري وقيد آخر باسم رمضان الوطيفي. الكتاب بحالة حسنة رغم جفاف أوراقه.

١٧ ق ٢٠ × ١٥ م ١٤ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم ـ المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمي ١ / ١٥٤ ـ ١٥٨).

* **الحوالة:**

الحوالة: تحويل الدين من ذمة إلى ذمة، كأن يكون لرجل على شخص دين، وعليه لآخر دين مماثل ... فيقول له: أحلتك على فلان؛ فلي عليه دين فخذه منه فمتى رضي المحال، بريء من ذمة المحيل. (مختصر الأحكام الفقهية / ١٥٩).

والحواله بفتح الحاء وقد تكسر.

يقول فضيلة الشيخ السيد سابق: الحوالة مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال، والمقصود بها هنا نقل الدين من ذمة المحيل إلى ذمة المحال عليه.

وهي تقتضي وجود محيل ومحال ومحال عليه.

فالمحيل هو المدين، والمحال هو الدائن، والمحال عليه هو الذي يقوم بقضاء الدين. والحوالة تصرف من التصرفات التي لا تحتاج إلى إيجاب وقبول، وتصح بكل ما يدل عليها كأحلتك وأتبعتك بدينك على فلان ونحو ذلك.

مشروعيتها:

قد شرعها الإسلام وأجازها للحاجة إليها.

روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع» (المطل في الأصل المد، والمراد به هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر. والغني: هنا القادر على الأداء ولو كان فقيرا. والمليء: الغني المقتدر).

ففي هذا الحديث أمر الرسول ﷺ الدائن إذا أحاله المدين على غني مليء قادر أن يقبل الإحالة، وأن يتبع الذي أحيل عليه بالمطالبة حتى يستوفي حقه.

هل الأمر للوجوب أو الندب؟

ذهب الكثير من الحنابلة وابن جرير وأبو ثور والظاهرية:

إلى أنه يجب على الدائن قبول الإحالة على المليء عملاً بهذا الأمر.

وقال الجمهور: إن الأمر للاستحباب.

شروط صحتها:

ويشترط لصحة الحوالة الشروط الآتية:

رضا المحيل والمحال دون المحال عليه استدلالا بالحديث المتقدم، فقد ذكرهما الرسول ﷺ. ولأن المحيل له أن يقضي الدين الذي عليه من أي جهة أراد. ولأن المحال حقه في ذمة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه.

وقيل: لا يشترط رضاه لأن المحال يجب عليه قبولها لقوله ﷺ: إذا أحيل أحدكم على مليء فليتبع. ولأن له أن يستوفي حقه سواء أكان من المحيل نفسه أو ممن قام مقامه.

وأما عدم اشتراط رضا المحال عليه فلأن الرسول لم يذكره في الحديث ولأن الدائن أقام المحال مقام نفسه في استيفاء حقه فلا يحتاج إلى رضا من عليه الحق . وعند الحنفية والإصطخري من الشافعية اشتراط رضاه أيضا .

٢ ـ تماثل الحقين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة ، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهبا وأحاله ليأخذ بدله فضة .

وكذلك إذا كان الدين حالاً وأحاله ليقبضه مؤجلاً أو العكس .

وكذلك لا تصح الحوالة إذا اختلف الحقان من حيث الجودة والرداءة أو كان أحدهما أكثر من الآخر.

٣ـ استقرار الدين ، فلو أحاله على موظف لم يستوف أجره بعد فإن الحوالة لا تصح .

٤ـ أن يكون كل من الحقين معلوماً .

هل تبرأ ذمة المحيل بالحوالة؟

إذا صحت الحوالة برئت ذمة المحيل ، فإذا أفلس المحال عليه أو جحد الحوالة أو مات لم يرجع المحال على المحيل بشيء .

وهذا هو ما ذهب إليه جماهير العلماء .

إلا أن المالكية قالوا : إلا أن يكون المحيل غرَّ المحال فأحاله على عديم قال مالك في الموطأ :

«الأمر عندنا في الرجل يحيل الرجل على الرجل بدين له عليه ، إن أفلس الذى أحيل عليه أو مات ولم يدع وفاء فليس للمحتال على الذى أحاله شيء وأنه لا يرجع على صاحبه الأول» .

قال : «وهذا الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا» .

وقال أبو حنيفة وشريح وعثمان البتي وغيرهم :

يرجع صاحب الدين إذا مات المحال عليه مفلساً أو جحد الحوالة (فقه السنة م٣ج ١١/ ٣٣٣ـ٣٣٥) .

ونسوق فيما يلي بعض المسائل التى يجيب عنها الحافظ السيوطي :

مسألة ـ رجل أحال رجلا بدين له على آخر ثم تقايلا أحكام الحوالة ومات المحتال فادعى وارثه على المحال عليه بالمبلغ المحال به وقبضه منه فهل له الرجوع؟ .

الجواب ـ المنقول عن الرافعي أنه جزم بعدم صحة الإقالة في الحوالة وإن كان البلقيني حكى عن الخوارزمي فيها خلافا وصحح الجواز فعلى ما جزم به الرافعي يكون ما قبضة وارث المحتال من المحال عليه صحيحا واقعا موقعه ولا رجوع عليه .

مسألة ـ شخص له على آخر دين به ضمان أحال به شخصا على ذمة الأصيل والضامن فهل الحوالة صحيحة أم لا؟ وإذا صحت فهل يطالب الأصيل على انفراده أو هما معا؟ .

الجواب ـ هذه الحوالة باطلة فان الرافعي . والنووي حكيا في صحتها وجهين ولم يرجحا شيئا وصحح البلقيني البطلان ووجهه كما قال في الروضة أن صاحب الدين كان له مطالبة واحد فلا يستفيد بالحوالة زيادة صفة .

مسألة ـ رجل له على رجل دين فمات الدائن وله ورثة فأخذ الأوصياء من المدين بعض الدين وأحالهم على آخر بالباقي فقبلوا الحوالة وضمنوا آخر فمات المحال عليه فهل لهم الرجوع على المحيل أم لا ؟ .

الجواب ـ يطالبون الضامن وتركة المحال عليه فإن تبين إفلاسهما بان فساد الحوالة لأنها لم تقع وفق المصلحة للأيتام فيرجعون على المحيل (الحاوى ١/ ١٠٧) .

ومن الألغاز الفقهية ما أورده ابن فرحون عن الحوالة فهو يسوق اللغز بادئا بـ« فإن قلت » ثم يورد حلّه بقوله : قلت ، وذلك على النحو التالي ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية للألغاز كما وردت في النص :

٤٥٩ـ فإن قلت : رجل أحال رَجُلاً بمائة على من له عليه مائةٌ حالَّة وذلك برضى المحيل والمحال ، واجتمع في الحوالة جميع ما ذكره من الشروط ، ثم إن المحال عليه مات ، فقيل للمحال : ارجع على الذى أحالك؟ .

قلت : هذا رجل أحال غريمه على امرأة خالعها بتلك المائة .

وفي « المتيطية» عن ابن المواز : إذا كان علي الزوج دين فأحال به على الزوجة فيما خالعها « انظر: الخلع» به فماتت قبل أن يقبض المحال دينه منها ، فإن له أن يرجع على الزوج بدينه ولم يجعل لذلك حكم الديون الثابتة في الذمة لأن ذلك من غير عوض مالي .

٤٦٠ ــ فإن قلت : رجل ثبت لـه حق فـي ذمـة رجل ولا يجـوز لصـاحب الحق أن يستحيل بـه فى ذمـة أحـد من الناس؟ .

قلت : هذا فى الصرف إذا باعه دينارا بعشرين درهما فقال المشترى : خذها من وكيلى لم يجز الصرف لانتفاء المناجزة (انظرها فى موضعها) (درة الغواص/ ٢٧٠) .

أمـا عن النظم فنسوق منـه نمـوذجين . الأول من منظومـة صفوة الزبد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان ، وقد جاء بها هذان البيتان عن شرط الحوالة :

شـــرط رضـــا المحيل والمحتـــال
لـــزوم دينيـن اتفـــاق المـــال
جنســـا وقـــدرا أجـــلا وكســـرا
بهـــا عـن الـــدين المحيل يبـــرا

وجاء الشـرح للإمـام الفشنى والإمام المنـاوى على النحو التالى :

(قـولـه رضـا المحيل والمحتـال) أى لأن للمحيل إيفـاء الحق من حيث شـاء فـلا يلـزم بجهة وحق المحتـال فى ذمـة المحيل فلا ينتقل إلا برضاه ولا يشتـرط رضا المحال عليه لأنه محل الحق والتصـرف كالعبد المبيـع ولا بد فيها مـن الصيغة نحو أحلتك على فلان بالدين الذى لك على اهـ فشنى .

(قوله جنسا) أى تصح بدراهـم على دنانير وعكسه لأنها معاوضة إرفاق كالقرض (قوله وقدرا) أى فلا يحال بتسعة على عشرة وعكسه كذلك لـذلك ويصح أن يحيل من عليه خمسة بخمسة من عشرة له على المحال عليه (قوله أجلا) أى وقدرة وحلولا وصحـة (قولـه وكسرا) أى وجـودة ورداءة وغيرهـا من سائر الصفات إلحاقا لتفاوت الوصف بتفاوت القدر اهـ مناوى .

(متن الزبد/ ٦٣ ، ٦٤) .

أما النموذج الثانى فهو من منظومة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى الموسومة بالسبل السـوية لفقه السنن المروية ، وهو خمسة أبيات جمع فيها الناظم بين الحوالة والضمان فقال :

مطـــل الغنـــى ظلـــم ومـــن علـــى ملـــى
أحـــالـــه مـــدينـــه فليحتـل
ومـن يمـت وهـــو مـــدين وحمـل
عنـــه أخـــاه دينـــه فقـــد وصـل
وتبـــرأ الـــذمـــة بـــالأداء لا
مجـــرد الضمـــان فيمـــا نقـــلا
ومـن يكـن لـــه متـــاع فقـــدا
وبعـــد بيع عينـــه قـــد وجـــدا
فهـــو بـــه أولـى ومـن يبتـــاعـــه
يـــرجـع بقيمتـــه علـى من بـــاعـــه

(مجموع/ ٦٦ ، ٦٧) .

(مختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدرى ، مراجعة د . محمد أحمد عاشور / ١٥٩ ، وفقه السنة الشيخ السيد سابق م٣ جـ ١١ / ٣٣٣ ــ ٣٣٥ ، و الحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٠٧ ، ودرة الغواص فى محاضرة الخواص لبرهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكى ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبى الأجفان وعثمان بطيخ / ٢٧٠ ، ومن الزبد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٦٣ , ٦٤ ، ومجموع : «السبل السوية لفقه السنن المروية» ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٦٦ , ٦٧ . انظر ايضا منهاج المسلم ــ أبو بكر الجزائرى / ٣٩٥، ٣٩٦ ، وعمدة الفقة لابن قدامة ــ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى ومحمد دغيليب البراق / ٥٣ ، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل / ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨١ ، ومتن الغاية والتقريب لأبى شجاع / ٣)

انظر مادة « الإحالة » فى م ٢/ ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

*** الحواميم :**

أوردنـا نبذة عن الحـواميم فى مـادة « أسماء السـور » فى م٤/ ٥١٠ ، ونفرد لها هذه المادة هنا .

الحـواميم السبـع هى : غـافـر، وفصلـت ، والشـورى، والـزخرف، والـدخان ، والجـاثيـة ، والأحقاف . وقـد وقعت الحـواميم على هـذا التـرتيب الـذى وردت بـه فى المصحف لاشتراكها فى الافتتاح بلفظ « حمٓ » ، وبـذكر « الكتاب » بعد حمٓ ، أو بوصفه كما فى الشورى .

يقـول الإمـام السيوطـى فى تناسق الـدرر عن وجـه إيـلاء الحواميم السبع عند الكلام على سورة غافر:

أقول : وجـه إيلاء الحـواميم السبع . سـورة الزمر: تـآخى المطـالع فى الافتتـاح بتنـزيـل الكتـاب وفى مصحف أبى بن كعب : أول الزمر حمٓ ، وذلك مناسبة جليلة .

ثم إن الحواميم ترتبت لاشتراكها فى الافتتاح بـ « حم » وبذكر الكتاب بعد حم، وأنها مكية، بل ورد فى الحديث أنها نزلت جملة (يعلق الأستاذ عبد القادر أحمد عطا على ذلك فى هامش(٤) بقوله : لم نعثر على هذه الرواية ولم يذكرها السيوطى فى الإتقان ولا الزركشى فى البرهان، ولا مصادر السنة الستة ، ولا مجمع الزوائد) .

يقول الإمام السيوطى : وفيها (أى الحواميم) شبه من ذوات « آلر » الست (ذوات « آلر » الست هى يونس، وهود، ويوسف، والرعد (وأولها « آلمر ») وإبراهيم ، والحجر) .

فانظر ثانية الحواميم وهى فصلت ، كيف شابهت ثانية ذوات « آلر » هود فى تغيير الأسلوب فى وصف الكتاب . وأن فى هود: ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ [٢] وفى فصلت : ﴿ **كتاب فصلت آياته** ﴾ [٢] وفى سائر ذوات «آلر» ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ (ولكن فى إبراهيم ﴿ **كتاب أنزلناه إليك** ﴾) وفى سائر الحواميم : ﴿ **تنزيل الكتاب** ﴾ أو ﴿ **والكتاب** ﴾ ولكن فى فصلت : ﴿ **تنزيل من الرحمن الرحيم** ﴾ وفى الشورى ﴿ **كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله** ﴾ [١] .

وروينا عن جابر بن زيد وابن عباس فى ترتيب نزول السور: أن الحواميم نزلت عقب الزمر، وأنها نزلت متتاليات كترتيبها فى المصحف: المؤمن، ثم السجدة، ثم الشورى، ثم الزخرف، ثم الدخان ، ثم الجاثية ، ثم الأحقاف . ولم يتخللها نزول غيرها . وتلك مناسبة جلية واضحة فى وضعها هكذا ...

وقال الكرمانى فى « العجائب » (هو كتاب لباب التفسير وعجائب التأويل) : ترتيب الحواميم السبع لما بينها من التشاكل الذى خصت به، وهو: أن كل سورة منها استفتحت بالكتاب أو وصفه، مع تفاوت المقادير فى الطول والقصر، وتشاكل الكلام فى النظام . انتهى .

قلت : وانظر إلى مناسبة ترتيبها، فإن مطلع غافر مناسب لمطلع الزمر، ومطلع فصلت التى هى ثانية الحواميم مناسب لمطلع هود، التى هى ثانية ذوات « آلر » ومطلع الزخرف مؤاخ لمطلع الدخان ، وكذا مطلع الجاثية لمطلع الأحقاف (تناسق الدرر / ١١٦، ١١٧) .

وعن الحواميم يقول الإمام النظام النيسابورى :

وأما الحواميم فإن شئت قلت هكذا وإن شئت قلت آل حم . قال ابن عباس : إن لكل شىء لبابا وإن لباب القرآن آل حم وقال الحواميم . فكأن من قال آل حم نسب السور كلها إلى حم، وهو من أسماء الله تعالى بدليل قوله ﷺ « إن بيتم الليلة فقولوا : حم « لا ينصرون » وتسمى الحواميم عرائس القرآن . عن عاصم عن زر بن حبيش الأسدى قال : قرأت على على بن أبى طالب القرآن فى المسجد الجامع بالكوفة ، فلما بلغت الحواميم قال يا زر بن حبيش عرائس القرآن ؛ فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير** ﴾ [الشورى : ٢٢] حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا زر أمّن على دعائى، ثم قال: اللهم إنى أسالك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمة من كل بر، والسلام من كل إثم، ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والخلاص من النار. يازر: إذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فإن حبيبى رسول الله ﷺ أمرنى أن أدعو بهن عند ختم القرآن(غرائب القرآن / ٣٦/ ٣٧) .

إما الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت عن الحواميم فقد أخرج الإمام السيوطى فى الجامع الصغير الأحاديث الثلاثة الآتية :

١ـ «الحواميم ديباج القرآن» رواه أبو الشيخ فى الثواب عن أنس عن الحاكم عن ابن مسعود موقوفا حديث حسن (وقد أخرجه أيضا الإمام المناوى فى« كنوز الحقائق » من رواية الديلمى فى مسند الفردوس)

٢ ـ « الحواميم روضة من رياض الجنة ». رواه ابن مردويه عن سمرة . حديث حسن .

٣ ـ «الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع، تجىء كل حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرأنى » رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن الخليل بن مرة مرسلا (الجامع الصغير ١/ ١٥٧).

(تناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١١٥ـ١١٧ ، وغرائب

القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى ـ تحقيق إبراهيم على سالم / ٣٦، ٣٧ ، والجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ١٥٧ ، وكنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق للإمام عبد الرءوف المناوى، المطبوع بذيل الجامع الصغير للإمام السيوطى ١/ ١٢٥).

*** حوانيت عاشور (مدرسة ـ) (١١٥٩ هـ / ١٧٤٦ م) :**

المدرسة التاسعة عشرة فى ترتيب المدارس فى تونس التى أحصاها الشيخ محمد بن الخوجة فى كتابه « تاريخ معالم التوحيد » ، وجاء عنها بهامش ٣١ ما يلى : مدرسة حوانيت عاشور ، وتعرف باسم المدرسة العاشورية ، تقع بنهج عاشور عدد ٦٢ بالقرب من نهج سيدى إبراهيم الرياحى ، وقد تم ترميمها فى المدة الأخيرة ، وتحويلها إلى دار للجمعيات الثقافية بإشراف وزارة الشئون الثقافية .

قال المؤلف عنها رحمه الله :

هذه المدرسة أسسها المرحوم الباشا على باى الأول بن محمد بن على تركى وهى أولى المدارس التى بناها لطلبة العلم ، وجعلها وقفا على طلبة المذهب المالكى ، ورتب بها رواية للحديث ، وخزانة للكتب ، مع أوقاف كافية للقيام بشئون المدرسة ما زالت جارية لهذا الزمان . قال فى كتاب «نزهة الأنظار » للشيخ محمود مقديش الصفاقسى (عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الهجرى ، وبعد مزاولة تعلمه بجامع الزيتونة وجامع الأزهر رجع إلى صفاقس مسقط رأسه وتفرغ للتدريس) اشتهر بكتابه « نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار » طبع فى المطبعة الحجرية بتونس (فى جزءين) سنة ١٣٢١ هـ فبنى أولا مدرسة بحوانيت عاشور من تونس ، ورتب فيها شيخنا أبا محمد سيدى عبد الله السوسى رحمه الله تعالى ، وأخرى ببئر الحجار ، وهما معا للمالكية ، ثم زاد ثالثة بالقشاشين قرب جامع الزيتونة ، وهى للحنفية ، وجعل بها تربته ، ثم زاد رابعة بالقرب منها للمالكية ، وجعل شيخها الشيخ أبا عبد الله سيدى محمد الغريانى رحمه الله تعالى ، وجعل بكل مدرسة خزانة كتب ، وجعل لها مرتبات من الخبز ، والدراهم ، إعانة لطالب العلم ...

هذا وقد تولى مشيخة هذه المدرسة فى القرن الماضى جماعة من الأفاضل ، منهم العلامة الصالح الشيخ أبو محمد حسن الشريف المفتى المالكى ، وإمام جامع الزيتونة ، والعلامة الشريف المفتى الشيخ الطاهر بن عاشور ، ومن بعده تولاها الركن المستلم بقية السلف من آل البيت الأطهار ، الشيخ أحمد الشريف ، كبير أهل الشورى المالكية وإمام جامع الزيتونة ...

وبعد تحرير النبذة المتقدمة ، وقفت بمحفوظات الدولة التونسية حرسها الله ، على وقفية هذه المدرسة ، فإذا هى تتضمن أشياء كثيرة رأيت من الفائدة نقلها هنا إتماما لما تقدم ، فمن ذلك أن هذه المدرسة كان تأسيسها في عام ١١٥٩/ ١٧٤٦م وأن عدد بيوتها المعدة لسكنى الطلبة أربعة وعشرون ، بإضافة بيت للمؤذنين ، واشترط المؤسس اختصاصها بطلبة المذهب المالكى ، كما اشترط أن يكون إمامها هو المدرس بها ، وجعل له من ربع أوقافها نصف ريال فى اليوم فى مقابلة ثلاثة دروس يومية ، فى الفقه ، والتوحيد ، والنحو ، كما يستحق ثمانية عشر ريالا في العام عن رواية صحيح البخارى في رجب وشعبان ورمضان ، وجعل لكل واحد من الطلبة سكان بيوت المدرسة ناصريين فى اليوم ، وجعل لمؤدب الكتاب التابع للمدرسة ربع ريال فى اليوم ، ولا يأخذ شيئا من الصبيان عن تعليمهم القرآن ، وجعل لكل واحد من هؤلاء الصبيان نصف ناصرى فى اليوم مع ناصرى لجميعهم لاشتراء الألواح والأقلام ، والمحابر ، وجعل لختان مائة صبى بسقيف المدرسة يوم عاشوراء من كل عام مائة وخمسة وعشرين ريالاً لاشتراء مائة سورية (سورية بمعنى «قميص» فى الاصطلاح التونسى) ، ومائة صدرية ، ومائة شاشية ، بإضافة عشرة ريالات للختان ، وخصص لختم صحيح البخارى فى رمضان خمسة وعشرين ريالا ، يعطى منها ثلاثة ريالات لراوى الحديث ، وجعل لإحياء ليلة المواسم اللإسلامية السبعة ، وهى : عاشوراء ، وليلة المعراج ، وليلة نصف شعبان ، وليلة ٢٧ رمضان ، ويوم عيد الفطر ، ويوم عرفة ، ويوم عيد الأضحى ، ستة وخمسين ريالا بحساب ثمانية ريالات لكل موسم بقصد قراءة ختمة من القرآن يهدى ثوابها للمحبس ، حبس على إمام المدرسة دارا لسكناه ، وجعل نظر المدرسة للشيخ أبى محمد عبد الله السوسى

المتقدم ذكره، ونعته(بالمدرس العالم العلامة البحر الفهامة المحقق المدقق المتضلع فى العلوم النقلية والعقلية والولى الصالح نفع الله به)، ووقف على المدرسه خزانة عامرة بالكتب اشتملت على ٥٧ مجلدا، منها عدة مصاحف، أحدها مكتوب على الرق ومزوق بالذهب فى ثمانية أجزاء، والبقية فى التفسير، والحديث، والفقه المالكى، والتوحيد، والأصول والمعانى، والبيان، والمنطق، والنحو، والسيرة النبوية، واللغة، والحساب، كل ذلك بشهادة العدلين الشيخ أبى الحسن على المنزلى، والشيخ أبى عبد الله محمد طاوس، بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام ١١٥٩ هـ / ١٦٤٦م.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة - تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى، وحمادى الساحلى / ٣١٣ - ٣١٦).

انظر الجدول الذى يضم هذه المدارس فى م١١/ ١٤٨ - ١٥٠.

* **الحوت:**

قال الله تعالى: ﴿ نسيا حوتهما ﴾ [الكهف : ٦١]، وقال تعالى: ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ [الصافات : ١٤٢] وهو السمك العظيم (المفردات / ١٣٤).

الحوت : السمكة، صغيرة كانت أو كبيرة، وجنس من الحيوانات الثدية من رتبة الحيتان (المعجم الوسيط ١/ ٢٠٤) وفى الأبيات التالية من منظومة الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون الموسومة بالشقرونية، يعدد الناظم أنواع السمك (أو الحوت) وفوائده ومضاره وطريقة أكله، وننقلها لك فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. يقول الناظم.

٢٠٥ - القول فى مزاج لحم الحوت،
وما يرى فى طبعه المنعوت

٢٠٦ - الحوت بارد المزاج، لين
بطىء هضم لحمه معفن

٢٠٧ - معطش مرطب الأبدان
يفضى لقولنج بلا توان

٢٠٨ - أما الذى يصطاد من أنهار
قذرة عفينة البخار

٢٠٩ - وما يصطاد من مياه راكده
وما اللزوجة عليه زائده

٢١٠ - فهذه أخبث حوت يؤكل
وتركها لدى الحكيم أفضل

٢١١ - وخيرها على العموم البورى
لا تهملن فضله الضرورى

٢١٢ - ودون هذا الشرغ ثم الشابل
والكل للإصلاح قالوا قابل

٢١٣ - تصلح فى الصيف لذى الصفراء
فإنها شفاؤه من داء

٢١٤ - فاغسله بالصابون خوف الضرر
ثم اطرحنه فى طبيخ الزعتر

٢١٥ - واصبر عليه ليلة واطبخه، أو
للقلى والشى اعمدن كما رووا

٢١٦ - طيبه بعد قليه بفلفل
مع سحيق مصطكى وخردل

٢١٧ - و زنجبيل مع ثقيف الخل
لتأمين العطش عند الأكل

٢١٨ - من شرب الخل عليه قتله
ونفسه أحيا بما قد فعله

٢١٩ - والعكس فى شرب المياه مثل
يقول جالينوس حبر الحكما

٢٢٠ - كل ما ملّح كالسردين
فاحذر جميع ضره المبين

٢٢١ - يحدث فى الأجسام شر داء
كوجع الجنب والاستسقاء

٢٢٢ - وطالما ما أوقع فى عرق النسا
فمن يكثر أكله فقد أسا

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣٤، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من

خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د / بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى/ ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩) .

*** الحوت (برج ـ):**

أحد البروج الاثنى عشر التى وصفها القزوينى . قال :

كوكبة السمكة وهى الحوت : وكواكبها أربعة وثلاثون فى الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان إحداهما السمكة المتقدمة وهى التى على ظهر الفرس الأعظم فى الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأةالمسلسلة، وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج . وهو من الكواكب الثابتة .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩) .

*** الحوت الجنوبى (كوكبة ـ):**

من الكواكب الثابتة . وصفها القزوينى بقوله :

كوكبة الحوت الجنوبى : وهى أحد عشر كوكبا فى الصورة على جنوبى كواكب الدالى رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب، ويسمى النير الذى على فمه الحوت .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ٣٢/ ٣٣) .

*** الحور العين:**

فى القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين﴾ [الدخان : ٥٤]

﴿متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾ [الطور : ٢٠]

﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ [الرحمن : ٧٢]

﴿وحور عين*كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة : ٢٢، ٢٣] .

قال الراغب الأصفهانى : حُور : جمع أحور وحوراء، والحور قيل ظهور قليل من البياض فى العين من بين السواد وأحورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين (المفردات/ ١٣٥) .

وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف فى معنى ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ : قرناهم بنساء بيض مخلوقات فى الجنة واسعات الأعين حسانها (كلمات القرآن/ ٣١٤) .

وجاء فى اللسان : والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لبياضهن . ومن هذا قيل لصاحب الحوارى : محور، وقول العجاج :

* بأعين محوَّراتٍ حُور *

يعنى الأعين النقيات البياض الشديدات سواد الحدق (لسان العرب ١٢ / ١٠٤٣، ١٠٤٤) .

أما عن الأحاديث النبوية فقد أخرج الإمام السيوطى فى الجامع الصغير حديثين الأول : « الحور العين خُلقن من الزعفران » من رواية ابن مردويه للخطيب عن أنس .

والحديث الثانى : « الحور العين خُلِقن من تسبيح الملائكة » من رواية ابن مردويه عن عائشة (الجامع الصغير ١/ ١٥٧) .

وجاء فى اللسان : وفى حديث صفة الجنة : « إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين » (اللسان ١٢ / ١٠٤٤) .

وقد أورد الحافظ السيوطى فى « الحاوى » مسألة على الحور العين وأجاب عنها كما يلى :

مسألة : فى حديث الطبرانى عن أم سلمة قالت : « قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله تعالى : ﴿ حورٌ عين ﴾ قال : حور بيض [عين] ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر فإن الشيخ شمس الدين السخاوى استفتى عنه فأفتى وضبطه بخطه « شقر » بالقاف وضبط الحوراء بالرفع وقال : هذه استعارة ـ يعنى أن الحوراء بمنزلة جناح النسر فى السرعة والطيران والخفة ، وأحضرت إلىَّ الفتوى التى كتب عليها بذلك فرأيت خطه بذلك .

الجواب : هذا تصحيف للحديث وتبديل لمعناه إنما لفظ الحديث « شفر الحوراء » ـ بالفاء ـ مضافاً إلى الحوراء، والمراد به هدب العين . والمقصود تشبيهه بجناح النسر فى الطول المناسب ذلك لضخامة العيون . وقد ورد التصريح بذلك فى رواية ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة حيث قال : شفر المرأة من الحور العين أطول من جناح النسر، وما قاله من عنده فى تفسير ما صحفه فى غاية الركاكة كما لا يخفى (الحاوى ٢/ ٩٤، ٩٥) .

وقد أفرد الإمام ابن القيم فى قصيدته النونية الحافلة فصلا فى صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن، ومما جاء فيه ما يلى :

فاسمع صفات عرائس الجنات
ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان

حـــور حســـان قـــد كملن خـــلائقـــا
ومحـــاسنـــا من أجمل النســـوان
حتـى يحـــار الطـــرف فى الحسن الذى
قـــد ألبست فـــالطـــرف كـــالحيـــران
ويقـــول لمـــا أن يشـــاهـــد حسنهـــا
سبحـــان معطى الحسن والإحســـان
والطـــرف يشـــرب من كئـــوس جمـــالهـــا
فتـــراه مثـل الشـــارب النشـــوان
كملـت خـــلائقهـــا وأكمـل حسنهـــا
كـــالبـــدر ليـل الست بعـــد ثمـــان
والشمس تجـــري فـى محـــاسن وجههـــا
والليـــل تحت ذوائب الأغصـــــــان
فتـــراه يعجب وهـــو مـــوضع ذاك من
ليـل وشمس كيـف يجتمعـــــــــان
فيقـــول سبحـــان الـــذى ذا صنعـــه
سبحـــان متقن صنعـــة الإنســـان
لا الليل يـــدرك شمسهـــا فتغيب عنــــ
ـــد مجيئـــه حتى الصبـــاح الثـــانى
والشمـس لا تـــأتى بطـــــــرد الليـل
بل يتصـــاحبـــان كـــلاهمـــا أخـــوان
وكـــلاهمـــا مـــرآة صـــاحبـــه إذا
مـــا شـــاء يبصـــر وجهـــه يـــريـــان
فيـــرى محـــاسن وجهـــه فـى وجههـــا
وتـــرى محـــاسنهـــا بـــه بعيـــان
حمـــر الخـــدود ثغـــورهن لآلىء
ســـود العيـــون فـــواتـــر الأجفـــان
والبـــرق يبـــدو حين يبسم ثغـــرهـــا
فيضـيء سقف القصـــر بـــالجـــدران
ولقـــد روينـــا أن بـــرقـــا ســـاطعـــا
يبـــدو فيسأل عنـــه من بجنـــان
فيقـــال هـــذا ضـــوء ثغـــر ضـــاحك
فى الجنـــة العليـــا كمـــا تـــريـــان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ٢٢٩) .

ولأحمد بن فارس بن زكريا الشيرازى أبو الحسين المتوفى سنة ٣٩٠هـ أو ٣٩٥ هـ كتاب « الحور العين » ـ حققه كمال مصطفى . مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ (الأعراب الرواة / ٣٣٠) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٣٥ ، وكلمات القرآن تفسير وبيان ـ فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف / ٣١٤ ، ولسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٥٧ ، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ٩٤ ، ٩٥ ومتن القصيدتين النونية والميمية للعلامة ابن القيم / ٢٢٩ ، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣٠) .

*** الحور والحية (كوكبة) :**

من الكواكب الثابتة . يصفها القزوينى بقوله :

كوكبة الحور والحية : أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حية ، وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة وخمسة خارجها . وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية ، وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقا شاميا والمصطفة تحت عنقه نسقا يمانيا ، ويسمى ما بين النسقين الروضة ، والكواكب التى بين النسقين فى الروضة الأغنام الذى على رأس الحور يسمى الراعى ، والذى على رأس الجاثى كلب الراعى .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٦) .

*** حوران :**

حوران : بالفتح ، يجوز أن يكون من (حار يحور حورا) ، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من النقصان بعد الزيادة .

وحوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ، ذات قرى كثيرة ومزارع وجرار ، وما زالت منازل العرب ، وذكرها فى أشعارهم كثير ، وقصبتها بصرى (انظر مادة « بصرى » فى م ٧ / ١٦٤ ـ ١٧٥ حيث بسطنا الكلام عليها) .

قال امرؤ القيس :

ولمـــا بـــدت حـــوران والآل دونهـــا
نظـــرت فلم تنظـــر بعينيك منظـــرا

(الآل : السراب . والضمير فى دونها يعود على صاحبته أسماء) .

وقال جرير:

هبت شمالا، فذكرى ما ذكرتكم
عند الصفاة التى شرقى حورانا
هل يرجعنَّ، وليس الدهر مرتجعا
عيش بها طال ما احلولى وما لانا ؟

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، قد ولى علقمة بن علاثة حوران، فقصده الحطيئة الشاعر فوصل إليه وقد انصرفوا عن قبره، فقال عند ذلك:

لعمري ! لنعم المرء من آل جعفر
بحوران أمسى أقصدته الحبائل !
لقد أقصدت جودًا ومجدًا وسؤددًا
وحلمًا أصيلاً، خالفته المجاهل
وما كان بيني، لو لقيتك سالمًا
وبين الغنى إلا ليال قلائل
فإن تحي لم أملل حياتي، وإن تمت
فما في حياتي بعد موتك طائل

وقال ثعلب في قول الحطيئة

ألا طرقت هند الهنود وصحبتي
بحوران حوران الجنود، هجود

قال: أهل الشام يسمون كل كورة جندًا، وقال: حوران الجنود أى بها جنود، ويقال: أنا من أبعدها جنودا أى بلدًا، وفتحت حوران قبل دمشق، وكان اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحا وانبثوا إلى أرض حوران جميعا وجاءهم صاحب أذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى، وقد نسب إلى حوران قوم من أهل العلم منهم: إبراهيم بن أيوب الشامى الحورانى الزاهد وكان من الصالحين، روى عن الوليد بن مسلم ومضاء بن عيسى وغيرهما.

(معجم البلدان ٢/ ٣١٧، ٣١٨).

وتحت عنوان «صفحة من تاريخ حوران» يقول عنها الشيخ محمد أحمد دهمان رحمه الله: تعد بلاد حوران أهراء مدينة دمشق فهى تمدها بالقمح الجيد من قديم الزمان، وكما تغذيها بالطعام كانت تغذيها بالعقل أيضا، فكان عدد غير قليل من رجال الثقافة والقانون والفقه فى دمشق من حوران.

وهذه المنطقة أصيلة بالعروبة أكثر من جميع مناطق هذا الإقليم، فقد نزلها الغسانيون اليمانيون قبل الفتح الإسلامى وأسسوا فيها مملكة عربية تحت حماية البيزنطيين وعاصمتها بصرى التى كانت ملجأ ومحطة للقوافل التجارية العربية القادمة من جزيرة العرب.

وكان شعراء العرب يفدون على ملوك غسان يمتدحونهم ويرجعون إلى جزيرتهم بأسنى الجوائز والتحف.

وممن نزل على غسان فامتدحهم وامتدح ملوكهم حسان ابن ثابت الأنصارى (انظر ترجمته فى م١٣ / ٥٩٨ - ٦٠٢) اليمانى الأصل شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد أمدنا فى شعره بمعلومات قيمة عن أسماء منازلهم وقراهم وبلداتهم. فمن شعره:

لمن الدار أوحشت بمعان
بين وادى اليرموك فالجمان
فالقريات من بلاس، فداريـ
ـا، فسكاء، فالقصور الدوانى
فقفا جاسم، فأودية الصُّفْـ
ـر مغنى قبائل وهجان
تلك دار العزيز بعد أنيس
وحلول عظيمة الأركان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ
ـر وحق تعاقب الأزمان

معان: مدينة فى طرق بداية الشام تلقاء الحجاز وهى اليوم من مدن شرقى الأردن داريا وبلاس وسكا: قرى فى غوطة دمشق ومرجها.

جاسم: قرية مشهورة فى حوران لا تزال باقية، خرج منها الشاعر الشهير أبو تمام حبيب بن أوس الطائى - وادى الصُّفَّر ومرج الصفَّر هما قرب شقحب، واشتهر مرج الصفر بوقعة فاصلة بين العرب والروم عند فتح الشام، كما اشتهر أيضا بوقعة فاصلة بين جيوش المماليك وجيوش التتار وطردهم عن دمشق.

وتنقسم حوران إلى منطقتين : سهلية : وتسمى فى عهدنا محافظة درعا، وجبلية وتسمى محافظة السويداء (فى رحاب دمشق / ٢٢٧، ٢٢٨) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٣١٧، ٣١٨، ومن كتاب معجم البلدان اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان س ١٩٣ / ٣٩٢ ـ ٣٩٤، وفى رحاب دمشق ـ محمد أحمد دهمان / ٢٢٧، ٢٢٨) .

*** ابن الحورانى (ـ بعد ١١١٧ هـ / ـ بعد ١٧٠٥م) :**

هو عثمان بن أحمد بن محمد بن رجب بن سويح بن سعيد السويدى (نسبه إلى السويداء عاصمة جبل العرب) الحورانى ثم الدمشقى الشاغورى .

هكذا ذكرته المصادر دون اختلاف بينها .

وقال عنه نجم الدين الغزى فى « الكواكب السائرة » .

الواعظ يوم السبت الثلاثة أشهر (رجب وشعبان ورمضان) بجامع دمشق الأموى . باشر الوعظ نيابة عن الشيخ شرف الدين الحكيم خطيب الجامع سنين ـ ثم فرغ له عنه . وكان يعظ من الكراريس بعبارة فصيحة ، وصوت جهورى، مقبول التأدية، حسن الطريقة، وكان يعظ النساء فى البيوت فيقبلن عليه ، ويفهمن وعظه؛ وكان له خط حسن، كتب كتبا كثيرة، وألف فى الوعظ وغيره مؤلفات، منها :

ـ الإرشاد إلى طريق الرشاد .

ـ وبلوغ المنى فى أسباب الغنى .

ـ والإشارات إلى أماكن الزيارات . أنجز تأليفه سنة ١١١٧ هـ .

ـ وإرشاد الطلاب إلى معاشرة الأحباب .

وكل من أتى بعد الغزى نقل عنه . وسنة ولادته غير معروفة .

وأما وفاته فقد اختلف فيها فخير الدين الزركلى ـ رحمه الله ـ فى كتابه (الأعلام) ٤/ ٢٠٣ يذكر أنه توفى بعد ١١١٧هـ استنادا على أن مؤلفه (الإشارات إلى أماكن الزيارات) أنجز سنة ١١١٧هـ. ويذكر أنه اعتمد فى تقرير ذلك على ثلاثة مصادر:

ـ معجم المطبوعات لسركيس : ٨٠٤ .

ـ فهرس المكتبة الأزهرية ٥/ ٣٢٨ .

ـ هدية العارفين للبغدادى ١/ ٦٥٦ .

ويذكر بعد أن وفاة ابن الحورانى فى هدية العارفين (سنة ألف ؟) ولكن الدكتور المنجد فى كتابه (المؤرخون الدمشقيون) صفحة ٨٥ يعترض على ما سبق قائلا : (جاء فى فهرس مخطوطات الأزهر (٥/ ٣٢٨) عند الكلام على ابن الحورانى أنه كان من علماء دمشق فى أوائل القرن الثانى عشر. فرغ من تأليف كتابه سنة ١١١٧هـ. ولكن هذا مستبعد، بدليل أن مخطوطة كتابه الموجودة فى الأزهر كتبت سنة ١٠٩٧هـ . فكيف تكتب النسخة قبل أن يكون المؤلف ألفها ؟) .

ومن ثم يذكر الدكتور المنجد أنه كان فى القرن الحادى عشر، ويستدل على ذلك بأن ابن الحورانى نقل من كتاب البصروى المتوفى سنة ١٠١٥هـ والذى ألف كتابه سنة ١٠٠٣هـ .

(الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحورانى ـ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ب ـ د، مقدمة المحقق، والأعلام للزركلى ٤/ ٢٠٣) .

*** حَوْرى :**

قال ياقوت :

حورى : قرية من قرى دجيل ببغداد؛ ينسب إليها سليم ابن عيسى بن عبد الله الحورى الزاهد صاحب أبى الحسن القزوينى الحربى، حكى عنه، وكان من الصالحين صاحب كرامات، قال هبة الله بن المحلى : حدثنى سليم بن عيسى الحورى ولم أر مثله فى معناه، يعنى فى الزهد والعبادة؛ وأبو على الحسن بن مسلم بن الحسين بن أبى الجود الفارسى ثم الحورى من هذه القرية وانتقل إلى قرية من قرى نهر عيسى يقال لها الفارسية، وكان من الزهاد، وذكر فى الفارسية .

(معجم البلدان ٢/ ٣١٨) .

*** الحَوْز:**

قال ياقوت :

الحَوْزُ : بالفتح ثم السكون، وزاى، من حزت الشىء حوزا إذا حصلته : وهى قرية من شرقى مدينة واسط قبالتها متصلة بالحزامين، وهى محلة تقابل واسطا من الجانب الشرقى ويقال له حوز برقة؛ ينسب إليها الأديب أبو الكرم خميس بن على الحوزى، حدث عن أبى القاسم عبد العزيز

ابن على الأنماطى وأبى منصور محمد النديم العكبرى وأبى القاسم على بن أحمد البسرى وغيرهم من البغداديين والواسطيين، قال أبو طاهر السلفى : كان خميس من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله ومن أهل الأدب البارع، وله من الشعر الغاية فى الجودة، وفى شيوخه كثرة، وقد علقت عنه فوائد وسألته عن رجال من الرواة فأجاب بما أثبته فى جزء ضخم وهو عندى، وقد أملى على نسبه، وهو: خميس بن على بن أحمد بن على بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه الحوزى، ومولده سنة ٤٤٧، وكان إتقانه مما يعول عليه، وفى كتاب ابن نقطة : مولده سنة ٤٤٢ فى شعبان، ومات فى شعبان أيضًا سنة ٥١٠ بواسط. والحوز أيضًا : موضع بالكوفة؛ ينسب إليه أبو على الحسن بن على بن زيد بن الهيثم الحوزى، حدث عن محمد بن الحسن النحاس، حدث عنه أبى النرمى ومحمد بن على بن ميمون؛ وابنه أبو محمد يحيى بن الحسن بن على بن زيد الحوزى، حدث عن محمد بن عبد الله بن هشام التيملى، حدث عنه أبى. والحوز أيضًا : محلة بأعلى بعقوبا، ؛ ينسب إليها أبو محمد عبد الحق بن محمود بن أبى طاهر الفراش، سمع من أبى الفتح عبيد الله بن مثاقيل، سمع منه ابن نقطة وذكره وقال : كان فقيهًا صالحًا فاضلاً.

(معجم البلدان ٢/ ٣١٨, ٣١٩).

*** الحوش (جامع —):**

قال عنه على باشا مبارك.

فى المقريزى أن الجامع بداخل قلعة الجبل بالحوش السلطانى. أنشأه الملك الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملوك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن قتل الناصر فرج انتهى. والآن قد تخرب وتعطلت شعائره.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢٠٩).

*** حوصاء:**

قال ياقوت:

حَوْصَاءُ : بالفتح، والمد؛ والحوَصُ : ضيق فى مؤخر العين، والرجل أحوص والمرأة حوصاء : موضع بين وادى القرى وتبوك، نزله رسول الله ، ﷺ، حين سار إلى تبوك، وهناك مسجد فى مكان مصلاه فى ذنب حوصاء ومسجد آخر بذى الجيفة من صدر حوصاء؛ وقال ابن إسحاق : اسم الموضع حوضا، بالضاد المعجمة والقصر، كذلك وجدته مضبوطًا بخط ابن الفرات، وقال : بنى به مسجدًا؛ قاله الحازمى.

(معجم البلدان ٢/ ٣١٩).

*** الحوض:**

جاء فى اللسان : حوض الرسول ﷺ: الذى يسقى منه أمته يوم القيامة.

حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول، ومن حوضه (اللسان ١٢/ ١٠٥١).

وجاء فى مقدمة رسالة ابن القيروانى فى« باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب الديانات » : من ذلك الإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر (مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى/ ٨).

ورد فى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبدا »[١].

وقد اختلفت الروايات فى تحديد سعته قلة وكثرة ولا تنافى لاحتمال أخباره أولا بالأقل ثم تُفضل عليه بالأكثر.

كما اختلفت الروايات فى محله فقال الجمهور محله قبل الصراط لشرب الناس منه بعد خروجهم عطاشا من القبور. وقيل بعد الصراط لأن ماءه من الكوثر لشرب الناس منه حينما يحبسون بعد الصراط للقصاص فيما بينهم ، وصح عن القرطبى أن له حوضين .

والصحيح أنه خاص بهذه الأمة، ولكل نبى حوض لأمته، والذى يشرب منه من وفى بعهده فلم يشرك ولم يرتد ولم يبدل ولم يحدث فى الدين ما لا يرضاه الله ولم يخالف جماعة المسلمين ويطرد من الشرب منه الكفار والعصاة ومن لم يؤمن بوجوده .

وأنكر المعتزلة وجود حوض بهذا المعنى وقالوا هو عبارة عن نوع من الرضوان يتفضل الله به على من يشاء من عباده، وهذا تأويل ينبو عنه لفظ الحديث.

فالحق وجوب اعتقاد أن لنبينا ﷺ حوضا مورودا، ولكون

ثبوت الحوض بالحديث لم يكفر منكره (مذكرة التوحيد ٤ / ٤٠ ، ٤١) .

يقول الإمام أبو الحسن الشعراني :

وأنكرت المعتزلة الحوض ، وقد روى عن النبى ﷺ من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه بلا خلاف ، وروى عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن عن أنس ابن مالك أنه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره ، فبلغ أنسًا فقال : لا جرم والله لأفعلن به ، قال فأتاه فقال : ما ذكرتم من الحوض؟ قال عبيد الله : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكره؟ قال « سمعت النبى ﷺ أكثر من كذا وكذا مرة يقول : ما بين طرفيه - يعنى الحوض - ما بين أيلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة ، وأن آنيته أكثر من نجوم السماء » . وروى أحمد بن حمد الله بن يونس قال : حدثنا ابن أبى زائدة عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا فرطكم على الحوض » في أخبار كثيرة (الإبانة / ١٤١) .

أما ما ورد فى صفة الحوض من الأحاديث النبوية فقد جاء فى تيسير الوصول مايلي :

١ - عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « قلت يا رسول الله : ما آنية الحوض؟ قال : والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة : من شرب منها لم يظمأ ، آخر ما عليه يشخب فى ميزابان من الجنة عرضه مثل الطول ما بين عمان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل » . أخرجه مسلم والترمذى . (يشخب) أى يسيل ويجرى .

٢ - وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن لكل نبى حوضًا ترده أمته ، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وأنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة » . أخرجه الترمذى .

٣ - وعن أنس رضى الله ، عنه قال : « سُئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال : نهر فى الجنة أعطانيه الله ، أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل . فيه طير أعناقها كأعناق الجزور . فقال عمر رضى الله عنه : إن هذه لناعمة . فقال ﷺ : آكلها أنعم منها » . أخرجه الترمذى .

٤ - وعن جندب رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض » . أخرجه الشيخان .

٥ - وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دونى . فأقول : أى رب أصحابى . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا ، سحقا لمن بدَّل بعدى » . أخرجه الشيخان .

٦ - وفى أخرى لمسلم ، عن أبى هريرة قال : « ترد أمتى على الحوض ، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله . قالوا : يا رسول الله تعرفنا ؟ قال : نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم ، تردون علىَّ غرًّا محجلين من آثار الوضوء ، ولتصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون إلىَّ . فأقول : يا رب أصحابى أصحابى؟ فيجيبنى ملك ، فيقول : وهل تدرى ما أحدثوا بعدك » .

وفى أخرى : « وإن حوضى أبعد من أيلة إلى عدن ، لهو أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل ولآنيته أكثر من عدد النجوم » .

(الفرط) المتقدم على القوم الواردين الماء . (اختلجوا) أى أخذوا بسرعة . و (سحقا) أى بُعدا .

٧ - وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض . قيل : كم كنتم يومئذ؟ قال : سبعمائة أو ثمانمائة » . أخرجه أبو داود .

٨ - وعن أنس رضى الله عنه قال : « قلت اشفع لى يا رسول الله يوم القيامة قال : أنا فاعل إن شاء الله . قلت : فأين أطلبك؟ قال : اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط . قلت : فإن لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك قال : فاطلبنى عند الحوض ، فإنى لا أخطئُ هذه الثلاثة المواطن » . أخرجه الترمذى .

(تيسير الوصول ٤ / ١٠١ ، ١٠٢) .

والحديث « إن حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن ، وأحلى من العسل ، أكاويبه عدد النجوم ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسًا الدنس ثيابا ، الذين

لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد، الذين يعطون الحق الذى عليهم ولا يعطون الذى لهم . أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير لأحمد فى مسنده، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن ثوبان وقال عنه : حديث صحيح (الجامع الصغير ١/ ٩١) .

وحديث : « الحوض » :

أخرجه الشيخان عن أنس وأسيد بن حضير وجندب وحارثة بن وهب وسهل بن سعد وعبد الله بن يزيد وابن عمرو وابن مسعود والمستورد بن شداد وأبى هريرة وأسماء بنت أبى بكر.

والبخارى عن ابن عباس .

ومسلم عن ثوبان وجابر بن سمرة وحذيفة بن اليمان وعقبة ابن عامر وأبى ذر وأبى سعيد وعائشة وأم سلمة .

وأبو عوانة عن أبى بكر الصديق .

والبيهقى فى البعث عن عمر بن الخطاب وعتبة بن عبد السلمى .

وأبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب .

والترمذى عن سمرة بن جندب .

والحاكم عن أمامة بن زيد وحمزة بن عبد المطلب وزوجه خولة بنت قيس وخباب بن الأرت وزيد بن أرقم وعائذ بن عمرو وكعب بن عجرة ولقيط بن عامر وأبى برزة .

والبزار عن بريدة .

والطبرانى عن أبى بن كعب والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد والحسن بن على وزيد بن ثابت وسلمان وأبى أمامة وأبى بكرة وأبى الدرداء وأبى مسعود .

وأبو زرعة الدمشقى فى مسند الشاميين عن سويد بن حلية .

وابن حبان عن العرباض بن سارية .

وابن أبى الدنيا عن النواس بن سمعان .

رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء » .

وأخرجه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى، وحذيفة، وثوبان وأنس ، وأبو هريرة ـ رضى الله عنهم .

قال الغمارى : زاد شقيقنا : أبا ذر وعميرا الليثى (الأزهار المتناثرة/ ٧٤ ، ٧٥) .

أما عن النظم فى المصادر التى بين أيدينا فلدينا ما يأتى :

١ ـ منظومة ابن أبى زيد القيروانى ورد بها عن الحوض هذان البيتان :

وحوضه ترده الأمة لا
يظمأ من شرب منه مسجلا
فإنما يذاد عنه كل من
بدّل أو غير سرًّا أو علن

(الفتح الربانى ١/ ٣٢) .

٢ ـ منظومة جوهرة التوحيد للإمام اللقانى حيث يقول عن الحوض :

إيماننا بحوض خير الرسل
حتم كما جاء فى النقل
ينال شربا منه أقوام وفوا
بعهدهم وقل يذاد من طغوا

ويشرح شيخ الإسلام البيجورى البيتين عن وجوب الإيمان بحوض نبينا محمد ﷺ فيقول :

وقوله : (إيماننا بحوض خير الرسل حتم) أى تصديقنا بالحوض الذى يعطاه فى الآخرة أفضل المرسلين ـ وهو محمد ﷺ ـ واجب، لكن لا يكفر من أنكره وإنما يفسق، وقد نفته المعتزلة ولذلك أشار المصنف للرد عليهم بما ذكر. وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة، وهى الأرض البيضاء كالفضة ، من شرب منه لا يظمأ أبدا ترده هذه الأمة . وقد ورد أن لكل نبى حوضا ترده أمته ، فعن الحسن مرفوعا « إن لكل نبى حوضا وهو قائم على حوضه وبيده عصا يدعو من عرفه من أمته ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعا ، وإنى لأرجو أن أكون أكثرهم تبعا » . وفى أثر أن حوضه ـ ﷺ ـ أعرض الحيضان وأكثرها واردا، وتخصيص حوض نبينا بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره لوروده بالآحاد. وقوله (كما قد جاءنا فى النقل) أى للنص الذى قد ورد إلينا فى المنقول عنه ﷺ ، ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله

عنهما « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً » .

وقد ورد تحديد الحوض بجهات مختلفة، ففي رواية لأحمد أن الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر ، وفي رواية للصحيحين ما بين صنعاء والمدينة وذلك نحو شهرين، وفي رواية ما بين مكة وأيلة وذلك نحو شهر كالأولى، وفي رواية لابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس وهو كالذى قبله، فقد تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة، فكان يخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها، ولا تنافى من حيث تقدير المسافة بنحو شهر فى بعض الروايات وبنحو شهرين فى بعض آخر، لأن الله سبحانه وتعالى تفضل عليه باتساعه شيئا فشيئا فأخبر ﷺ بالمسافة القصيرة أولا ثم أخبر بالمسافة الطويلة، والاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة كما أشار إليه النووى، وفيما أوحى الله تعالى إلى عيسى ﷺ من صفة نبينا ﷺ « له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس فيه آنية مثل عدد نجوم السماء وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها » وقوله فى هذة الرواية مثل عدد نجوم السماء لا ينافى قوله فى الرواية السابقة أكثر من نجوم السماء لاحتمال أنه أخبر أولا بأنها مثل ثم أخبر ثانيا بأنها أكثر، ومعنى كونه له لون كل شراب الجنة أن بعضه لونه أحمر وبعضه لونه أبيض وهكذا، فلا يرد أن فيه الجمع بين الأضداد وهو ممتنع، ومعنى كونه له طعم كل ثمارها أن له طعم الخوخ والموز والمشمش وغيرها فمن يشرب منه يجد طعم ثمار الجنة .

واختلف فى محله فقيل قبل الصراط، وهو قول الجمهور، وصححه بعضهم لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيردون الحوض للشرب منه، وقيل بعده وصححه بعضهم لأنه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو النهر الذى فى داخل الجنة، فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة ولو كان قبله لحالت النار بينه وبين الماء الذى ينصب فيه من الكوثر، ورد عليه أن الحوض إذا كان عند الجنة لم يحتج للشرب منه، وأجيب بأنهم يحبسون هناك لأجل المظالم التى بينهم حتى يتحللوا منها وهو المسمى بموقف القصاص. وقيل: له ﷺ حوضان: حوض قبل الصراط وحوض بعده، وصححه القرطبى، وهذا كله لا يجب اعتقاده وإنما يجب اعتقاد أنه ﷺ له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط أو بعده.

قوله (ينال شربا منه أقواما) أى يتعاطى الشرب من ذلك الحوض أقوام، والمراد بهم ما يشمل الذكور والإناث، وأحوالهم فى الشرب مختلفة : فمنهم من يشرب لدفع العطش، ومنهم من يشرب للتلذذ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة، وأطفال المسلمين ذكورهم وإناثهم حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط فى فقدهم فلا يؤذن لهم أن يسقوه. وقوله : (وفوا بعهدهم) وصف لأقوام أى وفوا لله تعالى بعهدهم وهو الميثاق الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى أى أنت ربنا، وأول من قال بلى النبى ﷺ، ومعنى وفائهم بعهدهم أنهم لم يغيروه ولم يبدلوه حتى ماتوا، وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمنى الأمم السابقة لكنه خلاف ظاهر الأحاديث من أنه لا يرده إلا مؤمنو هذه الأمة، لأن كل أمة ترد على حوض نبيها. قوله : (وقل يذاد من طغوا) أي وقل قولا باطنيا وهو الاعتقاد يُطرد عنه أقوامٌ ظلموا أنفسهم بأن غيروا وبدلوا الذى أخذه الله عليهم، فالمرتد من المطرودين، ومن أحدث فى الدين ما لا يرضاه الله تعالى، ومن خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم، والظلمة الجائرون، والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصى، وأهل الزيغ والبدع، لكن المبدل بالارتداد مخلد فى النار، والمبدل بالمعاصى فى المشيئة فإن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه، وظاهر ذلك أن جميع من ذكر لا يشرب منه أبدًا، والذى عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان: قسم يطرد حرمانا وهم الكفار فلا يشربون منه أبداً ، وقسم يطرد عقوبة له ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح . (المختار من شرح البيجورى/ ٢٢٢ـ ٢٢٥ ، وتحفة المريد/ ١١٥ ، ١١٦)

٣ ـ منظومة الشيخ أحمد بن مشرف المالكى الأحسائى على مقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى، وقد جاء فيها عن الإيمان بالحوض ما يلى :

وأن للمصطفى حـــوضًـــا مســافتـــه
مـــا بيـن صنعــا وبصــرى هكـــذا ذكــرا
أحلى من العسل الصــافى مـــذاقتـــه
وإن كيـــزانـــه مثل النجــــوم تـــرى
ولـم يــــرده ســـوى أتبــاع سنتـــه
سيمــــاهم أن يــــرى التحجيل والغـــررا
وكـم ينحــى وينفــى كـل مبتـــــدع
عن ورده ورجــــال أحـــدثـــوا الغيـــرا

(مقدمة رسالة ابن أبى زيدون القيروانى / ١٣) .

٤ ـ متن الشيبانية (الأبيات ١٨ ـ ٢٠) :

وحــــوض رســـول الله حقًّـــا أعــدّه
لــــه الله دون الـــرسل مــــاءًا مبــــردا
ويشــــرب منــــه المــؤمنــون وكـل من
سقى منـــه كأسًـــا لم يجـــد بعـــده صـــدا
أبــــاريقــــه عـــد النجــوم وعــرضــه
كبصـــرى وصنعـــا فـى المســافــة حــددا

(مجموع مهمات المتون / ٣٦) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥١ ، ومقدمة رسالة ابن أبى زيد القيروانى ونظمها للشيخ أحمد بن مشرف المالكى الأحسائى . من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . تاريخ الإيداع ١٩٧٨ / ٨ ، ١٣ ، ومذكرة التوحيد ـ حسن السيد متولى ٤ / ٤٠ ، ٤١ ، والإبانة عن أصول الديانة للإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى . دار الكتاب العربى . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م / ١٤١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٤ / ١٠١ ، ١٠٢ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٩١ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر . صفر ١٤٠٩ هـ / ٧٤ ، ٧٥ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ـ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١ / ٣٢ ، والمختار من شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى / ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى ، وبالهامش جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقانى وتقريرات لأحمد الأجهورى / ١١٥ ، ١١٦ ، ومتن الشيبانية المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٦) .

*** حَوْضاء :**

جاء فى اللسان : وفى الحديث ذكر حوضاء ، بفتح الحاء والمد ، وهو موضع بين وادى القرى وتبوك نزله سيدنا رسول الله ﷺ ، حين سار إلى تبوك ، قاله ابن إسحاق بالضاد .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٥٢) .

انظر مادة « تبوك (غزوة ـ) » فى م ٨ / ٤٦٨ ـ ٤٧٤ .

*** الحوض المرصود .**

قال عنه على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على شارع قلعة الكبش : هذا يعرف أيضا بشارع الحوض المرصود من أجل حوض كان به يعرف بالحوض المرصود ، وهو حوض من الحجر الصوان الأسود كان فى فجوة على قدره بالقرب من الكبش ، وكان معدًّا للسقى ، فلما دخلت الفرنساوية ديار مصر واستولوا عليها أخرجوه من موضعه ، وأرسلوه إلى باريز مع غيره من التحف التى أخذوها من الديار المصرية ، لكنها لم تصل إلى باريز بل فى أثناء الطريق استحوذ عليها الإنجليز وأخذوها جميعها إلى بلادهم ، وإلى الآن موجود هذا الحوض بخزانة الآثار التى بمدينة لوندرة . ويؤخذ مما حرره الفرنساوية أن طول ذلك الحوض متران وسبعة أعشار متر وكسر ، وعرضه الأمامى متر وثلاثة أعشار متر وثمانية أعشار عشر متر ، أعنى مترا وثمانية وثلاثين سنتيمترا ، وعرضه الخلفى متر وسبعة عشر سنتيمترا وثمانية أعشار عشر المتر ، وارتفاعه متر وتسعة عشر سنتيمترا واثنان من أعشار عشر المتر ، وعلى جميع أسطحته كتابة من الداخل والخارج اهـ .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ٣٢٤) .

*** الحوض المورود فى زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٤٠٠٨ .

ـ رسالة ألفها المؤلف عندما ظهر قبران عائدان للشيخ يوسف القمينى والشيخ محمود الصالحى فألف هذه الرسالة فى التعريف بهذين الوليين .

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى القادرى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م .

أولها : الحمد لله عاصم الأنبياء وحافظ الأولياء ... أما بعد فيقول ... لما يسر الله تعالى ظهور القبرين المعهودين سالفا والمعروفين عند بعض الناس لاحقا ...

آخرها : هو الشيخ محمود بن الحلوانى الصالحى وكنيته أبو الفيض وكانت العامة من أهل الصالحية ينادونه أبا بيضة ويؤذونه كما هو عادة كل قوم فى الصالحين الناشئين بينهم ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

اسم الناسخ : المؤلف عبد الغنى النابلسى .

ملاحظات : نسخة مسودة المؤلف بعض أوراقها قطع صغير بها بعض الترميم ضيع بعض كلماتها .

مصادر عن الرسالة : عقود الجوهر / ٦٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٨٧ ، ٤٨٨) .

*** الحَوْف :**

قال ياقوت : الحَوْف بالفتح ، وسكون الواو ، والفاء ... قال البخارى : الحوف بناحية عُمان . والحوف بمصر حوفان : الشرقى والغربى ، وهما متصلان ، أول الشرقى من جهة الشام ، وآخر الغربى قرب دمياط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة .

(معجم البلدان ٢ / ٣٢٢) .

*** الحَوفى :**

قال السمعانى : الحوفى : بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفى آخرها الفاء ، هذه النسبة إلى حوف ، وظنى أنها قرية بمصر حتى قرأت فى تاريخ البخارى : [الحوف] ناحية عمان ، والمشهور بالانتساب إليه هو قسيم بن أحمد بن مطير الحوفى المقرئ .

وأبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى النحوى (تلى ترجمته إن شاء الله تعالى) حدث عن ابن رشيق وغيره ، وكان عنده من تصانيف النحاس أبى جعفر المصرى قطعة كبيرة ، وسمعت المعانى له بدمشق عن أبى طالب بن أبى عقيل الصورى عن ... أبى الحسن الحوفى هذا

وأبو القاسم خلف بن أحمد بن الفضل بن جعفر بن يعقوب الحوفى الحنفى ، قال ابن ماكولا: هو شيخ لقيته بمصر ، ثقة ، سمع ابن يزيد الحلبى وأحمد بن عمر بن خرشيد قوله الأصبهانى أبا على ... وكان على مكثرا ، سمعت منه وسمع منى ، ويعرف بالزجاجى . قلت : لنا روى ببغداد أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن السمرقندى بالإجازة عنه ، وسمع منه عمر بن أبى الحسن الرواسى الحافظ ، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى الحافظ .

وجابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدى اليحمدى الحوفى ناحية عمان ، قال أبو نعيم : مات سنة ثلاث وتسعين - هكذا ذكره البخارى فى تاريخه وأثنى على أبى الشعثاء .

(الأنساب للسمعانى - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٢٩٠ انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، ١ / ٤٦٨) .

انظر : الحوفى (أبو الحسن) .

*** الحوفى (أبو الحسن) (- ٤٣٠هـ / - ١٠٣٩م):**

من علماء مصر فى النحو وهو أبو الحسن على بن إبراهيم ، وأصله من شبرا النخلة (من حوف بلبيس) بمحافظة الشرقية . ورد القاهرة فسمع من أبى بكر الأدفوى وبعض علماء المغرب الذين نزحوا إلى القاهرة ، وسرعان ما اشتهر علمه وأدبه ، فتصدر لإقراء العربية ، وصنف فى النحو «الموضح» استوفى فيه العلل والأصول . وقد لاحظ عليه ابن هشام فى مقدمة كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » فرط عنايته بإعراب الواضحات كالمبتدأ والخبر والفاعل ونائبه والجار والمجرور والعاطف والمعطوف مما لا حاجة إليه . توفى سنة ٤٣٠ هـ (نشأة النحو / ٢١٣) .

ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة وقال عنه :

الحوفى صاحب إعراب القرآن الإمام أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد . كان إماما فى العربية والنحو والأدب ، وله تصانيف كثيرة ، وهو من قرية يقال لها شبرا من أعمال الشرقية . قال فى العبر: أخذ عن الأدفوى ، وانتفع به أهل مصر

مات مستهل ذى الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة (حسن المحاضرة ١ / ٥٣٢) .

وقد ذكره الحافظ السيوطى أيضا فى طبقات المفسرين وقال عنه :

هو على بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفى ثم المصرى النحوى الأوحد .

له « تفسير » جيد، وكتاب « إعراب القرآن » فى عشر مجلدات، وكتب أخر (طبقات المفسرين / ٨٣) .

(نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٣، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ٥٣٢، وطبقات المفسرين للحافظ جلال الدين السيوطى - بتحقيق على محمد عمر / ٨٣ . له ترجمة فى : إرشاد الأريب ٥/ ٨٠، وإنباه الرواة ٢ / ٢١٩، والبداية والنهاية ١٢ / ٤٧، وبغية الوعاة ٢/ ١٤٠، وشذرات الذهب ٣ / ٢٤٧، وطبقات المفسرين للداودى / ٣١ أ، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ٣٨١، وطبقات النحاة لابن قاضى شهبة ٢ / ١٣٢، والعبر ٣ / ١٧٢، ومفتاح السعادة ٢ / ١٠٧، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٦١ (طبقات المفسرين للسيوطى / ٨٣) .

*** الحوفى (أبو القاسم) (- ٥٨٨ هـ) :**

من أهل الحوف بمصر .

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٥٨٨ وقال عنه : الفقيه القاضى الزاهد أبو القاسم الحوفى الفرضى وكان قوته فى مدة قضائه من صيد الحوت بيده وكان الأمير يقوم بأمر بغلته ولم يزد ثوبا على مرقعته .

(كتاب الوفيات / ٢٩٥، ٢٩٦) .

وقد ذكره القلصادى فى ترجمة بعض شيوخه الذين قرأ عليهم كتاب الحوفى فى الفرائض، فذكره فى ترجمة شيخه جعفر بن أبى يحيى إذ قرأ عليه « بعض الحوفى » ، ثم ذكره فى ترجمة شيخه عيسى الرتيمى وقال إنه لم ير أعلم منه بكتاب الحوفى فى الذين أخذ عنهم ثم قال : « وأخبر رحمه الله (أى شيخه عيسى الرتيمى) أنه لم يسر إلى القراءة على سيدى سعيد العقبانى إلا بعد أن قرأ جميع الحوفى على والده ست مرات ، وحضر مع الغير نحو الثمان عشرة ختمة . فقرأت عليه كتاب الحوفى من مواضع مختلفة، بطريقتى الصحيح والكسور » اهـ .

وقد ورد فى هامش ٣٤ ص ٨٦ من الرحلة نبذة عن الحوفى للمحقق الأستاذ محمد أبى الأجفان جاء فيها ما يلى :

أبو القاسم أحمد بن خلف الحوفى ت ٥٨٨هـ وكتابه فى الفرائض توجد منه نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط رقم ١٢٥٢ كـ .

وقد شرح ابن غازى ت ٩١٩ هـ مسائله ووضع لها جداول فى كتابه « الجامع المستوفى بجداول الحوفى » الذى توجد نسخته الخطية بالخزانة العامة بالرباط : ٣٣١٤ كـ .

وقد حلى القلصادى أبا القاسم الحوفى بقوله : « إمام هذه الصناعة وقاضى الجماعة » وذكر أنه كشف النقاب عن وجه مشاكل هذا العلم (شرح فرائض خليل للقلصادى (آخره) مخطوط المكتبة الوطنية بتونس : ١٩٧٤١) .

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى - دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان . الشركة التونسية للتوزيع : تونس . الطبعة الثانية . بدون تاريخ / ٨٦ وهامش ٣٤، و ٩٨، ٩٩) .

*** ابن حوقل (- بعد ٣٦٧ هـ / - بعد ٩٧٧م) :**

رحالة جغرافى قضى ثلاثين عاما فى التجوال والاستكشاف، وألف كتابه « صورة الأرض » الذى يشتمل على خرائط متطورة .

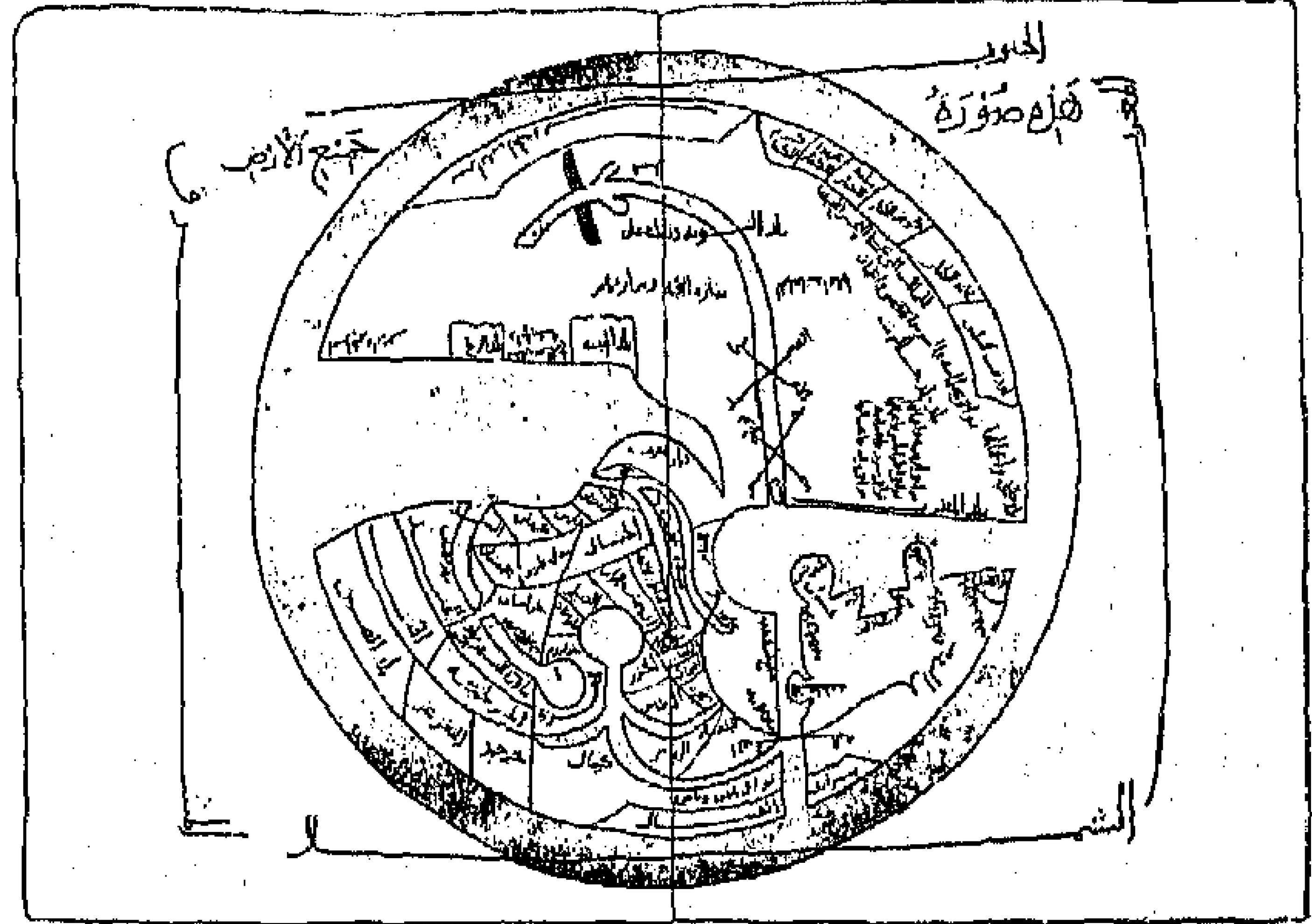
(عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) .

وهو أبو القاسم محمد بن على الموصلى المشهور بابن حوقل . ولد فى بغداد وعاش فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وقد اشتهر برحلاته الواسعة فى العالم الإسلامى حيث دامت رحلاته ما يقرب من ثلاثين عاما . وقد طاف فى أنحاء مصر والشام والعراق والبحرين والإحساء وإيران وأذربيجان وأرمينيا، كما تجول فى بعض جهات آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية حيث بلغ أقليم السند، كذلك دخل بلاد البلغار ووصل إلى أواسط نهر الفولجا، كما تجول فى ربوع بلدان المغرب العربى والأندلس وجهات غربى إفريقيا حتى مملكة غانة، كذلك زار نابولى وصقلية، ولذلك فقد حفل كتابه بالمعلومات القيمة عن بلدان الإسلام التى قصر كتاباته عنها . وكان هدفه الأول من هذه الجولات الواسعة الاشتغال بالتجارة، إلا أنه استفاد فى الوقت نفسه فائدة علمية عظيمة انعكست فى كتابه «صورة الأرض» . وقد ذكر بأنه التقى بالجغرافى الإصطخرى فى جرجان فطلب منه أن يعيد النظر فى كتابه وخرائطه فقبل

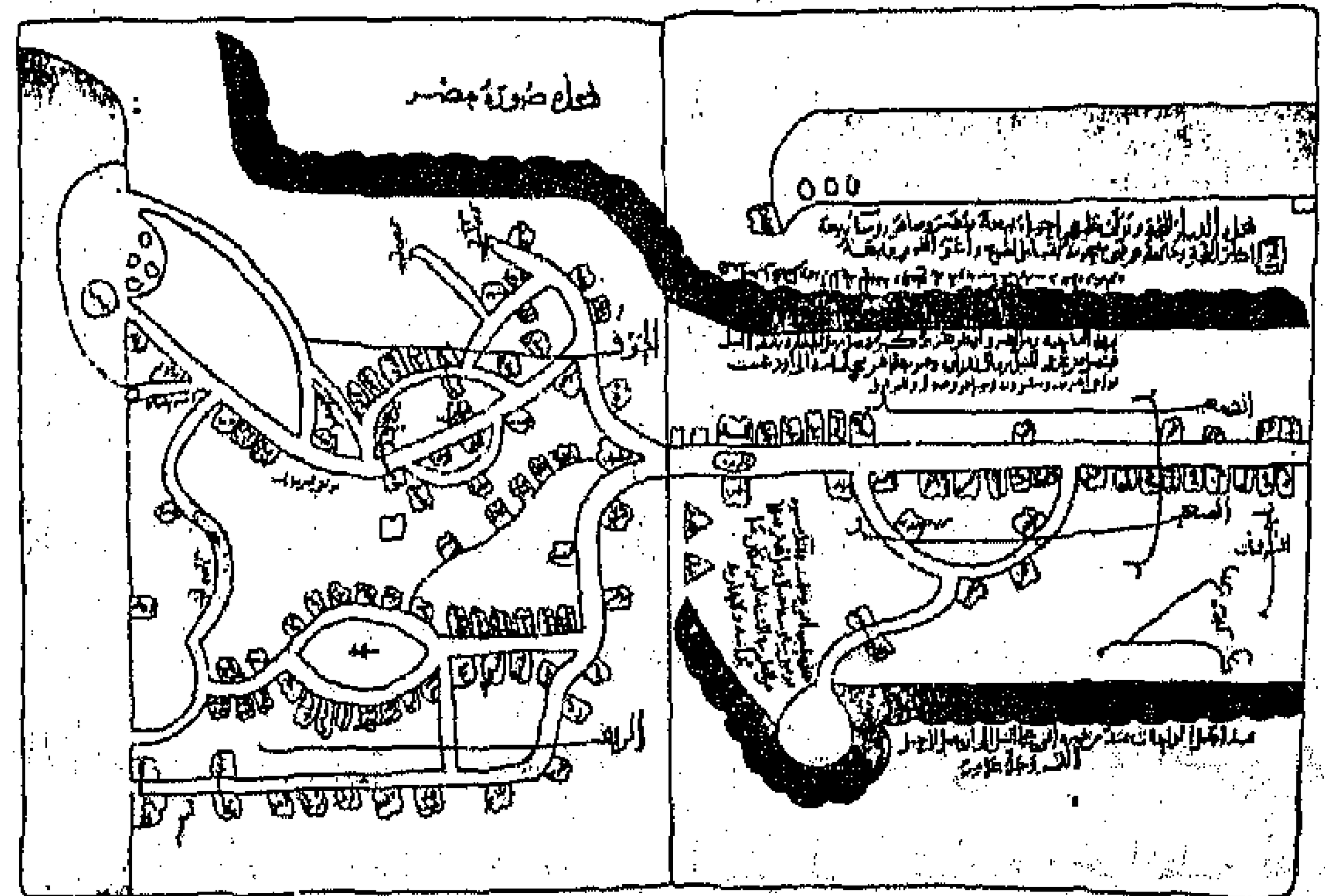
بذلك . إلا أنه غير رأيه فيما بعد كما يبدو، وتولى تأليف كتابه المعروف « صورة الأرض » الذى يعتقد أنـه كتبه فى حدود عام ٩٦٧م أو ٩٧٧م . لـذلك يتهمـه بعض البحـاثـة أنـه استمـد الكثير من معلوماته وخـرائطه من كتاب الإصطخرى، لا سيما وإن هناك تشابها واضحا بين أجزاء ونصوص الكتابين كالأجزاء المتعلقة بجـزيرة العـرب والخليج العربـى وخوزستـان وفارس وكرمان وحـوض نهر السند والديلم وبحـر الخزر. ومهما يكن الأمر فإن كتـابه يعتبر من أبـرز وأهم الكتب الجغرافية العـربية المبكرة التى تمثل ركنا هاما من أركان الجغرافية العربية . وقد تميـز الكتاب بمنهجـه القويم الـذى يعتبر الخـارطة جـزءا لا يتجزأ من النص، بل أنـه اعتبر الخـارطة أهم من النص، وإن النص ما هو سوى شرح للخارطة . وقد قسم ابن حوقل العالم الإسلامى إلى اثنتين وعشرين إقليمـا هى ديـار العرب وبحـر فارس، والمغـرب، والأندلـس، وصقلية، ومصـر، والشام، وبحـر الـروم، والجـزيرة والعـراق، وخـوزستـان، وفـارس، وكـرمان، والسنـد، وأرمينيـة والـران وأذربيجان، والجبـال، والديلم وطبـرستان، وبحر الخـزر، ومفازة خراسـان وفارس، وسجستان، وخراسان، وما وراء النهر. ثم تناول بالدراسة كل إقليم من هذه الأقاليم فتحدث عن معالم الطبيعة وأبرز صفاته الطبيـوغـرافية والمنـاخيـة ومـوارد الميـاه فيه، وأهم زراعـاتـه وصناعـاته، وأهم مـدنه، كما تحـدث عن سكانـه وعاداتهم وتقاليدهم وحكامهم وقص طرفا من تاريخ كل إقليم . وهكذا قدم الكتاب نموذجا عاليا فى الدراسة الجغرافية الإقليمية .

ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ وفاة ابن حوقل .

(العلـوم الإسـلامية ـــ د. أحمـد شـوقـى الفنجـرى ٢ / ٤٨، ٤٩، وكلمات مضيئة فى التـراث الجغرافى العربى ـ د. شـاكر خصباك / ٥٦، ٥٧ انظر أيضا أعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة / ٢١٠ ـ ٢٣٣) .



صورة الأرض لابن حوقل المتوفى عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م



* **الحوقلة :**

الحوقلـة : هى قـوله لا حول ولا قـوة إلا بالله، يختتـم بها المؤلف أو الناظم كتابه للتبرى من حوله وقوته لأن فيها التبرى من حول العبـد وقوته والـركون إلى حول الله وقـوته، فمعنى لا حول ولا قـوة إلا بالله لا تحـول عن معصيـة الله إلا بعصمة الله ولا قـوة على طـاعـة الله إلا بمعـونة الله . يقـول السيـد بكـرى المكى . واعلـم أنـه جـاء فى فضـائل لا حول ولا قـوة إلا بـالله العلى العظيم شىء كثير؛ فمن ذلـك ما أخرجـه الطبرانى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنها كنز من كنـوز الجنة وفيها شفاء من تسعة وتسعيـن داء أيسرها الهم » وفى رواية « أكثروا من ذكر لا حـول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع عن قائلها تسعا وتسعين بابا من الضرر أدناها الهم » ومن ذلك ما أخرجـه الطبرانى وابن عساكر عن أبـى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » وفى رواية البخارى ومسلم أنهـا كنز مـن كنوز الجنـة . ومن ذلك مـا رواه ابن أبى الدنيا بسنده إلى رسول الله ﷺ أنـه قال « من قال فى كل يوم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم مـائة مرة لم يصبه فقر أبدا » ومن ذلك ما روى « أن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه أسر المشركون ابنًا له يسمى سالما فأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أُسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام ما أمسى عند آل محمد إلا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا

حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها » وفى الفشنى على الأربعين النووية : ومن الأدعية المستجابة أنه إذا حل بالشخص أمر ضيق يطبق أصابع يده اليمنى ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج وإليك المشتكى وبك المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وهى فائدة عظيمة اهـ . وبالجملة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لها تأثير عظيم فى طرد الشياطين والجن وفى جلب الرزق والغنى والشفاء وتحصيل القوة ودفع العجز وغير ذلك .

(كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء شرح السيد بكرى المكى بن السيد محمد شطا الدمياطى على منظومة هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء للشيخ زين الدين بن على المعبرى ثم المليبارى / ١٢٨) .

*** الحَوَل :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب العيون .

قال عنه صاحب النزهة المبهجة :

الحول : زوال موضع البصر الطبيعى عن موضعه ويقع للأطفال غالبا وأسبابه سوء العلاج والتربية كخفض الرأس والإرضاع من جانب دائما أو غالبا وشد ربط الرأس وتنكيسه وأخذ ما غلظ من الأطعمة وقد يكون لصوت مهول ينظر إليه فازعا وفى الكبر نزول ريح أو خلط أو صعودهما بين الطبقات وعلاماته تغير الشكل والنظر عن الجرى الطبيعى (العلاج) ما كان قبل الولادة لا دواء له وغيره يجعل على العين ستارة مثقوبة الوسط بحيث يكون النظر مستويا ويرباً له بما يميل النظر إليه من الجانب المخالف ، ومن الناجب فى ذلك ضرب الأوتار بغتة فى الجانب المخالف للنظر ووضع الألواح السبحية وقد رسمت فيها الصور المذهبة والأجراس المصوتة فإنه مجرب ومتى كان إلى الأسفل فمن استرخاء العصب ويكون العلاج حينئذ بما يشده كتضميد الجبهة بالآس والعفص والبلوط والطين الأرمنى وما كان إلى فوق فعلاجه علاج التشنج اليابس وأسفله ما كان إلى أحد الجانبين ومما ينجب فى رده الكحل بالإثمد ممزوجا بالبندق الهندى والسعوط بعصارة ورق الزيتون والكحل بالسبج والبسد ، وفى اليابس تقطير الألبان .

(النزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بذيل تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه / ٢، ٣) .

*** حول النبات والفواكه وفوائدها الطبية :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلاحة .

مخطوط بقسم التراث العربى بالكويت

المؤلف : مجهول .

أوله : « ... القول فى البطيخ ، وأما البطيخ فينقسم ... على أربعة أبواب ، لأن منه البطيخ الربيعى ... » .

آخره : النسخة ناقصة الآخر .

النسخ : يعود إلى القرن الثامن الهجرى .

الخط : جيد .

الأوراق : ٦٠ ق .

الأسطر : ١٥ س .

المقياس : ٢٤ × ١٧ سم .

كتب بالمداد الأسود ، وأسماء النبات كتبت بخط عريض بالمداد الأسود .

ـ سوريا ، حلب ، مكتبة معهد التراث العلمى العربى ، أنطاكى .

(فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ وضعه محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح / ٣٠١) .

*** حويصة :**

قال الإمام النووى .

حويصة أخو محيصة مذكوران فى القسامة من المختصر والمهذب ويجوز فيهما تشديد الياء مكسورة ويجوز تخفيفها ساكنة والأشهر التشديد وهو أبو سعيد حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الحارثى المدنى الصحابى رضى الله عنه شهد هو وأخوه محيصة أحدا والخندق وسائر المشاهد بعدهما مع رسول الله ﷺ . روى عنه محمد بن سهل بن أبى حثمة وحرام بن سعد وكان حويصة أسن من محيصة وأسلم محيصة قبله وأسلم حويصة على يد محيصة رضى الله عنهما وقصتهما مشهورة .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧١) .

*** ابن حى التجيبى :**

انظر : التجيبى (الحسن بن محمد) فى م ٨ / ٥٣٩ .

*** الحى جل جلاله:**

الاسم الثالث والستون من أسماء الله الحسنى. قال فى تفسيره الإمام أبو حامد الغزالى :

هو الفعال الدراك ...

حتى أن ما لا فعل له أصلا ولا إدراك فهو ميت ، وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه ، فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت .

فالحى الكامل المطلق هو الذى يندرج جميع المدركات تحت إدراكه، وجميع الموجودات تحت فعله، حتى لا يشذ عن عمله مدرك، ولا عن فعله مفعول... وكل ذلك لله تعالى؛ فهو الحى المطلق، وكل حى سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله، وكل ذلك محصور فى قلة. ثم إن الأحياء يتفاوتون، فمراتبهم بقدر تفاوتهم (المقصد الأسنى/ ١١٧) .

أما الإمام فخر الدين الرازى فيفسره بقوله :

قال تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [آل عمران : ٢] وقال تعالى ﴿ **هو الحى لا إله إلا هو** ﴾ [غافر : ٦٥] وقال تعالى ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

واعلم أنه تعالى إنما تمدح بكونه حيا، لأن مراده منه كونه حيا لا يموت ، ألا ترى أن الحى الذى يجوز عليه الموت حكم عليه بأنه ميت، قال تعالى؛ ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر : ٣٠] .

حكى أنه مات لبعضهم ابن فبكى حتى عمى، فقال بعضهم : الذنب لك حيث أحببت حيا يموت، هلا أحببت الحى الذى لا يموت ، حتى لا تقع فى هذا الحزن ، قالوا : كل من صار حيا بالله لم يمت، قال تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

قال الشبلى : عجبت ممن ذكر الموت كيف لا ينسى أهل الدنيا ، وعجبت ممن ذكر الله كيف لا ينسى نفسه .

واعلم أن إطلاق لفظ الحيوان لا يجوز على الله ، مع أنه يجوز إطلاق لفظ الحى عليه، والفرق هو التوقيف (شرح أسماء الله الحسنى/ ٣٠٣،٣٠٤) .

ويرد اسم الحى (جل جلاله) فى البقرة : ٢٥٥ ، وآل عمران : ٢ ، وطه ١١١، والفرقان ٥٨ ، وغافر ٦٥ .

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١١٧ ، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٣٠٣، ٣٠٤. انظر أيضا ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ـ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد ـ قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ١٦٣، ١٦٤) .

*** حىّ العالم :**

من الأعشاب الطبية ، وقد أوردها المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ز : الزهراوى .

قال : حى العالم « ع » سمى بهذا الاسم لأنه لا يطرح ورقه فى وقت من الأوقات ، وهو نبات له قضبان طولها نحو من ذراع وأكثر، فى غلظ الإبهام ، فيها شىء من رطوبة تدبق باليد (دبق : لصق. المعجم الوجيز / ٢٢٢) وهى غضة، وقوته مبردة قابضة، إذا تضمد به وحده أو مع السويق، للحمرة والنملة والقروح الخبيثة، والأورام الحارة العارضة للعين ، وحرق النار، والنقرس؛ وقد تخلط عصارته بدهن الورد، وتطلى بها الرأس من الصداع، ويسقاها من عضة الرتيلاء، ومن كان به إسهال، ومن قرحة الأمعاء، وإذا شرب بالشراب أخرج الدود المستطيل من البدن، وإذا احتملته المرأة قطع سيلان الرطوبات المزمنة من الرحم. الصنف الثانى : حى العالم الصغير ينبت فى الحيطان، وبين الصخور، وله قضبان صغار، مخرجها من أصل واحد مملوءة من ورق صغير مستدير، وله رطوبة تدبق باليد، وله زهر أصفر. وقوة هذا مثل قوة الأول ، وهما جميعا يجففان تجفيفا يسيرا، ويبردان تبريدا شديدا، وهما فى الدرجة الثالثة من درجات التبريد، نافعان من الورم والحمة والأورام الساعية .

وصنف ثالث يشبه ورق البقلة الحمقاء، وله قوة مسخنة

حـارة مقـرحـة للجلـد، إذا سحق مع السمـن العتيق حلل الخنازيـر . «ف» نبات معروف، وهـو ثلاثة أصنـاف : برى، وبستانى، وجبلى. أجوده البستانـى الغض الطرى، وهو بارد فى الثالثـة، يابس فى الأولى، نافع من نفث الـدم ، ويدخل فى أدوية العين، وإذا اعتصر وشـرب من مائه عشرون درهما، نفع من سدد الكبـد، وإذا شرب من مـائه خمسة دراهم أطفأ حـرارة الصفراء والـدم الغـالب، وينفع من الصـداع إذا خلط بـدهن ورد، وطلى على الصـدغين. والشربة منـه : خمسـة دراهم . « ج » بـارد فى الـدرجة الثـانيـة ، يـابس فى الأولى، والبـرى حـار فى الأولى ، يطلى بـه الأورام الحـارة ، والكبـد والصدر الحاران . « ز » بدله : وزنه من عصارة الخس، أو ماء عنب الثعلب (المعتمد ١ / ١١٤، ١١٥) .

وقال عنه ابن رشد :

حى العالم : هذا النبات أنواع منها المسمى الشيان، وهو يـزرع فى الـدور، ومنه المسمى المصفقـات، ومنـه المسمى عنب السقف، وكلهـا فى الدرجـة الثالثة من البـرودة ، وذلك أنها مسيخـة الطعم ، كثيرة المـائية . وهمـا تجفيفان (٨١٣) تجفيفا يسيـرا، ويدل أيضا على ذلك أنهـا تنبت فى المواضع الباردة ، وفى فصل الشتاء (الكليات / ٢٥٨) .

(المعتمد فـى الأدوية المفـردة للمظفر الرسـولى ــ صححه وفهـرسه مصطفى السقا ١/ ١١٤، ١١٥، والمعجم الوجيز / ٢٢٠، والكليات فى الطب لابن رشد ــ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمـار الطالبى / ٢٥٨) .

*** الحى (كتاب ـ) :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم .

تأليف جابر بن حيان الصوفى .

وهو المقالة الحادية عشرة من كتاب « السبعين » .

أولها : قد سبق لنا قبل هذا عشـرة كتب يذكر فيها من أمر الحجـر المطلـوب ما فيـه كفـايـة وغناء لـم يذكـر مع غيـره، وضمـاننا فى كتـابنـا أن نـذكر الحيـوان كلـه ، فإنـا لـم نذكـر الحيـوان، أفضل من الحجر المقـدم على سائر الحيـوان فى تلك الأجزاء، نحن نستأنف هاهنـا الكلام فى سائر الحيوان ، فافهمه وتدبره، والشرط مع ذكرنـا الحيوان، أن نذكره قريبا فى مدة تدبيره، على ما شرطنا فى باب الكبير إن شاء الله ... إلخ .

وآخـره : فهـذه المقـدمـات، وسأذكـر فى المستأنف تـدابيرهم وآراءهم فى ذلك بـلا زيادة على هـذه المقدمـة ولا نقصان فمنها فاعرفه .

ـ نسخة بقلم نسخ جميل ، تمت كتابة فى بلدة تبريز سنة ٦٨٨ .

ومسطرتها ١٧ سطرا   ١١×٢١ سم

(ضمن مجموعة من ص ١٠٩ ـ ١١٤) .

[مكتبة بروسة حسين جلبى ـ ١٥] .

(فهرس المخطوطـات المصورة ، معهد المخطوطات العـربية جـ ٣ العلـوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيـات ــ وضع فـؤاد سيـد . القاهـرة ١٩٦٣ / ١١٧، ١١٨) .

*** الحياء :**

تعنى مصنفـات التراث الإسـلامى فى كل من علم الأدب وعلم الأخـلاق عنايـة بالغـة بفضيلة الحيـاء فتفرد لـه الفصول الطـوال، وتمتـدح فضـائلـه شعرا ونثـرا، بـاعتبـار أنـه رأس الفضـائل، وأن انعـدامـه يفتح بـاب الـرذائل ، ممـا لخصه الحـديث النبـوى المـوجـز البليغ : «إذا لم تستح فـاصنع مـا شئت» ويأتى الكلام عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

يقول صاحـب اللسان : والحياء، التوبـة والحشمة ، وقد حيى منه حياء واستحيـا واستحى، حذفوا الياء الأخيـرة كراهية التقـاء اليائين ، والأخيـرتـان تتعديـان بحـرف وبغير حـرف، يقولون: استحيـا منك واستحياك، واستحى منك واستحاك، قال ابن برى : شاهد الحياء بمعنى الاستحياء قول جرير:

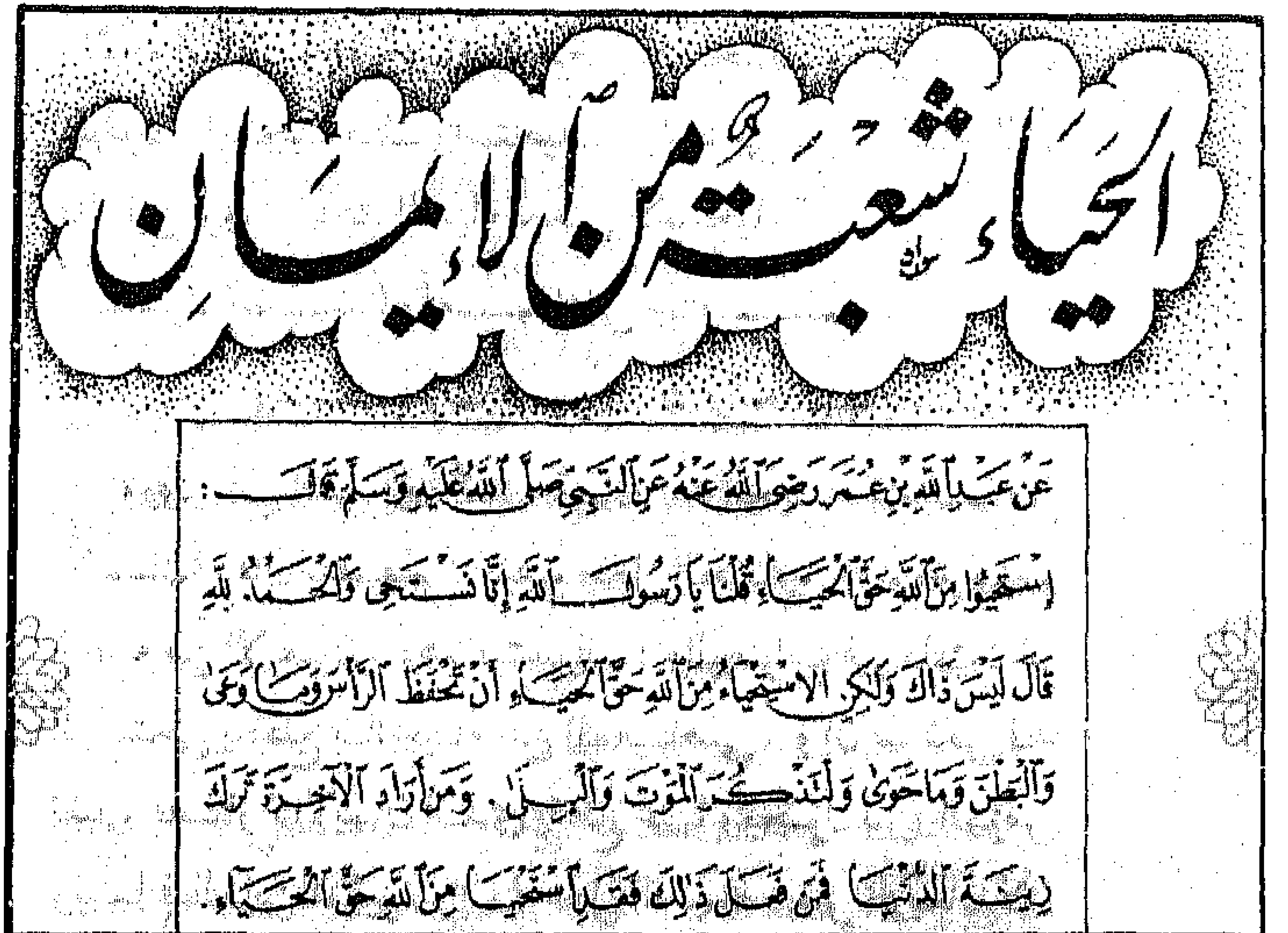
لــولا الحيــاء لعــادنى استعبــار
ولــزرت قبــرك والحبيب يــزار

وروى عن النبى ﷺ أنــه قــال : « الحيــاء شعبــة من الإيمـان». قال بعضهـم : كيف جعل الحيـاء، وهـو غريـزة، شعبـة من الإيمـان، وهو اكتسـاب؟ والجـواب فى ذلك : أن المستحى ينقطع بـالحيـاء عن المعـاصى ، وإن لم تكن لـه تقية، فصـار كالإيمان الـذى يقطع عنها ويحـول بين المؤمن وبينها قـال ابن الأثير: وإنما جعل الحيـاء بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمـار بما أمـر الله به وانتهـاء عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهـاء بالحيـاء كان بعض الإيمـان ، ومنه

الحديث: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت »، المراد أنه إن لم يستح صنع ما شاء، لأنه لا يكون له حياء يحجزه عن المعاصى والفواحش. قال ابن الأثير: وله تأويلان: أحدهما ظاهر، وهو المشهور، إذا لم تستح من العيب، ولم تخش العار بما تفعله، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها، حسنا كان أو قبيحا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذى يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطى كل سيئة، والثانى أن يحمل الأمر على بابه، يقول: إذا كنت فى فعلك آمنا أن تستحى منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التى يستحى منها فاصنع منها ما شئت.

ابن سيده: قوله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت » أى من لم يستح ما شاء على جهة الذم لترك الحياء، وليس يأمره بذلك، ولكنه أمر بمعنى الخبر، ومعنى الحديث أنه يأمر بالحياء ويحث عليه ويعيب تركه (لسان العرب ١٢ / ١٠٧٩، ١٠٨٠).

وحديث « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » هو الحديث العشرون من الأربعين النووية، وجاء عنه ما يلى: عن أبى



مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ». رواه البخارى.

ويعلق الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصارى على هذا الحديث بقوله: هذا الحديث حديث عظيم عليه يدور مدار الإسلام وأصول الأخلاق بقول فصيح وجيز، ويعد من جوامع كلمه ﷺ (انظر مادة « جوامع الكلم » فى م ١٢ / ٤٥٠ ـ ٤٥٦).

ثم يشرح الشيخ الأنصارى الحديث فيقول: قوله ﷺ: « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » معناه إذا أردت فعل شىء، فإن كان مما لا تستحى من فعله من الله ولا من الناس فافعله، وإلا فلا. وعلى هذا الحديث يدور مدار الإسلام كله، وعلى هذا يكون قوله ﷺ: « فاصنع ما شئت »، ومنهم من فسر الحديث بأنك إذا كنت لا تستحى من الله تعالى ولا تراقبه فأعط نفسك مناها وافعل ما تشاء، فيكون الأمر فيه للتهديد لا للإباحة ويكون كقوله تعالى: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ [فصلت: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك** ﴾ [الإسراء: ٦٤].

ويلخص الشارح أفكار الحديث بأنها: إذا كنت لا تستحى من الله فافعل ما تشاء (الأمر للتهديد).

ويلخص فقه الحديث بقوله:

١ ـ إذا ترك المرء الحياء فلا تنتظرون منه خيرا.

٢ ـ الحياء كله خير.

٣ ـ الحياء أصل الأخلاق الكريمة (شرح متن الأربعين النووية / ٧٧، ٧٨).

وقد أورد الإمام البيهقى الحياء من بين شعب الإيمان التى عددها فقال: من شعب الإيمان الحياء، لحديث سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين عن أبيه عن النبى ﷺ أنه سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء فقال له: « دعه فإن الحياء من الإيمان » (مختصر شعب الإيمان / ٩٠).

وجاء فى الأزهار المتناثرة للحافظ السيوطى أن حديث « الحياء من الإيمان ».

أخرجه الشيخان عن أبى هريرة وابن عمر والترمذى والحاكم عن أبى أمامة وأبى بكرة وأبو يعلى عن عبد الله بن سلام.

والطبرانى عن ابن عباس وابن مسعود وعمران بن حصين وابن ماجه عن أبى بكر وبألفاظ متقاربة عن أبى سعيد الخدرى، وأنس وابن عباس (الأزهار المتناثرة / ٢١) .

وورد فى كتاب الحياء فى « تيسير الوصول إلى جامع الأصول » ما يلى :

١ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : استحيوا من الله حق الحياء . قلنا إنا نستحى من الله يا رسول الله والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء، أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . أخرجه الترمذى .

والمراد : (بما وعى الرأس) السمع والبصر واللسان . و(بما حوى البطن) المأكول والمشروب، والمراد : الحث على طلب الحلال من الرزق، واستعمال هذه الجوارح فى مرضاة الله تعالى .

٢ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه » أخرجه الشيخان .

(الخدر : ناحية فى البيت يترك عليها ستر فتكون فيها الجارية البكر) .

٣ ـ وعن زيد بن طلحة بن ركانة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن لكل دين خلقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء» أخرجه مالك .

٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « قال النبى ﷺ : ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه » أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢/ ٢٢، ٢٣) .

وفى ذكر الحياء وما جاء فى فضله أورد الإمام ابن أبى الدنيا عددا كبيرا من الأحاديث نختار منها ما يلى، د وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما وردت فى النص، كما وضعنا تخريجات الأحاديث للمحقق الأستاذ مجدى السيد إبراهيم بين أقواس فى ثنايا النص إتمامًا للفائدة :

لقول أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ رأس مكارم الأخلاق . الحياء .

٧٢ ـ حدثنى سعيد بن سليمان الواسطى ومحمد بن أبى غالب عن هُشيم عن منصور بن زاذان عن الحسن عن أبى بكرة عن النبى ـ ﷺ ـ قال : : « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » .

(الحديث صحيح . وإسناده ضعيف . وأخرجه ابن ماجه (٤١٨٤)، والحاكم (١/ ٥٢) .وفى سنده هشيم وهو مدلس، وكذا الحسن ، وقد روياه بالعنعنة . وأخرجه أحمد (٢/ ٥٠١)، والترمذى (٢٠١٠) ، وابن حبان (١٩٢٩)، والحاكم (١/ ٥٣)، والبغوى (٣٥٩٥) من حديث أبى هريرة، وسنده حسن) .

٧٣ ـ حدثنا على بن الجعد الجوهرى أخبرنى عبد العزيز ابن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون عن ابن شهاب عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : سمع النبى ـ ﷺ ـ رجلا يعظ أخاه فى الحياء يقول : إنك لتستحى حتى كأنك ... فقال النبى ـ ﷺ ـ : « دعه فإن الحياء من الإيمان » .

(إسناده صحيح، وأخرجه البخارى (٢٤)، (٦١١٨)، ومسلم (٣٦)، وأحمد (٢/ ٥٦، ١٤٧)، وابن حبان (٢/ ٤)، والبغوى(٣٥٩٤)) .

٧٤ ـ حدثنا على بن الجعد أخبرنى أبو غسان عن حسان ابن عطية عن أبى أمامة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «الحياء والعى شعبتان من شعب الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق » .

(إسناده صحيح . وأخرجه أحمد (٥/ ٢٦٩)، والترمذى (٢٠٢٨) وقال حسن صحيح، والحاكم (١/ ٩) وصححه، والبغوى (٣٣٩٤) فى شرح السنة) .

٧٥ ـ حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس أنا يزيد بن هارون أنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « الحياء من الإيمان » .

(إسناده حسن . والحديث صحيح . فى سنده أبو مسلم المستملى، وهو صدوق كما فى التقريب (١/ ٥٠٣) وكذا محمد بن عمرو) .

٧٦ ـ حدثنا أبو خيثمة نا يزيد بن هارون نا خالد بن رباح عن أبى السوار عن عمران بن حصين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الحياء خير كله» قال : فقال رجل : إن منه ضعفا وإن

منه عجزا. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ـ ﷺ ـ وتحدثني عن الصحف.

(صحيح. وإسناده لا بأس به، فيه خالد بن رباح، قال ابن عدى: لا بأس به، وقال ابن حبان كثير الخطأ لا يحتج به، كذا في الميزان (١/ ٦٣٠)، وسقط من المطبوعة كلمة «أبى» من «أبى السوار». أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٢)، والبخارى (٦١١٧ فتح)، ومسلم (٣٧)).

٧٨ ـ حدثنا محمد بن سليمان الأسدى نا حبان بن على عن حارثة بن محمد الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت: قالوا: يا رسول الله، إن حارثة بن النعمان أفسده الحياء. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « لا يفسد الحياء ولكن لو قلتم أصلحه الحياء لصدقتم ».

(إسناده ضعيف. فيه حبان بن على، وحارثة بن محمد، وهو ابن أبى الرجال، كلاهما ضعيف، انظر: التقريب (١/ ١٤٥)، (١/ ١٤٧).

٨٠ ـ حدثنا الحسن بن حماد الضبى نا أبو يحيى الحمانى عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا بلغه عن الرجل شىء لم يقل: لم قلت كذا وكذا؟ ولكنه يعم فيقول: «ما بال أقوام » ؟

(إسناده حسن. وإخرجه أبو داود (٤٧٨٨) فى سنده الحمانى، وهو صدوق يخطىء كما فى التقريب (١/ ٤٦٩)، وفيه عنعنه الأعمش، لكن يشهد له حديث أنس الذى أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١، ٢٨٥) وغيره).

٨٤ ـ حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى الهذيلى بن ميمون عن الأحوص بن حكيم عن ابن عون عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: « قلة الحياء كفر ».

(إسناده ضعيف. فى سنده هذيل بن ميمون، قال أبو حاتم: لا أعرفه، انظر: الجرح والتعديل (٩/ ١١٣)، وفيه الأحوص بن حكيم من الضعفاء، كما فى التقريب (١/ ٤٩)، وفيه الإرسال من سعيد. أورده الهندى فى الكنز (٥٧٩٠) مرفوعا من حديث عقبة بن عامر، وعزاه إلى الحكيم والشيرازى فى الألقاب.

الحديث فى نوادر الأصول للحكيم (ص / ٣٦٦).

٨٦ ـ حدثنا شجاع بن الأشرس ثنا ليث بن سعد عن خالد ابن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن حفص بن عمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال لعروة بن مسعود: « يا عروة، إن الله يحب العيى الحيى العفيف المتعفف ويبغض البذى الفاحش السآل الملحف».

(إسناده مرسل. وبنحوه أخرجه ابن جرير، وابن المنذر عن قتادة كما فى الدر المنثور (١/ ٣٥٩) وله شواهد مهلهلة الإسناد ذكرها الشيخ الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٣٢٠).

٩٨ ـ حدثنى أبو محمد ثنا أبو عتبة الحسن بن على بن مسلم البراد الحمصى وكان من خيار المسلمين ثنا معاوية بن يحيى عن محمد بن عبد العزيز عن الزهرى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: « إن لأهل كل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء ».

(إسناده ضعيف. والحديث حسن. وأخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والخرائطى (ص/ ٤٩) فى المكارم، والطبرانى (ص/ ١٣) فى الصغير.

فى سنده معاوية بن يحيى الصدفى، وهو ضعيف، كما فى التقريب (٢/ ٢٦١).

وله طريق أخرى أخرجه الباغندى فى مسند عمر (ص/ ١٣) وسنده ضعيف، وذكر الشيخ الألبانى طريقا آخر، أخرجه الخطيب فى تاريخه (٨/ ٤) ثم قال: وبالجملة فهذا الإسناد حسن.

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه العقيلى (١٨٧) فى الضعفاء، وأبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٢٠) وفيه صالح بن حسان منكر الحديث) (مكارم الأخلاق / ٣٤ ـ ٤١).

ويعرف التهانوى الحياء بقوله:

الحياء بالفتح والياء المثناة التحتانية وهو انكسار وتغير يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به أو يذم على ما قال الزمخشرى كذا فى بحر الجواهر وفى الشرع عبارة عن خلق باعث على ترك القبيح كما فى تيسير القارى ترجمة صحيح البخارى وفى رسالة السيد الجرجانى الحياء انقباض النفس من شىء وتركه حذرا عن اللوم فيه وهو نوعان نفسانى وهو

الـذى خلقه الله تعـالى فى النفوس كلهـا كالحيـاء عن كشف العورة ... ، وإيمانى وهو أن يمتنع المؤمن من فعل المعاصى خوفا من الله تعالى .

(كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٣٩٧، ٣٩٨) .

ويفـرد الأمير أسـامـة بن منقـذ فى كتابـه النفيس « لبـاب الآداب » فصلا فى الحيـاء ، يبدؤه كعـادته بـالآيات القـرآنية ، تعقبها الآحاديث النبوية ، . ثم أقـوال الزهاد والصالحين، ثم ما ورد فيه من شعر .

أما عن الآيات القرآنية فيقول ابن منقذ :

قال الله عـز وجل فى سورة القصص فى قصة مـوسى عليه السلام : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امـرأتين تذودان قال : ماخطبكمـا؟ قالتا : لا نسقى حتى يصدر الـرعاء وأبـونا شيخ كبيـر * فسقى لهما ثم تولى إلـى الظل فقال رب إنى لمـا أنزلت إلىَّ من خيـر فقير * فجاءته إحداهما تمشى على استحياء** ﴾ [القصص : ٢٣ - ٢٥] .

قيل : إنمـا استحيت أنهـا كـانت تدعـوه إلى الضيـافـة ، فاستحيت أن لا يجيب موسى عليـه السلام ، فصفة المضيف الاستحياء ، وذلك استحياء الكرم .

وقيل فى بعض الأقوال فى قولـه عز وجل فى قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز : ﴿ **ولقد همت به وهـم بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ [يوسف : ٢٤] : البـرهان أنها ألقت ثـوبا على وجه صنم فى زاويـة البيت ، فقال يوسف عليـه السلام : مـاذا تفعلين؟ فقـالت : أستحيـى منـه ! فقـال يـوسف عليـه السلام : أنا أولى أن أستحيى من الله تبارك وتعالى .

وأورد الإمام عبـد الكريم بن هـوازن [القشيرى] رضى الله عنه فى رسالته قال : فى بعض الكتب : يقول الله تعالى : « ما أنصفنى عبـدى ، يـدعـونى فأستحيى أن أرده ، ويعصينى ولا يستحيى منى » .

أما الأحاديث النبوية فقد أورد ابن منقذ ثلاثة عشر حديثا ، وقد استبعدنا منها ما سبق وروده ، وهى كما يلى ، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية كما وردت فى النص :

١٢٠ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ كـان يعظ أصحابـه ، فإذا ثـلاثة نفـر يمـرون ، فجاء أحـدهم فجلس إلى النبى ﷺ ، ومشـى الثـانى قليـلا وجلس ، وأمـا الثـالث فـإنـه مضى ، فقـال النبى ﷺ : ألا أنبئكـم عن هـذه الثلاثة؟ أمـا هذا الذى جلس إلينا فتاب فتـاب الله عليه ، وأما الذى مشى فجلس فإنه استحيا فاستحيا الله منه ، وأما الذى مر على وجهه فإنه استغنى فاستغنى الله عنه ﴿ **والله غنى حميد** ﴾ (رواه الحـاكم فى (٤/ ٢٥٥) وصححه هـو والـذهبى ، ولكن ليس فيه قوله ﴿ **والله غنى حميد** ﴾ [التغابن : ٦] .

١٢١ ـ وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : « اللهـم لا يـدركنى زمـان ولا أدركه : لا يتبع فيـه العليم ، ولا يستحيا فيـه من الحليم ، قوم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » .

رواه أحمد فى المسنـد (٥/ ٣٤٠) ولكن فيـه « اللهم لا يدركنى زمان ولا تـدركوا زمانا » ... إلخ وأشـار السيوطى (رقم ١٥٤٣) إلى أن الحاكم رواه من حديث أبى هريرة) .

١٢٤ ـ وعن أبى بكرة رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : «الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة . والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

رواه البخـارى فى الأدب المفـرد (ص ٢٣٦) ونسبـه السيـوطى (رقم٣٨٦٥) لابن مـاجـه والبيهقى والحـاكم من حديث أبى بكرة ، وللترمذى والحاكم والبيهقى من حديث أبى هـريرة ، ونسبـه المنـذرى ٣/ ٢٥٤) لأحمـد وابن حبـان من حديث أبى هريرة) .

١٢٨ ـ وعن عطاء رحمه الله قال : «مر رسول الله ﷺ برجل يغتسل ، فقـال : يـا أيهـا النـاس ، إن الله حيى عليم ، يستـر ويحب الحياء ، فإذا اغتسل أحدكـم فليتوار عن أعين الناس» رواه أحمـد مختصرا (٤/ ٢٢٤) عن عطاء عن يعلى بـن أمية ، ونسبـه السيوطى (رقم ١٧٢٩) لأبـى داود والنسائى وعندهم إن الله حيى ستير) .

ثم ينتقل الأمير أسامة بن منقذ إلى أقوال الزهاد والصالحين فى الحياء فيقول :

وعن محمـد بن عبـد الملك قـال : سمعت ذا النـون المصرى رحمـه الله يقول : الحيـاء وجود الهيبـة فى القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك .

وقال ذو النون رحمه الله : الحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق.

وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني رحمه الله يقول: يقول الله تعالى : « عبدي، وإنك ما استحييت مني أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض عيوبك، ومحيت من أم الكتاب زلاتك، ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة » (ابن أبي الحواري هو أحمد بن عبد الله ابن ميمون الزاهد، ولد سنة ١٦٤ ومات سنة ٢٤٦، وله ترجمة في التهذيب، وكان تلميذا لأبي سليمان الداراني، ونقل عنه بعض أقواله، انظر اللمع ص٥٣, ١٨٧ و ٢٧١ و ٢٨٢) .

قيل : الحياء على وجوه : حياء الخيانة ، كآدم عليه السلام ، قيل له : أفرارا منا ؟ قال : لا ، بل حياء منك . وحياء التقصير، كالملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك. وحياء الإجلال، كإسرافيل عليه السلام ، تسربل بجناحه حياء من الله تعالى. وحياء الكرم، كالنبي ﷺ، استحيا من أمته أن يقول: اخرجوا، فقال الله سبحانه : ﴿ ولا مستأنسين لحديث﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وحياء خشية، كعلي ابن أبي طالب رضوان الله عليه حين سأل المقداد حتى سأل النبي ﷺ عن حكم المذي، لمكان فاطمة رضي الله عنها منه. وحياء الاستحقار، كموسى عليه السلام، إذ قال : إنه لتعرض على قلبي الحاجة فأستحيي أن أسألكها يا رب ، فقال الله عز وجل: سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك. وحياء الإنعام، وهو حياء الرب تبارك وتعالى، يدفع إلى العبد كتابا مختوما بعد ما عبر على الصراط، فإذا فيه : «فعلت ما فعلت، ولقد استحييت أن أظهر عليك، فاذهب فإني قد غفرت لك » .

قالت الحكماء . الحياء هرب النفس من الملامة .

وقالوا : خوف المستحي من تقصير يقع به عند من هو أفضل منه، وليس يوجد إلا فيمن كانت نفسه بصيرة بالجميل عن عيبه عنه .

وقالوا : كفى بالحياء على الخير دليلا، وعن السلامة مخبرا، ومن الذم مجيرا.

وقالوا : الحياء تمام الكرم، وموطن الرضى، وممهد الثناء، وموفر العقل ، ومعظم القدر، وداع إلى الرغبة .

قال الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستحي فاصنع ما تشاء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء
وما في أن يعيش المرء خير
إذا ما الوجه فارقه الحياء

(اللحاء ـ بكسر أوله ـ ما يكون على أعواد الشجر وأصولها من غطاء، وهو قشرتها والذي فيه لها)

وقال أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان بالحياء :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني
حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرم
لك الحسب المؤثل والثناء

وقالت ليلى الأخيلية تصف توبة بن الحُمَيِّر:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم
فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى كان أحيا من فتاة حيية
وأشجع من ليث بخفان خادر

(خفان : موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة، كما قال ياقوت . والأسد الخادر: المقيم في عرينه وهو خدره) .

وقال الفضل بن عباس بن عتبة :

إنا أناس من سجيتنا
صدق الحديث ووأينا حتم
لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم
سقموا ولم يمسسهم سقم

وقال الشماخ :

أجامل أقواما حياء وقد أرى
صدورهم تغلي على مراضها

وقال آخر :

حياءك فاحفظه عليك فإنما
يدل على فضل الكريم حياؤه

إذا قلّ مـاء الـوجـه قل حيـاؤه
ولا خيـر في وجـه إذا قلّ مـاؤه

وقال آخر :

ورُبَّ قبيحـة مـا حـال بيني
وبين ركـوبهـا إلا الحيـاء
إذا رزق الفتى وجهـا وقـاحـا
تقلب في الأمـور كمـا يشـاء

وقال محمد بن حازم :

وإني ليثنيني عن الجهل والخنـا
وشتم ذوي القـربى خـلائق أربع :
حيـاء وإسـلام وتقـوى وأنني
كـريم، ومثلي قـد يضـر وينفع

وقال آخر :

إيـاك أن تـزدري الـرجـال فمـا
تعلم مـاذا يجنـه الصـدف
نفس الجـواد الكـريم بـاقيـة
فيـه وإن كـان مسـه عجف
والحـر حـر وإن ألم بـه الـ
ـضر وفيـه الحيـاء والأنف

(العجف ـ بالتحريك ـ ذهاب السمن ، وبقاء الهزال من الجوع ، ويريد هنا أن الهزال يدركه من الجوع تعففا عن السؤال . والأنف ـ بالتحريك ـ كالأنفة ، وهما : الحمية والإباء) .

وقال آخر :

كـريم يغض الطـرف فضل حيـائه
ويـدنـو وأطـراف الـرمـاح دواني
وكـالسيف إن لاينتـه لان متنـه
وحـداه إن خـاشنتـه خشنـان

وقال العرجي :

إذا حـرم المـرء الحيـاء فإنـه
بكـل قبيح كـان منـه جـديـر
لـه قحـة في كـل شيء، وسـره
مبـاح، وخـدنـاه خنـا وغـرور
يـرى الشتم مـدحـا والـدنـاءة رفعـة
وللسمع منـه في العظـات نفـور
ووجـه الحيـاء ملبس جلـد رقـة
بغيض إليـه مـا يشين كثيـر
لـه رغبـة في أمـره وتجـرد
حليم لـدى جهل الجهـول وقـور
فـرَجِّ الفتى مـا دام يحيـا فإنـه
إلى خيـر حـالات المنيب يصيـر

(لباب الآداب / ٢٧٩ ـ ٢٨٧) .

ومن أحوال أدب الرياضة والاستصلاح التي ذكرها الإمام أبو الحسن البصري الماوردي حين تناول موضوع أدب النفس ما أورده عن الحياء إذ يقول عنه : اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في أمثالها : تخبر عن مجهوله مرآته وكما قال سلم بن عمرو الشاعر :

لا تسأل المرء عن خلائقه   في وجهه شاهد من الخبر

فسمة الخير الدعة والحياء وسمة الشر القحة والبذاء وكفى بالحياء خيرا أن يكون على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا أن يكونا إلى الشر سبيلا وقد روى حسان بن عطية عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ: «الحياء والعي شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» ويشبه أن يكون العي في معنى الصمت والبيان في معنى التشدق كما جاء في الحديث الآخر « إن أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار » وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه . وقال بعض البلغاء : حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بمائه . وقال بعض البلغاء العلماء : يا عجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي وتتقي من طول ما لا تتقي . وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل مـاء الـوجـه قل حيـاؤه
ولا خيـر في وجـه إذا قل مـاؤه

حيـــاءك فـــاحفظـــه عليك وإنمـــا
يـــدل على فعـل الكـــريم حيـــاؤه

وليس لمن سلب الحيـاء صـاد عن قبيح ولا زاجـر عن محظور فهـو يقدم على ما يشـاء ويأتي ما يهوى وبـذلك جاء الخبـر. روى شعبـة عن منصـور بن ربعي عـن أبي منصـور البدري قـال : قال رسول الله ﷺ : « إن ممـا أدرك الناس من كلام النبـوة الأولى يا بن آدم إذا لـم تستحي فـاصنع ما شئت » وليس هـذا القول إغراء بفعـل المعاصي عنـد قلة الحيـاء كما توهمـه بعض من جهل معاني الكلام ومواضعـات الخطاب .

وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر :

إذا لـم تخش عـــاقبـــة الليـــالي
ولـم تستحي فـــاصنع مـــا تشـــاء
فـــلا والله مـــا في العيش خيـــر
ولا الـــدنيـــا إذا ذهـب الحيـــاء
يعيش المـــرء مـــا استحيـــا بخيـــر
ويبقـى العـــود مـــا بقـي اللحـــاء

واختلف أهل العلم في معنى هـذا الخبر . فقال أبـو بكر ابن محمد السـاسي في أصول الفقه معنى هـذا الحديث : أن من لم يستحي دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنـه رادع فليستحي المـرء فإن الحيـاء يـردعـه . وسمعت من يحكي عن أبي بكـر الـرازي من أصحـاب أبي حنيفـة : أن المعنى فيه إذا عرضت عليك أفعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها لحسنهـا وجمالهـا فاصنع مـا شئت منها فجعل الحياء حكما على أفعالـه وكلا القولين حسن والأول أشبه لأن الكلام خرج من النبي ﷺ مخرج الذم لا مخرج الأمر. لكن قد جـاء الحديث بمـا يضاهي القـول الثـاني وهو قـوله ﷺ « مـا أحببت أن تسمعـه أذناك فـأته ومـا كـرهت أن تسمعه أذنـاك فاجتنبه » ويجوز أن يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكـون التأويل الأول في الحديث المتقـدم أصح إذ ليس يلزم أن تكـون أحاديث رسـول الله ﷺ كلها متفقـه المعاني بل اختـلاف معـانيها أدخل في الحكمـة وأبلغ في الفصـاحـة إذا يضاد بعضها بعضا .

واعلم أن الحياء في الإنسـان قد يكـون من ثلاثـة أوجه : أحـدهـا حيـاؤه من الله تعـالى ، والثـاني حيـاؤه من النـاس ، والثـالث حياؤه من نفسـه . فأمـا حيـاؤه من الله تعالى فيكـون بامتثال أوامـره والكف عن زواجره . وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ قـال « استحيـوا من الله عـز وجل حق الحيـاء » فقيل يـا رسول الله فكيف نستحيي من الله عز وجل حق الحياء قال «مَن حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيـا من الله عز وجل حق الحياء» (سبق أن أوردنا هذا الحديث من تيسير الوصول ٢ / ٢٢)وهذا الحديث من أبلغ الوصايا .

وقـال أبـو الحسن المـاوردي مصنـف الكتـاب : رأيت رسـول الله ﷺ في المنام ذات ليلـة فقلت يا رسـول الله أوصني فقـال : استحي من الله عـز وجل حق الحيـاء ثم قـال : تغير الناس قلت : وكيف ذلك يا رسـول الله؟ قال : كنت أنظر إلى الصبي فأرى من وجهه البشـر والحياء وأنا أنظر إليـه اليوم فلا أرى ذلك في وجهـه . ثم تكلم بعـد ذلك بـوصـايـا وعظـات تصورتها وأذهلني السرور عـن حفظها ووددت لو أني حفظتها فلم يبدأ بشيء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل مـا سلبه الصبي من البشـر والحياء سببـا لتغير النـاس وخص الصبي لأن مـا يأتيـه بـالطبع من غيـر تكلف فصلى الله وسلم على من هدى أمته وتابع إنذارها وقطع أعذارها وواصل تأديبها وحفظ تهذيبهـا وجعـل لكل عصر حـظا من زواجـره ونصيبا من أوامـره أعاننـا الله على قبـولهـا بالعمل وعلـى استدامتهـا بالتوفيـق .

وقـد روى أن علقمة بن عـلاثة قـال يا رسـول الله عظني : فقال رسول الله ﷺ « استحي من الله تعالي استحياءك من ذوي الهيبـة من قومك » وهـذا الحياء يكـون من قـوة الدين وصحـة اليقين ولذلك قال النبي ﷺ : « قلـة الحياء كفر » يعني من الله لما فيه من مخالفة أوامره . وقال ﷺ « الحياء نظام الإيمان فإذا انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق » .

وأما حيـاؤه من الناس فيكون بكف الأذى وترك المجـاهرة بالقبيح وقد روى عن النبي ﷺ أنـه قال : « من تقوى الله اتقاء الناس » وروى أن حذيفة بن اليمان أتـى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطـريق عن الناس وقال : لا خير فيمن لا يستحي من الناس ، وقال بشار بن برد :

ولقـــد أصـــرف الفـــؤاد عن الشي
ء حيـــاء وحبُّـــه في الســـواد
أمسك النفس بـــالعفـــاف وأمسي
ذاكـــرا في غـــد حـــديث الأعـــادي

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء ولذلك قال ﷺ : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » يعنى والله أعلم لقلة مروءته وظهور شهوته . وروى الحسن عن أبى هريرة قال : قال ﷺ « إن مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه وإلفه وجليسه » . وقال بعض الشعراء :

ورب قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها إلا الحياء
إذا رزق الفتى وجها وقاحا
تقلب فى الأمور كما يشاء

وقال آخر :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستحى مخلوقا فما شئت فاصنع

وأما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات . وقال بعض الحكماء : ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك . وقال بعض الأدباء : من عمل فى السر عملا يستحيى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر . ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يجبهم وقال : إنى دخلت البارحة فى الأربعين وأنا أستحيى من سنى . وقال بعض الشعراء :

فسرى كإعلانى وتلك خليقتى
وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض الشعراء :

وإنى ليثنينى عن الجهل والخنا
وعن شتم ذى القربى خلائق أربع
حياء وإسلام وتقوى وإننى
كريم ومثلى من يضر وينفع

وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله . وقد قال الرياشى : يقال إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يتمثل بهذا الشعر :

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتها للتى أخفيت عنوانا
وإننى لأرى من لا حياء له
ولا أمانة وسط القوم عريانا

(أدب الدنيا والدين / ٢٩٨ـ٣٠٢) .

(لسان العرب لابن منظور ١٢ / ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، وشرح متن الأربعين النووية للإمام يحيى بن شرف النووى ـ تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى ، بدون اسم الناشر وبدون تاريخ / ٧٧ ، ٧٨ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٩٠ ، والأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ قدم له وأتمه الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر ، صفر ١٤٠٩هـ / ٢١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢٢ ، ٢٣ ، ومكارم الأخلاق للحافظ ابن أبى الدنيا ـ تحقيق وتعليق مجدى السيد إبراهيم / ٣٤ ، ٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ولباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ـ تحقيق أحمد محمد شاكر / ٢٧٩ ـ ٢٨٧ ، وأدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردى ـ حققه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٢٩٨ ـ ٣٠٢ . انظر أيضا الرسالة القشيريه لأبى القاسم القشيرى / ١٦٧ ـ ١٧٠ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٥٤ ـ ١٥٦ ، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ١٤٢ ـ ١٤٤ ، والأدب المفرد للإمام البخارى / ١٧٥ ـ ١٧٧ ، وشرح الأربعين حديثا النووية للإمام العلامة ابن دقيق العيد / ٥٢ ، ٥٣) .

ملاحظة : الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من الموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ١٤٨ .

*** الحيات (جامع .):**

مسجد هام بمدينة سوريا يرجع تاريخه إلى القرن السابع الهجرى ، ويعرف أيضا باسم جامع أبى الفداء (وهو الملك المؤيد إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة) كما يعرف باسم جامع الدهشة ، وقد نقش على أحد أعمدة أروقة القبلة صورة حية ملتفة ولذلك سمى بجامع الحيات ولا يزال الجامع يحتفظ بالكثير من فسيفسائه الذهبية والمتعددة الألوان . كما لا يزال يحتفظ بلوحته التأسيسية التى جاء فيها : أمر بعمل هذا الجامع المبارك السلطان الملك المؤيد عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين ابن الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

(المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ــ د. أحمد رمضان أحمد / ١٤٠) .

انظر مادة « حلب » في م ١٤ / ٤٥٧ - ٤٧١) .

*** الحيات (جبل -) :**

قال عنه القزويني :

جبل الحيات بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل البتة .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١١٢) .

*** ابن حياتي (٧١٨ - ٧٨١ أو ٧٨٨ هـ) :**

ذكره ابن الخطيب في وفيات سنة ٧٨١ هـ وقال عنه :

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ :

توفي شيخنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن حياتي بمدينة فاس سنة إحدى وثمانين وسبعمائة وكان له تحقيق في النحو والقراءات وطلب منه بعض الناس أن يقرأ عليه « الجزولية » في النحو فأخذها الأستاذ في يده وقصد شيخنا ومفيدنا أبا العباس أحمد بن الشماع المراكشي لمعرفته بفن المنطق وقرأ عليه استفتاحها في الجنس والنوع وأنا حاضر ثم قرأها في عشية يومه وهذا من إنصافه وتحقيقه رحمه الله تعالى اهـ .

وابن حياتي هو محمد بن علي بن حياتي ، أبو عبد الله : فقيه ، مقرىء ، نحوي ، ولد سنة ٧١٨هـ ، ونشأ بغرناطة وقرأ بها على ابن الفخار وغيره ، وانتقل إلى فاس فأخذ بها عن أبي العباس اليفرني المكناسي وقاضي الجماعة ابن عبد الرزاق . قال التنبكتي : قال السراج في فهرسته : توفي يوم الخميس ثامن جمادى الأولى عام ثمان وثمانين وسبعمائة ، وقال ابن الخطيب القسنطيني توفي سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، وهو خلاف ما تقدم في وفاته والأول أشبه ... » انظر « نيل الابتهاج» / ٢٧٢ .

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني - تحقيق عادل نويهض / ٣٧٥ وهامش ١ للمحقق) .

*** ابن حيان (٣٧٧ - ٤٦٩هـ / ٩٨٧ - ١٠٧٦م) :**

قال عنه الزركلي :

حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي بالولاء ، أبو مروان ، مؤرخ ، بحاث ، من أهل قرطبة . كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس ، أفصح الناس بالتكلم فيه ، وأحسنهم تنسيقًا من كتبه « المقتبس في تاريخ الأندلس » مخطوط مجلدان منه ، ويقع في عشر مجلدات ، طبع جزء منه في سيرة الأمير عبد الله بن محمد الأموي بقرطبة وأحداث عصره وله « المبين » .

قالت المؤلفة : ذكره محمد عبدالله عنان في تراجمه باسم « المتين » (ص٢٧٦) وقال عنه إنه تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءا اهـ. كذلك ذكره الدكتور إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب « المقتبس » (ص٨) باسم « المتين » ويقول إن حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أورده بتحريف باسم «المبين » .

يقول الزركلي : وله كتاب في « تراجم الصحابة » وجد منه الجزء الثالث (الأعلام ٢ / ٢٨٩) .

يقول محمد عبد الله عنان بعد أن بسط القول في كتاب «المقتبس » مما ننقله لك في حرف الميم إن شاء الله تعالى :

ونحن نعرف أن ابن حيان قد كتب غير « المقتبس » مؤلفين آخرين هما « المتين » وهو تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات في ضخامته ، وتصفه بأنه يقع في ستين جزءًا ، وكتاب « المآثر العامرية » ، أو « أخبار الدولة العامرية » وهو أيضا مؤلف ضخم ، يقص فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبي عامر ، وتفاصيل غزواته ، ولو وصل إلينا هذا الكتاب أو بعض أجزائه لكان لدينا عن المنصور أعظم الروايات والوثائق ، لأن ابن حيان نشأ في أواخر عهد المنصور ، وكان أبوه ضمن وزراء المنصور ، ولكن لم يصلنا مع الأسف الشديد شيء منه . ولابن حيان فوق ذلك كتاب « البطشة الكبرى » ، وهو كتاب يتضمن تفاصيل سقوط دولة بني جهور أمراء قرطبة الذين خدمهم ابن حيان . ولم يصلنا شيء من هذه المؤلفات الأخيرة غير بعض الشذور القليلة التي نقلها الكتاب المتأخرون ، وقد كتب ابن حيان رسائل أخرى منها كتاب معرفة التابعين ، وهو فيما يبدو فصل من المقتبس ، وأخبار القضاة ، والجامع لمآثر بني خطاب . ولكنا لا نعرف شيئا عن هذه الرسائل أكثر من عناوينها .

وعاش ابن حيان أكثر من تسعين عاما ، وتوفي في اليوم

السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ (٣١ أكتوبر سنة ١٠٧٦م) ودفن بمقبرة الربض فى جنوب شرقى قرطبة، على مقربة من نهر الوادى الكبير، وكانت مثوى العظماء والكبراء (تراجم شرقية وأندلسية ٢٧٦، ٢٧٧).

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٨٩، وتراجم إسلامية شرقية وأندلسية ـ محمد عبد الله عنان/ ٢٧٦، ٢٧٧).

*** ابو حيان (٦٥٤ـ٧٤٥هـ/ ١٢٥٦ـ١٣٤٤م):**

قال عنه صاحب إشارة التعيين:

الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، سيبويه المتأخرين أثير الدين أبو حيان: محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان النفرى الأندلسى الغرناطى مولدا ومنشأ، شيخ البلاد المصرية (قدم الديار المصرية سنة ٦٧٩)، والشامية، انتهت إليه رياسة العربية فى زمانه، وقصده الطلاب لعلم الإعراب، ووضع فيه المصنفات الباهرة، من مطولات زاهرة، ومختصرات فاخرة، أحرز بها الدار الآخرة، تنيف على الخمسين، أعجز بها من أعجز، ما بين مسهب وموجز، فمن ذلك: البحر المحيط فى تفسير القرآن العظيم (يأتى الكلام عليه فيما بعد) والوهاج فى اختصار المنهاج فى مذهب الشافعى والتكميل لشرح التسهيل، ومنهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك، وشرح التسهيل (فى بغية الوعاة: «التذييل والتكميل فى شرح التسهيل») يدخل فى عشرة أجزاء، وزهو الملك فى نحو الترك، وكتاب الأسفار الملخص من كتاب الخفاف والصفار من كتاب سيبويه (فى البغية: الإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار)، والمبدع فى اختصار الممتع، والموفور من شرح ابن عصفور، وغاية الإحسان فى علم اللسان، وكتاب التذكرة فى النحو، وهو كتاب كبير، وتحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب، وكتاب الارتضاء فى الفرق بين الضاد والظاء، وعقد اللآلى فى القراءات السبع العوالى (ذكر السيوطى أنها فى القراءات على وزن الشاطبية وقافيتها)، والمورد الغمر فى قراءة ابن عمرو، والأثير فى قراءة ابن كثير، وغاية المطلوب فى قراءة يعقوب، والحلل الحالية فى الأسانيد العالية، والأمالى فى شرح عقد اللآلى، والنكت الحسان فى شرح غاية الإحسان، وكتاب الشذا فى مسألة كذا، وغير ذلك، وله ديوان شعر، الأدب مقصور عليه (ذكر الفيروزبادى ارتشاف الضرب فى علم لسان العرب، وهو أحسن مصنفاته).

قرأ عليه الجم الغفير، فبلغوا فى الفضل ما هو للأثير (فى البلغة «فبلغوا فى الفضل ذروة الأثير»).

مولده فى أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة بمطخشارش (من أعمال غرناطة، وفى البلغة «مطخارش»). انظر بغية الوعاة، وطبقات ابن قاضى شهبة) من حصون غرناطة، كتب لى بخطه أبقاه الله، فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة إجازة بجميع ما يرويه وما صنفه، أحسن فيها غاية الإحسان، وقلدنيها أنواع الامتنان اهـ (إشارة التعيين/ ٢٩٠ـ٢٩٢).

وقال عنه الداودى (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩١، وقد ذكر نسبته النفزى بالزاى المعجمة وقال: نسبة إلى نفزة قبيلة من البربر):

نحوى عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه.

ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة فى آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة.

وأخذ القراءات عن أبى جعفر بن الطباع، والعربية عن أبى الحسن الأبذى، وأبى جعفر بن الزبير، وابن أبى الأحوص، وابن الصائغ، وأبى جعفر اللبلى. وبمصر عن البهاء بن النحاس، وجماعة.

وتقدم فى النحو، وأقرأ فى حياة شيوخه بالمغرب، وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز. من نحو أربعمائة وخمسين شيخا، منهم أبو الحسين بن ربيع، وابن أبى الأحوص، والرضى الشاطبى، والقطب القسطلانى، والعز الحرانى.

وأجاز له خلق من المغرب والمشرق منهم الشرف الدمياطى، والتقى ابن دقيق العيد، والتقى ابن رزين، وأبو اليمن بن عساكر.

وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه. وفى التفسير والعربية. والقراءات، والأدب، والتاريخ واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا فى حياته، كالشيخ تقى الدين السبكى، وولديه، والجمال الإسنوى،

وابن قاسم ، وابن عقيل والسمين ، وناظر الجيش ، والسفاقسي وابن مكتوم ، وخلائق .

قال الصفدي : لم أره قط إلا يسمع أو يشغل ، أو يكتب أو ينظر في كتاب ، وكان ثبتا قيما ، عارفا باللغة ، وأما النحو والتصريف هو الإمام المجتهد المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره ، حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره .

وله يد طولى في التفسير والحديث ، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم ، خصوصا المغاربة وأقرأ الناس قديما وحديثا ، وألحق الصغار بالكبار ، وصارت تلامذته أئمة وأشياخًا في حياته ، والتزم ألا يقرئ أحدًا إلا في « كتاب سيبويه » ، أو «التسهيل» أو مصنفاته .

وكان سبب رحلته عن غرناطة أنه حملته حدة الشبيبة على التعرض للأستاذ أبي جعفر بن الطباع ، وقد وقعت بينه وبين أستاذه أبي جعفر بن الزبير واقعة ، فنال منه وتصدى لتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته ، فرفع أمره إلى السلطان ، فأمر بإحضاره وتنكيله فاختفى ، ثم ركب البحر ، ولحق بالمشرق .

وذكر هو في كتاب « النضار » الذي ألفه في ذكر مبدئه واشتغاله وشيوخه ورحلته ، أن مما قوى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة والرياضي والطبيعي قال للسلطان : إني قد كبرت وأخاف أن أموت ، فأرى أن ترتب لي طلبة أعلمهم هذه العلوم ، لينفعوا السلطان من بعدي .

قال أبو حيان : فأشير إلى أن أكون من أولئك .

قال الصفدي : وقرأ على العلم العراقي ، وحضر مجلس الأصبهاني ، وتمذهب للشافعي ، وكان أبو البقاء يقول : إنه لم يزل ظاهريا .

قال الحافظ ابن حجر : كان أبو حيان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

قال الأدفوي : وكان يفخر بالبخل كما يفخر الناس بالكرم ، وكان ثبتا صدوقا حجة سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم ، ومال إلى مذهب أهل الظاهر وإلى محبة علي بن أبي طالب ، كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن وكان شيخًا طوالاً حسن النغمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مشربا بحمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر .

وكان يعظم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ثم وقع بينه وبينه في مسألة نقل فيها أبو حيان شيئا عن سيبويه ، فقال ابن تيمية : وسيبويه كان نبي النحو لقد أخطأ سيبويه في ثلاثين موضعا من كتابه ، فأعرض عنه ورماه في تفسيره « النهر » بكل سوء .

قال الصفدي : وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء وعنده تعظيم لهم ، وهو الذي جسر الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها ، وخاض بهم لججها .

وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب : هذه نحو الفقهاء .

تولى تدريس التفسير بالمنصورية ، والإقراء بجامع الأقمر ، وكانت عبارته فصيحة ، لكنه في غير القرآن يعقد القاف قريبا من الكاف .

وله من التصانيف : « البحر المحيط في التفسير » ، «النهر» مختصره ، «إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب» ، « التذييل والتكميل في شرح التسهيل» ، « مطول الارتشاف ومختصره» مجلدان .

قال شيخنا الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى : ولم يؤلف في العربية أعظم من هذين الكتابين ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف والأقوال ، « التنخيل الملخص من شرح التسهيل» للمصنف وابنه بدر الدين ، « الإسفار الملخص من شرح سيبويه للصفار» ، « التجريد لأحكام كتاب سيبويه» ، « التذكرة في العربية » أربع مجلدات كبار ، «التقريب» ، « مختصر المقرب» ، « التدريب في شرحه» ، «المبدع في التصريف» ، غاية الإحسان » في النحو « الشذا في مسألة كذا » ، « اللمحة البدرية في علم العربية » ، و«الشذرة» كلاهما في النحو ، «الارتضاء في الضاد والظاء» ، «عقد اللآلي في القراءات» على وزن الشاطبية وقافيتها ، «الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية» ، «نحاة الأندلس» ، « الأبيات الوافية في علم القافية » ، « منطق الخرس في لسان الفرس» ، « الإدراك للسان الأتراك » .

ومما لم يكمل «شرح الألفية » ، « نهاية الإغراب في

التصريف والإعراب»، أرجوزة، «نور الغبش فى لسان الحبش»، «مجانى الهصر فى تواريخ أهل العصر» وله « ديوان شعر».

وحدث، فسمع منه الأئمة العلماء والحفاظ وغيرهم، وأضر قبل موته بقليل.

مات بالقاهرة فى صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصوفية.

ومن شعره :

عداى لهم فضل على ومنة
فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها
وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

(طبقات المفسرين ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٠).

ذكره الكتانى فى مؤلفى كتب الفوائد الحديثية (الرسالة المستطرفة / ٧٥) كما ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة، وأورد قصيدة رثاء الصلاح الصفدى له، وننقلها لك فيما يلى : ويلاحظ أنه يستخدم ألفاظا تتصل بعلم النحو :

مات أثير الدين شيخ الورى
فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حسن نسيم الصبا
واعتل فى الأسحار لما سرى
وصادحات الأيك فى نوحها
رثته فى السجع على حرف را
يا عين جودى بالدموع التى
يروى بها ما ضمه من ثرى
واجرى دما فالخطب فى شأنه
قد اقتضى أكثر مما جرى
مات إمام كان فى علمه
يرى إماما والورى من ورا
أمسى منادى للبلا مفردا
فضمه القبر على ما ترى
يا أسفا كان هدى ظاهرا
فعاد فى تربته مضمرا
وكان جمع الفضل فى عصره
صح فلما أن قضى كسرا
وعُرف الفضل به برهة
والآن لما أن مضى نكرا
وكان ممنوعا من الصرف لا
يطرق من وافاه خطب عرا
لا أفعل التفضيل ما بينه
وبين من أعرفه فى الورى
لا بدل عن نعته بالتقى
ففعله كان له مصدرا
لم يدَّغم فى اللحد إلا وقد
فك من الصبر وثيق العرا
بكى له زيد وعمرو فمن
أمثلة النحو وممن قرا
ما عقل التسهيل من بعده
فكم له من عمره يسَّرا
وجسَّر الناس على خوضه
إذ كان فى النحو قد استبحرا
من بعده قد حال تمييزه
وحظه قد رجع القهقرى
شارك من ساواه فى فنه
وكم له فن به استأثرا
دأب بنى الآداب أن يغسلوا
بدمعهم فيه بقايا الكرى
والنحو قد سار الردى نحوه
والصرف للتصريف قد غيرا
واللغة الفصحى غدت بعده
يلغى الذى فى ضبطها قُررا
تفسيره البحر المحيط الذى
يهدى إلى وارده الجوهرا

فوائد من فضله جمة
عليه فيها نعقد الخنصرا
وكان ثبتا نقله حجة
مثل ضياء الصبح إذ أسفرا
ورحلة فى سنة المصطفى
أصدق من تسمع إن خبرا
له الأسانيد التى قد علت
فاستفلت عنها سوامى الذرا
ساوى بها الأحفاد أجدادهم
فاعجب لماض فاته من طرا
وشاعرا فى نظمه مفلقا
كم حرر اللفظ وكم حبرا
له معان كلما خطها
تستر ما يرقم فى تسترا
أفديه من ماض لأمر الردى
مستقبلا من ربه بالقِرى
ما بات فى أبيض أكفانه
إلا وأضحى سندسا أخضرا
تصافح الحور له راحة
كم تعبت فى كل ما سطرا
إن مات فالذكر له خالد
يحيا به من قبل أن ينشرا
جاد ثرى واراه غيث إذا
مساه بالسقيا له بكرا
وخصه من ربه رحمة
توردة فى حشره الكوثرا

أما عن تفسير أبى حيان « البحر المحيط» فقد أدرجه الشيخ مناع القطان فى الكتب المؤلفة فى التفسير بالرأى وقال عنه :

ويقع هذا التفسير فى ثمانى مجلدات كبار، وهو مطبوع متداول، ويهتم أبو حيان فيه بذكر وجوه الإعراب، ومسائل النحو، ويتوسع فى هذا فيذكر الخلاف بين النحويين، ويناقش ويجادل، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير.

وينقل أبو حيان فى تفسيره كثيرا من تفسير الزمخشرى وتفسير ابن عطية . ولا سيما ما يتعلق بمسائل النحو ووجوه الإعراب، ويتعقبها كثيرا بالرد، ويحمل على الزمخشرى أحيانا حملات قاسية، وإن كان يشيد بما له من مهارة فائقة فى تجلية بلاغة القرآن وقوة بيانه .

ولا يرضى أبو حيان عن اعتزاليات الزمخشرى فينقدها ويردها بأسلوب ساخر، ويعتمد فى أكثر نقوله على كتاب «التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير» وهو لشيخه : جمال الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان المقدسى المعروف بابن النقيب، ويذكر أبو حيان عنه أنه أكبر كتاب صنف فى علم التفسير، يبلغ فى العدد مائة سفر أو يكاد (مباحث فى علوم القرآن / ٣٢٩) .

(إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٩٠ ـ ٢٩٢ وقد وضعنا هوامش المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وطبقات المفسرين للداودى بتحقيق على محمد عمر ٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩١، والرسالة المستطرفة للكتانى / ٧٥، وحسن المحاضرة للسيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٦؛ ومباحث فى علوم القرآن ـ مناع القطان / ٣٢٩ ـ انظر أيضا نشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٦٦، والأعلام للزركلى ٧/ ١٥٢ وقد أدرجه تحت عنوان « أبو حيان النحوى ») .

له ترجمة فى الأعلام ٨/ ٢٦ وبغية الوعاة ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٥ والبلغة/ ٢٠٣ والبدر الطالع ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٩١ والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢ ـ ٣١٠ وشذرات الذهب ٦/ ١٤٥ ـ ١٤٧ وطبقات الشافعية ٦/ ٣١ ـ ٤٤ (ط الحسينية) وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ١٥٣ ـ ١٥٧ وطبقات القراء ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٥ وكشف الظنون / ٥ و ٦ و ٤٩ و ٦١ و ١٥٣ و ٢٦٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٦٢ و ٣٩٣ و ٤٠٥ و ٦٨٨ و ٧١٧ و ٩١٨ ومعجم الثقافة ٦١٩٤١٢ ص ١٤ و ١٦ و ١٩ لمحمد عبد الغنى حسن، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١١١ ـ ١١٥ ونفح الطيب ٩/ ٣٣١ وهدية العارفين ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣، وذيل طبقة الحفاظ / ٢٣، وذيل العبر / ٢٤٥، والمقفى ورقة ٢٤١ .

(إشارة التعيين / ٢٩٠ هامش المحقق) .

قالت المؤلفة : بالنسبة لكتاب أبى حيان « اللمحة البدرية فى علم العربية » عندى كتاب بعنوان « شرح اللمحة البدرية فى علم العربية » لأبى حيان الأندلسى - ابن هشام الأنصارى - تحقيق وشرح وتعليق وتبويب د. صلاح رواى . الناشر هو المؤلف سنة ١٩٨٤ .

*** أبو حيان الأندلسى :**

انظر : أبو حيان .

*** أبو حيان التوحيدى (-نحو ٤٠٠ هـ / -نحو ١٠١٠ م) :**

هو أبو حيان على بن محمد بن أحمد بن العباس البغدادى المعروف بالتوحيدى، شيرازى الأصل ، وقيل واسطى، وقيل نيسابورى .

فيلسوف ، متصوف معتزلى، نعته ياقوت الحموى بشيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، وإمام البلغاء. تفقه على القاضى أبى حامد المروروزى، وسمع الحديث من أبى بكر اليافعى وأبى سعيد السيرافى وجعفر الخلدى، ولعله أخذ عنه التصوف، وغيرهم . ولد فى شيراز أو فى نيسابور، وأقام ببغداد مدة ثم انتقل إلى الرى، فصحب أبا الفضل ابن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمدهما ، وصنف فى مثالبهما كتاب « مثالب الوزيرين» . ثم وشى به إلى الوزير الحسن بن محمد المهلبى (٢٩١ - ٣٥٢هـ) فاستتر منه ومات فى استتاره نحو سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠م عن نيف وثمانين عاما وقبل موته أحرق كتبه ضنا بها ، قال ابن الجوزى « نادقة الإسلام ثلاثة : الراوندى، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى، وشرهم على الإسلام التوحيدى لأنهما صرحا ولم يصرح » . وقال الذهبى : « كان سيىء العقيدة ، كذابا ، قليل الدين والورع عن القذف و المجاهدة بالبهتان والقدح فى الشريعة » . وذكره السبكى فى طبقاته وقال : «والحامل للذهبى على الوقيعة فيه مع ما يبطنه من بغض الصوفية هذان الكلامان - يعنى كلام ابن الجوزى والصاحب كما فى الكفاة - ولم يثبت عندى إلى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقيعة فيه، ووقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا أنه كان قوى النفس مزدريا بأهل عصره، ولا يوجب هذا أن ينال هذا النيل منه » وقال ابن النجار : « كان صحيح العقيدة » (طبقات الشافعية / ١١٤-١١٥) .

وكان أبو حيان التوحيدى من تلاميذ أبى سعيد السيرافى كما سبق القول - ويعد ما كتبه أبو حيان ورواه عن أبى سعيد أهم ما قيل فى التعريف بشيخه، وقد وصف شيخه بالإمام ، وهو الذى سجل مناظرته مع متى بن يونس . وذكر أيضا أنه قرأ عليه شرح كتاب سيبويه (أخبار النحويين البصريين للسيرافى / ١٧) .

ويعد التوحيدى من أعظم أدباء العربية ، وأسلوبه من السهل الممتنع وله قطعة كتبها على لسان شيخ الشونيزية ببغداد يقلد بها شطحات الصوفية فى غاية الإمتاع والظرف (محاضرة الأبرار ١ / ١٠ نقلا عن معجم الأدباء وبغية الوعاة / ٣٤٨ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٥٥) .

آثاره :

لم تبق يد الحدثان من آثار التوحيدى إلا النزر القليل . وقد أورد ياقوت فى معجمه ثبت كتب التوحيدى فبلغت سبعة عشر كتابا ، وبالرغم من أن هذا الثبت لم يستوف جميع آثار التوحيدى فقد صار عمدة لجميع من ذكروا هذه الآثار، ومن المعلوم أن التوحيدى أحرق فى أواخر حياته كتبه - كما سبق القول - ولا ندرى هل كان فقدان أكثر آثاره ناتجا عن هذه الفعلة ، غير أن السيوطى وطاش كبرى زاده يعتقدان « أن النسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه فى حياته، وخرجت من قبل حرقها » (بغية الوعاة / ٣٤٨، مفتاح السعادة ١ / ١٨٨) .

ومهما يكن من أمر فإن ما تبقى من آثاره يدل على حياة فكرية خصبة، وفعالية وافرة فى التأليف .

(أ) الآثار الأدبية :

- الإمتاع والمؤانسة (يأتى الكلام عليه فيما بعد) .

- الصداقة والصديق .

- الهوامل والشوامل .

بصائر القدماء وسرائر الحكماء (المعروف بالبصائر والذخائر) .

- مثالب الوزيرين .

- « النوادر » : كتاب مفقود، ذكره التوحيدى نفسه فى المقابسات .

ـ « تقريظ الجاحظ » : وردت منه مقتطفات فى معجم الأدباء فى ترجمة أحمد بن داود الدينورى وأبى سعيد السيرافى .

ـ « رسالة الحنين إلى الأوطان » : ذكرها صاحب معجم الأدباء .

ـ « رسالة فى علم الكتابة » : نشرها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع « ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى » .

وتعتبر هذه الرسالة من أمتع وأقدم ما نشر عن الخطوط العربية وقواعدها وأنواعها . وكان التوحيدى بحكم مهنة الكتابة والوراقة معنيا بهذه الصناعة مطلعا على دقائقها وأسرارها .

(ب) الآثار الفلسفية :

ـ المقابسات .

ـ « رسالة فى ضلالات الفقهاء فى المناظرة » .

ـ « المحاضرات والمناظرات » : وردت مقتطفات منه فى المسامرات والمحاضرات لابن العربى ، ومطالع البدور للغزولى وذكره ياقوت مرة تحت عنوان « محاضرات العلماء » معجم الأدباء ١/ ٥٨ ، ٨/ ١٥٢ .

ـ « الإقناع » : ذكره صاحب كشف الظنون (ص٥٢) .

ـ « التذكرة التوحيدية » : ذكره صاحب غرر الخصائص الواضحة / ٣٣ .

(جـ) الآثار الصوفية :

ـ « الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية » : مخطوط فى جزأين ، حفظ الجزء الأول منه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (رقم ٧ تصوف ، وطبعه د. عبد الرحمن بدوى فى القاهرة سنة ١٩٥٠) كتب سنة ٤٧١ هـ ، وله مختصر مخطوط فى مكتبة برلين (فهرست إهلوارد رقم ٢٨١٨) ، والكتاب مؤلف من ٥٤ رسالة فى المواعظ والأدعية الصوفية « المستحسنة البليغة » (شرح نهج البلاغة ٣/ ٨٨) الموجهة إلى مريدى التوحيدى وطلابه ، وقد ألفه فى الدور الأخير من حياته أى بعد أن تجاوز الستين بل السبعين من عمره وهدأت ثورة نفسه الجامحة ، وجنح إلى حياة روحية صرفة هدفها الاتجاه نحو الله منبع الخير والحق والجمال والنظر إليه بعين العقل المجرد والقلب المضاء بالإيمان المطلق والوجه الصوفى المحرق (يأتى المزيد عنه فيما بعد) .

ـ « الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى » : كتاب مفقود ، ذكره ياقوت ، ويقول صاحب روضات الجنات : « إن كتاب الحج العقلى نظير ما كتبه حسين بن منصور فى كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المخذولة ، فصار عمدة السبب فى قتله» ويقول مارغليوت : « إن عنوان الكتاب يوحى بالزندقة التى قتل من أجلها الحلاج » .

ـ « الزلفى » : ذكره صاحب معجم الأدباء ، وذيل تجارب الأمم .

ـ « رياض العارفين » : ذكره صاحب معجم الأدباء .

ـ « رسالة فى أخبار الصوفية » : ذكرها صاحب معجم الأدباء ، ونظيرها « الرسالة القشيرية » التى ألفها القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وحاول فيها الدفاع عن التصوف والتوفيق بينه وبين السنة ، والظاهر أن غرض التوحيدى من رسالته محاربة البدع التى طرأت على الطريقة « لكثرة الدخلاء فيها ، كما لحق البلاغة لكثرة مدعيها» فأبعدها عن مناهج السنة .

ـ «رسالة الحياة » : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى . دمشق ١٩٥١ .

د ـ كتب التراجم والجدل .

ـ رسالة فى بيان ثمرات العلوم . ذكرها بروكلمان تحت عنوان « رسالة فى وصف العلوم » ملحق ١/ ٤٣٦ ونشرتها مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة تحت عنوان « رسالة أبى حيان فى العلوم» .

ـ « رسالة الإمامة » (المعروفة برواية السقيفة) : طبعها الدكتور إبراهيم الكيلانى ضمن مجموع ثلاث رسائل لأبى حيان التوحيدى . دمشق ١٩٥١ .

ألف التوحيدى هذه الرسالة لمواجهة جماعات الرافضة الذين رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين ، وفضلوا عليًّا عليهما ، وجرت بينهم وبين أهل السنة أحداث وأهوال .

إن هذه الرسالة التى أظهر فيها التوحيدى مقدرته البيانية وفهمه لنفسية الناس واطلاعه على الأحداث ذات الرجع الخطير فى تاريخ الإسلام ، كانت هدفا لهجوم واستهجان

عنيفين من قبل السنيين والشيعة على السواء، فألصقوا به تهمة الافتعال والانتحال والتطاول على الأئمة الكبار، وما كان نسبتها إلى أستاذه أبى حامد المروروزى إلا تخلصا لما قد يلحقه من الأذى.

ـ « المناظرة بين أبى سعيد السيرافى ومتى بن يونس القُنّائى : عن المفاضلة بين النحو العربى والمنطق اليونانى كما رواها التوحيدى فى الإمتاع والمؤانسة طبع هذه الرسالة على حدة المستشرق مارغليوث، وقد صدرها بملاحظات عن حال المتناظرين وعلمهما ومنزلة الرواية من الصحة أو الريب، وألحق المناظرة بترجمتها الإنكليزية .

(هـ) كتب مجهولة المضمون :

ـ « الرسالة البغدادية » : ذكرها صاحب معجم الأدباء (معجم الأدباء ١٥ / ٧) .

ـ « رسالة لأبى بكر الطالقانى »: رواها عن أبى حيان التوحيدى. ذكرها بروكلمان (ملحق ١/ ٤٣٦ . راجع فهرست مكتبة بريل رقم ٣٦٠ ليدن ١٨٨٣) .

ـ « رسالة إلى أبى الفضل بن العميد »: ذكرها بروكلمان (ملحق ١/ ٤٣٦) .

(أبو حيان التوحيدى / ٣٧ ـ ٥١) .

وقد اختلف اختلافا كثيرا فى سنة وفاته فقال السيوطى وطاش كبرى زاده وابن شاكر: توفى سنة ٣٨٠، وقال الذهبى والبغدادى فى إيضاح المكنون والفيروزابادى فى البلغة / ١٤٥ إنه مات سنة ٤٠٠ ، وقال حاجى خليفة إنه مات سنة ٤١٤

أما عن كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فهو مطبوع فى ثلاثة أجزاء صدرت على التوالى فى السنوات ١٩٣٩ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ بالقاهرة ، ويتضمن أحاديث شتى سامر بها التوحيدى الوزير البويهى ابن العارض. وقد قسم التوحيدى كتابه إلى أربعين ليلة على غرار ألف ليلة وليلة مع الفرق بين الكتابين وهو أن موضوعات الإمتاع عقلية وواقعية ، وموضوعات ألف ليلة قصصية خيالية . ففى بدء كل ليلة يقترح ابن العارض بعض المسائل الأدبية واللغوية والفلسفية أو العلمية ، وهى على الغالب بنت ساعتها ، أو مما كان يدور فى خلد الوزير، « ويتردد فى نفسه » أو مسوقة بتداعى الخواطر، فكان على التوحيدى ارتجال الجواب عن غير سابق أهبة واستعداد كما طلب منه مرة المفاضلة بين العجم والعرب مما دعاه إلى الخوض فى قضايا الحضارات القديمة والفلسفة التاريخية ، وأخرى إلى البحث فى موضوع الإرادة والاختيار والمحبة والشهوة ، والحساب والبلاغة ، والنظم والنثر، وقد يطلب ابن العارض من محدثه أن تكون فاتحة الحديث منه ، أو يدفع إليه برقعة فيها أسئلة تقتضى التفكير واستشارة أرباب المعرفة ، أو يطلب إليه « جمع أشياء كان يسمعها من أهل العلم والأدب» لتكون موضوع مناقشة وتعليق .

وقد درج ابن العارض فى نهاية كل جلسة على طلب ملحة الوداع ، وهى عادة أبيات من الشعر، أو حكمة مأثورة ، أو عظة خلقية (أبو حيان التوحيدى / ٣٧ ، ٣٨) .

يوجد مخطوطه المصور بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

أوله : مبتور الأول ، وأول الموجود منه : وقال فى وقت آخر : قد بلغنى أن الخالع ... فتحسس لى جهدك، وجرد فيها محبتك، وأظن الخالدى قد مالأه، ولست آمن ابن الجلباب، فإن هؤلاء الثلاثة أثافى العيوب، وجماع المخازى ولهم اللسان العضب، والوجه الصفيق، ولأمر ما قال الناصح: لا تصحبن شاعرا فإنه يهجوك مجانا ...

وآخره : وآخر ما أقول : افعل ما ترى ، واصفح ما تستحسن، وابلغ ما تهوى فليس والله منك بد، ولا عنك غنى، والصبر عليك أهون من الصبر عنك لأن الصبر عنك مقرون باليأس، والصبر عليك ربما أدى إلى رفع هذا الوسواس، تم الجزء الثانى، وهو الثالث من التجزئة وبتمامه تم جميع الكتاب .

وهو نسخة جيدة بقلم نسخى واضح، جميل، ومضبوط بالشكل، كتبت فى القرن السابع .

٢٣٥ ورقة ١٥ سطرا

(امبروزيانا ٨٦)

(فهرس المخطوطات المصورة / ٦٥ ، ٦٦) .

كما توجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى : قال واضعا الفرس :

الأول : (نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل إلى الخيرات الآخرة من كان من الزاهدين ...) .

نسخة خزائنية نفيسة كتبها لخزانة السلطان سليمان بن غازى بن محمد بن أبى بكر الأيوبى سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م شرف بن أميرة فى حصن كيفا.

صفحة العنوان مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية، كتب العنوان فى أعلى الصفحة، وداخل شريط مزخرف، وفى الوسط دائرة تحيط بها زخارف نباتية وأزهار، وكتب داخل الدائرة اسم الخزانة التى أهديت لها هذه النسخة.

قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى فى نفس سنة النسخ فى أولها فهرس، دفتا الغلاف عليها آثار زخارف.

تتضمن الجزء الأول من الكتاب.

الرقم: ١٠٠٤٨.

٤٢٨ ص. ٢٦×١٨ سم. ١٥ س.

معجم المؤلفين ٧/ ٢٠٥، كشف ١/ ١٦٧.

طبع بتحقيق إبراهيم الكيلانى وكذلك طبع بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وصدر بالقاهرة سنة ١٩٥٣م عن لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد اعتمد المحققان على نسختين. الأولى نسخة إستانبول. الجزء الأول منها غير مضبوط والجزء الثانى منها يكمل نسخة خزائنية كتبت لخزانة السلطان سليمان، أما النسخة الثانية فهى نسخة ميلانو تتألف من قطع ثلاث وهى مشوشة وغير مرتبة.

ومن هنا يتبين أن نسختنا الخزائنية التى تتضمن الجزء الأول تكمل النسخة الخزائنية الموجودة فى استانبول ويمكن أن يعاد تحقيق الكتاب على نسختنا ونسخة إستانبول المتكاملتين (مخطوطات الأدب/ ٤٧، ٤٨).

وأما كتاب «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية» فيقول عنه د. عبد المنعم الحفنى إنه ربما ينتمى للمرحلة الأخيرة من عمره، وإنه كتبه للتعبير عن توبته. ثم يقول:

والكتاب درة من درر الآداب العالمية نهج فيه التوحيدى على منهج المناجاة وليس نظير فى ذلك إلا كتاب مناجاة الفرد الكامل للصدر القونوى، ويوجه فيه الخطاب إلى الله، ومن ذلك قوله: اللهم إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعا فى رحمتك الواسعة. نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ومعرفة لا يخالطها إنكار. وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة، فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم تكن له هذه الوسيلة إليك. يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشىء الأخبار، ويا مولج الليل فى النهار، ويا مصافى الأخيار، ويا مدارى الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار. عد إلينا بصفحك عن زلاتنا، وأنعشنا عند تتابع صرعاتنا وخطر حالنا معك فى اختلاف سكراتنا وصحواتنا، وكن لنا وإن لم نكن لأنفسنا، لأنك أولى بنا، فامزج خوفنا منك برجائنا فيك. وإذا غلب علينا يأسنا منك، فتلقه بالأمل فيك. بشرنا عند توجهنا نحوك بالوصول إليك. متعنا بالنظر إلى نور وجهك. أسبغ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توجيدك! (الموسوعة الصوفية/ ٨٧، ٨٨).

له ترجمة فى الأعلام ٤/ ٣٢٦، وأمراء البيان لمحمد كرد على ٢/ ٤٨٨، «دائرة المعارف الإسلامية» مجلد ١ ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥ وما بها من مراجع، و «معجم الأدباء» ١٥/ ٥ وما بعدها، و« طبقات الشافعية» للسبكى ٥/ ٢٨٦ وما بعدها، و«بغية الوعاة» ٢/ ١٩٠ ت ١٧٦٧، و «ميزان الاعتدال» ٣/ ٣٥٥، و« لسان الميزان» ٦/ ٣٦٩، و« مفتاح السعادة» ١/ ١٨٨، والبلغة (على بن أحمد) ١٤٣، والبلغة أيضا (على بن محمد) / ١٦٢، وشد الإيزار للشيرازى/ ٥٣ ـ ٥٤، وكشف الظنون/ ١٤٠، ١٦٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ١٧٧٨، وكنوز الأجداد لمحمد كرد على/ ٢٢١ ـ ٢٣٢، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٠٥، وهدية العارفين/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٧٩ (إشارة التعيين/ ٢٢٦).

(الطبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى ـ حققه وعلق عليه عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م/ ١١٤، ١١٥، وأبو حيان التوحيدى ـ د. إبراهيم الكيلانى/ ٣٧ ـ ٥١، وأخبار النحويين البصريين. لأبى سعيد السيرافى ـ تحقيق د. محمد إبراهيم البنا/ ١٧، ومحاضرة الأبرار لمحيى الدين بن عربى ـ تحقيق محمد مرسى الخولى. نوابغ الفكر العربى (٢١) دار المعارف. القاهرة. الطبعة الرابعة ١/ ١٠ هامش ٢ للمحقق، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، الأدب جـ ١ ق ٢. القاهرة ١٩٧٩م/ ٥٦، ٦٦، ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى/

٤٧ ، ٤٨ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى/ ٨٧ ، ٨٨ ، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى ـ تحقيق د. عبد المنعم دياب / ٢٢٦ ، انظر أيضا « مواقف لأبى حيان التوحيدى ونظراته الاجتماعية واللغوية » ـ محمد إحسان النص. المجلة العربية للعلوم الإنسانية . جامعة الكويت . م٢ العدد٨ ، خريف ١٩٨٢م/ ١٢٥ ، ١٢٦ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ٣/ ٧٦ ، ٧٧ وفيه (ص٧٦) قول ابن حجر: « ويحتمل أن ينسب إلى التوحيد الذى هو الدين ، فإن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل التوحيد » ، والأعلام للزركلى ٤/ ٣٢٦ ، وأعلام التراث الإسلامى ـ د. عبد الفتاح محمد الحلو / ٥١ ـ ٥٤) .

*** أبو حيان الغرناطى :**

انظر : أبو حيان .

*** الحياة :**

من صفات المعانى الواجبة لله تعالى : قال سيدى أحمد الدردير صاحب الخريدة رحمه الله :

حيـاتـه وقـدرة إرادة
وكـل شـىء كـائن أراده

حياة الله : صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضى صحة اتصافه تعالى بنحو الإرادة والعلم ، فالاتصاف بالحياة شرط للاتصاف بنحو هذه الصفات .

الدليل على وجوب صفة الحياة لله : أنه قد وجب اتصاف الله بالإرادة والعلم فوجب اتصافه بالحياة لأنه لا يتصف بهذه الصفات إلا من اتصف بالحياة ، ولك أن تقول فى الاستدلال: إذ لو لم يتصف المولى بالحياة ما اتصف بنحو العلم والسمع . إذ يستحيل أن يكون غير الحى عالما سميعا ، لكن وجب اتصافه تعالى بهذه الصفات فوجب اتصافه بصفة الحياة ، قال تعالى : ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ [طه : ١١١] ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [آل عمران : ٢] (توضيح العقيدة المفيد ٦ ، ١٠) .

وقال الإمام إبراهيم اللقانى صاحب الجوهرة رحمه الله :

وغيـر علم هـذه كمـا ثبت
ثـم الحيـاة مـا بشـىء تعلقت

والمعنى أن الحياة لا تتعلق بشىء أى أمر موجود أو معدوم ، فالمراد بالشىء هنا المعنى اللغوى الشامل للموجود والمعدوم ويصح أن يكون المراد به المعنى الاصطلاحى . ويقال: إذا كانت لا تتعلق بالموجود فأولى أن لا تتعلق بالمعدوم ، فليست الحياة من الصفات المتعلقة لأنها صفة مصححة للإدراك أى مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تقتضى أمرا زائدا على قيامها بمحلها ، ومثل الحياة الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية (المختار من شرح البيجورى على الجوهرة / ١٠٣ ، ١٠٤) .

وقال الشيخ معروف النودهى عن صفة الحياة بالنسبة لله تعالى، فى منظومته على العقائد النسفية ، وهى الموسومة بالفرائد فى علم العقائد :

أقـدم الكـلام فـى الحيـاة
فهـى إمـام سـائر الصفـات
ليس لهـا بـدونهـا تحقق
ومـا لهـا بممكـن تعلق
والحق قـد جل عن الـروح وعن
حيـاتـه بهـا ونفس وبـدن

(الأعمال الكاملة ٥/ ٩٠) .

وقال صاحب كفاية الغلام فى أركان الإسلام الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى رحمه الله فى البيت ١٥ من منظومته :

حـى عليمٌ قـادرٌ مـريـدُ
فـى خلقـه يفعل مـا يـريـد

(رشحات الأقلام/ ٣٢) .

ويفرد الإمام البيهقى بابا فى ما جاء فى إثبات صفة الحياة لله تعالى جاء فيه ما يلى :

قال الله عز وجل ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ **الٓمٓ * الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ [آل عمران : ١ ، ٢] وقال جل جلاله : ﴿ **هو الحى لا إله إلا هو** ﴾ [غافر: ٦٥] وقال تبارك وتعالى: ﴿ **وتوكل على الحى الذى لا يموت** ﴾ [الفرقان : ٥٨] وقال جلت عظمته ﴿ **وعنت الوجوه للحى القيوم** ﴾ [طه : ١١١] أخبرنا أبو عبد الله

محمــد ابن عبــد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمــد بن يعقوب ثنــا محمــد ابن النضــر الجارودى ثنـا عبـد الـوارث بن عــبد الصمــد بن عبـد الـوارث حدثنى أبى ثنـا حسين المعلم ح . وأخبر أبو عبـد الله قال أخبرنى أبو أحمــد الحسين بن على ثنا محمد بن إسحـاق بن إبراهيم ثنـا أبو يحيى ثنـا أبو معمـر ثنا حسين حدثنـى عبد الله بن بريـدة حدثنى يحيى بـن يعمر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إن رسول الله ﷺ كان يقول اللهم لك أسلمت وبـك آمنت وعليك تــوكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلنى أنت الحى الذى لا يموت ، والجن والإنس يموتون » رواه البخارى فى الصحيح عـن أبى معمــر، ورواه مسلم عـن حجــاج بن الشاعر عن أبى معمر .

أخبرنـا أبـو الحسين محمــد بـن الحسين بن محمــد بن الفضل القطان ببغداد أنا محمد بن عبد الله بن عمرويه الصفار ثنا ابن أبى خيثمـة ثنا موسى بن إسماعيل ثنـا حفص بن عمر الشنى ـ وكان ثقـة ـ حدثنى أبو عمر بن مـرة قال سمعت بلال ابن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبى يحدثنى عن جـدى أنـه سمع النبى ﷺ يقـول : « من قـال استغفـر الله الـذى لا إلـه إلا هـو الحى القيـوم غفـر لـه وإن كـان فـر من الزحف» أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن على المقرى أنا الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراينى ثنا يوسف بن يعقوب ثنا عبد الله بن محمــد بن أسماء أنا مهدى بن ميمـون ثنا عمرو ابن دينار قال سمعت سالم بن عبد الله يذكر عن أبيه عن عمر رضى الله عنـه قــال قال النبى ﷺ : « مـن مر بسـوق من هـذه الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شـريك له له الملك وله الحمـد يحيى ويميت وهو حى لا يمـوت ، بيـده الخير وهـو على كل شىء قـديـر، كتب الله تعالى لـه ألف ألف حسنـة ، ومحى عنـه ألف ألف سيئة ، وبنى لـه بيتا فى الجنـة » تابعـه أزهـر بن سنان عـن محمد بن واسع عن سـالم بن عبـد الله ، أخبرنـا أبو عبـد الله الحافظ وأبـو يعلى حمزة بـن عبد العـزيز الصيدلانى قالا: أنا أبو عبـد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو بكر بن أبى الـدنيا ثنا الحسن بن الصباح وغيره قـالوا : ثنا زيد بن الحباب حدثنى عثمان بن موهب قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول قـال رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنهـا : « مـا يمنعك أن تسمعى مـا أوصيك بـه أن تقـولى إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حى يا قيـوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » .

أخبرنا أبـو عبد الله الحافظ أنا عبد الله الصفار ثنـا أبو بكر ابن أبى الـدنيا ثنـا أبو خيثمة ثنـا أبو معـاوية عن عبيـد الله بن الوليـد عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخـدرى رضى اللهعنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فـراشه : أستغفر الله الذى لا إلـه إلا هو الحى القيوم وأتـوب إليه ، كفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » . وقد مضى بإسناد آخر أصح من هـذا . ورويناه بإسنـاد آخـر فى الدعـوات . أخبرنـا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بـن محمد الدورى ثنـا عمر بن حفص بن غيـاث عن أبيه عن عبـد الرحمن بن إسحاق عن القـاسم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ كان إذا نزل به كرب قال : «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث » وقـد قيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن القـاسم بن عبد الرحمن عن أبيـه عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وهذا مع إرساله أصح . أخبرنا أبو الحسين بن بشران ببغـداد أنا أبو على الحسين بـن صفوان ثنا أبـو بكر بن أبى الدنيا ثنـا القاسم بن هشام ثنا الخطـاب بن عثمان ثنا ابن أبى فديك حدثنى سعد بن سعيد حدثنى أبو بكر إسماعيل بن أبى فديك قال قال رسول الله ﷺ : « ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل عليـه السلام فقـال : يا محمد قل تـوكلت على الحى الذى لا يمـوت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولـدا ولم يكن له شـريك فى الملك ولم يكن لـه ولى من الـذل وكبـره تكبيـرا » هكذا جـاء منقطعا . وأخبرنـا أبو الحسين أنا أبـو على ثنا ابن أبى الدنيا حدثنى هارون بن سفيان حدثنى عبيد الله بن محمد القرشى عن نعيم بن مورع عن جويبر عن الضحاك قال : دعا موسى عليه السـلام حين توجه إلى فرعـون ، « ودعا رسول الله ﷺ يوم حنين ، ودعا : لكل مكروب كنت وتكون وأنت حى لا تموت ، تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم : يا حى يا قيوم » أخبـرنا أبو نصر بن قتادة أنا على ابن الفضل بن محمد بن عقيـل الخزاعى أنا جعفـر بن محمد المستفاض الفريابى ثنا محمـد بن عبد الأعلى ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان

من دعاء النبي ﷺ يـا حي يا قيوم » (الأسماء والصفات / ١٣٧ - ١٤١) .

ويبسط التهـانوى صـاحب كشـاف اصطـلاحات الفنـون الكلام على الحياة فيقول :

الحياة بالفتـح ضد موت والحى كما فى الصراح ومفهومه بديهى فإنه من الكيفيـات المحسوسة وقال ابن سينـا ماهيات المحسوسات غنية عن التعريف واختلف فى رسومها فقيل هى قوة تتبع الاعتـدال النوعى وتفيض منهـا سائر القوى الحيـوانية ومعنى الاعتـدال النـوعى أن كل نــوع من أنــواع المــركبـات العنصريـة له مزاج مخصوص هـو أصلح الأمزجة بالنسبـة إليه فالحيـاة فى كل نوع من أنـواع الحيوانات تـابعة لـذلك المزاج المسمى بالاعتـدال النوعى ومعنى الفيضـان أنه إذا حصل فى مركب عنصرى اعتدال نوعى فاضت عليه من المبدأ قوة الحياة ثـم انبعثت منهـا قوى أخـرى أعنى الحواس الظـاهرة والبـاطنة والقـوى المحركـة إلى جلب المنـافع ودفع المضـار كل ذلك بتقديـر العزيز العليم فهى تـابعة للمـزاج النوعى ومتبوعـة لما عداها .

وقد ترسم الحياة بأنها قـوة تقتضى الحس والحركة الإرادية مشروطة باعتدال المزاج ، واستدل الحكيم على مغايرة الحياة لقوتى الحس فقال ابن سينا هى غيـر قوة الحس والحركة وغير قوة التغـذية فإنهـا توجد فى العضـو المفلوج إذ هى الحـافظة لـلأجزاء عن الانفكـاك وليست لـه قوة الحس والحـركة وكـذا الحال فى العضو الذابل فإنه لو لـم يكن حيا يفسد بالتعفن مع عدم قوة التغذية وتوجد فى النبـات قوة التغذية مع عدم الحياة وأجيب بأنا لا نسلـم أن قوة الحس والحركة والتغذية مفقودة فى المفلوج والذابل لجـواز أن يكون الإحساس والحركـة والتغذية قد تخلف عن القوة الموجودة فيهـا لمانع يمنعها عن فعلها لا لعدم المقتضى ولا نسلم أن التغذية التى فى الحى موجودة فى النبات لجـواز أن تكون التغذيـة فى النبات مخـالفة بالمـاهية للتغـذية فى الحى هـذا خلاصـة ما فى شـرح الطوالع وشـرح المواقف فعلى هذا لا تـوجد الحياة فى النبات وقيل بـوجودها فى النبات أيضا لأن الحياة صفة هى مبدأ التغذية والتنمية .

ومنهم من ادعى تحقق الحـس والحـركـة فى النبـات وفى الملخص الحياة إما اعتدال المـزاج أو قوة الحس والحركة أو قوة تتبع ذلك الاعتـدال سواء كان نفس قوة الحس والحـركة أو مغايرة لها كما اختاره ابن سينا انتهى .

وفى البيضـاوى فى تفسير قوله تعالى ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتـا فأحياكم** ﴾ [البقـرة : ٢٨] الحياة حقيقـة فى القوة الحساسة أو ما يقتضيها مجـاز فى القوة النامية لأنها من مقدمـاتها وفيمـا يخص الإنسان من الفضـائل كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة كما قال تعالى ﴿ **يحييكم ثم يميتكم** ﴾ [الجاثيـة : ٢٦] وقـال ﴿ **اعلمـوا أن الله يحيـى الأرض بعـد موتها** ﴾ [الحديـد : ١٧] وقـال ﴿ **أو من كـان ميتا فأحيينـاه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس** ﴾ [الأنعام : ١٢٢] انتهى كلامه .

فائدة : شرط الحياة عنـد الحكماء البنية التى هى الجسم المركب من العناصر على وجه يحصل من تـركيبها مزاج قالوا الحياة مشـروطة بـاعتدال المـزاج وبالـروح الذى هـى أجسام لطيفة تتولد من بخارية الأخلاط سارية فى الشرايين المنبثة من القلب وكـذا عند المعتـزلـة إلا أن البنية عنـدهم هى مجمـوع جـواهـر فـردة لا يمكن الحيـوان من أقل منهـا والأشـاعـرة لا يشترطـون البنية ويقولـون يجوز أن يخلق الله تعـالى الحياة فى جزء واحد من الأجزاء التى لا تتجزأ .

قال الصوفية الحياة عبارة عن تجلى النفس وتنورها بالأنوار الإلهٰية وفى التفسير الكبير تفسير قوله تعالى : ﴿ **إذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى** ﴾ [البقرة : ٢٦٠] أن المراد من المـوتى عنـد أهل التصـوف القلـوب المحجـوبـة عن أنـوار المكاشفات والتجلى والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلى والأنوار الإلهٰية انتهى . وفى القشيرى فى تفسيـر هذه الآية قال الجنيد الحى من تكون حياته بحيـاة خالقه لا من تكون حياته ببقـاء هيكله ومن يكـون بقاؤه ببقـاء نفسه فإنـه ميت فى وقت حياتـه ومن كانت حياته بـه كان حقيقة حيـاته عند وفاتـه لأنه يصل بذلك إلى رتبـة الحياة الأصلية قـال تعالى ﴿ **لينذر من كان حيا** ﴾ [يسٓ : ٧٠] انتهى .

والمستفاد من الإنسان الكامل أن الحيـاة هى الوجود وهى تعم المعانى والهيئـات والأشكال والصور والأقـوال والأعمال والمعادن والنباتـات وغير ذلك قال وجود الشىء لنفسـه حياته

التامـة ووجوده لغيـره حياة إضافيـة له فالحق سبحـانه مـوجود لنفسه فهو الحى وحياتـه وهى الحياة التامة والخلق من حيث الجملة موجـودون بالله فحياتهم إضافية ولـذا التحق بها الفناء والموت ثـم إن حياة الله تعالى فـى الخلق واحدة تامـة لكنهم متفاوتون فيها :

فمنهم من ظهـرت الحياة فيـه على صـورتها التـامة وهـو الإنسان الكامل فإنه موجود لنفسة وجودًا حقيقيا لا مجازيا ولا إضافيـا فربُّـه هو الحى التـام الحياة بخـلاف غيره والمـلائكة العليـون وهـم المهيمنـة ومن يلحق بهم وهم الـذين ليسـوا من العناصـر كالقلم الأعلى واللوح وغيـرهما من هـذا النوع فإنهم ملحقون بالإنسان الكامل فافهم .

ومنهم من ظهرت فيـه الحياة على صورتها لكن غيـر تامة وهـو الإنسـان الحيـوانى والملك والجـن فإن كـلا من هـؤلاء موجود لنفسه يعلم أنه موجود وأنه كذا وكذا ولكن هذا الوجود له غير حقيقى لقيامه بغيره فربه موجود للحق لا له وكانت حياة ربه حياة غير تامة .

ومنهم من ظهرت فيه لا على صورتها وهى باقى الحيوانات ومنهم من بطنت فيـه الحيـاة فكـان مـوجودا لغيـره لا لنفسـه كالنباتـات والمعادن والمعانى وأمثال ذلك فسـارت الحياة فى جميع الأشياء فمـا موجود إلا وهو حى لأن وجوده عيـن حياته وما الفـرق إلا أن يكون تاما أو غيـر تام بل ما تم إلا من حيـاته التامـة لأنه على القـدر الذى تستحقـه مرتبـة فلو نقص أو زاد لعدمت تلك المرتبـة فما فى الوجود إلا ما هو حى بحيـاه تامة ولأن الحياة عين واحدة ولا سبيل إلى نقص فيها ولا إلى انقسام لاستحالة تجزئ الجوهر الفرد فالحياة جوهر فرد موجود بكماله فى كل شىء فشيئية الشىء هى حياته وهى حياة الله التى قامت الأشياء بهـا وذلك هو تسبيحها مـن حيث اسمه الحى لأن كل مـوجـود يسبح الحق من حيث كل اسم فتسبيحـه من حيث اسمه الحى هو عين وجوده بحياته ومن حيث اسمه العليم هو دخولها تحت علمه وقـولها له يا عالم هو كـونها أعطاها العلم من نفسها بأن حكم عليها إنها كذا وكذا وتسبيحها له من حيث اسمه السميع هو إسماعها إياه كلامها وهو ما استحق حقائقها بطـريق الحال فيمـا بينهـا وبين الله بطريق المقـال ومن حيث اسمه القـدير هـو دخولهـا تحت قدرته وقس على ذلـك باقى الأسماء .

إذا علمت ذلك فاعلم أن حياتهـا محدثة بالنسبة إليهـا قديمة بالنسبة إلى الله تعالى لأنها حياتـه وحياته صفة له قديمة ومتى أردت أن تتعقل ذلك فـانظر إلى حيـاتك وقيدهـا بك فإنك لا تجـد إلا روحـا يختص بك وذلك هـو المحـدث ومتى رفعت النظر فى حياتك من الاختصاص بك وذقت من حيث الشهود أن كل حى فى حيـاتـه كما كنت فيهـا وشهـدت سريـان تلك الحيـاة فى جميع الموجـودات علمت أنها الحيـاة الحق التى أقام بها العالم وهى الحياة القديمة الإلهٰية .

واعلم أن كل شـيء من المعـانـى والهيئـات والأشكـال والصور والأقوال والأعمال والمعادن والنباتات وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الوجـود فإن له حياة فى نفسه لنفسه حيـاة تامة كحياة الإنسـان لكن لما حجب ذلك عن الأكثرين نـزلناه عن درجة الإنسان وجعلنـاه موجودا لغيره وإلا فكل شـىء له وجود فى نفسه لنفسه وحيـاته تامة بهـا ينطق ويعقل ويسمع ويبصر ويقدر ويريـد ويفعل ما يشاء ولا يعرف هـذا إلا بطريق الذوق والكشف وأيد ذلك الإخبارات الإلهٰية من أن الأعمال تأتى يوم القيامة صورا تخاطب صاحبهـا فتقول له عملك ثم يأتيه غيرها وتطرده وتناجيه ومن هـذا القبيل نطق الأعضاء والجوارح انتهى ما فى الإنسان الكامل .

فائدة : اختلف العلماء فى حياتـه تعالى فذهب الحكماء وأبو الحسن البصرى من المعتزلة إلى أنها صحة العلم والقدرة وقال الجمهـور من الأشاعـرة ومن المعتزلـة إنها صفـة توجب صحة العلم والقـدرة وقال صـاحب الإنسان الكـامل إنها هى وجوده لنفسه كما عرفت (كشـاف اصطلاحـات الفنـون ١ / ٣٩٨ - ٤٠١) .

(تـوضيح العقيدة المفيـد فى علم التوحيـد لشرح الخـريدة لسيـدى أحمـد الدرديـر - حسين عبـد الرحيم مكى - صححها ونقحهـا مع بعض التعليقـات موسى أحمـد اللباد / ٦ ، ١٠ ، والمختار من شـرح البيجورى على الجـوهرة المسمى تحفـة المريـد على جوهـرة التوحيـد للإمـام شيخ الإسـلام إبـراهيم البيجـورى / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والأعمـال الكـاملـة للشيخ معروف النودهى - دراسة وتحقيق السيـد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميليه . المجمـوعة الأصـولية ق٥/ ٩٠ ، ورشحات الأقـلام شرح كفـاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى - تحقيق محمـد خالد الخرسة / ٣٢ ، والأسماء والصفات للإمام البيهقى .

دار الكتب العلمية بيروت . بدون تاريخ / ١٣٧ ـ ١٤١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٩٨ ـ ٤٠١) .

*** حياة الأنبياء :**

من بين الرسائل المجموعة في الحاوى للفتاوى للإمام جلال الدين السيوطى رسالة وردت به بعنوان « أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء » ، وطبعتها مكتبة عالم الفكر تحت عنوان «إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء » وننقل جزءا منها فيما يلى ، حيث يجيب الإمام السيوطى على سؤال وقع له ؛ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة :

قال المؤلف رحمه الله وغفر له ولسائر المسلمين ، آمين ، اللهم آمين :

« الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى : وقع السؤال : أنه قد اشتهر أن النبى ﷺ حى فى قبره .

وورد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال :

« ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » (رواه أبو داود عن أبى هريرة) .

فظاهره أن مفارقة الروح له فى بعض الأوقات ! !

فكيف الجمع ؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل فأقول :

حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعيا لما قام عندنا ، من الأدلة فى ذلك ، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك وقد ألف الإمام البيهقى رحمه الله جزءا فى حياة الأنبياء عليهم السلام فى قبورهم .

فمن الأخبار الدالة على ذلك ، ما أخرجه مسلم عن أنس رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره » (ورواه الإمام أحمد ، والنسائى عن سيدنا أنس ولفظه من الجامع الصغير للسيوطى .

« مررت ليلة أسرى بى على موسى قائما يصلى فى قبره »)

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مر بقبر موسى عليه السلام ، وهو قائم يصلى فيه » .

وأخرج أبو يعلى فى مسنده ، والبيهقى فى كتاب « حياة الأنبياء » عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال : « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية ، عن يوسف بن عطية ، قال : سمعت ثابتا البنانى رضى الله عنه يقول لحميد الطويل : « هل بلغك أن أحدا يصلى فى قبره إلا الأنبياء قال : لا » .

وأخرج أبو داود والبيهقى عن أوس بن أوس الثقفى ، رضى الله تعالى عنه ، عن النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أنه قال : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على الصلاة فيه ، فإن صلاتكم تعرض على ، قالوا يا رسول الله ، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت (يعنى بليت) فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء » .

(وقد أورد ابن القيم فى كتابه « جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الانام » حديثا هذا نصه :

« قال الطبرانى : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف . حدثنا سعيد بن أبى مريم ، عن خالد بن زيد ، عن سعيد بن أبى هلال عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« أكثروا الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ، ليس من عبد يصلى على إلا بلغنى حيث كان .

قلنا : وبعد وفاتك ؟

قال : وبعد وفاتى ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وقال فى الهامش : ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب ، وقال : رواه ابن ماجه بإسناد جيد ا هـ ... وفى نسخة «الحاوى» أجسام ، بدل « أجساد ») .

وأخرج البيهقى فى « شعب الإيمان » والأصبهانى فى «الترغيب » عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على غائبا بلغته » .

(فى الحاوى : نائيا) .

وأخرج البخارى فى « تاريخه » عن عمار : « سمعت النبى ﷺ يقول :

إن لله تعالى ملكا أعطاه أسماع الخلائق ، قائم على قبرى ، فما من أحد يصلى صلاة إلا بلغنيها » (فى الحاوى «إلا بلغتها ») .

وأخـرج البيهقى فى « حيـاة الأنبيـاء » والأصبهـانى فى «الترغيب» عن أنس رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:

« من صلى على مائة فى يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله لـه مـائة حاجـة سبعين من حـوائج الآخـرة، وثـلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل الله بذلك ملكا يدخله على قبرى كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمى بعد موتى كعلمى فى الحياة»

(وفى الجامع الكبير للسيـوطى ما نصه: « من صلى على يوم الجمعـة وليلة الجمعـة مائة من الصـلاة قضى الله لـه مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ووكل الله بـذلك ملكـا يـدخله على قبـرى كمـا يـدخل على أحـدكم الهـدايـا: أن علمى بعـد مـوتى كعلمى فى الحيـاة » الديلمى عن حكـامة عن أبيها: عثمان بن دينـار، عن أخيه: مالك بن دينار عن أنس.

ولفظ البيهقى: « يخبـرنى من صلى على بـاسمـه ونسبـه فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء ».

وأخـرج البيهقى عن أنس: أن النبى صلى الله عليـه وآلـه وسلم قـال: « إن الأنبيـاء لا يتركـون فى قبـورهم بعـد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدى الله سبحـانه وتعالى حتى ينفخ فى الصور ».

وروى سفيان الثورى فى « الجامع » قال: قال شيخ لنا، عن سعيد بن المسيب، قال: « ما مكث نبى فى قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع ».

قال البيهقى: « فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء، يكونون حيث ينزلهم الله تعالى ».

ثم قال البيهقى « ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد ».

فذكر قصـة الإسراء فى لقيه جماعـة من الأنبياء، وكلمهم وكلموه وأخرج حديث أبى هريرة فى الإسراء، وفيه.

« وقـد رأيتنى فى جمـاعة مـن الأنبياء، فإذا مـوسى قـائم يصلى فإذا رجل ضـرب جعـد كأنـه من رجـال شنـوءة، وإذا عيسى ابن مـريم قائم يصلى وإذا إبـراهيم عليـه السلام قـائم يصلى: أشبـه النـاس بـه صـاحبكم (يعنى نفسـه) فحـانت الصلاة فأممتهم ».

وأخرج حديث « أن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق ».

وقال هذا يـدل (فى الحاوى « يصح ») أيضا على أن الله رد على الأنبياء أرواحهم وهم أحيـاء عند ربهم، كـالشهداء، فإذا نفخ فى الصـور النفخة الأولى صعقوا فيمـن صعقوا ثم لا يكون ذلك مـوتا فى جميع معانيه، إلا فى ذهـاب الاستشعار. انتهى.

وأخـرج أبو يعلى عن أبى هـريرة رضى الله عنـه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « والذى نفسى بيده لينـزلن عيسى ابن مـريم، ثم لئن قـام على قبـرى، فقـال يـا محمد لأجيبنه ».

وأخرج أبو نعيم فى « دلائل النبوة » عن سعيد بن المسيب قال: لقـد رأيتنى ليالى الحرة وما فى مسجـد رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم غيرى، وما يـأتى وقت صلاة إلا وسمعت الأذان من القبر » (وهى فى أيـام يزيد بن معاويـة، لما نهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحـابة والتـابعين، وأمر عليهم مسلم بن عقبـة فى ذى الحجة سنة ٦٣ هـ.

وعقيبها هلك يزيد.

والحرة هذه: أرض بظاهر المدينة، بها حجارة سود كثيرة ١٢ مجمع البحار » اهـ من هامش المطبوعة الأولى).

وأخرج الزبير بن بكار فى « أخبـار المدينة » عن سعيد بن المسيب، قال: « لم أزل أسمع الأذان والإقامة فى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس ».

وأخرج ابن سعـد فى الطبقات، عن سعيـد بن المسيب: أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة، والناس يقتلون.

قال: فكنت إذا حانت الصـلاة أسمع أذانا يخرج من قبل القبر الشريف ».

وأخـرج الـدارمى فى « مسنـده » قال: أخبـرنـا مـروان بن محمد، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يقم وأن سعيد بن المسيب لم يبرح مقيما فى المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمـة يسمعها من قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ».

فهذه الأخبار دالة على حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء، وقد قال الله تعالى فى الشهداء ـ ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

والأنبياء أولى بذلك ، فهم أجل وأعظم ، وقلَّ نبى إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة، فيدخلون فى عموم لفظ الآية .

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والطبرانى، والحاكم فى «المستدرك» والبيهقى فى « دلائل النبوة» عن ابن مسعود، قال : لأن أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل قتلا، أحب من أن أحلف واحدا أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبيا، واتخذه شهيدا » .

وأخرج البخارى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى مرضه الذى توفى : لم أزل أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم » .

فثبت كونه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حيًّا فى قبره بنص القرآن، إما من عموم اللفظ، وإما من مفهوم الموافقة، قال البيهقى فى « كتاب الاعتقاد » : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء » .

وقال القرطبى فى « التذكرة » فى حديث « الصعقة »نقلا عن شيخه : الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا، وإذا كان فى الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء (راجع فى ذلك ابن كثير فى تفسير قوله تعالى ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾ تجد فيه الكثير الطيب والحمد لله) وأنه صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء وقد رأى موسى قائما يصلى فى قبره (رواه أبو داود، وصححه النووى فى الأذكار ورواه الإمام أحمد وصححه النووى أيضا) وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء، إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا، بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال فى الملائكة، فإنهم موجودون أحياء، ولا يراهم أحد من نوعنا، إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه» انتهى .

وسئل البارزى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، هل هو حى بعد وفاته؟ فأجاب : إنه صلى الله عليه وآله وسلم حى .

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى الفقيه الأصولى شيخ الشافعية فى أجوبة مسائل «الجاجرميين» قال المتكلمون المحققون من أصحابنا إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حى بعد وفاته، وإنه يبشر بطاعات أمته، ويحزن بمعاصى العصاة منهم ، وإنه تبلغه صلاة من يصلى عليه من أمته .

وقال : « إن الأنبياء لا يبلون ، ولا تأكل الأرض منهم شيئا» وقد مات موسى فى زمانه، وأخبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه رآه فى قبره مصليا .

وذكر فى حديث المعراج أنه رآه فى السماء الرابعة، وأنه رأى آدم فى السماء الدنيا ورأى إبراهيم، وقال له : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح (كل هذه الأحداث التى ذكرها الشيخ رحمه الله موجودة فى حادث الإسراء : رؤية موسى، والصلاة بالأنبياء، ولقاؤهم فى السموات وما إلى ذلك) .

راجع فى ذلك كتب التفاسير وستجدها مشروحة مخرجة) .

وإذا صح لنا هذا الأصل : قلنا نبينا عليه الصلاة والسلام قد صار حيا بعد وفاته، وهو على نبوته » .

وهذا آخر كلام الأستاذ .

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقى فى « كتاب الاعتقاد » الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردت أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقدرأى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم جماعة منهم وأمهم فى الصلاة، وأخبر ـ وخبره صدق ـ أن صلاتنا معروضة عليه، وأن سلامنا يبلغه ـ وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجسادا الأنبياء » .

(لابن القيم رحمه الله تعالى كتاب « جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام » جمع فيه الكثير الطيب من

هـذه الأحاديـث، وخرجهـا تخـريجـا حسنا وصحيحـا ، ولله الحمد والمنة) .

قال : وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا، قال : وهو بعد ما قبض نبى الله ورسـوله وصفيه، وخيـرته من خلقـه ﷺ: اللهم أحينـا على سنتـه، وأمتنا على ملتـه، واجمع بيننـا وبينـه فى الـدنيـا والآخـرة إنك على كل شىء قـديـر » انتهى جـواب البارزى.

وقـال الشيخ عفيف الدين اليـافعى : الأولياء، تـرد عليهم أحوال يشـاهدون فيهـا ملكوت السمـوات والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غيـر أموات، كما نظر النبى صلـى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام فى قبره .

قال : وقـد تقرر أن ما جـاز للأنبيـاء معجزة جاز لـلأولياء كرامة، بشرط عدم التحدى (لأن المعجزة للتحدى) .

قال : ولا ينكر ذلك إلا جاهل .

ونصوص العلمـاء فى حياة الأنبيـاء كثيرة، فلنكتـف بهذا القدر (إنباه الأذكياء ٥/ ١٥ والحاوى للفتاوى ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠) .

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر:

بعد الأخبار المذكورة وبعد كلام السيوطى فى تواتر الأخبار وكثرة الأدلة على حياة الأنبياء فى قبورهم يمكننا أن نطمئن إلى ذلك ولا نكـذب، بـالإضـافـة إلى أن النبـى ﷺ أفضل من الشهداء، وقـد قال الله فيهم : ﴿ **ولا تحسبن الذيـن قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحيـاء عند ربهم يرزقون** ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ولا يقـال : قـد يكـون فى المفضـول مـا ليس فى الفاضل، لأن محل ذلك مالم يرد نص، وقد ورد .

وحيـاتهم فى القبـور مختلـف فى كيفيتهـا ، وجمهـور المسلمين على أنها حياة حقيقية لا مجازية، وقد وضح الفخر الرازى ذلك فى تفسيره لهذه الآية .

وأما قوله تعالى ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتـون** ﴾ [الزمر : ٣٠] فمعناه أن روحك ستفارق بدنك، وتـدخل فى عالم آخر كسائر الناس، قال تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [الأنبياء : ٣٤، ٣٥] .

وحـديث رد روح النبى ﷺ ليجيب من يسلم عليه إن كـان ظاهره يفيد أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف فقد أجاب على ذلك العلماء بأجوبة أوصلها السيوطى إلى سبعة وعشرين وجها، أحسنها أنه ﷺ يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيفنى عن إحساسه الشريف، فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من هـذا الاستغراق إلى الإحسـاس لأجل الـرد ، كما نـرى فى الدنيـا من يكون مشغول البال قـد لا يحس بمن يتكلم بجواره (المنحـة الـوهبيـة ص ٦) هـذا، وعـدم أكل الأرض أجسـاد الأنبياء ثابت بالحديث السابق، وهو حديث صحيح عند كثير من العلماء كابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبى كما صححـه النووى فى كتـابه « الأذكـار» والعقائد وأخبـار الغيب تؤخذ من الأدلة القطعية فى الثبوت والدلالة . والخلاف موجود فى كفـاية حـديث الآحاد فى ذلك ، ومـا دام الأمر داخـلا فى قدرة الله سبحانه، معه اختلاف قوانين عالم الغيب والشهادة، ومع عـدم مصادمـة ذلك لأمر مقطـوع به فـالقلب يطمئن إلى قبوله (أحسن الكلام ٣/ ١٢، ١٣) .

(إنبـاه الأذكيـاء فى حياة الأنبيـاء للشيخ العـلامـة جلال الـدين عبـد الرحمن بن أبى بكـر السيوطى ـ حققه وراجعه الشيخ عبـد الرحمن حسن محمود، وقـد وضعنا تعليقـات المحقق بين أقواس فى ثنـايا النص / ٥ ـ ١٥، والحـاوى للفتاوى للإمام السيـوطى أيضا ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠، وأحسن الكـلام فى الفتـاوى والأحكام ــ فضيلـة الشيخ عطيـة صقر. ط دار الغـد العربى / ١٢، ١٣) .

*** الحياة البشرية فى الطب الإسلامى :**

يفرد الأستـاذ الدكتـور إبراهيم عبـد الحميد الصيـاد البابالثـانى من كتـابـه القيـم لبيـان نظـرة الطبيب المسلم للحيـاة البشرية فيقول فى بدايته :

يرتبط عمل الطبيب بالحياة الإنسانية، لذلك وجب عليه أن يستوعب نظرة الإسلام للحياة كقيمة مطلقة :

وهذه النظرة تتناول عدة قضايا :

١ ـ حماية الحياة البشرية .

٢ ـ حماية مقومات الحياة البشرية .

٣ ـ توفير الكرامة البشرية .

٤ ـ الضوابط الشرعية المتعلقة بالحياة .

٥ ـ عناصر المساواة والتفضيل المتعلقة بالبشر.

٦ ـ حماية حق الحياة لغير المسلم .

٧ ـ صيانة الحياة غير البشرية .

ثم يفصل القول فى كل واحدة من هذه القضايا ، وننقل بعضها فيما يلى :

المبحث الأول : حماية حق الحياة البشرية .

الحياة البشرية هبة من الله تعالى ، تكسب قدسيتها من النفخة الإلهية الكريمة ، وبذلك صارت حقا مقدسا ، لا يجوز لأحد أن يسلبه إلا بحق الله ، ويتساوى فى ذلك كل البشر فى جميع مراحل حياتهم مهما كان جنسهم ولونهم ودينهم .

مظاهر احترام حق الحياة فى الإسلام :

١ ـ حق الجنين فى الحياة :

المفهوم الإسلامى للحياة البشرية يمتد إلى الجنين داخل الرحم ، فيجعل له كيانا مستقلا ، وله شخصية اعتبارية وحقوقا مستقلة عن حقوق والدته رغم أنه ما زال جزءا منها ، فإذا اعتدى أحد على امرأة حامل فأجهضها فإنه يكون قد ارتكب جريمتين : جريمة الاعتداء عليها وجريمة قتل الجنين .

روى الخمسة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه :

« اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة (إنسان مملوك) وقضى بدية المرأة على عاقلتها (دافع الدية) وورثتها وولدها ومن معهم . فقال ابن النابغة الهذلى :

يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، فمثل ذلك يطل (أى يهدر دمه ولا يضمن) : فقال رسول الله ﷺ :

« إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذى سجع » (رواه مسلم فى الحدود) .

وهذه القصة توضح مدى الطفرة الهائلة التى جاء بها الإسلام فى تعريف الحياة البشرية ، فالمفهوم السائد فى ذلك الوقت عبر عنه الهذلى باستغرابه أن يدفع دية لجنين لم تظهر عليه علامات الحياة المعروفة ، بينما يستنكر رسول الله ﷺ اعتراض الرجل على إنكار حق الحياة للجنين ، وحق الجنين فى الحياة قيمة مطلقة تتحقق حتى ولو كان الجنين ناتجا عن حمل حرام ، ففى حديث الغامدية عن بريدة أنها جاءت لرسول الله ﷺ قائلة :

يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى ، فقال لها عليه الصلاة والسلام « فاذهبى حتى تلدى » فلما ولدت قال : « اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين وأمر الناس فرجموها ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت . (رواه مسلم فى الحدود) .

٢ ـ حق الرضيع فى الحياة :

أوجب الشرع إرضاع الطفل حتى لا تتعرض حياته للخطر ، ويجب على الأم إرضاعه بنفسها .

﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

٣ ـ تفضيل صيانة الحياة على كافة الاعتبارات الشرعية :

فعندما تتهدد الحياة يعطى الشارع رخصة فى إتيان المحرمات للضرورة أو ترك الفرائض والنوافل ، ومن ذلك إباحة أكل الميتة لمن أشرف على الهلاك إنقاذًا لنفسه حيث يقول تعالى :

﴿ **فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم** ﴾ [المائدة : ٣] .

ومنها إباحة الإفطار فى رمضان للمريض والحامل والمسافر حفظا لحياتهم من أن يتهددها أى خطر .

يقول تعالى :

﴿ **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين** ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

ولا يشترط أن يصل الضرر إلى حد الخطر حتى يكون مبررا للتخفيف بل إن المشقة تستوجب التيسير تطبيقا لقوله تعالى :

﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ [الحج : ٧٨] .

فقد رأى النبى ﷺ رجلا يتهادى بين ولديه يريد الحج فسأل عن شأنه فقيل يا رسول الله إنه أنذر أن يزور البيت ماشيا فقال ﷺ :

« كلا إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » (البخارى : الحج) بل إن الصلاة وهى عماد الدين لا يجوز أن يكون أداؤها سببا للإرهاق .

عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه ﷺ قال لمن يجهد نفسه فى صلاة النوافل :

« ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد » (البخارى : التهجد، ابن ماجه : المقدمة) وعن عمران بن حصين أنه عليه السلام قال :

« صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تسطع فعلى جنبك فإن لم تستطع فمستلقيا، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» (البخارى : أبو داود : الصلاة، النسائى : صلاة الليل) .

ويندرج ذلك كله فى القاعدة العامة فيما رواه عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ:

« إن لجسدك عليك حقا فقم ونم وأفطر وصم » (البخارى : الصوم، النظام، مسلم : الصوم، النسائى : الصوم).

المبحث الثانى : حماية مقومات الحياة البشرية :

من القواعد الفقهية المعروفة :

« ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

ولما كان الإسلام قد أقر لكل فرد حقه حماية حياته البشرية فإن ذلك يستوجب للفرد حقوقا فى توفير مقومات الحياة البشرية .

ومن هذه الحقوق ما يلى :

١ - حق الطعام الذى يحفظ الحياة، لذا أعطى الشارع لمنْ خاف على نفسه الهلاك حقا فى مال المسلمين بما يقيم نفسه، وجعل إنقاذه حقا على كل مسلم ، يقول ﷺ:

« أيما رجل ضاف قوما فأصبح محروما فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه وماله » (أبو داود : الأطعمة، الدارمى : الأطعمة) .

٢ - حق العلاج وقد استدلوا على ذلك من القوم الذين ساءت صحتهم بالمدينة حيث يروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ أرسلهم إلى مكان صحى فى هواء طلق خارجها بجانب مرعى إبل الصدقة فشربوا من ألبانها حتى صحت أجسامهم (البخارى : الزكاة ، مسلم : الزكاة) .

٣ - حقوق أخرى مادية ومعنوية تنعكس على الصحة البدنية والنفسية ، ومنها : حق اللباس والسكن والزواج والتعلم والعمل ولكل منها أسانيده فى السنة النبوّية الشريفة .

٤ - أقر الإسلام حق الكفالة فى حال المرض والعجز والشيخوخة وفقد العائل .

روى البخارى عنه ﷺ:

« من ترك مالا لورثته ، ومن ترك ضياعا (أى ورثة) أو كلا (أى ذرية ضعفاء) فأنا مولاه، وفى رواية (فإلى الله ورسوله) (البخارى : الوصايا) .

وعن أبى الدرداء عويمر عن النبى ﷺ قال :

« أبغونى فى ضعفائكم ، إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم» (البخارى : الجهاد، النسائى: الجهاد، أبو داود : الجهاد، الترمذى: الجهاد) .

المبحث الثالث : توفير الكرامة البشرية :

الكرامة البشرية منحة من الله تعالى للإنسان :

يقول تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهذه الكرامة قيمة مطلقة لكل البشر بصرف النظر عن دينهم ولونهم ، وسر تكريم الإنسان هو النفخة الإلهية الكريمة :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر : ٢٨، ٢٩] .

وهذه علة سيادته على الكائنات الأرضية .

وبهذا أيضا يتضح أصل الإنسان ، فلم يكن ملاكا ثم انحط درجة ، ولم يكن حيوانا ثم ارتقى بالتطور، ولكن النفخة الربانية رفعته من كونه كائنا حيا كغيره من الأحياء إلى درجة الكرامة الإنسانية، وأعطته مقومات الخلافة فى الأرض .

وقد شاءت إرادة الخالق جل وعلا أن يكون لمخلوقاته ترتيب فى أفضليتها ، فجعل الإنسان أفضلها على الأرض، كما فضله على كثير ممن خلق .

ومن متطلبات التسليم لإرادة الله تعالى أن يؤمن الإنسان بالترتيب التفاضلى الذى أراده الله لمخلوقاته، ولم يكن

استحقاق إبليس للطرد من رحمة الله بسبب إنكاره الألوهية ، ولكن لرفضه الإقرار بأفضلية آدم التى أرادها الله له .

مظاهر التكريم الإلهى للإنسان :

١ ـ استخلافه فى الأرض ليعمرها ويستخرج خيراتها ، وقد هيأه الله تعالى لهذه الخلافة بالعقل والعلم .

يقول تعالى :

﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ [البقرة : ٣٠] .

٢ ـ خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ويستطيع علم الحياة أن يكشف لنا عن إبداع الله فى خلق الإنسان ، سواء فى المظهر الخارجى الذى يجعله مؤهلا لسيادة كل المخلوقات ، أو فى وظائف أعضائه الداخلية البالغة الانتظام والدقة .

يقول تعالى :

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ [التين : ٤] .

٣ ـ تسخير الكون لخدمته : فالإنسان هو السيد ولا يجوز لشىء مادى فى العالم أن يستعبده .

يقول تعالى :

﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ [الجاثية : ١٣] .

٤ ـ ألغى الإسلام كل مظاهر الوساطة الكهنوتية بين الله تعالى والإنسان التى تكونت على مر الأجيال فى مختلف الديانات . يقول تعالى :

﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ﴾ [البقرة : ١٨٦] والملحوظ فى آيات الكتاب الكريم قوله تعالى : **﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ﴾** [البقرة : ٢٢٠] أما فى آية الصلة بين العبد وربه فقد تولى سبحانه الرد مباشرة على عباده بقوله **﴿ إنى قريب ﴾** دون أن يتولى رسوله نقل الإجابة على لسانه تأكيدا للصلة المباشرة بين العبد وربه .

٥ ـ حرر الإسلام الإنسان من اعتقاد وراثة الخطيئة الأولى التى تعتبر حجر الزاوية فى الفكر النصرانى . يقول تعالى : **﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾** [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

وفى هذا التحرر ينطلق الإنسان فى حياته بصحيفة بيضاء ، يستطيع أن يحافظ على صفائها بالخير ، وهذا الشعور ينعكس بالطمأنينة على صحته النفسية ، فعمله هو الذى يرفعه وليس بحاجة إلى صكوك الغفران أو التكفير عن خطيئة غيره .

هذا التكريم الإلهى للبشر يستلزم منهم موقفا واضحا فيما بينهم تجاه الكرامة البشرية ، ومن عناصر ذلك الموقف .

(أ) حرمة الجسد البشرى :

ليس من الإسلام أن يعذب أحد نفسه حتى ولو كان بحجة العبادة ، وليس له أن يعذب غيره .

روى الترمذى أن الرسول ﷺ خاطب الكعبة قائلا :

« والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » (الترمذى) .

وعن هشام بن حكيم عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » (مسلم) .

(ب) حرمة النفس البشرية :

حرم الإسلام الإيذاء النفسى تماما كما حرم الإيذاء البدنى بغير وجه حق .

والإيذاء المعنوى قد يكون بكلمة أو إشارة أو حركة جارحة ، ويتجلى ذلك كله فى الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ [الحجرات : ١١] .

وقد وصف القرآن كل هذا الأذى المعنوى على أنه فسوق ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ فيما رواه عبد الله :

« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » [البخارى : الأدب] .

بل إن الحقيقة المؤلمة يجب إخفاؤها إذا كان فى ذلك مصلحة مؤكدة للمسلم ، فالمريض الميئوس من شفائه لا يجوز مواجهته بالحقيقة المرة فيقضى بقية أيامه محطم النفس ، فصلابة النفس دائما تعود بالخير على صحة البدن ، لذلك يقول ﷺ :

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فإن ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه » (الترمذى : الطب ، أبو داود : الجنائز) .

(جـ) حماية حرمة الحياة الخاصة :

الإسلام يربى الفرد المسلم على الحياء .

« إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء » (ابن ماجه : الزهد، الموطأ: حسن الأخلاق) فمن حق كل إنسان أن يعيش مستورا لا تكشف حرماته وعورته، ومن هنا كان المسكن الذى يستر المسلم من الحقوق الكفائية، ولا يجوز لأحد أن يتجسس على عورات الناس .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال :

« من كشف سترا فأدخل بصره فى البيت قبل أن يؤذن له فرأى عورة أهله فقد أتى حدا لا يحل له أن يأتيه . وإن مر الرجل على باب لا ستر له (غير مغلق) فنظر فلا خطيئة عليه إنما الخطيئة على أهل البيت » (البخارى : الأدب) .

وإذا كانت ضرورة العلاج تستدعى الكشف عن عورات الناس فإن الضرورة تقدر بقدرها بحيث لا يكشف إلا القدر الذى يستلزمه صالح المريض .

ويستتبع ذلك أنه إذا وضع المرضى فى غرف مشتركة فى المستشفيات فيجب أن يراعى كرامة المريض وستر عورته سواء من نفس الجنس أو من الجنس الآخر .

عن رسول الله ﷺ قال :

« من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة من قبرها » (البخارى المناقب، أبو داود : الأدب) .

(المدخل الإسلامى للطب - د. إبراهيم عبد الحميد الصياد . مجمع البحوث الإسلامية . الأزهر . سلسلة البحوث الإسلامية . السنة الثامنة عشرة، الكتاب الرابع ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م/ ٦١-٧٧) .

*** حياة الحيوان الكبرى:**

قال حاجى خليفه :

حياة الحيوان الكبرى : للشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة وهو كتاب مشهور فى هذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة كما قال فى أول كتابه هذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس ذكر مالك الحزين والذبح المنحوس فحصل بذلك ما يشبه حرب البسوس فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى وضع كتاب فى هذا الشأن ورتبته على حروف المعجم انتهى وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتابا ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا وفرغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة أوله الحمد لله الذى شرف بوح (نوع) الإنسان إلخ . ولهذا الكتاب مختصرات منها مختصر الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر بن الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ ثمان وعشرين وثمانمائة أوله الحمد لله الذى أوجد بفضله حياة الحيوان إلخ . ذكر فيه أن كتاب شيخه هذا كتاب حسن فى بابه جمع ما بين أحكام شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة لكنه طول فى بعض أماكنه ووقع فى بعضه ما لا يليق بمحاسنه فاختار منه عينة وسماه عين الحياة مهديا إلى الأمير أحمد شاه بن مظفر شاه من ملوك الهند وفرغ فى شعبان سنة ٨٢٣ ثلاث وعشرين وثمانمائة . ومختصر عمر بن يونس بن عمر الحنفى أوله الحمد لله الذى يسر للإنسان منافع الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه اقتصر من الحيوان على خواصه ومعناه اللغوى وأضاف إلى ذلك ما وجد فى خريدة العجائب ولم يخرج عن المعنى المقصود . ومختصر الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ اثنتين وثلاثين وثمانمائة . قال السخاوى فى حق الأصل وهو نفيس مع كثرة استطراده فيه من شىء إلى شىء وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الفاسى وينبه (ونبه) على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها انتهى. ومختصر على النارى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف سماه بهجة الإنسان فى مهجة الحيوان أوله الحمد لله الذى كرم نوع الإنسان إلخ . ذكر أنه ألفه بمكة سنة ١٠٠٣ ثلاث وألف . ومختصر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أوله الحمد لله خالق الحيوان إلخ . ذكر فيه أنه حذف من حشوه كثيرا وعوض منه أمرين أحدهما زيادة فائدة فى الحيوان الذى ذكره والثانى ذكر ما فاته من الحيوان ملتقطا من كتب اللغة مميزة فى أولها بقلت وانتهى سماه ديوان

الحيوان والقسم الثانى مرتب على الحروف سماه ذيل الحيوان وفرغ منه فى ذى القعدة سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة . وترجمة حياة الحيوان بالفارسية للحكيم شاه محمد القزوينى ألفه للسلطان سليم خان القديم وزاد عليه أشياء وذيل حياة الحيوان للقاضى جمال الدين محمد بن على بن محمد الشيبى المكى المتوفى سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة سماه طيب الحياة .
(كشف الظنون ١ / ٦٩٦ـ٦٩٧) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان .

تأليف الشيخ كمال الدين الدميرى من علماء الأزهر الشريف من قرية دميرة بالصعيد وقد ذكر الكتاب وساق نبذًا منه الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى كدليل على اهتمام علماء الأزهر القديم بالعلم التجريبى والرياضيات والفلك والأحياء ونحوها . قال سيادته فى بحث نفيس له بعنوان « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » :

ومن أشهر مؤلفاته « حياة الحيوان الكبرى » ، تحدث فيه (إلى جانب المجالات العلمية الخاصة بحياة الحيوان) عن الأدب واللغة شأنه فى ذلك شأن معظم كتاب وعلماء ذلك العصر .

ويعتبر كتاب الدميرى هذا مزيجا من العلم ، والأدب . والتاريخ والفقه والحديث والقصص ، وقد ترجم إلى العديد من اللغات ، ويمكن اعتبار الكتاب كذلك بمثابه أول مرجع علمى فى علم الحيوان ، ظهر فى عصر لم تكن فيه علوم الحياة قد ظهرت .

وثمة ناحية أخرى هامة ، فحواها أن علماء ذلك الحين إنما كانوا ينظرون إلى العلم بمعناه الواسع الذى لا يقتصر على فرع بالذات بل كان العالم يشتغل فى كل فروع المعرفة ويضمن كتابه أو كتبه حصيلة بحوثه ودراساته .

وقد رتب الدميرى الحيوانات التى كتب عنها ترتيبا أبجديا على طريقة المعجم ، وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائنا ، جعل لكل كائن اختاره صفات معينة مميزة ، تتضمن كل ما كان معروفا آنئذ . ولقد توسع فى شرح صفات الحيوانات المشهورة ، وذلك بطبيعة الحال نظرا لتوفر ما يعرفه الناس عنها من معلومات .

ولم يقتصر الدميرى ، فى مجال الدراسات اللغوية ، على ذكر أسماء الحيوانات ، بل سرد أسماءها خلال مراحل نموها المختلفة ، وكذلك ما يعرف من أسمائها فى مختلف بقاع بلاد العرب . فمثلا البجع المعروف فى مصر يسمى فى بلاد العرب الحوصل ، والدجاجة عند أهل السودان هى الجدادة .

وفيما يلى نبذات من كتاب الدميرى كما أوردها بالنص .

قال فى سياق حديثه عن الأسد : « الأسد من السباع ، جمعه أُسُود ، والأنثى أسده وله أسماء كثيرة ... من أشهرها التاج والسبع والصعب ، والضرغام ، والضيغم والغضنفر والليث ... وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . ومن كُناه أبو الأبطال ، وأبو الزعفران ، وأبو شبل ... وهو أشرف الحيوان المتوحش ، إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وشهامته ، لذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام ، ومن ثم قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه «أسد الله » .

وهو أنواع كثيرة . قال أرسطو رأيت نوعا منها يشبه وجه الإنسان وجلده شديد الحمرة ، وذنبه شبيه ذنب العقرب ، ولعل هذا هو الذى يقال له الورد . ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر . وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون إن الأنثى لا تضع إلا جروا واحدا مضغة لحمية ليس له حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه المرة بعد المرة حتى تتنفس وتتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم تأتى أمه فترضعه . ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه . فإذا ما مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب بنفسه بالتعليم والتدريب .

قالوا وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع . ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره ، فإن شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها . وإذا جاع ساءت أخلاقه . وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب . وإذا أكل نهش من غير مضغ وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر ، ويوصف بالشجاعة والجبن . فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ، ويتحير عند رؤية النار . وهو شديد البطش ، ولا يدنو من المرأة الحائض ، وعلامة كبره سقوط أسنانه .

وكتب عن الأفعى يقول : « الأنثى من الحيات والذكر

أفعوان بضم الهمزة والعين . قال الزبيدى الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق، عريضة الرأس، وربما كانت ذات قرنين . وكنية الأفعوان أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة ، وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان، وهو شر الحيات . ومن عجيب أمرها ما يحكى أن أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته .

قال القزوينى : هى حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات . إذا فقئت عينها تعود، ولا تغمض حدقتها ألبتة . تختفى فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينيها به فيرجع إليها ضوءها .

وقال الزمخشرى : يحكى أن الأفعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت ، وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها فربما كانت فى برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها فترجع باصرة بإذن الله .

وإذا قطع ذنبها عاد كما كان . وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام . وهى أعدى عدو للإنسان . وحكى أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل فى الحال قبل موت أمه . وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى ...

وقد قيل إن الأفعى صوتها من جلدها . ومن الأمثلة قالوا : أظلم من أفعى، وذلك أنها لا تحفر جحرا وإنما تأتى إلى جحر وقد احتفره غيرها فتدخل فيه . قال الشاعر:

وأنت كالأفعى التى لا تحتفر

ثم تجىء مبادرا فتحتجر

وقال عن الأرنب:

الأرنب واحدة الأرانب، وهو حيوان يشبه العناق، قصير اليدين، طويل الرجلين، عكس الزرافة . يطأ الأرض على مؤخرة قوائمه، وهو اسم جنس على الذكر والأنثى . وذكر الأرنب يقال له (الخُزز) بالخاء المعجمة المضمومة . ويقال للأنثى « عكرشة» . والخرنق ولد الأرنب فهو خريق أولا ثم سخلة ثم أرنب ...

والأرنب تنام مفتوحة العينين، فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة .

والذى يحيض من الحيوان أربعة : المرأة، والضبع، والخفاش، والأرنب. ويقال أن الكلب أيضا كذلك . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى الأرنب إنها تحيض .

يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة . وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ألفينا أرنبا بمر الظهران، فسعى القوم عليها ، فأدركتها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى النبى ﷺ بوركها وفخذها فقبله .

ومن أمثال العرب : أطعم أخاك من كلية الأرنب . أقطف من الأرنب، ويضربان للمواساة . قال الجاحظ : إذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » / ٢٥٩ ـ ٢٦٢ » .

ويسوق مؤلفو كتاب المنتخب من أدب العرب نصًا من كتاب حياة الحيوان الكبرى للشيخ الدميرى كنموذج للنشر العلمى فى عصره ، وهو كما يلى :

(الحمام) قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الأطواق، نحو الفواخت (جمع فاختة وهى الحمامة ذات الطوق) .

والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى؛ لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس، لا للتأنيث؛ وعند العامة أنها الدواجن فقط، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة

دعت ساق حر برهة فترنما

والحمامة هنا القمرية . وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما زعمت:

تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

الثمد : الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد فى مضيق الجبل، فقالت: يا ليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطا أهلنا، فيكمل لنا مائة قطاة؛ فاتبعت وعدت على الماء فإذا هى ست وستون، قال أبو عبيدة: رأته عن مسيرة ثلاثة أيام، وأرادت بالحمام القطا، فقالت ذلك، انتهى. وقال الأموى: الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا. وأنشد للعجاج:

إنى ورب البلـــــد المحـــــرم
والقـــاطنـــات البيت عنـــد زمـــزم
** قواطنا مكة من ورق الحم **

يريد الحمام: وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات، وربما قالوا حمام للمفرد قال جران العود:

وذكـــرنى الصبـــا بعـــد التنـــائى
حمـــامـــة أيكـــة تـــدعـــو حمـــامـــا

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير: أن اليمام هو الحمام البرى، الواحدة يمامة؛ وهو ضروب. والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه، انتهى. ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى: أن كل ذات طوق حمام. والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها. وكان الكسائى يقول: الحمام هو البرى، واليمام الذى يألف البيوت؛ والصواب ما قاله الأصمعى، ونقل الأزهرى عن الشافعى: كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام، والعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس، قال ابن سيده: يقال فى الطائر: عب، ولا يقال: شرب، والهدير: ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له؛ قال الرافعى: والأشبه أن ما عب هدر، قال: فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل: وما عب من الماء عبا فهو حمام، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام (المنتخب من أدب العرب ٢ / ٤٧٠ - ٤٧٢).

توجد له عدة مخطوطات بأماكن مختلفة منها ما يأتى:

١ - معهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

حياة الحيوان الكبرى:

تأليف كمال الدين محمد بن موسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م (بروكلمان ١/ ١٣٨).

الموجود منه الجزء الأول.

أوله: الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان ... وبعد، فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، إنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس ... ذكر مالك الحزين، والذبح المنحوس، فحصل ما يشبه فى ذلك حرب البسوس ... فاستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان فى وضع كتاب فى هذا الشأن ... ورتبته على حروف المعجم.

وينتهى هذا الجزء بنهاية حرف « السين » وبأوله قائمة فى ست ورقات تجمع ما فى الكتاب من أسماء الكتب والدواوين التى اعتمد عليها المؤلف ونقل منها، قام بجمعها الناسخ أثناء كتابته للنسخة.

- بقلم معتاد تم كتابة ٨٧٧ بخط محمد بن محمد بن محمد الشافعى الخطيب الرفاعى السامولى المقيم بالحجاز الشريف (وفيه كتب هذا الجزء) فى ٣٠٠ ورقة تقريبا.

[متحف الأوقاف باستانبول T 2113]

(فهرس المخطوطات المصورة جـ٣ ق٤ / ٣٧، ٣٨).

٢ - دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) (فهرس الأدب): وجاء بيان نسخه المختلفة كما يلى:

١ - النسخة الأولى: ١٢٣ق	١٧س	١٣×١٨,٥سم	الرقم ٣٩٣٠
٢ - النسخة الثانية: ٢٣٨ق	٢٣س	١٨×٢٧سم	الرقم ٣٢٨٣
٣ - النسخة الثالثة: ١٨٩ق	٢٢س	١٧,٥×٢٧,٥سم	الرقم ٣٢٨٢
٤ - النسخة الرابعة: ٣٨٨ق	٢٣س	١٧,٥×٢٧,٥سم	الرقم ٣٢٨٤
٥ - النسخة الخامسة: ٢٤٧ق	٢٥س	١٧,٥×٢٦سم	الرقم ٢٢٨٨
٦ - النسخة السادسة: ٤٥ق	١٩س	١٥×٢١سم	الرقم ٤٨١٩
٧ - النسخة السابعة: ٤٥ق	٢٠س	١٤×٢٠سم	الرقم ٤٣٠٠
٨ - النسخة الثامنة: ٥٣٧ق	٢٧س	١٤×٢٥سم	الرقم ٩٠٨٣

وهـذه الأخيرة نسخة خـزائنية جيـدة كتبت سنة ١٠٦١ هـ والنـاسخ هو محمـد بن محمد الصـروى بجامع العمـرى فى مصر.

(فهرس الظاهرية . الأدب ١/ ١٩١، ١٩٢) .

٣ ـ دار الكتب الظـاهـرية بـدمشق (أو بمكتبـة الأسـد) (فهرس العلوم والفنون المختلفة) وبيـانه كما يلى، وقد أدرج تحت عنوان : « حياة الحيوان » .

الرقم : ٩٠٨٣ .

مواضيع المخطوط .

تتضمن البحث فى حيـاة الحيـوانات والطيـور بـالتفصيل والتحدث عن تكـاثرها ... وعن طباعها ... وعـن صفاتها ... وعن فوائدها ... وعن أضرارهـا ... وعن خواصها ... وعن أنواع كل منهـا ... وعن صيدهـا ... وعن تحليل وتحريم أكلهـا ... والاستشهاد بالأحـاديث النبوية وبأقوال بعض الصحـابة وكبار العلماء والأدباء والفقهـاء والشعراء ... والأمثال والحكم ويبين الخـواص ويفسر التعبيـر فى كثيـر من المناسبـات ... « حتى أصبح يستفيد من هذا الكتاب العالم والأديب والفقيه ... » .

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان وفضلـه على سائر الحيوان بنعمتى النطق والبيان ... وبعد فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه ولا كلفت القريحة تأليفه وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس التى لا مخبأ فيها للعطر بعد عروس ... فاستخرت الله تعـالـى ... فى وضع كتـاب فى هـذا الشأن وسميتـه حيـاة الحيوان ... ورتبته على حروف المعجم ليسهل به من الأسما ما استعجم . باب الهمزة ...

خاتمة المخطوط :

... اليعسوب ... وهـذا ما انتهى إليه الفـرض مما يحصل فى هذا الشـان الاكتفا وختم بملك النحل الـذى استخرج الله تعالى من لعـابه العسل والشمع وجعل أحـدهما ضيـا والآخر شفا وابتدا بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتفى وصلى الله على سيد المرسلين ... وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء والذى قبله يوم الثلاثاء المبارك تاسع شهر صفر الخير من شهور سنة إحدى وستين بعد الألف والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبى بعده وسلم ..

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة قيمة وجيـدة ، تشتمل على جزءى الكتاب وينتهى الجزء الأول بحرف الصاد المهملة ، ويبدأ الجزء الثانى بحرف الضاد المعجمـة . وهذه النسخة كـاملة ، تختلف عن النسخ التى فهرسها الدكتور حمارنة برقم: ٣٢٨٢ و ٣٢٨٣ و ٣٢٨٤ و ١٢١ جاءت الصفحة الأولى من المخطوط مزخرفة ومجدولة بماء الذهـب وأطرت بقية صفحات الكتاب بخـط أسود، ترك لها هامـش بعرض: ٣سـم عليه بعض الشـروح والتعليقات ، كتبت أسمـاء الفصول والأبـواب والحـروف الأبجديـة ورؤوس الفقر والعبارات وكثير من الكلمات كتبت بالحبر الأحمر، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . عليها تملكات باسم على بن السيد رشيد ... ابن السيد عثمـان المشهور بابن قضيب البان سنـه ١٣١٥ وباسم الـدكتور أسعـد الحكيم بالإرث من عمـه المرحوم السيـد على الحكيم سنة ١٣٣٥ هـ ، وتملك باسم إبـراهيم بن السيـد عمـر الحكيم سنـة ١٢٤٨ ، وجـاء ضمن مثلث فى الصفحة الأخيرة على هذا الجزء والذى قبله بيده ... محمـد بن محمـد الصروى بجـامع الغمـرى ... وذلك بـرسم الكـريم المقـر العـالـى ... الحسيب النسيب محمـد العزى المتفـرق بـديـوان مصـر ... وجـاء بخط مغـايـر: تـاريخ المصنف ... مـا هذه صـورته قـال مؤلفـه ... وكان الفـراغ من مسودتـه فى شهر رجب الحـرام سنة ثلاث وسبعين وسبعمـاية جعل الله ذلك لـوجهـه الكـريم ... ولا حول ولا قـوة إلا بـالله العلى العظيم ... تمت .

عـدد أوراقها : ٥٣٧ بقياس : ٢٥×٥ , ٢٤سـم السطور : ٢٧ سطرا .

كتب بخط نسخى جميـل جـدا وبحبـر أسـود وأحمـر، جلدها كرتون مغلف بجلد خمرى عليه زخارف جميلة مذهبة وله لسان من جلد أحمر .

اسم الناسخ وتـاريخ النسخ : محمد بن محمـد الصروى بجامع الغمرى سنة ١٠٦١هـ

المصادر عن المؤلف والكتاب : كشف الظنون ١/ ٦٩٦ . بـروكلمـان ٢/ ١٣٨ ، والـذيل ٢/ ١٧٠ ، ١٧١ ، معجم المـؤلفين ١٢/ ٦٥ ، معجم المطبـوعات العـربيـة والمعربـة ١/ ٨٨٨ .

طبعات الكتاب .

طبع فى بولاق سنة ١٢٧٥هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢هـ . وفى الآستانة سنة ١٢٧٢هـ وفى مصر سنة ١٣١٣هـ . وفى المطبعة الأدبية سنة ١٣١٩هـ . وبهامشها عجائب المخلوقات للقزوينى .

قالت المؤلفة : الكتاب الذى عندى وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى هو طبع دار إحياء التراث العربى، بيروت، ومؤسسة التاريخ العربى، بيروت، بدون تاريخ ويقع فى جزءين اهـ .

وطبع فى المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٥هـ ، وفى مطبعة شرف سنة ١٣٠٦هـ، وفى مصر سنة ١٣٣٠هـ . وطبع فى بلاد فارس سنة ١٢٨٥هـ، مع صور ورسوم جميع الحيوانات وبعض الآدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع فى لندن سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٨ هـ .

أما النسخة الثانية وهى الجزء الثانى، أدرجت فى الفهرس تحت عنوان « حياة الحيوان الكبرى » وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ٩٧٠٩ .

مواضيع المخطوط :

جاء فى الصفحة وقبل فاتحة الكتاب : « ذكر العلوم المجتمعة فى كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى : ـ ١ ـ تفسير ـ ٢ ـ حديث، ـ ٣ ـ فقه ـ ٤ ـ نحو ـ ٥ ـ صرف ـ ٦ ـ معانى ـ ٧ ـ بيان ـ ٨ ـ تصوف ـ ٩ ـ تاريخ ـ ١٠ ـ طبقات ـ ١١ ـ تعبير ـ ١٢ ـ خواص ـ ١٣ ـ طب ـ ١٤ ـ هندسة ـ ١٥ ـ فلك ـ ١٦ ـ رمل ـ ١٧ ـ هيئة ـ ١٨ ـ فرايض ـ ١٩ ـ أدعية ـ ٢٠ ـ حساب ـ ٢١ ـ سيميا ـ ٢٢ ـ كيميا ـ ٢٣ ـ أوفاق ـ ٢٤ ـ لغة ـ ٢٥ ـ عروض ـ ٢٦ ـ أدب ـ ٢٧ ـ ألغاز ـ ٢٨ ـ أحجية ـ ٢٩ ـ معمى ـ ٣٠ ـ شعر ـ ٣١ ـ إنشا ـ ٣٢ ـ أصول فقه ـ ٣٣ ـ منطق ـ ٣٤ ـ أصول حديث ـ ٣٥ ـ أمثال ـ ٣٦ ـ حِكَم ـ ٣٧ ـ بستنة ـ ٣٨ ـ نجوم ـ ٣٩ ـ روحانى ـ ٤٠ ـ رسم كتابة ـ ٤١ ـ خواص ـ ٤٢ ـ أدعية ـ ٤٣ ـ وعظ ـ ٤٤ ـ طلاسم ـ ٤٥ ـ شعبذة ـ ٤٦ ـ توحيد ـ ٤٧ ـ زايرجا ـ ٤٨ ـ سحر » وهذه هى مواضيع الكتاب

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم يا معين الصابرين باب الشين المعجمة الشادن بكسر الدال المهملة الظبى الذكر... الشارف المسنة من النوق ... أم شبقونة ... طاير يكون من الحمر والغنم ...

خاتمة المخطوط :

... باب الياء يأجوج ومأجوج يهمزان ولا يهمزان... اليوصى ... طاير بالعراق ... اليعسوب اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة ... وقيل للسيد يعسوب قومه ... وكما تجتمع النحل على يعسوبها ... وابتدأ بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتفى وحسبنا الله وكفى وصلى الله ... قال مؤلفه فقير رحمة ربه كمال الدين الدميرى رحمه الله كان الفراغ من مسودته فى شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعماية جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تم كتاب حياة الحيوان الكبرى بحمد الله ... وكان الفراغ من كتابته نهار الأحد عاشر شهر شعبان المبارك من شهور سنة خمسة عشر وألف على يد ... محمد بن حسين البعلى الشافعى ... غفر الله له ولوالدين [ولوالديه] ولمن كتب برسمه ... ورضى الله عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن أصحاب رسول الله أجمعين ...

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة حسنة ، جاء فى الصفحة الأولى من الورقتين اللتين تسبقان فاتحة المخطوط وبخط كبير: « الجزء الثانى من كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى ... أول هذا الجزء وهو الثانى من حياة الحيوان وبه تتم النسخة كتاب الشين مادة شادن » عليه تملكات، شطب بعضها وبقى منها : تملك باسم محمد الأمين بن خليل بن عبد الرحيم، وآخر باسم عثمان بن مراد الحنفى فى ربيع الأول سنة ١٢١٦ وآخر باسم عبده إسماعيل الفتال سنة ١١٠٠ .

كتبت أسماء الأبواب والفصول ورؤوس الفقر والعبارات والكلمات الهامة بالحبر الأحمر، كما وجدت نقط حمراء كثيرة وخطوط حمراء تحت بعض الكلمات، ترك لها هامش بعرض: ٤سم كتبت عليه بعض الشروح والتصويبات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر وأول كل ورقة ، كتبت بخط نسخى وبحبر أسود وأحمر . جلدها كرتون مغلف بجلد قديم عليه زخارف وله لسان .

عدد أوراقها : ٣٣٢ بقياس : ٢١ × ١٥ سم وعدد السطور ٢١ - ٢٥ سطرا .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

محمد بن حسين البعلى الشافعى : نهار الأحد عاشر شعبان المبارك سنة : ١٠١٥هـ .

المصادر عن المؤلف والكتاب :

كشف الظنون ١/ ٦٩٦ .

بروكلمان : ٢/ ١٣٨ والذيل ٢/ ١٧٠ .

معجم المؤلفين : جزء ١٢ صفحة : ٦٥/ ٠

معجم المطبوعات العربية والمعربة : ج١/ ص / ٨٨٨

مطبوعات الكتاب :

طبع فى مطبعة بولاق سنة : ١٢٧٥ هـ و ١٢٤٨ و ١٢٩٢ هـ ، وفى الآستانة سنة : ١٢٧٢هـ وفى مصر سنة ١٣١٣هـ وفى المطبعة الأدبية سنة : ١٣١٩هـ ، وبهامشها عجائب المخلوقات للقزوينى ، وفى المطبعة الميمنية سنة : ١٣٠٥هـ وفى مطبعة شرف سنة ١٣٠٦هـ وفى مصر سنة ١٣٣٩هـ وطبع فى بلاد فارس سنة ١٢٨٥هـ مع صور ورسوم جميع الحيوانات وبعض الآدميين الوارد ذكرهم فيه ، وترجم كتاب الحيوان أكثره لا كله إلى اللغة الإنكليزية بقلم « جياكار » وطبع فى لندن سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٨هـ .

(فهرس الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة / ٢٤٥ ـ ٢٥٢) .

٤ ـ خزانة القرويين بفاس ، وجاء بيانه كما يلى :

جزءان ضخمان بخط مشرقى واضح ورؤوس الكلام مكتوبة بالأحمر بظهر الورقة الأولى من الجزء الأول وثيقة تحبيس السلطان مولاى عبد الله جميع هذا الديوان على خزانة القرويين عام ١١٥٦ .

أوله : الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان بالأصغرين القلب واللسان على سائر الحيوان ... قال فى الكشف : فرغ المؤلف من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ قال : وهو كتاب مشهور فهذا الفن جامع بين الغث والسمين لأن المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتعبير الأسماء المبهمة وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا . قال السخاوى فى حق الكتاب المذكور وهو نفيس مع كثرة استطراده فيه من شىء إلى شىء وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لما فيها من المناكير وقد جردها الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢ ونبه على أشياء مهمة يحتاج الأصل إليها اهـ ولهذا الكتاب مختصرات .

يبتدىء الجزء الأولى بديباجة الكتاب وينتهى بآخر حرف الصاد وقع الفراغ من نسخه سنة ١٠٩٣ على يد كاتبه قاسم ابن يونس بن رمضان المغربى القريانى بلدًا المالكى مذهبا .

أوراقه ٢٦٠ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

والثانى مثل الأول خطًّا وقالب وهيئة يبتدىء بباب الضاد المعجمة وينتهى بالكلام على اليعسوب من حرف الياء ، قال المؤلف آخره : وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ ومن هذه النسخة المباركة فى شعبان سنة خمس وثمانمائة اهـ . قال ناسخه تم كتاب حياة الحيوان الكبرى فى ثامن شهر ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وألف على يد كاتبه قاسم بن يونس ...

أوراقه ٢٢٧ مسطرته ٣١ مقياسه ٢٩ / ٢٠ .

وتوجد نسخة أخرى بالرقم التسلسلى ٥٥١ جاء بيانها كما يلى :

جزء واحد ضخم بخط مشرقى صحيح جيد منقول من أصول صحيحة وأسماء الحيوانات ورؤوس المسائل فيه بالأحمر أول ورقة فيه من حرف الخاء وآخره حرف الياء ويوجد قبل الورقة الأخيرة نقص نحو الورقة أو الورقتين .

قال ناسخه : وافق الفراغ من نسخة آخر اليوم الخامس والعشرين بخمس بقين من شهر صفر سنة ٨٢٢ على يد فقير رحمة ربه محمد بن محمد بن يوسف الشافعى المنزلى قال كاتبه من نسخة كان فى آخرها مكتوبا ما صورته : كتبت من نسخة كتبت من خط المؤلف وفيها قال كاتبه فقير رحمة ربه وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣ جعلها الله تعالى خالصا [خالصة] لوجهه ، وكان الفراغ من نسخة المؤلف فى شعبان سنة ٨٠٥ ، قال ذلك وكتبه محمد بن موسى الدميرى ...

أوراقه ٢١١ ، مسطرته ٢٥ مقياسه ٢٥ / ١٧

ونسخة أخرى بالرقم التسلسلى ٥٥٢ جاء بيانها كما يلى :

الجزء الثانى منه بخط مغربى واضح يبتدىء بباب الضاد

المعجمة، الضان ... وبين الورقة الأولى والثانية بتر إلى عنقاء من حرف العين وآخره الكلام على اليعسوب وقع الفراغ من نسخه عام ١٠٦٦ كتبه الحسن بن على كما بآخره، وبأوله شهادة استرعائية [استدعائية] بمعرفته من كتب الخزانة بتاريخ عام ١٢٤٧ .

أوراقه ١٤٥ مسطرته ٢٩ مقياسه ٢٨ / ١٨ .

(فهرس خزانه القرويين ٢/ ٦٠ـ٦٣) .

٥ ـ دار الكتب القطرية ، وقد أدرج تحت عنوان « حياة الحيوان » ، وجاء بيانه كما يلي : انظر المعجم ص ٨٨٨ (المجلد الأول) :

نسخة ناقصة من الأول ، كتبت بخط لا بأس به ، ويبدو أن الناسخ من تلامذة المؤلف . ١٦٦ ورقة ٢٤ × ١٥ سم ، مسطرتها ٢٣ سطرا (المنتخب ق٣/ ١٠٩) .

٦ ـ دار الكتب القومية (بمصر) ترجمته التركية وهي بعنوان « ترجمة حياة الحيوان » وجاء بيانها كما يلي :

تأليف كمال الدين أبى البقاء محمد بن مرسى بن عيسى ابن علي الدميرى المصرى الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨هـ .

ترجمة عبدالحليم بن علي بن سليمان بن علي الرشيد المتخلص بحلمى القريمى . وفرغ من الترجمة فى أواخر ربيع الثاني سنه ١١٣١ هـ .

وهو كتاب مشهور جامع بين الغث والثمين، جمعه المؤلف من خمسمائة وستين كتاب وماية وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى وفرغ من مسودته فى شهر رجب سنة ٧٧٣هـ .

أول الترجمة : حمد بيغابه وسپاس بى نهاية أول يزدان جهان آفرينه أولسون كه ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة فى مجلد، بأولها حلية، الورقة الأولى (ظهر) والثانية (وجه) مجدولة ومحلاة بالذهب والباقى بدون جداول، بقلم فارسى عادى، بدون تاريخ، فى ٢٨٢ ورقة، مسطرتها ٢٣ سطرا، فى ٢٠,٥ × ١٥ سم .

(٣ تاريخ طبيعى تركى طلعت) .

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/ ١٩٧، ١٩٨) . (كشف الظنون لحاجي خليفه ١/ ٦٩٦، ٦٩٧، وتراث المسلمين فى ميدان العلوم » ـ د. محمد جمال الدين الفندى . دراسات فى الحضارة الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ٢/ ٢٥٩ـ٢٦٢، والمنتخب من أدب العرب ـ جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/ ٤٧٠ ـ ٤٧٢، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٣٧، ٣٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩١، ١٩٢، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٢٤٥ ـ ٢٥١، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ٦٠ ـ ٦٣ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٠٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠ ، ١/ ١٩٧، ١٩٨) .

*** حياة عبد الحميد الآلوسى :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١١٢٨٦ .

لعبد الحميد بن عبد الله بن محمد الآلوسى المتوفى سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م وهى ترجمة كتبها المؤلف عن نفسه وأشار فيها إلى آثاره ومشايخه .

نسخة جيدة كتبت سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م .

القياس ١٣ ص   ٢١,٥×١٣,٥ سم   ٢٠س

المسك الأذفر / ٣١ معجم المؤلفين ٥/ ١٠٢ معجم المؤلفين العراقيين ٢/ ٢٣٤ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦٢) .

انظر مادة « الآلوسيون » فى م١/ ٥٧٣ .

*** الحياة فى شرح شروط الصلاة :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨٠٨٤ .

تأليف مصلح الدين مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن ولى الدين الشهير بالاطه وى من علماء القرن الحادى عشر كان حيا سنة ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م .

بدأها بذكر نسب النبى ﷺ وشيئا من سيرته ثم، كتب على صفحة الغلاف الحياة فى شروط الصلاة لابن كمال باشا .

أوله : الحمد لله الذى خلق آدم بقدرته ، وأسجد له جميع ملائكته، وأسكنه فى جناته ...

وآخره: وفى الشرعة : إن غسل الرجلين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الصداع . انتهى كتاب الحياة شرح شروط الصلاة . ومخرج مسائل هذه الرسالة مأخوذة من الكتب المعتبرة التى ذكرت فى أول الكتاب .

نسخة جيدة قديمة، عليها وقفية محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

الخط نسخ معتاد . بعض الكلمات كتبت بالحمرة .

المراجع : معجم المؤلفين ١٢/ ٢٤٩، فهرس الخديوية ٣/ ٤٢، هدية العارفين ٢/ ٤٤١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٩، ٢٩٠) .

*** حياة القلوب فيما يزول به علل الجهل والذنوب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ١٠٠٠٢ .

رسالة فى الوعظ والتصوف ضمنها أبواب .

١ ـ فى الإيمان والإسلام .

٢ ـ الورع والتقوى .

٣ ـ فى الصلاة .

٤ ـ فى الزكاة .

٥ ـ فى الصوم .

٦ ـ فى الحج .

٧ ـ فى الأضحية ...

المؤلف : لعله محمد بن الحسن بن على الأسنائى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م .

أولها : الحمد لله الذى هدانا إلى دين الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد وآله الكرام وبعد: فهذه رسالة فى علم الدين جمعته ...

آخرها : قال عليه السلام « ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إراقة الدم » وقال عليه السلام : «عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم » .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثانية .

الرقم : ٨٠٧١ .

أولها : كالسابقة :

آخرها : ثم يقول يا ملك الموت من بقى من خلقى فيقول: إلهى أنت الباقى الذى لا يموت وجبريل وإسرافيل وميكائيل ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : تمتاز هذه النسخة عن الأولى بأن الباب السابع باب ذكر نداء الروح ولم يذكر الأضحية وهى نسخة مراجعة عليها تملكات منها تاريخه سنة ١١٣١هـ .

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١/ ٦١٨ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٩/ ٢٠٤ .

طبعة الكتاب : طبع بهامش قوت القلوب اعتبارا من ص ٢٥٧ جزء أول المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٠هـ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٨٨، ٤٨٩) .

***حياة الحسين :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التراجم والسير.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ٢١٥٩٠ .

لباقر شريف القرشى النجفى .

نسخة جيدة كتبت بخط المؤلف .

القياس ٣٧٧ص   ٢١×١٥,٥ سم   ١٨س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٦١) .

*** حياة القلوب من موعظة المرغوب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد).

الرقم : ٥٣٩٤ .

كتاب فى سبعة وتسعين بابا، الباب الأول فى ثواب التعوذ من الشيطان الرجيم وحكايته، والسابع والتسعين فى فضائل الأصحاب، وكل الأبواب فى ثواب الأفعال الشرعية والتعبدية وفيه البعث والجنان وقصص بعض الأنبياء ...

المؤلف : عبد البارى بن طورخان بن طورمش السنيوبى كان حيا سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م .

أوله : الحمد لله الذى هدانا بالقرآن المجيد، الذى نزل علينا من الحكيم الحميد، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه بالتأييد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ...

آخره : وأما سعة رحمة الله تعالى قال الله تعالى فى سورة النساء ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ...

الخط نسخ معتاد دقيق، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

اسم الناسخ : إبراهيم بن حمزة بن مسعود .

تاريخ النسخ : ذى الحجة سنة ١٢١٢ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة ومصححة من قبل الناسخ الورقة الأولى مذهبة وقد ذكر أنه استفرغ جهده فى ذلك حيث إن النسخة التى نقل عنها فيها بعض التحريف .

ـ نسخة ثانية :

الرقم : ١٣٨١ تصوف ٦١ .

أولها : مخروم يبتدىء بـ الباب السابع فى ثواب الصلاة على النبى ﷺ وفيه خمس فصول ويأتى ذلك فى ق ٣٨ من النسخة السابقة ...

آخرها : مخروم ينتهى بـ الباب الخامس والثمانين بـ: ونزع قميصه وربط يده وتله للجبين أى صرعه على شقه الأيمن، ويوافق النسخة السابقة فى ق٢٨٣ .

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر...

مصادر عن الكتاب : كشف الظنون ١ / ٦٩٨ بروكلمان الذيل ٢ / ٦٥٤ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٦٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٠ ، ٤٩١) .

* **حيث:**

حيث : ظرف مكان . قال الأخفش : وترد للزمان مبنية على الضم تشبيها بالغايات ، فإن الإضافة إلى الجمل كلا إضافة ، ولهذا قال الزجاج فى قوله تعالى ﴿ **من حيث لا ترونهم** ﴾ [الأعراف : ٢٧] ما بعد حيث صلة لها وليست بمضافة إليه : يعنى أنها غير مضافة للجملة بعدها فصارت كالصلة لها : أى كالزيادة، وليست جزءا منها . وفهم الفارسى أنه أراد أنها موصولة فرد عليه . ومن العرب من يعربها ، ومنهم من يبنيها على الكسر بالتقاء الساكنين وعلى الفتح للتخفيف، ويحتملهما قراءة من قرأ ﴿ **من حيث لا يعلمون** ﴾ [القلم : ٤٤] بالكسر ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالاته** ﴾ [الأنعام : ١٢٤] بالفتح ، والمشهور أنها لا تتصرف. وجوز قوم فى الآية الأخيرة كونها مفعولا به على السعة. قال: ولا يكون ظرفا لأنه تعالى لا يكون فى مكان أعلم منه فى مكان ، ولأن المعنى : الله يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة لا شيئا فى المكان، وعلى هذا فالناصب لها يعلم محذوفا مدلولا عليه بأعلم لا به ، لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به إلا إن أولته بعالم . وقال أبو حيان: الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية وتضمين أعلم معنى ما يتعدى إلى الظرف، فالتقدير: الله أنفذ علما حيث يجعل: أى هو نافذ العلم فى هذا الموضع .

(الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٢١١) .

* **حيدر آباد :**

مملكة حيدر آباد تقع فى إقليم الدكن لا تضاهيها إمارة بسعة المساحة وكثرة السكان والمزارع والمناجم من الذهب والفضة والألماس. وهى التى تسمى بالدولة الآصفية، تحكمها أسرة من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

تأسست على يد الأمير نظام الملك آصف جاه قمر الدين ابن غازى الدين ابن الخواجة عابد الصديقى الحنفى، الصدر الأعظم لمحمد شاه التيمورى سلطان الهند، استقل بها

خمسا وعشرين سنة ، ومات سنة إحدى وستين ومائة وألف .

ثم قام مقامه ولده نواب نظام الدولة « ناصر جنك » ومدته سنتان مات سنة أربع وستين ومائة وألف، ثم ولى المملكة أخوه « صلابت جنك » ومدته إحدى عشرة سنة فخلعه الوزراء سنة خمس وستين ومائة وألف، ثم ولى أخوه نظام الملك نواب نظام على خان الآصف جاه الثانى، واستقل بها أربعا وأربعين سنة ، وكان ملكا حازما شهما مقدما، مات سنة ثمانى عشرة ومائتين وألف، ثم ولى ولده «سكندرجاه » وكان فاضلا استقل بالملك ستا وعشرين سنة ، مات سنة أربع وأربعين ومائتين وألف، ثم ولده نواب ناصر الدولة واستقل بالملك ثمانيا وعشرين سنة ، مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ثم ولى ولده نواب أفضل الدولة وامتدت أيامه إلى اثنتى عشرة سنة ، مات سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ثم ولى ولده مير محبوب على خان ، وكان ابن سبع سنين، فصار الوصى على عرشه وزيره مختار الملك فدار نظام المملكة حتى ظلت آمنة مطمئنة، ولما توفى الوزير المذكور سنة تسع وتسعين ومائتين وألف وصار الملك رجلا أخذ بيده عنان السلطة بحكمة وهمة عالية ومهارة فائقة وخبرة تامة بشؤون بلاده. وفى سنة ١٣٣٨هـ أصدر أمره بتنظيم الجمعية التشريعية وهى تتكون من تسعة أعضاء وأنشأ جامعة مستقلة سماها الجامعة العثمانية وأسس دار الترجمة عام ١٩١٧م كما أسس دائرة المعارف العثمانية ومطبعتها الشهيرة التى طبعت آلاف الكتب باللغة العربية وغيرها بشتى الفنون والعلوم .

وكان يبعث الطلاب المتفوقين إلى الجامعات العربية على حسابه ، وكان قد اتسع نطاق كرمه من أقصى الهند إلى أقصاها، والغيت كافة الإمارات على أثر التقسيم سنة ١٩٤٧ م إلا حيدر آباد فقد بقيت مستقلة حتى دخلتها الجيوش الهندية فى شهر أيلول (سبتمبر) عام ١٩٤٨م فانضمت إلى الجمهورية الهندية .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ١٦٧ ، ١٦٨ عن نزهة الخواطر ٩ / ٢٩٧-٣٠١) .

*** الحيدر آبادى (١٢٦٤-١٣٣٦هـ):**

من علماء العرب فى شبه القارة الهندية . عربى من ذرية عمر بن الخطاب، وهو العلامة الشيخ أنوار الله بن شجاع الدين بن القاضى سراج الدين العمرى الحنفى القندهارى الحيدر آبادى ـ أحد العلماء المشهورين .

ولد لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٦٤هـ بقندهار قرية من أعمال نانديز من أرض الدكن، ولما شب حفظ القرآن الكريم وقرأ المختصرات على أساتذة بلاده ثم درس فى بلدة حيدر آباد على العلامة الشيخ عبد الحليم الأنصارى اللكهنوى ثم لازم ابنه الشيخ عبد الحى اللكهنوى ودرس التفسير على الشيخ عبد الله اليمنى، وقرأ كتب التصوف على والده وأجيز منه بالعلم والطريقة وبرع فى كثير من العلوم والفنون ثم توظف فى الحكومة واستقال بعد مدة قصيرة وذهب لأداء فريضة الحج سنة ١٢٩٤هـ فلقى الشيخ الكبير الحاج إمداد الله نزيل مكة المكرمة فأخذ عنه الطريقة وأجازه .

واختير معلما لصاحب الدكن سمو الأمير محبوب على خان النظام السادس، سنة ١٢٩٥هـ ولقب بخان بهادر سنة ١٣٠١هـ وفى نفس السنة أدى فريضة الحج للمرة الثانية وفى سنة ١٣٠٥ هـ حج للمرة الثالثة وأقام بالمدينة ثلاث سنوات ورجع إلى حيدر آباد سنة ١٣٠٨ هـ ، وعين معلما لولى العهد الأمير عثمان على خان ، ولما مات صاحب الدكن الأمير محبوب على سنة ١٣٢٩ هـ ، وتولى ولده حكم الدكن عينه لمنصب الصدارة والاحتساب وكان ذلك سنة ١٣٣٠هـ وولاه وزارة الأوقاف سنة ١٣٣٢هـ، ولقبه « نواب فضيلت جنك » وفى ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ عين معلما لولى العهد وصنوه، وصارت له الوجاهة والكلمة النافذة فى الأمور الدينية والمسائل الشرعية وقام بإصلاحات كثيرة وانتفع به البلاد والعباد .

وكان أوحد زمانه فى العلوم العقلية والنقلية وقد تصدر للتدريس والمطالعة والتأليف، فأسس المدرسة النظامية بحيدر آباد سنة ١٢٩٣هـ ، وأسس مجمعا علميا للتأليف والنشر سماه إشاعة العلوم . وله مصنفات كثيرة بالعربية والأردية، منها إفادة الأفهام فى مجلدين فى الرد على القاديانية، وكتاب العقل فى الفلسفة القديمة والجديدة وحقيقة الفقه فى مجلدين ، ومناقب أبى حنيفة ، وأنوار أحمدى فى مولد النبى ﷺ، ومقاصد الإسلام فى أحد عشر جزءًا كلها فى الأردية وله غير ذلك من المؤلفات .

مات فى نهاية جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦ هـ ودفن فى المدرسة النظامية التى أسسها .

(علماء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٧٣٤، ٧٣٥ عن سير العارفين / ٦٠، ونزهة الخواطر ٨ / ٧٨ ـ ٨٠) .

* **الحيدرخانة (جامع ـ) :**

من جوامع العراق .

يطل هذا الجامع اليوم على شارع الرشيد، من جهة اليسار فى محلة الحيدرخانة ببغداد الشرقية . أمر بتشييده داود باشا، وإلى بغداد ١٢٣٢ ـ ١٢٤١ هـ / ١٨١٦ ـ ١٨٢٥ م، ولكن البناء تم عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م وسجل تاريخ البناء واسم من أمر به على لوحة مثبتة فى هذا المسجد، وهذا الجامع من أكمل جوامع العراق الأثرية وأجملها من حيث تخطيطه وعمارته وتحليته الزخرفية . وبناؤه متين وعمارته جيدة ولم يتعرض لأعمال التجديد والتعمير إلا فى مجالات ضيقة جدا لم تؤثر قطعا على جوهرياته .

وجامع الحيدرخانة أوسع جوامع بغداد الأثرية على ما هى عليه الآن فهو يشغل قطعة أرض شبه منحرفة أبعادها ٧٦ × ٦٩ , ٥٠ مترا يسورها جدار ضخم يشكل جدران الجامع الخارجية .

تخطيط هذا الجامع على طراز تخطيط جامع مجاهد الدين فى الموصل وجامع المرادية فى بغداد من حيث الأساس . فبيت الصلاة يشغل القسم الجنوبى الغربى من المسجد ويتألف من بيت صلاة شتوى وآخر صيفى . والمصلى الشتوى مستطيل الشكل أبعاده ٣٠× ٢٧ مترا ويتألف من ثلاثة أساكيب وثلاث بلاطات ، ويتسم بسعة بلاطة المحراب فهى مربعة وتشغل نصف بيت الصلاة تقريبا ويمتاز أيضا بسعة الإسكوب الأوسط ومثل هذه الحالة غير مألوفة فى بيوت صلاة الجوامع الأخرى من هذا الطراز. وعرض الإسكوب الأوسط يقارب عرض الإسكوبين الآخرين أما المصلى الصيفى فمستطيل الشكل أيضا يتكون من رواق واحد وينفتح على الصحن بثلاث فتحات أوسعها الفتحة الوسطى ويضم هذا الجامع بالإضافة إلى هذا المصلى المسقوف مصلى آخر مكشوفا يشغل الصحن المجاور للمصلى المكشوف فى الجهة الشمالية الغربية . وهو مربع الشكل تقريبا .

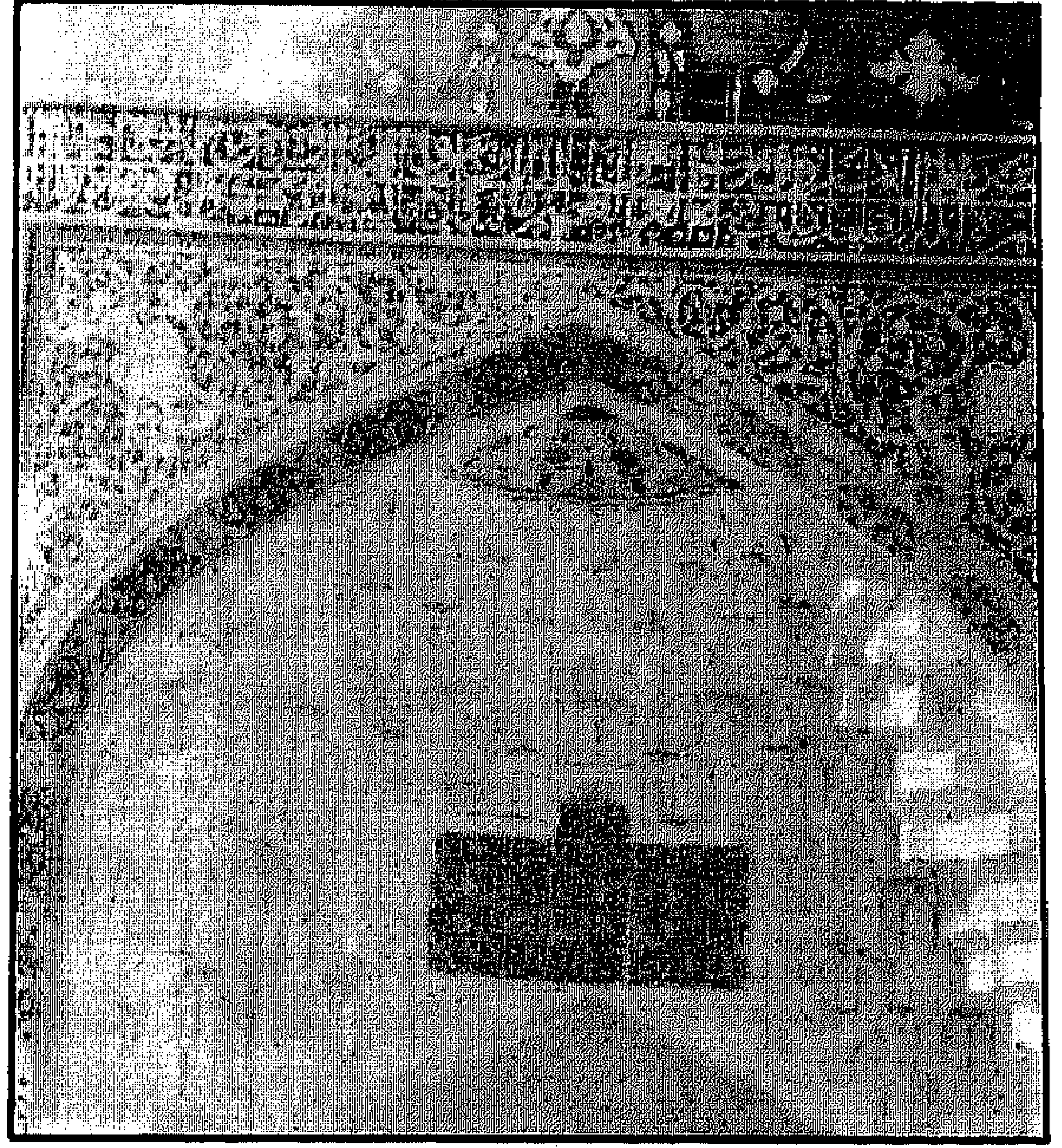


(لوح ٦٧) : جزء من مصلى جامع الحيدرخانة الشتوي .

شيد جامع الحيدرخانة بطابوق وجص ويتصف بناؤه بمتانة وضخامة ظاهرة. ويزيد سمك جدران بيت الصلاة على المترين وقد بنيت بهذه الصورة لتتحمل ثقل القبة الضخمة التى تغطى بلاطة المحراب، وتفصل بين أساكيب المصلى وبلاطاته دعامات ضخمة ، الوسطية منها مربعة طول ضلعها ٢م أما الجانبية فمستطيلة أبعادها ٢×٥ , ٢مترا، وتجلس قبة بلاطة المحراب على رقبة أسطوانية قطرها ١١ مترا ويرتفع رأس القبة عن مستوى أرض المصلى ١٨ مترا وهذه القبة هى أكبر قباب مساجد العراق السابقة وأجملها من حيث شكلها والتحليات الزخرفية التى تزينها من الخارج والداخل . وهى بصلية الشكل وقد كسيت من الخارج بغطاء مع قراميد قاشانية ذات زخارف تتألف من فروع نباتية تلتف وتلتوى لتغطى كامل القبة وبلون أزرق نيلى وأصفر برتقالى على أرضية بلون أزرق مخضر. ورقبة هذه القبة طويلة نسبيا إذا ما قورنت مع رقاب القباب السابقة وتتخللها ثمان نوافذ ذات عقود مدببة ومتبادلة مع ثمانى حنايا بنفس الطراز وزينت بداية رقبة القبة من الداخل بشريط مشغول بكتابات من آيات قرآنية يحدد النوافذ من الأسفل ويناظره شريط آخر يعلو النوافذ يشغل أيضا بكتابات بخط جميل وزخرفت قمتها من الداخل أيضا

المحراب يقع منبر الجامع المعمول من الرخام المعرق والملحى بزخارف نباتية بارزة. أما المقصورة فقد عقدت بين دعامتي الإسكوب الوسط إلى شمالي المنبر. والمصلى موزر بألواح رخامية جميلة إلى ارتفاع معين . أما بقية الجدران والقباب فقد كسيت بالجص. ويوصل هذا المصلى بالمصلى الصيفى مدخل يتوسط الجدار الشمالي الشرقي ويقع على الخط المحورى للمحراب . وهذا الباب واسع نسبيا وتعلوه حنية نافذة يرتفع عقدها بارتفاع عقود رواق المصلى الصيفى التى تحمل قباب سقفه .

يتألف المصلى الصيفي من رواق واحد طوله ٢٧ مترا وعرضه ٥,٥ أمتار ويطل على الصحن بثلاث بوائك بهيئة أواوين أوسعها إيوان البائكة الوسطى الذى يبلغ ٥,٥ مترا وأهم ما فى المصلى تكوين واجهته العمارى والتحليات الزخرفية التى تزينها ويتوسط الإيوان الرئيسى هذه الواجهة ويشكل المدخل الرئيسى إلى بيت الصلاة. وتكوين هذا المدخل العمارى لا يختلف كثيرا عن تكوين عدد من مداخل الجوامع والمساجد والخانات فى بغداد بالدرجة الأولى. فهو مستطيل الشكل يبرز قليلا عن مستوى وجه جدار الواجهة ويرتفع بشكل بارز فوق مستوى سطح المصلى . وبالإضافة إلى ذلك فقد وزعت الحنايا النافذة وغير النافذة على جانبيه بالتناظر وهى ذات عقود مدببة مثل عقوده. والشريط المستطيل الذى يحف به غير عريض وشغل الضلع الأعلى منه بكتابات بلون أصفر برتقالى على أرضية زرقاء نيلية . يؤطر هذا الشريط عقد الإيوان الإمامى وهو عقد مدبب، مستوى الوجه ومحفوف من الجانبين بحزام مفتول ومشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية دقيقة مشرقة الألوان. وزينت كتفا العقد أيضا بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية لا تقل جمالا وروعة عن حشوة العقد. وأجمل ما فى هذا الإيوان التركيبات المقرنصة التى تشغل حنية العقد الخارجي وقد جعلت من أحد عشر صفا تبرز عن مستوى وجه الحنية بهيئة عناقيد دقيقة التركيب متناسقة المظهر. وينتهى الإيوان بعقد مدبب الشكل فى نهاية الإيوان إلى المصلى ويتناظر ارتفاعا مع عقد نافذة ضخمة تقع فوق باب مدخل المصلى الشتوى (لوح ٦٨) وتجاور الإيوان ، كما ذكرنا حنايا زينت أكتاف عقودها وحافة الجدار من الأعلى بتشكيلات زخرفية هندسية جميلة ناتجة

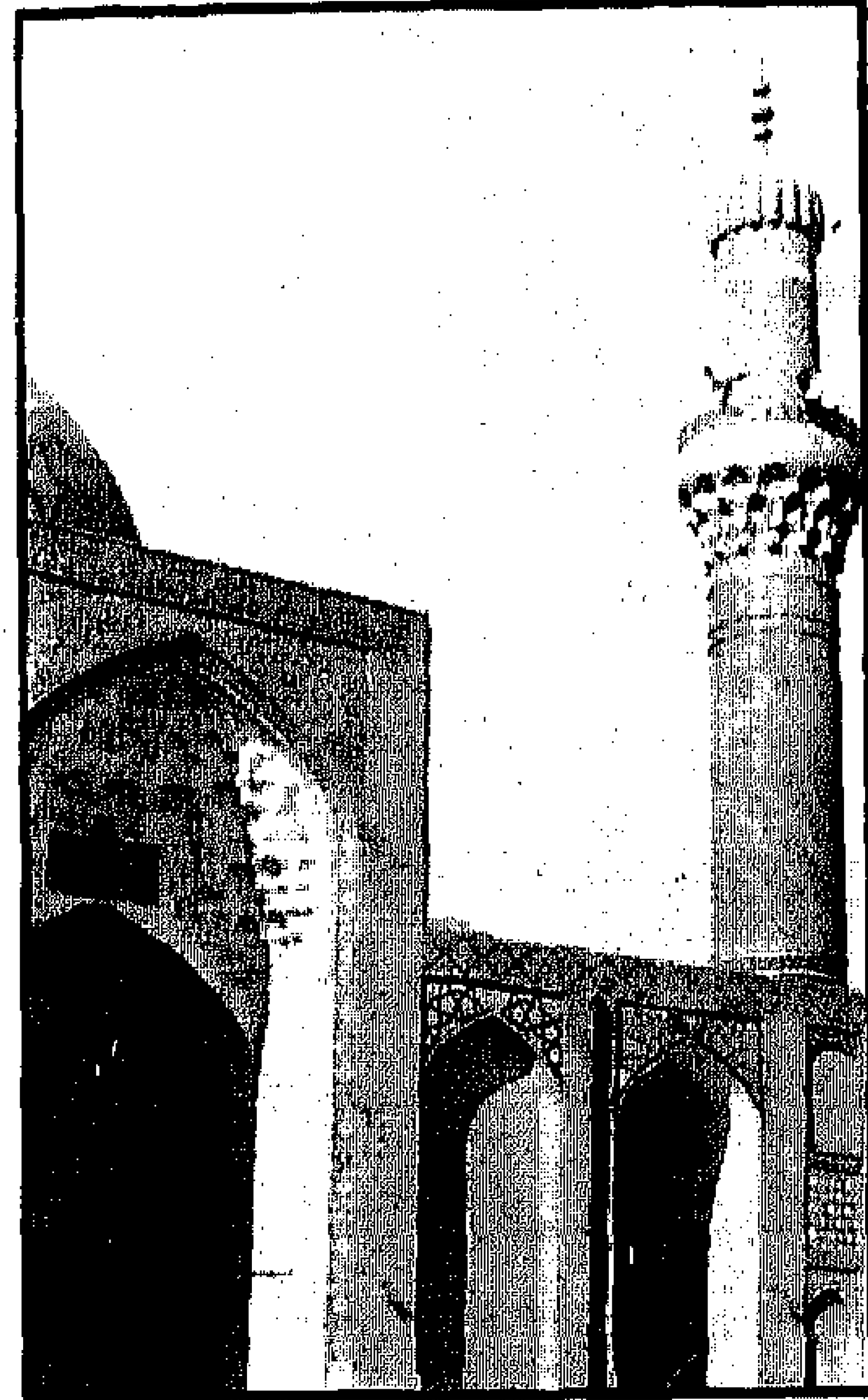


(لوح ٦٨) : ايوان مصلى جامع الحيدرخانة الصيفي .

بشكل دائرى مشغول بزخارف نباتية جميلة وتجدر الإشارة هنا أيضا إلى أن رقبة القبة من الخارج قد غطيت بأجمل الزخارف النباتية المنقوشة على قراميد قاشانية ويطوق الرقبة فوق عقود النوافذ شريط كتابى جميل . تغطى بقية أجزاء المصلى الشتوى والصيفى قباب صغيرة مفلطحة عدا قبتين ترتفعان عن مستوى وجه سطح المصلى ٥,٥ مترا وهما على طراز قبة بلاطة المحراب شكلا وزخرفة ولكنهما صغيرتان وتغطى كل منهما مربعتى الإسكوب الأوسط الجانبيتين .

تتوزع على جدران بيت الصلاة الشتوى عدد من الحنايا والنوافذ، ذات عقود مدببة مثل العقود التى ترفع قواعد القباب فى هذا المصلى. وتفنن المعمار فى إشغال القسم العلوى من هذه الحنايا غير النافذة بتشكيلات من مقرنصات جميلة ، لغرض الزينة ليس إلا (لوح ٦٧) .

تتوسط حنية المحراب جدار القبلة وهى ذات عقد مدبب وتجويفه مضلعة ذات خمسة وجوه . ويغور المحراب بمقدار ١,٣٠ مترا وتبلغ سعة فتحته ١,٥٠ مترا. وغطى بقراميد قاشانية ذات زخارف نباتية وكتابات جميلة وإلى يمين



(لوح ٦٩) : مأذنة جامع الحيدرخانة .

عن التفنن عن صف أرباع الطابوق المزجج ذى الألوان المختلفة .

ومئذنة جامع الحيدرخانة تشبه مأذنة جامع المرادية من حيث شكلها وموقعها وعناصرها المعمارية ولكنها تختلف عنها فى كسوتها الزخرفية فهى تحتل الركن الشمالى الشرقى من بيت الصلاة وتظهر وكأنها جزء منه . وهذه المأذنة رشيقة يبلغ ارتفاعها ٢٠ مترا . وقطر بدنها ١,٩٠ متر ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة ترتفع ٨ أمتار عن مستوى سطح الأرض وتندمج فى ركن المصلى كما ذكرنا . ويخترق بدنها سلم حلزونى يكون الوصول إليه من سطح المسجد ويؤدى إلى حوض المأذنة . ويستند حوض هذه المأذنة على أربعة صفوف من المقرنصات تشبه فى تشكيلها مقرنصات حوض مأذنة جامع المرادية . فتشكيلة الصف الأول عبارة عن صف من حنايا ذوات عقود مدببة مستوية وذوات حافات بارزة فقط . وتبرز رؤوس مقرنصات الصف الثانى وبمستويين مختلفين وهى زوجية فى تكوينها أما مقرنصات الصف الثالث ففردية ولكن تتباين حناياها فى مستوى تقعرها . ومقرنصات الصف الأخير تتألف من وحدات ثلاثية تشغل حنية ذات عقد مقصوص تستند حافات الحوض عليها .

ورقبة المئذنة أسطوانية رشيقة فى مظهرها ويزيدها جمالا رأسها المضلع ذو الشكل المقبب والمدبب النهاية قليلا وتبرز قاعدة الرأس عن مستوى وجه الرقبة حيث تسندها رؤوس صف من مقرنصات مستوية ذوات حافات بارزة .

تتميز مئذنة جامع الحيدرخانة بكسوتها الزخرفية الفريدة بين مآذن الجوامع المار وصفها . فتشكيلاتها الزخرفية تجمع بين الأشكال الهندسية والعناصر النباتية والكتابات بخطوط متنوعة وهذا لم نجده فى أى من المآذن السابقة وهى بالإضافة إلى ذلك تجمع بين تقنيتين مختلفتين فى صناعة التحليات الزخرفية وهى التشكيلات الناتجة عن التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج والتكوينات المصممة على قراميد قاشانية . ولم تزين أى من المآذن السابقة بكتابات كثيرة تغطى البدن والرقبة مثل هذه المئذنة (لوح ٦٩) .

وزينت الأقسام الظاهرة من قاعدتها بمعينات ناتجة من التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج وعلى مستوى واحد مثل بقية تشكيلات المئذنة الزخرفية . وطُوِّق البدن من الأسفل بشريط ضيق مشغول بقراميد قاشانية ذات زخارف جميلة ومحفوف بحزامين مفتولين بارزين قليلا عن مستوى وجه البدن . ويعلو ذلك نطاق واسع يشغل معظم البدن تتكون تشكيلته الزخرفية من أشرطة مائلة تتحرك على البدن من اليسار إلى اليمين حددت بخطوط ناتجة من التفنن فى صف من أرباع طابوق مزجج بلون أزرق شذرى ومشغولة بكتابات كوفية تتألف من كلمات مرتبة فى أوضاع مختلفة وناتجة من التفنن فى صف أرباع طابوق مزجج وبلون أزرق نيلى . وتنحصر الكتابات بين حزامين من أنصاف معينات مسننة تشبه إلى حد كبير تلك التى تزين بدن مئذنة جامع الكواز فى البصرة ولكن النطاق المشغول بالكتابات فى هذه المئذنة يختلف إلى حد ما عن نطاق كتابات مئذنة جامع الكواز. ويتوج هذا النطاق شريط ضيق يناظر فى سعته وحوافه الشريط الأسفل. ويلى هذا الشريط شريط آخر أعرض منه ومشغول بكتابات كوفية جميلة جدا مصممة على قراميد قاشانية ذات لون أصفر برتقالى . أما الكتابات فجعلت بلون أزرق نيلى وشغلت حنايا المقرنصات بقراميد قاشانية جميلة . وغطت الحوض تشكيلة من زخارف معينية ناتجة من التفنن فى صف

أرباع الطابوق المزجج . وكسيت الرقبة مثل البدن بأشرطة مائلة مشغولة بكتابات كوفية جميلة ويفصل هذه الكتابات عن مقرنصات الرأس شريط محلى بزخارف وغطيت المقرنصات والرأس بقراميد قاشانية ذات زخارف لطيفة .

يسور جامع الحيدرخانة جدار سميك مرتفع نسبيا ويمكن الدخول إلى الجامع عن طريق ثلاثة مداخل بهيئة أواوين أو مجازات تتصف بتركيبها المعمارى المتشابه وعقودها المدببة المنفرجة ومقرنصاتها الجميلة وقراميدها القاشانية التى تغطى أجزاء واسعة من عقودها ووجوهها . يتوسط أحد هذه المداخل الجدار الجنوبى الغربى منفتحا على شارع الرشيد وفاصلا بين المصلى الشتوى المسقوف والمصلى الصيفى المكشوف الذى يشغل الصحن الشمالى الغربى . ويقع المدخل الثانى فى الركن الجنوبى الغربى مطلا على شارع الرشيد أيضا يؤدى إلى مجاز يفصل المصلى الشتوى عن الجدار الجنوبى الشرقى حيث يقود إلى الصحن الواسع الذى يشغل القسم الشرقى من المسجد . أما الباب الثالث فيخترق مجازه الجدار الشمالى الغربى ويؤدى مثل ذلك الذى يتوسط الجدار الغربى إلى المسجد الصيفى المكشوف .

وتحلى جدران الجامع الخارجية هذه مجموعة من حنايا واسعة نسبيا، ترتفع بارتفاع الجدار تقريبا وتشغل جدارى المصلى الصيفى من الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية من الداخل والخارج وقد زينت أكتاف عقودها وهامات جدرانها بتشكيلات زخرفية معنية ناتجة من التفنن فى صف أرباع الطابوق وكانت هذه الحنايا المعقودة تشغل كل وجه الجدار الجنوبى الغربى ، جدار القبلة ، من الخارج ولكن وبسبب أهمية المنطقة التجارية فقد أضيفت إليها أبنية أدت إلى إخفائها وتشويه منظر واجهة هذا الجامع الفريد وقد قامت رئاسة ديوان الأوقاف بإعادة إكساء واجهات الدكاكين التى تتقدم الواجهة الأصلية بتشكيلة زخرفية أجرية ذات عناصر بارزة وتوجت ذلك بنطاق من كتابات بلون أصفر برتقالى على أرضية زرقاء داكنة وعملت حشوة الشريط هذه من قراميد قاشانية على طراز بعض كتابات الجامع وقد شوهت هذه الزخرفة التى لا تنسجم مع طراز تشكيلات الجامع الزخرفية وتقنيتها وألوانها شوهت واجهة الجامع ونأمل أن تزال الأبنية المضافة وتعاد الواجهة إلى أصلها .

ويلتصق بجدران الجامع من الداخل عدد من الغرف والمرافق خصصت لإيواء الطلبة حيث ألحقت به مدرسة لعلوم الدين .

يعتبر جامع الحيدرخانة من أجمل مساجد العراق تخطيطا وعمارة وزخرفة ، فهو يمثل استمرار طراز تخطيط جامع مجاهد الدين والمرادية ويكشف عن استمرار العناصر المعمارية التى نمت وازدهرت فى القرون السابقة . وفيه أضخم قبة معروفة تتصف بشكلها البصلى الجميل ورقبتها الطويلة المحلاة بأروع الزخارف النباتية وتشتهر بكسوتها القاشانية ذات زخارف نباتية متقنة . كما يشتهر بمئذنته الوحيدة فى كثرة الكتابات التى نقشت ويمتاز أيضا بإيوان مدخل مصلاه الصيفى المسقوف الذى يضاهى عددا من مداخل المدارس والخانات والمساجد فى الطراز العمارى والتحليات الزخرفية . وفى جامع الحيدرخانة استعمل الخط لإشغال عشرات الأمتار من الأشرطة التى تطوق رقاب القباب وتحلى الهامات وتكسى الأبدان . ولم تستعمل الكتابات بهذه التقنية وهذه السعة فى أى من الجوامع السابقة . ونجد فى زينة هذا الجامع مئات الأمتار المربعة من الزخارف المصممة على قراميد قاشانية ليس لها ما يناظرها فى الجوامع الأخرى . ويوازى ذلك أيضا المساحات الكبيرة المشغولة بتشكيلات زخرفية ناتجة فى التفنن فى صف أرباع الطابوق المزجج وبطريقة منسجمة جدا مع التشكيلات الزخرفية فى القراميد القاشانية . أما بناؤه فهو بدوره أضخم وأكثر إتقانا من بناء أى من الجوامع القائمة فى بغداد .

وتجدر الإشارة أخيرا إلى عدد من جوامع بغداد تعاصر جامع الحيدرخانة وتصغره عمرا . وأروع هذه الجوامع هو جامع الأحمدى الذى يقوم فى محلة الميدان من بغداد الشرقية وهو يناظر جامع المرادية تخطيطا وعمارة وزخرفة إلى حد بعيد ومن بينها أيضا جامع الأصفية الذى يجاور المدرسة المستنصرية من الجهة الشمالية الغربية ويشتهر بمئذنته ذات الحوضين والشاهقة الارتفاع والمغطاة بأجمل القراميد القاشانية المزخرفة بأدق الزخارف كما يشتهر جامع الأصفية بقبتيه المتجاورتين اللتين تغطيان بيت الصلاة فيه وجامع النبى يونس فى الموصل الذى يتميز بمئذنته الأسطوانية المشهورة

والممتدة برشاقتها وحوضيها الجميلين ورأسها المدبب (لوح ٧٢) وقد بنيت هذه المئذنة على طراز مآذن اسطنبول فى جامع السليمانية وغيره .

(العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ١/ ٢٥٢-٢٦٥) .

*** حيدر (زاوية الشيخ -) :**

من زوايا القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام . يقول عنها الدكتور العسلى :

زاوية الشيخ حيدر: تقع هذه الزاوية فى حارة الشرف بالقدس عند قنطرة تسمى قنطرة دار غنيم . وتدعى الزاوية أيضا مزار الشيخ حيدر وللزاوية باب يفتح شمالا ويؤدى إلى صحن مكشوف فيه قبر يقال إنه قبر الشيخ حيدر.

وقد شاهد فان برشم فى موقع الزاوية لوحة كتب عليها ما يلى ، بالخط النسخى المملوكى وبأحرف كبيرة جميلة :

« بسملة ... ... إلا الله تولى عمارته الفقير إلى الله محمد الحـ (يـد) رى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين بتاريخ أربعة وتسعين (سبعين ؟) وستمائة » .

وهناك من يقول إن الشيخ حيدر هذا من ولد غانم ، شيوخ الخانقاه الصلاحية أو جدهم ، لكن إثبات ذلك غير متيسر. واللوحة المشار إليها لا تدل على أن الشيخ محمد الحيدرى المذكور أنشأ الزاوية أو أنه عمَّرها فقط . ويذكر فان برشم ، نقلا عن مجير الدين قوله : إنه اطلع على مرسوم للسلطان قلاوون أنعم السلطان بموجبه برسم الزاوية ، بغرارتين من القمح شهريا إنعاما مستمرا . وتاريخ المرسوم سنة ٦٨٠ . وباختصار فإن كل ما يمكن قوله إن شخصا يدعى الشيخ حيدر. ينتمى أو لا ينتمى إلى عائلة غانم ، أسس فى هذا المكان زاوية وطائفة تدعى طائفة الحيادرة ، فى تاريخ غير معروف ، ومن الممكن أن شخصا يدعى محمد من آل غانم انتسب إلى الشيخ حيدر وعمر الزاوية فى القرن السابع وأنعم السلطان قلاوون سنة ٦٨٠ عليه وعلى الزاوية بغرارتين من القمح شهريا .

زاوية الشيخ حيدر اليوم خراب . وكانت عامرة سنة ١٢٠٥ وقد أشار مجير الدين إلى الزاوية بقوله : إن حارة الحيادرة سميت بهذا الاسم نسبة إلى زاوية بها لطائفة الحيادرة وإن الحارة والزاوية تقعان بجوار حارة الشرف من جهة الشمال (الأنس الجليل ٢/ ٥٢)

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ٣٦٧) .

*** حيدرة :**

اسم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه . يقول صاحب « عمدة الطالب» فى الكلام على نسبه : وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضى الله عنها ، وكان قد ولد وأبوه غائب فسمته فاطمة بنت أسد باسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب سماه عليًّا . ومن هنا يسمى أمير المؤمنين « على حيدر » لأن حيدرة من أسماء الأسد، وقد ذكر ذلك فى شعره يوم خيبر فقال رضى الله عنه

*** أنا الذى سمتنى أمى حيدره ***

قالت المؤلفة : البيت بتمامه كما ورد فى ديوان الإمام على (ص٥٣) هو :

أنــا الــذى سمتنى أمى حيــدرهْ
ضــرغــام آجــام وليث قســوره

ويعلق سماحة الشيخ السيد محمد صادق آل بحر العلوم رحمه الله فى هامش(٢) على القول بأن عليًّا رضى الله عنه وُلد وأبوه غائب بقوله : التاريخ الصحيح يوحى إلينا أنه كان بمكة حين الولادة .

(عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب للنسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن على الحسنى المعروف بابن عنبة/ ٥٨ ، ٥٩ وهامش (٢) للمصحح ، وديوان الإمام على - جمع وترتيب عبد العزيز الكرم . بدون تاريخ / ٥٣).

*** ابن حيدرة الرحبى (-٦٦٧ هـ):**

ذكره صاحب عقد الجمان فى وفيات سنة ٦٦٧ وقال عنه :

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبى ، شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرسة الدخواريَّة عن وصية واقفها له بذلك ، لتقدمه فى هذه الصناعة على أقرانه وأهل زمانه .

ومن شعره :

يُساق بنــو الــدنيــا إلى الحتف عنــوة
ولا يشعــر البــاقى بحــالــة من يَمْضِى
كـأنهم الأنعــام فى جهل بعضهــا
بمــا تمَّ من سفك الــدمــاء على البَعْضِ

له ترجمة في : الوافي ٢٢/ ٣٥١ رقم ٢٤٥، البداية والنهاية ١٣ / ٢٥٥ ، عيون الأنباء ٢/ ١٩٥ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٧ وفيه توفى سنة ٦٦٨هـ السلوك ١/ ٥٨٣ .

(عقد الجمان لبدر الدين العيني ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ٢/ ٥٢، ٥٣) .

*** حيدرة العباسي (ـ ٧٦٧ هـ) :**

من مدرسي الفقه الحنفي بالمدرسة المستنصرية ببغداد

قال ابن حجر : (الدرر الكامنة ٢/ ٨١) حيدرة بن محمد بن يحيى بن هبة الله بن المحيا العباسي، محيي الدين، أبو الحسن بن أبي الفضائل الحنفي مدرس المستنصرية ببغداد. روى عن صالح بن عبد الله بن الصباغ عن أبي المؤيد محمد ابن محمود بن محمد الخوارزمي مسند أبي حنيفة من جمعه. سمع منه صاحبنا تاج الدين النعماني قاضي بغداد سنة ٧٦٥هـ . وذكر أن شيخه هذا توفى ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٧٦٧هـ . وجاء في الدرر (١/ ٢٣١، ٢) أن جلال الدين الكازروني البلياني سمع من حيدرة بن محمد بن يحيى ابن المحيا العباسي. قال ابن حجر: وذكره ابن الجزري في مشيخة الجنيد التي خرجها له لما قدم عليهم شيراز وقال: إنه أجاز للجنيد من بغداد في صفر سنة ٧٩٥هـ. ويظهر أنه من نسل الشيخ محيي الدين محمد بن المحيا العباسي الذي عين في سنة ٦٧٤هـ خطيبا بجامع المدينة المعروف بجامع السلطان، كما كان قد عين لصلاة العيدين بالمدرسة المستنصرية. وكان الواقف قد شرط ألا يخطب بها إلا هاشمي عباسي. ولم يخطب بالعراق بعد الواقعة خطيب هاشمي سواه (الحوادث الجامعة/ ٣٨٥) .

وقال ابن حجر أيضا (الدرر الكامنة ٣/ ١٠٨) : علي بن محمد بن يحيى بن هبة الله العباسي الحنفي البغدادي. سمع صحيح مسلم على عبد الكريم بن بلدجي معيد الحنفية بالمستنصرية. وأحكام ابن تيمية على الرشيد بن أبي القاسم عنه. وولي قضاء بغداد، ونقابة الأشراف. ودرس، وخطب. ومات في شهر رجب سنة ٧٦٧هـ .

وترجم له ابن شهبة (الورقة ١٧٩ من مخطوطة باريس) فقال: حيدر بن علي بن محمد... الشريف عماد الدين أبو الحسن ، القرشي، العباسي الحنفي، البغدادي. سمع من عبد الكريم بن بلدجي، وست الوزراء بنت أبي البدر، والرشيد ابن أبي القاسم . سمع منه ابن رجب، وذكره في معجمه ، وقال: ولي القضاء ببغداد، ودرس بالبشيرية، والمستنصرية، وولي نقابة الطالبيين، والعباسيين، ومشيخة رباط الجنيد، وخطب بالجامع الأعظم بها. ورأس الخطباء على قلة ورع.

وقد ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب فقال: عماد الدين أبو الحسن محيي الدين بن شرف الدين يحيى بن المحيا العباسي البغدادي، النقيب الخطيب، من البيت الأثيل، والأصل الأصيل. وعماد الدين كريم الطرفين بين العباس وعلي لما توفي والده محيي الدين فوض إلى عماد الدين ما كان إليه من المشيخة، والنقابة، والخطابة. وهو شاب فاضل، عالم كامل. خطب بجامع الخليفة سنة ثلاث وسبعمائة (أي في السنة التي مات فيها والده محيي الدين) ورأيته بالسلطانية وله همة عالية، ونفس شريفة أبية فجرى على سنن أبيه بل زاد عليه في الفضائل ، والمعاني والأخلاق.

(تاريخ علماء المستنصرية ـ د. ناجي معروف ١/ ٩٦).

*** الحيدة والاعتذار في رد من قال بخلق القرآن :**

لأبي الحسن عبد العزيز بن مسلم المكي (كشف ١/ ٦٩٤).

*** الحير الشرقي (قصر ـ) :**

من قصور الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قصر الحير الشرقي. يصفه الدكتور بهنسي بقوله :

يقع الحير الشرقي على بعد ١٠٥ كيلو مترا شمال شرقي تدمر وعلى مسافة ستين كيلو مترا جنوب الرصافة . ولقد تحدث عنه كثير من الرحالة منذ القرن السابع عشر، وكان آخر من زاره ١٩٢٥ وكتب عنه البرت غبرييل ٢٧٢ الذي استفاد منه كريزويل وأضاف عليه منذ عام ١٩٢٨، ثم تولى أوليغ غرابار استكمال دراسته منذ ١٩٦٥ .

يتألف الموقع من قصرين ، قصر كبير مربع طول ضلعه ١٦٠م تقريبا وآخر صغير مربع غير منتظم طول ضلعه ٧٠م وسطيا، وهذان القصران مدعمان بأبراج نصف دائرية، برجان في كل ضلع إضافة لأبراج الزوايا الأربعة. وينفتح مدخل القصر الكبير من جهة الجنوب ببوابة كبيرة على طرفيها برجان نصف دائريان، وينتهي الدهليز بالفناء المحاط من جميع

جوانبه بالغرف الواسعة ١١×٦ م تقريبا ، وتبدو مقطوعة إلى قسمين الغرف الواقعة فى الجهة الشرقية . والقصر مؤلف من طابقين ، ولهذا القصر أربعة مداخل بما فيها المدخل الرئيسى عدا مدخلين إضافيين فى الجدار الشرقى .

وأسوار القصرين مبنية من الحجر المنحوت والآجر ومدعمة بأبراج نصف دائرية ، وبجوار هذين القصرين ثمة سور واسع بطول يزيد عن ستة كيلو مترات مدعم أيضا ببدنات وفى أحد أجزائه فتحات ذات أقواس عادية يمكن إغلاقها بأبواب من الخشب ، وثمة قناة تنقل الماء من مكان بعيد جدا ، وهذه الأرض التى يمكن تنظيم الرى فيها لا بد أنها قد استعملت لزرع بعض النباتات ولإقامة الفلاحين .

تعتبر منطقة قصر الحير الشرقى مدينة كانت معدة لسكنى حاشية الخليفة ، وترجع هذه المدينة إلى عهد هشام ، يؤيد ذلك الكتابة التى عثر عليها جاك روسو فى القصر وهذا نصها :

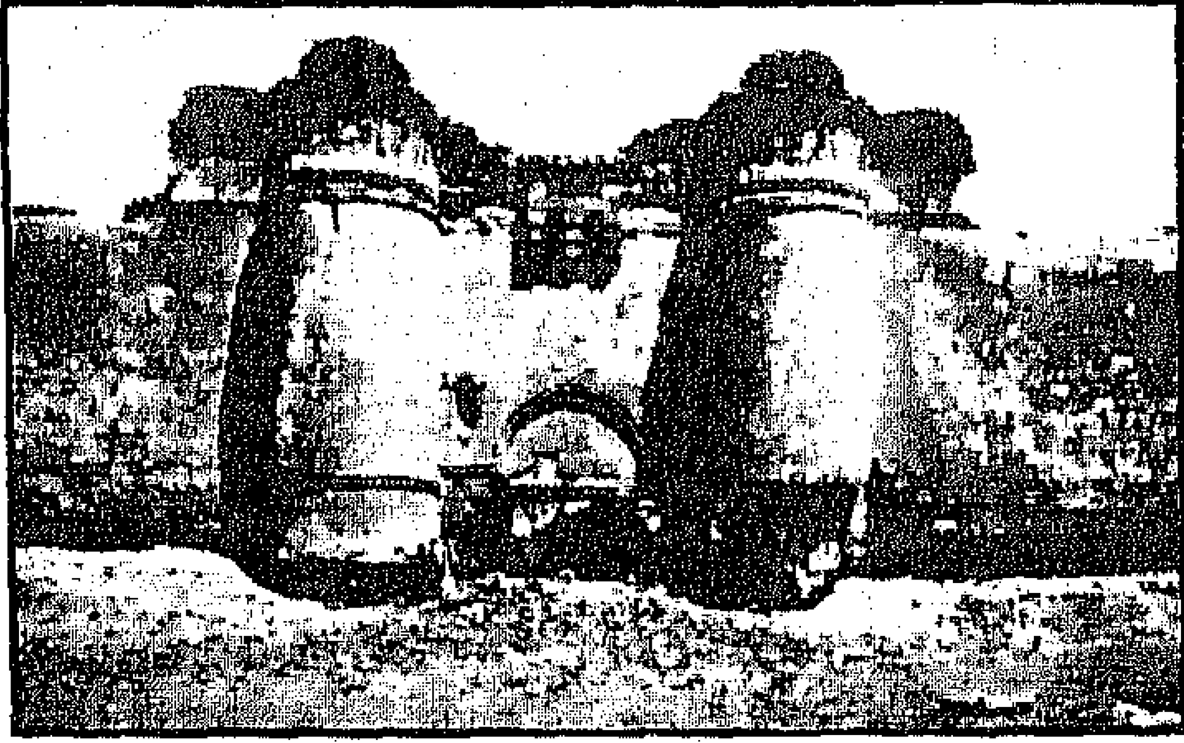
(بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله ، أمر بصنعة هذه المدينة عبد الله هشام ، أمير المؤمنين وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان ابن عبيد) .

ولقد نقلت هذه اللوحة إلى حلب ثم فقدت ولم يعرف أثرها حتى الآن ولكنها نشرت فى مقال غبريل كما كتب سوفاجيه عن هوية هذا القصر .

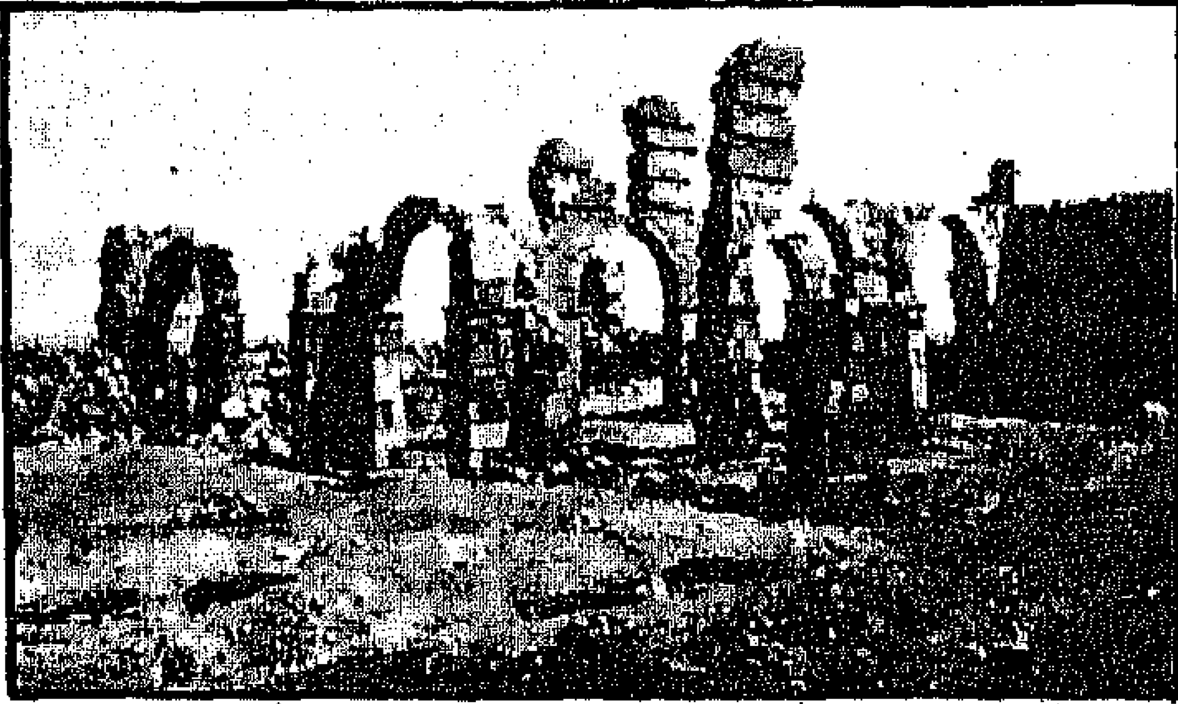
أما القصر الصغير فله مدخل وحيد من جهة الغرب نشاهد فى داخله غرف ذات سقف معقودة ، وتشير الجدارن الخارجية بما فيها من بروزات إلى تقسيمات الجدران الداخلية الرئيسية .

ولم تقدم الحفريات دلائل كافية على وجود عناصر تزيينية واسعه ولا بد أن ذلك يرجع إلى استمرار استعمال هذه المدينة خلال عدة قرون من(٨ ـ ١٤) وخلالها تعرضت إلى تحويلات وإضافات واستعمالات مختلفة ، أدت إلى ضياع الكثير من المعالم الزخرفية فى أبنية هذه المدينة التى عرفت خلال القرون باسم(العرض) كما يرى غرابار .

ولقد اعتقد سوفاجيه استنادًا إلى لوح روسو ، أن هذا الموقع هو نفسه رصافة هشام التى ورد ذكرها على لسان المؤرخين العرب ، ولكن حفريات الرصافة أبانت وجود



أ - قصر الحير الشرقى مدخل الفناء الصغير



ب - قصر الحير الشرقى - المسجد فى الفناء الكبير

قصرين لهشام هناك . ويبقى وضع منطقة قصر الحير الشرقى مستقلا . ولقد قام غرابار خلال تنقيباته بالتأكيد على هوية القصر الصغير من أنه يرجع إلى العهد الأموى وإلى عهد هشام كما يبدو من الكتابة ، أما القصر الكبير فهو أموى ولكنه أعيد إنشاؤه فى العهد العباسى وفى القرن العاشر ، حيث أصبح عنصرا أساسيا فى مدينة متكاملة فيها معاصر للزيوت وصناعات زجاجية وأحياء سكنية ومسجد ، واكتشفت قناة تمتد ٥٧٠٠ مترا تنقل المياه إلى هذه المدينة يحتمل أنها موجودة منذ قبل الإسلام .

ولقد لعبت هذه المدينة دورًا تجاريًّا هامًّا لموقعها وفعاليتها(الفن العربى الإسلامى/ ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٧)

ويصف كريزويل أجزاء القصر فيصف الفناء الصغير والفناء الكبير مما ننقله لك فيما يلى :

الفناء الصغير:

يتشكل هذا الفناء بواسطة سور سمكه ٢٫٣٠ مترا وعلى جوانبه أبراج نصف دائرية ــ واحد فى كل زاوية واثنان فى وسط كل جانب وبذلك يبلغ العدد الإجمالى ٢١ برجا تبلغ

المسافة بين كل برجين ١٨٫٥١ ـ ٢٠٫٠٥ مترا ما عدا البرجين على جانبى المدخل الوحيد (فى الجانب الغربى) اللذين يبعدان عن بعضهما ٦٫٦٧ مترا فقط . يبلغ ارتفاع الجدار بما فى ذلك حاجز السقف الذى اختفى معظمه ١٢٫٢٥ مترا تقريبا . والحجر الذى يتخذ لونا كهرمانيا جميلا هو من النوع الكلسى الناعم وقد بنى من مداميك يبلغ ارتفاعها ٣٥ سم .

والمدخل قطعة فنية جميلة التصميم . يبلغ عرض الفتحة ٢٫٩٨ سم ارتفاعه يقدر بـ ٤٫٢ مترا . أما عوارض المدخل العمودية فقد تآكلت لكن القوس الذى يشكل العارضة الأفقية لا يزال باقيا فى موضعه وفوق هذه العارضة قوس حمل نصف دائرى يمتلىء قلب مقصه بأحجار عادية . أما الاسبندلات فمملوءة بحنيات صغيرة فيها رؤوس أخدودية .

والأبراج فى قممها تظهر نظاما زخرفيا أخاذا أصيلا من الآجر والجص . تبدأ من الأدنى بالزخارف الموجية المستقيمة ويتلو ذلك مدماكان من الآجر ثم صف من الآجر الصغير بمساحة ١٠ سم^{2} تقريبا مرصوف على شكل معينات ثم مدماكًا آخر من الآجر وفوق ذلك مباشرة المدماك الأخير من الأحجار الذى يرتكز عليه عقد القناطر الزائفة الجذاب المؤلف من سلسلة من الألواح المستطيلة التى يقسمها زوجان من الأعمدة الصغيرة وذات الجذوع المؤلفة من سلسلة من الحلية الشارية المتعرجة . ووجه القوس فى الأعلى مزين بنباتات الأكانتوس ولكن التطعيم فى الألواح تالف جدا . هذه الزخرفة ليست محفورة بل ناتئة ويبدو أنه تم استعمال أربعة زخارف . والكل يعلوه مدماك من الآجر الموضوع بصورة يشكل فيها زخرفة على شكل أسنان الكلب وفوقه عدة مداميك من الآجر العمودى وفوقها القبة الآجرية التى تتوج البرج بعد الارتداد عن وجه الجدار .

والإفريز الرواقى يمتد بين الأبراج وفى الوسط ـ فوق المدخل ـ توجد كوتان سقاطتان ترتكزان على ثلاث كتائف بارزة .

والأبراج الباقية تعالج كالتالى : الشريط الأول من الآجر الذى يتألف من خمسة مداميك والذى يمتد بجانب السور ويمتد أيضا حول كل برج ثم تتلوه ثلاثة مداميك من الحجر وبعدها شريط من الآجر المربع الصغير الموضوع على شكل معينات ثم ثلاثة مداميك أخرى من الحجر وبعدها شريط أخير من أربعة أو خمسة مداميك من الآجر الذى تعلوه قبة من الآجر وكل برج ـ فى حال بقائه فوق ممر المتراس ـ له غرفة صغيرة فوقها قبة ما عدا البرج المجاور للمدخل من الجهة الشمالية الذى يبدو أن فيه درج حلزونى ولكن الدرجات كلها اختفت ولم يبق إلا أسطوانة فارغة .

الداخل :

إنه فى حالة من التلف الشديد ولكن لا يزال من الممكن أن نرى أن الطابق السفلى تألف من عدد من الحجرات ذات السقوف المقنطرة عمقها حوالى ١٢ مترا تقريبا وعرضها متفاوت وهى مبنية حول ساحة مركزية تمتلئ الآن بالأنقاض لأكثر من مترين . ومن المرجح أن رواقا داخليا امتد حول هذه الساحة كما فى قصر المنية . والسقوف المقنطرة مبنية كما يلى : يبدأ العقد بـ ١٠ ـ ١٣ مدماكا من الآجر الموضوع أفقيا فى مداميك بارزة قليلا متلائمة مع حنية العقد وفوق هذا حلقتان من الآجر المربع المسطح ووجوهها تشكل زاوية قائمة مع محور العقد . هاتان الحلقتان تغطيهما حلقة خارجية من الآجر القائم . ومن الممكن أن نرى أن الغرفتين الباقيتين بحالة جيدة فى الجزء الجنوبى كانتا مقسمتين إلى جزء خارجى وجزء داخلى بواسطة جدار حاجز ولذلك فإننى أستنتج أن بقية الغرف كانت من نفس الطراز .

فوق هذه الغرف المسقوفة بالقناطر هناك طابق آخر له غرف متوافقة مع الغرف السفلية . هذا الطابق العلوى الذى لا تزال بعض غرفه قائمة فى الركنين الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى لا بد أنه كان له سقف خشبى لأننا نستطيع أن نرى حفر العوارض الخشبية على طول جدران البناء على مسافة ١,٥ مترا تحت المتاريس .

الفناء الكبير :

يتشكل الفناء الكبير بواسطة سور سماكته ٢,١٢ مترا تحيط به الأبراج التى يبلغ قطرها ٤ مترا وله مدخل فى وسط كل جانب . هناك برج فى كل زاوية وستة أبراج تتوسط كل جانب . تبلغ المسافة الفاصلة بينها ٢٥,٢٥ مترا من محور إلى آخر . وبالإضافة إلى ذلك هناك باب خلفى بعرض ١,٤٧ مترا إلى الجنوب من المدخل الشرقى . وإلى الجنوب

أيضا هناك باب خلفي آخر سنرى وظيفته فيما بعد . هذا الفناء مبني بحجارة أكبر ويتراوح ارتفاع المداميك بين ٥٠ وبين ٧٠ سم ولكنه في حالة سيئة لأن جدرانا ستارية بكاملها قد تهدمت .

ولما كانت الأبراج كلها ممتلئة فلا بد أن يتم الوصول إلى المتاريس بأدراج في داخل السور الذي تهدمت بعض أجزائه والمتراس ـ بخلاف متراس الفناء الصغير ـ من الحجر. وقد بقي في كثير من المواضع حتى ارتفاع مدماكيه . يبلغ سمكه ٤١ سم ومدعم بسلسلة من الدعائم المتباعدة حوالي ١,٧٥ سم. والأسوار والأبراج ليست مزخرفة بأشرطة من الآجر ولكن قمم الأبراج مبنية بكاملها من الآجر من مستوى مدماك واحد تحت المتاريس وفي أعلى كل برج توجد غرفة صغيرة لها ثلاث نوافذ رمادية . ويرينا مخطط روسو الذي رسمه عام ١٨٠٨ م أن هذه الأبراج كانت وقتها متوجة بقباب . ولو افترضنا ارتفاع المتاريس ٢,٥ مترًا فيكون ارتفاع الجدران ١٢,٢٥ مترًا .

المداخل الأربعة متطابقة تقريبًا : يتألف كل منها من مدخل عرضه أقل من ٣ أمتار فوقه عارضة أفقية معشقة وفوقها قوس حمل مرفوع قليلاً ومدبب قليلاً وقلب مقصه ممتلىء بالحجارة المرتدة إلى خلف مقدار ٤ سم عن وجه القوس . وفوق كل مدخل كوتان سقاطتان فوق ثلاث كتائف وثلاث طبقات من الزخرفة . والكوتان السقاطتان فوق المدخل الشمالي أعرض من البقية وترتكزان فوق خمس كتائف معقدة والوسطى منها مزينة بوردة دائرية . ونعود إلى قلب مقص النوافذ فنرى أنها مثغوبة بثقوب متباعدة بمقدار ٢٥ سم . اقترح غابرييل أن الغرض من هذه الثقوب هو إيجاد مقبض للمونة التي ألصقت فوقه زخارف القيشاني . وليس هناك أي مثال لمثل هذه الزخرفة القيشانية في العمارة الإسلامية المبكرة في مثل هذا التاريخ المبكر ويبدو من المرجح أن الزخرفة كانت جصية لأننا رأينا أن الزخرفة الجصية مستعملة على الأبراج على جانبي مدخل الفناء الصغير.

المسجد :

الداخل تقريبًا لا يحتوي على أية أبنية ما عدا بقايا البناء الوحيد في الركن الجنوبي الشرقي الذي لا بد وأنه أنشىء بعد إتمام الفناء نفسه لأن هناك انفصالًا عموديًا كاملا بين بنائه وبين العضائد الثلاث المتصلة به . ليس هنالك أي شك في أن البناء مسجد وأن صف الأعمدة الممتد بمحاذاة الجدار الجنوبي هو الواجهة المطلة على الصحن والفحص السريع يكفي ليرينا أن صفي الأعمدة الذي يحتوي كل منهما على ثلاثة أقواس تمتد من الشمال إلى الجنوب ما هي إلا الجناح العرضاني لأن العضائد تتخذ شكل T وأن صفي الأعمدة التي تقسم الحرم إلى ثلاثة أروقة لابد وأنها انتهت مقابل وجهها الخارجي . والجدران الآجرية التي يبلغ ارتفاعها أكثر من ٤ أمتار والتي ترتفع فوق صفي الأعمدة هذه هي بالطبع جدران المنور كما في المسجد الكبير بدمشق . أما بالنسبة للعضادة المنعزلة التي تقف على امتداد صف الأعمدة الشمالي فهي بالطبع تتمة له . وهي تتفق بالشكل والمقاسات مع العضادة C وهي منفصلة عن عضادة الجناح العرضاني بنفس المسافة تقريبًا (٧,٦١ مترًا مقابل ٧,٥٧ مترًا) . وفي منتصف المسافة بين العضادة C والجناح العرضاني يوجد عمود متهدم مؤلف من أربع أسطوانات وفي نقطة D هنا عمود آخر نصف مطمور بالتراب .

وبتجديد الواجهة على هذه الصورة نحصل على قوس مركزي طول باعه ٤,٨٠ مترًا وإلى جانبيه ثلاث أقواس متوسطة طول باعها ٣,٢٥ مترًا . ولكن لماذا نجد العضادتين C و H على شكل L ؟ بالتأكيد لأنهما عضادتا زاوية الصحن اللتان يبدأ منهما الرواقان الجانبيان . ولو أعدنا الترتيب (عمود ـ عضادة ـ عمود ـ عضادة ـ عمود ـ عضادة) في الجوانب لحصلنا على صحن مساحته ٢٨ م ٢ . والآن يصبح عمل البوابة A واضحًا : لا بد أن الغرض منها كان تأمين الاتصال المباشر بين المسجد وبين الفناء الخارجي تماما كما في المنية .

وأقواس الحرم كانت بالتأكيد ترتكز على أعمدة لأن السير اييركوت في عام ١٧٧١ م «رأى عددًا من الأقواس تحملها عضائد من الرخام الأبيض البراق . . . وقد تبعثرت عضائد الرخام المكسورة في المكان» .

ليس من الممكن القول كم كان الارتفاع الأصلي للجناح العرضاني : يمكن أن يكون أعلى من الارتفاع الحالي للجدران

الآجرية بمتر واحد ولكن البقايا الفعلية له - وهو ثاني أقدم مسجد جامع في سورية - كافية لتؤكد التأثير السائد لمسجد دمشق الكبير.

شكل الأقواس :

الأقواس الخمسة الباقية من الجناح العرضاني مرتفعة ومدببة قليلا والقوس الأوسط في الواجهة مدبب قليلا وليس مرتفعا.

التاريخ :

وجد روسو لوحة مكتوبة على العضادة H ونقلها إلى حلب حيث قام برسمها.

أنها تقول : «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة عبد الله هشام، أمير المؤمنين، وكان هذا من عمل أهل حمص على يد سليمان بن عبيد» سنة ١١٠ هـ - ٧٢٨ م.

(لوحة عن تاريخ بناء قصر الحير الشرقي نقلت إلى حلب ثم فقدت وقد قام قبل نقلها بنشر محتوياتها كلا من غبرييل وسوفاجيه).

المئذنة :

بين الفناء يوجد برج مربع بسيط يبلغ متوسط ضلعه ٢,٩٤ مترا وارتفاعه حوالى ١٠ أمتار ولكن قسمه العالي مفقود. المدخل إلى الدرج الحلزوني من الجهة الجنوبية. القمة الحالية بمستوى ما كان متراسا للفناء الصغير. ويمكن أن تكون أعلى مما هي عليه الآن بمقدار ٢ - ٣ أمتار وبالتالي أشرفت على كلا الفناءين. أعتقد أنها كانت مئذنة (الآثار الإسلامية الأولى / ١٥٦ - ١٦٤).

(الفن العربي الإسلامي في بداية تكوينه - د. عفيف بهنسي / ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧، والآثار الإسلامية الأولى - ك. كريزويل - نقله إلى العربية عبد الهادي عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٥٦ - ١٦٤).

ملاحظة : «الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب كريزويل الآثار الإسلامية الأولى» ص ٢٧.

*** الحير الغربي (قصر -) :**

يقول الدكتور سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ : لقد حرمنا العباسيون بتهديمهم قصور الأمويين في دمشق من وثائق صحيحة ملموسة، تدلنا على فن العمارة المدنية الأموية الدمشقية. غير أن المكتشفين الأثريين تمكنوا من العثور في بادية الشام، على خرائب وأطلال ثلاثين قصرًا أمويًا قدمت لعلم الآثار معلومات ثمينة عن الفن المذكور.

ولا يخفى أن الخلفاء الأمويين احتفظوا بطباعهم العربية، وظلوا يحنون إلى الصحراء ويتشوقون إلى حياة التبدي. لهذا فإنهم كانوا يتركون دمشق عاصمتهم بين حين وآخر إلى البادية لينعموا بلذة الصيد، ويتلقوا اللغة الصحيحة عن ألسنة أصحابها، ويلتقوا بزعماء القبائل العربية، ويبتعدوا عن تقشف المدينة، ويستسلموا إلى حياة الإنس والدعة.

وهذا ما دعاهم إلى إنشاء القصور المتقدمة في البادية وأكملها قصر الحير الغربي الذى يقع على طريق دمشق، بين القريتين وتدمر في واد يخصبه السيل، وقناة من الماء تتصل بسد حربقة في « الفن العربي الإسلامي ص ١٣٢ : ضريقة» (على بعد ١٥ كيلو مترا)، ويعود عهد إنشائها وإنشاء السد إلى العصر الزوماني. وقد بنى القصر هشام بن عبد الملك، وجعله مركز منطقة استثمار زراعية. وكان يوجد إلى جانبه خان وحمام، وشكله مربع تقريبًا (٧٠م × ٧٠ م). وله أبراج نصف مستديرة في زواياه وجوانبه، ويحوى في داخله حول

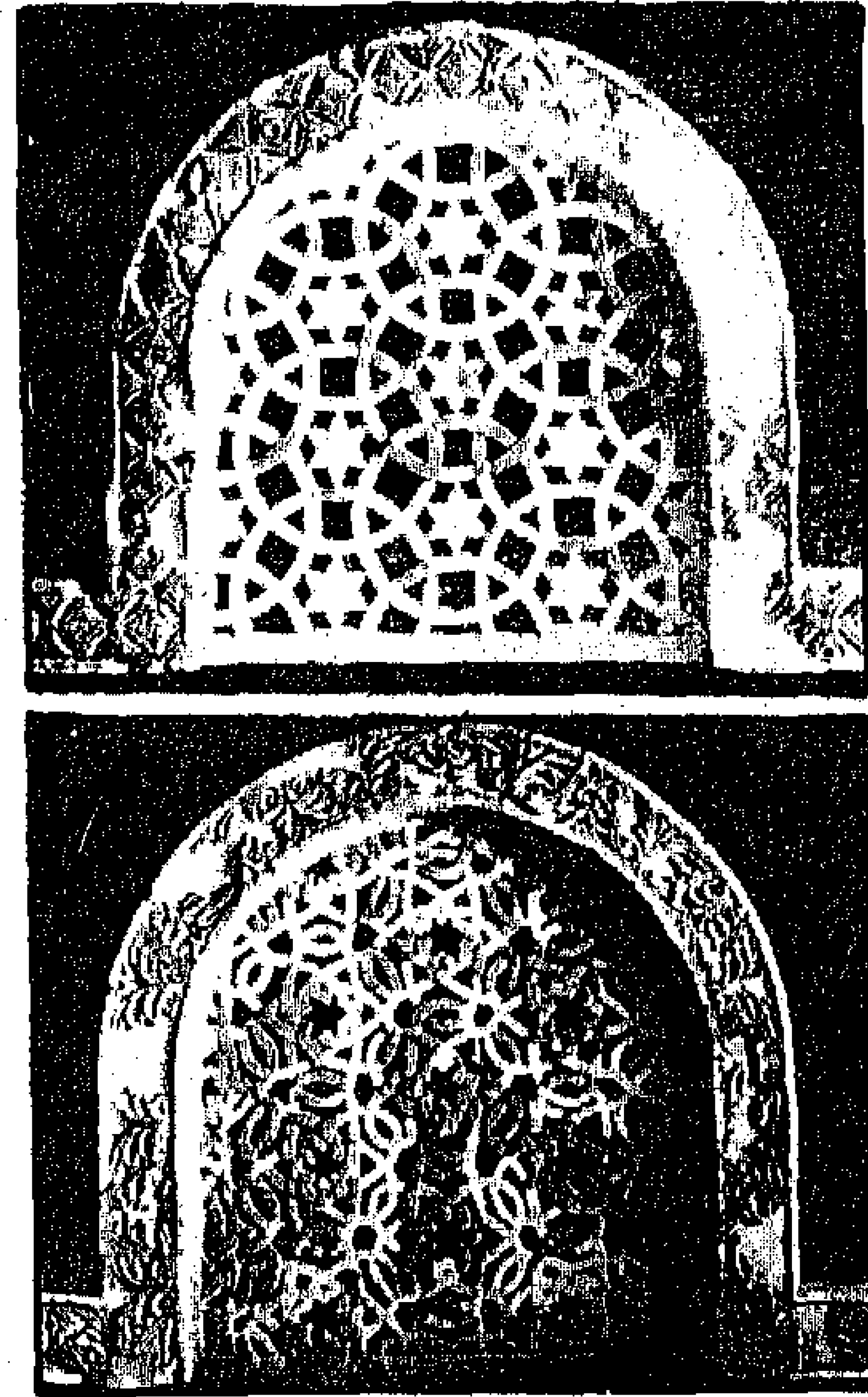


اللوح ١٧

باحة مربعة مكشوفة، ستة بيوت، فى كل منها قاعة كبيرة مستطيلة متوسطة، وعلى جانبيها عدة غرف صغيرة. وتستند هذه البيوت كلها على جدران القصر من الداخل. ويلاحظ أن هذا النموذج من البناء، يستوحى أصوله وقواعده من عناصر الأبنية السورية والساسانية المعروفة قبل هذا العصر. ويؤلف ابتكارًا أمويًّا سوف يبنى سكان الشرق دورهم على نموذجه خلال مدة طويلة.

انتهى إلى عصرنا من تزيينات قصر الحير الغربى عدد كبير من مجموعات الزخارف الجصية التى جمعت من خرائبه، ونقلت إلى متحف دمشق، وأعيد إنشاؤها فيه فأصبحت مصدرًا رئيسيًّا لمعرفة منشأ الفن العربى، وتطور حياة الأشكال فى سورية خلال القرن الأول والثانى من الهجرة.

ويشاهد فى اللوح الواجهة الخارجية لهذا القصر مع البرجين اللذين يحيطان بالباب الرئيسى وقد أعيد تركيبهما فى جانب من جوانب المتحف. ويبلغ ارتفاعها نحو (١٦) مترًا. وهى مزينة كلها من أسفل أسكفة الباب حتى مسننات البرجين، بطبقة منحوتة من الزخارف الجصية، المنظمة على عدة مناطق يعلو بعضها بعضا. وتنقسم كل منطقة من هذه المناطق إلى مستطيلات مزينة بمواضع نباتية، كشوكات اليهود، وسعفات النخل وغيرها وتشاهد المعينات، والمربعات، وصفوف السويريات الصغيرة التى تحيط بمحاريب حاملة جبهات، والوردات والألواح التى فيها بعض صور الأشخاص حول القوس المركزى المدور، وفى أقسام البرجين العلوية.



اللوح ١٨

وكان داخل القصر مزينًا بمجموعات أخرى من الزخارف الجصية المنحوتة ومنها درابزين كانت موضوعة فى أعلى الرواق الشرقى، وفيها عدة مشاهد وأشكال تحوى أشخاصًا وحيوانات مختلفة.

ومنها أيضا أقواس ونوافذ كانت موضوعة فوق أبواب بعض القاعات الكبرى، ومنها قاعات الاستقبال فى الجناح الشرقى. وقد اجتهد موظفو ومستخدمو مديرية الآثار العامة خلال أعوام طويلة حتى تمكنوا من إعادة تركيب نحو خمسين قطعة منها.

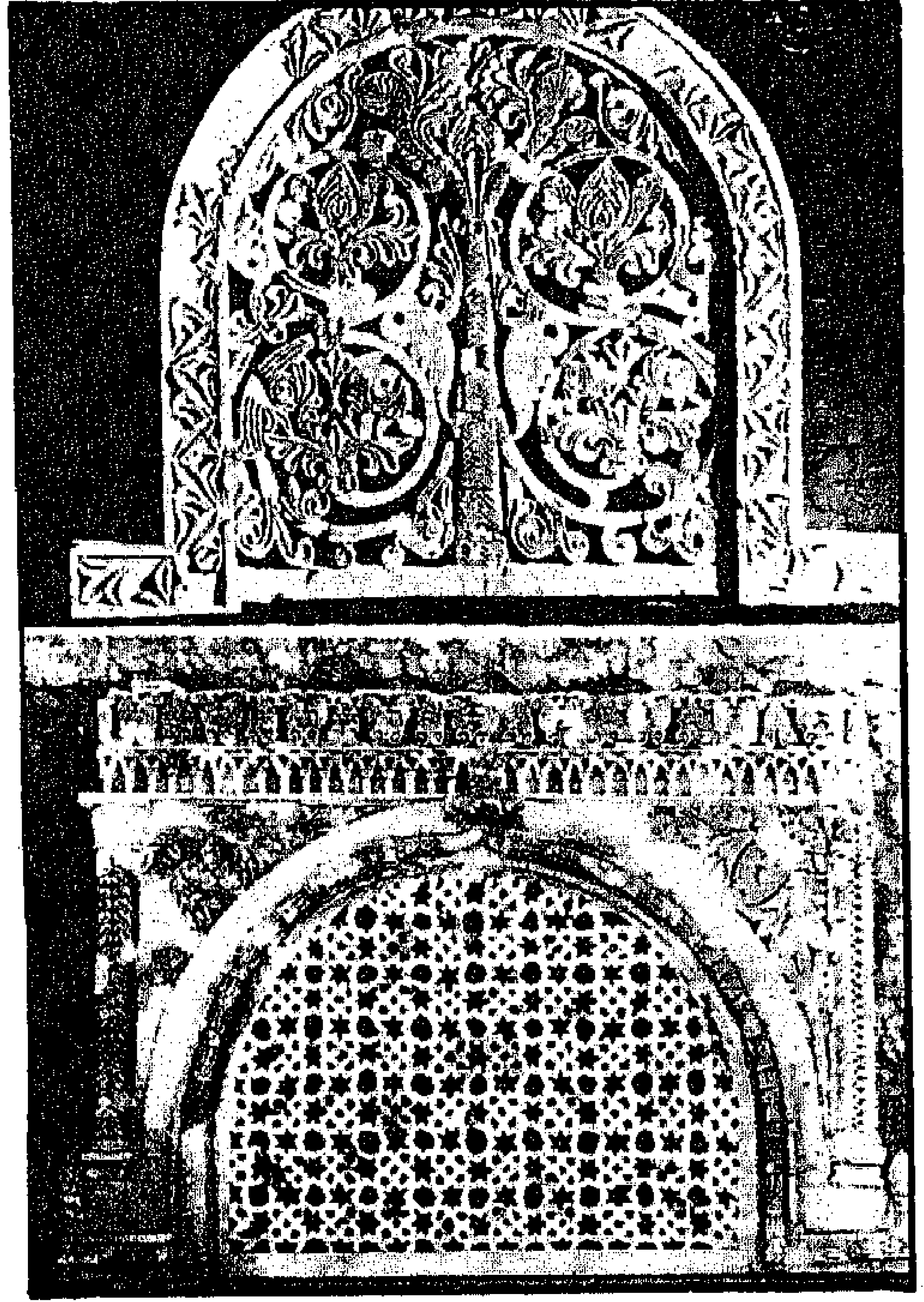
وقد لوحظ أن أبعادها مختلفة، وأن بعضها قطع فنية رائعة ذات جمال ساحر ويمثل اللوح (١٨) نافذتين منها، كانتا فوق بابين من أبواب القاعة (٧) من القصر كما يمثل لنا اللوح (١٩) نافذة ثالثة (وهى السفلى) كانت فى نفس القاعة، ونافذة رابعة كانت فى القاعة (٥٥) من القصر.

ويتبين منها غنى الزخارف الهندسية والنباتية التى ابتكرت فى العصر الأموى. وقد ولد أسلوب الزخارف الأموية من جهود الفنانين وأبحاثهم، وتكاملت لغة الأشكال فى الفن العربى، وتهيأت لأن تعبر عن كل ما يختلج في أفئدة الملهمين(مشاهد دمشق الأثرية/٢٨ - ٣٠).

ويقول الدكتور عفيف بهنسى:

يذكر الطبرى (تاريخ الرسل والملوك ٨/ ٢٩٢) أن هشامًا كان ينزل فى الزيتونة فى بادية الشام، فلما عمَّر الرصافة انتقل إليها فكانت منزله إلى أن مات. كما يذكر ابن كثير أن الخلافة أتته وهو فى الزيتونة فى منزل له، فجاءه البريد بالعصا والخاتم، فسلم عليه بالخلافة، فركب من الرصافة حتى أتى دمشق.

ولقد تساءل الباحثون عن الزيتونة، هل هى قصر الحير الشرقى كما يرى سوفاجيه، استنادًا إلى لوح عثر عليه روسو يعتبر هذا القصر مدينة أم أنها نفسها الرصافة. أم أنها قصر



اللوح ١٩٠

الحير الغربى أم هى قصر المفجر. ويرى شلومبرجيه أن الزيتونة هو اسم قصر الحير الغربى .

واستنادًا إلى الصور الجوية التى كان الأب بوادبيار قد التقطها لبعض الأوابد المنتشرة فى بادية الشام قام العالم شلومبرجيه منذ عام ١٩٣٦ بالاهتمام فى الكشف عن مجموعة من الخرائب تبين أنها مؤلفة من منشآت قديمة ترجع إلى العهد الرومانى لم يبق منها إلا سد خريقة ، ومن أبنية بيزنطية لم يبق منها إلا البرج الملاصق لقصر قام باكتشافه وتبين له بالتأكيد أنه قصر أموى، بل هو قصر هشام الذى كان يطلق عليه اسم الزيتونة وهو الاسم الأصلى . أما اسم الحير، فهى تسمية حديثة استعيرت من معنى السور الذى كان يحده، ويعتقد شلومبرجيه أن مكان هذا القصر كان يوجد دير غسانى بناه الحارث بن جبلة وكان سد خريقة يغذى القصر بالماء عن طريق قناة تنتهى بخزان يبعد ١٦,٥ كم عن السد، ثم يغذى ماء الخزان القصر والحمام والحديقة والطاحون والخان الذى يقع قرب البركة والجامع بالماء اللازم. ويقع الحمام شمالى القصر على بعد ثلاثين مترا من البرج البيزنطى وهو مقسوم إلى قسمين قسم بارد وقسم دافئ وقد فرشت أرض القسم الدافئ بالرخام كما طليت الجدران بطلاء ملون تقليدا للرخام .

وشكل قصر الحير الغربى مربع تقريبا طول ضلعه ٧٠ × ٧١م وجداره الخارجى مدعم بأبراج مستديرة (ما عدا الزاوية الشمالية الغربية حيث البرج البيزنطى) الذى أعيد استعماله . وبأبراج نصف دائرية تدعم أواسط الجدران الثلاثة، عدا الجدار الشرقى حيث تنفتح بوابة يحيط بها من الطرفين برجين نصف دائريين مزخرفين، وبناء هذا القصر من الحجر إلى ارتفاع مترين ثم من الطوب والآجر مع عوارض خشبية .

وتتصل البوابة بواسطة دهليز بالفناء المحاط بأروقة محمولة على عمد قديمة ، ويوجد فى وسط الفناء حوض صغير، وترتفع حول الفناء البيوت فى طابقين، وترى قاعات القصر وحجراته مرتبة ضمن بيوت ستة مستقلة عن بعضها بيتان فى الجهة الشرقية ومثلها فى الجهة الغربية وواحد فى الجنوب وآخر فى الشمال ويحوى كل بيت من ٨ ـ ١٣ قاعة أو حجرة .

ولقد اكتشف درجان خشبيان يؤكدان وجود طابق ثان ، ولقد عثر على درابزون رواق الطابق الثانى وهو عبارة عن قطع جصية منحوتة وكانت بيوت الطابق الثانى وغرفه مطابقة لنظائرها فى الطابق الأرضى، وكان النور يدخل إلى الحجرات عن طريق كوات أما الفتحات الداخلية فكانت نوافذ عليها مشبكات جصية رائعة التكوين .

ويستدل على تاريخ هذا القصر من كتابتين، الأولى نقش على ساكف أحد أبواب الخان، وهو محفوظ حاليا فى حديقة المتحف الوطنى بدمشق وعليه الكتابة التالية : (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بصنعة هذا العمل عبد الله هشام أمير المؤمنين أوجب أجره ، عمل على يد ثابت بن ثابت فى رجب ١٠٩ هـ) .

أما الكتابة الثانية فهى على جزء من حجر رخامى ٧٥مم×٦٥مم، تبين شلومبرجيه فيها بعد الترميم الكتابة التالية :

من هشام أمير المؤمنين إلى
الوليد أبى العباس
أحمد الله إليك

ويعتقد شلومبرجيه أن هذه الرسالة كانت موجهة إلى الحجاج بن يوسف وهذه الرقعة محفوظة فى جناح قصر الحير فى المتحف الوطنى بدمشق .

زخرفة قصر الحير:

كشفت أعمال التنقيب التى قام بها شلومبرجيه أن القصر كان مزينا بالفسيفساء الذى بقى منه بعض الألواح الصغيرة مع بعض النصوص التى عثر عليها مع الألواح قرب المدخل .

كما أن بعض الجدران قد زينت بالخشب المنقوش، عثر على قطع منها تحتفظ بعض الرسوم الملونة والمذهبة تمثل أزهارا وأشكالا هندسية انحصر وجودها فى البناء الداخلى .

أما جدران الغرف فلقد كانت مطلية برسوم ملونة بعضها زخرفى لا يمثل أشخاصا أو حيوانا، وهى تزين غرف الطابق السفلى من البناء، وهذه الزخارف على ثلاثة أنواع، منها ما يمثل نضدا من الخطوط أو الشرائط الأفقية العريضة وقد استعمل فيها ثلاثة ألوان هى الأبيض والحديدى والخمرى، والنوع الثانى هو عبارة عن تمشيح ملون يشبه الرخام ويصور عمدًا متشابهة تقوم فى الزوايا مؤلفة من انتفاخات متكررة، والشكل الثالث يمثل رسوما هندسية أو نباتية وواحد منها فقط يمثل حيوانا خرافيا، تضاف إلى هذه الرسوم وعلى صف مواز دوائر تزيينية ممشحة .

وتتألف زخرفة قصر الحير الغربى من الزخارف الجصية فى واجهة القصر ومن الزخارف الجدارية المشابهة للمتشيحات الرخامية ومن زخرفات الكوات ومن الصور الملونة الكبيرة .

لقد أعيد إنشاء جزء من هذا القصر فى المتحف الوطنى بدمشق عام ١٩٥٠ بعد جهود استمرت أربعة عشر عاما ...

ابتدأت أعمال ترميم قصر الحير عام ١٩٣٩ ثم تباطأت بسبب الحرب العالمية الثانية ثم انتهت عام ١٩٥٠، ولقد أعيد بناء البرجين بارتفاع ١٤,٤٥ مترا، كما شيد بيتان داخليان من بيوت القصر وأنشئ فى داخل الواجهة جناح مفتوح عرضت فيه بعض القطع الأثرية التابعة للقصر مع مجسمين، وفى الطابق العلوى أقيمت بعض الحواجز الحافلة بالتماثيل النافرة ، وفى الداخل تركت قاعة كبيرة بدون تقسيم لكى تضم لوحتى الفريسك الشهيرتين مع بعض القطع الأخرى .

وفى عام ١٩٧٤ قمنا بإنشاء فرع آخر فى متحف تدمر، عرضنا فيه بعض القطع المتبقية من آثار قصر الحير وخاصة أجزاء من الرسوم الجدارية ومن المنحوتات والشبكيات (الفن العربى الإسلامى / ١٣٢ - ١٣٥، ١٤٠) .

(مشاهد دمشق الأثرية - د. سليم عادل عبد الحق والأستاذ خالد معاذ / ٢٨ - ٣٠، والفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د. عفيف بهنسى / ١٣٢ - ١٣٥، ١٤٠، انظر أيضا الآثار الإسلامية الأولى - ك. كريزويل - نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ١٦٤ - ١٧٠، وحضارة الدولة فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية - د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٢٦) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب « مشاهد دمشق الأثرية » .

* **الحيرة :**

الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامى وتقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وابتنى على بن أبى طالب بجوارها مدينة الكوفة، وتعرف اليوم باسمى نجف و مشهد وهى على بعد ٧٧ كم جنوب شرقى كربلاء (الفتح المبين / ٤١) .

قال عنها ياقوت :

الحيرة : بالكسر ثم السكون ، وراء : مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلى الشرق على نحو ميل ، والسدير فى وسط البرية التى بينها وبين الشام ، كانت مسكن ملوك العرب فى الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها حارى على غير قياس كما نسبوا إلى النمِر نَمَرى ...

وحيرى أيضا على القياس ، كل قد جاء عنهم ، ويقال لها الحيرة الروحاء؛ قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا
ورجلا ، فوق أثباج الركاب
حضرنا فى نواحيها قصورا
مشرَّفة كأضراس الكلاب

وأما وصفهم إياها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة،

وقيل : سميت الحيرة لأن تُبَّعًا الأكبر لما قصد خراسان خلَّف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أى أقيموا به ، وقال الزجاجى : كان أول من نزل بها مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ... وفى كتاب أحمد بن محمد الهمذانى : إنما سميت الحيرة لأن تبعا لما أقبل بجيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليله وتحير فسميت الحيرة .

وينسب إلى الحيرة كعب بن عدى الحيرى، له صحبة، روى حديثه عمرو بن الحارث عن ناعم بن أجيل بن كعب بن عدى الحيرى . والحيرة . أيضا : محلة كبيرة مشهورة بنيسابور؛ ينسب إليها كثير من المحدثين ، منهم : أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى صاحب حاجب بن أحمد وأبى العباس الأموى، قال أبو موسى محمد بن عمر الحافظ الأصبهانى : أما أبو بكر الحيرى فقد ذكر سبطه أبو البركات مسعود بن عبد الرحيم بن أبى بكر الحيرى أن أجداده كانوا من حيرة الكوفة وجاؤوا إلى نيسابور فاستوطنوها، قال : فعلى هنا يحتمل أن يكونوا توطنوا محلة بنيسابور فنسبت المحلة إليهم كما ينسب بالكوفة والبصرة كل محلة إلى قبيلة نزلوها، والله أعلم . والحيرة أيضًا : قرية بأرض فارس فيما زعموا (معجم البلدان ٢/٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١) .

(الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين لحميد بن محمد بن رزيق ـ تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمد مرسى / ٤١ وهامش ٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، انظر أيضا تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى ــ أ. د. أحمد رمضان أحمد / ١٠٧ ـ ١٠٩ ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

* **الحيرة (موقعة ـ) (١٢ هـ) :**

هى موقعة لخالد بن الوليد على أهل الحيرة فى ربيع الأول سنة ١٢ . والحيرة موضع على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف .

لما فرغ خالد من يوم أليس أتى أمغيشيا (كانت مصرًا كالحيرة، وكانت أليس من ثغورها) فوجد أن أهلها قد جلوا عنها، وتفرقوا فى السواد (قرى العراق) فأمر بهدمها، وإزالة كل شىء كان فى حيرها، فأصاب منها ما لم يصب من غيرها، حتى بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة، سوى النفل الذى نفله أهل البلاء .

وكان الآزاذبه مرزبان (المرزبة رياسة الفرس، وهو مرزبانهم) الحيرة فى ذلك الحين، فلما علم بأخبار أليس وخراب أمغيشيا وانتصار خالد عندهما، وفعاله فيهما، أيقن أنه غير متروك، وقدر أن خالدا سيركب إليه النهر، فتهيأ لحربه، وقدم ابنه، وأمره أن يسد قناطر الفرات ليعوق بذلك سير السفن إليه؛ ثم خرج فى إثره حتى عسكر خارجا من الحيرة .

ولما استقل (أى رحل) خالد من أمغيشيا، وحمل الرَّجْل (الراجل ضد الفارس جمعه الرجل) فى السفن ، وسار شمالا إلى ناحية الحيرة جنحت السفن، وارتطمت بقاع النهر؛ فارتاع المسلمون لجنوحها، وأخذ الغضب من خالد مأخذه، ثم سأل عن علة ذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار ، فسلك الماء غير طريقه؛ فلن يأتينا الماء إلا بسد الأنهار.

فتعجل خالد فلقى ابن الأزاذبه على فم العتيق، وفجأه وجنده وهم آمنون فى تلك الساعة، فاقتتلوا حتى هزموا، وقتل ابن الأزاذبه، وأعاد الماء يجرى فى النهر، فعادت السفن الى المسير، وحملت إليه جيشه، فسار به إلى الخورنق والنجف . وكان الأزاذبه يقيم بمعسكره بين الغريين (بناءان كانا معروفين بالكوفة) والقصر الأبيض، فبلغه موت أردشير، ثم علم بموت ابنه، وزحف خالد نحو الخورنق؛ فولى هاربًا من غير قتال .

ووصل خالد وأصحابه فلم يلقوا عسكرًا؛ فأقاموا بين الغريين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصنون .

فأدخل الخيل من عسكره، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاتلهم؛ فكان ضرار بن الأزور محاصرًا القصر الأبيض، وفيه إياس بن قبيصة الطائى، وكان ضرار بن الخطاب محاصرًا قصر العدسيين وفيه عدى بن عدى، وكان ضرار بن مقرِّن محاصرًا قصر بنى مازن، وفيه ابن أكال، وكان المثنى محاصرًا قصر ابن بقيلة، وفيه عمرو بن عبد المسيح، وعهد إليهم جميعًا أن يبدءوا بالدعاء، فإن أجابوا قبلوا منهم، وإن أبلوْا أجّلوهم يومًا، ثم قاتلوهم وقتلوهم .

فكان أول القواد الذين أنشبوا القتال بعد تأجيلهم يومًا هو ضرار بن الأزور وكان على قتال أهل القصر الأبيض؛ فأصبحوا وهم مشرفون؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، أو الجزاء (جمع جزية)، أو المنابذة (تحيز كل من الفريقين للحرب) فاختاروا المنابذة، وتنادوا: عليكم بالحصا، فقال ضرار: تنحوا؛ لا ينالكم الرمى، حتى ننظر فى الذى هتفوا به . فلم

يلبث أن امتلأ القصر من رجال معلقى المخالى (مجمع مخلاة) ؛ يرمون المسلمين بالحصا ، فقال ضرار : أرشقوهم ؛ فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل ، وصبح كل أمير أصحابه بمثل ذلك .

فافتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يا أهل القصور ؛ ما يقتلنا غيركم ! فنادى أهل القصور : يا معشر العرب ؛ قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا ، فكفوا عنهم وأرسلوهم إلى خالد .

فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدى وقال : ويحكم ! ما أنتم ! أعرب ؟ فما تنقمون من العرب ! أم عجم ! فما تنقمون من العدل والإنصاف ! فقال له عدى : بل عرب عاربة ؛ وأخرى متعربة ، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادُّونا وتكرهوا أمرنا .

فقال له عدى : يدلك على ما تقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية ، فقال خالد : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا دينا ؛ فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ؛ أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة (المبارزة) فقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تبًّا لكم ! ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة (صحراء يضل فيها الماشى) فأحمق العرب من سلكها ، فلقيه دليلان ؛ أحدهما عربى فتركه واستدل الأعجمى (أى طلب منه أن يدله) .

ولم يغير هذا الكلام من إصرار القوم على دينهم ، فصالحوه على مائة ألف درهم وتسعين ألفًا ، وتتابع أهل القصور على ذلك ، وأهدوا له الهدايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكر ، فأجاز أبو بكر المعاهدة ، وقبل الهدايا واحتسبها من الجزاء وكتب إلى خالد : أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم ، فقو بها أصحابك .

ثم كتب خالد لأهل الحيرة هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًّا وعمرًا ابنى عدى ، . وعمرو بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء (أى ضمناء ورؤساء) أهل الحيرة . ورضى بذلك أهل الحيرة ، وأمروهم به . عاهدهم على مائة ألف وتسعين ألف درهم ، تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسيهم ، إلا من كان منهم على غير ذى يد ، حبيسًا عن الدنيا ، تاركًا لها ؛ وعلى المنعة ، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة .

وكتب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة .

ولما استقر خالد فى الحيرة خرج إليه صلوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، (موضع قريب من الكوفة) فصالحه على بانقيا (ناحية من نواحى الكوفة) وباروسما (من ناحية بغداد) وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطىء الفرات على عشرة آلاف ؛ فكتب لهم خالد كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه . إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة ، على عشرة آلاف دينار ، القوى على قدر قوته ، والمقل على قدر إقلاله فى كل سنة ، وإنك قد نقبت (أى صرت نقيبًا وضمينًا) على قومك ، وإن قومك قد رضوا بك ، وقد قبلت ومن معى من المسلمين ، ورضيت ورضى قومك ، فلك الذمة والمنعة ؛ فإن منعنا كم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم » .

ولما رأى دهاقين البلاد ما تم لخالد من الظفر أتوه فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هرمزجرد ، على ألفى ألفى درهم ، وكتب لهم بذلك كتابًا .

(الدهقان ـ بكسر الدال وضمها : زعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم وفلاليج السواد : قراها وهرمزجرد : ناحية من أطراف العراق) .

ولما تم لخالد فتح الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات ، لا يسلم فيها ، فلما أتمهن انفتل إلى أصحابه يقول : لقد قاتلت يوم مؤتة ، فانقطع فى يدى تسعة أسياف ، وما لقيت قوما كمن لقيتهم من أهل فارس .

ثم أقام بالحيرة وجعلها مركز قيادته .

(أيام العرب فى الإسلام ـ محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى / ١٨٨ ـ ١٩٢) .

* **الحيض:**

قال الإمام الشربينى الخطيب :

الحيض لغة السيلان تقول العرب حاصنت الشجرة إذا

سال صمغها وحاض الوادى إذا سال، وشرعًا دم جبلة أى تقتضيه الطباع السليمة، وهو الدم الخارج من أقصى رحم المرأة على سبيل الصحة، احترازًا عن الاستحاضة، من غير سبب الولادة، فى أوقات معلومة احترازًا عن النفاس. والأصل فى الحيض آية ﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] أى الحيض، وخبر الصحيحين: هـذا شىء كتبه الله على بنات آدم قال الجاحظ فى كتاب الحيوان: والذى يحيض من الحيوان أربعة: الآدميات، والأرنب، والضبع، والخفاش. وجمعها بعضهم فى قوله:

أرانب يحضن والنساء
ضبع وخفاش لها دواء

وزاد عليه غيره أربعة أُخر وهى الناقة والكلبة والوزغة والحجر أى الأنثى من الخيل. قال الإمام البجيرمى فى شرحه على الخطيب: وقد أشار إلى هذا بعض من نظمها من الطويل بقوله:

ثمانية فى جنسها الحيض يثبت
ولكن فى غير النسا لا يوقت
نساء وخفاش وضبع وأرنب
وناقة مع وزغ وحجر وكلبة

وزاد بعضهم على ذلك بنات وردان والقردة، وزاد الإمام المناوى الحدأة، وزاد غيره السمك اهـ.

قال الإمام الخطيب: وله عشرة أسماء: حيض وطمس بالمثلثة وضحك وإكبار وإعصار ودراس وعراك بالعين المهملة، وفراك بالفاء، وطمس بالسين المهملة، ونفاس اهـ ويقول الإمام البجيرمى فى حاشيته على الخطيب: قوله وله عشرة أسماء، أى على ما ذكر هنا وإلا فذكر بعضهم له خمسة عشر اسمًا نظمها بعضهم بقوله:

للحيض عشر أسماء وخمستها
حيض محيض محاض طمث إكبار
طمس عراك فراك مع أذى ضحك
درس دراس نفاس قرء إعصار

(فى البيت الأول: خمسة: للقاعدة النحوية والوزن)

قوله: وضحك، ومنه قوله تعالى ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ [هود: ١٧] فسره بعضهم بحاضت (بجيرمى على الخطيب١/٢٩٩، ٣٠٠)

ومما قيل فى تعريف الحيض أيضًا:

الحيض: الدم الخارج من قبل المرأة حال صحتها، من غير سبب الولادة ولا يخرج دم الحيض قبل بلوغ تسع سنين عند الأكثر، فإذا رأت الدم قبله يكون علة.

ويكون لون دم الحيض أسود، وأحمر، وأصفر، ومتوسطًا بين البياض والسواد.

ولا حَدَّ لأقل مدته:

أما أكثرها فعند بعض عشرة أيام، وعند بعض خمسة عشر يومًا.

ولا حَدَّ لأكثر الطهر المتخلل بين الحيضتين، وأقله خمسة عشر يومًا (مختصر الأحكام الفقهية / ٣٧).

قال الإمام النووى:

قال أهل اللغة يقال حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا فهى حائض بغير هاء لأن هذه صفة لا تكون للمذكر فلم يحتج إلى إلحاق الهاء فيه للفرق بخلاف مسلمة وقائمة وحكى الجوهرى عن الفراء أنه يقال أيضًا حائضة بالهاء وأنشد:

*** كحائضة يزنى بها طاهر***

قال أهل اللغة عركت بفتح العين والراء تعرك عروكًا كقعدت تقعد قعودًا أى حاضت قال الهروى فى الغريبين يقال حاضت المرأة وتحيضت ودرست وعركت وطمثت تحيض حيضًا ومحيضًا ومحاضًا إذا سال دمها فى أوانه فإذا سال فى غير أوقاته المعلومة فهى المستحاضة. قال أهل اللغة ويقال نساء حيض وحوائض والحيضة بفتح الحاء للمرة الواحدة من الحيض و الحيضة بكسر الحاء اسم للحالة والهيئة وفى الحديث «خذى ثياب حِيضتك» هذا بالكسر وفى الحديث الآخر «إذا أقبلت الحيضة» قال الخطابى المحدِّثون يقولونها بالفتح وهو خطأ والصواب الكسر لأن المراد الحالة ورد القاضى عياض وغيره قول الخطابى وقالوا الأظهر الفتح لأن المرادإذا أقبل الحيض وفى الحديث «تحيَّضى فى علم الله تعالى» أى التزمى أحكام الحيض وافعلى فعلهن وكل هذه الأحاديث صحيحة وفى الحديث الآخر «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» المراد بالحائض البالغة هنا كما فى الحديث الآخر «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» أى بالغ وليس للتقييد بالحائض هنا مفهوم يعمل عليه فيكون دليلا على أن غير البالغة من المميزات تقبل صلاتها بغير خمار بل هذا من التقييد الخارج على سبب لكونه الغالب كما فى قوله تعالى ﴿وربائبكم اللاتى فى حجوركم﴾ [النساء: ٢٣] وقوله

تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ [الإسراء: ٣١] وقوله ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾[البقرة: ٢٢٩] وقوله تعالى: ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١] وقوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا﴾ [النور: ٣٣] ومن زعم أن هذه الآية ليست مما نحن فيه فهو جاهل أو لم يفكر والله تعالى أعلم

قال أهل اللغة والحيضة بالكسر أيضًا أسم للخرقة التي تستثفر بها المرأة. قال الجوهري ومنه قول عائشة رضى الله تعالى عنها ليتني كنت حيضة ملقاة. قال وكذلك المحيضة وجمعها محائض هذا ما يتعلق بتصريف الكلمة. وأما أصلها فقال الإمام أبو منصور الأزهري في كتابه شرح ألفاظ مختصر المزني رحمهم الله تعالى: الحيض دم يرخيه رحم المرأة بعد بلوغها في أوقات معتادة وأصله من حاض السيل وفاض إذا سال يسمى حيضًا لسيلان الدم في الأوقات المعتادة. قال والاستحاضة أن يسيل الدم في غير أوقاته المعتادة. قال ودم الحيض يخرج من قعر الرحم ويكون أسود محتدمًا أي حارًا كأنه محترق وأما دم الاستحاضة فيسيل من العاذل وهو عرق فمه الذي يسيل منه في أدنى الرحم دون قعره قال وذكر ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذا كلام الأزهري وقوله العاذل هو بالعين المهملة وكسر الذال المعجمة وباللام وقال الهروي. قال ابن عرفة الحيض والمحيض اجتماع الدم إلى ذلك المكان وبه سمي الحوض لاجتماع الماء فيه ثم ذكر أن الحيض هو سيلان الدم في أوقاته المعتادة فقد اتفق الهروي وشيخه الأزهري على أن الاستحاضة عبارة عن جريان الدم في غير أوقاته.

وقد اختلف أصحابنا في حقيقة الاستحاضة فذهب جماعة إلى أن الاستحاضة لا تكون إلا دمًا متصلاً بالحيض ليس بحيض أن ترى الدم في زمن الحيض ويجاوز خمسة عشر يومًا متصلاً فأما إذا رأت الدم قبل تسع سنين أو رأت بعد تسع دما غير متصل بالحيض فإن رأت دون أقل الحيض فليس هذا باستحاضة بل يسمى دم فساد وذهب جماعة من أصحابنا إلى أن الجميع يسمى استحاضة فممن قال بالأول صاحب الحاوي فقال الشافعي رضى الله عنه لورأت الدم قبل استكمال تسع سنين فهو دم فساد لا يقال له حيض ولا استحاضة لأن الاستحاضة لا تكون على أثر حيض ثم قال بعد هذا بأسطر النساء أضرب طاهر وحائض ومستحاضة وذات فساد فالطاهر ذات النقاء والحائض من ترى الدم في أوانه والمستحاضة من ترى الدم على أثر الحيض على صفة لا يكون حيضًا وذات الفساد من يبتدىء بها دم لا يكون حيضًا هذا آخر كلام صاحب الحاوي.

وقد أشار كثير من أصحابنا أو أكثرهم إلى معنى ما قال وهو أن الاستحاضة الدم المتصل بدم الحيض فإن لم يتصل فدم فساد وصرح أبو عبد الله الزبيري في كتابه الكافي والقاضي حسين وصاحبه صاحب التتمة وصاحب العدة وغيرهم بخلاف هذا فقالوا دم الاستحاضة ضربان متصل بدم الحيض وغير متصل فالمتصل أن ترى البالغة الدم وتجاوز خمسة عشر وغير المتصل التي لها دون تسع سنين إذا رأت الدم والكبيرة إذا رأته وانقطع لدون يوم وليلة وهذا الذي قاله هؤلاء صحيح مليح موافق لما قدمته عن إمامي اللغة الأزهري والهروي وقد استعمل في المهذب والتنبيه الاستعاضة بهذا المعنى فقال في المهذب في فصل النفاس: فإن أدر الدم قبل الولادة خمسة أيام فمن أصحابنا من قال هو استحاضة وقال في التنبيه وفي الدم الذي تراه الحامل قولان أصحهما أنه حيض والثاني أنه استحاضة والله تعالى أعلم. وذكر أصحابنا اختلاف العلماء في المحيض المذكور في القرآن العزيز قالوا مذهبنا أن الحيض والمحيض بمعنى الحيض كما قدمناه.

وقال بعض العلماء هو زمن الحيض وقد أوضحت هذا كله بأدلته في شرح المهذب.

قال صاحب الحاوي: وللحيض خمسة أسماء أخر: الطمث ويقال امرأة طامث والعراك ويقال امرأة عارك ونسوة عوارك والضحك وامرأة ضاحك ونسوة ضواحك الإ كبار والمرأة مكبر والإعصار والمرأة المعصر وأنشد في كل هذا أبياتًا أوضحتها في شرح المهذب. قال الجاحظ في كتاب الحيوان: والذي يحيض من الحيوان أربع المرأة والأرنب والخفاش والضبع وروينا في سنن الإمام البيهقي رحمه الله تعالى أنه قيل لعائشة رضى الله عنها ما تقولين في العراك؟ قالت الحيض تعنون؟ قالوا نعم قالت سموه كما سماه الله عز وجل وثبت في الصحيح أنه ﷺ قال في الحيض «هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم» فظاهره أنه لم يزل فيهن وحكى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضى الله عنه في صحيحه عن بعض العلماء أنه قال كان أول ما أرسل الحيض على بني إسرائيل قال البخاري وحديث النبي ﷺ أكثر يعني أنه عام في جميع بنات آدم وحكى صاحب الحاوي وغيره عن

ابن عباس رضى الله عنهما فى سبب ابتداء الحيض أن الله عز وجل قال : يا آدم ما حملك على أكل الشجرة قال زيَّنته لى حواء قال إنى عاقبتها لا تحمل إلا كرهًا ولا تضع إلا كرهًا ودميتها والله تعالى أعلم . واعلم أن باب الحيض من الأبواب العويصة وقد اعتنى أصحابنا رحمهم الله تعالى بإيضاحه فبينوه أحسن بيان وبسطوه أوضح بسط وقد جمع فيه إمام الحرمين نحو نصف مجلدة فى النهاية وجمع غيره نحوه ولم يكن فيه أعظم تصنيفًا من كتاب أبى الفرج الدارمى من أصحابنا العراقيين فى طبقة القاضى أبى الطيب الطبرى فجمع مجلدة ضخمة فى مسألة المستحاضة المتحيرة وحدها لم يخلط معها غيرها وقد جمعت أنا فيه شرح المهذب جملة مستكثرة نحو مجلدة مع أنى حرصت على ترك الإطالة ونسأل الله تعالى التوفيق اهـ.

قال الإمام ابن قدامة :

ويمنع عشرة أشياء : فعل الصلاة، ووجوبها، وفعل الصيام، والطواف، وقراءة القرآن، ومس المصحف، واللبث فى المسجد، والوطء ... وسنة الطلاق، والاعتداد بالأشهر. ويوجب الغسل والبلوغ والاعتداد به فإذا انقطع الدم أبيح فعل الصوم والطلاق ولم يبح سائرها حتى تغتسل . وأقل الحيض يوم وليلة وأكثره خمسة عشر يومًا، وأقل الطهر بين الحيضتين ثلاثة عشر يومًا ولا حد لأكثره، وأقل سن تحيض له المرأة تسع سنين، وأكثره ستون، والمبتدأة إذا رأت الدم لوقت تحيض فى مثله جلست، فإذا قطع لأقل من يوم وليلة فليس بحيض وإن جاوز ذلك ولم يعبر أكثر الحيض فهو حيض، فإذا تكرر ثلاثة أشهر بمعنى واحد صار عادة، وإن عبر ذلك فالزائد استحاضة .

وعليها أن تغتسل عند آخر الحيض ... وتتوضأ لوقت كل صلاة وتصلى، وكذا حكم من به سلس البول وما فى معناه، فإذا استمر بها الدم فى الشهر الآخر فإن كانت معتادة فحيضها أيام عادتها، وإن لم تكن معتادة وكان لها تمييز وهو أن يكون بعض دمها أسود ثخينا وبعضه رقيقا أحمر فحيضها زمن الأسود الثخين وإن كانت مبتدأة أو ناسية لعادتها ولا تمييز لها فحيضها من كل شهر ستة أيام أو سبعة لأنه غالب عادة النساء، والحامل لا تحيض إلا أن ترى الدم قبل ولادتها بيوم أو يومين فيكون دم نفاس (عمدة الفقه / ١١، ١٢) .

وقد ورد لفظ « المحيض » فى القرآن الكريم فى آيتين كريمتين هما قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض** ﴾ [البقرة : ٢٢٢]، وقوله تعالى : ﴿ **واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن** ﴾ [الطلاق : ٤]، وفى هذه الآية الأخيرة ورد لفظ « يحضن » .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فقد ورد منها فى « تيسير الوصول » ثمانية وعشرون حديثا نكتفى بنقل خمسة منها، وهى كما يلى :

٢٤ ـ عن عبد الله بن سعد الأنصارى رضى الله عنه قال : « سألت النبى ﷺ عن مؤاكلة الحائض فقال : واكلها » أخرجه الترمذى .

٢٥ ـ وعن عائشة رضى الله عنها « أن امرأة قالت لها : أتجزى إحدانا صلاتها إذا طهرت ؟ فقالت : أحرورية أنت ؟ كنا نحيض مع النبى ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة » أخرجه الخمسة .

(الحرورية) جماعة من الخوارج نزلوا قرية تسمى حروراء؛ وقولها أحرورية أنت ؟ تريد أنها خالفت السنة وخرجت عن الجماعة كخروج أولئك عن جماعة المسلمين .

٢٦ ـ وعن أم بسة واسمها مسة الأزدية قالت : « حججت فدخلت على أم سلمة رضى الله عنها . فقلت : يا أم المؤمنين إن سمرة بن جندب رضى الله عنه يأمر النساء أن يقضين صلاة المحيض . فقالت : لا يقضين كانت المرأة من نساء رسول الله ﷺ تقعد فى النفاس أربعين ليلة لا يأمر النبى ﷺ بقضاء صلاة النفاس » أخرجه أبو داود .

٢٧ ـ وعن عائشة رضى الله عنها . « أنها قالت : فى المرأة الحامل ترى الدم : أنها تدع الصلاة » . أخرجه مالك بلاغا .

٢٨ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن » أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٣/١٠٦) .

ويذكر الشيخ عثمان بن فودى البدع التى أحدثتها النساء فى الحيض والاستحاضة والنفاس فيقول :

وأما ما أحدثته النساء فى هذا الباب الذى هو باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية .

فمن ذلك : الصوم فى أيام الحيض . وهو بدعة محرمة إجماعا .

وفى المدخل (المدخل لابن الحاج ٢/ ٦٤ فصل فى صوم أيام الحيض) : من النساء من يصوم فى الحيض وتقضيه بعده ، وفاعلة ذلك آثمة فى صومها فى الحيض ، مصادفة للحق فى القضاء بعده، ومنهن من يفطر فى الحيض ولكن تجوع نفسها فتفطر على تمرة ونحوها ، وتزعم أن فى ذلك أجرا، وهذا بدعة ، وهى آثمة فى تدينها بذلك ، وحالها فى حيضها فى رمضان كحالها فى غيره من الشهور. انتهى .

قلت : الصلاة فى الحيض أيضا بدعة محرمة إجماعا كالصوم فيه .

ومن ذلك : عدم الصلاة فى أيام الاستحاضة لمن كانت مستحاضة منهن ، وهو بدعة محرمة إجماعا، وفى صحيح البخارى : قالت فاطمة ابنة أبى حبيش لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إنى لا أطهر، أفأدع الصلاة ؟ فقال رسول الله ﷺ لا، إنما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركى الصلاة . فإذا ذهب قدرها فاغسلى الدم عنك وصلى (الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الحيض باب : الاستحاضة ١/ ٨٤ ط الشعب من ، رواية عائشة . وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الحيض : باب المستحاضة وغسلها وصلاتها طبعة الحلبى ١/ ٢٦٢ رقم ٣٣٣ من رواية عائشة) .

ومن ذلك تعود المرأة بعد انقطاع دم حيضها بغير صلاة حتى تغسل ثوبها ، وهو بدعة محرمة إجماعا، وفى المدخل: وليحذر من هذه البدعة المحرمة التى يفعلها بعض النساء، وهى أن تقعد بعد ما انقطع الدم بغير صلاة حتى تغسل ثوبها وتفعل ما هو أعظم ، وهو أنها لا تصلى ولا تقضى ما فوتته بعد انقطاع الدم وقبل اغتسالها . ولا يخفى ما فى ترك الصلاة عمدا. انتهى .

ومن ذلك ما يزعم بعض النساء ، . وهو أن النفساء تبقى أربعين يوما بلا غسل ولا صلاة ولو انقطع عنها الدم ، وهو بدعة محرمة إجماعا ، نبه عليها صاحب المدخل ، لأن دم النفاس إذا انقطع ولو فى يوم الولادة اغتسلت ، وإن دام بقيت شهرين .

انتهى بيان ما أحدثته النساء فى باب الحيض والاستحاضة والنفاس من البدع الشيطانية ، على سبيل تنبيه العقلاء ، لا على سبيل الإحصاء (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٠٥ ، ١٠٦) .

وفى مجال الطب تعنى مصنفات التراث الإسلامى بكل ما يتعلق بالحيض من حيث علاقته بطبيعة المرأة ، ومن حيث التعامل معه أو « تدبيره » كما يقولون ، ومن حيث علاقته بالصحة والمرض، ومن حيث إدراره أو منعه ، ومن حيث علاجه فى الحالات المرضية كاحتباسه أو إفراطه، كما تحدد أنواع الأدوية التى تتصل بهذا كله .

وبين أيدينا ثلاثة مصادر من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب هى :

١ ـ تسهيل المنافع لابن الأزرق (ص١٤٧ ـ ١٤٩) .

٢ ـ تذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكى وهذا أكثرها استفاضة (ص١٤٠ ـ ١٤٦) .

٣ ـ الرسالة الألواحية لابن سينا (ص ٨٣ ـ ٨٧) .

وسوف نكتفى هنا بذكر محتويات باب الحيض فى كل منها ، ويمكنك الرجوع إلى أى منها إن شئت الاستزادة .

١ ـ تسهيل المنافع : أوقات الحيض ، الأدوية المدرة للطمث (الطمث هو دم الحيض) ، الأدوية القاطعة للطمث .

٢ ـ تذكرة أولى الألباب : وصفه، الحالات المرضية ، العلامات ، العلاج ، الموانع .

٣ ـ الرسالة الألواحية :

اللوح الثامن والسبعون : فى الأدوية التى تدر الحيض، وتسقط الأجنة ، وتخرج المشيمة .

اللوح التاسع والسبعون : فى الأدوية التى تقطع الحيض والنفث ودم البواسير.

أما عن النظم فبين أيدينا منه ما يلى :

١ ـ منظومة صفوة الزبد للإمام أحمد بن رسلان الشافعى . قال الناظم ، وقد ضمن أبياته الكلام على الحمل والنفاس أيضا :

إمكانه من بعد تسع والأقل
يوم وليلة وأكثر الأجل
خمس إلى عشرة والغالب
ست وإلا سبعة تقارب

أدنى النفاس لحظة ستونا
أقصاه والغالب أربعونا
إن عبر الأكثر واستداما
فمستحاضة حوت أقساما
لم ينحصر أكثر وقت الطهر
أما أقله فنصف شهر
ثم أقل الحمل ست أشهر
وأربع الأعوام أقصى الأكثر
وثلث عام غاية التصور
وغالب الكامل تسع أشهر
بالحدث الصلاة مع تطوف
حرم وللبالغ حمل المصحف
ومسه ومع ذى الأربعة
للجنب اقتراء بعض آية
قصدا ولبث مسجد للمسلم
وبالمحيض والنفاس حرم
الست مع تمتع برؤية
والمس بين سرة وركبة
إلى اغتسال أو بديل يمتنع
الصوم والطلاق حتى ينقطع

(قوله إمكانه من بعد تسع إلخ) أى أقل زمن تحيض فيه المرأة بأن ترى الدم وقوله من بعد تسع أى تسع سنين قمرية وقوله يوم وليلة أى مقدارهما وهما أربع وعشرون ساعة (قوله بالحدث الصلاة) بالنصب على أنه مفعول مقدم لقوله حرم والمراد بالحدث الحدث الأصغر وقوله ومسه أى بأعضاء الوضوء وغيرها ولو كان فاقد الطهورين (قوله ومع ذى الأربعة) أى المحرمة بالحدث الأصغر (قوله الست) أى الصلاة والطواف وحمل المصحف ومسه وقراءة بعض آية واللبث بالمسجد(متن الزبد/ ٢٥ ، ٢٦) .

٢ ـ منظومة القرطبى فى العبادات على مذهب الإمام مالك . قال الناظم رحمه الله :

للحيض عدة من الليالى
خمس وعشر منتهى الكمال
فإن يزد شىء على التكملة
فذاك عرق حادث من علة
وغاية القلة فى الأيام
ثلاثة تجرى على الدوام
وإنما هذا فى الاستبراء
وعدة الزوجات والإماء

(منظومة القرطبى / ٧) .

٣ ـ نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى . قال الناظم رحمه الله :

وإن رأت قصة أو جفافا
تطهرت مكانها إذ وافا
وإن رأته بعد لحظة فإن
عاود لفقته حتى يستكن
لخمسة أعشر أقل الطهر
فإن تمادى تبقى نصف شهر
إن تك مبتدأة فى الظاهر
ثم هى مستحاضة كالطاهر
ثم إذا انقطع دم النفسا
صلت فإن دام لستين رسا

(الفتح الربانى ١/ ٤٥ ، ٤٦) .

٤ ـ منظومة « السبل السوية لفقه السنن المروية »للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى . قال الناظم :

غالبه ست وسبع فادر
وما عداها مدة للطهر
ونادرا شذ فذات العادة
تبنى على حيضتها المعتادة
وبامتياز الدم حيث وصفه
كل النساء غالبا تعرفه
وبخروج القصة البيضاء
فكل ذى علامة انقضاء

وكدرة وصفرة لا تعتبر
بعد ظهور الطهر ذا نص الخبر
وغيره استحاضة تبينت
أحكام طاهر لها تعينت
والدم فلتغسله حين تطهر
ومن دم استحاضة تستثفر
ولتغتسل للطهر ولْتُصَلِّ
ثم الوضوء واجب لكل
فريضة فإن رأت أن تغتسل
لجمع وقتين فذاك قد نقل
وحائضا في مدة الحيض اعتزل
فوطؤها يحرم على ما لم تغتسل
بالآي والحديث والإجماع
وحل غيره من استمتاع
والخلف في التكفير بالدينار
أو نصفه لناقلي الأخبار
فبعضهم ذا النص لم يصححوا
وآخرون صحة قد رجحوا

(« السبل السوية »/ ٩، ١٠).

وفي الحاوي للفتاوي للحافظ السيوطي مسائل ترد إليه يطلب أصحابها فتواه ويصوغانها نظمًا، فيرد الإمام السيوطي عليها نظما أيضا. ومن ذلك ما ورد عن الحيض والنفاس ومسائل أخرى، ونسوقها فيما يلي:

مسألة:

الحمد لله معيد ما بدا
بعد فناء لم يكن ذاك سدى
ثم الصلاة والسلام الكمل
على النبي الهاشمي المفضل
وآله وصحبه وعترته
وكل من مات على محبته
جوابكم يا سادة أفادوا
طالبهم وبالعلوم سادوا
في حائض ببيتها مقيمه
ذي جدة صحيحة سليمه
بعد انقطاع دمها المحرم
هل يستباح الوطء بالتيمم
من غير عذر مع وجود الماء
بظنها الغالب للإيذاء
وبيتها في خطة الحمام
مطيقة السعي على الأقدام
ذي سعة لأجرة وغيرها
ولم تكن محجوبة في خدرها
فهل يبيح وطأها التيمم
من غير عذر أم بغسل تلزم
أم حكمها في ذاك حكم الجنب
والنفساء حكمها في المذهب
وإن أبحتم وطأها بالترب
ما قولكم في محرم يلبي
فهل له اللبس قبيل العذر
بغالب الظن بغير الوزر
أم بعد أن يحصل عذر ظاهر
يجوز لبس وغطاء ساتر
ولو طرأ عذر وزال عنه
هل يجب النزع ببرء عنه
ولو تمادى لابسًّا والعذر
قد زال هل يسقط عنه الوزر
وإن بغير العذر لبس حصلا
هل الفدا يجزيه مما حملا
أم هو عاص آثم والجاني
فداه لم ينجه من العصيان
وهل بهذا الفعل بر حجه
أم غير مبرور كما قد وجهوا
وحائض والنفسا هل يقضيا
صومهما دون صلاة ألغيا

أم يختلف حكمهما عند قضا
صلاة فرض عن أداها أعرضا
وضح لنا الجواب شيخ السنة
أثابك الله الكريم الجنة
أجز جوابًا يا جلال الدين
لعبدك السائل بالتبيين
يا من له نظم على الفتاوى
يشوق كل عالم وراوى
لازال ناديك الرحيب محتفل
بالوفد عن طلاب خير مشتمل
يا شيخ الإسلام ويا خير النهى
ومن له مرتبة تعلو السها

انتهى

الجواب :

الحمد لله على امتنان
يعجز عن إحصاء باللسان
ثم الصلاة والسلام أبدا
على النبى الهاشمى أحمدا
وآله الأولى حووا كل الشرف
وصحبه والتابعين والسلف
إن حائض قد أقلعت عنها الدما
ووجدت فاقدة للعذر ما
أو كان فى بلدتها حمام
فما إلى وصالها مرام
وإنما يجوز بالتراب
لفقد هذين بلا ارتياب
ومحرم قبل طروء العذر
أجز له اللبس بغير وزر
بغالب الظن ولا توقف
على حصوله فهذا الأرأف
نظيره من ظن من غسل بما
حصول سقم جوزوا التيمما
ومن تَنزَّلْ أعذاره فليقلع
مبادرا وليقض أن لم ينزع
وليس ينجيه الفدا من وزره
كمن تحده بشرب خمره
لو كان ينجيه الفدا من وزر
لسرى العذر بغير العذر
ولا يكون حجه مبرورا
ما لم يتب يكن له طهورا
وحائض ونفسا فليقضيا
الصوم لا الصلاة فيما رويا
وليس بين تين من خلاف
فيما ذكرناه بلا خلاف
هذا جواب نجل الأسيوطى
معتصما بربه القوى

(الحاوى للفتاوى ١/ ٢٥ ـ ٢٧) .

ومن الألغاز الفقهية عن الحيض ما أورده الإمام ابن فرحون فى درة الغواص ، وهو كما يلى ، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية كما جاءت فى النص :

٥٧ ـ فإن قلتِ : النساء الحيض غير المستحاضة ثلاث :
حائض تصلى وتصوم .
وحائض لا تصلى ولا تصوم .
وحائض تصلى ولا تصوم ؟

قلت : التى تصلى وتصوم : هى التى ترى دفعة بالليل ثم ينقطع عنها .

والتى لا تصلى ولا تصوم : هى التى يتمادى بها الدم .

والتى تصلى ولا تصوم : هى التى ترى دفعة بالنهار ثم ينقطع .

٥٨ ـ فإن قلت : شيء خارج من البدن يحكم أنه حيض وليس بدم ؟

قلت : هو الكدرة والصفرة ليس بدم ويحكم لهما بحكم الحيض .

(الكدرة بضم الكاف هو الدم الكدر الذى يشبه غسلة

المحجم، تترك به المرأة الصلاة وسائر العبادات لأنها حائض حقيقة (الفواكه الدوانى : ١/ ١١٦) .

والصفرة : هى الدم الذى يشبه الصديد وتعلوه صفرة) .

٥٩ ــ فإن قلت : امرأة تصلى وتصوم وتمنع من دخول المسجد كما تمنع الحائض ؟

قلت : الحائض إذا اتجاوز دمها خمسة عشر يوما وقلنا تستظهر بثلاثة أيام فهى فى تلك الأيام تؤمر بالصلاة والصوم احتياطا، وتمنع من المسجد (درة الغواص ٩٩، ١٠٠) .

(البجيرمى على الخطيب حاشية الشيخ سليمان البجيرمى المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيب ١/ ٢٩٩، ٣٠٠، ومختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى ـ تحقيق يوسف البدوى، مراجعة د. محمد أحمد عاشور / ٣٧، ٣٨، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣/ ٧٦ ــ ٧٩، وعمدة الفقة لابن قدامة ـ تخريج أبى عبد العزيز عبد الله بن سفر عبادة العبدلى الغامدى، ومحمد دغيليب البراق العتبى / ١١، ١٢، وتيسير الوصول إلى علم الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣/ ١٠٦، وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودى ـ تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور / ١٠٥، ١٠٦، ومتن الزبد فى الفقه للإمام أحمد بن رسلان الشافعى / ٢٥، ٢٦، ومنظومة القرطبى فى العبادات على مذهب الإمام مالك ــ نظم الشيخ يحيى القرطبى الدارى / ٧، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيد القيروانى ــ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى ١/ ٤٥، ٤٦، ومجموع : « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٩، ١٠، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٢٥ ـ ٢٧، ودرة الغواص فى محاضرة الخواص (ألغاز فقهية) لابن فرحون المالكى ـ تقديم وتحقيق وتعليق محمد أبى الأجفان وعثمان بطيخ / ٩٩، ١٠٠، انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٤/ ٢٩٢، ٢٩٣، وأحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام ـ فضيلة الشيخ عطية صقر / ٦٣ ـ ٦٦، ومختصر صحيح البخارى : جمع النهاية فى بدء الخبر وغاية لابن أبى جمرة الأزدى / ٢٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٠٩، ٣١٠، وفقه السنة ــ الشيخ السيد سابق م ١/ ٧٨ ـ ٨٠، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٢١٥ ـ ٢١٩، وتسهيل المنافع لابن الأزرق / ١٤٧ ـ ١٤٩، والرسالة الألواحية للشيخ الرئيس ابن سينا ــ تحقيق وتعليق د. محمد سويسى / ٨٣ ــ ٨٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٤٠ ـ ١٤٦، ومع الطب فى القرآن الكريم ــ د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز / ٤٧، ٤٨، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة ابن قيم الجوزية ٣/ ١٩ ـ ٣٩) .

انظر مادة « الاستحاضة » فى م ٤ / ٢١٠ ـ ٢١٢ .

* **الحيض (كتاب) :**

كتاب الحيض : لأبى الفضل ... الكرمانى (ركن الدين) « عبد الرحمن بن محمد » الحنفى (المتوفى سنة ٥٤٣ ثلاث وأربعين وخمسمائة) ولأبى عبيد قاسم بن سلام النحوى المتوفى سنة ... وللإمام ... الأزهرى (المتوفى ٣٧٠ سبعين وثلثمائة) وللقاضى عماد الدين المتوفى سنة ... وللإمام أبى بكر محمد بن أبى سهل السرخسى (المتوفى ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة) ولحسام الدين ... الشهيد المتوفى سنة ... ولأبى عبد الله الزعفرانى وللقاضى أبى القاسم الحكيم وله أيضا شرحه ذكره صاحب القنية .

(كشف الظنون ٢/ ١٤١٤) .

* **الحيطان :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨٢٨٤ .

تأليف : ؟

رسالة فى أحكام الحيطان والطرق والمياه جعلها المؤلف فى عشرين بابا .

أولها : الحمد لله رب العالمين ... وبعد فقد سئلت عن شخص له حائط حاره وقد بنى مائلا من أعلاه فخرج عن الملاصقة .

آخرها : عين ماء أو بئر ماء بين رجلين وهو شرب لهما فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة فامتنع أحدهما من النفقة عليها هذه المسألة على سبيل الاستقصاء، وكتبناها فى شرح النفقات للخصاف فلا نعيدها احترازا عن التطويل .

نسخة جيدة . ضمن مجموع فى أحكام الحيطان، صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد جميل، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .

[٣٢ ـ ٥٢]ق ٣١س ٢٨ × ١٤ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٠ ، ٢٩١) .

*** الحيطان (كتاب ـ) :**

كتاب الحيطان ـ للشيخ ... المرجي الثقفي الحنفي مات سنة ... شرحه قاضي القضاء أبو عبد الله ... الدامغاني . وللرشيد أيضا قال قد وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء من أصعب المسائل فرأيت كتاب المرجي وشرحه لكنه مفتقر إلى التهذيب والتنقيح فتممت ما هنالك . وللحسام الشهيد شرح فيه كتاب المرجي أوله الحمد لله على نعمه الظاهرة إلخ ذكر فيه أنه وجد مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل المياه من أصعب المسائل مراما وكان يتلجلج في صدره أن يجمع ما تفرق في كتب أصحابنا من مسائلها حتى وجد جمعا فيها للشيخ المرجي الثقفي بشرح قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني لكن رآه مفتقرا إلى التهذيب والتنقيح وذكر التفاصيل في مقدمته لتبويبه تسهيلا للأمر فيه ورتبه على ثلاثة أبواب : الأول في استحقاق الحائط بالجذوع ، الثاني للاتصال في بناء الحائط ، الثالث في الجرادي والبوادي .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٤١٤) .

*** الحيطان ومسيل الماء والطرق والأفنية (كتاب ـ) .**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الفلاحة .

مخطوط بقسم التراث العربي بالكويت وجاء بيانه كما يلي :

تأليف ابن اللبان ، أبو الحسين ، محمد بن عبد الله الفرضي البصري (ت ٤٠٢ هـ) .

ويبحث في كيفية بناء السدود والقنوات ، وخاصة بالجذوع أو بالخشب ، والوصول بينها إلا أن ما يتعلق بالماء مباشرة الأبواب التالية :

الباب الخامس عشر : في مسيل الماء والطريق .

الباب السادس عشر : في الأفنية .

الباب التاسع عشر : في النهر والبئر والسقي والزرع .

النسخ الموجودة منه :

(تركيا ـ اسطنبول ـ مكتبة كوبريلي زاده ، ٦٨٩ مجموع (رقم ٥) .

أوله بعد البسملة والديباجة : « الحمد لله على نعمه الظاهرة ؛ وأياديه الزاهرة ، حمدا يقرب مدى الإحصاء ويهدي قوى الاستقصاء ، والصلاة على محمد المبعوث بالرسالة ، المؤيد بالدلالة .

وبعد ،

فإني وجدت مسائل دعوى الحيطان والطرق ومسيل الماء من أصعب المسائل مراما وأعسرها التياما ، وكان يتلجج في صدري أن أجمع ما تفرق في كتب أصحابنا رحمهم الله من مسائلها ـ » .

آخره : « ... أو بئر ماء بين رجلين وهو شرب لهما ، فاحتاجت إلى تنقية أو عمارة ، فامتنع أحدهما من النفقة عليها .

هذه المسألة على سبيل الاستقصاء كتبناها في شرح النفقات للخصاف ، رحمه الله فلا نعيدها هاهنا احترازا من التطويل والله أعلم تم كتاب الحيطان ولله الحمد والمنة .

وكان نقلها بتوفيق الله من نسخة نقلت من نسخة الشيخ الإمام الأجل العالم ، جمال الدين الحصيري ، شيخ الإسلام التي بخطه ، أعاد الله على المسلمين منه بركاته يتلوه إن شاء الله مسائل الشيوع » .

الخط : نسخ جميل جدا ، بالمداد الأسود البني والمداد الأحمر .

الأوراق : ١٧ ق من (٢٠٣ ـ ٢١٩) .

الأسطر : ٢٣ س .

المقياس : ٢٩ × ١٨,٥ سم .

النسخة : وهي بحالة جيدة ونظيفة وعليها تعليقات ، ويلاحظ أنها منقولة عن نسخة الحصيري .

(٢) تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ، ١٠٦١ شهيد علي . ضمن مجموع .

أوله وآخره : كالنسخة السابقة .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٦ ق . (٧٥ ـ ٩٠) .

المقياس : ٢٨ × ١٧ سم .

ويلاحظ أن النسخة منسوبة إلى حسام الدين عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٣٦ هـ .

كما يلاحظ عليها أنها منقولة عن نسخة الحصيرى .

(فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د . محمد عيسى صالحية ، وعبد الله فليح / ١٤٥، ١٤٦).

قالت المؤلفة : بداية هذا المخطوط هى نفسها التى أوردها صاحب كشف الظنون فى المادة السابقة وعزا الكتاب إلى مؤلف آخر اسمه الحسام الشهيد .

*** الحَيْعَلة:**

جاء فى اللسان : الخليل : حيعل الرجل إذا قال حى على الصلاة ، قال : والعرب تفعل هذا وإذا كثر استعمالهم للكلمتين ضمُّوا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى ، منه قولهم : لاتبرقِل علينا ، والبَرْقلة : كلام لا يتبعه فعل ، مأخوذ من البرق الذى لا مطر معه . قال أبو العباس : الحَوْقلة والبَسْملة والسبحلة والهَيْللة ، قال : هذه الأربعة أحرف جاءت هكذا ، قيل له : فالحمدلة؟ قال : ولا أُنكره .
(اللسان ٥٢/ ٤٦٩١)

وقال الإمام النووى فى تهذيبه :

حيعل : قوله فى باب الأذان يقول بعد الحيعلة هى بفتح الحاء وإسكان الياء وفتح العين قال الإمام أبو منصور الأزهرى فى أول كتابه تهذيب اللغة بعد أن فرغ من مقدمة الكتاب وشرع فى الأبواب . قال الليث قال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى العين والحاء لا يلتقيان فى كلمة واحدة أصلية الحروف لقرب مخرجيهما إلا أن يؤلف فعل من جمع بين كلمتين مثل حى على فيقال منه حيعل قال الأزهرى وهو كما قال الخليل رحمه الله تعالى وأنشد غيره :

ألا رب طيف منك بـــات معـــانقى

إلـى أن دعى داعـى الصــلاة بحيعــلا

ومعنى حى على الصلاة أسرعوا إليها وهلموا إليها وأقبلوا ومثله فى الحديث «إذا ذكر الصالحون فحى هلا بعمر» معناه أقبلوا على ذكره وقيل أسرعوا إلى ذكره . ومثل الحيعلة عبارة عن حى على كذا قولهم الحمدلة والبسملة والهيللة والسبحلة إشارة إلى الحمد لله وبسم الله ولا إله إلا الله وسبحان الله ومثله قولهم ولا حول ولا قوة إلا بالله الحوقلة والحولقة . (تهذيب ٣/ ٧٩)

(لسان العرب لابن منظور ٥٢/ ٤٦٩١ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣/ ٧٩)

انظر مادة «الأذان» فى م ٣/ ٤٦٩ ـ ٤٨٤ ، وصورة المؤذن ص ٤٨١ .

*** حيفا:**

حيفا : مدينة تاريخية ، احتلها اليهود فى ٢١/ ٤/ ١٩٤٨م ، وهى ثانى مدن فلسطين المحتلة من حيث السكان وأكبرها من حيث الحجم ، قاعدة مقاطعة ومركز قضاء . تقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، من شاطىء البحر إلى ارتفاع يزيد على ألف قدم . وهى مركز الصناعات الثقيلة فى القسم المحتل من فلسطين ، وفيها مصفاة للبترول .

قال ياقوت :

وحيفا : غير ممدود : حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا . ولمْ يزلْ فى أيدى المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس فى سنة ٤٩٤ ، وبقى فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٣ وخربه ، وفى تاريخ دمشق : إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق أبو طاهر الحافظ الحيفى من أهل قصر حيفة ، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام بن محمد بن يوسف القزوينى وأبا الوفاء سعد بن على بن محمد بن أحمد النسوى ، وحدث بصور سنة ٤٨٦ ، سمع منه غيث بن على وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نبت الكاملى ، هكذا فى كتابه قصر حيفه ، بالهاء .

(من كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ هامش ١ ومعجم البلدان ٢/ ٣٣٢)

وإذا شئت معلومات مفصلة عن مدينة حيفا ، فارجع إلى هذين المصدرين :

١ ـ حيفا . قصة مدينة ـ د . أحمد عبد الرحمن حمودة . سلسلة المدن الفلسطينية (٢١) / ٧ـ٨٤ .

٢ ـ «حيفا» . مجلة تاريخ العرب والعالم . السنة العاشرة . العددان ١١٩ ، ١٢٠ . محرم صفر ١٤٠٩ هـ ـ أيلول (سبتمبر) ـ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨/ ٦٨ ـ ٧٦ .

*** الحيل الساسانية (علم ـ):**

ذكره أبو الخير ، صاحب مفتاح السعادة من فروع علم السحر وقال :

هـو علم يعـرف بـه طـريق الاحتيـال فـى جلب المنـافع وتحصيل الأمـوال . والـذى باشـرهـا يتـزيا فى كل بلـدة بـزى يناسب تلك البلدة ، بأن يعتقد أهلها فى أصحاب ذلك الزى ، فتارة يختارون زى الفقهـاء ، وتارة يختارون زى الوعـاظ ، وتارة يختارون زى الصـوفية ، وتارة يختارون زى الأشـراف ، إلى غير ذلك . ثم هم يحتالون فى خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها . منها : ما حكى واحد ، أنه رأى فى جامع البصرة قردا على مركب ، مثل مـا يركبه أبنـاء الملوك ، وعليه ألبسـة نفيسة نحو ملبـوساتهم ، وهو يبكى وينـوح ، وحوله خدم يتبعـونه ، ويبكون ويقولـون : يا أهل العافية ، اعتبروا بسيدنـا هذا ، فإنه كان من أبناء الملوك ، عشق امرأة ساحرة ، وبلغ حاله بسحرها إلى أن مسخ إلى صـورة القـرد ، وطلبـت منـه مـالا عظيمـا لتخليصه من هـذه الحالة ، والقرد فى هـذا الحال يبكى بأنين وحنين ، والعامة يرقون عليه ويبكون ، وجمعوا لأجله شيئا كثيرا من الأمـوال ثم فرشـوا لـه فى الجـامع سجادة ، فصلى عليهـا ركعتين ، ثم صلى الجمعة مع الناس ، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعـة بتلك الأمـوال العظيمـة . وأمثـال هـذه الحيل كثيـرة منهم . وكتاب « المختـار فى كشف الأستار » بـالغ فى كشف هذه الأسرار (مفتاح السعادة ١/ ٣٤٥) .

ويضيف صاحب كشف الظنون قوله : قلت : ذكرت هذه الحكاية فى تاريخ أمير أخوند أيضا (كشف ١/ ٦٩٥) .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٣٤٥ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، وأبجد العلوم لصـديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق١/ ٣٠٩ ، ٣١٠) .

* **الحيل الشرعية (علم ـ) :**

وهو باب من أبـواب الفقه بل فن من فنونه كـالفرائض وقد صنفوا فيه كتبا أشهرهـا كتاب « الحيل » للشيخ الإمام أبى بكر أحمد بن عمر المعروف بالخصاف الحنفى المتوفى سنة ٢٦١ إحـدى وستين ومـائتين وهـو فى مجلـدين ذكـره التميمى فى طبقـات الحنفيــة » ولـه شـروح منهـا شـرح شمـس الأئمـة الحلـوانى . شمس الأئمـة السرخسى ، وشـرح الإمـام خواهـر زاده ، ومنها كتاب محمد بن على النخعى وابن سراقة (محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد المتوفى سنة ٦٦٢) وابى بكر الصيرفى (محمد بن محمد البغدادى الشافعى المتوفى بمصر سنـة ٣٣٠) وأبى حاتم القـزوينى وغيـر ذلك ذكروا فيـه الحيل الدافعة للمغالبـة وأقسامها من المحرمة والمكـروهة والمباحة (كشف ١/ ٦٩٥) .

وقد أطـال الحافظ ابن القيـم رحمه الله فى كتـاب « أعلام المـوقعين عن رب العالمين » فى إبْطـال الحيل التى أحدثهـا الفقهاء وأجاد (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١/ ٣١٠) .

يقول الـدكتور عبـد العظيم عبد السـلام شرف الـدين عند الكلام على الهدف الثالث من أهـداف ابن القيم وهو محاربة التلاعب بأحكام الدين :

رأى ابن القيم أنـواعًـا من التلاعـب بأحكام الـدين بـاسم الحيل التى تحل الحـرام وتسقط الحق : فـالربـا يحتال عليـه بحيل تبيحـه فى الظاهـر ، والحقوق يحتـال على إسقاطهـا : فالمرأة إذا أرادت مفـارقة زوجها احتالت على ذلـك بالارتداد ، فينفسخ نكـاحها ، ثم تعـود إلى الإسلام ، والـرجل يسقط حق الفقراء فى ماله بأن يهبه قبل تمام الحول .

وما كان ابن القيم ليرضى عن هـذا التلاعب بالدين ، فقد حاربه بكل مـا أوتى من قوة مبينا خطورتـه تارة وداحضًا حجج أربابه أخرى ، وموردا الأدلة الدالة على بطلانه ثالثًا .

ويجب أن نقف على حقيقـة الحيل ، وعلى بدء ظهـورها فى التفكيـر الإسلامى ثم نشيـر إلى موقف العلمـاء منها كمـا نوضح المحـرم منها والمباح ، ثم نورد الأدلـة التى تمسك بها المحتالـون والرد عليها إلى غيـر ذلك من الأبحاث الضـرورية التى تكشف النقاب عن هذا الهدف الذى رمى إليه ابن القيم . ولا يتبـادر إلى الـذهن أن ابن القيم أول من حـارب التـلاعب بالدين ، بل سبقه غيره مثل ابن تيمية ومن سبقهما من العلماء الذين وقفوا من الحيل مـوقف الإنكار ولكن ابن القيم قد أولى هذا عناية خاصة جعلتنى أعتبر هذا هدفا من أهدافه التى وقف عليها جهده العلمى .

تعريف الحيلة :

هى نوع من التصـرف يتحول به فاعله من حـال إلى حال ، ثم صارت تستعمل عـرفا فى سلوك الطرق الخفيـة التى توصل إلى الغرض المقصـود بحيث لا يعرف ذلك إلا بذكـاء وفطنة ، وهـذا المعنـى أخص من المعنى السـابق . وأخص منــه استعمـالها فى التـوصل إلى الغـرض الممنوع منـه شرعـا ، أو

عقلا، أو عادة، وهذا غالب في الاستعمال، ويقال: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل (أعلام الموقعين ٣/ ١٩١، ١٩٢) هذا تعريف ابن القيم للحيل. وقد عرفها شيخه ابن تيمية بقوله: « الحيلة قصد سقوط الواجب أو حل الحرام بفعل لم يقصد به ما جعل ذلك الفعل له أو ما شرع، فهو يريد تغيير الأحكام الشرعية بأسباب لم يقصد بها ما جعلت تلك الأسباب له (إقامه الدليل على إبطال التحليل ص ١١ لابن تيمية) فنرى أن التعريف الذى ذكره ابن تيمية يتفق مع ما ذكره ابن القيم: وهو استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه فسقوط الواجب وحل الحرام لا يختلف أحد في منعهما...

متى ظهرت الحيل؟وما موقف العلماء ؟

ظهر الإفتاء بالحيل في أواخر عصر صغار التابعين بعد المائة الأولى بسنين، ولم يؤثر عن الصحابة شيء من الحيل.

ولما ظهر الإفتاء بها أنكرها العلماء كحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك. وقد ناصر الحيل، وقال بها فريق من العلماء، وظهرت كتب الحيل: منها كتاب الحيل لأبي بكر الخصاف، ولكن العلماء الذين عارضوا الحيل لم ينسوا يوما مخالفتها للدين، ولم يلقوا أسلحة الدفاع.

وظل الزمن يسير حتى جاء ابن تيمية، فلم يرضخ لهذا التلاعب بالدين، وقد حارب بشدة حيلة تحليل المرأة لزوجها، واعتبره حيلة باطلة وألف في ذلك كتابا سماه: إقامة الدليل على إبطال التحليل. أبطل فيه الحيل جميعها أولا، ثم أقام الدليل على بطلان التحليل بوجه خاص، ولما جاء ابن القيم نهج منهج أستاذه في محاربة هذا التلاعب بالأحكام الشرعية؛ إذ راعه ما شاهده من حيل تبطل مقصود الشارع ...

خطورة الحيل:

إن هذا التلاعب بالأحكام الشرعية باسم الحيل خطر على الدين، ولو لم يكن فيه إلا تنفيذ رغبة المتحيل، وإبطال رغبة الشارع ليكفيه ذلك ذما وقدحا فالأوامر شرعت لما فيها من مصلحة: كالزكاة شرعت للأخذ بيد الفقير، والمنهيات شرع اجتنابها لما فيها من مفسدة: كالربا شرع اجتنابه لما فيه من وقوع المحتاجين في يد أرباب الأموال، وأخذ أموالهم بالباطل. فالتحايل على إسقاط الأوامر كالزكاة وفعل المنهيات كالربا إبطال لمقصود الشارع، وتنفيذ لرغبة المتحيل. قال ابن القيم مستبعدا إباحة الحيل: فكيف يبيح لهم الحيل على ما نهاهم عنه ؟ وكيف يبيح لهم التحيل على إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التى أحقها عليهم لقيام مصالح النوع الإنسانى التى لا تتم إلا بما شرعه.

ومن خطورة الحيل مجانبتها للعقل ولما تقضى به الفطرة السليمة؛ فشريعة العقل تحكم باتحاد الحكم إذا اختلفت الألفاظ، واتفقت المعانى، وباختلاف الحكم إذا اتحدت الألفاظ واختلفت المعانى، والأعمال إذا اختلفت صورها، واتفقت مقاصدها كان حكمها واحدا أما إذا اتحدت صورها، واختلفت مقاصدها فإن الحكم يختلف قال ابن القيم: فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال وحقيقته، ومقصوده حقيقة الحرام، فلا يكون حلالا، ولا تترتب عليه أحكام الحلال، فيقع باطلا.

أنواع الحيل:

يرى ابن القيم أن الحيل المحرمة أنواع:

أولا: حيل محرمة مقصود بها محرم: كالتحايل على قتل النفس، وصورة هذه الحيلة أن يتظاهر محرم بصيد ما يحرم صيده في الحرم، وهدفه قتل إنسان فالحيلة حرام في نفسها لأن الصيد حرام على المحرم، وقصد بها محرم وهو قتل النفس المعصومة.

ثانيا: حيل مباحة في نفسها ولكن قصد بها محرم فتصير حراما: كالسفر لقطع الطريق وقتل النفس المعصومة.

ثالثا: حيل موضوعة للإفضاء إلى المشروع، ولكن يتخذها الشخص سبيلا إلى المحرم كالإقرار والبيع والنكاح والهبة ...

وبمقارنة ما ذكره ابن القيم بما ذكره شيخه نراه قد تأثر به كثيرا؛ فالأقسام متحدة وما ذكره ابن تيمية في النوع الخامس يمكن إدخاله في النوع الرابع الذى ذكره ابن القيم، وهو الطرق المحرمة في نفسها يقصد بها أخذ حق أو دفع باطل ونلاحظ أن الأمثلة التى ذكرها ابن القيم هى نفسها التى مثل بها ابن تيمية فإقامة شاهدى زور وجحد الوديعة وغير ذلك من الأمثلة قد أخذها ابن القيم عن شيخه وعلى هذا فسنلاحظ أن

الأدلة التي ذكرها ابن القيم على إبطال الحيل هي الأدلة التي أقامها شيخه مع تصرف يسير وإعمال فكره وظهور شخصيته في الأدلة العقلية التي رد بها الحيل وبيان خطورتها على الدين . ولا عجب في ذلك فابن تيمية قد عنى بهذا البحث، وجد في إبطال الحيل عموما ، ليتوصل بذلك إلى إبطال التحليل خصوصا، وقد ألف في هذا الغرض ــ كما ذكرت سابقا ــ كتابا سماه « إقامة الدليل على إبطال التحليل » (ابن قيم الجوزية / ١٢٠ ـ ١٢٦ ، ١٢٨) .

وفيما يلي ننقل لك بعضا مما أورده الإمام ابن القيم عن الحيل وأنواعها، وإن كان هذا البعض كثيرا (من ص ٢٢٤ ـ ٢٨٦) ولكن لأن الموضوع يهم المسلمين فإن الإطالة هنا تكون إفادة ، ويمكن لمن يشاء الاستزادة أن يتابع الموضوع حتى ص ٥٠٢ .

قال ابن القيم رحمه الله :

من الأدلة على تحريم الحيل :

ومما يدل على تحريم الحيل قوله ﷺ: « صيد البر لكم حلال، ما لم تصيدوه أو يصد كم » رواه أهل السنن .

ومما يدل على تحريمها ما رواه ابن ماجه في سننه عن يحيى بن أبي إسحاق قال : سألت أنس بن مالك : الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدى إليه ، فقال : قال رسول الله ﷺ : «إذا أقرض أحدكم قرضا فأهدى إليه أو حمله على الدابة فلا يركبها ولا يقبله إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » رواه من حديث إسماعيل بن عياش عن عتبة بن حميد الضبي عن يحيى .

قال شيخنا رضي الله عنه (شيخه هو الإمام ابن تيمية رحمه الله » : وهذا يحيى بن يزيد الهنائي .

وعتبة بن حميد معروف بالرواية عن الهنائي ، قال أبو حاتم مع تشدده: هو صالح الحديث ، وقال أحمد : ليس بالقوى ، وإسماعيل بن عياش ثقة في حديثه عن الشاميين، ورواه سعيد في سننه عن إسماعيل بن عياش، لكن قال: عن يزيد بن أبي إسحاق الهنائي عن أنس عن النبي ﷺ .

وكذلك رواه البخاري في تاريخه عن يزيد بن أبي يحيى الهنائي عن أنس يرفعه : إذا أقرض أحدكم فلا يأخذ هدية .

قال شيخنا : وأظنه هو ذاك انقلب اسمه . وفي صحيح البخاري عن أبي بردة بن أبي موسى قال : قدمت المدينة ، فلقيت عبد الله بن سلام، فقال لي : إنك بأرض الربا فيها فاش، فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا .

وفي سنن سعيد هذا المعنى عن أبي بن كعب، وجاء عن ابن مسعود أيضا ، وأتى رجل عبد الله بن عمر فقال : إني أقرضت رجلا بغير معرفة فأهدى إلى هدية جزلة ، فقال : رد إليه هديته ، أو احسبها له .

وقال سالم بن أبي الجعد : جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني أقرضت رجلا يبيع السمك عشرين درهما ، فأهدى إلى سمكة قومتها بثلاثة عشر درهما ، فقال : خذ منه سبعة دراهم ، ذكرهما سعيد، وذكر حرب عن ابن عباس : إذا أسلفت رجلا سلفا فلا تأخذ منه هدية ولا عارية ركوب دابة .

فنهى النبي ﷺ هو وأصحابه المقرض عن قبول هدية المقترض قبل الوفاء، فإن المقصود بالهدية أن يؤخر الاقتضاء وإن كان لم يشترط ذلك ؛ سدا لذريعة الربا ، فكيف تجوز الحيلة على الربا؟ ومن لم يسد الذرائع ولم يراع المقاصد ولم يحرم الحيل يبيح ذلك كله، وسنة رسول الله ــ ﷺ ـ وهدى أصحابه أحق أن يتبع ، وقد تقدم تحريم السلف والبيع لأنه يتخذ حيلة إلى الربا .

دليل من الحديث والقرآن على تحريم الحيل :

ويدل على تحريم الحيل الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ « لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» وهذا نص في تحريم الحيلة المفضية إلى إسقاط الزكاة ، أو تنقيصها بسبب الجمع والتفريق، فإذا باع بعض النصاب قبل تمام الحول تحيلا على إسقاط الزكاة فقد فرق بين المجتمع، فلا تسقط الزكاة عنه بالفرار منها .

ومما يدل على تحريمها قوله تعالى : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر : ٦] قال المفسرون من السلف ومن بعدهم: لا تعط عطاء تطلب أكثر منه ، وهو أن تهدى ليهدى إليك أكثر من هديتك .

وهذا كله يدل على أن صور العقود غير كافية في حلها وحصول أحكامها إلا إذا لم يقصد بها قصدا فاسدا، وكل ما لو شرطه في العقد كان حراما فاسدا فقصده حرام فاسد،

واشتراطه إعلان وإظهار للفساد. وقصده ونيته غش وخداع ومكر؛ فقد يكون أشد فسادًا من الاشتراط ظاهرًا من هذه الجهة، والاشتراط الظاهر أشد فسادًا منه عن جهة إعلان المحرم وإظهاره.

إجماع الصحابة على تحريم الحيل

ومما يدل على التحريم أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على تحريم هذه الحيل وإبطالها، وإجماعهم حجة قاطعة، بل هى من أقوى الحجج وآكدها، ومن جعلهم بينه وبين الله فقد استوثق لدينه بيان المقدمة الأولى أن عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال: «لا أوتى بمحلل ولا محللٍ له إلا رجمتهما» وأقره سائر الصحابة على ذلك.

وأفتى عثمان وعلى وابن عباس وابن عمر أن المرأة لا تحل بنكاح التحليل وقد تقدم عن غير واحد من أعيانهم كأبى وابن مسعود وعبد الله بن سلام وابن عمر وابن عباس أنهم نهوا المقرض عن قبول هدية المقترض، وجعلوا قبولها رِبا.

وقد تقدم عن عائشة وابن عباس وأنس تحريم مسألة العِينَة، والتغليظ فيها، وأفتى عمر وعثمان وعلى وأبى بن كعب وغيرهم من الصحابة أن المبتوتة فى مرض الموت ترث، ووافقهم سائر المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان ومن عداهم.

وهذه وقائع متعددة لأشخاص متعددة فى أزمان متعددة، والعادة توجب اشتهارها وظهورها بينهم، لا سيما وهؤلاء أعيان المفتين من الصحابة الذين كانوا تضبط أقوالهم، وتنتهى إليهم فتاويهم، والناس عنق واحد إليهم متلقون لفتاويهم، ومع هذا فلم يحفظ عن أحد منهم الإنكار ولا إباحة التحليل مع تباعد الأوقات وزوال أسباب السكوت.

وإذا كان هذا قولهم فى التحليل والعينة وهدية المقترض إلى المقرض فماذا يقولون فى التحليل لإسقاط حقوق المسلمين، بل لإسقاط حقوق رب العالمين وإخراج الأبضاع والأموال عن ملك أربابها، وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين؟ وقد صانهم الله تعالى أن يروا فى وقتهم من يفعل ذلك أو يفتى به، كما صانهم عن رؤية الجهمية والمعتزلة والحلولية والاتحادية (انظر مادة «الحلول والاتحاد» فى م١٤ / ٤٩٦ - ١٠٥) وأضرابهم، وإذا ثبت هذا عنهم فيما ذكرنا من الحيل فهو دليل على قولهم فيما هو أعظم منها.

وأما المقدمة الثانية: فكل من له معرفة بالآثار وأصول الفقه ومسائله ثم أنصف لم يشك أن تقرير هذا الإجماع منهم على تحريم الحيل وإبطالها ومنافاتها للدين أقوى من تقرير إجماعهم على العمل بالقياس وغير ذلك مما يدعى فيه إجماعهم، كدعوى إجماعهم على عدم وجوب غسل الجمعة، وعلى المنع من بيع أمهات الأولاد، وعلى الإلزام بالطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وأمثال ذلك.

فإذا وزنت بين الإجماع وتلك الإجماعات ظهر لك التفاوت، وانضم إلى هذا أن التابعين موافقون لهم على ذلك، فإن الفقهاء السبعة وغيرهم من فقهاء المدينة الذين أخذوا عن زيد بن ثابت وغيره متفقون على إبطال الحيل، وكذلك أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة، وكذلك أصحاب فقهاء البصرة كأيوب وأبى الشعثاء والحسن وابن سيرين، . وكذلك أصحاب ابن عباس.

وهذا فى غاية القوة من الاستدلال، فإنه انضم إلى كثرة فتاويهم بالتحريم فى أفراد هذا الأصل وانتشارها أن عصرهم انصرم، وبقع الإسلام متسعة، وقد دخل الناس فى دين الله أفواجا، وقد اتسعت الدنيا على المسلمين أعظم اتساع وكثر من كان يتعدى الحدود، ، وكان المقتضى لوجود هذه الحيل موجودا فلم يحفظ عن رجل واحد منهم أنه أفتى بحيلة واحدة منها أو أمر بها أو دل عليها، بل المحفوظ عنهم النهى والزجر عنها.

فلو كانت هذه الحيل مما يسوغ فيها الاجتهاد لأفتى بجوازها رجل منهم، ولكانت مسألة نزاع كغيرها، بل أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم متفقة على تحريمها والمنع منها، ومضى على أثرهم أئمة الحديث والسنة فى الإنكار، قال الإمام أحمد فى رواية موسى بن سعيد الدندانى: لا يجوز شيء من الحيل.

وقال فى رواية الميمونى، وقد سأله عمن حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فقال: نحن لا نرى الحيلة، وقال فى رواية بكر بن محمد: إذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة

فصار إليها فقد صار إلى ذلك الذى حلف عليه بعينه، وقال: من احتال بحيلة فهو حانث، وقال فى رواية صالح وأبى الحارث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره، وقال فى رواية إسماعيل بن سعيد وقد سئل عمن احتال فى إبطال الشفعة، فقال: لا يجوز شىء من الحيل فى إبطال حق امرىء مسلم .

وقال فى رواية أبى طالب وغيره فى الرجل يحلف وينوى غير ذلك: فاليمين على نية ما يحلفه عليه صاحبه إذا لم يكن مظلوما، فإذا كان مظلوما حلف على نيته، ولم يكن عليه من نية الذى حلفه شىء، وقال فى رواية عبد الخالق بن منصور: من كان عنده كتاب الحيل فى بيته يفتى به فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ.

لم يجز أحد كل الحيل :

قلت: والذين ذكروا الحيل لم يقولوا إنها كلها جائزة، وإنما أخبروا أن كذا حيلة وطريق إلى كذا، ثم قد تكون الطريق محرمة، وقد تكون مكروهة، وقد يختلف فيها .

فإذا قالوا الحيلة فى فسخ المرأة النكاح أن ترتد ثم تسلم، والحيلة فى سقوط القصاص عمن قتل أم امرأته أن يقتل امرأته إذا كان لها ولد منه، والحيلة فى سقوط الكفارة عمن أراد الوطء فى رمضان أن يتغدى ثم يطأ بعد الغداء . . .

والحيلة لمن أراد سقوط الحج عنه مع قدرته عليه أن يملك ماله لابنه أو زوجته عند خروج الركب فإذا بعد استرد ماله، والحيلة لمن أراد حرمان وارثه ميراثه أن يقر بماله كله لغيره عند الموت .

والحيلة لمن أراد إبطال الزكاة وإسقاط فرضها عنه بالكلية أن يملك ماله عند الحول لابنه أو امرأته أو أجنبى ساعة من زمان ثم يسترده منه، ويفعل هكذا كل عام، فيبطل فرض الزكاة عنه أبدا .

والحيلة لمن أراد أن يملك مال غيره بغير رضاه أن يفسده عليه أو يغير صورته فيملكه، فيذبح شاته، ويشق قميصه، ويطحن حبه ويخبزه ونحو ذلك، والحيلة لمن أراد قتل غيره ولا يقتل به أن يضربه بدبوس أو مرزبة حديد ينشر دماغه فلا يجب عليه قصاص . . .

والحيلة لمن أراد أن يسقط عنه حد السرقة أن يدعى أن المال له وأن له فيه شركة فيسقط عنه القطع بمجرد دعواه أو ينقب الدار ثم يدع غلامه أو ابنه أو شريكه يدخل ويخرج متاعه، أو يدعه على ظهر دابة تخرج به، ونحو ذلك .

والحيلة لمن أراد سقوط حد الزنا عنه بعد أن يشهد به عليه أربعة عدول غير متهمين أن يصدقهم فيسقط عنه الحد بمجرد تصديقهم، والحيلة لمن أراد قطع يد غيره ولا يقطع بها أن يمسك هو وآخر السكين أو السيف ويقطعانها معا، والحيلة لمن أرادت التخلف عن زوجها فى السفر أن تقر لغيره بدين، والحيلة لمن أراد الصيد فى الإحرام أن ينصب الشباك قبل أن يحرم ثم يأخذ ما وقع فيها حال إحرامه بعد أن يحل .

تكفير من يفتى بهذه الحيل :

فهذه الحيل وأمثالها لا يحل لمسلم أن يفتى بها فى دين الله تعالى، ومن استحل الفتوى بهذه فهو الذى كفره الإمام أحمد وغيره من الأئمة، حتى قالوا: إن من أفتى بهذه الحيل فقد قلب الإسلام ظهرا لبطن، ونقض عرى الإسلام عروة عروة .

وقال بعض أهل الحيل: ما نقموا علينا من أنا عمدنا إلى أشياء كانت حراما عليهم، فاحتلنا فيها حتى صارت حلالا .

وقال آخر منهم: إنا نحتال للناس منذ كذا وكذا سنة فى تحليل ما حرم الله عليهم .

قال أحمد بن زهير بن مروان: كانت امرأة هاهنا بمرو، أرادت أن تختلع من زوجها، فأبى زوجها عليها، فقيل لها: لو ارتددت عن الإسلام لبنت منه، ففعلت، فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك، فقال: من وضع هذا الكتاب فهو كافر، ومن سمع به ورضى به فهو كافر، ومن حمله من كورة إلى كورة فهو كافر، ومن كان عنده فرضى به فهو كافر.

وقال إسحاق بن راهويه عن شقيق بن عبد الملك: إن ابن المبارك قال فى قصة بنت أبى روح أمرت بالارتداد، وذلك فى أيام أبى غسان، فذكر شيئا، ثم قال ابن المبارك وهو مغضب: أحدثوا فى الإسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده أو فى بيته ليأمر به أو هويه ولم يأمر به فهو كافر، ثم قال ابن المبارك: ما أرى الشيطان كان يحسن مثل هذا، حتى جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، أو كان يحسنهاولم يجد من يمضيها فيهم حتى جاء هؤلاء .

وقال إسحاق الطالقانى: قيل يا أبا عبد الرحمن إن هذا الكتاب وضعه إبليس، قال: إبليس من الأبالسة.

وقال النضر بن شميل: فى كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسألة كلها كفر.

وقال أبو حاتم الرازى، قال شريك، يعنى: ابن عبد الله قاضى الكوفة وذكر له كتاب الحيل، فقال: «من يخادع الله يخدعه».

وقال حفص بن غياث: ينبغى أن يكتب عليه كتاب الفجور، قال إسماعيل بن حماد: قال القاسم بن معن يعنى ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قاضى الكوفة: كتابكم هذا الذى كتبتموه فى الحيل كتاب الفجور.

وقال حماد بن زيد: سمعت أيوب يقول: ويلهم! من يخدعون؟ يعنى أصحاب الحيل. .

لماذا حكم الأئمة بما سبق؟

وإنما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم هذا الكلام فى هذه الحيل لأن فيها الاحتيال على تأخير صوم رمضان، وإسقاط فرائض الله تعالى من الحج والزكاة وإسقاط حقوق المسلمين، واستحلال ما حرم الله من الربا والزنا، وأخذ أموال الناس وسفك دمائهم، وفسخ العقود اللازمة والكذب وشهادة الزور وإباحة الكفر.

وهذه الحيل دائرة بين الكفر والفسوق، ولا يجوز أن تنسب هذه الحيل إلى أحد من الأئمة، ومن نسبها إلى أحد منهم فهو جاهل بأصولهم ومقاديرهم ومنزلتهم من الإسلام، ولإن كان بعض هذه الحيل قد تنفذ على أصول إمام بحيث إذا فعلها المتحيل نفذ حكمها عنده، ولكن هذا أمر غير الإذن فيه وإباحتها وتعليمها، فإن إباحتها شىء ونفوذها إذا فعلت شىء، ولا يلزم من كون الفقيه والمفتى لا يبطلها أن يبيحها ويأذن فيها، وكثير من العقود يحرمها الفقيه ثم ينفذها ولا يبطلها، ولكن الذى ندين الله به تحريمها وإبطالها وعدم تنفيذها، ومقابلة أربابها بنقيض مقصودهم موافقة لشرع الله تعالى وحكمته وقدرته.

نسبتها إلى إمام قدح فى إمامته:

والمقصود أن هذه الحيل لا تجوز أن تنسب إلى إمام، فإن ذلك قدح فى إمامته، وذلك يتضمن القدح فى الأمة حيث ائتمت بمن لا يصلح للإمامة وفى ذلك نسبه لبعض الأئمة إلى تكفير أو تفسيق، وهذا غير جائز، ولو فرض أنه حكى عن واحد من الأئمة بعض هذه الحيل المجمع على تحريمها.

فإما أن تكون الحكاية باطلة، أو يكون الحاكى لم يضبط لفظه فاشتبه عليه فتواه بنفوذها بفتواه بإباحتها مع بعد ما بينهما، ولو فرض وقوعها منه فى وقت ما فلا بد أن يكون قد رجع عن ذلك، وإن لم يحمل الأمر على ذلك لزم القدح فى الإمام وفى جماعة المسلمين المؤتمين به، وكلاهما غير جائز، ولا خلاف بين الأمة أنه لا يجوز الإذن فى التكلم بكلمة الكفر لغرض من الإغراض، إلا المكره إذا اطمأن قلبه بالإيمان.

ثم إن هذا على مذهب أبى حنيفة وأصحابه أشد، فإنهم لا يأذنون فى كلمات وأفعال دون ذلك بكثير، ويقولون: إنها كفر، حتى قالوا: لو قال الكافر لرجل: إنى أريد أن أسلم فقال له: اصبر ساعة، فقد كفر، فكيف بالأمر بإنشاء الكفر؟ وقالوا: لو قال: مسيجد أو صغر لفظ المصحف كفر.

الأئمة برآء مما نسب إليهم:

فعلمت أن هؤلاء المحتالين الذين يفتون بالحيل التى هى كفر أو حرام ليسوا مقتدين بمذهب أحد من الأئمة، وأن الأئمة أعلم بالله ورسوله ودينه وأتقى له من أن يفتوا بهذه الحيل، وقد قال أبو داود فى مسائله: سمعت أحمد وذكر أصحاب الحيل: يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ.

وقال فى رواية أبى الحارث الصانع: هذه الحيل التى وضعوها عمدوا إلى السنن واحتالوا لنقضها، والشىء الذى قيل لهم إنه حرام احتالوا فيه حتى أحلوه، قالوا: الرهن لا يحل أن يستعمل، ثم قالوا: يحتال له حتى يستعمل فكيف يحل بحيلة ما حرم الله ورسوله؟ وقال صلى الله عليه وسلم: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فأذابوها فباعوها وأكلوا أثمانها (متفق عليه)، أذابوها حتى أزالوا عنها اسم الشحم، وقد لعن رسول الله ـ ﷺ ـ المحلل والمحلل له.

وقال فى رواية ابن صالح: عجبت مما يقول أرباب الحيل فى الحيل فى الأيمان، يبطلون الأيمان، بالحيل وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١] وقال: ﴿يوفون بالنذر﴾ [الإنسان: ٧] وكان ابن عيينة يشتد عليه أمر هذه الحيل.

وقال فى رواية الميمونى وقد سأله : إنهم يقولون فى رجل حلف على امرأته وهى على درجة إن صعدت أو نزلت طالق ، قالوا تحمل حملا ، فقال : هلا هو الحنث بعينه ، ليست هذه حيلة ، هذا هو الحنث .

وقالوا : إذا حلف لا يطأ بساطا يطأ بساطين ، وإذا حلف لا يدخل دارا يحمل ، فأقبل أبو عبد الله يعجب .

أدلة عقلية على تحريم الحيل :

فصل : ومما يدل على بطلان الحيل وتحريمها أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات وحرم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده فى معاشهم ومعادهم ، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذى لا بد لهم منه والدواء الذى لا يندفع الداء إلا به ، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرض الله وتعطيل ما شرع الله كان ساعيا فى دين الله بالفساد من وجوه :

أحدها : إبطال ما فى الأمر المحتال عليه من حكمة الشارع ، ونقض حكمته فيه ومناقضته له .

والثانى : أن الأمر المحتال به ليس له عنده حقيقة ، ولا هو مقصوده ، وهو ظاهر المشروع ، فالمشروع ليس مقصودا له ، والمقصود له : هو المحرم نفسه ، وهذا ظاهر كل الظهور فيما يقصد الشارع ، فإن المرابى مثلا مقصوده الربا المحرم ، وصورة البيع الجائز غير مقصودة له ، وكذلك المتحيل على إسقاط الفرائض بتمليك ماله لمن لا يهبه درهما واحدًا حقيقة مقصوده إسقاط الفرض ، وظاهر الهبة المشروعة غير مقصودة له .

الثالث : نسبته ذلك إلى الشارع الحكيم : وإلى شريعته التى هى غذاء القلوب ودواؤها وشفاؤها ، ولو أن رجلا تحيل حتى قلب الغذاء والدواء إلى ضده ، فجعل الغذاء دواء ، والدواء غذاء ، إما بتغيير اسمه أو صورته مع بقاء حقيقته لأهلك الناس .

فمن عمد إلى الأدوية المُسهلة فغير صورتها أو أسماءها وجعلها غذاء للناس ، أو عمد إلى السموم القاتلة فغير أسماءها وصورتها وجعلها أدوية أو إلى الأغذية الصالحة فغير أسماءها وصورها ؛ كان ساعيا بالفساد فى الطبيعة ، كما أن هذا ساع بالفساد فى الشريعة ؛ فإن الشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء والدواء للأبدان وإنما ذلك بحقائقها لا بأسمائها وصورها .

الإشارة إلى الحكمة فى تحريم ما حرم الله :

وبيان ذلك على وجه الإشارة أن الله سبحانه وتعالى حرم الربا والزنا وتوابعهما ووسائلهما ؛ لما فى ذلك من الفساد ، وأباح البيع والنكاح وتوابعهما لأن ذلك مصلحة محضة ، ولا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق فى الحقيقة ، وإلا لكان البيع مثل الربا والنكاح مثل الزنا .

ومعلوم أن الفرق فى الصورة دون الحقيقة ملغى عند الله ورسوله وفى فطر عباده ، فإن الاعتبار بالمقاصد والمعانى فى الأقوال والأفعال ، فإن الألفاظ إذا اختلفت ومعناها واحد كان حكمها واحدا ، فإذا اتفقت الألفاظ واختلفت المعانى كان حكمها مختلفا ، وكذلك الأعمال إذا اختلفت صورها واتفقت مقاصدها .

وعلى هذه القاعدة ينبى الأمر والنهى والثواب والعقاب ، ومن تأمل الشريعة علم بالاضطرار صحة هذا ، فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال ، وحقيقته ومقصوده حقيقة الحرام ؛ فلا يكون حلالا ، فلا يترتب عليه أحكام الحلال ، فيقع باطلا ، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام ، وإن لم تكن صورته صورته ، فيجب أن يكون حراما لمشاركته للحرام فى الحقيقة .

لا تعلق الأحكام إلا على المعانى :

ويا لله العجب! أين القياس والنظر فى المعانى المؤثرة وغير المؤثرة فرق وجمعًا؟ والكلام فى المناسبات ورعاية المصالح وتحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه وإبطال قول من علّق الأحكام بالأوصاف الطردية التى لا مناسبة بينها وبين الحكم ، فكيف يعلقه بالأوصاف المناسبة لضد الحكم؟ وكيف يعلق الأحكام على مجرد الألفاظ والصور الظاهرة التى لا مناسبة بينها وبينها ويدع المعانى المناسبة المفضية لها التى ارتباطها بها كارتباط العلل العقلية بمعلولاتها؟

والعجب منه كيف ينكر مع ذلك على أهل الظاهر المتمسكين بظواهر كتاب ربهم وسنة نبيهم حيث لا يقوم دليل يخالف الظاهر ثم بظواهر أفعال المكلفين وأقوالهم حيث يعلم أن الباطن والقصد بخلاف ذلك؟

ويعلم لو تأمل حق التأمل أن مقصود الشارع غير ذلك، كما يقطع بأن مقصوده من إيجاب الزكاة سد خلة المساكين وذوى الحاجات وحصول المصالح التى أرادها بتخصيص هذه الأوصاف من حماية المسلمين والذب عن حوزة الإسلام، فإذا أسقطها بالتحيل فقد خالف مقصود الشارع وحصل مقصود المتحيل.

الواجب هو أن يحصل مقصود الله ورسوله :

والواجب الذى لايجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين، وكذلك يعلم قطعا أنه إنما حرم الربا لما فيه من الضرر بالمحاويج، وأن مقصوده إزالة هذه المفسدة؛ فإذا أبيح التحليل على ذلك كان سعيًا فى إبطال مقصود الشارع وتحصيلا لمقصود المرابى، وهذه سبيل جميع الحيل المتوسل بها إلى تحليل الحرام وإسقاط الواجب.

وبهذه الطريق تبطل جميعا، ألا ترى أن المتحيل لإسقاط الاستبراء مبطل لمقصود الشارع من حكمة الاستبراء ومصلحته؛ فالمعين له على ذلك مفوت لمقصود الشارع محصل لمقصود التحليل، وكذلك التحيل على إبطال حقوق المسلمين التى ملكهم إياها الشارع وجعلهم أحق بها من غيرهم إزالة لضررهم وتحصيلا لمصالحهم.

عود إلى الأدلة العقلية على بطلان الحيل :

فلو أباح التحيل لإسقاطها لكان عدم إثباتها للمستحقين أولى وأقل ضررا من أن يثبتها ويوصى بها ويبالغ فى تحصيلها ثم يشرع التحيل لإبطالها وإسقاطها وهل ذلك إلا بمنزلة من بنى بناء مشيدا وبالغ فى إحكامه وإتقانه، ثم عاد فنقضه، وبمنزلة من أمر بإكرام رجل والمبالغة فى بره والإحسان إليه وأداء حقوقه، ثم أباح لمن أمره أن يتحيل بأنواع الحيل لإهانته وترك حقوقه، ولهذا يسىء الكفار والمنافقون ومن فى قلوبهم المرض الظن بالإسلام والشرع الذى بعث الله به رسوله حيث ظنوا أن هذه الحيل مما جاء به الرسول وعلموا مناقضتها للمصالح مناقضة ظاهرة ومنافاتها لحكمة الرب وعدله ورحمته وحمايته وصيانته لعباده.

فإنه نهاهم عما نهاهم عنه حمايةً وصيانة، فكيف يبيح لهم الحيل على ما حماهم عنه؟ وكيف يبيح لهم التحيل على إسقاط ما فرضه عليهم وعلى إضاعة الحقوق التى أحقها عليهم لبعضهم بعضا لقيام مصالح النوع الإنسانى التى لا تتم إلا بما شرعه؟

فهذه الشريعة شرعها الذى علم ما فى ضمنها. من المصالح والحِكم والغايات المحمودة وما فى خلافها من ضد ذلك، وهذا أمر ثابت لها لذاتها وبائن من أمر الرب تبارك وتعالى بها ونهيه عنها، فالمأمور به مصلحة وحسن فى نفسه، واكتسى بأمر الرب تعالى مصلحة وحسنا آخر، فازداد حسنا بالأمر ومحبة الرب وطلبه له إلى حسنه فى نفسه.

وكذلك المنهى عنه مفسدة وقبيح فى نفسه، وازداد بنهى الرب تعالى عنه وبغضه له وكراهيته له قبحا إلى قبحه، وما كان هكذا لم يجز أن ينقلب حسنه قبحا بتغير الاسم والصورة مع بقاء الماهية والحقيقة.

ألا ترى أن الشارع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله حرَّم بيع الثمار قبل بُدوِّ صلاحها لما فيه من مفسدة التشاحن والتشاجر، ولما يؤدى إليه - إن منع الله الثمرة - من أكل مال أخيه بغير حق ظلما وعدوانا، ومعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بالتحيل على البيع قبل بدوِّ الصلاح، فإن الحيلة لاتؤثر فى زوال هذه المفسدة، ولا فى تخفيفها، ولا فى زوال ذرة منها؛ فمفسدة هذا العقد أمر ثابت له لنفسه، فالحيلة إن لم تزده فسادًا لم تُزِل فسادا.

وكذلك شرع الله تعالى الاستبراء لإزالة مفسدة اختلاط المياه وفساد الأنساب وسَقى الإنسان بمائه زرع غيره، وفى ذلك من المفاسد ما تُوجبُ العقول تحريمه لو لم تأت به شريعة؛ ولهذا فطر الله الناس على استهجانه واستقباحه، ويرون من أعظم الهجن أن يقوم هذا عن المرأة ويخلفه الآخر عليها؛ ولهذا حرم نكاح الزانية وأوجب العِدد والاستبراء، ومن المعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بالحيلة على إسقاط الاستبراء، ولا تخف، وكذلك شرع الحج إلى بيته لأنه قوام للناس فى معاشهم ومعادهم.

ولو عطل البيت الحرام عاما واحدا عن الحج لما أهمل الناس، ولعوجلوا بالعقوبة، وتوعد من ملك الزاد والراحلة ولم يحج بالموت على غير الإسلام، ومعلوم أن التحيل لإسقاطه لا يزيل مفسدة الترك، ولو أن الناس كلهم تحيلوا لترك الحج والزكاة لبطلت فائدة هذين الفرضين العظيمين، وارتفع من

الأرض حكمهما بالكلية، وقيل للناس : إن شئتم كلكم أن تتحيلوا لإسقاطهما فافعلوا، فليتصور العبد ما في إسقاطهما من الفساد المضاد لشرع الله وإحسانه وحكمته.

وكذلك الحدود جعلها الله تعالى زواجر للنفوس وعقوبة ونكالا وتطهيرا، فشرعها من أعظم مصالح العباد في المعاش والمعاد، بل لا تتم سياسة ملك من ملوك الأرض إلا بزواجر وعقوبات لأرباب الجرائم، ومعلوم ما في التحيل لإسقاطها من منافاة هذا الغرض وإبطاله وتسليط النفوس الشريرة على تلك الجنايات إذا علمت أن لها طريقا إلى إبطال عقوباتها فيها، وأنها تسقط تلك العقوبات بأدنى الحيل.

فإنه لا فرق عندها البتة بين أن تعلم أنه لا عقوبة عليها فيها وبين أن تعلم أن لها عقوبة وأن لها إسقاطها بأدنى الحيل، ولهذا احتاج البلد الذى تظهر فيه هذه الحيل إلى سياسة وال أو أمير يأخذ يد الجناة ويكف شرهم عن الناس إذا لم يمكن أرباب الحيل أن يقوموا بذلك، وهذا بخلاف الأزمنة والأمكنة التى قام الناس فيها بحقائق ما بعث الله به رسوله ﷺ؛ فإنهم لم يحتاجوا معها إلى سياسة أمير ولا وال.

طرف مما كان عليه أهل المدينة :

كما كان أهل المدينة فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإنهم كانوا يحدون بالرائحة وبالقيء وبالحبل وبظهور المسروق عند السارق، ويقتلون فى القسامة، ويعاقبون أهل التهم، ولا يقبلون الدعوى التى تكذبها العادة والعرف، ولا يرون الحيل فى شيء من الدين ويعاقبون أربابها، ويحبسون فى التهم حتى يتبين حال المتهم : فإن ظهرت براءته خلوا سبيله، وإن ظهر فجوره قرروه بالعقوبة اقتداء بسنة رسول الله ﷺ فى عقوبة المتهمين وحبسهم؛ فإن رسول الله ﷺ - حبس فى تهمة وعاقب فى تهمة ...

ما فى ضمن المحرمات من المفاسد يمنع أن يشرع إليها التحيل :

والمقصود أن ما فى ضمن المحرمات من المفاسد والمأمورات من المصالح يمنع أن يشرع إليها التحيل بما يبيحها ويسقطها، وأن ذلك مناقضة ظاهرة، ألا ترى أنه بالغ فى لعن المحلل للمفاسد الظاهرة والباطنة التى فى التحليل التي يعجز البشر عن الإحاطة بتفاصيلها.

فالتحيل على صحة هذا النكاح بتقديم اشتراط التحليل عليه وإخلاء صلبه عنه إن لم يزد مفسدته لا يزيلها ولا يخففها، وليس تحريمه والمبالغة فى لعن فاعله تعبدا لا يعقل معناه، بل هو معقول المعنى من محاسن الشريعة بل لا يمكن شريعة الإسلام ولا غيرها من شرائع الأنبياء أن تأتى بحيلة، فالتحيل على وقوعه وصحته إبطال لغرض الشارع وتصحيح لغرض المتحيل المخادع.

لم حرم الصيد فى الإحرام؟

وكذلك الشارع حرم الصيد فى الإحرام وتوعد بالانتقام على من عاد إليه بعد التحريم، لما فيه من المفسدة الموجبة لتحريمه وانتقام الرب من فاعله، ومعلوم قطعا أن هذه المفسدة لا تزول بنصب الشباك له قبل الإحرام بلحظة، فإذا وقع فيها حال الإحرام أخذه بعد الحل بلحظة، فإباحته لمن فعل هذا إبطال لغرض الشارع الحكيم وتصحيح لغرض المخادع. .

حكمة تشريع حدود الجرائم :

وكذلك الشارع شرع حدود الجرائم التى تتقاضاها الطباع أشد تقاض لما فى إهمال عقوباتها من مفاسد الدنيا والآخرة، بحيث لا يمكن سياسة ملك مامن الملوك أن يخلو عن عقوباتها البتة، ولا يقوم ملكه بذلك، فالإذن فى التحيل لإسقاطها بصورة العقد وغيره مع وجود تلك المفاسد بعينها أو أعظم منها نقض وإبطال لمقصود الشارع، وتصحيح لمقصود الجاني، وإغراء بالمفاسد، وتسليط للنفوس على الشر.

عود مرة أخرى إلى إبطال الحيل :

ويالله العجب! كيف يجتمع فى الشريعة تحريم الزنا والمبالغة فى المنع منه وقتل فاعله شر القتلات وأقبحها وأشنعها وأشهرها ثم يسقط بالتحيل عليه بأن يستأجرها لذلك أو لغيره ثم يقضى غرضه منها؟ وهل يعجز عن ذلك زان أبدا؟ وهل فى طباع ولاة الأمر أن يقبلوا قول الزانى : أنا استأجرتها للزنا، أو استأجرتها لتطوى ثيابى ثم قضيت غرضى منها، فلا يحل لك أن تقيم على الحد؟ وهل ركّب الله فى فِطَرِ الناس سقوط الحد عن هذه الجريمة التى هى من أعظم الجرائم إفسادا للفرش والأنساب بمثل هذا؟!

ويا لله العجب! كيف يسقط القطع عمن اعتاد سرقة أموال

الناس وكلما أمسك معه المال المسروق قال : هذا ملكى ، والدار التى دخلتها دارى، والرجل الذى دخلت داره عبدى؟ قال أرباب الحيل : فيسقط عنه الحد بدعوى ذلك ، فهل تأتى بهذا سياسة قط جائرة أو عادلة ، فضلا عن شريعة نبى من الأنبياء ، فضلا عن الشريعة التى هى أكمل شريعة طرقت العالم؟

وكذلك الشارع أوجب الإنفاق على الأقارب؛ لما فى ذلك من قيام مصالحهم ومصالح المنفق، ولما فى تركهم من إضاعتهم، فالتحيل لإسقاط الواجب بالتمليك فى الصورة مناقضة لغرض الشارع وتتميم لغرض الماكر المحتال وعود إلى نفس الفساد الذى قصد الشارع إعدامه بأقرب الطرق، ولو تحيل هذا المخادع على إسقاط نفقة دوابه لهلكوا، وكذلك ما فرضه الله تعالى للوارث من الميراث هو حق له جعله أولى من سائر الناس به، فإباحة التحيل لإسقاطه بالإقرار بماله كله للأجنبى وإخراج الوارث مضادة لشرع الله ودينه ونقض لغرضه وإتمام لغرض المحتال، وكذلك تعليم المرأة أن تقر بدين لأجنبى إذا أراد زوجها السفر بها .

أكثر الحيل لا تمشى على أصول الأئمة :

فصل : وأكثر هذه الحيل لا تمشى على أصول الأئمة ، بل تناقضها أعظم مناقضة .

عند الشافعى :

وبيانه : أن الشافعى رضى الله عنه يحرم مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم ويبالغ فى تحريمها بكل طريق خوفا أن يتخذ حيلة على نوع ما من ربا الفضل، فتحريمه للحيل الصريحة التى يتوصل بها إلى ربا النساء أولى من تحريم مد عجوة بكثير؛ فإن التحيل بمد ودرهم من الطرفين على ربا الفضل أخف من التحيل بالعِينَة على ربا النساء ، وأين مفسدة هذه من مفسدة تلك؟ وأين حقيقة الربا فى هذه من حقيقته فى تلك؟ .

عند أبى حنيفة :

وأبو حنيفة يحرم مسألة العينة، وتحريمه لها يوجب تحريمه للحيلة فى مسألة مد عجوة يبيعه خمسة عشر درهما بعشرة فى خرقة ، فالشافعى يبالغ فى تحريم مسألة مد عجوة ويبيح العينة ، وأبو حنيفة يبالغ فى تحريم العينة ويبيح مسائل مد عجوة ، ويتوسع فيها، وأصل كل من الإمامين رضى الله عنهما فى أحد البابين يستلزم إبطال الحيلة فى الباب الآخر ، وهذا من أقوى التخريج على أصولهم ونصوصهم، وكثير من الأقوال المخرجة دون هذا .

الحيل تقتضى رفع التحريم :

فقد ظهر أن الحيل المحرمة فى الدين تقتضى رفع التحريم مع قيام موجبه، ومقتضيه وإسقاط الوجوب مع قيام سببه، وذلك حرام من وجوه .

أحدها : استلزامها فعل المحرم وترك الواجب .

والثانى : ما يتضمن من المكر والخداع والتلبيس .

والثالث : الإغراء بها والدلالة عليها وتعليمها من لا يحسنها .

والرابع : إضافتها إلى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها .

والخامس : أن صاحبها لا يتوب منها ولا يعدها ذنبا .

والسادس : إنه يخادع الله كما يخادع المخلوق .

والسابع : أنه يسلط أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه .

والثامن : أنه يعمل فكره واجتهاده فى نقض ما أبرمه الرسول وإبطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه .

والتاسع : أنه إعانة ظاهرة على الإثم والعدوان، وإنما اختلف الطريق فهذا يعين عليه بحيلة ظاهرها صحيح مشروع يتوصل بها إليه، وذاك يعين عليه بطريقة المفضية إليه بنفسها، فكيف كان هذا معينا على الإثم والعدوان، والمتحيل المخادع يعين على البر والتقوى؟

العاشر : أن هذا ظلم فى حق الله وحق رسوله وحق دينه وحق نفسه وحق العبد المعين وحقوق عموم المؤمنين، فإنه يغرى به ويعلمه ويدل عليه، والمتوصل إليه بطريق المعصية لا يظلم إلا نفسه . ومن تعلق به ظلمه من المعينين فإنه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدى به الناس، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره؟ وبالله التوفيق .

أدلة المجوزين للحيل :

فصل : قال أرباب الحيل : قد أكثرتم من ذم الحيل، وأجلبتم بخيل الأدلة ورجلها ومهزولها، فاستمعوا الآن تقريرها

واشتقاقها من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأئمة الإسلام، وأنه لا يمكن أحد إنكارها.

أدلتهم من القرآن:

قال تعالى لنبيه أيوب: ﴿**وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث**﴾ [ص: ٤٤] فأذن لنبيه أيوب أن يتحلل من يمينه بالضرب بالضغث، وقد كان نذر أن يضربها ضربات معدودة، وهى فى المتعارف الظاهر إنما تكون متفرقة، فأرشده تعالى إلى الحيلة فى خروجه من اليمين، فنقيس عليه سائر الباب، ونسميه وجوه المخارج من المضائق، ولا نسميه بالحيل التى ينفر الناس من اسمها.

وأخبر تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه جعل صواعه فى رحل أخيه يتوصل بذلك إلى أخذه من إخوته، ومدحه بذلك، وأخبر أنه برضاه وإذنه، كما قال: ﴿**كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم**﴾ [يوسف: ٧٦] فأخبر أن هذا كيده لنبيه، وأنه بمشيئته، وإنه يرفع درجة عبده بلطيف العلم ودقيقه الذى لا يهتدى إليه سواه، وأن ذلك من علمه وحكمته.

وقال تعالى: ﴿**ومكروا مكرا، ومكرنا مكرا، وهم لا يشعرون**﴾ [النمل: ٥] فأخبر تعالى أنه مكر بمن مكر بأنبيائه ورسله، وكثير من الحيل هذا شأنها، يمكر بها على الظالم والفاجر ومن يعسر تخليص الحق منه؛ فتكون وسيلة إلى نصر مظلوم وقهر ظالم ونصر حق وإبطال باطل.

والله تعالى قادر على أخذها بغير وجه المكر الحسن، ولكن جازاهم بجنس عملهم، وليعلم عباده أن المكر الذى يتوصل به إلى إظهار الحق، ويكون عقوبة للماكر ليس قبيحا.

وكذلك قوله: ﴿**إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم**﴾ [النساء: ١٤٢] وخداعه لهم أن يظهر لهم أمرا ويبطن لهم خلافه، فما تنكرون على أرباب الحيل الذين يظهرون أمرا يتوصلون به إلى باطن غيره اقتداء بفعل الله تعالى؟

أدلتهم من السنة:

وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد: «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءهم بتمر جنيب، فقال: أكلّ تمر خيبر هكذا؟ قال: إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاث، فقال: لاتفعل، بع الجميع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» وقال فى الميراث مثل ذلك، فأرشده إلى الحيلة على التخلص من الربا بتوسط العقد الآخر، وهذا أصل فى جواز العينة.

وهل الحيل إلا معاريض فى الفعل على وزان المعاريض فى القول؟ وإذا كان فى المعاريض مندوحة عن الكذب ففى معاريض الفعل مندوحة عن المحرمات وتخلص من المضايق.

وقد لقى النبى ﷺ طائفة من المشركين وهو فى نفر من أصحابه، فقال المشركون: ممن أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: أحياء اليمن كثير، فلعلهم منهم، وانصرفوا».

وقد جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: احملنى، فقال «ماعندى إلا ولد ناقة» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبى ﷺ عليه وسلم: «وهل يلد الإبل إلا النوق؟».

أدلة من عمل السلف:

وكان بعض السلف إذا أراد ألا يطعم طعاما لرجل قال: أصبحت صائما، يريد أن أنه أصبح فيما سلف صائما قبل ذلك اليوم، وكان محمد بن سيرين إذا اقتضاه بعض غرمائه وليس عنده ما يعطيه قال: أعطيك فى أحد اليومين إن شاء الله، يريد بذلك يومى الدنيا والآخرة، وسأل رجل عن المروزى وهو فى دار أحمد بن حنبل، فكره الخروج إليه، فوضع أحمد أصبعه فى كفه، فقال: ليس المروزى ها هنا، وما يصنع المروزى هاهنا؟

وحضر سفيان الثورى مجلسا، فلما أراد النهوض منعوه، فحلف أنه يعود، ثم خرج وترك نعله كالناسى لها، فلما خرج عاد وأخذها وانصرف.

وقد كان لشريح فى هذا الباب فقه دقيق، كما أعجب رجلا فرسه وأراد أخذها منه، فقال له شريح: إنها إذا أربضت لم تقم حتى تقام، فقال الرجل: أف أف، وإنما أراد شريح أن الله هو الذى يقيمها، وباع من رجل ناقة، فقال له المشترى: كما تحمل؟ فقال: احمل على الحائط ما شئت فقال: كم تحلب؟ قال: احلب فى أى إناء شئت، فقال: كيف سيرها؟

قال الريح، لا تلحق، فلما قبضها المشترى لم يجد شيئا من ذلك، فجاء إليه وقال: ما وجدت شيئا من ذلك، فقال: ما كذبتك.

أدلة أخرى لأصحاب الحيل:

قالوا: ومن المعلوم أن الشارع جعل العقود وسائل وطرقا إلى إسقاط الحدود والمآثم، ولهذا لو وطيء الإنسان امرأة أجنبية من غير عقد ولا شبهة لزمه الحد، فإذا عقد عليها عقد النكاح ثم وطئها لم يلزمه الحد، وكان العقد حيلة على إسقاط الحد، بل قد جعل الله تعالى الأكل والشرب واللباس حيلة على دفع أذى الجوع والعطش والبرد، والاكتفاء حيلة إلى دفع الصائل من الحيوان وغيره، وعقد التبايع حيلة على حصول الانتفاع بملك الغير، وسائر العقود حيلة على التوصل إلى ما لا يباح إلا بها، وشرع الرهن حيلة على رجوع صاحب الدين فى ماله من عين الرهن إذا أفلس الراهن أو تعذر الاستيفاء منه.

وقد روى سلمة بن صالح، عن يزيد الواسطى، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن بريدة قال: سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أعظم آية فى كتاب الله، فقال: لا أخرج من المسجد حتى أخبرك، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه، فلما أخرج إحدى رجليه أخبره بالآية قبل أن يخرج رجله الأخرى.

كتاب الخصّاف فى الحيل:

وقد بنى الخصاف كتابه فى الحيل على هذا الحديث، ووجه الاستدلال به أن من حلف أن لا يفعل شيئا فأراد التخلص من الحنث بفعل بعضه لم يكن حانثا، فإذا حلف لا يأكل هذا الرغيف ولا يأخذ هذا المتاع فليدع بعضه ويأخذ الباقى ولا يحنث، وهذا أصل فى بابه فى التخلص من الأيمان.

عود إلى الاستدلال بعمل السلف فى جواز الحيل:

وهذا السلف الطيب قد فتحوا لنا هذا الباب، ونهجوا لنا هذا الطريق، فروى قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم فى رجل أخذه رجل فقال: إن لى معك حقا، فقال: لا، فقال: احلف لى بالمشى إلى بيت الله، فقال: يحلف له بالمشى إلى بيت الله، ويعنى به مسجد حيه، وبهذا الإسناد أنه قال له رجل: إن فلانا أمرنى أن آتى مكان كذا وكذا، وأنا لا أقدر على ذلك المكان، فكيف الحيلة؟ قال: والله ما أبصر إلا ماسددنى غيرى..

وذكر عبد الملك بن ميسرة عن النزال بنّ سَبْرَة قال: جعل حذيفة يحلف لعثمان بن عفان على أشياء بالله ما قالها، وقد سمعناه يقولها، فقلنا: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها، وقد سمعناك قلتها، فقال: إنى أشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله.

وذكر قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم أن رجلا قال له: إنى أنال من رجل شيئا فيبلغه عنى، فكيف أعتذر إليه؟ فقال له إبراهيم: قل و إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء، وكان إبراهيم يقول لأصحابه إذا خرجوا من عنده وهو مستخف من الحجاج: إن سئلتم عنى فاحلفوا بالله لا تدرون أين أنا، ولا فى أى موضع أنا، وأعنوا لا تدرون أين أنا من البيت، وفى أى موضع منه، وأنتم صادقون. وقال مجاهد عن ابن عباس: ما يسرنى بمعاريض الكلام حمر النعم.

الأدلة من الحديث:

وقد ثبت فى الصحيح من حديث حميد بن عبد الرحمن ابن عوف عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن معيط ـ وكانت من المهاجرات الأول ـ أن رسول الله ﷺ: رخص فى الكذب فى ثلاث: فى الرجل يصلح بين الناس، والرجل يكذب لامرأته، والكذب فى الحرب.

وقال معتمر بن سليمان التيمى عن أبيه: حدثنى نعيم بن أبى هند عن سويد بن غفلة أن عليا ـ كرم الله وجهه ـ فى الجنة لما قتل الزنادقة نظر فى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: صدق الله ورسوله، ثم قام فدخل بيته، فأكثر الناس في ذلك، فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين أشيء عهدإليك رسول الله ﷺ أم شيء رأيته؟ فقال: هل عليَّ من بأس أن أنظر إلى السماء؟ قلت: لا، قال: فهل عليَّ من بأس أن أنظر إلى الأرض؟ قلت: لا، قال: فهل عليَّ من بأس أن أقول صدق الله ورسوله؟ قلت: لا، قال: فإنى رجل مكائد.

وقال حجاج بن منهال: ثنا أبو عوانه عن أبى مسكين قال: كنت عند إبراهيم وامرأته تعاتبه فى جاريته وبيدها مروحة، فقال أشهدكم بأنها لها، فلما خرجنا قال: علام شهدتم؟ قلنا: أشهدتنا أنك جعلت الجارية لها، قال: أما رأيتمونى أشير إلى المروحة؟

قولهم لا بأس بالحيل :

وقال محمد بن الحسين عن عمرو بن دينار عن الشعبى : لا بأس بالحيل فيما يحل ويجوز، وإنما الحيل شيء يتخلص به الرجل من الحرام، ويخرج بـه إلى الحلال، فما كان من هذا ونحوه فلا بأس به، وإنما يكره من ذلك أن يحتال الرجل فى حق الرجل حتى يبطله، أو يحتال فى باطل حتى يوهم أنه حق، أو يحتال فى شيء حتى يدخل فيه شبهة، وأما ما كان على السبيل الذى قلنا فلا بأس بذلك .

استدلالهم بالقرآن :

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق : ٢] قال غير واحد من المفسرين : مخرجا مما ضاق على الناس، ولا ريب أن هذه الحيل مخارج مما ضاق على الناس، ألا ترى أن الحالف يضيق عليه إلزام ما حلف عليه، فيكون له بالحيلة مخرج منه، وكذلك الرجل تشتد به الضرورة إلى نفقة ولا يجد من يقرضه فيكون له من هذا الضيق فرج بالعينة والتورق (صورة من بيع العينة) ونحوهما، فلو لم يفعل ذلك لهلك ولهكت عياله، والله تعالى لا يشرع ذلك، ولا يضيق عليه شرعه الذى وسع جميع خلقه؛ فقد دار أمره بين ثلاثة لا بد له من واحد منها : إما إضاعة نفسه وعياله، وإما الربا صريحا، وإما المخرج من هذا الضيق بهذه الحيلة، فأوجدنا أمرًا رابعا نصير إليه .

وكذلك الرجل ينزعه الشيطان فيقع به الطلاق فيضيق عليه جدا مفارقة امرأته وأولاده وخراب بيته، فكيف ينكر فى حكمة الله ورحمته أن نتحيل له بحيلة تخرجه من هذا الإصر والغل؟ وهل الساعى فى ذلك إلا مأجور غير مأزور كما قاله إمام الظاهرية فى وقته : أبو محمد بن حزم، وأبو ثور وبعض أصحاب أبى حنيفة، وحملوا أحاديث التحريم على ما إذا شرط فى صلب العقد أنه نكاح تحليل؟

استدلالهم بعمل السلف وقولهم :

قالوا وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين قال : أرسلت امرأة إلى رجل، فزوجته نفسها ليحلها لزوجها، فأمره عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يقيم معها ولا يطلقها، وأوعده أن يعاقبه إن طلقها، فهذا أمير المؤمنين قد صحح نكاحه، ولم يأمره باستئنافه وهو حجة فى صحة نكاح المحلل والنكاح بلا ولى .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان لايرى بأسا بالتحليل، إذا لم يعلم أحد الزوجين، قال ابن حزم : وهو قول سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد .

وصح عن عطاء فيمن نكح امرأة محللا ثم رغب فيها فأمسكها، فقال : لا بأس بذلك .

وقال الشعبى : لا بأس بالتحليل إذا لم يأمر به الزوج .

قال الليث بن سعد : إن تزوجها ثم فارقها لترجع إلى زوجها ولم يعلم المطلق ولا هى بذلك وإنما كان ذلك إحسانا منه فلا بأس أن ترجع إلى الأول فإن بيَّن الثانى ذلك للأول بعد دخوله بها لم يضره .

وقال الشافعى وأبو ثور : المحلل الذى يفسد نكاحه هو الذى يعقد عليه فى نفس عقد النكاح أنه إنما يتزوجها ليحلها ثم يطلقها، فأما من لم يشترط ذلك فى عقد النكاح فعقده صحيح لا داخلة فيه، سواء شرط ذلك عليه قبل العقد أو لم يشرط، نوى ذلك أو لم ينوه، قال أبو ثور : وهو مأجور.

وروى بشر بن الوليد عن أبى يوسف وعن أبى مثل هذا سواء . وروى أيضا محمد وأبو يوسف عن أبى حنيفة : إذا نوى الثانى وهى تحليلها للأول لم تحل له بذلك .

وروى الحسن بن زياد عن زفر وأبى حنيفة : أنه إن اشترط عليه فى نفس العقد أنه إنما تزوجها ليحلها للأول فإنه نكاح صحيح، ويبطل الشرط، وله أن يقيم معها؛ فهذه ثلاث روايات عن أبى حنيفة .

قالوا : وقد قال الله تعالى ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره﴾ [البقرة : ٢٣٠] وهذا زوج، وقد عقد بمهر وولى ورضاها وخلوها من الموانع الشرعية، وهو راغب فى ردها إلى الأول، فيدخل فى حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «لا نكاح إلا نكاح رغبة»، وهذا نكاح رغبة فى تحليلها للمسلم كما أمر الله تعالى بقوله : ﴿حتى تنكح زوجا غيره﴾...

قالوا : وأما نكاح الدُّلسة فنعم هو باطل، ولكن ماهو نكاح الدلسة؟ فلعله أراد به أن تدلس له المرأة بغيرها، أو تدلِّس له أنها انقضت عدتها ولم تنقض لتستعجل عودها إلى الأول .

لم يلعن كل محلل :

وأما لعنه للمحلل فلا ريب أنه ﷺ لم يرد كل محلل

ومحلل لـه ، فإن الـولى محلل لمـا كـان حرامـا قبل العقـد ، والحـاكم المـزوج محلل بهـذا الاعتبار، والبـائع لأمتـه محلل للمشترى وطأها .

فإن قلنا : العـام إذا خص صار مجمـلا ، بطل الاحتجاج بالحديث ، وإن قلنا : هـو حجة فيما عدا محل التخصيص ، فذلك مشروط ببيان المراد منه ، ولسنا ندرى المحلل المراد من هـذا النص ، أهو الـذى نوى التحليل أو شـرطه قبل العقـد أو شرطه فى صلب العقـد؟ أو الذى أحل ما حرمـه الله ورسوله؟ ووجدنا كل من تـزوج مطلقة ثلاثا فإنـه محلل ، ولو لـم يشترط التحليل ولـم ينـوه ؛ فإن الحل حصل بـوطئـه وعقده؟ ومعلـوم قطعا أنه لـم يدخل فى النص .

فعلم أن النص إنما أراد به من أحل الحرام بفعله أو عقده ، ونحن وكل مسلم لا نشك فى أنه أهل للعنة الله ، وأما من قصد الإحسان إلى أخيه المسلم ورغب فى جمع شمله بزوجته ، ولمَّ شعثه وشعث أولاده وعيالـه فهو محسن ، وما على المحسنين من سبيل ، فضلا عن أن تلحقهم لعنة رسول الله ﷺ .

قواعد الفقه لا تحرم الحيل :

ثم قواعد الفقه وأدلتـه لا تحرم مثل ذلك ؛ فإن هذه العقود التى لم يشترط المحرم فى صلبها عقودا صدرت من أهلها فى محلها مقرونة بشروطها ، فيجب الحكم بصحتها ؛ لأن السبب هو الإيجاب والقبول وهما تامان ، وأهلية العاقد لا نزاع فيها ، ومحلية العقد قابلة ، فلم يبـق إلا القصد المقرون بالعقد ، ولا تأثير له فى بطلان الأسباب الظاهرة ، لوجوه .

أحدها : أن المحتـال مثلا إنما قصد الـربح الذى وضعت له التجـارة ، وإنما لكل امرىء مـا نوى ، فإذا حصل لـه الربح حصل له مقصوده ، وقد سلك الطريق المفضية إليه فى ظاهر الشـرع ، والمحلل غـايتـه أنـه قصـد الطـلاق ونـواه إذا وطىء المرأة ، وهو مما ملكه الشارع إياه ، فهو كما لو نوى المشترى إخـراج المبيع عـن ملكـه إذا اشتـراه ، وســر ذلك أن السبب مقتض لتأبد الملك ، والنية لا تغير موجب السبب حتى يقال ، إن النيـة تـوجب تأقيت العقد ، وليسـت هى منافيـة لمـوجب العقد ، فإن له أن يطلق .

ولو نوى بعقـد الشراء إتلاف المبيع وإحراقـه أو إغراقه لم يقدح فى صحـة البيع ، فنية الطلاق أولى ، وأيضا فـالقصد لا يقـدح فى اقتضاء السبـب لحكمه ؛ لأنـه خـارج عما يتم بـه العقد ، ولهذا من اشترى عصيـرا ومن نيته أن يتخذه خمرا ، أو جاريـة ومن نيته أن يكرههـا على البغاء أو يجعلهـا مغنية ، أو سلاحا ومن نيتـه أن يقتل به معصوما ، فكل ذلـك لا أثر له فى صحة البيع من جهة أنه منقطع عن السبب ، فلا يخرج السبب عن اقتضاء حكمه .

الفرق بين القصد والإكراه والشرط المفارق :

وقد ظهـر بهذا الفـرق بين هذا القصـد وبين الإكراه ، فإن الرضـا شرط فـى صحة العقد ، والإكـراه ينافـى الرضـا ، وظهر أيضـا الفرق بينـه وبين الشـرط المقـارن ، فإن الشرط المقـارن يقدح فى مقصود العقـد ، فغاية الأمر أن العاقد قصـد محرما ، لكن ذلك لا يمنع ثبـوت الملك . كما لو تـزوجها ليضـارَّ بها امرأة له أخرى ، ومما يؤيد ما ذكرنا أن النية إنما تعمل فى اللفظ المحتمل للمنـوى وغيـره ، مثل الكنـايـات ، ومثل أن يقـول : اشتريت كذا ، فإنه يحتمل أن يشتريه لنفسه ولموكله ، فإذا نوى أحدهمـا صح . فإذا كان السبب ظاهرا متعينـا لمسببه لم يكن للنية الباطنة أثر فى تغيير حكمه .

عن النية :

بـوضحه أن النيـة لا تـؤثـر فى اقتضـاء الأسباب الحسيـة والعقليـة المستلزمـة لمسببـاتها ولا تـؤثـر النيـة فى تغييرهـا ، يوضحـه أن النية إما أن تكـون بمنزلة الشـرط أو لا تكون ، فإن كـانت بمنزلـة الشرط لـزم أنه إذا نـوى أن لا يبيع ما اشتـراه ولا يهبه ولا يتصرف فيه ، أو نوى أن يخرجه عن ملكه ، أو نوى أن لا يطلق الـزوجة أو يبيت عنـدها كل ليلـة أو لا يسافـر عنها ، بمنزلة أن يشترط ذلك فى العقـد ، وهو خلاف الإجماع ، وإن لم تكن بمنزلة الشرط فلا تأثير له حينئذ .

لنا الظواهر ولله السرائر :

وأيضا فنحن لنا ظواهر الأمور ، وإلى الله سرائرهاوبواطنها ؛ ولهذا يقول الـرسل لربهم تعالى يوم القيـامة إذا سألهم : ﴿ماذا أجبتم﴾ ﴿ فيقـولـون لا علم لنـا إنك أنت عـلام الغيـوب ﴾ [المـائدة : ١٠٩] كان لنـا ظـواهرهم ، وأمـا مـا انطوت عليـه ضمائرهم وقلوبهم فأنت العالم به .

زعمهم أنه ظهر عذرهم فى الأخذ بالحيل :

قالوا : فقد ظهر عذرنا ، وقامت حجتنا ، فتبين أنا لـم نخرج

فيما أصلناه من اعتبار الظاهر، وعدم الالتفات إلى القصود فى العقود، وإلغاء الشروط المتقدمة الخالى عنها العقد، والتحيل على التخلص من مضايق الأيمان وما حرمه الله ورسوله من الربا وغيره ــ عن كتاب ربنا وسنة نبينا وأقوال السلف الطيب.

زعمهم أن عند كل طائفة منكرة عليهم ما يجيز الحيل :

ولنا بهذه الأصول رهن عند كل طائفة من الطوائف المنكرة علينا .

الحيل عند الشافعية :

قلنا عند الشافعية رهون كثيرة فى عدة مواضع، وقد سلموا لنا أن الشرط المتقدم على العقد ملغى، وسلموا لنا أن القصود غير معتبرة فى العقود، وسلموا لنا جواز التحيل على إسقاط الشفعة، وقالوا: يجوز التحيل على بيع المعدوم من الثمار فضلا عما لم يبد صلاحه بأن يؤجره الأرض ويساقيه على الثمر من كل ألف جزء على جزء، وهذا نفس الحيلة على بيع الثمار قبل وجودها، فكيف تنكرون علينا التحيل على بيعها قبل بدو صلاحها وهل مسألة العينة إلا ملك باب الحيل؟ وهم يبطلون الشركة بالعروض ثم يقولون: الحيلة فى جوازها أن يبيع كل منهما نصف عرضه لصاحبه، فيصيران شريكين حينئذ بالفعل، ويقولون: لا يصح تعليق الوكالة بالشرط والحيلة على جوازها أن يوكله الآن ويعلق تصرفه بالشرط، وقولهم فى الحيل على عدم الحنث بالمسألة السريجية معروف، وكل حيلة سواه محلل بالنسبة إليه؛ فإن هذه المسألة حيلة على أن يحلف دائما بالطلاق ويحنث ولا يقع عليه الطلاق أبدا .

الحيل عند المالكية :

وأما المالكية فهم من أشد الناس إنكارا علينا للحيل، وأصولهم تخالف أصولنا فى ذلك؛ إذ عندهم أن الشرط كالمقارن، والشرط العرفى كاللفظى، والقصود فى العقود معتبرة، والذرائع يجب سدها، والتغرير الفعلى كالتغرير القولى، وهذه الأصول تسد باب الحيل سدا محكما. ولكن قد علقنا لهم برهون نطالبهم بفكاكها أو بموافقتهم لنا على ما أنكروه علينا، فجوزوا التحيل على إسقاط الشفعة، وقالوا: لو تزوجها ومن نيته أن يقيم معها سنة صح النكاح، ولم تعمل هذه النية فى فساده .

الحيل عند الحنابلة :

وأما الحنابلة فبيننا وبينهم معترك النزال فى هذه المسائل؛ فإنهم هم الذين شنوا علينا الغارات، ورمونا بكل سلاح من الأثر والنظر، ولم يراعوا لنا حرمة، ولم يرقبوا فينا إلاّ ولا ذمة .

وقالوا: لو نصب شباكا للصيد قبل الإحرام ثم أخذ ما وقع فيها حال الإحرام بعد الحل جاز. وياالله العجب! أى فرق بين هذه الحيلة وحيلة أصحاب السبت على الحيتان؟ وقالوا: لو نوى الزوج الثانى أن يحلها للأول ولم يشترط ذلك جاز وحلت له؛ لأنه لم يشترط ذلك فى العقد، وهذا تصريح بأن النية لا تؤثر فى العقد .

وقالوا: لو تزوجها ومن نيته أن يقيم شهرا ثم يطلقها صح العقد، ولم تكن نية التوقيت مؤثرة فيه، وكلامهم فى باب المخارج من الأيمان بأنواع الحيل معروف، وعنا تلقوه، ومنا أخذوه .

وقالو: لو حلف أن لا يشترى منه ثوبا فاتهبه منه وشرط له العوض لا يحنث . وقالوا بجواز مسألة التورُّق وهى شقيقة مسألة العينة؛ فأى فرق بين مصير السلعة إلى البائع وبين مصيرها إلى غيره؟! بل قد يكون عودها إلى البائع أرفق بالمشترى وأقل كلفة عليه وأرفع لخسارته وتعنيه .

فكيف تحرمون الضرر اليسير وتبيحون ماهو أعظم منه والحقيقة فى الموضعين واحدة وهى عشرة بخمسة عشر وبينهما حريرة رجعت فى إحدى الصورتين إلى مالكها وفى الثانية إلى غيره؟

وقالوا: لو حلف بالطلاق لا يزوج عبده بأمته أبدا ثم أراد تزويجه بها ولا يحنث فإنه يبيع العبد والجارية من رجل ثم يزوجهما المشترى ثم يستردهما، قال القاضى: وهذا غير ممتنع على أصلنا؛ لأن عقد النكاح قد وجد فى حال زوال ملكه عنهما، ولا يتعلق باستدامة العقد بعد أن ملكهما؛ لأن التزويج عبارة عن العقد وقد انقضى وإنما بقى حكمه فلم يحنث باستدامة حكمه .

وقالوا: لو كان له عليه مال وهو محتاج فأحب أن يدعه له من زكاته فالحيلة أن يتصدق عليه بذلك القدر ثم يقبضه منه، ثم قالوا، فإن كان له شريك فيه فخاف أن يخاصمه فيه فالحيلة أن يهب المطلوب للطالب مالا بقدر حصة الطالب

مما لـه عليه ويقبضـه منه للطـالب ثم يتصدق للطـالب على المطلـوب بما وهبـه لـه ويحتسب بذلك مـن زكاتـه ثم يهب المطلـوب مالـه عليه من الـدين ولا يضمن الطـالب لشريكـه شيئـا ؛ لأن هبـة الـدين لمن فى ذمتـه بـراءة وإذا أبـرأ أحـد الشريكين الغـريم من نصيبه لم يضمن لشريكه شيئـا ، وإنما يضمن إذا حصل الدين فى ضمانه .

وقالوا (أى الحنابلة) : لو أجـره الأرض بأجرة معلومة وشرط عليه أن يـؤدى خراجهـا لم يجز؛ لأن الخـراج على المالك لا على المستأجر، والحيلة فى جوازه أن يؤجره إياها بمبلغ يكون زيادته بقدر الخراج ثم يأذن له أن يدفع فى خراجها ذلك القدر الزائد علـى أجرتها . قـالوا : لأنـه متى زاد مقدار الخـراج على الأجرة حصل ذلك دينا على المستأجر، وقد أمره أن يدفعه إلى مستحق الخراج وهو جائز.

وقـالوا : ونظيـر هـذا أن يؤجـره دابـة ويشترط علفهـا على المستأجر لم يجـز. والحيلة فى جوازه هكذا سواء ، يـزيد فى الأجرة ويوكله أن يعلف الدابة بذلك القدر الزائد .

وقالـوا : ولا يصح استئجار الشجـرة للثمرة ، والحيلـة فى ذلك يؤجره الأرض ويساقيـه على الثمرة من كل ألف جزء جزء مثلا .

وقالوا : لو وكله أن يشترى له جارية معينة بثمن معين دفعه إليه ، فلما رآهـا أراد شراءها لنفسه ، وخاف أن يحلفـه أنه إنما اشتراها بمـال الموكل له ، وهـو وكيله ، فالوجـه أن يعزل نفسه عن الوكـالة ، ثم يشتريهـا بثمن فى ذمته ، ثم ينقد مـا معه من الثمن ، ويصير لموكله فى ذمته نظيره .

قالـوا : وأما نحن فلا تأتـى هذه الحيلة على أصـولنا ؛ لأن الوكيل لا يملك عزل نفسه إلا بحضرة موكله .

قالوا : وقد قالت الحنابلة أيضا : لو أراد إجارة أرض له فيها زرع لم يجـز، والحيلـة فى جـوازه أن يبيعـه الـزرع ثم يـؤجـره الأرض ، فإن أراد بعد ذلك أن يشترى منه الزرع جاز.

وقالـوا : لو شـرط رب المال علـى المضارب ضمـان مال المضـاربة لم يصح والحيلـة فى صحته أن يقـرضه المـال في ذمته ثم يقبضه المضارب منه ، فإذ قبضه دفعه إلى مالكه الأول مضاربة ثم يدفعه رب المـال إلى المضارب بضاعة . فإن توى (أى هلك) فهو من ضمان المضارب ؛ لأنـه قد صار مضمونا عليه بالقـرض فتسليمه إلى رب المال مضاربـة كتسليم مال له آخر .

وحيلة أخرى ، وهى أن يقرض رب المال المضارب ما يريد دفعه إليه ثـم يخرج من عنده درهما واحدا ، فيشـاركه على أن يعملا بالمالين جميعا على أن ما رزقه الله فهو بينهما نصفين ، فإن عمل أحدهما بالمال بإذن صاحبه فربح كان الربح بينهما على ما شـرطاه ، وإن خسر كان الخسران على قـدر المالين ، على رب المـال بقـدر الـدرهم وعلى المضـارب بقـدر رأس المال ، وإنما جاز ذلك لأن المضـارب والملزم نفسه الضمان بدخوله فى القرض .

وقالوا : لا تجـوز المضاربة على العرض ، فـإن كان عنده عرض فأراد أن يضارب عليه فالحيلة فى جوازه أن يبيعه العرض ويقبض ثمنه فيـدفعه إليه مضاربة ثم يشتـرى المضارب ذلك المتاع بالمال .

وقالوا : لو حلفته امرأتـه أن كل جارية يشتريها فهى حرة ، فالحيلة فى جواز الشراء ولا تعتق أن يعنى بالجارية السفينة ولا تعتق ، وإن لم تحضـره هـذه النيــة وقت اليمين فـالحيلـة أن يشتريها صاحبه ويهبه إياها ثم يهبه نظير الثمن .

وقالوا : لـو حلفته أن كل امرأة يتزوجهـا عليها فهى طالق ، وخاف من هذه اليمين عند من يصحح هذا التعليق فالحيلة أن ينـوى كل امـرأة أتـزوجها على طـلاقك : أى يكـون طـلاقك صداقهـا ، أو كل امرأة أتزوجهـا على رقبتك : أى تكون رقبتك صـداقها ، فهى طـالق ، فلا يحنـث بالتـزويج على غير هـذه الصفة .

وقـالوا : لـو أراد أن يصرف دنـانيـر بدراهم ولم يكن عنـد الصيرفى مبلغ الـدراهم وأراد أن يصبر عليـه بالبـاقى لم يجز، والحيلة فيه أن يأخذ ما عنده من الدراهم بقدر صرفه ثم يقرضه إياهـا فيصرف بها الباقى ، فإن لم يعـرف فعل ذلك مرارا حتى يستوفى صـرفه ، ويصيـر ما أقـرضه دينـا عليه ، لا أنـه عوض الصرف .

وقالوا : لـو أراد أن يبيعه دراهم بدنانيـر إلى أجل لم يجز، والحيلـة فى ذلك أن يشترى منـه متاعـا وينقده ثمنـه ويقبض المتاع ، ثم يشتـرى البائع منه ذلك المتـاع بدنـانير إلى أجل ، والتأجيل جائز فى ثمن المتاع .

وقالوا: لو مات رب المال بعد أن قبض المضارب المال انتقل إلى ورثته، فلو اشترى المضارب به بعد ذلك متاعا ضمن؛ لأنه تصرف بعد بطلان الشركة. والحيلة فى تخلص المضارب من ذلك أن يشهد رب المال أن حصته من المال الذى دفعه إليه مضاربة لولده، وأنه مقارض إلى هذا الشريك بجميع ما تركه، وأمره أن يشترى لولده ما أحب فى حياته، وبعد وفاته، فيجوز ذلك؛ لأن المانع منه كونه متصرفا فى ملك الغير بغير وكالة ولا ولاية، فإذا أذن له فى التصرف برئ من الضمان، وإن كانت هذه الحيلة إنما تتم إذا كان الورثة أولادًا صغارا.

وقالوا: لو صالح عن المؤجل ببعضه حالاً لم يصح، والحيلة فى تصحيحه أن يفسخا العقد الذى وقع على المؤجل ويجعلاه بذلك القدر الحالّ.

وقالوا: لو لبس المتوضىء أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى ثم غسل الأخرى، ولبس عليها لم يجز المسح؛ لأنه لم يلبس على كمال الطهارة، والحيلة فى جواز المسح أن يخلع هذه الفردة الثانية ثم يلبسها.

قالوا: ولو أوصى لرجل بخدمة عبده أو بما فى بطن أمته جاز، فلو أراد الورثة شراء خدمة العبد أو ما فى بطن الأمة من الموصى له لم يجز، والحيلة فى جوازه أن يصالحوه عن الموصى به على ما يبذلونه له فيجوز، وإن لم يجز البيع فإن الصلح يجوز فيه ما لا يجوز فى البيع.

قالوا: ولا تجوز الشركة بالعروض، فإن كان لأحدهما عرض يساوى خمسة آلاف درهم وللآخر عرض يساوى ألفا فأحبا أن يشتركا فى العرضين، فالحيلة أن يشترى صاحب العرض الذى قيمته خمسة آلاف من الآخر خمسة أسداس عرضه بسدس عرضه هو؛ فيصير للذى يساوى عرضه ألفًا سدس جميع المال، وللآخر خمسة أسداسه؛ لأن جميع ماليهما ستة آلاف، وقد حصل كل واحد من العرضين بهذه الشركة بينهما أسداسا، خمسة أسداسه لأحدهما وسدسه للآخر، فإذا هلك أحدهما هلك على الشركة.

قالوا: ولا تقبل شهادة الموكل لموكله فيما هو وكيله فيه، فلو لم يكن له شاهد غيره وخاف ضياع حقه فالحيلة أن يعز له حتى يشهد له ثم يوكله بعد ذلك إن أراد.

قالوا: ولو أعتق عبده فى مرضه، وثلثه يحتمله، وخاف عليه من الورثة أن يجحدوا المال ويرثوا ثلثيه، فالحيلة أن يدفع إليه مالا يشترى نفسه منه بحضرة شهود، ويشهدون أنه قد أقبضه المال، وصار العبد حرا.

قالوا: وكذلك الحيلة لو كان لأحد الورثة دين على الموروث، وليست له به بينة، فأراد بيعه العبد بدينه الذى له عليه فعل مثل ذلك سواء.

قالوا: ولو قال: أوصيت إلى فلان، وإن لم يقبل فإلى فلان، وخاف أن تبطل الوصية على مذهب من لا يرى جواز تعليق الولاية بالشرط، فالحيلة أن يقول «فلان وفلان وصيان، فإن لم يقبل أحدهما وقبل الآخر فالذى قبل هو الوصى» فيجوز على قول الجميع؛ لأنه لم يعلق الولاية بالشرط.

قالوا: ولو أراد ذمى أن يُسْلِم وعنده خمر كثير، فخاف أن يذهب عليه بالإسلام؛ فالحيلة أن يبادر ببيعها من ذمى آخر ثم يسلم، فإنه يملك تقاضيه بعد الإسلام، فإن بادر الآخر وأسلم لم يسقط عنه ذلك، وقد نص عليه الإمام أحمد فى مجوسى باع مجوسيا خمرا ثم أسلما يأخذ الثمن، قد وجب له يوم باعه،

قال أرباب الحيل: فهذا رهن الفرق عندنا بأنهم قالوا بالحيل وأفتوا بها، فماذا تنكرون علينا بعد ذلك وتشنعون؟ ومثالنا ومثالهم فى ذلك كقوم وجدوا كنزا فأصاب كل منهم طائفة منه فى يديه، فمستقل ومستكثر، ثم أقبل بعض الآخذين ينقم على بقيتهم، وما أخذه من الكنز فى يديه، فليرم بما أخذ منه ثم لينكر على الباقين.

جواب المبطلين للحيل عما سبق:

قال المبطلون للحيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فسبحان الله الذى فرض الفرائض، وحرم المحارم، وأوجب الحقوق رعاية لمصالح العباد فى المعاش والمعاد، وجعل شريعته الكاملة قياما للناس وغذاء لحفظ حياتهم، ودواء لدفع أدوائهم، وظله الظليل الذى من استظل به أمن من الحَرور، وحصنه الحصين الذى من دخله نجا من الشرور.

فتعالى شارع هذه الشريعة الفائقة لكل شريعة أن يشرع فيها الحيل التى تسقط فرائضه، وتحل محارمه، وتبطل حقوق

عباده، ويفتح للناس أبواب الاحتيال وأنواع المكر والخداع، وأن يبيح التوصل بالأسباب المشروعة إلى الأسور المحرمة الممنوعة، وأن يجعلها مضغة لأفواه المحتالين، وعرضة لأغراض المخادعين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون خلاف ما يبطنون، ويرتكبون العبث الذى لا فائدة فيه سوى ضحكة الضاحكين وسخرية الساخرين، فيخادعون الله كما يخادعون الصبيان، ويتلاعبون بحدوده كتلاعب المُجّان، فيحرمون الشيء ثم يستحلونه إياه بعينه بأدنى الحيل.

ويسلكون إليه نفسه طريقا توهم أن المراد غيره وقد علموا أنه هو المراد لا غيره، ويسقطون الحقوق التى وصى الله بحفظها وأدائها بأدنى شىء، ويفرقون بين متماثلين من كل وجه لاختلافهما فى الصورة أو الاسم أو الطريق الموصل إليهما، ويستحلون بالحيل ماهو أعظم فسادا مما يحرمونه ويسقطون بها ما هو أعظم وجوبا مما يوجبونه.

كمال الشريعة الإلهية وعظمتها وأثرها:

والحمد لله الذى نزه شريعته عن هذا التناقض والفساد، وجعلها كفيلة وافية بمصالح خلقه فى المعاش والمعاد، وجعلها من أعظم آياته الدالة عليه، ونصبها طريقا مرشدا لمن سلكه إليه؛ فهو نوره المبين، وحصنه الحصين، وظله الظليل، وميزانه الذى لا يعول.

لقد تعرف بها إلى ألبّاء عباده غاية التعرف، وتحبب بها إليهم غاية التحبب، فأنسوا بها منه حكمته البالغة، وتمت بها عليهم منه نعمه السابغة.

ولا إله إلا الله الذى فى شرعه أعظم آية تدل على تفرده بالإلهية وتوحده بالربوبية، وأنه الموصوف بصفات الكمال، المستحق لنعوت الجلال، الذى له الأسماء الحسنى والصفات العُلَى، وله المثل الأعلى، فلا يدخل السوء فى أسمائه ولا النقص والعيب فى صفاته، ولا العبث ولا الجور فى أفعاله، بل هو منزه فى ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه. تبارك اسمه، وتعالى جده، وبهرت حكمته، وتمت نعمته، وقامت على عباده حجته.

والله أكبر كبيرا أن يكون فى شرعه تناقض واختلاف، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، بل هى شريعة مؤتلفة النظام، متعادلة الأقسام، مبرَّأة من كل نقص، مطهَّرة من كل دنس، مسلَّمة لا شية فيها، مؤسسة على العدل والحكمة، والمصلحة والرحمة، قواعدها ومبانيها، إذا حرمت فسادا حرمت ما هو أولى منه أو نظيره، وإذا رعت صلاحا رعت ماهو فوقه أو شبهه.

فهى صراطه المستقيم الذى لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التى لا ضيق فيها ولا حرج، بل هى حنيفية التوحيد سمحة العمل لم تأمر بشىء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول الحجى لو أباحته لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح، ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب، وحرمت كل خبيث.

فأوامرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها، وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفصل، لا حاجة بها ألبتة إلى أن تكمل بسياسة ملك، أو رأى، أو قياس فقيه، أو ذوق ذى رياضة، أو مقام ذى دين وصلاح، بل لهؤلاء كلهم أعظم الحاجة إليها، ومن وفِّق منهم للصواب فلاعتماده وتعويله عليها.

فقد أكملها الذى أتم نعمته علينا بشرعها قبل سياسات الملوك، وحيل المتحيلين، وأقيسة القياسيين، وطرائق الخلافيين، وأين كانت هذه الحيل والأقيسة والقواعد المتناقضة والطرائق القدد وقت نزول قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [المائدة: ٣] وأين كانت يوم قوله ﷺ: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك»؟

ويوم قوله ﷺ: «ما تركت من شىء يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أعلمتكموه»؟

أين كانت عند قول أبى ذر: لقد توفى رسول الله ـ ﷺ ـ وما طائر يقلِّب جناحيه فى السماء إلا ذكر لنا منه علما، وعند قول القائل لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة، فقال: أجل؟ فأين علمهم الحيل والمخادعة والمكر وأرشدهم إليه ودلهم عليه؟

كلا والله! بل حذرهم أشد التحذير، وأوعدهم عليه أشد الوعيد، وجعله منافيا للإيمان، وأخبر عن لعنة لما ارتكبوه،

وقال لأمته : لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل ، وأغلق أبواب المكر والاحتيال ، وسد الذرائع ، وفصل الحلال من الحرام ، وبين الحدود ، وقسم شريعته إلى حلال بين وحرام بين وبرزخ بينهما .

فأباح الأول ، وحرم الثانى ، وحض الأمة على اتقاء الثالث خشية الوقوع فى الحرام ، وقد أخبر الله تعالى عن عقوبة المحتالين على حل ما حرمه عليهم ، وإسقاط ما فرضه عليهم فى غير موضع من كتابه .

قال أبو بكر الآجرى ، وقد ذكر بعض الحيل الربوية التى يفعلها الناس : لقد مسخ اليهود قردة بدون هذا ، وصدق ، والله لآكل حوت صيد يوم السبت أهون عند الله ، وأقل جُرما من آكل الربا الذى حرمه الله بالحيل والمخادعة ! ولكن كما قال الحسن : عجل لأولئك عقوبة تلك الأكلة الوخيمة وأرجئت عقوبة هؤلاء .

وقال الإمام أبو يعقوب الجوزجانى : وهل أصاب الطائفة من بنى إسرائيل المسخ إلا باحتيالهم على أمر الله بأن حفروا الحفائر على الحيتان فى يوم سبتهم ، فمنعوها الانتشار يومها إلى الأحد فأخذوها .

وكذلك السلسلة التى كانت تأخذ بعنق الظالم فاحتال لها صاحب الدرة إذ صيرها فى قصبة ، ثم دفع القصبة إلى خصمه وتقدم إلى السلسلة ليأخذها فرفعت .

وقال بعض الأئمة : فى هذه القصة مزجرة عظيمة للمتعاطين الحيل على المناهى الشريعة ممن تلبس بعلم الفقه وليس بفقيه ، إذ الفقيه من يخشى الله عز وجل فى الربويات ، واستعارة التيس الملعون لتحليل المطلقات ، وغير ذلك من العظائم والمصائب الفاضحات ، التى لو اعتمدها مخلوق مع مخلوق لكان فى نهاية القبح ، فكيف بمن يعلم السر وأخفى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟

وقال : وإذا وازن اللبيب بين حيلة أصحاب السبت والحيل التى يتعاطاها أرباب الحيل فى كثير من الأبواب ظهر له التفاوت ومراتب المفسدة التى بينها وبين هذه الحيل ، فإذا عرف قدر الشرع وعظمة الشارع وحكمته وما اشتمل عليه شرعه من رعاية مصالح العباد تبيَّن له حقيقة الحال ، وقطع بأن الله تعالى يتنزه ويتعالى أن يشرع لعبادة نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال .

أجوبة تفصيلية عن زعوم أصحاب الحيل :

فصل : قالوا : ونحن نذكر ما تمسكتم به فى تقرير الحيل والعمل بها ، ونبين ما فيه ، متحرين للعدل والإنصاف ، منزهين لشريعة الله وكتابه وسنة رسوله عن المكر والخداع والاحتيال المحرم ، وتبيين انقسام الحيل والطرق إلى ما هو كفر محض ، وفسق ظاهر ، ومكروه ، وجائز ، ومستحب ، وواجب عقلا أو شرعا ، ثم نذكر فصلا نبين فيه التعويض بالطرق الشرعية عن الحيل الباطلة ، فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان :

عن قصة أيوب :

أما قوله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام : ﴿**وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث**﴾ [ص : ٤٤] فقال شيخنا : الجواب أن هذا ليس مما نحن فيه ، فإن للفقهاء فى موجب هذه اليمين فى شرعنا قولين ، يعنى إذا حلف : ليضربن عبده أو امرأته ضربة ، أحدهما : قول من يقول : موجبها الضرب مجموعا أو مفرقا ، ثم منهم من يشترط مع الجمع الوصول إلى المضروب ، فعلى هذا تكون هذه الفتيا موجب هذا اللفظ عند الإطلاق ، وليس هذا بحيلة ، إنما الحيلة أن يصرف اللفظ عن موجبه عند الإطلاق .

والقول الثانى : أن موجبة الضرب المعروف ، وإذا كان هذا موجبه فى شرعنا لم يصح الاحتجاج علينا بما يخالف شرعنا من شرائع من قبلنا ؛ لأنا إن قلنا : ليس شرعا لنا مطلقا فظاهر ، وإن قلنا : هو شرع لنا ، فهو مشروط بعدم مخالفته لشرعنا ، وقد انتفى الشرط .

وأيضا ، فمن تأمل الآية علم أن هذه الفتيا خاصة الحكم ؛ فإنها لو كانت عامة الحكم فى حق كل أحد لم يخف على نبى كريم موجب يمينه ، ولم يكن فى اقتصاصها علينا كبير عبرة ، فإنما يقص ما خرج من نظائره لنعتبر به ونستدل به على حكمة الله فيما قصه علينا .

أما ما كان هو مقتضى العادة والقياس فلا يقص ، ويدل على الاختصاص قوله تعالى : ﴿**إنا وجدناه صابرا**﴾ [ص : ٤٤] وهذه الجملة خرجت مخرج التعليل كما فى نظائرها ، فعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذا جزاء له على صبره ، وتخفيفا عن امرأته ، ورحمة بها ، لا أن هذا موجب

هذه اليمين، وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى إنما أفتاه بهذه الفتيا لئلا يحنث، كما أخبر تعالى.

لم تكن كفارة اليمين مشروعة فى أول الإسلام :

وهذا يدل على أن كفارة الأيمان لم تكن مشروعة بتلك الشريعة، بل ليس فى اليمين إلا البر والحنث، كما هو ثابت فى نذر التبرر فى شريعتنا، وكما كان فى أول الإسلام، قالت عائشة رضى الله عنها : لم يكن أبو بكر يحنث فى يمين، حتى أنزل الله كفارة اليمين، فدل على أنها لم تكن مشروعة فى أول الإسلام.

عود إلى قصة أيوب :

وإذا كان كذلك صار كأنه قد نذر ضربها، وهو نذر لا يجب الوفاء به، لما فيه من الضرر عليها، ولا يغنى عنه كفارة يمين، لأن تكفير النذر فرع عن تكفير اليمين، فإذا لم تكن كفارة النذر إذ ذاك مشروعة فكفارة اليمين أولى، وقد علم أن الواجب بالنذر يحتذى به حذو الواجب بالشرع.

وإذا كان الضرب الواجب بالشرع يجب تفريقه إذا كان المضروب صحيحا ويجوز جمعه إذا كان المضروب مريضا مأيوسا منه عند الكل أو مريضا على الإطلاق عند بعضهم، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، جاز أن يقام الواجب بالنذر مقام ذلك عند العذر، وقد كانت امرأة أيوب عليه السلام ضعيفة عن احتمال مائة الضرب التى حلف أن يضربها إياها، وكانت كريمة على ربها، فخفف عنها برحمته الواجب باليمين بأن أفتاه بجمع الضربات بالضغث كما خفف عن المريض.

عن النذر فى الإسلام :

ألا ترى أن السنة قد جاءت فيمن نذر الصدقة بجميع ماله أنه يجزيه الثلث، فأقام الثلث فى النذر مقام الجميع رحمة بالناذر وتخفيفا عنه، كما أقيم مقامه فى الوصية رحمة بالوارث ونظرا له.

وجاءت السنة فيمن نذرت الحج ماشية أن تركب وتهدى، إقامة لترك بعض الواجب بالنذر مقام ترك الواجب بالشرع فى المناسبات عند العجز عنه كطواف الوداع عن الحائض.

وأفتى ابن عباس وغيره من نذر ذبح ابنه بشاة، إقامة لذبح الشاة مقام ذبح الابن، كما شرع ذلك للخليل.

وأفتى أيضا من نذر أن يطوف على أربع بأن يطوف أسبوعين، إقامة لأحد الأسبوعين مقام طواف اليدين.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة - رضى الله عنهم - المريض الميئوس منه والشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصوم بأن يفطرا ويطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام.

وأفتى أيضا هو وغيره من الصحابة الحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أن تفطرا وتطعما كل يوم مسكينا، إقامة للإطعام مقام الصيام، وهذا كثير جدا.

وغير مستنكر فى واجبات الشريعة أن يخفف الله تعالى الشىء منها عند المشقة بفعل مايشبهه من بعض الوجوه كما فى الأبدال وغيرها، لكن مثل قصة أيوب لا يحتاج إليها فى شرعنا؛ لأن الرجل لو حلف ليضربن أمته أو امرأته مائة ضربة أمكنه أن يكفر عن يمينه من غير احتياج إلى حيلة وتخفيف الضرب بجمعه، ولو نذر ذلك فهو نذر معصية فلا شىء عليه عند طائفة، وعند طائفة عليه يمين كفارة.

وأيضا فإن المطلق من كلام الآدميين محمول على ما فسر به المطلق من كلام الشارع خصوصا فى الأيمان؛ فإن الرجوع فيها إلى عرف الخطاب شرعا أو عادة أولى من الرجوع إلى موجب اللفظ فى أصل اللغة، والله سبحانه وتعالى قد قال : **﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** [النور: ٢] وقال : **﴿والذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾** [النور: ٤].

وفهم الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من ذلك أنه ضربات متعددة متفرقة لا مجموعة، إلا أن يكون المضروب معذورا عذرا لا يرجى زواله، فإنه يضرب ضربا مجموعا، وإن كان يرجى زواله فهل يؤخر إلى الزوال، أو يقام عليه مجموعا؟ فيه خلاف بين الفقهاء.

فكيف يقال : إن الحالف ليضربن موجب يمينه هو الضرب المجموع مع صحة المضروب وقوته؟ فهذه الآية هى أقوى ما يعتمد عليه أرباب الحيل، وعليها بنوا حيلهم، وقد ظهر بحمد الله أنه لا متمسك لهم فيها ألبتة.

الكلام عن حيلة يوسف :

فصل : وأما إخباره سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام

أنه جعل صواعه فى رحل أخيه ليتوصل بذلك إلى أخذه وكيد إخوته، فنقول لأرباب الحيل:

أولا: هل تجوزون أنتم مثل هذا حتى يكون حجة لكم؟ وإلا فكيف تحتجون بما لا تجوزون فعله؟! فإن قلتم: فقد كان جائزا فى شريعته، قلنا: وما ينفعكم إذا لم يكن جائزا فى شرعنا؟

قال شيخنا رضى الله عنه: ومما قد يظن أنه من جنس الحيل التى بينا تحريمها وليس من جنسها قصة يوسف حين كاد الله له فى أخذ أخيه كما قص ذلك تعالى فى كتابه، فإن فيه ضروبا من الحيل الحسنة (شيخنا: هو شيخنا الإسلام ابن تيمية فى فتاويه من ص ٢٠٩ جـ ٣ فتاوى. نشر دار الكتب الحديثة) قالت المؤلفة: طبعت دار الغد العربى «الفتاوى» الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

جعل بضاعتهم فى رحالهم:

أحدها: قوله لفتيانه: ﴿**اجعلوا بضاعتهم فى رحاله لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون**﴾ [يوسف: ٦٢] فإنه تسبب بذلك إلى رجوعهم، وقد ذكروا فى ذلك معانى: منها أنه تخوف أن لا يكون عندهم ورق يرجعون بها، ومنها أنه خشى أن يضر أخذ الثمن بهم، ومنها أنه رأى لوما إذا أخذ الثمن منهم.

ومنها أنه أراهم كرمه فى رد البضاعة ليكون أدعى لهم إلى العود، ومنها أنه علم أن أمانتهم تحوجهم إلى العود ليردوها إليه، فهذا المحتال به عمل صالح، والمقصود رجوعهم ومجيء أخيه، وذلك أمر فيه منفعة لهم ولأبيهم وله، وهو مقصود صالح، وإنما لم يعرفهم نفسه لأسباب أخر فيها أيضا منفعة لهم وله ولأبيهم، وتمام لما أراده الله بهم من الخير فى البلاد.

جعله السقاية فى رحل أخيه:

الضرب الثانى: أنه فى المرة الثانية لما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه، وهذا القدر تضمن إيهام أن أخاه سارق، وقد ذكروا أن هذا كان بمواطأة من أخيه ورضا منه بذلك، والحق له فى ذلك وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون**﴾ [يوسف: ٦٩].

وفيه قولان؛ أحدهما: أنه عرفه أنه يوسف ووطّنه على عدم الابتئاس بالحيلة التى فعلها فى أخذه منهم، والثانى أنه لم يصرح له بأنه يوسف، وإنما أراد: إنى مكان أخيك المفقود، فلا تبتئسن بما يعاملك به إخوتك من الجفاء.

ومن قال هذا قال: إنه وضع السقاية فى رحل أخيه والأخ لا يشعر، ولكن هذا خلاف المفهوم من القرآن، وخلاف ما عليه الأكثرون، وفيه ترويع لمن لم يستوجب الترويع. وأما على القول الأول فقد قال كعب وغيره: لما قال له إنى أنا أخوك، قال: (بن يامين) فأنا لا أفارقك، قال يوسف: فقد علمت اغتمام والدى بى، فإذا حبستك ازداد غمه، ولا يمكننى هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع، وأنسبك إلى ما لا يحتمل.

قال: لا أبالى فافعل ما بدا لك فإنى لا أفارقك، قال: فإنى أدس صواعى هذا فى رحلك، ثم أنادى عليك بالسرقة، ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك، قال: فافعل، وعلى هذا، فهذا التصرف إنما كان بإذن الأخ ورضاه.

موقف عدى بن حاتم حين هم قومه بالردة.

ومثل هذا النوع ما ذكر أهل السير عن عدى بن حاتم أنه لما همَّ قومه بالردة بعد رسول الله ﷺ كفهم عن ذلك، وأمرهم بالتربص، وكان يأمر ابنه إذا رعى إبل الصدقة أن يبعد فإذا جاء خاصمه بين يدى قومه، وهم بضربه، فيقومون فيشفعون إليه فيه، ويأمره كل ليلة أن يزداد بعدا.

فلما كان ذات ليلة أمره أن يبعد بها جدا، وجعل ينتظره بعد ما دخل الليل وهو يلوم قومه على شفاعتهم فيه ومنعهم إياه من ضربه، وهم يعتذرون عن ابنه، ولا ينكرون إبطاءه، حتى إذا انهار الليل ركب فى طلبه فلحقه، واستاق الإبل حتى قدم بها على أبى بكر رضى الله عنهما.

فكانت صدقات طيئ مما استعان بها أبو بكر فى قتال أهل الردة. وكذلك فى الحديث الصحيح أن عديًّا قال لعمر رضى الله عنه (فى بعض الأمراء): أما تعرفنى يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أعرفك، أسلمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا، وعرفت إذ أنكروا.

ومثل هذا ما أذن فيه النبى ﷺ للوفد الذين أرادوا قتل كعب ابن الأشرف أن يقولوا، وأذن للحجاج بن عِلاط عام خيبر أن يقول وهذا كله من الاحتيال المباح؛ لكون صاحب الحق قد أذن فيه ورضى به، والأمر المحتال عليه طاعة لله، وأمر مباح.

عود إلى قصة يوسف:

الضرب الثالث: أنه أذَّن مؤذن **﴿أيتها العير إنكم لسارقون* قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون * قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير، وأنا به زعيم﴾** [٧٠ - ٧٢] إلى قوله: **﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين* قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين * فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله﴾** [يوسف: ٧٤-٧٦].

وقد ذكروا فى تسميتهم سارقين وجهين، أحدهما: أنه من باب المعاريض وأن يوسف نوى بذلك أنهم سرقوه من أبيه حيث غيبوه عنه بالحيلة التى احتالوا عليه، وخانوه فيه، والخائن يسمى سارقا، وهو من الكلام المرموز، ولهذا يسمى خونة الدواوين: لصوصا.

الثانى: أن المنادى هو الذى قال ذلك من غير أمر يوسف، قال القاضى أبو يعلى وغيره: أمر يوسف بعض أصحابه أن يجعل الصواع فى رحل أخيه، ثم قال بعض الموكلين وقد فقدوه ولم يدر من أخذه: **﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾** على ظن منهم أنهم كذلك، من غير أمر يوسف لهم بذلك، أو لعل يوسف قد قال للمنادى: هؤلاء سرقوا، وعنى أنهم سرقوه من أبيه، والمنادى فهم سرقة الصواع فصدق يوسف فى قوله، وصدق المنادى.

وتأمل حذف المفعول فى قوله **﴿إنكم لسارقون﴾** ليصح أن يضمن سرقتهم ليوسف فيتم التعريض، ويكون الكلام صدقا، وذكر المفعول فى قوله: **﴿نفقد صواع الملك﴾** وهو صادق فى ذلك، فصدق فى الجملتين معا تعريضا وتصريحا، تأمل قول يوسف: **﴿معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾** ولم يقل إلا من سرق، وهو أخصر لفظا، تحريا للصدق، فإن الأخ لم يكن سارقا بوجه، وكان المتاع عنده حقا؛ فالكلام من أحسن المعاريض وأصدقها.

ومثل هذا قول الملكين لداود عليه السلام: **﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** إلى قوله: **﴿وعزنى فى الخطاب﴾** [ص: ٢٢، ٢٣] أى غلبنى فى الخطاب، ولكن تخريج هذا الكلام على المعاريض لا يكاد يتأتى، وإنما وجهه أنه كلام خرج على ضرب المثال؛ أى إذا كان كذلك فكيف الحكم بيننا.

ونظير هذا قول الملك للثلاثة الذين أراد الله أن يبتليهم «مسكين وغريب وعابر سبيل، وقد تقطعت بى الحبال، ولا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك، فأسألك بالذى أعطاك هذا المال بعيرا أتبلغ به فى سفرى هذا» وهذا ليس بتعريض، وإنما هو تصريح على وجه ضرب المثال وإيهام أنى أنا صاحب هذه القضية، كما أوهم الملكان داود أنهما صاحبا القصة ليتم الامتحان.

ولهذا قال نصر بن حاجب: سئل ابن عيينة عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشىء الذى قد فعله، ويحرف القول فيه ليرضيه، لم يأثم فى ذلك؟ فقال: ألم تسمع قوله: ليس بكاذب من أصلح بين الناس يكذب فيه، فإذا أصلح بينه وبين أخيه المسلم خير من أن يصلح بين الناس بعضهم من بعض، وذلك إذا أراد به مرضاة الله، وكره أذى المؤمن، ويندم على ما كان منه، ويدفع شره عن نفسه، ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة عندهم ولا طمعا فى شىء يصيب منهم، لم يرخص فى ذلك، ورخص له إذا كره موجدتهم وخاف عداوتهم.

قال حذيفة: إنى أشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن أقدم على ما هو أعظم منه. قال سفيان: وقال الملكان: **﴿خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** [ص: ٢٢] أراد معنى شىء، ولم يكونا خصمين، فلم يصيرا بذلك كاذبين، وقال إبراهيم: **﴿إنى سقيم﴾** [الصافات: ٨٩]، وقال **﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾** [الأنبياء: ٦٣] وقال يوسف: **﴿إنكم لسارقون﴾** [يوسف: ٧٠] فبين سفيان أن هذا من المعاريض المباحة.

فصل: وقد احتج بعض الفقهاء بقصة يوسف على أنه جائز للإنسان التوصل إلى أخذ حقه من الغير بما يمكنه الوصول إليه بغير رضا من عليه الحق.

قال شيخنا رضى الله عنه: وهذه الحجة ضعيفة؛ فإن

يوسف لم يكن يملك حبس أخيه عنده بغير رضاه، ولم يكن هذا الأخ ممن ظلم يوسف حتى يقال إنه قد اقتص منه، وإنما سائر الإخوة هم الذين كانوا قد فعلوا ذلك، نعم تخلفه عنده كان يؤذيهم من أجل تأذى أبيهم، والميثاق الذى أخذه عليهم، وقد استثنى فى الميثاق بقوله: **﴿إلا أن يحاط بكم﴾**. [يوسف: ٦٦].

وقد أحيط بهم، ولم يكن قصد يوسف باحتباس أخيه الانتقام من إخوته، فإنه كان أكرم من هذا، وكان فى ضمن ذلك من الإيذاء لأبيه أعظم مما فيه من إيذاء إخوته، وإنما هو أمر أمره الله به؛ ليبلغ الكتاب أجله، ويتم البلاء الذى استحق به يعقوب ويوسف كمال الجزاء، وتبلغ حكمة الله التى قضاها لهم نهايتها.

ولو كان يوسف قصد القصاص منهم بذلك فليس هذا موضع الخلاف بين العلماء، فإن الرجل له أن يعاقب بمثل ما عوقب به.

وإنما موضع الخلاف: هل يجوز له أن يسرق أو يخون من سرقه أو خانه مثل ما سرق منه أو خانه إياه؟ وقصة يوسف لم تكن من هذا الضرب. نعم، لو كان يوسف أخذ أخاه بغير أمره لكان لهذا المحتج شبهة، مع أنه لا دلالة فى ذلك على هذا التقدير أيضا، فإن مثل هذا لا يجوز فى شرعنا بالاتفاق، وهو أن يحبس رجل برىء ويعتقل للانتقام من غيره من غير أن يكون له جرم.

ولو قدر أن ذلك وقع من يوسف فلا بد أن يكون بوحى من الله ابتلاء منه لذلك المعتقل، كما ابتلى إبراهيم بذبح ابنه، فيكون المبيح له على هذا التقدير وحيا خاصا كالوحى الذى جاء إبراهيم بذبح ابنه، وتكون حكمته فى حق المبتلى امتحانه وابتلاؤه لينال درجة الصبر على حكم الله والرضا بقضائه، وتكون حاله فى هذا كحال أبيه يعقوب فى احتباس يوسف عنه.

وهذا معلوم من فقه القصة وسياقها، ومن حال يوسف؛ ولهذا قال تعالى **﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم﴾** [يوسف: ٧٦] فنسب الله تعالى هذا الكيد إلى نفسه كما نسبه إلى نفسه فى قوله: **﴿إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا﴾** [الطارق: ١٥، ١٦] وفى قوله تعالى: **﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا﴾** [النمل: ٥٠] وفى قوله تعالى: **﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾** [الأنفال: ٣٠].

وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرا وكيدا واستهزاء وخداعا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة نحو: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** [الشورى: ٤٠] ونحو قوله تعالى: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** [البقرة: ١٩٤].

وقيل وهو أصوب: بل تسميته بذلك حقيقة على بابه، فإن المكر إيصال الشىء إلى الغير بطريق خفى، وكذلك الكيد والمخادعة، ولكنه نوعان: قبيح، وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وحسن وهو إيصاله إلى مستحقه عقوبة له، فالأول مذموم والثانى: ممدوح، والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلا منه وحكمة، وهو تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده، وإنما السيئة فهى فيعلة مما يسوء، ولا ريب أن العقوبة تسوء صاحبها، فهى سيئة له حسنة من الحكم العدل.

ما كيد به ليوسف:

وإذا عرفت ذلك فيوسف الصديق كان قد كيد غير مرة: أولها أن إخوته كادوا به كيدا حيث احتالوا به فى التفريق بينه وبين أبيه، ثم إن امرأة العزيز كادته بما أظهرت أنه راودها عن نفسها ثم أودع السجن، ثم إن النسوة كادوه حتى استعاذ بالله من كيدهن فصرفه عنه، وقال له يعقوب: **﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾** [يوسف: ٥] وقال الشاهد لامرأة العزيز: **﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾** [يوسف: ٢٨] وقال تعالى فى حق النسوة: **﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾** [يوسف: ٣٤]، وقال للرسول: **﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم﴾** [يوسف: ٥٠].

فكاد الله له أحسن كيد وألطفه وأعدله، بأن جمع بينه وبين أخيه، وأخرجه من أيدى إخوته بغير اختيارهم كما أخرجوا يوسف من يد أبيه بغير اختياره، وكاد له عوض كيد المرأة بأن أخرجه من ضيق السجن إلى فضاء الملك، ومكنه فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وكاد له فى تصديق النسوة اللاتى كذبنه وراودنه حتى شهدن ببراءته وعفته، وكاد له فى تكذيب امرأة

العـزيـز لنفسهــا واعتـرافهـا بأنهـا هى التى راودتــه وأنـه من الصـادقين؛ فهذه عـاقبـة من صبر على كيـد الكـائد له بغيـا وعدوانا .

كيد الله سبحانه :

فصل : وكيد الله تعالى لا يخرج عن نوعين؛ أحدهما وهو الأغلب : أن يفعل سبحانه وتعالى فعلا خارجا عن قدرة العبد الذى كـاد له؛ فيكون الكيـد قدرا محضا ليس هـو من باب لا يسوغ، كما كاد أعداء الرسل بـانتقامه منهم بأنواع العقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف؛ فإن يوسف أكثر ما أمكنه أن يفعل أن ألقى الصواع فى رحل أخيه، وأن أذن مؤذن بسرقتهم، فلما أنكروا قال : ﴿**فما جزاؤه إن كنتم كاذبين**﴾ [يوسف : ٧٤] .

أى جزاء السارق أو جزاء السَّرقِ ﴿**قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه**﴾ [يـوسف : ٧٥] أى جزاؤه نفس السـارق، يستعبـده المسروق منـه إما مطلقـا، وإما مـدة، وهذه كـانت شريعة آل يعقوب .

ثم فى إعراب هـذا الكلام وجهـان، أحدهما : أن قـوله : ﴿**جـزاؤه من وجد فى رحلـه**﴾ جملة مستقلـة قائمـة من مبتدأ وخبر، وقوله ﴿**فهو جزاؤه**﴾ جملة ثانية كـذلك مؤكدة للأولى مقـررة لهـا، والفـرق بين الجملتيـن أن الأولى إخبـار عن استحقاق المسروق لرقبة السارق، والثانية إخبار أن هذا جزاؤه فى شـرعنـا وحكمنـا، فـالأولى أخبـار عن المحكـوم عليـه، والثانيـة إخبار عن الحكم، وإن كـانا متـلازمين، وإن أفادت الثانية معنى الحصر فإنه لا جزاء له غيره .

والقـول الثـانى : أن «جـزاؤه» الأول مبتـدأ وخبـره الجملـة الشـرطيـة، والمعنى جزاء السـارق أن من وجـد المسـروق فى رحله كان هو الجزاء، كما تقول : جزاء السرقة من سرق قطعت يده، وجزاء الأعمال من عمل حسنة فبعشر أو سيئة فبواحدة، ونظائره .

قـال شيخنـا رضى الله عنـه : وإنمـا احتمل الـوجهين لأن الجزاء قد يراد به نفس الحكم باستحقاق العقوبة، وقد يراد به نفس فعل العقـوبـة، وقـد يـراد بـه نفس الألـم الـواصل إلى المعاقب .

والمقصود أن إلهـام الله لهم هذا الكلام كيد كـاده ليوسف خارج عن قدرته، إذ قد كـان يمكنهم أن يقولوا : لا جزاء عليه حتى يثبت أنه هـو الذى سرق، فإن مجرد وجـوده فى رحله لا يوجب ثبـوت السرقة، وقد كـان يوسف عليه السـلام عادلا لا يمكنه أن يأخـذهم بغير حجـة، وقد كان يمكنهم أن يقـولوا : يفعل مـا يفعل بـالسراق فى دينكم، وقـد كـان فى دين ملك مصر ـ كما قاله أهل التفسير ـ أن يضرب السارق، ويغرم قيمة المسروق مرتين .

ولو قالـوا ذلك لم يمكنه أن يلزمهم بما لا يلـزم به غيرهم، ولهذا قال تعالى : ﴿**كذلك كـدنا ليوسف ما كان ليـأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله**﴾ [يوسف : ٧٦] .

أى ما كان يمكنه أخذه فى دين ملك مصر؛ إذ لـم يكن فى دينه طريق له إلى أخـذه، وعلى هذا فقوله ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾ استثنـاء منقطع، أى لكن إن شـاء الله أخذه بطـريق آخـر، أو يكون متصـلا على بابـه، أى إلا أن يشاء الله ذلك، فيهـيء له سببا يؤخذ بـه دين الملك من الأسباب التى كان الرجل يعتقل بها .

فإذا كـان المراد من الكيـد فعلا من الله ـــ بأن ييسر لعبـده المؤمن المظلـوم المتوكل عليه أمورا يحصل بهـا مقصوده من الانتقام من الظالم ـ كان هـذا خارجا عن الحيل الفقهية، فإن كلامنا فى الحيل التى يفعلها العبد، لا فيما يفعل الله تعالى، بل فى قصة يـوسف.تنبيه على بطلان الحيل وأن من كـاد كيدا محرمـا، فإن الله يكيده ويعامله بنقيض قصـده وبمثل عمله، وهذه سنة الله فى أرباب الحيل المحـرمة أنه لا يبارك لهـم فيما نالوه بهذه الحيل، ويهىء لهم كيدا على يد من يشاء من خلقه يجزون به من جنس كيدهم وحيلهم .

عبر من قصة يوسف هذه :

وفيهـا تنبيـه على أن المـؤمـن المتـوكل على الله إذا كـاده الخلق، فإن الله يكيد له وينتصر له بغير حول ولا قوة .

وفيها دليـل على أن وجود المسـروق بيد السارق كـاف فى إقامة الحـد عليه، بل هو بمنزلة إقراره، وهـو أقوى من البينة، وغـاية البينـة أن يستفـاد منها ظن، وأمـا وجـود المسروق بيـد السارق، فيستفاد منه اليقين، وبهـذا جاءت السنة فى وجوب الحد بـالحبل والرائحة فى الخمـر كما اتفق عليه الصحـابة، والاحتجـاج بقصـة يـوسف على هــذا أحسـن وأوضح من الاحتجاج بها على الحيل .

وفيهـا تنبيـه على أن العلم الخفـى الـذى يتـوصل بـه إلى

المقاصد الحسنة مما يرفع الله به درجات العبد؛ لقوله بعد ذلك: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] قال زيد بن أسلم وغيره: بالعلم.

وقد أخبر تعالى عن رفعه درجات أهل العلم فى ثلاثة مواضع من كتابه: أحدها قوله: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء﴾ [الأنعام: ٨٣] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بعلم الحجة.

وقال فى قصة يوسف: ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فأخبر أنه يرفع درجات من يشاء بالعلم الخفى الذى يتوصل به صاحبه إلى المقاصد المحمودة.

وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] فأخبر أنه يرفع درجات أهل العلم والإيمان.

النوع الثانى من كيد الله.

فصل: النوع الثانى من كيده لعبده المؤمن: هو أن يلهمه - سبحانه وتعالى - أمرا مباحا أو مستحبا أو واجبا يوصله به إلى المقصود الحسن؛ فيكون على هذا إلهامه ليوسف أن يفعل ما فعل هو من كيده تعالى أيضا، وقد دل على ذلك قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [يوسف: ٧٦] فإن فيها تنبيها على أن العلم الدقيق الموصل إلى المقصود الشرعى صفة مدح، كما أن العلم الذى يخصم به المبطل صفة مدح.

وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع، لكن لا يجوز أن يراد به الكيد الذى يستحل به المحرمات، أو تسقط به الواجبات، فإن هذا كيد لله، والله هو الذى يكيد الكائد، ومحال أن يشرع الله تعالى أن يكاد دينه. وأيضا فإن هذا الكيد لا يتم إلا بفعل يقصد به غير مقصوده الشرعى، ومحال أن يشرع الله لعبده أن يقصد بفعله ما لم يشرع الله ذلك الفعل له.

فهذا هو الجواب عن احتجاج المتحلين بقصة يوسف عليه السلام، وقد تبين أنها من أعظم الحجج عليهم، وبالله التوفيق (أعلام الموقعين ٣/ ٢٢٤-٢٨٦)

يقول الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين: ونلاحظ أن ابن القيم، فى إبطاله للحيل كان يستلهم روح الشريعة، واقفا عن ما دعت إليه، غير متحايل ولا متجن على خصومه، بل هدفه الحق حيث سارت ركائبه.

ولا يتبادر إلى الذهن أن الحيل التى ذكرها ابن القيم، وأبطلها هى كل الحيل التى جادت بها قرائح المتحايلين. بل غيرها كثير، وقد اعترف ابن القيم بذلك فقال: «ولو تتبعناها حيلة حيلة لطال الكتاب، ولكن هذه أمثلة يحتذى عليها والله الموفق للصواب» (أعلام الموقعين).

ظهر لنا مما تقدم مدى اهتمام ابن القيم بإبطال الحيل لما راعه من تلاعب بأمور الدين باسم الحيل التى يترتب عليها قبل الأوضاع. ويتلخص بحثه هذا فيما يأتى:

أولا: يبين خطورة الحيل وما يترتب عليها من إبطال مقصود الشارع وتفنيد رغبة المتحايلين.

ثانيا: قسم الحيل، وفصلها تفصيلا أزال الغموض، وكشف الستار عن المباح منها والمحرم.

ثالثا: عرض الأدلة التى تمسك بها المتحايلون، وفندها.

رابعا: عرض الأدلة المبطلة للحيل إجمالا. ثم أبطل تفصيلا (ابن قيم الجوزية ١٣٨، ١٣٩)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى جـ ٢ ق١/ ١٣٠، وابن قيم الجوزية - د. عبد العظيم عبد السلام شرف الدين / ١٢٠، ١٢٦-١٢٨، ١٣٩، وأعلام الموقعين عن رب العالمين لابن الجوزى ٣ / ٢٢٤-٢٨٦. انظر أيضا الفتاوى لابن تيمية ط دار الغد العربى م ٣/ ٨٢-١٣٢، ١٤١-٢٥١، ١٥٥-١٦١)

انظر مادة «التعريض» فى م ٩ / ٥٧٨-٥٨٣

*** الحيل (علم -):**

علم الحيل هو ما كان يعرف عند الإغريق (بالميكانيكا) وهو علم قديم اهتمت به الشعوب السابقة مثل قدماء المصريين والصين والإغريق والرومان.. لكن معظم هذه الشعوب كانت تستعمله للأغراض الدينية فى المعابد.. أو فى ممارسة السحر والتسلية لدى الملوك.

فكان الصينيون يستخدمون عرائس متحركة على المسرح الدينى لها مفاصل يتحكم فيها الممثل بواسطة خيوط غير مرئية. وقد صنع قدماء المصريين فى معابدهم تماثيل لها فك متحرك وتخرج صوت صفير عند هبوب الريح. وقد

استفاد المصريون القدماء من هذا العلم فى بناء معابدهم وتماثيلهم الضخمة أو نقلها.

أما الإغريق فكانوا أول من ألَّف الكتب فى هذا العلم ووضع له القواعد العلمية. وقد صنعوا الآلات العلمية المتحركة التى تستعمل قوة دفع الماء أو الهواء من ذلك الآلات المصوته المسماة بالأرغن الموسيقى ومنها الساعات المائية.

المسلمون وعلم الحيل :

بدأ العرب هذا العلم بنقل كتب السابقين من أمثال إقليدس وأرشميدس وارسطاليس وأبلينوس وهيرون الإسكندرى ثم ظهر منهم العلماء والمهندسون المسلمون الذين تخصصوا فى هذا المجال وطوروه ووضعوا له قواعد علمية جديدة وابتكروا تطبيقات رائدة للاستفادة منه. ويمكننا أن نلخص هدف المسلمين من هذا العلم فى تسميته بأنه علم (الحيل النافعة) وقد ذكروا فى مراجعهم أن الغاية منه (هى الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير).

ومعنى هذا الاصطلاح أن المسلمين أرادوا به منفعة الإنسان واستعمال الحيلة مكان القوة والعقل مكان العضلات والآلة بدل البدن وقد كان لتعاليم الإسلام وتوجيهاته فضل كبير فى تطوير هذا العلم عند العرب ــ فقد كانت الشعوب السابقة تعتمد على العبيد وعلى نظام السخرة فى قضاء أمورهم المعيشية والتى تحتاج إلى مجهود جثمانى كبير فلما جاء الإسلام حرم السخرة وحرم إرهاق الخدم والعبيد وتحملهم فوق ما يطيقه الإنسان العادى. هذا إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان.. لذلك اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة.

ـ وبعد أن كانت غاية السابقين من هذا العلم لا تتعدى استعماله فى التأثير الدينى والروحى على اتباع مذاهبهم مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصوتة فى المعابد. فقد جاء الإسلام فنهى عن ذلك وجعل الصلة بين العبد وربه بدون وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى.

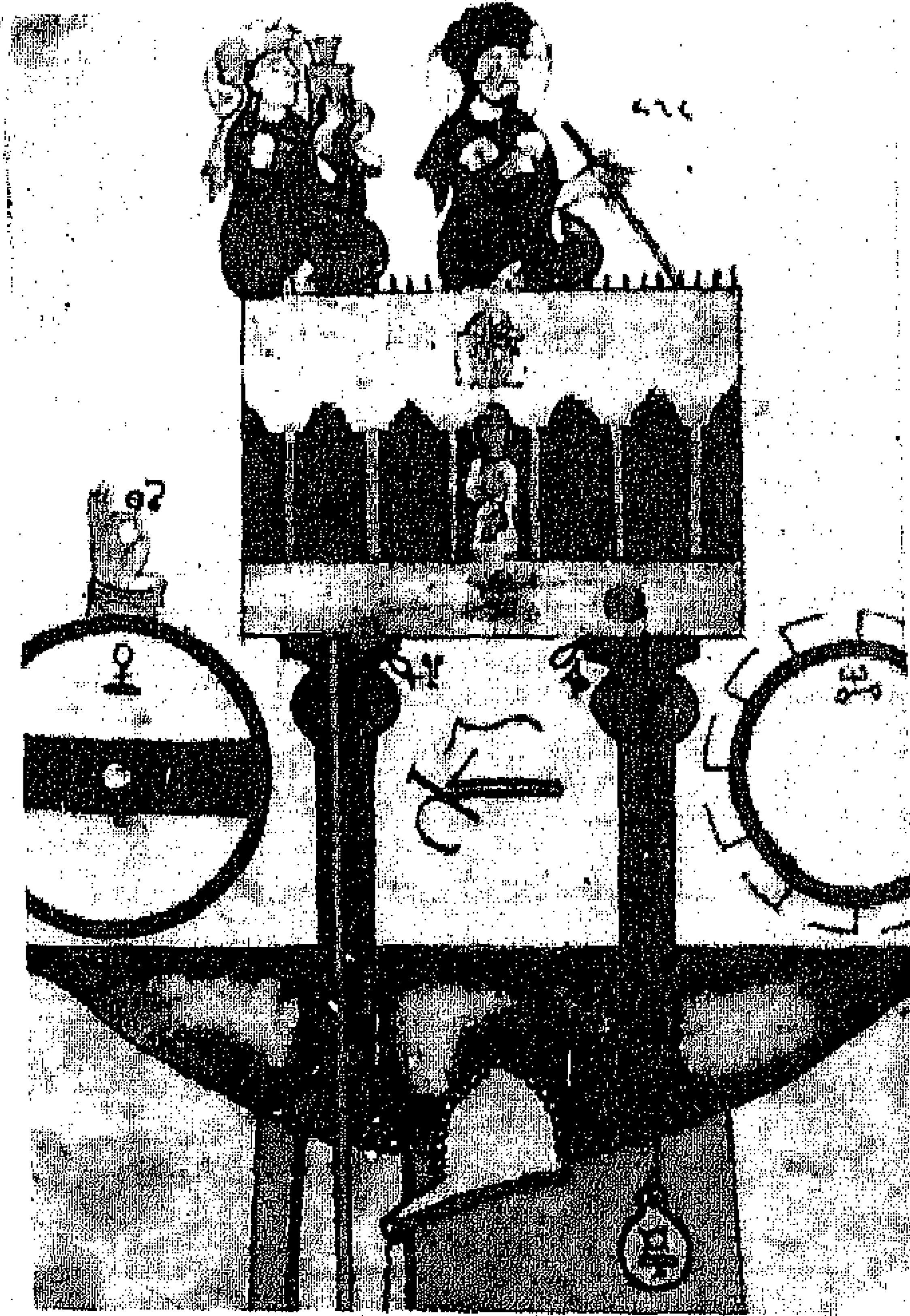
لهذا كله فقد أصبح لعلم الحيل عند المسلمين هدف جديد هو التحايل على ضعف الإنسان.. والتيسير عليه باستعمال الآلة المتحركة.

علماء المسلمين وإنجازاتهم :

ـ من أشهر علماء المسلمين فى علم الحيل أولاد موسى ابن شاكر وهم محمد (ت ٨٧٣ م) وأحمد والحسن. وقد ألفوا كتاب «الحيل النافعة» وكتاب القرطسون (وهو ميزان الذهب) وكتاب وصف «الآلة التى ترمز بنفسها صنعة بنى موسى بن شاكر» ومن اختراعاتهم التى وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكى ضخمة. تعمل فى مرصدهم وتدار بقوة دفع مائية وهى تبين كل النجوم فى السماء وتعكسها على مرآة كبيرة وإذا ظهر نجم رصد فى الآلة وإذا اختفى نجم أو شهاب رصد فى الحال وسجل.

ــ وقد اخترع أحمد بن موسى قنديلا آليا يشعل الضوء لنفسه وترتفع فيه الفتيلة تلقائيا ويصب الزيت بنفسه ولا يمكن للرياح إطفاؤه (العلوم الإسلامية / ١٢ ـ ١٦. انظر مادة « بنو موسى بن شاكر» فى ٧/ ٥٣١ ـ ٥٣٦).

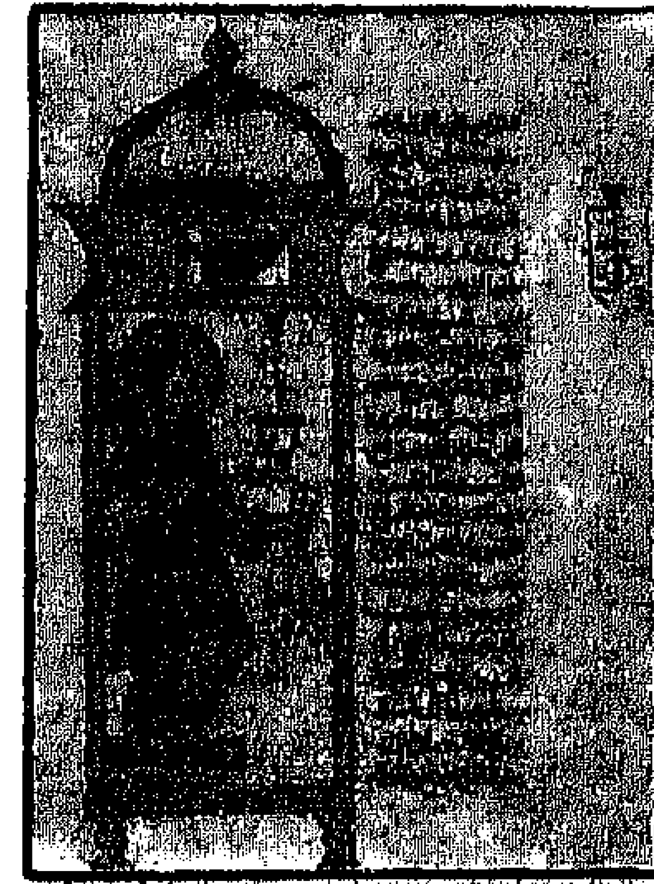
وكان فى دارهم ببغداد مرصد خاص بهم، وكان أحمد متخصصا فى علم الميكانيكا (أو التكنولوجيا) وألف كتابًا فى هذا العلم بعنوان «كتاب الحيل» وصفه ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) بأنه «كتاب عجيب نادر يشمل على كل



ساعة دقاقة فيها شخوص متحركة ويخرج منهم صوت موسيقى عند تمام كل ساعة



LNS 17 MS(b)



LNS 17 MS(a)

غريبة» ويقول الأستاذ قدري طوقان «إنه يحتوى على مائة تركيب ميكانيكي، عشرون منها ذات قيمة علمية «برع العلماء والمسلمون تبعًا لاشتغالهم بعلم الميكانيكا فى صنع الآلات العديدة المتنوعة للأغراض العلمية وللحاجات العملية. وقد ذكر ابن النديم (ت ٣٨٠هـ) أسماء عدد من صناع الآلات ومنهم امرأة المعروفة بالعجلية بنت العجل الأسطرلابى فى بلاط سيف الدولة الحمدانى. فكان هؤلاء يقومون بصنع الآلات تحت إشراف علماء الهندسة والميكانيكا، أو حسب طلبهم طبقًا للأوصاف التى يضعونها فى مؤلفاتهم. وأروع مؤلف فيه لإسماعيل بن الرزاز الجزرى بعنوان: «كتاب فى معارف الحيل الهندسية» أو « الحيل الجامع بين العلم والعمل» ، (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨).

وقد ذكر فيه المؤلف أسماء ووصف خمسين آلة ميكانيكية كالساعات المائية والنافورات وأخرى غريبة مع صورها بالألوان الجميلة، وهو مخطوط في استنبول، وأشهر كتاب عند الغربيين (العلوم والفنون عند العرب/ ٢٨) ويسمى فى أوربا «الحيل الهندسية» وهو من أدق الكتب وصفًا وشرحًا وتفصيلا.. وما زالت بضع نسخ أصلية من هذا الكتاب موجودة فى متاحف أوروبا حيث يعتزون بها كدرر أثرية ثمينة.

وقد ترجم الكتاب إلى جميع اللغات الأوربية عدة مرات وكان قاعدة لعلم الميكانيكا الحديثة. والجزرى هو أول من اخترع الإنسان الآلى المتحرك للخدمة فى المنزل. طلب منه الخليفة أن يصنع آلة تغنيه عن الخدم كلما رغب فى الوضوء للصلاة.. فصنع له آلة على هيئة غلام منتصب القامة وفى يده إبريق ماء وفى اليد الأخرى منشفة وعلى عمامته يقف طائر. فإذا حان وقت الصلاة يصفر الطائر ثم يتقدم الخادم نحو سيده ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين فإذا انتهى من وضوئه يقدم له المنشفة ثم يعود إلى مكانه والعصفور يغرد.

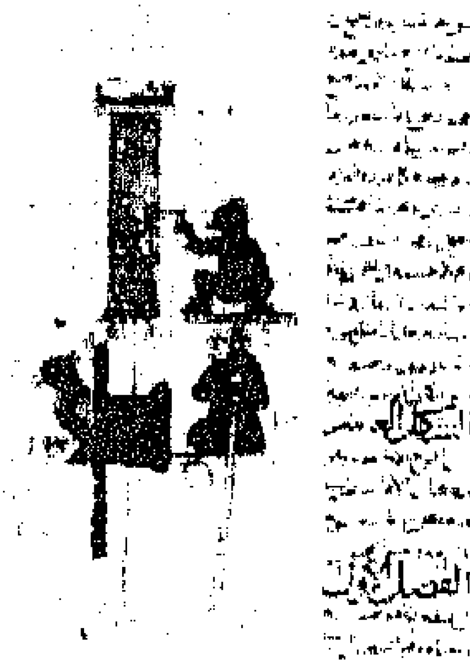
ـ من أكثر الأمور التى حظيت باهتمام علماء المسلمين استعمال الروافع لرفع الأثقال الكبيرة بالجهد اليسير.. وقد وضعوا لها قواعد وصنعوا أجهزة معقدة لرفع الأثقال الكبيرة أو جرها بالجهد اليسير.

ـ ومن أساطين هذا العلم فى الأندلس عباس بن فرناس (ت٨٧٨م) وهو صاحب عدد كبير من الاختراعات الميكانيكية.. منها (الميقاتة). لمعرفة الأوقات وهى تسير بقوة دفع مائية. ومنها نموذج القبة السماوية التى توصل فيها إلى محاكاة البرق والرعد ثم صنع أول طائرة ذات جناحين متحركين وطار بها من فوق مئذنة مسجد قرطبة.

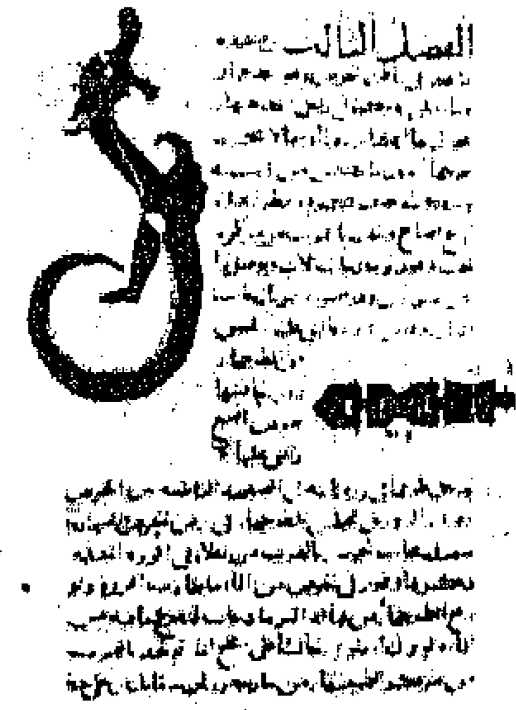
ـ ومن هؤلاء العلماء ابن يونس المصرى (ت ١٠٠٩) ويذكر عنه سارتون في موسوعة تاريخ العلم أنه أول من اخترع الرقاص واكتشف قوانين ذبذبته وذلك قبل الإيطالى جاليليو (المتوفى سنة ١٦٢٤ م) بستة قرون (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨، ١٧).

وعن التطبيقات العملية لعلم الحيل يقول الدكتور أحمد شوقى الفنجرى:

يتصور بعض الأوربيين أن العرب رغم ولعهم الشديد بالميكانيكا أو علم الحيل فإنهم لم يطبقوه فى أمور عملية نافعة كما طبقته أوربا فى الاختراعات العصرية الحديثة كالقطار والسيارة والطائرة ويتصور بعضهم أن التطبيق السائد عند العرب كان فى تسلية الخلفاء وفى بلاط الحكام بصناعة الدمى المتحركة والمصوتة وهذا مخالف للواقع وينم عن قصور فى الدراسة والبحث لأن ما تركه المسلمون والذى لا



LNS 17 MS(e)



LNS 17 MS(g)

تزال آثاره موجودة حتى وقتنا الحاضر يعتبر أبلغ شاهد على تطور هذا العلم وتطبيقاته المتعددة ويعتبر المعمار المجال الأوسع لتطبيق علم الميكانيكا فى عصور الإسلام المختلفة .

وتكفى نظرة واحدة إلى آثار العمارة الإسلامية الموجودة حتى عصرنا الحاضر فى شرق العالم وغربه وما فيها من تطبيقات عملية متطورة وما أنجزه علماء المسلمين من القباب والمآذن والسدود والقنوات ...

لقد برع المسلمون فى تشييد القباب الضخمة ونجحوا فى حساباتها المعقدة التى تقوم على ما يسمى فى وقتنا الحاضر بطرق تحليل الإنشاءات القشرية (SHELLS) فهذه الإنشاءات المعقدة والمتطورة من القباب مثل قبة الصخرة فى بيت المقدس وقباب مساجد الأستانة والقاهرة والأندلس والتى تختلف اختلافا جذريا عن القباب الرومانية ، كل هذا يدل على تمكنهم من هذا العلم الذى يقوم على الرياضيات المعقدة .

وإنشاء المآذن الطويلة والتى يعلو بعضها أكثر من ٧٠ مترا فوق سطح المسجد والتى تختلف اختلافا جذريا ومتطورا عن المنارات الرومانية .

وإنشاء السدود الضخمة التى أقامها العهد العباسى والفاطمى والأندلسى مثل سد النهروان وسد الرستن وسد الفرات .

ـ ثم وسائل الرى والفلاحة التى ابتكرها المسلمون مثل سور صلاح الدين الذى يجلب الماء من النيل إلى قمة جبل المقطم ووضعوا فى النيل آلة متطورة ترفع الماء إلى ارتفاع عشرة أمتار لكى يتدفق من هذا الارتفاع إلى القلعة مباشرة .

ـ وطواحين الماء والهواء ... واستعمالها فى مصانع الورق ومصانع البارود وما فيها من تروس معشقة وعجلات ضخمة متداخلة .

ـ ثُم هذا الاستغلال العبقرى لنظرية الأنابيب المستطرقة فى توصيل المياه فى شبكة من المواسير إلى البيوت ، أو فى بناء النوافير داخل القصور كما فى نوافير الماء الراقصة فى قصر الحمراء ، هذا علاوة على استغلالها فى تحريك الدمى والأبواب .

ـ والمدن الإسلامية أول مدن فى التاريخ تستعمل شبكات المياه من المواسير المعدنية وذلك قبل أوروبا بعدة قرون وما زالت إحدى هذه الشبكات حتى اليوم الموجودة فى مدينة (عنجر) شرقى لبنان وقد أقامها الأمويون فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان .

ـ وقد أبدع المسلمون فى استغلال علم الحيل فى صناعة السلاح . فطوروا المنجنيق والدبابات الخشبية وكانوا أول من صنع المدافع والبندقية .

وتحدثنا كتب التاريخ عن الكثير من الاختراعات العجيبة فى قصور الخلفاء وأثرياء المسلمين : فمن ذلك أن أحد الخلفاء كان مصابا بالأرق فصنع له العلماء فراشا فوق بحيرة من الزئبق ليساعده على النوم . وجاء فى وصف مقصورة جامع مراكش المصنوعة أيام الموحدين أنها كانت تتحرك جدرانها ومنبرها بمجرد أن تلمس رجل الخليفة الأزرار الموضوعة فى المدخل الخاص عند دخوله المقصورة . وكانت هذه المقصورة تدار بحيل هندسية بحيث تنصب إذا استقر المنصور ووزراؤه بمصلاه وتختفى إذا ذهبوا . وقد تجلت مهارة المسلمين الميكانيكية فى صناعة الساعات الكبيرة والصغيرة ويذكر ابن كثير (فى البداية والنهاية جـ ٩) أن أحد أبواب

جامع دمشق كان يسمى باب الساعات « لأنه عمل فيه الساعات التى اخترعها فخر الدين الساعاتى وكان يعمل بها كل ساعة تمضى من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب. فإذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة فى الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة » ويقول ابن جبير فى وصف هذه الساعة « أنها كان لها بالليل تدبير آخر إذ تجهز بمصباح يدور به الماء خلف زجاجة داخل الجدار. فكلما انقضت ساعة عم الزجاجة ضوء المصباح ولاحت للأبصار دائرة محمرة » وكانت هذه الساعة فى غرفة كبيرة وهناك شخص يقيم بداخلها، مسئول عن صيانتها وإدارتها، مدرب على أعطالها الميكانيكية، فهى أشبه بمحطة من محطات توليد الطاقة فى عصرنا الحاضر (انظر صورة هذه الساعة فى مادة « الجامع الأموى بدمشق » فى م١١ / ٤٦٧).

وفى سنة ٧٥٨ هـ . صنع المهندس أبو عنان المرينى المغربى ساعة ضخمة من النحاس. وضعت فى الساحة العامة بسوق القصر بالمغرب ... وكانت فى كل ساعة تسقط صنجة كبيرة فوق طاس كبير ... فيحدث لها دوى كبير يسمعه أهل المدينة.

ويعتبر الجزرى أول مخترع لمضخة المكبس. كذلك قدم الجزرى فى كتابه خمس آلات مختلفة لرفع المياه من الأعماق بالجهد اليسير، وكل منها يمثل تطورا جديدا فى علم الميكانيكا وكان لها الفضل فى ابتكار مضخات سحب البترول من الأعماق وهذا قليل من كثير مما لا يتسع المقام لشرحه (العلوم الإسلامية ٣/ ١٨ ـ ٢٥).

وعن الجانب النظرى يقول الدكتور سيد رضوان علي: ولعلم الميكانيكا غير هذا الجانب الهندسي الصناعى، أو الجانب العملى جانب علمى نظرى وهو ذو قيمة كبرى ليس فى مجال البحث العلمى فحسب بل فى الاختراعات الهامة، وهى ما تتعلق بمفهوم القوة وأنواعها، ومفهوم الحركة وقوانينها، وتصادم الأجسام وتساقطها، وطبيعة الزمان والمكان وغير ذلك من المباحث الدقيقة، ومنها قوة الجذب، وجاذبية الأرض، والحقيقة أن هذا العلم الهام فى عصرنا الحديث لم يدرس تاريخه عند العرب كما درست العلوم الأخرى التى تطرقنا إليها.

وفى السنوات العشر الماضية اهتم أحد الأساتذة المصريين، وهو الدكتور جلال شوقى بدراسة هذا الموضوع فى عدد من مؤلفاته مثل تراث العرب فى الميكانيكا، (هذا الكتاب عندى. انظر ثبت المراجع لهذه المادة) «وعلم الميكانيكا عند العرب» ، وأبرزت هذه الدراسات إسهام العرب فى تطوير هذا العلم، وقلبت مفاهيمنا عن كثير من النظريات التى كانت تنسب إلى علماء الغرب، وهى فى الحقيقة للعرب.

فلقد نادى العالم الطبيعى الرياضى الفلكى الكبير الحسن ابن الهيثم بوجود «الخلاء» عند بحثه فى المكان قائلا، وليس الخلاء بذى مادة، ولا فيه مدافعة، وإنما الخلاء هو أبعاد فقط متهيئة لقبول المواد «وبالتالى فحركة الأجسام فى الخلاء لا تلقى أية معوقات أو مخالفات، وهذه حقيقة أثبتها الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء فى عصرنا» (تراث العرب فى الميكانيكا / ٨٣).

كما أنه قرر عند البحث عن الحركة والزمان أن الضوء له سرعة زمنية محدودة فإن كانت هذه السرعة فائقة للدرجة، يحسبها المرء غير متناهية. وهذه الحقائق عن الحركة فى نطاق الزمن مهما كانت سرعتها، ومنها سرعة الضوء والتى ثبتت بالتجربة من حوالى منتصف القرن الماضى فقط، تعتبر سبقًا عظيمًا للحسن بن الهيثم حيث كان الرأى السائد قبله وبعده أن الضوء يتحرك لا فى زمان وهو محال (المرجع السابق/ ٤٣).

وقد درس ابن الهيثم حركة تصادم الأجسام دراسة علمية مستفيضة مؤيدة بالتجربة والتحليل فأمكنه التوصل إلى القواعد الأساسية التى تحكم هذه الحركة ووقف على معنى كمى للحركة سماه قوة الحركة والتى نسميها اليوم كمية الحركة، وقدم بذلك أول طريقة عرفها العالم بقياس صلادة الأجسام على أساس تباين مخالفة الأجسام للانفعال بالمصادمة (تراث العرب فى الميكانيكا/ ٥٦)

يقوم علم الحركة (الديناميكا) على قوانين ثلاثة وهى تنسب جميعًا فى العادة إلى نيوتن ولكن بحث قبله بعدة قرون علماء العرب: ابن سينا وابن ملكا، وفخر الدين الرازى، ونصير الطوسى من الفلاسفة العلماء فى هذه القوانين.

وقد أثبت الدكتور جلال شوقى بعد إجراء دراسة مقارنة أن القانون الأول فى الحقيقة وضعه ابن سينا، بينما وضع القانون الثالث هبة الله بن ملكا البغدادى فى صورة متكاملة، واشترك فى شرح هذين القانونين للحركة كل من الفيلسوف المتكلم المفسر فخر الدين الرازى، والعالم الفلكى العبقرى نصير الدين الطوسى، كما أنهم وقفوا على بعض المعانى الواردة فى القانون الثانى للحركة وكادوا أن يتوصلوا إليه فى صورته المتكاملة.

وبناء على ذلك فلا يصح أن ينسب من هذه القوانين إلا قانونًا واحدًا لنيوتن وأما القانونان الآخران فهما من مبتكرات علماء العرب، وأن للمجتمع العلمى أن يعترف بهذا الحق، كما يدعو - الدكتور جلال شوقى - لأصحابهما.

وأما ما يتعلق بالجاذبية الأرضية أو قوة الجذب، فقد عرفها العرب قبل نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧ م) بمئات السنين، وكانوا يسمون هذه القوة «القوة الطبيعية» أو «الميل الطبيعى»، وتناولها العرب بالدراسة منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، ولقد قال الإمام فخر الدين الرازى (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) فى كتابه «المباحث الشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات» (ص ٥٧٨) «وانجذاب الجسم الى مجاورة الأقرب أولى من انجذابه إلى مجاوره الأبعد»...

وهكذا فقد فهم العرب تمامًا أن لكل جسم قوة «طبيعية» فيه، وهى القوة التى نسميها اليوم قوة التثاقل، وهى القوة الناشئة عن جاذبية الأرض. فقال العرب بأن الجسم إذا ما أخرج من موضعه الطبيعى فإنه يسعى بقوته الطبيعية الى استعادة ذلك الموضع وهو يسلك فى ذلك أقرب الطرق ألا وهو الخط المستقيم.

ويتبين فهمهم لقوة التثاقل من الأقوال الكثيرة الواضحة التى وردت على ألسنة علمائهم وفلاسفتهم «أمثال ابن سينا ومؤلفى رسائل إخوان الصفا وابن ملكا البغدادى وفخر الدين الرازى». كما أنهم وضعوا اللبنة الأولى لدراسة حركة الأجسام فى الهواء، وهى ما تعرف اليوم بعلم الديناميكا الهوائية، وذلك بقوله إن حركة السهم المقذوف إلى أعلى تجعل من الهواء وسطًا حاملا له (العلوم والفنون عند العرب/ ٨٣ - ٨٦). ويلخص الدكتور يوسف فرحات إنجازات العلماء المسلمين فى علم الحيل (الميكانيكا) بقوله:

- اهتم العرب بالروافع، وهى آلات بسيطة تمكنهم من رفع الأثقال أو جرها بواسطة قوى صغيرة بالنسبة إلى وزن هذه الأثقال، وأهم الروافع عندهم: المخل، الإسفين، واللولب. وفى مجال التطبيق العملى بقاعدة الروافع استطاع العرب أن يصنعوا القبان وموازين أخرى فى غاية الدقة. والموازين الدقيقة استخدمت فى سك العملة.

- عرف العرب الأنابيب الشعرية، وهى أنابيب ضيقة جدًّا لا تخضع لنواميس توازن السوائل فى الأنابيب غير الشعرية.

- اخترع ابن يونس رقاص الساعة قبل غاليليو الذي نسب إليه هذا الإنجاز.

- اشتهر العرب بصنع الساعات المائية، واخترعوا أصنافًا من الآت التسلية القائمة بحركات ذاتية، بفضل توازن السوائل (علماء العرب/ ٣١، ٣٢).

قالت المؤلفة: انظر تلخيص هذا كله للدكتور جلال شوقى فى كتابه «تراث العرب فى الميكانيكا» ص ٥٤ - ٥٦، ١٠١ - ١٠٣.

ونقدم لك فيما يلى نموذجا مما أورده الخوارزمى عن الحيل فى «مفتاح العلوم» حيث إنه أفرد للكلام عليها فى الباب الثامن من المقالة الثانية فصلين، ونتبع الكلام بشرح بعض المصطلحات التى استخدمها المؤلف.

وإليك ما جاء فى كل منهما:

الفصل الأول: فى الألفاظ التى يستعملها أهل الحيل فى جر الأثقال بالقوة اليسيرة:

صناعة الحيل يسمى باليونانية منجانيقون وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة فمن الألفاظ التى يستعملها أصحاب هذه الصناعة: البرطيس وهو فلكة كبيرة يكون فى داخلها محور تجر بها الأثقال وتفسيرها باليونانية المحيطة. المخل خشبة مدورة أو مثمنة تحرك بها الأجسام الثقيلة بأن يحفر تحت الشىء الذى يحتاج إلى تحريكه ويوضع فيه رأس المخل ثم يكبس الرأس الآخر فيستقل الجسم الثقيل: والبيرم أحد أصنافه ويقال البارم والمخل لفظة يونانية والبارم فارسية: ابو مخليون حجر يوضع تحت هذا المخل فيسهل به تحريك الثقل: الكثيرة الرفع آلة تسوى من عوارض وبكرات وقلوس تجر بها الأحمال الثقيلة: الإسفين شىء يعمل شبيها بالذى

يسميه النجارون فإنه يوضع ركنه الحاد تحت الأشياء الثقيلة ويدق دقا حتى يدخل تحته وأكثر ما يستعمل عند قلع الحجارة من الجبال. اللولب هو الشيء الملتوى الذى يدخل فى آخر يلوى ليا إلى أن يدخل فيه وهو معروف يكون عند النجارين والمؤسسين: غالاغرا معصرة للزياتين : إسقاطولى خشبة مربعة تستعمل فى هذه الآلات. ومن هذا الجنس آلات الحروب كالمجانيق والعرادات. ومن آلات المنجنيق الكرسى وصورته مثل صورة الشىء الذى يكون فى المساجد يصعد عليه لتعليق القناديل: والخنزيرة من آلاته وهى شىء شبيه بالبكرة إلا أنه طولانى الشكل: والسهم خشبة طويلة مستوية كالجذع والإسطام حديدة تكون فى طرف السهم حيث يعلق حجْر الرمى.

الفصل الثانى: فى حيل حركات وصنعة الأوانى العجيبة، وما يتصل بها من صنعة الآلات المتحركة بذاتها.

الحركات بالماء إنما تجذب بذاتها بأن توضع إجانة أو نحوها مثقوبة الأسفل فارغة فوق الماء (الإجانة إناء أو حوض)وتعلق بها خيوط كما تعلق بكفة الميزان وتشد بتلك الخيوط الأجسام التى يراد حركتها فكلما امتلأت الإجانة رسبت فى الماء وجرت الخيوط وما يتعلق بها فيحدث لذلك حركة وقد تستوى هذه الحركات بفنون من الأشكال مختلفة بعضها ألطف من بعض ومرجعها إلى ما ذكرته وقد يكون جنس آخر وهو أن تعمل آلة من صفرا أو نحوه مجوفة لا متنفس لها ألبتة وتوضع فى سطل أو نحوه ثم يصب فى السطل ماء صبًّا رقيقا فكلما ازداد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضًا وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة.

فأما الحركات التى تحدث من غير الماء فإن منها ما يعمل بالرمل ومنها ما يعمل بالخردل والجاورس وذلك أنه تعمل آلة على هيئة البربخ طويلة ويثقب أسفلها ثقبا صغيرًا ويكون رأسها مفتوحا ثم تملأ رملا أو خردلا أو نحوها وتوضع فوقه قطعة رصاص ويشد الرصاص من خيط أو حبل ويعلق بالخيط ما يحتاج إلى تحريكه ثم يوضع فى موضع منتصبا ليخرج الرمل أو غيره من الثقب التى [الذى] فى أسفله فكلما تناقص الرمل تحرك الرصاص سفلا وحرك ما هو متصل به وقد تهيأ حركات عجيبة لذلك على أشكال مختلفة ومن هذا الباب صنعة الأوانى العجيبة فمن آلات أصحاب الأوانى السحارة هى التى تسميها العامة سارقة الماء أعنى الأنبوبة المعطوفة المعمولة من خارج أو غيره فيوضع أحد رأسيها فى الماء أو غيره من الرطوبات المائية ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذى فى الماء ولا يمكن ذلك إلا أن يكون الرأس الذى يمص أسفل من سطح الماء. فأما إذا كان أعلى منه فإنه لا ينصب منه.

السحارة المخنوقة التى تعمل فى جام العدل وجام العدل إناء يعمل ويركب فيه أنبوبة فوق أنبوبة وتكون العليا مثقوبة وأسفل الإناء مثقوب [مثقوبًا] فإن كان ما فيه من الشراب فيما دون رأس الأنبوبة السفلى ثبت فيه، وإذا علاه انصب الشراب من الثقب الذى فى أسفل الإناء ولم يبق منه إلا مقدار ما يبقى من الأنبوبتين.

والسحارة أيضا الكوز المغربل السفل المضيق الفم الذى يملأ ماء ثم يقبض على فيه فلا ينصب الماء من ثقوب الغربال وتسمية العامة الغيم.

البثيون هو البزال الذى يعمل من أنبوبة تثقب ثقبا وتركب فى الثقب أنبوبة أخرى منتصبة تدار فيه للفتح والسد والأنبوبة المركبة فى الإناء تسمى الأنثى والأنبوبة المركبة فى ثقب الأنبوبة تسمى الذكر وكذلك كل ما يكون على هذه الصفة من الأنابيب والبرابخ والقنوات وغيرها ... وكذلك فى النرمادجات (كلمة فارسية معناها المفاصل) ونحوها وذكر البثيون يسمى السهم أيضا : المى دزد معناه بالفارسية سارق الشراب وهو إناء يعمل فيملأ شرابا ثم ينكس فلا ينصب منه درهم فيوهم الشارب إنه قد استوفى ما فيه ويسمى جام الجور كما يسمى ضده جام العدل لأن ذلك إذا زيد فيه شىء فوق المقدار انصب ما فيه كله : المهندم لفظة فارسية معربة مشتقة من هندام بالفارسية وهو أن يلتصق الشىء بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلصق أو يلحم بلحام : المطحون شبيه بالمهندم إلا أنه أسلس بحيث يمكن تحريكه: وباب مطحون أن يكون فيه ذكر وأنثى ... وينطبق وينفتح فإذا انطبق كان مهندما لا فرجة فيه وأكثر ما يكون صنوبرى الشكل ويقال

انطحن الشىء فى الشىء إذا كان يتحرك فيه من غير فرجة بينهما .

باب المدفع وباب المستق يكونان فى النفاطات والزرافات ونحوها :

التخاتج جمع التختجة وهى الألواح معربة تختة : المليار والمنيار إناء كبير يسخن فيه الماء .

سرن الرحى الدوارة التى يضربها الماء فتدور .

بركار السرن أجنحته لغة فارسية معربة .

والقطارات آلات تعمل يقطر منها الماء أو غيره على قدر الحاجات فى أشكال مختلفة .

الحنانات آلات تعمل فتحن بصوت مثل صوت المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات المعازف والمزامير والصفارات وغيره على قدر الحاجة .

النضاحات آلات تعمل للنضح فى وجوه الناس على نحو ما يزيد الصانع .

الفوارات هى التى تعمل فى الحياض والحمامات ونحوها يفور منها الماء فى أشكال مختلفة .

المِقاط حبل دقيق يفتل من خيوط الغزل أو الكتان ونحوه .

القلس هو الحبل الغليظ الذى يشد به السفن وغيرها .

الشاقول هو ثقل يشد فى طرف حبل يمده سفلا يحتاج إليه النجارون والبناؤون .

الكونيا للنجارين يقدرون بها الزاوية القائمة .

وإليك معانى بعض المصطلحات والمفردات التى استعملها الخوارزمى :

بربخ : انبوب .

بركار السرن : دولاب الماء أو أجنحة دولاب الماء .

بزال : بَزَل الشراب : أساله .

بُزَّال : موضع البزل . وهو الأنبوب الذى يخرج منه الماء .

جزعة : (جمع جزع) خرزة وتستخدم كثقب محدد السعة من أجل خروج الماء بمقدار معين .

دبة : آلة من صفر أو نحوه مجوفة لا متنفس لها ألبتة وتوضع فى سطل أو نحوه ثم يصب فى السطل ماء صبًّا رقيقا فكلما زاد الماء طفت تلك الآلة ورفعت ما يتعلق بها من الأجسام فيحدث لذلك حركات أيضا وتسمى هذه الآلة المجوفة الدبة .

وتسمى حاليًا العوامة أو الفواشة .

إسطام : مسعار ، وهو حديدة تحرك بها النار ويعنى هنا قضيب معدنى له طرف عريض (مفاتيح العلوم / ١٤١ ـ ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦) .

(العلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٣ / ١٢ ـ ١٦ ، ١٨ ـ ٢٥ ، والعلوم والفنون عند العرب ـ د. سيد رضوان على / ٨٢ ـ ٨٦ ، وعلماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٣١ ، ٣٢ ، ومفاتيح العلوم للخوارزمى / ١٤١ ـ ١٤٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ . انظر أيضا تراث العرب فى الميكانيكا ـ د. جلال شوقى / ٧٣ ـ ٧٤ ، ٩٠ ، ١٠١ ـ ١٠٣ ، والعلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٢٦ ـ ٢٩) .

ملاحظة : الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر التالية :

العلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح / ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، وهى من مخطوط « كتاب فى معرفة الحيل الهندسية » للجزرى ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٣ / ١٩ .

انظر أيضا الصور المصاحبة لمادة الجزرى (بديع الزمان) فى م ١٢ / ١٦٦ ـ ١٦٨ .

*** الحيل فى الحروب :**

يفرد الهروى الباب الثالث والعشرين من تذكرته « فى الحيلة إذا حاصره عدوه والعمل فى ذلك » مما يندرج تحت العسكرية الإسلامية جاء فيه ما يلى :

وإذا قصده عدو لا طاقة له به ويعجز عن دفعه وملاقاته فليبادر بإصلاح جنده واستمالة قلوب أصحابه ومقدمى عسكره ورعيته بجميع ما يقدر عليه ويصل إليه مما ذكرناه وحررناه أولا ويشاور أصحاب الآراء وأهل التجارب من خواصه وأرباب دولته . ولينظر على ما تنطوى عليه قلوبهم وتنطق به ألسنتهم فمن وجد فيه اعوجاجا قوَّمه أو زيغا عدله أو خورا شجعه وليتفقد السور والأبراج والمرامى والطاقات ومواضع الطلاقات ويعمر خرابها ويحكم أبوابها ويسلمها إلى الأمراء

الذيـن يعتمد عليهم ويركـن إليهم وليستمل قلوب المعمـارية والنقابين والجرخية والزراقين والمنجنيقية والرجال الجياد وإياه أن يهمل أمـرهم وليهدم مـا قـرب من بلده من العمـارة ولينقل حجارته إلى حصنه فإن الحجار أوفى الذخائر للعاجز والقادر وليقطع الأخشاب والجسورة وجميع ما ينتفع بـه العدو ويذخر فى حصنـه وليبادر بطم الآبـار وخـراب المصانع والصهـاريج ويلقى فيهـا الجيف المسمـومـة والمياه القـاتلـة والـزرانيخ المصعـدة وليلق فى منـزلة العـدو الميتـة والجيف كالجمـال والخيل والبغـال والكلاب والقـاذورات وليجعلهـا على مهب الرياح فإن ذلك يؤدى إلى الوباء والمرض وتغير الهواء وإياه أن يهمل أمـر خنـادق البـلاد فهى من أكـابر المهمـات والأمـور العظام وليحـذر خندقه ويـوسعه ويعمقه ويحكمـه فهو أوفى الحصون للعاجز المحصور .

وليرسل المـرجفين إلى عسكر عدوة ليزعجـوا قلوب الجند بـالأراجيف على بـلادهم وخـراب ضيـاعهم ومـوت أهـاليهم وهـلاك البطارقـة وخلف الأساقفـة وكثـرة الأراجيف المزعجـة والأحـلام الـرديـة فإن ذلك يـوهن شـوكتهم ويشـوش هممهم ويضعف قلوبهم وليـرسل أمراء العسكر ويكاتب مقـدميه بما تقتضيه أحـوالهم وتميل إليه طباعهـم لتختلف أقوالهم وتضل آراؤهم وليظهر المنعـة والقوة والشدة وقلة الالتفات إلـى ناحية العدو .

وليـرسل الطلائع ولينفـذ الجـواسيس فإذا قرب العـدو من بلده ولم يبق له غير مرحلـة واحدة فليكمن الكمناء وليجرد من عسكره وينتخـب من جيشه كل فـارس مشهور وبطل مـذكور وليبادر العسكر عنـد نزوله بحملة هائلة وصـدمة منكرة بجميع من معـه والكمين يتبعـه وليكثروا مـن رمى النشاب وآلـة النـار وقسى الزيار فقل ما سلم جيش عند نزوله إذا حل به ذلك وإياه أن يقتحم هذا الأمر ويرتكب فى هذا الحال ويترك الأبواب بغير حفظة والسور بغير رجال والبلد بغير زعيم فربما كان الأمر عليه فيقصد عدوه البلـد ولا يجدونه مانعا بل يعتمـد الحزم والنظر فى العـواقب والوقـوف على قدم الخـوف فالتجارب ليـس لها غاية والعاقل منها فى زيادة .

فإن خاف عدو منه فقد تمكن منه وإن لم يخف فلا بد وأن يهـوله ذلك وليبـادر بحفظ الخنـدق وحراسـة السور وإيـاه أن يقطع جسورة الخندق إلا من أمر عظيم لا طـاقة له به وليحذر أن يسـد أبـواب السـر فإن ذلك يـزيد العـدو طمعـا وليفـرش الحسك حول المواضع القريبة المأخذ ولا يمكنهم من نصب منجنيق ولا تقدم برج ولا زحف كبش إن قدم على ذلك فقل ما تمكن المنجنيق من حصن إلا أخـذه وليحذر النقب فإن نقب عليه فليبادر بخسفه وإحراق من فيه ولينتظر ليلة مظلمة وساعة مغنمـة من ليالى السـرار وليجـرد من الخيل الطواسن الصعبـة الانقيـاد التى لا ينتفع بها مهمـا قـدر عليه ويخرجهـا من كل نـاحية وليخـرج معها الـرجـال ويجرد لهـا الأبطال ويشـد فى أذنـابهـا من جلـود الجـواميس اليـابسة والأوعـال المـذخـرة ويـزجروهـا بـالسياط ويـوجعـوها ضـربـا ويولمـوهـا عقوبـة ويسـاعدوهـا بالضجيج العـالى والأصوات الهـائلة والصـراخ المزعج إلى أن يلقوها فى مخيم العدو فإذا شاهدوا العسكر قد اختبط وضج واختلط فلتحمل الفـرسان وتبـادر الشجعان من كل نـاحية ومكان وليكثـروا من آلة النـار والنفط الطيار فـإن له هيبة ترعب قلب الجبان وتـرهب فؤاد الإنسان . هذا والكمناء خلف التلال وذيول الجبال وليصدقوا فى الحملة ولينصحوا فى العملة فإنها مكيدة عظيمة وحيلـة هائلة جسيمة لا يسلم منها عسكر ولا بد وأن يكسر ولا ينجو منها جيش إلا نادرا فإن كسر عدوه فقـد نال مـراده وبلغ أمله وإن يبلـغ المقصود بعـد بذل المجهـود فلا بـد وأن يـوهن شـوكة العـدو ويضعضع جيشـه ويفسـد حالـه فإن القلب الضعيف تستفزه الحيل وإن صـورة الشجـاعة إذا تحـركت ولم تظهـر تـولد الفـزع فتنقطع الجـرأة ويشتد الخوف قيل إن الإسكندر ذكر هذا .

فإن لم يزعهم ما يرون من هذه المكيدة وتدبير هذه الحيلة فليلـزم حفظ الحصن وحـراسـة السور وتـرتيب الـرمـاة وعمل الستائر وتفقد المجانيق . وليحـذر أن ينفذ إلى عدوه رسولا إلا جوابا فإن ذلك يؤدى إلى تعظيم شأنه وقوة حصنه وقلة المبالاة بعـدوه وليستعن عليـه بأصحـاب الأطراف وعسـاكـر أعـدائه ومجـاورى بلاده وليحتفـوا ولايتـه ويقصـدوا ناحيتـه وأرى أن خدعـه بالحيل وردعه بـالمكر خيـر من الاستعانة بجنـد الغير وعساكـره فإن الذى يستعين به على عدوه لا بـد وأن يعلم منه الضعف والعجز فيداخله فيه الطمع فربما ضره فى وقت آخر.

(التذكرة الهروية فى الحيل الحربية لعلى بن أبى بكر الهروى / ٢٦ - ٢٨) .

انظر مادة « التذكرة الهروية فى الحيل الحربية » فى م٩/ ١٩٤، ١٩٥ .

*** الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفنون الحربية .

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

تأليف محمد بن منكلى الناصرى نقيب الجيوش فى سلطنة الأشرف شعبان (٧٦٤ ــ ٧٧٨هـ) (بروكلمان ٢/ ١٣٦) .

أولـه : الحمد لله الواسع ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ... وهذا كتاب الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، من حكم ذى القرنين الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وجد فى ديماس بالإسكندرية بين حجرين مطبقين ، أحدهما على الآخر مكتوبا باليونانية فترجم بالعربية . وهذا الكتاب فى جميع أبوابه يحتاج إليه فى أنواع الحرب من الحيل والمكر والخديعة ومخادعة العدو والاحتراس من مكره وعمل الآلات والسلاح ، وهو مبوب أبوابا نوعتها منه على تسعة أنواع (٣٩ بابا) .

وآخره : تم كتاب الحيل فى الحروب بعون الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

ــ نسخة بقلم نسخ جميل كتب فى أولها أنها : « ملك العبد الفقير... الجناب العالى المولوى الكبير العلائى علاء الدين طيبغا العمرى الساقى الملكى الناصرى ... وافق الفراغ من نسخه فى شهر جمادى الآخر سنة ٧٥٧ فى ١٣٥ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا وموضحة بالرسوم والأشكال ١٨×٢٦ سم [أحمد الثالث باستانبول/ ٣٤٦٩] .

(فهرس المخطوطات المصورة جـ ٤ / ١٣) .

وتوجد نسخه بقسم التراث العربى بالكويت وقد أدرجت فى فهرس مخطوطات الفلاحة تحت عنوان « كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب » وجاء عن المخطوط ما يلى :

كتاب الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب :
محمد بن منكلى ، نحو ٧٧٨هـ .

ومع أن الكتاب يبحث فى فنون الحرب ، وما يجب توفيره للجيش فى حالة محاصرته لحصن أو مدينة أو معسكر، إلا أن المؤلف أفرد فصلا لدواليب رفع الماء وقعت فى ٢١ ورقة وأوضحها فى ١٧ شكلا للدواليب ، وكذا إصعاد الماء بالنار .

النسخ الموجودة منه :

(١) تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ــ أسعد افندى ١٨٨٤ .

أوله بعد البسملة والحمدلة :

« الحمد لله الواسع ، ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم ، خالق البرايا ، وبارى النسم الذى أوجد الموجودات بحكمته من العدم ، وعلمنا منه بلطفه ما لم نكن نعلم وفضلنا بكرمه على سائر الأمم ـ » .

آخره : « ... فيمشى عليه بالأقدام ثم بالخيل ، فيعبر عليه إلى ناحية العدو إن شاء الله تعالى » .

الناسخ : على بن خليل الاستادار.

النسخ : ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٩١هـ.

الخط : نسخ جميل .

الأوراق : ١٢٩ ق .

الأسطر : ١٧س .

المقياس : ٢٥×١٧,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود، أما العناوين والفواصل فكانت بالمداد الأحمر ، وفى الخطوط صور للدواليب فى الصفحات ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥ .

(٢) (المغرب ـ الرباط ، الخزانة العامة (٤٣ . ج) .

أوله وآخره كما النسخة رقم (١) .

الخط : نسخ جميل .

النسخ : أواسط ذى الحجة سنة ٧٦٣هـ .

الأوراق : ٢٨٥ ص .

الأسطر : ١٧ س .

المقياس : ١٨,٥ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود، والعناوين والأبواب بالمداد الأحمر، والنسخة خزائنية كتبت برسم المقر الأشرف العالى

المولوى السيفى يلبغا الملكى المنصورى، ويلاحظ أن على النسخة فهرسة لأبوابها تخالف ما هو فى المخطوط .

كما ألحق بالنسخة ورقتان حول اللعب بالدبوس والصراع على الخيل عند ملاقاة الخصم فى أوقات الحرب ليستا من أصل الكتاب .

(٣) المغرب ـ الرباط ، الخزانة الملكية رقم ٢٨٥ .

أوله : كالنسخة رقم ٢ .

آخره : « إما أن يكون الحائط الأوسط أقصر منهما والداخل أقصر من الخارج إلا أن أفضل هذه الوجوه الذى داخله أطول من خارجه، والأوسط أطول من الخارج وأقصر من الداخل، ولكل وجه ضرب من المنفعة سقناه فى محله، والله تعالى أعلم » .

النسخ : القرن التاسع الهجرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٥٠ق .

الأسطر : ٢٤ س .

المقياس : ١٧ × ٢٦,٥ سم .

مكتوبة بالمداد الأسود، وبها أشكال حربية ملونة .

(٤) استانبول ـ المكتبة السليمانية ــ آيا صوفيا رقم ٢٨٧٥ .

أوله : كالنسخ السابقة .

آخره : « ... فى باب دفن الخنادق » .

... ثم تلاحق بالردم بالتراب حتى يعلو التراب على الماء، ويحمل المشى فيمشى عليه بالأقدام ثم بالحبل، فيعبر عليه إلى ناحية العدو، إن شاء الله تعالى .

تم كتاب الحيل فى الحروب .

وهو ذخيرة وجدت فى خزائن الاسكندر، وملك بها جميع القلاع والأقاليم ولا غنى للملوك عن هذا الكتاب، فإنه ملك به جميع أقاليم الأرض، والله هو الموفق » .

الناسخ : محمد بن أحمد بن محمد .

الخط : نسخ ممتاز .

النسخ : يوم الخميس، ١٦ شعبان سنة ٩١١هـ .

الأوراق : ١٢٣ق .

الأسطر: ١٩س .

المقياس : ٣٠×١٨سم .

مكتوبة بالمداد الأسود والأحمر، وهى خزائنية، أعدت لخزانة الملك الأشرف أبى الخير، قانصوه الغورى .

(٥) تركيا ــ استانبول، مكتبة الطوب قابى ــ أحمد الثالث رقم ٣٤٦٩ .

أوله وآخره كما النسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ق .

الأسطر: ١٩س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(٦) هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة رقم Or. ٤٩٩

أوله وآخره كالنسخ الأخرى .

الخط : نسخ جيد .

الأوراق : ١٣٥ق .

الأسطر: ١٧س .

المقياس : الحجم المتوسط .

(فهرس مخطوطات الفلاحة / ١٥١ ـ ١٥٣) .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية . المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد . القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، جـ٤/ ١٤، وفهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د. محمد عيسى صالحية وعبد الله فليح/ ١٥١ ـ ١٥٣) .

*** الحيل والحروب وفتح المدائن والدروب :**

انظر : الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب .

*** الحيل فى رفع الأشياء الثقيلة :**

انظر : رفع الأشياء الثقيلة .

*** الحيل فى الفقه (كتاب ـ) :**

من مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق فى الفقه الشافعى .

مؤلفه : محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الطبرى القزوينى الأنصارى الشافعى ... ، ٤١٤هـ .

أوله : (قال الشيخ العلامة أبو حاتم محمود القزويني ... الحيل على ثلاثة أضرب محظور ومكروه ومباح ... إلخ » .

آخره : أصلها من اثنا عشر ويقول إلى سبعة عشر نصيبا لكل واحد منهن سهم لا مزية لبعضهن على بعض) .

ناسخه : مجهول نسخ سنة ٨٩١هـ خطه عادى كتب الأبواب والفصول بحبر أحمر، ورقه ثخين .

و: ١٧ .

م: ١٦×١٣

س: ٢٧ ت/ مجاميع / ١٨٠ ـ ١٨١

مصادر الكتاب والمؤلف : معجم المؤلفين ١٢/ ١٥٨ وهدية العارفين ٦/ ٤٠٢ .

وذكر تاريخ وفاته سنة ٤٦٠هـ وقيل سنة ٤٤٤هـ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٢٦٣، ٢٦٤) .

*** الحيل (كتاب ـ):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيل (الميكانيكا) . انظر: الحيل (علم ـ) والكتاب من تأليف بنى موسى بن شاكر، وجاء عنه فى مقدمة تحقيق الكتاب الذى نشرته جامعة حلب مايلى :

كتاب الحيل فى المراجع العربية والأجنبية :

رغم كثرة ما ألفه بنو موسى فى العلوم الرياضية وهيئة الأفلاك وحركات النجوم إلا أن أهم ما كانوا يتميزون به بين المؤرخين هو كتاب الحيل . ولم يرد وصف أو ذكر لبنى موسى إلا كان كتاب الحيل أبرز ما يوصفون به .

يقول القفطى عنهم «وأشهر ما ينسب إليهم الكتاب المعروف بحيل بنى موسى» . ويقول ابن خلكان فى ترجمته لمحمد بن موسى بن شاكر: «هو أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم حيل بنى موسى وهم مشهورون بها» . ونجد نصوصا مماثلة لدى أبى الفداء واليافعى وغيرهم .

وعن كتاب الحيل يقول ابن خلكان : «ولهم فى الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة . ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها وهو مجلد واحد» (ابن خلكان ٧٩) . وفى مكان آخر يقول القفطى «وكان بنوه الثلاثةأبصر الناس بالهندسة وعلم الحيل ولهم فى ذلك تواليف عجيبة تعرف بحيل بنى موسى وهى شريفة الأغراض عظيمة الفائدة مشهورة عند الناس» .

وأدرج كتاب الحيل فى فهرست ابن النديم ضمن أسماء الكتب المؤلفة فى الحركات وفى ترجمة بنى موسى وأدرج كذلك فى ترجمة القفطى لموسى بن شاكر وقد نسب كل من ابن النديم والقفطى هذا الكتاب لأحمد بن موسى . وأجمعت المصادر على أن أحمد كان دون أخيه محمد فى العلم إلا صناعة الحيل فإنه بذ فيها سائر الناس وفاق فيها القدماء المعروفين مثل إيرن (هيرون) وغيره . (القفطى/ ٤٤٢) .

ويقول ابن خلدون: « . . . وقد أفرد بعض المؤلفين فى هذا الفن كتابًا فى الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستطرفة كل عجيبة وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بأيدى الناس ينسبونه إلى بنى شاكر والله تعالى أعلم» (ابن خلدون/ ٤٨٧)

أما الجزرى وهو مهندس ألف كتابًا مشهورًا فى صناعة الحيل فيقول فى القسم الذى يتحدث فيه عن الفوارات «لم أسلك فى ذلك مذهب بنى موسى رحمهم الله والفضل لهم بالسبق إلى موضوعات المعانى» .

ثم ينتقد الجزرى فوارات بنى موسى التى يعتبرها غير موثوقة إذ أنه اعتبر الفترة الزمنية التى تنقضى بين تغير النافورة من شكل إلى آخر بأنها غير كافية وقصيرة جدا .

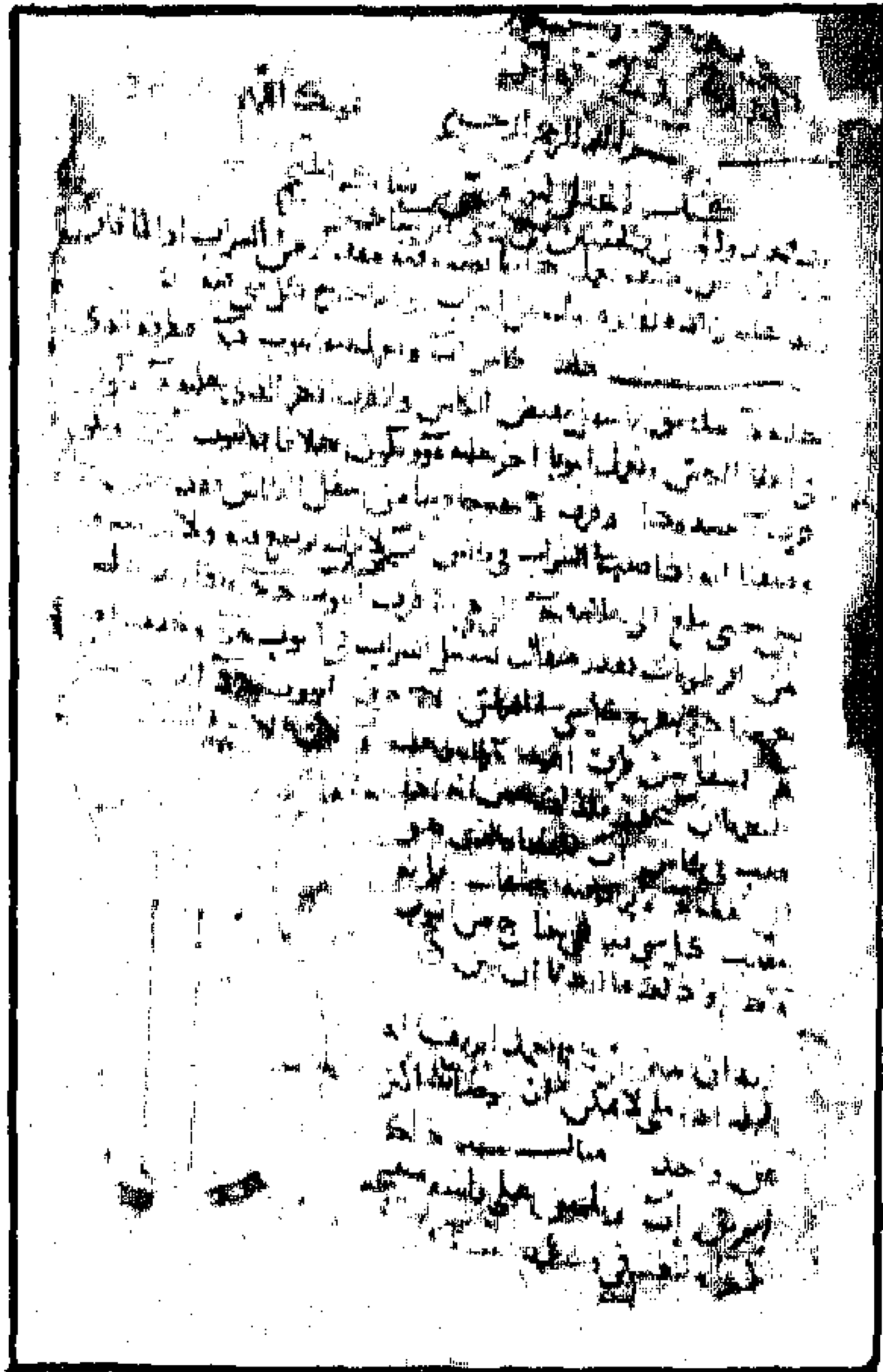
وفى العصر الحديث بدأ الاهتمام بكتاب الحيل فى الغرب منذ نهاية القرن الماضى . ولكن الدراسات الجادة بدأت فى مطلع هذا القرن عندما نشر كل من فيديمان وهاوسر مقالات حول هذا الكتاب . ونشر هذان الباحثان مشتركين مقالات حول أوانى الشراب الكبيرة (الأشكال ٧٥ ـ٨٧)، وأوردا شرحًا لكيفية عمل هذه الوسائل وأعادا رسم الأشكال مع حروف لاتينية . ثم نشر هاوسر كتابا موسعًا وأدرج فيه بقية أشكال كتاب الحيل دون أن يتقيد بالنص الحرفى لكتاب الحيل بل إنه اكتفى بشرح الجهاز متصرفًا فى النص . واستند هاوسر إلى ترجمة قام بها فيديمان وعلى المراجع التى قدمها فيديمان إليه . وكان للعمل المشترك لفيديمان وهاوسر ثم للعمل الذى أصدره هاوسر أهمية كبيرة فى تعريف الباحثين بكتاب

الحيل. ويستطيع كل من يعرف الألمانية أن يفهم بصورة جيدة أشكال بنى موسى. ويحتوى كتاب هاوسر على معلومات كثيرة عن المصادر العربية وعن حياة وأعمال بنى موسى مع مراجعة عن الأعمال المماثلة لكتاب الحيل عند المؤلفين العرب واليونان. ووصف هاوسر المخطوطات التى كانت معروفة لديه. ويشتمل كتاب هاوسر على شرح للأشكال (الأجهزة) مع رسوم معدلة لها وشروحات وملاحظات عديدة. ويمكن القول عمومًا بأن عمل كل من فيديمان وهاوسر من جهة وعمل هاوسر وحده من جهة أخرى يؤديان الغرض المنشود: وهو تعريف مؤرخى العلوم والمهندسين المهتمين بتاريخ مهنتهم بهذا الكتاب الهام. وهناك هنات وثغرات فيما قام به هذان الباحثان. ذلك أن المعلومات الواردة عن المراجع غير كافية فهما لا يذكران رقم الطبعة وتاريخها والمعلومات الكافية لتحديدها. كما أن الشروحات الفنية التى يقدمها هاوسر (مثل شرح المبادىء الهيدروستاتيكية والميكانيكية) لا تكفى لتقريب الموضوع الى القارىء العادى. وهناك أمر هام أثر كثيرًا على عمل فيديمان وهاوسر ذلك هو أنهما لم يكونا على علم بوجود المخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤ وقد كان من نتيجة ذلك أنهما لم يستطيعا التمييز بين أخطاء الناسخين وبين الأخطاء الأصلية. وقد أثبتت المخطوطة أحمد الثالث ٣٤٧٤ بأن بنى موسى كانوا أكثر دقة مما توحى به المخطوطتان الأخريان.

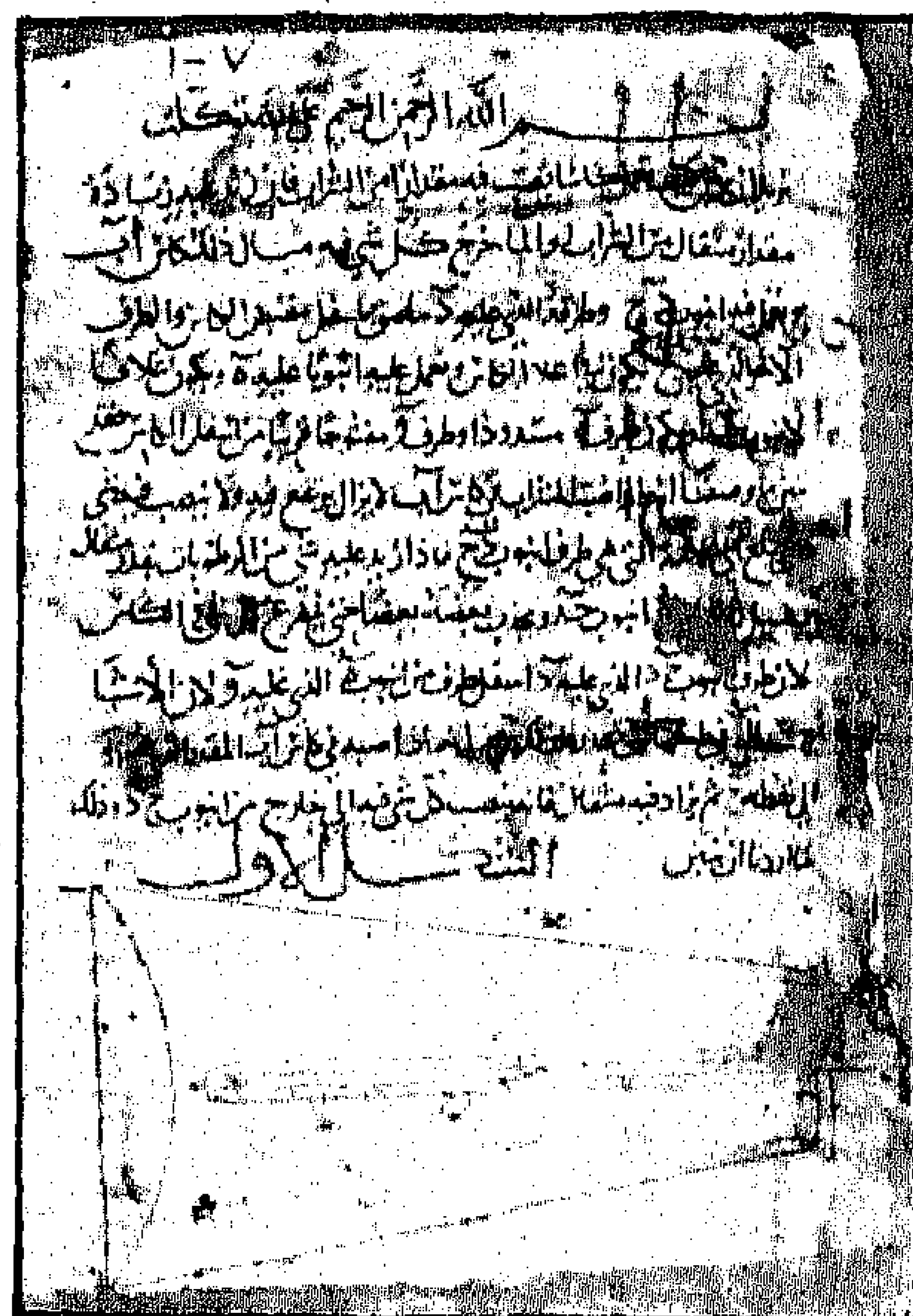
وكان العمل الأخير والهام الذى تناول كتاب الحيل لبنى موسى هو الترجمة الإنكليزية الكاملة التى صدرت عام ١٩٧٩. فلقد قام هيل بترجمة كتاب الحيل كاملا، وهو فى ذلك يكمل ما كان قد بدأ به عندما أصدر الترجمة الكاملة لكتاب الجزرى فى عام ١٩٧٤. وكان كتاب هيل هو أول كتاب يصدر مشتملا على كامل كتاب الحيل بأية لغة كانت بما فى ذلك اللغة العربية. وقد كان لاكتشاف مخطوطة أحمد الثالث أهمية كبيرة زادت من قيمة ترجمة هيل. وقد لجأ هيل إلى التصوير الفوتوغرافى الأصلى للرسم المرافق لكل شكل وإلى إعادة الرسم ثانية بصورة تخطيطية مشتملا على الرموز بالحروف اللاتينية. وفى نهاية كل شكل أورد هيل تعليقا حيثما كان ذلك التعليق ضروريا. وأضاف هيل أحيانا رسوما توضيحية فى الحالات التى تتطلب مثل هذه الرسوم. واتبع هيل أيضا أسلوبا حميدا عندما أورد فى مقدمة الكتاب فصلا شرح فيه عشرة مبادئ أساسية استخدمها بنو موسى فى تصاميمهم. وهذه المبادئ تكررت فى كثير من أشكال بنى موسى. وفى الشكل الواحد من أشكالهم قد يرد مبدأ أو مبدءان أو أكثر. وبهذه الطريقة لم تعد هناك حاجة إلى أن يكثر هيل من الشروحات أو أن يكرر هذه الشروحات ما دامت هذه المبادئ تكرر فى أكثر من شكل.

وإلى جانب ما أورده هيل عن حياة بنى موسى وأعمالهم فقد أورد فصلا فى المقدمة عن مخطوطات كتاب الحيل وأعطى فى هذا الفصل شرحا ووصفا مفصلا لكل من المخطوطات الثلاث المعروفة. كما أنه أورد فصلا عن المصادر السابقة له التى تناولت هذا الكتاب. كما أنه أورد مقارنة تاريخية لكتاب الحيل مع ماسبقه وما تلاه من أعمال مماثلة. ومما تميز به كتاب الحيل الذى أصدره هيل عن كتاب الجزرى الصادر عنه أيضا، أن كتاب الحيل يحتوى فى نهايته على معجم بالمصطلحات العربية وما يرادفها باللغة الإنكليزية كما اشتمل على قائمة بالمراجع التى استند إليها فى إصدار هذا الكتاب.

لقد أصبح كتاب الحيل لبنى موسى الآن كتابا معروفا جيدا



الشكل الاول من المخطوطة (ف)



الشكل الاول عن المخطوطة (ب)

فى العالم الغربى بفضل كتاب هيل الأخير ولم يعد هذا الكتاب مجرد اسم أسطورى يسمع به الناس ولا يعرفون محتواه.

مخطوطات كتاب الحيل:

رغم أهمية كتاب الحيل وشهرته إلا أن المخطوطات المتبقية منه قليلة جدا. وهناك الآن فى العالم ثلاث مخطوطات رئيسية فقط من هذا الكتاب وهذه المخطوطات الرئيسية هى:

١ ـ مخطوطة طوبقابى سراى ـ أحمد الثالث ٣٤٧٤.

٢ ـ مخطوطة مكتبة الفاتيكان ـ الفاتيكان رقم ٣١٧.

٣ ـ مخطوطة موزعة بين مكتبة غوتا فى ألمانيا الديموقراطية غوتا برتش رقم ١٣٤٩ ـ آ.

وبين مكتبة برلين فى إلمانيا الغربية رقم ٥٥٦٢.

والمخطوطة الأولى (طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤) لم تكتشف إلا مؤخرا. وقد ثبت أن هذه المخطوطة هى أفضل مخطوطات كتاب الحيل على الإطلاق. وكانت المخطوطتان الفاتيكان وغوتا ـ برلين معروفتين منذ القرن الماضى. وعندما قام فيديمان وهاوسر بأبحاثهما استخدما هاتين المخطوطتين.

ونظرا لأن مخطوطة الفاتيكان كانت حتى عهد قريب هى المخطوطة الرئيسية فقد اتخذ هاوسر تسلسل أرقام الأشكال فيها أساسا فى ترجمته. وتبنى هيل هذا الرقم بشكل أساسى فى الكتاب الذى أصدره رغم أنه استخدم مخطوطة طوبقابى أساسا فى ترجمة النص إلى الإنكليزية.

١ ـ مخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤

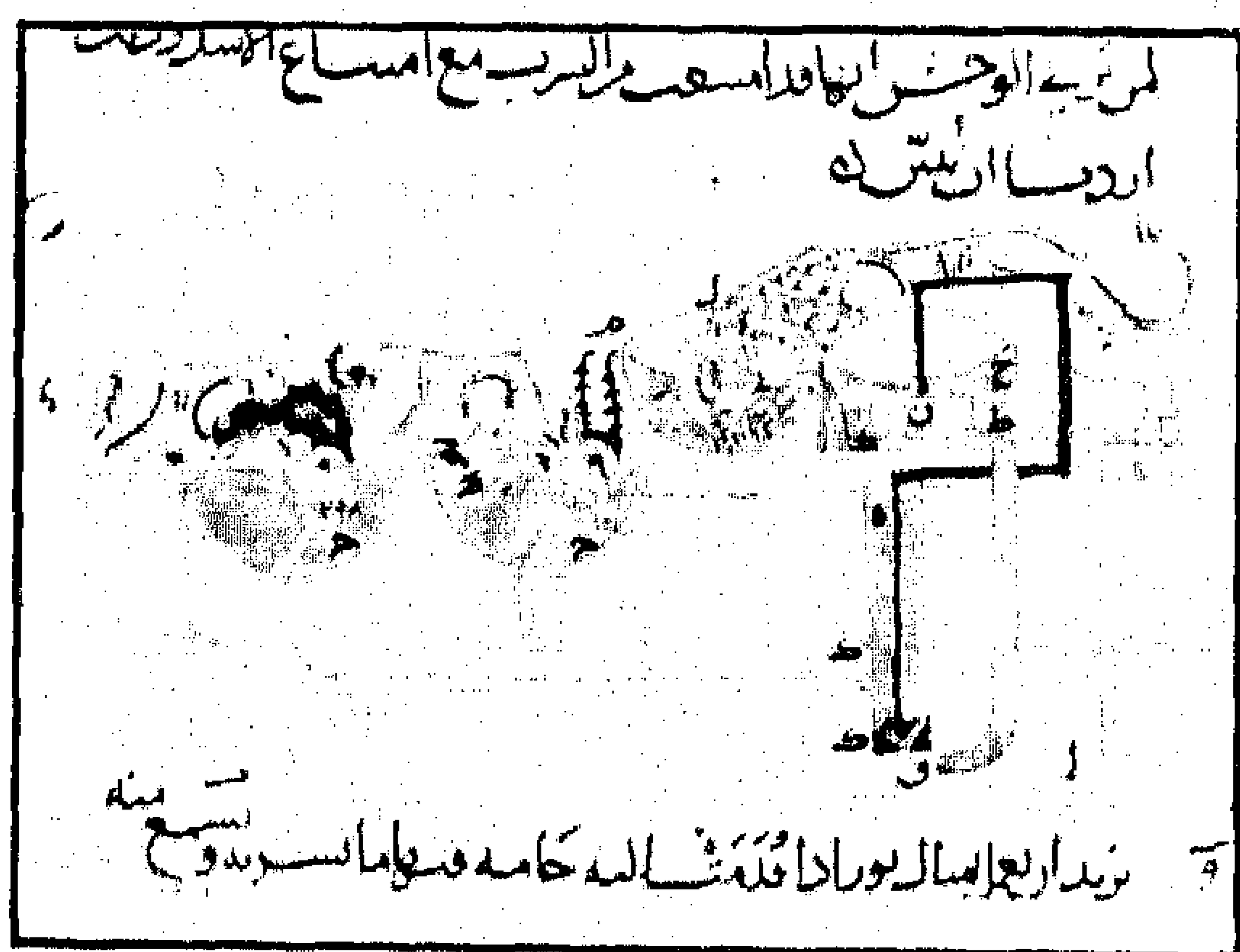
هذه أفضل مخطوطات كتاب الحيل من حيث صحة النص ودقة الرسوم. وكانت كما أسلفنا غير معروفة للمحققين إلا منذ عهد قريب.. وربما كانت مخطوطة طوبقابى أحمد الثالث ٣٤٧٤ أقدم المخطوطات الثلاث.. وهناك نقص أحيانا فى نسخة الفاتيكان نجده كاملا فى نسخة طوبقابى، كما أن العكس أيضا صحيح..

وهناك مخطوطتان جزئيتان هما:

أ ـ مخطوطة ليدن رقم أور ١٦٨ (Or. 168).

ب ـ مخطوطة نيويورك ـ مجموعة سبنسر الهندية الإيرانية رقم ٢ (كتاب الحيل / ٣١ ـ ٣٦، ٤٦)

قالت المؤلفة: توجد نسخ من هذه المخطوطات الخمس



الشكل الخامس عن المخطوطة (ط)

الرسم ٥ ـ أ
(عن المخطوطة ط)

فى قسم التراث العربى بالكويت وجاء بيان كل منها فى الفهرس كما يلى:

كتاب الحيل:

تصنيف بنى موسى بن شاكر

وهو يبحث فى صنعة الأوانى والآلات التى اعتمدت الماء كمؤثر رئيسى لبدء أو إتمام حركة معينة ذاتية أو أوتوماتيكية، وللكتاب أهمية بالغة فى تطوير التقنية بما حواه من معلومات وبما رسم فيه من أشكال بلغت المائة.

النسخ الموجودة منه:

(١) استانبول، مكتبة الطوب قابى ــ أحمد الثالث ٣٤٧٤.

أوله بعد البسملة:

«كتاب الحيل لبنى موسى بن شاكر المنجم، قال: محمد والحسن والحسين من بنى موسى بن شاكر، الشكل الأول، نريد أن نبين كيف نعمل كأسا».

آخره: «... وتنطبق عليه، ثم تجذب السلسلة م ف حتى تخرج الآلة وتبرز فتأخذ كل شيء فيها، وكل شيء علق فيها، وذلك ما أردنا».

الخط: نسخ عادى

النسخ: القرن السابع أو الثامن الهجرى.

الأوراق: ٨٥.

الأسطر: ١٨ س.

المقياس: الحجم المتوسط.

مكتوبة بالمداد الأسود، وبها بعض الرسوم والأشكال الهندسية.

(٢) إيطاليا ــ روما ـ الفاتيكان (مكتبة الفاتيكان رقم ٣١٧).

أوله: تتفق مع النسخ رقم «١».

آخره: «تم الكتاب بحمد الله القدير وحسن توفيقه، والحمد لله وحده».

الخط: نسخ جيد.

الأوراق: ٧٤ق.

الأسطر: ـ

المقياس: ـ

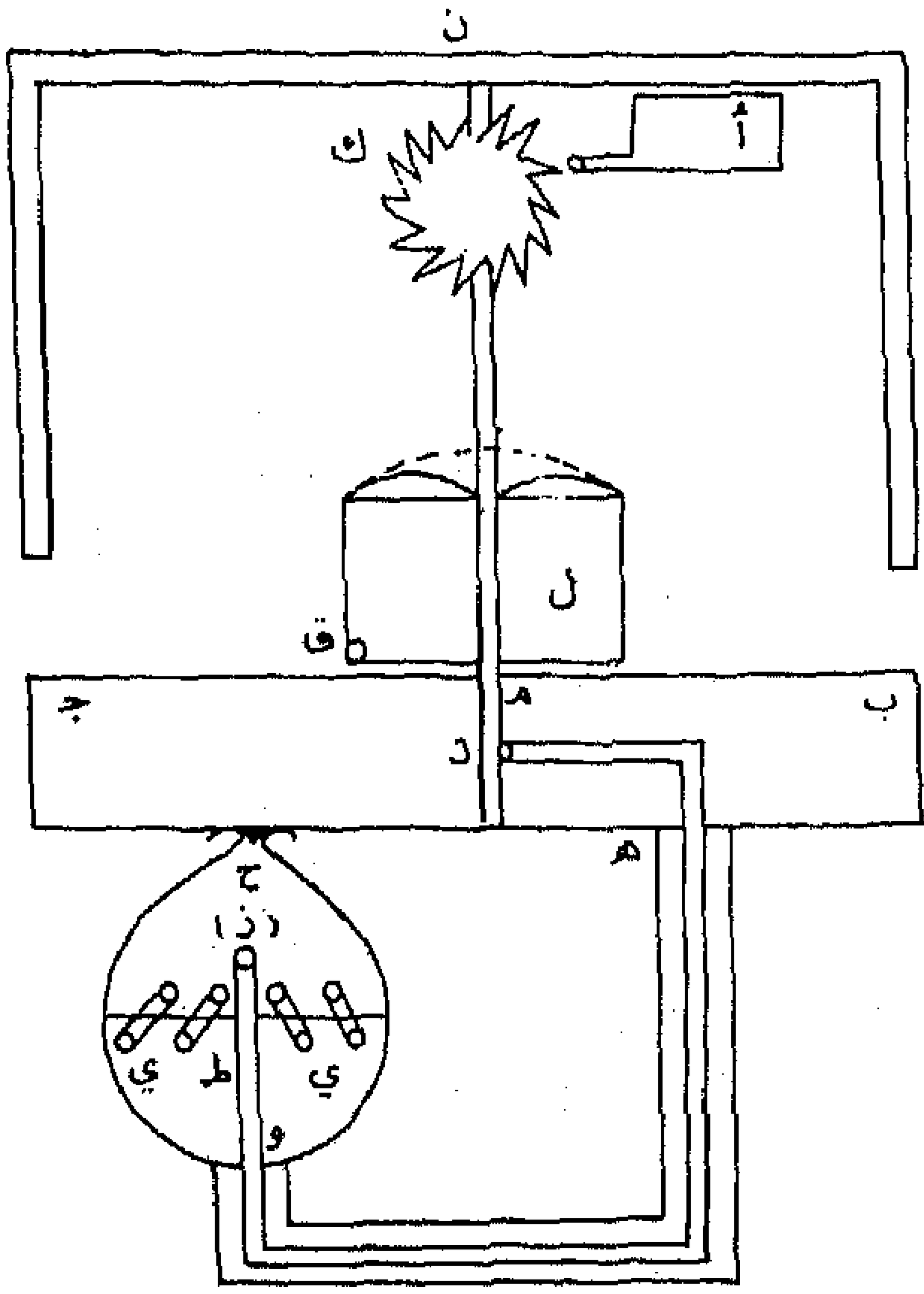
وقد سجل أحمد الحسن ناشر المخطوط الملاحظات التالية على النسخة.

ـ الأشكال من ١ ـ ٥٥ كاملة بالتسلسل مع رسومها عدا شكل ١٣.

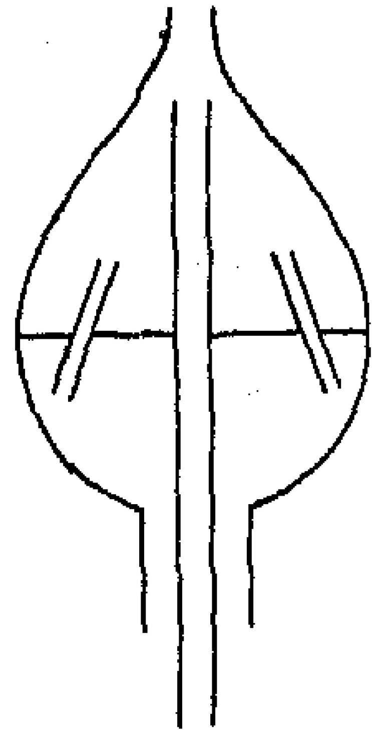
ـ الأشكال من ٥٦ ـ ٥٨ كاملة ولكنها بصورة مضطربة.

ـ الأشكال ٥٦ ـ ٩٠ كاملة.

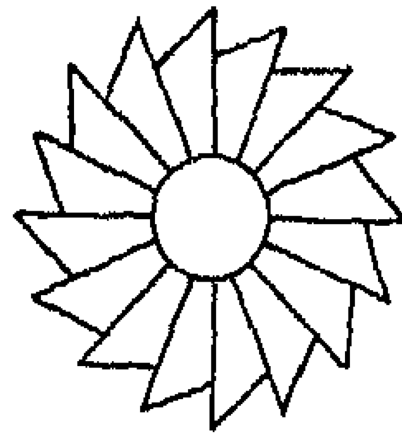
الرسم ٨٨
(المخطوطة ط)



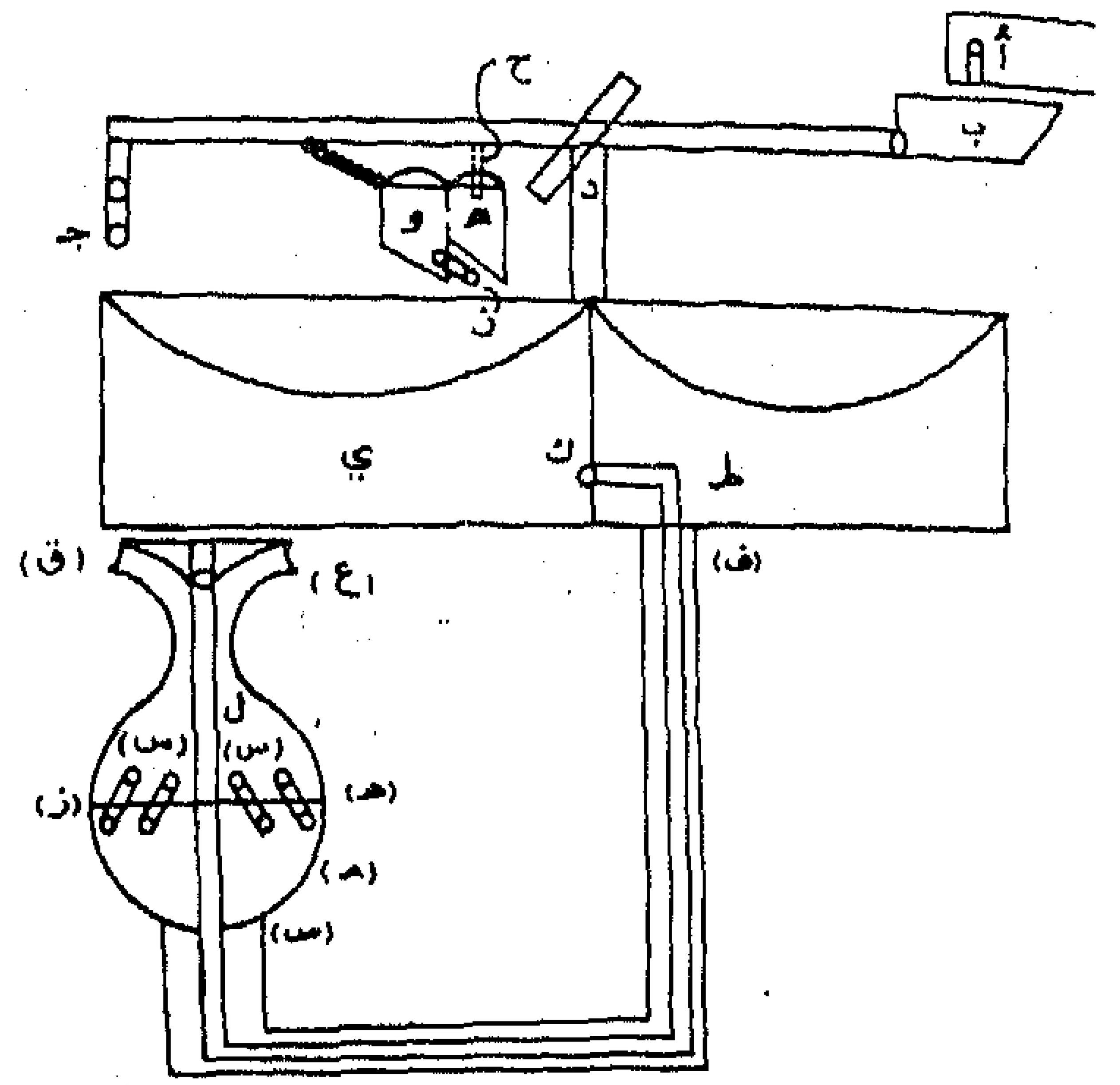
الرسم ٩٠ ـ أ
(عن المخطوطة ف)



الرسم ـ ٩٠ جـ



الرسم ٩٠ ـ ب



الرسم ٨٩
(عن المخطوطة ف مع اضافة الانبوب المنقط حَ)

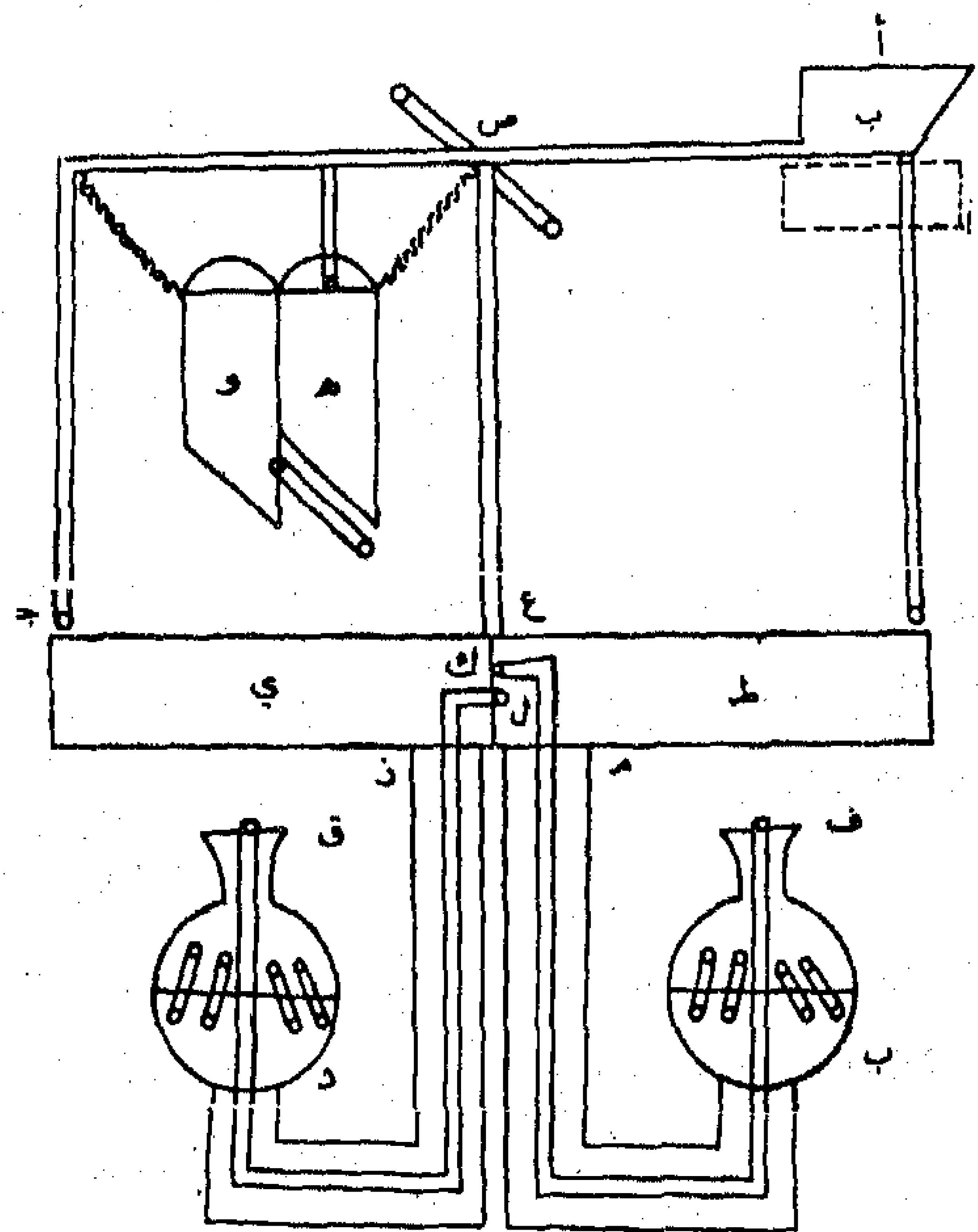
ـ الشكل ٩١ غير موجود.

ـ الشكل ٩٢ موجود منه القسم الثانى فقط.

ـ الشكل ٩٣ النص بدون الشكل.

ـ الأشكال ٩٤ ـ ١٠٠ غير موجودة.

كما يلاحظ أنه وردت العبارة التالية عند بداية الشكل ٢٣ جاء فيها «هذا الكتاب الثانى من كتاب أبى الحسن، أحمد بن موسى المنجم رحمه الله فى الحيل للعفريت أحمد بن حياة.



الرسم ٩١
(عن المخطوطة ب)

(٣) ألمانيا الغربية ـ برلين ـ مكتبة برلين الأهلية رقم MQ ٧٣٩ـ٥٥٦٢.

أوله: «كتاب الحيل لبنى موسى بن شاكر المنجم، نريد أن نبين كيف نعمل كأسا نصب فيه مقدارا من الشراب».

آخره: «. . . حتى تخرج الآلة وتبرز، فيأخذ كل شىء فيها، وكل شىء علق فيها، وذلك ما أردنا أن نبين، تم كتاب الحيل».

الخط: نسخ كبير واضح.

النسخ: ١٥ جمادى الأولى سنة ٦٠٧ هـ.

الأوراق: ٧٥ ق.

الأسطر: ١٨س.

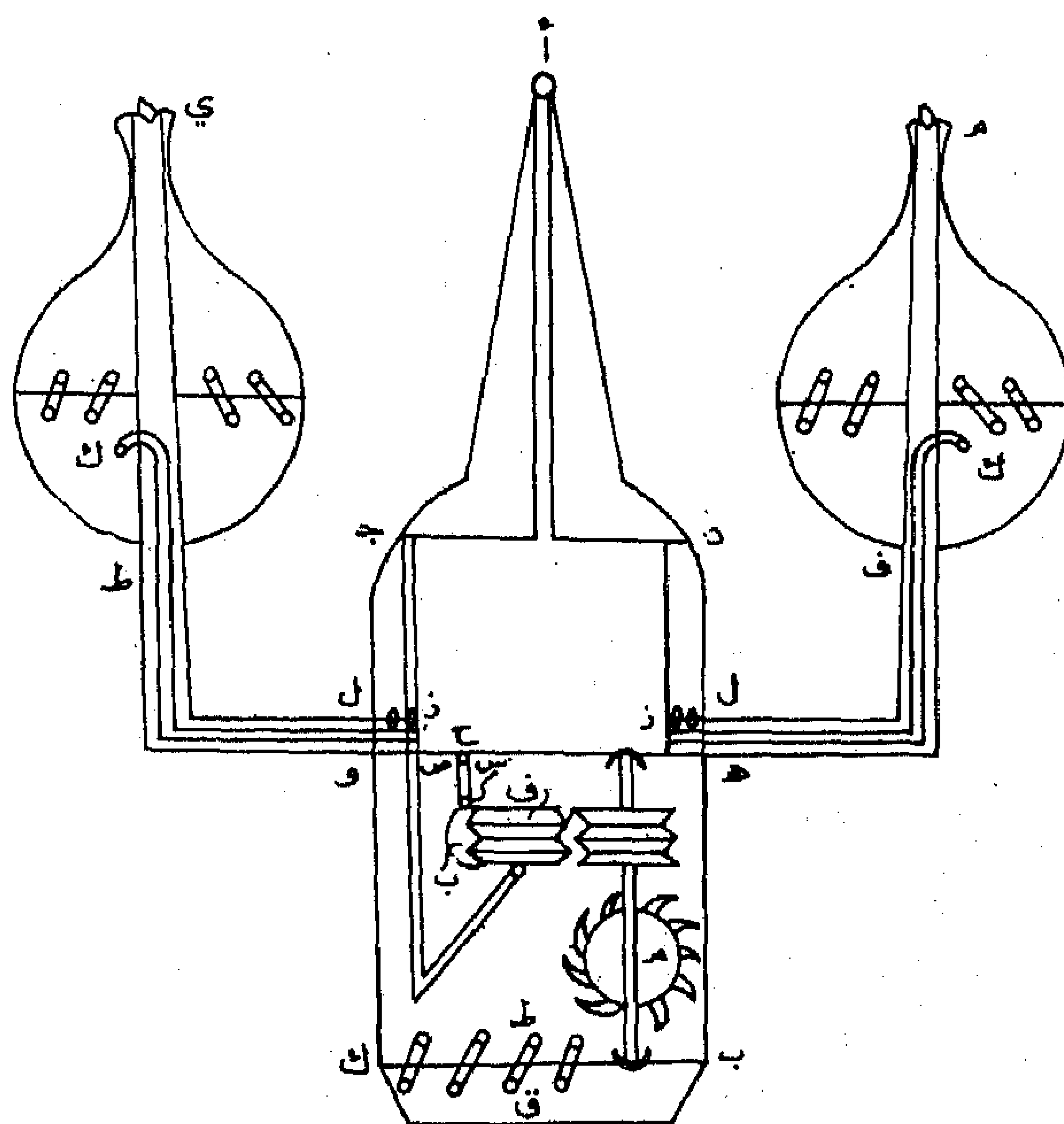
المقياس: ٢٦ × ١٨,٥ سم

مكتوبة بالمداد الأسود، والأشكال والحروف بالمداد الأحمر، وبالنسخة نقص فى الأوراق من (١ ـ ١٠) ومن (١٢ ـ ١٩)، ويبدو أن النسخة روجعت كما يظهر من الحواشى.

(٤) ألمانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا (a) رقم ١٣٤٩ .A

منقولة عن نسخة الفاتيكان رقم ٣١٧.

الخط: نسخ جيد.



الرسم ٩٣ ـ أ
(عن المخطوطة ب)

الناسخ : فيليب موراني .

النسخ : ١٩٨٢ م .

الأوراق : ٧٩ ق .

وتسجل عليها الملاحظات التى سجلت على نسخة الفاتيكان.

(٥) ألمانيا الشرقية ـ مكتبة غوطا رقم ٦١٤ .

لم نطلع عليها، اعتمدنا وصف أحمد الحسن لها .

عدد الأوراق : ٥٤ ق .

عدد الأسطر : ١٨ س .

المقياس : الحجم المتوسط .

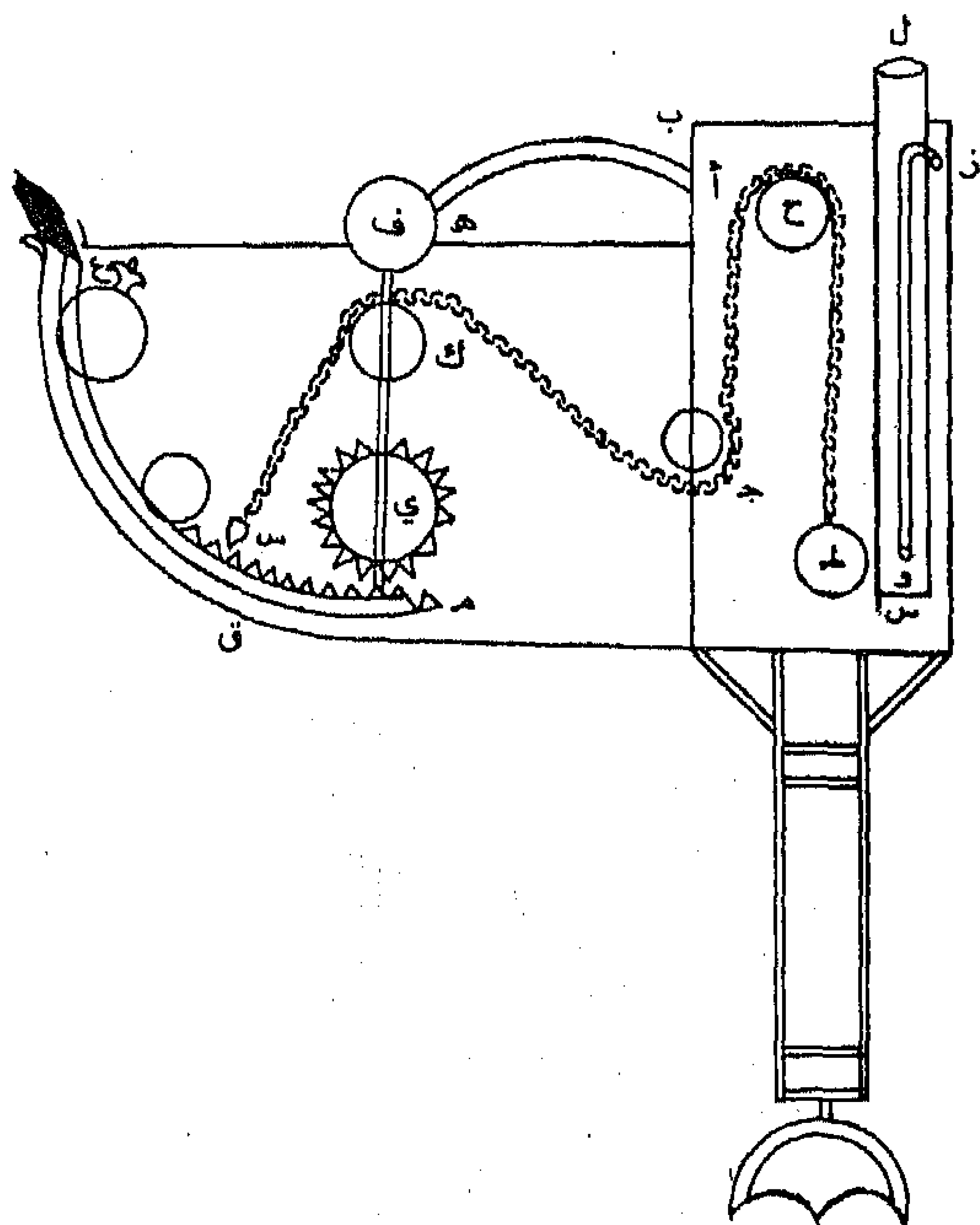
(د) هولندا ـ ليدن ـ مكتبة الجامعة رقم MS. Or. ١٦٨

لم نطلع عليها واعتمدنا وصف الحسن .

عدد الأوراق : ٨٦ ق .

وتحتوى ٦ أشكال ما بين الصفحات ٧٤ ـ ٧٧، وكذا فى الورقة ٨٦ .

(٧) الولايات المتحدة الأمريكية ـ نيويورك ـ المكتبة العامة . Indo Persian Spenser - Collections MS. 2



الرسم ٩٧ ـ أ
(عن المخطوطة ب)

لم نطلع عليها، وتوفرت لدينا المعلومات التالية عنها :

فيها أشكال ما بين الأوراق ٧٥، ٩٧ .

وتاريخ نسخها سنة ١٠٣٠ هـ/ ١٦٢٠ م .

(٨) تركيا ـ استانبول ـ المكتبة السليمانية ـ أيا صوفيا رقم ٢٧٦٢ .

أوله وآخره كالنسخة رقم (١) .

الناسخ : ابن الهيثم .

التاريخ : سنة ٤١٥ هـ .

ـ هناك مختصر للكتاب صنعه أبو حاتم المظفر بن إسماعيل الإسفزارى محفوظ فى مكتبة مانشستر تحت رقم (B. ٣٤٧) .

هذا وقد نشر الكتاب بعناية معهد التراث العلمى العربى، أحمد يوسف الحسن بالتعاون مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى سنة ١٩٨١ م (فهرس مخطوطات الفلاحة / ١٤٧ ـ ١٥٠) .

قالت المؤلفة : وهذه هى الطبعة التى عندى والتى نقلنا منها ما أوردناه فى هذه المادة وفيما يلى جدول بأرقام الاشكال التى أوردناها هنا ووصفها :

رقم الشكل	الوصف
٥	عمل تماثيل من الوحش يصب لها الماء فى جامات يكون فيها فلا تشرب منه ومعها تمثال أسد فإذا صب للأسد الماء فى جامه يشرب وتشرب الوحوش كلها من الماء الذى فى جاماتها فمتى انقطع شرب الأسد لا يشرب الوحش فإن شرب الأسد ثانية شربت الوحوش معه وهكذا لا يزال.
٨٨	عمل فوارة فور الماء منها كهيئة السوسنة وإن أحببنا جعلنا الماء يفور منها كهيئة الترس.
٨٩	عمل فوارة مركبة فى بعض المواضع يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس ثم ينقطع ذلك ويفور مثل تلك المدة من الزمان كهيئة القناة ثم يعود أيضا فيفور منها الماء على مثال شكل الترس وكذلك لا تزال دهرها تتبدل.
٩٠	عمل فوارة يفور منها الماء مرة على مثال شكل السوسنة ومرة مثل القناة ويكون علمها بالريح ما دامت تهب وتعمل أيضا بجرية الماء وتبدل.
٩١	عمل فوارتين مركبتين فى رواق أو فى بعض المواضع بالقرب من بعض الأنهار لا يزال إحدى الفوارتين يفور منها الماء كهيئة الترس ويفور الأخرى كهيئة القناة. فإذا مضت. ساعة ابتدلتا فخرج من فوارة الترس مثل القناة وخرج من الذى كان يخرج مثل القناة مثل الترس. فإذا مضت ساعة أخرى عاد الأمر كما كان أولا وكذلك لا يزالان يتبدلان طوال الدهر.
٩٣	عمل فوارة تخرج ساعة قضيبا وساعة ترسا وحولها فوارتان صغيرتان أو كما شئنا وتكون الفوارة الكبيرة إذا فارت ترسا فارت الفوارتان اللتان حولها قضيبا وإذا فارت الفوارة الكبيرة قضيبا فارت الفوارتان اللتان حولها ترسا وكذلك لا يزال.
٩٧	عمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ويصب الزيت لنفسه وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئا بتة ويعرف هذا السراج بسراج الله.

(كتاب الحيل تصنيف بنى موسى بن شاكر ـ تحقيق د. أحمد يوسف الحسن، بالتعاون مع محمد على خياطة، ومصطفى تعمرى / ٣١ ـ ٣٦، ٤٦، ٧٧، ٨٧، ٨٨. وفهرس مخطوطات الفلاحة. النبات ـ المياه ـ الرى بقسم التراث العربى بالكويت ـ صنعة د. محمّد عيسى صالحية، وعبد الله فيلح / ١٤٧ ـ ١٥٠).

*** الحيل لاستحلال محارم الله:**

انظر: الحيل الشرعية (علم ـ)

*** الحيل الهندسية (علم ـ):**

انظر الحيل (علم ـ).

*** الحيل والأمور العجيبة فى عمل آلات الماء:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الصناعة وعلم الحيل.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى:

مجهول المؤلف.

ناقص الأول، ويبتدئ الموجود بقوله: نريد أن نبين كيف نعمل إبريقًا له بلبلة، إذا ملئ لا يمكن أن يتوضأ منه أكثر من واحد... إلخ.

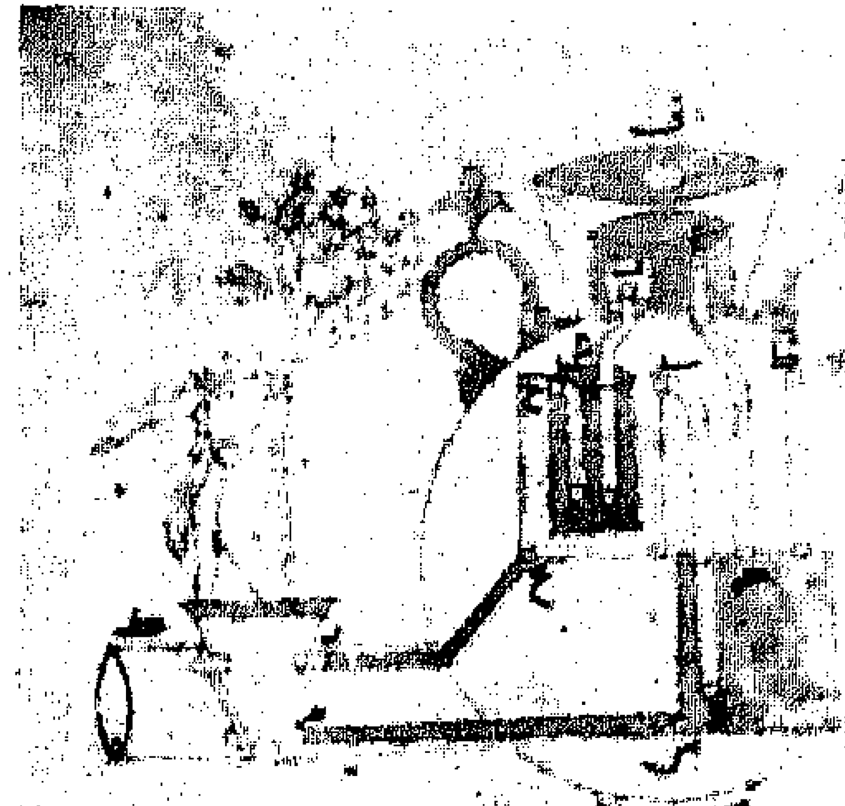
وناقص من آخره أيضا. وآخر ما فيه الكلام على عمل جرار الماء والشراب بطرق مختلفة، موضحة كلها بالشكل والرسوم الهندسية.

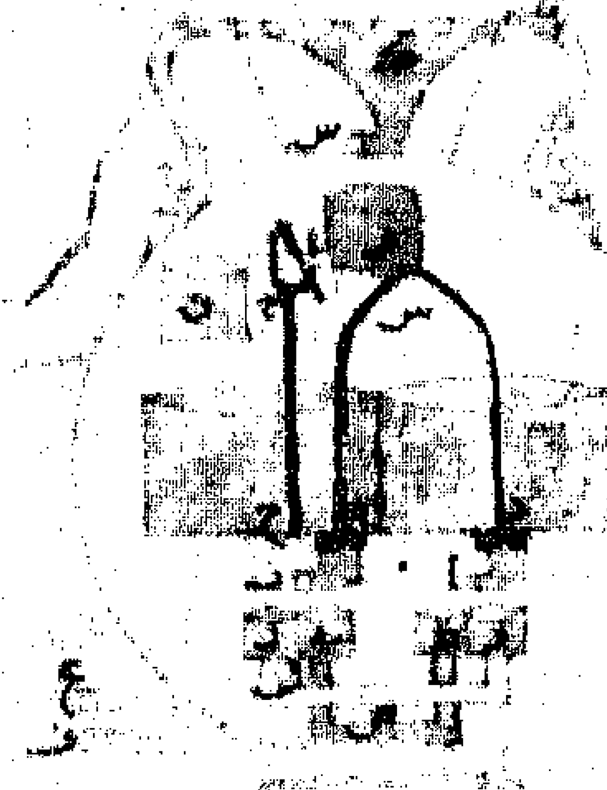
ـ نسخة كتبت فى القرن السابع أو الثامن الهجرى تقريبا بخط معتاد قديم فى ٨٥ ورقة، ومسطرتها ١٨ سطرا.

[أحمد الثالث باستانبول ـ ٣٤٧٤].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، جـ٤/ ١٧٤).

ملاحظة: صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من الكتاب العربى المخطوط ـ جمعها وعلق عليها د. صلاح الدين المنجد. لوح ١٠٦، وفيه رقم المخطوط فى مكتبة أحمد الثالث باستانبول هو ٣٤٣٤.





سورة جرئين للعمليات الكيميائية . فى كتاب « الحيل والأمور العجيبة » . لمؤلف مجهول ،

من نسخة كتبت فى القرن السابع الهجرى (استامبول : أحمد الثالث ٣٤٣٤ – معهد المخطوطات)

* **حيلة الواصفين :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم : ١١٤٧٨ .

لمحمد مهدى بن على أصغر بن نور محمد خان الهروى المتوفى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م .

الأول « الحمد لله الذى نضر مزارع قلوب الحكماء ... » .

وهو كتاب فى الأسباب والعلامات والعلاجات فرغ منه المؤلف سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م .

كتبت هذه النسخة بخط النستعليق عليها حواش وتعليقات لعلها بخط المؤلف .

القياس ٤٣٤ص ٢٦,٥×١٧,٥سم ١٧س

ذيل بروكلمان ٢/ ٨٦٤ .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٥) .

* **الحين :**

انظر يوسف الحين (مسجد -) .

* **الحية :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان . أوردها القزوينى صاحب « عجائب المخلوقات » (٦٠٥ - ٦٨٢هـ) والدميرى صاحب « حياة الحيوان الكبرى » (٧٤٢ - ٨٠٨هـ) .

قال عنها القزوينى وقد أدرجها فى الهوام والحشرات :

الحية : من أعظم الحيوانات خلقة وأشدها بأسا وأقلها عددا وأطولها عمرا . قالوا : ليس من حيوانات البر شىء أعظم من التنين ولا شىء يقتل نهشه أسرع من الحية ولهذا أمر النبى ﷺ بقتلها فى الحل والحرم ، وقال النبى ﷺ « من قتل حية فله عشر حسنات » ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها الله تعالى سلاحا تدفع عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولولا نابها لاتخذها الناس حبلا ولعبت بها الصبيان . وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض للإنسان والهرب منه ، فمنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئها واطىء ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا وطىء حماها ، ومنها ما لا يؤذى إلا على بيضها وفرخها ، ومنها ما لا يؤذى إلا إذا آذاها الناس مرة ، ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ، ومنها الحفاف وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى أشر هيئة من الأفعى والثعابين وإنها لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها ، ومنها حية ويقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت عليه ، وإن طار طائر فوقها يسقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ، وإذا

صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شيء من السباع يموت.

قال جالينوس: إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قبازع مثل التاج وهى قليلة الظهور للناس.

وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسلخ جلدها وكلما انسلخ يظهر على قفاها نقطة، فنقط قفاها عدد سنينها، وإذا دخل بعضها فى الحجر وبقى بعضها خارجا لا يمكن جذبها إلى خارج ألبتة حتى لو شد البقر فى ذنبه ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها ولا يصلح منها إلا القليل، وإن لدغتها العقرب ماتت إن لم تجد ملجأ تنام عليه وإن وجدت سلمت. وقالوا: من الحيات حية إذا ضربت بعصا مات الضارب.

ومن عجائب الحية أنها إذا علمت أنها مقتولة احترزت على رأسها وانطوت أشد الانطواء على الرأس وجعلت بدنها وقاية للرأس ولا تزال تفعل ذلك حتى تصيب الضربة رأسها. وذكروا أن فى تربة الأهواز حية حمراء دقيقة إذا رأت الإنسان وثبت عليه كالطير ولسعته فيموت فى الحال. وذكروا أيضا أن الحية عند انتصاف النهار واشتداد الحر وامتناع الحافى من الأرض والمنتعل يغور ذنبها فى الرمل وتنصب كأنها عود مركوز أو ثابت، فإذا رأى الطائر عودا مركوزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه.

خواص أجزائها:

نابها: يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربع تزول عنه الحمى، قال ابن سينا: يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب، وقال محمد بن زكريا: ذكر الأوائل أن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون من السنين يبرأ وقال أبقراط: لحم الحية أمان من الأمراض الصعبة: شحمها: يذاب ويطلى به البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا وسلخها يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفع من وجع السن وإذا أحرق فى إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود العين الزرقاء، وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لايرمد سنتين وهكذا وإن علق على صاحبة الطلق وضعت فى الحال: وجلدها يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء فى العين ويذهب الظلمة: وقال جالينوس: مرق الحية يقوى البصر، وبيض الحية يسحق فى الهاون ويطلى به المرض يزول (عجائب المخلوقات/ ٢٩٢، ٢٩٣)

أما الدميرى فيبسط الكلام عليها بطريقته المميزة التى درج عليها فى كتابه كله، وإليك بعضا مما جاء به. يقول رحمه الله:

الحية اسم يطلق على الذكر والأنثى فإن أردت التمييز قلت هذا حية ذكر، وهذا حية أنثى. قاله المبرد فى الكامل وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة ... والنسبة إلى الحية حيوى والحيوت ذكر الحيات. أنشد الأصمعى:

ويأكل الحية والحيوتا
ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتى اسم ونقل السهيلى عن المسعودى أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان فهى أكثر أرض الله حيات ولولا العربد يأكلها ويفنى كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات وقال كعب الأحبار أهبط الله تعالى الحية بأصبهان وإبليس بجدة وحواء بعرفة وآدم بجبل سرنديب وهو بأرض الصين فى بحر الهندعال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه ا لصلاة والسلام مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام.

ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود كذا قاله القزوينى قلت وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت ودال مهملة وميم وألف وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ليس يأتى يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم فسمى «ساتيدما» لذلك وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه فاتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال فقتلهم كسرى

قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكرى فى معجمه وذكره الجوهرى نقلا عن سيبويه كذلك أنشدوا على ذلك:

لما رأت ساتيدما استعبرت
لله در اليوم من لامها

والحية أنواع منها الرقشاء وهى التى فيها نقط سود وبيض ويقال لها الرقطاء أيضا وهى من أخبث الأفاعى قال النابغة فى وصف السليم.

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع
تبادرها الرافون من شر سمها
فتطلقه يوما ويوما تراجع
تسهد من ليل التمام سليمها
كحلى نساء فى يديه قعاقع

وقال غيره

هم أيقظوا رقط الأفاعى ونبهوا
عقارب ليل نام عنها حُواتها
وهم نقلوا عنى الذى لم أفه به
وما آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعى صم وكذلك النعام قال على بن نصر الجهضمى دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر فقلت يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى:

لم أر مثل الرفق فى لينه
أخرج للعذراء من خدرها
من يستعن بالرفق فى أمره
يستخرج الحية من جحرها

فقال يا غلام الدواة والقرطاس فأتى بهما فكتبهما وأمر لى بجائزة سنية وقال أبو بكر بن أبى داود كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن على يشخصه للقضاء فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك فقال ارجع فاستخير [فاستخر] الله فرجع إلى بيته فصلى ركعتين وقال للهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك ونام فنبهوه فإذا هو ميت وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين.

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ومنها وما هو أزب ذو شعر ومنها ذوات القرون وأرسطو ينكر ذلك قال الراجز:

وذات قرنين طعون الضرس
تنهس لو تمكنت من نهس
تدير عينا كشهاب القبس

ومنها الشجاع ومنها العربد وهى حية عظيمة تأكل الحيات كما تقدم ومنها الأصلة وهو عظيم جدا له وجه كوجه الإنسان ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين ومن خاصية هذا أن يقتل بالنظر ومنها الصل وتسمى المكللة لأنها مكللة الرأس وقيل الصل الأول وهذه المكللة وهى شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول جحرها شىء من الزرع أصلا وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ولا يمر حيوان بقربها إلا هلك وتقتل بصفيرها على غلوة سهم ومن وقع عليه بصرها ولو من بُعد مات ومن نهشته مات فى الحال وضربها فارس برمحه فمات هو وفرسه وهى كثيرة ببلاد الترك ومنها ذو الطفيتين والأبتر وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال اقتلوهما فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى قال الزهرى ونرى ذلك من سمها. ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان مات الإنسان من ساعته ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات.

ومن أسماء الحية العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والاين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والإفعوان وهو الذكر من الأفاعى كما تقدم والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد قال ابن الأثير ويقال للحية أبو البخترى وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهى الشديدة الشر قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه:

إذا تخازرت وما بى من خزر
ثم كسرت الطرف من غير حور
ألفيتنى ألوى بعيد المستمر
أحمل ما حملت من خير وشر
كالحية الصماء فى أصل الشجر

والصمة الـذكر من الحيات وجمعه صمم وبـه سمي والد دريد بن الصمة وزعم أهل الكلام في طبائع الحيوان أن الحية تعيش ألف سنة وهي في كل سنة تسلخ جلدها وتبيض ثلاثين بيضة على عـدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل فيفسـد غالب بيضها ولا يصلح منه إلا القليل وإن لدغها العقرب ماتت ومن أنواعهـا الحربـش . وقد تقدم ذكـره وشرهـا الأفاعـي وسكنها الرمال وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط وفي بيضه نمش ولمع والسبب في اختلاف ذلك لا يعرف وداخلـه شيء كالصديد وهـو في جوفها منضـد طولا على خط واحـد وليس للحيات سفـاد يعرف وإنمـا هو التـواء بعضها على بعض ولسانها مشقـوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئا له عظم أتت شجرة أو نحوها فتلتوى عليهـا التواء شديدا حتى يتكسر ذلك في جوفهـا ومن عادتهـا أنها إذا نهشت انقلبت فيتـوهم بعض الناس انهـا فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كـذلك ومن شأنها أنها إذا لم تجد طعاما عاشت بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهـد من الجوع فـلا تأكل إلا لحم الشيء الحي وهي إذا كبرت صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام ومن غريب أمرهـا أنها لا تريد الماء ولا تـرده إلا أنها تضبط نفسها عن الشـرب إذا شمته لمـا في طبعهـا من الشوق إليـه فهي إذا وجـدت شـربت منـه حتى تسكـر وربمـا كـان السكـر سبب هلاكها .

والذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فـراخها وتقوى على الكسب ثم تخـرج هي سائرة فإن وجـدت حجرا انسـابت فيه وعينهـا لا تدور في رأسهـا بل كأنهـا مسمـار مضروب في رأسهـا وكـذلك عين الجـراد وإذا قلعت عادت وكذلك نـابه إذا قلع عاد بعد ثلاثـة أيام وكذلك ذنبها إذا قطع نبت . ومن عجيب أمرها أنها تهـرب من الرجل العريان وتفرح بالنـار وتطلبها وتتعجب من أمرها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا ضربت بسـوط مسه عرق الخيل ماتت وتذبح فتبقى أيامـا لا تموت وقد تقدم أنهـا إذا عميت أو خرجت من تحت الأر ض لاتبصـر طلبت الـرازيـانج الأخضـر فتحك بـه بصـرها فتبصـر فسبحـان من قـدر فهدى قـدر عليهـا العمى وهداها إلى مايزيله عنها .

وليس شيء في الأرض مثل الحيـة إلا وجسم الحية أقـوى منها ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخـراجها منه وربما تقطعت ولا تخـرج وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها وإنما قـوى ظهرها هذه القوة لكثرة أضلاعهـا فإن لها ثلاثين ضلعـا وإذا مشت مشت على بطنها فتتدافـع أجزاؤها وتسعـى بذلك الدفـع الشديد والحيـات في أصل الطبع مائية وتعيش في البحر بعد إن كانت برية وفي البر بعد إن كانت بحرية قال الجاحظ الحيات ثلاثة أنواع نوع منها لا ينفع للسعتـه تـريـاق ولا غيـره كـالثعبـان والأفعى والحيـة الهندية ، ونـوع منها ينفع في لسعته الدرياق وما كـان سواهما مما يقتـل فإنما يقل بـواسطة الفـزع كما حكى أن شخصـا نام تحت شجرة فتدلت عليه حية فعضت رأسه فانتبه محمر الوجه وحك رأسه وتلفت فلم يـر أحدا فلم يـرتب بشيء ووضع رأسه ونام فلما كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة قـال لا والله ما علمت قال أنما كـان من حيـة تدلت عليك فعضـت رأسك فلما قمت فـزعـا تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه قال فهم يزعمون أن الفزع هـو الذي هيج السـم وفتح مسام البـدن حتى مشى السم فيـه انتهى .

فائدة . . في النصـائح لابن ظفر أن خالد بن الـوليد رضي الله تعالى عنه لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إلى رجلا من عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان ابن نفيلة الغسـاني وكان من المعمـرين عمر أكثـر من ثلثمائة وخمسين سنـة فقاولـه المقـاولة المشهـورة وكـان في يد عبـد المسيح قارورة يقلبها فقـال له خالد ما الـذي في هذه القارورة قال سم ساعـة قال ما تصنع به قال إن وجدت عنـدك ما أحبه لقومي وأهلي بلدي حمدت الله وقبلتـه وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسي به ولم أرجع إلى قـومي بما يسوؤهم فقال خـالد رضي الله عنه هاتها فناوله القارورة فأفرغها خالد في راحته وقال بسم الله الـرحمن الـرحيم بسم الله وبـالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الـذي لا يضر مع اسمـه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثم شربـه ويقال إنه شرب عليه

مـاء فضـرب بـذقنه علـى صدره وغشيـه عـرق ثم سـرى عنـه فانصـرف عبد المسيح إلى قـومه وكانـوا نصارى نسطـورية إلا أنهم عرب فقـال لهم جئتكم من عنـد رجل شرب سم سـاعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا فهؤلاء قـوم مصنـوع لهم وسيكـون لهم شـأن عظيم فصـالحـوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى ...

وفي الإحياء من كتاب آداب السفر يستحب لمن أراد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حيـة أو عقرب أو شـوكـة واستدل لـه بحـديث أبي أمامـة البـاهلي رضي الله عنـه وفي فتـاوى الإمام النـووي إذا اصطـاد الحاوي حية وحبسها معه على عادتهم فلسعته فمات هل يأثم فأجاب إن صادها ليرغب الناس في اعتماد معرفته وهو صادق في صنعتـه ويسلم منهـا في ظنه ولسعتـه فمـات لم يأثم وإن انفلتت وأتلفت شيئا لم يضمن . وروى الإمام أحمد في الزهد أن حاويا معه حيات في خُرْج نزل بقوم من أهل اليمن فخرج بالليل بعض الحيات فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى قال لا شيء عليـه لكن مره إذا نـزل بقوم أن يخبـرهم بما معـه وفي كتـاب الأربعين على مذهب المحققين مـن الصوفيـة للإمـام الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبـراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني بإسناده الى عمـران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال أخـذ النبي ﷺ بعمامتـي من ورائي وقال يـا عمران إن الله يحب الإنفاق ويبغـض الإقتار فأنفق وأطعم ولا تعسـر فيعسر عليك الطلب واعلم أن الله يحب البصيـر النـاقـد عنـد هجم الشبهات والعقل الكـامل عند نزول البليات ويحب السمـاحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية .

الأمثال : قالوا فلان أسمع من حية وأعدى من حية وهو من العدو لأنها تسرع إلى جحرها إذا راعها شيء . روى البخاري ومسلم عن أبي هريـرة رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ قـال «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» وفي صحيح مسلم عن ابن عمـرو رضي الله تعالى عنهمـا أن النبي ﷺ قال : «بدأ الإسـلام غريبا وسيعود غريبا كمـا بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها» أي مسجدي مكة والمدينة ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض ومعناه أن المؤمن إنما يسوقه إلى المـدينة إيمانه ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل إن يكون المراد بـذلك عصمة المدينة من الدجال والفتـن فيكون الإسلام فيها موقـرا ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سُنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت ، ويحتمل أن يكون المـراد بذلك أن الديـن يؤخذ من علمـائها وأئمتها وكـذلك كان وسيأتي إن شاء الله تعـالى في باب الميم في لفظ المطية حـديث الترمذي أن النبي ﷺ قـال «يوشك أن يضرب النـاس آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عـالما أعلم من عـالم المدينة» وقـالوا أبغض من ريـح السذاب إلى الحيات وقـالوا الحية من الحييـة أي الأمر الكبيـر من الصغير وربما قالوا الحيوت من الحية وهذا كقولهم العصا من العصية وقد جاء معنى المثلين في كتاب الله تعالى قال الله تعالى ﴿**ولا يلد إلا فاجرا كفارا**﴾ كذا ذكره ابن الجوزي وغيره .

التعبير : الحية في المنـام تعبر بأشياء كثيرة فيـه عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة فمن نازع حية وهي تريد أن تنهسه فإنه ينازع عـدوا له لقولـه تعالى ﴿**اهبطـوا بعضكم لبعض عـدو**﴾ [البقرة : ٣٦] و [الأعراف ٢٤] فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها وصرفها حيث يشاء فإنه ينال دولة ونصرة لأن موسى عليه الصلاة والسـلام نال بها النصـرة على فرعـون ومن رأى أن حية خـرجت من فمه وكـان مريضـا فإنه يمـوت لأنها حيـاته وقـد خرجت من فمـه ومن رأى حيات تمشي في خـلال الشجر أو الزرع فإنها سيـول لأنهم شبهوا جريان الماء بـالحيات هذا إذا كان جريها بلا نفخ ولا إحـراق شيء ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية أتاه ولد عاق ومن رأى حية ميتة فإنـه عدو قد كفاه الله شـره ومن عضته حيه فورم مـوضع العضة نـال مالا لأن السم مـال والورم زيـادة فيه ومن أكل لحم حيـة مطبـوخـا نال مـال عـدوه ، ومن أكلـه نيأ اغتاب عـدوه ، ومن رأى حية نـزلت من مكان فإن ذلـك موت رئيس ذلك المكـان ، ومن رأى حيـة ابتلعته فإنه ينال سلطـانا ، ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه فإنه يأمن أعداءه وإن كان مسجونا خرج من سجنه ورؤية الحيات الكثيرة في الطرق وهي تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان ، ومن رأى كأن الحيات قـد فقدن من مكان فإن الوبـاء والموت يكثـر في ذلك المكان لأن الحيـات هي الحيـاة ومن رأى كأن

حيـة تكلمه فإنـه ينال سـرورا ومن رأى كأنـه ملك حية ملسـاء وصرفها حيث شاء فإنه ينـال غنى وسعادة والسود من الحيات اعداء لهم قوة فمن ملك حية سوداء نال ملكا وولاية، والبيض أعـداء ضعاف والثعبـان يدل على العـداوة فى الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جارا شريرا حسودا والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نـار محرقة والأصلة تـدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمـر طويل، والشجـاع يدل على امـرأة باذلـة أو ولد جسور والأفـاعى تدل على أقـوام أغنياء لكثـرة سمها والنـاشر على الهم أو على رجل محارب غيور. وحيات البيوت خسران وحيـات البوادى قطـاع الطريق وحيـات المـاء مال فمن شـد وسطه بحيـة منها فإنه شـده بهميان وحيـات البطن أعداء من الأهل والأقارب فمن رمـى حية فإنه يفـارق شخصا من أقـاربه خبيثا كان يواكله والله أعلم (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢، ٢٥٧ ـ ٢٥٩).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ٢٩٢، ٢٩٣، وحياة الحيوان الكبرى للشيـخ كمال الديـن الدميـرى ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٢، ٢٥٧ ـ ٢٥٩)

*** الحية (حجر ـ):**

من أنواع الحجارة التى عددها القـزوينى فى عجائبه فقال عنه:

حجر الحية: يقال له بالفـارسية مهرة حار فى حجم بندقة صغيرة توجـد على رأس الحياة بعضها لا كلهـا. وخاصيته أن العضـو الملـدوغ يجعل فى اللبـن أو فى المـاء الحـار وهـذا الحجـر يلقى فيـه فإنه يلتـزق بمـوضع اللـدغ ويستخرج منـه السم، وقال ابن سينا: إنه ينفـع من نهش الحية تعليقا. وقال جالينوس: أخبرنى بذلك رجل صدوق.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٤٤)

*** الحيوان:**

جـاء فى اللسـان: الحيـوان اسم يقع على كل شئ حى، وسمى الله عز وجل الآخـرة حيوانـا فقال: ﴿**وإن الدار الآخرة لهى الحيوان**﴾ [العنكبوت: ٦٤]. قـال قتادة هـى الحياة ... وكل ذى روح حيوان، والجمع والواحد فيه سـواء ...

ابن سيده: والحيـوان أيضا جنس الحى، وأصلـه حييان، فقلبت الياء التى هى لام الكلمة واوًا، استكراها لتوالى الياءين لتختلف الحركات. هذا مـذهب الخليل وسيبويه. وذهب أبو عثمان إلى أن الحيـوان غير مُبْدل الواو، وأن الـواو فيه أصل، وإن لم يكن منه فعل ... قـال أبو على: هذا غيـر مرضى من أبى عثمان من قبل أنه لا يمتنع أن يكون فى الكلام مصدر عينه واو وفاؤه ولامه صحيحان، مثل فَوْظ وَصْوغ وقَوْل ومَوْت وأشباه ذلك، فأما أن يوجد فى الكلام كلمة عينها ياء ولامها واو فلا، فحمله الحيوان على فوظ خطأ لأنه شبه ما لا يوجد فى الكلام بما هـو موجود مطـرد. قال أبو علـى: وكأنهم استجازوا قلب الياء واوا لغير علة، وإن كانت الواو أثقل من الياء ليكون ذلك عوضا للـواو من كثرة دخول اليـاء وغلبتها عليها (اللسان ١٢/ ١٠٧٧، ١٠٧٨).

وقال التهانوى:

الحيوان بثلاث فتحات متـواليات فى الأصل مصدر حيى والقيـاس حييان قلبت اليـاء الثانيـة واوا ثم سمى مـا فيه حيـاة حيوانا كذا فى الكشاف، وعرف بأنه جسم نام حساس متحرك بـالإرادة فالجسم جنس والنـامى فصل يخـرج الأجسام الغيـر النامية كالحجر ونحوه من المعادن، والحساس يخرج الجسم النامى الذى لا حس له كـالشجرة ونحوه من النبات والمتحرك بالإرادة مساوٍ للحسـاس فلا بد أن يكون أحدهمـا ذاتيا والآخر عرضيـا لامتناع التـركب من أمور متسـاوية. ولمـا لم يعلم أن أيهما ذاتى ذكرا معا هكذا ذكر المولوى عبد الحكيم فى حاشية شرح المواقف فى مقصد تقسيم أجـزاء الماهية. وعرف أيضا بأنـه مركب تام متحقـق الحس والإرادة وقيد التحقق دفعـا لما قيل من أن للنخلة إحساسا وعرف أيضا بأنه ما يختص بالنفس الحيوانية. ومـا سوى الإنسان من الحيوانـات يسمى بالحيوان الأعجم وفى بعض الحواشى المعلقة على شرح الملخص من أن الحيـوان مـا لـه تنفس نسيمـى، ومنـه مـالـه بـدل التنفس النسيمى تنشق مائى فهـو يقبل الماء ثم يـرده ولا يعيش بدون ذلك كـالحيتـان، ومنـه مـا لا تنفس لـه ولا استنشـاق من الحلازين (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٤٠١).

وفى فصل مستفيض عن أنواع الكائنات يقول القزوينى عن الحيوان:

أمـا الحيـوان ففى المـرتبـة الـثالثـة من الكـائنـات وأبعـد المولدات عن الأمهات لأن المرتبـة الأولى للمعادن وهى باقية

على الجمادية لقربها من البسائط، والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشو والنمو وفوات الحس والحركة، والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشو والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة في جميع أفراد الحيوان حتى في الذباب والبعوض، وأما الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المفسدة بها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافي فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى يتنبه من نومه، فإذا هو بلا يد ولا رجل. وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يكفيه في جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك إلى الغذاء، ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشي إليها فمات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف، ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقي في مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق، ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه.

فمنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس.

ومنها ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور.

ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفد والشاهين والسلحفاة.

ومنها ما يحفظ نفسه بحصن كالفأر والحية والهوام، ومقتض الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه، لا زائدا ولا ناقصا، ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة.

روى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى خلق فى الأرض ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة منها فى البر» وقال بعض المفسرين: من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾** [النحل: ٨] فليوقد نارا فى وسط حلقة بالليل ثم لينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا منها فى العالم» على أن الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها **﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾** [المدثر: ٣١] فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا إله إلا هو سبحانه.

ثم يذكر القزوينى بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها فيقسمها إلى سبع أنواع: النوع الأول يشمل حقيقة الإنسان، والنفس الناطقة، وتولد الإنسان، وتشريح أعضاء الإنسان، والقوى، وخواص الإنسان وفوائد أجزائه.

وأما النوع الثانى من الحيوان فيشمل الكلام عن الجن (إبليس أو الشيطان والمتشيطنة).

وأما النوع الثالث من الحيوان فهو الدواب، والنوع الرابع يشمل النعم، والنوع الخامس هو السباع وهنا يذكر القزوينى أفراد عائلة السباع مرتبة على حروف المعجم.

أما النوع السادس من الحيوان فيشمل الطير، كما أن النوع السابع يشمل الهوام والحشرات التى يذكر القزوينى بعضها مرتبا على حروف المعجم (عجائب المخلوقات / ١٩٩، ٢٠٠، ومخلص ص ٢٠٠ ـ ٣٠٦)

ثم يعقد القزوينى خاتمة يحصى فيها حيوانات عجيبة الأشكال، وحيوانات مركبة، وحيوانات عجيبة الصور فارجع إليها إن شئت فى ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨.

وعن الحيوان يقول أيضا الشيخ كمال الدين الدميرى:

(الحيوان) جنس الحى والحيوان الحياة والحيوان ماء فى الجنة قاله ابن سيده والحيوان نهر فى السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم فيغمس فيه ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبدا ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذى روى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ

قال «عـالم واحد أشد على الشيطـان من ألف عابد» وحـديثه هذا فى كتابى الترمذى وابن ماجه . وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ [العنكبوت : ٦٤] أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان فقلبوا الياء الثانية واوا كمـا قالوا حياة فى اسم رجل وبه سمى مـا فيه حياة حيوانا وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهو ما فى بناء فعـلان من الحركـات ومعنى الاضطراب كالنـزوان وما أشبه ذلك والحيـاة حركة كمـا أن الموت سكـون فمجيئه على ذلك مبالغة فى معنى الحياة . وقـال ابن عطية الحيوان والحياة بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى لا موت فيهـا قاله مجـاهد وهـو حسن ويقال الأصل حييـان بياءين فأبـدلت إحداهمـا واوا لاجتماع المثلين وقـال الجاحظ : الحيـوان على أربعة أقسـام شيء يمشى وشئ يطير وشئ يعـود وشيء ينســاح فى الأرض إلا أن كل شيء يطيـر يمشى وليس كل شئ يمشى يطير فأما النـوع الذى يمشى فهو على ثـلاثة أقسـام : ناس ، وبهـائم ، وسبـاع والطير كلـه سبع وبهيمة وهمج والخشـاش ما لطف جرمه وصغـر جسمه وكان عديم السلاح . والهمج ليس من الطيور ولكنـه يطير وهو فيما يطير كـالحشرات فما يمشى والسبع من الطيـر ما أكل اللحم خالصا والبهيمـة ما أكل الحب خالصا والمشتـرك كالعصفور فإنه ليس بذى مخلب ولا منسـر، وهو يلتقط الحب ومع ذلك يصيد النمل ويصيـد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخـه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعـة وأشباه العصافير من المشترك كثيرة وليس كل ما طار بجناحيـن من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والـزنابير والجراد والنمل والفـراش والبعوض والأرضة والنحل وغيـر ذلك ولا تسمى طيورا وكـذلك المـلائكة تطيـر ولها أجنحة وليست من الطير وكذلك جعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة وليس من الطير انتهى .

وفى الصحيحين وغيـرهما عن عبد الله بـن عمر رضى الله تعـالى عنهما أن النبى ﷺ قـال «لعن الله من مثَّل بالحيـوان» وفى روايـة لعن الله من اتخذ شيئـا فيه الـروح غرضا وفـى رواية نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم قـال العلماء تصبير البهائم هو أن تحبس وهى أحيـاء لتقتل بالرمى ونحوه وهـو معنى قوله «لا تتخذوا شيئا فيـه الروح غرضا» أى يرمى إليـه كالغرض من الجلود وغيـرها وهذا النهى للتحريم لأن النبى ﷺ لعن فـاعله ولأنه تعذيب للحيوان و إتلاف لنفسـه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى .

(تتمة) فى كتاب التنوير فى إسقاط التدبير قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندرى و إنما خص الله تعالى الحيوان بـالافتقار إلى التغـذية دون غيـره من الموجـودات لأنه تعـالى وهـب للحيـوان من صفاتـه مـا لو تـركـه من غيـر فاقـة لادعى الربـوبية أو ادعى فيـه ذلك فأراد الحق سبحانـه وهو الحكيم الخبيـر أن يحوجـه إلى مأكل ومشرب وملبس وغيـر ذلك من أسباب الحاجـة ليكون تكرار أسباب الحاجة منـه سببا لخمود الدعوى منه أو فيه .

(الحكم) يصح السَّلَم فى الحيـوان لأنـه يثبت فى الذمـة ثمنا وصـداقا وفى إبل الديـة وصح أن النبى ﷺ استسلف بكرا ومنع أبـو حنيفة رضى الله عنـه ذلك لأن ابن مسعـود رضى الله عنه كرهـه ولأنه لا ينضبط بالصفة لنـا ماروى أبو داود والحكم على شـرط مسلم عن عبد الله بـن عمرو بن العـاص رضى الله عنهما أنه قال «أمرنى رسول الله ﷺ أن اشترى بعيرا ببعيرين إلى أجل» وروى البيهقى عن على رضى الله عنـه أنه باع جمـلا له يدعى عصفورا بعشرين بعيـرا إلى أجل واشترى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة رواه مالك فى الموطأ وهـو فى البخارى بغير إسناد والربـذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحـل من المدينة وأما الحديث الـذى رواه الحسن عن سمـرة رضى الله عنـه أن النبى ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيـوان فرواه أبو داود والترمـذى وابن ماجه وقـال التـرمذى أنـه حسن صحيح وسمـاع الحسن من سمـرة الحسن هكذا قـال على بن المدينى وغيـره . والعمل على كل هـذا عند أكثـر أهل العلم من الصحـابـة وغيـرهم فى منع بيع الحيوان بالحيـوان نسيئة وهو قول سفيان الثـورى وأهل الكوفة وبـه قـال أحمد وقـد رخص بعض أهل العلم من الصحـابـة وغيـرهم فى بيع الحيوان بـالحيـوان نسيئة وهـو قول الشـافعى و إسحاق وقال الخطابى النهى فى حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين فيكـون من باب الكالىء بالكالئ بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور وقال مالك إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن

تشابهت لم يجز وقال فى الإحياء تُكرة التجارة فى الحيوان لأن المشترى يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذى هو بصدده لا محالة وقيل بعْ الحيوان واشتر الموتان ويضمن سائر الحيوان إذا أتلف بالقيمة لما فى الصحيحين عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال« من أعتق شركًا له فى عبد فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد قوِّم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق منه ما عتق فأوجب القيمة فى العبد بالإتلاف بالعتق ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد فى القيمة فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته . وأوجب أبو حنيفة فى عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقى وأوجب مالك رحمه الله فى قطع ذنب حمار ذى الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين .

الخواص : الخصى من الحيوان أبرد من فحله وإذا كان سمينا كان لذيذا مرطبا ملينا للطبيعة بطىء الانحدار وما كان مهزولا فبالضد إلا أنه سريع الانحدار وأجوده حولى المعز ومنفعته سرعة الانهضام ومضرته أنه يرخى المعدة ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة وهو يولد دمًا معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان ومن الأزمان زمان الربيع ويجب أن يُعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلا فى الهزال والسمن وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهى الشباب والبقر التى لم تبلغ سن الشباب والخصى من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن .

التعبير: من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وأن لم يفهم ما قاله فليحذر على مال يذهب منه لأن الحيوان مأكله وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغى أن يفتش عنها وجلود سائر الحيوان ميراث وقيل الجلود بيوت لمن ملكها لقوله تعالى ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا﴾ [النحل : ٨٠]، وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس وأشباه ذلك على النعمة الطائلة والأموال والأرزاق وعلو الشأن لمن لبسها فى المنام أو رآها عنده أو ملكها .

وإذا رأى الإنسان كأنَّ جلده سلخ وكان مريضا فإنه يموت وإلا افتقر وافتضح وربما دلت الجلود على ما يعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول ، وجلود الضأن على الكتابة ، والمعز على النطوع . وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيول وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية ، وجلود الجاموس على الحصون وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة وغير موروثة أو مغتصبة . وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه .

وأما أنياب الفيل وعظمه فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء ، وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكد والسعى والاجتماع بين المرأة وزوجها والوالدة وولدها والظلف فى الصورة هاء مشقوقة .

وأما الأخفاف فقوة سفر وربما دل الخف فى استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة .

وأما الأذناب فإنها دالة على مادل الحيوان عليه ومن يساعده فى مصالحه ويذب عنه مايخشاه .

وأما أصوات الحيوان فنذكرها هنا مفصلة فأما ثغاء الشاة فلطافة من امرأة وصديق أو بر من رجل كريم وأما ثغاء الجدى والكبش والحمل فسرور وخصب وأما صهيل الفرس فهو هيبة من رجل شريف أو جندى شجاع ، وأما نهيق الحمار فسفه من رجل سفيه ، وأما سحيج البغل فصعوبة من رجل صعب المرام وأما خوار العجل والثور والبقر فوقوع فى فتنة ، وأما رغاء الإبل فسفر طويل فى حج أو تجارة رابحة أو جهاد ، وأما زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم وأما ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر وأما نهيز الفأرة فضرب من رجل ثقاب أو فاسق أو سرقة ، وأما بعام الظبى ففائدة من امرأة حسناء ، وأما عواء الكلب فخجل من سعى فى الظلم وأما عواء الذئب فجور من لص غشوم ، وأما صياح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة وأما وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين وأما صياح الخنزير فظفر بأعداء حمقى . وأما صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع وظفر به من سمعه . وأما نقيق الضفدع فدخول فى عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان وقيل إنه كلام قبيح وأما فحيح الحية فكلام

من عدو كاتم للعداوة ثم يظفر بـه من سمعه ومن كلَّمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١)

وذكر الثعالبى ضروب الحيـوان فى فصل من الباب السابع عشر من كتابه «فقه اللغـة» فقال: «فصل فى تفصيل أجناسها وأوصافها وجمل منها عن الأئمة».

الأنام ما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

الثقـلان: الجن والإنس. الجن حى من الجن. البشـر: بنو آدم.

الـدواب: يقع على كل مـاشى على الأرض عـامـة وعلى الخيل والبغال والحمير خاصة.

النَّعَم: أكثر ما يقع على الإبل.

الكراع: يقع على الخيل.

العوامل: يقع على الثيران.

الماشية: تقع على البقر.

الضـائنـة والماعـزة الجـوارح تقع على ذوات الصيـد من السباع والطير.

الضوارى: تقع على ما عُلِّم منها.

الكحل: يقع على العجم من البهـائم والطيور (فقة اللغة / ٩٠).

ومن توجيهات الإسلام بالرفق بالحيوان.

«عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجل يمشى، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منهـا، ثم خـرج فإذا هـو بكلـب يلهث، يأكل الثـرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فملأ خفه، ثم أمسك بفيـه، ثم رقى فسقـى الكلب، فشكـر الله لـه، فغفـر له، قالوا: يا رسول الله: وإن لنا فى البهائم أجرا؟ قال: فى كل كبد رطبـة أجر». (أخرجـه البخارى) التـربية الإسـلامية / ١٠٧) كبد رطبة: البهائم التى لا ضرر فيها

قالت المـؤلفة: حديث «فى كل كبـد رطبة أجر» أخـرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير من رواية البيهقى فى شعب الإيمان عن سراقة بن مالك بلفظ «فى الكبد الحارة أجر» وقال عنه: حديث صيح. (الجامع الصغير ٢/ ٨٢).

والمسلم يعتبر أغلب الحيـوانات خلقـا محترما فيـرحمها لرحمة الله تعالى لها ويلتزم نحوها بالآداب التالية:

١ ـ إطعامها وسقيها إذا جاعت وعطشت لقول الرسول عليه أزكى السـلام: «وفى كل ذات كبد أجـر» (انظر لفظ الحـديث كمـا أوردنـاه آنفـا). وقـولـه: «مـن لا يَـرحم لا يُـرحم» متفق عليه. وقوله: «ارحموا من فى الأرض يرحمكم فى السماء».

٢ ـ رحمتها والإشفاق عليها لقول الرسول الكريم لما رآهم قد اتخذوا حيوانا ـ طيرا ـ غرضا (هدفا) يرمونه بسهامهم: «لعن الله من اتخذ شيئـا فيه روح غـرضـا» (متفق عليـه). ولنهيه ﷺ عن صبـر البهائم أى حبسهـا للقتل ولقـوله: «من فجع هـذه بولدها؟ ردوا عليهـا ولدها إليها» قاله لمـا رأى الحمرة ـ طائر ـ تحوم تطلب أفراخها التى أخذها الصحابة من عشها (أبو داود بإسناد صحيح).

٣ ـ إراحتهـا عند ذبحها أو قتلها لقـوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسـان على كـل شىء فإذا قتلتم فـأحسنـوا القتل، وإذا ذبحتم فأحسنوا الـذبح، وليرح أحدكم ذبيحته وليحـد شفرته» (رواه مسلم).

٤ ـ عـدم تعـذيبهـا بأى مـن أنـواع العـذاب سـواء كـان بتجويعهـا، أو ضربها أو بتحميلهـا ما لا تطليق، أو بـالمثلة بها، أو حرقها بالنار وذلك لقول الرسول ﷺ:

«دخلت امـرأة النار فى هرة حبستهـا حتى ماتت فـدخلت فيها النـار فلا هى أطعمتها وسقتهـا إذ حبستها ولا هى تـركتها تأكل من خشاش الأرض» (البخارى).

وقد مر عليه الصلاة والسلام بقرية نمل ـ موضع نمل ـ وقد أحرقت فقال. «إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار» (أبو داود، صحيح) ـ يعنى الله عز وجل.

٥ ـ إباحـة قتل المـؤذى منهـا كالكلـب العقور والـذئب والحية والعقـرب والفأر وما إلى هـذا لقول الرسـول عليه أزكى السلام:

«خمس فواسق تقتلن فى الحل والحـرم: «الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقـور والحـديا» (مسلم). كمـا صح عنه كذلك قتل العقرب ولعنها.

٦ ـ جواز وسم النعم فى آذانها للمصلحة، إذ رؤى ﷺ يسم بيده الشريفة إبل الصدقة.

أما غير النعم وهى الإبل والغنم والبقر من سائر الحيوان فلا يجوز وسمه لقوله ﷺ وقد رأى حمارا موسوما فى وجهه:

«لعن الله من وسم هذا فى وجهه» (مسلم)

٧ ـ معرفة حق الله فيها بأداء زكاتها إذا كانت مما يزكى.

٨ ـ عدم التشاغل بها عن طاعة الله أو اللهو بها عن ذكره لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُلْهِكُم أموالُكُم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾. [المنافقون: ٩] (منهاج المسلم/ ١٢٠، ١٢١).

٩ ـ تجنيبها الأطعمة الفاسدة الرديئة التى تؤذيها فتمرض فتؤذى بلحومها، وتتضاءل منافعها وقد مر نبينا ﷺ ببعير لصق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» (أخرجه أبو داود) (التربية الإسلامية/ ١١٠).

وقد سخر الله تعالى للإنسان مجموعة من الحيوانات رحمة به وتسهيلا لقيامه بدوره فى الحياة، فمنها ما يقوم بتسهيل الاتصال، ومنها ما يحمل الأثقال، ومنها ما يشارك فى الحروب، وفى الصيد، وفى الفروسية، وينفع بعضها فى التغذية الصحية الضرورية، ويترجم بعضها ـ بجماله وجاذبيته ـ عظمة الخالق ـ وقد أجملت الآيات الكريمة أهم هذه المنافع فى قوله تعالى: **﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمالٌ حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشِقِّ الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم﴾** [النحل: ٥ ـ ٧].

وإذا تأملنا بعض الحيوانات؛ فإننا نكتشف حكما وأسرارا، ونستمد عظات وعبرا ومن ذلك استشعار عظمة الله وجلاله من خلق الإبل، قال تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾** [الغاشية: ١٧] واستخلاص فضيلة السعى إلى الرزق، وبناء الأعشاش والحنين إلى الأوطان من الطير. قال تعالى: **﴿ألم يروا إلى الطير مُسخَّراتٍ فى جوِّ السماء ما يمسكهُنَّ إلا الله﴾** [النحل: ٧٩] (التربية الإسلامية/ ١٠٩).

وثمة سائل يسأل: هل يحاسب الحيوان يوم القيامة، ومنه من له قسط معقول من الذكاء؟ ويجيب عن السؤال فضيلة الشيخ محمود شلتوت الإمام الأكبر الأسبق فيقول رحمه الله:

اتفقت الرسالات السماوية على أن بعث الإنسان يوم القيامة حق، وأن محاسبته على أعماله فى الدنيا حق، ولا خلاف فيه لأحد من المؤمنين. أما بعث الحيوانات من البهائم والطيور ومحاسبتها على ما ارتكبت فى دنياها، فقد ذهب إليه جماعة من العلماء قرروا بعثها من قبورها يوم القيامة كالإنسان، وقرروا سؤالها عما فعلت كالإنسان، واستندوا فى بعثها إلى مثل قوله تعالى فى سورة التكوير: **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾** [التكوير: ٥] وقوله تعالى فى سورة الأنعام: **﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتٰب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون﴾** [الأنعام: ٣٨] ويستندون فى محاسبتها إلى ما فهموه من قوله ﷺ «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء» الجماء التى لا قرن لها تدفع به عن نفسها اعتداء ذات القرن عليها. ويقول هؤلاء، إن الله بعد أن يحقق هذه العدالة العامة فى خلقه على هذا النحو، يقول لها: موتى فتموت، وليس لها جنة ولا نار.

المحاسبة والمسئولية للإنسان المكلف:

وترى طائفة أخرى ذات نظر أعمق أن البحث خاص بالإنسان المكلف، وأن المحاسبة والمسئولية خاصان به، والآخرة دار جزاء، ولا محاسبة إلا حيث التكليف ولا تكليف لغير الثقلين: الإنس والجن. وإذن فلا محاسبة للحيوانات ولا بعث.

أما قوله تعالى: **﴿وإذا الوحوش حشرت﴾** فالحشر فيها ليس هو حشر الآخرة وإنما هو جمعها لاستيلاء الرعب عليها وقت الاضطراب العام وانحلال النواميس الكونية، وقد ذكر هذا الحشر فى حوادث الاضطراب التى تحدث قبل البعث بديل ماقبلها. **﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت﴾** [التكوير: ١ ـ ٤]. وما جاء بعدها **﴿وإذا البحار سجرت﴾** [التكوير: ٦] وكل هذه من حوادث الاضطراب العام الذى يقع قبل يوم القيامة.

أما البعث فقد ذكر بعد ذلك كله بقوله تعالى فى السورة نفسها **﴿وإذا النفوس زوجت * وإذ الموءودة سئلت * بأى**

ذنب قتلت﴾ إلى قوله ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ [التكوير: ٧ ـ ١٤].

أما الحشر فى آية الأنعام، فهو يرجع إلى المكذبين لرسالة الرسول المذكورين قبل الآية وبعدها، أو أن معناه: الهلاك والموت، وهو عام لكل المخلوقات، ومن ذلك قول العرب فى السنة المجدبة «حشرت الناس، يريدون: أهلكتهم».

هذا وقد قال الإمام الألوسى فى تفسيره: وليس فى الباب «يريد مسألة بعث الحيوانات» نص من كتاب أو سنة يعول عليه، يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطير ثم قال «ومن القريب جدا أن يكون الحديث الذى ذكروه كناية عن تمام العدل بدليل ما جاء فى بعض الروايات من الاقتصاص من الحجر إذا وقع على الحجر».

ذكاء بعض الحيوانات لا إرادة معه:

هذا ما قاله العلماء فى هذه المسألة ونحن مع أرباب الرأى الثانى، وهو أنه لا بعث ولا محاسبة إلا على من ثبت تكليفه لا لمن لا يفهم الشرائع والخطاب بخاصة نفسه وطبيعته. كيف وقد خلقها الله مسخرة للإنسان فيما تنفعه من أكل وحمل وحرث وسائر ما يحتاج منها؟. أما ما يرى من ذكاء بعض الحيوانات، فهو ذكاء لا إرادة معه ولا يعدو نواحى خاصة لا تتصل بفهم الخطاب ولا مقتضيات التكليف الإلهى. (الفتاوى/ ٣٥، ٣٦).

(لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٠٧٧، ١٠٧٨، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٤٠١، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٩٩، ٢٠٠ وملخص ٢٠٠ ـ ٣٠٦، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٥٩ ـ ٢٦١، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى/ ٩٠، والتربية الإسلامية. المملكة المغربية. وزارة التربية الوطنية. دار النشر المغربية. الدار البيضاء. الطبعة الثانية ١٩٩٣/ ١٠٧، ١٠٩، ١١١، والجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ٢/ ٨٢، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى/ ١٢٠، ١٢١، والفتاوى للإمام الإكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق، الشيخ محمود شلتوت/ ٣٥، ٣٦.

*** الحيوان (علم ـ):**

يقول صاحب مفتاح السعادة:

هو علم باحث عن أحوال خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها.

وموضوعه جنس الحيوان البرى والبحرى والماشى والزاحف والطائر وغير ذلك.

والغرض منه التداوى والانتفاع بالحيوانات، والاجتناب عن مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها. مثلا فى غرب الأندلس حيوان لو أكل الإنسان أعلاه أعطى بالخاصية علم النجوم، وإذا أكل وسطه أعطى علم النبات، وإذا أكل عجزه وهو ما يلى ذنبه أعطى علم المياه المغيبة فى الأرض فيعرف إذا أتى أرضا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها.

وقد صنف فيها كمال الدين الدميرى تصنيفا حسنا مطولا ومختصرا. وقد عرفته. ورأيت مختصرا مسمى «بخواص الحيوان» وهو كاف فى هذا الباب، إلا أنى لم أعرف مصنفه اهـ (مفتاح السعادة ١/ ٣٠٨).

ويقول صاحب كشف الظنون بالإضافة إلى ما سبق: وفيه كتب قديمة وإسلامية منها كتاب الحيوان لديموقراتيس ذكر فيه طبائعه ومنافعه، وكتاب الحيوان لأرسطاطاليس تسع عشرة، مقالة نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى؛ وقد يوجد سريانيا نُقلا قديما أجود من العربى، ولأرسطو أيضا كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق وما فيه من المنافع والمضار.

وكتاب الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى المتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين وهو كبير أوله: جنبك الله تعالى الشبهة وعصمك من الحيرة... إلخ. قال الصفدى: ومن وقف على كتابه هذا وغالب تصانيفه ورأى فيها الاستطرادات التى استطردها والانتقالات التى ينتقل إليها والجهالات التى يعترض بها فى غضون كلامه بأدنى ملابسة عَلِمَ ما يلزم الأديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف. أقول: ما ذكره الصفدى من إسناد الجهالات إليه صحيح واقع فيما يرجع إلى الأمور الطبيعية، فإن الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة، لا من أهل هذا الفن ومختصر «حيوان» الجاحظ لأبى القاسم هبة الله ابن القاضى الرشيد جعفر المتوفى سنة ثمان وستمائة، واختصره الموفق البغدادى أيضا، وكتاب الحيوان لابن أبى الأشعث، ومختصره للموفق المذكور أيضا (كشف الظنون ١/ ٦٩٥، ٦٩٦، وأبجد العلوم حـ ٢ ق ١/ ٣١١، ٣١٢).

يقول الدكتور عبد الحليم منتصر:

وقد عرض ابن سينا فى أحد أجزاء كتابه الشفاء لدراسة

الحيوان فأورد نماذج رائعة لوصف أنواع مختلفة من الحيوان والطيور يقول من الحيوانات المائية لجية وشطية ومنها طينية وصخرية والحيوانات المائية منها ذات ملاصق كأصناف الأصداف ومنها متبرئة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع والملاصقة منها ما تزال تلصق ولا تبرح مثل أصناف من صدف الإسفنج، وتكلم عن العظام والغضاريف والشرايين والأوردة والأغشية والرياضيات والحركة الإرادية والطبيعية وأسهب فى التشريح المقارن بين الحيوانات المختلفة والطيور والأسماك ثم الأجهزة العضلية والهضمية والدورية والتناسلية والتنفسية وأن جولاته فى وصف أنواع الحيوان من طير وأسماك وزواحف وثدييات وبرمائيات لمما يذكر له بالتقدير ولا شك أن ابن سينا قد مارس التشريح سواء فى ذلك تشريح جسم الإنسان أو مختلف أنواع الحيوان وإلا لما استطاع أن يصف بدقة تنتزع التقدير والإعجاب هذه الأجهزة المختلفة، بل يذكر تفاصيل لا تكاد نعرفها فى الوقت الحاضر إلا باستعمال العدسات والمجاهر فهو يتحدث عن الألياف الطولية فى جدار الأمعاء لتجرى الحركة الدودية فى الهضم ؛ وتلك العرضية التى تجرى الحركة العاصرة ثم المورية التى توثق عمل الآخرين.

وكذلك عنى بعض العشابين مثل ابن البيطار وداود الأنطاكى بوصف كثير من أنواع الحيوان مما تستخلص منها عقاقير علاجية كما وصف البغدادى كثيرا من حيوانات مصر من سمك وطير وسلحفاة وفرس النهر وكذلك فعل القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات حين قال: ثم لننظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير وما يقوم وما يمشى، وينقسم الماشى إلى ما يمشى على بطنه وما يمشى على رجليه وما يمشى على أربع وإلى أشكالها وأنواعها وتجميع غذائها وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها هندستها. وكيف صنعت النحل هذه المسدسات المتساوية الأوضاع التى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة. لقد أورد القزوينى فى كتابه المذكور وصف مئات من مختلف أنواع الحيوان.

وذكر ابن سيده فى بعض أبواب الجزء السادس ما يختص بالخيل وصفاتها وأصواتها كما تكلم فى الجزءين السابع والثامن عن الإبل والغنم والماعز والسباع والكلاب والطيور والنحل والنمل والعناكب وغيرها من مختلف أنواع الحيوان وعنى بصفة خاصة بالأوصاف الدقيقة للأعضاء فى الحيوانات مما يفيد الدارسين لعلم الشكل وسلوك الحيوان. أما الجاحظ فقد ألف سفرا ضخما فى علم الحيوان فى سبعة أجزاء، (أفردنا له مادة خاصة فانظره فى موضعه).

وكذلك عالج الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» (انظره فى موضعه) موضوع حياة الحيوان بالطريقة التى جرى عليها العلماء العرب من حيث ترتيب أسمائها حسب حروف الهجاء، مبتدئا بحرف الألف حيث يتكلم عن الأسد ذاكرا أسماءه باللغة العربية معقبا بوصف طباعه وهيئته ثم مؤيدا حديثه بما ورد من أحاديث شريفة أو أشعار ثم يذكر الإبل فالإنسان فالأخطب فالأخيل والأريد والأرنب والأنكليس والأوز وهكذا ويستطرد الدميرى أحيانا قائلا إن الحديث ذو شجون ويذكر ما يسميه فائدة أجنبية لعله يريد أنها بعيدة عن موضوع الكتاب ثم يستأنف حديثه عن الحيوان منتقلا إلى الحرف التالى من حروف الهجاء فيذكر البازى والبازل والباقعة والبجعة والبرغوث والبط والبعوض والبعير والجمل والبغل والبقر والبلشون والبوم وعلى هذا النحو. عالج الدميرى مئات من أنواع الحيوان ويختم الجزء الأول بانتهاء أسماء الحيوانات التى تبدأ بحرف الراء ثم يبدأ فى الجزء الثانى فى الحيوانات التى تبدأ بحرف الزاى وينتهى بحيوانات حرف الياء من يامور ويحموم ويراعة ويربوع ويعفور ويعسوف وغيرها.

ويلاحظ أن الدميرى كثيرا ما يستشهد بآراء من سبقوه من العلماء العرب من أمثال الجاحظ وابن سيده والقزوينى كما يستشهد بآراء أرسطو كما يعنى بذكر الشواهد الأدبية والأحكام الشرعية وغالبا ما يذكر بعض الفوائد الطبية.

ولما كانت طريقة التأليف معجمية موسوعية، فقد جمعت بين الطائر والسمك والحشرات والزواحف فى فصل واحد، كما جمعت بين مادة العلم الطبيعى من وصف للحيوان وسلوكه وموطنه وبين ما روى فيه من شعر وأدب ونوادر، مما يجعل قراءته ميسرة محببة إلى جانب ما فيه من نفع علمى محقق. (فى العلوم والطبيعة / ٢٢١ـ٢٢٤)

ويقول الدكتور سيد رضوان على معددا مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان:

اهتم العرب قبل الإسلام اهتماما بالغا بالخيل والإبل، وهم فرسان الحرب وجُوَّاب الصحراء، يعتمدون على الأول في معاركهم، وعلى الثاني في تنقلاتهم عبر الصحاري والبراري، وفي تجارتهم عبر البلاد من اليمن إلى الشام.

وكانت لهم معرفة دقيقة بأنساب الخيول وتربيتها وصفاتها وأمراضها، ومداواتها، وكذلك بالنسبة للإبل فكانوا على دراية عظيمة بكل ما يتعلق بتكوينها وطباعها ومنافعها. وأقدم مؤلفاتهم في الحيوان هي التي تتعلق بالخيل والإبل، وهي كثير جدا. فقد ذكر ابن النديم (ت ٣٨٠ هـ) في كتابه الفهرست أربعا وعشرين كتابا بعنوان «كتاب الخيل» لعدد من المؤلفين القدماء، وتسعة كتب باسم «خلق الفرس». ولعل أقدم هذه الكتب «كتاب الخيل» لأبي مالك عمرو بن كركرة وهو أعرابي كان يعلم في البادية، وكتاب «خلق الفرس» لأبي ثروان العكلي من الأعراب ايضا في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة. ومن مؤلفي هذه الكتب علماء مشهورون كأبي عبيدة بن المثنى (٢١٠ هـ) وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) وغيرهم من علماء القرن الثاني والثالث للهجرة.

وأما الإبل فقد ذكر عنها خمسة عشر كتابا بأقلام المؤلفين المذكورين وغيرهم كالأصمعي وأحمد بن حاتم الباهلي، والنضر بن شميل، وأبو علي هاشم بن إبراهيم الكرنبائي الأنصاري وغيرهم من علماء هذه الفترة المبكرة.

وألف العرب في غيرهما من الحيوانات كالغنم والشاة وفي الحشرات، وفي الطيور، والوحوش والحيات والعقارب، وغير ذلك من أصناف الحيوانات وأنواع الجوارح من الطيور.

فمنها مثلا كتاب الطير لكل من النضر بن شميل، وأحمد ابن حاتم، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب الشاة والغنم لكل من الأصمعي والأخفش والنضر بن شميل، وكتاب النحل للمدائني، وآخر بعنوان كتاب النحل والعسل لأبي حاتم السجستاني، وكتاب الجراد لأحمد بن حاتم، والمراعي والجراد للمدائني وكتاب البزاة والصيد للأمير أبي دلف القاسم ابن عيسى العجلي، وأربعة كتب عن البزاة للروم والفرس والترك والعرب، وكتاب البغال للجاحظ.

ثم كتب عامة بعنوان كتاب الوحش (أي السبع والذئاب والثعالب وغيرها) لعدد من المؤلفين مثل سعد بن المبارك، والكرنبائي الأنصاري، وأبي زيد، والأصمعي، وأبي حاتم السجستاني، وكتاب الحشرات للكرنبائي الأنصاري، وكتاب الحيات، وكتاب العقارب، وكتاب البازي لأبي عبيدة معمر ابن المثنى، من علماء القرن الثاني للهجرة.

وجميع هذه الكتب بأقلام علماء اللغة والأدب أو المؤلفين ذوي الاطلاع الواسع والاهتمامات المتنوعة، ومعظمها مفقود أو غير مطبوع. وألف بعد أيام ابن النديم مؤلفات أخرى من هذا القبيل ولو أنها قليلة، ولكن معظمها مفقود أو غير مطبوع، فلا نستطيع أن نحكم عليها. ولكن بعض النماذج الباقية أو التي حوتها الموسوعات العلمية العامة من القرن الثالث والرابع الهجري، أو من كتاب الحيوان للجاحظ نتبين منها أن هذه الكتب والرسائل الكثيرة لم تؤلف للغرض العلمي الخالص، وغلب عليها صفة كتب اللغة ولكنها لم تكن تخلو من ملاحظات هامة حول طباع هذه الحيوانات والطيور والوحوش وصفاتها.

ثم من بينها كتب وإن كانت قليلة جدا يظهر من عناوينها أنها ألفت لغرض علمي أيضا مثل «كتاب الخيل وسبقها وأنسابها، وشياتها وغرتها وإضمارها» للتوزري (عبد الله بن محمد بن هارون)، «وكتاب النحل وأجناسه وعروسه» للأهوازي (محمد بن إسحاق).

ثم ثمة كتب توحي عناوينها بأنها ليست في اللغة مثل «كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسنانها» للأخفش (ت سنة ٢١١ هـ) و «كتاب صفة الفرس» و «كتاب صفة النمل والبعوض» لعلي بن عبيدة الريحاني (ت سنة ٢١٩ هـ) وذكر ابن النديم أنه «كان له اختصاص بالمأمون، ويسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريقة الحكمة» (أي الطريقة العلمية).

فمثل هذه الكتب ألفت لأغراض علمية خاصة في فترة مبكرة قبل ظهور كتاب الحيوان للجاحظ. ويؤيد رأينا حول محتويات هذه الكتب العلمية (طبائع الحيوان) قول الجاحظ:

«وقَلَّ معنى سمعناه من باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء إلا ونحن قد وجدناه أو قريبا منه في أشعار العرب والأعراب».

والجاحظ نفسه يعطينا العلة في حسن معرفة الأعراب للحيوان بقوله المنطقي الحكيم: «وربما بل كثيرا ما يبتلون بالناب والمخلب. واللدغ واللسع والعض والأكل فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجارح والقاتل».

وملاحظة ابن النديم عن الريحاني ذات قيمة كبيرة إذ تؤكد على أنه كان هناك أناس كانوا يؤلفون في الحيوان على الطريقة العلمية، وقد أطلنا الكلام على هذه الكتب ــ التي يحسبها بعض الناس من كتب اللغة فقط والتي تحوى كثيرا من أشعار العرب والأعراب ـ لنؤكد على مدى اهتمام العرب بموضوع الحيوان، ومعرفتهم بطبائعها، وصفاتها في كثير من الأحيان والتي كانت نابعة من بيئتهم، ومبنية على المشاهدة والتجربة، وليس على كتاب أرسطو وغيره عن الحيوان.

واستفاد الجاحظ من هذا التراث اللغوى العلمي الكبير فألف أول موسوعة في هذا العلم بعنوان «كتاب الحيوان» في سبعة أجزاء (أدرجناه تحت عنوان «الحيوان (كتاب ـ)» فانظره في موضعه).

والكتاب الثاني: المشهور الذي ضم معارف العرب عن الحيوانات هو «حياة الحيوان الكبرى» لكمال الدين الدميرى (ت سنة ٨٠٨ هـ) وهو مثل كتاب الجاحظ في شموله وإحاطته، ويمتاز عليها بترتيبه على حروف الهجاء، فكأنه معجم للحيوانات البرية والبحرية، والطيور، والحشرات، وفيه ذكر الحيوانات الخرافية أيضا كالعنقاء والرخ وبنات الماء، ولكنه ليس في مستوى كتاب الحيوان للجاحظ من ناحية ذكر طبائع الحيوان وعاداتها، وقد جمع الدميرى مواد كتابه من مصادر كثيرة جدا (أوردناه تحت عنوانه هذا فانظره في موضعه). ولكن فيه كثير من الاستطراد في موضوعات لغوية وفقهية وتاريخية وغير ذلك على طريقة الجاحظ فتضخم الكتاب، إذ هو في مجلدين كبيرين (طبع في القاهرة. مطبعة حجازى سنة ١٣٥٣ هـ). قالت المؤلفة: النسخة التي عندى طبعتها دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. بيروت. بدون تاريخ في مجلدين والكتب العلمية الخالصة عن الحيوان قليلة جدا عند العرب الأمر الذي جعل أكثرية الذين يكتبون في موضوع العلوم عند العرب يهملون هذا الجانب من علومهم، وهو ينتظر باحثا يستخلص من بطون الكتب القديمة المطبوعة والمخطوطة معارف العرب العلمية عن الحيوان ويقارنها بالمعارف الحديثة.

وبجانب عنايتهم بعلم الحيوان نشأ عند العرب علم البيطرة في فترة مبكرة نسبيا، فلدينا أسماء بعض الكتب المؤلفة في البيطرة وعلاج الدواب منها: «كتاب البيطرة» لابن أخي حرام (في الفهرست حزام بالزاي المعجمة) وألفه للخليفة العباسي المتوكل (ت ٢٤٧ هـ/ ٨٦١م) وكتاب آخر بنفس العنوان من تأليف الحصيبي كما ذكره ابن النديم. ويظهر أنهم استفادوا في هذا العلم بمعارف الفرس والرومان، بجانب ما جاء من علاج الدواب والأنعام في الكتب المؤلفة عنها، فقد ذكر ابن النديم بعض الكتب المترجمة من الفارسية واليونانية إلى اللغة العربية في البيطرة. (العلوم والفنون عند العرب/ ٩٣ ـ ٩٨).

ومن أمثلة المصنفات في علم الحيوان مخطوط بعنوان «الإرشاد إلى أحكام الجراد» جاء بيانه في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية كما يلي:

الرقم ٣٢٥٨

تأليف محمد بن أحمد الرخجي الحنبلي الشيباني (٧٠٣ ـ ٧٧٧ هـ/ ١٣٠٤ ـ ١٣٧٥م) (ظنًّا)

مواضيع المخطوط:

مقدمة ـ ضيافة الهدهد لسليمان ـ الوصية بتقوى الله والدعاء على الجراد وفي آخرها الجراد لغويا.

الأحاديث الواردة في الجراد ــ ما جاء في بيع الجراد (أحاديث) منافع الجراد ــ ماء السمرمر ــ ما ذكر أن للجراد أميرا ـ الجراد في الغوطة (مساجلة شعرية).

الجراد زمن عمر ــ ومما قيل في الجراد من الشعر ـ ومما قيل في الجراد من النثر.

فاتحة المخطوط:

الحمد لله البر الجواد، الذي خلق ورزق وأباد، وكرر فضله وجوده وأعاد، الهادي بهدايته إلى سبيل الرشاد، المتفضل بالخير الوافر والفضل المتكاثر على المقيم والمسافر من العباد ... وبعد فهذا تأليف لطيف حسن ظريف وسمته حين رسمته بالإرشاد إلى أحكام الجراد وما جاء في شأنه عن خير العباد من الصلاح والفساد وغير ذلك على ما ستراه إن شاء الله برسم من ملك القلوب ... قاضي القضاة ملاذ العفاة، شيخ الإسلام ... مولانا محيي الدين محمد أفندى ... نجل ... أبي السعود ... جمع كاتبه ... محمد بن أحمد الرجحي الحنبلي الشيباني ...

خاتمة المخطوط:

فالسعيد من بالآيات يعتبر ويتفكر بالممات لعل ذا المعصية أن ينزجر ويذكر يوم تخرج الخلائق من الأجداث كأنهم جراد منتشر ويتعظ بمن سلف من أهل القرى ... ما كان حديثا يفترى ويمثل قدومه بين يدى الملك القدير يوم ينادى المنادى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وشاء الله أن يجلعنا ممن تاب وأناب ... وأن يصرف بحوله وقوته عن أرزاق المسلمين هذا الجراد إنه هو الكريم الحليم الرؤوف الجواد بمنه وطوله وقوته وحوله آمين ... مؤلف هذه المقالة الفقير المذكور اسمه فى خطبة الرسالة غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة قيمة ، كتبت بخط مؤلفها ويبدو أنها مسودة المؤلف لما فيها من شطب وضرب ، كتبت بالحبر الأحمر بعض الكلمات ، وأكثرها منقط بالأحمر ، ترك لها هامش بعرض ٣ سم . عدد أوراقها : ١٨ بقياس ١٩ × ١٤ سم . و١٧ سطرا . عليها تملك باسم عبد الله باشا . فيها أشعار لأبى العتاهية ، ولها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة (فهرس الظاهرية / ٣٨٢ـ٣٨٤) .

. (مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٠٨ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ ٢ ق ١ / ٣١١ ، ٣١٢ ، و «فى العلوم والطبيعة» ـ د . عبد الحليم منتصر . أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية . اليونسكو / ٢٢١ ـ ٢٢٤ ، والعلوم والفنون عند العرب ـ د . سيد رضوان على / ٩٣ ـ ٩٨ . انظر أيضا العلوم عند المسلمين . مؤسسة الكويت للتقدم العلمى / ٣٦ ، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية ـ د . أحمد فؤاد باشا / ١٣٨ ، ١٣٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ٣٨٢ ، ٣٨٣)

انظر مادة «البيطرة (علم ـ)» فى م ٨ / ١٨٦ ـ ٢٠٠

***الحيوان (كتاب ـ) :**

كتاب الحيوان تأليف الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ (انظر ترجمته فى م ١١ / ٤٢١ ـ ٤٣٠) يقول عنه الدكتور عبد الحليم منتصر ملخصا محتوياته :

أما الجاحظ فقد ألف سفرا ضخما فى علم الحيوان فى سبعة أجزاء وقد قسم الحيوان إلى ثلاثة أقسام : شىء يمشى ، وشىء يسبح ، وشىء ينساح ، والنوع الذى يمشى على أربعة أقسام ناس وبهائم وسباع وحشرات ، ثم انتقل إلى حيوان الماء فيقول : ليس كل عائم سمكة وإن كان مناسبا للسمك فى كثير من معانيه . ويقول : ألا ترى فى الماء كلب الماء وعنز الماء وخنزير الماء وفيه الرق والسلحفاة وفيه الضفدع وفيه السرطان والتمساح والدخس والدلفين ، ثم يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان ، ويقول من الحيوان الأعجم ما يرغو وينهق ويصهل ويسنح ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويصوص ، ويقوق وينعب ويزأر ويكش وينبح . ويخص الجاحظ بعض فصول كتابه بالحديث عن الكلاب وغيرها وعن تكوين البيضة من الفروج ، ويتحدث عن بيض الطيور عامة وعدد مرات وضعه وحضنه ، ثم باب للأسنان وأسمائها ، ويتحدث فى الجزء الثالث عن صنوف الحيوان وأسهب فى الحديث عن الحمام القمرى وعن بناية العش ورعاية الأبوين للصغار ويتكلم عن الهجن وعن أمراض الحمام وطرق علاجها ثم يتحدث عن الذباب والفراش والغربان والجعلان والخنافس والرخم والهدهد والخفاش والنمل ثم يتطرق إلى الحديث عن النوم فى الحيوان ويعود فى الجزء الرابع للحديث عن النمل والقرد والخنزير والحيات والأفاعى واليرابيع والجراد وسمك القرش . وقد سجل الجاحظ ملاحظات عجيبة فى سلوك الحيوان سجلها بدقة تنتزع التقدير والإعجاب كما أنه أجرى بعض التجارب على بعض أنواع الحيوان كما كان يسقى الحيوانات خمرا ويجرب أثرها عليها أو يضع الحيوانات تحت أوان زجاجية ليراقب سلوكها كما كان يبقر بطون الحيوانات ليعرف ما فى بطونها وإنه ليعتبر عالما فى الحيوان التجريبى وفى سلوك الحيوان فضلا عن علم الشكل وعلم التشريح المقارن («فى العلوم الطبيعية» / ٢٢٣) وقد بسط الدكتور عمر الدقاق الكلام فى كتاب الحيوان هذا فقال عنه :

يعد كتاب الحيوان للجاحظ فى طليعة كتب الأدب التى تزدان بها المكتبة العربية . وهو كتاب طريف فى موضوعه ، وتتجلى أهميته فى أنه أول مصنف عربى جامع يتناول موضوع الحيوان على الرغم من أنه كان ثمة كتب أخرى قبيل حياة الجاحظ أو فى أثنائها تعرضت لشئون الحيوان ، ولكنها كانت كتبا جزئية الطابع أشبه بالمعاجم الخاصة التى تُعنى

بالتصنيف اللغوى للألفاظ المتعلقة بأوصاف الحيوانات وأعضائها وما إلى ذلك . . من نحو ما ألفه أبو عبيدة والأصمعى والنضر بن شميل وأبو زيد الأنصارى وأبو حاتم السجستانى وابن الأعرابى وغيرهم ممن كتب فى الإبل وفى الخيل وفى الغنم والشاء وفى الوحوش وفى الطير. فقد كان الجاحظ علما متفردا بين معاصريه وإماما فذا من أئمة البيان العربى لا يدانيه أحد فى اتقاد ذهنه واتساع ثقافته. وقد جاء فى الفهرست لابن النديم «أنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى إنه كان يكترى دكاكين الوراقين».

ولم يكن هم الجاحظ فى التأليف أن يقتصر على الجمع والرواية والحفظ، وإنما كان همه أن يبتكر وأن يقدم للناس الطريف من ألوان الثقافة والمعرفة. والكتاب أضخم كتب الجاحظ إطلاقا ولعله أجلها شأنا. ويعد دائرة معارف واسعة الأفق كما يعد صورة بارزة لثقافة العصر العباسى المتشعبة الأطراف، فقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية، كما تحدث فى سياسة الأقوام والأفراد وتكلم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية. وتحدث الجاحظ فى هذا الكتاب أيضا فى كثير من المسائل الجغرافية وفى خصائص كثير من البلدان، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر وتكلم على الطب وعلى الأمراض فى الحيوان وفى الإنسان وذكر كثيرا من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية، وغير ذلك من الشئون والمعارف وفى خلال ذلك كله أورد الصفوة المختارة من الشعر العربى النادر ومن الأمثال السائرة والنوادر الطريفة.

فالكتاب ذو شقين، أدبى وعلمى وإن لم تكن الحدود بين العلم والأدب متميزة لدى الجاحظ فى أكثر جوانب كتابه، إذ لم يكن العقل المستنير عند العرب وعند سائر الأمم فى تلك العصور قد بلغ فى الدقة والتمييز مدى أبعد من ذلك لأن المعارف الإنسانية لم يستقل بعضها عن بعضها الآخر إلا فى عهد متأخر. فالجاحظ كان يمزج العلم بالأدب فى تلاحم شديد فى بعض الأحيان كما هو شأنه فى قصة قاضى البصرة التى ساقها فى قالب أدبى شائق وأراد فى الوقت نفسه أن يصور خاصية الإلحاح فى الذباب. على حين نجده فى مواضع أخرى من كتابه عالما باحثا يجنح للتجربة والمعاينة معتمدا على إبراز ما يعتمد عليه علماء هذا العصر. فقد يعمد إلى قطع أذناب بعض الضباب ليرى إلى ما تستطيعه من حركة دون سائر الجسم، أو يكسر بيض الحيات ليقف بنفسه على ما فيه، أو يسكر بعض البهائم بالخمر ويلاحظ ما تصدر عنه من تصرفات وأحوال وربما دحض ما يتناقل عن بعض الحيوان مما لا يقبله العقل فيرده بالحجة القوية والمنطق السديد على غرار ما كان منه تجاه قصة الحية ذات الرأسين.

وقد فطن الجاحظ إلى طابع كتابه الشامل من هذه الزاوية العلمية فقال فى خطبة الحيوان: «وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم. لأنه وإن كان عربيا أعرابيا وإسلاميا جماعيا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع معرفة السماع وعلم التجربة».

ولا يكاد يوجد حيوان فى عصر الجاحظ وبيئته إلا ذكره، من الفيل والتمساح والنسر إلى النمل والعنكبوت والصؤاب، غير أنه لم يول السمك اهتمامه الكبير لأن العرب لم تحفل به كثيرا، ولأنه من جهة أخرى كان بعيدا عن بيئة الجاحظ ومتناول يده.

ويمكننا أن نرجع مادة الجاحظ الغزيرة فى كتابه الحيوان إلى مصادر عديدة منها: القرآن والحديث، والشعر العربى الذى أكثر من روايته وبخاصة ما يتعلق بما نظمه البداة حول عالم الحيوان أنسيه ووحشيه، وكتاب الحيوان لأرسطو الذى كان قد نقله إلى العربية ابن البطريق فى عصر الجاحظ، ثم علم الكلام الذى يتجلى فيه مذهب الجاحظ فى الاعتزال ومنحاه فى المناقشة والجدال والإثبات والنفى والجنوح إلى المناظرات فى بعض الأحيان كالمناظرة بين صاحب الكلب وصاحب الديك وما يتصل من ذلك بالنزعة الشعوبية التى استفحلت فى ذلك العصر. وأخيرا ما استمده الجاحظ من خبرته الطويلة فى الحياة وممارسته لظروفها وأحوالها مما اكتسبه بنفسه أو سمعه من الأعراب ... إلخ. كل هذه العناصر تلاحمت وتعانقت وانصهرت فى بوتقة شخصية الجاحظ البارزة وصيغت بأسلوبه المرسل الشائق.

غير أن الكتاب ضم موضوعات شتى قد لا تمت إلى عالم

الحيوان بصلة، من مثل الكلام على الشعر وترجمته أو على النار والضيف أو على حفظ السر أو على صدق الظن وجودة الفراسة، وفى هذا ما ينافى وحدة الموضوع التى جعلها المؤلف فى عنوان كتابه، حتى إن الجاحظ نفسه يستطرد داخل موضوعه نفسه فيبتعد عنه كثيرا حتى يصعب على القارئ تتبعه. والجاحظ نفسه الذى ألف كتابه هذا وهو مسن ومصاب بمرض مزمن من النقرس والفالج اعتذر عن ظاهرة الاستطراد فى كتابه قال:

«وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه، أول ذلك العلة الشديدة، والثانية قلة الأعوان، والثالثة طول الكتاب».

على أن الجاحظ فيما يبدو لا يرى فى هذه الطريق مأثما بدليل أنه يسعى بنفسه إلى هذا الاستطراد ويتعمد الخروج عن موضوعه بغية إمتاع القارئ كما يقول، ولهذا نراه دائم التقدير لملل القارئ وغلبة السآمة عليه فيلتمس له ما ينشطه.

«وإن كنا قد أمللناك بالجد وبالاحتجاجات الصحيحة لتكثر الخواطر وتشحذ العقول فإننا سننشطك ببعض البطالات وبذكر العلل الطريفة والاحتجاجات الغريبة».

ومن هنا يخيب أمل القارئ فى أن يقف على بحث شامل مستقصٍ فى هذا الكتاب لأن مؤلفه قلما كان يتقيد بموضوعه ويستقر فيه على حال. وقد غدا هذا الاستطراد سنة غير حميدة ابتدعها الجاحظ وسار عليها من أتوا بعده حتى كأنهم لم يعودوا يستطيعون منها فكاكا.

وقد طبع الحيوان فى مصر بعناية عبد السلام هارون فى سبعة أجزاء سنة ١٩٣٨ وصنعت له فهارس قيمة تيسر الانتفاع منه.

(١) كان الحيوان قد طبع فى مصر بمطبعة التقدم والسعادة أى الساسى فى ٧ أجزاء فى نحو ثلث حجم صفحات الطبعة الأخيرة وذلك خلال ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ (مصادر التراث العربى / ٨٥ـ٨٩).

(«فى العلوم والطبيعة» ـ د. عبد الحليم منتصر. أثر العرب والإسلام فى النهضة الأروبية اليونسكو / ٢٢٣، ومصادر التراث العربى ـ د. عمر الدقاق / ٨٥ ـ ٨٩. انظر أيضا العلوم والفنون عند العرب ـ د. سيد رضوان على / ٩٦، ٩٧، ودراسات فى المكتبة العربية وتدوين التراث ـ د. محمود أحمد حسن المراغى / ١٢٥ ـ ١٣٣، والتراث العلمى للحضارة الإسلامية ـ د. أحمد فؤاد باشا / ١٣٧ ـ ١٣٩).

*** حيوان الماء:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان. ذكره القزوينى فى عجائبه فقال:

حيوان الماء على قسمين: منه ما ليس له رئة كأنواع السمك فإنه لا يعيش إلا فى الماء ومنه ما له رئة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء، فأما التى لا تعيش إلا فى الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارى تعالى لما خلقها فى الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التى فى بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا صوت لها لفقد الرئة التى لا حاجة لها إليها. والحكمة الإلهية اقتضت أن يكون لكل حيوان أعضاء كثيرة مختلفة وكل حيوان يكون أنقص فهو أقل حاجة ثم اقتضت أن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجلودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها الشىء الحاد أو فلوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة: وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا تسبح بها فى الماء كما يطير الطير فى الهواء، وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها، فسبحانه ما أعظم شأنه.

ثم يذكر القزوينى بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم وهى كما يلى:

أرنب البحر، الإليس، إنسان الماء، بقرة الماء، البال، التمساح، الجرى، الجلكا، الدلفين، الرعاد، الدامور، السرطان، سرطان البحر، السقنقور، السلحفاة، السمك، الشبوط، الشفنين، الصيرة، الضفدع، العلق، القطا، فرس الماء، الفاطاس، القندر، قنفذ الماء، القوقى، كلب الماء، الكوسج.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٩٧، ٩٨).

* حيوانات رسول الله ﷺ:

قال الشيخ الشبلنجي رحمه الله:

وأما حيواناته ﷺ فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهي أول بغلة ركبت في الإسلام وعاشت حتى ذهبت أسنانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علي رضي الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل. وكان له ﷺ حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عُفير بضم العين المهملة على الصواب، وكان له من الإبل ثلاث: ناقة يقال لها القصوى، وناقة يقال لها الجدعاء، وناقة يقال لها العضباء، وهي التي كانت لا تُسبق فسُبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه» ويقال إن العضباء هذه لم تأكل ولم تشرب بعد وفاته ﷺ حتى ماتت وقيل إن التي لم تسبق فسبقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما البقر فلم ينقل أنه اقتنى شيئا منها واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت نقله بعضهم وكان له ﷺ شاة تسمى غوثة وقيل غيثة وعنز تسمى اليمن كذا في أسد الغابة (نور الأبصار للشيخ الشبلنجي / ٨٨، ٨٩)

انظر مادة «أفراس رسول الله ﷺ» في م ٥ / ٤٤٣، ٤٤٤

* الحيوطية (جامع ـ) (٨٨٥ هـ):

من المساجد المملوكية بدمشق، يقع شمال مشفى المجتهد، في منطقة تعرف اليوم به، وكانت تدعى من قبل «بستان الصاحب».

بناه الأمير «مكي بن حيوط»، أحد أمراء دمشق، وقد تكامل البناء سنة ٨٨٥ هـ، وألقيت فيه الخطبة الأولى يوم ١٢ جمادى الأولى.

وبعد تسع سنوات اكتمل بناء المنارة، وله اليوم جبهة غربية من الحجر المزخرف الأسودوالأبيض وفيها الباب المؤدي الى الحرم المقام على عدة أقواس، وللمسجد منارة مثمنة على قاعدة مربعة وتاج حسن، وقد حافظ المسجد على طراز بنائه القديم (خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبي / ٣٣٥).

*حيوة بن شريح (ـ١٥٨ هـ)

ذكره الإمام السيوطي فيمن كان بمصر من الأئمة المجتهدين وقال عنه:

حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي أبو زرعة المصري (لأبي يعلى في مسنده). الفقيه الزاهد العابد، أحد الزهاد والعلماء السادة. عن يزيد بن أبي حبيب، وعنه الليث، سئل عنه أبو حاتم، فقال: هو أحب إليَّ من الليث بن سعد، ومن المفضل بن فضالة. وقال ابن المبارك: ما وصف لي أحد ورأيته دون صفته إلا حيوة بن شريح، فإن رؤيته كانت أكبر من صفته. عرض عليه قضاء مصر فأبى. مات سنة ثمان وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٣ / ٦٩).

(حسن المحاضرة للحافظ السيوطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ١ / ٣٠٠ وهامش ٣ للمحقق).

بسم الله الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى وعونه

حرف الحاء

ويليه بمشيئة الله تعالى

حرف الخاء

أعان الله على إتمامه

حرف الخاء

*الخاء:

الخاء من الأصوات الاحتكاكية (انظر مادة «الحاء» في م ١٢ / ٥٩٤). ويرتفع أقصى اللسان حال النطاق بهذا الصوت: بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسع للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك. ولا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به.

فالخاء صوت من أقصى الحنك، احتكاكي مهموس (علم الأصوات / ١٢١).

وللخاء خمس صفات: الهمس، الرخاوة، الاستعلاء، الانفتاح، الإصمات (ملخص أحكام التجويد / ١١٧)

وجاء في اللسان:

قال ابن كيسان: من الحروف المجهور والمهموس، والمهموس عشرة: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء، ومعنى المهموس أنه حرف لان في مخرجه دون المجهور، وجرى معه النفس، فكان دون المجهور في رفع الصوت. وقال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون صحاح لها أحياز ومدارج، فالخاء والغين في حيز واحد، والخاء من الحروف الحلقية.

خا: الخاء: حرف هجاء، وهو حرف مهموس يكون أصلا لا غير. وحكى سيبويه: خييت خاء؛ قال: ابن سيده: فإذا كان هذا من باب عييت، قال: وهذا عندي من صاحب العين صنعة لا عربية؛ وقد ذكر ذلك في علة الحاء. قال سيبويه: الخاء وأخواتها من الثنائية كالهاء والباء والتاء والطاء، إذا تهجيت مقصورة، لأنها ليست بأسماء، وإنما جاءت في التهجي على الوقف، ويدلك على ذلك أن القاف والدال والصاد موقوفة الأواخر، فلولا أنها على الوقف حركت أواخرهن، ونظير الوقف هنا الحذف في الياء وأخواتها، وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قصرت وأسكنت، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء، ولكنك أردت أن تقطع حروف الاسم، فجاءت كأنها أصوات تصوت بها، إلا أنك تقف عندها لأنها بمنزلة عِهْ، وإذا أعربتها لزمك أن تمدها، وذلك أنها على حرفين الثاني منهما حرف لين، والتنوين يدرك الكلمة، فتحذف الألف لالتقاء الساكنين فيلزمك أن تقول: هذه حا يافتي، ورأيت حًا حسنة، ونظرت إلى طًا حسنة، فيبقى الاسم على حرف واحد، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركا، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكنا، فإن ابتدأته ووقفت عليه جميعا وجب أن يكون ساكنا متحركا في حال، وهذا ظاهر الاستحالة؛ فأما ما حكاه أحمد بن يحيى من قولهم: شربت ما بقصر ماء فحكاية شاذة لا نظير لها، ولا يسوغ قياس غيرها عليها.

وخاءِ بك: معناه اعجل. غيره: خاء بك علينا وخاى لغتان، أي اعجل، وليست التاء للتأنيث لأنه صوت مبنى على الكسر، ويستوى فيه الاثنان والجمع والمؤنث، فخاء بكما وخاى بكما وخاء بكم وخاى بكم؛ قال الكميت:

وذا مـــا شحطن الحـــاديين سمعتهم
بخـــاى بـك الحق يهتفـــون وحى هـل

والياء متحركة غير شديدة، والألف ساكنة، ويروى: بخاء بك؛ وقال ابن سلمة: معناه خبت، وهو دعاء منه عليه، تقول: بخائبك، أي بأمرك الذى خاب وخسر؛ قال الجوهري: وهذا خلاف قول أبي زيد كما ترى؛ وقيل القول الأول. قال الأزهري: قرأت في كتاب النوادر لابن هانئ خاى بك علينا، أي اعجل علينا، غير موصول؛ قال: أسمعنيه الإيادى لشمر عن أبي عبيد خايبك علينا، ووصل الياء بالياء في الكتاب: قال: والصواب ماكتب في كتاب ابن هانئ وخاى بك اعجلى، وخاى بكن اعجلن، كل ذلك بلفظ واحد إلا الكاف فإنك تثنيها وتجمعها (لسان العرب ١٣ / ١٠٨٤).

ويتناول الإمام الصفاقسي صوت الخاء من حيث صحة نطقه في تلاوة القرآن الكريم، فيقول، مع ملاحظة أن مصنفات التراث تستخدم لفظ «حرف» بدلا من «صوت»:

الخاء يخرج من المخرج الثالث من مخارج الحلق وهو

حرف مهموس رخـو مستفل منفتح مصمت مفخم متوسط إلا أنه إلى إلضعف أقرب لكثرة صفات الضعف فيه .

ويقع الخطأ فيهـا من أوجه الأول : تـرقيقهـا وهـو حـرف مستعل لا بـد من تفخيمه كسـاير [كسـائر] حروف الاستعـلا [الاستعـلاء] فى نحو طفق وظلـم وقال وصلى وغلب وضـراء وكثير من الناس يرققها باعتبار ما فيها من صفات الضعف وهو خطأ لا شك فيه فإذا أتى بعـدها ألف نحو خـالق والخاشعين والخـاسرين فيكـون تفخيمـه أمكن لتفخيم الألف بعدهـا إذا الألف كما تقـدم تابع مـا قبله فى التفخيم والترقيق فإن قلت هذا مخالف لقول الجعبرى (أوردنا ترجمته فى م ١٢ / ١٨٩ ـ ١٩١ فانظره فى موضعه) .

وإيـــــاك واستصحـــــاب تفخيم لفظهـــــا

إلـى الألفـــــات التـــاليـــــات فتعثـــــرا

ولقـول تلميذه أبى بكـر عبـد الله بن الجنيدى [الجنـدى] تفخيم الألف بعـد حـروف الاستعلا خطأ ، وقـول تلميـذه أبى الخيـر محمد بن الجـزرى فى تمهيده لمـا ذكر تفخيم الخـاء واحذر إذا فخمتها قبل الألف أن تفخم الألـف معها فإنه خطأ لا يجـوز وكثيرا مـا يقع القـراء فى مثل هـذا ويظنون أنهم أتـوا بـالحروف مجـودة وهؤلاء مصـدرون فى زماننـا يقرئون النـاس القراءات فالواجب أن تلفظ بهذه كما تلفظ بها إذا قلت ها يا وهو ظاهر قوله فى مقدمته (وحاذرن تفخيم لفظ الألف) قلت نعم لكن الصواب ما ذكرته ونص عليه غير واحد من المحققين كمكى وبه قرأت على جميع شيوخى المشارقة والمغاربة وقيد به إطلاق المقـدمة غير واحد من شـارحيها منهم ابن مصنفها (ابن النـاظم ، أبو بكـر أحمـد بن محمـد بن محمد الجـزرى المتوفى سنة ٨٢٧) وقد نص عليه العلامة ابن الجزى نفسه فى نشـره وهو من أحسن مـا ألف وقـال إن من قال بتـرقيقها بعـد الحروف المفخمة فهو شئ قد وهم فيه ولم يسبقه إليه أحد وقد رد عليـه الأيمـة [الأئمـة] المحققون وقـد ألف الإمـام البـارع المقـرى المجـرود النحـوى محمـد بن أحمـد بن نضحـان [نصحان] الـدمشقى فى ذلك تأليفا سمـاه «التذكـرة والتبصرة لمن نسى تفخيم الألف وأنكـره» واطلع عليه إمـام المفسرين والقرّاء والنحويين أبو حيان فكتب عليه : طالعته فرأيته قد حاز إلى صحة النقل كمال الدراية وبلغ فى حسنه الغاية . انتهى .

والتمهيد من أول تواليف ابن الجزرى رحمه الله تعالى ألفه فى سن الحداثة والبلوغ فالصواب ما فى النشر والتعويل عليه لا على ما فى التمهيـد والله الموفق ، ومنها إبـدالها إذا سكنت غينا فى نحو تخشى ويفعله كثير من الناس وهو لحن فاحش وخطأ ظاهر لا تحـل القراءة به ، ومنها تشديـدها فى مثل الأخ والدخان فليتحفظ منه (تنبيه الغافلين / ٥٥ ـ ٥٧) .

ويقـول الإمام الفيـروزابـادى معـددا وجوه ورود الخـاء فى القرآن الكريـم وفى لغة العرب ، بادئا بتعـداد وجوه الكلمات المنفتحة بالخاء وذلك فى الباب الثامن من بصائره :

وهى الخـاء الخبت ، الخبث ، الخبـر ، الخبط ، الخبل ، الخبء ، الختـر ، الختم ، الخـداع ، الخـدن ، الخـذل ، الخـرب ، الخـروج ، الخـرط ، الخـرق ، الخـزن ، الخـزى ، الخسـر ، الخسف ، الخسأ ، الخشب ، الخشـوع ، الخشية ، الخصـوص ، الخصف ، الخصـم ، الخضـر ، الخضـوع ، الخـط ، الخطب ، الخطـف ، الخطـأ ، الخفيف ، الخفـى ، الخلل ، الخلـود ، الخـالص ، الخلـط ، الخلع ، الخلف ، الخلق ، الخـلاء ، الخمر ، الخير ، الخيط ، الخيـل ، الخول ، الخوف ، الخلاء .

ثم يقول :

اعلم أن الخاء ورد فى القـرآن وفى لغة العـرب على وجوه عشر :

الأول : الخاء حرف من حـروف التهجى . وهى من حروف الحلق من قـرب العين فى أنحاء الحلق ، يمـد ويقصر . وهـو خائى وخاوى وخيـوى وقد خييت خاء حسنا وحسنـة ، ويذكر ويؤنث . ويجمع على أخياء وأخواء وخاءات .

الثانى : الخاء اسم للعدد الذى هو ستمائة .

الثالث : الخاء الكافيـة ، يقتصرون على الخاء من الخليل والأخ ، قال :

هـــــو خـــــائى وإننـى لأخـــــوه

لســـت ممـــن يضيـــع حـــق الخليـــل

أى هو أخى .

الرابع : الخاء المكرر نحو خاء سخّن وسخّر .

الخامس : الخاء المدغمة فى مثل فخ وزخ فى قفاه .

السادس: خاء العجز والضرورة، فإن بعض الناس يجعل الخاء حاء.

السابع: خاء ملحق بنوع من الأصوات نحو بخ بخ ... وأخ.

الثامن: الخاء الأصلى فى سخر وخسر ورسخ.

التاسع: الخاء المبدلة من الحاء نحو خمص الجرح وحمص إذا تورم.

العاشر: الخاء اللغوى (بصائر ٢/ ٥١٩، ٥٢٠).

قالت المؤلفة: وأما من حيث النظام الخطى للغة العربية فإن الخاء حرف يتميز بنقطة فوقه، ومن ثم فإنه يختلف فى الدلالة الخطية عن الجيم التى تتميز بنقطة فى وسطها، وعن الحاء الخالية من النقط. ومن ثم فإن النقطة من حيث عددها وموضعها تغير المعنى تبعا لذلك، فهى على المستوى الخطى تسمى «جرافيما» أى وحدة خطية أساسية، وقد بسطنا الكلام فى هذا كله فى بحث لنا بعنوان «علم اللغة والنظام الخطى» فى كتابنا بعنوان « دراسات فى علم اللغة» ٠٠/ ١٠٧ـ ١٣٤

(علم الأصوات ـ د. كمال محمد بشر / ١٢١، وملخص أحكام التجويد ـ د. شعبان محمد إسماعيل / ١٠٧، ولسان العرب لابن منظور ١٣/ ١٠٨٤، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمد النورى الصفاقسى ـ تقديم وتصحيح نخبة من العلماء/ ٥٥ ـ ٥٧، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروز ابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢/ ٥١٩، ٥٢٠)

*** الخاتم:**

فى اصطلاحات الصوفية هو الذى قطع المسافات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وبهذا المعنى يتعدد ويتكثر:

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٥٩).

*** خاتم رسول الله ﷺ:**

ذكر ابن سعد فى طبقاته خاتم رسول الله ﷺ وسلم الذهب، ثم ذكر خاتمه من الفضة، ثم خاتمه الملوى عليه فضة. وأتبع ذلك كله بذكر نقش خاتمه ﷺ ثم ماصار إليه الخاتم مما ننقله لك فيما يلى، مع الاحتفاظ بالأسانيد. قال ابن سعد رحمه الله:

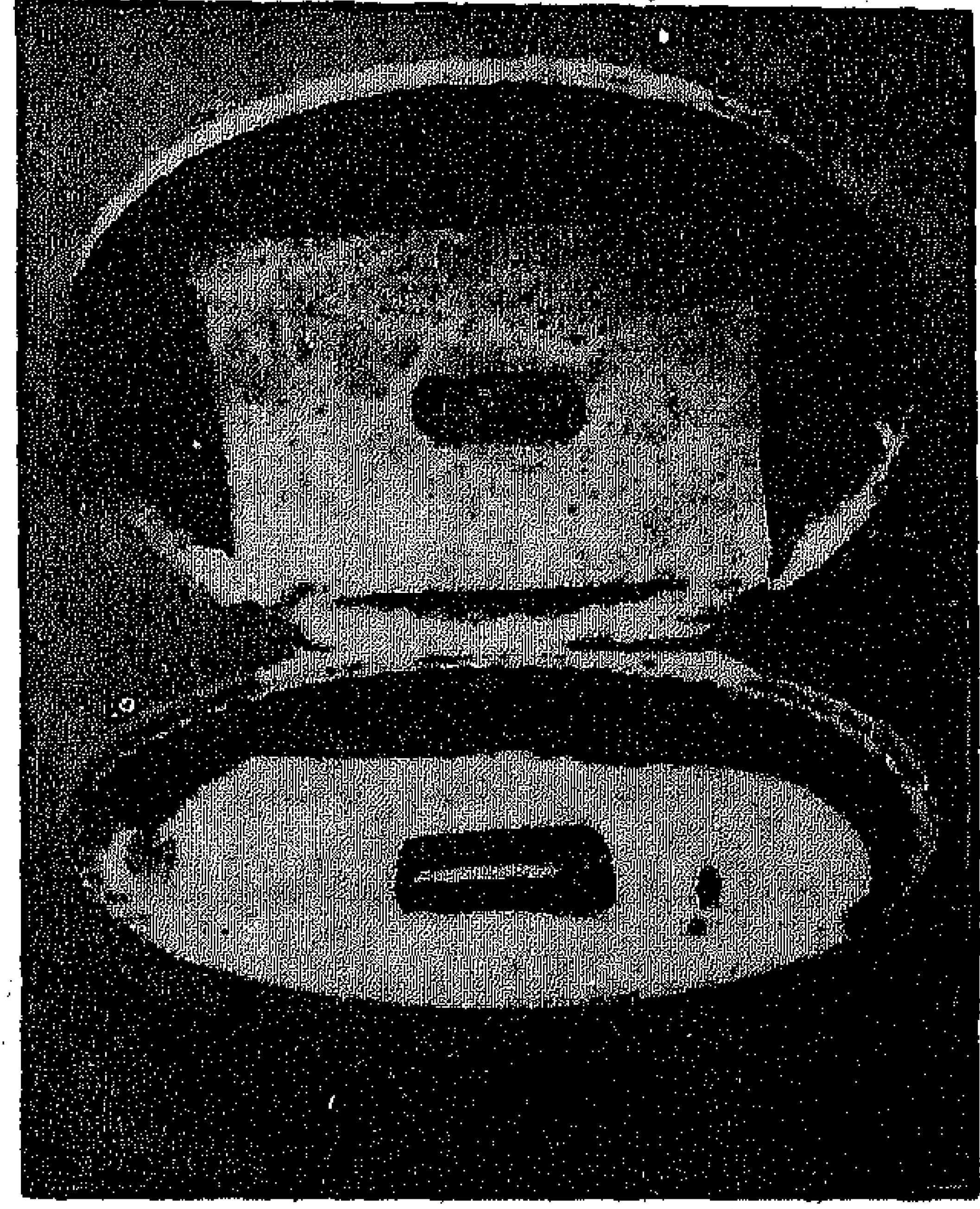
ذكر خاتم رسول الله ﷺ الذهب:

أخبرنا يزيد بن هارون والفضل بن دكين قالا: أخبرنا سفيان عن عبد الله بن دينار قال: سمعت ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وعبد الله بن مسلمة بن قعنب قالا: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلى، حدثنا سليمان بن بلال عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر، وأخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا عفان بن مسلم وخالد بن خداش قالا: حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو بشر عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا الضحاك بن مخلد الشيباني عن المغيرة بن زياد الموصلى، عن نافع، عن ابن عمر، وأخبرنا خالد بن مخلد البجلى، حدثنا عبد الله بن عمر العمرى، عن نافع عن ابن عمر، وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا موسى بن عقبة، أخبرنى نافع أنه سمع ابن عمر، وأخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلى، حدثنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر ـ دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ـ قال: اتخذ رسول الله، ﷺ، خاتما من ذهب، فكان يجعل فصه فى بطن كفه إذا لبسه فى يده اليمنى، فصنع الناس خواتيم من ذهب فجلس رسول الله ﷺعلى المنبر فنزعه وقال: إنى كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من باطن كفى، فرمى به وقال: والله لا ألبسه أبدا. ونبذ النبى، ﷺ، الخاتم، فنبذ الناس خواتيمهم.

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن طاوس، وأخبرنا عارم بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: سمعت طاوسا يحدث أن النبى ﷺ اتخذ خاتما من ذهب، فبينما هو يخطب الناس يوما نظر إليه فقال: له نظرة ولكم أخرى. ثم خلعه فرمى به وقال: لا ألبسه أبدا.

أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى أويس وخالد بن مخلد قالا: حدثنا سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله، ﷺ، كان يتختم فى يساره بخاتم من ذهب، فخرج على الناس فطفقوا ينظرون إليه، فوضع يده اليمنى على خنصره اليسرى، ثم رجع إلى أهله فرمى به.

أخبرنا حجاج بن محمد، حدثنا شعبة عن قتادة، عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك، عن أبى هريرة عن النبى، ﷺ أنه نهى عن خاتم الذهب.



ذكر خاتم رسول الله ﷺ الفضة :

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس ابن مالك، وأخبرنا يزيد بن هارون وهاشم بن القاسم قالا: أخبرنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر، أو إلى الروم، ولم يختمه، فقيل له: إن كتابك لا يقرأ إلا أن يكون مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة، فنقشه ونقش: محمد رسول الله. قال: فكأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ. أخبرنا يزيد بن هارون ومحمد بن عبد الله الأنصاري وعبد الوهاب بن عطاء العجلي قالوا: أخبرنا حميد الطويل، وأخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد ابن سلمة، حدثنا ثابت ـ زاد بعضهم على بعض ـ قال: سئل أنس بن مالك: هل اتخذ رسول الله ﷺ خاتما؟ فقال: نعم، أخر ليلة العشاء الآخرة إلى قريب من شطر الليل، فلما صلى أقبل علينا بوجهه فقال: إن الناس قد صلوا وناموا ولم تزالوا في صلاة ما انتظرتموها. قال: أنس: فكأني أنظر الآن إلى وبيص خاتمه في يده، ورفع أنس يده اليسرى.

أخبرنا عمرو بن عاصم الكلابي، حدثنا همام عن أبان بن أبي عياش عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ، اصطنع خاتما كله من فضة وقال: لا يصنع أحد على صفته. أخبرنا أحمد ابن عبد الله بن يونس وموسى بن داود قالا: حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، من فضة، فصه منه. قال زهير: فسألت حميدا عن الفص: كيف هو؟ فأخبرني أنه لا يدري كيف هو. أخبرنا عبد الله بن وهب البصري وعثمان بن عمر قالا: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: اتخذ رسول الله ، ﷺ، خاتما من ورق (الورق بكسر الراء والإسكان للتخفيف: الفضة الحاوي ١/ ٧٥) فصُّه حبشي، قال عثمان ابن عمر: ونقشه: محمد رسول الله. أخبرنا سليمان بن داود الهاشمي وموسى بن داود الضبي، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب عن أنس أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتما من ورق يوما واحدا، فصنع الناس خواتيم من ورق فلبسوها، فطرح النبي ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم. أخبرنا عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ، خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر بعده، ثم كان في يد عمر بعده، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس، نقشه: محمد رسول الله (انظر مادة «أريس (بئر ـ) في م ٤ / ٤٤).

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا ابن عيينة عن أيوب بن موسى عن نافع عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة نقش فيه: محمد رسول الله، فجعل فصه في بطن كفه. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن جابر، عن محمد بن علي وعطاء قالا: كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة، وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم قال: كان خاتم النبي ﷺ فضة وفيه: محمد رسول الله. أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ طرح خاتمه الذهب، ثم تختم خاتما من ورق فجعله في يساره. أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن عيسى بن أبي عِزة، عن عامر قال: كان خاتم النبي ﷺ، من فضة.

ذكر خاتم رسول الله ﷺ وسلم الملوى عليه فضة :

أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازي، عن مغيرة عن فرقد، عن إبراهيم قال: كان خاتم رسول الله ﷺ، حديدا ملويا عليه فضة. أخبرنا الفضل بن دكين وموسى بن داود قالا: حدثنا

محمد بن راشد عن مكحول أن خاتم رسول الله ﷺ، كان من حديد ملوى عليه فضة، غير أن فصه باد. أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا إسحاق عن سعيد أن خالد بن سعيد أتى رسول الله ﷺ، وفى يده خاتم له، فقال له رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ فقال: خاتم اتخذته، فقال: اطرحه إلى، فطرحه، فإذا خاتم من حديد ملوى عليه فضة، فقال: ما نقشه؟ فقال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ، فلبسه فهو الذى كان فى يده. أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقى المكى، حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد القرشى، عن جده قال: دخل عمرو بن سعيد بن العاص، حين قدم من الحبشة، على رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا الخاتم فى يدك يا عمرو؟ قال: هذه حلقة يارسول الله، قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله، قال: فأخذه رسول الله ﷺ فتختمه فكان فى يده حتى قبض، ثم فى يد أبى بكر حتى قبض، ثم فى يد عمر حتى قبض، ثم لبسه عثمان، فبينما هو يحفر بئرا لأهل المدينة، يقال له بئر أريس، فبينما هو جالس على شفتها يأمر بحفرها سقط الخاتم فى البئر، وكان عثمان يكثر إخراج خاتمه من يده وإدخاله، فالتمسوه فلم يقدروا عليه.

ذكر نقش خاتم رسول الله ﷺ

أخبرنا عبد الله بن إدريس الأودى، حدثنا هشام عن ابن سيرين قال: كان فى خاتم رسول الله ﷺ بسم الله، محمد رسول الله. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنى أبى، حدثنى ثمامة، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبى ﷺ نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله: محمد فى سطر، ورسول فى سطر، والله فى سطر. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتما، فقال: إنا قد اصطنعنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد. أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى وعبد الوهاب بن عطاء العجلى قالا: حدثنا ابن جريج، أخبرنى الحسن بن مسلم، عن طاووس قال: قالت قريش للنبى ﷺ: إن الناس ههنا (كأنهم يريدون العجم) لا يجرون عندهم كتابا إلا وعليه طابع، فكان هو الذى هاجه على أن اتخذ خاتمه، ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال: لا ينقش أحد على نقش خاتمى. أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم الشيبانى، عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة، عن أنس قال: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا شبابة بن سوار عن المبارك عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ إنى قد اتخذت خاتما فلا يتخلف عليه أحد. قال: وكان نقشه: محمد رسول الله. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدى عن الحجاج بن أبى عثمان قال: سئل الحسن عن الرجل يكون فى خاتمه اسم من أسماء الله فيدخل به الخلاء، فقال: أو لم يكن فى خاتم رسول الله ﷺ آية من كتاب الله؟ (يعنى ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] أخبرنا جرير بن عبد الحميد الرازى عن منصور عن إبراهيم، وأخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنى شريك عن منصور، عن إبراهيم وسالم بن أبى الجعد، وأخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا سفيان بن سعيد عن منصور عن إبراهيم قالا: كان نقش خاتم رسول الله ﷺ، محمد رسول الله. أخبرنا عارم بن الفضل، أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب، عن محمد قال: كان نقش خاتم النبى ﷺ محمد رسول الله. أخبرنا الفضل بن دكين، أخبرنا أبو خلوة قال قلت لأبى العالية: ما كان نقش خاتم رسول الله ﷺ؟ قال: صدق الله، ثم الحق الحق، بعده محمد رسول الله. أخبرنا خالد بن خداش، حدثنا عبد الله بن وهب، عن أسامة ابن زيد، أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثه، أن معاذ بن جبل لما قدم من اليمن، حين بعثه رسول الله ﷺ إليها، قدم وفى يده خاتم من ورق نقشه: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الخاتم؟ قال: يارسول الله، إنى كنت أكتب إلى الناس، فأفرق أن يزاد فيها وينقص منها، فاتخذت خاتما أختم به، قال: وما نقشه؟ قال: محمد رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمن كل شئ من معاذ حتى خاتمه: ثم أخذه رسول الله ﷺ، فتختمه:

ذكر ما صار إليه أمر خاتمه ﷺ

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصارى، حدثنا أبى، حدثنى ثمامة بن عبد الله، حدثنا أنس بن مالك قال: كان خاتم النبى ﷺ فى يده حتى مات، وفى يد أبى بكر وعمر حتى ماتا، ثم كان فى يد عثمان ست سنين، فلما كان فى الست الباقية، كان معه على بئر أريس، وهو يحرك خاتم رسول الله ﷺ فى يده، فوقع فى البئر، فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم

نقدر عليه. أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن جابر عن عدى بن عدى، عن على بن حسين قال: كان خاتم رسول الله ﷺ مع أبى بكر وعمر، فلما أخذه عثمان سقط فهلك، فنقش على نقشه.

أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، حدثنا محمد بن سيرين أن خاتم رسول الله ﷺ، سقط من يد عثمان فابتغى فلم يوجد.

أخبرنا الفضل بن دكين وإسحاق بن سليمان أبو يحيى الرازى قالا: حدثنا عبد العزيز بن أبى رواد، عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ كان يجعل فص خاتمه مما يلى بطن كفه. أخبرنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبى رافع يختتم فى يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: كان رسول الله، ﷺ يختتم فى يمينه. فسألته عن ذلك فذكر أنه رأى عبد الله بن جعفر يختتم فى يمينه أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن أبى منصور، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد، عن أبيه عن جده، وأخبرنا محمد ابن عمر، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن عبد الملك بن مسلم عن يعلى بن شداد أن النبى ﷺ، كان يلبس خاتمه فى يساره. أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى، حدثنا عطاف بن خالد، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فروة، عن سعيد بن المسيب قال: ما تختم رسول الله ﷺ حتى لقى الله، ولا أبو بكر حتى لقى الله، ولا عمر حتى لقى الله، ولا عثمان حتى لقى الله، ثم ذكر ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ (الطبقات الكبرى م ٩ حـ١ / ١٦٠ ـ ١٦٦، والحاوى ١/ ٧٥).

ويورد الحافظ السيوطى فى الحاوى فتوى عن الخاتم بعنوان «الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم» جاء فيها بعد البسملة:

مسألة ـ التختم بالفضة هل له وزن معلوم لا تجوز الزيادة عليه وهل يجوز التختم بسائر المعادن كالنحاس والحديد وهل يجوز تعدد الخواتم من الفضة وهل تختم النبى ﷺ بالفضة أو بغيرها؟ وهل تباح الفصوص فى الخواتم للرجال وهل كان خاتم النبى ﷺ بفص وماكان فصه؟ وهل تختم فى اليمين أو الشمال وهل كان فصه مما يلى ظاهر الكف أو باطنه؟ وهل الحديث الذى ورد «أن رجلا دخلا عليه ﷺ وفى يده خاتم نحاس فقال: ما لى أرى عليك رائحة أهل النار»؟ صحيح ومن رواه، وهل يؤخذ منه التحريم أو الكراهة؟.

الجواب ـ أما الوزن فلم يتعرض له أصحابنا فى كتب الفقه ولكن ورد فى الحديث «ولاتتمه مثقالا» قال الزركشى فى الخادم لم يتعرض أصحابنا لقدر الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه إسراف، وأما التختم بسائر المعادن ما عدا الذهب فغير حرام بلا خلاف لكن هل يكره وجهان: أحدهما نعم لحديث بريدة أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وعليه خاتم من شبه فقال: ما لى أجد منك ريح الأصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال: ما لى أرى عليك حلية أهل النار؟ فطرحه فقال: يارسول الله من أى شيء أتخذه؟ قال: اتخذه من ورق ولا تتمه مثقالا» أخرجه أبو داود والترمذى وفى سنده رجل متكلم فيه فضعفه النووى في شرح المهذب لأجله ولكن ابن حبان صححه فأخرجه فى صحيحه وهذا هو الحديث المسئول عنه فى السؤال، والوجه الثانى أنه لا يكره ورجحه النووى فى الروضة وشرح المهذب قال لضعف الحديث الأول، ولما أخرجه أبو داود بإسناد جيد عن معيقيب الصحابى قال كان خاتم النبى ﷺ من حديد ملوى عليه فضة، وأما التعدد فصرح به الدارمى من أصحابنا فقال يكره للرجل أن يلبس فوق خاتمين فضة فمقتضاه جواز الخاتمين بلا كراهة وارتضاه الأسنوى وقيده الخوارزمى فى الكافى بأن لا يجمع بينهما فى أصبع، وأما هل تختم النبى ﷺ بالفضة أو بغيرها فسيأتى حديث أنه كان خاتمه من ورق وتقدم حديث معيقيب أنه كان خاتمه من حديد، وأما تختمه بالذهب فقد كان قبل ذلك ثم نهى عنه وطرحه كما فى الصحيح، وأما الفص فمباح للرجال وغيرهم قال النووى فى شرح المهذب: يجوز الخاتم بفص وبلا فص ويجعل الفص من باطن كفه أو ظاهرها وباطنها أفضل للأحاديث الصحيحة فيه انتهى، وأما فص خاتم النبى ﷺ ففى صحيح البخارى أن فصه كان منه، وفى صحيح مسلم عن أنس قال كان خاتم النبى ﷺ من ورق وكان فصه حبشيا فجمع بين الحديثين بالحمل على التعدد، وذكر فى شرح قوله وكان فصه حبشيا أنه حجر من بلاد الحبشة، وقيل جزع أو عقيق لأن ذلك قد يؤتى به من بلاد الحبشة، ورأيت فى المفردات فى الطب لابن البيطار أنه صنف من الزبرجد.

وأما هل تختم ﷺ فى اليمين أو اليسار؟ فقد تختم فى كل منهما صح كل ذلك من فعله، قال النووى فى شرح

المهذب التختم فى اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبى ﷺ لكنه فى اليمين أفضل لأنه زينة واليمين بها أولى، وقال الحافظ ابن حجر: ورد تختمه ﷺ فى اليمين من حديث ابن عمر عند البخارى، وأنس عند مسلم، وابن عباس، وعبد الله بن جعفر عند الترمذى وجابر عنده فى الشمائل، وعلى عند أبى داود والنسائى وعائشة عند البزار، وأبى أمامة عند الطبرانى، وأبى هريرة عند الدارقطنى فى غرائب مالك فهؤلاء تسعة من الصحابة، وورد تختمه باليسار من حديث أنس عند مسلم، وابن عمر عند أبى داود، وأبى سعيد عند ابن سعد، ووردت رواية ضعيفة أنه تختم أولا فى اليمين ثم حوله إلى اليسار أخرجها ابن عدى من حديث ابن عمر واعتمد عليها البغوى فى شرح السنة فجمع بين الأحاديث المختلفة بأنه تختم أولا فى يمينه ثم تختم فى يساره وكان ذلك آخر الأمرين، وقال ابن أبى حاتم: سألت أبا زرعة عن اختلاف الأحاديث فى ذلك فقال لا يثبت هذا ولكن فى يمينه أكثر، وأماهل كان فصه مما يلى باطن الكف أو ظاهره فقد ورد أيضا كلاهما من فعله ﷺ ولكن أحاديث الباطن أصح وأكثر فلذلك كان أفضل، والله أعلم (الحاوى ١/ ٧٥، ٧٦).

وللدكتور سيد رضوان على، بحث بعنوان «خاتم الرسول ﷺ التى تحمل صورة نقشه العملة الذهبية التذكارية الصادرة من قبل الحكومة التركية» يجيب فيه على تساؤلين وننقله لك فيما يلى. قال سيادته، مع ملاحظة أننا أوردنا آنفا ما ورد فى طبقات ابن سعد.

أثير خلاف لدى بعض الجهات حول نقش خاتم الرسول ﷺ، الذى تحمل العملة الذهبية التذكارية الصادرة من الحكومة التركية صورته، وذلك احتفاء بنهاية القرن الرابع عشر الهجرى، وبداية القرن الخامس عشر الهجرى. فهل نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ صحيحة؟ وهل هناك أدلة تثبت وجود مثل هذا الخاتم حتى اليوم؟ وهذا ما سأحاول أن أجيب عليه.

صحة نسبة الخاتم ووجوده

والمشكلة فى اعتقادى تنحصر فى قضيتين رئيسيتين:

١ ـ صحة نسبة هذا الخاتم إلى الرسول ﷺ من عدمه.

ب ـ صحة وجوده عند الأتراك العثمانيين.

لقد ورد موضوع خواتيم النبيى ﷺ فى كتب السنة الصحيحة كصحيحى البخارى ومسلم، وسنن أبى داود والنسائى والجامع الصحيح للترمذى، وبعض كتب التاريخ والسيرة النبوية ـ كفتوح البلدان للبلاذرى، و «عين الأثر فى فنون المغازى والسير» لابن سيد الناس، و «طبقات ابن سعد» وغيرها. ولعل أوسع من كتب فيه ابن سعد فى الجزء الأول من طبقاته، ثم خير من بحث فيه من المتأخرين العلامة عبد الحى الكتانى المغربى فى كتابه المشهور: «التراتيب الإدارية» (الجزء الأول)، وبعده العلامة المصرى المرحوم أحمد تيمور باشا فى كتابه «الآثار النبوية»، وقد عالج فيه القضية الثانية أيضا، أى صحة وجوده فى تركيا.

انتهيت بعد دراسة الموضوع من جميع جوانبه إلى الآتى:

١ ـ يتأكد من الروايات الواردة فى كتب السنة الصحيحة وطبقات ابن سعد أن الرسول ﷺ كان له أكثر من خاتم، وصرح بذلك ابن سيد الناس ثم الكتانى.

٢ ـ والخاتم الأول كان من فضة وفصه من فضة.

ففى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال: «لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم فقيل له إنهم لن يقرأوا كتابك إذا لم يكن مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، ونقشه (محمد رسول الله) فكأنما أنظر إلى بياضه فى يده ﷺ. ومثل هذا الحديث باختلاف اللفظ فى صحيح مسلم وغيره.

أما كيفية هذا النقش فكما ذكره الصحابى أنس رضى الله عنه (محمد) سطر و (رسول) سطر و (الله) سطر. من الأسفل إلى الأعلى. وكانت كتابته مقلوبة كما هو الأمر بالنسبة للخواتم فى عصرنا.

وهذا الخاتم الذى ختم به على الرسائل الموجهة من قبل النبى ﷺ إلى عدد من ملوك زمانه، وقد عثر من هذه الرسائل على أربع: إلى المقوقس، وإلى النجاشى، وإلى المنذر بن ساوى، وإلى كسرى برويز: وقد أورد الدكتور محمد حميد الله صورها فى كتابه: «مجموعة الوثائق السياسية» (طبعة ثالثة)، وفيها صورة هذا الخاتم، هكذا.

وهذا هو الخاتم الذى ذكره الإمام مسلم أيضا تحت عنوان: باب لبس النبى خاتما من ورق، نقشه محمد رسول الله، ولبس الخلفاء بعده. كما ذكره ابن سعد فى فقرة منفصلة.

وقصته معروفة بأنه كان فى يد رسول الله ﷺ، ثم فى يد أبى بكر، ثم فى يد عمر، ثم فى يد عثمان لبضع سنوات إلى أن سقط من أصبعه فى بئر أريس فاتخذ خاتما آخر على صورته ونقشه، وكان يسمى «خاتم الخلافة»، وورثه الخلفاء الأمويون ثم العباسيون، وكان يسمى «الخاتم الأكبر» كما جاء فى بعض المصادر التاريخية، وكان بجانب ذلك الخاتم خواتيم أخرى لكل خليفة بدءا من سيدنا أبى بكر، وانتهاء إلى آخر خليفة عباسى، وعليها نقوش مختلفة من كلمات الحكمة أو الموعظة أو مجرد اسم الخليفة، حسبما ورد فى بعض كتب التاريخ والأدب مفصلا.

وليس هذا الخاتم قد رسم على العملة الذهبية التركية التى هى موضوع دراستنا.

٣ ـ أما الخاتم الثانى فهو ما ذكره الإمام مسلم فى كتاب اللباس والزينة (فى مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى بتحقيق الأستاذ محمد ناصر الألبانى) تحت عنوان: «باب: فى خاتم الورق فصه حبشى والتختم باليمين» (٢/١٢٦) ولفظ الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فى يمينه فيه فص حبشى، كان يجعل فصه مما يلى كفه».

وقد ورد ذكر هذا الخاتم فى طبقات ابن سعد أيضا، وزاد فيه من كلام أحد رواته: «ونقشه محمد رسول الله» (ص ١٦٢، طبعة سخاو، ليدن).

وقال صاحب «التراتيب الإدارية» (عبد الحى الكتانى) فى تفسير الفص الحبشى: «والحبشى حجر من جزع أو عقيق فإن معدنهما بالحبشة واليمن، وقيل لونه حبشى أى أسود».

٤ ـ والخاتم الثالث هو ما ذكره ابن سعد ١، ١٦٣ تحت عنوان: «ذكر خاتم رسول الله ﷺ الملوى عليه فضة»، وأورد تحت هذه الفقرة عددا من الأحاديث المرسلة والمرفوعة، وأوضحها عن مكحول: «إن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوى عليه فضة غير أن فصه باد». وكان قد نقش عليه «محمد رسول الله» كنقش الأختام السابقة. وقد ذكر العلامة عبد الحى الكتانى مثل هذا الحديث رواية عن أبى داود والنسائى (التراتيب الإدارية) جـ (١)، ص (١٧٩) ولفظه: «إن خاتمه كان من حديد ملونا (كذا) عليه فضة» وهو أيضا فى طبقات ابن سعد، ولكن عنده (ملويا) بدل (ملونا) ويبدو هو الأصوب. وعقب الكتانى بعد هذا الحديث. (وهو محمول على التعدد).

أما كيفية نقش جملة «محمد رسول الله» على هذا الخاتم فلم يرد عنها شيء فى الطبقات. وقد وردت فى «التراتيب الإدارية» (١/ ١٧٨) عبارة عن ابن كثير: «عن بعضهم أن كتابته كانت مستقيمة، وكانت تطبع كتابة مستقيمة».

وهذه الملحوظة من ابن كثير مهمة جدا تساعدنا فى حل معضلة صورة الكتابة التى نراها مرسومة فى العملة الذهبية التركية موضوع دراستنا، فالكتابة فيها مستقيمة، وليس فى ثلاثة أسطر من الأسفل إلى الأعلى كما مر بالنسبة للخاتم الأول.

عدد أختام الرسول

والنتيجة بعد هذا البحث أنه كان هناك للرسول ﷺ ما لا يقل عن ثلاثة أختام إذا لم تكن أكثر كما يبدو من تفاصيل ابن سعد فى الموضوع.

وأولها: ذلك الذى ختمت به بعض الرسائل التى ذكرناها. وثالثها: هذا الذى رسمت نقشها الحكومة التركية طبق الأصل، أى كتابة مستقيمة، وأما الثانى: فأنا أعتقد أنه كان للزينة، وليس للأعمال الرسمية، أى ختم الرسائل الموجهة إلى الملوك والأمراء، أو إلى عماله ﷺ فى الجزيرة العربية.

والذى يدفعنى إلى هذا الاعتقاد هو أن رسول الله ﷺ كان قد لبس خاتما من ذهب حين كان مباحا، ثم نبذه بعد تحريمه على الرجال حسب حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنه فى صحيح مسلم، وكان فيه فص. واستبدله بعد ذلك بخاتم من فضة فصه من عقيق، وقد أجمع جمهور علماء المسلمين لذلك بجواز التختم بخاتم الفضة، واعتبره البعض مستحبا.

وبالإضافة، فقد ورد فى كتب التاريخ كما ورد فى «التراتيب الإدارية» نقل عن البخارى فى تاريخه أن خاتمه ﷺ المصنوع من الحديد الملوى عليه فصه كان يحفظه الصحابى معيقب بن أبى فاطمة أحد كتبة النبى ﷺ.

كما ورد فى «العقد الفريد» وغيره من كتب التاريخ أنه ﷺ كان يضع خاتمه عند حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب «لأنه كان ينوب عن جميع كتاب النبى عليه السلام عند غياب أحدهم».

وأعتقد أن حنظلة بن الربيع كان يحتفظ بالخاتم الأول، وخصوصا أن ابن عبد ربه ذكر الاثنين من حفظة خاتم النبى، ولا يصلح أن يناقض نفسه. أو يكون الصحابيان مسئولين عن خاتم واحد، إذ نلاحظ فى كتب التاريخ والسيرة، الدقة فى توزيع الأعمال على الجهاز الإدارى (الكتبة) للرسول ﷺ، كما ورد فى كتاب (الإدارة العربية) لمولوى عبد القادر الحسينى الهندى.

أما صحة وجود هذا الخاتم فى تركيا مع غيره من بعض الآثار النبوية كالبردة الشريفة وقضيب الخيزران، وقبضة السيف والعمامة وغيرها فقد بحث فيها بإسهاب المرحوم تيمور باشا فى كتابه (الآثار النبوية)، ومال إلى قبول ما ورد فى كتب المؤرخين الأتراك عن وجود هذه الآثار النبوية الشريفة، ومن بينها الخاتم، فى استانبول بتركيا.

قالت المؤلفة: أوردنا ما ذكره المرحوم أحمد تيمور باشا عن الخاتم وما جاء فيه من شعر فى مادة «الآثار النبوية» فى م١ / ١٢٢ فانظره فى موضعه.

وتعرف هذه الآثار النبوية عند الأتراك «بالأمانات المباركة» وقد قدمها الشريف نمى بن بركات أمير مكة المكرمة إلى السلطان سليم الأول عند قدومه إلى القاهرة لزيارة السلطان فى ١٥١٨م، حين فتح السلطان سليم مصر.

وقد ذكر ابن إياس المؤرخ المصرى المعاصر أن: «ابن الشريف بركات، أمير مكة قدم إلى السلطان «تقادم فاخرة» - أى هدايا فاخرة - وكانت هى تلك الآثار النبوية كما يرى أحمد تيمور باشا. وقد ثبّت السلطان الشريف نمى على إمارة مكة بعد والده، تقديرا لهذه الهدايا التى لا تقدر بثمن، وبالفعل اعتبرها السلاطين الأتراك أعز ما يملكون، فكانوا يحتفظون بما فى حجرة خاصة بنيت بجانب مخدع السلطان، وبالغوا فى المحافظة عليها بحيث كان يتولى حراستها أربعون جنديا والسلطان بنفسه واحد منهم، فى حجرة خاصة بقصر توب كابى فى استانبول.

ولقد انتهى أحمد تيمور باشا إلى القول إن الثقات لم يقولوا شيئا فى نفى أو إثبات هذه الآثار، فلا يصح نفيها، والأغلب أنها صحيحة النسبة.

هذا، وقد كان السلاطين الأتراك يزورون هذه الآثار فى يوم معين من رمضان كل سنة فى صحبة وزرائهم والقضاة والقواد من كبار رجال الدولة على احتفائهم بها.

ورأيت أنا شخصيا بعض هذه الآثار النبوية، كشعرة رأسه المباركة، وقبضة سيفه، وقضيب الخيزران وغيرها معروضة فى توب كابى سراىء (المتحف) فى سنة ١٩٧٢ م. أما البردة الشريفة، واللواء النبوى، وسنه الشريف، والخاتم فقد بالغوا فى المحافظة عليها، فهى فى مقصورة داخل حجرة الآثار النبوية فى صناديق حديدية، ومغطاة بأفخر الأغطية، ولا يراها الزائر إلا من النافذة الكبيرة المفتوحة فى تلك الحجرة.

وأخيرا، فالأدلة التاريخية والقرائن تدل على صحة هذا الخاتم الذى طبعت الحكومة التركية صورته على العملة الذهبية التى أصدرتها احتفاء بذكرى بداية القرن الخامس عشر الهجرى («خاتم الرسول ﷺ/ ١٦، ١٧»).

قالت المؤلفة: أسعدنا الحظ بزيارة «الأمانات المباركة» أو «الأمانات المقدسة» باستانبول أكثر من مرة فى الفترة مابين ٣١ يولية إلى ٥ أغسطس ١٩٨٤، وقد نقلنا فى مادة «استانبول» وصفا لها مصحوبا بالصور، وذلك فى م ٤ / ١٩٠، ١٩١ فانظرها فى موضعها.

ويذكر الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط: الخاتم تحت عنوان «حكايات وطرائف خطية» فيقول: كان لرسول الله ﷺ خاتم من صنع وكتابة يعلَى بن أمية رضى الله عنه كانت كتابته تقرأ على وجهه بصورة مستقيمة، وتختم بصورة مستقيمة أيضا، وهذه معجزة له ﷺ لأن الخاتم يكتب عادة بصورة مقلوبة وعند الطبع تظهر الصورة بصورة صحيحة (الخط العربى/ ١٢٢).

(طبقات ابن سعد. كتاب التحرير م ٩ جـ ١ / ١٦٠ - ١٦٦، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٧٥، ٧٦، و «خاتم الرسول ﷺ» - د. سيد رضوان على. الفيصل. العدد (١٦٥) السنة الرابعة عشرة. ربيع الأول ١٤١١ هـ - أكتوبر ١٩٩٠ م/ ١٦، ١٧، والخط العربى: تاريخه وأنواعه - يحيى سلوم العباسى الخطاط/ ١٢٢. انظر أيضا الآثار النبوية - أحمد تيمور باشا / ٢١، ٢٣، ٣٢، والمنهيات للحكيم الترمذى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٢٠٤-٢١١).

انظر مادة «الأختام الإسلامية» فى م٣/ ٩٠ - ٩٩

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب الخط العربي - يحيى سلوم العباسي الخطاط / ١٢٢

*** خاتم الشيخ:**

خاتم الشيخ: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة وهو المشهور بوفق زحل من علم الحرف. وله شروح منها شرح شرف الدين أبي عبد الله ابن فخر الدين عثمان بن علي المعروف بابن بنت أبي سعد، أملى في مجلسين أحدهما في ثامن محرم سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وثمانمائة وسماه مستوجبة المحامد في شرح خاتم أبي حامد. (كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** خاتم النبوة:**

في اصطلاحات الصوفية هو الذي ختم الله به النبوة ولا يكون إلا واحدا، وهو نبينا ﷺ (اصطلاحات الصوفية / ١٥٩) وقد أفرد الإمام السيوطي بابا في «ماجاء في خاتم النبوة». أي ما جاء من الأخبار في صفة خاتم النبوة: كلونه، ومقداره، وتعيين محله من جسده ﷺ وفي كونه من العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونها.

وننقل لك هذه الأحاديث وقد احتفظنا بأرقامها التي وردت في النص:

١ ـ «فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه فإذا هو مثل زر الحجلة».

(رواه البخاري بنحوه في الوضوء (باب استعمال فضل وضوء الناس). ١/ ٤٨. وفي المناقب (باب خاتم النبوة) ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ وفي كتاب المرضى (باب من ذهب بالصبي المريض ليدعى له)٤ / ٧. وفي كتاب الدعوات (باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رءوسهم) ٤ / ١٠٦. ومسلم بنحوه في كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة حديث ١١١ والترمذي في المناقب باب في خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ١٣/ ١١٩. والبيهقي بنحوه في الدلائل باب صفة خاتم النبوة ١/ ٢٥٩).

زر (بتقديم الزاي على الراء على المشهور. وقيل بالعكس) والحَجَلِة بفتحتين. وقيل بسكون الجيم مع ضم الحاء (الحُجْلَة) وقيل: مع كسرها.

وقد جزم المصنف في الجامع بأن المراد بالحجلة الطير المعروف، وأن المراد بزرها بيضها.

قال ابن الأثير: ويشهد له الحديث الآتي:

«مثل بيضة الحمامة».

(رواه مسلم في كتاب الفضائل عن جابر بن سمرة باب شيبه ﷺ حديث ١٠٩ والترمذي في المناقب برواية أخرى لجابر. باب في خاتم النبوة وقال: حديث حسن صحيح ١٣/ ١٢٠، وأحمد في مسنده ٥/ ٩٠، ٩٥، ٩٨، ١٠٤، ١٠٧ بروايات مختلفة، والبيهقي في الدلائل. باب صفة خاتم النبوة ١/ ٢٦٢، ٢٦٣).

وجزم السهيلي بأن المراد بالحجلة الكلة التي تعلق على العريش، ويزين بها العروس كالباشخاناه.

والزر: واحد الأزرار.

(جاء في المعجم الوسيط: الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس، وستر يضرب للعروس في جوف البيت، (الناموسية).

وهي أيضا طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم. والجمهور على أن المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له أزرار وعراو وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها).

٢ ـ «غدة حمراء».

بالدال المهملة، ورأيت من صحفه بالراء، وسألني عنه فقلت له:

إنما هو بالدال مثل بيضة الحمامة.

٣ ـ راد بن سعد «يشبه جسمه».

ووقع في رواية لابن حبان من طريق سماك بن حرب.

٤ ـ «هذا كبيضة نعامة».

قال الحافظ ابن حجر: وقد تبين من رواية مسلم أنها غلط من بعض رواته.

٥ ـ «وعن ابن حبان من حديث ابن عمر «مثل البندقة من اللحم».

٦ ـ «وعن قاسم بن ثابت من حديث قرة بن إياس: «مثل السلعة».

(السلعة ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه، وله غلاف، ويقبل الزيادة، وزيادة تحدث فى الجسد فى العنق وغيره تكون قدر الحمصة أو أكبر).

٧ـ «كأن فى ظهره بضعة ناشزة» (أى بارزة).

قال فى النهاية: أى قطعة لحم مرتفعة عن الجسم.

٨ـ «مثل الجمع».

قال فى النهاية: يريد مثل جمع الكف وهو أن تجمع الأصابع وتضمها.

٩ ـ وفى رواية ابن سعد قال حماد: «جمع الكف» وجمع حامد كفه وضم أصابعه.

١٠ ـ «حولها خيلان».

(هذا الحديث وما بعده من حديث عبد الله بن سرجس فى مسلم).

هى جمع خال وهى الشامة فى الجسد كأنها الثآليل جمع ثؤلول.

رأى العلام ابن حجر:

قال فى فتح البارى: هذه الألفاظ فى صفته متقاربة.

وأما ما ورد من أنها كانت كأثر محجم، أو كالشامة السوداء، أو الخضراء، أو مكتوب عليها «محمد رسول الله» أو «سر فأنت المنصور» ونحو ذلك فلم يثبت منها شيء. وقد أطنب الحافظ قطب الدين فى استيعابها فى شرح السير، وتبعه مغلطاى فى الزهر الباسم، ولم يبين شيئا من حولها.

والحق ما ذكرته، ولا تغتر بما وقع منها فى صحيح ابن حبان فإنه غفل حيث صحح ذلك.

رأى القرطبى:

قال القرطبى: اتفقت الأحاديث الثابته على أن «خاتم النبوة» كان شيئا بارزا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر «بيضة الحمامة» وإذا كبر «جمع اليد».

ووقع فى حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم أن خاتم النبوة كان بين كتفه عند ناغض كتفه اليسرى.

(رواه مسلم من حديث عبد الله بن سرجس فى كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وصفته حديث ١١٢/٤٠ ١٨٢٣، ١٨٢٤.

ويقول الإمام النووى معلقا:

وأما (ناغض كتفه) فبالنون والغين والضاد المعجمتين والغين مكسورة.

وقال الجمهور: الناغض أعلى الكتف. وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه.

وقيل: ما يظهر عند التحرك).

وفى حديث عباد بن عمرو عند الطبرانى:

«كأنه ركب عنز على طرف كتفه اليسرى».

ولكن سنده ضعيف.

قال العلماء:

السر فى ذلك أن القلب فى تلك الجهة، ومنها يدخل الشيطان.

وقت وضعه:

وقد اختلف فى وقت وضعه:

فقيل: ولد به. نقله ابن سيد الناس.

وقيل: حين ولد. نقله مغلطاى عن يحيى بن عائذ.

وقيل: عند شق الملكين صدره وهو صغير فى بنى سعد.

ورُد من حديث عتبة بن عبد السلمى عن أحمد والطبرانى وجزم به القاضى عياض (انظر مسند أحمد حيث أورد حديثا مطولا ٤ / ١٨٤، ١٨٥).

قال الحافظ ابن حجر: وهو أثبت من القولين الأولين.

وفى حديث عائشة عند الطيالسى وابن أبى أسامة، وأبى نعيم فى الدلائل: أن جبريل وميكائيل لما نزلا إليه عند المبعث هبط جبريل فلصقانى بحلاوة القفا ثم شق على قلبى فاستخرجه، ثم غسله فى طست من ذهب، بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه ثم ألقانى وختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى وقال: اقرأ.. الحديث.

(انظر دلائل النبوة لأبى نعيم حيث أورده من حديث طويل حديث رقم ١٠٦٣/ ٢١٥/ ٢١٦. وحلاوة القفا: وسطه كما فى المعجم الوسيط).

قلت:

وذكر الواقدى عن شيوخه أنهم لما شكوا فى موت

النبـى ﷺ وضعت أسمـاء بنت عميس يدهـا بيـن كتفـى النبـى ﷺ فقالت :

«قد توفى، وقد رفع الخاتم من بين كتفيه» .

وفى مستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال : لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شـامة النبوة فى يده اليمنى إلا أن يكون نبينا ﷺ فإن شـامة النبوة كـانت بين كتفيه (زهر الشمـائل / ٤٣ ـ ٤٧) .

وقد سأل سـائل يقول : نشرت صـورة لخاتم النبـوة ومعها حديث : من نظـر إليه حفظه الله من الآفات وغيرهـا و يختم له بالإيمان، فهل هذا صحيح؟

وأجاب عليه فضيلة الشيخ عطية صقـر بقوله : خاتم النبوة وردت به الأحاديث الصحيحة فـى البخارى ومسلم وغيرهما، وجاء فى هذه الروايات أنه قطعـة لحم ناتئة عليها شعرات بين كتفى النبى ﷺ، وأنـه مثل بيضـة الحمـامـة، وأنـه مثل زر الحجلة وعليه خيلان كأنها الثآليل السود...

وقد جـاءت روايات أخـرى فى صفة هـذا الخاتـم، منها ماهو باطل مكذوب، ومنها ما هو ضعيف لا يعول عليه، ومن ذلك ما رواه التـرمذى الحكيم ــ وهو غيـر الترمـذى صاحب السنن ـ أنه مكتـوب فى باطنه، أى ما يلى جسـده الشريف ـ «الله وحده لا شريك له» وفى ظاهره، أى ما يقابل الجهة التى خلفه «توجَّه حيث كنت فإنك منصـور» وهو حديث باطل كما قال ابن حجر فى فتح البارى .

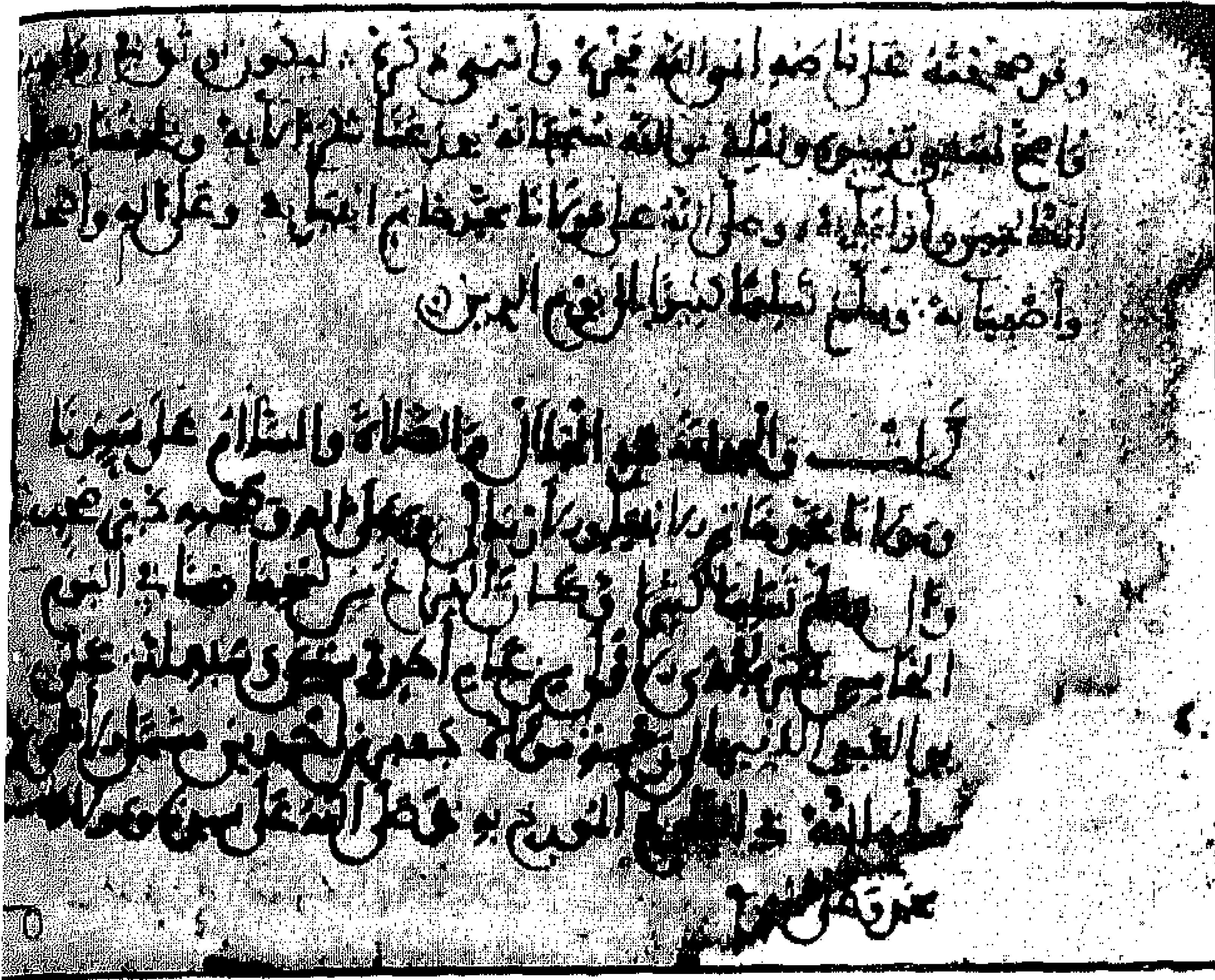
ومن هـذا يعلم أن مـا نشـر من صـورة هـذا الخـاتم غيـر صحيح، وأن ما يترتب على النظر إليـه من آثار لا أصل له فى الدين (أحسن الكلام ٢/ ٣٥) .

(اصطلاحـات الصوفيـة للشيخ كمال الـدين عبد الـرزاق القاشـانى ـ تحقيق وتعليق د . كمـال إبراهيـم جعفـر / ١٥٩، وزهـر الخمـائل على الشمائل . أوصاف النبى ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٤٣ ـ ٤٧ وقـد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايـا النص، وأحسن الكلام فى الفتـاوى والأحكام ـ فضيلـة الشيخ عطية صقر ٢/ ٣٥ . انظر أيضا دلائل النبوة لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ـ بتحقيق السيد أحمد صقر ١/ ٢٠٩ ـ ٢١٨) .

*** ابن خاتمة (ـ بعد ٧٧٠ هـ/ ـ بعد ١٣٦٩):**

قال عنه الزركلى :

أحمد بن على بن محمـد بن على بن محمد بن خـاتمة، أبو جعفـر الأنصـارى الأنـدلسـى : طبيب مـؤرخ من الأدبـاء البلغـاء . من أهل المـرية بـالأنـدلس . تصـدر للإقـراء فيهـا بالجـامع الأعظم . وزار غرناطـة مرات . قال لسـان الدين ابن الخطيب : «وهو الآن بقيد الحياة وذلك ثانى عشر شعبان سنة ٧٧٠» وقال ابن الجـزرى : «توفى وله نيف وسبعـون سنة» من كتبـه «مـزية المـريـة على غيـرهـا من البلاد الأنـدلسيـة» فى تاريخها، و «رائق التحلية فى فائق التورية» أدب، انظر صورة المخطوط و «إلحاق العقل بالحس فى الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس»، و «أبـراد اللال»، من إنشاد الضـوال» معجم صغير لمفردات من اللغة وأسماء البلدان وغيرها، مخطوط فى خزانـة الربـاط (١٢٤٨ جلاوى) والنسخـة حديثـة، حبذا لـو يـوجد أصلهـا، و «ريحانـة من أدواح ونسمة من أرواح» وهـو ديوان شعـره، مخطوط فـى خزانـة الربـاط، (المجموع ٢٦٩ كتانى) و «تحصيل غرض القاصـد فى تفصيل المرض الوافد» وضعه سنـة ٧٤٧ هـ وقد ظهـر فى تلك السنة وبـاء فى المـرية انتشر فى كثير من البلدان سماه الإفـرنج الطاعون الأسود، ولم أقف على نص يركن إليه فى تاريخ وفاته . (الأعلام ١ / ١٧٦ وما جاء من مصادر فى هامش ١) .



خاتمة كتاب «رائق التحلية فى فائق التورية» لأحمد بن على بن خاتمة الأندلسى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨م، من نسخة أندلسية كتبت فى حياة المؤلف سنة ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م وعليها خطه .
(اسبانيا : إسكوريال ٤١٩ ــ معهد المخطوطات)

ملاحظة : صورة المخطوط المصاحبة لهذه المادة أخذت من «الكتـاب العـربى المخطـوط» ــ جمعهـا وعلق عليهـا د . صلاح الدين المنجد، لوح ٥٢ .

* الخاتون:

لفظ تركى معناه السيدة دخل العالم الإسلامى عن طريق الأتراك. وقد استعمل فى النقوش والمؤلفات بهذا المعنى: فجاء على صيغة الجمع: خاتونات أو خواتين للتعبير عن الحريم؛ وورد لفظ «خاتونات» فى نقش بتاريخ سنة ٢٠٠ هـ على الكعبة خاص بالمأمون جاء فيه أن الفضل بن سهل قتل قائد الثغر وسبا أولاد جبغويه الخزلجى مع «خاتوناته» (الأزرقى - تاريخ مكة ١/ ١٥٨). كما جاء فى «السلوك» أن غازان اغتم لهزيمة التتار سنة ٧٠٢ هـ فحرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن «الخواتين» (المقريزى - سلوك/ ٩٣٧).

واستعمل اللفظ أيضا كلقب على المرأة يتفرع عليه باقى الألقاب المؤنثة: ففى نص تأسيس بتاريخ سنة ٥٠٤ هـ فى المدرسة الظاهرية بدمشق تقدم هذا اللقب بعض الألقاب المفردة والمركبة فى نعت والدة الملك دقاق: «... الخاتون الأجلة السيدة صفوة الملك، عز نساء العالمين، والدة الملك دقاق بن تاج الدولة ...» وكذلك ورد فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٢٨ هـ فى المدرسة الشامية فى دمشق أول سلسلة ألقاب أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى «بسملة هذه المدرسة الخاتون الكبرى الأجلة، عصمت الملوك والسلاطين، ست الشأم، أم حسام الدين بنت أيوب بن شادى..».

وكان هذا اللقب فى زمن القلقشندى يستعمل كأحد الألقاب المفردة المفرعة على الألقاب الأصول المؤنثة تأنيثا حقيقيا (القلقشندى - صبح الأعشى ٦/ ٧٨).

وكان اللفظ يرد أحيانا بجانب الاسم، وكان يقوم فى هذه الحالة مقام لقب «السيدة» للإشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة، وفى هذه الحالة كان اللقب يتبع الاسم، ومن أمثلة استعمالاته ما ورد فى «السلوك» من أنه بعد أن مات ملكشاه ملك بعده ابنه محمود سنة ٤٨٥ هـ وكان عمره أربع سنين فقامت أمه «تركان خاتون» بتدبيره، وكذلك ذكر «ضيفة خاتون» بنت الملك العادل الأول وزوجة الملك الظاهر غازى سلطان حلب.

هذا وقد استعمل اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة: مثل «افتخار الخواتين». «وخاتون الدنيا والآخرة». (الألقاب الإسلامية/ ٢٦٤-٢٦٦).

وقد ذكر ابن بطوطة فى رحلته مقابلته لعدد من الخواتين ووصف حياتهن، وهى معلومات طريفة، فارجع إلى المصدر إن شئت (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٢٦٦ - ٢٧٥)

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا/ ٢٦٤ - ٢٦٦، ومهذب رحلة ابن بطوطة - وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك/ ٢٦٦ - ٢٧٥)

قالت المؤلفة: ورد ذكر الست خاتون بنت معين الدين أثر فى مادة الجديد (جامع ـ بدمشق) فى م ١٢/ ٧٦ فانظره فى موضعه.

* خاتون الدنيا والآخرة:

خاتون الدنيا والآخرة: أطلق هذا اللقب على بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى نص جنائزى بتاريخ سنة ٦٤٥هـ فى قيسارية. ويلائم لفظ الآخرة الاستعمال فى نص جنائزى. (الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا/ ٢٦٦).

* الخاتونية (المدرسة ـ ببغداد ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م):

مدرسة أنشأتها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد على الكبير القادرى الكيلانى يتصل نسبها إلى الشيخ عماد الدين نصر قاضى القضاة ببغداد المتوفى سنة ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٥م.

ولدت السيدة عاتكة ببغداد سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وكانت من الصالحات العابدات كثيرة الخيرات والمبرات.

ومن أعمالها سنة ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥ م أنها جعلت دارها مدرسة علمية وسجلتها وقفا وسمتها «المدرسة الخاتونية» وحبست عليها وقوفا كبيرة بموجب الوقفية المؤرخة سنة ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٨ م وجعلت الواقفة فى هذه المدرسة خزانة كتب قيمة جمعتها من مالها الخاص، جمعت فيها كل نادر ونفيس مخطوط ومطبوع، وحررت على ظهر كل كتاب وقفية، وختمتها بختم «وقف عاتكة خاتون».

والمدرسة الخاتونية هذه كانت تقع مما يلى القبلة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلانى، غير أنها اندثرت بعد وفاة واقفتها سنة ١٢٤٥ هـ/ ١٨٢٩م عند غرق بغداد سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م، أى بعد وفاة السيدة عاتكة بسنة واحدة، لكن السادة الكيلانيين نقباء الأشراف فى بغداد استطاعوا انتشال

مـا تبقى مـن تلك الكتب والمحـافظـة عليهـا من التلف والضياع، وجعلها وقفا على المدرسة القادرية.

ومازالت خيرات السيـدة عاتكة خاتـون رحمها الله تعالى، تزود مكتبـة المدرسـة القادرية سنـويا بمئـات المجلدات من الكتب تقـدم كهـديـة من وقف عـاتكة خـاتـون إلى المكتبـة القادرية العامة.

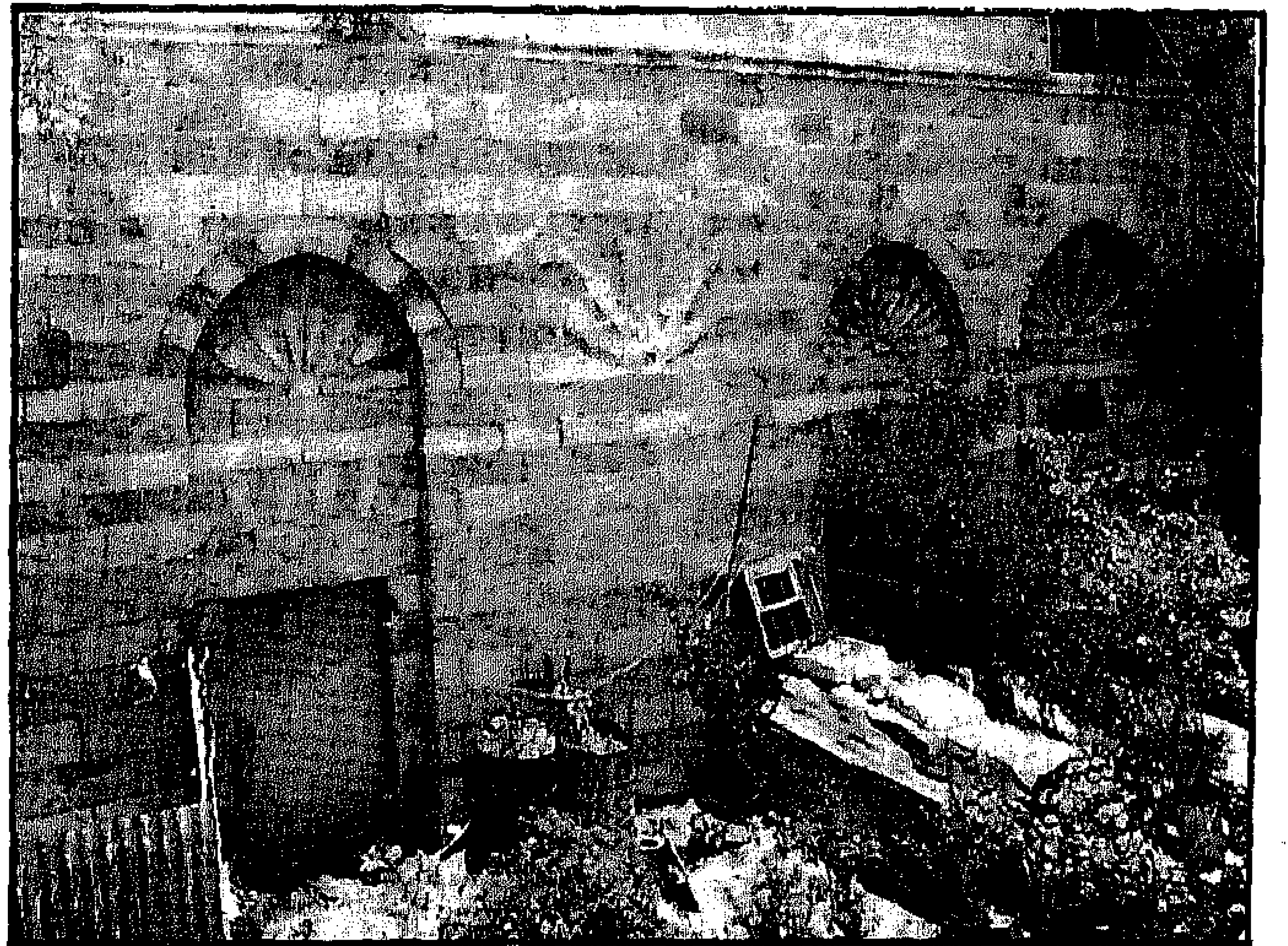
(مكتبة المدرسة القادرية العامة - نورى محمد صبرى المفتى، مطبعة المعارف. بغداد ١٩٨٢).

انظر: القادرية (مدرسة).

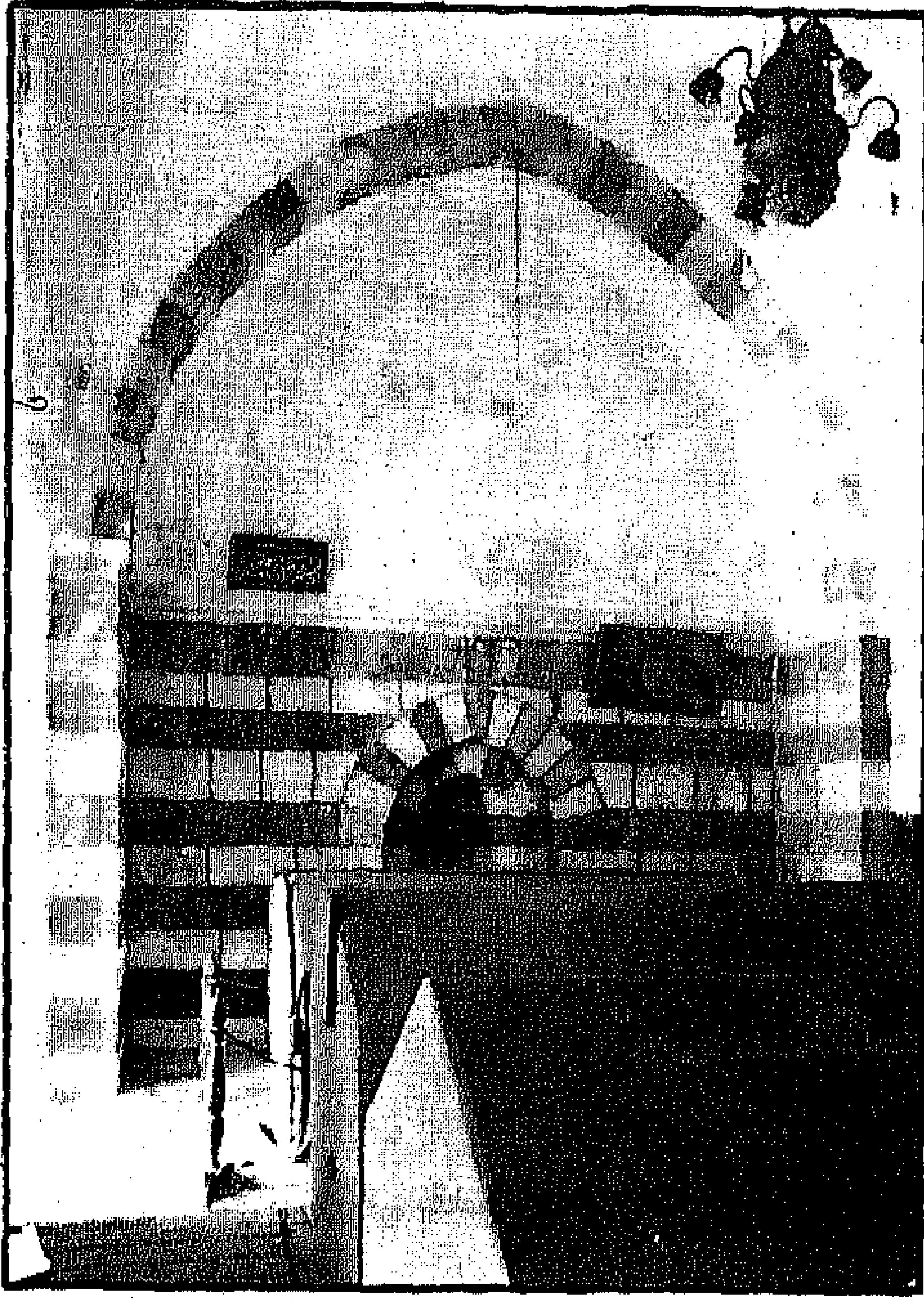
*** الخاتونية (المدرسة - ببيت المقدس) ٧٧٥-٧٨٢:**

من مدارس القـدس الشريف أعـاده الله ديار إسـلام. قال عنها الدكتور العسلى:

الخاتونيـة هى إحدى ثلاث مدارس وقفتهـا نساء فى بيت المقـدس، والمدرستـان الأخريـان همـا المدرسـة العثمانيـة والمدرسة البارودية. وقد كان هناك مؤسسات وقفية أخرى غير المـدارس بـالطبع وقفتهـا محسنـات من النسـاء الميسـورات الحال من بنات الأمراء والسلاطين والحكام أو النساء الثريات الأخريات بـوجـه الإجمـال، منهن خاصكـى سلطان زوجـة السلطـان سليمان العثمـانى التى مـا تـزال تكيتها قـائمـة فى القـدس والسيدة طشنق المظفـريـة (المتوفـاة سنة ٧٨٩ هـ)



المدرسة الخاتونية (٧٥٥ - ٧٨٢)



المدرسة الخاتونية من الداخل

والتى بنت الـدار الكبـرى التى تعـرف اليوم بـاسـم دار الأيتـام الإسلامية.

تقع المدرسة الخـاتونية بين باب الحديـد وباب القطانين غربى الحرم وجنوبى المدرسـة الأرغونية مباشرة. وواقفتها هى أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغـدادية. ووقفت عليهـا المزرعـة المعـروفة بظهـر الجمل. وتاريخ الـوقف هو ١٥ ربيع الأول سنـة ٧٥٥ هـ. ثم أكملت عمارة المدرسة المذكورة ووقفت عليها المرحومة أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه. وتاريخ وقفهـا شهر جمادى الآخرة سنة ٧٨٢. وكـان من أوقـاف المـدرسة فى القـرن الحـادى عشـر أراضى قريـة دير جـرير بظـاهر القـدس. ويقول محمـد كرد على: إن فى الدار قبر السيدة خاتـون القازانية البغدادية واقفة المدرسة.

والواقع أن مبنى المدرسة كان مجمعـا يضم ضريحا وقاعة للاجتمـاعات (مجمع) وإيوانين وكلها فى طـابق فى مستوى الحرم. وكـانت هنالك فى الطـابق الذى تحتـه غرف للسكن تحيط بصحن المـدرسة التى كـانت حدودهـا الجنوبيـة تطل على سوق القطانين.

وكان هنالك باب يصل بين المدرسة وبين الحرم. ويستفاد من السجل ١٨٥ (ص ٣١٢، سنة ١٠٩٢) من سجلات المحكمة الشرعية فى القدس أن قاضى القدس أجاز إجراء تصليحات فى مبنى المدرسة بناء على طلب متولى الوقف فى تلك السنة.

وممن درس فى الخاتونية فى القرن الحادى عشر الشيخ كمال الدين العسلى ثم ابنه الشيخ محمد كمال الدين. كما درس فيها وأعاد فى أواخر القرن الثانى عشر السيد محمد السرورى ومن بعده أولاده.

تعرف المدرسة اليوم باسم دار الخطيب إذ يسكنها جماعة منهم. وفى قاعة المجمع القديمة هناك اليوم عدة أضرحة لمسلمين بارزين توفوا فى هذا القرن منهم الأمير محمد على من أمراء الهند المسلمين، الذى توفى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ودفن فى القدس فى الخامس من رمضان، ومنهم الزعيم الفلسطينى موسى كاظم باشا الحسينى المتوفى سنة ١٩٣٣، والشهيد عبد القادر الحسينى بن موسى كاظم باشا، الذى استشهد فى معركة القسطل فى ٩ نسيان ١٩٤٨، وأحمد حلمى عبد الباقى من زعماء فلسطين المتوفى فى ٢٩ حزيران سنة ١٩٦٣، ومؤسس البنك العربى عبد الحميد شومان المتوفى فى ٩ أيلول سنة ١٩٧٤.

ويوجد فى غرفة الضريح ذات القبة الملحقة بالمدرسة قبر قديم يفترض أنه قبر أوغول خاتون كما يوجد فى الغرفة نفسها قبر الشريف الهاشمى عبد الحميد بن عون.

وتستعمل الغرف المحيطة بصحن المدرسة القديمة اليوم كمساكن. وقد أجريت فى مبنى المدرسة تصليحات كثيرة فى السنوات الأخيرة. وكان المبنى فى أواخر العهد العثمانى آيلا للخراب. وفى سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ انهارت قبة الضريح تماما، غير أن القبة استبدلت فيما بعد بقبة من الاسمنت، كما أن الجدران الحجرية عمرت جزئيا.

وكان ينزل فى هذه المدرسة فى العصور الوسطى ضيوف القدس البارزون.

(معاهد العلم فى بيت المقدس - د. كامل جميل العسلى / ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦. انظر أيضا المدارس فى بيت المقدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى - د. عبد الجليل حسن عبد المهدى ٢/ ٦٠، ٦١).

*** الخاتونية البرانية (المدرسة - بدمشق) ٥٢٦ هـ:**

قال عنها النعيمى:

مسجد خاتون على الشرف القبلى عند مكان يسمى صنعاء الشام المطل على وادى الشقراء (صنعاء دمشق قرية على باب دمشق دون المزة مقابل مسجد خاتون، خربت وهى اليوم مزرعة وبساتين) وهو مشهور بدمشق، واقفته الست خاتون أم شمس الملوك أخت الملك دقاق قاله ابن شداد. وقال الحافظ فى العبر فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة: المحترمة صفوة الملوك زمرد خاتون ابنة الأمير جاولى أخت دقاق لأمه وزوجة تاج الملوك بورى، وأم ولديه شمس الملوك إسماعيل ومحمود، سمعت الحديث من أبى الحسن على ابن قيس، واستنسخت الكتب، وحفظت القرآن الكريم، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق، ثم تزوجها أتابك زنكى، فبقيت معه تسع سنين، فلما قتل حجت وجاورت بالمدينة المنورة، فماتت ودفنت هناك بالبقيع، وأما خاتون بنت أنر زوجة الملك نور الدين فتأخرت، ولها مدرسة بدمشق وخانقاه معروفة على نهر بانياس انتهى. وقال ابن كثير فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة عقب ذكر خاتون عصمة الدين الآتية: فأما الخاتونية البرانية التى على القنوات بمحلة صنعاء دمشق، ويعرف ذلك المكان الذى هى فيه بتل الثعالب، فهى من إنشاء الست زمرد خاتون ابنة جاولى، وهى أخت الملك دقاق لأمه، وكانت زوجة زنكى والد نور الدين صاحب حلب، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدم انتهى. وقال صلاح الدين الصفدى: زمرد الخاتون بنت الأمير جاولى بن عبد الله الحجة صفوة الملوك أخت الملك دقاق وزوجة الملك بورى تاج الملوك وأم الملك إسماعيل شمس الملوك ومحمود ابنى بورى، سمعت الحديث، واستنسخت الكتب، وقرأت القرآن الكريم، وبنت المسجد الكبير الذى فى صنعاء، ووقفت مدرسة للحنفية، وهى من كبار مدارسهم وأجودها معلوما، وكانت كبيرة القدر وافرة الحرمة، خافت على ابنها شمس الملوك فدبرت الحيلة فى تسليمه بحضرتها وأقامت أخاه شهاب الدين محمود، وتزوجها الأتابك قسيم الملك زنكى والد نور الدين (لقبه «قسيم الدولة وهو آق سنقر البرقشى)، وسارت إليه إلى حلب، فلما مات عادت إلى

دمشق، ثم حجت على درب بغداد وجاورت إلى أن ماتت بالمدينة، ودفنت بالبقيع سنة سبع وخمسين وخمسمائة، و إليها ينسب مسجد خاتون الذى هو مدرسة الأصحاب أى أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه بأعلى الشرف القبلى وقد تقدم ذكره انتهى.

وقال شيخنا بدر الدين (محمد بن أبى بكر الأسدى) فى كتابه الكواكب الدرية فى السيرة النورية فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة: وفيها أخذ عماد الدين زنكى مدينة حمص، وتزوج بالست زمرد خاتون أم شمس الملوك إسماعيل، وهى التى تنسب إليها المدرسة الخاتونية البرانية بدمشق بأعلى الشرف القبلى انتهى. وقال ابن شداد: تاريخ وقفه سنة ست وعشرين وخمسمائة، وقف على الشيخ أبى الحسن على البلخى المشهور، وهو أول من ذكر بها الدرس، والذى علم من بعده فخر الدين القارى. وبعده ولده نجم الدين. وبعده القاضى شرف الدين عبد الوهاب الحورانى. ثم من بعده قاضى القضاة صدر الدين سليمان المشهور. ثم من بعده ابن أخيه عز الدين عبد العزيز. ثم من بعده فخر الدين موسى بن هلال بن موسى، وهو مستمر إلى سنة أربع وسبعين وستمائة.

وقال الذهبى فى تاريخه العبر سنة إحدى وتسعين وستمائة: والخبازى الإمام العلامة جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عمر الحنفى الخجندى، كان فقيهًا، بارعًا، زاهدًا ناسكًا، عابدًا، عارفًا بالمذهب، صنف فى الفقة والأصلين، ودرس بالعزية على الشرف الشمالى، ثم حج وجاور بمكة سنة، ثم رجع إلى دمشق، فدرس بالخاتونية التى على الشرف القبلى إلى أن توفى فى آخر ذى الحجة عن اثنتين وستين سنة، ودفن بالصوفية رحمه الله تعالى انتهى. وقال تلميذه ابن كثير فى سنة تسعين: وفى هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخاتونية البرانية انتهى. وقال فى سنة إحدى وتسعين المذكورة: جلال الدين الخبازى عمر ابن محمد بن عمر أبو محمد الخجندى وأحد مشايخ الحنفية الكبار، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة، وهناك اشتغل، ودرس بخوارزم وأعاد ببغداد، ثم قدم دمشق فدرس بالعزية والخاتونية البرانية، وكان فاضلاً بارعًا، مصنفا فى فنون كثيرة، توفى رحمه الله تعالى لخمس بقين من ذى الحجة منها، وله اثنان وستون سنة، ودفن بالصوفية انتهى. (أفردنا له مادة خاصة بعنوان «الخبازى» فانظره فى موضعه)

ثم ولى تدريسها فى سنة ثمان وتسعين وستمائة شمس الدين بن الحريرى قاضى القضاة، وهى فى ذيل العبر فى سنة خمس عشرة وسبعمائة قدم القاضى ملطية (شمس الدين محمد) بعد فتحها إلى دمشق، فأعطى تدريس الخاتونية البرانية وشيخ الصوفية انتهى. وقال تلميذه ابن كثير فى تاريخه فى السنة المذكورة: وفى يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضًا عن قاضى القضاة الحنفى البصروى (على بن أبى القاسم بن محمد) وحضر عنده الأعيان، وهو رجل له فضيلة وحسن خلق، كان قاضيا بملطية وخطيبًا بها نحوًا من عشرين سنة انتهى. وقاضى القضاة المشار إليه هو صدر الدين أبو الحسن على ابن الشيخ صفى الدين أبى القاسم الحنفى البصروى، وفى يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة ست قدم دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضًا عن الأذرعى مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية، وخرج الناس لتلقيه وهنؤوه، وحكم بالنورية، وقرىء تقليده بالمقصورة الكندية فى الزاوية الشرقية من جامع بنى أميه، وتوفى رحمه الله تعالى فى شعبان سنة سبع وعشرين وسبعمائة عن خمس وثمانين سنة. وقال ابن كثير فى سنة تسع عشرة وسبعمائة فى جمادى الآخرة: وفى هذا الشهر درس بالخاتونية البرانية القاضى بدر الدين أبو نويرة الحنفى وعمره خمس وعشرون سنة، عوضا عن القاضى شمس الدين محمد قاضى ملطية لما توفى انتهى.

وقال الأسدى فى شهر رمضان سنة ست عشرة وثمانمائة من ذيله على تاريخ شيخه: وفى يوم الجمعة ثامن عشريه، بلغنى وفاة قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى (على بن محمد بن محمد الدمشقى، ٧٨٧ ـ ٨١٦) بالقاهرة، مات رحمه الله تعالى بالقولنج ولم ينقطع إلا يومين، وكان له بدمشق جهات كثيرة، وكانت خرجت قبل ذلك، فلما جاء الخبر بموته أخرج باقيها، فما كان بيده: تدريس الخاتونية

الرانية، والقصاعين، والشبلية، وخزانة كتب الأشرفية بالجامع، ومباشرات، وأنظار كثيرة، وخلف ابنا صغيرا انتهى.

فائدتان الأولى: قال ابن كثير فى تاريخه فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة: وفى يوم الجمعة ثانى ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخاتونية البرانية، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن بالأموى، وترك خطابة جامع القابون انتهى. زاد البرزالى فى تاريخه ومن خطه نقلت: وخلع عليه خلعة الخطابة وقرر له معلوم على مال المصالح المبرورة، وانتفع بذلك أهل تلك الناحية، وولى مكانه خطابة القابون الإمام به ولد الشيخ عبد الوهاب التركمانى الحنفى انتهى.

الثانية: قال ابن كثير أيضا فيه فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة: وفيها توفيت الست خاتون والدة الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، توفيت بدمشق فى ذى الحجة فى دارها المعروفة بدار العقيقى انتهى. وقول كاتبه: كأنها أم ست الشام أو زوجة أبيها، ولم أدر أين تُربتها الآن، فإن دار العقيقى الآن هى المدرسة الظاهرية وشرقيها دار البارزى؛ بل رأيت فى كلام بعضهم أن الأسدية تجاه العزيزية شرقى دار العقيقى، وهى الآن الدار المذكورة، فليحرر (الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ٥٠٢ـ٥٠٧).

يقول الأستاذ أكرم العلبى:

وقد أقيمت الجمعة الأولى فى هذه المدرسة فى ربيع الأول سنة ٧٣٤ هـ (ابن كثير ١٤/ ١٦٤، وابن عساكر ٢/ ٩١). وموقعها بلغة اليوم مكان مبنى الإذاعة تقريبا. وقد ذكر العلموى أن «سيباى» كان أول من خرب هذه المدرسة، وأخذ رخامها، وضمها إلى مدرسته فى باب الجابية، ثم توالى الهرم عليها حتى لم يعد لها أثر.

أما تاريخ بنائها فهو فى حدود سنة ٥٢٦ هـ، لأن ابن عساكر ذكر أنها بنت المدرسة قبل قتل ابنها شمس الملوك سنة ٥٢٩ هـ، وذكر أيضا أن أبا الحسن البلخى بنيت له البلخية، ثم درّس بجامع الخاتون، أى المدرسة الخاتونية، وهذه المدرسة تكاد تكون معاصرة للبلخية والله أعلم.

(الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى - تحقيق جعفر الحسنى ١/ ٥٠٢ـ٥٠٧، وخطط دمشق - أكرم حسن العلبى/ ١٨٥، ١٨٦).

*** الخاتونية الجوانية (المدرسة - بدمشق) ٥٧٠ هـ:**

قال عنها الدكتور صلاح الدين المنجد: من مدارس الحنفية، أنشأتها عصمة الدين خاتون، زوجة السلطان نور الدين، ثم السلطان صلاح الدين. لم يبق لها أثر اليوم. وأخبرنى أحد المعمرين أنه قرأ كتابة عتبتها قبل أن تزول. وأنها كانت مكان بناية آل البكرى، فى طريق المارستان النورى، إلى غربه وفى هذا القول نظر (دور القرآن فى دمشق/ ٤٩).

وقد ذكرها النعيمى فى «الدارس من المدارس» وترجم لمؤسستها الخاتون عصمة الدين وللشيوخ الذى قاموا بالتدريس بها مما ننقل بعضه فيما يلى. قال المؤلف: المدرسة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب، أنشأتها خاتون بنت معين الدين أنر زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكى تنسب إليها، وقفها سعد الدين أخوها عليها، ثم من بعدها على عقبها ونسلها، وماتت ولم تعقب، قاله عز الدين. وقال الذهبى فى العبر فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: وعصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أنر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين واقفة المدرسة التى بدمشق للحنفية والخانقاه التى بظاهر دمشق، توفيت فى ذى الحجة، ودفنت بتربتها التى هى تجاه قبة جركس بالجبل انتهى. وقال فى مختصر تاريخ الإسلام فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة: وفيها سار صاحب حلب نور الدين محمود بن زنكى، فاستفاد أرباحا من الفرنج، فخافته ورعبت منه، وتزوج بابنة نائب دمشق معين الدين أنر، وأرسلت إليه إلى حلب انتهى. وقال ابن كثير فى تاريخه فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة: وفى صفر منها تزوج السلطان صلاح الدين بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت زوجة الملك نور الدين، فأقامت مدة فى القلعة محترمة مكرمة معظمة، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين مسعود بن أنر، وحضر القاضى ابن أبى عصرون العقد ومعه جماعة من العدول، وبات السلطان عندها تلك الليلة والتى بعدها، ثم سافر إلى مصر بعد يومين من الدخول بها انتهى. وقال فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين نائب دمشق وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكثرهن خدمة، وهى واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة

حجر الذهب وخانقاه خاتون ظاهر باب النصر فى أول الشرف القبلى على بانياس، ودفنت بتربتها فى سفح قاسيون قريبا من قباب الجركسية، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك انتهى. وقال الأسدى فى تاريخه فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: عصمة الدين خاتون بنت معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين، تزوجها سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وكانت قبله زوجة نور الدين محمود، وكانت من أعف النساء وأكرمهن وأحزمهن، ولها صدقات كثيرة وبر عظيم، بنت بدمشق مدرسة لأصحاب أبى حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه فى محلة حجر ذهب، وبنت للصوفية خانقاه خارج باب النصر على بانياس، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس، ووقفت على هذه الأماكن أوقافا كثيرة، وكانت وفاتها فى شهر رجب كذا قال فى المرآة.

وقال الذهبى: توفيت رحمها الله تعالى فى ذى القعدة ودفنت بتربتها، وبلغ السلطان وفاتها وهو مريض بحران، فتزايد مرضه وحزن عليها وتأسف، وكان يصدر عن رأيها، ومات بعدها أخوها سعد الدين مسعود فى جمادى الآخرة من هذه السنة من جرح أصابه فى حصار ميافارقين، وكان من أكبر الأمراء، زوجه السلطان أخته ربيعة خاتون، فلما توفى تزوجها مظفر الدين صاحب إربل، وفى زماننا وسعت تربتها وصارت جامعا وأقيمت فيه الجمعة وغيرها انتهى.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الروضتين فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة: قال العماد فى هذه السنة توفيت الخاتون ذات العصمة بدمشق فى ذى القعدة، وهى عصمة الدين بنت معين الدين أنر، وكانت فى عصمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله، فلما توفى وخلفه السلطان بالشام فى حفظ البلاد ونصرة الإسلام تزوج بها فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وهى من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن فى الصيانة وأحزمهن، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى، ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وإدرارات وبنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا. قلت: وكلاهما ينسبان إليها، فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب قرب الحمام الشركسى، والرباط خارج باب النصر راكب على نهر بانياس فى أول الشرف القبلى. وأما مسجد خاتون الذى فى آخر الشرف القبلى من الغرب، فهو منسوب إلى خاتون أخرى قديمة، وهى زمرد بنت جاولى أخت الملك دقاق لأمه والد نور الدين رحمهما الله تعالى، قال العماد: وذلك سوى وقوفها على معتقيها وعوارفها وأقاربها، وكان السلطان حينئذ بحران فى بحر المرض وبحرانه، وعنف الألم وعنفوانه، فما أخبرناه بوفاتها خوفا من تزايد علته وتوقد غلته، وهو يستدعى فى كل يوم درجا ويكتب إليها كتابا طويلا، ويلقى على ضعفه من تعب الكتابة والفكر حملا ثقيلا، حتى سمع نعى ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن عمه فنعيت إليه الخاتون، وقد تعدت عنه إليهما المنون، وكانت وفاة نصر الدين بحمص فى تاسع ذى الحجة فجأة من غير مرض، وأجرى السلطان أسد الدين شيركوه ولده على ما كان لوالده ومقابلته بأحسن عوائده. قلت: وقبر الخاتون المذكورة فى التربة المنسوبة إليها بسفح جبل قاسيون قبلى المقبرة الشركسية ... وقال شيخان فى الكواكب الدرية فى السيرة النورية: وقد كانت زوجته هذه أيضا من الصالحات الخيرات تكثر القيام، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهى غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت له نومها الذى فوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانات فى القلعة وقت السحر ليوقظ النائم بذلك الوقت لقيام الدين، ورتب للضارب جراية وجامكية انتهى. قال ابن الأثير: وكان لا يفعل فعلا إلا بنية حسنة انتهى. وقال ابن شداد: وانتقلت المدرسة فى شهور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة. وأول من ذكر بها الدرس حجة الإسلام والدين إلى أن توفى. ثم من بعده تولاها فخر الدين الحوارى إلى أن توفى. واستمر بها ولده إلى أن توفى. وبقيت على ولده تاج الدين محمد المذكور. وقد ناب عنه بها نجم الدين خليل بن على الحموى إلى أن توفى فجأة، ووليها بعده ولده شمس الدين على وانتزعت من يده فى زمان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى جمادى سنة أربع وأربعين وستمائة. ووليها بعده القاضى عز الدين السنجارى إلى أن توفى فى سادس عشرين شعبان سنة ست وأربعين وستمائة.

ووليها بعده ولدها كمال الدين عبد اللطيف فى الشهر المذكور فى السنة المذكورة، واستمر بها إلى حين استيلاء التتار على دمشق فى صفر من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فوليها فى أيام التتار القاضى شمس الدين عبد الله بن محمد ابن عطاء الحنفى إلى حين عود الشام إلى يد المسلمين، فعاد كمال الدين عبد اللطيف المذكور وانتزعها من يده ووليها

واستمر بها إلى حين توجه الخليفة إلى بغداد، فسار معه وقتل بالفلوجة فى سنة تسع وخمسين وستمائة، وكان ينوب عنه فى حال غيبته صدر الدين إبراهيم بن عقبة الحنفى، فلما صح قتله وليها القاضى شمس الدين عبد الله بن محمد الحنفى المتقدم ذكره إلى حين توفى وهو متوليها فى خامس جمادى سنة ثلاث وسبعين وستمائة، ودفن بسفح قاسيون بالتربة المعظمية، وكان له من العمر ثمان وسبعون سنة، وكان رجلا فاضلا.

ثم ولى بعده قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن ابن الصاحب كمال الدين أبى القاسم عمر ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله ابن قاضى القضاة مجد الدين أبى غانم محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد بن أبى جرادة (٦١٤ ــ ٦٧٧) الحنفى، وهو مستمر بها إلى سنة خمس وسبعين وستمائة انتهى ...

وأما ابن أبى جرادة فقال الشيخ نجم الدين الطرسوسى فى شرح منظومته: قاضى القضاه مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن الصاحب الكبير كمال الدين بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبى جرادة، ميلاده بحلب سنة أربع عشرة وستمائة، كان إماما جليلا فاضلا دينا متعبدا متقشفا، مواظبا على ورده من النوافل، ممدوحا رئيسا، لم يزل من أول عمره عند الناس معظما، حتى قيل إنه فى حياة والده كان يرجح عليه مع جلالة والده، درس بحلب ودمشق ومصر: فدرس بدمشق بالخاتونية العصمية، وهو أول من درس بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة، وحضر السلطان درسه وسمع بحثه ومناظرته، وتأخر هو عن الناس حتى تكاملوا، فلما حضر قام له السلطان وتلقاه، وولى الخطابة بالجامع الحاكمى مدة بمصر، وكان له أوراد من العبارة لا يخل بشىء منها، وفى يوم الأربعاء سلخ ذى القعدة سنة ثلاث وسبعين وستمائة قدم دمشق قاضى القضاة بها بعد القاضى شمس الدين عبد الله واستناب القاضى بدر الدين مدرس المعينية، ومات بجوسقة ظاهر دمشق فى الشرف القبلى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وستمائة، ودفن بتربته بالقرب منه، ومما أنشد لنفسه يقول:

شهود ودى تؤدى وهى صادقة
وحاكم الشوق بالأسجال قد حكما
هب أننى مدع قد غاب شاهده
أليس قلبك يقضى بالذى علما

وممن درس بها البرهان بن الموفق (٥١٠ ــ ٥٩٩). قال الذهبى فى العبر فى سنة تسع وتسعين (بالتاء فيهما) وخمسمائة: والعلامة أبو الموفق مسعود بن الموفق شجاع الأموى الحنفى الدمشقى مدرس النورية والخاتونية وقاضى العسكر، كان صدرا معظما مفتيا رئيسا فى المذهب، وارتحل إلى بخارى، وتفقه هناك، وعمر دهرا، توفى رحمه الله تعالى فى جمادى الآخرة وله تسعون إلا سنة، وكان لا يغسل له فرجية، يهبها ويلبس جديدة انتهى. وقال الأسدى فى تاريخه فى هذه السنة: مسعود بن شجاع بن محمد الإمام برهان الدين ابن الموفق القرشى الأموى الدمشقى الحنفى مدرس النورية والخاتونية أيضا، إمام خبير بالمذهب، درس وأفتى واشتغل، وكان ذا أخلاق شريفة وشمائل لطيفة، ولد بدمشق ورحل إلى ما وراء النهر فتفقه على شيوخ بخارى، وسمع بها من الإمام ظهير الدين الحسن بن على المرغينانى وجماعة، وولى قضاء العسكر لنور الدين، وحصل له جاه وافر، ودنيا واسعة، وكان لا يغسل له فرجية، بل إذا اندعكت وهبها ولبس أخرى جديدة، وطال زمانه، ولد فى جماد الآخرة سنة عشر وخمسمائة، وتوفى فى جمادى الآخرة أيضا، روى عنه الشهاب القوصى فى معجمه وابن خليل. قال بعضهم: وجمع كتابا فى الفقه انتهى. ودرّس بها الحسام الرومى (٦٣١ ـ ٦٩٩)

قال الصفدى فى وافيه فى حرف الحاء: الحسن بن أحمد ابن أبو شروان قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل ابن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر الرازى الحنفى الرومى، ولد سنة إحدى وثلاثين بآق سراى، وولى ملطية أكثر من عشرين سنة، وخرج إلى الشام سنة خمس وسبعين وستمائة بعد القاضى صدر الدين سليمان، وامتدت عليه أيامه إلى أن تسلطن حسام الدين لاجين، فسار إليه سنة ست وتسعين

وستمائة، فأقبل عليه وولاه القضاء بالديار المصرية، وولي ابنه جلال الدين مكانه بدمشق، وبقي معظما وافر الحرمة إلى أن قتل السلطان حسام الدين وهو عنده، فلما زالت دولة حسام الدين قدم دمشق على مناصبه وقضائه بدمشق، وعزل ولده، وكان مجمع الفضائل كثير المكارم، يتودد إلى الناس، له أدب وشعر وفيه خير ومروءة وحشمة، خرج إلى المصاف وشهد الغزاة، فكان ذلك آخر العهد به فى سنة تسع وتسعين وستمائة. قال الشيخ شمس الدين: والأصح أنه لم يقتل بالغزو، وصح بروزه مع المنهزمين بناحية الجرنيين، وأنه أسر مع الفرنج وأدخل إلى قبرس وهو وجمال الدين المطروحى، وقيل إنه تعاطى الطب والعلاج، وإنه جلس يطبب بقبرس، وهو فى الأسر، ولكن لم يثبت ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال فى سنة إحدى وسبعمائة: استمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضى جلال الدين بن حسام الدين بإذن نائب السلطنة انتهى (٦٥١ - ٧٤٥) وقال السيد شمس الدين رحمه الله تعالى فى ذيله: ومات بدمشق العلامة قاضى القضاة جلال الدين أبو المفاخر أحمد بن قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرازى ثم الدمشقى الحنفى، عن ثلاث وتسعين سنة ونصف، حدث عن ابن البخارى وغيره، وناب فى الحكم بدمشق عن والده، ثم ولى استقلالا، ثم عرض له صمم فصرف بالقاضى شمس الدين الحريرى، ودرّس بالخاتونية والريحانية والقصاعين، وإليه المنتهى فى مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، توفى رحمه الله تعالى فى شهر رجب سنة خمس وأربعين وسبعمائة: ودفن بمدرسته التى أنشأها بدمشق المعروفة بالجلالية، وكانت سكنه رحمه الله انتهى (فى ابن كثير: ودفن بالمدرسة التى أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا عن الخاتونية الجوانية»).

وقال تقى الدين بن قاضى شهبة فى ذيله فى شهر ربيع الأول فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة: وفى يوم الأحد حادى عشريه حضر ابن القاضى شهاب الدين بن العز بالمدرسة الخاتونية الجوانية، وحضر عنده القاضى الشافى وبعض الفقهاء والترك، وكان يوما مطيرا انتهى. ثم قال فى ثامن عشرين المحرم سنة ست وعشرين وثمانمائة وهو يوم دخل المحمل ما عبارته: وفى يوم دخول المحمل سأل قاضى القضاة شهاب الدي بن العز قاضى القضاة الشافعى أن يستنيب ولده فى القضاء فأجابه إلى ذلك، وهو شاب لم تطلع ذقنه بعد، ولكنه قد قرأ كتبا واشتغل، وباشر الخاتونية الجوانية وباشر القصاعين، وكان يحضر معه نواب والده وغيرهم من الحنفية انتهى، ثم قال فى محرم سنة أربعين: وفى يوم الجمعة ثانى عشر بلغنى أن قاضى القضاة شمس الدين الصفدى رجع ومعه ولايته بالخاتونية الجوانية، ثم قاتل فى ذلك غريمه، ووقفا للنائب، ثم قيل إنهما بعد يصطلحان فلم يتفق ذلك، وأرسل كل منهما قاصده يسعى فى ذلك انتهى. ثم قال فى سنة إحدى وخمسين ما عبارته: وفى العشر الأخير أى من شهر رمضان، إلى أن قال: وفيه جاء مرسوم فيه أن القاضى حسام الدين بن العماد الحنفى أنهى أن الخاتونية والقصاعين كانتا بيد القضاة، وهى معروفة عندهم وبهم، فجاء مرسوم أن يعقد لهما مجلس عند النائب بحضرة القضاة والعلماء، فإن كان كما أنهاه فيسلمان إليه، وإن كانتا بيد القاضى شمس الدين الصفدى بطريق شرعى فتستمران بيده، فعقد له مجلس فى رابع عشريه وحضر الصفدى وأظهر بيده نزولا من ابن العز بالقصاعين، محكوما له بالاستحقاق، وولاية الخاتونية عوضا عن ابن العز بحكم وفاته، ومحضر مثبوت على المصريين، على أن الوظيفة المذكورة لم تزل بيد بنى العز فى حال ولايتهم وعزلهم، ومال أكثر أهل المجلس مع الصفدى، وتكلم خصمه حسام الدين بكلام ساقط، ونسب أهل المجلس إلى التحامل عليه، وانقضى المجلس على المراجعة، واحتج الحسام بأشياء لا تجدى شيئا، فأجيب عنها فى المجلس انتهى (الدارس ١/ ٥٠٧ - ٥١٨).

يقول الأستاذ العُلبى: وقد أوقف سعد الدين، أخو الخاتون عصمة الدين، أوقافا كثيرة على المدرسة المذكورة، ومات قبلها بستة شهور ودفن شمالى جامع جراح فى مسجد يقال له جامع الشيخ مسعود.

وذكر العلموى أن فخر الدين القدسى المالكى خربها وبنى مكانها بيتًا، وصارت نسيًا منسيًّا ثم انتزعها منه الكتخدا حسن باشا قهرًا، ثم صارت المدرسة معملا للقاشانى ...

وهكذا أسرع الخراب إلى المدرسة منذ أوائل العصر العثماني، وبقي ضريح الواقفة بعيدا عن مدرستها، والملاحظ أن المدارس التي يدفن أصحابها فيها تبقى، أو يبقى جزء منها مدة طويلة لإحجام الناس عادة عن التعرض لقبور «الأولياء» كما يسمونهم، أي الواقفين، في حين يسرع الخراب إلى المدارس التي لا وجود «للأولياء» فيها.

ويقدر تاريخ بناء المدرسة بحدود سنة ٥٧٠ هـ، كما يفهم من العبارات الناقصة والغامضة التي وردت في النسخة المطبوعة من تاريخ ابن شداد (خطط دمشق / ١٨٧).

(دور القرآن في دمشق لعبد القادر بن محمد النعيمي - صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد/ ٤٩، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي أيضا - تحقيق جعفر الحسني ١/ ٥٠٧ - ٥١٨، وخطط دمشق - أكرم حسن العلبي / ١٨٧، وجاء في هامش٢ به: انظر العبر ٣/ ٨٣، وكرد علي ٦/ ٩٠ الذي جعل اسم والد الواقفة «سعد الدين اتسز، والقلانسي / ٤٥٠، والروضتين ٢/ ٦٦، وابن كثير ١٣/ ٣١٧).

*** الخادم:**

الخادم: بغير تاء يقع على الذكر والأنثى، تقول: هذا خادم الوزير، وهذه خادم زوجه.

قال الإمام على كرم الله وجهه يوما للسيدة فاطمة الزهراء: اسألي أباك خادما تقيك (بالتاء) حر ما أنت فيه.

وفي حديث عبد الرحمن أنه طلق امرأته فمتعها بخادم سوداء (أي جارية).

وفي لسان العرب والمختار: الخادم واحد الخدم غلاما كان أو جارية. وفي المصباح خدمه يخدمه خدمة فهو خادم غلام كان أو جارية والخادمة بالهاء في المؤنث قليل والجمع خدم وخدَّام (الرسالة الرشادية - محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٣).

*** خادم الرافعي والروضة في الفروع:**

قال حاجي خليفة:

خادم الرافعي والروضة في الفروع لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة ذكر في بغية المستفيد أنه أربعة عشر مجلدا كل منه خمسة وعشرون كراسة ثم إني رأيت المجلد الأول منها افتتح بقوله الحمد لله الذي أمدنا بإنعامه إلخ ... وذكر أنه شرح فيه مشكلات الروضة وفتح مقفلات فتح العزيز وهو على أسلوب التوسط للأذرعي وأخذه جلال الدين السيوطي يختصر من الزكاة إلى آخر الحج ولم يتم وسماه تحصين الخادم. (كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** خادم النعل الشريف:**

خادم النعل الشريف: رسالة للجلال السيوطي ذكرها في فهرس مؤلفاته من فن الحديث.

(كشف الظنون ١/ ٦٩٨).

*** ابن خارجة [٦٦٠هـ / ٦٨٦ م]:**

أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري؛ أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين من الكوفة، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق.

حكى ابن عساكر قال: أتى الأخطل الشاعر إلى عبد الملك بن مروان في حمالات تحملها عن قومه، فأبى أن يعطيه شيئا، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك، فأتى أسماء بن خارجة، فتحملها عنه جميعا، فقال:

إذا مات خارجة بن حصن
فلا مطرت على الأرض السماء
ولا رجع البشير بغنم جيش
ولا حملت على الطهر النساء
فيوم منك خير من رجال
كثير حولهم نعم وشاء
فبورك في بنيك وفي بنيهم
وإن كثروا، ونحن لك الفداء

وبلغ الشعر عبد الملك فقال: عرَّض بنا الخبيث في شعره.

وحكى أبو اليقظان قال: دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له: بم سدت الناس؟ فقال: هو من غيري أحسن، فقال له: بلغني عنك خصال شريفة، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها، فقال: أما إذ عزمت علي فنعم، فقال عبد الملك: هذه أولها، فقال أسماء: ما سألني أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل علي، ولا دعوت أحدا إلى طعام إلا ورأيت له المنة علي، ولا جلس إلي رجل إلا ورأيت له الفضل علي، ولا قصدني أحد في حاجة إلا وبالغت في

قضـائهـا، ولا شتمت أحـدا قط، لأنـه إنمـا يشتمني أحـد رجلين: إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها، وإما لئيم فأصون عرضي منه، فقال له عبد الملك: حق لك أن تكون سيدا شريفا.

وقال الكلبي: خرج أسماء في أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة فنزل في رياض معشبة، وهناك رجل من بني عبس نازل، فلما رأى قباب أسماء وخيامه قوّض خيامه ليرحل، فقال له أسماء: ما شأنك؟ فقال: لي كلب هو أحب إليّ من ولدي، وأخاف أن يؤذيكم فيقتله بعض غلمانكم، فقال له أسماء: أقم وأنا ضامن كلبك، ثم قال لغلمانه: إذا رأيتم كلبه قد ولغ في قدوري وقصاعي فلا تهيجوه، وأقام على ذلك مدة، ثم ارتحل أسماء ونزل في الروضة رجل من بني أسد، وجاء الكلب على عادته فضربه الأسدي فقتله، فجاء العبسي إلى أسماء فقال له: أنت قتلت كلبي، قال له: وكيف؟ قال: عودته عادة ذهب يرومها من غيرك فقتل، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب.

ولم أراد أسماء أن يهدي ابنته إلى زوجها قال لها: يا بنية، كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، ولا تدني منه فيملك، ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك، وكوني له كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإني رأيت الحبَّ في الصدر والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وأسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود، وتوفي في سنة ست وستين وقيل: سنة اثنتين وثمانين، وهو ابن ثمانين سنة، رحمة الله عليه. (فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد ابن شاكر الكتبي - تحقيق د. إحسان عباس / ١٦٨، ١٦٩. انظر أيضا الأعلام للزركلي ١ / ٣٠٥).

*** خارجة بن زيد (٢٩-٩٩ هـ / ٦٥٠-٧١٧ م):**

خارجة بن زيد: أحد الفقهاء السبعة مذكور في المهذب في مسألة خيار الأمة بالعتق هو أبو زيد خارجة بن زيدبن ثابت ابن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم ابن مالك بن النجار الأنصاري النجاري المدني التابعي أدرك عثمان وسمع أباه زيدا وعمه يزيد وأم العلاء الأنصارية. روى عنه سالم بن عبد الله والزهري ويزيد بن عبد الله بن قسيط وأبو الزناد وآخرون وكان إماما بارعا في العلم واتفقوا على توثيقه وجلالته وهو أحد فقهاء المدينة السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وفي السابع ثلاثة أقوال فقيل سالم بن عبد الله بن عمر، وقيل أبو سلمة بن عبد الرحمن، وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعلى هذا جمعهم الشاعر في بيت فقال شعر.

ألا كل من لا يقتدي بأئمة فقسـ
ـمته ضيزى عن الحق خارجهْ
فخذهم عبيد الله عروة قاسم
سعيد أبو بكر سليمان خارجهْ

توفي بالمدينة سنة مائة وهو ابن سبعين سنة.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيي الدين بن شرف النووي ١/ ١٧٢. انظر أيضا الأعلام للزركلي ٢/ ٢٩٣، وفقهاء المدينة السبعة - عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي. دار ابن كثير. دمشق - بيروت. بدون تاريخ / ١٥١-١٦٦).

*** الخارصيني:**

أحد الفلذات التي أحصاها القزويني، وقال عنه:

الخارصيني: تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا، ويتخذ منه الكلاليب يصاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشيء لا ينفصل منه إلا بالشدة، ويتخذ منه المرآة ينظر فيها صاحب اللقوة في بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض، ويتخذ منه منقاش ينتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا بفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت. (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات/ ١٣٩)

*** الخارق:**

قال التهانوي:

الخارق في عرف العلماء هو الأمر الذي يخرق بسبب ظهورة العادة وهو على الصحيح ينقسم باعتبار ظهوره إلى ستة أقسام لأن الخارق إما ظهر عن المسلم أو الكافر.

والأول إما أن لا يكون مقرونا بكمال العرفان وهو المعونة أو يكون وحينئذ إما مقرون بدعوى النبوة وهو المعجزة أو لا وحينئذ لا يخلو إما أن يكون ظاهرا من النبى قبل دعواه وهو الإرهاص أو لا وهو الكرامة .

والثانى أعنى الظاهر على يد الكافر إما أن يكون موافقا لدعواه وهو الاستدراج أو لا وهو الإهانة . ومنهم من ربع القسمة وأدخل الإرهاص فى الكرامة فإن مرتبة الأنبياء لا تكون أدنى من مرتبة الأولياء ، وأدخل الاستدراج فى الإهانة فإن معنى الاستدراج هو أن يقربه الشيطان إلى فساد على التدريج حتى يفعله سواء وافق ذلك غرض مرتكبه أو لم يوافق ، وعاقبة ذلك حسرة وندامة فقد آل الأمر إلى الإهانة . والسحر ليس من الخوارق لأن معنى ظهور الخارق هو أن يظهر أمر لم يعهد ظهور مثله عن مثله وههنا ليس كذلك لأن كل من باشر الأسباب المختصة به ترتب ذلك بطريق جرى العادة . إلا ترى أن شفاء المرضى بالدعاء خارق وبالأدوية الطبية غير خارق ، وكذلك الطلسم والشعبذة وهذا هو الحق .

وقيل الحق إن السحر قد يكون من الخوارق فإنه ربما يحتاج إلى شرائط ليست مقدورة للبشر كالوقت والمكان ونحوهما . وفيه أنه لا يشترط فى عدم كون الفعل من الخوارق أن يكون جميع شرائطه مقدورة بل يكفيه أن يكون بعد مباشرة الأسباب سواء كانت مقدورة أو لا . ولأنه يلزم كون حركة البطش أيضا من الخوارق لتوقفه على سلامة الأعصاب والعضلات وصحة البدن التى ليست مقدورة للبشر هكذا يستفاد من شرح العقائد النسفية فى بيان كرامات الأولياء .

وقيل إطلاق الخارق على السحر على سبيل المجاز. وقال الإمام الرازى فى التفسير الكبير فى سورة الكهف إذا ظهر فعل خارق للعادة على يد إنسان فذلك إما أن يكون مقرونا بالدعوى أو لا . أما القسم الأول فتلك الدعوى إما أن تكون دعوى الإلهية أو دعوى النبوة أو دعوى الولاية أو دعوى السحر وطاعة الشياطين فهذه أربعة .

الأول ادعاء الألهية ويسمى هذا الخارق الذى يظهر من المتأله بالابتلاء كما فى الشمائل المحمدية وجوز أصحابنا ظهور الخارق على يده من غير معارضة كما نقل عن فرعون من ظهور الخوارق على يده وكما نقل ذلك عن الدجال وإنما جاز ذلك لأن شكله وخلقته تدل على كذبه وظهور الخوارق على يده لا يفضى إلى التلبيس .

والثانى ادعاء النبوة وهذا على ضربين لأنه إما أن يكون المدعى صادقا أو كاذبا فإن كان صادقا وجب ظهور الخوارق على يده وهذا متفق عليه بين كل من أقر بصحة نبوة الأنبياء ، وإن كان كاذبا لم يجز ظهور الخوارق على يده . وبتقدير أن يظهر وجب حصول المعارضة .

وأما الثالث وهو ادعاء الولاية فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا فى أنه هل يجوز ادعاء الكرامة ثم إنها تحصل على وفق دعواه أم لا .

وأما الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشياطين فعند أصحابنا يجوز ظهور الخوارق على يده وعند المعتزلة لا يجوز .

أما القسم الثانى وهو أن تظهر الخوارق على يد إنسان من غير شىء من الدعاوى فذلك الإنسان إما أن يكون صالحا مرضيا عند الله أو يكون خبيثا مذنبا . فالأول هو القول بكرامات الأولياء وقد اتفق أصحابنا على جوازه وأنكرتها المعتزلة إلا أبا الحسن البصرى وصاحبه محمود الخوارزمى . وأما الثانى وهو أن تظهر الخوارق على يد بعض من كان مردودا عن طاعة الله تعالى فيجوز أيضا وهذا وهو المسمى بالاستدراج . ثم قال : اعلم أن من أراد شيئا فأعطاه الله تعالى مراده لم يدل ذلك على كونه وجيها عنده تعالى سواء كانت تلك العطية على وفق العادة أو على خلافها بل قد يكون ذلك إكراما للعبد وقد يكون استدراجا . ومعنى الاستدراج أن يعطيه الله كل ما أراد فى الدنيا ليزداد غيه وضلاله وجهله وعناده فيزداد كل يوم بُعدا من الله وذلك لم تقرر فى العلوم العقلية أن تكرر الأفعال سبب لحصول الملكة الراسخة فإذا مال قلب العبد إلى الدنيا ثم أعطاه الله مراده فحينئذ يصل إلى المطلب ويزيد حصول اللذة والميل وزيادته توجب زيادة السعى ولا يزال تتقوى كل من هاتين الحالتين درجة فدرجة إلى أن تتكامل وتحصل غاية البعد فصاحب الاستدراج يستأنس بذلك ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقا لها فيحتئذ يستحق غيره وينكر عليه ويحصل له أمر من مكر الله وغفلة فإذا ظهر شىء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها استدراج

فإن صاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يصير خوفه من الله أشد وحذره من قهره أقوى وإن كان بحسب الواقع كرامة له ولذلك قال المحققون: أكثر الانقطاع من حضرة الله تعالى إنما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد البلايا وهذا هو الفرق بين الكرامة والاستدراج.

اعلم ان للاستدراج أسماء كثيرة في القرآن أحدها الاستدراج قال ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] وثانيها المكر ﴿ومكروا ومكر الله﴾ [آل عمران: ٥٤] وثالثها الكيد ﴿إن كيدي متين﴾ [الأعراف: ١٨٣] ورابعها الخداع ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢] وخامسها الإملاء ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وسادسا الإهلاك ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ انتهى.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/ ٤٤٤، ٤٤٥).

*** الخازن (-٦٠٣ هـ):**

ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٠٣ هـ وقال عنه:

أحمد بن أبي المعمر يحيى بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله، أبو المعالي البغدادي الخازن.

سمع الكثير من نصر بن نصر العكبري، وابن ناصر، وابن الزاغوني، وأبي جعفر أحمد بن محمد العباسي، ومحمد بن عبيد الله الرطبي، وأقرانهم، ومن بعدهم، وكتب الكثير، فمما كتب: الصحيحان، ومسند أحمد، طبقات ابن سعد، وكتاب الأغاني.

وهو من بيت العدالة والرواية، وهو ابن عم الوزير عبيد الله ابن يونس.

قال ابن النجار: كتبت عنه، وكان صدوقا، حسن الطريقة، عفيفا، دينا، متوددا.

وقال الدبيثي: كان ثقة؛ سمعنا منه الكثير. وتوفي في شعبان.

وروى عنه هو، والنجيب عبيد اللطيف. وأجاز للفخر علي، وأحمد بن شيبان، وجماعة.

ترجم له ابن نقطة في التقييد، الورقة ٤٧؛ وابن الدبيثي في تاريخه، الورقة ١٣٩ (باريس ٥٩٢١)، والمنذري في التكملة ٣/ ١٦٨ ـ ١٧١، وابن الساعي في الجامع ٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤، وابن الفوطي في الملقبين «فخر الدين» من تلخيصه ٤ الترجمة ١٩٨٧، والذهبي في المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي - حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف. ١٨/ ١٢١).

*** الخازن (عبد الرحمن) (- نحو ٥٥٠ / - نحو ١١٥٥م):**

من علماء المسلمين في الرياضيات والفلك.

قال عنه الزركلي: عبد الرحمن الخازن، أو الخازني، أبو الفتح، حكيم فلكي مهندس قال البيهقي: كان غلاما روميا لعلي الخازن المروزي، فنسب إليه. حصَّل علوم الهندسة والمعقولات، وصنف «ميزان الحكمة»، و «الزيج» المسمى بالمعتبر السنجري، نسبة إلى سلطان سنجر. وكان متقشفا بعث إليه السلطان سنجر ألف دينار فأخذ منها عشرة، ورد بقيتها وقال: يكفيني كل سنة ثلاثة دنانير، وليس معي في الدار إلا سنور (الأعلام ٣/ ٣٠٥).

ويضيف البيهقي: وكان عبد الرحمن يأكل اللحم في كل أسبوع ثلاث مرات، ويتغذى كل يوم بجردقين. وبعثت إليه زوجة الأمير لاجي آخور بك الكبير ألف دينار فردها أيضا. وكان يلبس لباس الزهاد، ولا يأكل إلا طعام الأبرار، والحكيم الحسين السمرقندي من جملة تلاميذه.

وله كتاب في ميزان الحكمة، وهذا الميزان منسوب إلى أرشيمدس. وعرض عليه طالع من استخراجي فكتب عليه: أما الحساب فقد حفظ أجزاءه بالموازين، وأما الأعمال فقد ألف بينها وبين المؤامرات، وأما الأحكام فقد جمع فيها بين المنقول والمسموع والمطبوع والله تعالى يطرف عنه عين الكمال (من المجاز: فقأ الله عنك عين الكمال). ومن سعادة هذا الطالع أن مستخرجه كامل في تلك الصناعة متصف بها والسلام. (تاريخ حكماء الإسلام/ ١٦٢، ١٦٣).

ويبسط الأستاذ قدري حافظ طوقان القول في الخازن ويوفيه ما يستحقه من تقدير، ويصحح الأخطاء التي أحاطت باسمه مما ننقله لك فيما يلي. قال رحمه الله:

لا أظن أن عالما أصابه الإهمال «كالخازن»، ولا أظن أن الإجحاف الذي لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم.

فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف، إلى الخلط بينه

وبين علماء آخرين فنسبت آثاره إلى غيره، كما نسبت آثار غيره إليه. وقد وقع فى هذا الخلط والخطأ بعض علماء الغرب، وكثير من علمائنا ومؤرخينا.

قال «درابير» الأميركى:

إن «الخازن» هو «الحسن بن الهيثم»، وأن ما ينسب إلى من يسمى «بالخازن»، هو على الأرجح من نتاج «ابن الهيثم».

وكذلك وقع فى الخطأ الأستاذ منصور حنا جرادف أستاذ الرياضيات العالية بجامعة «بيروت» الأميركية، فى محاضرته عن مآثر العرب فى الرياضيات والفلك، بين «الخازن» و «ابن الهيثم»، يتجلى ذلك فى قوله:

«ومن أشهر المشتغلين بالفلك، والطبيعيات فى «الأندلس»، «أبو الفتوح عبد الرحمن المنصور الخازنى الأندلسى»، الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد، وأوائل القرن الثانى عشر للميلاد. وألف مؤلفاته الشهيرة فى النور وآلات الرصد. وأوضح مقدار الانكسار، وألف فى الفجر والشفق، وعين ابتداء كل منهما وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق».

ونحن هنا أمام خطأين:

الأول: فى اعتبار الخازن من «الأندلس» وهو فى الحقيقة من «مرو»، من أعمال «خراسان».

والثانى: فى أن المآثر التى أوردها الأستاذ ليست «للخازن»، بل هى من نتاج «ابن الهيثم».

وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء، يعود إلى الوضع الأفرنجى للاسمين، فأكثر الكتب الأفرنجية حين تكتب «الحسن بن الهيثم» تكتبه "AL - Hazin"، وحين تكتب الخازن تكتبه "AL- Khazin"، فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد، ولم يدققوا فى حروفهما، مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقوعهم فى الخلط والخطأ.

وسنحاول فى هذه الترجمة أن نبين مآثر «الخازن» فى علم الطبيعة "Physics"، وأثره فى بعض بحوثها، جاعلين نصب أعيننا إنصاف عالم، هو من مفاخر الأمة العربية، ومن كبار عباقرتها، من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة، وساهموا فى خدمتها ورعايتها.

و «الخازن» من علماء النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد، وهو «أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى»، المعروف «بالخازن».

«نشأ فى مرو»، أشهر مدن «خراسان» ودرس فيها، وعلى علمائها نبغ، ولمع فى سماء البحث والابتكار.

اشتغل بالطبيعة، ولا سيما بحوث الميكانيكا، فبلغ الذروة، وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب.

كما وفق فى عمل زيج فلكى سماه «الزيج المعتبر السنجرى» نسبة إلى السلطان «سنجر»، وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥ - ١١١٦م.

وجمع أرصادا أخرى هى فى غاية الدقة، بقيت مرجعا للفلكيين مدة طويلة. ومن الغريب أن قنصل روسيا فى «تبريز»، فى منتصف القرن الماضى، عثر صدفة على كتاب «ميزان الحكمة»، وقد كتب عنه عدة مقالات فى إحدى المجلات الأميركية. ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار «الخازن»، فنجد فى رسائل للأستاذ «ويدمان Wiedman»، فصولا مترجمة عن «ميزان الحكمة»، وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق، كما نجد فى رسائل غيره، مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور، دللوا فيها على فضل «الخازن» فى علم الطبيعة.

ولا بد لى فى هذا المجال، من إبداء دهشتى لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس فى كتاب خاص، ولا أدرى سببا لهذا. ولعل السؤال الآتى يتبادر إلى غيرى أيضا، لماذا نشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى؟

ليس لى أن ألوم علماء أوروبا أو غيرهم فى ذلك، فلقد قاموا بواجبهم نحو «الخازن» أكثر منا، وعرفوا فضله قبلنا، ولا أكون مبالغا إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا «N. Khanikoff»، وبعض المنصفين من المستشرقين والباحثين، لما عرفنا شيئا عن «الخازن»، ولما كان فى الإمكان نشر هذه الترجمة.

وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف، أول عربى أشار إلى بعض محتويات كتاب «ميزان الحكمة» فى كتاب: «علم الطبيعة تقدمه ورقيه ...»، ولكنه لا يذكر شيئا عن المؤلف، بل ولا يذكر أنه «الخازن» ويقول:

«والكتاب لا يعلم مؤلفه . . » ثم يردف هذا القول : إن «درابر» يرجح أنه من تأليف «الحسن بن الهيثم» .

وأظن أن ترجمتنا هذه : أول ترجمة تظهر فى كتاب تبحث فى «الخازن» ، وتزيح الستار عن آثاره وتفيه بعض حقه . والذى أرجوه أن تثير كتابتنا عن «الخازن» ، أساتذة كليات العلوم فى مصر ، فيعملون على إنصاف «الخازن» ونشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين ، فهم أولى الناس بذلك وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل ، ولنا من حماستهم للتراث العربى والإسلامى ، ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة «الخازن» الحافلة المليئة بالإنتاج ، التى أحاطها الإهمال من كل جانب .

(هذا ما نشرناه فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب أبقيناه على نصه . وأخيرا توفق السيد فؤاد جميعان فى الحصول على مخطوط «لميزان الحكمة للخازن» فنقله مع شىء من الشرح ، وظهر سنة ١٩٤٧ فى كتاب تحت اسم «ميزان الحكمة» . وقد وضعنا (مقدمته) بناء على طلب السيد جميعان) .

وضع «الخازن» كتابا فى الميكانيكا سماه «كتاب ميزان الحكمة» ، وهو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة ، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف ، الذى يحتوى على بحوث مبتكرة جليلة لها أعظم الأثر فى تقدم الإيدروستاتيكا .

وقد قال عنه الدكتور «سارطون» :

«إنه من أجلّ الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات ، وأروع ما أنتجته القريحة فى القرون الوسطى . . » .

والذى يطلع على بعض مواد هذا الكتاب ، تتجلى له عبقرية «الخازن» ، وبدائع ثمرات التفكير الإسلامى والعربى .

واعترف «بلتن» فى أكاديمية العلوم الأمركية بما لهذا الكتاب من الشأن ، فى تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب .

لا يجهل طلاب الطبيعة : أن «توريشللى» بحث فى وزن الهواء وكثافته والضغط الذى يحدثه ، وقد مر على بعضهم فى تاريخ الطبيعة أن «توريشللى» المذكور لم يسبق فى ذلك . وأنه أول من وجه النظر إلى مثل هذه الموضوعات ، وبحث فيها وأشار إلى منزلتها وشأنها .

والواقع غير هذا ؛ فلقد ثبت من كتاب «ميزان الحكمة» ، أن من بين المواد التى تناولها البحث مادة الهواء ووزنه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل أشار إلى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل ، وإن وزن الجسم المغمور فى الهواء ، ينقص عن وزنه الحقيقى ، وأن مقدار ما ينقصه من الوزن ، يتبع كثافة الهواء .

وبيَّن «الخازن» أيضا : أن قاعدة «أرخميدس» ، لاتسرى فقط على السوائل كما تسرى على الغازات . وأبدع فى البحث مقدار ما يغمر من الأجسام الطافية فى السوائل .

ولا شك فى أن هذه البحوث ، هى من الأسس التى بنى عليها العلماء الأوروبيون ــ فيما بعد ــ بعض الاختراعات الهامة : كالبارومتر ، ومفرغات الهواء ، والمضخات المستعملة لرفع المياه .

ولسنا هنا ننتقص من قدر «توريشيللى» و «باسكال» و«بويل» ، وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم «الإيدروستاتيكا» خطى واسعة ؛ ولكن مانريد إقراره هو : أن «الخازن» قد ساهم فى وضع بعض مباحث علم الطبيعة ، وأن له فضلا فى هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده . وقد توسعوا فى هذه الأسس ووضعوها فى شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها .

وبحث «الخازن» فى الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة ، واعتمد فى ذلك على كتابات «البيرونى» وتجاربه فيها ؛ وعلى آلات متعددة ، وموازين مختلفة ، استعملها لهذا الغرض .

واخترع «الخازن» ميزانا لوزن الأجسام فى الهواء والماء ، وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرج .

ويقول «بلتن» : إن الخازن استعمل «الأيرومترا» ، لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل .

ومن الغريب أن تجد : أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التى أوردها فى كتابه ، بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد .

وتقدم «الخازن» ببحوث الجاذبية بعض التقدم ، وأضاف إليها إضافات لم يعرفها الذين سبقوه .

ويتجلى من كتاب «ميزان الحكمة» أيضا: أن «الخازن» قال بقوة جاذبة على جميع جزيئات الأجسام، وأن هذه القوة هى: التى تبين صفة الأجسام، وهذه ـ كما لا يخفى ـ نظرية هامة ومفيدة فى التحليل الكيميائى، وهى مفتاح لعديد من خفايا الطبيعة.

وكذلك أوضح الخازن أن الأجسام تتجه فى سقوطها إلى الأرض، وقال: إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام فى اتجاه مركز الأرض.

ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز جاء فى كتاب «علم الطبيعة» ـ تقدمه ورقيه ـ للأستاذ مصطفى نظيف: « ... ومما يثير الدهشة؛ أن مؤلف كتاب «ميزان الحكمة» كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه. وهى العلاقة التى تنص عليها القوانين والمعادلات، التى ينسب الكشف عنها إلى «غاليلو» فى القرن السابع عشر للميلاد ... »

وعلى الرغم من التحريات العديدة، لم أتمكن من العثور على المقتطفات التى تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن فى المصادر التى بين يدى، سواء العربية منها أو الإنكليزية، ولهذا: فمن الصعب أن أحكم على صحة ما جاء عن «الخازن» بشأن هذا العلاقة. وأظن أن العلاقة التى عرفها «الخازن» والتى وردت فى كتابه ـ وهى العلاقة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو الأرض، والبعد الذى يقطعه، والزمن الذى يستغرقه ـ لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التى تنص عليها معادلات «غاليليو»، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة، ودقيقة إلى حد.

وأجاد فى بحوث مراكز الأثقال، وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع بها؛ وقد أحاط بدقائق المبادىء التى عليها يقوم اتزان الميزان والقبان، واستقرار الاتزان، إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام فى الهواء والماء كما مر بنا.

ومن كتاب «ميزان الحكمة»، يتبين كذلك: أن العرب فهموا فعل «الشرقة» وسببها. ووضع الماء فى أنابيب شعرية، لها فتحة واحدة. كما تتجلى الدقة التى وصل إليها على سر العرب فى صنع الموازين، لقياس كثافة الأجسام، وبوساطتها عرفوا الأحجار الكريمة، وميزوها عن أشباهها وملوناتها.

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر «الخازن»، بعد الرجوع الى مصادر عديدة، ونرجو أن تكون هذه الترجمة حافزا لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربى، الذى ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال؛ كما نأمل أن تدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين، إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذى أصابه، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة (تراث العرب العلمى/ ٣٥٠ ـ ٣٥٥).

(الأعلام للزركلى ٣/ ٣٠٥، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى ـ عنى بنشره وتحقيقه محمد كرد على / ١٦٢، ١٦٣، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٣٥٠ ـ ٣٥٥. أنظر ايضا «تراث المسلمين فى ميدان العلوم» د. محمد جمال الدين الفندى. دراسات فى الحضارة الإسلامية م ٢/ ٢٨٣، ٢٨٤، و«من عباقرة العلوم التطبيقية فى الحضارة الإسلامية العربية» ـ د. محمود فيصل الرفاعى مجلة الفيصل. العدد (١٩٠) ربيع الثانى ١٤١٣ هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م/ ٤٩).

*** الخازن (على بن محمد) (٦٧٨ ـ ٧٤١ هـ / ١٢٨٠ ـ ١٣٤١م):**

على بن محمد بن إبراهيم الشيحى علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادى الأصل، نسبته إلى «شيحة» بالحاء المهملة من أعمال حلب. ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها (نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى). وتوفى بحلب.

له تصانيف، منها لباب التأويل فى معانى التنزيل» فى التفسير يعرف بتفسير الخازن (يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية ويأتى بيانه فيما بعد) و «عدة الأفهام فى شرح عمدة الأحكام» مخطوط فى فروع الشافعية، و «مقبول المنقول» مخطوط، الجزء السابع منه، وهو فى عشر مجلدات، فى الحديث. (الأعلام ٥/ ٥).

وفيما يلى بيان مخطوط «لباب التأويل فى معانى التنزيل» كما ورد فى فهرس مخطوطات الظاهرية وهو كما علمت من زيارتى الأخيرة للدار بدمشق قد نقل مع باقى المخطوطات إلى مكتبة الأسد بدمشق:

لباب التنزيل فى معانى التنزيل «تفسير الخازن»

النسخة الأولى - الجزء الأول

الرقم ٥٠٧ تفسير ١١١

المؤلف: علاء الدين أبو محمد على بن محمد بن إبراهيم الشيحى البغدادى الصوفى المعروف بالخازن والمتوفى سنة ٧٤١ هـ.

أوله: الحمد لله الذى خلق الأشياء فقدرها تقديرا، وصور الأشياء فأحسنه تصويرا ومنحه العقل وجعله سميعا بصيرا، وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا ... وبعد: فإن الله جل ذكره ونفذ أمره أرسل رسوله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين.

آخره: «وإنه لغفور» يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته. «رحيم» يعنى بجميع خلقه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم الجزء الأول من كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل. أول الجزء الثانى فى تفسير سورة الأعراف وكان الفراغ من تعليقه فى يوم السبت المبارك رابع عشر صفر الخير من شهور عام ستة وماية وألف من هجرة من له التشريف عليه أفضل الصلاة والسلام على يد فقير رحمة ربه ... عيسى بن موسى السفارى بلدا المالكى مذهبا المصرى وطنا.

أوصاف المخطوط: نسخة عادية من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد فيه أخطاء كثيرة. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الورقة الأولى تالفة ومرممة، بعض الأوراق مصابة بالرطوبة، على الورقة الأولى ترجمة للمؤلف منقولة من كتاب دستور الإعلام بمعارف الأعلام، وقيد وقف الوزير سليمان باشا على مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف. ومخلى بالنقوش المذهبة وهو بحالة جيدة.

٣٧٨ ق   ٢٩,٥ م × ٢٠   ٣٣ س

النسخة الأولى - الجزء الثانى

الرقم ٥٠٨ تفسير ١٢٢

أوصاف المخطوط: جزء النسخة السابقة يبدأ بتفسير أول سورة الأعراف وينتهى بتفسير آخر سورة الفرقان، وقد كتبه عيسى بن موسى الشعارى المالكى فى الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ألف ومماية وستة عشر [وست عشرة] من الهجرة النبوية. كتب الجزء بخط معتاد فيه أخطاء نحوية وإملائية، أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة، وانفرطت أوراقها، على الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا للكتاب على طلبة العلم فى مدرسته. الغلاف من الجلد المزخرف.

٤٤٠ ق   ٢٩,٥ م × ٢٠   ٣٣ س

النسخة الأولى - الجزء الثالث

الرقم ٥٠٩ تفسير ١١٣

أوصاف المخطوط: الجزء الأخير من النسخة السابقة يبدأ بتفسير أول سورة الشعراء وينتهى بتفسير آخر الكتاب، كتبه بخط معتاد ردىء فيه أخطاء إملائية ونحوية. كتبه عيسى بن موسى الشعارى المالكى فى ربيع الآخر سنة ١١١٨ هـ.

أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر.

الأوراق الأولى مصابة بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة.

على الورقة الأولى قيد وقف الوزير سليمان باشا على طلبة العلم فى مدرسته، الغلاف من الجلد المزخرف.

٣٥٩ ق   ٢٩,٥ م × ٢٠   ٣٣ س

النسخة الثانية - الجزء الأول

الرقم ٣٧٠٠

آخره: ﴿وإنه لغفور﴾ يعنى لذنوب أوليائه وأهل طاعته ﴿رحيم﴾ يعنى لجميع خلقه. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. تم الجزء الأول من كتاب لباب التأويل فى معانى التنزيل يتلوه إن شاء الله فى أول الجزء الثانى أول سورة الأعراف ... تبدأ بأول الكتاب وتنتهى بتفسير آخر سورة الأنعام.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى جيد. أسماء السور وألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. خرمت من أولها مقدار اثنتين وثلاثين ورقة، وقد عوض النقص بخط مشابه للأصل. على الورقة الأولى خاتم وقف المرحوم السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ. الغلاف من الجلد المزخرف بنقوش جميلة ولكنه ممزق.

٤٠٢ ق ٣٠ م × ٢٠ ٣٣ س

النسخة االثانية ـ الجزء الثانى

الرقم ٣٧٠١

أولـه : تفسيـر سـورة الأعـراف : مكيـة روى ذلك عن ابن عباس ، وبـه قال الحسن ومجاهد وعكـرمة وعطاء وجـابر بن زيد وقتـادة ، وروى عن ابن عباس أيضا أنهـا مكية إلا خمس آيات .

آخره : ﴿هو مولاكم﴾ أى وليكم ونـاصركم وحـافظكم ، ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ أى الناصر لكم والله أعلم بمراده وأسرار كتـابه . تم الجـزء الثانى ... ويليـه الجزء الثـالث وهو تفسير سـورة قد أفلح المؤمنـون، وهو آخر الأجـزاء من تفسير الخازن .

أوصـاف المخطـوط : نسخـة من القـرن الثـانـى عشـر الهجرى ، تبدأ بسورة الأعراف وتنتهى بتفسير آخر سورة الحج ، كتبت بخط نسخى جيد ، أسمـاء السور وآيات القـرآن الكريـم مكتوبة بالأحمـر ، أحيطت الكتابة بإطارات مرسـومة بالأحمر . بـدأ الحبر يحتـرق فى بعض الأوراق . على الـورقة الأولى قيـد تملك بـاسم وجيه المـؤيد العظـم بن أحمد بن نصـوح باشـا العظم زاده ، ثم قيـد وقف السيد عبـد الله بن كمـال الكزبـرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ . الغلاف من الجلد المزخرف .

٣٩٦ ق ٣٠ م × ٢٠ ٣٣ س

النسخة الثانية ـ الجزء الثالث

الرقم ٣٧٠٢

أولـه : تفسيـر سورة المـؤمنين ، وهى مكيـة ، وهى مـايـة وثمانى عشرة آية وألف وثمانماية وأربعون كلمة ، وأربعة آلاف وثمانماية وحرفان .

آخـره : آخر كتـاب لباب التأويـل فى معانى التنـزيل . تم بحمد الله وعـونه فى يوم الجمعـة المبارك ثانى عشـر جمادى الآخرة من شهـور سنة ألف ومـاية واثنين وعشـرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة ...

أوصاف المخطـوط : الجزء الثالث من النسخة السـابقة ، كتبت بخط نسخى جيد ، أسمـاء السور وآيات القـرآن الكريم مكتوبة بالأحمر ، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر عدا الصفحة الأولـى والثانية فقـد رسم إطاراهمـا بالـذهب ، على الـورقة الأولى قيـد تملك باسم وجيـه بن أحمد المـؤيد سنـة ١٣١٧ وقيد آخر باسم عبد اللطيف بن عبد القادر ، وقيد وقف باسم السيد عبد الله بن كمال الكزبرى تاريخه سنة ١٣٤٨ هـ الغلاف من الجلد المزخرف (فهرس الظاهرية ٣ / ٣٨٠ — ٣٨٤) .

(الأعلام للزركلى ٥ / ٥ ، وفهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . علوم القـرآن الكريم ـ التفسيـر ـ وضعه صـلاح محمد الخيمى ٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨٤) .

* **الخازندار:**

الخازن : كاتب يتولى خزن الغلات وصرفها وعليه سداد ما يعجـز من عهـدتـه . وقد يضـاف إليهـا اللفظ الفـارسى «دار» فتكون «الخازندار» ، وهو الذى يتولى أعمال خزانة السلطان أو الأمير أو غيرهما وفى عهدته ما بها من أموال وغلال .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١١٣ عن صبح الأعشى للقلقشنـدى ٥ / ٤٦٢ ، ٤٦٣ وقـوانين الـدواوين لابن مماتى / ٣٠٦) .

* **الخازندار (جامع ـ) ١٢٠٣:**

قال عنه على باشا مبارك كما كان فى زمانه :

هـذا الجامع فى شـارع درب المـزين بالمـوسكى . أنشأه محمد أغا الخازندار ، ولما مات دفن به ، وعلى تربة تركيبة من الرخام مكتوب عليها آية الكـرسى ، وتاريخ سنة ثلاث ومائتين وألف . وهو مقام الشعائر ، والناظر عليه جلبى سيد أحمد .

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى بـاشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤/ ٢١١) .

* **الخاصكى (جامع ـ):**

من جوامع العراق . يقوم هـذا الجامع اليوم فى محلة رأس القرية ، وهى من محـلات بغداد الشرقية القـديمة المشهورة ، وعلى درب ضيق يوصل بين شارع الـرشيد وشارع المستنصر . أمر بتشييده عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م محمد باشا الخاصكى فدعى باسمه . ولم تمض سنوات قليلة على إكمال بنائه حتى جدد بأمر الوزير أوزون الطـويل إبراهيم باشا . ورمم بعد ذلك مرتين مـرة عام ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٢م حيث جددت زخـارفه . وجدد الجـامع أيضا وكـان ذلك بأمـر محمد بك السـلامشور السلطانى ، ومرة أخرى عـام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م حيث عمر

الجامع حسب رواية وردت بشأن ذلك، ويكشف بناء الجامع اليوم أن التجديدات قد شملت تغيير سقف بيت الصلاة بصورة عامة. ويحتمل جدا أن المئذنة قد أعيد تغطيتها بتشكيلات زخرفية ولكن لا نستطيع أن نحدد تاريخ هذه التغييرات حيث لم تذكر النصوص الخاصة بالتجديد أبعاد عملية التجديد هذه أو الأجزاء التى تم تجديدها. ومثل بقية مساجد بغداد أو العراق فإن التجديدات لم تغير القضايا الأساسية مثل التخطيط أو إعادة البناء بصورة تامة بل اقتصر على إعادة بناء ما قد تهدم أو إضافة أبنية جديدة فى صحن المسجد وإعادة إكساء الأجزاء التى تعرضت كسوتها إلى التخريب.

يشغل جامع الخاصكى قطعة من أرض مربعة الشكل طول ضلعها ٣٥ مترا. ويتألف من بيت للصلاة وصحن ومئذنة مثل أغلب الجوامع العراقية. وتخطيطه لا يختلف فى شيء عن بقية الجوامع المعاصرة إلا أن بشكل بيت صلاته الشتوى مربع طول ضلعه ١٥ مترا ويتألف من أسكوبين وثلاث بلاطات. أما المصلى الصيفى فمستطيل ويتكون من رواق أو أسكوب واحد ينفتح على الحصن بثلاث فتحات أيضا. ونمط تخطيط هذا الجامع يشبه تخطيط جامع النورى فى الموصل. يحتل بيت الصلاة هذه الجزء الجنوبى الغربى من أرض المسجد وشيد البناء بالطابوق والجص وهو متين المظهر سميك الجدران خصوصا بيت الصلاة حيث يبلغ سمك جدرانه ٨٠ سنتيمترا. ويغطى المصلى سقف مستو يستند إلى جسور بنائية تجلس على أربعة أعمدة أسطوانية رخامية تقسم المصلى إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب ويلتصق أحدها فى الجدار الشمالى الغربى والآخر فى الجدار الجنوبى الشرقى. ويقسم خط الأعمدة هذا والمصلى الشتوى إلى ثلاث بلاطات وأستكوبين، كما ذكرنا، ويبلغ عرض كل من البلاطات أربعة أمتار، أما عرض كل من الأسكوبين فيبلغ ٣٠, ٤ أمتار.

يتوسط المحراب جدار القبلة فيه وهو مجوف ذو خمسة وجوه ويغور فى الجدار بمقدار متر واحد فقط وعقد حنيته مدبب، وهو أصيل ويحتمل جدا أن وجوهه الخمسة تشير إلى الصلوات الخمس ونجد مثل هذا المحراب فى عدد من جوامع بغداد. وبيت الصلاة يكاد يخلو من الزخارف وغطيت



(لوح ٦٣) مئذنة جامع الخاصكى

جدرانه بالجص. ويتصل المصلى الشتوى مع بيت الصلاة الصيفى عن طريق ثلاثة أبواب يتوسط أحدها الجدار الشرقى ويقع على الخط المحورى للمحراب. أما المصلى الصيفى فيطل على الصحن بثلاث بوائك ناتجة من صف من أربعة أعمدة رخامية إسطوانية مثل أعمدة بيت الصلاة الشتوى، تجلس على قواعد مربعة. وسقف بيت الصلاة لا تسنده عقود بل هو مستوى مثل سقف بيت الصلاة الشتوى وهو مجدد كما ذكرنا، وهناك محراب يجاور الباب الوسط فى هذا المصلى ويوجد مثل هذا المحراب فى معظم المساجد من هذا الطراز. ويحتضن الصحن بيت الصلاة من الجهة الشمالية الغربية والشمالية الشرقية.

ومئذنة جامع الخاصكى رشيقة فى قوامها جميلة فى مظهرها، تنتصب فى الركن الجنوبى الشرقى من بيت الصلاة وتلتصق به من الخارج وهى متوسطة الطول يرتفع رأسها عن مستوى سطح الأرض ١٥ مترا فقط. ويجلس بدنها الأسطوانى الشكل على قاعدة مربعة طول ضلعها ٥, ٣ مترا والحقيقة أن البدن لا يجلس مباشرة على سطح القاعدة المربع بل هناك مرحلة انتقالية، كما هو الأمر فى مئذنة جامع قمرية، حيث حولت القاعدة المربعة إلى قاعدة دائرية عن طريق تحويل

الشكل المربع إلى شكل مثمن ثم دائرى. ويخترق البدن سلم حلزونى يبدأ من سطح المسجد وينتهى بحوض المئذنة الذى يتصف ببروزه الواضح عن مستوى وجه البدن وجلوسه على ثلاثة صفوف من المقرنصات الجميلة. ورقبة هذه المئذنة طويلة وغليظة نسبيا إذا ما قورنت برقاب بعض مآذن بغداد السابقة. ويتوجها رأس مقبب مضلع مدبب قليلا تبرز حافة أضلاعه قليلا عن مستوى وجه جدار الرقبة حيث يسندها صف من المقرنصات مثل رأس مئذنة جامع المرادية. والحقيقة أن هذه المئذنة قريبة الشبه فى تكوينها المعمارى وبعض عناصرها المعمارية من مئذنة جامع المرادية. ولكنها تختلف عنها فى تقنية التشكيلات الزخرفية التى تحليها (لوح ٦٣).

ومما تجدر الإشارة إلية أن مقرنصات هذه المئذنة جميلة فى تكوينها ولا تتشابه تماما مع أى من مقرنصات أحواض المآذن السابقة. فيتألف الصف الأول منها من سلسلة حنايا ذات وجوه مستوية ورؤوس بارزة جميعها إلى الأمام أيضا ولكن بمستويين مختلفين ومقرنصات الصف الثالث زوجية وفردية، متبادلة مع مقرنصات الصف الثانى حيث تعلو المقرنصة الزوجيه فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث. وتعلو المقرنصة الزوجية فى الصف الثانى مقرنصة فردية فى الصف الثالث. وتبرز رؤوسها جميعا إلى الأمام. وقد تمكن المعمار من إسناد الحوض البارز باستعمال ثلاثة صفوف من المقرنصات تبرز رؤوس جميعها تدريجيا إلى الأمام.

وأبرز ما يميز مئذنة جامع الخاصكى التشكيلات الزخرفية التى تغطى كامل البدن والحوض والمقرنصات والرقبة والرأس وجزء من وجوه المرحلة التحويلية التى تصل البدن بالقاعدة. وتتصف هذه التشكيلات بدقة تكوينها وإتقان تركيبها وتناسقها، وقد عملت من التفنن فى صف الطابوق المزجج وغير المزجج، وتتنوع الأشكال فيها ما بين مضلعات وأشكال هندسية مختلفة وكتابات كوفية فى أوضاع مختلفة تشغل أشكالا هندسية. وجعلت التشكيلات هذه بمستوى واحد واستخدام أكثر من لون فى تزجيج الطابوق. وتتوزع هذه التشكيلات على البدن بهيئة أشرطة ضيقة نسبيا تدور حول بداية البدن وتتوجه ويحصر بينها نطاق واسع يشغل ثلاثة أرباع البدن تقريبا وقد حدد الشريط الأسفل بحافتين مفتولتين بارزتين وشغل بنقشة من زخارف هندسية جميلة. أما البدن فتتكون الوحدة الزخرفية الأساسية فيه من صلبان معقوفة متصلة الأذرع مع بعضها حددت حافاتها بسلاسل من قطع طابوق مربعة مزججة ونثرت أشكال هندسية فى مناطق معينة من هذه التشكيلة وبلون أبيض يتباين بإشراق مع لون حافات الأشكال الصليبية التى جعلت زرقاء نيلية. ويتوج تشكيلات البدن شريط عريض نسبيا إذا ما قورن مع الشريط الأسفل ولكنه مشغول أيضا بنفس التشكيلات التى تشغل الشريط الأول ومحفوف بحزامين مفتولين وبارزين أيضا. وشغلت أيضا حنايا المقرنصات بتشكيلات زخرفية مصنوعة من التفنن فى صف الطابوق المزجج. وأجمل هذه التشكيلات تلك التى تزين الحوض حيث تداخلت الأشكال الهندسية وشغلت ذات الأشكال النجمية الثمانية منها بخط كوفى جميل فى أوضاع مختلفة وتغطى الرقبة نفس الوحدة الزخرفية التى تشغل نطاق البدن ولكن الصلبان المعقوفة نتجت عن خط حافة واحدة لا حافتين وبنفس تقنية نطاق البدن. كما شغلت الفراغات بين امتدادات أذرع هذه الصلبان بنقشة هندسية بلون مزجج أبيض تختلف عن تلك التى تزين نطاق البدن. ويتوج الرقبة شريط مشغول بكتابات بخط كوفى جميل. أما مقرنصات الرأس وأضلاعه فمغطاة أيضا بتحلية زخرفية ناتجة من التفنن فى صف الطابوق.

ومدخل هذا الجامع يقع فى الجدار الجنوبى الشرقى وبناؤه مستطيل الشكل وواجهته مزينة بعقد مطول مفتول مؤطر بشريط مستطيل بارز قليلا عن مستوى وجه العقد ومزين بوحدات زخرفية هندسية. (العمارات العربية الإسلامية فى العراق - د. عيسى سلمان وزميلاته ١/ ٢٤٣ - ٢٤٨).

*** خاصكى سلطان (بيمارستان-):**

بيمارستان باستانبول، أنشىء سنة ١٥٣٩م (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام - د. أحمد عيسى / ٢٧٨).

*** الخاطر:**

من اصطلاحات الصوفية

وهو مايرد على القلب من الخطاب أو الوارد الذى لا تعمُّل للعبد فيه وما كان خطابا فهو على أربعة أقسام: ربانى وهو أول الخواطر ويسميه سهل (هو سهل بن عبد الله

التسترى) السبب الأول ونقر الخاطر وهو لا يخطىء أبدا. وقد يعرف بالقوة والتسلط. وعدم الاندفاع بالدفع؛ وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض وفى الجملة كل مافيه صلاح ويسمى إلهاما. ونفسانى وهو مافيه حظ للنفس ويسمى هاجسا. وشيطانى وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق قال تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] وقال ﷺ: «لمة الشيطان تكذيب بالحق وإيعاد بالشر» (أخرجه الترمذى والنسائى وابن حبان عن ابن مسعود وهو حديث صحيح الجامع الصغير، للسيوطى ١/ ٩٥)ويسمى وسواسا ويعبر بميزان الشرع بما فيه قربة فهو من الأولين وما فيه كراهة أو مخالفة شرع فهو من الآخرين.

ويشتبه فى المباحات فما هو أقرب إلى مخالفة النفس فهو من الأولين وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النفس فهو من الآخرين. والصادق الصافى القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله وتوفيقه.

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كما الدين عبد الرزاق القاشانى - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر — ١٥٨، ١٥٩).

* **الخافض الرافع جل جلاله:**

هما من أسماء الله الحسنى التى لا يطلق أحدهما عليه تعالى إلا مقترنا بما يقابله، وقد أوضحنا ذلك فى مادة «أسماء الله الحسنى» فى م ٤/ ٤٧٥ فانظره فى موضعه.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى: الخافض الرافع

هو الذى يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد ... يرفع أولياءه بالتقريب، ويخفض أعداءه بالإبعاد. ومن يرفع مشاهدته عن المحسوسات والمتخيلات، وإرادته من ذميم الشهوات ـــ فقد رفعه إلى أفق الملائكة المقربين. ومن قصر مشاهدته على المحسوسات، وهمته على ما يشاركه فيه البهائم من الشهوات ـ فقد خفضه إلى أسفل السافلين. ولا يفعل ذلك إلا الله تعالى؛ فهو الخافض الرافع.

[تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يرفع الحق، ويخفض الباطل. وذلك بأن ينصر المحق، ويزجر المبطل. فيعادى أعداء الله ليخفضهم، ويوالى أولياء الله ليرفعهم. ولذلك قال تعالى لبعض أوليائه: «أما زهدك فى الدينا فقد استعملت به راحة، وأما ذكرك إياى فقد تشرفت بى. فهل واليت فىّ وليًّا؟ وهل عاديت فىّ عدوا؟..»

(تمام الحديث: «أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء أن قل لفلان العابد: أما زهدك فى الدنيا فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلى فتعززت بى، فماذا عملت فيما لى عليك؟ قال: يا رب: وماذا لك على؟ قال: هل عاديت فى عدوا؟ أو هل واليت فى وليا. رواه أبو نعيم فى الحلية، والخطيب فى التاريخ، عن ابن مسعود انظر ضعيف الجامع الصغير). (المقصد الأسنى/ ٨٢، ٨٣).

ويقول الإمام الفخر الرازى فى تفسير اسمى الله تعالى الخافض الرافع:

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ [المجادلة: ١١] والخفض والرفع معناهما معلوم. فإن كانا فى الدين فهما الإضلال والإرشاد، إما فى المعرفة أو فى الطاعة، وإن كانا فى الدنيا فهما إعلاء الدرجات وإسقاطها، ومنه قوله تعالى فى صفة القيامة ﴿خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ٣] أى خافضة للكفار فى أسفل الدركات، ورافعة للأبرار أعلى الدرجات.

واعلم أنا إن حملنا الرفع والخفض على هذا كانا من صفات الأفعال، ومنهم من فسرهما بالذم والمدح، وعلى هذا المعنى يكونان من صفات الذات.

رأى المشايخ فى هذين الاسمين: أما المشايخ فقالوا: خفض قوما لأنه ذكرهم فى الأزل بالإهانة، ورفع آخرين لأنه ذكرهم بالإعانة.

أما حظ العبد: فهو أن يرفع جانب الروح، ويخفض جانب النفس، أو ينصر أولياء الله، وينازع أعداء الله (شرح أسماء الله الحسنى/ ٢٣٦، ٢٣٧).

وقد أورد الشيخ أحمد عبد الجواد كلا من الاسمين على حدة، فقال عن «الخافض جل جلاله»:

الخافض جل جلاله: هو اسم من أسماء الله الحسنى.

وقد وردت فى القرآن الكريم معانى لاسم الله «الخافض جل جلاله»:

وقال الله تعالى: ﴿يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن﴾[الرحمن: ٢٩] أى أنه يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين.

ولذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بقوله الكريم:

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وكذلك نبه الله جل جلاله عباده إلى البر بالوالدين.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقد ذكر الله سبحانه بقوله الكريم: ﴿إذا وقعت الواقعة* ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة﴾ [الواقعة: ١ ـ ٣].

تنبيها لعباده بأنه إذا قامت القيامة فهى تخفض أقواما بدخولهم النار وترفع أقواما بدخولهم الجنة.

وحظ العبد من اسم ربه (الخافض جل جلاله): قالوا من قرأه خمسمائة مرة قضيت حاجته وكفى ما أهمة، ومن كرره ألف مرة أمن من جميع الأعداء، والله أعلم.

ثم قال عن « الرافع جل جلاله » وهو الاسم الرابع والعشرون من أسماء الله الحسنى.

الرافع جل جلاله: هو اسم من أسماء الله الحسنى التى وردت فى حديث النبى ﷺ فى كتابنا.

وقد ورد فى القرآن الكريم ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ [غافر: ١٥].

ومعناه عظيم الصفات المستحق لدرجات المدح والثناء وليس لأحد من خلقه هذه الصفة وهو من الذى يرفع أولياءه ويعزهم وينصرهم.

ومن اسم «الرافع جل جلاله» اشتق الرفع.

قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣]

قال الله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]

أى أنه جل جلاله رفع ذكر النبى ﷺ فى الأرض وفى السماء.

وقال الله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ [مريم: ٥٧]

أى أن الله تعالى رفع نبيه «إدريس» عليه السلام بعد موته إلى السماء الرابعة أو ما فوقها.

وقال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقد نبه الله عباده بقوله الكريم: تكريما لنبيه ﷺ:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [الحجرات: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]

كما أنه سبحانه وتعالى وصف لنا الجنة بقوله الكريم:

﴿فيها سرر مرفوعة﴾ [الغاشية: ١٣]

﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٣٤]

فسبحانه من إله عظيم ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ يرفع قوما ويخفض آخرين.

وحظ العبد من اسم ربه «الرافع جل جلاله» أن يدعو به الداعى لرفع شأنه وذكره وإعلاء قدره مع المقربين الشهود. وقالوا: من قرأه سبعين مرة أمن من الظلمة والمتمردين.

ومن قاله أربعمائة وأربعين مرة فى يوم الإثنين أو فى ليلة الجمعة بعد المغرب أو بعد العشاء كانت له هيبة بين الخلائق. والله أعلم (ولله الأسماء الحسنى/ ٧٣-٧٦).

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٨٢، ٨٣، وشرح أسماء الله الحسنى، وهو الكتاب المسمى «لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام فخر الدين الرازى - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٣٦، ٢٣٧، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد، قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ٧٣ - ٧٦).

* **الخافضة الرافعة (يوم-):**

قال الإمام القرطبى فى تذكرته: الخافضة الرافعة أى ترفع قوما فى الجنة وتخفض آخرين فى النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة والعز والإهانة،

ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفى التنزيل ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات وجعل أعداءه فى أسفل الدركات قال الله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦] وقال ﷺ فى حديث جابر رضى الله عنه «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس» قال ابن العربى وهذا حديث فيه تخليط فى كتاب مسلم لم يتقنه راويه، ومعناه: أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمدا ﷺ وأمته فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنه، وفى رواية: أكون أنا وأمتى يوم القيامة على تل فيكسونى ربى حلة خضراء، ثم يؤذن لى فذلك المقام المحمود.

أنواع الرفع

قلت: وهذا الرفع فى المكان بحسب الزيادة فى المكانة. قال ابن العربى: وهى أنواع فرفع محمدا ﷺ بالشفاعة فى أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها، ورفع العادلين بالحديث الصحيح «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم. «يقال: اقرأ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وسيأتى ورفع الشهداء فقال فى الحديث الصحيح «إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله» الحديث، ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة» وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد فى الجوار وقال ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغائر فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» ورفع عائشة على فاطمة رضى الله عنهما، فإن عائشة مع النبى ﷺ وفاطمة مع على رضى الله عنهما.

(التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى - حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر. ط دار الغد العربى / ٢٦٧، ٢٦٨).

* **الخاقان:**

تعريب لقب «قاغان» التركى الذى كان يطلق على ملوك من تسموا بالأتراك فى القرنين السادس والسابع من الميلاد. وأصل اللقب «قان قان» أى «قان القان» أو «قان القانات».

وقد دخل هذا اللقب فى الإسلام فأطلق على رؤساء الترك من المسلمين. ومن أقدم استعمالاته على النقود الإسلامية وروده على سكة من بخارى يغلب على الظن أنها من عصر الأمين أو المأمون؛ وربما أشار اللقب فيها إلى عاهل إحدى قبائل التغزغز فيما وراء النهر.

واستمر هذا اللقب يطلق على خانات تركستان، وينقش على نقودهم. ومن أمثلة ذلك وروده على سكة بتاريخ سنة ٤٠٤ هـ من بخارى تحمل اسم القادر بالله ويرمز اللقب فيها إلى شرف الدين توغان أو أحمد بن على من خانات تركستان، وعلى قطعتين من العملة بتاريخ سنة ٤٠٥ هـ: إحداهما من بخارى كذلك، والأخرى من الصغد، وهى خاصة بأحمد بن على؛ وعلى سكة بتاريخ سنة ٤٥٧ هـ من أوزكند خاصة بتنغج خان إبراهيم؛ وكذلك على سكة خاصة بأحمد الثانى ابن خسروخان (سنة ٤٧٢ - سنة ٤٨٨ هـ).

وقد انتقل هذا اللقب مع الأتراك الذين استأثروا بالسيادة فى بعض نواحى العالم الإسلامى فأطلق على علاء الدولة أبى سعد مسعود فى نص إنشاء من سنه ٥٠٨ هـ على برج مسعود فى غزنة، وعلى أبى الفتح طغرل السلطانى فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠ هـ فى بارى دركاه فى بهار فى الهند؛ كما ورد فى نص إنشاء من سنة ٦٧٠ هـ فى جوك مدرسة فى سيواس فى تركيا: «اللهم أيد وانصر عبدك وخليفتك السلطان الأعظم والخاقان المعظم، مولى ملوك العرب والعجم، ظل الله فى العلم، أدام الله دولته وسلطنته إلى يوم القيامة».

وفى عصر ملوك المغول صار لقب «خاقان» أو «قان» يطلق على رئيس الأسرة المغولية صاحب السيادة العليا على كافة ولاة المغول فى أنحاء العالم، بينما تلقب الولاة الفرعيون بلقب «خان» (انظر «الخان»). وقد أطلق هذا اللقب على مانجو أحد الخانات العظام فى سكة من استراباد؛ ثم استعمل بعد ذلك للمغول فى إيران، والتيمورية كما تشير إلى ذلك نقودهم.

هـذا وقـد دخل هذا اللقب مصر فى عصر المماليك: فأطلق كلقب فخرى على السلطان الأشرف قايتباى فى نقش بتاريخ سنة ٨٨٥ هـ فى وكالة باب النصر، وفى آخر فى وكالة السروجية وفى ثالث بصيغة النسبة: «الخاقانى» فى نص بتاريخ سنة ٩٠١ هـ فى ضريح الأمير يعقوب شاه (ست نصره). وإطلاق هذا اللقب على سلاطين المماليك يتصل بادعائهم أحقية السيادة على العالم الإسلامى عربه وعجمه؛ ومما له دلالته أن هذا اللقب فى النصوص السابقة الخاصة بالسلطان قايتباى كان يلحق بلقب آخر يشير إلى السيادة على العرب والعجم والترك.

وكان يغلب وصف «الخاقان» بصفات أهمها «الأعظم» و «العادل» و «المعظم». وكان يقال أيضا «خاقان البحرين» أو «الخاقان ابن الخاقان».

وقد أطلق لقب «الخاقان» كنعت فخرى خاص على موسى بن سلم وهو جد الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وقد نعت بذلك لتقريبه الغلمان الترك

. (الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧١ ـ ٢٧٣).

*** ابن خاقان:**

انظر: الفتح بن خاقان

*** الخاقانى (الجوسق ـ):**

انظر مادة «الجوسق الخاقانى» فى م ١٢ / ٥١٨ ـ ٥٢٥

*** خالد الأزهرى (٨٣٨ـ٩٠٥ هـ / ١٤٣٤ـ١٤٩٩م):**

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجاوى الشهير بالأزهرى أحد مشاهير علماء النحو والإعراب فى القرن التاسع الهجرى درس اللغة العربية فى رحاب الأزهر الشريف وحفظ عددا من المتون وبرع. فى عدد من الفنون وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها:

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن أحمد الجرجاوى الأزهرى الشافعى وغلبت شهرته بالأزهرى إذا كان الانتساب إلى الأزهر فى ذلك الزمان شرفا يغطى على النسب الخاص للشخص، وحتى مؤلفاته العلمية فى النحو سمى بعضها أو أضاف إليها كلمة الأزهرية تحقيقا لهذا الشرف (الكتاب التذكرى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ. مارس سنة ١٩٨٣ م مقال الأزهر المعجزة الجامعة الرباط لسماحة الشيخ عبد الله كنون)

مكان مولده وأصل محتده:

ولد الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى بمدينة جرجا من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا ونشأ فى كنف والديه وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم وقرأ العمدة ومختصر أبى شجاع وعمل فى شبابه بالوقادة فى الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت فى أروقة الأزهر فى ذلك العصر واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره.

حادثة تعرض لها غيرت مجرى حياته إلى الوجهة العلمية:

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى الفتائل بالأزهر سقطت فتيلة على كُراس أحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب وشتمه وعيره بالجهل وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى الوقادة واشتغل بطلب العلم وهو فى تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجدَّ واجتهد وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة.

شيوخه الذين تتلمذ عليهم:

تتلمذ الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى على عدد من شيوخ الأزهر ودرس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم.

١ ـ الشيخ السنهورى قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصرى.

٢ ـ الشيخ الأمين الأقصرائى قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته.

٣ ـ الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعانى والصرف والمنطق والأصول والبيان.

٤ ـ الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب.

٥ ـ الشيخ يعيش المغربى نزيل سطحه قرأ عليه فى العربية.

٦ ـ وقرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإبناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم (من أعلام الأزهر / ٧٧ ـ ٧٩).

ولازم تغرى بردى القادرى فقرره فى المسجد الذى بناه الدوادار نجان الخليلى ومشى حاله به وبغيره قليلا وتنزل فى سعيد السعداء (خانقاه نوردها فى موضعها إن شاء الله تعالى) وغيرها (الضوء اللامع ٣/ ١٧٢).

مؤلفاته العلمية:

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى فألف عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفا أشهرها الكتب الآتية:

١ - التصريح بمضمون التوضيح.

وهو شرح على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين العليمى فى مجلدين وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه: «إنه لم يصنف مثله» (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد)

٢ - الحواشى الأزهرية - وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد.

٣ - المقدمة الأزهرية فى علم العربية.

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى، كما شرحها الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية.

٤ - الزبدة فى شرح البردة.

وهو رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى وقد شرحها شرحا مفصلا ثم اختصره.

٥ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب.

وهو شرح قواعد الإعراب لابن هشام.

٦ - شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين.

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى.

٧ - القول السامى على كلام ملا عبد الرحمن الجامى فى النحو.

٨ - تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب وهو إعراب لألفية ابن مالك. (يأتى بيان مخطوطه فيما بعد).

٩ - الألغاز النحوية.

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يعدها النحاة من الألغاز التى تحل بالذكاء.

١٠ - تفسير آية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥]

وفاته:

توفى الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ببركة الحاج خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام، وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ ميلادية (من العلماء الرواد/ ٧٧ - ٨١، و «من أعلام الأزهر/ ٨٠٤ - ٨٠٦).

أما عن المخطوطات فيوجد مخطوط «التصريح بمضمون التوضيح» فى خزانة القرويين بمدينة فاس وجاء بيانه كما يلى:

سفر واحد ضخم بخط مشرقى المتن فيه مكتوب بالأحمر مبتور من أوائله وأواخره الموجود الآن منه: من فصل المبتدأ والخبر إلى باب التصريف عند قول ابن هشام: وللخماسى المجرد أربعة ... وبآخره ثمان أوراق من باب النسب بخط مغربى غير متصلة بالأصل (فهرس القرويين ٢/ ٣٠)

أما مخطوط كتاب «تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب» فتوجد نسخ منه فى الأماكن التالية:

١ - مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل وجاء بيانه كما يلى:

الناسخ: ابن درويش محمد على الهدرانى سنة ١٠٦٦.

ق - ٢٠ × ١٥

و - ٢٣٥ (فهرس مخطوطات الموصل ٨/ ٩١)

٢ - مكتبة لامبروزيانا بميلانو: أدرج فى الفهرس تحت الرقم التسلسلى ١٥٢ D372 وتحت عنوان «موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب».

٦٠ ورقة تقريبا كتب سنة ١١٤٣ هـ.

ووردتا هذه الملاحظة: طبع باسم تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب (الفهرس/ ٨٥، ٨٦).

٣ - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وجاء بيان المخطوط كما يلى:

رقم الحفظ: : ٢٠٨ ـــ ف. الفن: نحـــو. عنـــوان

المخطوطة: تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب. عنوان المخطوط الفرعى: تمرين الطلاب. اسم المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبى بكر، الجرجاوى، الأزهرى، اسم الشهرة: خالد الأزهرى. تاريخ. وفاته: ٩٠٥ / ١٤٩٩ م القرن ١٠ هـ / ١٥ م.

بداية المخطوطة: يقول الفقير إلى عفو ربه.. الحمد لله الذى رفع قدر من أعرب بالشهادتين ونصب الدليل على وجود ذاته. بسم جار ومجرور متعلق بمحذوف اتفاقا قدَّره البصريون.

نهاية المخطوطة: للمفعول فى موضع نص للنبى وآله معطوف على محمد.. جمع اخر نعت أول لآله والكرام جمع كريم نعت ثانى [ثان] لآلة والبررة.

نوع الخط: نسخ واضح. تاريخ النسخ: القرن ١١ هـ / ١٧ م. عدد الأسطر: ٢٩ س.

ملاحظات عامة: النسخة ناقصة من آخرها كما أن الورقة الأولى أثرت عليها الإصابة وأضاعت جزءا من النص (فهرس المصورات الميكروفيلمية / ١٧١).

(من العلماء الرواد فى رحاب الأزهر ــ المستشار محمد عزت الطهطاوى / ٧٧ ــ ٨١، و «من أعلام الأزهر فى القرن التاسع الهجرى ـ للمؤلف نفسه. مجلة الأزهر. الجزء السابع، السنة الحادية والستون، رجب ١٤٠٩ هـ ـ فبراير ١٩٨٩ / ٨٠٤ ـ ٨٠٦، فهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد الفاسى ٢/ ٣٠، والمدرسة الرضوانية فى النحو. فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل ـ سالم عبد الرزاق أحمد ٨/ ٩، وفهرس المخطوطات العربية فى الأمبروزيانا بميلانو، معهد المخطوطات العربية ـ وضعه د. صلاح الدين المنجد جـ ٢ ق ١ القاهرة ١٩٦٠/ ٨٥، ٨٦، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م/ ١٧١. انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢/ ٢٩٧، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد طنطاوى / ٢٩٠، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزى ـ حققه وضبط نصه د. جبرائيل سليمان جبور ١/ ١٨٨).

*** خالد أبى بهاء الدين (تكية ـ):**

من تكايا مدينة دمشق تكية خالد أبى بهاء ضياء الدين النقشبندى الدمشقى: وتقع فى الصالحية فى محلة الأكراد أقيمت له سنة ١٢٤٢ هـ بعد وفاته، وكان ذلك بأمر من السلطان عبد المجيد. واشتمل بناؤها على قبة فوق ضريحه ثم مسجد وعدد من المقصورات للمريدين المتجردين ومطبخ وبركة ماء عظيمة.

(مجتمع مدينة دمشق ـ د. مدينة دمشق ـ د. يوسف جميل نعيسة ـ/ ١٦٣).

*** خالد بن سعيد بن العاص (ـ ١٤ هـ/ ـ ٦٣٥ م):**

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابى من الولاة الغزاة قديم الإسلام أسلم ورسول الله ﷺ يبث الدعوة للدين سرا، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين فى الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ يصلى معه فى نواحى مكة خاليا، فبلغ ذلك أبا أحيحة، وهو أبوه (وكان من خصوم الإسلام الأشداء) فدعاه وكلمه فى أن يدع ماهو عليه، فأبى، فضربه أبو أحيحة بعصًا كانت فى يده حتى كسرها على رأسه، ثم حبسه بمكة وضيق عليه وأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام، وهو صابر.

ثم هاجر إلى الحبشة فأقام بضع عشرة سنه، وعاد سنة ٧ هـ، فغزا مع النبى ﷺ وحضر فتح مكة ثم وقعة تبوك. وكان يكتب للنبى ﷺ بمكة والمدينة. وهو الذى خط كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف ومشى بالصلح بينهم وبين النبى ﷺ. ثم بعثه رسول الله عاملا على اليمن، فأقام إلى أن استخلف أبو بكر فعزله عن اليمن ودعاه إليه، فجاءه، وخرج مجاهدا فشهد فتح أجنادين (قرب الرملة فى فلسطين. انظر مادة «أجنادين (موقعة ـ)» «فى م ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧) سنة ١٣ هـ، ثم شهد وقعة مرج الصفر (قرب دمشق) فقتل فيها ولعمرو بن معدى كرب قصيدة يمدحه بها (الأعلام ٢/ ٢٩٦).

وقد أورده الإمام ابن حُديدة فيمن أحصى من كُتَّاب رسول الله ﷺ، ومما قاله عنه أنه كان أول من كتب لرسول الله ﷺ، وقيل: أول من كتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ... ثم قال:

وكان سبب إسلامه أنه رأى فى المنام أنه وقف على شفير جهنم وكأن أباه يدفعه فيها ورسول الله ﷺ آخذ بحقويه لا يقع فيها؛ ففزع وقال: أحلف بالله أنها لرؤيا حق، فلقى أبا بكر فقال له ذلك، فقال له أبو بكر: أريد بك الخير، فلقى

رسول الله ﷺ بأجياد (موضع بمكة مما يلى الصفا) فأسلم؛ فعلم والده بذلك فضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ... إلخ مما سبق ذكره.

قتل خالد بأجنادين يوم السبت سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبو بكر بأربع وعشرين ليلة. وقيل: بمرج الصفر سنة أربع عشرة فى صدر خلافة عمر.

وكتب خالد بن سعيد كتابا عن رسول الله ﷺ إلى بنى عمرو ذى حمير يدعوهم إلى الإسلام ـ قاله ابن عبد البر والله أعلم (المصباح المضى ١/ ٩٠، ٩١).

وذكر البغوى قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد، قال: حدثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه عن خالد بن سعيد أنه أتى النبى ﷺ، وعليه خاتم من فضه مكتوب عليه «محمد رسول الله» قال: فأخذه منى فلبسه، وهو الذى كان فى يده (انظر مادة «خاتم رسول الله ﷺ»).

وقال خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد: أخبرنى أبى أن أعمامه: خالدا، وأبانا وعمرا، بنى سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا. ثم مضوا إلى الشام فقتلوا جميعا.

وكان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء وخيبر وقرى عربية. ويقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد فيها رجل من بنى سعيد بن العاص ميتا (الاستيعاب ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣).

(الأعلام للزركلى ٢/ ٢٩٦، والمصباح المضى فى كتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وعجمى للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد ابن على بن أحمد بن حديدة الأنصارى ـ صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ١/ ٩٠، ٩١، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣، انظر أيضا تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ـ عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشى حسام الدين القدسى ٣/ ٥٨، ٥٩).

*** خالد بن الهياج:**

أول من كتب المصاحف فى الصدر الأول، ووصف بحسن الخط، وكان سعد نصبه لكتابة المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وخالد هذا قيل إنه هو الذى كتب عددًا من سور القرآن الكريم على جدران المسجد النبوى بالمدينة. كتب مصحفا خاصا للخليفة عمر بن عبد العزيز فأقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فرده إليه. وذكر أن ابن الهياج من أبرز المجودين فى العصر الأموى بعد قطبة المحرر (نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش/ ٢٧٤ عن الفهرست لابن النديم/ ٩، ١٠، وتاريخ الخط العربى وآدابه/ ٣٢٥).

*** خالد بن الوليد (ـ٢١ هـ/ ـ٦٤٢ م):**

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلا فجعل الناس يمرون؛ فيقول رسول الله ﷺ: من هذا يا أبا هريرة فأقول: فلان. فيقول: نِعْم عبد الله هذا؛ ويقول: من هذا؟ فأقول: فلان. فيقول: بئس عبد الله هذا. حتى مر خالد ابن الوليد رضى الله عنه. فقال: من هذا؟ فقلت: خالد بن الوليد. قال: نعم عبد الله، هذا سيف من سيوف الله تعالى أخرجه الترمذى (تيسير الوصول ٢/ ٢٢٥).

خالد بن الوليد الصحابى رضى الله عنه مذكور فى أطعمة المهذب والطلاق والسير وحد الخمر وصلاة الخوف من الوسيط وغيرها هو أبو سليمان وقيل أبو الوليد خالد بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى المخزومى سيف الله. أمه لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها ولبابة الكبرى امرأة العباس (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٢، ١٧٣).

وكان خالد أحد أشراف قريش فى الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة فى الجاهلية.

فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الإعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش فى الحروب. ذكر ذلك الزبير.

واختلف فى وقت إسلامه وهجرته، فقيل: هاجر خالد بعد الحديبية. وقيل: بل كان إسلامه بين الحديبية وخيبر. وقيل: بل كان إسلامه سنة خمس بعد فراغ رسول الله ﷺ من بنى قريظة. وقيل: بل كان إسلامه سنة ثمان مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة (الاستيعاب ٢/ ٤٢٧) قال صاحب الرياض المستطابة: كان إسلامه بين الحديبية وخيبر وقبل غزوة مؤتة بشهرين، وكان الفتح فيها على يديه (الرياض المستطابة).

وكان من المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة ثبت فى صحيح البخارى عنه قال لقد اندق فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت فى يدى إلا صفيحة يمانية. قال الزبير بن بكار وغيره كان خالد هو المقدم على خيول قريش فى الجاهلية ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون فى مقدمتها وشهد فتح مكة فأبلى فيها وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى فهدمها وكانت بيتا عظيما لمضر تبجله (تهذيب ١/ ١٧٣) ولقريش وكنانة ولما هدمها جعل يقول:

يا عُزَّ كُفرانك اليوم لا سُبحانك

إنى رأيت الله قد أهانك

قال ابن عبد البر: لا يصح لخالد بن الوليد مشهد مع رسول الله ﷺ قبل الفتح (الاستيعاب ٤/ ٤٢٨ والتهذيب ١/ ١٧٣) أما صاحب الرياض المستطابة فيقول:

ولا يصح له مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مشهد قبل غزوة مؤتة. وكان على مقدمة خيل رسول الله عليه وآله وسلم فى بنى سليم يوم حنين، وجرح يومئذ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بين الرجال ويقول: «من يدلنى على رحل خالد» حتى وقف عليه. فنفث فى جرحه فبرأ خالد. وقد أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب دومة الجندل، فقتل أخاه وأسره وأحضره عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فصالحه الرسول على الجزية. وأرسله رسول الله ﷺ سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بن مذحج فقدم معه رجال منهم، فأسلموا ورجعوا إلى قومهم بنجران.

ثم إن لخالد الأثر العظيم فى قتال أهل الردة وفتوح الشام والعراق. وذلك أن أبا بكر كان بعثه إلى العراق فافتتح الأبلّة، وأغار على السواد وحاصر عين التمر، وأرى الفرس ذلا وهوانا. ثم إنه خرق البرية ولحق بجيوش المسلمين فى الشام وفتوح خالد ومشاهده وشجاعته معلومة بالاستفاضة. وكان فى قلنسوته شعرات من شعر ناصية رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم يستفتح بها فى حروبه فيفتح عليه. ولما حضرته الوفاة قال: لقد حضرت مائة زحف أو نحوها، وما فى بدنى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشى؛ فلا نامت أعين الجبناء. وما من عمل أرجى عندى من لا إله إلا الله وأنا مترس بها من النار.

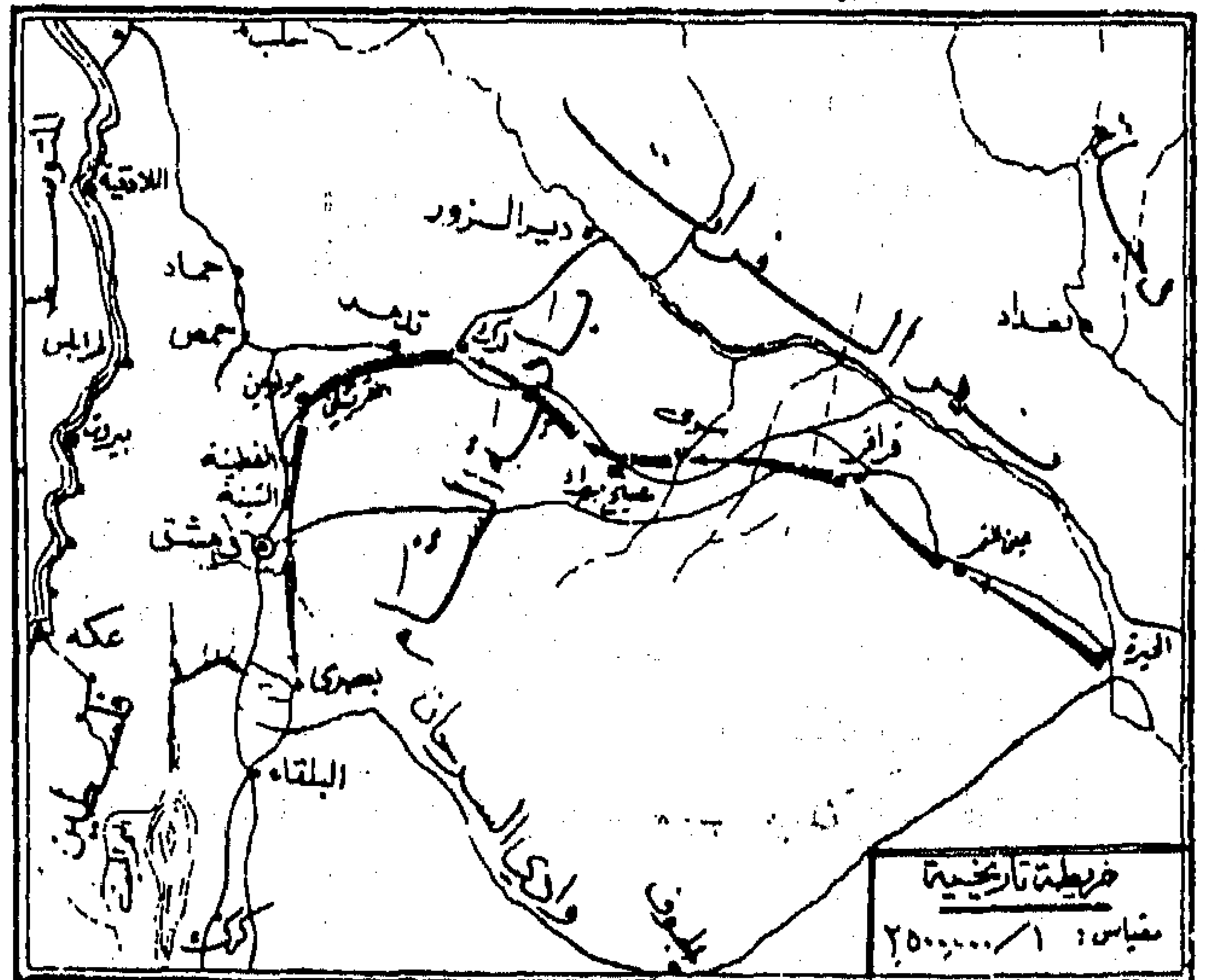
روى خالد فى الصحيحين حديثين، أحدهما متفق عليه، والآخر للبخارى وهو موقوف، وخرج عنه الأربعة خلا الترمذى. روى عنه ابن عباس، وعلقمة، وجبير بن نفير. وقد توفى بحمص سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر (الرياض المستطابة/ ٦٢، ٦٣ وقبره مشهور على نحو ميل من حمص. تهذيب الأسماء ١/ ١٧٤) وأوصى إلى عمر. ولما بلغ عمر أن نساء بنى المغيرة اجتمعن فى دار يبكين على خالد قال عمر: ما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة (الرياض المستطابة / ٦٢، ٦٣).

أراد رضى الله عنه بالنقع حثى التراب على رؤوسهن عند المصائب، واللقلقة أراد به النياحة. قال: ولم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر خالد - يقول حلقت شعرها. ذكره ابن شبة فى كتابه قاله ابن عبد البر فى ترجمة أُبى بن كعب - رضى الله عنهم (المصباح المضى ١/ ٩٣) كما ذكره فى الاستيعاب ٢/ ٤٣١.

ولما حضرته الوفاة حبس فرسه وسلاحه فى سبيل الله. وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «إن خالدا احتبس أدراعه وأعتده فى سبيل الله» وفضائله كثيرة مشهورة رضى الله عنه (تهذيب ١/ ١٧٤).

وتأمر ولده «المهاجر» مع على وعبد الرحمن مع معاوية،

الطريق التي سلكها خالد فى مسيره من العراق الى الشام *



((معارك خالد بن الوليد - ياسين سويد))

وانقرض ولده ولم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة رضى الله عنهم أجمعين (الرياض المستطابة / ٦٤).

وقد بهرت شجاعة خالد بن الوليد وانتصاراته الساحقة الشعراء المسلمين على مر العصور فصاغوها نظماً تحفظه الأجيال، ومن روائع ما قيل فيه من شعر ما نظمه أمير الشعراء أحمد شوقى فى أرجوزته التاريخية «دول العرب وعظماء الإسلام». وقبل أن ننقلها لك نسوق مثالا لشجاعته ومهارته الحربية فى معارك الشام من منظور العسكرية الحديثة ومن حيث اختياره طريق المفازة المعروفة بالسماوة، ذلك الاختيار الذى كان عملا عظيم الشأن فى تاريخ الحروب، وهو الذى أشار إليه شوقى فى البيت رقم ٤٠ من أرجوزته.

يقول الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى تحت عنوان «خالد بن الوليد فى الشام»:

علم قادة المسلمين بأمر حركة الروم فكتبوا إلى الخليفة الصديق رضى الله عنه فأرسل الإمدادات وكتب فى الوقت ذاته إلى خالد بن الوليد كتابا يقول له فيه «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن أبى قحافة إلى خالد بن الوليد سلام عليك أما بعد فإنى أحمد الذى لا إله إلا هو وأصلى على نبيه محمد ﷺ وإنى قد وليتك على جيوش المسلمين وأمرتك بقتال الروم وأن تسارع فى مرضاة الله عز وجل وقتال أعداء الله وكن ممن يجاهد فى الله حق جهاده» (فتوح الشام للواقدى ١/ ٢٤).

انصرف خالد بن الوليد لتنظيم قواته من أجل التحرك إلى الشام وانطلق بقوة خمسة آلاف فارس وكان أمام خالد أربع اختيارات فى سلوك الطريق ليقطع المسافة بين الحيرة فى العراق وبصرى فى الشام بأقل ما يمكن من الوقت والمسافة بينهما لا تقل عن ستمائة ميل (٩٦٥ كم) والاختيارات الأربعة هى: -

١ - الطريق الأول: عين التمر - قراقر - سوى - إراك - تدمر الغوطة - بصرى.

٢ - الطريق الثانى: الفلوجة - هيت - دير الزور - تدمر - حمص - القطيفية - دمشق - بصرى.

٣ - الطريق الثالث: عين التمر - هيت - كبيسة - بئر اللوحة - أبى الشامات - الفجر - عذراء الغوطة - بصرى.

٤ - الطريق الرابع: الحيرة - وادى حوران - الجوق - الزرقاء اليرموك - بصرى.

ولكل طريق من هذه الطرق الأربعة ميزة من محاسن ومحاذير.

الأول: خالى من قلاع الروم والفرس ومسالحهم فتصل إلى بصرى دون أى تعرض للعدو إلا إنه مفازة قاحلة طويلة ومن أخطر الطرق، وسلوكها يعتبر مخاطرة.

الثانى: سهل الاجتياز كثير الماء والكلإ إلا أنه أطول من الطريق الأول ومعرض لمقاومة العدو وقلاعه ومسالحه لوقوعه على حدود إمبراطوريتى الفرس والروم.

الثالث: أقصر الطرق وأصلحها للمرور ولكنه محمى بكثير من المسالح والقرى المعادية ومن الصعب اجتيازه دون تعرض.

الرابع: أسلم الطرق ولكنه يحتاج إلى أيام طويلة ولا تؤمن المباغتة. اختار خالد بن الوليد وعلى ضوء دراسة هذه الطرق الطريق الأول رغم صعوبته فى الوصول بأقل سرعة ممكنة إلى الشام وإنجاد الجيش الإسلامى هناك. عندما وصل إلى أرض السماوة قال خالد بن الوليد لأصحابه: «أيها الناس إن هذه الأرض لاتدخلونها إلا بالماء الكثير لأنها قليلة الماء ونحن فى جيش عظيم والماء معكم قليل فكيف يكون الأمر؟ فقال رافع ابن عمير الطائى: أيها الأمير أشير عليك بما تصنع فقال يا رافع أرشدك الله بما نصنع وفقك الله مولانا جل وعلا للخير قال فأخذ رافع ثلاثين جملا وعطشها سبعة أيام ثم أوردها الماء فلما رويت حزم أفواهها ثم ركبوا الحمير وجنبوا الخيول فساروا فكانوا كلما نزلوا أخذوا عشرة من الإبل يشقون بطنها ويأخذون ما يجدون من الماء» (فتوح الشام للواقدى ١/ ٢٥).

ابن الوليد يتدارس الموقف

وصل خالد بن الوليد إلى بصرى والجيوش الإسلامية لا زالت متفرقة وتوفرت المعلومات لدى المسلمين عن تحرك قوات الروم من الشمال على محورين.

١ - المحور الأول: محور الساحل بقيادة تيدور أخو الملك ومهمته مشاغلة جيش المسلمين فى فلسطين وقوة هذا الجيش تسعون ألفا.

٢ - المحور الثانى: محور الجهد الرئيسى جيش أنطاكية -

بعلبك ـ حمص ـ دمشق وهدفه عزل جيش عمرو بن العاص ثم الاتجاه لتنفيذ عملية إحاطة لقوات المسلمين الأخرى ووضعها بين المطرقة الجنوبية والسندان الشمالى.

بعد دراسة الموقف كان القرار على تجميع قوات المسلمين بأسرع ما يمكن واستطاعت الفرق الإسلامية التجمع فى الجولان باستثناء فرقة عمرو بن العاص فى فلسطين وكان أمام خالد بن الوليد موقف صعب حيث تمكنت جيوش الروم من تنظيم صفوفها وجيش عمرو بن العاص بحاجة إلى قوة كبير لذلك ما كان أمامه إلا أن ينقذ هذا الجيش مستفيدا من الإيقاع البطىء فى سرعة التحرك لخصمه فقرر تصفية الجيش الجنوبى بقيادة تيدور «تدارق» وبذلك دارت معركة طاحنة هى معركة أجنادين (العمليات التعرضية / ١٥١ ـ ١٥٣).

ويمكنك استكمال معلوماتك عن هذا الموضوع بالرجوع إلى كل من مادتى «أجنادين (موقعة ـ)» فى م٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٧، و «بصرى» فى م٧/ ١٦٧، ١٦٨ وإليك شعر أمير الشعراء أحمد شوقى قال رحمه الله:

١ - من طبع السيف ومن جلاه؟
هل يصنع الآيات إلا الله؟

٢ - إنس الحديد، بشر الفرند
ليس بصنع يمن أو هند

٣ - وكيف لا يصحبه المضاء
وقينه المقدار والقضاء

٤ - قلده من ربه محمد
يسله بإذنه ويغمد

٥ - خلقت لا أعظم السيوفا
إلا الشريف العالى العيوفا

٦ - المفتدى بحده من مظلمه
والمهتدى بنوره فى المظلمه

٧ - والناصر الحق على المقاتل
والضارب الباطل فى المقاتل

٨ - والرافع الدولات ركنا ركنا
بالحق بنيان الخليل الركنا

٩ - كابن الوليد موئل الأعلام
سيف الإله أسد الإسلام

١٠ - طلّق جاهلية المعاصى
ودخل الإسلام وابن العاص

١١ - كلا العظيمين فتى قريش
صدر ندى، ولواء جيش

١٢ - تخير السمحة غير دار
ما خلفها من عجب الأقدار

١٣ - من نعم تترى وعيش مرغد
وشأن اليوم وذكر فى غد

١٤ - سبحان ربى منشىء النوابغ
مرتجل المواهب السوابغ

١٥ - هل خالد إلا فتى من فهر
لم يشتهر بصولة وقهر

١٦ - منزلة فى غالب عليه
وشيم تقطر جاهليه

١٧ - زهو الصناديد بن الجلاد
ونفخة بالقوم والميلاد

١٨ - نفس غذتها الجاهلية الدما
وأرضعتها جرأة ومقدما

١٩ - ونهية كالجوهر الوقاد
لم تبد للصائغ والنقاد

٢٠ - فكان من عناية السلام
به اكتساب أدب الإسلام

٢١ - إذ كان فى دولته مجال
فيه جلت أسرارها الرجال

٢٢ - ا بد للعقل الكبير من وسط
وللشعاع من مدى ومنبسط

٢٣ - رب هيـــات ذهبت هبـــاء
كمـــا أتى بهـــا التـــراب بـــاء
٢٤- مـــوفق الآراء والـــرايـــات
معلق الهمــــة بــــالغـــايــات
٢٥ - إذا غـــزا عن النبى أو سفـــر
اقتـــرح النجح عليـــه والظفـــر
٢٦ - سمـــاه سيف الله يـــوم مـؤتــه
معظمـــا فى الآخـــرين شأنـــه
٢٧ - فمـــا مضى فـى مـــوطن أو همَّـــا
إلا وكـــان اسمـــا على مسمى
٢٨ - أليس كـــافى الإمـــام الشـــده
وقـــامع الفتنـــة يـــوم الـــرده؟
٢٩ - وقـــاتل الكـــذاب فـى المعـــارك
وكـل أفـــاك لـــــه مشـــارك
٣٠ - أيـــامـــه مشهـــورة فى فـــارس
مسطـــورة فى صحف الفـــوارس
٣١ - خـــاض بهـــا الـــوقـائع الكبـــارا
وفتـح الحيـــــرة والأنبـــــارا
٣٢ - واحتـــاجـت الشـــام إلى همـــام
أروع يحمـى عسكـــر الإمـــام
٣٣ - يقحمهـــا على جمـــوع الـــروم
وينثنى بفتحهـــا المـــروم
٣٤ - وهـى تمـــوج بجمـــوع قيصـــرا
وعـــالم من عـــرب تنصـــرا
٣٥ - قبـــائل فـــؤادهـــا مـــوزع
دين هـــو الغـــالى وعـــرق ينـــزع
٣٦ - فلم تقع إلا عليـــه الخيـــره
إن الـــرجـــال أفضل الـــذخيـــره
٣٧ - فخف للغيـــاث فى ليـــوث
صحـــابـــة أهلَّـــة غيـــوث
٣٨ - خلى العـــراق وتـــولى الشَّـــامـــا
نجمـــا لأهـــوال الســرى جشَّـــامـــا
٣٩ - يقطع غُفْـــلا ويجـــوب بـــائرا
إن المغيث من أتـــــاك طـــــائرا
٤٠ - فكـــان فى السمـــاوة الـــرئبـــالا
لا تـــذكـــر الألب وأنبيـــالا
٤١ - تخفق فـــوق رأســـه العقـــاب
فى مهمـــــه تنكـــره العقـــاب
٤٢ - حتى حـــوى الجيش القـــرى فصـــارا
بين ديـــار العـــرب النصـــارى
٤٣ - أحـــراس تخم وحمـــاة حـــد
وحـــاطـــة الأطـــراف من تعـــد
٤٤ - سل تـــدمـــرا والقـــريتين وأرك
هل ثبتـــوا لخـــالـــد فى معتـــرك
٤٥ - وسل بـنـــه غســـان كيف صُبِّحـــوا
بـــالخيل جـــاءت من بعيـــد تضبح
٤٦ - هبت على الشـــام قبـــولا ريـــده
فـــاستـــروح الغـــوث أبـــو عبيـــده
٤٧ - أوفت على اليـــرمـوك تطغى من طرب
يـــا مأتم الـــروم ويـــا عـــرس العـــرب!
٤٨ -أقبل سيف الله يـــزجى خيلـــه
ويل هـــرقل منـــه ثم ويلـــه!
٤٩ - وأمَّـــر الجيش عليهم خـــالـــدا
وانتظـــروا اليـــوم العظيم الخـــالـــدا
٥٠ - فعبىء الحـــزبـــان للطـــام
طـــام يعب لنـــزال طـــام
٥١ - تـــراءيـــا على تفـــاوت الفئـــه
ذا مئتـــا ألف وذا نصف المئـــه
٥٢ - ونشبت جـــائحـــة الـــدهـــور
عـــدوة القـــاهـــر والمقهـــور

٥٣ - فـــداهم الـــروم الــرعيـل المسلم
إن العتيـق بــــــالعتـــــــاق أعلم

٥٤ - واختـــرق الهيجـــاء فــرســـان العجم
تحت ســـــروج الخيـل أو فـــوق اللجـم

٥٥ - أمـا الــرجـال فـاحتمـوا فى الخنـدق
ليـــلا فمســـوا بـــالبــلاء المحــدق

٥٦ - يــوم كبــدر فى الفتــوح منــزلــه
أمسى هـــرقـل بعــده لاعـــز لـــه

٥٧ - لمـــا رأى سلطـــانــه تـــداعى
صـــاح الـــوداع ســوريـــا الـــوداعـــا

وفيما يلى شرح ما يحتاج إلى شرح :

البيت ١٧ : الجلاد : القتال .

٢٩ : الكذاب هـو مسيلمة وكان ادعى النبوة بعـد موت رسول الله .

٤٠ : السماوة : مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خـالد بن الـوليد فكـان عمـلا عظيما لـه شأن فى تاريخ الحروب .

٤١ : العقاب فى الشطر الأول راية الـرسول، وفى الشطر الثانى الطائر المعروف .

٤٦ : أى هبت الأمـداد هبوب الـريح اللينـة فـوجد أبـو عبيدة ريح الغوث والنجدة .

٥٢ : جائحة الدهور: أى نادرة الدهور، وهى الحرب .

٥٣ : العتيق هو أبو بكر الصـديق، أى أنه أعلم باختيار الخيل .

٥٥ : الـرُّجـالى جمع راجل وهـو فى الحـرب خـلاف الفارس (دول العرب وعظماء الإسلام/ ٧٠ـ٧٢) .

٥٦ـ٥٧ : بعد انتصار خالد بن الوليد الساحق فى معركة «اليـرموك» أنهت هـذه المعـركـة الفاصلـة تسلط الروم، فقد غادر هرقـل البلاد بعد أن عرف مصير نخبة جيوشه، وكان يقـول: سلام عليك ياسورية سلاما لا لقاء بعده (معجم المعارك الحربية/ ٣٥٦) .

وفى خلال معمعة معـركة اليرموك هـذه فوجىء المسلمون بأمر الخليفـة عمر بن الخطاب رضـى الله عنه بعزل خـالد بن الوليد عـن قيادة جيوش المسلمين. وقد أورد الـواقدى كتاب العزل كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المـؤمنين إلى أبى عبيدة عـامـر بن الجراح سـلام عليك فإنى أحمد الله الـذى لا إله إلا هـو وأصلى على نبيـه محمد (ﷺ) وبعد فقد وليتك أمور المسلمين فلا تستحى فإن الله لايستحى من الحق، وإنى أوصيك بتقوى الله الـذى يبقى ويفنى ماسواه والذى استخرجك من الكفر إلى الإيمـان، ومن الضلال إلى الهدى، وقد استعملتك على جند ما هنالك مع خالد فاقبض جنده واعـزله عن إمـارته ولا تنفـذ المسلمين إلى هلكـة رجاء غنيمـة ولا تنفذ سـرية إلـى جمع كثير ولا تقل إنى أرجـو لكم النصـر فإن النصر إنمـا يكـون مع اليقين والثقـة بالله، وإيـاك والتغـريـر بإلقـاء المسلمين إلى الهلكـة، وغض عن الـدنيـا عينيك والـه عنها قلبك، وإيـاك أن تهلك كما هلك من كـان قبلك فقد رأيت مصارعهم وخبـرت سرائرهم وإنما بينك وبين الآخرة سـتـر الخمار وقـد تقدم فيها سلفك وأنـت كأنك منتظر سفرا ورحيلا من دار قـد مضت نضرتها وذهبت زهرتهـا فأحزم الناس فيها الـراحل منها إلى غيرهـا، ويكون زاده التقوى وراع المسلمين ما استطعت، وأمـا الحنطة والشعير الـذى وجدت بـدمشق وكثرت فى ذلك مشـاجـرتكم فهو للمسلمين، وأمـا الـذهـب والفضة ففيهمـا الخمس والسهـام، وأما اختصـامك أنت وخالد فى الصلح أو القتال فـأنت الوالى وصاحب الأمر، وإن صلحك جرى علـى الحقيقة أنها للـروم فسلم إليهم ذلك والسـلام ورحمة الله وبـركاتـه عليك وعلى جميع المسلمين، وأما هديته ابنة الملك هرقل فهديتها إلى أبيها بعد أسرها تفريط (كان خالد بن الوليد قد أطلق سراح ابنة هرقل إلى أبيها بعد أن أرسل فى طلبها بيعا أو هدية)، وقد كـان يأخذ فى فديتها مالا كثيـرا يرجـع به على الضعفـاء من المسلمين والسـلام عليكم ورحمة الله وبـركاته» وطوى الكتـاب وختمه بخاتمـه، ثم دعا بعامـر بن أبى وقاص أخى سعـد ودفع الكتاب إليه، وقـال له انطلق إلى دمشق وسلم كتـابـى هـذا إلى أبى عبيـدة وأمـره أن يجمع الناس إليه واقرأه أنت على الناس يـاعامر وأخبره بموت أبى بكـر الصـديق رضى الله عنـه ثم دعا عمـر رضى الله عنـه

بشداد بن أوس فصافحه، وقال له: امض أنت وعامر إلى الشام فإذا قرأ أبو عبيدة الكتاب فأمر الناس يبايعونك لتكون بيعتك بيعتى (من كتاب فتوح الشام/ ٨٣، ٨٤).

وقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخفت أن تفتتن بالناس.

وعن عزل خالد بن الوليد يقول أحمد شوقى فى الأرجوزة نفسها:

١ - والله ما أدرى ولا تدرى الزمر
ما كان بين ابن الوليد وعمر

٢ -سيف الإله سلّه النبى
وهزه وليه الحبى

٣ - أُغمد لا كلاًّ ولا مقصِّرا
فى حرب كسرى وقتال قيصرا

٤ - توجعت لعزله العقاب
وحل بالمبرأ العقاب

٥ - ضغينة لم تدع الإماما
حتى رمى فى يدها الزماما

٦ - وزلة الكبير أكبر الزلل
وإن أحيطت بالطلاء والعلل

٧ - خاف الإمام أن يكون فتنه
سياسة عالية وفطنه

٨ - كم هاضت الممالك العظاما
مخافة أن يقطعوا النظام

٩ - وكم مرجى السبق مات بالكمد
قد وقف الناس له دون الأمد

١٠ - أعيذ من مضلة الحقد عمر
مثل الإمام بالمراشد ائتمر

١١ - لعله أبصر وجه منفعه
أو خاف ضرا فرأى أن يدفعه

١٢ - فالسيف لا تأمنه أن ينقلب
كم غلب الحق به وكم غلب

١٣ - فى طبعه الطيرة والشرور
وربه يوما به مغرور

١٤ - وكيف غدر ابن الوليد كيفا
الله أوفى وأبر سيفا

***

١٥ - عجبت ممن ملك الزمانا
ودان بعد فارس الرومانا

١٦ - ومن قناه كل يوم فى ظفر
وخيله من سفر إلى سفر

١٧ - تتكل الطير على بنوده
وينزل النصر على جنوده

١٨ - تهيب البحر وخاف حربه
وحرَّم المجاهدين قربه

١٩ - ظل الولاة يبسطون الراحا
فلا يلبى لهمو اقتراحا

٢٠ - كم حسنوا النفع وقبح الضرر
خوفا على جنوده من الغرر

٢١ - وقال لم يأذن ولم يُسلِّم
لا أشترى الروم بنفس مسلم

٢٢ - كان الإمام وهو للعدل علم
لم ينصف الروم وللبحر ظلم

٢٣ - كما جر نفع المسلمين الروم
والبحر عز أبدا مروم

٢٤ - ينهض بالملك العظيم فاتحه
لأنه من الثرى مفاتحه

٢٥ - فيروز منه يبرأ النصارى
ومثله إلى الجحيم صارا

٢٦ - لا دين للباغى وإن تدينا
كفى بقتل النفس ظلما بيِّنا

وفيما يلى شرح بعض الألفاظ التى تحتاج إلى شرح:

البيت ٤: العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكل يصلح أن يكون مرادا فى ها المقام

٥ : الضغينة : الحفيظة أو الحقد .

٢٠ : الغرر: الخطر (دول العرب وعظماء الإسلام / ٤٤- ٤٦).

قال الإمام النووى : روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثا اتفق البخارى ومسلم على حديث . روى عنه ابن عباس وجابر والمقدام بن معدى كرب وأبو أمامة بن سهل الصحابيون رضى الله عنهم . وروى عنه من التابعين قيس بن أبى حازم وأبو وائل وغيرهما (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٣).

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٣/ ٢٥٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام يحيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧٢ - ١٧٤ ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٢/ ٤٢٨ ، ٤٣١ والرياض المستطابة للإمام يحيى ابن أبى بكر العامرى اليمنى / ٦٢ - ٦٤ ، والمصباح المضى فى كتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وأعجمى ١ / ٩٣ ، والعمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين - الرائد نهاد عباس شهاب الجبورى / ١٥١ - ١٥٣ ، ودول العرب وعظماء الإسلام - نظم أحمد شوقى / ٦٩ - ٧٢ ، ٤٤ - ٤٦ ، ومعجم المعارك الحربية - ماجد اللحام / ٣٥٦ ، ومن كتاب فتوح الشام لمحمد بن عمر الواقدى - اختار النصوص وقدم لها ماجد اللحام / ٨٣ ، ٨٤ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢/ ٣٠٠ ، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبى - عنى بتحقيق النص وتحرير الحواشى حسام الدين القدسى ٣/ ٢٥٣ ، ٥٤).

انظر صورة مسجد خالد بن الوليد بحمص فى مادة «حمص» فى م ١٤/ ٥٨٦ .

ملاحظة : صورة الخريطة المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب العمليات التعرضية والدفاعية الذى جاء بيانه فى ثبت المراجع .

*** خالد بن يزيد (- ٩٠هـ / - ٧٠٨):**

قال عنه الزركلى : خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى القرشى ، أبو هشام حكيم قريش وعالمها فى عصره . اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم فأتقنها وألّف فيها رسائل . اختلفوا فى سنة وفاته ، إلى أن قال الذهبى : «وفيها - أى سنة ٩٠ - على الأصح« توفى خالد بن يزيد وكان موصوفا بالعلم والدين والعقل» وشك ابن الأثير فى بعض نواحى علمه ، فقال : «يقال إنه أصاب علم الكيمياء ولا يصح ذلك لأحد» . وقال البيرونى : كان خالد أول فلاسفة الإسلام . وفى سبائك الذهب ومعجم قبائل العرب أن الحمدانى ذكر أقواما فى ناحية تندة وما حولها من بلاد الأشمونيين ، من الديار المصرية يسمَّون «بنى خالد» نسبة إلى خالد بن يزيد بن معاوية . وقال ابن النديم : كان خالد بن يزيد فاضلا فى نفسه له همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله حب الصنعة (الكيمياء) فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى . وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة . وقال الجاحظ : خالد بن يزيد خطيب شاعر ، وفصيح جامع ، جيد الرأى كثير الأدب ، وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء توفى فى دمشق ، ولسعيد الديوه جى رسالة فى سيرته ، طبعت فى دمشق سنة ١٩٥٣ (الأعلام ٢/ ٣٠٠ ، ٣٠١)

وقد أورد له الدكتور فاضل أحمد الطائى ترجمة مستفيضة فى بحث له بعنوان «خالد بن يزيد وكيمياؤه» وذلك فى كتابه الموسوم بأعلام العرب فى الكيمياء . وننقل لك فيما يلى مقتطفات مما جاء فى بحثه هذا . يقول المؤلف :

لقد اجتمعت المصادر المتوفرة لدينا على أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، رائد العرب والإسلام فى الكيمياء ، وكان أول من أمر بترجمة التراث اليونانى إلى اللغة العربية ، إضافة إلى تعريب ما نقل من اليونانية إلى القبطية ويعتبر بحق الرائد الأول فى نقل العلوم إلى اللغة العربية وبذلك وفر العلم لمن أراد ارتشافه من العرب والمسلمين الذين يحسنون اللغة العربية . وبعد أن قرأ العلم بإمعان شغف بعلم الكيمياء بالدرجة الأولى ، وبالعلوم الأخرى بصورة عامة .

يذكر ابن النديم راويا عن محمد بن إسحاق الذي عنى بإخراج الكتب القديمة فى الصنعة أن خالد بن يزيد بن معاوية كان خطيبا وشاعرا فصيحا ، وحازما ذا رأى ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم ، وكتب الصنعة والكيمياء وكان جوادا ، ويقال إنه قيل لخالد لقد فعلت أكثر شغلك فى طلب الصنعة فأجاب خالد ما أطلب بذلك إلا أن أغنى أصحابى وإخوانى ، إنى طلبت الخلافة فاخْتُزِلت دونى فلم أجد منها عوضا إلا أن أبلغ آخر هذه الصنعة فلا أحوج أحدا عرفنى يوما أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة ، ويقال إنه نجح فى عمل

الصناعة (الفهرست / ٤٩٧) أى أنه تمكن من تحويل المعادن البخسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة، وأقول بأن هذا الخبر ينقصه العلم ولا صحة له مطلقا. إلا أن خالدا كتب عددا من الرسائل فى الصنعة، ونظلم الشعر فى هذا الباب وقد اطلعت على مخطوطة تضمنت شعرا لخالد فى الصنعة وهى موجودة فى المجمع العلمى العراقى وسأتطرق إلى ذكرها ثانية فى هذا البحث نفسه، ويقول عنه ابن النديم بأن محمد بن إسحاق قد رأى من شعر خالد نحوا من خمسمائة ورقة فى الصنعة، كما رأى من كتبه «كتاب الحرارات»، و «كتاب الصحيفة الكبرى» و «كتاب الصحيفة الصغرى» و «كتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة».

ويذكر أبو الفرج الأصبهانى (الأغانى ط بولاق ١٦/ ٨٨) أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من أكثر رجالات قريش سخاء، وعارضة وفصاحة، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه، وأم خالد بن يزيد أم هاشم بنت هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. ثم ينقل الأصبهانى عن كل من الطوسى وحرمى بأن الزبير قد روى عن عمه مصعب بأن خالد بن يزيد بن معاوية عالم وشاعر ...

وذكر الجاحظ (البيان والتبيين ط القاهرة ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م ١ / ٣٢٨) فى كتابه البيان والتبيين، بأن خالد بن يزيد بن معاوية، كان خطيبا، شاعرا فصيحا، جيد الرأى، كثير الأدب، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء.

وجاء فى طبقات الأمم، لصاعد الأندلسى (ص ٦٣) «كان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، بصيرا بالطب والكيمياء، وله فى الكيمياء رسائل وأشعار بارعة دالة على معرفته وبراعته فيها».

ويبدو أن الزركلى قد جاء برواية عن خالد تختلف عما جاء به بعض الكتاب ولا سيما المستشرقين منهم، حيث أشاد بخلق وعلم خالد، وزهده فى الخلافة وتبرمه بها وضجره منها ومقته للنزاع الذى حصل بين جده معاوية بن أبى سفيان وعلى ابن أبى طالب، واعتبر خالد الإمام عليا أولى من جده فى الخلافة. ويذكر أن خالد بن يزيد أموى قرشى، حكيم قريش وعالمها فى عصره، واشتغل فى الكيمياء والطب والنجوم فأتقنها وألف فيها رسائل. ويقول الزركلى إن بنى أمية قد اتفقوا على بيعه خالد بعد موت أبيه يزيد سنة أربع وستين للهجرة (٦٤ هـ)، فبايعوه بالخلافة، فأقام خالد ثلاثة أشهر، وغلب عليه حب العلم. فجمع الناس وخطب فيهم قائلا «إن جدى معاوية نازع الأمر من كان أولى به، ثم تقلده أبى ولقد كان غير خليق به، ولا أحب أن ألقى الله عز وجل بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، ولّوه من شئتم. فقالوا: ألا تعهد إلى أحد؟ فقال: لم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه ولا مثل أهل الشورى، فأنتم أولى بأمركم، ثم لزم منزله. ولم نجد فى المصادر الأخرى ما يؤيد الزركلى فى هذه الرواية، وبعد التثبت رأينا بأنه قد أخطأ فى كتابه «الأعلام» الطبعة الثانية ونسب ما لمعاوية الثانى إلى خالد وصحح ذلك فى كتابه فى الطبعة الثالثة، هذا ولم أرفع الخطأ من البحث كى لا يقع فيه من يقرأ هذا البحث ... وذكر الجاحظ أن خالدا توفى فى دمشق ...

والحقيقة أن المصادر التى تناولت ذكر خالد ضئيلة إذا ما قورنت بمن هو أقل شأنا منه، ويعود السبب حسبما أظن إلى بُعد الفترة الزمنية بين خالد وبين من دوّن تراجم أهل العلم والحكمة والأدب من العرب والمسلمين الذين تركوا آثارهم كلها أو بعضها باللغة العربية. ويكاد جميع من كتب عن سيرة خالد بن يزيد وعلمه وأدبه أن يكونوا متشابهين فيما دونوه، ولعل ياقوت الحموى قد جاء بذكر أوفى من غيره وسأدرج أكثر ما جاء فى كتابه «معجم الأدباء» لا لاحتوائه على معلومات فى الكيمياء حسب بل لغرض إظهار فضل رائد العلم عند العرب ليطلع عليه من يقرأ هذا البحث من غير المعنيين بالتاريخ والأدب، أن لخالد الفضل الأكبر فى نقل العلم اليونانى عن اللغة اليونانية أو عن القبطية التى استقت علمها من العلم اليونانى نفسه، ولا يشير التاريخ إلى أحد عنى بالعلم ونقله من للغات الأخرى إلى اللغة العربية قبل خالد بن يزيد يقول الحموى عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان

الأمير، أبو هاشم الأموى: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة العارضة، علامة خبيرا بالطب والكيمياء، وشاعرا قال الزبير بن مصعب: كان خالد ابن يزيد ابن معاوية موصوفا بالعلم حكيم شاعرا وقال ابن أبى تمام: كان خالد بن يزيد من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، وقيل عنه: قد علم عِلمَ العرب والعجم. وروى خالد الحديث عن أبيه وعن دِحية بن خليفة الكلبى. رضى الله عنه. وروى عنه الزهرى وغيره وأخرج البيهقى والخطيب البغدادى والعسكرى والحافظ ابن عساكر عنه عدة أحاديث، وكان من صالحى القوم يصوم الجمعة والسبت والأحد وكان يقول: كنت معنيا بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجهال. وكان خالد جوادا ممدحا جاءه رجل فقال له: أنى قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمى ـ أى بما يطلب ويريد ـ فقال له قل: فقال الرجل:

سألت الندى والجود حُرَّان أنتما؟

فقالا بلى عبدان بين عبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا

علىَّ وقالا خالد بن يزيد

فقال خالد للرجل: احكم، فقال: مائة ألف درهم، فأمر له بها. وكان خالد شجاعا جريئا...

ولما لزم خالد بيته بعد تركه الخلافة قيل له: كيف تركت الناس ولزمت بيتك؟ قال: هل بقى إلا حاسد نعمة، أو شامت بنكبة.

ولخالد شعر نفيس، أورد بعضا من أبياته ياقوت الحموى ـ فى المرجع نفسه ـ، وإليك مقتطفات منها:

أتعجب إن كنت ذا نعمة

وأنك بها شريف مهيب؟

فكم ورد الموت من ناعم

وحب الحياة إليه عجيب

أجاب المنية لما دعت

وكرها يجيب لها من يجيب

ولخالد فى الحكمة قصيدة، إليك بعض أبياتها:

إن سرك الشرف العظيم مع الغنى

وتكون يوم أشد خوف وائلا

يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت

فى الوزن إذ غبط الأخف الأثقلا

فاعمل لما بعد الممات ولا تكن

عن حظ نفسك فى حياتك غافلا

ومما نسب إلى خالد من التصانيف فى الكيمياء. البديع فى فلك الرمز المنيع، وكتاب الفردوس، ورسائل أخرى، توفى خالد بن يزيد سنة تسعين، وقيل سنة خمس وثمانين، وشهده الوليد بن عبد الملك وقال: لتلق بنو أمية الأردية على خالد فلن يتحسروا على مثله إبدا.

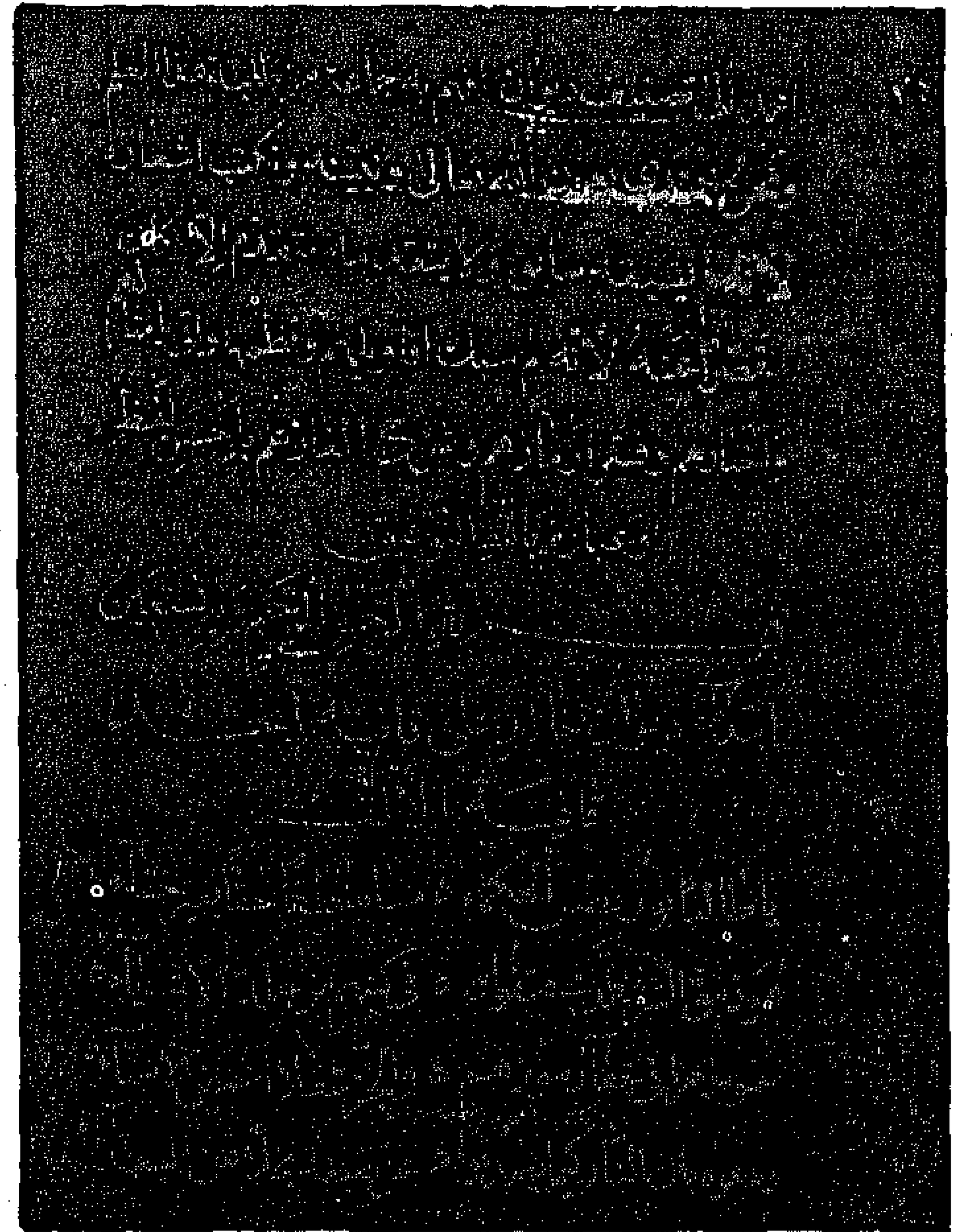
وجاء فى هدية العارفين (إسماعيل باشا البغدادى ـ هدية العارفين ط أوفست استانبول ١٩٥٥ ط ٣، جـ١ ٣٤٣) أن خالدبن يزيد بن معاوية بن ابى سفيان الأموى الأمير، توفى سنة (٨٥) خمس وثمانين من الهجرة، له من كتب «السر البديع فى رمز المنيع فى علم الكاف، وفردوس الحكمة فى علم الكيمياء»، منظومة، وكتاب الحرارات «وكتاب الرحمة فى الكيمياء»، وكتاب «الصحيفة الصغير» وكتاب «الصحيفة الكبير»، مقالتا مريانس الراهب فى الكيمياء، وكتاب «وصيته إلى ابنه فى الصنعة».

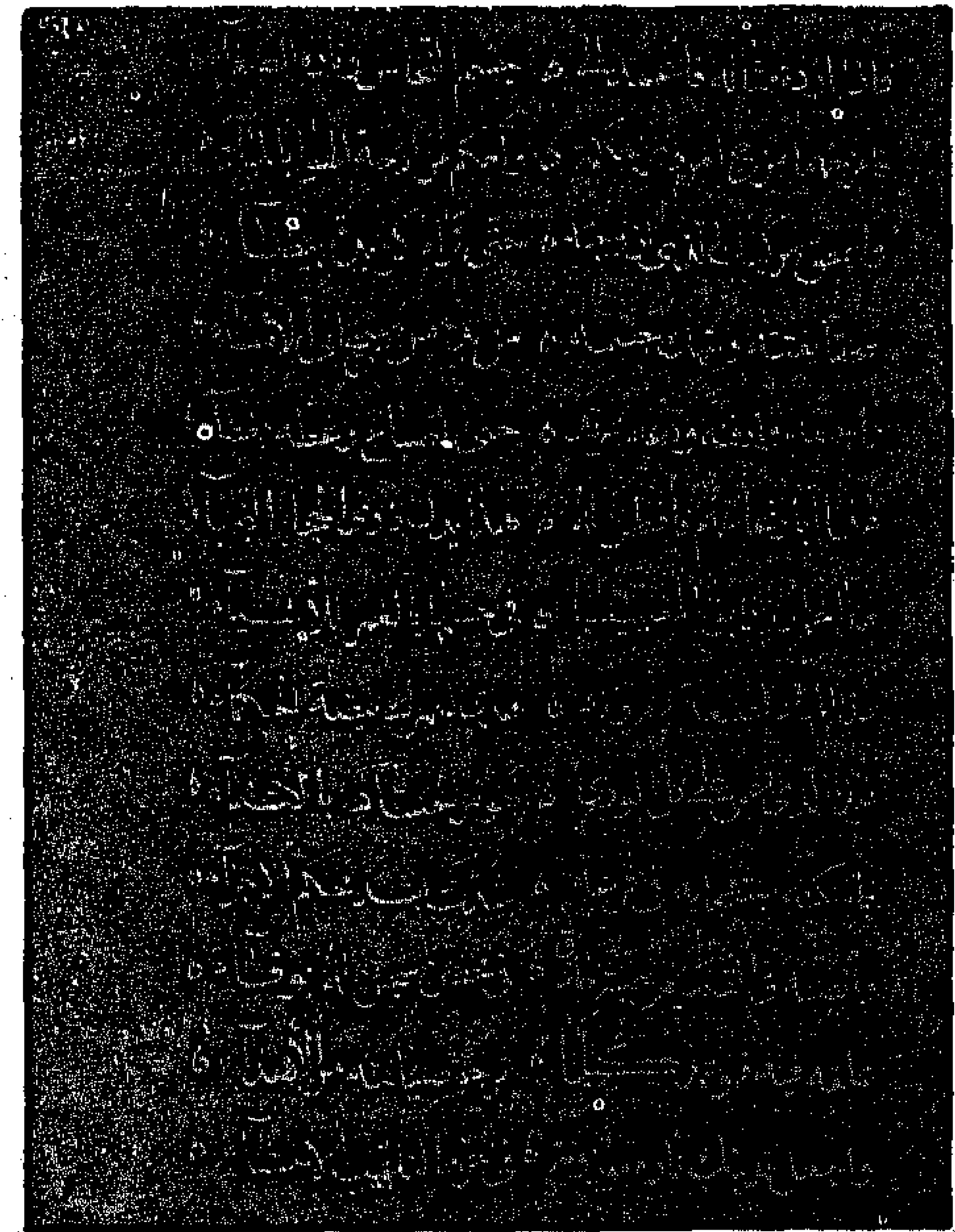
وجاء ذكر خالد فى وفيات سنة أربع وستين لابن الأثير (٦٤ هـ) وذلك فى معرض حديثه عن يزيد بن معاوية: وكان له من الولد معاوية، وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو ليلى، وهو الذى ولى بعده، وخالد ويكنى أبا هاشم يقال إنه أصاب عمل الكيمياء، ولا يصح ذلك لأحد.

وقد خالف ابن الوردى (تاريخ ابن الوردى المطبعة الوهبية مصر ١٢٨٥ هـ ج١/ ١٧٩) أغلب المؤرخين وأصحاب التراجم فى وفاة خالد بن يزيد، حيث ذكره فى وفيات سنة اثنتين وثمانين للهجرة ٨٢ هـ ما نصه «وفيها توفى خالد بن يزيد بن معاوية من أسخياء بنى أمية وعقلائهم وفصحائهم» ذكرت المصادر المتيسرة لدينا سنة وفاة خالد بن يزيد إما عام خمسة وثمانين للهجرة، أو عام تسعين للهجرة، وربما كانت وفاته بين هذين التاريخين أى بين (٨٥ هـ) و (٩٠هـ)...

ويوجد بعض شعر خالد في الكيمياء مخطوطا ومحفوظا في مكتبة استانبول ... وقد صور بعض هذه المخطوطات المجمع العلمي العراقي (أعلام العرب في الكيمياء / ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥).

وفيما يلي صورتان للمخطوط ونتبعهما بقراءة له :





وهذه هي قراءة المخطوط :

اعمد إلى تصنيف ديوان افهم به جماعة من طلبة هذا العلم ونحن نبتدي بعون الله تعالى ونبيه ونكتب أشعاره لإنه لم يسبقه سابق ولا يتقدمه متقدم إلا كان مقصرا عنه لأنه لمّ سبك أقاويلهم ونظمها وأتى بأمثالهم وأخبارهم وفسر أرمازهم وشرح ألغازهم بأحسن لفظ.

وعبارة بالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ابتداء ديوان خالد على قافية أبجد

قافية الألف

ياطالبا بوريطس الحكماء ،
يامنطقا حقا بغير خفاء ،
هو زيبق الشرق الذي هتفوا به
في كتبهم من جملة الأشياء ،
سموه زهرا في خفاء رموزهم
والجن شغلا أغمض الأسماء ،
ودعوه بأن النار كيما يصدقوا
عن صبغه بخلا عن البعداء ،
فإذا أردت مثاله فاعمد إلى
جسم النحاس وناره الصفراء
فامزجهما مزج امرء ذي حكمة
واحكم مزاوجة الهوا بالماء ،
واسحق مركبك الذي أزوجته
حتى تراه كزبدة بيضاء
سحقا يفتته ويهتك جسمه
من بدء من صبح إلى الإمساء ،
واجمعه وادفنه ودعه بمرقد
حتى الصباح وغطه بغطاء ،
هذا آبار نحاسهم فافطن له
هذا يدك ذوي الحجا النجباء ،

هــــذا خمــــار زوابق المغنيسيــــا
في جسمهـــا بـــالغمـــر لــــلأشيـــاء
هــــذا المهــــاد لصنعـــه معــــروفـــة
هــــذى لعمــــرك بيضـــة الحكمـــاء،
هـــذا الــــذى أعمـى على كـل الــــورى
نفــــو من الحســـاد بــــالإعمـــاء،
فـــاسكنـــه مبتهجـــا بــــه فى قـــرعـــة
شـــدت بشـــد محكم الإجـــزاء،
وانصبـــه فـى القمّيم نصبـــة حـــاذق
فـى محصن سجـن لــــه بــــوفــــاء،
علقـــه فيـــه فهــــو عمـــد كلمـــا
تـــرجــو صيـــانتـــه من الاهـــذاء،
واجعل ـــ فـديتك ـــ نـاره مـوزونـة
فـى حــــرهــــا لتلهب الأحشـــاء،

(أعلام العرب فى الكيمياء/ ٢٩، ٣٢، ٣٣)

(الأعلام للزركلى ٢/ ٣٠٠، ٣٠١، وأعلام العرب فى الكيمياء - د. فاضل أحمد الطائى / ١٧، ١٨، ٢٠ـــ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٢، ٣٣).

* **الخالدى ((-١٠٣٤ هـ/ -١٦٢٥م):**

أحمد بن محمد بن يوسف الخالدى، فقيه متأدب، من أهل صفد (بفلسطين) مولدًا ووفاة. تعلم بمصر. له رحلة إلى الحج» و «رحلة إلى القدس» نظما، وكتاب فى «العروض» و«شرح ألفية ابن مالك» و «لبنان فى عهد الأمير فخر الدين المعنى الثانى» مطبوع، وصل فيه إلى سنة وفاته (١٠٣٤) ونظمه حسن.

(الأعلام للزركلى ١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

قالت المؤلفة: له مخطوط بعنوان «الأنوار الجلية فى تخميس الهمزية» من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى:

الأنوار الجلية فى تخميس الهمزية

الرقم ١٨٤٤٦/ ٢

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن يوسف الصفدى المعروف بالخالدى المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ/ ١٦٢٥ م.

الأول:

(كنت نـــــورا وكــــان ثَمَّ عمـــاء
ونبيـــــا وليس طين ومـــــاء
فإذاً كان من علاك العلاء
كيف تـــــرقى رقيَّك الأنبيــــاءُ
يــــا سمــــاء مــــا طـــاولتهـــا سمـــاء)

نسخة جيدة عليها حواش وشروح، كتبها محمد بن حاج حسن دباغ ١٢٧٩ هـ/ ١٨٦٢ م.

٩٠ ص　　　٢١×١٠ سم　　　٢٠ س

معجم المؤلفين ٢/ ١٦٩، الذريعة ٤/ ١٤، بروكلمان (عربى) ١٥/ ١٠١، فهرس أوقاف الموصل ١/ ٢٤٩.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٤)

* **الخالدية (المكتبة -):**

من مكتبات القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. يقول الدكتور كامل جميل العلى:

مكتبات الأسر المقدسية وغيرها من المكتبات الخاصة:

كان فى القدس مكتبات خاصة بعائلات مقدسية قديمة تجمعت مجموعاتها فى القرون الماضية. ولعل كثيرا من كتبها وصل إلى هذه المكتبات من مجموعات مكتبات الأقصى القديمة أو مكتبات المدارس القديمة أو توارثتها الأسر المقدسية عن أفرادها من العلماء. ومعظم هذه المكتبات اندثر الآن، وأكثرها أضاعته الكوارث التى حلت بالمدينة أو الجهل بقيمة الكتب، فضاعت بها كنوز لا تعوض، على الوجه الذى سبقت الإشارة إليه. وأشهر المكتبات التى ما زالت قائمة حتى اليوم هى:

المكتبة الخالدية:

تقع المكتبة الخالدية فى مبنى أثرى قديم هو تربة الأمير

بركة خان بحي باب السلسلة عند ملتقى شارع باب السلسلة بعقبة أبو مدين التى تتجه إلى حارة المغاربة . والمبنى الآن هو وقف لآل الخالدى وسنتحدث عنه بالتفصيل بعد حديثنا عن المكتبة نفسها .

أسس هذه المكتبة الشيخ راغب الخالدى، الذى كان من أعيان القدس ورئيسا لمحكمة الاستئناف الشرعية فيها . وهو والد العلامة أحمد سامح الخالدى والدكتور حسين الخالدى والدكتور حسن الخالدى . .

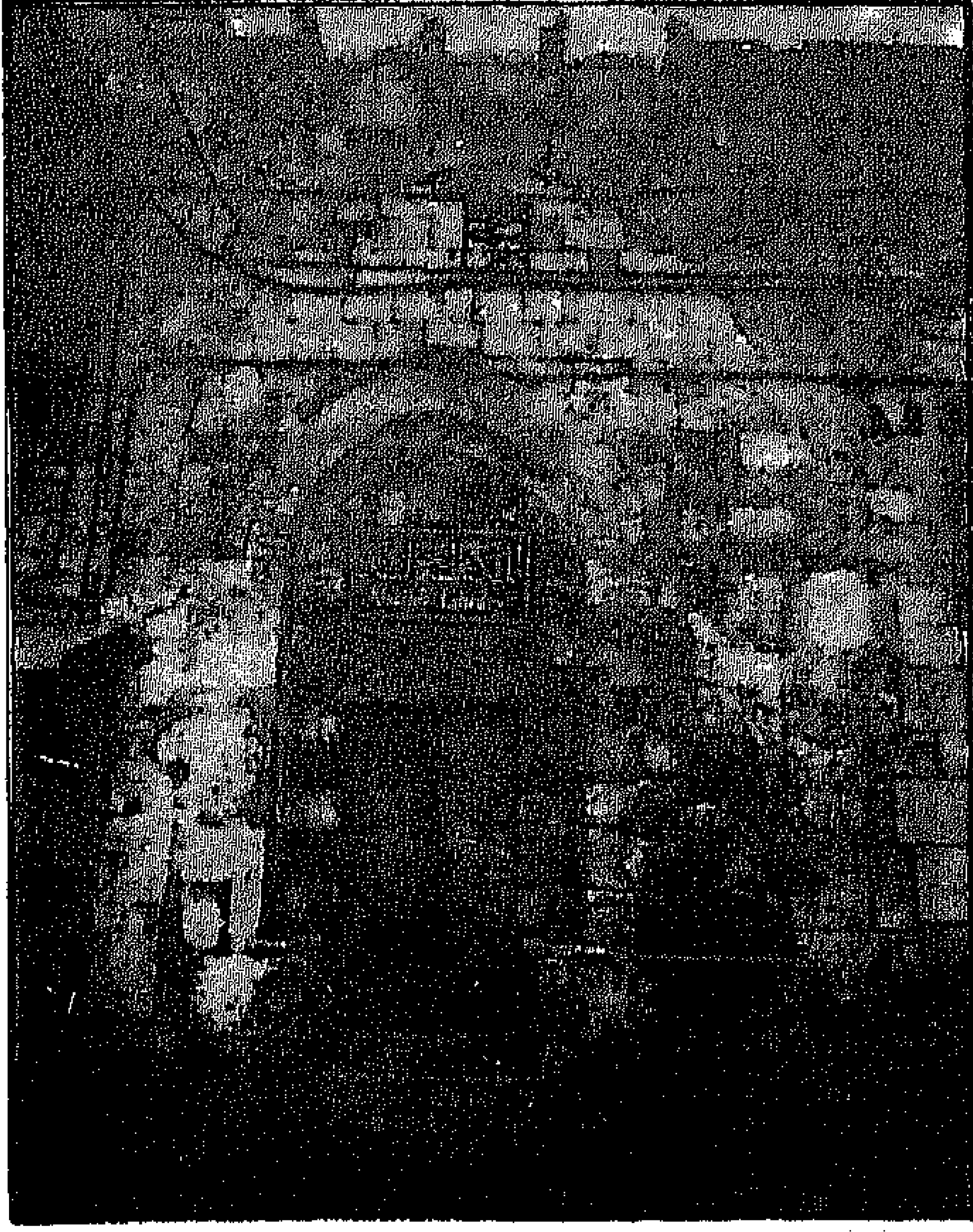
وقد أصدرت المكتبة عقب تأسيسها دليلا لقرائها أسمته «برنامج المكتبة الخالدية العمومية» جاء فيه : (وفق الله تعالى جناب الفاضل الأديب الفطن الأريب صاحب المكرمة الحاج راغب أفندى الخالدى الديرى المقدسى بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة وهما صاحب الفضيلة ياسين أفندى الخالدى وموسى شفيق أفندى الخالدى إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة فى القدس الشريف) . (برنامج المكتبة الخالدية العمومية، ص ١ ـ مطبعة جورجى حبيب حنانيا . القدس سنة ١٣١٨ نقلا عن المكتبات الإسلامية فى القدس ـ بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام المنعقد بعمان ١٩٨٠ للدكتور أمين أبو ليل، ص ٢) .

ومن شروط مؤسسيها كما جاء فى هذا البرنامج «أن لا يخرج منها كتاب حرصا على المنفعة العامة» .

ونص البرنامج على أن تكون الدار «دار عمومية لمن يرغب فى المطالعة من أى فرد كان ... وهى مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء وعينوا لها محافظا أمينا» .

ويروى لنا فيليب دى طرازى قصة تأسيس هذه المكتبة فيقول : «خطر ببال الحاج راغب الخالدى أن ينشىء مكتبة عامة تظل وقفا ينتفع به طلاب العلم وكانت والدته خديجة بنت السيد موسى الخالدى قد أوصت بمبلغ من المال لأعمال البر فأقنعها ابنها الحاج راغب أن تؤسس بهذا المال معهدا يستوعب المكتبة المشار إليها .

وبعد المفاوضة فى الأمر اتفق أركان الأسرة الخالدية على



المكتبة الخالدية

أن يكون باب السلسلة مركزا لتلك الخزانة العلمية التى فتحت أبوابها رسميا عام ١٩٠٠ (١٣١٧ هـ) لجمهور المطالعين . وجرى الاتفاق على أنه متى توفى أحد أفراد الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة الخالدية . وهكذا ضمت إليها كتب يوسف ضياء الدين باشا الخالدى نائب القدس فى مجلس المبعوثين العثمانى سنة ١٨٧٨ ، ومكتبة روحى بك الخالدى الرئيس الثانى لمجلس المبعوثين العثمانى سنة ١٩٠٨ بالأستانة ، ونظيف بك الخالدى أحد مهندسى السكة الحديدية الحجازية ، وأحمد بدوى بك الخالدى وغيرهم» (خزائن الكتب العربية فى الخافقين/ ١٢٤)

ويضيف دى طرازى قائلا (ص ١٤٣) :

«ما كادت المكتبة تظهر إلى الوجود حتى أقبل إلى القدس الشيخ العلامة طاهر الجزائرى منفيا من دمشق بأمر من السلطة العثمانية ... وكان الشيخ طاهر من أكبر غلاة الكتب وصديقا حميما للحاج راغب مؤسس هذه المكتبة . فكلفه هذا أن يساعده في تبويبها وسعى فى إنشاء أوقاف خاصة بها تضمن نجاح مستقبلها» .

وتولى إدارة المكتبة بعد الشيخ طاهر الجزائرى الشيخ أمين

الأنصارى (الدنف). وقدظل مديرا للمكتبة زهاء نصف قرن وتوفى فى أوائل الخمسينات. وكان يتقاضى على ذلك أجرا من ريع الوقف الذى وقفه الشيخ راغب الخالدى. وكان الشيخ راغب قد وقف على المكتبة نصف حمام العين. بيد أن غلة الوقف هذه الأيام زهيدة جدا ولا تكفى للإنفاق على المكتبة.

وبعد وفاة الشيخ أمين الأنصارى بقى مفتاحها فى عهدة ابنه.. وفى سنة ١٩٦٧ تولى أمر المكتبة السيد حيدر الخالدى بوصفه قائما بأعمال متولى أوقاف آل الخالدى فى القدس.

مجموعة المكتبة:

نواة المكتبة كانت مجموعة المخطوطات التى توارثتها الأسرة الخالدية وكانت محفوظة فى ديوان الأسرة بباب السلسلة. ثم ضمت إليها مكتبات أفراد الأسرة الذى توفوا واشتهروا بالعلم كما أسلفنا، فتجمع لذلك فى المكتبة عدد كبير من المخطوطات والكتب النادرة والجرائد والمجلات وبلغات عديدة.

كتب محمد كرد على سنة ١٩٢٨ عن مجموعة المكتبة يقول (خطط الشام ٦/ ١٤٣، ١٤٤): ومن نوادرها «أنموذج العلوم» للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى المتوفى سنة ٨٣٤ هـ ذكر فيه أصول مائة علم. «الطبقات السنية فى تراجم الحنفية» عليه خط مؤلفه تقى الدين بن عبد القادر المصرى التميمى الدارى المتوفى سنة ١٠١٠ هـ. «الشعور بالعور» للصلاح الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ فى ذكر العلماء الذين أصيبوا بفقد إحدى أعينهم «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر فى خصائص الملك الناصر» وهو المعروف بالمدبجات لعبد المنعم الجلياني (٦١٣).

«مختصر حياة الحيوان» لجلال الدين السيوطى (٩١١). «قهوة الإنشاء» لابن حجة الحموى (٨٣٨) وهو مجموع رسائله. «إختصار السيرة النبوية» لمحيى الدين بن عربى (٦٣٨)، رواية ولده أبى سعيد وولده أبى بكر أبى المعالى محمد وابنته فاطمه عنه. «نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين» لمرعى الحنبلى (١٠٣٣).

«رونق الحفاظ بمعجم الألفاظ» للحافظ جمال الدين يوسف سبط شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن على بن حجر وعليه خط الحافظ زين الدين قاسم بن قطلوبغا (٨٧٩)، وهو المجلد الثانى ويرجح أنه بخط مؤلفه. «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» لشهاب الدين بن سرور المقدسى (٧٦٥). وفى آخره حواش فيها أسماء بعض تواريخ القدس. «اتحاف الأخصا فى فضائل المسجد الأقصى» لكمال الدين محمد بن أبى شريف الشافعى (٩٠٦).

«شاناق فى السموم والترياق» لشاناق الهندى. نقله من لغته الهندية إلى الفارسية منكة النهدى، نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهرى مولاه وهو فى معرفة السموم والترياق، وهى نسخة مملوكية. «الوسيط» للواحدى (٤٦٨)، الجزء الثالث منه. «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» لابن سيد الناس اليعمرى (٧٣٤). «أرجوزة محمد بن أحمد الباعونى» (٨٧١) فى التاريخ وقعت فى نحو ألف بيت من الهجرة إلى الملك برسباى. «تعاليق شهاب الدين أحمد بن الهائم» على الخصائص النبوية بخط المؤلف شهاب الدين أحمد الشهير بابن الهائم (٨١٥). «تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع» للدبوسى (٤٣٠). «مجموعة رسائل لابن كمال باشا» (٩٤٠). «تأويل مشكل الأحاديث والرد على الملاحدة والمعطلة وأهل الأهواء المبتدعة» من إملاء أبى بكر محمد بن حسن فورك (٤٠٦). «إيضاح الأشكال فى من أبهم اسمه من النساء والرجال» أى رواة الحديث للحافظ محمد بن طاهر المقدسى (٥٠٧)، وهو ينسب إلى قيسارية بين حيفا ويافا على ساحل البحر. «كتاب الأربعين الأبدال التساعيات» للبخارى ومسلم للحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى (٧١٧). «ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد» للسخاوى. «كتاب قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام» لأحمد بن محمد بن عمر القدسى الشهير بابن زوجة أبى عذيبة (٨٥٦).

كتاب «التبيان فى إعراب القرآن» لأبى البقاء العكبرى (٦١٦) «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبى الحسن على الباخرزى. (٤٦٧) «ذيل يتيمة الدهر» للثعالبى.

إن بعض هذه المخطوطات التي ذكرها كرد علي، بل كثيرا منها، فُقد ولم يعد موجودا في الخالدية، مع بالغ الأسف. على أنه ما زال في المكتبة عدد من المخطوطات القيمة منها على سبيل المثال:

		رقم المخطوطة في سجل المكتبة
الجامع الصغير	لجلال الدين السيوطي	(٣٧٣٩)
سهام الإصابة في الدعوات المستجابة	لجلال الدين السيوطي	(٣٩١٣)
أنموذج اللبيب في خصايص الحبيب	لجلال الدين السيوطي	(٣٩٧١)
الفتح القسي في الفتح القدسي	عماد الدين الأصبهاني	(٣٩٨)
حزب النصر	عبد القادر الجيلاني	(٣٠٢٠)
دايرة القطب الشاذلي	عبد الوهاب الشعراني	(٣٨٠٧)
الجواهر والدرر	عبد الوهاب الشعراني	(٣٢٦)
الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر	عبد الوهاب الشعراني	(٥٥٤)
مقامات الحريري	لأبي محمد القاسم بن علي الحريري	(٣٧٢٣)
مرآت المروءات	لأبي منصور الثعالبي	(٣٥٠٧)
باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس	لأبي إسحاق إبراهيم الفزاري	(٣٣٢١)
الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين	لأبي حامد الغزالي	(٢٩٤١)
مشكاة الأنوار	لأبي حامد الغزالي	(٢٩٤٦)
الفتاوى الخيرية	خير الدين الرملي	(٣٩)
مقامات الزمخشري	جار الله أبو القسم محمود ابن عمر الزمخشري	(١٤٧١)
مجمع الأمثال	لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني	(١٥١٩)

ومن الدواوين المخطوطة:

ديوان ابن الفارض	(٩٠٦)
وديوان الشاب الظريف	(٦٩٨)
وديوان امرىء القيس بن حجر الكندي	(٩٤٩)
وديوان حافظ الشيرازي	(١١٣٩)

ولو تتبعنا عدد مجلدات المكتبة من يوم إنشائها حتى اليوم لاتضحت لنا الصورة التالية:

عندما أسست المكتبة الخالدية سنة ١٩٠٠ / ١٣١٧ كانت تضم ١٣١٨ كتابا وفي سنة ١٩٢٨ بلغ عدد مجلداتها نحو أربعة آلاف نحو ثلثيها من المخطوطات وفي سنة ١٩٣٦ ازداد عدد كتبها ومخطوطاتها فبلغ سبعة آلاف مجلد ثلثها مخطوط. ومن تلك المخطوطات ما يبلغ عمره السبعة قرون.

وفي سنة ١٩٤٥ ازداد عدد الكتب والمخطوطات فبلغ اثني عشر ألفا باللغة العربية، واللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية.

أما فهرس المكتبة الخالدية الذي بين أيدينا والذي تم إعداده سنة ١٩٧٣ فيشير إلى أن عدد الكتب والمخطوطات الحالي لا يتجاوز الستة آلاف. وهو بالتحديد ٥٩٨٠ كتابا ومخطوطا، منها ٤٤١٢ باللغة العربية واللغتين التركية والفارسية و ١٥٦٨ كتابا باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

وإذا افترضنا أن هذه الأرقام كلها صحيحة أو قريبة من الصحة لتبين لنا أن مجموعة المكتبة قد نقصت في الثلاثين سنة الماضية حوالي ٥٠ ٪ وهو رقم مخيف. ولا بد من اتخاذ الإجراءات العاجلة لحماية ما تبقى من موجودات هذه المكتبة.

لقد قامت بعثة من معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بتصوير مخطوطات المكتبة الخالدية في القدس في سنة ١٩٥٣ ولكننا علمنا أن نوعية الصور الموجودة في معهد المخطوطات ليست جيدة، وأن بعض الأفلام قد تلفت فلا تُقرأ. وقد بدأت مكتبة الجامعة الأردنية بتصوير مجلدات الخالدية من جديد، وبالفعل وصلتها بعض الصور وستوالي تصوير الباقي. على أن التصوير لا يمكن أن يكون بديلا عن

بذل الجهد لصيانة المخطوطات والكتب الأصلية وحفظها من التلف .

مبنى المكتبة الخالدية :

تحتل المكتبة دارًا أثرية بباب السلسلة ، مقابل الطازية ، هى تربة الأمير بركة خان وولديه ، وقد كان الأمير حسام الدين بركة خان قائد الخوارزمية الذين استدعاهم الملك نجم الدين أيوب لفتح القدس ، وقد استرد هؤلاء القدس من الصليبيين للمرة الأخيرة ، وقتلوا عددا كبيرا من سكانها النصارى . وواصل حسام الدين المعارك مع الخوارزمية إلى أن قتل فى معركة حمص فنقل رأسه إلى حلب وجسده إلى القدس (محرم سنة ٦٤٤) ودفن فى تربته ، ثم دفن بعده ولداه بدر الدين محمد بك وحسام الدين كره بك . وفى صحن التربة اليوم ثلاثة قبور عليها شواهد مكتوب عليها أسماء الأمراء الخوارزمية الثلاثة المدفونين فيها على الوجه التالى :

شاهد القبر الأول :

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ هذا قبر الفقير إلى رحمة الله تعالى حسام الدين ملك الأمراء البركة خان . توفى فى سنة أربع وأربعين وستمائة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

شاهد القبر الثانى :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب *سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ هذا قبر العبد الفقير الراجى رحمة الله وغفرانه حسام الدين كره بك بن بركتخان . نوَّر الله ضريحه . توفى فى ثالث ذى الحجة سنة إحدى وستين وستمائة هجرية غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين . وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

شاهد القبر الثالث :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾ هذ قبر الفقير إلى الله الراجى رحمته وغفرانه الأمير الكبير بدر الدين محمد بك بن بركتخان . توفى مستهل ربيع الأول لثمان وسبعين وستماية» .

ويتألف مبنى التربة من صحن مفتوح تحيط به غرفة ذات قبة من الشرق ، وقاعة القراءة (المكتبة الخالدية) من الغرب . ويبلغ طول العقار من الشرق إلى الغرب ١٧,٥ متر وعرضه ٨ أمتار من الشمال إلى الجنوب . ويستدل من المحراب الكائن فى جهة المكتبة القبلية أن المكان كان يستعمل مسجدا . والواقع أن المبنى كان يدعى فى السابق زاوية بركة خان كما كان يدعى تربة بركة خان ، من قبيل الاختلاط فى التسميات ، أو الشبه بين التربة والزاوية . ومن الطبيعى أنه كان يضم ، كزاوية أو كتربة ، مسجدا للصلاة . وفى القرن الحادى عشر قرر القاضى الإخوة الثلاثة الشيخ صالح والشيخ على والشيخ حسين أولاد الشيخ حسن بن على القرقشندى « فى وظيفة النظر والبوابة فى زاوية بركة خان الكائنة بالقدس الشريف بخط داود بالصف القبلى ، عوضا عن والدهم بحكم وفاته .

من الذى أنشأ التربة ؟

يقول مجير الدين الحنبلى (الأنس الجليل ٢/ ٤٥) : « تربة الملك حسام الدين بركة خان مقابل المدرسة الطازية تاريخ عمارتها فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة . وعمرت بعد موته» . ومن المعروف أن بركة خان توفى سنة ٦٤٤ . ويظهر أن مجير الدين استند إلى نقش على نافذة تربة بركة خان (يحيط به فرسان) هذا نصه :

« أنشأ هذا الشباك والقبة بتربة المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان ، والقنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقاة والحوانيت وعلوهم وخمسة بيوت بدار الوقف الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن تمر (نمر) العلائى لطف الله به فى مستهل ذى القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة » .

غير أن هذا النقش لا يفيد أن التربة كلها بنيت فى تلك السنة . والأرجح أن العلائى المذكور بنى القسم الأعظم منها على كل حال . ويرى « فان برشم » أن منشىء التربة الأصلى هى ابنة بركة خان وزوجة الظاهر بيبرس فى القرن السابع

الهجرى، وأن محمد بن أحمد العلائى أعاد تعمير التربة وزاد عليها . وهذا أمر مرجح . ولا بد من الإشارة فى ختام حديثنا عن المكتبة الخالدية إلى أن السلطات الإسرائيلية تطمع فى الاستيلاء على المكتبة . وقد ذكر لى السيد حيدر الخالدى قيم المكتبة الخالدية فى الوقت الحاضر أن سلطات الاحتلال حاولت مصادرة الدار، وأنه اضطر لهذا السبب إلى مراجعة السلطات الإسرائيلية باعتبار أن الدار من أملاك وقف آل الخالدى، فألغى أمر المصادرة . ولكن أحدا لا يدرى ما يأتى به المستقبل إذا دامت الأوضاع فى القدس على ما هى عليه .

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د . كامل جميل العسلى / ٣٧٩ ـ ٣٨٨) .

*** الخالص فى الكيمياء (كتاب ـ) :**

كتاب الخالص فى الكيمياء : للشيخ جابر بن حيان الطرسوسى وقيل الطوسى إمام علم الكيمياء المتوفى سنة ٢٦٠ ستين ومائتين وذكر فيه أسرار الصنعة .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١٥) .

*** خالصة :**

خالصة فى اللغة خاصة . وقد استعمل هذا اللفظ فى تكوين بعض الألقاب المركبة مثل « خالصة أمير المؤمنين » ، و« خالصة الأنام » ، و« خالصة الدنيا والدين » . انظر كلا تحت عنوانه .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا/ ٢٧٣)

*** خالصة أمير المؤمنين:**

خالصة أمير المؤمنين : لقب قديم كان يعطف على «صفى أمير المؤمنين» وقد أطلق على أبى سلامة محمود بن نصر بن صلح فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٤٦٥ هـ على القلعة بحلب . واعتبره ابن شيفى أواخر العصر الأيوبى ضمن الألقاب التى تطلق على كبراء الدولة من الكتّاب . وأورده القلقشندى مع «الجناب الكريم» ضمن ألقاب الوزراء ومن فى معناهم .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن باشا/ ٢٠٠)

*** خالصة الأنام :**

خالصة الأنام : جعل شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى كتابه «عرف التعريف» هذا اللقب أعلى ألقاب الصلحاء من هذا النوع ، وأورده مع « الحضرة الشريفة» التى جعلها أكبر رتبهم ، ومع « الجناب الشريف» و « الجناب الكريم» و «الجناب العالى» ، وجعل دونه «شريف الأنام» ، وأورده مع «المجلس العالى» ، ودونه «زين الأنام» وأورده «مع المجلس السامى» .

(الألقاب الإسلامية ـ د . حسن الباشا / ٢٧٣) .

*** خالصة الحقائق:**

انظر: خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق .

*** خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق:**

جاء فى الكشف : خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق : لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ سبع وستمائة .

مجلد أوله : الحمد لله الذى برأ كل حى . . . إلخ . رتب على خمسين بابًا وأورد فى كل منها طرفًا من الأخبار والآثار وكلمات الأكابر والحكم والأشعار وفرغ منه فى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة . واختصره على بن محمود بن محمد الرابض البدخشانى وسماه « أخلص الخالصة » لخصه على سبيل الإيجاز والاختصار.

أوله : الحمد لله الأحد القديم السلام . . . إلخ (كشف ١/ ٦٩٩).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٣٧٣٤

لأبى القاسم عماد الدين محمود بن أحمد (الفاريابى) المتوفى سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١٠م

الأول : (يقول العبد المذنب أبو القاسم . . . لما كانت السنة النبوية والسيرة الرضية بين السالكين منهج المجاهدين والممسكين عروة . . .) .

وهو كتاب فى غرائب الأخبار، ونوادر الأشعار، والحكم

والآثار واللطائف والنصائح الملتقطة من كتب الدين والأدب والتاريخ، وقد أشار المؤلف إلى المصادر التي اعتمدها والتي بلغت (٧٠) كتابا ... فرغ منه المؤلف سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م ورتبه على خمسين بابا.

ذكر المؤلف في ديباجة الكتاب أن له كتاب «مصباح الجنان» وكتاب «خلاصة المقامات».

نسخة نفيسة، ترقى إلى القرن الحادي عشر الهجري/ القرن السابع عشر الميلادي.

ناقصة صفحة واحدة من الأول.

٢٥٤ص ٢٠×١١,٥ سم ٢٩س

كشف ١/ ٦٩٩، معجم المؤلفين ١٢/ ١٤٥، الأعلام ٧/ ١٦١، ششن ٢/ ٢٧٩.

(نسخة من الكتاب في مكتبة رشيد أفندي بتركيا برقم ٣٧٢/ ١).

نسخة أخرى.

الرقم: ٣٦٦.

أولها: (الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه، وذرأ كل شيء، ثم أفناه لا تتمثله الأبصار، ولا تتخيله الأفكار والظنون...).

كتبها بخط النسخ مصطفى بن عبد اللطيف متولي حضرة الإمام الأعظم سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م عن نسخة المؤلف.

٣٥٠ص ٢٥×١٦ سم ٢٧ س

نسخة أخرى.

الرقم: ٢٨٣٤٨

كتبت سنة ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م، بخط النسخ الجيد، مؤطرة الصفحات في أولها فهرس، مذهبة الأول، تملكها محمد بن عبد الله بن محمد.

٥٦٦ص ٢٨×١٨,٥ سم ٣١س.

(مخطوطات الأدب في المتحف العراقي/ ١٥٥، ١٥٦).

ويوجد مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا، وقد أدرج تحت الاسم المختصر «خالصة الحقائق» وجاء بيانه كما يلي:

خالصة الحقائق OP 2153

تأليف: أبي القاسم محمود بن أحمد بن أبي الحسن الفاريابي المتوفى سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م.

اسمه الكامل: «خالصة الحقائق لما فيه من أساليب الدقائق» وهو كتاب في غريب الأخبار، ونوادر الأمثال، وغرر المقالات، ودرر الدلالات، ومقامات الزهاد.

قسمه مؤلفه إلى أبواب وفي كل باب أورد أولاً دلالات أرباب الشريعة وإشارات أصحاب الحقيقة، ثم ثنى بالأخبار والآثار والحكايات والحكم والنوادر والأشعار حسب ما يقتضيه مقام الباب.

وجعله من خمسين بابًا، أولها: باب العقل والعقلاء، وآخرها في المتفرقات، وختم كتابه بفهرس أسماء الكتب التي استخرج منها حكمه ونوادره وشعره وسائر مادة كتابه.

أوله بعد البسملة: «الحمد لله الذي برأ كل حي ثم دعاه، وذرأ كل شيء ثم أفناه...».

آخره: «... تمت كتابة هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد العاصي... حاجي بن شادي في يوم الثلاثاء من غرة ربيع الثاني بمدرسة الملكية بقصبة سلومة... سنة ست وثلاثين وثمانمائة، اللهم اغفر لمصنفه ولكاتبه ولصاحبه».

النسخة بحالة عادية وقع فيها خروم قليلة وكتبت بخط تعليق مفيد بالشكل.

(٣٤٦)ق (٢٦ × ١٧,٥ سم) (١٩ × ١١,٥سم) مسطرتها (٢٣ س) الكشف ١/ ٤٥٩ بروكلمان ١/ ٣٧٩ ذيل بروكلمان ١/ ٦٥٢ (فهرس المخطوطات العربية/ ٢٣٨، ٢٣٩).

ويوجد مخطوط ترجمته التركية في الدار القومية وجاء بيانه كما يلي:

تأليف الإمام الفاريابي (أبي القاسم عماد الدين محمود ابن أحمد (الفارابي) المتوفى سنة ٦٠٧هـ) ولم يعلم اسم المترجم وقد ترجمها باسم مصطفى باشا.

أول الترجمة : الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ...

وبعد فهذا كتاب ترجمته من كتاب خالصة الحقائق للإمام الفاريابي ... إلخ .

ـ نسخة مخطوطة في مجلد، بقلم نسخ عادي، تمت كتابتها سنة ١٠٩٦ هـ، في ٢١٥ ورقة، مسطرتها ١٣ سطرا، في ٢٠,٥ × ١٤,٥ سم .

(٤ أخلاق تركي طلعت)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١/ ١٩٨)

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٩٩، ومخطوطات الأدب في المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي وظمياء محمد عباس / ١٥٥، ١٥٦، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التي اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية ١٩٨٠م، ١/ ١٩٨) .

*** خالصة الدنيا والدين:**

خالصة الدنيا والدين : من الألقاب المضافة إلى « الدنيا والدين » وقد أطلق هذا اللقب على ابنة الملك فخر الدين في نص إنشاء من ح سنة ٦٢٥ هـ في برج الأسوار في بيبرت : «رسمت بعمارت هذا البرج الملك العالمت العادلة خالصة الدنيا والدين افتخار الخواتين ابنة الملك فخر الدين » .

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٣) .

*** الخالصة في الطب:**

من مصنفات التراث الإسلامي في علم الطب .

مخطوط في مكتبة المتحف العراقي .

الرقم : ٧٥٨٢ .

كتاب باللغة الفارسية في الأمراض والعلاجات الطبية لم يعلم اسم مؤلفه الذي رتبه في ٢٤ بابا .

الأول « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين ... » .

نسخة جيدة كتبت لأجل رضا بك سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠م .

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ـ أسامة ناصر النقشبندي / ٩٨) .

*** الخالق البارىء المصور جل جلاله :**

الأسماء الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من أسماء الله الحسنى . وقد أدرج حجة الإسلام الغزالي الأسماء الثلاثة معا فقال في تفسيرها : الخالق البارئ المصور :

قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع. ولا ينبغي أن يكون كذلك . بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى التقدير أولا، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا ، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا .

والله تعالى : خالق من حيث إنه مقدر... وبارىء من حيث إنه مخترع موجد... ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب .

وهذا كالبناء مثلاً، فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها . وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره . ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي عندها يحدث حصول الأبنية . ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره، ويزين صورته... ويتولاه غير البناء .

هذه هي العادات في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله تعالى . بل هو المقدر والموجد والمزين . فهو الخالق البارىء المصور .

ومثاله الإنسان، وهو أحد مخلوقاته، وهو يحتاج في وجوده أولا أن يقدر ما منه وجوده وأنه جسم مخصوص . فلا بد من الجسم أولا حتى يخصص بالصفات، كما يحتاج البناء إلى الآلات حتى يبنى . ثم لا تصلح بنية الإنسان إلا في الماء والتراب جميعا، إذ التراب وحده يابس محض لا يتثنى ولا يتعطف في الحركات، والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب . فلا بد وأن يمزج الرطب باليابس حتى يعتدل، ويعبر عنه بالطين . ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزاج الماء بالتراب ولا ينفصل ؛ فلا يتخلق الإنسان من الطين

المحض، بل من صلصال كالفخار. والفخار هو الطين المعجون بالماء الذى عملت فيه النار حتى أحكمت مزاجه. ثم يحتاج إلى تقدير للماء والطين بمقدار مخصوص؛ فإنه إن صغر مثلا لم يحصل منه الأفعال الإنسانية، بل كان على قدر الذر والنمل؛ فتسفيه الرياح، ويهلكه أدنى شىء. ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين؛ فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة. بل الكافى من غير زيادة ولا نقصان قدر معلوم يعلمه الله.

وكل ذلك يرجع إلى التقدير. فهو باعتبار تقدير هذه الأمور، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير ـ خالق. وباعتبار مجرد الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود ـ بارىء.

والإيجاد المجرد شىء، والإيجاد على وفق التقدير شىء آخر. وهذا يحتاج إليه من يبعد رد الخلق إلى مجرد التقدير مع أن له فى اللغة وجها؛ إذ العرب تسمى الحَذِق المجرب خالقا؛ لتقديره بعض الفعل على بعض. ولذلك قال الشاعر:

ولأنت تفرى ما خلقت

وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

فأما اسم المصور؛ فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب، وصورها أحسن تصوير.

وهذا من أوصاف الفعل، فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل؛ فإن العالم كله فى حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه. وإنما أعضاؤه وأجزاؤه: السموات، والكواكب، والأرض، وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما.

وقد رتبت أجزاؤه ترتيبا محكما، لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام. فمخصوص بجهة الفوق وما ينبغى أن يعلو، وبجهة السفل وما ينبغى أن يسفل.

وكما أن البنَّاء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالجملة والقصد لإرادة الإحكام. ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلا. وكذلك ينبغى أن نفهم السبب فى علو الكواكب وتسفل الأرض والماء، وسائر أنواع الترتيب فى الأجزاء العظام من أجزاء العالم.

ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم ونحصيها، ثم نذكر الحكمة فى تركيبها ـ لطال. وكل من كان أوفر علما بهذا التفصيل كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصور.

وهذا الترتيب والتصوير موجود فى كل جزء من أعضاء النملة، بل الكلام يطول فى شرح صورة العين التى هى أصغر عضو فى الحيوان. ومن لم يعرف طبقات العين، وعدد هيئاتها، وشكلها، ومقاديرها، وألوانها، ووجه الحكمة فيها ـ فلن يعرف صورتها، ولم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل. وهكذا القول فى كل صورة حيوان ونبات، بل فى كل جزء من كل حيوان ونبات.

تنبيه: حظ العبد من هذا الاسم أن يحصل فى نفسه صورة الوجود كله على هيئاته وترتيبه حتى يحيط بهيئة العالم كله كأنه ينظر إليها.

ثم ينزل من الكل إلى التفصيل فيشرف على صورة الإنسان من حيث بدنه وأعضائه الجسمانية، فيعلم أنواعها وعددها وتركيبها والحكمة فى خلقها وترتيبها. ثم يشرف على صفاته المعنوية ومعانيه الشريفة التى بها إدراكاته وإراداته. وكذلك يعرف صورة الحيوانات، وصورة النبات ظاهرا وباطنا بقدر ما فى وسعه حتى يحصل نفس الجميع وصورته فى قلبه.

وكل ذلك يرجع إلى معرفة صورة الجسمانيات وهى مختصرة بالإضافة إلى معرفة ترتيب الروحانيات. وفيه يدخل معرفة الملائكة، ومعرفة مراتبهم، وما وكل إلى كل واحد منهم من التصرف فى السموات والكواكب، ثم التصرف فى القلوب البشرية بالهداية والإرشاد، ثم التصرف فى الحيوانات بالإلهامات الهادية لها إلى مظنة الحاجات.

فهذا حظ العبد من هذا الاسم، وهو اكتساب الصورة العلمية المطابقة للصورة الوجودية؛ فإن العلم صورة النفس مطابقة لصورة المعلوم.

وعلم الله بالصور سبب لوجودها فى الأعيان والصور الموجودة فى الأعيان سبب لحصول الصور العلمية فى قلب الإنسان.

وبذلك يستفيد العبد بمعنى الاسم المصور من أسماء الله تعالى. ويصير أيضا باكتساب الصور فى نفسه كأنه مصور. وإن كان ذلك على سبيل المجاز فإن تلك الصورة إنما تحدث فيه على التحقيق بخلق الله تعالى واختراعه، لا بفعل العبد ولكن يسعى فى التعرض لفيضان رحمة الله تعالى عليه؛ فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات، فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا».

(أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن محمد بن مسلمة. وقال السيوطى فى الجامع الصغير: حديث ضعيف (١: ٣٦٧ ـ حديث رقم ٢٣٩٨) وقال الهيثمى: فيه من لم أعرفهم، ومن عرفتهم وثقوا (المجمع ١٠: ٢٣١) وللطبرانى نحوه عن أنس بن مالك، وإسناد رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن الكبير وهو ثقة).

أما الخالق والبارىء، فلا مدخل للعبد أيضا فى هذين الاسمين إلا بنوع من المجاز بعيد. ووجهه أن الخلق يرجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم، وقد خلق الله تعالى للعبد علما وقدرة، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقديره وعلمه.

والأمور الموجودة تنقسم إلى ما لا يرتبط حصولها بقدرة العباد أصلا: كالسماء، والكواكب، والأرض، والحيوان، والنبات، وغيرها. وإلى ما لا يرتبط حصولها إلا بقدرة العباد، وهى التى ترجع إلى أعمال العباد: كالصناعات، والسياسات، والعبادات، والمجاهدات.

فإذا بلغ العبد فى مجاهدة نفسه بطريق الرياضة وفى سياستها وسياسة الخلق مبلغا ينفرد فيه باستنباط أمور لم يسبق إليها، ويقدر مع ذلك على فعلها والترغيب فيها ـ كان كالمخترع لما لم يكن له وجود من قبل؛ إذ يقال لواضع الشطرنج إنه الذى وضعه واخترعه؛ حيث وضع ما لم يسبق إليه. إلا أن وضع ما لا خير فيه لا يكون من صفات المدح. وكذلك فى الرياضات والمجاهدات والسياسات والصناعات، التى هى منبع الخيرات ـ صور وترتيبات يتعلمها الناس بعضهم من بعض، وترتقى لا محالة إلى أول مستنبط وواضع. فكان ذلك الواضع كالمخترع لتلك الصور والخالق المقدر لها، حتى يجوز إطلاق الاسم عليه مجازا.

ومن أسماء الله ما يكون نقلها إلى العبد مجازا، وهو الأكثر. ومنها ما يكون فى حق العبد حقيقة، وفى حق الله تعالى مجازا: كالصبور، والشكور. ولا ينبغى أن تلاحظ المشاركة فى الاسم وتذهل عن هذا التفاوت الذى ذكرناه (المقصد الأسنى / ٧٢ ـ ٧٥).

أما الإمام الفخر الرازى فيقسم بحثه إلى ثلاث مسائل: الأولى والثانية فى تفسير اسمه تعالى «الخالق»، والثالثة فى تفسير أسمائه الثلاثة: الخالق البارىء المصور.

يقول رحمه الله: القول فى تفسير اسمه «الخالق»:

قال تعالى: ﴿هو الله الخالق﴾ [الحشر: ٢٤] وقال تعالى: ﴿خالق كل شىء فاعبدوه﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣] وقال تعالى: ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾ [يس: ٨١] وقال تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] وقال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وفيه مسائل.

الأولى: فى تفسير الخلق: اعلم أن الخلق جاء فى اللغة بمعنى الإيجاد، والإبداع، والإخراج من العدم إلى الوجود، والدليل على أنه جاء بمعنى التقدير وجوه.

الأول: قوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] هذه الآية تقتضى كثرة الخالقين، وثبت بالدلائل العقلية والسمعية أنه لا موجد إلا الله تعالى، فوجب حمل الخلق فى هذه الآية على التقدير.

الحجة الثانية قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩] ومعلوم أن المراد من قوله «كن فيكون» هو الإيجاد والإبداع، وقوله «خلقه من تراب» مقدم عليه، والشىء المتقدم على الإيجاد ليس إلا التقدير، فثبت أن المراد بقوله ﴿خلقه من تراب﴾ هو أنه قدره منه، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ألا له

الخلق والأمر﴾ فالخلق هـو التقدير، والأمر هـو قوله: ﴿كن فيكون﴾.

الحجة الثالثة: أن الكذب فى اللغة يسمى خلقا، قـال تعالى: ﴿وتخلقون إفكا﴾ [العنكبوت: ١٧]. ﴿إن هذا إلا خلُق الأولين﴾ [الشعـراء: ١٣٧]. ﴿إن هـذا إلا اختـلاق﴾ [ص: ٧] والكذب إنمـا يسمى خلقا، لأن الكـاذب يقدر فى نفسه ذلك الكـذب ويضمره فدل هذا على أن التقـدير يسمى بالخلق.

الحجة الرابعة: قـوله لعيسى عليه السلام ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] والمراد التصوير. والتقدير.

الحجـة الخـامسـة: قـول الشـاعـر: [زهيـر والبيت من الكامل]

ولأنت تفـــرى مـــا خلقـت وبعـــــــــــــــ
ــــــــــــــض القـــوم يخلق ثم لا يفـــرى

وأيضا الإسكاف يسمى خالقا، لمـا أنه يقدر النعل بقالب مخصوص، قال:

ولا يبسـط بـأيــــــدى الخـــــــالقيـن ولا
أيــــــدى الخــــوالق ألا حبـــــذا الأدم

فثبت بهـذه الـوجـوه أن الخـالق جـاء فـى اللغـة بمعنى التقديـر، فلنبحث الآن عن التقـديـر أيضا مـا هـو، فنقـول: التقدير عبارة عن تكـوين الشىء على مقدار معين، ولا بد فيه من أمور ثلاثة.

أحـدهـا: القدرة المـؤثـرة فى وجـود ذلك الشىء، ثم إن كانت القـدرة بحيث لايتوقف تأثيرها فى المقـدور على آلة، كما فـى حق الله سبحانـه وتعالى كان التقـدير هـو نفس ذلك التحصيل والتكوين، وإن كان يتوقف على آلة مخصوصة كما فى حق العبد، فإنه لا يمكنه تصوير الجسم المتباين وتشكيله إلا عند حركات الأصابع فها هنا سميت تلك الحركات القائمة بأصابعه تصويرا وتقديرا.

والثانى: الإرادة المخصصـة لذلك الشىء بـذلك المقدار المعين، دون ما هى أزيد منه وأنقص منه.

والثـالث: العلم بذلـك القدر الخـاص، وذلك لأن إرادة الشىء مشـروطة بـالعلم بـه، ثم إن كـان الفـاعـل عالمـا بكل المعلـومـات كـان غنيـا فى حصـول ذلك العلم عن الفكـرة والروية، كما فى حق الله سبحانه وتعالى، وإن لم يكن كذلك لم يحصل له ذلك العلم بذلك المقدار الموافق للمصلحة إلا بالفكر والـروية، فهاهنا قـد تسمى تلك الفكرة والرويـة تقديرا وتخليقا، ولكنـه على سبيل المجاز، وذلك لأن التقديـر عبارة عن إيقـاع الشىء على قـدر معين، وذلك لا يمكن إلا بعـد العلم بأمرين. أحدهما: العلـم بذلك القدر، والثانى: العلم بكون ذلك القدر الموافق للمصلحة. وهذان العلمان لا يمكن حصولهمـا إلا بعد الفكرة فكانـت الفكرة شرطا لحصـول هذا العلم فى حق العبـد، وهذا العلم شـرط لكون المـريد مـريدا لإيقاعه على ذلـك القدر، ولكون القادر موجـدا له على ذلك القدر، فكانت الفكـرة شرطا لشرط التقـدير لا مطلقا، بل فى حق العبد، فبهـذا الطريق سميت الفكرة خلقا وتقـديرا، هذا هو البحث عن حقيقة التقدير وماهيته. أما بيان أن لفظ الخلق جـاء فى اللغـة بمعنى الإيجـاد والإبداع، فيـدل عليـه وجـوه الأول: قوله تعالى ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] ولو كان الخلق هاهنا عبارة عن التقدير لصار معنى الآية إنا كل شىء قدرناه بقدر، فيكون تكريرا بلا فائدة.

الحجة الثانيـة قوله: ﴿وخلق كل شىء فقـدَّره تقـديـرا﴾ [الفرقـان: ٢] ولو كـان الخلق عبارة عـن التقدير لكـان معنى الآية: وقدر كل شىء فقدره تقديرا.

الحجة الثالثة قوله تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء﴾ [فاطر: ٣].

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكـون المراد نفى خـالق غير الله يرزقكم من السماء، وهذا لا يقتضى نفى خالق غير الله؟

قلنا: بتقدير أن يصح الإيجـاد من غير الله لا يمتنع إثبات خالق غير الله يرزقنا مـن السماء، لأن الملائكة يصدق عليهم كـونهم خالقين، ولا يمتنع عليهم أن يـرزقـوا غيرهم، ولـذلك يقال رزق السلطان فلانا كذا إذا ملكه ومكنه من التصرف فيه، فثبت أن هـذه الآيـة تقتضى نفـى خـالق غيـر الله، ولا يمكن حمل الخالق هـاهنا على المقدر، لما بينـا أن فى المقدورين كثرة، فوجب أن يكون المراد منه الإيجاد والإبداع.

الحجة الرابعة: قوله تعالى ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ولا يليق بلفظ الخلق ها هنا إلا الإيجاد:

الحجة الخامسة: قوله تعالى: ﴿هذا خلق الله فأرونى ماذا

خلق الذين من دونه﴾ [لقمان: ١٣] ذكر هذا على سبيل الإنكار، وهذا صريح فى أن كل من سوى الحق ليس بخالق، فثبت بهذه الدلائل أن الخلق جاء فى اللغة بمعنى الإيجاد والإبداع.

المسألة الثانية: زعم أبو عبد الله البصرى عن المعتزلة، أن إطلاق اسم الخالق على الله ليس على سبيل الحقيقة؛ لأن الخلق فى اللغة عبارة عن الفكرة والروية، وهذا على الله محال، وكان إطلاق اسم الخالق على الله ليس على سبيل الحقيقة، وهذا ضعيف من وجهين.

الأول: أنا بينا أن لفظ الخلق كما ورد بمعنى التقدير، فقد ورد أيضا بمعنى الإيجاد والإبداع، وهذا المعنى ثابت فى حق الله تعالى.

الثانى: سلمنا أن الخلق فى اللغة عبارة عن التقدير فقط، لكنا بينا أن الفكرة ليست جزء ماهية التقدير؛ بل هى شرط التقدير فى حق العبد لا مطلقا، فلا يلزم من انتفاء الفكرة انتفاء التقدير.

المسألة الثالثة: معنى الخالق البارىء المصور: اعلم أن قوله تعالى ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ [الحشر: ٢٤] إما أن يكون المراد هو المقدر. أو الموجد، فإن فسرنا الخالق هاهنا بالمقدر حسن انتظام هذه الأسماء الثلاثة على هذا الترتيب، وذلك لأن التقدير يرجع حاصله إلى العلم، فنقول من قدماء الفلاسفة من ظن أنه سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء، بل قالوا: إنه سبحانه آنية معلة، فلفظ الخالق يدل على كونه سبحانه وتعالى عالما بحقائق الأشياء، وبجهات مصالحها.

ومنهم من سلم كونه سبحانه وتعالى عالم بحقائق الأشياء، لكنه يقول الهيولى قديمة، والبارئ يتصرف فى فلك الهيولى القديمة، فقوله البارئ رد على هؤلاء فإنه يدل على كونه تعالى موجدا لها عن العدم المحض، ومبدعا لها عن النفى الصرف.

(الهيولى فى الفلسفة المادة الأولى، تنفعل وتحمل الصورة فتتولد الموجودات والجمع هَيُولَيَات)

ومنهم من سلم كونه تعالى عالما بالأشياء، وسلم كونه موجدا لهذه الذوات، إلا أنه يقول صور النبات والحيوان إنما تصدر عن الطبيعة، فالطبيعة هى التى تصور كل واحد من النبات والحيوان بصورته الخاصة، وخلقته المعينة، فقوله: «المصور» رد على هؤلاء، فالخالق يدل على كمال علمه، والبارئ يدل على كونه موجدا للذوات لا عن المادة، والمصور يدل على أنه هو الذى صور هذه الأشياء ووضعها بكيفياتها، فمن عرف ربه بهذه الأسماء الثلاثة فقد عرف معبوده بصفات الإلهية، ونعوت الربوبية، فظهر بهذا أن هذا الترتيب فى غاية الحسن والفائدة.

ومثاله: أنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق الإنسان عاقلا فاهما متحملا لأمانة الله تعالى، مخاطبا، مكلفا، فلا بد وأن يقدر تركيب ذاته بقدر مخصوص وصفات مخصوصة ويؤلف أعضاءه على وجه مخصوص مطابق للمصلحة، والحكمة على ما يشتمل عليه كتب التشريح، ثم إذا حصل التقدير على هذا الوجه فلا بد من مادة عنها يتكون بدن الإنسان، وهى الأجسام، ولا بد من صورة بها يتكون بدن الإنسان، وهى الأمزجة والقوى والتركيبات، فهو تعالى ﴿خالق﴾ لأنه هو الذى قدر كل شىء فى علمه بالمقدار النافع، الطابق للمصلحة، «و ﴿بارئ﴾ لأنه أبدع تلك الأجسام، وأخرجها من العدم إلى الوجود، و ﴿مصور﴾ لأنه تعالى هو الذى أحدث المزاج والقوى والتراكيب فى تلك الأجسام، فإذا عرفت وجه الكلام فى هذه الصورة الواحدة، فاعرف مثله فى جميع الأجسام العلوية، وهى الأفلاك والكواكب، وفى جميع الأجسام السفلية وهى العناصر، والمعادن والنبات، والحيوان، وخاصة الإنسان، وتأمل فى كيفية تركيباتها، وتأليفاتها، حتى يقع فى بحر لا ساحل له، وكل ذلك كالتفسير لكونه تعالى خالقا بارئا مصورا هذا كله إذا فسرنا الخالق بالمقدر.

أما إذا فسرناه بالموجد والمبدع فإنه يصعب تفسير البارئ: فنقول: ذكروا فى تفسير البارئ وجوها.

الأول: أن البارئ هو الموجد والمبدع، يقال: برأ الله

الخلق يبرأهم، والبرية الخلق، فعيلة بمعنى مفعولة، وأصله الهمز إلا أنهم اصطلحوا على ترك الهمزة فيه قال أبو عبيده الهروى: العرب تترك الهمزة من خمسة أحرف: البرية وأصلها برأت، والروية وأصلها رأوت، فى هذا الأمر، والخابية وأصلها خبأت والنبوة وأصلها نبأت، والذرية وأصلها ذرأت، فعلى هذا التقدير لا فرق بين الخالق والبارئ، وهما لفظان مترادفان وَرَدَا فى معنى واحد.

الوجه الثانى: أن أصل البرء القطع والفصل، قال الأخفش: يقال برت العود وبروته إذا قطعته ونحته، وبريت القلم بغير همز إذا قطعته وأصلحته، ويقال: برأت من المرض أبرأ برأ وبريت أيضا من المرض أبرأ، ويقال برأت من فلان ودعواه أبرأ براءة، وبرأ الرجل من شريكه، وبرأ الرجل من امرأته إذا فارقها، إذا عرفت هذا فنقول إنه تعالى خالق بمعنى أنه موجد للذوات والأعيان، وبارئ بمعنى أنه فصل بعض الأشخاص عن بعض، ومصور بمعنى أنه هو الذى يصور كل واحد من الأشخاص بصورته الخاصة، وعلى هذا الوجه ظهر الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة.

الوجه الثالث: أن البارئ مشتق من البرى وهو التراب، هكذا قاله ابن دريد، والعرب تقول بفيه البرى أى التراب، فالخالق يدل على أنه تعالى أوجد الأشياء من العدم، والبارى يدل على أنه تعالى ركب الإنسان من التراب، كما قال: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ [طه: ٥٥] ومصور من حيث إنه أعطاه الصورة المخصوصة، كما قال: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤] و[التغابن: ٣].

قال أبو سليمان الخطابى: وللفظة البارئ اختصاص بالحيوان أزيد مما لسائر المخلوقات، فيقال برأ الله الإنسان، وبرأ النسم، ولا يقل برأ الله السماء والأرض، وكانت يمين على بن أبى طالب عليه السلام التى يحلف بها؛ والذى فلق الحبة، وبرأ النسمة، وهذا يؤيد قول ابن دريد، وأما المصور فهو مأخوذ من الصورة.

وفى اشتقاق لفظ الصورة قولان:

الأول: من الصور وهو الإمالة قال تعالى: ﴿فصرهن إليك﴾ [البقرة: ٢٦٠] أى أملهن؛ وفى حديث عكرمة «وحملة العرش كلهم صور» يريد جمع أصور، وهو مائل العين، فالصورة هى الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

والثانى: أن الصورة مأخوذة من صار يصير، ومنه قولهم: إلى ماذا صار أمرك، ومادة الشىء هى الجزء الذى باعتباره يكون الشىء يمكن الحصول، وصورته هى الجزء الذى باعتباره يكون الشىء حاصلا كائنا لا محالة، فلا جرم كانت الصورة منتهى الأمر ومصيره.

إذا عرفت هذا فنقول: لا شك أن الأجسام متساوية فى ذاتها، ويرى كل جسم مختصا بصورة خاصة، وشكل خاص، والذوات المتماثلة إذا اختلفت فى الصفات كانت تلك الصفات جائزة العدم والوجود، والجائز لا بد له من مرجح ومخصص فافتقرت الأجسام بأسرها فى صورها المخصوصة، وأشكالها المخصوصة إلى مخصص قادر، وهو الله سبحانه فثبت أنه سبحانه وتعالى هو المصور، ثم إنه سبحانه خص صورة الإنسان بمزيد العناية، كما قال: ﴿وصوَّركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤] و[التغابن: ٣] وقال تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] وقال بعد أن شرح خلق الإنسان: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] هذا هو الكلام فى تفسير هذه الأسماء الثلاثة.

المسألة الرابعة: فى كلام المشايخ فى اسمه الخالق والبارئ والمصور: فى هذه الأسماء قالوا: الخالق هو الذى بدأ الخلق بلا مشير، وأوجدها بلا وزير، وقيل: الخالق الذى ليس لذاته تأليف، ولا عليه فى قوله تكليف، وقيل: الخالق الذى أظهر الموجودات بقدرته، وقدر كل واحد منها بمقدار معين بإرادته، وقيل: الخالق الذى خلق الخلق بلا سبب وعلة، وأنشأها من غير جلب نفع ولا دفع مضرة.

حكى عن جعفر بن سليمان أنه قال: مررت بعجوز مكفوفة تنوح على نفسها فقلت لها: ما معاشك؟ فقالت: دع هذه الفضول، بلغت هذا المبلغ فما أحوجنى إليك ولا إلى

غيرك. ثم قالت أما سمعت قول الخليل عليه السلام: ﴿الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠].

أما البارئ فقالوا: من عرف أنه البارئ لم يكن للحوادث فى قلبه أثر، ولا للشواهد على سره خطر، وقيل: من عرف أنه البارئ تبرأ عن حول نفسه وسطوته، ولا يمن على الحضرة بعبوديته وطاعته، وقيل من عرف أنه البارىء فنى عن مساكنة الأغيار، وسقط عن سره ملاحظة الآثار، وقيل: من عرف أنه البارئ تبرأ عن المحظور، والتجأ إلى الملك الغفور.

أما المصور فقالوا: إنه الذى سوى قامتك، وعدل خلقتك، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ [التين: ٤]، وقيل: المصور من زين الظواهر عموما، ونور السرائر خصوصا، وقيل المصور الذى ميز العوام من البهائم بتسوية الخَلق، وميز الخواص من العوام بتصفية الخُلق.

واعلم أنه تعالى كما زين الظواهر بالصورة الحسنة، زين البواطن أيضا بالسيرة الحسنة، وبهذا المعنى قال تعالى فى تعظيم العلم: ﴿وعلَّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ [النساء: ١١٣]، وقال فى تعظيم الخُلق: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤] فالمرء مشهور بخلقه، مستور بخَلقه.

قال يحيى بن معاذ: إذا سكت فأنا من الناس واحد، وإذا نطقت فأنا فى الناس واحد، ولهذا قيل: المرء مخبوء تحت لسانه.

وقال عليه الصلاة والسلام «ما واحد خير من ألف مثله إلا الإنسان».

المسألة الخامسة: حظ العبد من هذه الأسماء الثلاثة قليل، أما الخالق فقد رجع حاصله إلى العلم، وأما البارئ فقد رجع حاصله إلى القدرة، فحظ العبد من الأول تكميل القوه النظرية بمعرفة الحقائق، ومن الثانى تكميل القوة العملية بمحاسن الأخلاق، وإليهما الإشارة بقول الخليل: ﴿رب هب لى حكما﴾ [الشعراء: ٨٣] إشارة إلى تكميل القوه النظرية ﴿وألحقنى بالصالحين﴾ إشارة إلى تكميل القوة العملية، فإذا صار هكذا فقد صار تاما فى ذاته تماما يليق بالبشرية، فيجب بعده أن يشتغل بتكميل غيره، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلى﴾ [يوسف: ١٠٨] وهذا هو حظ العبد من اسمه المصور، لأنه بإرشاده يصور الحق فى عقول الخلق (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٠٢ ـ ٢١١).

وفى منظومته الموسومة بالفرائد فى علم العقائد يسوق الشيخ معروف النودهى «فريدة فى افتقار العالم إلى صانع هو الله تعالى عز وجل» وهذه أبياتها:

أشهد من صميم قلب جازم — *معتقدا أن لا غنى للعالم*
عن صانع أخرجه من العدم — *إلى الوجود ذى بقاء وقدم*
وواجب وجوده بالذات — *متصف بقدم الصفات*
حى عليم متكلم قدير — *شاء مريد وسميع وبصير*
وأن ذاك الصانع الإله — *ليس له من خالق سواه*
أبدعه بلا مثال سابق — *وذاك عكس عمل الخلايق*
من غير حاجة له إليه — *أو موجب أوجبه عليه*
فكم دليل قاطع قد نطقا — *بأنه هو الغنى مطلقا*
بذاته العليا وأن البارى — *فاعل ما يشاء باختيار*
لكن قديم علمه به سبق — *من أجل هذا خلق الذى خلق*
وليس من إبداع مصنوعاته — *من حادث بعارض فى ذاته*

لـم يكتسب بصنعـــــه مـن زيـن
ولـم يـــــذد بفعلــــه مـن شيـن

(الأعمال الكاملة ق ٥/ ٧٩ـ٨١)

(المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٧٢ ــ ٧٥، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازى ـ راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٠٢ ــ ٢١١، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى وزميليه. المجموعة الأصولية ق ٥ / ٧٩ ــ ٨١. انظر أيضا ولله الأسماء الحسنى فادعو بها ــ جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ٤٤ ـ ٥٣).

*** ابن خالويه (ـ٣٧٠هـ/ ـ٩٨٠م):**

قال عنه القفطى:

هو أبو عبد الله الحسين بن محمد النحوى اللغوى، من أهل همدان، ودخل بغداد، وأدرك أجلة العلماء بها؛ مثل أبى بكربن الأنبارى وابن مجاهد وأبى عمر الزاهد وابن دريد، وقرأ على أبى سعيد السيرافى، وكان منتصرا له على أبى على الفارسى، وانتقل إلى الشام، وصحب سيف الدولة ابن حمدان، وأدَّب بعض أولاده. تصدر بحلب وميافارقين وحمص للإفادة والتصنيف، وعاش بعد سيف الدولة فى صحبة ولده شريف وغيره من آل حمدان، ومات بحلب فى سنة سبعين وثلثمائة.

وله من التصانيف: كتاب «الاشتقاق». كتاب «الجُمل» فى النحو. كتاب «اطرغش». (يقال: اطرغش المريض اطرغشاشا؛ إذا برىء، واطرغش من مرضه؛ إذا قام وتحرك ومشى، وُمْهر مطرغش: ضعيف تضطرب قوائمه، واطرغش القوم؛ إذا غيثوا وأخصبوا). كتاب «القراءات». كتاب «إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز» (طبعته دار الكتب المصرية بمطبعتها سنة ١٣٦٠). كتاب «المقصور والممدود». كتاب «المذكر والمؤنث». كتاب «الألفات» (فى مرآة الجنان وكشف الظنون: «الألقاب»). كتاب «الأسد». كتاب «ليس». كتاب «تقفية ما اختلف لفظه واتفق معناه لليزيدى». كتاب «المبتدأ» فى النحو. كتاب «شرح المقصورة». كتاب «اشتقاق خالويه». كتاب «تذكرته»، وهو مجموع، ملكته بخطه (وذكر له اليافعى من المؤلفات كتاب «الآل»).

وذكره شيرويه فى علماء همذان فقال: «الحسين بن محمد بن خالويه، أبو على الأديب. رفيق عبد الرحمن بن حمدان الجلاب بالشام. روى عن ابن دريد والصولى وغيرهما. روى عنه أبو أحمد عبد الله بن عدى الحافظ، وقال: رأيته ببيت المقدس، وكان إماما، أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام العلم والأدب، وكان إليه الرحلة من الآفاق. سكن حلب، وكان آل حمدان يكرمونه، ومات بها ـ رحمه الله».

وذكره اللحجى اليمنى فى كتاب «الأترجة» عند ذكره ابن الحائك اليمنى، ووصف شعر ابن الحائك، وقال: «ومن الشاهد على ذلك أن الحسين بن خالويه الإمام لما دخل اليمن ونزل ديارها، وأقام بها شرح ديوان ابن الحائك، وعنى به، وذكر غريبه وإعرابه».

قال القفطى: ولم أعلم أن ابن خالويه دخل اليمن إلا من كتاب «الأترجة» هذا، وهو كتاب غريب قليل الوجود، اشتمل على ذكر شعر اليمن فى الجاهلية والإسلام، إلى قريب من زماننا هذا، وما رأيت به نسخة ولا من ذكره؛ إلا نسخة واحدة جاء فى كتب الوالد، أخضرت بعد وفاته من أرض اليمن (إنباه الرواة ١ / ٣٢٤ـ٣٢٦).

ولابن خالويه مع المتنبى مناظرات وكان كوفى النزعة، قصير الباع فى النحو، طويله فى اللغة، يشهد بذلك ما ساقه فى انتصاره لثعلب عند رده الاعتراضات العشرة التى فند بها الزجاج نصف كتابه «الفصيح». وقد ذكر السيوطى ردود ابن خالويه مبسوطة بعد ذكر اعتراضات الزجاج فى الأشباه والنظائر (الفن السابع) فى الجزء الرابع. وغير خاف أن للنزعة الكوفية فى نفس ابن خالويه أثرها فى الدفاع عن ثعلب (نشأة النحو/ ٢٠٠).

ترجمته فى إشارة التعيين الورقة ١٦ ـ ١٧، وأعلام النبلاء

٤ / ٥٤ ـ ٥٦، وبغية الوعاة / ٢٣١ ، ٢٣٢، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٢، وابن خلكان ١/ ١٥٧، ١٥٨، وروضات الجنات / ٢٣٧، وشذرات الذهب ٣/ ٧١، ٧٢، وطبقات الشافعية ٢/ ٢١٢، ٢١٣، وطبقات ابن قاضي شهبة ١ / ٣١٧ ـ ٣١٩، والفلاكة والمفلوكين / ١٠١، ١٠٢، والفهرست/ ٨٤، وكشف الظنون / ١٢٣، ٦٠٢، ١٣٩٧، ١٤٥٤، ١٤٦١ ، ١٨٠٨، ومرآة الجنان ٢ / ٣٩٤، والمزهر ٢/ ٤٢١، ٤٤٦، ومسالك الأبصار جـ ٤ مجلد ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، ومعجم الأدباء ٩/ ٢٠٠، ٢٠٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٩، ونزهة الألباء/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥، ويتيمة الدهر ١/ ٨٨، ٤٨٩؛ وهو في جميع هذه الكتب، عدا تلخيص ابن مكتوم مذكور باسم «الحسين بن أحمد» (إنباه الرواة ١/ ٣٢٤).

(إنباه الرواة للقفطي ـ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوي / ٢٠٠)

* **الخامس من الأحاديث والأخبار والحكايات:**

من مصنفات التراث الإسلامي في الأدب مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٤٥٤١

جمع عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م

(ترجمته في بروكلمان الذيل ١ : ٦٠٥ والأعلام ٤/ ١٦٠ ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٧٥ و ١٣ / ٣٩٨)

أوله : «أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر السلمي الدمشقي بها، أنا الشريف أبو القاسم علي بن إبراهيم بن العباس العلوي الحسيني، أنا أبو الحسين رشأ بن نظيف بن ما شاء الله المعدل، أنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل الغساني ...

كتب رجل إلى بعض الزهاد: أنا أكرمك الله رجل من إخوانك قد أوثقتني ذنوبي وكثرت عيوبي فأخبرني كيف يقف ذو اللب على ما ينفعه ...»

آخره : «... فدخل ليدعوني فقال لي: يا مدعيا التوكل في الصحاري والبراري، ليس التوكل بالجلوس إلى السواري على البواري، والانتظار لأكلة تأتيك من قبل الجراري (؟) ثم خرج فخرجت أطلبه وأسأل عنه فلم يعطني إنسان خبره وخرجت من الكوفة فدخلت قصر هبيرة».

نسخة قديمة بخط المؤلف عليها سماعات في سنة ٦٠٠ و ٦٦٢ و ٧٢٧ و ٩٠٠

٢٠ ق ٢٠ س ١٥ × ٢٠,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٣، ١٩٤).

* **الخان:**

وهي وظيفة من وظائف كبار الأمراء بالهند، وفي نصوص أوردها القلقشندي «وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه من الخانات والأمراء» و «وأن أعلى عسكره الخانات ثم الملوك ثم الأمراء، ثم الاسفهسلارية ثم الجند» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٥).

والخان : لقب تركي يطلق على شيوخ الأمراء في قبائل الترك منذ القرن الأول أو الثاني الهجري، ومعناه الرئيس؛ وربما قيل لهم أيضا «قان» أو «خاقان» (انظر «الخاقان») وقد أطلق هذا اللقب بعد ذلك على الولاة من المغول الذين كانوا يعترفون بتبعية ولو اسمية لسيد الأسرة الأعظم الذي أطلق عليه «الخاقان» أو «القاف» وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أن «خان» كان لقب السلطنة عند ملوك المغول في فارس والعراق.

وقد دخل هذا اللقب في العالم الإسلامي عن طريق خانات التركستان: فأطلق على الأمير نصر بن علي في سكة بتاريخ سنة ٣٩٠هـ من بخارى، وفي أخرى من فرغانة بتاريخ سنة ٣٩٩هـ؛ ثم أطلق على علاء الدين أبي الفتح محمد بن تكش خوارزم شاه في سكة بتاريخ سنة ٦١٠هـ من سمرقند. ومن ثم انتقل إلى بعض أنحاء العالم الإسلامي مع الترك والتتار كعلم على السلطنة: فأطلق على أبي الفتح طغرل السلطاني في نص إنشاء بتاريخ سنة ٦٤٠هـ في باري دركاء في بهار في الهند وعلى أبي المكارم «تاتارخان» في نص

إنشاء بتاريخ سنة ٦٦٥ هـ في ضريح شاه فضل الله فى بهار فى الهند (الألقاب الإسلامية / ٢٧٤) .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١١٥ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٥/ ٨٢، ٩١، والألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٤) .

*** خان الخليلى (أبواب الغورى) ٩١٧هـ/ ١٥١١م. أثر ٥٣، ٥٤، ٥٥:**

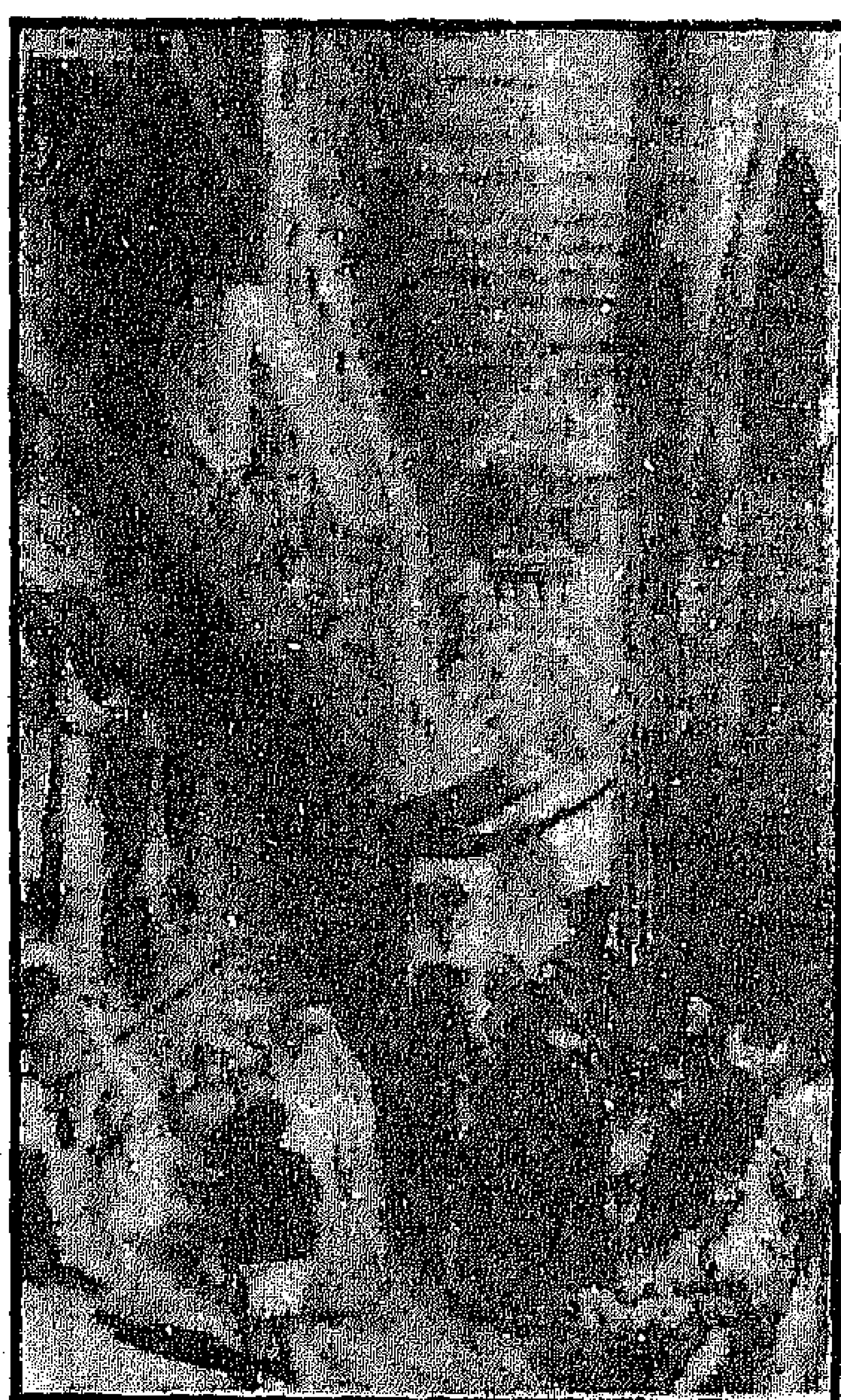
لما أسس جوهر الصقلى القاهرة وبنى القصر الشرقى الكبير أنشأ بجواره تربة تضم رفات الخلفاء الفاطميين أسلاف المعز وخلفائه وذراريهم من بعده « سميت تربة الزعفران» وهذه التربة كانت تشغل المكان المعروف الآن « بخان الخليلى» نسبة إلى الأمير «جهاركس الخليلى» أمير أخور السلطان الظاهر برقوق (دليل موجز / ١٨٥) أى رئيس الإسطبلات وكانت من الوظائف الكبرى (أسماء ومسميات / ٣٧٤) .

يقول المقريزى :

خان الخليلى : هذا الخان بخط الزراكشة العتيق كان موضعه تربة القصر التى فيها قبور الخلفاء الفاطميين المعروفة بتربة الزعفران . أنشأه الأمير جهاركس الخليلى أمير أخور الملك الظاهر برقوق وأخرج منها عظام الأموات فى المزابل على الحمير وألقاها على تلال البرقية هوانا بها فإنه كان يلوذ به شمس الدين محمد بن أحمد القليجى وقال له إن هذه عظام الفاطميين وكانوا كفارا رفضة فاتفق للخليلى فى موته أمر فيه عبرة لأولى الألباب وهو أنه لما ورد الخبر بخروج الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ومجىء الأمير منطاش نائب ملطية إليه ومسيرهما بالعساكر إلى دمشق أخرج الملك الظاهر برقوق خمسمائة من المماليك وتقدم لعدة من الأمراء بالمسير بهم فخرج الأمير الكبير أيتمش الناصرى والأمير جهاركس الخليلى هذا والأمير يونس الدوادار والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى والأمير ندكار الحاجب وساروا إلى دمشق فلقيهم الناصرى ظاهر دمشق فانكسر عسكر السلطان لمخامرة ابن يلبغاوندكار وفر أيتمش إلى قلعة دمشق وقتل الخليلى فى يوم الإثنين حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وترك على الأرض عاريا وسوءته مكشوفة وقد انتفخ وكان طويلا عريضا إلى أن تمزق وبلى عقوبة من الله تعالى بما هتك من رمم الأئمة وأبنائهم .

ولقد كان عفا الله عنه عارفا خبيرا بأمر دنياه كثير الصدقة ووقف هذا الخان وغيره على عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان فعمل ذلك مدة سنين ثم لما عظمت الأسعار بمصر وتغيرت نقودها من سنة ست وثمانمائة صار يحمل إلى مكة مال ويفرق بها على الفقراء . (المواعظ والاعتبار ٢/ ٩٤)

(دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة ـ محمود أحمد/ ١٨٥، وأسماء ومسميات من مصر القاهرة ـ محمد كمال السيد محمد/ ٣٧٤، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٩٤) .



ـ خان الخليلي في القاهرة. نقلا عن هاي

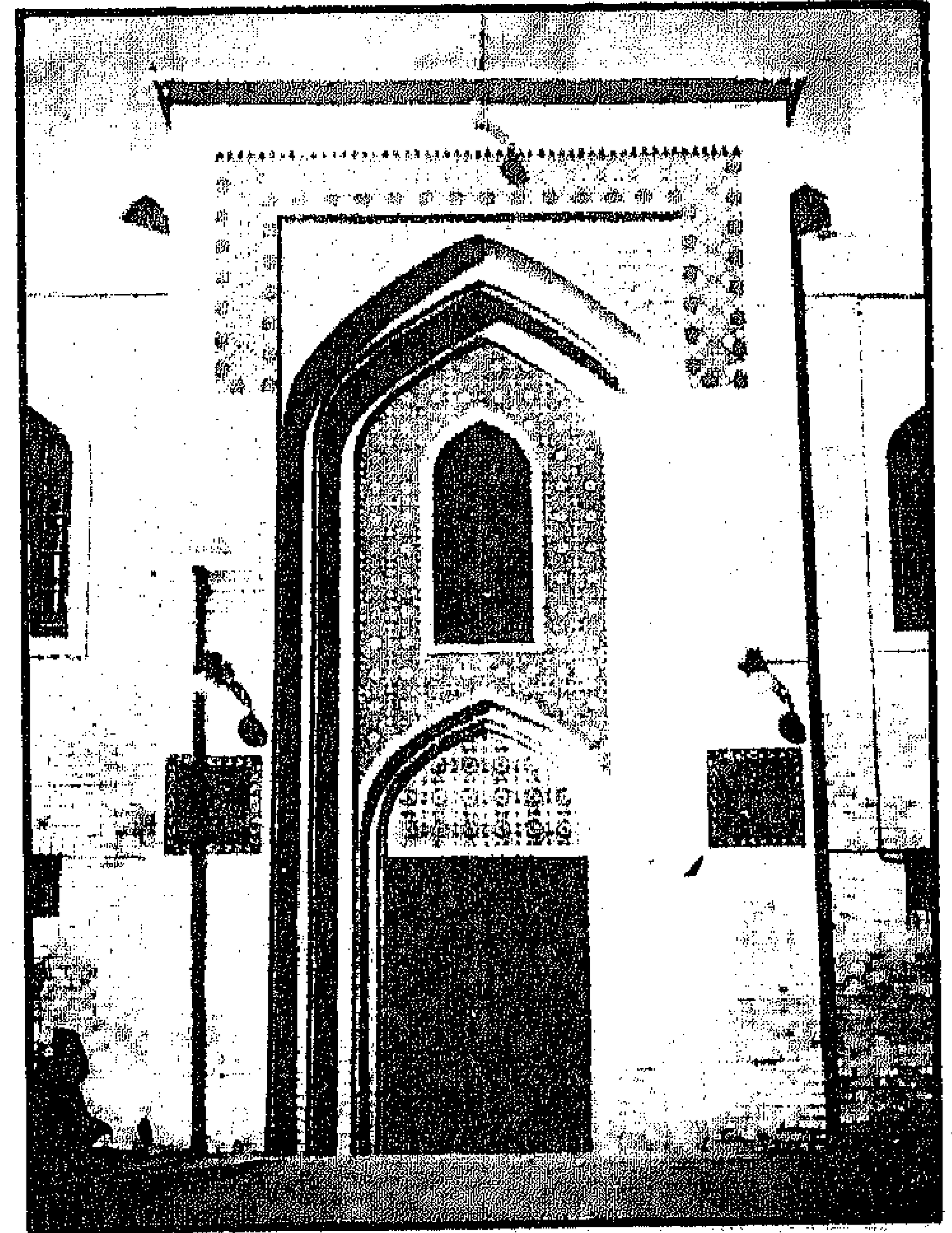
*** خان مرجان ١٣٥٩ :**

خان مرجان ببغداد شيده عام ١٣٥٩ أمين الدين مرجان حاكم بغداد فى عهد السلطان أويس الجلائرى : وذلك خلال عصر الإيلخانات بالعراق وقد اتخذ ظل الحكم العثمانى إدارة للجمارك . وبعد طول المبنى ومسقطه الصليبى الشكل أمْرًا

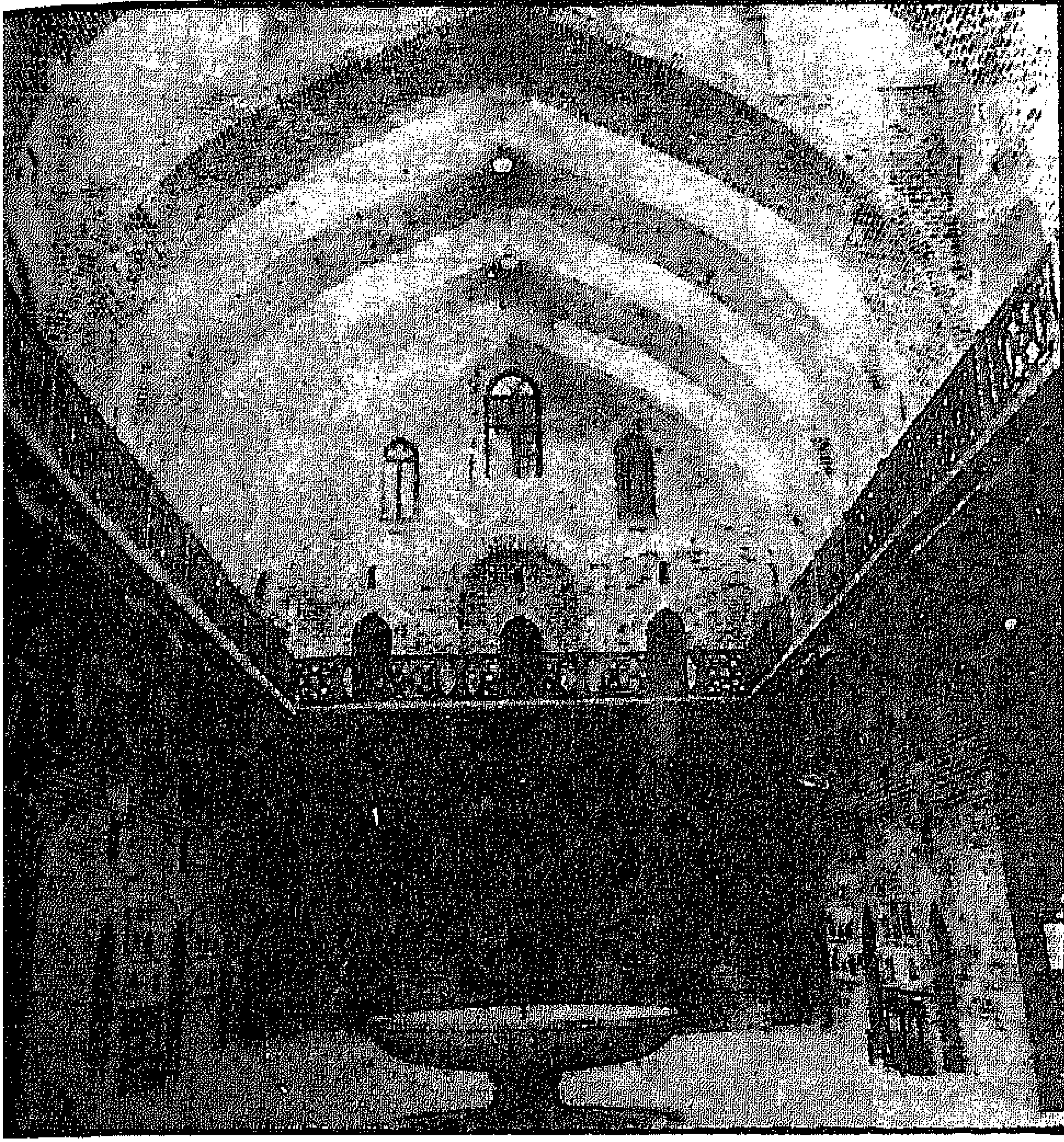
غير معهود فى الخانات التى كانت تبنى داخل المدن آنذاك على ما يشهد به استقراء أوصاف تلك المبانى التى تركها لنا الكتّاب والمؤرخين . فعلى الرغم من كثرة المادة الوصفية لهذا الطراز من الأبنية فى وقفيات القرنين الثالث عشر والرابع عشر إلا أنه لم تبق لنا نماذج منها .

وقد أسس مرجان فى الوقت نفسه مدرسة يحتلها الآن جامع مرجان ومستشفى ، وأوقف الخان عليهما (جدد بناء هذه المدرسة مرارًا ولم يبق منها سوى باب ومئذنة) وينفرد هذا الخان بأسلوب تسقيفه بأقواس وعقود فيما بينها يبلغ ارتفاع سقف البهو ١٤ مترا ، ويتألف من بهو مستطيل (٢٩,٧٢ مترا × ١٠,٧٠ أمتار) من حوله غرف للتجار فى طابقين ، ويبلغ ارتفاع سقف البهو أربعة عشر مترا ، وقد اتخذ هذا البناء متحفًا للآثار العربية منذ عام ١٩٣٧ (القيم الجمالية / ٢٢٤) .

ويحتوى الطابق الأول على ٢٢ غرفة ، والثانى على ٢٣ غرفة ، وفى أبواب الطابق الأرضى يؤدى البروز الآجرى وظيفته الجمالية المثلى ... سلسلة من مشكاوات مقوسة تنحدر منها الزخارف المقرنصة تفصل ما بين الطابقين وتعد من أنفس آثار الزيارة فى بناء الخان (مطعم خان مرجان / ١) .



خان مرجان .



خان مرجان .

قالت المؤلفة : يستخدم خان مرجان الآن مطعما سياحيا ، وقد قمنا بزيارته يوم السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م وتناولنا به الشاى ، حيث كانت الزيارة فى الصباح ، وهو أثر مبهر حقا .

(القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ـ د. ثروت عكاشة / ٢٢٤ ، ومطعم خان مرجان . المؤسسة العامة للسياحة . المنشأة العامة لإدارة المرافق السياحية / ١) .

*** الخانات :**

وتسمى الوكالات ، وهى مخصصة لإقامة المسافرين وقوافل التجار ، وكانت ذات مداخل ضخمة وصحن تربط فيه الدواب ، وحواصل مفتوحة على الصحن لإيداع البضائع ، والأدوار العليا للسكن وتفتح الحوانيت على الشارع (الفن الإسلامى / ١٢٤) .

والخان : لفظة فارسية الأصل ، أطلقت على مكان مبيت المسافرين وأول نص نقع عليه فيه يعود لعام ٦١٠هـ / ١٢١٣م ، محفورا على الحجر يؤرخ تأسيس خان العقبة .

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

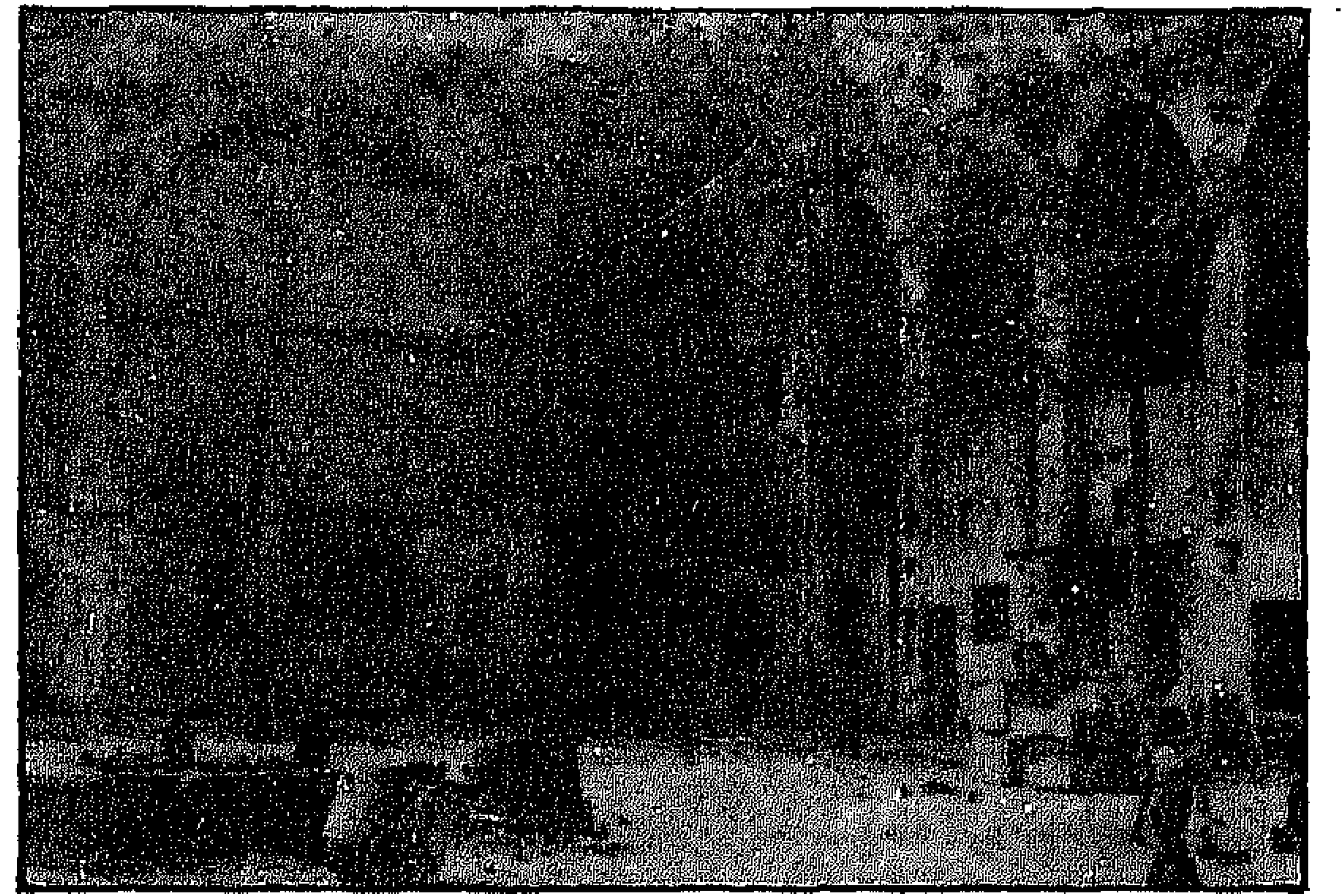
والخانات نوعان : الأول أقيم على طرق السفر، خارج المدن المتباعدة، والثانى داخلها .

النوع الأول : كان يبنى بادئ الأمر على منابع المياه ومجارى الأنهار، يبتعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار، أى ما يقارب الثلاثين كيلو مترا كان الخان يقدم الخدمات للتجار والرحالة والمسافرين كافة، ويوفر لهم الراحة ويجنبهم مشقة السفر ليلا ومخاطره. وكان يضم مستودعات لحفظ البضائع واصطبلات مختلفة لإيواء العربات، وأنواع الحيوانات التى لا تتجانس فى المزارب : فالخيول تأنف من روائح الإبل والبغال ولا تساكن الحمير. وكانت الاصطبلات مجهزة بلوازم لإصلاح المركبات ومعدات للعناية بالدواب ورعايتها . وإلى جانب تلك المرافق والخدمات ، هناك الحوض، فى وسط الصحن ومشرب البهائم، والفرن، والمصلى ، وكذلك الحمام. وقد استعملت فى بناء الخانات مواد تغيرت مع المواقع، فقد تكون من طين أو من قرميد مشوى أو نىء، فى العراق وإيران ومصر، أو من حجارة كلسية أو بازلتية، فى الشام وتركيا . أما من حيث التصميم فكان مربع المسقط، إجمالا، وغالبا بطبقتين اثنتين، تحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع . وقد يحيط به سور خارجى مدعم وبوابة مصفحة ضخمة محكمة الإغلاق ليلا وكأنه حصن صغير وكانت غرف المسافرين موزعة بين الطبقتين أو فى العليا فقط. وفى بعض الخانات المتواضعة كانت قاعة النوم مشتركة يرقد فيها المسافرون ، على منصات (دشكات) مرتفعة عن الأرض وكانوا عليها يجلسون ومن الملاحظ أن خانات السهول كانت أوسع من خانات الجبال. كما كانت خانات البلاد الباردة تخلو من الصحن المكشوف. ولقد أخذت الخانات إجمالا بعد انتشار الإسلام تصميمين رئيسيين : الأول إيرانى بقاعات متطاولة موازية للصحن المركزى. ولكن هذا التصميم ما لبث أن أخذ شكل الأواوين. وقد احتلت البوابة فى عمارته مركزا على جانب كبير من الأهمية . أما التصميم الثانى فهو بأربعة أضلاع وصحن مركزى تحيط به الأروقة، قديم العهد، ويعرف بالطراز البحر ــ متوسطى . ومع هذين الشكلين العامين كانت هناك صفات تميزت بها الخانات السلجوقية الفخمة فى إيران والأناضول، والأيوبية فى سوريا، والمملوكية فى سوريا ومصر، والإيلخانية والصفوية فى إيران، والعثمانية فى آسيا الصغرى، وخانات طرق الحج . وكان عددها فى سوريا وإيران والأناضول فى القرن السابع الهجرى، الثالث عشر الميلادى، مئة وتسعة عشر. وقد قامت حول بعضها تجمعات سكنية أصبحت مدنا فيما بعد، كجسر الشغور وخان العسل فى سوريا وخان يونس فى مصر وكثير غيرها . أما أقدم خان أقيم على طرق المسافرين فى الإسلام فهو قصر الحير الشرقى من الطراز البحر أوسطى، فى بادية الشام على بعد خمسة وستين كيلو متر جنوبى تدمر على مفترق طرق يؤدى إلى «ميادين » على الفرات و « تدمر » و «حمص» و «الرصافة » ومنها إلى « حلب » باتجاه الغرب و «البصرة » و «بغداد» باتجاه آخر (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢ ، ١٥٣) .

وهذه هى خانات القوافل أو خانات الطرقات التى يقول عنها الدكتور ثروت عكاشة :

وشاع نوع هام من المبانى فى إيران وفى بلاد الأناضول منذ عهد السلاجقة ، هو خانات القوافل التى كان القصد منها إيواء التجار المسافرين وحراستهم فى بعض الأحيان حينما يضطرون إلى المبيت فى الطريق بين مدينتين، وكانت هذه الخانات تدعى فى إيران باسم « الرباط» ومن الثابت أن مبانى مماثلة أقيمت على طول طريق نهر الفرات المتجه إلى الشرق فى ظل الإمبراطورية الرومانية، غير أن أقدم ما بقى منها حتى الآن هو «خان دايا خاتون » بآسيا الوسطى السوفيتية على مقربة من مرو. وعلى الرغم من أن الحفائر الجارية لم تكشف لنا بعد عن التخطيط الكامل للمبنى، إلا أن المعلومات المتوفرة حتى الآن تقرر أن مسقطه كان صليبى الشكل ذا أربعة إيوانات تطل على فناء فسيح . وتتكون هذه الإيوانات من طابقين أو ثلاثة من الغرف تتوسطها عدة ممرات أو أروقة مواجهة للفناء كذلك . وأمام كل إيوان منها موقد ليطهو النزلاء طعامهم فوقه . ولم يكن هناك بد من أن تكون هذه المبانى مزودة بالمرافق الضرورية ، كالحمامات والمسجد أو المصلى وحظائر عديدة لدواب الركوب بالقرب من مداخلها، بل نجد

فيها أحيانا عيادات لعلاج المرضى والعناية بهم . وعلى الرغم من أننا نعرف من نماذج هذه المبانى أمثلة رائعة من حيث المستوى الفنى ومستوى الزخرفة ولا سيما فى خراسان الإيرانية مما يرجع إلى عصر السلطان سنجر (١١١٦ ـ ١١٥٦) مثل «رباط شرف» وخان شاه سلطان حسين بأصفهان وخان القوافل بكاشان فإن أكبر قدر توفر لدينا من المعلومات حول هذه المبانى هو ما يتعلق بخانات الأناضول التى ترجع إلى عصر السلاجقة، ففيما بين سنتى ١٢٢٠و ١٢٨٠ شيد أكثر من ستين خانا من هذا النوع فى رقعة ضيقة من أرض هذه المنطقة . وأقيمت تلك المبانى بالحجر، وأسرف فى تحصينها حتى بدت أشبه بالقلاع وانتشرت هذه الخانات على طريق التجارة المتجه نحو الجنوب الشرقى من قونية يفصل بين كل منها نحو عشرين كيلو مترًا . وأوضح نموذج لهذه المبانى هو «خان سلطان» بقرب آق سراى الذى بناه السلطان علاء الدين كيقباذ الأول فى سنة ١٢٢٩ ـ ١٢٣٠ . ويتألف من صحن خارجي وبه حظيرة للدواب، ومن حانوت حداد يعنى بالركائب، والراجح أن الصحن قد ضم كذلك بعض المتاجر، وثمة قاعة داخلية مسقوفة تقى المجتمعين زمهرير البرد. أما مدخل البوابتين الخارجية والداخلية فقد نقش نقشا بديعا



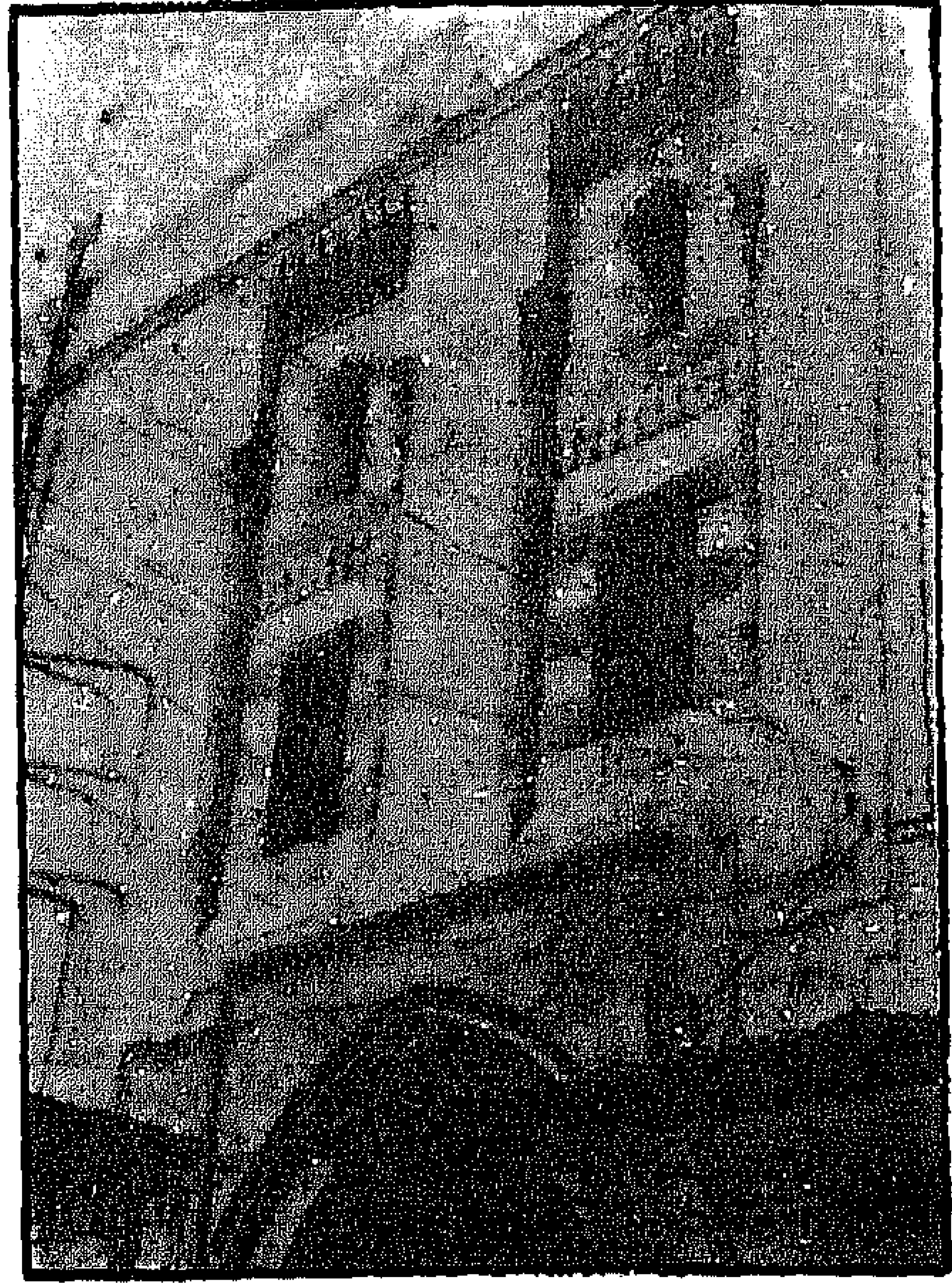
الشكل ٢٢ : ـ باحة خان قرت بك في حلب



الشكل ١٣ : ـ مدخل خان الجمرك بحلب

مرصعا بالرخام . وتشهد الفخامة التى يلاحظها المشاهد على المبنى كله داخله وخارجه بسخاء منشئى الخانات ، وهو ما تؤكده كذلك وثيقة وقف أحد الخانات المسجلة باسم الأمير السلجوقى قازاتاى فى أنطاليا سنة ١٢٥١ ، وتنص على تقديم الطعام وتيسير المبيت للمسافرين بلا أجر، ومنحهم ما يحتاجون إليه من خدمات أخرى مثل إصلاح أحذيتهم والعناية بدوابهم، بل وتقديم هدايا من السكر فى أيام الأعياد . وكان بهذا الخان مستشفى وحمام ومسجد، وعدد كبير من الموظفين فى خدمة هذه المرافق، كما كانت به هيئة دائمة من البنائين المكلفين بإصلاح المبنى وصيانته والسهر على خدمة المسافرين .

وتبدو الزخارف الأساسية فى هذه الخانات « السراى » على وجه المدخل الرئيسى وواجهة باب الحظيرة المحاذى له ويطل على الفناء بناء من غرف ثلاث من ثلاثة اتجاهات . فى حين تطل من الاتجاه الرابع قاعة ضخمة طويلة ذات بهو رئيسى مرتفع السقف وعدة قاعات صغيرة منخفضة السقف يتراوح عددها بين خمسة وتسعة ، وكلها محاذية للبهو الرئيسى نفسه . وكان هذا الجزء الرابع من خان القوافل هو البناء الرئيسى الهام فيها ، يبدأ البناؤون بتشييده ثم يتبعونه ببقية أجزاء البناء .



الشكل ٨ : ـ خان الجمرك بحلب

وهناك فروق جوهرية بين الخانات والوكالات القائمة وسط المدن التى كانت تقدم خدماتها بأجر بوصفها أماكن ذات طابع تجارى خالص، وبين خانات القوافل المبنية فى طرق الصحراء أو بين المدن بوصفها محاط لتوقف قوافل التجارة تقدم خدماتها بلا مقابل، غير أن الفروق بين هذين النوعين من المبانى لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوزه إلى اختلافات كبيرة فى تصميم البناء وفى زخرفته .

وثمة نوع أخير من المبانى هو « اليام» المغولى الذى يجوز لنا أن نطلق عليه اسم «خان البريد » ويبدو أنه كان توفيقا بين نظام خانات القوافل وبين النظام البريدى الذى ساد بلاد الصين وكان على قدر كبير من الكفاءة. ومما يبعث على الأسف أن تلك المنشآت التى وصفها لنا القزوينى تفصيلا والتى شملت بلاد فارس كلها فى العصور الوسطى قد اندثرت جميعا ولم يبق منها أثر (القيم الجمالية / ٦٩ ـ ٧٢) .

يقول الدكتور عبد الرحيم غالب :

كانت هذه لمحة عن خانات الطرقات أما خانات المدن فكانت تشترك معها ببعض ما تقدم من خدمات، وتضم من مرافق، وتختلف عنها فى أخرى، وتسقط ما يمكن أن تقدمه المدينة بشكل أفضل لزوارها، كالحمام والمسجد والمطعم وشغل البيطار وغير ذلك من الضروريات والكماليات . وكما كانت الأولى تحتل المحطات الحساسة ومفارق الطرق ومجارى المياه ومراكز الحدود، احتلت الثانية مداخل المدن، خارج السور أو داخله أيام السلم وقلب الأسواق وجوار الحمام والمسجد .

خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، كانت المخازن الكبرى تسمى « بالدار» يضاف إليها الصنف المتخصصة به، فيقال: دار الوكالة، للتجارة العامة ، ودار القز ودار القطن ودار الخيل، والتى صار اسمها فيما بعد خان الخيل ، وكلها كانت فى بغداد. ثم أخذت الدار تسمية : الفندق. ومنذ القرن السابع للهجرة، الثالث عشر للميلاد، عرفت تلك الأماكن فى الضواحى: بالخانات. ولاحقا فى القرن الحادى عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد، احتل اسم الخان وحده تدريجا، داخل المدن، مكانة دار الوكالة والفندق والقيسارية. أما وظيفة الخان فى المدينة فكان استقبال التجار بشكل عام ، من باعة الجملة، ومروجى البضائع ، ومراسلى المستوردين والوسطاء وباعة المفرق. وتتكدس فى الصحن، البالات والصناديق المعدة للتصدير، والمستوردة للسوق المحلية. فى هذا المكان يتم البيع والشراء، وكأن المكان لم يعد لإيواء المسافرين، بل استقبلهم ريثما يتمون تجارتهم . وكما كان لكل بضاعة دار صار لها خان يرتبط اسمه بها ، إن لم يرتبط باسم مؤسسه أو مالكه. فهناك خان الحرير وخان الحبالين فى دمشق، وخان الجوخ فى اسطنبول، وخان الخياطين والصابون فى طرابلس، وخان الزيت فى حلب. وكان بعضها عظيم الاتساع كخان الجمرك فى حلب والذى يعود تاريخه إلى عام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م، فقد ضم اثنين وخمسين مخزنا، وسبعا وسبعين غرفة، وسوقين مبنيين بالحجر المهندم، يصل إليهما الضوء من قبب عشر تعلوهما. وكان مجموع دكاكينه ثلاثمئة وأربعة وأربعين إلى جانبها سبيلان ومسجد ولهذا الخان « المجمّع» مدخل فى غاية الفخامة، ويبقى هذا المحتوى متواضعا إذا ما قيس بخان

الخليلى فى القاهرة الذى أعطى اللفظة مدلولا جديدا يدل على تجمع الأسواق المتخصصة، وكان قد وقفه مؤسسه، جهاركس الخليلى على «عمل خبز يفرق بمكة على كل فقير منه فى اليوم رغيفان». وأهم الخانات فى تركيا قامت فى «بورصة» واسطنبول. وكان لـ «سنان» المهندس العثمانى المشهور، دور فى إقامة اثنين على القرن الذهبى. وبالطبع لم تكن كل الخانات أنيقة البناء فخمة المظهر، وإلا لما عرفت عاصمة السلطنة فى القرن الحادى عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد: خمسمئة وستة وخمسين خانا، كان أحد الأنيقة منها معدا لإقامة سفراء الدول العظمى.

تصميم خان المدينة بشكل عام لم يتغير على مر العصور. وأخذ تخطيط صحن مركزى مكشوف يتوسطه حوض. وتحيط بالصحن بوائك أقيمت الدكاكين تحتها، لتبقى أبوابها محمية من الحر صيفا والمطر شتاء.

ومن الناحية الإدارية، قد يكون الخان مؤسسة دينية مرتبطة بوقف يحول ريعه لصيانة مدرسة أو مسجد أو إطعام مسكين أو فقير. وربما وقف له كى يستقبل الحجاج والمحتاجين وأبناء السبيل، مجانا. ومدير الخان يسمى: وكيل التُّجار، فهو المسئول عن تخزين بضائعهم ومولج ببيعها والمكان



خان السبيل

خاضع لتفتيش مندوب المحتسب، ومراقبة السلطة. ويقوم بحراسته موظف مختص يقفل أبوابه ليلا إذا كان خارج السور.

لم يبق من كل تلك الخانات إلا عدد قليل فقد طابعه واقتصرت خدماته على استعمال مستودعاته ودكاكينه من قبل مستأجرين لا تجمعهم، إلا نادرا، تجارة مشتركة أو مهن واحدة، وربما سكنت غرفه عائلات فقيرة. ولكن، بالرغم من كل ذلك، بقيت، فى خان الصابون وخان الخياطين فى طرابلس، بعض محلات تذكرنا بالسبب الأصلى للتسمية (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧).

ويتابع الدكتور أندريه ريمون صاحب « العواصم العربية » نشأة الخانات وطرزها فى المدن العربية المختلفة بادئا بالمغرب العربى، ثم ينتقل إلى القاهرة وحلب ودمشق فيقول:

ـ المغرب العربى:

يطلق فى المغرب العربى على الخانات اسم فندق أو وكالة، وكانت خانات المغرب العربى بوجه عام مبان ذات أهمية متواضعة، ولا غرابة فى ذلك إذا علمنا أن بلدان المغرب لم يكن لها إلا شأن ثانوى فى تجارة حوض البحر المتوسط. ونحن لا نعرف إلا القليل عن الفندق فى الجزائر، إذ أنه اندثر مع بقية المبانى الرئيسية فى وسط المدينة منذ الغزو الفرنسى.

ومع هذا يمكننا الافتراض بأن خانات الجزائر قريبة من خانات تونس فى شكلها المعمارى وفى استعمالها (للتجارة ولنزول التجار) وعددها (حوالى عشرين ونيف) فخلافا للجزائر احتفظت تونس بعدد كبير من الخانات الماثلة للعيان حتى يومنا هذا.

ولعل أبرز وأكمل خان (فندق) فى تونس الآن هو فندق ناسيون الذى بنى من أجل الجالية التجارية الفرنسية فى سنة ١٦٦٠م، وقد شيد وفق الطراز الشائع فى تونس أيام المراديين والحسينيين، وهذا البناء عملى التصميم ومجرد من كل تذويق وتنميق. إذ أنه يتألف من دهليز معقود يفضى إلى ساحة مربعة مطوقة بأروقة محمولة على ١٦ عمودا وتقبع خلفها مستودعات مسقوفة بالعقود. وفى الطابق العلوى تطل الحجر المخصصة لنزول التجار على ممشى طليق. وتبلغ

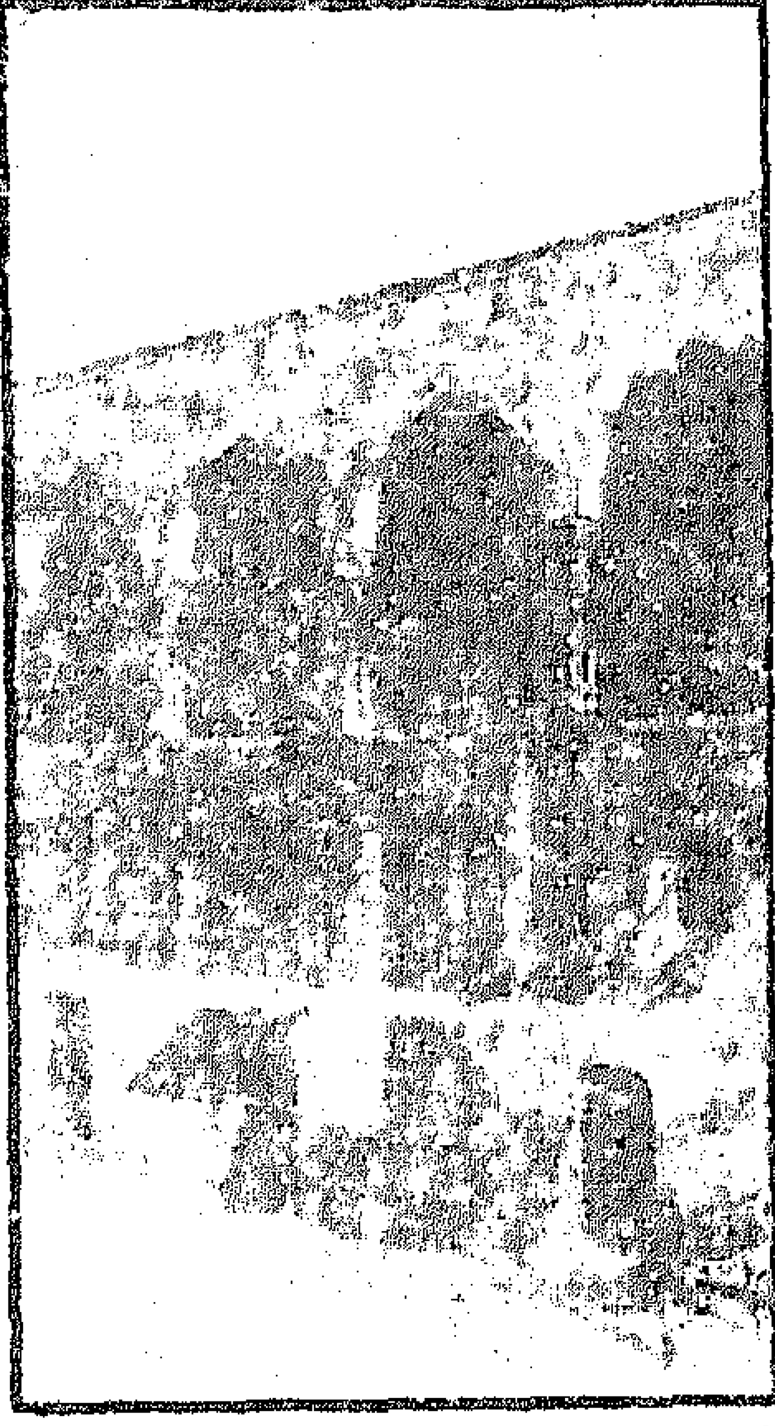
مساحة البناء قرابة مائة متر ويضم فى جنباته حوالى ٥٠ غرفة . وقد أكمل البناء ببناء ثان مشابه للأول بقليل أو بكثير، وصار الناسيون والقنصلية يشتركان فى استعمال المبنيين .

جاء بناء فندق (خان) العطارين على نمط بناء الناسيون ولكن بحجم أصغر (بناء مربع يبلغ طول ضلعه ٢٥م) وهو فى قلب منطقة الأسواق أما خانات الموصل فيبدو أنها اعتمدت هذا النمط من البناء لكن بحجم متواضع وبقيمة معمارية قليلة ، وهذا ما يبدو ظاهريا على الأقل فى الخانات التى ما تزال قائمة فى المدينة من أصل ٣٥ خانا كانت موجودة فى الفترة العثمانية ، وهى مكونة من ساحة مكشوفة ومخازن وإصطبلات فى الطابق الأرضى وغرف فى طابق علوى واحد أو أكثر .

القاهرة :

كانت خانات العواصم التجارية الرئيسية فى الإمبراطورية العثمانية ، كالقاهرة وحلب ودمشق، وربما بغداد أيضا ، مختلفة كل الاختلاف فى آفاقها المعمارية وفى مضامينها الفنية . والعدد الذى أمكن التثبت منه فى تلك المدن يقيم الدليل البين على مدى هذه المغايرة ، فثمة ٦٠ خانا فى دمشق وحلب و٣٦٠ وكالة (خان) فى القاهرة ، حجم بعض منها يتجاوز نصف هكتار، وفخامة بنائها أسطع دليل على عظمة الحركة التجارية التى ولّدتها (العواصم العربية / ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩) .

قالت المؤلفة : نلاحظ أن الدكتور أندريه ريموند حين يتكلم على خانات القاهرة يذكرها باسم وكالات باعتبار أن كلمة «وكالة» استخدمت فى مصر للدلالة على الخان أو القيسارية ، فيذكر وكالة الغورى، ووكالة ذى الفقار كتخدا ، ووكالة بازرعة ومن ثم فإننا لا نجد ذكرا للخانات فى الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك وإنما هى « الوكائل » كما أوردها فى الجزءين الثانى والثالث . أما المقريزى فلم يذكر من الوكالات سوى اثنتين، وذكر الباقى تحت اسم «خان» أو «فندق» ومن ثم فإننا ندرج ما أورده الدكتور ريموند فى مادة « الوكالات» فى حرف الواو إن شاء الله تعالى :



خان الوزير

وما ذكره المقريزى فى هذا الباب هو ما يأتى :

١ ـ خان سرور — ٢ ـ فندق بلال المغيثى
٣ ـ فندق الصالح — ٤ ـ خان السبيل
٥ ـ خان منكورش — ٦ ـ فندق ابن قريش
٧ ـ وكالة قوصون — ٨ ـ فندق دار التفاح
٩ ـ وكالة باب الجوانية — ١٠ ـ خان الخليلى
١١ ـ فندق طرنطاى

وننقل ما قاله المقريزى عنها فيما عدا خان الخليلى إذ نفرد له مادة خاصة باعتبار أنه الأثر الوحيد المدرج فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة تحت الأرقام ٥٣، ٥٤، ٥٥ ولما كان الشيء بالشيء يذكر، فقد ورد فى هذا الفهرس اسم خان يسمى خان الزراكشة أثر رقم ٣٥١ أنشىء فى أول القرن العاشر الهجرى / أول القرن السادس عشر الميلادى، وموقعه على خريطة مصلحة المساحة ١٩٤٨ (٤٤/ ١٥٧) التى عندى هو فى المربع ٥ ح من الخريطة رقم ١ ، وبذلك يتحدد لنا أن خان الزركشة هذا هو الذى تشغله مكتبة صبيح وأولاده الآن، وقد زرت هذه الوكالة مرارا بسبب ترددى على المكتبة .

ونعود إلى المقريزى فننقل ما أورده من الخانات والفنادق السابقة الذكر:

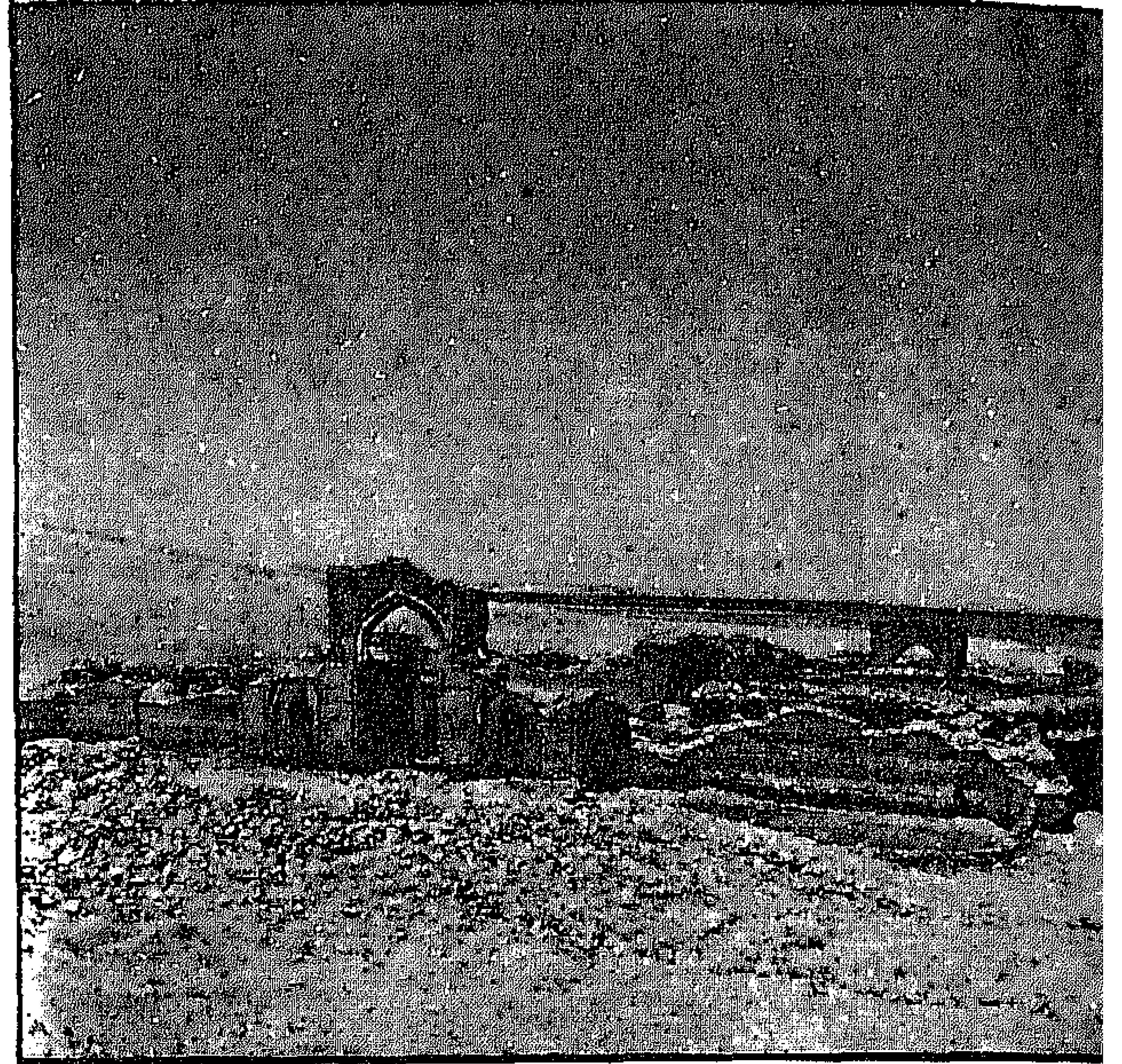
خان مسرور: خان مسرور مكانان أحدهما كبير والآخر صغير فالكبير على يسرة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الحريريين كان موضعه خزانة الدرق التى تقدم ذكرها فى خزائن القصر والصغير على يمنة من سلك من سوق باب الزهومة إلى الجامع الأزهر كان ساحة يباع فيها الرقيق بعدما كان موضع المدرسة الكاملية هو سوق الرقيق .

قال ابن الطوير خزانة الدرق كانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم استعمالات الأساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية وغير ذلك . وقال ابن عبد الظاهر فندق مسرور (مسرور هذا من خدام القصر خدم الدولة المصرية واختص بالسلطان صلاح الدين رحمه الله وقدمه على حلقته ولم يزل مقدما فى كل وقت وله بر وإحسان ومعروف ويقصد فى كل حسنة وأجر وبر وبطل الخدمة فى الأيام الكاملية وانقطع إلى الله تعالى ولزم داره ثم بنى الفندق الصغير إلى جانبه وكان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق اشترى ثلثها من والدى رحمه الله والثلثين من ورثة ابن عنتر وكان قد ملك الفندق الكبير لغلامه ريحان وحبسه عليه ثم من بعده على الأسرى والفقراء بالحرمين وهو مائة بيت إلا بيتا وبه مسجد تقام فيه الجماعة والجمع ولمسرور المذكور بر كثير بالشام وبمصر وكان قد وصى أن تعمل داره وهى بخط حارة الأمراء مدرسة ويوقف الفندق الصغير عليها وكانت له ضيعة بالشام يبعث للأمير سيف الدين أبى الحسن القيمرى بجملة كبيرة وعمرت المدرسة المذكورة بعد وفاته انتهى) وقد أدركت فندق مسرور الكبير فى غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم وكان فيه أيضا مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب وكان من أجلِّ الخانات وأعظمها فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام منذ سنة تيمور لنك وتلاشت أحوال إقليم مصر قل التجار وبطل الحكم فقلت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدمت عدة أماكن منه وهو الآن بيد القضاة .



خان الوزير سنة ١٩٤٥

فندق بلال المغيثى : هذا الفندق فيما بين خط حمام خشيبة وحارة العدوية أنشأه الأمير الطواشى أبو المناقب حسام الدين بلال المغيثى أحد خدام الملك المغيث صاحب الكرك كان حبشى الجنس حالك السواد خدم عدة من الملوك واستقر لالا الملك الصالح على بن الملك المنصور قلاوون وكان معظما إلى الغاية يجلس فوق جميع أمراء الدولة وكان الملك المنصور قلاوون إذا رآه يقول رحم الله أستاذنا الملك الصالح نجم الدين أيوب أنا كنت أحمل شارموزة هذا الطواشى حسام الدين كلما دخل إلى السلطان الملك الصالح حتى يخرج من عنده فأقدمها له وكان كثير البر والصدقات وله أموال جزيلة ومدحه عدة من الشعراء وأجاز على المديح وتجاوز عمره ثمانين سنة فلما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون لقتال التتر فى سنة تسع وتسعين وستمائة سافر معه فمات بالسوادة ودفن بها ثم نقل منها بعد وقعة شقحب إلى تربته بالقرافة فدفن هناك ومابرح هذا الفندق يودع فيه التجار وأرباب الأموال صناديق المال ولقد كنت أدخل فيه فإذا بدائره صناديق مصطفة ما بين صغير وكبير لا يفضل عنها من الفندق غير ساحة صغيرة بوسطه وتشتمل هذه الصناديق من الذهب والفضة على ما يجل وصفه فلما أنشأ الأمير الطواشى زين الدين مقبل الزمام الفندق بالقرب منه وأنشأ الأمير قلمطاى الفندق بالزجاجين وأخذ الأمير يلبغا السالمى أموال الناس فى واقعة تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة تلاشى أمر هذ الفندق وفيه إلى الآن بقية .



خان قوافل «رباط شرف» بخراسان بإيران

فندق الصالح : هذا الفندق بجوار باب القوس الذى كان أحد بـابى زويلة فمن سلك اليوم من المسجد المعـروف بسام ابن نوح يريـد باب زويلة صار هـذا الفندق على يساره وأنشأه هـو وما يعلـوه من الربع الملك الصـالح علاء الـدين على بن السلطـان الملك المنصـور قـلاون وكـان أبـوه لمـا عـزم على المسيـر إلى محاربـة التتر ببـلاد الشام سلطنـه وأركبه بشعـار السلطنـة من قلعـة الجبل فى شهـر رجب سنـة تسع وسبعين وستمائة وشق به شارع القاهـرة من باب النصر إلى أن عاد إلى قلعـة الجبل وأجلسه على مـرتبتـه وجلس إلى جـانبه فمـرض عقيب ذلك ومـات ليلـة الجمعـة الـرابع من شعبـان فأظهـر السلطان لموته جزعا مفرطـا وحزنا زائدا وصرخ بأعلى صوته وا ولداه ورمى كلوتته عن رأسه إلى الأرض وبقى مكشوف الرأس إلى أن دخل الأمراء إليـه وهو مكشـوف الرأس يصـرخ وا ولداه فعندما عاينوه كذلك ألقوا كلوتاتهم عن رؤسهم وبكوا ساعة ثم أخذ الأمير طـرنطاى النائب شاش السلطـان من الأرض وناوله للأمير سنقر الأشقر فأخـذه ومشى وهو مكشوف الرأس وباس الأرض وناول الشاش للسلطان فدفعه وقال إيش أعمل بالمُلك بعد ولدى وامتنع من لبسه فقبَّل الأمراء الأرض يسألون السلطان فى لبس شاشـه ويخضعون له فى السؤال ساعـة حتى أجابهم وغطى رأسـه فلمـا أصبح خـرجت جنازتـه من القلعـة ومعهـا الأمـراء من غيـر حضور السلطـان وصـاروا بهـا إلى تربـة أمـه المعـروفة بتـربـة خاتـون قـريبا مـن المشهد النفيسى «فـواروه وانصرفـوا فلما كـان يوم السبت ثانيـه نزل السلطـان من القلعة وعليه البياض تحزنا على ولـده وسار ومعه الأمراء بثياب الحزن إلى قبر ابنه وأقيم العزاء لموته عدة أيام .

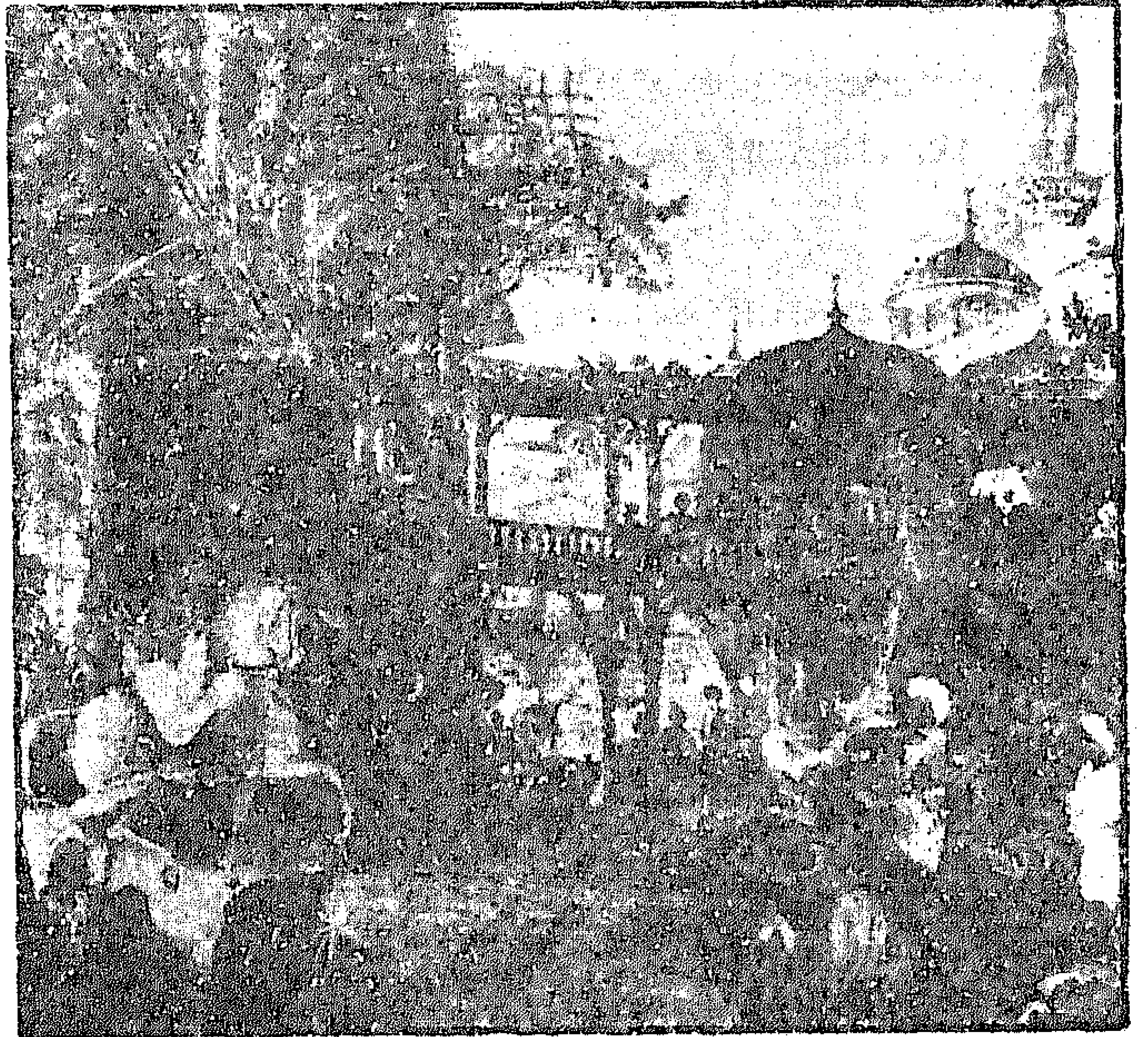
خان السبيل : هذا الخان خارج بـاب الفتوح قال ابن عبد الظاهـر خان السبيل بناه الأمير بهـاء الدين أبو سعيد قـراقوش عبد الله الأسدى» خادم أسد الدين شيركوه وعتيقه لأبناء السبيل والمسافرين بغيـر أجرة وبه بئر ساقية وحـوض . وقراقوش هذا هو الذى بنى السـور المحيط بالقاهرة ومصـر وما بينهما وبنى قلعة الجبل وبنى القناطر التى بالجيزة على طريق الأهرام وعمر بـالمقس ربـاطا وأسـره الفـرنج فى عكـا وهـو واليها فـافتكـه السلطـان صلاح الـدين يـوسف بن أيـوب بعشرة آلاف دينـار وتوفى مستهل رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة ودفن بسفح الجبل المقطم من القرافة .

خان منكـورش : هذا الخان بخط سوق الخيميين بـالقرب من الجـامع الأزهر قـال ابن عبد الطـاهر خـان منكورش بنـاه الأمير ركن الدين منكـورش زوج أم الأوحد بن العادل ثم انتقل إلى ورثته ثـم انتقل إلى الأمير صـلاح الدين أحمد بـن شعبان الأربلى فوقفه ثم تحيل ولده فى إبطال وقفه فاشتراه منه الملك الصالح بعشرة آلاف دينار مصرية وجعلـه مرصدًا لوالدة خليل ثم انتقل عنهـا انتهى * قال مـؤلفـه ومنكورش هـذا كان أحـد مماليك السلطان صلاح الدين بن أيوب وتقدم حتى صار أحد الأمراء الصـالحية وعـرف بالشجـاعة والنجـدة وإصابـة الرأى وجـودة الرمى وثبـات الجأش فلما مـات فى شوال سنـة سبع وسبعين وخمسمائة أخذ إقطـاعه الأمير ياركـوج الأسدى وهذا الخـان الآن يعـرف بخـان النشـارين على يسـرة من سلك من الخراطين إلى الخيميين وهو وقف على جهات بر.

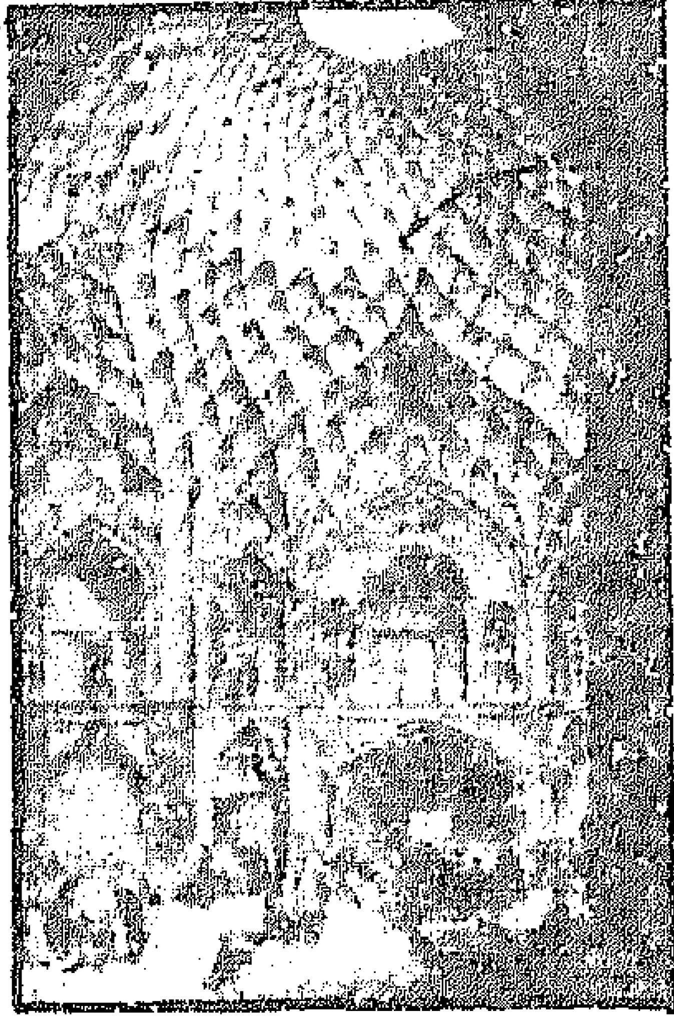
فندق ابن قريش : هـذا الفندق قال ابن عبد الظـاهر فندق

ابن قريش استجده القاضي شرف الدين إبراهيم بن قريش كاتب الإنشاء وانتقل إلى ورثته انتهى (إبراهيم بن عبد الرحمن ابن على بن عبد العزيز بن على بن قريش) أبو إسحاق القرشي المخزومي المصري الكاتب، شرف الدين أحد الكتاب المجيدين خطا وإنشاء خدم في دولة الملك العادل أبي بكر ابن أيوب وفي دولة ابنه الملك الكامل محمد بديوان الإنشاء وسمع الحديث بمكة ومصر وحدث وكانت ولادته بالقاهرة في أول يوم من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وقرأ القرآن وحفظ كثيرا من كتاب المهذب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي وبرع في الأدب وكتب بخطه ما يزيد على أربعمائة مجلد ومات في الخامس والعشرين من جماد الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

وكالة قوصون : هذه الوكالة في معنى الفنادق والخانات ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب والرب ونحو ذلك وموضعها فيما بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء كانت أخيرا دارا تعرف بدار تعويل البوعاني فأخربها وما جاورها الأمير قوصون وجعلها فندقا كبيرا إلى الغاية وبدائره عدة



خان قوافل بالأناضول



لوحة ٦١ب خان قوافل بكاشان لوحة محفورة عن كتاب « رحلة في فارس » ١٨٤٠ م

مخازن وشرط أن لا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك ولا يخرج أحد من مخزنه فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها وقد أدركنا هذه الوكالة وإن رؤيتها من داخلها وخارجها لتدهش لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات العتالين عند حل البضائع ونقلها لمن يبتاعها ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام في سنة ثلاث وثمانمائة على يد تيمور لنك وفيها إلى الآن بقية ويعلو هذه الوكالة رباع تشتمل على ثلثمائة وستين بيتا أدركناها عامرة كلها ويحزر أنها تحوي نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير فلما كانت هذه المحن في سنة ست وثمانمائة خرب كثير من هذه البيوت وكثير منها عامر آهل .

فندق دار التفاح : هذه الدار هي فندق تجاه باب زويلة يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها مما ينبت في بساتين ضواحي القاهرة ومن التفاح والكمثرى والسفرجل الواصل من البلاد الشامية إنما يباع في وكالة قوصون إذا قدم ومنها ينقل إلى سائر أسواق القاهرة ومصر ونواحيهما وكان موضع دار التفاح هذه في القديم من جملة حارة السودان التي عملت بستانا في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . وأنشأ هذه الدار الأمير طقوزدمر بعد سنة أربعين وسبعمائة ووقفها على خانقاه بالقرافة وبظاهر هذه الدار عدة حوانيت تباع فيها الفاكهة تذكر رؤيتها وشم عرفها الجنة لطيبها وحسن منظرها وتأنق الباعة في تنضيدها واحتفافها بالرياحين والأزهار وما بين الحوانيت مسقوف حتى لا يصل إلى الفواكه حر الشمس

ولا يزال ذلك الموضع غضا طريا إلا أنه قد اختل منذ سنة ست وثمانمائة وفيه بقية ليست بذلك ولم تزل إلى أن هدم علو الفندق وما بظاهره من الحوانيت في يوم السبت سادس عشر شعبان سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وذلك أن الجامع المؤيدي جاءت شبابيكه الغربية من جهة دار التفاح فعمل فيها كما صار يعمل في الأوقاف وحكم باستبدالها ودفع في ثمن نقضها ألف دينار إفريقية عنها مبلغ ثلاثين ألف مؤيدي فضة ويتحصل من أجرتها إلى أن ابتدئ بهدمها في كل شهر سبعة آلاف درهم فلوسا عنها ألف مؤيدي فاستشنع هذا الفعل ومات الملك المؤيد ولم تكمل عمارة الفندق .

(وكالة باب الجوانية) هذه الوكالة تجاه باب الجوانية من القاهرة فيما بين درب الرشيدي ووكالة قوصون كان موضعها عدة مساكن فابتدأ الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار بهدمها في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبناها فندقا وربعا بأعلاه فلما كملت رسم الملك الظاهر برقوق أن تكون دار وكالة يرد إليها ما يصل إلى القاهرة وما يرد من صنف متجر الشام في البحر كالزيت والرب والدبس ويصير ما يرد في البر يدخل به على عادته إلى وكالة قوصون وجعلها وقفا على المدرسة الخانقاه التي أنشأها بخط بين القصرين فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم .

خان الخليلي : أفردنا له مادة خاصة فانظرها في موضعها .

فندق طرنطاي : هذا الفندق كان بخارج باب البحر ظاهر المقس وكان ينزل فيه تجار الزيت الواردون من الشام وكان فيه ستة عشر عمودا من رخام طول كل عمود ستة أذرع بذراع العمل في دور ذراعين ويعلوه ربع كبير فلما كان في واقعة هدم الكنائس وحريق القاهرة ومصر في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة قدم تاجر بعد العصر بزيت، وزن في مكسه عشرين ألف درهم نقرة سوى أصناف أخر قيمتها مبلغ تسعين ألف درهم نقرة فلم يتهيأ لها الفراغ من نقل الزيت إلى داخل هذا الفندق إلا بعد العشاء الآخرة فلما كان نصف الليل وقع الحريق بهذا الفندق في ليلة من شهر ربيع الآخر منها كما كان يقع في غير موضع من فعل النصارى فأصبح وقد احترق جميعه حتى الحجارة التي كان مبنيا بها وحتى الأعمدة المذكورة وصارت كلها جيرا واحترق علوه وأصبح التاجر يستعطي الناس (المواعظ والاعتبار ٢ / ٩٢ ـ ٩٤) .

بغداد :

خان مرجان : أفردنا له مادة خاصة فانظره في موضعه .

المدينة المنورة : يقول الدكتور صالح لمعي مصطفى : قل وجود الخانات في المدينة المنورة، علما بأن أقدم ما عرفناه أقيم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ولعل وجود عدد كبير من الأربطة يوضح لنا أنها قد استعملت كمكان لنزول القادمين للزيارات الدينية الطويلة، أو أن عددا من الدور السكنية كانت تستعمل لاستقبال النزلاء والزوار (المدينة المنورة / ٢٤٦) .

دمشق :

عن خانات دمشق وطرزها المعمارية يقول الدكتور يوسف جميل نعيسة في دراسته التي حددها في الفترة مابين ١١٨٦ إلى ١٢٥٦ هـ (١٧٧٢ ـ ١٨٤٠ م) :

ارتبط بناء الخانات في دمشق بظروفها الاقتصادية والسياسية في مختلف العهود. وما بني منها في العهد العثماني كان قليلا إذا ما قورن بالعهود السابقة وأقله في فترة دراستنا وأهم الخانات العثمانية في دمشق لم يتجاوز عدد أصابع اليد .

خان الخياطين الذي بناه في سوق الخياطين الوالي العثماني أحمد شمسي سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣ م ثم خان المرادية الذي بناه والي دمشق ما بين ١٠٠٢ و ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٣ ـ ١٥٩٥ م . ثم خان درويش باشا (٩٧٩ ـ ٩٨٢ هـ / ١٥٧١ ـ ١٥٧٤ م) وهو ما سمي بخان الحرير أو قيسارية الحرير وتم بناؤه في سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٤ م ثم خان سليمان باشا العظم الذي يقع في محلة القماحين، وكان يسمى خان الحماصنة بناه سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م ثم خان مصطفى باشا الذي بناه خارج باب الفرج بمحلة العقيبة بالقرب من حمام المحتسب. ثم خان أسعد باشا العظم في سوق البزورية بدأ ببنائه سنة ١١٦٥هـ / ١٧٥١ ـ ١٧٥٢م . وتم بناؤه في سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م ويقول البديري الحلاق : «اشترى أسعد باشا سوق الدق وما حوله من الدكاكين ومراده أن يعمل بهم قيسارية ليس لها نظير في قيساريات الشام»

وتعرض سقفــه للانهيـار بعد بنـائه بستة أعـوام نتيجة للـزلزال الذى ضـرب دمشق فى ربيع الأول والثانى سنـة ١١٧٣ هــ ـ ١٧٥٩ ـ ١٧٦٠ م .

ولقد كان هذا الخان أفضل ما بنى من الخانات فى دمشق على الإطلاق من حيث اتساعه وهندسته وزخرفته . وعندما زاره «لامـارتين» فى سنة ١٨٣٣ م / ١٢٤٩ هـ وصفـه بأنه «أجمل خان فى الشـرق وقبته الفخمة تـذكر بقبة بـولس فى روما فهى محمولة على عضائد من الغرانيت ... أما بابه فيعتبر قطعة من العمـارة الإسـلاميــة التى لا نظيـر لهـا فى العــالم من حيث الزخارف» .

ولقـد أدخل العثمانيـون الفن الرومى فى بنـاء الخانـات . فأصبحت خانـاتهم فى دمشق مسقوفـة بالقباب والعقـود بدلا من الجملون الذى كان سائدا فى بنـاء الخانات قبل عهدهم . وعنوا بزخرفة الخانات بـالحليات المعمارية والحجارة الملونة (الأسود والأبيـض بالتنـاوب) سواء فى جـدرانها أو أقـواسها . وهـذا الفن كـان استمـرارا للفن السلجــوقى الممـزوج بـالفن المملوكى بالإضافة إلى الفن البيزنطى . وحل فى بناء الخانات القوس الـرومى محل القوس الفـارسى الذى استخـدم فى بناء الخانـات السابقة فى دمشق . وتميـز القوس الرومى الجـديد برأسه المقعر قليلا نحـو الخارج والجزء السفلى منه محدب . وازداد استخدام القوس نصف الـدائرى المجزوء أى الذى تقل فتحته عن نصف الدائرة ، فى الأبواب والشبابيك . أما الأعمدة فقد شاع فيها استعمال التيجان المقرنصة ورسمت فى الزخرفة العروق النباتية والأزهار .

وأهم الخانات التى كانت تقع خارج دمشق : خان الشيخ عمر ظـاهر دمشق بمحلـة العاصيـة ثم خان سـوق الخيل ثم خان المشعلجية بمحلة تحت القلعة غـرب خان الباشا وخان المليحى ظاهر دمشق وخان الحنابلة فى محلة العقيبة ثم خان الآلاجا فى الشاغور البرانى بالقـرب من جامع الشنباشية وخان العكجية وقف بنى البكـرى ظاهر دمشق وخان الـوقف بمحلة الشويكة ظاهر دمشق .

أما ماكان منها باطن دمشق فهى :

خـان الأقميم قـرب حمـام عيسى القـارى وخـان الـوقف بمحلـة النصارى بـزقـاق جعفر البـرانى وخـان البترك الكـائن بمحلة الخـراب بزقاق الكنيسـة المريميـة . كان معدا للفتـالة وخان الـرواس فى محلة باب تـوما وخان شيخ الحـارة بمحلة باب توما وكان معدا لنسيج القطن وخان المصبنة باطن دمشق بمحلة النصـارى بزقاق التلـة بالقرب مـن جامع التوبـة وخان حيدر الكائن بزقاق المسبك الجوانى بمحلة النصارى بالقرب من خان شيخ الحارة وخان قجماس باطن دمشق بالقرب من سـوق الأروام وخان البـرنجك شرق جـامع الـدغمشية وخـان الدهـوار بمحلة الشيخ سيف الدين باطن دمشق كمـا ورد ذكر لبعض الخانات فى السجلات إلا أنها لم تحدد أماكنها مثل : خان الحشـاشة وخان بـازرباشى ويبدو أن تلك الخـانات لم تكن بأهمية الخانات الكبيـرة والتى لعبت دورا فى حركة تجارة دمشق الداخلية .

وقد فصل الدكتور نعيسة فى هامش : (ص ١٨١ ـ ١٨٣) هذا الذى أجمله مما ذكرناه آنفا فقال :

ذكر يوسف عبد الهادى الخانات الدمشقية التى بقيت إلى عهده (القرن العاشر للهجرة) وما بنى فى العهد العثمانى أو ما قبله . فى كتـابه «الإعانات على معـرفة الخانات» . كمـا يذكر نعمان القساطلى الذى : عاش فـى القرن التاسع عشر للميلاد ١٢٣٩ خـانا فى دمشـق بين كبير وصغيـر للتجـارة والصناعـة والقهـوة ولإيـواء الـدواب والمكـاريـة والفقـراء داخل دمشق وخارجها فى كتابه «الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء» وما بقى من هذه الخانـات إلى فترة دراستنا نرصـده من تلك المصادر وبعض المـراجـع الأخرى وهى على الشكل التـالى : خـان جقمق (وأحيانا سوق جقمق) وهو ما يـزال قائما إلى يومنا هذا فى سـوق مـدحت باشـا ويقع فى الصف الشمـالى من هـذا السوق وإلى الشـرق من خان الزيـت الدكة (التكـة) . ثم خان الدكـة (التكة) ما يـزال موجـودا إلى الآن ويعرف لدى العـامة بخان الدكة ويقع فى أول سوق مـدحت باشا الآن . ويقول ابن عبد الهادى : بأنه كان يباع فيه الرقيق والجوارى . ثم خان لالا مصطفى بـاشا ويقع ظـاهر دمشق خـارج باب الفـرج بمحلة

العقيبة بالقرب من حمام المحتسب. ثم خان القماحين، ويقع ظاهر مدينة دمشق بمحلة القماحين. وتعود ملكيته لآل النقطة. خصص لزرب الدواب. ثم خان بنى الناشف، ويقع بالقرب من جامع درويش باشا. إلا أن الوثائق الشرعية لم تحدد مكانه بدقة فيما إذا كان داخل أسوار دمشق أم خارجها. ثم الخان المعروف ببنى رمضان ويقع فى محلة الشيخ محيى الدين فى الصالحية. ثم خان الخضيرية أو الخضيرى ويقع بباطن دمشق بمحلة القطانيين بالقرب من سوق العلبية وربما هو الخان الموجود اليوم بسوق القطن قريبا من المدرسة الخضيرية. ثم خان المسرجية ويعرف بخان الحورة. أما مكانه فلم تحدده سجلات محاكم دمشق الشرعية.

ثم خان سبياى ومكانه غير معروف وينسب إلى النائب سبياى الذى ولى على دمشق فى آخر العهد المملوكى.

وخان فى باطن دمشق بمحلة باب شرقى المعد لوضع الغلة ويقع قبلى الطريق الآخذ إلى باب شرقى. ورغم ورود ذكره فى سجل المحكمة الشرعية إلا أن نسبته لم ترد فيه. وخان المغاربة فى باب المصلى بزقاق الأربعين. وخان عبد العظيم بمحلة القيمرية باطن دمشق. وخان السيد منصور، وربما هو خان السيد الموجود اليوم قبالة الجامع المعلق خارج السور الشمالى.

وخان الجاموس أو الجواميس - ثم خان الشلاح، وخان بسوق الحمام، كلها ورد ذكرها فى الوثائق التاريخية. أما أماكن هذه الخانات فى دمشق فلم تحددها تلك السجلات. ثم خان الدقاقين فى محلة الدقاقين قبالة سوق البزورية من جهة الجنوب. وخان البهرامية.

وبالرغم من بقاء هذه الخانات إلى العهد العثمانى، إلا أنها لم تكن فى أهميتها كالخانات التى أنشئت فى العهد العثمانى والتى بقيت إلى وقتنا الحاضر فى دمشق، وربما يعود ذلك لاهتمام جميع العهود التى مرت على دمشق منذ إنشائها وحتى وقتنا الحاضر، بالحفاظ عليها والاستمرار فى استخدامها من قبل التجار والحرفيين، فقاموا بصيانتها وترميمها وأهم هذه الخانات هى:

خان الجوخية - أو خان الخياطين - وهو جزء من سوق الخياطين بناه فى بداية العهد العثمانى والى دمشق أحمد شمسى باشا فى عام ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢-١٥٥٣ م، كما هو مثبت بالكتابة المنقوشة على بابه، وخان الحرير عمره والى دمشق العثمانى درويش باشا الذى حكم ما بين (٩٧٩ - ٩٨٢ هـ) وعرف باسم قاسارية درويش باشا. ولقد تم بناؤه كما هو مثبت نقشا على حجارة بابه فى عام ٩٨١ هـ/ ١٥٧٣ - ١٥٧٤ م.

وخان سليمان باشا ويقع فى سوق مدحت باشا فى أيامنا هذه فى الجانب الجنوبى منه قريب من محلة الدقاقين. كان يطلق عليه قديما (خان الحماصنة) لنزول تجار حمص فيه، بناه سليمان باشا العظم الذى ولى على دمشق عام ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م.

وخان العامود، ويقع فى سوق البزورية قبالة خان أسعد باشا العظم وهو قائم إلى وقتنا الحاضر، ولا توجد معلومات عنه قبل ذكره من قبل نعمان القساطلى، وهذا الخان صغير إذا ما قيس بالخانات الأخرى فى دمشق.

وخان المرادية، ويقع عند باب البريد، وله واجهة على سوق الحميدية فى وقتنا الحاضر وواجهة أخرى على سوق الحرير، وهندسة هذا الخان حديثة العهد تعود إلى مطلع القرن العشرين، وربما تهدم فى الزلازل التى ضربت دمشق فى العهد العثمانى، فأعيد ترميمه ولقد ورد ذكره فى الكتاب (خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر) بأن الوالى قام ببنائه عام ١٠٠٢ هـ/ ١٥٩٣ م - ١٥٩٤ م.

وخان الجمرك ويقع جوار خان المرادية وبابه مفتوح على سوق القلبقجية، وله هندسة خاصة فهو عبارة عن زاوية قائمة مسقوفة بست قباب وعلى جانبى الممر منه فتحت سلسلة من المخازن التجارية. ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه. أما نعمان القساطلى فيذكره فى كتابه « الروضة الغناء فى دمشق الفيحاء» على أنه كان مركزا لجمرك دمشق حتى عام ١٨٦٤ م/ ١٢٨٠ - ١٢٨١ هـ.

وخان قطينا ويقع بين خان الجمرك وخان المرادية، وبابه

مفتوح على سوق القلبقجية، ولا نعلم شيئا عن تاريخ بنائه، إلا أن عبد القادر الريحاوى يعقد أن بناءه تم قبل بناء خان الجمرك. ثم خان الزعفرجية فى سوق القلبقجية إلى الجنوب من خان الجمرك، هندسته شبيهة بخان قطنا. ولا نعلم تاريخ بنائه. ثم خان الحرمين أسماه القساطلى «خان الجوارى» ويقع فى سوق الحرير فى الطرف الشرقى منه قبالة خان قطنا ويذكر «بورتر» الذى زاره فى سنة ١٨٥٥ م أنه مخصص لبيع الجوارى والعبيد.

أما البديرى الحلاق الذى عاش فى منتصف القرن الثامن عشر فإنه يذكر هذا الخان على أنه فى باب البريد. وأحد سجلات محاكم دمشق / لعام ١٠٤٠ هـ/ ١٦٣٠ ـ ١٦٣١ م عين مكانه فى سوق الجراكسة باطن دمشق ولعله جدد بعد القرن الثامن عشر واحتفظ باسمه.

وخان التتن: والتتن كلمة تركية تعنى التبغ. ويبدو أنه خصص عند إنشائه لتجارة التبغ، ويقع إلى الجنوب من الجامع الأموى شرقى خان الحرير، وبابه مفتوح على سوق السلاح وهو من النموذج المسقوف صحنه بالقباب.

وخان الصدرانية: يقع بالقرب من قصر أسعد باشا العظيم فى صدر سوق البزورية، وبابه مفتوح على هذا السوق، مسقوف بعقد وثلاث قباب وقد عثرنا على وصف هذا الخان فى الوثائق التاريخية التابعة لمحاكم دمشق لعام ١١٧١ هـ/ ١٧٥٧ م وربما هو خان معاوية الذى تصفه سجلات محاكم دمشق بأنه معد للفتالة وجارى فى دايرة أسعد باشا العظم. ثم خان السفرجلانى، ويقع فى سوق السلاح بين الصاغة المحروقة وخان الصدرانية وهو خان صغير من طابقين، له صحن مسقوف بثلاث قباب وحوله رواق. وخان المغاربة ثم خان أسعد باشا العظم وهو أوسعها وأفخمها على الإطلاق. (مجتمع مدينة دمشق ١/ ١٨١ ـ ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧).

حلب:

تفصح خانات حلب الفخمة عن قوة التراث المحلى، فخان الصابون (بناه قزدامور) وخان الأبرك المملوكيان يعتبران من الأمثلة البديعة على زيادة أثرت على ما يظهر فى مخطط الخانات العثمانية وزخرفتها. أما خان قورت بك (حوالى ١٥٤٠م) فتشدنا مساحته البالغة ٢٥٠٠ م٢، ويفرض هيبته علينا بفخامة بوابته التى يتقدمها سوق صغير خاص بنزلاء الخان. وتعتبر البحرة التى تتوسط باحته والإيوان الضخم فى صدره من العناصر المميزة للعمارة «السورية».

تأسس خان الجمرك فى حوالى ١٥٧٤ م وهو فريد فى ضخامة حجمه (٥٢ حانوتا فى الطابق الأرضى و ٧٧ غرفة فى الطابق العلوى، يحتل مساحة ٦٤٠٠ م٢). أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية. وهناك ربط محكم للخان والأسواق التى بنيت فى نفس الفترة، فى جملة أوقاف البانى محمد باشا.

يوفر خان الوزير، الذى تأسس فى زمن متأخر (١٦٨٢ م) الدليل على استمرار الفن المملوكى، ويتحلى ذلك بوجه خاص فى زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية. وعلى هذا الأساس هيمن التراث السورى هيمنة ملموسة على التأثير القادم من اسطنبول (العواصم العربية / ٦٢، ٦٣).

قالت المؤلفة: زرنا خان الوزير فى سوق الزرب يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م ووجدنا لوحة رخامية عليها الكتابة التالية: بنى فى عام ١٠٩٣ هـ/ ١٠٨٢م وهو مبنى مهيب.

وقد أحصى ابن الشحنة خانات حلب فى زمانه على النحو التالى:

خان ابرك بسوق الهواء.

خان خير بك بالقرب من باب السر من دار العدل تجاه باب سوق الدهشة.

خان ازدمر بسوق الصابون.

خان السيد تجاه المدرسة الصلاحية.

خان القاضى تجاه البيمارستان الجديد داخل باب قنسرين.

خان الخراطين.

خان الشيبانى المعروف بالفرنج.

خان المرة بسوق الهواء .

خان المجنى وقف الحرمين بسوق الهواء .

خان الشعارين .

خان لصيق باب المقام .

خان الزيت بباب المقام لصيق الألجيهة .

خان الجورة بقرب المقصف .

خان البرادعية .

خان السهيل . «خان» الحنة . «خان» الدكاشرة . «خان» الأكبجى بالقرب من الكلتاوى . «خان » الخسف يعرف الآن بخان الحرير داخل باب النصر .

«خان» ببحسيتا .

خان الزيت المعروف بخان خير بك بالقرب من المصابن .

خان دار كوره .

خان ابن السفاح بالقرب من دار كوره قد صار الآن حانوتا للقهوة سنة خمس عشرة وألف .

خان الصابون داخل باب الجنان .

خان فى دركاه باب قنسرين .

أما ما هو خارج البلد ظاهر باب الجنان

خان السمك على النهر .

خان الحنة خراب .

خان الفاخورة .

خان الفحم بالقرب من الوراق .

خان سويد بالقرب من الجسر . «وظاهر باب النصر» :

خان خير بك نائب حلب .

خان بردبك الحاجب .

خان الخندق .

خان العصيص .

خان تجاه خان العصيص .

خان بقرب بيت المرعشى . «وظاهر باب القناة» «فخان» اللبن .

خان الفحم (الدر المنتخب / ٢٤٨ ـ ٢٥٠) .

ويسوق خير الدين الأسدى (١٣١٩ ـ ١٣٩٠ هـ / ١٩٠٠ ـ ١٩٧١ م) عددا من الخانات فى مدينة حلب المعاصرة وهى كما يلى :

خان استانبول : يقع فى السوق المسمى باسمه . كان مقرا للشرطة الفرنسية أيام الاحتلال . تحتله الآن ورش الموبيليا .

خان البنادقة : يقع قرب الجامع الكبير . كان يشغله تجار البنادقة وقنصلهم لأن الحاضر المهدم لم يعد يستطيع أن يستخدم مكان إقامة .

خان الحبال : فى سوق الحبال . ترك الفرنسيون خان الجمرك للإنكليز واستأجروا خان الحبال لسكنهم واستعمالهم الخاص ، وسكن قنصلهم فى مبنى مجاور . وكان يسمى خان الفرنسيس .

خان الحرير : من أعمر المناطق التجارية فى حلب . كان الهنود ينزلون فيه بالحرير ، تقع هذه المحلة بين الجامع الكبير والسبع بحرات . وفيه خان الحرير تباع فيه الأقمشة وفيه أيضا مطابع لليهود .

خان السبيل : وتسمى حارة الباشا . فيها خان وفيه سبيل ماؤه جمع ، ينزل هذا الخان القوافل .

[تقع قرب ابن نصير ، وهى حارة معروفة بكثرة مساجدها ، رغم صغرها فيها ستة مساجد وعدة سبلان وخانان وحمام سوق الغزل ، وقد هدمت حديثا] انظر الصورة

خان الشوربجى : فى الطرق الغربى من العقبة ، كان مقرا لجنود الفرنسيين وسجنا للوطنيين ، وقد هاجمه «الجتا» عدة مرات . والجتا هم الميليشيا الوطنية فى عهد الانتداب الفرنسى .

خان طومان : من خانات السبل ، مشهور بكلابه التى تنبح الناس ، يقولون «ما بتعوى عليه ولا كلاب خان طومان» موقعه على نهر قويق ظاهر البلد ،

رممه وعمره أبشير مصطفى باشا وأجرى إليه الماء من عين المباركة. يعد ٣ أميال عن حلب. كان فيه ٤٠ محافظا يقودها آغا لردِّ غارات العربان ومنعهم من نهب محاصيل القرى.

خان العسل: قرية غربي حلب، دخلت حديثا الحدود الإدارية للمدينة حوفظ فيها على المسقفات، فيها مداجن حديثة، وعندها تجرى مراسم استقبال ووداع الحجاج أو غيرهم من المسافرين، وكانت تعد أحد متنزهات حلب. كان الخان كبيرا محصنا تأوى إليه القوافل، والآن مائل للخراب وقربه عين ماء عذبة.

خان الجمرك: فى سوق المدينة، وهو مجمع تجارى بناه عام ١٥٧٤ م إبراهيم خان زاده محمد باشا، مدخله ما بين سوق العفص وسوق الهواء ويضم خانا فيه ٥٢ مخزنا و ٧٧ غرفة وسوقان جميلان من الحجر المنحوت بعشر قباب للإنارة يجمعان ٣٤٤ حانوتا ومنهلين ومسجدا ومدخلا فخما متوجا بقباب، كان مقرا للفرنسيين والإنكليز والهولنديين يقيمون فيه ويسكنون، ثم تركه الفرنسيون إلى خان الحبال، وغادره الهولنديون إلى خان احتفظ باسمهم مدة. وكان الخان يضم مقر القنصل وراهب الجالية ويسمى مقره بالدير تفخيما. وقد أصبح خان الجمرك المركز الرئيسى للصرافة وبيع الأقمشة بالجملة. وفى عام ١٩٨١ منع الصرافون من مزاولة أعمالهم ودوهمت حوانيتهم فأصبحوا يعملون سرا متخفين ببيع الأقمشة (أحياء حلب وأسواقها / ١٨٥ ـ ١٩٠) انظر الصورة.

قالت المؤلفة: يضيف الدكتور أندريه ريموند قائلا: وهو فريد فى ضخامة حجمه (٥٢ حانوتا فى الطابق الأرضى و ٧٧ غرفة فى الطابق العلوى، تحتل مساحة ٦٤٠٠ م٢). أما زخارفه فتذكرنا بزخارف الخانات المملوكية. وهناك ربط محكم للخان والأسواق التى بنيت فى نفس الفترة، فى جملة أوقاف البانى محمد باشا (العواصم العربية / ٦٣)

ويمضى خير الدين الأسدى فى تعداد خانات حلب فيقول:

خان النحاسين: فى المحمص. كان مقرا لقنصلية فينيسيا ثم للقنصلية البليجيكيه:

خان الوزير: بناه أحد ولاة حلب عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م وهو مؤلف من غرب للتجارة فى طابقين، وأروقة ممتدة، وفى منتصف ساحته يقوم مسجد الخان بقبة عليه وقد ألغى وحول إلى محلات لتجارة الأقمشة، ويقع الخان شرقى الجامع الكبير، وقد هدم الرواق الشمالى منه بسبب فتح الجادة العريضة. وتفكر الحكومة بتحويله إلى فندق سياحى.

ومحلة خان الوزير ذات فعالية تجارية كبيرة، فيها جامع الصاحبى، وهو مدرسة أنشأها أحمد يعقوب الصاحب عام ٧٥٠ هـ ويعرف الآن بجامع الفستق. وكان فيه قيسارية تحوى غرفا وأنوالا يدوية، وتؤجر غرفها للمبيت أو العمل وثمة أماكن فيها للدواب، وكان الجمالة والمكارية ينامون فيها. وفيها المطبخ العجمى وقد رمم بعد اقتطاع جزء منه مع فتح الجادة، وكان متحفا للتقاليد الشعبية وتفكر الحكومة بإحيائة وجعله مطعما، وفيها قاعة الصقال، وفيها حمام الواسانى ويقال: الواسانو. قديم جدا خرب مع فتح الجادة. وينقل الغزى عن صاحب كنوز الذهب «فى الحمام جرن أسود يذكر أن الخليل عليه السلام اغتسل فيه» ولم يزل هذا الأمر مشهورا حتى الآن، وهو حمام مبارك

يدخلـه الناس للتبرك بـآثار الخليل عليـه السلام ويحصل لهم الشفـاء من أمـراضهم وخصـوصـا النساء .

وفيه خان الكتان وقيسارية خـان الكتان . وتجاه باب خان الـوزير تقـوم المدرسـة الجردكيـة أنشأها عـز الدين جـرديك النـورى سنة ٥٥١ هـ وهى لصق أصلان دده . وقد بنى حـديثا فى هذه المحلة مقسم توزيع رئيسى للهاتف الآلى (أحياء حلب وأسواقها / ١٩٠ - ١٩٢) انظر الصور.

قالت المؤلفة : قمنا بـزيارة خان الوزير يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١م، وشاهدنا مدخل المدرسة الصاحبية المعروفة الآن بجامع الفستق والمشار إليها آنفا، ولم نستطع الدخول لأنه كان وقت إقامة الصلاة .

يقول الـدكتور أنـدريه ريمون : يـوفر خـان الوزيـر، الذى تأسس فى زمن متأخـر (١٦٨٢ م) الدليل على استمـرار الفن المملوكى، ويتجلى ذلك بوجه خـاص فى زخارف الواجهات الرئيسية والداخلية . وعلى هذا الأساس هيمن التراث السورى هيمنة ملموسة على التأثير القادم من استانبول .

كما يذكـر خانا آخر هـو خان «قورت بك» فيقـول عنه أما خـان قورت بك (حـوالى ١٥٤٠ م) فتشدنـا مساحتـه البالغـة ٢٥٠٠ م٢، ويفرض هيبتـه علينا بفخامـة بوابته التى يتقـدمها سوق صغيـر خاص بنزلاء الخـان . وتعتبر البحـرة التى تتوسط باحته والإيوان الضخم فى صـرره من العناصر المميزة للعمارة «السورية» (العواصم العربية / ٦٣) انظر الصورة .

وهكـذا فقـد بسطنـا الكـلام على الخـانـات بـاعتبـارهـا مؤسسات تجـارية هى جزء من معالم حضـارتنا، وهى أنصع دليل على النشاط التجارى العظيم الذى كانت تتمتع به الدول الإسلامية .

(الفن الإسـلامى ــ أبـو صـالح الألفى / ١٢٤، مـوسـوعـة العمـارة الإسلامية - د. عبـد الرحمن غالب / ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، والقيم الجمالية فى العمارة الإسـلامية - د. ثروت عكاشة / ٧٩ - ٧٢، والعواصم العربية وعمرانهـا فى الفترة العثمانية ــ د. أندريه ريمـون - تعريب قاسم طـوير / ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣، والمواعظ والاعتبـار بذكـر الخطط والآثار لتقى الدين المقـريزى ٢/ ٩٢ - ٩٤، والمـدينة المنورة. تطورهـا العمرانى وتراثها المعمارى - صالح لمعى مصطفى / ٢٤٦، ومجتمع مدينة دمشق - د . يـوسف جميل نعيسة / ١٨١ - ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، والدر المنتخب فى تاريخ مملكـة حلب لابن الشحنة - تقديم عبـد الله محمد الدرويش / ٢٤٨ - ٢٥٠، وأحياء حلب وأسـواقها لخير الدين الأسـدى - تحقيق عبد الفتـاح رواس قلعـة جى / ١٨٥ ــ ١٩٢ . انظـر أيضـا التـراث الإسـلامى المعمارى فى مصر - د. صالح لمعى مصطفى / ٥٦ - ٥٩).

*** الخانقاه:**

انظر: الخوانق

*** الخانقاه (جامع -):**

انظر: سعيد السعداء (خانقاه -)

*** الخانقاه الصلاحية:**

انظر: سعيد السعداء (خانقاه -)

*** الخانقاوات:**

انظر: الخوانق

*** خانُم:**

لفظ فـارسى بمعنى سيدة . ويعتقـد «فـان برشم» أن هـذا اللقب لم يرد فى النقوش الإسلامية غير مرة واحدة .

(الألقاب الإسلامية - د. حسن الباشا / ٢٧٤)

*** خاورنامه:**

خاورنامه : فارسى منظوم لمحمد بن حسام الدين المتوفى سنة ٨٩٢ اثنتين وتسعين وثمانمائة بقهستان نظم فيه سيرة على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

(كشف الظنون ١/ ٦٩٩)

*** خاير بك (مدرسة -):**

انظر: خاير بك (مسجد -)

*** خاير بك (مسجد) (٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢): أثر ٢٤٨:**

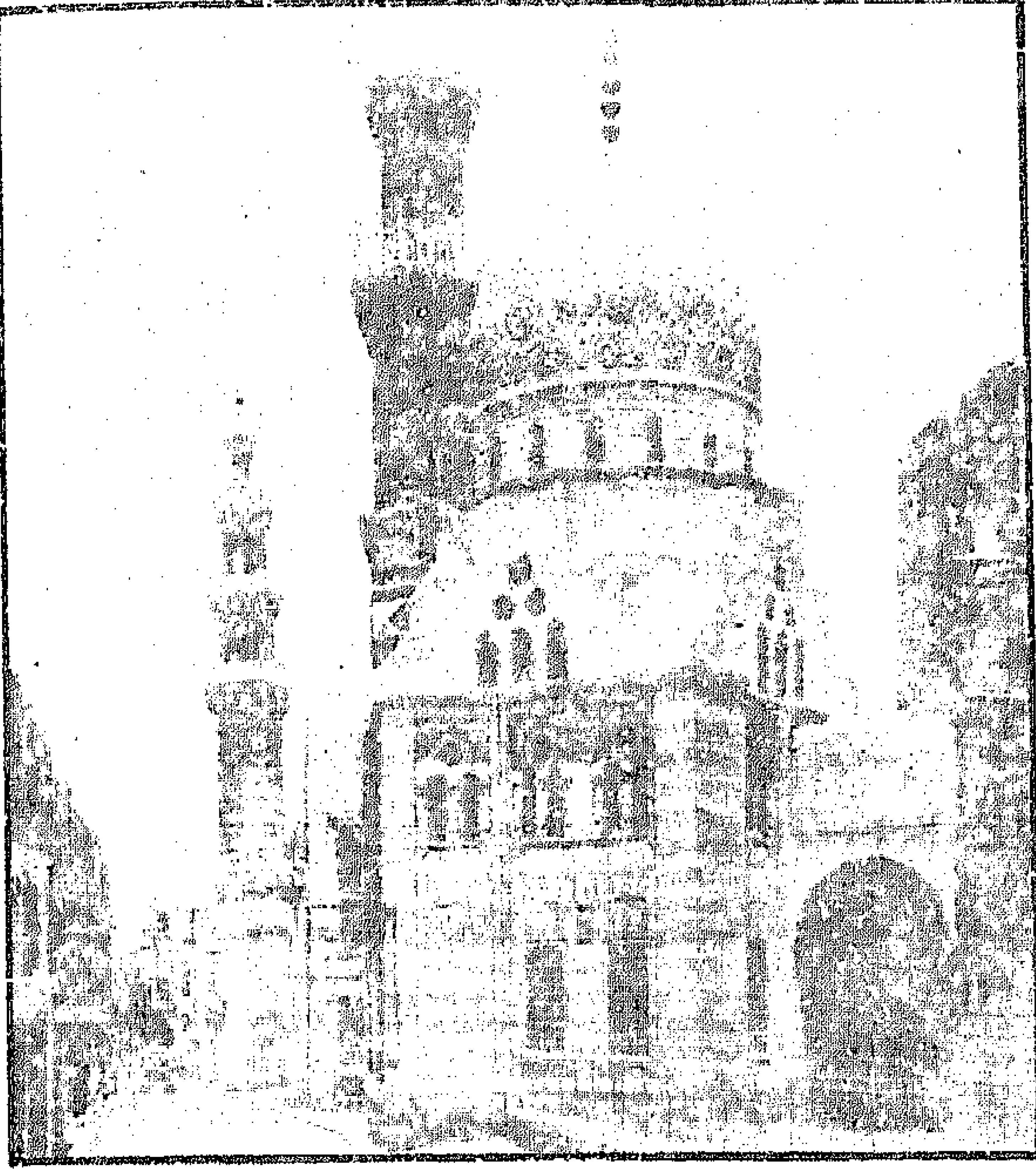
يقع هـذا المسجد بشـارع باب الـوزيـر إلى جوار مسجـد آمدسنقـر (إبراهيم أغـا مستحفظان) أنشأه فى سنـة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ - ٣ م) (فى الخطط التوفيقية ٤/ ٢٢٨ سنة ٩٢٧) الأمير خاير بك أحد أمـراء المماليك الجراكسة ، وصل فى عهـد السلطان

الغورى إلى مرتبة صاحب الحجاب (كبير الأمناء). وفى سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ ـ ٥م) عينة الغورى نائبا عن حلب وظل فى هذه الوظيفة إلى سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) حيث غزا السلطان سليم الشام، وعندئذ ولاه الغورى قيادة مسيرة الجيش المملوكى ، وعندما اشتد هجوم الجيش التركى خان خاير بك سيده وانسحب فأدى انسحابه إلى وقوع الاضطراب فى صفوف الجند وهزيمة المماليك فى موقعة مرج دابق التى قتل فيها السلطان الغورى ولم يعثر له على أثر. وبعد ذلك أخذ فى تمهيد السبيل لدخول الجيش العثمانى مصر ببذر بذور الفتنة فى الجيش المملوكى المرتد من الشام مما أدى إلى انهيار الدولة المملوكية والقبض على آخر ملوكهم طومان باى وقتله . وهكذا بدأ حكم العثمانيين لمصر، وكان خاير بك أول حاكم عليها من قبل الدولة العثمانية ، فصار يتصرف فى شئونها تصرف الملوك ، وكان عهده عهد قسوة وعنف ، وساءت أحوال البلاد ، وتوفى سنة ٩٢٨ هـ ويتكون المنظر الخارجى للمسجد من القبة الجميلة المحلى سطحها بزخارف نباتية ، والمنارة التى فقد قمتها فى وقت غير معروف ، والمدخل المعقود الذى تغطيه طاقية مقرنصة الأركان ، ثم السبيل الواقع فى الطرف الشمالى من الوجهة ، وكلها تكون مجموعة متناسقة امتازت بعدم بنائها على خط واحد مما زاد فى جمال تكوينها .

ويؤدى المدخل إلى دركاة معقود على يسار الداخل إليها باب يؤدى إلى ممر يتوصل منه إلى فضاء به سبان ومقابر مبعثرة، وتطل عليه الوجهة الخلفية للمسجد وبقايا وجهة قصر الأمير الناق أحد أمراء المماليك البحرية ، ويحده من الشرق سور البلد القديم ، وإلى يسار الممر آنف الذكر باب السبيل وإلى يمينه باب يؤدى إلى المسجد يتوصل إليه ببعض الدرجات .

وتخطيط المسجد عبارة عن حيز مربع أمام المحراب على جانبيه إيوانان يفصلهما عنه عقدان ، وبنهاية الإيوان القبلى منهما بابان يؤدى أحدهما إلى القبة والثانى إلى الغرفة الواقعة أسفل المنارة .

ويسترعى النظر فى هذا المسجد طريقه تسقيفه ، فهو مغطى بقبوات مصلبة من الحجر.



مسجد الأمير خاير بك
٩٠٨ هـ (١٥٠٢/٣م)

ولكى يجمع المهندس الذى وضع تصميم المسجد والقبة بين ضرورة مراعاة اتجاه القبلة وبين اتباع خط تنظيم الطريق أدخل المسافة الناتجة من انحراف الوجهة فى سمك حائطها وأنشأ بها صفقا عقدها بقبوات حجرية ، وشغل الصفة المقابلة للمحراب بأن وضع بها دكة المبلغ .

وفى القبة انثنى بالشبابيك لتكون عمودية على كل من حوائط المربع من الداخل ووجهاته ، وتفنن فى تغطيتها بقبوات حجرية دقيقة الصنع (مساجد مصر ٢/ ١١٠ ، ١١١).

هذا وقد أدرجه على باشا مبارك فى الجوامع (الخطط ٤/ ٢٨٨ ، ٢٢٩) تحت اسم «خير بك» وقال عنه : جامع خير بك : هذا المسجد بالخربكية جهة باب الوزير أنشأه الأمير خير بك ملك الأمراء فى سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، وهو من المساجد المشيدة ، وأرضه مرتفعة نحو ثلاثة أمتار ومفروشة بالرخام الملون ، وبه ضريح منشئه ، ومن داخل المسجد بطحاء متسعة بها المطهرة وتوابعها ، وبعض قبور ، وشعائره مقامه من ريع أوقافه التابعة للديوان .



مسجد الأمير خاير بك
٩٠٨هـ (١٥٠٢/م٣)

ثم ترجم لـه فقال : وخير بك هذا كما فـي ابن إياس : هو ملك الأمراء خير بك أول من تقرر باشا بمصر بموعد سبق له من السلطان سليم، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، واستمر نائبا عليها إلى أن مات سنة ثمان وعشرين وتسعمائة، فكانت مدة نيابته بمصر نحو خمس سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما، وكان جبارا عنيدا سفاكا للدماء، قتل ما لا يُحصى من الخلائق ... إلخ . وهكـذا يعـدد ابن إيـاس مساوئه، ثم يقول : أصلـه من ممالـيك الأشرف قـايتباي. وكان جـركسى الجنس، وكان اسمه بلباى الجركسى، وكان يدعى أيضا خير بك بلباى. وفى مرض موته أعتق جميع جواريه ومماليكه، ثم إنه دفع للقاضى بركات بن موسى المحتسب ألف دينار فضة، ورسم بعشرة آلاف أردب قمح من الشون، ورسم للمحتسب أن يفرقها على مجاورى الأزهر، وعلى المزارات، والزوايا. ثم أمر بإخراج مراسيم للقاضى شرف الدين بن عوض بأن يفرج عن أصحاب الرزق الأحباسية التى كان قد أدخلهـا إلى ديوان السلطـان ـ وكـانت نحو ألف وثمـانمـائة رزقة ـ فأفرج عنهـا لأصحابها. ورسم بإطلاق المحابيس من رجال ونساء فأطلقوا من كان بسجن الديلم والرحبة، ولـم يتركوا بالسجن إلا القاتل والسارق، ولم ير النـاس فى أيامه أحسن من أيـام مرضه، ولم يعرف الله عـز وجل إلا وهو تحت الحمل، وكان مريضـا بفرخ حجر فأعجز الأطباء، واستمـر به المرض إلى أن مات . ودفن بجامعه المذكور انتهى. فسبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت (الخطط التوفيقية ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩).

وقد ذكره على مبـارك باشا ثانيـة فى المدارس تحت عنوان «مـدرسة خيـر بك» وقـال : هى بشارع الخـربكيـة قرب بـاب الـوزيـر على يمنـة السالك من القلعـة إلى الـدرب الأحمـر، أنشأهـا الأمير خير بك ملك الأمـراء فى سنـة سبع وعشـرين وتسعمائة، وهى عامرة إلى الآن، وتعـرف بجامع خير بك وقد ذكرناه فى الجوامع ا هـ (الخطط التوفيقية ٦/ ١٦).

(مسـاجد مصـر. وزارة الأوقاف ٢/ ١١٠، ١١١، والخطط التـوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢٢٨، ٢٢٩ و ٦/ ١٦).

قالت المـؤلفة : قمت بـزيارة هـذا المسجد مرتيـن كانت الثانيـة منهما يـوم الأحد ٢٠ مـايو ١٩٨٤، وقد قـال لى خادم المسجد إن العـامة حرفت اسم «خايـر» بك إلى «خاين» بك بإبدال الراء نونـا لأنه ـ كما سبق القول ـ خـان سلطانه الغورى وباعه للسلطان سليم فى موقعـة مرج دابق. وقد توجهت بعد زيارتى المسجد إلى الحوش الـذى أشار إليه على مبارك بلفظ «بطحـاء» وشـاهـدت وراءه سـور القـاهـرة القـديم، كمـا أن بالحوش حواصل، وفى نهايته إلى اليمين باب يؤدى إلى قصر ألين آق الحسامى (٦٩٣ هـ/ ١٢٩٣ م، أثر ٢٤٩) الذى ترى بقـايـا وجهتـه، ولم يبق منـه إلا أطـلال وقـد صحبنى خـادم المسجد فى محـاولتى مشاهدة القصـر الذى يقع بابـه بجوار بـاب المسجد، وهـو مهـدم تمامـا، وكـذلك القاعـة، وهى مهدمـة، ويصعد إليهـا على أكوام من الحجـارة والرمـال مما جعلنى أحجم عن الصعـود إليها. وأمام القـاعة أبـواب تؤدى إلى غرف لعلها كانت اصطبـلات أو حواصل، وكلها يسكنها أنـاس فى كل غرفـة. وسور القـاهـرة القديم يقع وراء القصـر مباشرة، وأمام القصر سبيل ومدفن عمر أغا والمنازل المجاورة (أثر ٢٤٠).

*** الخايف العايم من لومة اللايم:**

من مصنفات التراث الإسلام فى التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٣٧٩ .

- رسالة فى شرائط الخلوة وحفظ الوقت وعدم تضييعه إلا فى الطاعات والقربة .

المؤلف: نجم الدين؟

أولها: الحمد لله تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذى استسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذى خضع كل شيء لملكه ...

آخرها: وكان راع من رعاة الغنم يرعى فاستقاه إنسان فقال ليس عندنا ماء فاشترى منه لبنا فحلبه فى إناء فشرب العطشان وفضلت فضلة فقال أما تشرب قال: لا إنى صائم ...

الخط: نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: سعيد الحبش بجامع العفيف بدمشق

تاريخ النسخ: الأحد ١٢ شوال سنة ١٢٦٧ هـ

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٤).

*** خباب بن الأرت (- ٣٧ هـ / - ٦٥٧ م):**

قال عنه الإمام النووى: خباب بن الأرت بالتاء المثناة فوق المشددة الصحابى رضى الله عنه تكرر، هو أبو عبد الله. وقيل أبو محمد. وقيل أبو يحيى خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو عربى لحقه سباء فى الجاهلية فبيع بمكة وقيل هو حليف بنى زهرة وقيل هو مولى أم أنمار بنت سباع الخزاعية وهى من حلفاء بنى زهرة بن كلاب بن مرة فهو تميمى النسب خزاعى الولاء زهرى الحلف وكان خباب من السابقين إلى الإسلام وممن تعذب فى الله تعالى وكان سادس ستة فى الإسلام. قال مجاهد أول من أظهر إسلامه من الصحابة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية أم عمار فكان أبو بكر رضى الله عنه يمنع عنه قومه وأما الآخرون فكانوا يعذبونهم. وقال الشعبى إن خبابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوه فجعلوا يلزقون ظهره بالرضف حتى ذهب لحم ظهره قال وسأله عمر رضى الله عنه عما لقى من المشركين فقال يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهرى فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهر رجل قال خباب: لقد أوقدت نار وسحبت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهرى. وشهد مع رسول الله ﷺ بدرا وأُحُدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ روى له عن رسول الله ﷺ اثنان وثلاثون حديثا اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة وانفرد البخارى بحديثين ومسلم بحديث. روى عنه ابنه عبد الله وقيس بن أبى حازم وأبو نوفل ومسروق وأبو ميسرة والشعبى وآخرون ومرض خباب مرضا شديدا طويلا توفى منه بالكوفة سنة سبع وثلاثين فى خلافة على رضى الله عنه وقبره أول قبر دفن بظاهر الكوفة وكان أوصى بذلك وكان الناس إنما يدفنون على أبواب بيوتهم ثم دفنوا بظاهر الكوفة حين أوصى خباب بذلك ولما رأى على كرم الله وجهه قبره قال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا. وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وقال بعضهم توفى سنة تسع عشرة وغلطوه.

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧٤، ١٧٥ - انظر أيضا الأعلام للزركلى ٢/ ٣٠١).

*** ابن الخباز (- ٦٣٩هـ / - ١٢٤١م) :**

أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلى الموصلى، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز، نحوى ضرير. له تصانيف منها «الغرة المخفية فى شرح الدرة الألفية» مخطوط، وهو شرح لألفية ابن معطى، و« توجيه اللمع» مخطوط شرح لكتاب اللمع لابن جنى، فى الأزهر وانظر شستر بتى (٥٠٩٣) وله شعر (الأعلام ١/ ١١٧).

عرف بابن الخباز البلدى، شارح ألفية ابن معطى، وسكن الموصل ونشأ بها، واشتغل وجلس مكان شيخه يقرىء النحو، واللغة، والعروض، والقوافى، والفرائض، والحساب، وتزاحم الناس عليه، ولم ير فى زمانه أسرع حفظا منه، وكان كثير العتب على الزمان، مستحضرا لجمل من الأشعار والنوادر، توفى سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وكان من جملة محفوظه: الإيضاح ، والتكملة ، والمفصل، ومجمل اللغة لابن فارس، ومن شعره فى ذم أهل الزمان :

أعراضهم لم تزل مسودة فإذا
قدحت فيهم أصاب القدح حراقا
بلوتُهم وطعمت السم فى عسل
وما وجدت سوى الهجران درياقا

له ترجمه فى : البلغة / ٩، وبغية الوعاة ١/ ٣٠٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٠٢، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ١٩٤، ونكت الهميان / ٩٦، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٢ (إشارة التعيين / ٢٩) .

(الأعلام للزركلى ١/ ١١٧، وإشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين لعبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى - تحقيق د. عبد المجيد دياب / ٢٩. انظر أيضا نشأة النحو - الشيخ محمد الطنطاوى / ٢١٠ وفيه وفاته سنة ٦٣٧هـ) .

* **الخُبّازَى :**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم طب الأعشاب ، وعلم التغذية . ذكره المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية » .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

خبازى « ع ـ منه بستانى يقال له الملوكية ، ومنه برى معروف، ومنه برى كالخطمى . والخبازى البستانى، وهو الذى يسميه أهل الشام الملوكية ، يصلح للأكل أكثر مما يصلح البرى، وهو ردىء للمعدة ، ملين للبطن، ويدر البول، وخاصة قضبانه، نافعة للأمعاء والمثانة، وورقه إذا مضغ نيئا وتضمد به مع شىء من الملح، نقى نواصير العين ، وأنبت فيها اللحم ، وإذا تضمد به كان صالحا للسع الزنابير والنحل. والخبازى : بارد رطب فى الأولى، وخاصة البستانى منه ، ردىء للمعدة الرطبة ، نافع للمثانة ، وبزره أنفع ، وهو نافع صالح لخشونة الصدر والرئة والمثانة ، وإن طبخت بدهن ، وضمد بها الأورام الحادثة فى المثانة والكلى نفع ، وإن ضمدت بها الأورام الحارة سكنها ، وينفع غذاء من السعال اليابس، الحادث عن خشونة الصدر، وبزرها إذا أضيف إلى أدوية الحقن أزال ضرر الأدوية الحارة . «ج» الخبازى نوع من الملوخية، وهى الملوكية ، وقيل : الملوخية هى البستانى، والخبازى هى البرى. ومن الخبازى نوع يقال له ملوخيا الشجر، وهو الخطمى ، وقيل إن البقلة اليهودية أحد أصناف الخبازى، والبرى ألطف وأيبس، وهو بارد رطب فى الدرجة الأولى، وقيل إنه معتدل فى الحر والبرد، والخبازى ينفع من النملة والحمرة ، وورق البردى مع الزيتون ينفع من حرق النار، وكذلك طبيخه نطولا، ويمضغ للقلاع، ويلين الصدر، ويغزر اللبن ، ويسكن السعال عن حرارة ويبس، ويفتح السدد فى الكبد ، وزهره نافع لقروح الكلى والمثانة شربا وضمادا. وربما أفرط وأسهل دما «ف» حشيشة معروفة، يقال لها الملوكية، مختارها البرى الطرى، وهى باردة رطبة فى الأولى، ينفع من خشونة الصدر، وبزره من قروح المثانة . الشربة : بقدر الحاجة (المعتمد ١/ ١١٥، ١١٦) .

كما أدرجه الشيخ داود الأنطاكى فقال عنه :

خبازى : ويقال خبيزا اسم لكل نبت يدور مع الشمس حيث دارت ويطلق فى العرف الشائع على نبت برى مستدير الورق وسط أوراقه كشىء مجوف دقيق سبط له زهر إلى الصفرة وبزر إلى السواد مفرطح وربما ارتفع هذا النبات كثيرا ورأيت منه شجرة تقارب التوت وأما النوع الشبيه بالقصب وبين كل قصبتين زهر يستدير وينفتح كالورد فهو الخطمى وأما البستانى من الخبازى فهو الملوخيا ويقال الملوكيا وهو نبت سبط الأوراق من وجه خشن من الآخر الذى يلى الأرض مسيخ الطعم مائى يطول نحو ذراع بزهر أصفر يخلف غلفا كالدود إلى خضرة محشوة بزرا أسود شديد المرارة وسائر هذا النوع كثير اللعابية واللزوجات وتدرك الملوخيا بأيار (مايو) وتستمر

إلى أواخر الصيف وأما الخبازى فلا تدرك إلا بأكتوبر وتستمر طول الشتاء والكل بارد فى الثانية رطب فى الثالثة يلين ويطفىء الصفراء واللهيب والأخلاط المحترقة وتنفع من الحكة والجرب وقروح الأمعاء وخشونة القصبة وحرقة البول والسدد وأوجاع الطحال واليرقان إلا أنه ردىء للمعدة الضعيفة والأمزجة الباردة والملوخية تعطش للطفها وتهيج الحرارة وينبغى أن لا يبادر إلى أخذ الماء فوقها وبزر الخبازى شديد اللعابية ينفع من أورام الحلق والخشونات وبزر الملوخيا يسهل الأخلاط الغليظة والبلغم اللزج ويفتح السدد وينفع عرق النسا وكلها بسائر أجزائها واقعة فى الحقن والفتائل وماؤها بالسكر يخلص من الأخلاط المحترقة جميعا وإذا مضغت حللت الأورام وسكنت لسع العقرب وهى ترخى وتولد الرياح والنفخ وتصلحها الحوامض للمحرورين ونحو الفلافلى والكمونى فى المبرودين والشربة من مائها إلى خمسين درهما وأجود ما طبخت الخبازى بلحوم الطيور (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٣٥، ١٣٦).

وقال القزوينى : الخبازى حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل ويفتح بالنهار، ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنابير ضمادا خصوصا مع الزيت؛ وإذا مضغ الملح وجعل على النواصير نفعها ، بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم. وينفع من نهش الرتيلا (عجائب المخلوقات/ ١٨٥ ، ١٨٦).

وقد ذكرها الطبيب المغربى ، ابن شقرون فى البقول البرية فى منظومته المعروفة بالأرجوزة الشقرونية ، وقال إن خصائصها هى خصائص « البامية » فقال عن « البامية » :

لينة قد ما تهيج السودا
لا تقربنها ما استطعت أبدا

لاكنها تطفى لهيب المعطش
من أجل ذا تعجب أهل الحبش

وأعقب ذلك بقوله عن الخبازى :

وقس عليها بقلة الخبازى
حقيقة فى الطبع لا مجازا

(الطب العربى / ١٣٩) .

كما أفرد لها الإمام السيوطى مقامة من مقاماته فقال عنها :

وما أدراك ما الخبازى بارد رطب فى الأولى ، ردىء للمعدة الرطبة فضولا، مغزر للبن نفاع ، يفتح لسدد الكبد وينفع للقلاع ، وينفع من السعال اليابس بالاغتذاء، ومن أوجاع المثانة وما بها من أذى، ويدر البول ويلين طبعا ويصلح خشونة الصدر والرئة ، وبزره فى ذلك أشد نفعا .

وقضبانه نافع للمثانة والأمعاء ، وورقه إذا مضغ نيئا وضمد به العين نقى البواسير وأنبت فيها اللحم وأزال الغين ، وإذا ضمد به للسع النحل والزنابير نفع ، وإذا دق وخلط بزبد أو تمسح به لم يضره منها ما لسع وإذا ضمد به مع البول أبرأ الرطبة من قروح الرأس ، وإذا طبخ ودق وخلط به زيت ووضع على الجمرة وحرق النار أذهب عنها البأس ، وإذا وضع وحده على الأورام سكنها ، أو الدماميل فجرها وأخرج ما فيها من الأدناس ، وإذا جلس النساء على طبيخه سكن صلابة الرحم والمقعدة ، وإذا أضيف بزرها إلى أدوية الجفن أمال ضرر الأدوية الحادة وبرده ، وإذا طبخ ورقه بأصوله نفع من لسعة الرتيلا والأدوية القتالة ، وينبغى أن يشرب ويتقيأ دائما فإنه يبرأ ذلك لا محالة .

وقد قلت فيها شعرا :

خبازيات نراها
تحكى قباب زبرجد

كثيرة النفع طبا
مقامها فيه أمجد

تفوق فى الطب حقا
على لجين وعسجد

وجاء فى الهامش ما يلى :

(١) خبازة برية :

(خبيز فى الشام ، جنس زهر من فصيلة الخبازيات) .

مكان النبتة : حواشى الطرق، السياج .

أوصافها : عشبة يبلغ ارتفاعها نحو متر، أوراقها مستديرة

مجنحة ومسننة وساقها الطويلة مكسوة بشعيرات دقيقة، وكذلك الساق وفروعها . وهى تزهر بين حزيران وأيلول (يونية وسبتمبر) أزهارا بخمس أوراق مجوفة عند الرأس، لونها أحمر فاتح ومخططة بخطوط قاتمة ، ساقها طويلة ومكسوة بشعيرات دقيقة .

الجزء الطبى منها : الورق مع الساق، والأزهار بدون الساق .

المواد الفعالة فيها : مواد هلامية وقليل من المواد الدابغة والمقشعة وفى الأوراق مواد قابضة .

أ ـ من الخارج : تستعمل لبخ العشبة الغضة والمهروسة لمعالجة القروح ويستعمل مغليها للمضمضة والغرغرة فى التهاب اللوزتين والفم .

ب ـ من الداخل : يشرب مغليها لمعالجة النزلات الصدرية (سعال مصحوب بقشع) والنزلات المعوية (إسهال) ولمعالجة التهاب الحلق واللوزتين .

ويعمل المغلى كالمعتاد وبنسبة ملعقة كبيرة من العشبة المجففة لكل فنجان من الماء، ويشرب منه ساخنا (٢ـ٣) فناجين فى اليوم . (مقامات السيوطى / ٣٣، ٣٤) .

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١١٥ ، ١١٦ ، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٥ ، ١٨٦ ، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية للطبيب عبد القادر بن شقرون ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٣٩ ، ومقامات السيوطى للإمام جلال الدين السيوطى ـ تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندارى، ومحمد السعيد بسيونى زغلول / ٣٣، ٣٤ وهامش التحقيق) .

*** الخبازى (٦٢٩ ـ ٦٩١هـ / ١٢٣٢ ـ ١٢٩٢م) :**

عمر بن محمد بن عمر الخبازى الخجندى ، أبو محمد، جلال الدين ، فقيه حنفى ، من أهل دمشق . جاور بمكة سنة وعاد إليها . له « المغنى » مخطوط فى أصول الفقه قال الزركلى : اقتنيت منه نسخة كتبت سنة ٦٩٢ ومنه ثانية فى مغنيسا (الرقم ٤٤٣س) كتبت سنة ٧٨٣، و « شرح الهداية » مخطوط (الأعلام ٥/ ٦٣) .

قال صاحب مفتاح السعادة : ومن شروح « المغنى » «شرح منصور القاآنى ، وهو أبو محمد منصور بن أحمد بن يزيد الخوارزمى القاآنى . شرح «المغنى» للخبازى شرحًا مفيدًا فى الغاية فى بابه ... ومن شروحه « شرح سراج الهندى» وهو أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوى، سراج الدين الهندى قاضى الحنفية بالقاهرة (مفتاح السعادة ٢/ ١٦٨، ١٦٩) .

(الأعلام للزركلى ٥/ ٦٣ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١٦٨، ١٦٩) .

*** خبايا الزوايا:**

خبايا الزوايا فى الفروع : لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة .

أوله : الحمد لله الذى لم تزل نعمته تتجدد ... إلخ ذكر فيه ما ذكره الرافعى فى النووى [والنووى] فى غير مظنتها من الأبواب فرد كل شكل إلى شكله وكل فرع إلى أصله واستدرك عليه الشريف عز الدين حمزة بن أحمد الحسينى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٨٧٤ أربع وسبعين وثمانمائة وسماه بقايا الخبايا . ولبدر الدين أبى السعادات محمد بن محمد البلقينى المتوفى سنة ٨٩٠ تسعين وثمانمائة حاشية عليه .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٩٩) .

*** خبايا الزوايا فيما فى الرجال من البقايا:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الأدب .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم : ٧١٠٩ .

للخفاجى : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى، المصرى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م (ترجمته فى بروكلمان الذيل ٢/ ٣٩٦، والأعلام ١/ ٢٢٧، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٣٨) .

ذكر فيه أدباء عصره من شيوخه وشيوخ أبيه، كصاحب الذخيرة وقلائد العقيان واليتيمة والدمية وعقود الجمان. رتبه على خمسة أقسام وخاتمة :

- القسم الأول : فى رجال الشام .
- القسم الثانى : فى رجال الحجاز.
- والقسم الثالث : فى رجال مصر.
- والقسم الرابع : فى رجال المغرب .
- والقسم الخامس : فى رجال الروم .
- والخاتمة : فى نظم المؤلف ونثره .

أوله : « حمدا لك اللهم يطوق جيد البلاغة نظم عقوده، وينسج بنان البيان على منوال البراعة رقيق بروده، وشكرا تدفقت موارده ومصادره وغرقت فى سواحله من كل وارد فكر خواطره ... » .

آخره : « ...

فـــلا تضيقـــه بهم قـــد نـــزل
ومـــا لغيـــر الله فيـــه من محل
فـاشـرحـه بـالنـور اللطيف القـدسى
وصيـــــر البسـط أنيـس ...

تم نسخ كتاب خبايا الزوايا ... سنة ثلاث وثمانين وألف على يد الفقير رجب بن محمد نزيل دمشق ... » .

كتبت النسخة بخط نسخ مستعجل .

٢٢٧ق ٢١س ١٤×٢٠ سم

(فهرس الظاهرية ١/ ١٩٤، ١٩٥).

كما يوجد مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى ، وقد أدرج فى قسم التاريخ :

ينقص من أوله سطورا من المقدمة .

وآخره : « هذا آخر ما تيسر تحريره من نسخة الأصل وقد بقى فيها بعض تراجم لم يتيسر نقلها وضمها لأخواتها لضيق الوقت وقد ألحق المؤلف بعض تراجم الأفاضل الحلبيين بعد نسخ هذه التراجم لم أقف عليها ، وسوف إذا منَّ الله تعالى بالاجتماع به مرة ثانية نستوعب جميع ما فى الأصل . والله المسئول فى تيسير ذلك فإنه القادر عليه والمرجع فى الأمور كلها إليه ، وقد أنهيتها نسخا فى مجالس آخرها الليلة التى تسفر عن غرة يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان المبارك سنة أربعة وخمسين وألف » .

نسخة كتبت بخط نسخى فى ١٠٨ ورقات، ومسطرتها ٢١ سطرا . وبعدها ترجمة وافية للخفاجى حوت الكثير من شعره . وتقع هذه الترجمة فى ٢٥ ورقة .

[مكتبة العباسية ـ البصرة ١٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة/ ١٥٧) .

قال صاحب كشف الظنون : وهو تأليف لطيف يدل على مهارة مؤلفه فى الأدب (كشف ١/ ٧٠٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٤، ١٩٥، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ جـ ٢ ق٤ القاهرة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م/ ١٥٧ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٠) .

*** الخَبَث:**

درجه المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى .

خبث ـ «ع» كل خبث فهو داء يجفف تجفيفا شديدا، إلا أن خبث الحديد أشد تجفيفا، وإن سحق مع الخل الثقيف جدا، ثم طبخ صار دواء يجفف القيح الجارى من الأذن زمانا طويلا، حتى يعجب منه من لا يجربه . وهو يحلل الأورام الحارة، وينفع من خشونة الجفن، ويقوى المعدة ... ويقطع نزف الحيض، وهو غاية فيه ...

وإذا خالط أدوية المعدة والكبد والطحال والأعضاء الداخلة، المحتاجة إلى التجفيف والقبض، فيجب أن يلطف قبل ذلك بسحقه مع الخل، وتجفيفه في الشمس ...

وخبث الحديد، قوته شبيهة بقوة زنجار الحديد، إلا أنه أضعف، وخبث النحاس قوته شبيهة بقوة النحاس المحرق، ويغسل كما يغسل النحاس المحرق. وخبث الرصاص أشد قبضا. «ج» خبث الحديد أقوى الخبث تجفيفا، وهو حار يابس في الدرجة الثالثة، وهو يجفف الرطوبات، ويحلل الأورام الحارة والداحس، ويمنع الحبل، ويقطع النزف حمولا بصوفة، وينفع من اللبن المنعقد في الثدى إذا شرب، وقدر ما يؤخذ منه دانق، ويعرض لمن شربه ما يعرض لمن سقى برادة الحديد، وعلاجه كعلاجه. خبث الفضة قابض جدا، وفيه قبض وتجفيف، ينفع من الجرب والسعفة، ويدمل القروح، ويمنع النزف وخبث الرصاص قوته مثل قوة الرصاص المحرق. وهو بارد يابس، ينفع من قروح العين «ف» خبث الفضة والحديد والنحاس والرصاص مسخنة كلها مجففة، أجودها الحديد الفولاذى الصافى. الشربة: نصف درهم (المعتمد ١/ ١١٦، ١١٧).

وقال عنه داود الأنطاكى:

خبث هو الأوساخ الخارجة من المعادن وقت سبكها وطبعها كمعادنها؛ وبالجملة كلها جيدة للقروح إلا أن خبث الحديد أحسنها فى ذلك بالنسبة إلى ما فى البواطن يقوى المعدة... مع صفرة البيض إلى دانق وإن طبخ بزيت ثم عقد بعسل صفى الصوت وأصلح الحلق عن تجربة وخبث الفضة أعظمها للعين والذهب للأعراق الخبيثة وسنستوفى منافعها فى معادنها (التذكرة ١/ ١٣٦).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٦، ١١٧، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٦).

*** الخبر:**

الخبر من أقسام علم المعانى، وهو إما أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى موضوعة لإفادة الحدوث فى زمن مخصوص مع الاختصار وقد تفيد الاستمرار التجددى بالقرائن إذا كان الفعل مضارعا كقول طريف.

أوكلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا إلىَّ عريفهم يتوسم

والثانية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه نحو الشمس مضيئة وقد تفيد الاستمرار بالقرائن إذا لم يكن فى خبرها فعل نحو العلم نافع.

والأصل فى الخبر أن يلقى لإفادة المخاطب الحكم الذى تضمنته الجملة كما فى قولنا حضر الأمير، أو لإفادة أن المتكلم عالم به نحو أنت حضرت أمس، ويسمى الحكم فائدة الخبر وكون المتكلم عالما به لازم الفائدة.

وقد يلقى الخبر لأغراض أخرى:

١ ـ كالاسترحام فى قول موسى عليه السلام ﴿ **رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير** ﴾ [القصص: ٢٤].

٢ ـ وإظهار الضعف فى قول زكريا عليه السلام ﴿ **رب إنى وهن العظم منى** ﴾ [مريم: ٤].

٣ ـ وإظهار التحسر فى قول امرأة عمران ﴿ **رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت** ﴾ [آل عمران: ٣٦].

أضرب الخبر

حيث كان قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب ينبغى أن يقتصر من الكلام على قدر الحاجة حذرا من اللغو فإن كان المخاطب خالى الذهن من الحكم ألقى إليه الخبر مجردا عن التأكيد نحو أخوك قادم، وإن كان مترددا فيه طالبا لمعرفته حسن توكيده نحو إن أخاك قادم، وإن كان منكرا له وجب توكيده بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر حسب درجة الإنكار نحو إن أخاك قادم، أو إنه لقادم، أو والله إنه لقادم.

فالخبر بالنسبة لخلوه من التوكيد واشتماله عليه ثلاثة أضرب كما رأيت ويسمى الضرب الأول ابتدائيا والثانى طلبيا والثالث إنكاريا.

ويكون التوكيد بإن وأن ولام الابتداء وأحرف التنبيه والقسم

ونونى التوكيد والحروف الزائدة والتكرير وقد وأما الشرطية (قواعد اللغة العربية / ١٠٨، ١٠٩) .

وجاء فى التعريفات للجرجانى : الخبر لفظ مجرد من العوامل اللفظية مسند إلى ما تقدمه لفظًا نحو زيد قائم ، أو تقديراً نحو قائم زيد؟ وقيل الخبر ما يصح السكوت عليه والخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب .

خبر كان وأخواتها : هو المسند بعد دخول كان وأخواتها .

خبر إن وأخواتها : هو المسند بعد دخول إن وأخواتها .

خبر لا التى لنفى الجنس : هو المسند بعد دخول لا هذه .

خبر ما ولا المشبهتين بليس : هو المسند بعد دخولهما (التعريفات / ١٣٠).

(قواعد اللغة العربية - حفنى بك ناصف وزملائه / ١٠٨ ، ١٠٩ ، والتعريفات للشريف الجرجانى - تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٠) .

*** الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال : رسالة لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أولها الحمد لله الذى فاوت بين خلقه فى المراتب إلخ (كشف ١/ ٧٠٠)

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى تحت العنوان المختصر «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد :

الرقم ٥٢٦٨

- رسالة فى جواب عن سؤال بعض الناس وأن بعضهم ينكرون على السادة الصوفية بأن منهم أبدالا ونقباء ونجباء وأوتادا فتصدى لذلك المؤلف بهذه الرسالة مدعما ذلك بالأحاديث والأخبار والقرائن وكان تأليفها فى يوم السبت ثامن محرم سنة ٨٨٣ هـ.

المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .

أولها : الحمد لله الذى فاوت بين خلقه فى المراتب وجعل فى كل قرن سابقين ، بهم يحيى ويميت وينزل الغمام الساكب ...

آخرها : وجود شخص فى مكانين فى وقت واحد لأن ذلك إثبات تعدد الصور الروحانية لا الجسمانية وقد قررت نظير ذلك فى الروح بعد الموت فى باب مقر الأرواح ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : ١٤ ذى القعدة سنة ١١١٢ هـ

نسخة ثانية .

الرقم ١١٢٤٢

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل : الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة ثالثة .

الرقم ٥٤٨٥

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ١٢٨ ، الضوء اللامع ٤/ ٦٥ ، النور السافر/ ٥٤ ، الكواكب السائرة ١/ ٢٦٦ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن كتاب الحاوى للفتاوى ٢/ ٤٥٥ على نفقة مكتبة القدسى بمصر، ثم صور حديثا .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من كتاب الحاوى للفتاوى طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، وتقع فى جزءين، وتقع الرسالة فى الجزء الثانى ص٢٤١ - ٢٥٥ .

بعض نسخ الكتاب : الأحمدية بحلب ١٨٣١/ ٨ مجاميع ، ويحتفظ الأستاذ محمد رياض المالح واضع فهرس الظاهرية بنسخة مخطوطة منه (فهرس الظاهرية ١/ ٤٩٤ - ٤٩٦) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٠ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٤ - ٤٩٦)

*** الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق (تاريخ المنتفق):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ

مخطوط بالمجمع العلمى العراقى وجاء بيانه كما يلى :

المؤلف : وضعه بالتركية : سليمان فائق بك (ت : ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) نقله إلى اللغة العربية : محمد خلوصى الناصرى .

أوله : «الخبر الصحيح عن عشائر المنتفق :

مساكن المنتفق: أن رواد الأخبار ونقلة الآثار، قد اتفقوا على الأخبار الآتية عن أحوال عشائر المنتفق:

فمساكن هذه العشائر الجغرافية كائنة فى الجانب الغربى من مدينة البصرة ...».

آخره: «... تمت كتابة هذه الرسالة منقولة من نسخة معربة من الأصلية التركية، وكان تمامها يوم الثلاثاء من شهر رجب الفرد لاثنى عشر يوما خلت منه لسنة ستة وثلاثين وثلثمائة وألف».

يلى ذلك فهرس بالموضوعات.

نسخ مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب الدراسات العليا بكلية الآداب من جامعة بغداد.

بخط مشق معتاد

٦٣ ص، ١٩ س

(٢٥ / تاريخ)

أشرف على نشره السيد عبد الرزاق الحسنى، وصدره بمقدمة (ص ٣ ــ ٥) مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦١، ٩٠ صفحة.

توجد منه نسخة خطية فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد (برقم ١١٢٢)، وانظر بشأن نسخه الخطية مقدمة الناشر (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد ١٢، ٢٥٥).

*** خبر عروة وعفراء:**

من مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى

الرقم ٣٠١٩٧ / ٢

لم يعلم المؤلف.

الأول: (ذكروا والله أعلم وأحكم ... من أحاديث الأمم أنه كان فى قديم الزمان، وسالف الدهر، ... قبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو عروة . .) وهو فى أخبار عروة بن خزام وعفراء، تسبقه رسالة أخرى فى خبر هند وبشر بن سعد الأزدى، والأشعار المنسوبة لهما.

نسخة جيدة، كتبها عبد الرحيم بن إسماعيل المولوى سنة ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م فى بغداد فى آخرها قصيدة لحسن فهمى شيخ الإسلام.

٥٣ ص. ٢٢ × ١٥ سم. ١٩ س.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٦)

***الخبر عن البشر:**

الخبر عن البشر: للشيخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة وهو كبير فى أربع مجلدات ذكر فيه القبائل وأنساب النبى ﷺ وعمل له مقدمة فى مجلد.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٠)

*** الخبر فى عجائب البشر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق ((أو بمكتبة الأسد) الرقم ٥٩٧٥

لمحمد الثواتى (؟)

أوله: «الحمد الله الذى تنزه عن الجور وتكبر عن الظلم وعدل فى أحكامه وأحسن إلى عباده ... أما بعد فهذا كتاب فيه تسلية للنفس عندما يصيبها الملل فى بعض الأحوال وتنشيط واستراحة للقلب ليكون ذلك أعون لها على القراءة ...».

آخره «... ثم قالت لجواريها: اخرجنه عنى، فأخرج ومضى مسرعا إلى الوليد فقال له الوليد: ماذا كنت فيه يا أبا محمد؟ قال والله ما سكتت أم البنين حتى كان بطن الأرض أحب إلىّ من ظهرها فضحك ثم قال: إنها ابنة عبد العزيز.

وعجائب الدنيا والمخلوقات لا تحصى. وليكن هذا آخر ما قصدنا ونحن نستغفر الله تعالى من اشتغالنا بما لا يعنى والله المسئول أن يغفر لنا ...

وكان الفراغ منه ضحوة الأحد السابع والعشرين من شهر شوال عام الأربعة والعشرين بعد الألف على يد كاتبه ... محمد العربى بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن محمد ابن الحاج ...».

النسخة مفروطة خطها مغربى

١٣٤ ق ٣٤ س ٢١ × ٢٨ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٦، ١٩٧).

* **الخبر (فى علم الحديث):**

الخبر: ـــ ابن حجر: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث؛ فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع.

ـ «الحديث» ما جاء عن النبى (ﷺ) و «الخبر» ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدِّث، وبالتواريخ ونحوها (أخبارى).

ـ قيل بين «الحديث» و «الخبر» عموم وخصوص مطلق؛ فكل حديث خبر لا عكس. وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع إلا بشرط التقييد.

ـ الخبر فى اصطلاح فقهاء خراسان هو المرفوع (معجم مصطلحات توثيق الحديث / ٣٣).

وقد أورد العلامة ابن النفيس فى كتابه «المختصر» فصلا فى تعديد أقسام الخبر، . وفصلا فى الخبر المتواتر، وهذا الفصل الأخير لا يعد تكرارا لما سبق أن أوردناه فى مادة «التواتر» (انظرها فى م ١٠/ ٥٩٣، ٥٩٤) إذ أن ما جاء بها كان قاصرا على التواتر فى القراءات. قال ابن النفيس رحمه الله عن أقسام الخبر:

إن الخبر إذا اعتبر بذاته فقط، كان لا محالة محتملا للصدق والكذب. وأما إذا اعتبر مع أمر آخر ينضاف إليه، فقد يصير معلوم الصدق، وقد يصير معلوم الكذب، وقد يظن به الصدق، وقد يظن به الكذب.

أما الخبر المعلوم الصدق؛ فقد يكون كذلك، للعلم بصدق المخبر، وقد يكون لغير ذلك. والمخبر المعلوم الصدق هو الله تعالى ونبيه ﷺ، ومجموع المسلمين، والإمام المعصوم على قول من يقول به (هم الشيعة)؛ وكذلك من أخبر أحد هؤلاء بصدقه.

وكذلك إذا قال واحد من المسلمين بحضرة النبى ـ ﷺ ـ قولا دينيا يفند شرعا عاما، وكان وقت العمل به حاضرا، وسمعه النبى ـ ﷺ ـ ولم ينكر منه شيئًا، ولا ظهر منه ما يُشعر بالإنكار فإنَّا حينئذٍ نجزم بصدق ذلك القائل.

وكذلك الخبر الذى تحتف به قرائن كثيرة تدل على صدقه، كما إذا أخبر ولد المريض بموت والده، وهو مشقوق الجيب، مرسل الشعر، والعويل يسمع من داره، والنعش موضوع على بابها، فإنها حينئذ نجزم بصدق ذلك الخبر.

وكذلك الخبر المتواتر، ولذلك نجزم بوجود خراسان، وإن كنا لم نشاهدها، وذلك لأجل تواتر الخبر بوجودها.

وأما الخبر الذى يجزم بصدقه، لا لأجل الجزم بصدق المخبر؛ فقد يكون كذلك لموافقته الخبر المعلوم الصدق. كما لو أخبر واحد بما يوافق خبر الله، أو خبر رسوله، أو بما اتفق المسلمون عليه، وكذلك إذا أخبر بما يلزم ذلك، كما لو قال قائل: بعض الميتة حرام. فإن هذا لازم لقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣].

وقد يكون كذلك لأجل الجزم بمطابقة ما أخبر به للواقع، والعلم بذلك قد يكون بديهيا، كما لو قال قائل: الاثنان نصف الأربعة والكل أعظم من الجزء. وقد يكون غير بديهى، كما لو قال قائل: إن لنا صانعا، وإن العالم محدَث.

وأما الخبر المعلوم الكذب، فقد يكون كذلك لأجل العلم بصدق خبر آخر ينافيه، إما يضاده أو يناقضه، كما لو أخبر واحد بما ينافى قول الله، أو قول رسوله ﷺ أو قول مجموع المسلمين. وقد يكون كذلك، لأجل العلم بمخالفة ما أخبر به الواقع. والعلم بذلك قد يكون نظريا كالأخبار التى يوردها المبتدعون، نصا فى التشبيه؛ فإن هذه نجزم بأنها لم ترد كذلك، لجزمنا بأن التشبيه محال. وقد يكون بديهيا، كما لو قال أحد: إن البعض أعظم من الكل! وقد يكون الخبر معلوم الكذب لأجل احتفاف القرائن به ـ الدالة على كذبه ـ كما لو قال واحد إنه نبى، ولم يأت بمعجز، فإنا حينئذ نجزم بكذبه. . هذا قبل بعثة نبينا ـ ﷺ ـ وأما بعد ذلك، فإنا نكذبه ولو أتى بما يظن به أنه معجز، لعلمنا أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين.

وكذلك لو أخبر واحد بنزول مطر كثير فى بقعة، فوجدناها عقب ذلك جافة، فإنا حينئذ نجزم بكذبه. وكذلك لو أخبرنا بمهم، نعلم أنه لو كان صادقا لاشتهر الإخبار به، فلما يخبر

به سوى واحد، فإنا حينئذ نجزم بكذبه . . كما لو قال قائل: إن النبى ﷺ نسخ صلاة الجمعة! فإن هذا نجزم بكذبه، لأن هذ النسخ مهم عظيم فى الدين، فمحال أن يتفرد بنقله واحد، وكذلك لو قال قائل: إن الملك أمر الجند بهدم السور مثلا، وبعد مدة لم ينقل ذلك غيره، ولم يظهر له أثر، فإنا حينئذ نجزم بكذبه.

وقد يكون الخبر مقطوعا بكذبه لغير ذلك، كما لو قال قائل: إن جميع كلامى كذب! فإنا حينئذ نجزم بكذبه، لأن هذا لو كان صادقا، لزم أن يكون كاذبا لأنه من جملة كلامه.

وأما المظنون الصدق، فكما إذا أخبر العدل الثقة، عن وجود شيء وجوده أكثرى وأما الخبر المظنون الكذب، فكما إذا قال واحد: إن كذا كان كذا بحضور هؤلاء الجماعة فكذبوه فى الحال. وكذلك إذا أخبر المعتاد الكذب عن وجود شيء نادر الوجود جدا، أو تفرد بخبر تتوفر الدواعى على نقله.

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الكلام على الخبر المقطوع بصدقه فيتناوله فى فصلين: الأول منهما فى تحقيق الكلام فى الخبر المتواتر يقول فيه:

التواتر فى اللغة هو التتابع، وهو ورود شيء بعد آخر ... وأما فى الاصطلاح الواقع بين العلماء، فإن الخبر المتواتر هو: خبر أقوام بلغوا فى الكثرة إلى حد يمنع العقل من توافقهم فى ذلك على الكذب، فلذلك هو يفيد القطع. وقالت السمنية والبراهمة: إنه يفيد الظن الغالب دون العلم. وقيل: إنه يفيد العلم فى الموجودات ـ كوجود خراسان ـ وأما الأمور الماضية كوجود الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فى زمانه، فإنما يفيد الظن. وقال الكعبى وأبو الحسن البصرى: إنه يفيد العلم، ولكن ذلك العلم ثابت بالنظر.

والحق، وهو رأى الجمهور، أنه يفيد العلم مطلقا. وأن ذلك العلم ضرورى، ولذلك فإنا لسنا نشك ولا نرتاب بوجود أصبهان وامرؤ القيس الشاعر، وإن كنا لم نشاهد ذلك، بل إنما استفدنا العلم به من كثرة المخبرين عنه، حتى علمنا أن مثل هؤلاء لا يمكن توافقهم على الكذب، ولولا أن هذا العلم ضرورى، لتوقف حصوله على النظر، فكان إنما يحصل لأهل النظر والاستدلال، وليس كذلك.

وإنما يكون الخبر متواترا، حتى يفيد العلم بشروط:

أحدها: أن يكون السامع له من أهل العلم؛ إذ يستحيل حصول العلم فى غير متأهل له، فلذلك لا يكون مجنونا ولا غافلا، ولا مفرط السكر، ولا طفلا غير مميز.

وثانيا: أن يكون السامع ليس عنده علم ضروري بثبوت المخبر عنه، وإلا لم يكن مستفيدا للعلم بذلك من الخبر، وقال الشريف المرتضى:

«يشترط أن لا يكون عند السامع شبهة، تشككه فى صدق الخبر». فلذلك عند الشيعة: إنما لم نجزم نحن (يقصد أهل السنة) بصحة النص الوارد فى إمامة على رضى الله عنه لأجل ما عندنا من الشُّبه المانعة لنا عن ذلك . . وهذا فاسد، فإن الشُّبه لا تقوى على دفع العلوم الضرورية.

وثالثها: أن يكون المخبر عنه ممكنا؛ فلو أخبر أهل العالم أن الاثنين فرد، لم يلتفت إلى ذلك.

ورابعها: أن يكون المخبرون جازمين بما أخبروا به، فلو كانوا ظانين ذلك؛ لم يكن ذلك مفيدا لقطع السامع.

وخامسها: أن يكون إخبارهم عن مشاهدة، أو عن مشاهدين؛ فلو أخبر أهل العالم بأن العالم محدث لم يكن لإخبارهم أثر فى إفادة علم أو ظن بذلك.

وسادسها: أن تكون مشاهدة المشاهدين للمخبر عنه، حقيقة وصحيحة، فلا تكون على سبيل غلط الحس؛ فلذلك لا نلتفت إلى إخبار النصارى بصلب المسيح ـ عليه السلام ـ فإن ذلك شُبه لهم.

وسابعها: أن يكونوا بصفة يوثق معها بقولهم، فلو أخبروا متلاعنين أو مكرهين على ذلك الخبر، لم تلتفت إلى ذلك.

وثامنها: أن يبلغ المخبرون فى الكثرة إلى حد يمنع العقل توافقهم على الكذب. واختلف الناس فى هذه الكثرة، فقيل: أقلها خمسة، إذ مادون ذلك ببينة شرعية، إنما تفيد الظن، وتُعل تزكية الشهود. وقال القاضى أبو بكر: إنى أقطع أن الأربعة لا تكفى، وأتردد فى الخمسة، وقيل: بل أقل ذلك عشرة بعدد النقباء، إذا الغرض منهم حصول العلم بقولهم. وقيل: أقل ذلك عشرون، لقوله تعالى: ﴿إن يكن منكم

عشرون ﴾ [الأنفال: ٦٥] وقيل أربعون؛ لأن ذلك أقل عدد ينعقد به للجمعة. وقيل: سبعون، لأن موسى عليه السلام اختار هذا العدد من قومه. وقيل: لا بد من كثرة لا يحصرها عدد، ولا يحوى المخبرين بلد.

(جاء فى هامش المحقق التعليق التالى على ما ذكره ابن النفيس عن عدد النقباء:

النقباء: كلمة قرآنية؛ والمفروض أن عددهم اثنا عشر نقيبا وليس كما يرد هنا.. انظر قوله تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا﴾ فالنقيب هنا: الأمين والكفيل. وكان النبى - ﷺ - قد جعل ليلة العقبة اثنى عشر نقيبا كلهم من الأنصار يعلمون قومهم الإسلام (لسان العرب ٣/ ٦٩٩).

والنقباء: لفظة صوفية تشير إلى جماعة معينة من الأولياء (راجع المعنى الصوفى لهذا اللفظ فى: تعريفات الجرجانى ص ٢٦٦، اصطلاحات القاشانى ص ٩٦) ولهم أيضا فى التصوف، العدد ١٢، وهو عدد النقباء فى القرآن الكريم)

وأما الحق، فهو أن هذه الكثرة لا تنضبط بعدد مخصوص، إذ تختلف الحال فى ذلك باختلاف الوقائع وأحوال المخبرين والسامعين؛ فإخبار القضاة والأمراء عن ركوب السلطان، ليس كإخبار الرعاع بمروق بلدة فى صحراء خراسان؛ فلذلك: حصول القطع بصدق الخبر دليل على تحقق الكثرة المشروطة، لا عكس ذلك.

وتاسعها: أن تستوى الأطراف والوسائط جميعها فى أن كل واحد منها يفيد القطع بكثرة المخبرين. والعلم بذلك عسير؛ فلذلك يعتمد على حصول المشروط، وهو العلم اليقين فمهما تحقق ذلك جزم بأن شروط هذا الخبر تحققت؛ وإن لم نكن عالمين بحال واسطة من طبقات الرواة ونحو ذلك.

ولو تحققت الأشياء التى نعتقد أنها هى الشروط، ولم يحصل لنا العلم بصدق الخبر، نعلم قطعا أنه قد فات بعض الشروط المعسرة فى نفس الأمر، فإن هذه الشروط مهما تكاملت لزمها بالضرورة حصول العلم بصدق الخبر.

وقال القاضى: إنه مهما حصل هذا العلم لشخص فلا بد من حصوله لجميع الأشخاص؛ لتحقق الموجب للعلم عند كل واحد منهم.. وهذا لا يصح! إذ لا بد مع المخبرين من قرائن تدل على صدقهم واستحالة اتفاقهم على الكذب. وهذه القرائن يختلف ظهورها للأشخاص، وقد يتحقق التواتر عن شىء لم يصرح بالخبر عنه، وإنما لزم لعدة إخبارات، لو كانت عن شىء واحد، لصح فيه التواتر. وهذا كالأخبار الدالة على شجاعة على رضى الله عنه وكالدالة على سخاوة حاتم؛ وذلك بأن يروى واحد أن حاتما وهب مائة من الإبل، ويروى آخر أنه أعتق جماعة من العبيد، ويروى آخر أنه تصدق بمال جزيل ونحو ذلك. فتدل هذه الأخبار جميعها بالالتزام على سخاوته.. ويسمى هذا التواتر، تواترا بالمعنى.

وعاشرها: قد شرط بعضهم فى خبر التواتر، اختلاف أنساب المخبرين وأديانهم ومساكنهم وشرط بعضهم عدالة المخبرين، وشرط الروافض أن يكون منهم الإمام المعصوم.. والكال باطل! فإنا نجزم بوجود بغداد، وإن كنا لم نعتبر فى المخبرين بها شيئا من ذلك.

ثم ينتقل ابن النفيس إلى الفصل الثانى وهو فى تحقيق الكلام فى بقية الأخبار المفيدة للعلم، وقد جاء فيه ما يلى:

أما خبر الله - عز وجل فجميع من تعرّف بالصانع وبكلامه لا يشك فى استحالة الكذب عليه، والعلم بذلك قريب من أن يكون أوليا.

وأما خبر رسول الله - ﷺ - فلو لم يكن الكذب عليه محالا، لم يكن لبعثته فائدة؛ وذلك لأن فائدة الرسول - عليه السلام - تعريفنا بالله تعالى، وبالمعاد إليه، وبنعيم الآخرة وعذاب جهنم، ونحو ذلك. وإنما يتم ذلك بأن يكون كلامه صادقا، فلو جاز أن يكذب، لجاز أن يكون ما يخبر به من ذلك كله كاذبا، وذلك ينافى الرسالة.

وأما خبر مجموع المسلمين، فقد علمنا وجوب صدقه من قول الله تعالى، وقول رسوله على ما بيناه فى كتبنا الأصولية.

وأما الخبر الذى يسمعه النبى - ﷺ - فلا ينكره، فقد قال بعضهم: إن ذلك الخبر يجزم بصدقه مطلقا.. والحق؛ أن هذا الخبر قد يكون عن أمر دينى، وقد يكون عن أمر دنيوى. فإذا كان عن أمر دينى، فإنما نجزم بصدقه بشروط:

أحدها: أن يكون وقت العمل بذلك الأمر قد حضر، فإنه لو لم يكن كذلك، لجاز أن يكون ترك النبى ـ ﷺ ـ الإنكار؛ لأنه يجوز له تأخير البيان إلى وقت الحاجة.

وثانيها: أن لا يكون النبى ـ ﷺ ـ قد تقدم فبين حكم تلك الواقعة، فإنه لا يجب عليه تكرير بيان كل وقت، فلعله حينئذ إنما ترك الإنكار لاعتماده على ما قدمه من البيان.

وثالثها: أن يكون ما أخبر به مما لا يمكن أن يشرع، فلو قال قائل: إن الله تعالى قد أوجب على الناس الطيران أو ترك التنفس، لجاز أن يكون سكوت النبى ـ ﷺ ـ عن الإنكار لعلمه أن مثل هذا القول مما لا يصغَى إليه.

وإذا كان هذا الخبر عن أمر دنيوى، فقد قيل: إنه يجزم بصدقه إذا علم أن النبى ﷺ عالم بالواقعة؛ وكذلك إذا قال المخبر: « وهذا النبى ﷺ يعلم صحة ما أقوله. . » وهذا ضعيف، فإن النبى ﷺ ليس يلزمه تبيين الأمور الدنيوية ولا يلزمه الإنكار على الكاذب إذا لم يحلف.

وأما الخبر الذى تحتف به القرائن، فقد منع جماعة من الأولين إفادته للعلم؛ لأجل تغليط بعض القرائن. . وهذا لا يصح، فإن من قطعت يده بسكين حاد، وهو يستغيث ويتغير لونه، فأخبر أحد بأنه متألم؛ لا يشك أحد فى صدق ذلك الخبر. لكن هذه القرائن مما لا ينضبط.

وإذ أخبار رسول الله ﷺ جميعها صادقة، فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فمن شافهه رسول الله ﷺ بأمر، كان ذلك الأمر معلوم الصدق قطعا، وكذلك من نقل إليه كلامه على وجه يفيد القطع، كالخبر المتواتر؛ ونحوه.

وأما الأخبار التى بأيدينا الآن، فإنما نتبع فيها غالب الظن، لا العلم المحقق، خلافا لقوم وقال قوم: إن جميع ما اتفق عليه مسلم والبخارى، فهو مقطوع به، لأن العلماء اتفقوا على صحة هذين الكتابين. . والحق أنه ليس كذلك! إذ الاتفاق إنما وقع على جواز العمل بما فيهما، وذلك لا ينافى أن يكون ما فيهما مظنونا بصحته، فإن الله تعالى لم يكلفنا الوقوف عند العلم، ولذلك يجب الحكم بموجب البينة؛ وإن كانت إنما أفادت الظن، فتصح الصلاة فى الثوب الذى لم يغسل فى الحال، مع جواز تنجسه، وما ذاك إلا لأنا نظن طهارته، وأمثال ذلك فى الشرعيات كثير. (المختصر فى علم أصول الحديث ٩٩/ ١١٥).

ومن المفيد أن ننقل هنا ما أورده الجرجانى عن الخبر فى تعريفاته، قال رحمه الله:

الخبر على ثلاثة أقسام: خبر متواتر، وخبر مشهور، وخبر واحد.

أما الخبر المتواتر فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ جماعة، ومنها جماعة أخرى إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

وأما الخبر المشهور، فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من الواحد جماعة، ومن تلك الجماعة أيضا جماعة إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

وأما خبر الواحد (انظر مادة «الآحاد» فى م ١/ ١٧٣ ـ ١٨١) فهو كلام يسمعه من رسول الله ﷺ واحد، ويسمعه من ذلك الواحد واحد آخر، ومن الواحد الآخر آخر إلى أن ينتهى إلى المتمسك.

والفرق هو أن جاحد الخبر المتواتر يكون كافرا بالاتفاق، وجاحد الخبر المشهور مختلف فيه والأصح أنه يكفَّر، وجاحد خبر الواحد لا يكون كافرا بالاتفاق.

والخبر نوعان. . مرسل ومسند، فالمرسل منه ما أرسله الراوى إرسالا من غير إسناد إلى راو آخر، وهو حجة عندنا (أى فى المذهب الحنفى) كالمسند، خلافا للشافعى فى إرسال الصحابى وسعيد بن المسيب (أحد فقهاء المدينة السبعة ونورده فى موضعه إن شاء الله تعالى)، والمسند ماأسنده الراوى إلى راو آخر إلى أن يصل إلى النبى ﷺ.

ثم السند أنواع: متواتر، ومشهور، وآحاد. فالمتواتر منه ما نقله قوم عن قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيه، وهو الخبر المتصل إلى رسول الله ﷺ، وحكمه يوجب العلم والعمل قطعا حتى يكفر جاحده، فالمشهور منه هو ما كان من الآحاد فى العصر الأول، ثم اشتهر فى العصر الثانى حتى رواه جماعة لا يتصور تواطؤهم على الكذب، وتلقته العلماء بالقبول، وهو أحد قسمى التواتر، وحكمه يوجب طمأنينة

القلب لا علم يقين حتى يضل جاحده ولا يكفر وهو الصحيح، وخبر الآحاد: هو ما نقله واحد عن واحد، وهو الذى لم يدخل فى حد الاشتهار، وحكمه يوجب العمل دون العلم، ولهذا لا يكون حجة فى المسائل الاعتقادية.

وخبر الكاذب: هو ما تقاصر عن التواتر (التعريفات / ١٣٠، ١٣١)

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ــ د. على زوين / ٣٣، والمختصر فى علم أصول الحديث لابن النفيس ــ دارسة وتحقيق د. يوسف زيدان / ٩٩ ـ ١٥٥، والتعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٠، ١٣١)

انظر مادة «الآحاد» فى م ١/ ١٧٣ ـ ١٨١، ومادة «التواتر» فى م ١٠/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤، ومادة «الحديث (علم ـ) فى م ١٣/ ٢٤٦ ـ ٢٦٠.

***خبر قس بن ساعدة الإيادى:**

خبر قس بن ساعدة الإيادى: لأبى محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوى المتوفى سنة ٣٤٧ سبع وأربعين وثلثمائة (كشف الظنون ١/ ٧٠٠)

*** خبر قس بن ساعدة وغير ذلك:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الأدب

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٣٧٥٤ مجاميع ١٧.

رواية أبى محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال الحافظ عن شيوخه المتوفى سنة ٤٣٩ هـ/ ١٠٤٧ م (ترجمته فى الأعلام ٢/ ٢١٣ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٨٠).

أوله: «أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال قراءة عليه فى رجب سنة [.] وثلاثين وأربع مائة قال: حدثنا عمر بن أحمد بن [ ] إملاء، ثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندى، نا عثمان بن أبى شيبة، نا جرير عن الأعمش عن ...».

آخره ناقص ينتهى بقوله «... أما بعد فقد بلغنى كتابك يذكر أن الناس سألوا أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم فإذا جاءك كتابى هذا فانظر ما أجلب الناس عليك إلى العسكر من كراع أو مال».

نسخة قديمة عليها سماعات

(٣٢ـ٣٦) ٥ ق		١٧س		١٣ × ١٨,٥ سم

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٩٧، /١٩٨)

*** خبر كان وأخواتها:**

قال ابن الحاجب:

هو المسند بعد دخولها، مثل: كان زيد قائما، وأمره كأمر خبر المبتدإ، ويتقدم على اسمها معرفة، وقد يحذف عامله فى مثل: «الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر»، ويجوز فى مثلها أربعة أوجه، ويجب الحذف فى مثل: أما أنت منطلقا انطلقت: أى لأن كنت (الكافية/ ٣٩٦)

وجاء فى منظومة الدرة اليتيمة للشيخ ابن نبهان:

*** *وما أتى لنحو كان من خبر* ***

أى لكان ونحوها من خبر. ويشرح هذا الشطر الأول من البيت الشيخ محمد على بن حسين المالكى فيقول:

أما خبر كان وأخواتها فأنواعه ثلاثة. أحدها مفرد وهو ما ليس جملة ولا شبيها بها وهو قسمان: جامد ومشتق.

وثانيها جملة وهى نوعان فعلية واسمية. ويشترط فى الجملة الواقعة هنا خبرا ما اشترط فيها إذا وقعت خبر المبتدأ بلا فرق.

وثالثها شبه الجملة وهو نوعان أيضا ظرف وجار ومجرور والظرف زمانى ومكانى وشرطه كشرطه المتقدم إذا وقع خبرا للمبتدأ.

وحكم خبر كان وأخواتها وجوب نصبه وعدم جواز حذفه وإن له بملاحظته مع الاسم والفعل الناقص ستة أحوال: أحدها وجوب التأخر عن الاسم وذلك فى محلين: الأول إذا التبس مع الاسم نحو كان صاحبى عدوى فلا يجوز تقديم عدوى على أنه خبر لأن لا يعلم ذلك لعدم ظهور الإعراب، والثانى إذا كان الخبر محصورا فيه نحو **﴿وما كان صلاتهم**

عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ [الأنفال: ٣٥] أى تصفيرا بالفاء وتصفيقا.

وثانيها وجوب توسطه بين الفعل والاسم وذلك إذا دخلت أن المصدرية على الفعل واتصل الاسم بضمير عائد لبعض الخبر نحو يعجبنى أن يكون فى الدار صاحبها فيمتنع تأخير فى الدار لمكان الضمير ويمتنع تقديمه على الفعل لئلا يفصل بين أن وصلتها وعلى أن لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول.

وثالثها وجوب تقديمه على الفعل وذلك إذا كان اسم استفهام نحو أين كان زيد أو اسم شرط نحو أينما كان زيد أجلس.

ورابعها وجوب تأخيره أو توسطه وذلك إذا ولى الفعل حرف استفهام كهل كان زيد قائما فيمتنع تقديمه على هل لأن لها الصدر وعلى كان لئلا يفصل بينهما.

وخامسها وجوب توسطه أو تقدمه وذلك فى محلين: الأول أن يتصل الاسم بضمير يعود لبعض الخبر نحو كان فى الدار صاحبها وكان غلام هند بعلها بنصب غلام، والثانى أن يكون الاسم محصورا فيه نحو ما كان قائما إلا زيد لجواز تقديم الخبر على كان لا على ما لأن لها الصدر.

وسادسها جواز الثلاثة التقدم والتأخر والتوسط وذلك إذا فقد ما يقتضى وجوب أى واحد منها نحو كان زيد قائما وكان غلام هند مبغضها بنصب مبغض فيجوز تقديمه لتقدم مرجع الضمير رتبة وإن تأخر لفظا وأنه يمتنع تقديمه حيث كان خبر الغلام على ما المصدرية المتصلة بها اتفاق لامتناع تقديم معمول الصلة على الموصول وأنه يمتنع عند غير الكوفيين تقديمه على ما النافية حيث كان فعله الناقص منفيا بها ولو كان النفى شرطا فى عمله خلافا لابن كيسان والنحاس فى إجازتهما نحو قائما مازال زيد نظرا لكون نفى زال وأخواتها إيجابا فكأنه لم يكن نفى وأنه يمتنع أن يلى معموله عامله حيث كان معموله غير ظرف ولا جار ومجرور كما فى نحو كان زيد آكلا طعامك ولهذا المثال أربعة ألفاظ ولكل لفظ منها ست صور فجملة صوره أربع وعشرون الممتنع منها ثلاث لما فيها من الفصل بين العامل والمعمول بمعمول غيره وهو ممتنع وإن كان ذلك الغير معمولا لذلك العامل والجائز ما بقى (فرائد النحو الوسيمة/ ٨٣، ٨٤)

(الكافية لابن الحاجب المطبوع فى كتاب مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٩٦، وفرائد النحو الوسيمة شرح الدرة اليتيمة» للشيخ محمد على بن حسين المالكى، وبهامشه «الدرة اليتيمة» لناظم عقدها الشيخ سعيد بن سعد بن نبهان الحضرمى. ط مصطفى البابى الحلبى. ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ هـ/ ٨٣، ٨٤).

انظر: الخبر (فى علم الحديث).

*** خبر ما ولا المشبهتين بليس:**

هو المسند بعد دخولهما، وهى لغة أهل الحجاز، وإذا زيدت إن مع ما أو انتقض النفى بإلا، أو تقدم الخبر بطل العمل، وإذا عطف عليه بموجب فالرفع.

(الكافية لابن الحاجب المطبوع فى «مجموع مهمات المتون» / ٣٩٧ـ٣٩٨).

*** الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وثغر المغرب:**

سماه بروكلمان (١/ ٥٠٩) «القصص المغرب عن الخبر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب» من مصنفات التراث الإسلامى فى التاريخ مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، وجاء بيانه كما يلى:

لمحمد أبى راس بن أحمد بن عبد القادر الناصرى، المتوفى ١٢٣٨ هـ.

وهو كتاب فى ذكر ما جرى للمسلمين مع الكفار فى العدوة والأندلس أوله: «حمدا للفاعل فى خلقه ما يريد، وبالنصر والخذلان فريد».

وآخره: «ومعنى لبى: أجاب. ومعنى: «لم يَتَّس»: لم يقتد بمن قبله». نسخة كتبت بخط حديث ١٣٠٠ هـ. وهى فى ١٤٢ ورقة، ومسطرتها ٢٤ سطرا [نسخة فى حيازة السيد حسن القادرى] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ٢ ق ٤. القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٨).

انظر: الخبر (فى علم الحديث)

*** الخبر والإنشاء:**

كل كلام فهو إما خبر أو إنشاء والخبر ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب كسافر محمد، وعلى مقيم. والإنشاء ما لا يصح أن يقال لقائله ذلك كسافرْ يامحمد، وأقم ياعلى والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع وبكذبه عدم مطابقته له فجملة على مقيم إن كانت النسبة المفهومة منها مطابقة لما فى الخارج فصدق وإلا فكذب. ولكل جملة ركنان محكوم عليه ومحكوم به ويسمى الأول مسندا إليه كالفاعل ونائبه والمبتدإ الذى له خبر، ويسمى الثانى مسندا كالفعل والمبتدإ المكتفى بمرفوعه، وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد.

(قواعد اللغة العربية - حفنى بك ناصف وزملائه / ١٠٧).

*** الخبر والإنشاء (علم):**

أدرجه الحافظ السيوطى تحت النوع السابع والخمسين من أنواع علوم القرآن الكريم وقال عنه :

اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث. وادعى قوم أن أقسام الكلام عشرة : نداء، مسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع ، وشك، واستفهام . وقيل تسعة بإسقاط الاستفهام لدخوله فى المسألة. وقيل سبعة بإسقاط الشك لأنه من قسم الخبر. وقال الأخفش : هى ستة : خبر، واستخبار، وأمر، ونهى، ونداء، وتمن. وقال بعضهم خمسة : خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء. وقال قوم : أربعة : خبر، واستخبار، وطلب، ونداء. وقال كثيرون : ثلاثة : خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا.

الأول الخبر.

والثانى إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب فى الإنشاء وأن معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه، وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه . وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل : لا يحد لعسره، وقيل لأنه ضرورى لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة، ورجحه الإمام فى المحصول والأكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة : الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب، فأورد عليه خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صدقا. فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة. وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الإيراد المذكور. وقال أبو الحسن البصرى : كلام يفيد بنفسه نسبة فأورد عليه «قم» فإنه يدخل فى الحد لأن القيام منسوب والطلب منسوب. وقيل الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفيا أو إثباتا. وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفى أو الإثبات. وقال بعض المتأخرين . الإنشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه. وقال بعض من جعل الأقسام ثلاثة : الكلام إن أفاد بالوضع طلبا فلا يخلو إما أن يكون بطلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها، والأول الاستفهام ، والثانى الأمر، والثالث النهى وإن لم يفد طلبا بالوضع، فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وإنشاء لأنك نبهت به عن مقصودك وأنشأته : أى ابتكرته من غير أن يكون موجودا فى الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كأنت طالق وإن احتملهما من حيث هو فهو خبر.

فصل : القصد بالخبر إفادة المخاطب، وقد يرد بمعنى الأمر نحو ﴿ **والوالدات يرضعن** ﴾ ﴿ **والمطلقات يتربصن** ﴾ وبمعنى النهى نحو ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون**﴾ وبمعنى الدعاء نحو ﴿ **وإياك نستعين**﴾ أى أعنا ، ومنه ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب**﴾ فإنه دعاء عليه، وكذا ﴿ **قاتلهم الله** ﴾ ﴿ **غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ وجعل منه قوم ﴿ **حصرت صدورهم** ﴾ قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد. ونازع ابن العربى فى قولهم إن الخبر يرد بمعنى الأمر أو النهى. قال فى قوله تعالى ﴿ **فلا رفث**﴾ وليس نفيا بوجود الرفث بل نفى لمشروعيته ، فإن الرفث يوجد من بعض الناس، وأخبار الله تعالى لا يجوز أن تقع بخلاف مخبره وإنما يرجع النفى إلى

وجوده مشروعا إلى وجوده محسوسا كقوله ﴿ والمطلقات يتربصن ﴾ ومعناه مشروعا لا محسوسا فإنا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفي إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي، وكذا ﴿ لا يمسه إلا المطهرون﴾ أي لا يمسه أحد منهم شرعا، فإن وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع. وقال: وهذه الدفينة التي فاتت العلماء فقالوا : إن الخبر يكون بمعنى النهي، وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فإنهما مختلفان حقيقة ويتباينان وضعا انتهى.

فرع : من أقسامه على الأصح التعجب. قال ابن فارس: وهو تفضيل شيء على أضراب. وقال ابن الصائغ: استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره. وقال الزمخشري : معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. وقال الرماني: المطلوب في التعجب الإبهام ، لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن. قال: وأصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه، والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا. قال : ومن أجل الإبهام لم تعمل نعم إلا في الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر، ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهي ما أفعل وأفعل به، وصيغا من غير لفظه نحو « كَبُر» كقوله ﴿ كبرتْ كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ﴿ كبر مقتا عند الله ﴾ .

قاعدة : قال المحققون : إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله تعالى ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ أي هؤلاء يجب أن يتعجب منهم ، وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجيب بدله : أي أنه تعجيب من الله للمخاطبين، ونظير هذا مجيء الدعاء والترجي منه تعالى إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب: أي هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا ، ولذلك قال سيبويه في قوله تعالى ﴿لعله يتذكر أو يخشى ﴾ المعنى : اذهبا على رجائكما وطمعكما، وفي قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين ﴾ ﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾ لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح، ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون ، فكأنه قيل لهم ﴿ ويل للمطففين ﴾ أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة، فقيل هؤلاء ممن دخل في الهلكة .

فرع : من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ ﴿وسيعلم الذين ظلموا ﴾ وفي كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه إنشاء.

فرع : من أقسام الخبر النفي، بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه وبين الجحد أن النافي إن كان صادقا سمي كلامه نفيا ولا يسمى جحدا، وإن كان كاذبا سمي جحدا ونفيا أيضا، فكل جحد نفي وليس كل نفي جحدا وذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجري وغيرهما . مثال النفي ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ ومثال الجحد نفي فرعون وقومه آيات موسى، قال تعالى ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ﴾ [النمل : ١٣ ، ١٤] وأدوات النفي « لا ولات وليس وما وإن ولم ولما » ونورد هنا فائدة قال الحوبي : أصل أدوات النفي «لا وما » لأن النفي إما في الماضي وإما في المستقبل، والاستقبال أكثر من الماضي أبدا «ولا » أخف من «ما» فوضعوا الأخف للأكثر، ثم إن النفي في الماضي إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة، وكذلك النفي في المستقبل، فصار النفي على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات « ما ولم ولن ولا » وأما «إن ولما » فليسا بأصلين، فما ولا في الماضي والمستقبل متقابلان، ولم كأنه مأخوذ من ولا وما ، لأن لم نفي للاستقبال لفظا والمضي معنى، فأخذ اللام من لا التي هي نفي المستقبل والميم من ما التي هي لنفي الماضي: وجمع بينهما إشارة إلى أن في «لم » إشارة إلى المستقبل والماضي، وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن «لا» هي أصل النفي، ولهذا ينفى بها في أثناء الكلام فيقال: لم يفعل زيد ولا عمرو. وأما «لما» فتركيب بعد تركيب كأنه قال : لم وما لتوكيد معنى النفي في الماضي وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد «لما » الاستمرار.

تنبيهات : الأول : زعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن

الشيء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشيء وهو مردود بقوله تعالى ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون﴾ ، ﴿ وما كان ربك نسيا﴾ ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ ونظائره، والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه .

الثانى : نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات ، وقد يكون نفيا للذات أيضا . من الأول ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ أى بل هم جسد يأكلونه . ومن الثانى ﴿لا يسئلون الناس إلحافا﴾ أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم إلحاف، ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ أى لا شفيع لهم أصلا ﴿فما تنفعهم شفاعةُ الشافعين﴾ أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل ﴿ فما لنا من شافعين﴾ ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشيء بإيجابه . وعبارة ابن رشيق فى تفسيره : أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن . وعبارة غيره : أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيدا له، ومنه ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به﴾ فإن إله مع الله لا يكون إلا عن غير برهان ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾ فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ﴿رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ فإنها لا عمد لهن أصلا .

الثالث : قد يرد به نفى الشيء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله تعالى فى صفة أهل النار ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ، ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة . ولا نافعة ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ فإن المعتزلة احتجوا بها على نفى الرؤية ، فإن النظر فى قوله تعالى ﴿إلى ربها ناظرة﴾ لا يستلزم الإبصار. ورد بأن المعنى أنها تنظر إليها بإقبالها عليه وليست تبصر شيئا ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانو يعلمون﴾[البقرة: ١٠٢] فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه آخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم، قاله السكاكى .

الرابع : قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة ، وأشكل على ذلك ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فإن المنفى فيه الحقيقة . وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفى هنا مجاز لا حقيقة ، والتقدير: وما رميت خلقا إذ رميت كسبا ، أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء .

الخامس : نفى الاستطاعة قد يراد به نفى القدرة والإمكان، وقد يراد نفى الامتناع ، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الأول ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ ، ﴿فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ ومن الثانى ﴿هل يستطيع ربك﴾ على القراءتين : أى هل يفعل، أو هل تجيبنا إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال . ومن الثالث ﴿إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ .

قاعدة : نفى العام يدل على نفى الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ونفيه لا يدل على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به ، فلذلك كان نفى العام أحسن من نفى الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام ، فالأول كقوله تعالى : ﴿فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ لم يقل بضوئهم بعد قوله أضاءت ، لأن النور أعم من الضوء ، إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ ففى الضوء دلالة على النور فهو أخص منه ، فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس، والقصد إزالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه ﴿وتركهم فى ظلمات﴾ ومنه ﴿ليس بى ضلالة﴾ ولم يقل ضلال ، كما قالوا ﴿إنا لنراك فى ضلال﴾ لأنها أعم منه فكان أبلغ فى نفى الضلال ، وعبر عن هذا بأن نفى الواحد يلزم منه نفى الجنس ألبتة ، وبأن نفى الأدنى يلزم منه نفى الأعلى . والثانى كقوله تعالى ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ ولم يقل طولهن لأن العرض أخص ، إذ كل ما له عرض فله طول ولا ينعكس ، ونظير هذه القاعدة أن نفى المبالغة فى الفعل لا يستلزم نفى أصل الفعل ، وقد أشكل على هذا آيتان : قوله

تعالى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ وقوله ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وأجيب عن الآية الأولى بأجوبة. أحدها: إن ظلاما وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة، ويرشحه أنه تعالى قال ﴿علام الغيوب﴾ فقابل صيغة فعال الجمع، وقال في آية أخرى ﴿عالم الغيب﴾ فقال: بل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد.

الثاني: أنه نفى الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى.

الثالث: أنه على النسبة: أي بذي ظلم، حكاه ابن مالك عن المحققين.

الرابع: أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه.

الخامس: أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال: زلة العالم كبيرة.

السادس: أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم، تأكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلاَّم.

السابع: أنه ورد جوابا لمن قال ظلام، والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

الثامن: أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات، فجرى النفي على ذلك.

التاسع: أنه قصد التعريض بأن ثَمَّ ظلاما للعبيد من ولاة الجور. ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة وبعاشر وهو مناسبة رؤوس الآي.

فائدة: قال صاحب الياقوتة: قال ثعلب والمبرد: العرب إذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارا نحو ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ والمعنى: إنما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام. وإذا كان الجحد في أول الكلام كان جحدا حقيقيا نحو: ما زيد بخارج. وإذا كان في أول الكلام جحدان كان أحدهما زائدا، وعليه ﴿فيما إن مكناكم فيه﴾ في أحد الأقوال.

فصل: من أقسام الإنشاء الاستفهام: وهو طلب الفهم، وهو بمعنى الاستخبار. وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما، حكاه ابن فارس في فقه اللغة وأدواته «الهمزة وهل وما ومن وأي وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان» قال ابن مالك في المصباح: وما عدا الهمزة نائب عنها، ولكونه طلب ارتسام صورة ما في الخارج في الذهن لزم أن لا يكون حقيقة إلا إذا صدر من شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام. قال بعض الأئمة: وما جاء في القرآن على لفظ الاستفهام فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي حصل. وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غيره مجازا، وألف في ذلك العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابا سماه روض الأفهام في أقسام الاستفهام قال فيه: قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني، ولا يختص التجوز في ذلك بالهمزة خلافا للصفار. الأول: الإنكار، والمعنى فيه على النفي، وما بعده منفي ولذلك تصحبه إلا كقوله ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ ﴿وهل يجازى إلا الكفور﴾ وعطف عليه المنفي في قوله ﴿فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين﴾ أي لايهدي. ومنه، ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ أي لا نؤمن ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾، ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ أي لا يكون هذا ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي ما شهدوا ذلك، وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو في الماضي بمعنى لم يكن، وفي المستقبل بمعنى لا يكون نحو ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾ ــ الآية: أي لم يفعل ذلك ﴿أنلزمكموها وأنتم لها كارهون﴾ أي لا يكون هذا الإلزام.

الثاني: التوبيخ، وجعله بعضهم من قبيل الإنكار، إلا أن الأول إنكار إبطال وهذا إنكار توبيخ، والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بأن ينفى، فالنفي هنا غير قصدي والإثبات قصدي عكس ماتقدم، ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا نحو ﴿أفعصيت أمري﴾، ﴿أتعبدون ماتنحتون﴾، ﴿أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين﴾ وأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت

ووبخ على فعله كما ذكر، ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع كقوله تعالى ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾، ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾.

الثالث: التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده. قال ابن جنى: ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام. وقال الكندى: ذهب كثير من العلماء فى قوله ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣] إلى أن هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير أو التوبيخ إلا أنى رأيت أبا على أبىٰ ذلك، وهو معذور فإن ذلك من قبيل الإنكار. ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل، إنما يستعمل فيه الهمزة. ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتى تقريرا كما فى قوله تعالى ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ والكلام من التقرير موجب، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب. فالأول كقوله تعالى ﴿ ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك ﴾ ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ﴾ ﴿ ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل﴾ والثانى نحو ﴿ أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما﴾ على ما قرره الجرجانى من جعلها مثل ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفى وقد دخل على النفى، ونفى النفى إثبات، ومن أمثلته ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ ﴿ ألست بربكم ﴾ وجعل منه الزمخشرى ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾.

الرابع: التعجب أو التعجيب نحو ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ ﴿ ما لى لا أرى الهدهد ﴾ وقد اجتمع هذا القسم وسابقاه فى قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ قال الزمخشرى: الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم، ويحتمل التعجب والاستفهام الحقيقى ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم ﴾.

الخامس: العتاب كقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية إلا أربع سنين. أخرجه الحاكم. ومن ألطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ ولم يتأدب الزمخشرى بأدب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء الأدب.

السادس: التذكير، وفيه نوع اختصار كقوله تعالى ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ ﴿ ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض﴾ ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ﴾.

السابع: الافتخار نحو ﴿ أليس لى ملك مصر ﴾.

الثامن: التفخيم نحو ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾.

التاسع: التهويل والتخويف نحو ﴿ الحاقة * ما الحاقة﴾ ﴿ القارعة * ما القارعة ﴾.

العاشر: عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا ﴾.

الحادى عشر: التهديد والوعيد نحو ﴿ ألم نهلك الأولين﴾.

الثانى عشر: التكثير نحو ﴿ وكم من قرية أهلكناها ﴾.

الثالث عشر: التسوية؛ وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾.

الرابع عشر: الأمر نحو ﴿ أأسلمتم ﴾ أى أسلموا ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أى انتهوا ﴿ أتصبرون ﴾ أى اصبروا.

الخامس عشر: التنبيه، وهو من أقسام الأمر نحو ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ أى انظر ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾ ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه، ولذلك رفع الفعل فى جوابه وجعل منه قوله ﴿فأين تذهبون ﴾ للتنبيه على الضلال، وكذا، ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾.

السادس عشر: الترغيب نحو ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ ﴿ هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾.

السابع عشر: النهى نحو ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ﴾ بدليل﴿ فلا تخشوا الناس واخشونِ ﴾ ﴿ ما غرك بربك الكريم ﴾ أى لا تغتر.

الثامن عشر : الدعاء ، وهو كالنهى إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو ﴿ **أتهلكنا بما فعل السفهاء** ﴾ أى لا تهلكنا .

التاسع عشر : الاسترشاد نحو ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ .

العشرون : التمنى نحو ﴿ **فهل لنا من شفعاء** ﴾ .

الحادى والعشرون : الاستبطاء نحو ﴿ **متى نصر الله** ﴾ .

الثانى والعشرون : العَرْض ﴿ **ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾.

الثالث والعشرون : التحضيض نحو ﴿ **ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم** ﴾ .

الرابع والعشرون : التجاهل نحو ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا** ﴾ .

الخامس والعشرون : التعظيم نحو ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ .

السادس والعشرون : التحقير نحو ﴿ **أهذا الذى يذكر آلهتكم** ﴾ ﴿ **أهذا الذى بعث الله رسولا** ﴾ ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون.

والسابع والعشرون : الاكتفاء نحو ﴿ **أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾ .

الثامن والعشرون : الاستبعاد نحو ﴿ **أنَّى لهم الذكرى** ﴾ .

التاسع والعشرون : الإيناس نحو ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى** ﴾ .

الثلاثون : التهكم والاستهزاء نحو ﴿ **أصلوٰتك تأمرك** ﴾، ﴿**ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون** ﴾ [الصافات : ٩١، ٩٢] .

الحادى والثلاثون : التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله تعالى ﴿ **أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار** ﴾ [الزمر : ١٩] قال الموفق عبد اللطيف البغدادى : أى من حق عليه كلمة العذاب فإنك لا تنقذه، فمن للشرط والفاء جواب الشرط والهمزة فى أفأنت دخلت معادة لطول الكلام . وهذا نوع من أنواعها . وقال الزمخشرى : الهمزة الثانية هى الأولى، كررت لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد .

والثانى والثلاثون : الإخبار نحو ﴿ **أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا** ﴾ ﴿ **هل أتى على الإنسان** ﴾ .

تنبيهان . الأول : هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه الأشياء موجود وانضم إليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية ؟ قال فى عروس الأفراح : محل نظر . قال : والذى يظهر الأول . وقال : ويساعده قول التنوخى فى الأقصى القريب إن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجى، قال : ومما يرجحه أن الاستبطاء فى قولك كم أدعوك معناه : أن الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فأنا أطلب أن أعلم عدده، والعادة تقضى بأن الشخص إنما يستفهم عن عدد ما صدر منه إذا كثر فلم يعمله، وفى طلب فهم عدده ما يشعر بالاستبطاء. وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر، فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول: أى شيء عرض لى فى حال عدم رؤية الهدهد؟ وقد صرح فى الكشاف ببقاء الاستفهام فى هذه الآية . وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقى، لأن معنى أين تذهب: أخبرنى إلى أى مكان تذهب؟ فإنى لا أعرف ذلك ، وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهى، وأما التقرير فإن قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بأن المذكور عقيب الأداة واقع ، أو طلب إقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب: أى يطلب منه أن يكون مقرًّا به . وفى كلام أهل الفن ما يقتضى الاحتمالين، والثانى أظهر. وفى الإيضاح تصريح به، ولا بدع فى صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لأنه طلب الفهم ، أما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان، وبهذا تنحل إشكالات كثيرة فى مواقع الاستفهام ، ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصا .

الثانى : القاعدة أن المنكر يجب أن يلى الهمزة، وأشكل عليها قوله تعالى ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين** ﴾ فإن الذى يليها هنا الإصفاء بالبنين وليس هو المنكر إنما المنكر قولهم ـ إنه اتخذ من الملائكة إناثا ـ وأجيب بأن لفظ الإصغاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم ، أو بأن المراد مجموع الجملتين، وينحل

منهما كلام واحد. والتقدير: أجمع بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات، وأشكل منه قوله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ ووجه الإشكال أنه لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط، كما تقتضيه القاعدة المذكورة، لأن أمر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له، ولا مجموع الأمرين لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر، ولا نسيان النفس بشرط الأمر لأن النسيان منكر مطلقا، ولا يكون نسيان النفس حال الأمر أشد منه حال عدم الأمر، لأن المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة، لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر واجب، وإن كان الإنسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف بمعصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر؟ قال في عروس الأفراح: ويجاب بأن فعل المعصية مع النهي عنها أفحش، لأنها تجعل حال الإنسان كالمتناقض، ويجعل القول كالمخالف للفعل، ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل. قال: ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة.

فصل: من أقسام الإنشاء الأمر، وهو طلب فعل غير كف، وصيغته أفعل ولتفعل، وهي حقيقة في الإيجاب نحو ﴿أقيموا الصلاة ﴾ ﴿فليصلوا معك ﴾ وترد مجازا لمعان أخر: منها الندب نحو ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ والإباحة نحو ﴿ فكاتبوهم ﴾ نص الشافعي على أن الأمر فيه للإباحة. ومنه ﴿ وإذا حللتم فاصطادوا ﴾ والدعاء من السافل للعالي نحو ﴿ رب اغفر لي ﴾ والتهديد نحو ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا. والإهانة نحو ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ والتسخير: أي التذليل نحو ﴿ كونوا قردة ﴾ عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم فهو أخص من الإهانة. والتعجيز نحو ﴿ فائتوا بسورة من مثله﴾ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم. والامتنان نحو ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ والعجب نحو ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ والتسوية نحو ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ والاحتقار نحو ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ والإنذار نحو ﴿ قل تمتعوا ﴾ والإكرام نحو ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ والتكوين وهو أعم من التسخير نحو ﴿ كن فيكون ﴾ والإنعام: أي تذكير النعمة نحو ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ والتكذيب نحو ﴿ قل فائتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ والمشورة نحو ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ والاعتبار نحو ﴿ انظروا إلى ثمره ﴾ والتعجب نحو ﴿ أسمع بهم وأبصر﴾ ذكره السكاكي في استعمال الإنشاء بمعنى الخبر.

فصل: ومن أقسامه النهي وهو طلب الكف على فعل، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم، وترد مجازا لمعان منها الكراهة نحو ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا ﴾ والدعاء نحو ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ والإرشاد نحو ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ والتسوية نحو ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾ والاحتقار والتقليل نحو ﴿ ولا تمدن عينيك ﴾ الآية: أي فهو قليل حقير. وبيان العاقبة نحو ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت. واليأس نحو ﴿لا تعتذروا ﴾ والإهانة نحو ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾.

فصل: ومن أقسامه التمني: وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولا يشترط إن مكان المتمنى بخلاف المترجى، لكن نوزع في تسمية تمني الحال طلبا بأن ما لا يتوقع كيف يطلب. قال في عروس الأفراح: فالأحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمني والترجي والنداء والقسم ليس فيه طلب بل هو تنبيه، ولا بدع في تسميته إنشاء اهـ. وقد بالغ قوم فجعلوا التمني من قسم الخبر، وأن معناه النفي، والزمخشري ممن جزم بخلافه. ثم استشكل دخول التكذيب في جوابه في قوله ﴿ يا ليتنا نرد ولا نكذب ﴾ إلى قوله ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ [الأنعام : ٢٧، ٢٨] وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب. وقال غيره: التمني لا يصح فيه الكذب، وإنما الكذب في المتمنى الذي يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذي هو ظن، وهو خبر صحيح قال: وليس المعنى في قوله تعالى ﴿ وإنهم لكاذبون﴾ أن ما تمنوا ليس بواقع، لأنه ورد في معرض الذم لهم وليس في ذلك المتمنى ذم، بل التكذيب ورد على إخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وأنهم يؤمنون. وحرف

التمنى الموضوع له ليت نحو ﴿ياليتنا نرد﴾، ﴿ياليت قومى يعلمون﴾، ﴿ياليتنى كنت معهم فأفوز﴾ وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو ﴿ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ وبلو نحو ﴿فلو أن لنا كرة فنكون﴾ ولذا نصب الفعل فى جوابها، وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حكم ليت فى نصب الجواب نحو ﴿لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطلع﴾[غافر: ٣٦، ٣٧].

فصل: ومن أقسامه الترجى نقل القرافى فى الفروق الإجماع على أنه إنشاء، وفرق بينه وبين التمنى بأنه فى الممكن والتمنى فيه وفى المستحيل، وبأن الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد، وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره، وبأن التمنى فى المشوق للنفس والترجى فى غيره. وسمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول: الفرق بين التمنى وبين العرض هو الفرق بينه وبين الترجى، وحرف الترجى لعل وعسى، وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الإشفاق نحو ﴿لعل الساعة قريب﴾

فصل: ومن أقسامه النداء وهو طلب إقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب أدعو، ويصحب فى الأكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾، ﴿ياعباد فاتقون﴾، ﴿ياأيها المزمل * قم الليل﴾، ﴿ياقوم استغفروا ربكم﴾، ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا﴾ وقد يتأخر نحو ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾، ﴿ياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها﴾ وقد لا يعقبها نحو ﴿ ياعباد لاخوف عليكم اليوم﴾ ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾، ﴿ ياأبت هذا تأويل رؤياي﴾ وقد تصحبه ما الاستفهامية نحو ﴿يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر﴾، ﴿يا أيها النبى لم تحرم﴾ ﴿ياقوم مالى أدعوكم﴾ وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالإغراء والتحذير وقد اجتمعا فى قوله تعالى ﴿ناقة الله وسقياها﴾ والاختصاص كقوله تعالى ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ والتنبيه كقوله ﴿ألا يسجدوا﴾ والتعجب كقوله ﴿يا حسرة على العباد﴾ والتحسر كقوله ﴿ياليتنى كنت ترابا﴾.

قاعدة: أصل النداء بيا أن تكون للبعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب لنكت. منها إظهار الحرص فى وقوعه على إقبال المدعو نحو ﴿يا موسى أقبل﴾ ومنها: كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ ومنها: قصد تعظيم شأن المدعو نحو ﴿يارب﴾ وقد قال تعالى ﴿إنى قريب﴾ ومنها: قصد انحطاطه كقول فرعون ﴿وإنى لأظنك ياموسى مسحورا﴾.

فائدة: قال الزمخشرى وغيره: كثر فى القرآن النداء بيا أيها دون غيره، لأن فيه أوجها من التأكيد وأسبابا من المبالغة منها ما فى يا من التأكيد والتنبيه وما فى ها من التنبيه وما فى التدرج من الإبهام فى أيّ إلى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعانٍ، واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون، فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

فصل: ومن أقسامه القسم نقل القرافى الإجماع على أنه إنشاء، وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع، وسيأتى بسط الكلام فيه فى النوع السابع والستين.

فصل ومن أقسامه الشرط (الإتقان ٢/ ٩٧ ـ ١٠٧)

ويذكر الزمخشرى من روعة النظم القرآنى وقوع الإنشاء موقع الخبر، ووقوع الخبر موقع الإنشاء أما عن وقوع الإنشاء موقع الخبر فمنه قوله تعالى: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾[التوبة: ٥٣]

يقول الزمخشرى: أنفقوا أمر فى معنى الخبر، كقوله تعالى: ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ [مريم: ٧٥] ومعناه: لن يتقبل منكم، أنفقتم طوعا أو كرها، ونحوه قوله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة: ٨٠] أى لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم، أم لم تستغفر لهم، وقوله:

** أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة*

*لدينا ولا مقلية إن تقلت**

أى لا ولا نلومك أسأت إلينا أم أحسنت.

ويجوز نحو هذا إذ دل الكلام عليه، كما جاز عكسه فى قولك: رحم الله زيدا وغفر والنكتة فيه أن «كثيرًا» كأنه يقول لعزة:

امتحني لطف محلك عندي، وقوة محبتي لكِ، وعامليني بالإساءة والإحسان، وانظري: هل يتفاوت حالي معك، مسيئة كنت أو محسنة؟

وفي معناه قول القائل:

أخوك الذي إن قمت بالسيف عامدا
لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى: أنفقوا، وانظروا: هل يتقبل منكم؟ واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم، وانظر: هل ترى اختلاف بين حال الاستغفار وتركه ...؟

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر أيضًا قوله تعالى: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾**: أي مد له الرحمن مدا، يعني وأمهله، وأملي له في العمر. فأخرج على لفظ إيذانا بوجوب ذلك، وأنه مفعول لامحالة، كالمأمور به الممتثل، لتقطع معاذير الضلالة، ويقال له يوم القيامة: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾**؟ أو كقوله تعالى: **﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾**

ومن وضع الإنشاء موضع الخبر كذلك ما في قوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾** [البقرة: ٢٤٣]

يقول الزمخشري: معنى قوله: فقال لهم الله موتوا: أماتهم. وإنما جيء على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته. وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء، فامتثلوه من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾** وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد، ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله.

وأما عن وقوع الخبر موقع الإنشاء فمنه قوله تعالى: **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** [البقرة: ٢٢٨]

يقول الزمخشري: يتربص: خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام: وليتربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجودًا.

ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله: أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة، فهو يخبر عنها ...

ومن وضع الخبر موضع الإنشاء أيضا ما في قوله تعالى: **﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾** [الصف: ١٠، ١١].

يقول الزمخشري: تؤمنون ... استئناف، كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ فقال: تؤمنون، وهو خبر في معنى الأمر، ولهذا أجيب بقوله: يغفر لكم، وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا ...

وجيء به على لفظ الخبر اللإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين.

ومنه قوله تعالى: **﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾** [البقرة: ٨٣]

يقول الزمخشري: في **﴿لا تعبدون﴾** إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان، تقول له كذا ـ تريد الأمر.

والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه. وتنصره قراءة عبد الله وأبي « لاتعبدوا » (النظم القرآني / ١٣٢ـ١٣٤)

(الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢/ ٩٧ ـ ١٠٦، والنظم القرآني في كشاف الزمخشري ـ د. درويش الجندي / ١٣٢ ـ ١٣٤. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢٥/ ٤٤٦ـ٤٥٤)

*** خبرة الفقهاء:**

خبرة الفقهاء: مختصر لأشرف الدين أحمد بن أسد الفرغاني الحنفي وهي بكسر الخاء المعجمة كالاختيار بمعنى الامتحان أوله: الحمد لله رب العالمين ... إلخ ذكر فيه أن الملك فخر الدين أرسلان أقبل على الفقهاء وأن بعض أكابر الدولة سأله أن يترجم له كتابا جمعه الفقيه أبو يوسف يعقوب ابن يوسف بن طلحة في أيام إبراهيم بن ناصر الدين سبكتكين بالفارسية فجعله عربيا وسماه بستان الأسئلة وهو مشتمل على مسائل وكانت عادة الملوك تجربة العلماء بالمسائل اختبارًا عن علمهم. وهي على ثلاثة أضرب: الأول ان تكون المسألة

مشتملة على وجوه وتفصيل والثانى: أن تكون مسألتان متشابهتان ظاهرًا وبينهما فرق فى الحكم والمعنى، والثالث مسائل تبعد عن الفهم وتحتاج فى استخراجها إلى زيادة تأمل.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٠).

*** الخبز:**

جاء فى اللسان: الخبزة: الطُّلمة، وهى عجين يوضع فى الملة حتى ينضج، والملة: الرماد والتراب الذى أوقد فيه النار. والخبز: الذى يؤكل. والخبز: بالفتح: المصدر، خبزه يخبزه خبزًا واختبزه: عمله. والخباز: الذى مهنته ذلك، وحرفته الخبازة. والاختباز: اتخاذ الخبز (حكاه سيبويه).

التهذيب: اختبز فلان إذا عالج دقيقًا بعجنه ثم خبزه فى ملّة، أو تنور. وخبز القوم يخبزهم خبزا: أطعمهم (اللسان ١٢/ ١٠٩٢).

قالت المؤلفة: من أنواع الخبز التى تدور أسماؤها فى المراجع: الحوارى: وهو الخبز المصنوع من الدقيق النقى، وخبز الملة وهو ما يخبز فى التراب الحار والرماد (المعجم الوجيز/ ١٧٧، ١٩٦) والخشكار، ويأتى شرحه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وأورد المظفر الرسولى الخبز فى المعتمد نقلا عن مصدرين رمز إليهما بالحرفين التاليين:

ع: عبد الله البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

قال المظفر الرسولى:

خبز ـ «ع» الضماد المتخذ من خبز الحنطة نفسها، فهو يجذب ويحلل. والخبز المتخذ من سميذ الحنطة التى وصفنا أكثر من غذاء الخشكار. وأما الخبز المعمول من دقيق الحنطة، فإنه أخف وأسرع نفوذا، والخبز اليابس العتيق يعقل البطن المسهل إن كان وحده، أو خلط بأشياء أخر. والخبز اللين إذا بل بماء وملح وتضمد به أبرأ من القوابى الزمنة، والكثير النخالة سريع الخروج من البطن، وبالضد القليل النخالة يبطىء ويكثر غذاؤه. والخبز الخشكار يلين البطن، والحُوَّارَى يعقله، والمختمر يلين، والفطير يعقل، والرغيف الكبير أحب من الصغير وأكثر غذاء، والخبز الحار يسخن ويجفف، والبارد لا يفعل ذلك، والخبز الذى من الحنطة الحديثة يُسْمِن، وأحمد أوقات أكله فى آخر اليوم الذى يخبز فيه، ومن غد ذلك اليوم، وقبل أن يصلب ويجف. وخبز الملة أيبس الخبز، وأبطأ هضما، والخبز الحار فيه حرارة عرضية وبخارية تُعطِّش وتشبع دفعة، والخبز البارد لايفعل ذلك «ج» ينبغى أن يكون الخبز نقيًّا مملوحا، قد أحكم تخميره، جيد النضج فى التنور. والخبز الذى يكون من الحنطة فغذاؤه بحسب الحنطة المتخذ منها، إن كان من حنطة كثيفة فغذؤاه أكثر مما يتخذ من حنطة رخوة، والخبز الرقيق يعقل البطن أكثر من الثخين، والثخين يغذو أكثر من الرقيق.

والخبز المغسول: وهو أن يؤخذ لباب الخبز اليابس فينقع فى الماء الحار، ثم يصب عنه، ويجدد عليه الماء حتى تذهب قوة الخمير، ويبلغ غاية انتفاخه، وهو مبرد قليل الغذاء، طاف على المعدة، صالح للمحرورين، ولا يولد سددا ولا يسخن. والخبز السميذ أغذى من غيره من الأخباز، والخبز الحوارى متوسط بين السميذ والخشكار، والخبز الفطير غليظ يعقل البطن، وينفع أصحاب الكد، والأبدان المتخلخلة، لكثرة غذائه، ولأصحاب المعدة القوية الحرارة، وهو بطىء الهضم، ويولد الرياح والنفخ والحصى والسدد، وقد يقع من يداومه فى أمراض خطرة لايكاد يخلص منها. والخبز الخشكار أجوده القليل النخالة، وهو حار سريع النفوذ، يضمد به الأورام الحارة، ويبل بماء ويطلى على القوابى، وهو يلين الطبع، وينفع أصحاب القولنج، وهو قليل الغذاء، أردأ من جميع الأخباز المتخذة من الحنطة، ويولد جربا وحكة، ويصلحه الأُدْم الدهنية.

وجاء فى هامش (١) مايلى عن السميذ:

الخبز المعمول من الحنطة من ذلك السميذ أكثر غذاء، وأبطأ نزولا، منفعته لأصحاب الأبدان الصحيحة، ولأهل

التعب والرياضة. ضرره: يولد الرياح الغليظة، . والسدد فى الكبد والطحال، ويضر بأصحاب أوجاع المفاصل، والشيوخ الذين قد ضعف هضمهم. دفع ضرره: ألا يكثر الشبع منه، ولا يؤكل معه شىء من الفواكه الرطبه كالإجاص والمشمش والبطيخ. ولا يؤكل معه لبن ولا سمك، وأن يكثر ملحه وخميرته، ويجعل إدامه المطجّنات، وما عمل بالتوابل الحارة، والله اعلم.

كما جاء فى هامش (٢) ما يلى عن الخبز الخشكار والخبز الفطير:

الخبز الخشكار: هو الحثيث، أقل غذاء، يولد دما مائلا إلى السواد، منفعته: سرعة انحداره عن المعدة. مضرته: إدمان أكله يسرع الهرم، ويولد الحكة والجرب. دفع ضرره: أن يؤكل بالأطعمة الدسمة والزيت والألبان الحلوة، ولا يؤتد عليه بحامض أصلا. والله أعلم.

والخبز الفطير: هو القمط، أقل أنواع الخبز غذاء، وأعسر انهضاما، منفعته لأصحاب الكد والتعب الشديد. مضرته: يولد السدد فى الكلى والحصى، وأوجاع المفاصل والقولنج والرياح. دفع ضرره: أن يؤكل بالأمراق الدسمة، وأن يؤخذ بعده الزنجبيل المربى ا. هـ(المعتمد ١/ ١٧١ـ١١٩).

قال صاحب قاموس الأطباء: الخشار والخشارة بضمهما: الردىء من كل شىء، والخشكار: الدقيق الذى لم ينتزع لبه ولا نخالته ولم أر من ذكر بهذا اللفظ من أئمة اللغة وإنما ذكره الأطباء (قاموس الأطباء ١/ ١٦٣).

وقال عن الخبز داود الأنطاكى: الخبز هو فى الغالب قوام الأبدان وعين ما أحكمته الصناعة من الحبوب المقيتة ولكنه مختلف باعتبار العوارض من الطحن والنخل والغسل والخبز ومقابلة النار وما يخبز عليه إلى غير ذلك وأجود الحبوب للخبز الحنطة فالشعير فالحمص فالأرز وما عدا ذلك ردىء جدًّا لا يعمل إلا فى المجاعات الشديدة كالدخن والفول والجاورس وخبز الحنطة حافظ للصحة مسمن مقو للأرواح مولد للدم الجيد وأجود ما عمل لذلك مغسولا غير مستقصى فى نخله بالغ فى التخمير إذا وضع فى الماء لم يغطس والراسب قليل الخمير ردىء جدا فإذا خمر رقق وخبز على خزف لا يقرب النار فإذا نضج رفع حتى يبرد وإن أكل من الغد كان أجود والبرازقى المعروف بالبرازق يقرب من الجسد وهو فارسى معناه الممزوج بحراقة الريش ويستعمل غالبا فى أحوال مخصوصة وما كان بنخالته جيد لضعف المعدة والمشايخ وأصحاب الراحة ومن لم يرتض ومن طال مرضه وعكسه الحوارى وهو المحكم النخل الشديد البياض ومنه الكعك المعمول بمصر فى العيد يولد السدد ويضعف المعدة ويجلب التخم، والخشكار هو الذى عمل بلا غسل ولا نخل يولد السدد ويحرق الأخلاط ويدرن البدن والمغسول قليل السدد جيد معتدل الغذاء وكلما نضج الخبز وبعد عن الرماد ورق كان أجود.

وأما اختلافه باختلاف ما يخبز عليه فظاهر لأن المخبوز على الحديد حار فى الثانية يابس فى الثالثة ومثله المحروق كالبقسماط وهذه تقطع البلغم والماء والخام وتمنع الاستسقاء فى مباديه لكنها تهزل وتولد السدد المؤدية إلى القولنج وتصلح بالأدهان والحلو والمخبوز على الحصى إن أكل جميعه ففى غاية العدل والجودة والصحة وما يلى الحصى منه كالكعك والقراقيش والجهة الأخرى تسمن جدا وتمنع العفونات والأخلاط الفجة وتروق الدم وتعدله لذهاب مائيها وبقاء نفعها والمعروف بالبيسانى الرقيق إن كان فطيرا فجل الأطباء يلحقه بالسموم وأحكامها وإن كان خميرا فمن أحسن أنواع الخبز لحفظ الصحة وما يصنع فى البادية ويسمى الملة والقرص وهو أن يمد غليظا ويوضع فى الرماد فينضج بعضه ويفج الآخر وتختلف أجزاؤه وهذا ردىء جدا يولد الأخلاط الفاسدة ولايقدر عليه إلا أصحاب الكد والرياضة وأردأ منه الخبز الغليظ المستدير المعروف بالماوى فى غالب البلاد ومنه ما تفعله الترك ويقطع طولا لاختلاف أجزائه فى الاستواء والمعمول بالسمن واللبن إن انهضم فجيد وإلا فردىء والغالب عليه إفساد البدن وتوليد التخم وخبز الشعير جيد صيفا مبرد قاطع للعطش قامع الأخلاط الصفراوية، وخبز الذرة والدخن يذهبان الشحم من البدن ويحرقان الأخلاط ويولدان السوداء والحكة وقد تمزج الحبوب بحسب الحاجات والفصول والزمان ومزج المصطكى مع الخبز يقوى المعدة

ويمنع الخفقان ويصلح الكبد والكلى وبالمحلب يخرج الرياح الغليظة والسدد والشونيز مثله والأنيسون يصلح الكبد والكرفس القلب والطحال؛ وبالجملة فالقانون في عمله ما تقدم وينبغي أن لا يؤكل كثيرا إلا مع اللحم والمرق والدهن والحلو وأن يقلل مع غير ذلك وأن يبادر إلى شرب الماء فوق اليابس منه كالكعك والعكس في الطري وأن يقلل منه من به ضعف الكبد والمعدة ويأخذ ما يفتح السدد (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٣٦، ١٣٧).

وقد أورده ابن رشد في كلياته تحت عنوان «القول في أشخاص الأغذية» فقال:

أجمع الأطباء أنه أم الأغذية النباتية للناس الطبيعيين وهم في الأكثر سكان الاقليم الخامس، والرابع هو البر، لكن إذا دخلته الصنعة، وهو يستعمل على وجوه إما خبزا وذلك إما فطيرا، وإما مختمرا، ويستعمل عصيدا ويستعمل هريسا، ويستعمل دقيقه حسوا، ويستعمل حبه مقلوا، وربما جرش بعد القلى والإنقاع، ويسمى سويقا، وقد يستعمل مطبوخا من غير تجريش، والحب الذى يتخذ منه هذه المطاعم أصناف فأفضله الرزين المتكاثف الجرم، وأفضل الأشياء المصنوعة منه هو الخبز، إذا اتخذ دقيقه من القمح الذى بهذه الصفة، وكان دقيقه لا متقصى القشر، وهو المسمى درمكا، ولا كثير القشر وهو المسمى خشكارا، والذى بهذه الصفة هو المسمى عندنا مدهونا، وذلك أن هذا الخبز يوجد قد انحط عن غلظ الدرمك وبطء هضمه، إن كان الدرمك أغذى، وقد ارتفع عن تيبس الخشكار، وانقلابه إلى طبيعة السوداء وذلك إن القشر من كل نبات أرضى بارد يابس، وإن كان هذا الخبز يوجد أسرع خروجا عن الأعضاء لا أسرع انهضاما للجلاء الذى في قشره، ثم عجن بعد بملح معتدل، وماء كثير، حتى يعود في صفة اسفنج البحر في التخلخل، ثم يخمر تخميرا معتدلا، ثم يطبخ في التنور.

وأما الخبز الفطير فغليظ لزج، كما أن الزائد التخمير مستحيل إلى أخلاط عفونية لمكان الحرارة الغريبة التى فيه، ويتلو الخبز في الجودة الحسا المتخذ من فتاته، إلا أنه لموضع الماء الذى فيه يميل إلى البرودة والرطوبة، وفتات الخبز إذا سلق بالماء الحار مرات تولد عنه غذاء في غاية الخفة، وسرعة الهضم، وهو أخص شيء بالمرضى الذين أمراضهم حادة، وسويق القمح أيضا نعم الغذاء إذا شرب بالماء الكثير برد، وذلك أن الإنقاع والقلى يخلخل جوهره ويلطفه، وإذا عجن بالعسل كان غذاء مسخنا كثير التغذية، وأما العصائد والهريسة فكلها غليظة لزجة مسددة، والقمح المطبوخ بالماء أكثر من ذلك بكثير حتى أنه أبطأ الأشياء انهضاما، كذلك الحريرة المتخذة من الدقيق أيضا غليظة، وأما المتخذة من الخمير نفسه ففى غاية اللطافة، وهى مبردة لموضع الحمضة لكن لا آمن أن تكون مستحيلة، ولذلك قد ينبغى أن تتجنب في الأمراض العفونية.

أما الخبز المتخذ من الشعير على الصفة التى تتخذ من خبز القمح فهو تال لخبز القمح في الجودة ولكنه مائل إلى البرودة وسويق الشعير أكثر شيء سرعة في الاستحالة، وهو مبرد وبخاصة إذا شرب بالماء، وبرده كأنه في الدرجة الأولى، وأما ماء الشعير فهو في الأدوية أدخل منه في الأغذية، وهو من الجهد في الأمراض الحادة اليابسة بحيث لايخفى على أحد ممن نظر في هذه الصناعة أدنى نظر أنه مبرد، مرطب، معدل، ذو جلاء، حسن الكيموس، ليس بمنفخ، ولا بطيء الانحدار، وهذه خصال معروفة في البارد الرطب، شهدت التجربة له بهذا، وصنعته أن ينقع الحب صحيحا في الماء، يوضع للجزء الواحد منه عشرون جزءا من ماء، مقدار أربع ساعات ويطبخ حتى يحمر الماء، فإن بهذه الحيلة أمكن أن لا يكون منفخا، وتجريشه خطأ، فإنه لا يقبل الإنقاع، لأن الحبوب إنما تجذب الماء بالقوة الجاذبة التى فيها، والقوة الجاذبة إنما تكون موجودة في الحب مادام الحب يزرع فينبت، وهو إذا جرش وزرع لم ينبت، وهذا قد نبه عليه أبو مروان بن زهر، في كتابه الملقب بالتيسير، وذكر غلط الأطباء في تجريشهم إياه.

وأما الأخباز المتخذة من سائر الحبوب فقوتها قوة تلك الحبوب (الكليات/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩)

وجاء عن الخبز في الطب النبوى للحافظ الذهبى ما يلى :

قال الله تعالى :

﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾ [الكهف : ١٩]

قال الأطباء : أفضله التنورى النضيج النقى ، ومزاجه حار ، فيه يبس ، ولا ينبغى أن يؤكل حتى يبرد ، فإن الحار منه معطش . وأحمد أوقات أكله يوم خبزه ، واليابس والفطير يعقلان البطن ويتلوه الغربى ، وما عدا ذلك فردئ ، ومهما قلّت نخالته أبطأ هضمه لكنه أكثر تغذية ، واللّين منه أغذى وأهضم ، والمتخذ فتيتا نفّاخ بطىء الهضم ، وخبز القطائف يولد خلطا غليظا ، والمعمول باللبن مسدد كثير الغذاء بطىء الانحدار ، وخبز الشعير مبرد منفخ ، وخبز الحمص بطىء الهضم فينبغى أن يكثر ملحه .

ويروى عن عائشة مرفوعا :

«أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والأرض» .

وإذا كان فى دقيق الخبز تراب ولد لآكله الحصى فى المثانة والكلى (الطب النبوى / ٨٤ ـ ٨٥)

أما عن الطب النبوى لابن القيم فقد ورد فيه عن الخبز ما يلى :

ثبت فى الصحيح ، عن النبى ﷺ ، أنه قال : «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة ، يتكفؤها الجبار بيده نُزلا لأهل الجنة» .

وروى أبو داود فى سننه ـــ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال : «كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ الثريد من الخبز ، والثريد من الحيس» .

وروى أبو دواد فى سننه أيضا ـــ من حديث ابن عمر رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «وددت أن عندى خبزة بيضاء ، من برة سمراء : ملبقة بسمن ولبن . فقام رجل من القوم ، فاتخذه فجاء به . فقال : فى أى شىء كان هذا السمن؟ فقال : فى عكة ضب . فقال : ارفعه» .

وذكر البيهقى ـــ من حديث عائشة رضى الله عنها ، ترفعه ـ : «أكرموا الخبز . ومن كرامته : أن لا ينتظر به الأُدم» . والموقوف أشبه . فلا يثبت رفعه ، ولا رفع ماقبله .

وأما حديث النهى عن قطع الخبز بالسكين ، فباطل : لا أصل له عن رسول الله ﷺ . وإنما المروىّ : النهى عن قطع اللحم بالسكين . ولا يصح أيضا . قال مهنا : «سألت أحمد عن حديث أبى معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، عن النبى ﷺ : لاتقطعوا اللحم بالسكين ؛ فإن ذلك من فعل الأعاجم . فقال : ليس بصحيح ، ولا يعرف هذا ؛ وحديث عمرو بن أمية خلاف هذا ، وحديث المغيرة» . يعنى بحديث عمرو بن أمية : «كان النبى ﷺ يحتز من لحم الشاة» . وبحديث المغيرة : «أنه لما أضافه : أمر بجنب فَشُوِىَ ، ثم أخذ الشفرة فجعل يحز» .

وأحمد أنواع الخبز : أجودها اختمارا ، وعجنا . ثم خبز التنور أجود أصنافه ، وبعده خبز الفرن . ثم خبز الملة فى المرتبة الثالثة ، وأجوده : ما اتخذ من الحنطة الحديثة ـ .

وأكثر أنواعه تغذية : خبز السميذ ، و هو أبطؤها هضما لقلة نخالته . ويتلوه خبز الحوارى ، ثم الخشكار .

وأحمد أوقات أكله : فى آخر اليوم الذى خبز فيه . واللين منه أكثر تليينا وغذاء وترطيبا ، وأسرع انحدارا . واليابس بخلافه .

ومزاج الخبز من البر حار فى وسط الدرجة الثانية ، وقريب من الاعتدال فى الرطوبة واليبوسة . واليبس يغلب على ماجففته النار منه ، والرطوبة على ضده .

وفى خبز الحنطة خاصية ، وهو : أنه يُسمِّن سريعا . وخبز القطائف يولد خلطا غليظا ، والفتيت نفاخ بطىء الهضم . والمعمول باللبن مسدد ، كثير الغذاء ، بطىء الانحدار .

وخبز الشعير بارد يابس فى الأولى . وهو أقل غذاء من خبز الحنطة (الطب النبوى / ٢٣٤ ـ ٢٣٥) .

ويفصل أبو بكر الرازى مضار أنواع الخبز المختلفة ، فيبدأ ببيان دفع المضار المتولدة من الخبز السميذ والحوارى فيقول :

إن الخبز مع اعتياد الطبيعة له وورودها عليه دائبا ، وجرى العادة بالاغتذاء منه ، له مضار ينبغى أن تميز وتفصل .

فمن الخبز السميذ والحوارى والخشكار على مرتبته فى ذلك من قلة النخالة وكثرتها، والفطير والمختمر والكثير الملح والبورق، والعديم لذلك، وخبز التنور، وخبز الفرن، وخبز الملة، وخبز الطابق.

فمن مضار الخبز السميذ والحوارى أنه أعسر خروجا من البطن من الخشكار، وأنه أكثر نفخا وتوليدا للرياح، ويولد السدد فى الكبد والحصى فى الكلى فى المستعدين لذلك. ولذلك ينبغى أن يميل عنه إلى الخشكار من تعتريه الرياح الغليظة ويبس البطن والسدد فى الكبد والغلظ فى الطحال والحصى فى المثانة المستعدة لذلك ويسرع إليه الامتلاء وتصيبه أوجاع المفاصل ويعتريه التحجر فيها.

ومما يدفع به هذه المضار أن يكثر فيه من الخمير والبورق، ويتعهد الآكل له السكنجبين البزورى ويأخذ بزر البطيخ وبزر الكرفس مع السكر الطبرزد متى أحس بثقل تحت الأضلاع من الجانب الأيمن. فأما متى أحس بثقل فى البطن والقطن وعسر فى خروج البول أو قلة فيه فليأخذ من هذا الدواء أياما قبل الطعام بثلاث ساعات.

سفوف قوى: وصفته أن يؤخذ من بزر البطيخ المنقى وزن عشرة دراهم، ومن حب القلت واللوز المر والدوقو من كل واحد وزن درهمين، فيستف منه وزن ثلاثة دراهم ويشرب عليها ماء حارا قد أغلى فيه برشاوشان إلى أن يفقد ذلك العارض.

ويكثر من أحس بهذا العارض من البطيخ فى إبانه، ويتحسى أيضا من ماء الباقلى. فإن هذا التدبير يمنع من أن يتولد وأن يتم تولد الحصى فى كلاه والتحجر فى مفاصله.

فأما من يعتريه غلبة الرياح الغليظة فليجتنب أكل الفواكه الرطبة قبله وعليه، ولا سيما الحامضة ... ويأخذ قدر جوزة من الجوارشن الكمونى، ويؤمر أن يكثر فى طبيخه من الأفاويه، ويصيب فى بقله من السذاب والصعتر ومن الثوم، ولا سيما فى الأوقات والبلدان الباردة.

ويكون أكثر أكله لهذا الخبز بالاسفيذباجات وأمراق المطجنات، ويحذر أكله مع الماست والرائب والكشكية والمضيرة والمصلية والحصرمية والبوارد المعمولة بماء الحصرم والرمان، ونحو ذلك من الحوامض والقوابض، ويقل شرب ماء الثلج، ويصرف شرابه ويقلله ويقويه. وإن اضطر إلى أكله يوما ببعض ما وصفت من الأمراق الغليظة القابضة والباردة، تناول الكمونى أو الفلافلى، أو صرف الشراب وتجوع من بعده وتعرق فى الحمام من غد.

ويؤمر أن يكثر فى هذه الأمراق من الثوم، وخاصة فى الكشكية والمضيرة، فإن الثوم أكسر الأغذية للرياح، وله مع ذلك أن لا يعطش كإعطاش الأفاويه الحارة، فبهذا التدبير يمكن أن يسلم من يعتريه القولنج وأوجاع الجنب وتزممها بالرياح الغليظة من مضرة إدمان الخبز السميذ والحوارى.

وأما من يعسر خروج النجو منه ويعتريه يبس فى البطن دائما فليقدم من طعامه ما عمل بالمرى، ويأخذ زيتونات من زيتون الماء، ويتنعل بالفانيد السجزى، ويتحسى قبل الطعام أمراق الاسفيذباجات، وخاصة من ماء الكرنب والاسفاناخ والسلق ولتكن مالحة قليلا، ويستعمل أيضا قبل طعامه إما فى الصيف أو فى أوقات حمى بدنه أكل الإجاص منقوعا فى جلاب.

قالت المؤلفة: يطلق اسم الإجاص فى بعض البلدان على الكمثرى وفى بعضها الآخر على البرقوق أو الخوخ وقد أفردنا له مادة خاصة فى م ٢/ ٤٠٣، ٤٠٤ فانظرها فى موضعها.

ويصف الرازى بعد ذلك كيفية نقع الإجاص فى الجلاب، ثم ينتقل إلى الكلام على دفع مضار الخبز الخشكار فيقول:

إن هذا الخبز يتولد منه دم مائل إلى السوداء، ويكون ذلك منه بمقدار رداءته وقلة نقائه، فإنه كلما كان أقل نقاء وأميل إلى السواد كان الدم الذى يتولد منه أقل مقدارًا فى نفسه وأغلظ وأميل إلى السوداء، فيتولد عن إدمانه الأمراض السوداوية، ويسرع بالهرم، ويضعف عليه البدن، ويقل الدم، ويكون منه الحكة والجرب والبواسير ونحو ذلك.

وإن أكل من الخبز الخشكار بمقدار ما يتولد منه من الدم المقدار الذى يحتاج إليه البدن، احتاج أن يكون كميته أكثر من كمية الخبز الحوارى كثيرا، فيثقل لذلك فى المعدة ويربو

وينتفخ، ولا سيما إذا شرب عليه الماء. ويتولد من ذلك فنون من النفخ .

وإن قصر عن هذا المقدار لم يتولد عنه من الدم قدر الوفاء بحاجة البدن، ويقل عليه الدم، ويصلب، وتذهب نضارته وحسن لونه ورطوبته .

والذى يدفع المضار منه أن يتأدم عليه بالأدهان والحلاوات، والألبان، ويدمن ذلك. ويحذر التأدم عليه بالملوحات والحرافات والكواميخ ونحوها، فإن ذلك يزيد فى شرته وقلة إغذائه وسرعة خروجه من البطن قبل استيفاء ما فيه من الغذاء، ويزيد فى رداءة الدم المتولد منه حتى تتولد منه الأمراض التى ذكرنا، ويسرع أيضا بالهرم والذبول، ولا سيما إن قل شرب الماء عليه، وإن كان البلد مع ذلك يابسا أو حارا، أو كان مهنة الآكل متعبة .

فلذلك ينبغى أن يدفع هذه المضار منه باللبن الحليب، والسمن، وسائر الأدهان التى لا كيفية لها حارة كدهن السمسم ونحوه .

فأما الزيت فغير موافق وبعقيد العنب والسكر والتمر. فأما العسل فإنه أيضا غير موافق، لأنه يسرع بإخراجه، إلا أن يقع مع دسم كثير ومع لبوب دسمة تكسر منه وتسكنه .

وكذلك عقيد العنب والكمثرى أوفق الحلاوات فى هذا الموضع. والزبد والسمن أوفق الدسومات .

واللبن الحليب الذى لا حموضة فيه بتة أوفق ما يثرد فيه، ثم الاسفيذباجات الدسمة .

فأما كل طبيخ من حامض أو مالح أو حريف فردىء فى هذا الوجه، لأن هذا الخبز قليل الغذاء سريع الخروج، فالحلاوات تزيد فى إغذائه، والدسومات تزيد أيضا، وتمنع قشفه ويبسه وجلاءه وجرده للمعدة والأمعاء بكثرة نخالته وسرعة خروجه منها .

الخبز الفطير .

وأما الخبز الفطير فردىء فى توليد الرياح وإبطاء الخروج، فهو لذلك يضر لمن يعتريه القولنج جدًا .

وهو أيضا أسرع فى توليد السدد والحصى من المختمر من الخبز الحوارى، فلذلك ينبغى أن يجتنب، فإن اضطر إليه دفع ما يتولد عنه من هذه المضار بما ذكرنا عند ذكرنا ما يدفع به المضار المتولدة من الخبز الحوارى .

إلا أنه ينبغى أن تدمن تلك العلاجات وتقوى بحسب فضل قوة الخبز الفطير على المختمر وتوليده هذه المضار .

وأضر ما يكون بمن لا يتعب. فأما من يتعب ويكد نفسه كدا شديدًا فكثيرا ما يسلم منه .

فأما الخبز المختمر فيسلم من هذه الخلال، إلا أنه أقل وأضعف إغذاء، فمن كان شديد الكد، وكان متخلخل البدن، ضعف على إدمانه .

ومما يدفع به ذلك التأدم عليه بالآدام المغلظة واللزجة، كلحوم الحملان والعجاجيل والهرائس والعصائد، وترك التعب أو تقليله، وكذلك ترك الحَمَّام والتعرق والأغذية الحريفة والملطفة، كالتوابل الحارة والبقول الحريفة، والملح والمرى والكواميخ، والشراب العتيق جدًا .

فأما الحلو الغليظ منه فنافع فى هذه الوجوه منه. وأما الكثير الملح منه والبورق فقليل الغذاء، سريع الخروج، وبالضد .

وقد بان كيف يدفع الضرر المتولد من إدمانها بما تقدم من كلامنا، والله أعلم .

خبز التنور والفرن :

قالت المؤلفة : التنور : الكانون يخبز فيه . والكانون : الموقد يطبخ عليه (الأصل والبيان / ٧، والمعجم الوجيز / ٥٤٣) .

وأما خبز التنور فأصلح من خبز الفرن فى سرعة الهضم والخروج، وقلة تولد النفخ والسدد والغلظ واللزوجات. لكن خبز الفرن أوفق منه فى كثرة الإغذاء، ولذلك هو أصلح لمن يكد ويتعب ويحتاج إلى غذاء متين قوى .

خبز الملة :

وأما خبز الملة فأغلظ فجاجة ونهوة، وأقل نضجا من خبز الفرن، وأعسر خروجًا، وأكثر غذاء إذا انهضم. وليس يخفى ما مضاده، وبما تدفع، على من فهم ما تقدم من كلامنا .

خبز الطابق :

وأما خبز الطابق فأخف من خبز التنور، ولا سيما متى رقق، فهو لذلك أعسر خروجا ، وليس بأكثر غذاء من خبز التنور .

وتبين مما ذكرنا أن أحوال صنوف الخبز فى منافعها ومضارها تختلف بحسب الأبدان وأحوالها ومهنها وبلدانها، إلا أن الأبدان القوية الهضم ، أو الكثيرة التخلخل ، أو الكثيرة التعب ، تحتاج إلى الأكثر والأغلظ غذاء والأبطأ نزولا وتحليلا . وأما الأبدان المستحصفة والمخصبة والعديمة للتعب فتحتاج إلى الألطف غذاء والأسرع خروجا وتحللاً .

أوفق صنوف الخبز :

أوفق صنوف الخبز فى أكثر الأحوال الحوارى المعتدل الملح والبورق والتخمير المختبز فى التنور المعتدل فى غلظه ورقته ، لأن هذا خبز معتدل فى كثرة الإغذاء وقلته وسرعة خروج سفله وبطئه ، والأبدان المعتدلة والقريبة من الاعتدال أكثر من التى فى الإفراط . وكذلك الحال فى المهن والبلدان، فإن الناس المعتدلى التعب أكثر من المفرطى التعب والبطالين . وكذلك ساكنو البلدان المعتدلة والقريبة من الإعتدال أكثر من ساكنى الواغلة فى الشمال والجنوب ...

اختلاف الحنطة فى الخبز:

وفيما ذكرنا من أمر الخبز المعمول من الحنطة كفاية على أن الحنطة تختلف فيختلف الخبز بحسب اختلافها . فيكون المتخذ من الحنطة الحمراء الرزينة العذبة واللزجة لزجًا علكًا، ويكون أكثر غذاء، وأبطأ انحدارا، وأحوج إلى تكثير الملح والخمير والبورق. والأولى أن يتعهد آكلوه أنفسهم بالرياضة والحركة، وبما يفتح السدد ويمنع من تولد الحصى .

فى الخبز من البيضاء :

والمتخذ من الخبز من الحنطة البيضاء الهشة الخفيفة المسفنة أقل حاجة إلى ذلك . وجملة منفعة الحنطة أنها تغذو البدن وتولد دما يتولد منه اللحم وجوهر جميع الأعضاء، فيكون خلفا مما تحلل .

جملة منفعة الحنطة ومضارها.

وجملة مضار الحنطة ما قد ذكرنا، ويدفع بما قد وصفنا .

والحنطة أوفق حبة عمل منها الخبز ، وأشدها ملاءمة لبدن الإنسان المعتدل . وإذا كانت نيئة فربما تولد منها حب القرع، ويدفع ذلك بأن يتحسى بعقبه المرى النبطى والخل الثقيف.

وإدمان أكل المقلو منها يعقل البطن، فلذلك ينبغى أن يتلاحق بما يسهله إسهالا معتدلا، كالفانيد السجزى، والتين العلك، وما أشبه ذلك .

وأما الحنطة المطبوخة والفريك فينفخان جدًّا، ولذلك ينبغى أن يؤخذ بعدهما جوارشن الملوكى والفلافلى، ويحذر شرب الماء الكثير عليهما ، فإن ذلك يورث القولنج النفخى (منافع الأغذية ودفع مضارها/ ٢٠ـ٣٥) .

وقد أورده صاحب الأرجوزة الشقرونية فى الأطعمة المركبة، مما ننقله لك فيما يلى، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص . قال الناظم :

١٠٣ - *الخبز حافظ لصحة البدن*
مسمن مولد دما حسن

١٠٤ - *أفضله ما عمه الخمير*
وشره المحروق والفطير

١٠٥ - *فاختر من الخبز كثير العرك*
حتى يُرَى عجينه كالعلك

١٠٦ - *من خالص الحنطة جيد العمل*
يسرى من الصحة غاية الأمل

١٠٧ - *أما الذى يصنع من شعير*
فيطفى اللهيب من محرور

١٠٨- *وخبز غير القمح والشعير*
جم السقام عادم التدبير

١٠٩ - *لا تقربنه واحذرن شروره*
إلا إذا دعت له الضروره

(الطب العربى/ ٨٧) .

قالت المؤلفة : نحن نعلم أن الشعر ديوان العرب، كانوا

يسجلون فيه مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومساكنهم وطريقة حياتهم وطبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم ... إلخ ومن ثم فإننا نجد الخبز وأنواعه يدور فى أشعارهم، ونسوق هنا أمثلة منه من مجموعتى التى كنت أعدها لتكون أساسا لبحثى فى هذا المجال.

فقد جاء ذكر الخبز «النقى» ـ ولعله الحوارى الذى سبق الكلام عنه ـ باعتباره طعام الأثرياء، ومن ثم كان إطعام الناس إياه مدعاة للفخر، فنسمع الشاعر يقول:

يُطعِمُ النـــــاس إذا أمْحلـــــوا

مـن نَقِـيٍّ فـــــوقـــــه أُدُمُـــــهْ

والخبز مع اللحم مع الكثير من السمن فى الطعام شىء محبب، فيقول الشاعر:

مَنْ سَغْبَلَ اليـــومَ لنـــا فقـــد غَلَـبْ

خُبْـزًا ولحْمًـا فهـو عنـد النـاس حَبْ

فالسغبلة أن يثرد اللحم مع الشحم فيكثر دسمه. كذلك فإن وجود الخبز واللحم يدل على الثراء، وهو أمر يُتباهى به، كقول الشاعر:

الخبـــــزُ واللحْـمُ لهـم راهـنٌ

وقهـــوةٌ راووقهـــا ســـاكـبُ

وعلى العكس من ذلك، فإن العَسْم، والجمع عسوم، . وهى كسر الخبز اليابس القاحل، هو طعام المحرومين، ومن ثم فهو ليس من طعام أهل الجنة، كما قال أمية بن أبى الصلت فى صفة أهل الجنة:

ولا يتنـــازعـــون عنَـــانَ شـــرْكٍ

ولا أقـــوَاتُ أهْلِهـمُ العُسُـــومُ

(لسان العرب لابن منظور ١٢/ ١٠٩٢، والمعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م/ ١٧٧، ١٩٦، ٥٩١، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٧ ـ ١١٩، وقاموس الأطبا وناموس الألبا لمدين بن عبد الرحمن القوصونى المصرى ١/ ١٦٣، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٦، ١٣٧، والكليات فى الطب لابن رشد ـ تحقيق وتعليق د. سعيد شيبان، ود. عمار الطالبى ٢٤٧ ـ ٢٤٩، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى ـ قدم له وخرج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى / ٨٤، ٨٥، والطب النبوى للإمام ابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق، وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود فرج العقدة / ٢٣٤، ٢٣٥، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبى بكر محمد ابن زكريا الرازى ـ راجعه وقدم له د. عاصم عيتانى / ٢٠ ـ ٣٥، والطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهارى التازى / ٨٧).

*** خبز رسول الله ﷺ:**

جاء فى زهر الخمائل للإمام السيوطى:

١ ـ «كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويًا هو وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير».

طاويا: أى خالى البطن جائعا.

الحديث حسن صحيح عن ابن عباس

٢ ـ «أكل رسول الله ﷺ النَّقِى يعنى «الحُوَّارَى». النقى هو الخبز الحُوارى. والحُوارى: هو الذى نخل مرة بعد مرة. والمقصود به الدقيق الأبيض. وكما جاء فى المعجم الوسيط هو «لُباب الدقيق» أخرجه المؤلف فى الزهد. رواه أبو حازم عن سهل بن سعد أنه قيل له: وهو حديث حسن صحيح.

٣ ـ «ما أكل النبى على خوان، ولا فى سُكُرُّجَة ولا خُبزَ له مُرقَّق».

سكُرُّجَه (بضم السين والكاف والراء المشددة) إناء صغير يؤكل فيه الشىء من الأُدم. وهى فارسية، أكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها. ولا خُبزَ له مرقَّق: قال فى النهاية: هو الأرغفة الواسعة الرقيقة

(زهر الخمائل على الشمائل للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٨٩، ٩٠ وهوامش المحقق).

*** الخبزة (مسجد.):**

من المساجد الأولى فى الإسلام، ويقع هذا المسجد فى الطائف عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزة. ويذكر أن النبى ﷺ جلس تحتها حين أتاه عدَّاس بطبق العنب. ويعلق

العجمى على تاريخ المرجانى فيقول «وفيه نظر، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبى ﷺ عمد إلى ظل حبلة من عنب فأتاه عداس بالطبق ، لكنه يحتمل أنه جلس فى ظلها ثم تحول إلى السدرة المذكورة .

ويضيف العجمى على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا إن صح دليل على أن البستان الذى عندها هو حائط ابن ربيعة الذى دخله ﷺ. على أن هذه السدرة لم أجد (أى العجمى) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمثناه عند العين ، فقد قيل إنها من عهده ﷺ وأن المسجد الذى عندها هو الذى جلس فيه النبى ﷺ حين أتاه عداس» .

ويقع المسجد الآن سنة (١٣٩٨ هـ) فى بساتين فى وج عند أقدام (أم خبز) وهو مربع الشكل تقريبا يبلغ طول ضلعه (١٢) مترا . ويحيط بالمسجد من جهتين فقط صحن مكشوف الجهة الشرقية والجنوبيه ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار. ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول ضلعه تسعة أمتار. ويوجد المحراب فى الضلع الشمالى للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجى بمقدار متر تقريبًا .

وهو مسجد جامع إذ يحتوى على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوى على مئذنة تقع فى الركن الجنوبى الشرقى للجامع على يمين المدخل الرئيسى للجامع . وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهى بطاقية ، فهى بذلك تشبه طراز المآذن التى بنيت فى مصر واليمن فى القرن السابع الهجرى ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر الأيوبى أو أوائل العصر المملوكى .

ويقع المدخل الرئيسى للجامع فى الضلع الجنوبى قريبًا من الركن الشرقى للجامع ، ويعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص ، ويعلو عتبه كتابة محصورة فى (بحر عريض) زالت الآن .

(مساجد فى السيرة النبوية ، د. سعاد ماهر الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٧ / ٢١ ، ٢٢) .

* **الخَبْل:**

فى علم العروض والقافية ، الخَبْل :

زحاف مزدوج . وهو سقوط الثانى والرابع الساكنين ، كسقوط السين والفاء من مستفعلن مُتَعِلُنْ (ب ب ب ـ) فهو خبن وطىٌّ . وأصل الخَبْل فساد الأعضاء نحو ذهاب اليد والرجل .

فالخبل فى مستفعلن يُشَبَّه بذهاب أحد الأعضاء ، فكأنَّ السَّاكن يد السبب ، فإذا حذف الساكنان صار الجزء كأنَّه قطعت يداه فبقى مضطربا . ويقع الخبل فى البسيط والرجز والسريع والمنسرح ولا يجوز الخبل فى مستفعلن الواقعة بعد مفعولات فى المنسرح لأن قبله حركة الوتد المفروق فيجتمع خمس حركات على نسق ، ولا يجرى الخبل فى المقتضب .

ومن أمثلة الخبل فى البسيط :

وَزَعَمُوا أنَّهم لَقِيَهُمْ رَجُلٌ ... فَأخَذُوا مَالَهُ وَضَرَبُوا عُنُقَه

مُتَعِلُنْ فَاعِلُن مُتَعِلُنْ فَعِلُن ... مُتَعِلُن فَاعِلُنْ مُتَعِلُنْ فَعِلُن

ومن الرجز:

وَثِقَلٍ مَنَعَ خَيْرَ طَلَبِ ... وَطَلَبٍ مَنَعَ خَيْرَ تُؤَدَهْ

ويجوز أن ينقل مُتَعِلُنْ إلى «فَعَلَتُنْ» . ويسمى الجزء الذى يصيبه هذا الزحاف «مَخْبُولا» .

(معجم مصطلحات العروض والقافية ــ د . محمد على الشوابكة و د . أنور سويلم . دار البشير . عمان . الأردن ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م / ٩٨ ، ٩٩ انظر أيضا التعريفات للشريف الجرجانى - تحقيق وتعليق د . عبد الرحمن عميرة / ١٣١)

* **الخَبْن:**

فى علم العروض والقافية الخَبْن :

خَبَنَ الثَّوبَ إذا رَفَعَهُ إلى صَدره . وهو إسقاط الثَّانى الساكن ، وفى العين «المخبون من أجزاء الشعر ما قبض من حروف مشوه مما يجوز فى الزحاف فيلزم قبضه كقولك فى «فاعلن» «فعلن» فى القافية ، أو فى النصف فيلزم ذلك القبض ، وذلك الشعر مخبون والجزء مخبون» ويجرى الخبن فى كل فاعلن فى المديد إلا فى الواقع ضربا وعروضا

(فى العروض الثانية والضرب الثانى)، وفى كل فاعلاتن فى المديد إلا فى الضرب الأول، كما يجوز خبن فاعلات فى المديد. ويجرى فى البسيط خبن مستفعلن ومستفعلان وفى كل فاعلن ومستفعلن فيه. وفى كل مستفعلن ومستفعل فى الرجز. وكل فاعلاتن وفاعلن وفاعلان وفاعلاتان فى الرمل، وفى كل مستفعلن ومفعولات فى المنسرح، وكل فاعلاتن ومس تفع لن فى الخفيف وكل مستفعلن وفاع لاتن فى المجتث.

(معجم مصطلحات العروض والقافية ــ د. محمد على الشوابكة، و د. أنور سويلم / ٩٩، ١٠٠).

* **خبيب بن عدى:**

انظر: الرجيع (يوم ـ)

* **الخبير جل جلاله:**

الاسم الثانى والثلاثون من أسماء الله الحسنى. قال فى تفسيره حجة الإسلام الغزالى:

هو الذى لاتعزب عنه الأخبار الباطنة؛ ولا يجرى فى الملك والملكوت شىء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نفس ولا يطمئن ـ إلا ويكون عنده خبره.

وهو بمعنى العليم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمى خبرة، وسمى صاحبها خبيرا.

[تنبيه]: حظ العبد من ذلك أن يكون خبيرا بما يجرى فى عالمه.. وعالمه: قلبه، وبدنه. والخفايا التى يتصف القلب بها من: الغش، والخيانة، والتطواف حول العاجلة، وإضمار الشر، وإظهار الخير، والتجميل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس عنه ــ لا يعرفها إلا ذو خبرة بالغة، قد خبر نفسه ومارسها، وعرف مكرها وتلبيسها وخدعها، فحاذرها وتشمر لمعاداتها، وأخذ الحذر منها. فذلك من العبيد جدير بأن يسمى خبيرا. (المقصد الأسنى / ٩٣، ٩٤).

وقال الإمام الفخر الرازى:

قال تعالى **﴿وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك: ١٤] وقال: **﴿والله بما تعملون خبير﴾** [البقرة: ٢٢٤] وقال **﴿فاسأل به خبيرا﴾** [الفرقان: ٥٩] وله تفسيران.

الأول: هو العالم بكنه الشىء، المطلع على حقيقته، وهو المراد بقوله **﴿فاسأل به خبيرا﴾** يقال: فلان خبير بهذا الأمر وله به خبرة، وهو أخبر به من فلان، أى أعلم، إلا أن الخبير فى صفة المخلوقين إنما يستعمل فى العلم الذى يتوصل إليه بالاختبار والامتحان، والله منزه عنه.

والثانى: ما ذكره الشيخ عبد الملك الطبرى، وهو: أن الخبير بمعنى المخبر، فهو فعيل بمعنى مفعل، وهو كثير فى كلام العرب، كالسميع بمعنى المسمع والبديع بمعنى المبدع، فيكون الخبير هو المخبر، وهو عبارة عن كلامه.

أما حظ العبد منه فهو: أن يكون شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق ومقابحها، وعن أن ما معه من الصفات والأخلاق من أى القسمين، وأن لا يغتر فى هذا الباب بأنواع تلبيس إبليس.

قول المشايخ فى هذا الاسم: وأما المشايخ فقالوا: من عرف أنه خبير كان بزمام التقوى مشدودا، وعن طريق المنى مصدودا، قال على بن الحسنين من أراد عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا فقر؛ فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة، قال تعالى: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾** [النحل: ٦١] (شرح أسماء الله الحسنى / ٢٤٨، ٢٤٩].

الخبير جل و جلاله معناه: لا تعزب عنه الأخبار ظاهرها وباطنها، لا فى السموات ولا فى الأرض، وهو معكم أينما كنتم لا تخفى عليه خافية.

وقال الله جل جلاله: **﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾** [الرعد: ١٠].

وقال الله تعالى: **﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾** [الأنعام: ٧٣].

وقال الله سبحانه: **﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾** [الملك: ١٤].

وقال الله سبحانه: **﴿وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنىَ العليم الخبير﴾** [التحريم: ٣].

ومن صفات الخبير أن يكون سميعًا بصيرًا عالمًا بكل شيء.

وإنك إذا تدبرت قول الله تعالى:

﴿والله بما تعملون خبير﴾ [البقرة: ٢٣٤]

﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠]

﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ [النمل: ٨٨]

﴿إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى: ٢٨]

علمت أن الله خبير بكل شيء لا تخفى عليه منكم خافية.

وحظ العبد من اسم ربه (الخبير جل جلاله): أن يكون خبيرا في عوالم نفسه، في قلبه وفي نفسه فيزدجر عما نهى الله عنه لأنه سوف يسأل عما قال أو فعل.

وقالوا: من ذكره سبعة أيام أتته روحانية من عند (الخبير: جل جلاله) فتخبره بكل خبر يريد. والله أعلم.

وقد ورد اسم الخبير (جل جلاله) في القرآن الكريم ست مرات: في الأنعام مرتين، وفي سبأ مرة، وفي الملك مرتين، وفي التحريم مرة، مقترنا ثلاث مرات باسمه الحكيم، ومرتين باسمه اللطيف، ومرة باسمه العليم. (ولله الأسماء الحسنى ٩٠/ ٩١)

(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ٩٣، ٩٤، وشرح أسماء الله الحسنى للإمام فخر الدين الرازي - راجعه وقدم له وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ٢٤٨، ٢٤٩، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها - جمع وترتيب أحمد عبد الجواد. قرأه فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود وشعبان على خليل عبد الرحمن، ومحمد المهدى محمود على / ٩٠، ٩١)

*** الخبيص:**

الخبيص: الحلواء المخبوصة، والخبيصة أخص منه (اللسان ١٢/ ١٠٩٣) نوع من الحلوى يعمل من دقيق الحنطة مع دهن اللوز والشيرج، وبعد انطباخ الدقيق في الدهن يجعل عليه شيء من السكر أو العسل. قال الإمام ابن الجوزى: أصلح للدماغ من الفالوذج، لكنه يضر الكبد الغليظة. دفع ضرره بالخيار الغض (مختصر لقط المنافع / ٦٧، ٦٨).

وقال الإمام أبو بكر الرازى: أقل لزوجة من الفالوذج، وأجود للمعدة. وإذا كانت خبيصة جيدة نضيجة لم يكن لها كثير وخامة ووقوف في المعدة. ويصلح إسخانها للمحرورين بلقم من الخيار بالخل من بعدها والرمان الحامض (منافع الأغذية / ٢٣٨)

(لسان العرب ١٢/ ١٠٩٣) ومختصر لقط المنافع للإمام أبي الفرج ابن الجوزى - تحقيق أحمد يوسف الدقاق/ ٦٧، ٦٨ وهامش ٣ للمحقق، ومنافع الأغذية ودفع مضارها لأبي بكر محمد بن زكريا الرازى - راجعه وقدم له د. عاصم عيتاني / ٢٣٨).

*** الخبيصى (-نحو ١٠٥٠ هـ/ نحو ١٦٤٠ م):**

عبيد الله بن فضل الله، فخر الدين الخبيصى، متكلم منطقى له كتب، منها «التذهيب في شرح التهذيب» في المنطق، و «التجريد الشافى» منطق أيضا، و «شرح منظومة اليافعى في التوحيد» مخطوط بدار الكتب.

(الأعلام للزركلى ٤/ ١٩٦)

قالت المؤلفة: عندى كتاب للخبيصى بعنوان شرح الخبيصى على متن تهذيب المنطق للعلامة الشيخ عبيد الله ابن فضل الخبيصى على تهذيب المنطق والكلام للسعد التفتازانى. ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده. الطبعة الرابعة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦.

*** الختم:**

ختم: الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع والثاني الأثر الحاصل عن النقش ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب نحو: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧] ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ [الجاثية: ٢٣] وتارة في تحصيل أثر عن شيء اعتبارا بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره فقوله:

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ وقوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم﴾ [الأنعام: ٤٦] إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى فى اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصى وكأنما يختم بذلك على قلبه وعلى ذلك: ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾ [النحل: ١٠٨] وعلى هذا النحو استعارة الإغفال فى قوله عز وجل ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ [الكهف: ٢٨] واستعارة الكن فى قوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ [الأنعام: ٢٥] و [الإسراء: ٤٦] واستعارة القساوة فى قوله تعالى: ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ [المائدة: ١٣] قال الجبائى يجعل الله ختما على قلوب الكفار ليكون دلالة للملائكة على كفرهم فلا يدعون لهم، وليس ذلك بشىء فإن هذه الكتابة إن كانت محسوسة فمن حقها أن يدركها أصحاب التشريح، وإن كانت معقولة غير محسوسة فالملائكة باطلاعهم على اعتقاداتهم مستغنية عن الاستدلال. وقال بعضهم: ختمه شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن، وقوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ [يس: ٦٥] أى نمنعهم من الكلام ﴿وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] لأنه ختم النبوة أى تممها بمجيئه. وقوله عز وجل: ﴿ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٦] قيل ما يختم به أى يطبع، وإنما معناه منقطعه، وخاتمة شربه: أى سؤرر فى الطيب مسك، وقول من قال يختم بالمسك أى يطبع فليس بشىء لأن الشراب يجب أن يُطيَّب فى نفسه فأما ختمه بالطيب فليس مما يفيده ولا ينفعه طيب خاتمه ما لم يطب فى نفسه.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٤٢، ١٤٣)

*** ختم الأحاديث النبوية:**

يتحدث الشيخ محمد بن الخوجة عن تقليد جليل كان متبعا فى تونس.

قالت المؤلفة: أقول «كان» متبعا بالفعل الماضى لأنه ليس لدى من المراجع مايثبت أن هذا التقليد الجليل لا يزال متبعا فى زماننا هذا، مع ملاحظة أن ابن الخوجة يذكر فى ختام كتابه أنه فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٨.

وهذا التقليد الذى يصفه الشيخ محمد بن الخوجة هو ختم الأحاديث النبوية فى تونس فى شهر رمضان. ويبدأ بمقدمة عن العناية بالأحاديث النبوية ثم ينتقل إلى الكلام على الختم، مما ننقله لك فيما يلى. قال الشيخ محمد بن الخوجة رحمه الله؛ مع ملاحظة تخفيف الهمزة فى ألفاظ مثل «الأئمة» إذ يكتبونها فى المغرب العربى «الأيمة»:

اعلم أن العناية بالأحاديث النبوية قديمة فى الإسلام، لأنها تعلِّم المخلوق كيفية معاملته لخالقه، واعتقاده الحق فى ذاته وصفاته تعالى، وكتبه، ورسله، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وسيرهم الحميدة، وقصصهم، كما تعلم مصالح الدنيا، وكيفية معاشرة الخلق على الوجه الحسن، وكيفية تعامل الناس بين بعضهم على الوجه الأجمل، وعلم الحديث تتعلق به علوم، منها، تفسيره، ومنها علم المصطلح، وهو علم يعرف به قوة سنده الذى به وصل إلينا، وتراجم الرجال الناقلين له، كما يعلم به الأحاديث الموضوعة التى تنسب لصاحب الشريعة ولم يقلها ﷺ، وقد برع فى هذا العلم كثير من أقطاب الملة، وانتهت صحة الرواية فيه إلى الرواة الستة أصحاب المسانيد المعروفة بكافة بلاد الإسلام، وهو: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ (٨٦٩) (يوافق وفاته لفظ «نور» بحساب الجُمَّل)، والإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ (٨٧٤) والإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ (٨٨٦) والإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ (٨٨٨) والإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ (٨٩٢) والإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ (٩١٥) فهؤلاء الأيمة اتفق أهل الحديث على صحة كتبهم، كما أجمعوا على أن صحيح الإمام البخارى هو أفضلها على المذهب المختار، وأنه أول كتاب بعد القرآن كلام الله القديم، وأول كتاب صنف فى الحديث كتاب ابن جريج، وقيل موطأ مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

واعلم أن أختام الحديث التى تقع بتونس كل عام فى أيام معلومة من شهر رمضان، مستمدة من صحيح الإمام البخارى، إلا ما شذ منها كما سترى خبره. ولما كان الحديث هو الركن الثانى الذى أقيم عليه هيكل الشريعة الإسلامية بعد الركن الأول الذى هو كتاب الله تعالى، وجه إليه العلماء شرقا وغربا كامل عنايتهم تلاوة وفهما وتفهيما، قاصدين بذلك تدعيم أصول الدين، وتوثيق عرى حبله المتين، حتى ينتفع الخاصة بفهم أسراره، ويتيمن العامة ببركة أنواره، وعلى هذه القاعدة درج أيمة السلف، واقتدى بهم علماء الخلف، فكانوا السابقين اللاحقين للكرع من مناهل رياضه، والارتواء من سلسبيل حياضه، وهى سُنة متبعة بكافة الأقطار، بين أهل الأعصار، وكما أنها لم تزل بفضل الله قائمة بهذه الديار، كذلك كان شأنها بغيرها من الأمصار، فقد نقل الشيخ محمد بيرم الثانى حديث ختم للحافظ ابن كثير صاحب كتاب البداية والنهاية فى التاريخ، قام به فى دمشق الشام سنة ٧٦٥ (١٣٥٥) وعلى هذا المنوال جرى عمل علماء تونس منذ قرون، يشهد بذلك اعتناء أهل البر والمعروف منذ عهود بعيدة بتأسيس الأوقاف الخيرية الجارية أريباعها لهذا الزمان بعنوان رواية الحديث فى كثير من الجوامع والمساجد والمدارس التونسية، وكان لم يزل لأهل تونس عظيم اعتناء بشأن ختم الحديث، فقد نقل المؤرخ ابن أبى دينار: أن لأهل تونس اهتماما عظيما بمجالس الأختام واحتفالا كبيرا بها، حتى إنهم يشتغلون بها عن كل ما سواها. قال: ويغلقون حوانيتهم، وينادى المنادى فيهم ألا إن الختم لجامع البخارى غدا صباحا أو عشية فى موضع كذا، فيفزع الناس، ويتسارعون شيوخا وكهولا، ذكورا وإناثا، وربما دام الختم عندهم من طلوع الشمس إلى قرب الزوال. اهـ. قلت: ولم تكن رواية الحديث عندهم خاصة بشهر رمضان، بل كان منها ما يبتدئ فى كل عام من شهر رجب، ومنها ما يكون فى سائر أيام العام، بشرط انتهاء الرواية فى يوم معلوم من شهر رمضان، اصطلحوا على تسميته بيوم الختم، وربما كان من شروط الواقفين رواية الصحيح كله فى مدة الحول أو فى الأشهر الثلاثة، رجب، وشعبان، ورمضان، قال المؤرخ حسين خوجة فى كتاب بشائر أهل الإيمان: إن القاضى الشيخ حمودة الريكلى، من فقهاء دولة على باشا، كان يروى الحديث على دور العام بزاوية سيدى معاوية، وقد عرفنا من شيوخ الجيل الماضى من كان قائما بمثل ذلك على الوجه الأتم، كالمرحوم أبى النخبة الشيخ مصطفى البارودى الإمام الأول بجامع باردو، فكان يقوم برواية الصحيح كله فى مسجد الطراز كل عام، إلى أن أدركه أجله فى سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) وكان بعض أهل العلم يتولى رواية الحديث بطريقة دورية فى سائر أيام الجمعات مدى العام كله، ومن هذا القبيل كان صنيع العلامة الشيخ سالم بوحاجب، كبير أهل الشورى المالكية، أثناء مباشرته للإمامة والخطبة والرواية بجامع سبحان الله، وكتب فى ذلك شرحا جامعا لجملة من أبواب صحيح الإمام البخارى، سمعت ذلك من بعض الشيوخ بمناسبة حديث دار فى مجلسه عن الشرح الذى كتبه الشيخ الشنقيطى على الصحيح المشار إليه.

هذا وقد رأيت بكناش لبعض الأفاضل، أن أول ختم للحديث بتونس أسسه أحد سلاطين بنى أبى حفص بجامع أبى محمد خارج باب السويقة، ويظهر من كلام المؤرخين أن رواة الحديث بتونس، كانوا كثيرين فى الدولة المرادية، ولكن الأختام كانت بالرواية المجردة، وشذ منها ما كان دراية. قال فى المؤنس: ولم يكن بالديار التونسية من يوم حل بها العسكر العثمانى من تعاطى الرواية والدراية إلا الشيخ العالم العلم الربانى أبو عبد الله محمد تاج العارفين العثمانى (يتصل نسبه بالخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه) سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان، وكان مجلسه بالجامع الأعظم من أَجَلِّ المجالس، وتحضره الأجلاء من أهل العلم، وتدور بينهم المباحث الجميلة فى العلوم الجليلة، ولا يخلو مجلسه من فوائد فى الثلاثة أشهر: رجب، وشعبان، ورمضان، إلى يوم الختم، وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان اهـ.

ثم قال: وتلاه ولده العلم الشهير، والعالم النحرير، الشيخ أبو بكر، فسار بسيرة والده، وقام بعلم الحديث الشريف أحسن قيام، وشهد له بالدراية علماء الإسلام، فكان فى هذا

الفن نسيج وحده، وحصل له سر أبيه وبركة جده، إلى أن سار إلى رحمة ربه فى سنة ١٠٩٣ (١٦٨٢) فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا غير ا هـ. قلت: وهكذا استرسل الأمر من حصر أختام الحديث فى الرواية المجردة بنية التبرك وحسب فى كامل القرن الثانى عشر، ودام العمل كذلك إلى أواخر دولة المرحوم الباى حمودة باشا الحسينى. ففى سنة ١٢٢٦ (١٨١١) تصدى العلامة قاضى الجماعة لعهده أبو العباس الشيخ أحمد بن الخوجة الأول لإحياء الأختام دراية على معنى الجمع بين فضيلتى الجهة التعبدية، والغاية العلميّة العملية الكفيلة بسعادة الدارين، فكان ختمه رحمه الله فى باب التهجد من صحيح البخارى مبدأ لنفائس التحقيقات، وبدائع التحريرات، نسج على منواله من بعده علماء الديار التونسية جيلا بعد جيل.

قالت المؤلفة: جاء فى هامش التحقيق التعليق التالى:

كان هذا الختم هو أول أختام الحديث دراية بتونس فى الدولة الحسينية قرضه رئيس علماء زمانه الشيخ محمد بن قاسم المحجوب الملقب بمالك الصغير بأبيات ننقلها هنا عن أحد الكناشات الخوجية إتماما للفائدة ونصها:

لله هذا الذى قد راق وابتهجا
ومنهج الحق والتحقيق قد نهجا
محكم النسج لا يخشى معارضة
لأنه بيد الإتقان قد نسجا
نزهت فكرى فى أفنان ما غرست
يد الذكاء به متنشقا أرجا
لم لا وواضعه فرد الزمان ومن
يعدله منصب الأحكام قد لهجا
قاضى القضاة وفخر العصر منصبه
من التقدم معروف لكل حجا
أوضحت فيه أبا العباس مجتهدا
وجه التهجد حتى قام مبتهجا
لا أغمد الله سيفا أنت مصلته
من العلوم وفى صدر الحسود شجا
ولا برحت كذا فى كل قابلة
تقلد الختم من أنظاركم حججا

يقول ابن الخوجة رحمه الله:

وكان لملوك تونس فى الماضى كما فى الحاضر عناية بأختام الحديث، يحضرونها مع وزرائهم، وأهل بلاطهم فى مواكب حافلة لم يزالوا محافظين عليها إلى هذا الزمان، وفى هذا العصر وسع مولانا المؤيد بالله ولى النعم سيدنا أحمد باشا باى الثانى خلد الله ملكه فى برنامج مواكبه المتعلقة بأختام الحديث فى شهر رمضان، حيث قرر حضوره بالذات فى ثمانية من تلك الأختام، زيادة على ختم جامعه بالمرسى. وتلك الأختام الثمانية هى: ختم جامع أبى محمد، وختم جامع حرمل، وختم جامع الحلق، وختم جامع حمودة باشا، وختم جامع صاحب الطابع، وختم جامع يوسف داى، وختم جامع الزيتونة، وختم جامع سبحان الله. وجميع الأختام بوجه عام تنعقد فى تونس هذا الزمان بعد صلاة العصر، وكانت فى القديم تنعقد فى الصباح وفى المساء على حد سواء وبعضها يبلغ مجلسه لدرجة الازدحام كأختام الشيخ أحمد بن الخوجة الثانى، وأختام الشيخ سالم بو حاجب رحمهما الله. قال فى المجلة الزيتونية: وربما وقع اختيار بعض أهل العلم من رجال هذه الدروس، يغنى الأختام، على بعض النوازل الحادثة، فيتناولها بحثا وتحقيقا ويبين ما يراه فيها على قواعد العلم. ومن هؤلاء العلامة الطائر الصيت، ومثال التحقيق وسعة النظر، الشيخ أحمد بن الخوجة، شيخ الإسلام المتوفى فى ذى الحجة ١٣١٣ (١٨٩٥) فقد كان تناول مسألة العمل بخبر البرق (التلغراف) فى الصوم فى مجلس ختمه بجامع محمد باى المرادى سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣) لورود خبر الصوم ببرقية فى هذا الشهر، وجاء فى الموضوع بتحقيق بديع ا هـ.

ثم قال: وكان العلامة الواسع الاطلاع، الشيخ محمد النجار، المفتى المالكى، المتوفى فى رمضان عام ١٣٣١ (١٩١٢) يتناول فى مجالس أختامه مسائل الوسيلة، والاجتهاد، والكسب، وغيرها، مما صار موضوع أخذ ورد بين الكاتبين منذ أربعين عاما ا هـ.

وقد ذكرنا فيما تقدم، أن أغلب الأختام بتونس تقع من الجامع الصحيح للإمام البخارى، وقل أن تكون من صحيح الإمام مسلم. وممن كان يختم منه العلامة أبو الفلاح الشيخ صالح النيفر، كبير أهل الشورى المالكية، وكان العلامة أبو النجاة الشيخ سالم بو حاجب يختم من موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وهو أول من كتب على أبوابه فى مجالس الأختام. واتفق لبعض الشيوخ الختم من كتاب الشفاء للقاضى عياض. ومن ذلك الأختام التى كان يقوم بها أبو العباس الشيخ أحمد جمال الدين، بجامع المرسى، بحضور أمير عصره المولى على باى الثالث رحمه الله. هذا ولو تصدى أحد لجمع أختام علماء تونس، لتكوّن لديه عدة مجلدات فى مسائل شتى من الكتاب والسنة، صالحة لكل زمان ومكان. وقد كنت سعيت لجمع أختام الحديث الواقعة فى سنة ١٣٢٠ وطبعتها فجاءت فى سفر جليل استغرق أكثر من ٢٦٠ صفحة فى القالب النصفى أهديت منها نسخا لأصحاب هاتيك الأختام ولبعض الذوات الكرام، بنية استنهاض همم أهل العلم للنسج على ذلك المنوال والتمادى على ذلك المشروع ويلوح أنهم اكتفوا اكتفاء القنوع بما هو مطبوع.

هذا وقد جرت العادة بتونس أن صاحب الرواية يقوم فى آخر الختم بتلاوة دعاء للمولى الأمير ولعامة المسلمين يقرأه على رؤوس الأشهاد، والحاضرون يؤمنون على دعائه. وهى سنة قديمة درج عليها السلف قبل الخلف. لكن هذه الأدعية كانت فى الزمن الماضى خالصة لله تعالى، مجردة عن التلميح لأعراض الدنيا، خالية عن التلويح، لغايات فى النفس. ولننقل لك على سبيل الذكرى التى تنفع نموذجا من أدعية بعض من سلف من الشيوخ من أيمة القرن الماضى. فمن ذلك دعاء ختم به الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الرياحى ختمه بجامع الزيتونة ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) بحضور أمير العصر.

وهنا يورد الشيخ ابن الخوجة نص الدعاء المشار إليه، ويعقبة بنص دعاء آخر ختم به جده أبو عبد الله الشيخ محمد ابن الخوجة بجامع محمد باى المرادى فى ٢٢ رمضان من سنة ١٢٦٠ المذكورة بحضور الأمير المشير، وكان موضوع الختم قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق وهم أهل العلم. ونص الدعاء بعد مقدمة جامعة فى الابتهال والتوجه إليه تعالى بحرمة رسول الله ﷺ. ثم يقول رحمه الله:

هذا ويلتحق بأختام الحديث الشريف بحاضرة تونس ختم جامع باردو دار الإمارة وختم جامع جبل المنار وختم جامع المرسى. فالختمان الأولان سنهما المرحوم المولى حسين بن على مؤسس جامعيهما. وأما ختم جامع المرسى الذى هو من مآثر الدولة الحفصية فإنه من حسنات المقدس المولى على باى الثالث، والد سيدنا ومولانا الملك الموجود، متع الله ببقائه الوجود. ولم نقف بالتاريخ على وجود ختم للحديث بجامع حلق الوادى الذى كان دار ملك فى القرن الماضى، ينزل بها الأمير فى زمن المصيف، والسبب فى ذلك والله أعلم، هو أن جامع حلق الوادى بناه المشير أحمد باى فى سنة ١٢٦٩ (١٨٥٢) مع قصر الإمارة القريب منه، وتم بناء هذا القصر فى سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) وسكنه الباى أثناء مرضه. إلا أن المنية عاجلته، فختم به أنفاسه فى رمضان سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) هذا وقد كان المشير محمد الصادق باى من أكثر الملوك الحسينيين عناية بختم الحديث الشريف. قال فى المجلة الزيتونية. كان تعجبه المباحثات العلمية والأخذ والرد فيها. وكان من المسارعين فى البحث بها يومئذ من أهل العلم العلامة شيخ الإسلام أبو العباس أحمد كريم رحمه الله. ولشدة عناية هذا الأمير بحضور مجالس الأختام، كان يجمع أحيانا فى المساء الواحد بين الختمين اهـ. قلت إن المشير محمد الصادق باى كان شديد المحافظة على التقاليد والسنن المتبعة فى بيت الملك. من ذلك كان يقيم ببيته مجلسا لقراءة دعاء عاشوراء، يقوم بتلاوته الشيخ باش كاتب وزير القلم، واتفق لهذا الوزير فى بعض السنين حصول انحراف بمزاجه منعه عن إتمام ذلك، فاستناب الشيخ الوالد للقيام مقامه، فقرأ الدعاء بين يديه بالقصر السعيد بينما كان سموه مكشوف الرأس، باسطا أكف الضراعة لملك الملوك جل جلاله. هكذا سمعت من والدى رحمه الله. وأما المشير محمد باى فلم يؤثر عنه إلا الحضور بختم الجامع الأعظم. وكان ابن عمه المشير الأول أحمد باى لا يتخلف عن أختام معلومة،

منها ختم جامع الزيتونة وختم الشيخ الجد بجامع سيدى محرز وختم الشيخ محمد بن سلامة وختم الشيخ محمد بيرم الرابع بالمدرسة العنقية . وكان والده المولى مصطفى باى يحضر بضعة أختام، منها ختم قاضي الجماعة الشيخ محمد البحرى بن عبد الستار وختم المفتى الشيخ محمد بن سلامة وختم جامع الزيتونة، واتقف له حضور ختم المدرسة الباشية، خلافا لجميع من تقدمه من آل بيته، لأنها من مآثر الباشا على باى الأول خصيم جدهم المقدس المبرور الباى حسين بن على تركى . واعتمادا على هذه السابقة جاز لابنه المشير أحمد باى زيارة ضريح على باى المذكور، فيما حكاه عنه الشيخ أحمد بن أبى الضيف فى تاريخه .

ومن مشاهير أختام العصر الحسينى فى القرن الماضى ختما الفحلين النيرين بهجتى الأوان، اللذين اتفق على فضلهما القلم واللسان، الشيخ محمد بن عاشور والشيخ الطاهر بن عاشور. وكذلك أختام العلامة القدوة الشيخ أحمد ابن حسين القمار، والعلامة الفهامة الشيخ محمد بن حمزة الشاهد، والعلامة الدراكة الشيخ محمد النيفر. وهذه الأختام لم تزل مشهورة فى نوادى أهل العلم يرجع إليها أهل التحقيق والفهم .

وفى الأزمنة المتأخرة كان المولى محمد الهادى باى كثير الاهتمام بأختام الحديث، حتى إنه قام بحضور مجالسها كلها فى عام ١٣٢٠ (١٩٠٢) وكان ابن عمه المولى محمد الناصر باى يحضر ختم المفتى الشيخ محمد النجار بجامع حرمل وختم شيخ الإسلام الشيخ محمد بن الخوجة بجامع صاحب الطابع، وختم جامع الزيتونة، ثم صار يحضر فى ٢٦ رمضان ختم الشيخ أحمد بيرم بجامع يوسف داى مع ختم جامع الزيتونة وتخلف عن الجميع فى سنة ١٣٤٠ (١٩٢١) قبيل وفاته . وكان ابن عمه المولى محمد الحبيب باى يحضر فى مبادئ مدته سبعة أختام، ثم اقتصر فى آخر مدته على حضور ختم جامع يوسف داى من الجوامع الحنفية وختم جامع الزيتونة من الجوامع المالكية . وأما ولى النعم سيدنا ومولانا أحمد باشا باى الثانى خلد الله ملكه، فقد ذكرنا عنايته بمجالس الحديث فيما تقدم من الكلام وهو مسك الختام .

وإليك الآن برنامج جميع أختام الحديث التى تقام بتونس فى هذا الزمان، وهى التى عليها أوقاف جارية للرواية من صنيع أهل الخير. ومنه تفهم أن الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التى لا يقام بها ختم الحديث، ليس عليها أوقاف خاصة لرواية الصحيح، أو كان لها ذلك فى الزمن الماضى وتناولها التلاشى والاضمحلال . والأيام التى نذكرها لبيان انعقاد تلك الأختام بعضها موافق لما عينه الواقفون وبعضها تناوله التغيير كما سبقت الإشارة لذلك فى الأبواب المتقدمة . وإنما هى فى الجملة كلها موافقة لمواعيد الأختام المصطلح عليها فى هذا الزمان .

محل الختم	تاريخ انعقاد الختم	تنبيهات
جامع أبى محمد	يوم ٨ من رمضان	يحضره المولى الأمير
جامع حرمل	يوم ١١ منه	يحضره المولى الأمير
جامع الحلق	يوم ١٤ منه	يحضره المولى الأمير
مسجد سيدى بو حديد	مثله	
ضريح سيدى معاوية	مثله	
المدرسة الجديدة	يوم ١٦ منه	
جامع حمودة باشا	يوم ١٧ منه	يحضره المولى الأمير
جامع السبخاء	مثله	
تربة الباى	مثله	
مسجد الطراز	يوم ١٨ منه	
المدرسة المرادية	مثله	
المدرسة المنتصرية	يوم ١٩ منه	
جامع صاحب الطابع	يوم ٢٠ منه	يحضره المولى الأمير
مدرسة بئر الحجار	مثله	
جامع سيدى محرز	يوم ٢٢ منه	
ضريح سيدى منصور	مثله	
المدرسة المرجانية	مثله	
جامع يوسف داى	يوم ٢٣ منه	يحضره المولى الأمير
الجامع الجديد	يوم ٢٣ منه	

جامع باب الجزيرة البرانى	يوم ٢٣ منه	
مدرسة حوانيت عاشور	مثله	
جامع القصر	يوم ٢٤ منه	
مدرسة النخلة	مثله	
المدرسة الباشية	يوم ٢٥ منه	
المدرسة العنقية	مثله	
المدرسة السليمانية	مثله	
جامع الزيتونة	يوم ٢٦ رمضان	يحضر المولى الأمير
جامع باب البحر	يوم ٢٧ منه	
جامع القصبة	مثله	
جامع الهواء	يوم ٢٨ منه	
جامع سبحان الله	يوم ٢٩ منه	يحضر المولى الأمير
زاوية سيدى أحمد بن عروس	مثله	
جامع المرسى	مثله	يحضر المولى الأمير
جامع باردو	مثله	
جامع جبل المنار	مثله	

تلك جملة الأختام التى لا يتخلف انعقادها فى هذا العهد بتونس وأحوازهـا، لها أوقاف جارية لرواية الحديث بالجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة التى ينتظم بها سلك تلك الأختام، وواسطة عقدها كعبة العلم جامع الزيتونة عمَّره الله بدوام ذكره.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم وفى الجديد لمحمد بن الخوجة - تحقيق وتقديم الجيلانى بن الحاج يحيى وحمادى الساحلى / ٣٣٧ - ٣٤٩).

*** ختم الأنبياء:**

ختم الأنبياء: للشيخ أبى عبد الله محمد بن على المعروف بالحكيم الترمذى المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين وهو مختصر أوله الحمد لله رب العالمين إلخ.

(كشف الظنون١ / ٧٠٠)

*** ختم الأولياء:**

كتاب ختم الأولياء: للشيخ أبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين.

(كشف الظنون ٢/ ١٤١٥).

*** ختم القرآن:**

عن ختم القرآن يقول الإمام النووى:

كان السلف رضى الله عنهم لهم عادات مختلفة فى قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبى داود عن بعض السلف رضى الله عنهم أنهم كانوا يختمون فى كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم فى كل شهر ختمة، وعن بعضهم فى كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم فى كل ثمان ليال، وعن الأكثرين فى كل سبع ليال، وعن بعضهم فى كل ست، وعن بعضهم فى كل خمس، وعن بعضهم فى كل أربع، وعن كثيرين فى كل ثلاث، وعن بعضهم فى كل ليلتين، وختم بعضهم فى كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم فى كل يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم ثلاثا، وختم بعضهم ثمان ختمات أربعا بالليل وأربعا بالنهار، فمن الذين كانوا يختمون ختمة فى الليل واليوم عثمان بن عفان رضى الله عنه وتميم الدارى وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعى وآخرون، ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم بن عمر رضى الله عنه قاضى مصر فى خلافة معاوية رضى الله عنه. وروى أبو بكر بن أبى داود أنه كان يختم فى الليل أربع ختمات. وروى أبو عمر الكندى فى كتابه فى قضاة مصر أنه كان يختم فى الليلة أربع ختمات. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربى يقول: كان ابن الكاتب رضى الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات، وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة. وروى السيد الجليل أحمد الدورقى بإسناده عن منصور بن زاذان من عباد التابعين رضى الله عنه أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه أيضا فيما بين المغرب والعشاء فى رمضان ختمتين، وكانوا يؤخرون العشاء فى رمضان الى أن يمضى ربع الليل. وروى أبو داود وبإسناده الصحيح أن مجاهدا كان

يختم القـرآن فيما بين المغـرب والعشاء. وعن منصـور قال: كان على الأزدى يختم فيما بين المغـرب والعشاء كل ليلة من رمضان. وعن إبراهيم بن سعد قال: كان أبى يحتبى فما يحل حبوته حتى يختم القرآن.

وأمـا الـذى يختم فى ركعة فـلا يحصـون لكثـرتهم، فمن المتقـدمين عثمـان بن عفان وتميـم الدارى وسعيـد بن جبيـر رضى الله عنهم ختمة فى كل ركعة فى الكعبة.

وأما الذين ختموا فى الأسبـوع مرة فكثيرون نقل عن عثمان ابن عفـان رضى الله عنـه وعبد الله بـن مسعود وزيـد بن ثـابت وأبى بن كعب رضى الله عنهم وعن جمـاعة من التـابعين كعبد الرحمن بن يـزيد وعلقمة وإبـراهيم رحمهم الله، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كـان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قـدر ما يحصل له كمال فهم ما يقـرؤه، وكذا من كـان مشغولا بنشـر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرُصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثـر ما أمكنه من غير خـروج إلى حد الملل والهذرمة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم فى يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث» رواه أبو داود والتـرمذى والنسائى وغيرهم. قال الترمذى حديث حسن صحيح والله أعلم.

وأمـا وقت الابتـداء والختم لمن يختم فى الأسبـوع، فقـد روى أبـو داود أن عثمـان بن عفـان رضى الله عنـه كـان يفتتح القرآن ليلـة الجمعة ويختمـه ليلة الخميـس. وقال الإمـام أبو حامـد الغزالى رحمه الله تعـالى فى الإحياء: الأفضل أن يختم ختمة بالليل وأخرى بالنهـار، ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما، ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغـرب أو بعـدهمـا ليستقبل أول النهـار وآخـره. وروى ابن أبى داود عن عمـر بن مـرة التـابعى: قـال: كـانـوا يحبـون أن يختم القـرآن من أول الليل أو من أول النهـار، وعن طلحـة بن مصرف التـابعى الجليل قـال: من ختم القرآن أيـة ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى، وأية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح. وعن مجاهد مثله. وروى الـدارمى فى مسنده بإسناده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قـال: «إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يُصبح، وإذا وافق ختمه آخر الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يمسى». قال الدارمى: هذا حسن من سعـد، وعن حبيب بن أبى ثابت التـابعى: أنه كـان يختم قبل الركوع. قال ابن أبى داود: وكذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

ثم يعقد الإمام النووى فصـلا فى آداب الختم وما يتعلق به جاء فيه ما يلى:

فيه مسـائل: الأولى فى وقتـه: قد تقدم أن الختـم للقارئ وحـده يستحب أن يكون فى ركعتى سنـة الفجر وركعتى سنـة المغـرب، وفى ركعتى الفجـر أفضل، وأنـه يستحب أن يختم ختمـة فى أول النهـار فى دور، ويختم ختمة أخـرى فى آخـر النهار فى دور آخـر، وأما من يختم فى غير الصلاة والجمـاعة الـذين يختمـون مجتمعين، فيستحب أن تكـون ختمتهم أول النهار أو فى أول الليل، وأول النهار أفضل عند بعض العلماء.

المسألة الثانية: يستحـب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يومـا نهى الشرع عن صيـامه، وقد روى ابـن أبى داود بإسناده الصحيح: أن طلحة بن مطرف وحبيب بن أبى ثابت والمسيب ابن رافع التـابعيين الكـوفييـن رضى الله عنهم أجمعين كـانـوا يصبحون فى اليوم الذى يختمون فيه القرآن صياما.

المسألـة الثـالثـة: يستحب حضـور مجلس ختم القـرآن استحبابا متأكـدا، فقد ثبت فى الصحيحين «أن رسول الله ﷺ أمـر الحيَّض بـالخـروج يـوم العيـد ليشهـدن الخيـر ودعـوة المسلمين» وروى الـدارمى وابن أبى داود بإسنادهمـا عن ابن عباس رضى الله عنهمـا أنه كان يجعل رجلا يراقـب رجلا يقرأ القرآن. فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس فيشهد ذلك، وروى ابن أبى داود بإسنـادين صحيحين عن قتـادة التـابعى الجليل صاحب أنس رضى الله عنـه. قال: كـان أنس بن مالك رضى الله عنـه إذا ختم القـرآن جمع أهلـه ودعـا، وروى بأسـانيـده

الصحيحة عن الحكم بن عيينة التابعي الجليل. قال: أرسل إلى مجاهد وعتبة بن لبابة فقالا إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن. وفي بعض الروايات الصحيحة وأنه كان يقال: إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن. وروى بإسناده الصحيح عن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون تنزل الرحمة.

المسألة الرابعة: الدعاء مستحب عقب الختم استحبابا متأكدا لما ذكرناه في المسألة التي قبلها. وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك، وينبغي أن يلح في الدعاء، وأن يدعو بالأمور المهمة، وأن يكثر في ذلك في صلاح المسلمين وصلاح سلطانهم وسائر ولاة أمورهم، وقد روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري بإسناده أن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن كان أكثر دعائة للمسلمين والمؤمنين والمؤمنات، وقد قال نحو ذلك غيره فيختار الداعي الدعوات الجامعة كقوله: اللهم أصلح قلوبنا، وأزل عيوبنا وتولنا بالحسنى، وزينا بالتقوى، واجمع لنا خير الآخرة والأولى، وارزقنا طاعتك ما أبقينا. اللهم يسرنا لليسرى، وجنبنا العسرى؛ وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأعذنا من عذاب النار وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال اللهم انا نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى، اللهم انا نستودعك أدياننا وأبداننا وخواتيم أعمالنا وأنفسنا وأهلينا وأحبابنا وسائر المسلمين وجميع ما أنعمت علينا وعليهم من أمور الآخرة والدنيا. اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، واجمع بيننا وبين أحبابنا في دار كرامتك بفضلك ورحمتك. اللهم أصلح ولاة المسلمين، ووفقهم للعدل في رعاياهم والإحسان إليهم والشفقة عليهم والرفق بهم والاعتناء بمصالحهم، وحببهم إلى الرعية، وحبب الرعية اليهم، ووفقهم لصراطك المستقيم، والعمل بوظائف دينك القويم، اللهم الطف بعبدك سلطاننا، ووفقه لمصالح الدنيا والآخرة، وحببه إلى رعيته، وحبب الرعية إليه، ويقول باقي الدعوات المذكورة في جملة الولاة ويزيد، اللهم ارحم نفسه وبلاده، وصن أتباعه وأجناده، وانصره على أعداء الدين وسائر المخالفين، ووفقه لإزلة المنكرات وإظهار المحاسن وأنواع الخيرات، وزد الإسلام، بسببه ظهورا، وأعزه ورعيته إعزازا باهرا، اللهم أصلح أحوال المسلمين وأرخص أسعارهم، وأمنهم في أوطانهم، واقض ديونهم، وعاف مرضاهم، وانصر جيوشهم، وسلم غيابهم، وفك أسراهم، واشف صدورهم، وأذهب غيظ قلوبهم، وألِّف بينهم، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وثبتهم على ملة رسولك ﷺ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذى عاهدتهم عليه، وانصرهم على عدوك وعدوهم، إله الحق، واجعلنا منهم. اللهم اجعلهم آمرين بالمعروف فاعلين به، ناهين عن المنكر مجتنبين له، محافظين على حدودك، قائمين على طاعتك متناصفين متناصحين. اللهم صنهم في أقوالهم وأفعالهم، وبارك لهم في جميع أحوالهم، ويفتح دعاءه ويختمه بقوله: الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

المسألة الخامسة: يستحب إذا فرع من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختمة فقد استحبه السلف، واحتجوا فيه بحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «خير الأعمال الحل والرحلة. قيل وما هما؟. قال: افتتاح القرآن وختمه» (التبيان/ ٣٨-٤٢، ١١٣-١١٨)

قالت المؤلفة: لخص الإمام السياطي في الإتقان هذا الذى أوردناه للإمام النووي، وتجد هذا الملخص في مادة «آداب تلاوة القرآن الكريم» في م ١/ ٢٣٥، ٢٤٤.

وعن التكبير عند ختم القرآن في قراءة ابن كثير يقول الإمام الداني صاحب التيسير:

اعلم أيدك الله أن البزى روى عن ابن كثير بإسناده أنه كان يكبر من آخر والضحى مع فراغه من كل سورة إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ويصل التكبير بآخر السورة وإن شاء القارئ قطع عليه وابتدأ بالتسمية موصولة بأول السورة التى بعدها وإن

شاء وصل التكبير بالتسمية ووصل التمسية بأول السورة. ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير. وقد كان بعض أهل الأداء يقطع على أواخر السور ثم يبتدئ بالتكبير موصولا بالتسمية، وكذلك روى النقاش عن أبي ربيعة عن البزى، وبذلك قرأت على الفارسي عنه، والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة على ما ابتدءنا به لأن فيها «مع» وهى تدل على الصحبة والاجتماع، فإذا كبر فى آخر سورة الناس قرأ فاتحة الكتاب وخمس آيات من أول سورة البقرة على عدد الكوفيين إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بدعاء الختمة وهذا يسمى الحال المرتحل وفى جميع ماقدمناه أحاديث مشهورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضا تدل على صحة ما فعله ابن كثير ولها موضع غير هذا قد ذكرناها فيه.

واختلف أهل الأداء فى لفظ التكبير فكان بعضهم يقول «الله أكبر» لا غير، ودليلهم على صحة ذلك جميع الأحاديث الواردة بذلك من غير زيادة كما حدثنا أبو الفتح شيخنا قال حدثنا أبو الحسن المقرى قال حدثنا أحمد بن سلم قال حدثنا الحسن بن مخلد قال حدثنا البزى قال قرأت على عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنى قرأت على عبد الله بن كثير فأمرنى بذلك وأخبرنى ابن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد انه قرأ على عبد الله بن عباس فأمره بذلك، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك، وأخبره أبى أنه قرأ على رسول ﷺ فأمره بذلك. وكان آخرون يقولون «لا إله إلا الله والله أكبر» فيهللون قبل التكبير واستدلوا على صحة ذلك بما حدثناه فارس بن أحمد المقرى قال حدثنا عبد الباقى بن الحسن قال حدثنا أحمد بن سلم الخُتَّلى وأحمد بن صالح قالا حدثنا الحسن بن الحباب قال سألت البزى عن التكبير كيف هو فقال لى: «لا إله إلا الله والله أكبر» قال أبو عمرو وابن الحباب هذا من الإتقان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبى الفتح وقرأت على غيره بما تقدم.

فصل: واعلم أن القارئ إذا وصل إلى التكبير بآخر السورة فإن كان آخرها ساكنا كسره للساكنين نحو [الضحى: ١١] ﴿فحدث﴾ الله أكبر، [والشرح: ٨] ﴿فارغب﴾ الله أكبر، وإن كان منونا كسره أيضا كذلك وسواء كان الحرف المنون مفتوحا أو مضموما أو مكسورا نحو كما فى [النصر: ٣] ﴿توابا﴾ الله أكبر، و [العاديات: ١١] ﴿الخبير﴾ الله أكبر، و [المسد: ٥] ﴿من مسد﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة مفتوحا فتحه، وإن كان مكسورا كسره، وإن كان مضموما ضمه نحو قوله فى [الفلق: ٥] ﴿إذا حسدَ﴾ الله أكبر وفى [الناس: ٦] ﴿الناس﴾ الله أكبر، وفى [الكوثر: ٣] ﴿الأبترُ﴾ الله أكبر، وشبهه، وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو [البينة: ٨] ﴿ربه﴾ الله أكبر، و [الزلزلة: ٨] ﴿شرا يره﴾ الله أكبر. وأسقطت ألف الوصل التى فى أول اسم الله عز وجل فى جميع ذلك استغناء عنها فاعلم ذلك موفقا لطريق الحق ومنهاج الصواب وبالله التوفيق. اهـ (التيسير / ٢٢٦ـ٢٢٨).

وقد ذكر الإمام الشاطبى التكبير عن ختم القرآن فقال فى منظومته الشهيرة الموسومة بحرز الأمانى (الشاطبية)، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

١١٢١ ـ *روى القلب ذكر الله فاستسق مقبلا*
ولا تعد روض الذاكرين فتمحلا

١١٢٢ ـ *وآثر عن الآثار مثراة عذبه*
وما مثله للعبد حصنا وموئلا

١١٢٣ ـ *ولا عمل أنجى له من عذابه*
غداة الجزا من ذكره متقبلا

١١٢٤ ـ *ومن شغل القرءان عنه لسانه*
ينل خير أجر الذاكرين مكملا

١١٢٥ ـ *وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه*
مع الختم حلاً وارتحالا موصَّلا

١١٢٦ ـ *وفيه عن المكين تكبيرهم مع الـ*
خواتيم قرب الختم يروى مسلسلا

١١٢٧ ـ *إذا كبروا فى آخر الناس أردفوا*
مع الحمد حتى المفلحون توسُّلا

١١٢٨ ـ *وقـال بـه البـزى من آخـر الضحى*
وبعـض لـــه مـن آخـــر الليل وصـــــلا

١١٢٩ ـ *فإن شئت فـاقطع دونـه أو عليـه أو*
صـل الكل دون القطـع معـــه مبسمـــــلا

١١٣٠ ـ *ومــا قبلــه مـن سـاكن أو منـــون*
فللســاكنيـن اكسـره فى الـــوصل مــرسـلا

١١٣١ ـ *وأدرج على إعـرابـه مـا سـواهمـا*
ولا تصلن هـــاء الضميـــر لتـــوصـــلا

١١٣٢ ـ *وقل لفظـــه الله أكبـــر وقبلـــه*
لأحمـــد زاد ابـن الحبـــاب فهيلـــلا

١١٣٣ ـ *وقيل بهـــذا عن أبى الفتح فـــارس*
وعـن قنبـل بعـض بتكبيـــــره تــــــلا

(متن حرز الأمانى / ١٩٥ـ١٩٧)

ونوافيك بشـرح الإمام أبى شامـة صاحب «إبـراز المعانى» لهذه الأبيـات، وهو شرح ملئ بـالفوائد اللغوية والحـديثية إذ يسوق الشارح الحديث النبوى تلو الحديث لتوضيح ما يقول، مما جعلنا نؤثره على غيـره من الشروح. انظر هذه الشروح فى مادة «حـرز الأمانى ووجه التهانى فى القـراءات السبع» فـى م ١٣ / ٣٦٠ـ٣٦٢

قال الإمام أبو شامة فى باب التكبير:

إنما أخر ذكر هذا الباب لأن حكمه متعلق بالسور الأخيرة، ومن المصنفين من لم يذكـره أصلا كابن مجاهـد وقدم النظم قبل بيان حكمـه عند القـراء أبياتـا فى فضل الذكـر مطلقا من تكبير وغيره فقال:

روى القلب ذكـــر الله فـــاستسق مقبـــلا
ولا تعـــد روض الـــذاكـــرين فتمحـــلا

هـذا البيت مقفـى مثل أول القصيـدة وأول سـورة الـرعـد والأنبياء وغيرهـا وهو حسن كما نبهنا عليـه فى شرح الذى فى أول الرعـد، وروى القلب ريه يقال روى المـاء يروى على وزن رضى يـرضى ويقـال فى مصـدره أيضـا رَيـا ورِيـا بفتح الـراء وكسـرها نص عليـه الجوهـرى ولما جعل ذكـر الله تعالى ريـا للقلب أمـر بالازديـاد من الـرى فاتبـع ذلك اللفظ المجاز مـا ينـاسبه فقـال فاستسق أى اطلب السقى مقبـلا على ذلك أى أكثر من الذكر والتمس محله ومواضعه ولا تعد أى ولا تتجاوز رياضه والـروض جمع روضة فتمحلا أى فتصـادف محلا فلا يحصل رى ولا شرب وأشار بذلك وما يأتى بعده إلى أحاديث كثيـرة جـاءت عن النبى ﷺ فى فضل ذكـر الله تعـالى والحث عليه، وهى مفرقة فى الصحيحين وغيرهما.

وقد جمع جعفر الغـريانى الحافظ فيه مصنفـا حسنا، وما أحسن ماقال بـلال بـن سعيـد وهـو مـن تابعـى أهـل الشام: «الذكر ذكران: ذكر الله باللسان حسن جميل، وذكر الله عندما أحل وحـرم أفضل، وكيف لا يكـون ذكـر الله تعـالى روى للقـب، وقـد روى أبـو هـريرة رضـى الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ:

يقـول الله تعـالى «أنـا عند ظن عبـدى بى وأنـا معـه حين يذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى مـلأ ذكـرته فى مـلأ خيـر منـه» أخرجـه البخـارى ومسلم فى صحيحيهما.

وعن عبـد الله بن عمر رضـى الله عنهما عن النبى ﷺ أنـه كان يقول:

«إن لكل شىء صقالة وإن صقالـة القلوب ذكر الله تعالى» أخرجـه الحافظ البيهقى فى كتـاب الدعوات، وأمـا تعبيره عن مجالس الذكر بالروض فلمـا جاء فى حديث جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال:

«ياأيها الناس إن لله تعالى سـرايا من الملائكة تقف وتحل على مجالس الذكر فارتعـوا فى رياض الجنة، قلنا أين رياض الجنة يارسـول الله؟ قال: مجالس الذكر، فـاغدوا وروحوا فى ذكـر الله، واذكـروه بأنفسكم. من كـان يحب أن يعلم كيف منزلته مـن الله عز وجل فلينتظر منزلة الله عنـده، فإن الله تبارك وتعالى ينـزل العبد حيث أنزلـه من نفسه» أخـرجه البيهقى فى كتاب الدعوات وشعب الإيمان.

وأخرجه الغريانى وأخرج أيضا فى معناه أحاديث كثيرة منها عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال:

قـال رسول الله ﷺ «مـن أحب أن يرتع فـي رياض الجنـة فليكثر من ذكر الله عز وجل».

١١٢٢ ــ *وآثــر عن الآثــار مثراة عــذبــه*
ومــا مثلــه للعبــد حصنــا ومــوئلا

آثر من الإيثـار أى قدم مثـراة عذب الذكـر على كل شيء والمثراة قولهـم هذا مثراة للمال أى مكثرة لـه أى قدم مكتسب عذبه ومكثرته ولمثراة أيضا مصدر ثرى المكان يثرى ثرى ومثراة إذا كثر نداه فبلله أى قدم ندى عذبه على كل شيء وذلك مما يستعار للوصلة والذكر وصلة بين العبد وبين ربه عز وجل ومنه قولـه عليه الصـلاة والسلام «بلوا أرحـامكم ولو بـالسلام» أى صلـوها، وتقـول العـرب بينى وبين فـلان مثرى أى وصلـة لم تنقطع، وهـو مثل كأنه قـال لم ييبس ما بينى وبينـه ومنه قـول جرير:

فــلا تــوبســوا بينى وبينكم الثــرى
فـإن الــذى بينى وبينكـم مثــرى

وقوله عن الآثار أى آخذا بـذلك الإيثار عن الآثار والأخبار الواردة عن النبى عليه الصلاة والسـلام أى مستمدا أدلة الإيثار من الآثـار نحو مـا فى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم أنـه شهد على أبى هـريرة وأبى سعيـد أنهمـا شهـدا عـلى رسـول الله ﷺ:

قال: «مـاجلس قوم يـذكرون الله إلا حفت بهم المـلائكة وغشيتهم الرحمـة وذكرهم الله تعالى فى من عنـده» وفى جامع الترمذى عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله:

«إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىءأتشبث به قال: لا يـزال لسانك رطبا بذكـر الله تعالى» قال هـذا حديث حسن غريب، وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ.

«إن لله ملائكة سيارة فضلاء يلتمسون مجالس الذكر، فإذا أتوا على قوم يذكرون الله تعـالى جلسوا فأظلوهم بأجنحتهم ما بينهم وبين السمـاء الدنيـا فإذا قـاموا عـرجوا إلى ربهم فيقـول تبارك وتعـالى وهو أعلم: من أين جئتم فيقولون جئنـا من عند عبـاد لـك يسبحـونك ويحمـدونك ويهللـونك ويكبـرونك ويستجيرونك من عذابك ويسألونك جنتك فيقول الله تعالى، وهل رأوا جنتى ونارى فيقـولون لا فيقول فكيف لو رأوهمـا فقد أجرتهم مما استجاروا وأعطيتهم مـا سألوا فيقال إن فيهم رجلا مر بهم فقعـد معهم فيقول وله فقد غفـرت إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وعن الحارث الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريـا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن: أن لا يشركوا بـالله شيئـا، وإذا قمتم إلى الصـلاة، فـلا تلتفتـوا، وأمـركم بالصيام والصـدقة وضرب لكل واحدة مثـلا، ثم قال: وأمركم بـذكـر الله تعـالى كثيـرا، ومثل ذلك كمثل رجل طلب العـدو سـراعا من أثـره حتى أتى حصنـا حصينا، فأحـرز نفسه فيـه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل».

وعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها من درجـاتكم وخيـر لكم مـن إعطـاء الـذهب والـورق وأن تلقـوا عدوكم فتضـربوا أعنـاقهم ويضربوا أعنـاقكم: قالـوا وما ذاك يارسول الله قال: ذكر الله عـز وجل» أخرجه البيهقى فى كتاب الدعوات، ففى ذلك تفسير قوله وما مثله للعبد حصنا وموئلا. أى وما للعبد مثل الذكر نافعـا له هذه المنفعة المشار إليها فى الحـديث، ونصب حصنـا ومـوئلا على التمييز أى مـا للعبـد حصن وموئل مثل الذكر ويجوز نصبهما على الحال أى مشبها حصنـا وموئلا هنـا اسم مكـان موضعـا يـؤول إليه، أى يـرجع ويأوى فيـه، وكل ذلك استعـارات حسنة، وقـد سبق فى أول القصيـدة تفسير المـوئل بـالمرجع، وهـو بهـذا المعنى فكل ماتستند إليه فهو موئل لك ولا يجوز نصب حصنا على أنه خبر ما النافيـة على لغة أهل الحجار لاختلاف المعنـى حينئذ لأنه كان يفيد ضد المقصود من هذا الكلام.

ولا عمـل أنجى لــــه مـن عــــذابــــه
غـــداة الجــزا مـن ذكـــره متقبــــلا

أى للعبد والهـاء فى عذابه وذكـره لله تعالى وغـداة الجزاء يعنى يوم القيامة ـ لأن النجاة المعتبرة هى المطلوبة ذلك اليوم فنصب غداة على الظرف وقصر الجزاء ضرورة ومتقبلا حال من الذكـر فإنه إن لم يكن متقبـلا لم يفد الـذكر شيئـا وضمن هذا البيت حديثا روى مرفوعا وموقوفا.

أما المرفوع فعن ابن عمر فى الحديث الذى سبق فى أوله:

«صقالة القلوب ذكر الله تعالى» قال بعد ذلك «وما شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله تعالى، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» وأما الموقوف ففى آخر الحديث الذى سبق أوله «ألا أنبئكم بخير أعمالكم».

قال:

وقال معاذ بن جبل «ما عمل آدمى من عمل أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله تعالى» أخرجهما البيهقى من كتاب الشعب والدعوات الكبير وأخرجه الفريابى فى كتابه عن معاذ، وزاد، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل قال: لا ولو ضرب بسيفه، زاد فى رواية «حتى ينقطع» ثلاثا قال الله تعالى - ولذكر الله أكبر - والله أعلم:

١١٢٤ - *ومن شغل القرآن عنه لسانه*

ينل خير أجر الذاكرين مكملا

جعل الشيخ رحمه الله تفسير هذا البيت الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل:

«من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» قال هذا حديث حسن غريب وقد ذكر طريق هذا الحديث وتكلم عليه الحافظ المقرئ أبو العلا الهمذانى فى أول كتابه فى الوقف والابتداء، وقال «من شغله قراءة القرآن» وفى آخره أفضل ثواب السائلين وفى رواية «من شغله القرآن فى أن يتعلمه أو يعلمه عن دعائى ومسألتى» وذكره أبو بكر بن الأنبارى فى أول كتاب الوقف أيضا وأخرجه البيهقى أيضا وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين».

قال البيهقى وكذا رواه البخارى فى التاريخ:

قلت: فبان من مجموع هذه الروايات أن الاشتغال بالذكر يقوم مقام الدعاء وأن قراءة القرآن من جملة الاشتغال بالذكر، بل هو أفضل وإليه أشار الناظم بقوله خير أجر الذاكرين ومكملا حال إما من خير وإما من أجر، وقد نص الإمام الشافعى رضى الله عنه على ذلك فقال أستحب أن يقرأ القرآن يعنى فى الطواف لأنه موضع ذكر، والقرآن من أعظم الذكر والهاء فى قوله عنه يجوز أن تعود على الذكر يعنى ومع ما ذكرنا من فضيلة الذكر فمن اشتغل عنه بالقرآن فهو أفضل ويجوز أن تعود على من، أى من كف لسانه عنه أى أذاه لأن أكثر كلام الإنسان عليه لا له فإذا اشتغل بالقرآن أو الذكر انكف عما يتوقع منه الضرر فصح معنى عنه بهذا التفسير.

وفى الحديث عن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت قال رسول ﷺ:

«كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله، وفى الكتاب المذكور للحافظ أبى العلا عن أبى هريرة مرفوعا «أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن» وفيه عن أنس مرفوعا «أفضل العبادة قراءة القرآن وتلاوة القرآن أحب إلى» قال أبو يحيى الحمامى سألت سفيان الثورى عن الرجل يقرأ القرآن أحب إليك أم يغزو قال يقرأ فإن النبى ﷺ قال:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

قلت هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وقد جمع الحافظ أبو العلا طرقه فى أول كتاب الوقف المذكور قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سمعت أبى يقول: رأيت رب العزة فى المنام فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال كلامى يا أحمد فقلت يا رب بفهم أو بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم.

قلت فكل هذا مما يوضح لنا أن تلاوة القرآن من أعظم الذكر كما قال الشافعى رضى الله عنه لأنه يجمع الذكر باللسان وملاحظة القلب أنه يتلو كلام الله عز وجل ويؤجر عليه بكل حرف عشر حسنات على ما ثبت فى أحاديث أخر.

١١٢٥ - *وما أفضل الأعمال إلا افتتاحه*

مع الختم حلا وارتحالا موصلا

أى افتتاح القرآن مع ختمه أى حالة ختمه للقرآن يشرع فى

أوله فقوله موصلا حال من الضمير فى افتتاحه العائد على القرآن أى فى حال وصل أوله بآخره وقوله حلا وارتحالا من باب المصدر المؤكد لنفسه لأن الحل والارتحال المراد بهما افتتاحه مع الختم فهو نحو له على ألف درهم عرفا وأشار بذلك إلى حديث روى من وجوه عن صالح عن قتادة عن زرارة ابن أبى أوفى عن ابن عباس قال: «قال رجل يا رسول الله أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل قال الحال المرتحل» أخرجه أبو عيسى الترمذى فى أبواب القراءة فى أواخر كتابه. فقال: حدثنا نصر بن على الجهضمى قال حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنى صالح المرى فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه عن ابن عباس إلا من هذا الوجه: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صالح المرى عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن النبى ﷺ ولم يذكر فيه عن ابن عباس قال: وهذا عندى أصح، يعنى أنه من حديث زرارة، وليس له صحة إلا من حديث ابن عباس وكيف ما كان الأمر فمدار الحديث على صالح المرى، وهو وإن كان عبدا صالحا فهو ضعيف عند أهل الحديث، قال البخارى فى تاريخه: هو منكر الحديث وقال النسائى: صالح المرى متروك الحديث.

ثم على تقدير صحته فقد اختلف فى تفسيره فقيل المراد به ما ذكره القراء على ما يأتى بيانه، وقيل بل هو إشارة إلى تتابع الغزو وترك الإعراض عنه، فلا يزال فى حل وارتحال وهذا ظاهر اللفظ إذ هو حقيقة فى ذلك وعلى ما أوله به القراء يكون مجازا وقد رووا التفسير فيه مدرجا فى الحديث ولعله من بعض رواته.

قال أبو محمد بن قتيبة فى آخر غريب الحديث، له فى ترجمة أحاديث لا تعرف أصحابها: جاء فى الحديث «أى الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل؟ قيل ما الحال المرتحل: قال الخاتم والمفتتح».

قال ابن قتيبة: الحال هو الخاتم للقرآن، شبه برجل سافر فسار حتى إذا بلغ المنزل حل به، كذلك تالى القرآن يتلوه حتى إذا بلغ آخره وقف عنده، والمرتحل المفتتح للقرآن شبه برجل أراد سفرا فافتتحه بالمسير، قال: وقد يكون الخاتم المفتتح أيضا فى الجهاد، وهو أن يغزو ويعقب، وكذلك الحال المرتحل يريد أنه يصل ذلك بهذا.

قلت: هذا هو الظاهر من تفسير هذا اللفظ لوجهين:

أحدهما حمل اللفظ على حقيقته، فيكون التفسير الأول الذى ذكره ابن قتيبة فى الحديث من كلام بعض الرواة، وهو مفصول من الحديث، ولهذا لم يكن فى كتاب الترمذى إلا قوله الحال المرتحل من غير تفسير، وكان السائل عن التفسير بعض الرواة لبعض، فأجابه المسئول بما وقع له وتقدير الحديث عمل الحال المرتحل، وحذف المضاف لدلالة السؤال عليه.

الوجه الثانى أن المحفوظ فى الأحاديث الصحيحة غير ذلك، فإنه سئل النبى ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: إيمان بالله، ثم جهاد فى سبيله، ثم حج مبرور».

وفى حديث آخر «الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد فى سبيل الله».

وقال لأبى أمامة: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له» وفى حديث آخر: «واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة».

وإذا فسر الحال المرتحل بمتابعة الغزو وافق قوله ثم جهاد فى سبيله، أى أنه من أفضل الأعمال كنظائر لذلك يعبر عن الشىء لأنه الأفضل، أى هو من جملة الأفضل، أى المجموع فى الطبقة العليا التى لا طبقة أعلى منها، وهذا المعنى قد قررناه فى مواضع من كتبنا.

١١٢٦ ــ وفيه عن *المكين تكبيرهم مع الـ*
ـخواتم قرب الختم يروى مسلسلا

أى وفى القرآن أو فى ذلك العمل الذى عبر عنه بالحل والارتحال، وهو وصل آخر كل ختمة بأول أخرى على ما سيأتى بيانه فى عرف القراء، وقوله «عن المكين» جمع مك كما قال فى مواضع كثيرة ومك ومراد مكى بياء النسب، ولكنه حذفها ضرورة عند العلم بها تخفيفا، وقد قرأ فى الشواذ ـ هو الذى بعث فى الأمين ـ كأنه جمع أم، قال الزمخشرى فى تفسيره: وقرئ فى الأمين بحذف ياء النسب قلت ومثل قول عقبة الأسدى:

* *وأنت امرؤ فى الأشعرين مقاتل* *

وقول لقيط الإيادى :

* *زيد الفنا حين لا فى الحارثين معا* *

كأنهما جمع أشعر وحارث، وإنما هما جمع أشعرى وحارثى :

وقد ذكرت هذين البيتين فى ترجمة عامر بن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى وترجمة المهلب بن أبى صفرة فى مختصرى لتاريخ دمشق؛ وقوله: تكبيرهم أى تكبير المكيين أى وفى القرآن تكبير المكيين مع الخواتم جمع خاتمة، يعنى خواتم السور إذا قرب ختم القرآن فى قراءة للقارىء، على ماسيبين فى موضعه، قال مكى فى التبصرة: والتكبير سنة كانت بمكة ولا يعتبر فى التكبير قراء مكة ابن كثير ولا غيره، كانوا لا يتركون التكبير فى كل القراءات من خاتمة والضحى قال: ولكن عادة القراء الأخذ بالتكبير لابن كثير فى رواية البزى خاصة؛ ومن المصنفين من حكى التكبير لجميع القراء فى جميع سورة القرآن، ذكره أبو القاسم الهذلى فى كتابه «الكامل» وذكره أيضا الحافظ أبو العلاء، وقوله يروى مسلسلا أى يروى التكبير رواية مسلسلة على ماهو المسلسل فى اصطلاح المحدثين: أنبأنا القاضى أبو القاسم الأنصارى أنبأنا عبد الله الفراوى أنبأنا أبو بكر البيهقى سماعا وإجازة أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ابن محمدبن عبد الله بن يزيد المقرىء الإمام بمكة فى المسجد الحرام أنبأنا أبو عبد الله محمد بن على بن زيد الصائغ أنبأنا أحمد بن القاسم عن أبى بزة قال: سمعت عكرمة بن سليمان يقول: قرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال لى: كبر عند خاتمة كل سورة، وإنى قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحى قال: كبر حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد وأمره بذلك، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك، وأخبره أبى بن كعب أن النبى ﷺ أمره بذلك، قال الحاكم فى كتابه «المستدرك على الصحيحين» هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت وأنبأنا به أعلى من هذا: أبو اليمن الكندى أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن على بن أحمد بن عبد الله سبط أبى منصور الخياط أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله ابن النقور أنبأنا أبو طاهر المخلص أنبأنا يحيى بن محمد بن صاعد أنبأنا البزى فذكره.

قال الحافظ أبو العلاء الهمدانى: لم يرفع التكبير أحد من القراء إلا البزى، فإن الروايات قد تطارقت عنه برفعه إلى النبى ﷺ، ومدار الجميع على رواية البزى كما ذكرناه، ثم أسند عن البزى قال: دخلت على الشافعى رضى الله عنه إبراهيم بن محمد، وكنت قد وقفت عن هذا الحديث يعنى حديث التكبير، فقال له بعض من عنده إن أبا الحسن لا يحدثنا بهذا الحديث، فقال لى يا أبا الحسن: والله لئن تركته لتركت سُنة نبيك قال: وجاءنى رجل من أهل بغداد ومعه رجل عباسى، وسألنى عن هذا الحديث فأبيت أن أحدثه إياه، فقال: والله لقد سمعناه من أحمد بن حنبل عن أبى بكر الأعين عنك، فلو كان منكرا ما رواه، وكان يجتنب المنكرات، ثم أسند الحافظ أبو العلاء الروايات الموقوفة فأسند عن حنظلة بن أبى سفيان قال: قرأت على عكرمة بن خالد المخزومى فلما بلغت والضحى قال لى: هيها.

قلت: وما تريد بهيها؟ قال: كبر فإن رأيت مشايخنا ممن قرأ على ابن عباس، فأمرهم ابن عباس أن يكبروا إذا بلغوا والضحى، وأسند عن إبراهيم بن يحيى بن أبى حية التميمى قال: قرأت على حميد الأعرج، فلم بلغت والضحى قال لى: كبر إذا ختمت كل سورة، حتى تختم، فإنى قرأت على مجاهد فأمرنى بذلك، وقال: قرأت على ابن عباس رضى الله عنه، فأمرنى بذلك. وفى رواية أنبأنا حميد الأعرج قال: قرأت على مجاهد القرآن فلما بلغت ـ ألم نشرح لك صدرك ـ قال لى: كبر إذا فرغت من السورة، فلم أزل أكبر حتى ختمت القرآن، ثم قال مجاهد: قرأت على ابن عباس فلما بلغت هذا الموضع أمرنى بالتكبير، فلم أزل أكبر حتى ختمت، وقال أيضا: حدثنى حميد الأعرج عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس تسع عشرة ختمة فكلها يأمرنى فيها أن أكبر من سورة ألم نشرح ثم أسند الحافظ أبو العلا عن شبل بن عباد قال

رأيت محمد بن عبد الله بن محيصن وعبد الله بن كثير الداري إذا بلغا ألم نشرح كبرا حتى يخما ويقولان رأينا مجاهدا فعل ذلك وذكر مجاهد أن ابن عباس كان يأمره بذلك ثم أسند عن قنبل حديث النبال حدثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد أنه كان يكبر من أول والضحى إلى الحمد قال ابن جريج وأرى أن يفعله الرجل إماما كان أو غير إمام قال: أبو يحيى بن أبي ميسرة ما رفعه أحد إلى النبي ﷺ غير ابن أبي بزة ولو كان أحد رفعه غيره لكان الواجب اتباعه إذا كان أمرا من النبي ﷺ قال الحافظ أبو العلا فأما الرواية والإجماع في ذلك فعن عبد الله بن عباس ومجاهد، وقد روى عن على رضي الله عنه أنه كان يقول إذا قرأت القرآن فبلغت بين المفصل فاحمد الله وكبر بين كل سورتين وفي رواية فتابع بين المفصل في السور القصار واحمد الله وكبر بين كل سورتين ثم ذكر الحافظ أبو العلا عن البزى بإسناده أن الأصل في التكبير أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي وقد اختلف في سبب ذلك وفي قدر مدة انقطاعه فقال المشركون قلى محمدا ربه فنزلت سورة والضحى فقال النبي ﷺ الله أكبر، وأمر النبي ﷺ أن يكبر إذا بلغ والضحى مع خاتمة كل سورة حتى يختم قال أبو الحسن بن غلبون فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر حتى ختم شكرا لله تعالى لما كذب المشركون فيما زعموه وقال الشيخ في شرحه قال رسول الله ﷺ الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكذيبا للكفار وذكر عن أبي عمرو الداني بسنده إلى البزى قال قال لي محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه إن تركت التكبير فقد تركت سنة من سنن رسول الله ﷺ وقال وروى بعض علمائنا عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن يزيد القرشي قال صليت بالناس خلف المقام بالمسجد الحرام في التراويح في شهر رمضان، فلما كان ليلة الختمة كبرت من خاتمة والضحى إلى آخر القرآن في الصلاة فلما سلمت التفت وإذا أنا بأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قد صلى ورائي فلما بصرني قال لي أحسنت أصبت السنة قال أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين وهي سنة بمكة لايتركونها ألبتة ولا يعتبرون رواية البزي ولا غيره قال ومن عادة القراء في غير مكة أن لا يأخذوا بها إلا في رواية البزى وحدها:

١١٢٧ ـ *إذا كبروا في آخر الناس أردفوا*
مع الحمد حتى المفلحون توسلا

الضمير في كبروا للمكيين، بين في هذا البيت آخر مواضع التكبير وكان قد أجمل ذلك في قوله مع الخواتم قرب الختم وفي البيت الآتي يبين أول ذلك ومفعولا أردفوا محذوفان أي أردفوا التكبير مع قراءة سورة الحمد قراءة أول سورة البقرة حتى يصلوا إلى قوله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وهذا يعبر عنه بعض المصنفين بأنه أربع آيات ويعبر عنه آخرون بأنه خمس آيات ووجه ذلك الاختلاف في لفظ ﴿الٓمٓ﴾ فعدها الكوفي آية ولم يعدها غيره وحكى الناظم لفظ القرآن بقوله حتى المفلحون وتوسلا مفعول من أجله أي تقربا إلى الله تعالى بطاعته وذكره ولا تكبير بين الحمد والبقرة قال مكي يكبر في أول كل سورة من ـ ألم نشرح ـ إلى أول الحمد ثم يقرأ الحمد فإذا تم لم يكبر وابتدأ بالبقرة من غير تكبير فقرأ منها خمس آيات قال وروى أن أهل مكة كانوا يكبرون في آخر كل ختمة من خاتمة والضحى لكل القراء لابن كثير وغيره سنَّة نقلوها عن شيوخهم لكن الذى عليه العمل عند القراء أن يكبروا في قراءة البزى عن ابن كثير خاصة وبذلك قرأت قال وحجته في التكبير أنها رواية نقلها عن شيوخه من أهل مكة في الختم يجعلون ذلك زيادة في تعظيم الله عز وجل مع التلاوة لكتابه والتبرك بختم وحيه وتنزيله والتنزيه له من السوء لقوله ﴿وربك فكبر﴾ ﴿ولتكبروا الله﴾ ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال وحجته في الابتداء في آخر ختمه بخمس آيات من البقرة أنه اعتمد في ذلك على حديث صحيح مروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل أي الأعمال أفضل فقال الحال المرتحل يعني الذي ارتحل من ختمة أتمها ويحل في ختمة أخرى أي يفرغ من ختمة ويبتدئ بأخرى وعلى ذلك أدرك أهل بلدة مكة قلت قد سبق الكلام على هذا الخبر وبيان ضعفه فلا يغتر بقول مكي إنه صحيح وأحسن من عبارته عبارة أبي الحسن بن غلبون قال فإذا قرأ قل أعوذ برب الناس كبر ثم قرأ فاتحة الكتاب وخمسا من سورة

البقـرة لأنـه يقـال إن النبى ﷺ سمى من فعل ذلك الحـال المرتحل كما حدثنى أبى رحمه الله وساق الحديث عن صالح المـزى عن قتـادة عن زرارة عن ابن عبـاس أن رجـلا قـام إلى رسول الله ﷺ فقال يارسـول الله أى الأعمال أحب إلى الله فقال الحال المرتحل فقال يارسول الله وما الحال المرتحل؟ قال فتح القرآن وختمه صـاحب القرآن يضـرب من أوله إلى آخـره ومن آخـره إلى أولـه كلمـا حل ارتحل قال فقيـل إنه عليـه الصـلاة والسلام يعنـى بذلك أنـه يختم القرآن ثم يقـرأ فاتحـة الكتاب وشيئـا من البقرة فى وقت واحـد قلت أصل الحـديث ضعيف كمـا سبق ثم زاد بعضهم فيـه التفسير غيـر منسـوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام فحملنـاه على أن بعض رواته المذكورين فى سنده فسره على ما وقع له فى معناه .

وهذا الحديث قد بين فيـه أن المفسر له هو النبى ﷺ وهو زيادة غير معروفة فقد روى الأهوازى هذا التفسير بعينه ولم يقل فى الحديث يـارسول الله ثم ولـو صح هذا الحـديث والتفسير لكان معناه الحث على الإكثار من قراءة القرآن والمواظبة عليه فكلمـا فرغ من ختمـة شرع فى أخـرى، أى إنه لا يضـرب عن القراءة بعـد ختمة يفرغ منها بل تكـون قراءة القرآن دأبه وديـدنه وفى رواية أخـرى أخرجها الأهوازى فى كتـاب الإيضـاح الحال المـرتحل الـذى إذا ختم القـرآن رجـع فيـه ثم هـذا الفعل من التكبير وقـراءة الحمد إلى المفلحون مروى عن ابن كثيـر نفسه مأخوذ بـه عن طريق البـزى وقنبل على ما سنـوضحه قـال أبو الطيب ابن غلبون ولـم يفعل هذا قنبل ولا غيره من القراء أعنى التكبيـر، وهذه الـزيادة من أول سـورة البقـرة فى قراءة الختمـة سوى البزى وحـده قال أبو الفتح فارس بـن أحمد ولا نقول إن هـذا سنة ولا أنـه لا بد لمـن ختم أن يفعله فمن فعلـه فحسن جميل ومن تـرك فلا حـرج قال صـاحب التيسير وهـذا يسمى الحال المرتحل وفى جميع مـاقدمناه أحاديث مشهـورة يرويها العلماء يؤيد بعضها بعضا تـدل على صحة ما فعله ابن كثير.

قلت لم يثبت شىء من ذلك وأكثر ما فى الأمر أن ابن كثير كان يقبله والحـديث المسند فى ذلك هـو فى بيان سنـد قراءة ابن كثير أى أخذ ابن كثيـر عن درباس عن ابن عباس عن أبى عن النبى ﷺ وفيه وقرأ النبى عليه الصلاة والسلام على أبى فالسند المذكور إنما هو لبيان لك ثم قرأ فى آخر الحديث وأنه كان إذا قـرأ قل أعوذ بـرب النـاس افتتح من الحمـد ثم قرأ البقـرة إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ ثم دعا بـدعاء الختم ثم قـال يعنى بذلك ابن كثير والله أعلم . وقد قـال أبو طالب صـاحب أحمد ابن حنبل سألت أحمـد إذا قرأ قـل أعوذ بـرب الناس يقـرأ من البقرة شيئا قال لايقرأ فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شىء ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصيـر إليه ذكره شيخنا أبو محمد بن قدامـة فى كتابه المغنى وذكر أبـو الحسن بن غلبون وغيـره رواية عن الأعمش عن إبـراهيم قال كـانوا يستحبـون إذا ختموا القرآن أن يقرءوا من أوله آيات . قلت ولكل من المذهبين وجه ظاهر.

١١٢٨ ــــ *وقـال بـه البـزى من آخـر الضحى*
وبعـض لــــه مـن آخـــر الليل وصَّــــلا

اتبع فى ذلك مافى كتاب التيسير من نسبة ذلك إلى البزى وحده على ما حكاه أبـو الطيب بن غلبون وابنه أبو الحسن ولا يختص ذلك بالبزى عند جماعة من مصنفى كتب القراءات بل هو مـروى عن قنبل كما هو مـروى عن البزى لكن شهـرته عن البزى أكثر وعنه انتشرت الآثار فى ذلك على ماسبق بيانه وقوله به أى بالتكبير بين بهذا البيت أول مواضع التكبير التى أجملها فى قـولـه قـرب الختم فأكثر أهل الأداء على أنـه من آخـر والضحى وهو الصحيح لأن الآثار فى ذلك ألفـاظها كما سبق مصرحـة فى بعض الروايـات بألم نشرح وذلك آخـر والضحى وفى بعضهـا إطلاق لفظ والضحـى وهو يحتمل الأول والآخـر فيحمل هذا المطلق على ذلك التقييد ويتعين الآخر لذلك قال أبو الحسن بن غلبون : اعلم أن القراء أجمعوا على ترك التكبير من سورة والضحى إلا البـزى وحده فإنه روى عن ابن كثيـر أنه يكبـر من خـاتمـة والضحى إلى آخـر القـرآن ثم روى عن أبى الحسن اللغوى أجـازة قال أخبرنا ابـن مجاهد حدثنـا عبد الله ابن سليمان حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا عبد الحميد حدثنا سفيان حدثنا إبراهيم بن أبى حيـة أنبأنا حميد عن مجاهد قال ختمت على ابن عباس بضعـا وعشرين ختمة كلهـا يأمرنى أن أكبر من ألم نشرح وبه عن سفيان قال رأيت حميد الأعرج يقرأ

والناس حوله فإذا بلغ والضحى كبر إذا ختم كل سورة حتى يختم ولم يذكر صاحب التيسير الكبير إلا من آخر والضحى فقول الناظم «وبعض له» أى للبزى وصل التكبير من آخر سورة والليل يعنى من أول والضحى فهذا الوجه من زيادة هذه القصيدة وهو قول صاحب الروضة قال روى البزى التكبير من أول سورة والضحى إلى خاتمة الناس ولفظه الله أكبر تابعه الزينبى عن قنبل فى لفظ التكبير وخالفه فى الابتداء به فكبر من أول سورة ألم نشرح قال ولم يختلفوا أنه منقطع مع خاتمة الناس. وحكى ابن الفحام وجها عن السوسى أنه يكبر من أول ألم نشرح إلى خاتمة الناس والله أعلم وقال الحافظ أبو العلا كبر البزى وابن فليح وابن مجاهد وابن الصلت عن قنبل من فاتحة والضحى وفواتح ما بعدها من السور إلى سورة الناس وكبر الباقون من فاتحة ألم نشرح إلى سورة الناس قال وأجمعوا على ترك التكبير بين خاتمة الناس وبين الفاتحة إلا ما رواه فلان عن قنبل زاد بعضهم قراءة أربع آيات من أول البقرة.

قلت: وهكذا حكى الهذلى أن التكبير إلى أول قل أعوذ برب الناس وقال بعضهم إلى خاتمتها فقول الناظم إذا كبروا فى آخر الناس اتبع فيه قول صاحب التيسير وهو يوهم أنه متفق عليه عند كل من يردف ذلك بقراءة الفاتحة وشىء من أول البقرة، بل فيه الاختلاف كما ترى.

١١٢٩ ـــ *فإن شئت فاقطع دونه أو عليه أو*
صل الكل دون القطع معه مبسملا

ذكر فى هذا البيت حكم التكبير فى اتصاله بالسورة الماضية أو بالبسملة التى من السورة الآتية فنقل ثلاثة أوجه كلها متجهة وهى مذكورة فى التيسير وغيره أحدها أنه يقطع آخر السورة من التكبير أى لا يصل التكبير بآخر السورة، فهذا معنى قوله فاقطع دونه أى دون التكبير وهذا اختيار صاحب الروضة والحافظ أبى العلاء، وهو الذى أختاره لما فيه من الفصل بين القرآن وغيره وقال صاحب الروضة اتفق أصحاب ابن كثير على أن التكبير منفصل من القرآن لا يخلط به وقال أبو العلاء الحافظ أجمعوا غير المطوعى والفحام على الوقف فى آخر كل سورة ثم الابتداء بالتكبير متصلا بالتسمية فأما المطوعى والفحام فإنهما خيرا بين الوقف على آخر السورة ثم الابتداء بالتكبير وبين وصل آخر السورة بالتكبير، قال والفصل أولى.

قلت لما ذكرته وينبنى على ذلك أن يختار فصل التكبير أيضا من التسمية على المذهب الأصح وهو أن البسملة فى أوائل السور من القرآن على ما قررنا فى كتاب البسملة ووجه ذلك ما ذكره صاحب الروضة من أن التكبير منفصل من القرآن لا يخلط به ولا يكون وصل التكبير بالبسملة أولى إلا على رأى من لا يراها من القرآن فى أوائل السور فيكون حكمها وحكم التكبير واحدا كلاهما ذكر الله تعالى مأمور به فاتصاله أولى من قطعه، الوجه الثانى أنه يصل التكبير بآخر السورة ويقف عليه ثم يبتدئ بالبسملة وهذا معنى قوله أو عليه يعنى أو تقطع على التكبير ومأخذ هذا الوجه أن التكبير إنما شرع فى أواخر السور فهو من توابع السورة الماضية لأن النبى ﷺ إنما كبر لما تليت عليه سورة والضحى فرأى صاحب هذا الوجه أن وصله بآخر السورة والقطع عليه أولى لتبين الغرض بذلك وهذا لا يتجه إلا تعريفا على القول بأن أول مواضع التكبير آخر الضحى فإن قلنا هو مشروع من أولها فهو للسورة الآتية فيتجه القول الأول، واختار صاحب التيسير هذا الوجه وبدأ به فيه وهو وصل التكبير بآخر السورة لكنه خير بين الوقوف عليه ووصله بالبسملة، قال والأحاديث الواردة عن المكيين بالتكبير دالة عليه لأن فيها مع وهى تدل عن الصحبة والاجتماع وقال فى غير التيسير على مانقله الشيخ فى شرحه: الحذاق من أهل الأداء يستحبون فى مذهب البزى أن يوصل التكبير بآخر السورة من غير قطع ولا سكت على آخرها دونه ويقطع عليه ثم يقرأ بعد ذلك بسم الله الرحمن الرحيم موصلا بالسورة الثانية إلى آخر القرآن ومنع مكى من هذا الوجه فقال فى التبصرة ولا يجوز أن تقف على التكبير دون أن تصل بالبسملة وقال فى الكشف ليس لك أن تصل التكبير بآخر السورة وتقف عليه، الوجه الثالث أن يوصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وهذا هو المراد من قوله أوصل الكل واختار هذا الوجه أبو الطيب بن غلبون وابنه أبو الحسن ومكى مع تجويز غيره قال أبو الطيب وهو المشهور من هذه الوجوه وبه قرأت وبه آخذ، وقال ابنه أبو الحسن واعلم أن القارئ إذا أراد التكبير فإنه يكبر مع فراغه من آخر السورة من غير قطع ولا سكت فى وصله ولكنه يصل

آخر السور بالتكبير ثم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وهو الأشهر الجيد إذ لم يذكر فى شىء من الحديث فصل ولا سكت، بل ذكر فى حديث ابن عباس مع، وهى تدل على الصحبة والاجتماع.

قلت: ولا ضرورة إلى هذه المضايقة فالمعية حاصلة وإن قطع آخر السورة بوقفة يسيرة فلا يراد بالمعية فى مثل ذلك إلا الاتصال المعروف فى القراءة كما أن وقوف القارىء على مواضع الوقف من أواخر الآى وغيرها لا يخرجه ذلك عن اتصال قراءته بعضها ببعض، فإذا ليس الأولى إلا الوجه الأول، وهو فصل السورة من التكبير لما ذكرناه، وفصل التكبير من البسملة مبنى أيضا على ماذكرناه من الخلاف فى البسملة قال صاحب التيسير ولا يجوز القطع على التسمية إذا وصلت بالتكبير وهذا صحيح وقد مضى شرح ذلك فى آخر باب البسملة وهو قوله ومهما تصلها مع أواخر سورة فلا تقفن فلا فرق بين وصلها بآخر السورة أو بالتكبير أما إذا لم تصلها بالتكبير بل وقفت عليه فإنه يجوز لك أن تقف على البسملة أيضا كما إذا وقفت على آخر سورة.

وقد وقع لى فى التكبير ثلاث احتمالات عليها تخرج هذا الوجوه كلها، أحدها أن التكبير من توابع السورة الماضية فعلى هذا وصله بها أولى الثانى أنه من مقدمات السورة الآتية فعلى هذا قطعه من الأولى ووصله بالثانية أولى والثالث أنه ذكر مشروع بين كل سورتين من هذه السور فعلى هذا يجوز وصله بهما وقطعه عنهما فمن كبر من أول والضحى لحظ الوجه الثانى، ومن كبر من آخرها لحظ الأول وعلى هذا يبين الخلاف فى انتهاء التكبير إلى أول الناس أو آخرها.

فإن قلت: فما وجه من كبر من أول الضحى وكبر آخر الناس؟

قلت: كأنه أعطى لسورة الناس حكم ما قبلها من السور إذ كل سورة منها بين التكبيرتين وليس التكبير فى آخر الناس لأجل أول الفاتحة لأن الختمة قد انقضت ولو كان للفاتحة لشرع التكبير بين الفاتحة والبقرة ولم يفعله هؤلاء لأن التكبير للختم لا لافتتاح أول القرآن والله أعلم.

وقوله معه مبسملا أى مبسملا مع التكبير فنصب مبسملا على الحال من فاعل صل الكل:

وما قبله من ساكن أو منوَّن
فللساكنين اكسره فى الوصل مرسلا

المذكور فى هذا البيت مفرع على قولنا إن التكبير يوصل بآخر السورة وهو معنى قوله فى الوصل ومعنى مرسلا مطلقا أى الحكم فى الكسر مطلقا فى النوعين أما إذا قلنا لا يوصل وهو الوجه المختار كما سبق فلا حاجة إلى ما فى هذا البيت والذى بعده، فإن الكسر يبتدىء بفتح همزته وكذا إن قلنا إن التهليل يشرع قبل التكبير ووصلناه بآخر السورة فلا يتغير أمر مما يتعلق بأواخر السور لأن أول التهليل حرف متحرك وأول التكبير همز وصل قبل ساكن، فهمزة الوصل تسقط فى الدرج فيبقى الساكن فينظر فى أواخر السور وهى على أربعة أقسام إما آخره متحرك أو هاء ضمير وهذان القسمان يأتى ذكرهما فى البيت الآتى وذكر فى هذا البيت قسمين ما آخره ساكن وما آخره تنوين فالذى آخره ساكن الضحى ألم نشرح اقرأ والذى آخره تنوين العاديات القارعة الهمزة الفيل قريش النصر تبت الإخلاص، فحكم هذين القسمين كسر ماقبل التكبير لالتقاء الساكنين، وهذان القسمان كقسم واحد لاتحاد حكمهما ولأن سكون التنوين كسكون غيره وإنما أراد أن ينص على ساكن مرسوم حرفا فى الخط وساكن يثبت لفظا لا خطا وهو التنوين ونزل تغيير أواخر هذه السورة لأجل ساكن أول التكبير منزلة تغييره إذا وصل آخر سورة بأول أخرى على قراءة حمزة فإن تنوين آخر والعاديات يكسر وكذا ورش إذا وصل ويفتح آخر الضحى ويكسر آخر اقرأ بإلقاء حركة همزة ما بعدهما عليهما والله أعلم.

وأدرج على إعرابه ما سواهما
ولا تصلن هاء الضمير لتوصلا

يعنى ماسوى الساكن والمنون وهو المحرز أنزله على إعرابه أى وصله على حركته سواء كانت فتحة كآخر التين والماعون والفلق أو كسرة كآخر القدر والتكاثر والعصر والكافرين والناس أو ضمة كآخر الكوثر ولم يكن والزلزلة ولكن هاتان السورتان آخرهما هاء الضمير فلا يصلها لأجل الساكن بعدهما على ما تمهد فى شرح قوله ولم يصلوها

مضمر قبل ساكن فإذا لم تصلها وصلت ولم تقطع لأن ذلك يدل على علمك وفضلك وإن وصلتها قطعت لدلالة ذلك على الجهل فما أحلى ما وافقه ولا تصلن لتوصلا والنون في ولا تصلن للتأكيد قوله وأدرج من قولهم أدرجت الكتاب أي طويته وأدرجت الدلو إدراجا إذا متحتها ومتح من باب نفع يقال متحت الدلو إذا استخرجتها برفق فكأن القارئ إذا قرأ كلمة وتعداها إلى غيرها قد أدرجها وطواها وقوله على إعرابه أي على حركة إعرابه وفي حركات أواخر السور المذكورة ما هو حركة إعراب كآخر القدر والتكاثر والعصر والماعون والكوثر والناس وباقيها حركة بناء كالتين ولم يكن والزلزلة والكافرين والفلق فلم يرد بقوله إعرابه إلا مجرد الحركة، وكان يغنيه عن ذلك أن يقول وأدرج على تحريكه ما سواهما.

١١٣٢ ـــ *وقُل لفظه الله أكبر وقبله*
لأحمد زاد ابن الحباب فهيللا

أي لفظ التكبير وسكن الراء من أكبر حكاية للفظ المكبر لأنه واقف عليه فهذا هو المختار في لفظة التكبير قال ابن غلبون والتكبير اليوم بمكة الله أكبر لا غير كما ذكرنا في الأحاديث التي تقدمت وهو مشهور في رواية البزي وحده وقال مكي الذي قرأت وهو المأخوذ به في الأمصار الله أكبر لا غير وقوله وقبله يعني قبل التكبير لأحمد يعني البزي زاد ابن الحباب وهو أبو علي الحسن بن الحباب بن مخلد الدقاق قرأ على البزي وروى عنه التهليل قبل التكبير وقوله فهيللا أي فقال لا إله إلا الله والأصل أن يقال فهللا وأنما الياء بدل من أحد حرفي التضعيف نحو قولهم تظنيت يقال قد أكثرت من الهيللة أبدلت الياء من عين الكلمة لتكرير اللامات حكى أبو عمرو الداني في كتاب التيسير عن الحسن بن الحباب قال سألت البزي عن التكبير كيف هو فقال لي لا إله إلا الله والله أكبر قال الداني وابن الحباب هذا من الإتقان والضبط وصدق اللهجة بمكان لا يجهله أحد من علماء هذه الصنعة وبهذا قرأت على أبي الفتح وقرأت على غيره بما تقدم وحكى عن ابن الحباب أيضا أبو طاهر بن أبي هاشم، ذكره الحافظ أبو العلاء فقال: لا إله إلا الله والله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم:

١١٣٣ ـــ *وقيل بهذا عن أبي الفتح فارس*
وعن قنبل بعض بتكبيره تلا

أي بما نقله ابن الحباب وهو معنى قول الداني وبهذا قرأت على أبي الفتح وقال في غير التيسير حدثنا أبو الفتح شيخنا حدثنا عبد الباقي بن الحسن حدثنا أحمد بن صالح عن ابن الحباب عنهم يعني بالتهليل قال أبو عمرو وبذلك قرأت على فارس أعني بالتهليل والتكبير وأبو الفتح هذا هو فارس بن أحمد بن موسى بن عمران الضرير الحمصي سكن مصر قال الداني في تاريخ القراء أخذ القراءة عرضا وسماعا عن غير واحد من أصحاب ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهم ثم قال لم يلق مثله في حفظه وضبطه وحسن تأديته وفهمه بعلم صناعته واتساع روايته مع ظهور نسكه وفضله وصدق لهجته وسمعته يقول ولدت بحمص سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وتوفي رحمه الله بمصر في ما بلغني سنة إحدى وأربع مائة وقد ذكره أبو عمرو الداني أيضا في أرجوزته التي نظمها في علم القراءة فقال:

ممن أخذت عنهم ففارس
وهو الضرير الحاذق الممارس
أضبط من لقيت للحروف
وللصحيح السائر المعروف

وجميع ما ذكرناه مأخوذ به في رواية البزي وأما قنبل فلم يذكر له صاحب التيسير تكبيرا وقال في غيره وقد قرأت أيضا لقنبل بالتكبير وحده من غير طريق ابن مجاهد قال وبغير تكبير آخذ في مذهبه فقول الشاطبي.

* *وعن قنبل بعض بتكبيره* *

من زيادات هذه القصيدة على ما في التيسير والهاء في تكبيره عائدة على البزي أي وبعض الشيوخ تلا عن قنبل بمثل تكبير البزي ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على قنبل أو على بعض ولكن قوة المعنى على ما ذكرناه أولا وقد حكى صاحب الروضة التهليل أيضا عن قنبل فقال وروى قنبل في غير رواية الزينبي عنه التهليل والتكبير من أول سورة ألم نشرح إلى خاتمة الناس ولفظه لا إله إلا الله والله أكبر وكذلك حكى الحافظ أبو العلاء التهليل والتكبير للبزي ولقنبل وحكى الهذلي صاحب الكامل رواية عن قنبل في تقديم التسمية على التكبير وهذا مما يقوى أن التكبير للسورة الآتية لا للسابقة وإن كان وجها بعيدا والله أعلم (إبراز المعاني / ٧٣٠ ـ ٧٤٢)

ذلك كان ما أورده الإمام الشاطبى فى الشاطبية عن ختم القرآن. أما ما أورده الإمام ابن الجزرى فى طيبة النشر فهى هذه الأبيات يختتم بها منظومته. قال الناظم:

وسنة التكبير عند الختم
صحت عن المكين أهل العلم
فى كل حال ولدى الصلاة
سلسل عن أئمة ثقات
من أول انشراح أو من الضحى
من آخر أو أول قد صححا
للناس هكذا وقيل إن ترد
هلل وبعض بعد لله حمد
والكل للبزى رووا وقنبلا
من دون حمد ولسوس نقلا
تكبيره من انشراح وروى
عن كلهم أول كل يستوى
وامنع على الرحيم وقفا إن تصل
كلا وغير ذا أجز ما يحتمل
ثم اقرإ الحمد وخمس البقرة
إن شئت حلاً وارتحالا ذكره
وادع وأنت موقن الإجابه
دعوة من يختم مستجابه
وليعتنى بأدب الدعاء
ولترفع الأيدى إلى السماء
وليمسح الوجه بها والحمد
مع الصلاة قبله وبعد

(طيبة النشر/ ١١٨، ١١٩)

وقد شرحها الشيخ محمد الصادق قمحاوى فى كتابه «الكوكب الدرى» ص ٥٩٣ ـ ٦٠١ فارجع إليه إن شئت. انظر ثبت المراجع.

يقول الدكتور سعيد إعراب عن الختم فى القرآن:

قلما يخلو كتاب من حديث الختم فى القرآن وكيفية ذلك، وما ورد فيه من أخبار...

* وقد تقصى آثاره واستوعب مسائله أبو القاسم بن على السبتى ـ فى كتاب له سماه (التحفة)، ينقل عنه السفاقسى فى (غيث النفع) كثيرا؛ وأورد له عدة صيغ فى دعاء الختم، منها:

(... اللهم إنى أسألك إخبات المخبتين، وإخلاص الموقنين؛ ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقيقة الإيمان؛ اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علما تنفعنا به؛ اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك؛ والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم؛ والفوز بالجنة، والنجاة من النار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وورد على أحمد بن المبارك السجلماسى ـ سؤال فى حكم قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات عند ختم القرآن: هل له أصل فى السنة أم لا؟

فأجاب عن ذلك بجواب مطول (القراء والقراءات بالمغرب / ٦٨).

ومن فتاوى الإمام الشاطبى فتوى بشأن مسألة تتصل بالبدع وجاء نص المسألة كما يلى:

تعيين الختم ليلة معينة من العشر الأواخر من رمضان والدعاء بعده وقراءة القرآن كله فى تلك الليلة، وزيادة الوقد على سائر الأيام، هل كان ذلك فى فعل السلف؟

فأجاب الإمام الشاطبى رحمه الله قائلا:

إن ختم القرآن فى رمضان ليس بمطلوب فى الشرع قال فى المدونة: وليس ختم القرآن سنة لقيام رمضان (هذا المعنى فى المدونة ١/ ٢٢٣، وفى الحوادث والبدع/ ٢٥٨).

وقال ربيعة ويعرف بربيعة الرأى من شيوخ الإمام مالك: ولو أمهم رجل بسورة حتى ينقضى الشهر لأجزأ قال: والأمر فى رمضان الصلاة وليس بالقصص بالدعاء.

قال الطرطوشى: فتأملوا ـ رحمكم الله ـ فقد نهى مالك أن يقص أحد فى رمضان بالدعاء. وحكى أن الأمر المعمول به إنما هو الصلاة من غير قصص ولا دعاء.

وسئل مالك عن الذى يقرأ القرآن ثم يختمه ويدعو؟ فقال: ما سمعت أنه يُدعى عند ختم القرآن، وما هو من عمل الناس.

وأما تعيين ليلة الختم وقراءة القرآن كله والدعاء، فقد تضمن حكمه ما ذكر آنفا إلا زيادة الإيقاد، فإن ذلك أيضا لم يكن بعمل من تقدم، فإن تعظيم الليلة أو الشهر بإيقاد النيران فيه تعظيم للنار، مع زيادة السرف واجتماع الغوغاء وظهور المنكرات باجتماع الرجال والنساء وغير ذلك مما لا يحل.

يقول الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحاج الفاسى: «لا يزاد فى ليلة الختم شيء زائد على ما فُعل فى أول الشهر لأنه لم يكن من فعل من مضى، بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع، لما فيه من إضاعة المال والسرف والخيلاء. سيما إذا انضاف إلى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه، فإن كان فيه شيء من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة إليه، وإن كان بغيرهما فهو إضاعة مال وسرف وخيلاء» (المدخل ٢/ ٣١١) (فتاوى الإمام الشاطبى / ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨).

ويعد الشيخ عثمان بن فودى من البدع اجتماع الناس لختم القرآن فى ليلة سبع وعشرين من رمضان فيقول رحمه الله: وهو بدعة محرمة إجماعا على ما يعتاده الناس فى ذلك فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء والتطريب المتفاحش فى القراءة والمنازعة فيها على وجه المباهاة، وأما إن خلا اجتماعهم عن كل هذه المنكرات فهو بدعة مكروهة أو جائزة.

وفى شرح المفيدة: فليحذر مما يفعله بعضهم فى ليلة سبع وعشرين، وهو أن يصلى بداره والنساء خلفه: المحارم وغيرهن، ويسرع حتى يقطع كلمات القرآن ومتى ختم لج النساء خلفه بالزغاريد، ويتنافس مع جاره الذى يفعل كفعله ليختم القرآن قبله ويسبقه ثم لا يراعى إلا الختم، ومهما ختم بتلك السرعة والقلق الذى لا يحضر معه فكر زغردت النساء وذهب.

وهذا الفعل — والعياذ بالله ـ حرام من وجوه كثيرة: انظر كيف حرم نفسه من الأجر العظيم الذى تلتمس ليلة القدر لأجله، التى هى خير من ألف شهر، وجعل فى موضع ذلك الخير العظيم الذنوب والآثام، ونعوذ بالله من الجهل المهلك لصاحبه.

ولو نام هذا الجاهل تلك الليلة لكان أسلم وأحسن له من هذه المحرمات، ولو وفقه الله، لصلى منفردا بوقار وخشوع، وإن عطلت المساجد فيها، ويعلم النساء اللاتى أضلهن بضلاله وحرمهن بحرمانه، فيقول لهن: تصلى كل واحدة بالحمد والسورة فى الليلة المذكورة فإن ذلك يكفى.

وفى المدخل: وينبغى له أن يجتنب ما أحدثوه من البدع فى قواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا، وفلان فى ليلة كذا، ويعرض ذلك بعضهم على بعض فيكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كأنه ولائم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غالبا من انتصاف شهر رمضان إلى آخر الشهر، فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنها، إذ أنه لم يكن من فعل من مضى ـ أعنى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان.

وأما إن كان إنسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة فيجمع أهله لتعمهم الرحمة، لأن الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم ـ فذلك جائز. ا هـ (المدخل/ ٣٠٦).

فإن قلت: هل يدعى بعد ختم القرآن جهرا والناس يسمعون، أو لا ؟ قلت: قال الشيخ الجليل أبو الوليد أبو بكر المشهور بالطرطوشى رحمه الله: فالجواب أن يقال: إن كان ذلك على وجه السلامة من اللغط، ولم يكن إلا الرجال أو الرجال والنساء متفردين بعضهم عن بعض يسمعون الدعاء، فهذه البدعة التى كره مالك رحمة الله.

وأما إن كان على الوجه الذى يجرى فى هذا الزمان من اختلاط الرجال والنساء وأمثال ذلك من الفسوق واللغط فما هو من عمل الناس.

وفى المدخل (ص ٢٩٩): قال مالك: لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم

فيما يقرأ، قال: ويكره الدعاء بعد فراغهم، ثم قال بعد كلام: فإذا تقرر هذا من مذهب الإمام رحمه الله تعالى فاعلم أن الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة، وأما الدعاء فى السر فهو جائز أو مندوب بحسب الحال، وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم.

***

ومن ذلك: إحضار أوانى الماء فى المسجد حين الختم، وهو بدعة مكروهة.

وفى المدخل (ص ٣٠٤) وينبغى له أن يجتنب فى نفسه وينهى غيره مما أحدثه بعضهم من إحضارهم الكيزان وغيرها من أوانى الماء فى المسجد حين الختم، فإذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به إلى بيوتهم فيسقونه لأهلهم ومن شاءوا على سبيل التبرك، وهذه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم وهذا الذى لا يختص بليلة الختم، بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها. اهـ مدخل (إحياء السنة وإخماد البدعة / ١٩٩ - ٢٠١).

(التبيان فى آداب حملة القرآن لأبى زكريا يحيى بن شرف الدين النووى / ٣٨ - ٤٢، ١١٣ - ١١٨، والتيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى - عنى بتصحيحه أو توبريزل / ٢٢٦ - ٢٢٨، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى للشاطبى ط مصطفى البابى الحلبى / ١٩٥ - ١٩٧، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة/ ٧٣٠ - ٧٤٢، وطيبة النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ط مصطفى البابى الحلبى/ ١١٨، ١١٩، والقراء والقراءات بالمغرب - سعيد إعراب/ ٦٨، وفتاوى الإمام الشاطبى لأبى إسحق إبراهيم بن موسى الأندلسى - حققها وقدم لها محمد أبو الأجفان/ ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وإحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فودى - تحقيق وتعليق أحمد عبد الله باجور. انظر أيضا الكوكب الدرى فى شرح طيبة ابن الجزرى. مختصر شرح الطيبة للنويرى - محمد الصادق قمحاوى/ ٥٩٣ - ٦٠١، وسراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى للإمام ابن القاصح العذرى/ ٤٠٣ - ٤٠٥، وهداية المستفيد فى أحكام التجويد - الشيخ محمد المحمود المشهور بأبى ريمة - صححه وراجعه وضبطه أحمد محمد شاكر/ ٣٤، ٣٥).

*** الختمات والتهاليل:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ١٠٣٩٤

- رسالة فى الذكر والختمات لعلها من جمع بعض تلامذة المؤلف.

المؤلف: مصطفى بن محمد الكردى؟

أولها: الحمد لله الذى جعل سيف الحق ظاهرا مشهورا وقلده أئمة أعلاما ... وبعد فيقول سيدى وأستاذى ... مصطفى بن محمد الكردى ... هذه تحريرات جلية واضحة ونقول لما أغلق من باب عمل الختمات والتهاليل ...

آخرها: فحينئذ ينفذ الحاكم له الوصية ولكن أضر الموصى لهم بنقص حقهم بسبب الرشوة وأضر الحاكم بأخذ تلك الرشوة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ...

الخط نسخ دقيق معتاد، الحبر: أسود.

اسم الناسخ: حسن بن إبراهيم البيطار.

تاريخ النسخ: سنة ١٢٣٧ هـ.

ملاحظات: نسخة حسنة.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٦، ٤٩٧).

*** الختمة:**

انظر: ختم القرآن

*** الختنية (الزاوية):**

انظر: الختنية (المدرسة)

*** الختنية (المدرسة) ٥٨٧:**

من مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام. وتقع جنوب الأقصى. قال عنها الدكتور العسلى:

الختنية مدرسة وزاوية، ويمكن أن تندرج تحت المدارس أو الزوايا، تماما مثل الزاوية النصرية، للشبه القائم بين المدارس والزوايا. وقد آثرنا ذكرها مع المدارس لما كان لها من أهمية بين سائر الزوايا فى ميدان التدريس.

تحقيق اسم المدرسة :

سماها مجير الدين في الأنس الجليل (٢/ ٣٤) الزاوية الخثنية، وكذلك سماها عارف العارف وكثيرون ممن أخذوا عن مجير الدين . غير أن الاسم الصحيح للمدرسة إنما هو الختنية نسبة إلى الشيخ الختني الذي كان شيخا لهذه الزاوية في القرن الثامن. وقد أشار العمري إلى هذه الزاوية عند زيارته للمسجد الأقصى سنة ٧٤٣ فقال : «قال الصاحب تاج الدين : هذا المسجد (ويقصد اصطبل سليمان) بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي أعلاه . وله من داخل الخانقاه الصلاحية (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة وبها الآن شيخ يعرف بالختني، وبه تعرف الآن) سلمان» . ويضيف العمري في الصفحة التالية : «قلت ولقد دخلت إلى بعض هذه الأماكن . ورأيت من عجائب الأبنية ما يملأ العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الختني، ثم أفضت منها إلى الكروم وظاهر المسجد» (أخذ العمري معظم وصفه للمسجد الأقصى عن الصاحب أحمد بن أمين الدين في كتابه «سلسلة العسجد في صفة الأقصى والمسجد» .

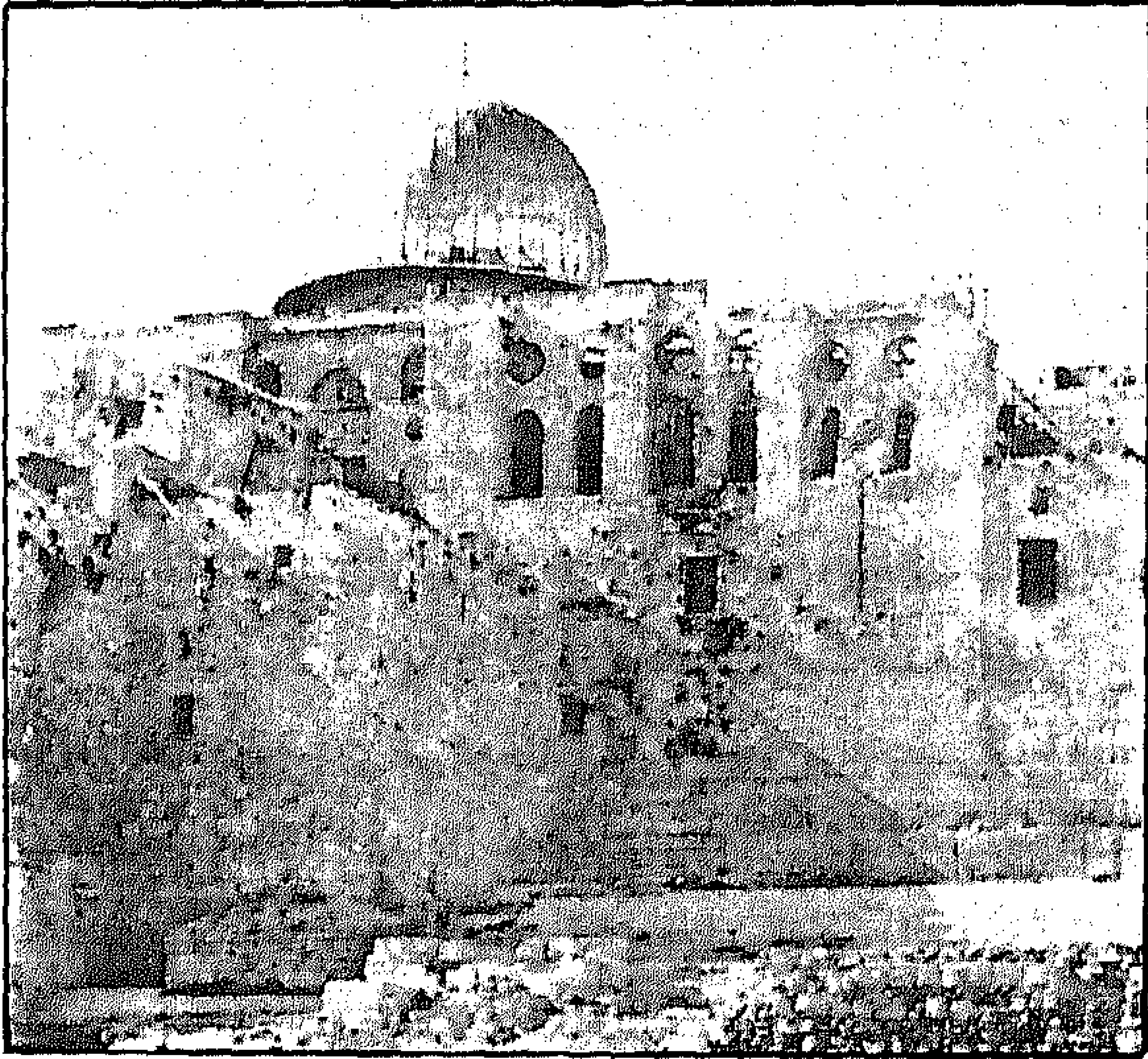
ويؤكد هذه التسمية ـ الختنية ـ سجلات المحكمة الشرعية بالقدس التي أوردته كذلك، كما تؤكده سجلات الأراضي المحفوظة برئاسة الوزراء في استانبول . وهذا يقطع بأن الاسم الصحيح للمدرسة هو الختنية، لا الخثنية . وورد اسم الختنية كذلك في الكواكب السائرة، وفي «المعاهد المصرية في بيت المقدس» للخالدي وفي «بلادنا فلسطين» للدباغ . كما أن مجير الدين نفسه يسميها الختنية في مواضع أخرى من كتابه .

وقف هذه المدرسة/ الزاوية السلطان صلاح الدين الأيوبي على رجل من أهل الصلاح هو الشيخ العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد الشاشي المجاور في بيت المقدس ثم من بعده على من يحذو حذوه . وتاريخ الوقف ١٨ ربيع الأول سنة ٥٨٧ . ومما كان موقوفا على المدرسة في القرن العاشر دار بخط باب القطانين .

تقع الزاوية خارج السور الجنوبي للمسجد الأقصى خلف منبر نور الدين بالضبط . ولها باب بجوار المنبر . وبناؤها قديم من زمن الروم، كما يقول مجير الدين . وقد طرأت عليه تغييرات وإضافات كثيرة، كان من بينهما غرف مستجدة وأخيرا دورة مياه . وقد تبين أن المدرسة احتفظت ببعض بقاياها من عقود وشبابيك حتى الآن، ويعتقد الأستاذ حسن عبد الوهاب، العالم الأثري، أن المدرسة الختنية بنيت فوق باب قديم من أبواب الحرم، وهو الباب المعروف باسم باب النبي . ولذلك فإن المدرسة حجبت هذا الباب وشوهته لأنها قائمة في وجهه .

ممن زار الختنية في القرن الثامن الرحالة المغربي الكبير محمد بن بطوطة . فقد ذكر ابن بطوطة الشيخ الختني في زيارته الثانية للقدس سنة ٧٤٩ وسمى زاويته زاوية المسجد الأقصى، وهو يقول في ذلك «وجدت من كنت أعهده من جميع الأشياخ بالقدس قد انتقلوا إلى جوار الله تعالى رحمهم الله، فلم يبق منهم إلا القليل مثل المحدث العالم الإمام صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي ومثل الصالح شرف الدين الخشني شيخ زاوية المسجد الأقصى (هو الختني والأمر لا يعدو أن يكون تصحيفا من النساخ) .

تولى مشيخة الختنية، إلى جانب الشيخين الشاشي والختني، المشار إليهما أعلاه، كثير من الشيوخ الأعلام منهم



المدرسة الختنية جنوب الأقصى

شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن ... بن على بن أرسلان الرملى الشافعى (٧٧٥ ـ ٨٤٤). وقد قدم القدس من الرملة وانقطع بالزاوية الختنية وتوفى بها ودفن بماميلا. والشيخ أرسلان يرجع بنسبه إلى قبيلة كنانة. وكان له جامع بمدينة الرملة وولى تدريس الخاصكية بها مدة طويلة، كما أنه عمر برجا على شاطىء يافا. وقد كان من كبار الأئمة وأخذ عنه كثير من العلماء. وله كتب فى الفقه والنحو والتفسير وعلم القراءات والحديث. وجمع طبقات الفقهاء الشافعية (الأنس الجليل ٢/ ١٧٤، ١٧٥).

ومن شيوخها أيضا شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق ابن زين الدين الأنصارى الخليلى الشافعى. درس الفقه فى الزاوية الختنية. وعرض عليه مجير الدين الحنبلى قطعة من كتاب المقنع سنة ٨٧٣. وبقى مقيما فى الزاوية حتى سنة ٨٧٩، حين طلب إلى القاهرة وتوفى فى الخليل سنة ٨٩٣. وتلاه فى المشيخة بعد رحيله إلى القاهرة ابنه: شهاب الدين أبو العباس أحمد. وقد ولد سنة ٨٤٦ وكان ما يزال فى المشيخة سنة ٩٠٠. وقد نسخ الشيخ أحمد مخطوطة «الفتح القسى فى الفتح القدسى» للعماد الأصفهانى بمنزله فى الختنية سنة ٨٧٤ (وهذا المخطوط محفوظ الآن فى مجموعة جاريت بمكتبة جامعة برنستون الأمريكية تحت رقم ٥٨٧).

وممن تولى مشيخة الختنية فى أوائل القرن الثانى عشر الشيخ أحمد العلمى وكان يسكن فى المدرسة.

كان بناء الزاوية فى المدة الأخيرة يستعمل سكنا لموظفى المسجد الأقصى وتشير التقارير إلى أن مبنى الختنية بات معرضا للانهيار من جراء الحفريات التى قامت بها السلطات الإسرائيلية تحت السور الجنوبى للحرم، مما يهدد السور كله وقد امتدت الحفريات إلى أسفل المدرسة التى حفر تحتها نفق طويل.

(معاهد العلم فى بيت المقدس ـ د. كامل جميل العسلى / ١٠٠ ـ ١٠٣).

*** الخجندى:**

قال السمعانى:

الخجندى: بضم الخاء وفتح الجيم وسكون النون وفى آخرها الدال، هذه النسبة إلى خجند، وهى بلدة كبيرة كثيرة الخير على طرف سيحون من بلاد المشرق ويقال لها بزيادة التاء خجندة أيضا، فتحت سنة ثلاث ومائة فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، خرج منها جماعة من أهل العلم فى كل فن، منهم أبو عمران موسى بن عبد الله المؤدب الخجندى، كان أديبا فاضلا صاحب حكم وأمثال، حدث عن أبى النضر بن أحمد بن الحكم البزاز السمرقندى بكتاب التفسير للكلبى، ذكره أبو سعد الإدريسى فى كتاب تاريخ سمرقند وقال: أبو عمران المؤدب الخجندى، كنت فى مكتبه بسمرقند، وكان حكيما ـ كتب عنه من حكمته شىء غير قليل، ودون عنه كتب كثيرة، لم أسمعه يذكر من حكمه ولم أعلقها عنه فلما مات سمعت جملة من حكمه من محمد بن عبد الكريم بن على الطبرى، أظنه مات بها ـ يعنى بسمرقند ـ قبل الستين والثلاثمائة.

وأبو زكريا يحيى بن المفضل الوراق الخجندى، كان من كبار الناس، ممن جمع الآثار وجمع وخرج الكثير ورحل، وصنف كتابا فى الصحابة وجوّد، يروى عن هارون بن سعيد القرشى وسعيد بن هاشم الكاغذى وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى وغيرهم، (وفى الرحلة) من قتيبة بن سعيد وصالح بن مسمار الكشميهنى وعبد الله بن سلام وعبد الله بن أبى عرابة الشاشيان، روى عنه محمد بن حمدويه الشاشى وأبو سلمة أحمد بن حامد السمرقندى.

وأبو حفص عمر بن هارون بن طالب الخجندى، شيخ صالح، مليح الشيبة، حسن السيرة، من مشايخ الصوفية، من أهل خجند سكن حلب بالشام، سمع ببغشور القاضى أبا سعيد محمد بن على بن أبى صالح الدباس، وببغداد أبا سعد عبد الجليل بن محمد بن الحسن الساوى. وبمكة أبا محمد عبد الملك (بن الحسن) بن بتنة الأنصارى، وغيرهم، ولم يكن له أصل بما سمع ـ على ما جرت به عادة الصوفية ـ رأيته أولا ببغداد، ثم بحلب فى سنة خمس وثلاثين، وكتبت عنه أبياتا من الشعر.

وأبو عبد الله سلمان بن إسرائيل بن جابر بن قطن بن حبيب بن أبى حبيب الخجندى سمع عبد بن حميد الكشى وفتح بن عمرو الوراق وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

وإبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني وغيرهم، قدم بغداد وحدث بها فروى عنه على بن عمر السكرى، وحدث بنيسابور أيضا، وروى عنه من أهلها أبو الحسن أحمد بن الخضر الشافعى، فأما على بن بندار الزاهد فإنه كتب عنه بخجند، قال الحاكم: وحدثنا عنه بعجائب من الحكايات والأخبار.

وأبو الفضل أحمد بن يعقوب بن عفير بن الجنيد بن موسى التميمى الخجندى، ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ وقال: أبو الفضل الخجندى، شيخ هرم كبير السن، كان يذكر أنه جاور بمكة حرسها الله سنة سبع وخمسين ومائتين، وسمع حديث ابن أبى مسرة وعلى بن عبد العزيز وأن كتبه ذهبت فسألناه الحديث فى المسجد الجامع، فأملى علينا من حفظه وذكر حديث: «الحياء والإيمان فى قرن واحد» بروايته عن أبى سعيد بن على البصرى عن خراش عن أنس رضى الله عنه، ثم قال حدثنا بهذا الحديث فى شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وذكر أن عنده عن يوسف القاضى وأقرانه.

والقاضى أبو المنور بدر بن زياد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد الخجندى، أقام بسمرقند مدة، وحدث بها عن أبى حفص عمر بن منصور بن خنب الحافظ، روى عنه عمر بن محمد النسفى، ومات فى شعبان سنة أربع عشرة وخمسمائة ـ وقد قارب ثمانين سنة.

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٢٧، ٣٢٨: انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١/ ٤٩٥).

*** الخجندى (إبراهيم بن أحمد) (٧٧٩ ـ ٨٥١ هـ / ١٣٧٧ـ ١٤٤٧م):**

إبراهيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن محمد ـ ثلاث محمدين ـ الخجندى، بضم الخاء وفتح الجيم، ثم المدنى، برهان الدين، أبو محمد، ابن العلامة جلال الدين أبو الطاهر أحد الأفاضل الأعيان، الذين سار بذكرهم الركبان.

ولد سنة تسع وسبعين وسبعمائة. وسمع ابن صديق، والمراغي، وأجاز له التنوخي، وابن الذهبى. ودرس، وصنف «شرحا» على «الأربعين النووية». وله نظم، ونثر، وترسُّل. مات فى رجب، سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، بالمدينة النبوية، وقد جاوز السبعين.

كذا عده الحافظ جلال الدين السيوطى فى «أعيان الأعيان».

وذكره السخاوى فى «الضوء اللامع» بأبسط من ذلك، فقال: إنه ولد بالمدينة الشريفة فى التاريخ المذكور، ونشأ بها، فحفظ القرآن العظيم و «الكنز»، و «الألفية»، و «الكافية» وتلا بالسبع على يحيى التلمسانى الضرير، وغيره، وأخذ النحو عنه أيضا، وعن والده الجلال، وأخذ الفقه عن أبيه، وغيره، وانتفع بأخيه، وسمع جماعة كثيرة، منهم البلقينى، وغيره.

وحج غير مرة.

وبرع فى العربية، وتعانى الأدب، وجمع لنفسه «ديوانا»، وأنشأ عدة رسائل، بحيث انفرد فى بلده بذلك.

وكان يترسل مع سميه البرهان الباعونى، وكان يكتب الخط الجيد. وقد درَّس، وحدَّث بالبخارى، وغيره.

وقرأ عليه ولده، وسمع منه الطلبة، ولقيه البقاعى، فكتب عنه وزعم أن جيد شعره قليل، ينتقل من بحر إلى بحر، ومن لجة إلى قفر. قال: وهو بالعربية غير واف، وكثير منه سفساف، وربما انتقل من الحضيض إلى السها، كأنه ليس له.

قال السخاوى: إنما هو فى مدح الناس، وإذا قال فى الغرام أجاد وذكر أنه رأى له فى بعض الاستدعاءات مكتوبا قوله:

أجزت لهم أبقاهم الله كلما
رويت عن الأشياخ فى سالف الدهر
ومالى من نثر ونظم بشرطه
على رأى من يروى الحديث ومن يقرى
وأسأل إحسان من القوم دعوة
تحقق لى الآمال والأمن فى الحشر

ثم قال: وكان فاضلا، بارعا، ناظما، ناثرا، بليغا، كيِّسا، حسن المجالسة، محبا للفائدة، لطيف المحاضرة، كثير النوادر والملح، ذا كرم زائد، وآداب وغرائب.

ومات فى ثانى رجب، من التاريخ المذكور، ودفن من يومه بالبقيع، بعد الصلاة عليه بالروضة. رحمه الله تعالى.

وأورد من شعره المقريزى فى «عقوده» (يعنى «درر العقود الفريدة») قوله:

كُنْ جَـوابى إذا قَـرأتَ كتـابى
لاَ تَـرُدَّنَّ للجـواب كتـابَـا
أَعْفِنى مِن نَعَمْ وَسَـوْفَ ولى شُغْـ
ـلٌ وكُنْ خيْـرَ مَن دُعـى فأجَـابَـا

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين الغزى ـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٥. انظر أيضا الأعلام للزركلى ١/ ٢٩)

*** الخجندى (إبراهيم بن محمد) (٨٥٢ ـ ٨٩٨ هـ):**

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن العلامة جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد، البرهان، أبو إسحاق الخجندى، المدنى. ولد يوم الجمعة، عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بطيبة، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم و «الكنز»، وأخذ فى الفقه ببلده عن أخيه الشهاب أحمد، والفخر عثمان الطرابلسى، وفى العربية، وعلم الكلام عن الشهاب ابن يونس المغربى، وكذا أخذ فى «شرح العقائد» عن السيد السمهودى، وسمع على أبيه، وأبى الفرج المراغى، وقرأ بمكة فى مِنّى على النجم بن فهد «الثلاثيات»، ودخل القاهرة مرارا، أولها فى سنة أربع وسبعين، وسمع بها على الشاوى (فى الضوء اللامع «النشاوى») والديمى، وأجاز له جماعة، وأخذ بها عن الزين قاسم، والعضد السيرامى الفقه (فى الضوء اللامع «والعضدى السيرامى»)، وغيره، وعن النِّظام الفقه والأصول، والعربية، وعن الجوجرى العربية، وكذا قرأ فيها على الزينى زكريا شرحه لشذور الذهب، ولازم الأمين الأقصرائى فى فنون عديدة.

قال السخاوى: وأكثر أيضا من ملازمتى رواية ودراية، ثم كان ممن لازمنى حين إقامتى بطيبة، وقرأ على جميع «ألفية العراقى»، بحثا وحمل عنى كثيرا من «شرحها» للناظم سماعا، وقراءة، وغير ذلك من تآليفى ومروياتى، وأذنت له على الوجه الذى أثبته فى ترجمته، من «تاريخ المدينة». وقد ولى إمامة الحنفية بالمدينة الشريفة بعد أخيه. إلى أن قال: ونعم الرجل فضلا، وعقلا، وتواضعا، وسكونا، وأصلا. انتهى.

مات فى سنة ثمان وتسعين وثمانمائة. رحمه الله تعالى.

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين العزى تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١/ ٢٥١، ٢٥٢.

انظر أيضا الضوء اللامع لشمس الدين السخاوى ١/ ١١٩، ١٢٠).

*** الخجندى (حامد) (ـ ٣٩٠ هـ/ ـ ١٠٠٠ م):**

أبو محمود حامد بن الخضر من علماء الرياضيات المسلمين قال عنه قدرى حافظ طوقان رحمه الله:

جاء فى كتاب «آثار باقية»: أن «أبا محمود» لم يعرف إلا من كتاب «المبادىء والغايات فى علم الميقات، لأبى الحسن على المراكشى»، من تعريف الآلة المسماة «سدس التحرى»، التى استعملها صاحب الترجمة.

ويذكر بركلمان نقلا عن سوتر: أنه توفى سنة ٣٩٠ هـ ـ ١٠٠٠ م.

و «الخجندى» من الرياضيين الذين ظهروا فى القرن الرابع للهجرة (حوالى سنة ١٠٠٠ م)، ومن كبار علماء الهيئة. وهو أيضا من الذين قالوا: بأن مجموع مكعبين لا يكون مكعبا، وقد برهن عليها، ولكن برهانه غير تام.

ويقول «كاجورى»: إن برهانه لم يعثر عليه، وقد يكون غير صحيح (تاريخ الرياضيات/ ١٠٦).

واشتغل بالمثلثات الكروية. جاء فى «كتاب شكل القطاع لنصير الدين الطوسى» ما يلى: وقد لقب أبو محمود الخجندى «هذا الشكل بقانون الهيئة»، وسبب تسمية هذا

الشكل بذلك، هو كثرة استعماله فى علم الهيئة. «وقد حسب دائرة البروج ٢١ ٣٢ ٢٣ بربع أحد أضلاعه مقسوم ثوانى ...».

(يعنى بهذا الشكل مايلى: «... نسبة جيوب الأضلاع (فى المثلثات الحاد الزوايا والمنفرج الزاوية) بعضها إلى بعض، كنسبة جيوب الزوايا المؤثرة بتلك الأضلاع بعضها إلى بعض ...»)

وللخجندى «كتاب الآلة الشاملة فى الفلك».

«رسالة فى تصحيح الميل وعرض البلد».

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان/ ٢٧٣).

* **الخُجَندى (محمد) (ـ ٥٥٢ هـ/ ـ ١١٥٧ م):**

محمد بن عبد اللطيف بن محمد المهلبى الأزدى الأصفهانى، أبو بكر صدر الدين الخجندى الشافعى، صدر العراق فى زمانه علما ومهابة. كان السلاطين يصدرون عن رأيه. ورد بغداد وتولى تدريس النظامية ووعظ بها وبجامع القصر. وكان أشبه بالوزراء منه بالعلماء، يمشى أو يجلس للدرس والسيوف حوله مشهورة. خرج من بغداد إلى أصبهان فنزل بقرية بين همذان والكرخ فنام وهو فى عافية وأصبح ميتا، فحمل إلى أصبهان ودفن بسيلان. من تصنيفه «التلويح» مخطوط فى النجف، اختصر به قانون ابن سينا وزاد فيه فوائد.

(الأعلام للزركلى ٦/ ٢١٧)

قالت المؤلفة: له أيضا كتاب «تشريح الأبدان» وقد أفردنا له مادة خاصة تحت عنوانه فى م ٩/ ٣٨١ ـ ٣٨٣ مع صورة للمخطوط ص ٣٨٢ فانظرها فى موضعها.

* **الخُدابادى:**

قال السمعانى:

الخدابادى: بضم الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة والباء المنقوطة بواحدة بين الألفين وفى آخرها الذال، هذه النسبة إلى خداباذ وهى قرية من قرى بخارا على خمسة فراسخ منها على طرف البرية، وهى من أمهات القرى، خرج منها جماعة من العلماء، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن حمزة بن بنكى ابن محمد بن على الخدابادى، كان إماما فاضلا صالحا ورعا عاملا بعلمه، خرج إلى الحجاز فى حدود سنة خمسمائة وركب البادية من طريق البصرة وقُطع عليهم الطريق وحصلوا بمكة وجاور هو وابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم وخرج إلى المدينة وتوفى بها فى سنة إحدى وخمسمائة؛ وانصرف ابنه أبو المكارم حمزة بن إبراهيم الخدابادى إلى خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر ورجع إلى خراسان وتفقه على شيخنا الإمام إبراهيم بن أحمد المروروذى، وكان حسن السيرة متعبدا دائم التلاوة، سمع ببخارى أبا القاسم على بن أحمد بن إسماعيل الكلاباذى وأبا بكر محمد بن الحسن بن حفصويه السوسقانى وأبا على طاهر ابن أحمد الإسماعيلى، وبمرو أبا الفضل محمد بن أحمد بن حفص الماهيانى وأبا يعقوب يوسف بن أيوب الهمذانى، وبمكة أبا محمد عبد الملك بن بتنة الأنصارى وغيرهم، سمعت منه أحاديث يسيرة ببخارى، وكانت ولادته فى سنة ست وثمانين وأربعمائة ببخارى.

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٢٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١/ ٤٩٥).

* **أبو خداش الشرعبى:**

قال عنه ابن عبد البر:

أبو خداش الشرعبى حبان بن زيد، شامى. لا تصح له صحبة، ذكره بعضهم فى الصحابة لحديث رواه عن ابن محيريز، عن أبى خداش السلمى. رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: غزوت مع النبى ﷺ فسمعته يقول: الناس شركاء فى أسفارهم فى ثلاث: الماء، والكلأ، والنار. هذا الحديث رواه معاذ بن معاذ العنبرى، ويزيد بن هارون، وثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش. وسماه بعضهم حبان ابن زيد الشرعبى، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: غزوت مع النبى ﷺ غزوات فسمعته يقول: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار. وهذا هو الصحيح قول من قال: أبو خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، لا

قول من قال: عن أبى خداش رجل من أصحاب ﷺ. وقد روى أبو خداش هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال أبو حفص عمرو بن على الفلاس: سألت يحيى بن سعيد عن حديث ثور بن يزيد، عن حريز (فى أسد الغابة: جرير)، عن أبى خداش، فقال: قال لى معاذ: سمعته من حريز فسألته عنه، فلم أدعه حتى حدثنى به، فقال: حدثنا ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات أو ثلاث غزوات، فسمعته يقول: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار.

قال أبو حفص: وسألت عنه معاذ ـ يعنى ابن معاذ العنبرى ـ فحدثنى به، قال: حدثنى حريز بن عثمان، قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبى، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: غزوت. قال أبو حفص: ثم قدم علينا يزيد بن هارون، فحدثنا به. قال: حدثنا حبان بن زيد الشرعبى. وهذا الحديث أخبرناه خلف بن القاسم، قال: حدثنا ابن أبى العقب. قال: أخبرنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيدى، عن ثور بن يزيد، عن حريز بن عثمان، عن أبى خداش، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٤، ١٦٣٥).

*** الخدامى:**

قال السمعانى:

الخدامى: بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة، وهذه النسبة إلى جده خدام، والمشهور بهذه النسبة بيت كبير بسرخس، منهم أبو نصر زهير بن الحسن بن على بن محمد ابن يحيى بن خدام بن غالب الخدامى السرخسى، كان فقيها فاضلا، يروى عن أبى طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص وغيره، روى عنه جماعة، ووفاته فى سنة نيف وخمسين وأربعمائة. وحفيده أبو نصر زهير بن على بن زهير الخدامى، حدث بكتاب «تحفة العالم وفرحة المتعلم» للسيد أبى المعالى محمد بن زيد البغدادى عن مصنفه، قرأت عليه جميعه بميهنة وكان يسكنها، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة. وجماعة إلى الساعة بسرخس ينتسبون بهذه النسبة، وببخارى أبو الحسن على بن محمد بن الحسين بن خدام الخدامى، ينسب إلى جده، وسمعت أنه من هذا البيت أيضا، حدث عن جده لأمه أبى على الحسين بن الخضر النسفى وأبى الفضل الكاغذى وغيرهما وتوفى (فى) سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، وروى لى عنه صاعد بن مسلم الخيزرانى بسارية وأبو جعفر الخلمى ببلخ وأبو المعالى بن أبى اليسر القاضى بمرو وأبو عابت البزدوى بسمرقند وأبو العباس السقنائى ببخارى ـ فى جماعة كثيرة سواهم. وبهذه النسبة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الفقيه من سكة خدام ـ كذا قال ابن ماكولا، وسكة خدام بنيسابور بمحلة باب عزرة، وهو يعرف بالخدامى من أعيان فقهاء أهل الرأى أبو بشر الخدامى أخوه، سمع بالعراق والشام وخراسان الكثير عن أحمد بن نصر اللباد وأبى بكر بن ياسين وأبى يحيى البزاز وموسى بن هارون وعمر بن سنان المنبجى وغيرهم، روى عنه أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شعيب بن هارون الشعيبى. وأبو إسحاق الخدامى من أجلة فقهاء أصحاب الرأى ومن أزهدهم، ومات فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

قالت المؤلفة: له ترجمة فى الطبقات السنية فى تراجم الحنفية لتقى الدين الغزى ١ / ٢٥٥، ٢٥٦، والأعلام للزركلى ١/ ٦٠

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٢٢٩، ٢٣٠ واللباب لابن الأثير ١ / ٤٩٥، ٤٩٦).

*** الخدر:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الطب.

الخَدر من أمراض الرأس عند صاحب النزهة المبهجة.

قال عنه:

الخدر نقصان حس الأعضاء أو بعضها لسدة تحبس الروح غير تام وكأنها مبادئ السكتة وقد يكون لالتواء عضو أو انضغاط عصب أو خطأ فى نحو فصد وقطع يصيب العصب وأسبابه أسباب السكتة لكن إذا كانت ضعيفة وعلامات كل معلومة . (العلاج) ما كان منه عن إيذاء عصب فلا علاج له وإلا لازم على أكل الزنجبيل والشبت واستعمال الفلفل الأسود بالزيت مطلقا وما ذكر فى الرعشة وترياق الذهب مجرب وكذا شرب مرارة البقر مع وزنهاشيرج ا هـ.

(النزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة لداود بن عمر الأنطاكى. بهامش تذكرة أولى الألباب للمؤلف نفسه ٢ / ١٢٥ ، ١٢٦).

* **خدم رسول الله ﷺ:**

قال الإمام النووى عن خدم رسول الله ﷺ :

منهم أنس بن مالك وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان . وربيعة بن كعب الأسلمى وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس حطهما وجعلهما فى ذراعيه حتى يقوم . وكان عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته ﷺ يقود به فى الأسفار. وبلال المؤذن، وسعد مولى أبى بكر الصديق، وذو مخمر ويقال مخبر بالباء الموحدة ابن أخى النجاشى ويقال ابن أخته ، وبكير بن سراح الليثى ويقال بكر، وأبو ذر الغفارى، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجى، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو السجع رضى الله عنهم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٩ ونور الأبصار / ٨٥).

وقد صاغها نظما الحافظ العراقى فى ألفيته فى باب ذكر خدامه من الرجال والنساء مما ننقله لك فيما يلى مشفوعا بشرح الإمام عبد الرزاق المناوى :

فأنس ألزمهم للخدمة
أسماء هند ولدا حارثة
كذا بلال عقبة بن عامر
سعد فتى الصديق مع ذى مخمر
ربيعة مع ابن مسعود أبو
ذر بكير وليث نسبوا
ابن شريك أسلع فأربد
كذا ابن مالك والاسم الأسود
وابن أخيه الجدرجان جزر
له بخدام النبى ذكر
وسابق وسالم قد ذكرا
وقيل سلمى واعدد المهاجرا
قيس بن سعد أيمن ثعلبة
كذا نعيم بن ربيعة
كذا أبو السمح أبو الحمراء
أبو عبيد ومن النساء

الشرح : فأول خدامه أنس بن مالك الأنصارى وكان ألزمهم لخدمته وأسماء، وهند ابنا حارثة الأسلميان.

وبلال بن رباح المؤذن، وعقبة بن عامر الجهنى كان صاحب بغلته يقود به فى الأسفار.

وسعد مولى أبى بكر الصديق؛ وذو مخمر ابن أخى النجاشى أو ابن أخته؛ وربيعة بن كعب الأسلمى، وعبد الله ابن مسعود وكان صاحب نعله ووسادته، وأبو ذر الغفارى، وبكير بن شريح الليثى ويقال بكر، وأسلع بن شريك كان صاحب راحلته؛ وأربد قيل هو ابن حمير وقيل غيره، والأسود ابن مالك الأسدى، وابن أخيه الجدرجان بن مالك وقيل إنما هو أخوه، وجزر بن الجدرجان ذكره ابن منده فى خدام النبى عليه السلام، وسلام على ماذكره ابن عبد البر؛ وقيل لا يصح سابق فى الصحابة وذكر بعضهم أن من خدامه سلمى وقيل هو سالم المذكور وقيل هو أبو سلمى وقيل أبو سلام، ومهاجر مولى أبى سلمى، وقيس بن سعد بن عبادة كان من المصطفى بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان، وأيمن ابن أم أيمن، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى، ونعيم بن ربيعة بن كعب،

وأبو السمح قيل واسمه إياد، وأبو الحمراء هلال بن الحُرث أو هلال بن ظفر، وأبو عبيد قاله ابن عبد البر قيل خادمه وقيل مولاه ولم أقف على اسمه، وقول الناظم من النساء يأتي شرحه.

مـاريـة اثنتـان مع رزينـه
وأمـة الله لهـذه ابنـه
صفيـة وخـولـة وخضـره
سلمى وأم أيمن بـركـه
وأم عبـاس كـذا ميمـونـه
وفى المـوالى ذكـرت ذى الخمسـه

الشرح: وخدامه من النساء مارية، وهما اثنتان مارية جدة المثنى بن صالح لها حديث فى الكوفيين رواه أبو بكر بن عياش عن المثنى بن صالح عن جدته مارية قالت صافحت رسول الله ﷺ لم أر كفا ألين من كفه ﷺ، ومارية أم الرباب، لها حديث فى البصريين ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ثم قال: لا أدرى أهى الأولى قبلها أم لا ؟ وذكرهما ابن عبد البر وغيره وقيل هما واحدة. ورزينة لها حديث فى عاشوراء عند أهل البصرة وبنتها أمة الله، وصفية روت عنها أمة الله حديث فى الكسوف ذكره ابن عبد البر، وخولة، وحضرة، وسلمى، وأم أيمن واسمها بركة وهى حاضنته، وأم عياش، ميمونة، بعين مهملة ثم تحتية ثم شين معجمة كما اقتصر عليه فى التبصير والنور. زاد الشامى: وقيل بموحدة ومهملة كما فى شرح المواهب.

وقد ذكرت هذه الخمسة فى مواليه ﷺ (العجالة السنية / ٢٥٧، ٢٥٨)

وقد ورد ذكر خدام رسول الله ﷺ فى منظومة سيرة سيد ولد آدم. قال الناظم السيد عبد الحميد الخطيب:

وكـذلك كـان لكل من حـول الرسـو
ل المصطفى نـوع من الخـدمـات
فـالأخـذ إذن منـه للـزوار كـان
(ربـاح) مع (أنس) لـدى الخلـوات
وكـذلك (آنسـة) كـذاك (ومـالك
والأشعـرى) فى نـادر الأوقـات
و (ربيعـة) قـد كـان يلـزم بـابـه
لقضـاء مـا يحتـاج من طلبـات
ولـه يـرافق حـاضـرا ومسـافـرا
فى كـافـة الغـدوات والـروحـات
و (بـريـرة) خصت لتقـديم السـوا
ك إليـه عنـد الصحـو من غفـلات
وكـذاك (كـركـوة) على أثقـالـه
إن مـا أراد السيـر للـرحـلات
ويقـود راحلـة النبى بكـل إخـ
لاص بحـال الحـرب فى الحـومـات
وهـو الـذى قـد قيل عنـه بأنـه
فى (خيبـر) قـد غل من شمـلات
وكـذاك (كلثـوم بن هـدم وابن عـو
ف أسلع) خـدمـا لـه النـاقـات
وكـذاك (عقبـة بن عـامـر) كـان يخـ
دم مـالـه أهـدى من البغـلات
ويقـود بغلتـه ويمشى تحتـه
ولـه يـؤدى واجب الخـدمـات
وكـذاك سـائق بـدنـه هم (خـالـد
حسـان نـاجيـة) بـلا ريبـات
وكـذاك فى رعى اللقـاح (عُـرَيْبُ
مع ذر الغفـارى) فى ربى الفلـوات

(سيرة سيد ولد آدم/ ٩٢، ٩٣).

(تهذيب اللغات والأسماء للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ /

٢٩ ، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجي ط دار الغد العربي / ٨٥ والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزيني العراقي ، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوي - قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري / ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٩٢ ، ٩٣) .

*** خدم مسجد رسول الله ﷺ:**

ذكرهم السيد عبد الحميد في منظومته المستفيضة فقال :

وكذاك كان يضيء مسجده (سراج أبو البراد) بساعة الظلمات

مولى تميم من دعا طه له بالنور في الدنيا وفي الميقات

وكذاك كانت أم محجن تنقل الأقذار في بعض من الأوقات

من مسجد المختار حتى أنه قد خصها في القبر بالصلوات

(سيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ - نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٩٥) .

*** خديجة أم المؤمنين (٦٨-٣ ق هـ/ ٥٥٦-٦٢٠):**

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وهي أم أولاده كلهم رضي الله عنهم إلا إبراهيم رضي الله عنه فإنه من مارية القبطية ولم يتزوج رسول الله ﷺ قبل خديجة غيرها ولا تزوج في حياتها غيرها وبقيت معه ﷺ أربعا وعشرين سنة وأشهرا ثم توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بخمس وقيل بأربع والصحيح الأول وكانت وفاتها بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام روى البخاري في صحيحه في باب مناقب خديجة رضي الله عنها عن عروة عن عائشة قالت تزوجني رسول الله ﷺ بعد خديجة بثلاث سنين. وروى البخاري أيضا في باب مناقب عائشة عن عروة قال توفيت خديجة قبل مخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين أو قريبا من ذلك فنكح عائشة وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع سنين : وذكر الزهري وخلائق من العلماء أنها أول من أسلم وآمن بالنبي عليه السلام. ونقل الثعلبي الإجماع عليه وقيل أبو بكر وقيل غير ذلك .

ولخديجة مناقب كثيرة في الصحيح معروفة منها عن علي رضي الله عنه عن النبي عليه السلام قال «خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أتى جبريل النبي عليه السلام فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام طعام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربي ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» رواه البخاري. وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت «كان النبي ﷺ يكثر ذكر خديجة» وفي مسند أبي يعلى الموصلي بإسناد حسن عن ابن عباس قال «قال رسول الله ﷺ أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون. وفي تاريخ دمشق عن ابن عباس وعائشة أن كنية خديجة أم هند كنيت بولدها من أبي هالة. وروينا في تاريخ دمشق أن خديجة كانت تسمى في الجاهلية الطاهرة قالوا وكانت قبل النبي ﷺ زوجة لعتيق بن عائد المخزومي فمات عنها وله منها ولد ثم تزوجها أبو هالة مالك وقيل هند بن زرارة وقيل تزوجها أبو هالة قبل عتيق ثم تزوجها رسول الله ﷺ ولها يومئذ خمس وأربعون سنة وقيل ثمان وعشرون وقيل أربعون وفي تاريخ دمشق أنها توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة وهي بنت خمس وستين سنة ودفنت بالحجون ونزل النبي ﷺ في حفرتها وذلك بعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير.

(تهذيب الأسماء واللغات ٤/ ٣٤١ ، ٣٤٢)

لقد قضى رسول الله ﷺ معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها ، ولا أحب أحدا مثل حبه لها ، وظل طول عمره يذكرها ، ويكرم أصدقاءها ومعارفها ، وزارته مرة عجوز في بيت عائشة فأكرم مثواها وبسط لها رداءه فأجلسها عليه فلما انصرفت سألته

عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها فأخبرها أنها كانت تزور خديجة، وقد صح عن عائشة أنها غارت منها وهى لم ترها حتى تجرأت مرة عليه عند ذكرها فقالت له: هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟ - تعنى نفسها وكانت تدل بحداثة سنها وجمالها وكونه ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها وبكونها بنت صديقه الأكبر أبى بكر رضى الله عنه وعنها - قالت فغضب وقال « لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها: آمنت بى إذ كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء» قالت: فقلت فى نفسى لا أذكرها بعدها بسيئة أبدا رواه ابن عبد البر والدولابى.

وروى الشيخان عنها أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها قط ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة (أى صديقاتها من النساء) وربما قلت له لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول «إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد» زاد فى رواية: قالت وتزوجنى بعدها بثلاث سنين، وفى صحيح مسلم عنها: كان إذا ذبح الشاة قال «أرسلوها إلى أصدقاء خديجة» فذكرت له يوما فقال «إنى لأحب حبيبها» وكانت خديجة أعقل العقائل، وفضلى الفواضل، وكانوا يلقبونها من عهد الجاهلية بالطاهرة وهى أول من آمن بالنبى ﷺ (نداء للجنس اللطيف/ ٥٦، ٥٧)

وعن إسلام السيدة خديجة رضى الله عنها يقول الإمام محب الدين الطبرى:

عن الزهيرى قال كانت خديجة رضى الله عنها أول من آمنت برسول الله ﷺ من النساء والرجال خرجه الدولابى أيضا. وعن أبى رافع رضى الله عنه قال ﷺ يوم الاثنين وصلت خديجة آخر يوم الاثنين. وعن ابن عباس رضى الله عنهما مثله. قال ابن اسحاق كانت خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق بمحمد ﷺ فيما جاء به وآزرته على أمره ذكر كله أبو عمر، وعن الحكم بن عتيبة قال خديجة أول من صدق وعلى أول من صلى إلى القبلة خرجه الحافظ السلفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال بعث الله عز وجل محمدا على رأس خمس وستين من بنيان الكعبة فكان أول شىء أراه الله تعالى من النبوة الرؤيا فى المنام فشق ذلك عليه والحق ثقيل والإنسان ضعيف فذكر ذلك رسول الله ﷺ لزوجه خديجة بنت خويلد فعصمها الله عن التكذيب فقالت أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا. قال ابن عباس رضى الله عنه ثم استعلن أى ظهر له جبريل وهو بأعلى مكة من قبل حر (جبل بمكة) فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه وقال له لا تخف وأجلسه معه على مجلس كريم جميل معجب. وكان ﷺ يقول أجلسنى على بساط كهيئة الدرنوك (ستر له خمل) فيه من الياقوت واللؤلؤ وبشره برسالة الله حتى اطمأن النبى الله ﷺ ثم قال له اقرأ قال كيف أقرأ قال: ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم**﴾ [العلق: ١ - ٣] فقبل الرسول رسالات ربه واتبع الذى جاء به جبريل من عند رب العرش العظيم فلما قضى الله الذى أمر به انصرف رسول الله ﷺ منقلبا إلى أهله لا يأتى على حجر ولا شجر إلا وسلم عليه سلام عليك يارسول الله ورجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما فلما دخل على خديجة رضى الله عنها قال ياخديجة أرأيت ماكنت أراه فى المنام وأحدثك به أستعلن وأنه جبريل عليه السلام أرسله ربه وأخبرها بالذى رأى وسمع فقالت أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا وأنا أقبل الذى أتاك من الله تعالى فإنه حق وأبشر فإنك رسول الله حقا.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال ماجاءنا أبو حنيفة رضى الله عنه بشىء أعجب إلينا من هذا قال إن أول من آمن من النساء خديجة رضى الله عنها وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وأول من أسلم من الغلمان على رضى الله عنه.

ثم يقول عن تسكينها النبى ﷺ وتثبيته حين مجىء الوحى:

عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء

فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها ففجأه الحق وهى فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أن بقارئ. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ حتى بلغ ﴿ما لم يعلم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالى فأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسى فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأ تنصّر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى ويكتب من الإنجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة بن نوفل يابن أخى ماذا ترى وأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى فيها جذعا (أى ياليتنى أكون عند ظهور نبوته) ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال أو مخرجى هم؟ قال ورقة لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودِى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى قال محمد بن إسحاق كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة رضى الله عنها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت رضى الله عنها. وعن عبد الرحمن بن زيد قال: قال آدم عليه السلام إنى لسيد البشر يوم القيامة إلا رجلا من ذريتى نبيا من الأنبياء يقال له أحمد فضل على باثنتين زوجته عاونته فكانت له عونا وكانت زوجتى علىَّ عونا وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطانى خرجه الدولابى.

(السمط الثمين / ١٥-١٧، ١٩)

يقول الزينى العراقى فى ألفيته عن وفاة أبى طالب وخديجة بنت خويلد فى عام واحد:

بعد خروجهم بثلثى عام
وثلثى شهر ويوم طامى
سيق أبو طالب للحمام
ثم تلا ثلاثة الأيام
موت خديجة الرضى فلم يهن
على الرسول فقد ذين وحزن

(العجالة السنية / ٦٠)

ويقول السيد عبد الحميد الخطيب فى منظومته المستفيضة عند الكلام على نساء رسول الله ﷺ:

ونساؤه كثر وأولاهن من
بالنفس واسته وبالثروات
قبل الرسالة وهى أول من به
قد آمنت وفدته بالمهجات
أعنى (خديجة) من لها قد أرسل المو
لى السلام فنالت العزات
ووفى لها وقدَّر نبلها
واختصها بالحب والنظرات
إذ لم يفكر فى الزواج بغيرها
حتى زوت فى الترب بعد ممات
مع أنه قد كان فى شرخ الشبا
ب وكان ثمة وافر القنوات
وغدت محبتها تجيش بقلبه
فتغار منها أصغر الزوجات

(سيرة سيد ولد آدم/ ٣٨)

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢/ ٣٤١، ٣٤٢، ونداء للجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا / ٥٦، ٥٧، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين

أحمد بن عبد الله الطبرى/ ١٥ ـ ١٧، ١٩، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للزين العراقى، للإمام الشيخ عبد الرزاق المناوى ــ قام بتصحيحه والتعليق عليه فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصارى / ٦٠، وسيرة سيد ولد آدم محمد ﷺ ـ نظم السيد عبد الحميد الخطيب / ٣٨.

انظر أيضا الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى م٤ حـ ٨ / ٦٠ ــ ٦٢، والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٢، ونور الأبصار للشيخ الشبلنجى ط دار الغد العربى / ٧٥، و «مناقب السيدة خديجة أولى أمهات المؤمنين» ـ الأستاذ عبد المنعم محمد عمر. مجلة الأزهر. الجزء الأول، السنة الخامسة والستون، المحرم ١٤١٣ هـ ــ يولية ١٩٩٢ م / ٤٧ ـ ٥١).

*** خديجة (مدرسة الست ـ):**

ذكرها على مبارك فى المدارس فقال:

هى بسوق الزلط على يمنة المار على جامع الزاهد إلى باب البحر. أنشأتها الست خديجة بنت درهم ونصف فى سنة ست وعشرين وتسعمائة، وهى عامرة إلى اليوم، وتعرف بجامع شهاب الدين وقد ذكرناه فى الجوامع.

(الخطط التوفيقية الجديدة ٦ / ١٥)

ونحن نذكرها تحت عنوان « شهاب الدين (جامع ـ)» إن شاء الله تعالى.

*** الخُدَيْمَنكنى:**

قال السمعانى:

الخُدَيْمَنكنى: بضم الخاء المنقوطة وكسر الدال المهملة وفتح الميم وسكون النون وفتح الكاف وفى آخرها نون أخرى، هذه النسبة إلى خديمنكن، وهى إحدى قرى كرمينية، على فرسخين منها، تختص بأصحاب الحديث، وبها الجامع والمنبر، رأيت رجلا صالحا من هذه القرية دخل على سمرقند مسلما وقال لى أنا من قرية تتعلق بأصحابكم، وذكر لى حال هذه القرية، والمشهور بالانتساب إليها جماعة، منهم الخطيب أبو نصر أحمد بن أبى بكر محمد يعرف بنيارك بن أبى عبيد أحمد بن عروة بن أحمد بن إبراهيم الخديمنكنى، ذكره عبد العزيز بن محمد النخشبى الحافظ فى معجم شيوخه وقال: سمع أبا أحمد أحمد بن محمد بن أحمد بن محفوظ الورقودى عن الفربرى صحيح البخارى، وسمع أباه، سمعنا منه بخديمنكن، وانتخبت عليه شيئا من سماعه من أبيه من كتاب الرقاق لمحمد بن إسماعيل، رأيت عنده كتب جده عن أصحاب البخارى، ثم دخلت كرمينية فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة وإذا هو يقرأ عليه الصحيح للبخارى بسماعه عن الورقودى فى سنة ثمان أو ست أو سبع وسبعين، وكنت لم أعلم قديما أن عنده الورقودى. وأبو عمر سليم بن مجاهد بن يعيش الخديمنكنى، جالس محمد بن إسماعيل البخارى، يروى عن صالح بن محمد بن مرزوق البصرى ومحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وسويد بن سعيد الحدثانى وغيرهم، روى عنه ابنه صهيب بن سليم الخديمنكنى أبو حسان وغيره. وحفيده أبو سعيد يحيى بن معن بن سلتم بن مجاهد الخديمنكنى، يروى عن محمد بن نصر المروزى ونصر بن سيار السمرقندى وغيرهما، حدث بخشوفغن سغد، روى عنه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن محمد البجيرى. وأبو هشام عروة بن أحمد بن إبراهيم ابن على الخديمنكنى الكرمينى، يروى عن محمد بن الضوء ومحمد بن نصر المروزى، روى عنه ابنه أبو عبيد أحمد بن عروة، وتوفى فى المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٢، ٣٣٣. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٤٩٨).

*** الخذلان والتخلية:**

من الأغراض البلاغية التى ذكرها الزمخشرى لأسلوب الأمر الخذلان والتخلية.

ومنه قوله تعالى: **﴿قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾** [الزمر: ٨] وقوله تعالى: **﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾** [إبراهيم: ٣٠] وقوله تعالى: **﴿ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون﴾** [النحل: ٥٥].

يقول الزمخشرى (الكشاف/ ٣٨٩) بصدد تفسيره للآية الأولى: وقوله **﴿تمتع بكفرك﴾** من باب الخذلان والتخلية، كأنه قيل له: إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة

فمن حقك إلا تـؤمر بـه بعـد ذلك وتؤمـر بتركـه ــ مبالغـة فى خذلانه وتخليته وشأنه، لأن لا مبالغة فى الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر بـه، ونظيره فى المعنى قوله: ﴿**متاع قليل ثم مأواهم جهنم**﴾ [آل عمران: ١٩٧].

ومن الأمر لهـذا الغرض أيضـا قولـه تعالى: ﴿**فاعبدوا ما شئتم من دونه**﴾ [الزمر: ١٥].

يقول الزمخشرى: المراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة فى الخذلان والتخلية (الزمخشرى ٤ / ٣٩٢).

(النظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ٦٩)

***الخرابى:**

قال السمعانى:

الخـرابى: بفتح الخـاء المعجمة والـراء وفى آخـرها البـاء المنقوطة بواحدة، هذه النسبة إلى موضع ببغداد يعرف بخراب المعتصم، والمشهـور بالانتسـاب إليه بكـر محمد بن الفـرج المقـرئ الخـرابى البغـدادى، حـدث عن محمـد بن الفـرج الرقيقى ومحمد بن إسحاق المسيبى، حـدث عنه ابن مجاهد وأبو الحسين المنادى قاله ابن ماكولا.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٣٥ واللباب لابن الأثير، ١/ ٤٩٩).

***الخراج:**

الخـراج لفظـة عرفـت منذ الأيـام الأولى لـلإسـلام وتعنى الضـريبة السنـوية المفـروضة على الأراضى التى تـزرع حبوبـا ونخيـلا وفـاكهة، يـدفعهـا المـزارع للمقطع صـاحب الأرض الإقطاعية ليؤديها بدوره إلى خزانة الدولة بعد استقطاع مختلف المصروفات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٦)

قال ياقوت:

وأما الخـراج: فإن الخَرَاج والخَرْج بمعنى واحـد، وهو أن يؤدى العبد إليك خـراجه أى غلته. والرعيـة تؤدى الخراج إلى الولاة، وأصله من قوله تعالى ﴿**أم تسألهم خرجا**﴾ [المؤمنون: ٧٢] وقرىء خراجـا (قراءة حمزة والكسائى، كتـاب السبعة / ٤٤٧)، معنـاه أم تسألهم أجرا على مـاجئت به، فأجـر ربك وثوابه خير. وأما الخـراج الذى وظفه عمر بن الخطاب. رضى الله عنه، على السـواد، فأراضى الفىء، فإن معناه الغلة ومنه قـوله عليـه الصلاة والسـلام «الخراج بـالضمان» (مسنـد أبى داود، كتـاب البيـوع / ٧١، الترمـذى: بيـوع / ٥٣ ــ ٦٥ النسائى: بيوع / ١٥، ابن مـاجه: تجارات / ٤٣) قـالوا: هو غلة العبد يشتريه الرجل فيستغله زمانا، ثم يعثر منه على عيب دلسه البائع (أى كتمـه وأخفاه) ولم يطلعه عليـه، فله رد العبد على البائع والـرجوع عليه بجميع الثمن. والغلـة التى استغلها المشترى من العبد طيبـة له، لأنـه كان فى ضمـانه ولـو هلك هلك من مالـه، وكان عمر رضى الله عنه، أمـر بمسح السواد ودفعه إلى الفلاحين الذين كانوا فيه على غلة كل سنة، ولذلك سمى خـراجـا، ثم بعـد ذلك قيل للبـلاد التى فتحت صلحـا ووظف مـا صولحـوا عليـه على أرضهم، خراجيـة، لأن تلك الوظيفة أشبهت الخراج الذى لـزم الفلاحين، وهو الغلة، لأن جملـة معنى الخـراج الغلة، وفى الحـديث «أن أبـا طيبـة لم حجم النبىﷺ، أمـر لـه بصـاعين من طعـام وكلم أهلـه، فوضعوا عنه من خراجه أى من غلته» (معجم البلدان ١ / ٤٠، ومن كتاب معجم البلدان ١ / ١٣٦، ١٣٧).

قال يـاقوت: السواد يراد بـه رستاق العراق وضيـاعها التى افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، سمى بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار (معجـم البلـدان ٣ / ٢٧٢) ونفـرد له مـادة خاصـة فى حرف السين إن شـاء الله تعالى.

وقد أفرد الإمام الماوردى البـاب الثالث عشر من «الأحكام السلطانية لـوضع الجزية والخراج، وبين الأوجـه التى يفترقان فيها فقال:

وأما الأوجه التى يفترقان فيها: فأحدها أن الجزية نص وأن الخراج اجتهـاد والثانى أن أقل الجـزية مقدر بـالشرع وأكثـرها مقـدر بـالاجتهاد، والخـراج أقلـه وأكثـره مقدر بـالاجتهـاد. والثـالث أن الجـزية تـؤخـذ مع بقاء الكفـر وتسقط بحـدوث الإسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام. فأما الجزية فهى موضـوعة على الـرؤوس واسمها مشتـق من الجزاء، إمـا جزاء على كفرهم لأخـذها منهم صغارا، وإما جزاء علـى أماننا لهم لأخذها منهم رفقا. والأصل فيها قوله تعالى:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة : ٢٩]

وبعد الكلام على الجزية يتكلم الإمام الماوردى على الخراج فيقول :

وأما الخراج ، فهو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية فلذلك كان موقوفا على اجتهاد الأئمة قال الله تعالى : ﴿أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير﴾ [المؤمنون : ٧٢] .

وفى قولهم أم تسألهم خرجا وجهان : أحدهما أجرا ، والثانى نفعا . وفى قوله ﴿فخراج ربك خير﴾ وجهان : أحدهما فرزق ربك فى الدنيا خير منه وهذا قول الكلبى . والثانى فأجر ربك فى الآخرة خير منه ، وهذا قول الكلبى أيضا . وقوله فأجر ربك فى الآخرة خير منه ، وهذا قول الحسن أيضا . قال أبو عمرو بن العلاء : والفرق بين الخرج والخراج أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض . والخراج فى لغة العرب اسم للكراء والغلة ومنه قول النبى ﷺ : «الخراج بالضمان» .

وأرض الخراج تتميز عن أرض العشر فى الملك والحكم .

والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام : أحدها ما استأنف المسلمون إحياءه فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج ، والكلام فيها يذكر فى إحياء الموات من كتابنا هذا قالت المؤلفة : أوردنا مادة «إحياء الموات» فى م ٣ / ١٨ - ٢٢ فانظرها فى موضعها . والقسم الثانى ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به ، فتكون على مذهب الشافعى رحمه الله أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج . وقال أبو حنيفة الإمام مخير بين أن يجعلها خراجا أو عشرا ، فإن جعلها خراجا لم يجز أن تنقل إلى العشر ، وإن جعلها عشرا جاز أن تنقل إلى الخراج . والقسم الثالث ما ملك من المشركين عنوة وقهرا ، فيكون على مذهب الشافعى رحمه الله غنيمة تقسم بين الغانمين وتكون أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج ، وجعلها مالك وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها . وقال أبو حنيفة يكون الإمام مخيرا بين الأمرين . والقسم الرابع ماصولح عليه المشركون من أرضهم فهى الأرض المخصصة بوضع الخراج عليها وهى على ضربين .

أحدهما ما خلا عنه أهله حصلت للمسلمين بغير قتال فتصير وقفا على مصالح المسلمين ويضرب عليها الخراج ويكون أجرة تقر على الأبد وإن لم يقدر بمدة لما فيها من عموم المصلحة ولا يتغير بإسلام ولا ذمة ، ولا يجوز بيع رقابها اعتبارا لحكم الوقوف .

والضرب الثانى ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره فى أيديهم بخراج يضرب عليهم فهذا على ضربين :

أحدهما أن ينزلوا عن ملكها لنا عند صلحنا فتصير هذه الأرض وقفا على المسلمين كالذى انجلى عنه أهله ، ويكون الخراج المضروب عليهم أجرة لا تسقط بإسلامهم ولا يجوز لهم بيع رقابهم ، ويكونون أحق ما أقاموا على صلحهم ولا تنتزع من أيديهم سواء أقاموا على شركهم أم أسلموا كما لا تنتزع الأرض المستأجرة من يد مستأجرها ، ولا يسقط عنهم بهذا الخراج جزية رقابهم إن صاروا أهل ذمة مستوطنين وإن لم ينتقلوا إلى الذمة وأقاموا على حكم العهد لم يجز أن يقروا فيها سنة وجاز إقرارهم فيها دونها بغير جزية .

والضرب الثانى أن يستبقوها على أملاكهم ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا على شركهم وتسقط عنهم بإسلامهم ويجوز أن لا يؤخذ منهم جزية رقابهم ، ويجوز لهم بيع هذه الأرض على من شاءوا منهم أو من المسلمين أو من أهل الذمة ، فإن تبايعوها فيما بينهم كانت على حكمها فى الخراج وإن بيعت على مسلم سقط عنه خراجها : وإن بيعت على ذمى احتمل أن لا يسقط عنه خراجها لبقاء كفره ، واحتمل أن يسقط عنه خراجها بخروجه بالذمة عن عقدة من صولح عليها ، ثم ينظر فى هذا الخراج الموضوع عليها فإن وضع على مسائح الجربان بأن يؤخذ من كل جريب قدر من ورق أوجب ، فإن سقط عن بعضها بإسلام أهله كان ما بقى على حكمه ولا يضم إليه خراج ماسقط بالإسلام ، وإن كان الخراج الموضوع عليها صلحا على مال مقدر لم يسقط على مساحة

الجربان، فمذهب الشافعي أنه يحط عنهم من مال الصلح ما سقط منه بإسلام أهله وقال أبـو حنيفة يكون مال الصلح باقيا بكمالـه ولا يسقط عن هذا المسلم مـا خصه بإسلامـه. فأما قدر الخـراج المضروب فيعتبر بما تحتملـه الأرض، فإن عمر رضي الله عنه حيـن وضع الخراج على سواد العـراق في بعض نواحيه على كل جريب قفيـزا ودرهما وجرى في ذلك على ما استـوفقه من رأى كسرى بن قبـاذ، فإنه أول من مسح الـسـواد ووضع الخـراج وحـدد الحـدود ووضع الـدواوين. وراعى مـا تحتمله الأرض من غير حيف بمـالك ولا إجحاف بزارع وأخذ من كل جريب قفيزا ودرهما وكان القفيز وزنه ثمانية أرطال ثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثقال، لانتشـار ذلك بما ظهر في جاهلية العرب قال زهير بن أبي سلمى (من الطويل):

فتغلـل لكـم مـــــالا تغـل لأهلهـــــــا
قـــــرى بـــالعــــراق مـن قفيـــــز ودرهم

(الجريب: مكيال قدر أربعـة أقفـزة. المعجم الـوجيـز / ٩٨).

وضرب عمر رضي الله عنه على ناحية أخرى غيرها غير هذا القـدر، فاستعمـل عثمان بن حنيف عليـه وأمره بـالمساحـة ووضع مـا تحتملـه الأرض من خــراجهـا، فمسح ووضع كل جريب مـن الكرم والشجر الملتف عشـرة دراهم، ومن النخل ثمـانيـة دراهم ومن قصب السكـر ستـة دراهم. ومن الـرطبـة خمسة دراهم، ومـن البر أربعة دراهم، ومـن الشعير درهمين وكتب بـذلك إلى عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه فأمضـاه وعمل في نـواحي الشام على غيـر هذا فعلم أنـه راعى في كل أرض ما تحتمله. وكذلك يجـب أن يكون واضع الخراج بعده يراعى في كل أرض ما تحتمله، فإنهـا تختلف من ثلاثة أوجه يـؤثر كل منهـا في زيـادة الخراج ونقصـانـه: أحدهـا يختص بـالأرض من جودة يـزكو بهـا زرعهـا أو رداءة يقل بها ريعهـا. الثـاني مـا يختص بـالزرع مـع اختلاف أنـواعـه من الحبـوب والثمـار، فمنها مـا يكثـر ثمنه، ومنهـا مـا يقل ثمنه، فيكـون الخراج بحسبه، والثالث مـا يختص بالسقي والشرب، لأن ما التزم المؤنة في سقيـه النواضح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح والأمطار.

وشرب الـزرع والأشجار ينقسـم أربعة أقسـام: أحدهـا ما سقاه الآدميون بغير آلة كالسيوح من العيون والأنهار يساق إليها فيسيح عليها عند الحاجة ويمنع منها عند الاستغناء وهذا أوفر المياه منفعة وأقلها كلفة. والقسم الثاني ما سقاه الآدميون بآلة من نواضح ودواليـب أو دوالي وهذا أكثر الميـاه مؤنـة وأشقها عملا. والقسـم الثالث ما سقتـه السماء بمطـر أو ثلج أو طل ويسمى العـذى. والقسم الرابع مـاسقته الأرض بنـداوتها ومـا استكمن من المـاء في قرارهـا فيشرب زرعهـا وشجرهـا بعرقـه ويسمى البعل. فأما الغيل وهـو ماشرب بالقنـاة فإن ساح فهو القسم الأول: وان لم يسـح فهــو من القسم الثـــاني. وأمـــا الكظائم فهو ما شرب من الآبـار، فإن نضح منها بالغروب فهو من القسم الثـاني، وإن استخـرج من القنـاة فهـو غيل يلحق بالقسم الأول. وإذا استقر مـا ذكرنا فلا بـد لواضع الخراج من اعتبـار ما وصفنـاه من الأوجه الثـلاثة، من اختـلاف الأرضين واختلاف الزروع واختلاف السقي ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين الفيء من غير زيادة تجحف بأهل الخـراج ولا نقصان يضر بأهل الفيء نظرا للفريقين، ومن الناس من اعتبر شرطا رابعا وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها لزيادة أثمـانها ونقصانها، وهذا انما يعتبر فيما يكون خـراجه ورقا ولا يعتبر فيما يكون خـراجه حبا وتلك الشروط الثلاثة تعتبر في الحب والورق وإذا كان الخراج معتبرا بما وصفنا فكذلك ما اختلف قدره وجاز أن يكون خراج كل نـاحيـة مخـالفـا لخـراج غيـرهـا، ولا يستقصى في وضع الخـراج غايـة ما يحتملـه، وليجعل فيـه لأرباب الأرض بقيـة يجبرون بها النوائب والجوائح.

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السـواد فمنعه من ذلك وكتب اليه: لا تكن على درهمـك المأخــوذ أحـرص منـك على درهمك المتروك وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما.

فإذا تقـرر الخـراج بما احتملتـه الأرض من الـوجـوه التي قدمنـاها راعى فيها أصلح الأمـور من ثلاثة أوجه: أحـدها أن يضعـه على مسـائح الأرض. والثاني أن يضعـه على مسـائح الزرع. والثـالث أن يجعلها مقاسمة، فإن وضعـه على مسائح الأرض كان معتبـرا بالنسبـة الهلاليـة وإن وضعه علـى مسائح

الزرع كان معتبرا بالسنة الشمسية، وإن جعله مقاسمة كان معتبرا بكمال الزرع وتصفيته، فإذا استقر على أخذها مقدرا بالشروط المعتبرة فيه صار ذلك مؤبدا لا يجوز أن يزاد فيه ولا ينقص منه ما كانت الأرضون على أحوالها في سقيها ومصالحها. فإن تغير سقيها ومصالحها إلى الزيادة أو النقصان فذلك ضربان: أحدهما أن يكون حدوث الزيادة والنقصان بسبب من جهتهم كزيادة حدثت بشق أنهار أو استنباط مياه أو نقصان حدث لتقصير في عمارته، أو عدل عن حقوق ومصلحة، فيكون الخراج عليهم بحاله لا يزاد عليهم فيه لزيادة عمارتهم فيه ولا ينقص منه لنقصانها، ويأخذون العمارة لئلا يستديم خرابها فتعطل: والضرب الثاني أن يكون حدوث ذلك من غير جهتهم، فيكون النقصان لشق انشق أو نهر تعطل، فإن كان سده وعمله ممكنا وجب على الإمام أن يعمله من بيت المال من سهم المصالح، والخراج ساقط عنهم ما لم يعمل، وإن لم يكن عمله فخراج تلك الأرض ساقط عن أهلها إذا عدم الانتفاع بها، فإن أمكن الانتفاع بها في غير الزراعة كمصائد أو مراع جاز أن يستأنف وضع خراج عليها بحسب ما يحتمله الصيد المرعى وليست كالأرض الموات التي لا يجوز أن يوضع على مصائدها ومراعيها خراج، لأن هذه الأرض مملوكة وأرض الموات مباحة.

أما الزيادة التي أحدثها الله تعالى كأنهار حضرها السيل وصارت الأرض بها سائحة بعد أن كانت تسقى بآلة، فإن كان هذا عارضا لا يوثق بدوامه لم يجز أن يزاد في الخراج وأن وثق بدوام راعى الإمام فيه المصلحة لأرباب الضياع وأهل الفيء وعمل في الزيادة أو المتاركة بما يكون عدلا بين الفريقين.

وخراج الأرض إذا أمكن زرعها مأخوذ منها وان لم تزرع. وقال مالك لا خراج عليها سواء تركها مختارا أو معذورا. وقال أبو حنيفة يؤخذ منها إن كان مختارا ويسقط عنها إن كان معذورا. وإذا كان خراج ما أخل بزرعه يختلف باختلاف الزروع أخذ منه فيما أخل بزرعه عن أقل ما يزرع فيها لأنه لو اقتصر على زرعه لم يعارض فيه.

وإذ كانت أرض الخراج لا يمكن زرعها في كل عام حتى تُراح في عام وتُزرع في عام آخر روعي حالها في ابتداء وضع الخراج عليها واعتبر أصلح الأمور لأرباب الضياع وأهل الفيء في خصلة من ثلاث: إما أن يجعل خراجها على الشطر من خراج ما يزرع كل عام فيؤخذ من المزروع والمتروك. وإما أن يمسح كل جريبين منها بجريب فيكون أحدهما للمزروع والآخر للمتروك وإما أن يضعه بكماله على مساحة المزروع والمتروك ويستوفي من أربابه الشطر من زراعة أرضهم.

وإذا كان خراج الزروع والثمار مختلفا باختلاف الأنواع فزرع أو غرس ما لم ينص عليه اعتبر خراجه بأقرب المنصوصات به شبها ونفعا.

وإذا زرعت أرض الخراج بما يوجب العشر لم يسقط عشر الزرع بخراج الأرض وجمع فيها بين الحقين على مذهب الشافعي رحمه الله. وقال أبو حنيفة «لا أجمع بينهما واقتصر على أخذ الخراج وإسقاط العشر» ولا يجوز أن تنقل أرض الخراج إلى العشر ولا أرض العشر إلى الخراج، وجوزه أبو حنيفة. وإذا سقى بماء الخراج أرض عشر كان المأخوذ منها عشرا. وإذا سقى بماء العشر أرض خراج كان المأخوذ منها خراجا اعتبارا بالأرض دون الماء. وقال أبو حنيفة «يعتبر حكم الماء فيؤخذبماء الخراج من أرض العشر الخراج ويؤخذ بماء العشر من أرض الخراج اعتبارا بالماء دون الإرض واعتبار الارض أولى من اعتبار الماء لأن الخراج مأخوذ عن الأرض والعشر مأخوذ عن الزرع» وليس على الماء خراج ولا عشر فلم يعتبر في واحد منهما وعلى هذا الاختلاف منع أبو حنيفة صاحب الخراج أن يسقى بماء العشر ومنع صاحب العشر أن يسقى بماء الخراج، ولم يمنع الشافعي رحمه الله واحدا منهما أن يسقى بأي الماءين شاء.

وإن بنى في أرض الخراج أبنية من دور أو حوانيت كان خراج الأرض مستحقا لأن لرب الأرض أن ينتفع بها كيف شاء، وأسقطه أبو حنيفة إلا أن تزرع أو تغرس والذي أراه أن مالا يستغنى عن بنيانه من مقامه في أرض الخراج لزراعتها عفو يسقط عنه خراجه، لأنه لا يستقر إلا بمسكن يستوطنه. وما جاوز قدر الحاجة مأخوذ بخراجه.

وإذا أجِّرت أرض الخراج أو أعيرت فخراجها على المالك دون المستأجر والمستعير وقال أبو حنيفة خراجها فى الإجارة على المالك وفى العارية على المستعير.

وإذا اختلف العامل ورب الأرض فى حكمها فادعى العامل أنها أرض خراج وادعى ربها أنها أرض عشر وقولهما ممكن فالقول قول المالك دون العامل، فإن اتهم أحلف استظهارا ويجوز أن يعمل فى مثل هذا الاختلاف على شواهد الدواوين السلطانية إذا علم صحتها ووثق بكتابها وقلما يشكل ذلك إلا فى الحدود. وإذا ادعى رب الأرض دفع الخراج لم يقبل منه قوله. ولو ادعى دفع العشر قبل قوله، ويجوز أن يعمل فى دفع الخراج على الدواوين السلطانية إذا عرف صحتها اعتبارا بالعرف المعتاد فيها ومن أعسر بخراجه أنظر به إلى يساره وقال أبو حنيفة يجب بإيساره ويسقط بالإعسار وإذا مطل بالخراج مع إيسار حبس به إلا أن يوجد له مال فيباع عليه فى خراجه كالمديون. فإن لم يوجد له غير أرض الخراج فإن كان السلطان يرى جواز بيعها باع منها عليه بقدر خراجها، وإن كان لا يرى ذلك أجرها عليه واستوفى الخراج من مستأجرها، فإن زادت الأجرة كانت له زيادتها، وإن نقصت كان عليه نقصانها. وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها قيل له إما أن تؤجرها أو ترفع يدك عنها لتدفع إلى من يقوم بعمارتها ولم يترك على خرابها وإن دفع خراجها لئلا تصير بالخراب مواتا.

وعامل الخراج يعتبر فى صحة ولايته الحرية والأمانة والكفاية، ثم يختلف حاله باختلاف ولايته فإن تولى وضع الخراج اعتبر فيه أن يكون فقيها من أهل الاجتهاد وإن ولى جباية الخراج صحت ولايته وإن لم يكن فقيها مجتهدا. ورزق عامل الخراج فى مال الخراج، كما أن رزق عامل الصدقة من سهم العاملين وكذلك أجور المساح. وأما أجرة القسام فقد اختلف الفقهاء فيها، فذهب الشافعى رحمه الله إلى أجور قسام العشر والخراج معا فى حق الذى استوفاه السلطان منهما. وقال أبو حنيفة: أجور من يقسم غلة العشر وغلة الخراج وسط من أصل الكيل.

وقال سفيان الثورى: أجور الخراج على السلطان وأجور العشر على أهل الأرض. وقال مالك: أجور العشر على صاحب الأرض وأجور الخراج على الوسط.

فصل: والخراج حق معلوم على مساحة معلومة فاعتبر فى العلم بها ثلاثة مقادير تنفى الجهالة عنها: أحدها مقدار الجريب الذراع الممسوح به والثانى مقدار الدرهم المأخوذ به. والثالث مقدار الكيل المستوفى به.

فإما الجريب فهو عشر قصبات فى عشر قصبات، والقفيز عشر قصبات فى قصبة والعشير قصبة والقصبة ستة أذرع فيكون الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة، والقفيز ثلاثمائة وستون ذراعا مكسرة وهو عشر الجريب، والعشير ستة وثلاثون ذراعا وهو عشر القفيز وأما الذراع فالأذرع سبع أقصرها القاضية ثم اليوسفية ثم السوداء ثم الهاشمية الصغرى وهى البلالية ثم الهاشمية الكبرى وهى الزيادية ثم العمرية ثم الميزانية.

فأما القاضية وتسمى ذراع الدور فهى أقل من ذراع السوداء بأصبع وثلثى أصبع، وأول من وضعها ابن أبى ليلى القاضى وبها يتعامل أهل كلواذى.

وأما اليوسفية وهى التى تذرع بها القضاة الدور بمدينة السلام فهى أقل من السوداء بثلثى أصبع وأول من وضعها أبو يوسف القاضى.

وأما الذراع السوداء فهى أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثى أصبع، وأول من وضعها الرشيد رحمه الله تعالى قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه وهى التى يتعامل بها الناس فى ذراع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

وأما الذراع الهاشمية الصغرى وهى البلالية فهى أطول من الذراع السوداء بأصبعين وثلثى أصبع، وأول من أحدثها بلال ابن أبى بردة وذكر أنها ذراع جده أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وهى أنقص من الزيادية بثلاثة أرباع عشر وبها يتعامل الناس بالبصرة والكوفة.

وأما الهاشمية الكبرى وهى ذراع الملك وأول من نقلها إلى الهاشمية المنصور رحمه الله تعالى فهى أطول من الذراع السوداء بخمس أصابع وثلثى أصبع فتكون ذراعا وثمنا وعشرا

بالسوداء، وتنقص عنها الهاشمية الصغرى بثلاث أرباع عشر، وسميت زيادية لأن زيادا مسح بهـا أرض السـواد وهي التي يذرع بها أهل الأهواز.

وأما الذراع العمرية فهي ذراع عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي مسح بهـا أرض السواد وقال مـوسى بن طلحة : رأيت ذراع عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه التي مسح بهـا أرض السواد وهي ذراع وقبضـة وإبهام قائمة . قـال الحكم بن عيينة إن عمر رضي الله عنه عمد إلى أطولها ذراعا وأقصرها وأوسطها فجمع منها ثـلاثة وأخذ الثلث منهـا وزاد عليه قبضة وإبهـاما قائمـة ثم ختم في طرفيه بالـرصاص وبعث بذلك إلى حـذيفة وعثمان بن حنيف حتى مسحـا بها السـواد وكان أول من مسح بها بعده عمر بن هبيرة.

أما الذراع الميـزانية فتكون بالـذراع السوداء ذراعين وثلثي ذراع وثلثي أصبع وأول من وضعها المأمون رضي الله عنه، وهي التي يتعـامل الناس فيها فـي ذراع البرائد والمساكـن والأسواق وكراء الأنهار والحفائر.

وأما الدرهم فيحتـاج فيه إلى معرفة وزنه ونقـده، فأما وزنه فقد استقـر الأمر في الإسلام على أن وزن الـدرهم ستة دوانيق ووزن كل عشر دراهم سبعة مثاقيل.

واختلف في سبب استقراره على هذا الـوزن، فذكر قوم أن الدراهم كانت في أيـام الفرس مضروبة على ثـلاثة أوزان منها درهم على وزن المثقال عشـرون قيراطـا ودرهم وزنه اثنـا عشر قيراطـا ودرهم وزنه عشرة قراريط فلمـا احتيج في الإسلام إلى تقديـره في الزكـاة أخذ الـوسط من جميع الأوزان الثلاثـة وهو اثنـان وأربعون قيـراطـا فكان أربعـة عشـر قيراطـا من قـراريط المثقال فلما ضـربت الدراهم الإسلامية على الـوسط من هذه الأوزان الثـلاثـة قيل في عشيـرتها وزن سبعـة مثـاقيل، لأنهـا كذلك. وذكر آخرون أن السبب في ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمـا رأى اختلاف الدراهم وأن منهـا البغلي وهو ثمانيه دوانق، ومنها الطبري وهو أربعة دوانق، ومنها المغربي وهو ثـلاثة دوانق، ومنها اليمني وهو دانق قـال انظروا الأغلب مما يتعامل بـه الناس من أعلاها وأدناهـا فكان الدرهم البغلي والدرهم الطبري فجمع بينهمـا فكـان اثنى عشر دانقـا فأخـذ نصفهـا فكـان ستة دوانق فجعل الـدرهم الإسـلامي في ستـة دوانيق إذا زدت عليه ثلاثة أسباعه كان مثقالا ومتى نقصت من المثقال ثـلاثة أعشارها كـان درهما فكان عشرة دراهم سبعة مثـاقيل وكل عشـرة مثاقيل أربعـة عشـر درهما وسبعـان فأمـا النقص فمن خالص الفضة وليس لمغشوشه مدخل في حكمه وقـد كـان الفرس عنـد فسـاد أمـورهم فسدت نقـودهم فجـاء الإسلام ونقودهم مـن العين والورق غير خالصة إلا أنهـا كانت تقوم فـي المعامـلات مقام الخـالصة وكـان غشها عفـوا لعدم تأثيره بينهم إلى أن ضربت الدراهم الإسلامية فتميز المغشوش من الخالص، واختلف في أول من ضربها في الإسلام، فقال سعيد بـن المسيب إن أول من ضرب الـدراهم المنقوشـة عبد الملك بن مروان وكانت الدنانير ترد رومية والدراهم ترد كسروية وحميرية (نسبة إلى الحميريين في اليمن) قليلة . قال أبو الزناد فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج أن يضرب الدراهم بالعراق فضـربهـا سنـة أربع وسبعين . وقـال المـدائني بل ضـربهـا الحجـاج في آخـر سنة خمس وسبعيـن ثم أمر بضـربهـا في النـواحي سنـة ست وسبعين، وقيل إن الحجـاج خلصهـا تخليصا لم يستقصه وكتب عليها . ﴿الله أحد * الله الصمد﴾ .

وسميت مكروهة . واختلف في تسميتها بذلك، فقال قوم لأن الفقهاء كرهـوها لما عليها من القـرآن وقد يحملها الجنب والمحدث . وقال الآخرون لأن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهـة ثم ولي بعد الحجاج عمـر بن هبيرة في أيام يـزيد بن عبد الملك فضـربها أجود مما كـانت ثم ولي بعده خالـد بـن عبد الله القسري فشدد في تجويـدها، وضرب بعده يوسف بن عمـر فأفـرط في التشديـد فيهـا والتجـويـد فكانت الهبيـريـة والخالدية واليوسفية أجود نقود بني أمية، وكان المنصور رضي الله عنه لا يأخذ في الخراج من نقودهم غيرها .

وحكى يحيى بن النعمـان الغفـاري عن أبيـه أن أول من ضـرب الدراهم مصعب بـن الزبيـر عن أمـر أخيه عبـد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسـرة وعليها بركة في جانب والله في الجانب الآخر ثم غيرها الحجاج بعد سنة وكتب عليها بسم الله في جـانب والحجاج في جـانب . وإذا خلص العين والورق من غش كان هو المعبر في النقود المستحقة والمطبوع

منها بالسكة السلطانية الموثوق بسلامة طبعه المأمون من تبديله وتلبيسه هو المستحق دون نقار الفضة وسبائك الذهب، لأنه لا يوثق بهما إلا بالسك والتصفية والمطبوع موثوق به ولذلك كان هو الثابت فى الذمم فيما يطلق من أثمان البيعات وقيم المتلفات، ولو كانت المطبوعة مختلفة القيمة مع اتفاقها فى الجودة فطالب عامل الخراج بأعلاها قيمة نُظِر، فإن كان من ضرب سلطان الوقت أجيب إليه لأن فى العدول عن ضربه مباينة له فى الطاعة وإن كان من ضرب غيره نظر، فإن كان هو المأخوذ فى خراج من تقدمه أجيب إليه استصحابا لما تقدم، وإن لم يكن مأخوذا فيما تقدم كانت المطالبة به غبنا وحيفا.

وأما مكسور الدراهم والدنانير فلا يلزم أخذه لالتباسه وجواز اختلاطه ولذلك نقصت قيمتها عن المضروب الصحيح. واختلاف الفقهاء فى كراهية كسرها، فذهب مالك وأكثر فقهاء المدينة إلى أنه مكروه لأنه من جملة الفساد فى الأرض وينكر على فاعله. وروى عن النبى ﷺ أنه نهى عن كسر سكة المسلمين الجارية بينهم.

والسكة هى الحديدة التى يطبع عليها الدراهم لذلك سميت الدراهم المضروبة سكة، وقد كان ينكر ذلك ولاة بنى أمية حتى أسرفوا فيه، فحكى أن مروان بن الحكم أخذ رجلا قطع درهما من دراهم فارس فقطع يده وهذا عدوان محض وليس له فى التأويل مساغ.

وحكى الواقدى أن أبان بن عثمان كان على المدينة فعاقب من قطع الدراهم وضربه ثلاثين سوطا وطاف به. قال الواقدى وهذا عندنا فيمن قطعها ودس فيها المفرغة والزيوف، فإن كان الأمر على ما قاله الواقدى فما فعله أبان بن عثمان ليس بعدوان لأنه ما خرج به عن حد التعزير والتعزير على التدليس مستحق. وأما فعل مروان فظلم وعدوان. وذهب أبو حنيفة وفقهاء العراق إلى أن كسرها غير مكروه. وقد حكى صالح بن جعفر عن أبى بن كعب فى قوله تعالى: ﴿أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء﴾ [هود: ٨٧] قال كسر الدراهم. ومذهب الشافعى رحمه الله أنه قال إن كسرها لحاجة لم يكره له وإن كسرها لغير حاجة كره له لأنه إدخال النقص على المال من غير حاجة سفه. وقال أحمد بن حنبل: إن كان عليها اسم الله عز وجل كره كسرها وإن لم يكن عليها اسمه لم يكره، وأما الخبر المروى فى النهى عن كسر السكة فكان محمد بن عبد الله الأنصارى قاضى البصرة يحمله على النهى عن كسرها ليتخذ منها أوانى أو خزف. وحمله آخرون على النهى عن أخذ أطرافها قرضا بالمقاريض لأنهم كانوا فى صدر الإسلام يتعاملون بها عددا فصار أخذ أطرافها بخسا وتطفيفا. وأما الكيل فإن كان مقاسمة فبأى قفيز كيل تعدلت فيه القسمة وإن كان خراجا مقدرا، فقد حكى القاسم أن القفيز الذى وضعه عثمان بن حنيف على أرض السواد فأمضاه عمر عنه كان مكيلا لهم يعرف بالشابرقان. وقال يحيى بن آدم وهو المختوم الحجاجى. وقيل وزنه ثلاثون رطلا، فإن استؤنف وضع الخراج كيلا مقدرا على مبتدئه روعى فيه من المكاييل ما استقر مع أهلها من مشهور القفزان بتلك الناحية (الأحكام السلطانية/ ١٢٧-١٣٥).

وعن أحكام أراضى الخراج يقول البلاذرى:

قال بشر بن غياث، قال أبو يوسف: إيّما أرض أخذت عنوة مثل السواد والشام وغيرهما، فإن قسمها الإمام بين من غلب عليها، فهى أرض عشر وأهلها رقيق، وإن لم يقسمها الإمام وردها للمسلمين عامة كما فعل عمر بالسواد، فعلى رقاب أهلها الجزية وعلى الأرض الخراج، وليسوا برقيق، وهو قول أبى حنيفة. وحكى الواقدى عن سفيان الثورى مثل ذلك، وقال الواقدى: قال مالك بن أنس وابن أبى ذئب إذا أسلم كافر من أهل العنوة أقرت أرضه فى يده يعمرها ويؤدى الخراج عنها، ولا اختلاف فى ذلك، وقال مالك وابن أبى ذئب وسفيان الثورى وابن أبى ليلى عن الرجل، يسلم من أهل العنوة الخراج فى الأرض، والزكاة من الزرع بعد الخراج وهو قول الأوزاعى.

وقال أبو حنيفة وأصحابه، لا يجتمع الخراج والزكاة على رجل، وقال مالك وابن أبى ذئب وسفيان وأبو حنيفة إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات فى السنة، لم يؤخذ منه إلا خراج

واحد، وقال ابن أبى ليلى يؤخذ منه الخراج كلما أدركت له غلة، وهو قول ابن أبى سبرة وأبى شمر، وقال أبو الزناد ومالك وأبو حنيفة وسفيان ويعقوب وابن أبى ليلى وابن أبى سبرة وزفر ومحمد بن الحسن وبشر بن غياث إذا عطل رجل أرضه، قيل له ازرعها وأدِّ خراجها، وإلا فادفعها إلى غيرك يزرعها، فأما أرض العشر فإنه لا يقال له فيها شىء إن زرع أخذت منه الصدقة وإن أبى فهو أعلم.

وقالوا: إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها، أدى خراجا واحدا، وقال أبو شمر يؤدى الخراج للسنتين، قال أبو حنيفة وسفيان ومالك وابن أبى ذئب وأبو عمر والأوزاعى، إذا أصابت الغلات آفة أو غرق، سقط الخراج عن صاحبها، وإذا كانت أرض من أراضى الخراج لعبد أو مكاتب او مرأة، فإن أبا حنيفة قال عليها الخراج فقط، وقال سفيان وابن أبى ذئب وملك، عليها الخراج، وفيما بقى من الغلة العشر.

وقال أبو حنيفة والثورى فى أرض الخراج، بنى مسلم أو ذمى فيها بناء من حوانيت أو غيرها، أنه لا شىء عليه، فإن جعلها بستانا ألزم الخراج، وقال ملك وابن أبى ذئب نرى إلزامه الخراج، لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزرع، فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها، وقال أبو يوسف فى أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم أنها له، وهى أرض خراج إن كانت تشرب من ماء الخراج، فإن استنبط لها عينا أو سقاها من ماء السماء، فهى أرض عشر، وقال بشر هى أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره، وقال أبو حنيفة والثورى وأصحابهما، ومالك وابن أبى ذئب والليث بن سعد، فى أرض الخراج التى لا تنسب إلى أحد، يقعد المسلمون فيها فيتبايعون ويجعلونها سوقا، إنه لا خراج عليهم فيها، وقال أبو يوسف: إذا كانت فى البلاد سنة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يبطلها، فشكاها قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرتها، فليس له أن يغيرها، وقال مالك والشافعى يغيرها وإن قدمت لأن عليه نفى كل سُنة جائرة سنها أحد من المسلمين فضلا عما سن أهل الكفر (فتوح البلدان/ ٦٢٧-٦٢٩).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشية ـ محمد قنديل البقلى / ١١٦، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ١ / ٤٠، ومن كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى الرومى ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١ / ١٣٦ ـ ١٣٧، ومعجم البلدان ٣ / ٢٧٢، والأحكام السلطانية والولايات الدينية لعلى بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ١٢٤، ١٢٧ ـ ١٣٥، وفتوح البلدان للبلاذرى ـ حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع / ٦٢٧ ـ ٦٢٩. انظر أيضا فقه السنة ـ الشيخ السيد سابق م ٣ حـ ١١/ ٢٧١، وأعلام الموقعين عن رب العالمين للعلامة شمس الدين أبى بكر بن قيم الجوزية ـ تحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل ١ / ٥١٦ ـ ٥١٨، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر الجزائرى / ٣٦٠)

*** الخراج (كتاب-):**

قال حاجى خليفة عن الكتب المؤلفة بهذا العنوان:

كتاب الخراج ـ للإمام أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفى المتوفى سنة ١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة ولأبى العباس أحمد بن محمد الكاتب المتوفى سنة ٢٧٠ سبعين ومائتين ولأبى الفرج قدامة بن جعفر ولنصر بن موسى الرازى الحنفى ولحسن بن زياد (كشف ٢ / ١٤١٥)

أما عن كتاب القاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفى الذى وضعه للرشيد فيقول عنه الأستاذ الدكتور على أوزاك بأنه يتميز عن كتب الخراج الأخرى بخصائص عددها كما يلى:

أولا: أنه يشمل توصيات إصلاحية للخليفة.

ثانيا: يتناول كثيرا من المشاكل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية ويداوى كل هذه المشاكل بما يناسبها من الأحكام الشرعية والاجتهادات العقلية.

ثالثا: أنه سلك طريقا جديدا ذا أهمية بالغة هو أنه حينما أراد أن يبنى حكما جديدا حاول أن يحصل على عمل حكمه من سيدنا رسول الله ﷺ أو من سيدنا عمر رضى الله عنه. وطبق هذه القاعدة فى كل مشكلة واجهها، فإن لم يحصل على شىء من السنة أو من تطبيقات عمر، اعتمد على آراء أبى حنيفة وابن أبى ليلى. ثم يجتهد رأيه. من أجل ذلك كان كتاب الخراج لأبى يوسف منبعا عظيما ومصدرا غزيرا فى إنشاء الدولة: إداريا وماليا.

ثم يقول سيادته :

وفى إمكاننا الآن أن نقول إن منهج أبى يوسف واحد من المناهج التى تصلح فى الجوانب الشرعية والإدارية والمالية فى زماننا هذا ، فإنه منهج ناجح فى إدارة شئون الدولة الإسلامية . تلك الدولة التى من حقها أن تكون مثالا للناس أجمع كما حصل فى التاريخ ، ويتخلص المسلمون من هذه النظم الغربية المخالفة للإسلام فى أكثر موادها .

العمل على كتاب الخراج :

لا شك فى أن كتاب الخراج حاز قبولا عند العلماء منذ تأليفه ، ولقد أدى الأستاذ إحسان عباس خدمة عظيمة بإخراجه لهذا الكتاب ، لأنه حققه وعلق عليه وذكر المخطوطات الموجودة منه فى مكتبات استانبول . وأضاف للكتاب مقدمة قيمة جدا مع فهارس مفيدة . وهذا العمل فى (خراج أبى يوسف) يسهل فهم الكتاب وفهم ما يقصده مؤلفه وفقه الله .

ونحن نضيف إلى ما عمله الأستاذ إحسان عباس ما يأتى :

إن كتاب الخراج ترجم إلى اللغة التركية ثلاث مرات فى أيام الدولة العثمانية .

الأولى : ترجمة لكتاب الخراج . لا يعلم مترجمها . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٢٧١ .

الثانية : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . أعدها (رودوسلى زاده محمد أفندى) سنة ١١١٣ هـ . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة أسعد أفندى تحت رقم ٥٧١ ـ ٥٧٢ .

الثالثة : ترجمة كتاب الخراج لأبى يوسف . للأستاذ محمد عطاء الله . وهذه الترجمة جيدة جدا . وكان (حسين جميل باشا) وإلى حلب قد طلب من محمد عطاء الله ترجمة الكتاب ثم قدم هذه الترجمة إلى السلطان عبد الحميد الثانى من آل عثمان . وهى مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٤٦٥٢ .

وثمة ترجمة رابعة للكتاب وهى مطبوعة قد ترجمتها سنة ١٩٧٣ م . حينما كنت باحثا فى كلية الاقتصاد بجامعة استانبول . ونشرت هذه الترجمة فى كلية الاقتصاد ١٩٧٣ ولقيت اهتماما وأعيد طبعها مرات ، وقد أضفت مقدمة للترجمة كتبت فيها حياة أبى يوسف ومنهجه فى كتابه باللغة التركية .

وقد ترجم كتاب الخراج لأبى يوسف إلى اللغة الفرنسية أيضا وطبع سنة ١٩٢١ ترجمه E. Fagnan دكتور الإلهيات بجامعة مرمرا ، استانبول ـ تركيا («كتاب : الخراج» / ١٧٧ ، ١٧٨)

قالت المؤلفة : يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الخراج

الرقم ٨٢٠٠

تأليف أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى المتوفى سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ألفه بأمر أمير المؤمنين هرون الرشيد وبعث به إليه .

أوله : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له الإعزاز فى تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ...

آخره : أثابك الله على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك وبارك لنا فى الموت ، وجعله خير غائب ننتظره ، عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب .

نسخة جيدة مصححة .

الخط نسخ معتاد بعض الكلمات بالحمرة كتب سنة ١٢٨٦ هـ .

نسخة ثانية

الرقم ٨٢٦٣

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة ، جميع صفحاتها مجدولة بالحمرة .

الخط نسخ جيد . بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة . كتبه رسلان بن عبد القادر العطار سنة ١٢٩٦ هـ .

نسخة ثالثة .

الرقم : ٩٠٨٠

تتفق مع الأولى فى بدايتها ونهايتها .

نسخة جيدة وقديمة.

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة.

المراجع: معجم المؤلفين ١٣/ ٢٤٠، حسن التقاضى فى سيرة الإمام أبى يوسف تأليف الشيخ محمد زاهد الكوثرى فهرس الخديوية ٣/ ١٠٢.

مخطوطات الموصل لداود جلبى ٣٧ و ٦٢، الكشاف ٢٣٤، فهرس المتحف البريطانى الملحق ١/ ١٧٨

طبعات الكتاب: ١ ـ فى مطبعة بولاق سنة ١٣٠٢. الجامع الصغير الإمام محمد بن الحسن الشيبانى.

٢ ـ ترجمه إلى الفرنسية فانيان وطبع فى باريس سنة ١٢١.

٣ ـ طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٢٧ م.

٤ ـ طبع فى القاهرة فى المطبعة السلفية سنة ١٩٣٢ م.

(فهرس الظاهرية ١/ ٢٩١ـ٢٩٣)

وقد أورد كتاب المنتخب فقرة من كتاب الخراج لأبى يوسف كنموذج للنثر العلمى ننقلها لك فيما يلى:

قال فى كتاب «الخراج»:

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمل وما عملوا به فى البلاد، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به، وعلى ما وظّف على أهل الخراج واستقر؛ فإذا ثبت ذلك عندك وصح، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجبة والنكال، حتى لا يتعدوا ما أمروا به، وما عهد إليهم فيه، فإن كل ما عمل به والى الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به، وقد أمر بغيره، وإن أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف، وإن لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترءوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم، وإذا صح عندك من العامل والوالى تعد بظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك واحتجان شىء من الفىء، أو خبث طعمته أو سوء سيرته فحرام عليك استعماله والاستعانة به، وأن تقلده شيئا من أمور رعيتك أو تشركه فى شىء من أمرك، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ما تعرض له. وإياك ودعوة المظلوم فإن دعوته مجابة (المنتخب ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧).

أما كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لأبى الفرج قدامة بن جعفر فيقول عنه الأستاذ عباس هانى الجراخ فى بحث له:

و «الخراج وصناعة الكتابة» يقسم إلى ثمانى منازل، إلا أنه للأسف الشديد أن المنازل الأربع الأولى مفقودة، ولم يعثر عليها كاملة الآن. أما موضوعاتها، وما طرحه قدامة فيها، فنحن نتفق مع الدكتور بدوى طبانة فى قوله: «وأما المنزلتان الأولى والثانية فليس لدينا أى دليل على ما عالج فيها، وإن كنا نظن أنه ذكر فيهما فن الكتابة ومنزلتها بين فنون الأدب، وذكر فيهما بعض النابهين من الكتّاب فى دواوين الدولة، منذ أن أنشأت تلك الدواوين.

أما المنزلتان الثالثة والرابعة. فقد تحدث فى الثالثة عن البلاغة ووجه تعلمها، أما الرابعة فهى خاصة بديوان الإنشاء، والدليل على ذلك ما قاله أبو الفرج «قد ذكرنا فى المنزلة الثالثة من أمر البلاغة ووجه تعلمها، وتعريف الوجوه المحمودة فيها، والوجوه المذمومة منها وما إذا كان الكاتب واقفا على ما يحتاج إليه، وبينا فى المنزلة الرابعة عند ذكر مجلس الإنشاء وجوها من المكاتبات فى الأمور الخراجية ينتفع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة فى معناها».

أما المنازل الأربع الأخيرة التى وصلتنا فقد ذكر فى الخامسة بعض المعلومات التاريخية عن الفتوح الإسلامية زمن الرسول الأعظم ﷺ، وفى العصور التالية، وقد كانت المنازل «السادسة والسابعة والثامنة. وألوان المعرفة التى بسطها قدامة فى هذه المنازل الينبوع الذى استقى منه العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه الذى أجمع العلماء على أنها من الأسس العظيمة لدراسة علم الاجتماع، الذى استقل واحتل منزلته بين العلوم فى العصر الحديث، فإن كلام ابن خلدون فى المقدمة الثانية عن قسط العمران من الأرض، والإشارة إلى بعض ما فيه من الاشجار والأقاليم، وتقسيمها إلى المناطق السبع كل ذلك مذكور فى المنزلة السادسة بتفصيل كاف».

وكان قدامة قد عرض كتابه هذا على الوزير على بن عيسى، سنة ست وعشرين وثلاث مائة فأعجب به كثيرا، وخصوصا المنزلة الثالثة منه المخصصة للبلاغة والبلغاء.

وبعد هذا يمكننا أن نؤكد أن كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» مقسم إلى قسمين كبيرين:

الأول: هى المنازل الأربع الأولى المفقودة الخاصة بالأدب وتشمل الشعر والبلاغة والكتاب والإنشاء.

أما القسم الثانى: فيتضمن علم الاجتماع بما فيه من التاريخ والخراج وسياسة الملوك والوزراء. وعلى هذا فإن (الخراج) فى هذا الكتاب ذو نسبة قليلة فيه، قياسا إلى الموضوعات الأخرى فيه!!

الكتاب مطبوعا

طبع المستشرق دى غويه فى ليدن عام ١٨٨٩ م، عدة فصول من كتاب «الخراج وصناعة الكتابة»، وأسمى جمعه هذا: «نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر» ملحق بكتاب «المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ).

قالت المؤلفة: هذه النسخة هى التى عندى وننقل لك منها نبذة فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم طبعت المنازل الأربعة الأخيرة من الكتاب فى بغداد بتحقيق الدكتور محمد حسين الزبيدى عام ١٩٨١ م.

وقد أحصينا طبعات الكتاب فكانت كما يلى:

١ - طبعة ضمن كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) - ط - الجوائب - ١٣٠٢ هـ.

٢ - طبعة بتحقيق الأستاذ كمال مصطفى عام ١٣٦٧ هـ، ١٩٤٨ م.

٣ - طبعة بتحقيق الأستاذ محمد عيسى منون - القاهرة ١٩٣٤ م - ١٣٥٥ هـ.

٤ - طبعة المستشرق س. ا. بونيباكر - مطبعة بريل - ليدن - ١٩٥٦ م.

٥ - طبعة بتحقيق عيسى ميخائيل سابا - المطبعة البوليسية - حريصا - ١٩٥٨ م.

٦ - طبعة بتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى - دار الكتب العلمية - بيروت - (د. ت).

إضافة إلى مصورات أخرى لهذه الطبعات ونشرات أخرى للمحقق نفسه، إذ أصدر كمال مصطفى طبعة ثانية لتحقيقه عام ١٩٦٣ م، وثالثة عام ١٩٧٩ م، وهى أجود الطبعات (مجلة الفيصل/ ١٠٣، ١٠٤)

قالت المؤلفة: ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقانى نسخة مصورة إعداد المطبعة السلفية بمصر.

وننقل لك فيما يلى - كما وعدنا - نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامه بن جعفر مأخوذة من النبذ الملحقة بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة طبعه ليدن سنة ١٨٨٩ م كما سبق أن أشرنا وهذه النبذة هى الباب الحادى عشر بعنوان رد فى ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحى المشرق والمغرب:

قال أبو الفرج: يحتاج فى البريد إلى ديوان يكون مفردا به ويكون الكتب المنفذة من جميع النواحى مقصودا بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شيء منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ إليه ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار فى جميع النواحى على الخليفة أو عمل جوامع لها ويكون إليه النظر فى أمر الفروانقيين والموقعين والمرتبين فى السكك وتنجز أرزاقهم وتقليد أصحاب الخرائط فى سائر الأمصار والذى يحتاج إليه فى صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما فى نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر فى وقته، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافى المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ. والرسوم التى يحتاج إليها من أمر الديوان هو ما يقارب الرسوم التى بيناها فى غيره مما يضبط به أعماله وأحواله. فأما غير ذلك من أمر الطرق ومواضع السكك والمسالك إلى جميع النواحى فإنا لم نذكره ولا غنى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه منه ما لا يحتاج فى الرجوع فيه إلى غيره وما إن سأله عنه الخليفة وقت للحاجة إلى شخوصه

وإنقاذ جيش يهمه أمره وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه وجد عتيدا عنده ومضبوطا قبله ولم يحتج إلى تكلف عمله والمسألة عنه فينبغى أن نكون الآن نأخذ فى ذكر ذلك وتعديده بأسماء المواضع وذكر عدد الأميال والفراسخ وغيره من وصف حال المنزل فى مائه وخشونته وسهولته أو عمارته أو ما سوى ذلك من حاله . ونبدأ بالطريق المأخوذ فيه من مدينة السلام إلى مكة وهو المنسك الأعظم وبيت الله الأقدم ونأخذ بعد البلوغ إليه بذكر ما بعده من الطريق إلى اليمن ثم فى سائر الجهات المقاربة له وتسميته إن شاء الله .

فمن مدينة السلام إلى جسر كوثى على نهر الملك سبعة فراسخ، ومن جسر كوثى إلى قصر أبى عبيرة خمسة فراسخ، ومن قصر ابن هبيرة إلى سوق أسد سبعة فراسخ، ومن سوق أسد إلى ساهى خمسة فراسخ، ومن ساهى إلى مدينة الكوفة خمسة فراسخ، ومن الكوفة إلى القادسية خمسة عشر ميلا، ومن القادسية إلى العُذيب ستة أميال. العذيب كانت مسلحة بين العرب وفارس فى حد البرية وبها حائطان متصلان من القادسية إلى العذيب ومن الجانبين كليهما نخل، وإذا خرج منه الخارج دخل المفازة ومن العذيب إلى المغيثة وفيها برك أربعة عشر ميلا ومن المغيثة إلى القرعاء وهى منزل وفيه آبار اثنان وثلاثون ميلا، ومن القرعاء إلى واقصة وفيها برك وآبار أربعة وعشرون ميلا، ومن واقصة إلى العقبة وفيها آبار ومنزل تسعة وعشرون ميلا، ومن العقبة إلى القاع أربعة وعشرون ميلا، ومن القاع إلى زبالة وهى عامرة كثيرة الأهل أربعة وعشرون ميلا، ومن زباله إلى الشقوق وفيها برك ثمانية عشر ميلا، ومن الشقوق إلى قبر العبادى وفيها برك تسعة وعشرون ميلا، ومن قبر العبادى إلى الثعلبية تسعة وعشرون ميلا، ومن الثعلبية إلى الخزيمية وبها ضيق فى الماء ثلاثة وثلاثون ميلا، والخزيمية مدينة عليها سور وبها منبر وحمّام وبرك وسميت الخزيمية لأن خزيمة صيَّر فيها سوانى وكانت تسمى زرود ورملها أحمر ومن الخزيمية إلى الأجفر أربعة وعشرون ميلا، ومن الأجفر إلى فيد وهى منزل العامل وفيها قناة وزروع ومنبر ستة وثلاثون ميلا، ومن فيد إلى توز وفيها برك وآبار وحصن بناه أبو دلف ثلاثة وثلاثون ميلا، ومن توز إلى سميراء وفيها برك ستة عشر ميلا، ومن سميراء إلى الحاجر وفيها برك وآبار ثلاثة وعشرون ميلا، ومن الحاجر إلى معدن النقرة وفيها آبار وبرك سبعة وعشرون ميلا، ومن النقرة إلى مغيثة الماوان سبعة وعشرون ميلا ومن مغيثة إلى الربذة وماؤها كثير وفيها منبر أربعة وعشرون ميلا، ومن الربذة إلى معدن بنى سليم وفيها آبار وبرك تسعة عشر ميلا، ومن معدن بنى سليم إلى العمق ستة وعشرون ميلا، ومن العمق إلى أفاعية وهى قليلة الماء اثنان وثلاثون ميلا، ومن أفاعية إلى المسلح وهى كثيرة الماء أربعة وثلاثون ميلا، ومن المسلح إلى الغمرة وهى كثيرة الماء ومنها يعدل إلى اليمن ثمانية عشر ميلا، ومن الغمرة إلى ذات عرق وهى كثيرة الماء ومنها يقع الإحرام ستة وعشرون ميلا، فإن رجعنا إلى النقرة إلى العسيلة وهى ضيقة الماء ستة وأربعون ميلا، ومن العسيلة إلى بطن النخل وهى كثيرة الماء والنخل ستة وثلاثون ميلا، ومن بطن النخل إلى الطرف اثنان وعشرون ميلا، ومن الطرف إلى المدينة خمسة وثلاثون ميلا .

وأما الطريق من المدينة إلى مكة فمن المدينة إلى الشجرة وفيها آبار وبرك وليست بمنزل ولكنها منها يقع الإحرام ستة أميال، ومن الشجرة إلى ملل وبها آبار اثنا عشر ميلا، ومن ملل إلى السيالة وبها ماء وتباع بها الشواهين والصقور تسعة عشر ميلا، ومن السيالة إلى الرويثة وبها إحساء أربعة وثلاثون ميلا، ومن الرويثة إلى السقيا وبها شجر وماء جار ستة وثلاثون ميلا، ومن السقيا إلى الأبواء وفيها آبار ومزارع تسعة وعشرون ميلا، ومن الأبواء إلى الجحفة وبها آبار وهى فرضة البحر سبعة وعشرون ميلا، ومن الجحفة إلى قديد وبها آبار لماء السيل ستة وعشرون ميلا، ومن قديد إلى عسفان وبها آبار أربعة وعشرون ميلا، ومن عسفان إلى بطن مر وبها نخل وزرع وبركة يجرى فيها الماء ستة عشر ميلا، وبطن مر قرية عظيمة كثيرة الأهل والمنازل وعلى أربعة أميال منها قبر ميمونة زوجة النبى ﷺ، وعلى ستة أميال من ذلك مسجد عائشة، ثم إلى مكة ستة أميال ومنها يحرم أهل مكة وهو حد الحرم فمن بطن مر إلى مكة ستة عشر ميلا، ومن مكة طريق الطائف ثلاث مراحل من مكة إلى بئر ابن المرتفع ومن بئر ابن المرتفع إلى قرن المنازل قرية منها يحرم أهل اليمن يعدل منها إلى الطائف

يمنة، ومن يخرج من مكة يريد الطائف، يأتى عرفات ثم يجوز منها إلى بطن نعمان جبلا يقال له نعمان السحاب لأن السحاب أبدا عليه ثم يصعد منه عقبة فإذا استوى عليها الصاعد أشرف على الطائف ثم ينحدر ويصعد أيضا عقبة خفيفة تسمى تنعيم الطائف، ومن الغمرة تعدل إلى اليمن فمن الغمرة إلى الجدد اثنا عشر ميلا، وهو موضع البريد ومنقسم القوافل وليس فيه إلا بئر واحد ونخل وزرع يستقى لها بالإبل وهى موضع «يسر» مولى عثمان بن عفان، ومن الجدد إلى الفتق، ومن الفتق إلى تربة، وهى قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع وهى قرية «خالصة» مولاة المهدى، ومن تربة إلى صفر وهى منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء وفيه ماء عذب من بئرين، ومن صفر إلى كرا منزل فيه نخل وعين عذبة وليس إلا منزل صاحب البريد ومنزل القوافل وهى فى بطن واد كثير النخل. ومن كرا إلى رنية منزل فى صحراء ونخل كبير وعين عظيمة عذبة والعمران حولها على دعوة، ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس وفيها منبر وعيون وآبار، ومن تبالة إلى بيشة قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى ظاهرة الماء من عيون وآبار مضرية قيسية، ومن بيشة إلى جسداء منزل أعراب من قيس ومن جسداء إلى بنات حرم قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع والماء من عين وبئر عذبة. ومن بنات حرم إلى يبمبم منزل فى صحراء فيه بئر واحدة عذبة وليس به أهل، وحوله أعراب من خثعم، وبينها وبين جرش نحو أربعة عشر ميلا ومنه إلى كثبة قرية عظيمة ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال. ومن كثبة إلى الثجة موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله [تنزله] القوافل وهو فى بلاد زبيد وحوله أعرابهم ومن الثجة إلى شروم راح وهى قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم فيها فخذ من همدان يقال لهم جنب ومن شروم راح إلى المهجرة وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك وهذه الشجرة حدُّ ما بين اليمن والحجاز، وهى شجرة تشبه شجر الغرب إلا أنها أعظم وكان النبى ﷺ حجز بها بين اليمن ومكة ومن المهجرة إلى عرفة منزل فى جبل فيه أعراب من خولان والماء فيه بما قل وربما كثر وهى أول عمل اليمن، وهى إلى عمل صعدة. ومن عرقة إلى صعدة وهى قرية عظيمة فيها منبر ومسجد وتجار كثير وبها يعمل دباغ اليمن من الأدم والنعال وأكثر تجارهم من أهل البصرة، وطريق منها للبصريين يرجع إلى الركيبة ثم إلى صعدة ولصعدة مخاليف وهى كثيرة القرى. ومن صعدة إلى الأعمشية منزل فى جبل ليس فيه أهل وماؤهم من عين صغيرة تحت شجرة وحوله حى من همدان. ومن الأعمشية إلى خيوان قرية عظيمة فيها جامع ومنبر وأهل كثير وفيها كروما توصف بكبر العناقيد جبلية والماء من السماء وأهلها من بكيل ومن خيوان إلى أثافت وهى قرية عظيمة فيها منبر وأهلها جشميون وسوقها يقوم يوم الجمعة وفيها زروع وكرم وماء الشرب من بركة. ومن أثافت إلى ريدة قرية عظيمة فيها منبر وهى كثيرة الأهل والكروم والزروع والعيون والكلأ فى بطن واد وعملها فيه مخاليف. ومن ريدة إلى صنعاء قصبة اليمن وهذا الطريق هو الذى عليه الأميال وهو طريق العوامل والعمال وإن رحل من يريد مكة إلى بئر الحذا منزل ليس فيه إلا بئر واحدة، ومن بئر الحذا إلى قرية عظيمة عامرة وهى التى يحرم منها أهل اليمن وماؤها واد جرار وهى قرشية تسمى قرن، ثم من قرن صعدا قصد الطريق.

وقد كتبنا الطريق من الكوفة إلى مكة. فأما من البصرة إلى مكة فمن البصرة إلى الحفير ثم إلى ماوية، ثم إلى ذات العشر ثم إلى الينسوعة، ثم إلى السمينة، ثم إلى النباج ثم إلى العوسجة، ثم إلى القريتين، ثم إلى رامة. ومن النباج طريق إلى النقرة، ومن رامة إلى امرة، ثم إلى ضرية ثم إلى جديلة، ثم إلى فلجة، ثم إلى الدفينة، ثم إلى قبا، ثم إلى مران، ثم إلى وجرة، ثم إلى أوطاس، ثم إلى ذات عرق ثم إلى بستان ابن عامر ثم إلى مكة.

فأما من مصر إلى مكة فمنازلها على التوالى على ما نصفه الفسطاط، الجب، البويب، بيدمه، منزل ابن مرو، عجرود، الربيبة، الكرسى، الحسن منزل أيلة، شرف البعل، مدين الإغراء، منزل الكلابة، شغب، بدا السرحتين البيضاء وادى القرى، الرحيبة، ذو المروة السويداء، خشب المدينة، فأما من أخذ على طريق الساحل فإذا صار إلى شرف البعل صار

إلى الصلا ثم إلى النبك ثم إلى ظُبة ثم إلى عونيد ثم إلى الوجه ثم إلى منحوس ثم إلى البحرة ثم إلى الإحساء ثم إلى ينبع ثم إلى مسئولان ثم إلى الجار ومن الجار إلى المدينة مسيرة يومين. فأما من دمشق إلى مكة فالمنازل منها إلى ذات المنازل ثم سرع ثم تبوك ثم الحدثة ثم الأقرع ثم الجنينة ثم الحجر ثم وادى القرى ثم المدينة.

وأما الطريق من اليمامة إلى مكة فمنها إلى العرض وإلى حديقة وإلى السيح وإلى الثنية العقاء وإلى سقيراء وإلى السد وإلى مرارة وإلى سويقة، وإلى القريتين من طريق البصرة، ومن اليمامة طريق آخر إلى مانص باحة الزلف منزل مصاه أهل الجون ماوية من طريق البصرة (المسالك والممالك / ١٨٤ ـ ١٩/).

هذا وقد ذكر الدكتور عبد الحميد الشلقانى من كتب الخراج كتاب ليحيى بن آدم بن سليمان القرشى المتوفى سنة ٢٠٣ هـ طبع ليدن سنة ١٨٩٦ م (الأعراب الرواة / ٣٣١)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٤١٥، و «كتاب الخراج لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ـ أ. د. على أوزاك. مجلة الأزهر. الجزء الثانى، السنة الحادية والستون صفر ١٤٠٦ هـ ـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٨٨ م / ١٧٧، ١٧٨، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضعه محمد مطيع الحافظ ١ / ٢٩١ ـ ٢٩٣، والمنتخب من أدب العرب ـ طه حسين وزملائه ٢ / ٢٩٦، ٢٩٧، و « نصوص مفقودة من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر» ـ عباس هانى الجراخ. مجلة الفيصل: العدد (١٦٩) رجب ١٤١١ هـ ـ يناير ـ فبراير ١٩٩١. السنة الخامسة عشرة / ١٠٣، ١٠٤، ونبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المطبوع فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة / ١٨٤ ـ ١٩١، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١)

*** الخراج وصناعة الكتابة (كتاب ـ):**

انظر: الخراج (كتاب ـ)

*** الخراز:**

قال السمعانى:

الخراز: بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة المشددة وفى آخرها زاى معجمة، هذه النسبة إلى خرز الأشياء من الجلود كالقرب والسطائح والسيور وغيرها، المشهور بهذه النسبة مقاتل بن دوال روز الخراز وهو مقاتل بن حيان.

ومنهم أبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقي وهو جبر أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان المقرئ الذى كان بمصر.

ومنهم الشيخ العارف أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز الصوفى، يقال له قمر الصوفية، له تصانيف فى علم القوم ومجاهدات ورياضات، وقال الجنيد: لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا. قال على بن عمر الدينورى قلت لإبراهيم بن شيبان راوى الحكاية عن الجنيد: وأيش كان حاله؟ فقال: أقام كذا وكذا سنة يخرز ما فاته الحق بين الخرزتين. قيل إنه مات سنة سبع وأربعين ومائتين، أو سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل إنه مات سنة ست وثمانين ومائتين. ومنهم محمد بن خالد الخراز الرازى، وأبو مالك عبيد الله بن الأخنس البصرى الخراز مولى الأزد، قيده أبو الوليد بن الفرضى يروى عن ابن أبى مليكة، روى عنه يحيى القطان. وأبو يزيد خالد بن حيان الخراز الرقى، من أهل الرقة، سمع جعفر بن برقان وفرات بن سلمان وسليمان بن عبد الله بن الزبرقان وبدر بن راشد وكلثوم بن جوشن وغيرهم، روى عنه عبد الله بن محمد النفيلى ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلى، وروى عنه من أهل بغداد أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والحسن بن عرفة، وكان بعض الناس يحمدونه ويوثقونه، وبعضهم يضعفونه، وقيل إنه مات سنة إحدى وتسعين ومائة.

وأبو جعفر محمد بن إسحاق بن أسد الخراز يعرف بزريق، وهو هروى الأصل، حدث عن محمد بن معاوية النيسابورى وداود بن رشيد الخوارزمى وعبد الله بن عبد الوهاب البرجمى، روى عنه محمد بن مخلد الدورى وأبو مزاحم الخاقانى وأحمد بن عثمان بن يحيى الأدمى، قال الخطيب: وما علمت من حاله إلا خيرا؛ قال: وتوفى فى شوال سنة أربع وثمانين ومائتين.

وأبو العباس محمد بن أحمد بن عباد الخراز من أهل

بغداد، سمع أبا هشام الرفاعي والحسن بن عرفة العبدي وغيرهما، وحدث بمكة، روى عنه أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن المقرئ الأصبهاني وذكر أنه سمع منه بمكة.

وأبو محمد عبد الله بن عون الهلالي الخراز، من أهل بغداد، سمع مالك بن أنس وشريك بن عبد الله وعبد الرحمن ابن عبد الله العمري وإبراهيم بن سعد وإسماعيل بن عياش وعبدة بن سليمان وخلف بن خليفة؛ روى عنه الحارث بن أبي أسامة وعباس بن محمد الدوري وموسى بن هارون وأبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي وأبو يعلى الموصلي، وكان ثقة، وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال: ما به بأس، أعرفه قديما، وجعل يقول فيه خيرا؛ وقال صالح بن محمد جزرة الحافظ: عبد الله بن عون الخراز ثقة مأمون، وكان يقال إنه من الأبدال؛ وكان أبو القاسم البغوي يقول ثنا عبد الله بن عون الخراز وكان من خيار عباد الله ومات في شهر رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائتين.

وعبد الرحمن بن خالد الخراز من أهل أصبهان، سمع من النعمان بن عبد السلام، لا نعلم أنه حدث إلا ما ذكر عنه ابنه موسى بن عبد الرحمن وجودا في كتابه.

وأحمد بن الحارث الخراز، يروي عن أبي الحسن المدائني تصانيف.

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢ / ٣٥٥ واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١٥ / ٤٩٩)

*** الخراز (ـ٧١٨ هـ / ١٣١٨م):**

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشي الشهير بالخراز أصله من شريش مدينة بالعدوة الأندلسية وكانت سكناه بمدينة فاس إلى أن توفي به بعد سنة ٧١١ هـ ودفن بمكان يعرف الآن بباب الحمراء وكان إماما في مقرأ نافع مقدما فيه كما كان إماما في الضبط عارفا بعلله وأصوله قرأ على أئمة أجلة في فنون القراءات والضبط والعربية وغيرها وعمدته في ذلك هو الشيخ المحقق أبو عبد الله بن القصاب ـ وله رحمه الله تآليف أجلها مورد الظمآن وله نظم آخر قبله سماه عمدة البيان وفيه يقول:

سميته بعمدة البيان

في رسم ما قد خط في القرآن

وفيه يقول عند الكلام على وجوب اتباع مرسوم القرآن:

فواجب على ذوي الأذهان

أن يتبعوا المرسوم في القرآن

ويقتدوا بما رآه نظرا

إذ جعلوه للأنام وزرا

وكيف لا يجب الاقتداء

لما أتى نصا به الشفاء

إلى عياض أنه من غيرا

حرفا من القرآن عمدا كفرا

زيادة أو نقصا أو إن أبدلا

شيئا من الرسم الذي تأصلا

وقد ذيل كتاب العمدة بنظم فن الضبط المتصل اليوم بمورد الظمآن ـ وله تأليف آخر في الرسم كمورد الظمآن منثور غير منظوم وله شرح على منظمة ابن بري المسماة بالدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع وله شرح على الحصرية في القراءات وقيل إن له شرحا على العقيلة للإمام الشاطبي وعلى الجملة فهو ممن فتح عليه في التأليف وسهل عليه فيه النظم والنثر وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس ــ ولم يعرف على وجه التحديد سنة ولادته ولا وفاته غير أنه أدرك آخر القرن السابع وأول الثامن رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا به (لطائف البيان ١ / ٤).

ترجم له الدكتور سعيد إعراب فقال في حديثه عن فن رسم القرآن وضبطه؛ وقد بسط الكلام على منظومة» مورد الظمآن إليها آنفا:

أما الجانب الآخر ـ وهو فن الرسم والضبط ـ فقد ألف فيه كثيرون، سواء منهم القدامى أو المحدثون؛ ومن الذين اختصوه بالتأليف من أئمة هذا العصر، وبرعوا فيه براعة شديدة، وفاقوا من سواهم: أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي المعروف

بالخراز، ينتهي نسبه إلى أمويي الأندلس؛ وأصله من شريش ــ عمل أشبيلية على مقربة من وادى لكة ــ حيث كانت المعركة الفاصلة بين قوى الإسلام والنصرانية على يد طارق بن زياد البطل المغربي الشهير.

وقد سقطت شريش في يد الأسبان (٦٦١هـ ـ ١٢٦٤ م)، وحاول أبو يوسف المريني استرجاعها ــ ولكن بدون جدوى؛ فهاجر أكثر أهلها إلى المغرب، واستوطنوا عدة جهات منه؛ وكان سكنى أبي عبد الله الشريشي بفاس، ولعله انتقل إليها ــ وهو صغير؛ فاشتغل أولا بحرفة الخرازة، ولذا يلقب بالخراز؛ ثم أقبل على طلب العلم، وتلمذ لكثير من مشيخة فاس؛ وكان عمدته في علوم القرآن ــ أبو عبد الله بن القصاب، ولقي ابن أجروم فأخذ عنه.

وكان أبو عبد الله الخراز إماما في مقرأ نافع، مقدما فيه غير منازغ؛ بارعا في الرسم والضبط، عارفا بعلله وأصوله، قال فيه ابن الجزري: إمام كامل، ومقرئ متأخر؛ كرس حياته لتعليم كتاب الله العزيز، وتخرج على يديه كثير؛ ومن أبرز تلاميذه: أبو محمد بن آجطا الصنهاجي المعروف بالشارح، لأنه أول من شرح مورد الظمآن ـ على ما سنذكره بعد. توفي أبو عبد الله الخراز بفاس الجديد ـ سنة ثمان عشرة وسبعمائة (٧١٨هـ)، ودفن بالجيارين (باب الحمراء)؛ وكان قبره معروفا.. أبو الحسن الترواليى: وكان الأستاذ أبو إسحاق يريه للناس، ثم انطمست معالمه، وخفيت آثاره ـ والأمر لله.

خلف الإمام الخراز عدة مؤلفات في حرف نافع ــ قراءة ورسما، منها:

ـ عمدة البيان في رسم القرآن (رجز).

ــ تأليف آخر له في الرسم منثور، قال ابن آجطا: رأيته وطالعته.

ـ شرح الحصرية.

ـ شرح العقيلة.

ـ شرح الدرر اللوامع.

ـ رجز في الضبط، جعله أولا ذيلا لعمدة البيان.

ـ ونسب له بعضهم كتاب (اختلاف القراء في الوقف).

ـ «مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن»، ألحق به رجزه في الضبط الآنف الذكر؛ ولا بد لنا من وقفة مع كتابه هذا «مورد الظمآن» فشهرة الخراز ترجع إلى هذا الكتاب أكثر من غيره؛ وقد جمع فيه زبدة ما ألف في فن الرسم والضبط وزيادات أغفلها المتقدمون، أو اختلف فيها المتأخرون.

ويرى ابن خلدون أن الإمام الخراز لما كان آخر مدرسة بالمغرب في هذا الفن، فقد هجر الناس كتب الأقدمين واقتصروا عليه، وذاعت شهرته في الآفاق.

قال في هذا الصدد: «... وانتهت بالمغرب ـ يعني دراسة هذا الفن ــ إلى أبي عمرو الداني، فكتب فيها كتبا، من أشهرها: كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه؛ ونظمه الشاطبي في قصيدته الرائية المشهورة، وولع الناس بحفظها؛ ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالي ابن مجاهد ــ في كتبه، ثم نقل بعده خلاف آخر، فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا، وعزاه لناقليه؛ واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها، وهجروا بها كتب أبي داود، وأبي عمرو، والشاطبي ـ في الرسم ...».

وأرجوزة مورد الظمآن تقع في أربعمائة وأربعة وخمسين بيتا، ثم ألحق بها رجزا له في الضبط ــ وهو في مائة وأربعة وخمسين بيتا؛ فيكون مجموع أبيات المورد والذيل: (٦٠٨) ـ ثمانية وستمائة بيت، ووجد في نسخة المؤلف ما صورته:

يقول ناظمه: «لما انتهى نظم هذا الرجز، بل أربعمائة وسبعة وثلاثين بيتا؛ ثم انتسخ وانتشر، ورواه بذلك أناس شتى؛ ثم عثرت فيه على مواضع كنت وهمت فيها فأصلحتها، فبلغ أربعة وخمسين بيتا مع أربعمائة، فصار الآن نيفا على ما سبق منه سبعة عشر بيتا؛ فمن قيد من هذه النسخة، فليثبت هذا بآخرها، ليوقف على صحتها، والله تعالى ولي التوفيق بمنه».

وقد ضمنه مقدمة وعشرة أبواب، وتحت كل باب فصول.

تحدث أبو عبد الله الخراز في مقدمة «مورد الظمآن».

ـ أولا عن بعض مبادئ هذا الفن، فذكر أن واضع الرسم القرآني، هم الصحابة الكرام، وأن اتباعه أمر محتم:

وبعد فاعلم أن أصل الرسم
ثبت عن ذوى النهى والعلم
جمعه فى الصحف الصديق
كما أشار عمر الفاروق
وبعده جرده الإمام
فى مصحف ليقتدى الأنام
ولا يكون بعده اضطراب
وكان فيما قد رأى صواب
فينبغى لأجل ذا أن نقتفى
مرسوم ما أصله فى المصحف
وجاء آثار فى الاقتداء
بصحبه الغر ذوى العلاء

وقد اقتبس منه أبو عبد الله الخراز نحو اثنتى عشرة مسألة، اشتهر أمرها فى عهده؛ ورواه المرادى عن شيخه ابن لب القيسى، عن أبى عبد الله المغامى ـ تلميذ الإمام الدانى.

هذا وأضاف الخراز بعض أحكام إلى الغازى بن قيس القرطبى وغيره.

ثالثا ـ مصطلحات ضمنها كتابه المورد ـ اختصارا للطريق، وتقريبا للغرض المقصود:

وفى الذى كرر منه اكتفى
بذكر ما جا أولا من أحرف
منوعا يكون أو متحدا
وغير ذا جئت به مقيدا
وكل ما قد ذكروه أذكر
من اتفاق أو خلاف أثروا
والحكم مطلقا به إليهم
أشير فى أحكام ما قد رسموا
وكل ما جاء بلفظ عنهما
فابن نجاح مع دان رسما
وأذكر التى بهن انفردا
لدى العقيلة على ما وردا
وكل ما لواحد نسبت
فغيره سكت إن سكت
وإن أتى بعكسه ذكرته
على الذى من نصه وجدته

إلى آخر ما أورده فى المقدمة من مصطلحات و إشارات.

خصص المؤلف الأبواب الثلاثة ـ لحذف حروف العلة: الألف، والواو، والياء؛ والحذف أنواع: إشارة، واختصار واقتصار ـ وهو أوسع باب استغرق نحو ثلثى الكتاب.

وتحدث فى الباب الرابع عن حذف إحدى اللامين المتصلتين نحو اليل والذى والتى، وما إلى ذلك. وتكلم فى الباب الخامس عن الهمز وكيفية تصويره وأقسامه وأنواعه، وضمنه أربعة فصول:

أ ـ فى الهمزة المبتدأة.

ب ـ فى المتحركة المسبوقة بساكن.

جـ ـ فى الساكنة المتوسطة والمتطرفة.

د ـ فى المتحركة المتوسطة.

وذكر فى الباب السادس الأحرف الزوائد فى المصاحف من واو أو ياء أو ألف.

وبين فى الباب السابع أحكام الإبدال، وهو إما إبدال واو من ألف، أو ياء منها كذلك.

وتحدث فى الباب الثامن عن الفصل، وذكر الحروف المقطوعة ـ وهى أحد عشر حرفا ـ ضمنها ستة فصول وأوضح فى الباب التاسع أحكام الوصل، وبين الكلمات الموصولة وهو يحتوى على أربعة فصول.

وتكلم فى الباب العاشر ـ وهو آخر أبواب الكتاب ـ عن رسم هاء التأنيث تاء إذا أضيفت إلى ظاهر، وجعل الكلام فيها ينحصر فى أربعة فصول؛ ويمكن القول بأن المصاحف العثمانية التى رسمت هاء التأنيث تاء تارة وهاء أخرى ـ أرادت أن تجمع بين لغتين مشهورتين عند العرب، استعملتهما فى كلامها، ونطقت بهما فى أشعارها.

ويذكر المؤلف في نهاية الأرجوزة - أن نظمه لها، أو على الأصح تحريره إياها - كان سنة (٧١١ هـ) .

قـــد انتهى والحمـــد لله على
مـــا منَّ من إنعـــامه وأكمـــلا
فـي صفـــر سنـــة إحـــدى عشـــرة
مـن بعـــد سبعمـــائة للهجـــرة

وأشرت سابقا - إلى أن المؤلف ألحق برجزه «مورد الظمآن» - رجزا آخر له في الضبط، ليكون - كما قال - جامعا مفيدا :

هـــذا تمـــام نظم رسم الخط
وهـا أنـــا أتبعـــه بـــالضبط
حتى يكـــون جـــامعـــا مفيـــدا
على الـــذي ألفيتـــه معهـــودا

ثم يقول الدكتور سعيد اعراب يذكر شروح منظومة «مورد الظمآن» ويترجم لشارحيها :

ولنذكر بعض الذي كتبوا عن مورد الظمآن، أو اختصوا رجزه في «الضبط» - بالشرح والتعليق؛ وقد ذكرت آنفا أن المؤلف كرس حياته لتعليم كتاب الله، وتدريس علومه؛ ومن تلاميذه الذين لازموه طويلا، وأخذوا عنه جل مؤلفاته، وكان من السباقين إلى شرح أرجوزته : «مورد الظمآن»، بل يعتبر أول شارح لنا .

* هو أبو محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بن آجطا، ولعله من صنهاجة أعمال صفرو؛ تعلم بفاس، وبها توفي سنة (٧٥٠ هـ) وضريحه بالباب الحمراء، وهو الآن غير معروف .

جلس أبو محمد آجطا على كرسي الإقراء بفاس، وتتلمذ له كثير؛ من بينهم : أبو عبد الله محمد بن آجروم المعروف بمنديل، وأبو الحسن علي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو، من شيوخ السراج، ذكره في فهرسته .

ويحمل شرحه هذا عنوان (التبيان في شرح مورد الظمآن)، وهو شرح مطول، يقع في نحو ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير؛ وصدره بخطبة مسجوعة طويلة يقول فيها : (... ولما رأيته محسنا، في نظمه متقنا ... واعتنى الناس بحفظه في البلدان، وتردد ذكره بين الشيوخ والولدان؛ أردت أن أشرحه، وأذكر مشكله وموضحه؛ وكنت ابتدأت هذا الشرح في حياة ناظمه؛ وكانت لي في ذلك عزيمة ونية، وانتهيت به إلى الأسماء الأعجمية؛ يعني قوله في باب الحذف :

والأعجميـــة كنحـــو لقمـــان
ونحـــو إسحـــاق ونحـــو عمـــران

ثم عزفت نيتي، وانحلت عزيمتي لأعذار أوجبت ذلك؛ منها الاشتغال بتعليم الصبيان، لاستغراقهم جميع الزمان؛ وتغير الأحوال، ومكابدة العيال؛ وأمور كثيرة حالت بيني وبين إتمامه ...

ثم يذكر أنه في سنة (٧٤٤ هـ) قدم عليه بعض طلبة تلمسان وسألوه إقراء هذا الرجز، وألحوا عليه في الطلب؛ فلبى رغبتهم، وكان ذلك من دواعي إتمام هذا الشرح، « . . فأخذت في إتمامه على المنهاج الذي بدأته أولا كما ذكرت؛ على أني أيضا لم أر أحدا من أهل عصرنا تعرض لشرحه، والاعتناء به؛ إذ كان ناظمه - رحمه الله - قد أجازني فيه، وسمعته منه وقرأته عليه قراءة تفقه وبحث ... »

وقد عاد ابن آجطا إلى الأصول التي اعتمدها الخراز، وأورد نصوصها، وقارن بينها؛ وناقش المؤلف في استنباطاته منها، وربما شافهه في بعض ذلك؛ فتراه مثلا يقول في مسألة نسب أبو عبد الله الخراز الحكم فيها إلى أبي داود في تنزيله : « ... وقد طالعت نسخا من التنزيل، فلم أجد أبا داود ذكر ذلك؛ ففاوضت الناظم في هذا مدة سكناه بالبلد الجديد، فواعدني البحث عليه، فلم أره بعد ذلك رحمه الله ... » .

ورجع ابن آجطا كذلك إلى عشرات المصادر في هذا الفن، ونخلها وعرف كيف يستفيد منها؛ وعلى الجملة، فهو في غاية التحرير والإتقان، وكل الشروح عالة عليه؛ وقد كتب أبو عبد الله القصار - إلى تلميذه أبي العباس الشريف العلمي يقول : « ... وأعجبني إقراؤك الخراز، واعتمد على ابن آجطا، فإن نقله صحيح، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف ... » .

وهنـاك نسخ مختصـرة من هـذا الشـرح تحمل نفس العنوان : (التبيان) ـ منسوبة إلى المؤلف، ولعل ذلك مما قيده بعض تلاميذه أيام إقرائه لهم.

المجاصى ـ وهو أبو عبد الله محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج المجاصى اليصليتنى، ذكر نه تعلم برباط تازة على أبى الحسن بن برى، وهناك أخذ عنه كتابه «الدرر اللوامع».

ويذكر المجاصى من شيوخه بتازة ـ أبا عبد الله المالقى نزيل تازة، وأبا عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبى بكر التسولى اللنتى.

وأخذ بفاس عن أبى الحسن على بن سليمان القرطبى مقرىء فاس، وأبى العباس بن عبد الرحمن بن تميم المجاصى الشهير بالمكناسى، وأبى الحسن على بن عبد الرحمن بن محمد بن بادى الغابرى، وسواهم.

وأورد سنده المتصل فى مقرأ نافع إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يمكن لى إيراده لطوله، على ما فيه من فوائد جلى.

وكان المجاصى معلم الصبيان ـ بجامع ابن أصناج بمدينة تازة، وتتلمذ له الكثير من أبناء هذا البلد وغيره؛ ويذكر السراج فى فهرسته ـ أن من تلاميذه ـ أبا عبد الله بن آجروم المعروف بالمنديل، قرأ عليه فاتحة الكتاب بالقراءات السبع، وبعض الشاطبية، وبعض الدرر اللوامع؛ وناوله شرحه عليه ... توفى أبو عبد الله المجاصى أواسط القرن الثامن الهجرى، وخلف مؤلفات فى علوم القرآن، منها :

ـ شرحه على مورد الظمآن، وعندى نسخة فيها بتر كبير لم أستطع أن أستفيد منها كثيرا، ذكر أنه فرغ منه ٧٤٣ هـ.

ـ شرح ضبط الخراز.

ـ شرح الدرر اللوامع وقفت عليه آخيرا وهو شرح موسع ذكر أنه كتبه سنة ٧٢٣ هـ، وهو مهم جدا.

ـ منظومة فى غريب القرآن، جاء فى مقدمتها :

وبعـد حمـد الـواسع المجيب
فلنبتـدئ فى القـول فى الغـريب
مختصـرا مـوجـزا فى اللفظ
لـراغب فى درسـه والحفظ
عن الـذى قـد صح عنـدى فيـه
من كتب الإيضـاح والتنبيـه

وتختلف نسخها اختلافا بينا، ولعل المؤلف زاد فيها ونقص، فرواها الناس كذلك.

ومن أهم الشروح : «تنبيه العطشان، على مورد الظمآن» ـ لأبى على الحسين بن على بن طلحة الرجراجى الشوشاوى (ت ٩٠٠ هـ) دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة.

له مؤلفات، منها : «حلية الأعيان، على عمدة البيان»، وشرحه «تنبيه العطشان» من أوسع شروح مورد الظمآن، اعتمد فيه كثيرا على ابن آجطا (الشارح)، وناقشه فى بعض آرائه؛ وقد انتقد الخراز فى مواضع من هذا الكتاب، وأغلبها مسبوق بها؛ وأورد فى باب الحذف فقط ـ اثنى عشر اعتراضا، أجاب عن جلّها وقال فى الباقى : إنها اعتراضات لازمة.

وطريقته : أن يورد فى كل موضوع عدة أسئلة ثم يجيب عنها واحدا واحدا، وينتهى من كل بيت بإعراب ما يحتاج إلى إعرابه فى إيضاح المعنى.

وله إصلاحات وتكميلات لبعض الأبيات، ووجد فى بعض النسخ أنه فرغ من عام (٨٤٢ هـ) (كذا)؟

«فتح المنان، المروى بمورد الظمآن» ـ لأبى محمد عبد الواحد بن أحمد بن على بن عاشر الأنصارى، هاجر أسلافه من الأندلس إلى عدوة المغرب، واستوطنوا مدينة فاس، وبها ولد فى حدود ٩٩٠ هـ، ونشأ على كريم الأخلاق، وتربى فى بيت يغمره الفضل والصلاح.

حفظ القرآن وجوده على أبى العباس اللمطى، وأخذ القراءات السبع عن أبى العباس الكفيف، ثم عن أبى عبد الله الشريف المرينى التلمسانى؛ وتتلمذ للشيخ القاصار، وأبى القاسم بن القاضى، وأبى عبد الله بن الجنان، وسواهم.

كان رحمه الله عالما متبحرا فى علوم القرآن، مشاركا فى سائر الفنون؛ ناسكا، ورعا زاهدا؛ مثابرا على التعليم، كثير الإنصاف فى مباحثاته، انفرد فى عصره بعلم الرسم؛ وتخرج

على يديه كثير، منهم: الشيخ ميارة، والحافظ المقرئ أبو زيد بن القاضي؛ - رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وهناك نظم أرجوزته: «المرشد المعين»، وكان ينكر على الناس قراءة القرآن فى جنائزهم، ويرى أن اصطناع الحزَّابين فى ذلك من البدع التى تجب محاربتها.

وعلى الجملة، فقد كان مثال العالم العامل، اعتكف وجاهد، ونصح العباد، توفى سنة ١٠٤٠هـ؛ وخلف آثارا علمية قيمة، منها:

- « المرشد المعين، على الضرورى من علوم الدين » ، شرح مختصر خليل - لم يكمله، عمل الربع المجيب « رجز فى التوقيت» ، تعليق على كبرى السنوسى.

- «الإعلان، بتكميل مورد الظمآن» - فى رسم غير نافع من بقية السبعة، وله عليه شرح.

وشرحه « فتح المنان » يدل على تبحر فى علوم القرآن، وتضلع شامل فى فنون اللسان؛ ووضع أبو زيد المنجرة حواشى عليه (القراء والقراءات / ٣٤-٤٧) .

قالت المؤلفة: يوجد مخطوط «فتح المنان» هذا فى خزانة القرويين وجاء بيانه كما يلى:

أول النظم المشروح: الحمد لله العظيم المنن. ومرسل الرسل بأهدى سنن.

جزء متوسط بخط مغربى كتب فيه المتن بالأحمر فى كاغد متين أصابه خرق السوس ضمن مجموع من ١ / ب إلى ١٣٩ / ١ .

من تحبيس عمة السلطان سيدى محمد عام ١٣٥٣ .

كتبه عبد الرحمن بن إبراهيم اجرف به عرف عام ١٠٨٠ .

أوراقه ١٣٩ / ٣٢/ ٣٠/ ٢١ (فهرس خزانة القرويين ٥٢٦/٢).

- ولأبى إسحاق الدرعى تذييل على مورد الظمآن .

« منهاج رسم القرآن، فى شرح مورد الظمآن » - لأبى الفضل مسعود بن محمد بن مجموع السجلماسى، أخذ تعليمه الأولى ببلده سجلماسة، ثم ارتحل إلى فاس، وبها أنهى دراسته.

أخذ عن أبى محمد عبد القادر الفاسى، وولده أبى عبد الله (محمد)، وأخذ علوم القرآن عن أبى زيد بن القاضى.

كان عالما بالحديث والسير، والفقه والتصوف، والنحو والبيان، والتفسير واللغة، خيرًا دينًا فاضلاً، لا يرى إلا مدرسا أو كاتبا، أو ناسخا، أو باحثا.

انتقل فى أخريات حياته إلى سلا، ونزل بزاوية أبى العباس حجى؛ ودرس بها البخارى، والشفا، والشمائل توفى عام ١١١٩هـ.

له مؤلفات فى القراءة والرسم، منها: هذا الشرح الذى أبان فيه عن اطلاع واسع، وفهم دقيق لمسائل هذا الفن؛ وقد استقى كثيرًا من مكتبة شيخه ابن القاضى، وله تذييل على الخراز فيما أغفله من مسائل الرسم، واستدرك كثيرًا على إعلان ابن عاشر - ونظم ذلك فى رجز.

وهناك شروح أخرى مختصرة نجمل الكلام عنها فيما يلى:

« الدرر الحسان، فى اختصار التبيان » - لأبى عبد الله محمد بن خليفة بن صالح الصنهاجى، كتب جله فى رحلاته إلى أفريقية سنة ٨٣٦هـ.

طرر لأبى الحسن التروالى المعروف بالزرهونى، وهى مهمة جدًّا؛ جمعها بعض تلاميذه وزاد عليها زيادات، وأسماها «مجموع البيان، فى شرح مورد الظمآن » .

تعليق: لأبى عبد الله شقرون الوهرانى (ت ٩٢٩ هـ) .

غربلة مورد الظمآن - لسعيد بن سعيد الكرامى الجزولى، من أهل القرن التاسع.

شرح فى نحو مائة صفحة من القطع الصغير، لأبى العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب الجزولى، كتبه سنة (١٠٨٥هـ) .

تقييد على مورد الظمآن لمحمد بن مجبر.

- (الخلاف والتشهير والاستحسان، فيما أغفله مورد الظمآن) ، لأبى زيد بن القاضى (ت١٠٨٢ هـ)، وذيله برجز يقول فيه:

وهــاك مــا حــذف فى التنــزيـل
وليس فى المـــورد خــذ تفصيلى

ــ ومن إحدث الشروح : «دليل الحيران، على مورد الظمآن» ـ لأبى إسحاق إبراهيم المارغنى، (ت ١٣٤١ هـ) .

ـ وله شرح على إعلان ابن عاشر سماه « تنبيه الخلان، على الإعلان بتكميل مورد الظمآن » ـ.

ـ طبع كل من الشرحين بتونس (القراء والقراءات / ٣٤ ـ ٤١، ٤٣ـ٤٩).

(لطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن ـ الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ١/ ٤، والقراء والقراءات بالمغرب ــ د. سعيد اعراب/ ٣٤ـ ٤١، ٤٣ ـ ٤٩، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ٥٢٦ . انظر أيضا الأعلام للزركلى ٧/ ٣٣) .

انظر : رسم القرآن ، ضبط القرآن .

*** الخراز (أبو سعيد) :**

أدرجه الإمام أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الثانية للصوفية وقال عنه :

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، وهو من أهل بغداد .

صحب ذا النون المصرى، وأبا عبد الله النباجى، وأبا عبيد البسرى، وصحب أيضا سريا السقطى، وبشر بن الحارث، وغيرهم .

وهو من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل إنه أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء. ومات سنة تسع وسبعين ومائتين (فى الأعلام ١/ ١٩١ وفاته سنة ٢٨٦هـ) .

ومن كلامه :

ـ إن الله تعالى عجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم ، وأجزل نصيبهم من كل كائن ... فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين. لهم لسانان :

لسان فى الباطن، يعرفهم صنع الصانع فى المصنوع، ولسان فى الظاهر يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم أجسامهم، ولسان الباطن يناجى أرواحهم .

ــ وسئل عن الأُنس، ما هو ؟ فقال : استبشار القلوب بقرب الله تعالى، وسرورها به، وهدوؤها فى سكونها إليه، وأمنها معه من حيث الروعات، وإعفاؤه لها من كل ما دونه أن يشير إليه، حتى يكون هو المشير، لأنها ناعمة به ولاتحمل جفاء غيره .

ـ وكان نائما فانتبه وقال : اكتبوا ما وقع لى فى هذا النوم . إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه ليعرف وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجرى الفوائد بعد ذلك .

ـ مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف، فإن حركته ظهر ما تحته من الحماة، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه ؟

ــ وقال فى معنى قول النبى ﷺ : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » : واعجبا ممن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه !

ـ كل باطن يخالف ظاهرًا فهو باطل .

ـ إذا كانت العين واحدة فمن أى حال تلونت عليك فاجر فيها، فإن التغيير من جهتك، لأن عين الحق لا تتقلب .

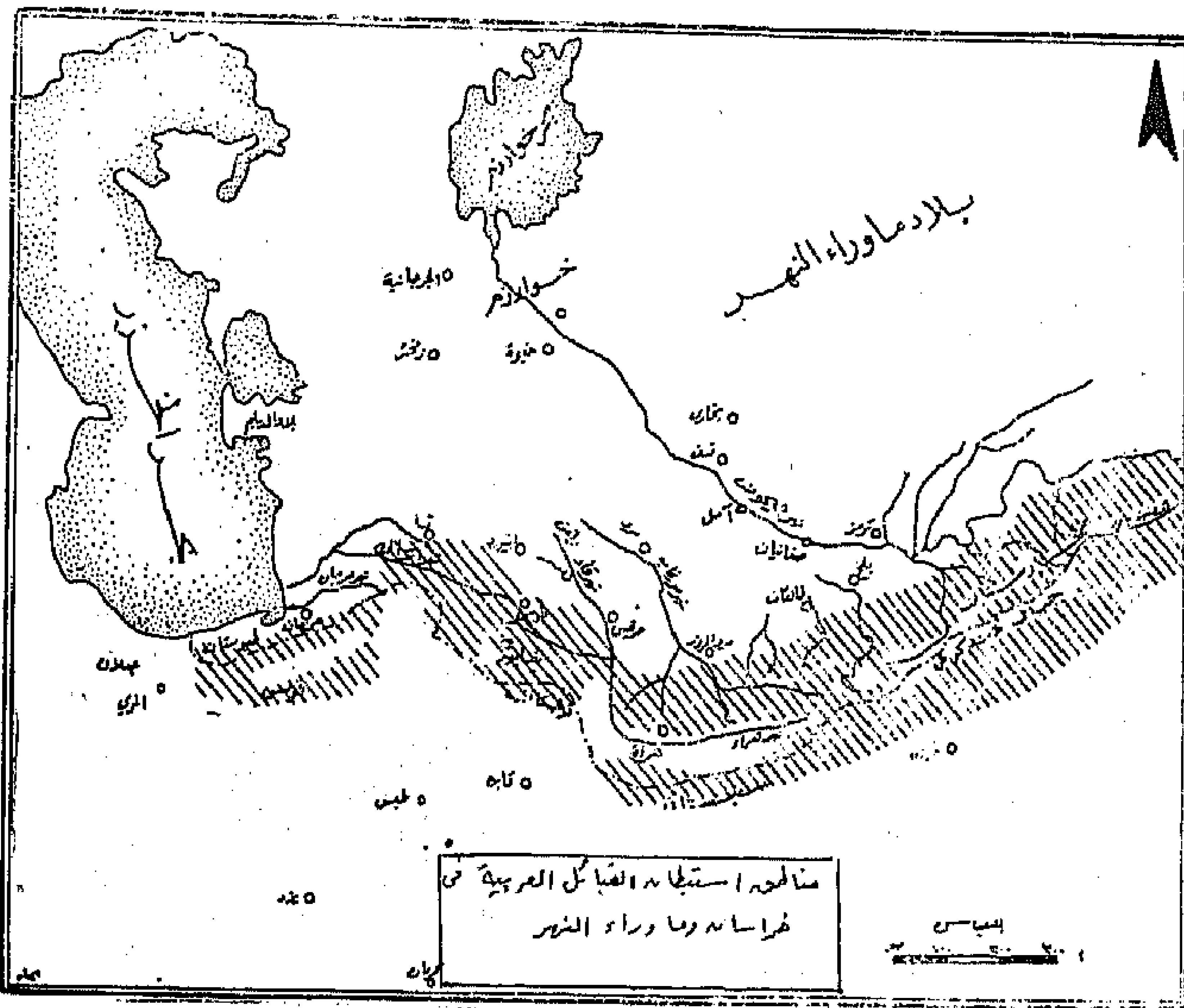
ـ للعارفين خزائن أو دعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارة الأزلية .

ـ لولا أن الله عز وجل أدخل موسى عليه السلام فى كنفه لأصابه مثل ما أصاب الجبل .

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ــ يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٥٣، ٥٤ . انظر أيضا الموسوعة الصوفية ــ د. عبد المنعم الحفنى / ١٣٧ ـ ١٤٠، وتأريخ متصوفة بغداد ــ جميل إبراهيم حبيب / ٣٦ ــ ٣٨، والرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى / ٣٨، والأعلام للزركلى ١/ ١٩١ وفيه وفاته سنة ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) .

*** خراسان :**

بلاد قديمة فى آسيا بين نهر اموداريا شمالا وشرقا وجبال هندوكوش جنوبا، ومناطق فارس غربًا امتدت أحيانا إلى بلاد



صُغد، ما وراء النهر، إلى سجستان جنوبا. تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (اشتهر منها نيسابور) وأفغانستان الشمالية (اشتهر منها هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيا السوفيتية (اشتهر منها مرو) غزاها الضحاك سنة ٦٥٦. وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين سنة ٧٤٨ الجيوش التى قضت على الخلافة الأموية فى الشرق. وكلمة خراسان مركبة من «خور» أى شمس، و «اسان» أى مشرق (المنجد / ١٧٤).

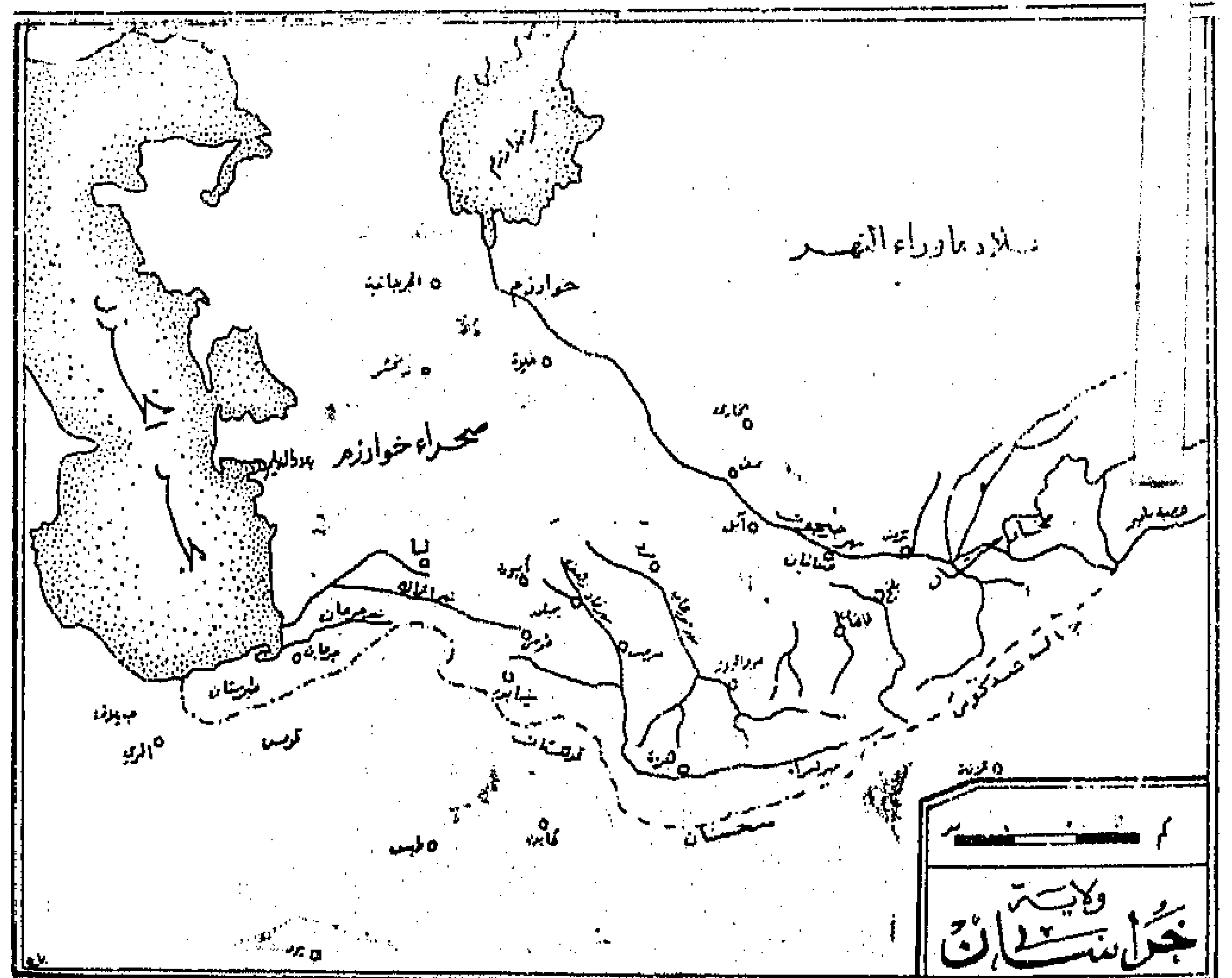
قال عنها ابن عبد ربه:

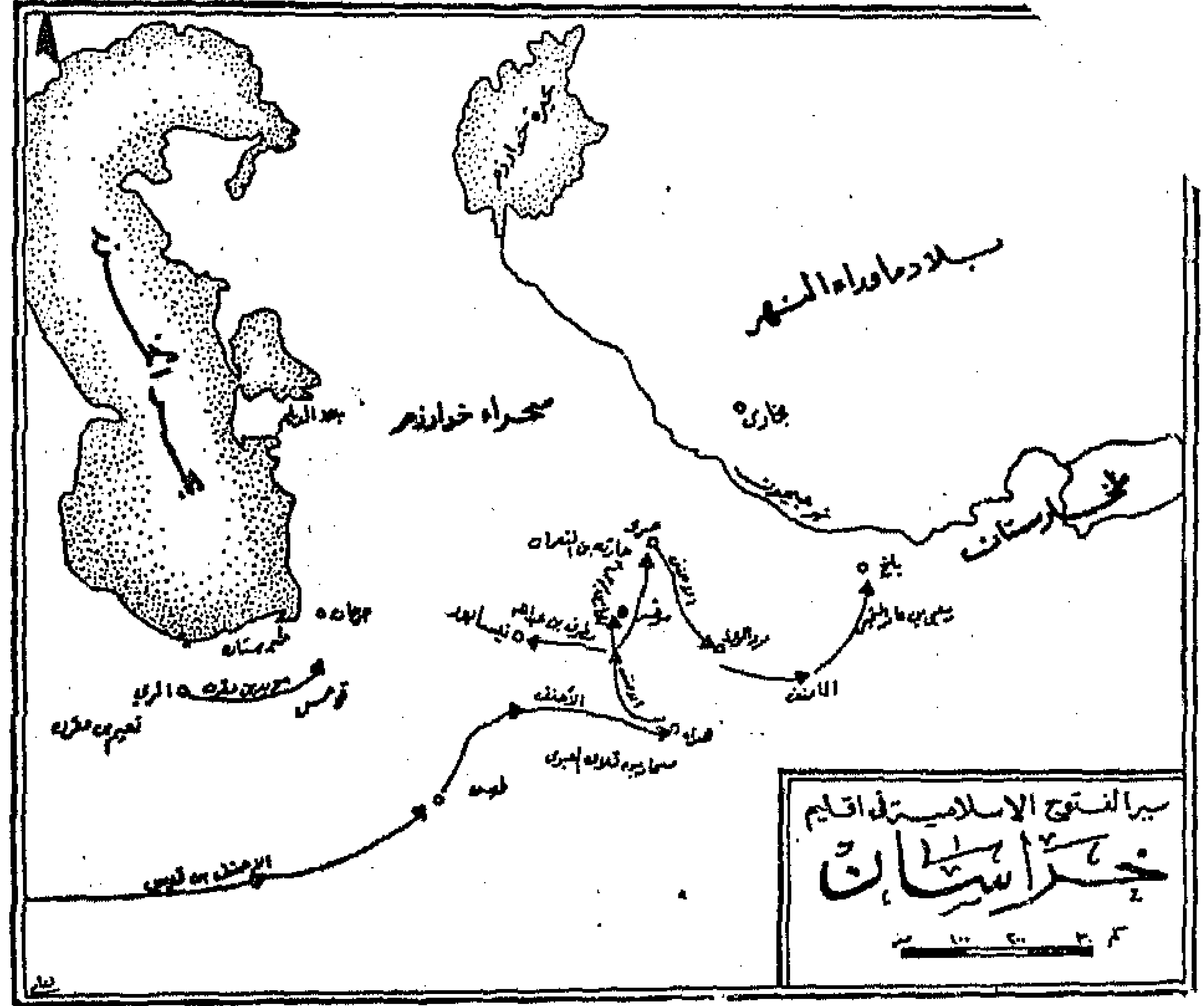
أول مدنها الرى، وهى آخر الجبال من خراسان، وإليها ينسب من الرجال الرازى؛ ومن خراسان مرو، وهى دار خلافة المأمون، ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة، ومن ينسب إليها من الرجال، يقال له مروزى، ومن الثياب مروى؛ ومدينة يقال لها قومس، وإليها تنسب الطبقات القومسية؛ ومدينة يقال لها سابور، بها ملك بنى طاهر؛ ومدينة يقال لها هراة، إليها ينسب الهروى من الرجال والمتاع؛ ومدينة يقال لها بلخ، وإليها ينسب البلخى، وبها معادن البجادى العتيق، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادى؛ ومدينة يقال لها خوارزم، وإليها ينسب الخوارزمى، وهى على شط البحر المحيط؛ وبلخ على شط النهر العظيم، الذى يقال له جيحون بخراسان، ثم جرجان، وهى مدينة عظيمة على شط البحر المحيط، وإليها ينسب الوشى الجرجانى والمتاع؛ ثم قوهى، وهى مدينة عظيمة إليها ينسب القوهى من الثياب: ثم كابل، وهى مدينة يؤتى منها بالهليلج الكابلى؛ ثم سمرقند، وهى مدينة عظيمة، إليها ينسب السمرقندى من الثياب، وبين بغداد وبينها مسيرة ستة أشهر، وهى مما يلى كرمان، وهى على بطائح السند. وبلاد السند من آخر خراسان، ما بين المغرب والمشرق من جهة القبلة؛ وآخر مدن خراسان مدينة يقال لها تبت، وهى من أرض الترك وبها مجمع المسك؛ ومدينة يقال لها فرغانة، وأهلها جنس من العجم يقال لهم الصغد، وهم الذين يقطعون آذانهم من الحزن إذا مات لهم كبير.

ومن المدن التى فى صدر خراسان على الجبال، مدينة يقال لها قرميسين، ثم الدينور، وإليها ينسب الدينورى؛ ومدينة همذان، مدينة عظيمة؛ وطبرستان، مدينة عظيمة، فيها تعمل الأكسية الطبرية؛ ثم قم، وهى مدينة عظيمة، منها يؤتى بالزعفران؛ ثم أصبهان، وهى مدينة عظيمة؛ ثم طوس، وهى من ثغور الجبال (العقد الفريد ٧/ ٢٨٦، ٢٨٧).

وخراسان أحد جانبى المشرق وفقا لتقسيم المقدسى الذى يقول عن جانب خراسان:

اعلم أن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب،





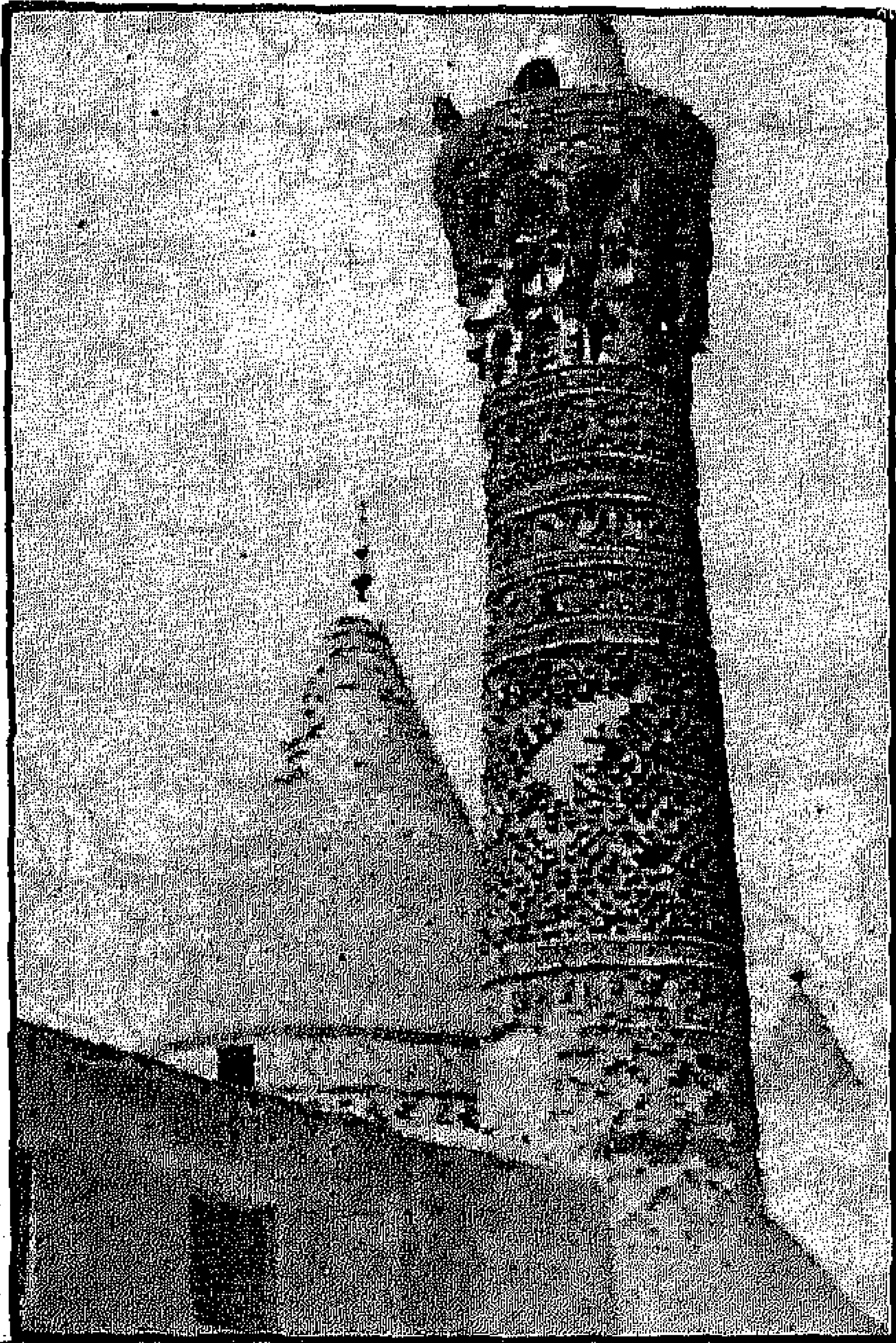
ويشركه فى أكثرها جانب هيطل، إلا أن هذا لما كان أقدم فى الاختطاط والفتح فى الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب. خص بالذكر وعرف عند النسبة .

يحكى عن ابن قتيبة (تأتى ترجمته فى موضعها إن شاء الله تعالى) أنه قال : خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة . لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة ، وأشدهم إليه مسارعة منا ، منَّ الله عليهم ، أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أفواجا ، وصالحوا عن بلادهم صلحا ، فخف خراجهم ، وقلَّت نوائبهم ، ولم يجب عليهم سبى ، ولم يسفك فيما بينهم دم ، مع قدرتهم على القتال ، وكثرة العدد وشدة البأس ...

وقد جعلنا خراسان تسع كور وثمانى نواح ، ورتبناهن فى هذا الفصل على المقادير وعند الوصف على التخوم . فأولها من قبل جيحون بلخ وفى المقادير نيسابور. وأما النواحى فأجلها قدرا بوشنج ثم باذغيس ثم غرجستان ثم مرو الروذ ثم طخارستان ثم باميان ثم كنج رستاق ثم أسفزار. وقد جعلنا طوس وأختيها خزائن لنيسابور، وجعلنا سرخس من المنفردات عن الكور لأنها تشكل (أحسن التقاسيم / ٢٣٤ ، ٢٣٥) .

وقد بسط ياقوت الكلام على خراسان فقال عنها :

خراسان : بلاد واسعة ، أول حدودها مما يلى العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق ، وآخر حدودها مما يلى الهند طخارستان وغزنة وسجستان ، وكرمان ، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها ، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهى كانت قصبتها ، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التى دون نهر جيحون ، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك ، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا ، ونذكر ما يعرف من ذلك فى مواضعها ، وذلك فى سنة ٣١ فى أيام عثمان ، رضى الله عنه ، بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز؛ وقد اختلف فى تسميتها بذلك فقال دغفل النسابة : خرج خراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح ، عليهما السلام ، لما تبلبلت الألسن ببابل فنزل كل واحد منهما فى البلد المنسوب إليه ، يريد أن هيطل نزل فى البلد المعروف بالهياطلة ، وهو ما وراء نهر جيحون ، ونزل خراسان فى هذه البلاد التى ذكرناها دون النهر فسميت كل بقعة بالذى نزلها ، وقيل : خر اسم للشمس بالفارسية الدرية وأسان كأنه أصل الشىء ومكانه ، وقيل : معناه كل سهلا لأن معنى خر كل وأسان سهل ، والله أعلم ؛ وأما النسبة إليها ففيها لغات ، فى كتاب العين : الخرسى منسوب إلى خراسان ، ومثله الخراسى والخراسانى ويجمع على الخراسين بتخفيف ياء النسبة كقولك الأشعرين ؛ وأنشد :



صورة ٥٧ - ايران - خراسان : بسطام : مشهد معروف باسم بايزيد (حوالي ٧٠٠ - ٧١٣ هـ / ١٣٠٠ - ١٣١٣م).

لا تكرمن من بعدها خرسيا

ويقال: هم خُرْسان كما يقال سودان وبيضان؛ ومنه قول بشار في البيت:

من خُرْسان لا تُعاب

يعني بناته، وقال البلاذري: خراسان أربعة أرباع، فالربع الأول إيران شهر وهي نيسابور وقهستان والطبسان وهراة وبوشنج وباذغيس وطوس واسمها طابران، والربع الثاني مرو الشاهجان وسرخس ونسا وأبيورد ومرو الروذ والطالقان وخوارزم وآمل وهما على نهر جيحون، والربع الثالث، وهو غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، الفارياب والجوزجان وطخارستان العليا وخست واندرابة والباميان وبغلان وولج، وهي مدينة مزاحم بن بسطام، ورستاق بيل وبذخشان، وهو مدخل الناس إلى تُبَّت، ومن اندرابة مدخل الناس إلى كابل، والترمذ، وهو في شرقي بلخ، والصغانيان وطخارستان السفلى وخلم وسمنجان، والربع الرابع ما وراء النهر بخارى والشاش والطاربند والصُّغد، وهوكس، ونسف والروبستان وأشروسنة وسنام، قلعة المقنع، وفرغانة وسمرقند، قال المؤلف: فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها وكذلك سجستان ولاية برأسها ذات نخيل، لا عمل بينها وبين خراسان؛ وقد روي عن شريك بن عبد الله أنه قال: خراسان كنانة الله إذا غضب على قوم رماهم بهم، وفي حديث آخر: ما خرجت من خراسان راية في جاهلية وإسلام فردت حتى تبلغ منتهاها؛ وقال ابن قتيبة: أهل خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة ولم يزالوا في أكثر ملك العجم لقاحا لا يؤدون إلى أحد إتاوة ولا خراجا، وكانت ملوك العجم قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ حتى نزلوا بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة، وهم الذي قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس، وكان غزاهم فكادوه بمكيدة في طريقه حتى سلك سبيلا معطشة يعني مهلكة، ثم خرجوا إليه فأسروه وأكثر أصحابه معه، فسألهم أن يمنوا عليه وعلى من أسر معه من أصحابه وأعطاهم موثقا من الله وعهدا مؤكدا لا يغزوهم أبدا ولا يجوز حدودهم، ونصب حجرا بينه وبينهم صيره الحد الذي حلف عليه وأشهد الله عز وجل على ذلك ومن حضره من أهله وخاصة أساورته، فمنوا عليه وأطلقوه ومن أراد ممن أسر معه، فلما عاد إلى مملكته دخلته الأنفة والحمية مما أصابه وعاد لغزوهم ناكثا لأيمانه غادرا بذمته وجعل الحجر الذي كان نصبه وجعله الحد الذي حلف أنه لا يجوزه محمولا أمامه في مسيره يتأول به أنه لا يتقدمه ولا يجوزه، فلما صار إلى بلدهم ناشدوه الله وأذكروه به فأبى إلا لجاجا ونكثا فواقعوه وقتلوه وحُماته وكُماته واستباحوا أكثرهم فلم يفلت منهم إلا الشريد، وهم قتلوا كسرى بن قباذ، ثم أتى الإسلام فكانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدهم إليه مسارعة مَنًّا من الله عليهم وتفضلا لهم فأسلموا طوعا ودخلوا فيه سلما وصالحوا عن بلادهم صلحا، فخف خراجهم وقلَّت نوائبهم ولم يجر عليهم سباء ولم تسفك فيما بينهم دماء، وبقوا على ذلك طول أيام بني أمية إلى أن أساءوا السيرة واشتغلوا باللذات عن الواجبات، فانبعث عليهم جنود من أهل خراسان مع أبي مسلم الخراساني ونزع عن قلوبهم الرحمة وباعد عنهم الرأفة حتى أزالوا ملكهم عن آخرهم رأيا وأحنكهم سنا وأطولهم باعا فسلموه إلى بني العباس، وأنفذ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الأحنف بن قيس في سنة ١٨ فدخلها وتملك مدنها فبدأ بالطبسين ثم هراة ومرو الشاهجان ونيسابور في مدة يسيرة، وهرب منه يزدجرد بن شهريار ملك الفرس إلى خاقان ملك الترك بما وراء النهر، فقال ربعي بن عامر في ذلك:

ونحن وردنا، من هراة، مناهلا
رواء من المروين، إن كنت جاهلا

وبلخ ونيسابور قد سقيت بنا،
وطوس ومرو قد أزرنا القنابلا

أنخنا عليها، كورة بعد كورة،
نفضُّهم حتى احتوينا المناهلا

فلله عينا من رأى مثلنا معا،
غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا

وبقى المسلمون على ذلك إلى أن مات عمر، رضى الله عنه، وولى عثمان، فلما كان لسنتين من ولايته ثـرا بنو كنازا، وهم أخوال كسرى، بنيسابور وألجؤوا عبد الرحمن بن سمرة وعماله إلى مرو الروذ وثنى أهل مرو الشاهجان وثلث نيزك التركى فاستولى على بلخ وألجأ من بها من المسلمين إلى مرو الروذ وعليها عبد الرحمن بن سمرة، فكتب ابن سمرة إلى عثمان بخلع أهل خراسان؛ فقال أسيد بن المتشمس المرى:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة، فقد لقيت عنا خراسان بالغدر
فأذك، هداك الله، حربا مقيمة بمروى خراسان العريضة فى الدهر
ولا تفترز عنا، فإن عدونا لآل كنازاء الممدّين بالجسر

فأرسل إلى ابن عامر عبد الله بن بشر فى جند أهل البصرة، فخرج ابن عامر فى الجنود حتى تولج خراسان من جهة يزد والطبسين وبث الجنود فى كورها وساروا نحو هراة فافتتح البلاد فى مدة يسيرة وأعاد عمّال المسلمين عليها؛ وقال أسيد ابن المتشمس بعد استرداد خراسان:

ألا أبلغا عثمان عنى رسالة، لقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كل جانب، فولوا سراعا واستقادوا النوائحا
غداة رأوا خيل العراب مغيرة، تقرّب منهم أسدهن الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا، وعادوا كلابا فى الديار نوابحا

وكان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاته حين أراد توجيههم إلى الأمصار: أما الكوفة وسوادها فهناك شيعة عليٍّ وولده والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى، وأما الشام فليس يعرفون إلا آل أبى سفيان، وطاعة بنى مروان عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فغلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم يقدم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة؛ فلما بلغ الله إرادته من بنى أمية وبنى العباس أقام أهل خراسان مع خلفائهم على أحسن حال وهم أشد طاعة وأكثر تعظيما للسلطان وهو أحمد سيرة فى رعيته يتزين عندهم بالجميل ويستتر منهم بالقبيح إلى أن كان ما كان من قضاء الله ورأى الخلفاء الراشدين فى الاستبدال بهم وتصيير التدبير لغيرهم فاختلت الدولة وكان من أمرها ما هو مشهور من قِبل الخلفاء فى زمن المتوكل وهلُم جرا ما جرى من أمر الديلم والسلجوقية وغير ذلك؛ وقال قحطبة بن شبيب لأهل خراسان: قال لى محمد بن على بن عبد الله أبى الله أن تكون شيعتنا إلا أهل خراسان لا ننصر إلا بهم ولا ينصرون إلا بنا، إنه يخرج من خراسان سبعون ألف سيف مشهور، قلوبهم كزُبر الحديد، أسماؤهم الكنى وأنسابهم القرى، يطيلون شعورهم كالغيلان، جعابهم تضرب كعابهم، يطوون ملك بنى أمية طيا ويزفّون الملك إلينا زفا؛ وأنشد لعصابة الجرجانى:

الدار داران: إيوان وغمدان، والملك ملكان: ساسان وقحطان
والناس فارس والإقليم بابل وال إسلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العُلندان، اللذا خشُنا منها، بخارى وبلخ الشاه داران
قد ميز الناس أفواجا ورتبهم فمرزبان وبطريق ودهقان

وقال العباس بن الأحنف:

قال خراسان أدنى ما يراد بكم ثم القفول، فها جئنا خراسانا

مــــا أقـــــدر الله أن يــــــدنى على شحط
سكــــان دجلـــة مـن سكـــان سيحــانـــا
عين الــزمــان أصــابتنــا ، فـلا نظــرت ،
وعـــــذبت بفنـــون الهجــــر ألـــوانـــا

وقال مالك بن الريب بعدما ذكرناه فى ابر شهر:

لعمـــرى لئن غــالت خــراســان هــامتى ،
لقـــد كنت عن بــابى خــراســان نــائيـا
ألا ليـت شعــــــرى! هـل أبيتـن ليلـــــة
بجنب الغضــا أزجى القــلاص النـواجيـا؟
فليت الغضــا لـم يقطـع الـركـب عـرضـه ،
وليت الغضــا مــاشى الـركــاب ليــاليـا
ألـم تــرنى بعت الضـــلالـــة بــالهـــدى ،
وأصبحت فـى جيش ابن عفــان غـــازيـــا؟

وما بعد هذه الأبيات فى الطبسين قال عكرمة وقد خرج من خراسـان : الحمد لله الذى أخرجنا منها ليطوى خـراسان طى الأديم حتى يقـوَّم الحمـار الـذى كـان فيهـا بخمسـة دراهم بخمسين بل بخمسمائة .

وروى عن النبى ﷺ ، أنـه قـال : إن الـدجـال يخـرج من المشرق من أرض يقـال لها خراسـان يتبعه قـوم كأن وجوههم المجان المطرقة ؛ وقد طعن قوم فى أهل خراسان وزعموا أنهم بخــلاء ، وهـو بهت لهـم ومن أين لغيرهـم مثل البـرامكــة والقحاطبة والطاهرية والسـامانية وعلى بن هشام وغيرهم ممن لا نظير لهم فى جميع الأمم ، وقد نـذكر عنهم شيئا مما ادعى عليهم والرد فى ترجمة مرو الشـاهجان إن شاء الله ـ فأما العلم فهم فرسانـه وساداته وأعيانه ، ومن أيـن لغيرهم مثل محمد بن إسمـاعيل البخـارى ومثل مسلم بن الحجـاج القشيـرى وأبى عيسى التـرمذى و إسحـاق بن راهـويه وأحمـد بن حنبل وأبى حامـد الغزالى والجوينى إمـام الحرمين والحـاكم أبى عبد الله النيسابـورى وغيرهم من أهل الحديث والفقـه ، ومثل الأزهرى والجوهرى وعبـد الله بن المبارك ، وكان يعد من أجـواد الزهاد والأدباء ، والفارابى صاحب ديوان الأدب والهروى وعبد القاهر الجـرجـانى وأبى القاسـم الزمخشـرى ، هـؤلاء من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يفوت حصرهم ويعجز البليغ عن عدهم .

وممن ينسب إلى خراسـان عطاء الخراسانى ، وهـو عطاء ابن أبى مسلم ، واسم أبى مسلم ميسـرة ، ويقـال عبـد الله بن أيـوب أبو ذؤيـب ، ويقال أبـو عثمـان ، ويقـال أبو محمـد ، ويقال أبو صالح من أهل سمـرقند ، ويقال من أهل بلخ مولى المهلب بن أبى صفـرة الأزدى ، سكن الشـام ، وروى عن ابن عمر وابن عباس وعبد الله بن مسعود وكعب بن عجرة ومعاذ بن جبل مرسـلا ، وروى عن أنس وسعيد بن المسيـب وسعيد بن جبيـر وأبى مسلم الخـولانى وعكرمـة مـولى ابن عبـاس وأبى إدريس الخولانى ونافع مولى ابن عمـر وعروة بن الزبير وسعيد العقبرى ونعيم بن سلامـة الفلسطينى وعطاء بن أبى ربـاح وأبى نصرة المنذر بـن مالك العبدى وجماعة يطـول ذكرهم ، وروى عنه ابنه عثمان والضحاك بن مزاحم الهلالى وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر والأوزاعى ومـالك بن أنس ومعمر وشعبة وحماد ابن سلمة وسفيان الثورى والوضين وكثير غير هؤلاء ، وقال ابنه عثمان : ولد أبى سنة خمسين من التـاريخ ، قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم : لما مات العبادلة : عبد الله بن عبـاس وعبد الله بن الزبيـر وعبد الله بن عمرو بن العاص[وعبـد الله بن عمر] صـار الفقه فى جميع البلـدان إلى المـوالى ، فصار فقيـه أهل مكة عطـاء بن أبى ربـاح وفقيـه أهل اليمن طاوس وفقيـه أهل اليمامـة يحيى بن أبى كثير وفقيه أهل البصـرة الحسن البصرى وفقيه أهل الكوفة النخعى وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسـان عطاء الخـراسانى إلا المـدينة فإن الله تعـالى خصها بقـرشى ، فكـان فقيـه أهل المـدينـة غيـر مـدافع سعيـد بن المسيب ، وقال أحمد ابن حنبل : عطاء الخراسانى ثقة ، وقال يعقوب بن شيبـة : عطاء الخراسانى مشهـور ، له فضل وعلم ، معـروف بالفتـوى والجهاد ، روى عنـه مالك بن أنس ، وكـان مـالك ممن ينتقى الـرجـال ، وابـن جـريج وحمـاد بن سلمـة والمشيخة ، وهو ثقة ثبت (معجم البلدان ٣٥٠ ـ ٣٥٤)

ويذكر الـدكتور خالد جـاسم الجنابى خراسان مـن ناحية تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى فيقول :

ولمـا كانـت خراسـان قـاعدة متقـدمـة للقـوات العربيـة الإسلامية فى المشرق، فقد أراد الأمويون أن يجعلوا منها مركزا لانطلاق الفتوح إلى المناطـق المتاخمة لها، ففى سنة ٥١ هـ / ٦٧٠ م نقل زياد بن أبيه خمسين ألفا من المقاتلة العرب مع عيـالاتهم من البصـرة والكـوفـة وأسكنهم فى خـراســان، فأصبحت خراسان دار هجـرة أخرى للعرب، وبما أنهـا تابعة من الناحيـة الإدارية إلى البصرة فقد اتبع فيهـا نظام الأخماس كما كـان الأمر متبعـا فى البصرة، وتألفت هـذه الأخماس من خمس قبـائل هى بكر بـن وائل، تميم، أهل العاليـة، الأزد، وعبد القيس، وقد أشار الطبرى إلى أعداد المقاتلين من هذه القبائل فى حدود سنة ٩٦ هـ/ ٧١٤ م فبيـن أنه كان بخراسان من قبائل البصـرة تسعة آلاف من أهل العاليـة وسبعة آلاف من بكر بن وائل وعشرة آلاف من تميم وأربعة آلاف من عبد القيس وعشـرة آلاف من الأزد ومن أهـل الكـوفـة سبعـة آلاف. (تاريخ الطبرى ٦/ ٥١٢).

وضمت خراسان أيضا قوات عربية من أهل الشام ساهمت فى أحداثها وكانت موضع اعتماد القواد والولاة الأمويين ويبدو أن أهل الشام كانوا يشكلون فى خراسان وحدة قائمة بذاتها إلا أنهم ينقسمـــون إلى أقسـام كـــالتى فى الشـــام منهم من أهل فلسطين وحمص وقنســـرين ودمشــق. (تـاريخ الطبـرى ٧ / ١٢٢).

وبعد فتح بـلاد ما وراء النهر اتخـذ العرب مدينة سمـرقند قاعـدة مهمة للحركات العسكـرية منذ عهـد قتيبة بن مسلم. وكانت عناصر القوات العربية فى نواحى سمرقند تضم أعدادا من قبائل طى وبنى نهشل وغطفان وبنى شيبان.

واستوطن المقاتلة العـرب مدينة بلخ التى فتحت فى ولاية عبد الله بـن عامـر، وبقيت قاعـدة ثابتة للقـوات العربيـة التى كـانت تقوم بفتح أقـاليم ما وراء النهـر، وقد سكن العـرب فى بدايـة فتحهم لبلخ فى منطقة البروقان وهى تبعـد فرسخين عن بلخ التى كانت فى ذلك الوقت خـرابا إلى أن نقل أسد بن عبد الله القسرى فى سنة ١٠٧ هـ كـان من المقاتلة العرب إلى بلخ وبنى لهم مساكن على قـدر مساكنهم ومن لم يكن لـه مسكنا أقطعه مسكنا ولم يتبع فى إسكانهم نظام الأخماس المتبع فى البصـرة، فقـد خلط بين أفـراد القبـائل فى السكن خـوفـا من تعصبهم.

وفى ولاية أسد بن عبد الله القسرى الثانية على خراسان سنة ١١٨ هـ/ ٧٣٦م وكـان فى بلخ ألفـان وخمسمائة من مقـاتلة أهل الشـام إلى جـانـب المقـاتلـة الآخـرين من قبـائل العراق. وخرسان وكان هؤلاء الشـاميون موضع اعتمـاد الوالى لموقفهم المؤيد للأمويين.

وفى بلاد أرمينية اتخذ القائد الأموى مسلمة بن عبد الملك مدينـة باب الأبواب قـاعدة عسكرية فقـام بترميمها وأعـاد بناء صهـريج المـاء وأنشأ فيهـا مخـازن للطعام والشعير وخزانـة للسلاح وأسكن فيهـا قوة كبيرة تقـدر بأربعة وعشـرين ألفا من مقاتلة أهل الشـام. وتبعا لنظام الأجناد السـائد فى بلاد الشام فقد أمر مسلمة بمدينـة الباب فقسمت أربعة أرباع جعل ربعا لأهل دمشق وربعـا لأهل حمص وربعـا لأهل فلسطين وربعـا لسائر أهل الشـام والجزيرة (تنظيمات الجيش العربـى الإسلامـى/ ٣١-٣٣).

ويعدد الشيخ أبو حاتم محمـد بن حبان البستى الصحابة والتابعين وأتباع التابعين الذين استـوطنوا خراسان، بادئا بنبذة عن خراسان يقول فيها:

أما خـراسان فهـو اسم يقع على بلدان العجـم جملة وإن كـان كل ناحيـة منها لهـا اسم منفصل تعـرف به لأن كل بلـد الغالب على أهله الرطانة فهو داخل فى جملة خراسان كما أن كل بلد الغالـب على أهله العربية فهو داخـل فى جملة بلدان العـرب، فكما لا يخـرج تبـاين اللغـات بين القبائل وبلـدان العرب بعضهـا عن الاسم الواقع عليهـا كذلك لا يخـرج سائر اللغات فى الفارسيـة من أهل البلدان التى يسكنها العجم عن الاسم المشتمل عليها وإن كـانت خراسان مـا بين الجبال إلى النهر فى الحقيقة كما أن حقيقة ديار العرب وسط الإقليم الأول والثانى.

ثم يحصى الإمام ابن حبـان أسماء الصحابة الـذين سكنوا خراسان وماتوا بها بعد أن استـوطنوها مما ننقل لك بعضه فيما يلى، وقد احتفظنا بالأرقام التسلسلية لتراجمهم التى وردت فى النص:

١ ـ الصحابة .

٤١٤ ـ بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمى ، من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبى ﷺ قبل قدومه المدينة ولحق به ، فلما أراد النبى ﷺ دخول المدينة قال بريدة : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ؛ ثم حمل عمامته وشدها فى رمح ومشى بين يدى النبى ﷺ يوم قدومه المدينة ، كنيته أبو سهل وقد قيل أبو ساسان ، انتقل إلى البصرة وأقام بها زمانا ، ثم خرج إلى سجستان فبقى بها مدة ، ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها فى إمارة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان إلى أن مات ، وبها عقبه وقبره بمرو مشهور يعرف .

٤١٥ ـ الحكم بن عمرو بن مجدَّع الغفارى ، له صحبة ، خرج إلى خراسان غازيا ، وله قصة طويلة ليس غرض الكتاب يحتملها حتى أمر معاوية بقيده فقيد بمرو فبقى فى قيده حتى مات سنة خمسين فى ولاية معاوية ، وأوصى أن يدفن بقيده ليخاصم أبا عبد الرحمن فى القيامة فدفن بقيده بمرو وقبره بجنب بريدة الأسلمى .

٤١٦ ـ قريط بن أبى رمثة ، كان ممن هاجر مع أبيه إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ لأبى رمثة : ابنك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه ، ثم خرج أبو رمثة بابنه قريط إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمى فى حياة رسول الله ﷺ فأقام بها إلى أن خرج غازيا فى أيام عمر ، وقريط هو الذى فتح الأبلة ، ثم غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل مرو واستوطنها إلى أن مات وبها عقبة .

٤١٧ ـ قثم بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، له صحبة ، خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان فى ولاية معاوية بن أبى سفيان غازيا إلى خراسان ، وقد ذكرناه فى صحابة أهل المدينة .

٤١٨ ـ قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى أبو القاسم ، خدم النبى ﷺ عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبضه الله إلى جنته ، وكان على مقدمة على بن أبى طالب يوم صفين ، فلما ولى معاوية أغضى عنه سنين ثم طلبه سنة ثمان وخمسين فهرب منه وسكن تفليس منجحرا غير أن ينتشر فلما علم انجحاره سكت عنه فلم يزل فى بيته منجحرًا إلى أن مات بها سنة خمس وثمانين فى ولاية عبد الملك بن مروان ...

٢ ـ التابعون :

من مشاهير التابعين الذين ذكرهم ابن حبان :

٩٨٣ ـ عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى ، كان مولده لثلاث سنين مضين من خلافة عمر بن الخطاب ، كان هو وسليمان توأمين ، ولى يزيد بن المهلب عبد الله القضاء بمرو ، ومات بها سنة خمس عشرة ومائة وقبره بجاورسة قرية من قرى مرو .

٩٨٤ ـ الربيع بن زياد ، كان عامل معاوية بن أبى سفيان على خراسان ، سمع أُبى بن كعب وغيره من الصحابة .

٩٨٥ ـ علباء بن أحمر اليشكرى ، ممن صحب أبا زيد الأنصارى واسمه عمرو بن أخطب وهو جده ، سكن مرو وبها مات .

٩٨٦ ـ سليمان بن بريدة الأسلمى ، مات بمرو سنة خمس ومائة وقبره بغير قرية من قرى مرو .

٩٨٧ ـ الربيع بن أنس بن زياد البكرى ، سكن مرو ، سمع أنس بن مالك وكان راوية لأبى العالية ، وكل ما فى أخباره من المناكير إنما هى من جهة أبى جعفر الرازى .

٩٨٨ ـ همام بن خناس العبدى ، وقد قيل العدوى ، من أهل البصرة ، سكن مرو ، كان ممن صحب عبد الله بن عمر ابن الخطاب وسمع منه .

٩٨٩ ـ عطاء بن السائب الكنانى الليثى ، من أهل المدينة ، مسح على بن أبى طالب رأسه وقال : بارك الله عليك وعلى ذريتك من بعدك ، سكن مرو وولد له بها ابن فسماه محمدا ولمحمد ابن يقال له السائب وللسائب ابن يقال له عطاء عدادهم كلهم فى أهل مرو .

٩٩٠ ـ يحيى بن يعمر ، من بنى عوف بن بكر ، كنيته أبو سليمان وقد قيل أبو سعيد ، من أهل البصرة ، سكن مرو ولاه قتيبة بن مسلم القضاء بها ، وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علما باللغة مع الفضل والورع .

٩٩١ ـ يحيى بن عقيل الحذاء ، من أهل البصرة ، سكن

مرو، سمع ابن أبى أوفى يقول: كان رسـول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشى معه المسكين والأرملـة فيقضى له حاجته، وأكثـر رواية يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر وأقرانه.

٩٩٢ ــ الـزبيـر بن عـدى الهمدانـى أبو عـدى، مـولـده بالكـوفة، سكن الـرى. سمع أنس بن مالك وكـان من العباد والمتقنين من الزهاد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكل ما فى أخبـاره من المنـاكيـر فهى من جهـة بشـر بن الحسين الأصبهانى.

٣ ـ أتباع التابعين:

أما مشـاهير أتبـاع التابعين بخـراسان الـذين سكنوهـا من الثقات والأثبات فى الروايات فهم كما أحصاهم الشيخ الإمام أبو حاتم:

١٥٦٢ ـ الضحـاك بن مزاحم الهـلالى أبو القـاسم، وقد قيل أبو محمد، مولده ببلخ، وكـان يقيم بمرو مدة وببلخ زمانا وربمـا أقام ببخـارا وبسمرقنـد حينا، وهم إخـوة ثلاثـة مسلم ومحمد والضحـاك، فأما الضحـاك فإن أمه كـانت حامـلا به سنتين وولـد وله يسنـان اثنتـان، وكان ممن عنى بعلم القـرآن عناية شديدة مع لـزوم الورع، وكان معلم كتاب يعلم الصبيان فـلا يأخذ منهم شيئـا إنمـا يحتسب فى تعليمهم، مات سنـة خمس ومـائة، لم يسمع مـن ابن عبـاس ولا من أحــد من الصحابة شيئا، ورواية أبى إسحاق السبيعى عن الضحاك قال قلت لابن عباس وَهْمٌ وهم فيـه شريك كيف يقـول لابن عباس ولم يره، وإنما لقى سعيد بن جبير بالرى فأخذ عنه التفسير.

١٥٦٣ ــ أصبغ بن علقمة بن علـى بن علقمة بن شـريك الحنظلى اليـربـوعى أبـو المقـدام، من أهل مـرو، من خيـار مشايخهم، ممن جالس سعيد بن المسيب وعكرمة.

١٥٦٤ ـ عبد الله بن المبارك، مولى بنى حنظلة، من أهل مرو، أبـو عبد الرحمن، كان مـولده سنة ثمانى عشـرة ومائة، وكان أحد الأئمة فقها وورعا وعلمـا وفضلا وشجاعة ونجدة، ممن رحل وجمع وصنف وحـدث وحفظ وذاكـر ولـزم الـورع الخفى والصلابـة فى الدين والعبادة الدائمـة مع حسن العشرة واستعمال الأدب إلى أن مـات منصرفا من طرسـوس فى شهر رمضـان سنة إحـدى وثمـانين ومـائة وقبره بهيت مـدينـة على الفرات مشهور يزار.

١٥٦٥ ـ إبراهيم بن ميمون الصـائغ أبو إسحاق، من أهل مرو، من الآمرين بالمعروف والمـواظبين على الورع الموصوف مع الفقـه فى الـدين والعبادة الـدائمـة، قتله أبـو مسلم سنـة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٦٦ ـ مقـاتل بن حيان النبطى أبو بسطام، مـولى لبكر بن وائل، لا يصح لــه عن صحــابى لقى إنمــا تلك أخبــار مدلَّسة، كان يسكن مرو مدة وبلخ زمانا وله بمرو خطة، وكان ممن عنى بعلم القرآن وواظب على الورع فى السر والإعلان، وهم إخوة أربعـة مقاتل والحسن ويزيد ومصعب بنـو حيان، ومات مقاتل بكابل، كان قد هرب من أبى مسلم إليها.

١٥٦٧ ــ يعقــوب بن القعقــاع بـن الأعلم الأزدى أبـو الحسن، من أهل البصرة، قدم مرو فولاه أبو مسلم القضاء بها فاستوطنها.

١٥٦٨ ـ عبـد الله بن كيسان أبو مجاهـد، من أهل مرو، من أصحاب عكرمة، بها مات.

١٥٦٩ ـ بشيـر الكوسج أبو نصـر. من أهل مرو، لا يصح لقيه ابن عمر وقد رأى عكرمة والحسن وجماعة من التابعين.

١٥٧٠ ــ جبلـة بن أبى رواد العتكى، مـولى عتيك، أخـو عبد العزيـز بن أبى رواد، كنيته أبو مروان، من أهـل مرو، قتله أبو مسلم بنيسابور سنة إحدى وثلاثين ومائة.

١٥٧١ ـ حسين بن واقد، مولى عبد الله بن عامر بن كريز القرشى، كنيتـه أبو على. كان على قضاء مـرو، وكان إذا قام من مجلس الحكم اشتـرى اللحم لعيـالـه وعلَّقـه من إصبعـه وحمله إلى أهله، مات بمرو سنة تسع وخمسين ومائة.

١٥٧٢ ـ سليمان بن عامـر بن عمير الكندى البرزى، من أهل مرو، وهـو الذى قـال: سمعت الربيع بن أنس يقـول من استطاع منكم أن يكـون له فى مـدينة مرو دار فيهـا بئر طحـانة فليفعل.

١٥٧٣ ـ عبـد المؤمن بن خـالد الحنفى أبـو خالـد. من

أهل مرو، ومن أصحاب عبد الله بن بريدة. كان متقنا ثبتا.

١٥٧٤ـ أبو المنازل عثمان بن عبيد الله، كان على قضاء خراسان، سكن مرو، وروى عنه جلة أهل الكوفة مثل الشيباني والحجاج بن أرطاة وذويهما.

١٥٧٥ـ عثمان بن جبلة بن أبي رواد، والد عبد العزيز بن عثمان. من خيار أهل مرو.

١٥٧٦ـ أبو عثمان الأنصاري عمر بن سالم، أصله من المدينة، انتقل إلى خراسان وسكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب القاسم بن محمد، روى عنه المراوزة وأهل العراق.

١٥٧٧ـ عَزْرة بن ثابت بن أبي زيد الأنصاري، من أهل مرو، وهم أخوة ثلاثة عزرة وعلى ومحمد. أما عزرة وعلى فمتيقنان ومأمونان، وأما محمد فقد تبرأنا من عهدته في «كتاب المجروحين».

١٥٧٨ـ محمد بن زيد العبدى. من أهل البصرة، سكن مرو وكان على القضاء بها، من أصحاب سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وروى عنه المصريون والمراوزة.

١٥٧٩ـ محمد بن يسار، الذى يقال له الخراساني، أصله من البصرة. سكن مرو، كانت كنيته أبو العيوق (؟) ثم يكنى بعبد الله. وهم إخوة ثلاثة محمد، وسلمة، وعبد الله.

١٥٨٠ـ الفضل بن عطية المروزى، مولى بنى عبس، ممن صحب عطاء وسالم بن عبد الله وذويهما، وهو والد محمد بن الفضل.

١٥٨٣ـ أبو حمزة السكرى محمد بن ميمون، من أهل مرو، من جلة المحدثين بها، مات سنة سبع أو ثمان وستين ومائة.

١٥٨٢ـ أبو غانم يونس بن نافع، من أهل مرو، مات سنة تسع وخمسين ومائة، وكان يهم فى الأحايين.

١٥٨٣ـ صخر بن عبد الله بن بريدة الأسلمي، صحب أبا جعفر محمد بن على وعكرمة، عداده فى أهل مرو وروى عنه أهلها.

١٥٨٤ـ عبد الكبير بن دينار الصائغ، من أهل مرو. أبو عبد الرحيم، من أصحاب أبى إسحاق السبيعى، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

١٥٨٥ـ النضر بن محمد المروزى، من جلة أهل مرو، ممن كان يتفقه على مذهب الكوفيين، مات بمرو يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومائة.

١٥٨٦ـ الفضل بن موسى السيناني، مولى بنى قطيعة، كنيته أبو عبد الله، من جلة أهل مرو ومتقنى المحدثين بها، كان مولده سنة خمس عشرة ومائة، ومات سنة إحدى أو اثنتين وتسعين ومائة.

١٥٨٧ـ خُلَيْد بن حسان الهجرى العصرى، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، كنيته أبو حسان، سكن بخارا وبها حدث.

١٥٨٨ـ كثير بن زياد السلمى البرساني الأزدى أبو سهل، من أهل البصرة، من أصحاب الحسن، دخل خراسان فكان يقيم ببلخ مدة وبسمرقند زمانا وربما حدث ببخارا، ومات بما وراء النهر.

١٨٥٩ـ منصور بن النعمان اليشكرى الربعى أبو حفص، من أهل البصرة، سكن مرو مدة ثم تحول إلى بخارا وسكنها، ممن صحب أبا مجلز وعكرمة وذويهما من التابعين.

١٥٩٠ـ خالد بن زياد بن جزء، سكن ترمذ وكان على القضاء بها، يروى عن نافع وقتادة أحاديث مستقيمة، ومات بترمذ وهو ابن مائة سنة وسنة ثم ولى ابنه عبد العزيز بن خالد قضاء ترمذ بعده.

١٥٩١ـ النضر بن زرارة الذهلى أبو الحسن، من أهل الكوفة، سكن بلخ، هو ابن أخت سماك بن الوليد الحنفى، ممن صحب إسماعيل بن أبى خالد وذويه مستقيم الأمر فى الحديث.

١٥٩٢ـ الوسيم بن جميل بن طريف الثقفى، مولى حجاج بن يوسف، عم قتيبة بن سعيد، كنيته أبو محمد، من ساكنى بلخ، مات سنة ستة وثمانين ومائة، وكان متعبدا فاضلا، وكان ابن المبارك يتمنى لقيه لما يذكر من فضله.

١٥٩٣ـ خالد بن أبى نوف، من أهل سجستان، دخل خراسان وأقام بها مدة، فكتب عنه أهلها وأهل العراق معا عن خالد بن أبى نوف عن عطاء بن أبى رباح قال: أدركت مائتين

من أصحاب رسول الله ﷺ فى هذا المسجد يعنى مسجد الحرام إذا قال الإمام ولا الضالين رفعوا أصواتهم بآمين.

ـ ١٥٩٤ أبو حريز عبد الله بن الحسين، من أهل البصرة، ولى القضاء بسجستان. وبها مات، كتب عنه البصريون الفضيل بن سليمان وأقرانه وأهل زرنج.

ـ ١٥٩٥ عيسى بن يزيد الأزرق أبو معاذ، من أهل مرو، ولى القضاء بسرخس وكان من العُبَّاد، وبها مات، وكان ابن المبارك يزور قبره إذا دخل سرخس.

ـ ١٥٩٦ عمرو بن مصعب، أخو خارجة بن مصعب، أول مولود بسرخس فى الإسلام، من الثقات المأمونين، وأخوه خارجة فيه نظر، وكان أبوهما مصعب من أصحاب على بن أبى طالب.

ــ ١٥٩٧ جوَّاب بن عبيد الله التيمى الأعور، من أهل الكوفة، سكن جرجان روى عنه أهلها والشيبانى ومسعر وذووهما من أهل العراق.

ـ ١٥٩٨ كرز بن وبر الحارثى، من أهل الكوفة، سكن جرجان، من المتجردين للعبادة والمتقشفين فى الزهادة.

ـ ١٥٩٩ أبو طيبة عيسى بن سليمان بن دينار الدارمى، من أهل جرجان، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكان يهم فى الأحايين.

ــ ١٦٠٠ عمرو بن أبى قيس الرازى، من جلة أهل الرى ومتقنيهم.

ــ ١٦٠١ عنبسة بن الأزهر الشيبانى أبو يحيى، من أهل جرجان، وكان قاضيا عليهم، يهم كثيرا.

ـ ١٦٠٢ إبراهيم بن طهمان أبو عمرو، من أهل نيسابور، وكان أبوه ... (مشاهير علماء الأمصار/ ٥٩ ــ ٦١، ١٢٥، ١٢٦، ١٩٤ـ١٩٩).

(المنجد/ ١٧٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه ـ بتحقيق محمد سعيد العريان ٧/ ٢٨٦، ٢٨٧، وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى المعروف بالبشارى ــ وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم/ ٢٣٤، ٢٣٥، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٣٥٠ ــ ٣٥٤، وتنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ـ د. خالد جاسم الجنابى/ ٣١ ــ ٣٣، ومشاهير علماء الأمصار للشيخ الإمام أبى حاتم محمد بن حبان البستى/ ٥٩ ــ ٦١، ١٢٥، ١٢٦، ١٩٤ ــ ١٩٩. انظر أيضا دراسات فى تاريخ خراسان فى العصر الأموى ــ د. راضى عبد الله عبد الحليم، الأندلس للإعلام والنشر. مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٩٨٧، وفتوح البلدان للبلاذرى ـ حققه وشرحه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع)

ملاحظة: الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من كتاب دراسات فى تاريخ خراسان المبين فى ثبت المراجع. أما صورة المشهد فقد أخذت من كتاب «القباب فى العمارة الإسلامية» للدكتور صالح لمعى مصطفى.

*** الخراسانى:**

قال السمعانى:

الخراسانى: بضم الخاء المعجمة وفتح الراء والسين المهملتين وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خراسان وهى بلاد كبيرة، فأهل العراق يظنون أن من الرى إلى مطلع الشمس خراسان، وبعضهم يقولون: إذا جاوزت حد سواد العراق وهو جبل حلوان فهو أول حد خراسان إلى مطلع الشمس؛ وهو اسم مركب بالعجمية ومعناه بالعربية موضع طلوع الشمس لأن خور بالعجمية الدارية اسم الشمس وأسان موضع الشىء ومكانه؛ وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى يقول إن خراسان أصل هذه الكلمة خورآسان ـ يعنى كل بالرفاهية، والصحيح هو الأول، والعلماء فى كل فن منها بحيث لا يدخل تحت الحصر، وقد صنف التواريخ فى ذلك غير أن جماعة عرفوا بالانتساب إليها، فمنهم أبو الحسن مقاتل بن سليمان الخراسانى مولى للأزد، أصله من بلخ، وانتقل إلى البصرة، وبها مات بعد قدوم الهاشمية، وكان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم؛ وكان مُشبِّهًا يُشَبِّه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث؛ وكان أبو يوسف القاضى يقول قال أبو حنيفة رحمه الله: يا أبا يوسف! احذر صنفين من خراسان: الجهمية والمقاتلية.

وأبو أيوب ــ وقيل أبو مسعود ــ عطاء بن أبى مسلم الخراسانى، واسم أبيه عبد الله، وقيل ميسرة، يروى عن

سعيد بن المسيب والزهرى، روى عنه مالك ومعمر، أصله من بلخ، مولى المهلب بن أبى صفرة، عداده فى البصريين، وإنما قيل له الخراسانى لأنه دخل خراسان فأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى العراق فنسب إلى خراسان لطول مكثه بها، وكان مولده سنة خمسين، ومات سنة خمس وثلاثين ومائة بأريحا فحمل ودفن ببيت المقدس، وكان من خيار عباد الله غير أنه كان ردىء الحفظ كثير الوهم يخطىء ولا يعلم فحمل عنه فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به.

وأصرم بن حوشب الهمدانى، الخراسانى، يروى عن زياد ابن سعد وغيره، روى عنه الحسن بن أبى الربيع، كان يضع الحديث على الثقات، والدارمى يقول قلت ليحى بن معين وأصرم بن حوشب: تعرفه؟ فقال: كذاب خبيث.

وأبو أيوب سليمان بن بشار الخراسانى، شيخ كان يدور بالشام ومصر، يروى عن الثقات مثل ابن عيينة وغيره ما لم يحدثوا به، ويضع على الأثبات ما لا يحصى كثرة، ليس يعرفه كل إنسان من أصحاب الحديث لا يحل الاحتجاج به بحال، روى عنه أبو عبد الله النقال بالرملة.

والشاه بن شيرباميان الخراسانى، قال أبو حاتم بن حبان: حدث ببغداد، يروى عن قتيبة بن سعيد يضع الحديث، لا يحل ذكره فى الكتب، وإنما ذكرته وإن لم يشتهر عند أصحابنا ذكره ليعرف فيجانب حديثه؛ روى عنه أبو حاتم محمد بن حبان البستى.

وأبو شيخ عبد الله بن مروان الخراسانى يروى عن ابن أبى ذئب، روى عنه سليمان بن عبد الرحمن، يلزق المتون الصحاح التى لا تعرف لها إلا طريق واحد بطريق آخر يشتبه على من الحديث صناعته، لا يحل الاحتجاج به.

وأبو عبد الله نهشل بن سعيد بن وردان الخراسانى من أهل نيسابور، كان أصله من البصرة، يروى عن داود بن أبى هند والضحاك بن مزاحم، روى عنه محمد بن معاوية النيسابورى كان ممن يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، لا يحل كتابة حديثه إلا على جهة العجب، كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يرميه بالكذب.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٤٩٩، ٥٠٠).

* **الخراشى (١٠١٠ـ١١٠١ هـ):**

أول شيوخ الأزهر الشريف الإمام الأكبر محمد بن عبد الله الخراشى ولد ببلدة (أبو خراش) من أعمال شبراخيت بمحافظة البحيرة سنة ١٠١٠ هـ تلقى تعليمه على يد نخبة من العلماء ودرس علوم الدين واللغة والمنطق وكانوا يهتمون فى الأزهر بدراسة (علوم التفسير والحديث والفقة واللغة والفلسفة والمنطق) واستوعب معارف عصره وتخرج على يديه علماء كثيرون جاوزوا المائة من أعلام عصره ومن تلاميذه (الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى) وقد تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك وكان بمثابة معيد للشيخ الخراشى يلخص ما قاله الشيخ ويوضح ما غمض (كما هو دور المعيد بالنسبة للأستاذ فى الجامعة الآن).

وكان جم الحياء متواضعا يذهب إلى السوق ويشترى حاجياته ويحملها بنفسه وتمسك بالسنة وكان لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالجامع الأزهر ووفد عليه الطلاب من كل قطر وذاعت شهرته ووصفه الجبرتى بأنه «الإمام العلامة والحبر الفهامة شيخ الإسلام والمسلمين وارث علم سيد المرسلين) وكانت النذور تأتيه من كل الجهات فلا يحتفظ بشىء بل يتركها لمعارفه يتصرفون فيها وكانت له كرامات اشتهرت فى عصره وظل فى كفاحه العلمى حتى جاوز التسعين ولحق بربه فى ٢٧ من ذى الحجة سنة ١١٠١ هـ.

مؤلفاته

كان رحمه الله واسع الثقافة وخاصة فيما يتعلق بعلوم التفسير والفقه على مذهب الإمام مالك ... ويمكن إجمال مصنفاته فيما يلى:

١ ـ رسالة فى البسملة فى نحو أربعين كراسا.

٢ ـ الشرح الكبير لمختصر خليل فى ثمانية مجلدات.

٣ ـ منتهى الرغبة فى حل ألفاظ النخبة (وهو شرح لكتاب نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى).

٤ ـ الفرائد السنية فى حل ألفاظ السنوسية.

٥ ــ الأنوار القدسية في الفوائد الخراشية (وهو شرح للعقيدة السنوسية).

٦ ــ حاشية على شرح الشيخ على إيساغوجى فى (المنطق) وهو كتاب شهير.

٧ ــ إجازة أجاز بها تلميذه الشيخ على الشبراملسى (ليستحق بها ما يشبه العالمية).

(شيوخ الأزهر ولمحات عن نظامه المعاصر/ ١٤).

*** الخراط:**

قال السمعانى:

الخراط: بفتح الخاء وتشديد الراء وفى آخرها الطاء المهملة، هو الذى يخرط الخشب ويعمل منه الأشياء المخروطة، والمشهور بالنسبة إليه أبو صخر حميد بن زياد الخراط، وهو حميد بن أبى المخارق القتبى، من أهل المدينة، مولى بنى هاشم، يروى عن نافع ومحمد بن كعب وابن قسيط وعمار الذهنى؛ وروى عنه المفضل بن فضالة وحاتم بن إسماعيل وابن لهيعة وصفوان بن عيسى وحيوة بن شريح وابن وهب، وقال أحمد بن حنبل: أبو صخر ليس به بأس؛ وقال يحيى بن معين: هو ضعيف.

وأبو يوسف يعقوب بن معبد بن صالح بن عبد الله الخراط، ولد ببمجكث ونشأ بالبصرة، وروى عن أبى نعيم ومكى بن إبراهيم ومسدد بن مسرهد وابن أخى جويرية وحجاج بن منهال ومطرف بن عبد الله وعبيد الله بن موسى وقبيصة وغيرهم، وكان ثقة، روى عنه أبو عبد الله محمد بن حمدان وأبو حفص أحمد بن حاتم بن حماد، وتوفى سنة إحدى وستين ومائتين.

وأبو على الحسن بن علان الخراط، من أهل بغداد، أملى فى الكرخ حديثا منكرا من حفظه عن محمد بن عبد الملك الدقيقى ولا يدرى الحمل فيه عليه أو الراوى عنه أبو القاسم ابن الثلاج؟.

ومن المتأخرين الإمام أبو الحسن على بن عثمان الخراط من أهل سمرقند، كان إماما فاضلا ورعا يأكل من كد يده وكسبه وكان يعمل الخشبة التى تصلح للحلاجين التى يقال لها مشته، وكان لا يعمل أحد من الخراطين هذه الخشبة بسمرقند إلا هذا الإمام، وكان إذا طلب من الخراطين أن يعملوها امتنعوا وقالوا: الإمام يعملها ــ كرامة له. سمع الحديث من أبى الحسن على بن أحمد بن الربيع السنكباثى وغيره، وأملى، وحضر الأئمة مجالس إملائه، وكتبت عن قريب من عشرين نفسا من أصحابه بسمرقند ...

(الأنساب للسمعانى ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩. انظر أيضا اللباب ١/ ٥٠٠).

*** ابن الخراط (٥١٠ـ٥٨٢ هـ):**

قال عنه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى: وفى هذه السنة (يعنى سنة ٥٨٢) توفى الشيخ الفقيه الخطيب القاضى المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدى الأشبيلى المشهور بابن الخراط ببجاية، وله الأحكام فى الحديث، والعاقبة فى الوعظ والتذكير، وغير ذلك ا. هـ.

وهو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدى الأشبيلى، المعروف بابن الخراط. من كبار علماء الأندلس. كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله، موصوفا بالخير والصلاح، والزهد والورع، والتقلل من الدنيا، مشاركا فى الأدب وقول الشعر. ولد سنة ٥١٠ هـ وروى عن شريح بن محمد وأبى الحكم بن برجان وغيرهما، وأجاز له ابن عساكر. رحل إلى بجاية بعد سنة ٥٥٠ فبث بها علمه وصنف التصانيف، وولى الخطبة والصلاة بها. توفى بعد محنة نالته من قبل الولاية، وكانت وفاته فى أواخر ربيع الثانى سنة ٥٨٢ هـ. قال الغبرينى: «وكان تاريخ وفاته مكتوبا فى رخامة عند قبره». له «الأحكام الشرعية الكبرى» ٦ مجلدات و «الأحكام الصغرى» و «الأحكام الوسطى» و«الجامع الكبير» نحو عشرين مجلدا، و «الزهد» و «العاقبة وذكر الموت» و «الواعى» وهو نحو ٢٥ سفرا و «الجمع بين الصحيحين» وغير ذلك (كتاب الوفيات/ ٢٩٣، ٢٩٤).

وجاء فى هامش ١ فى تهذيب الأسماء واللغات فى ترجمة ابن الخراط فائدة ننقلها فيما يلى: له تصانيف كثيرة غير ما ذكر فى الحديث والغريب والعلل والأنساب والنظم الحسن

فى الزهد وغيره منها كتابه الأوسط فى الأحكام المنتقى من حديث النبى ﷺ، وهو الملقب أيضا بأحكام الأحاديث الكبرى، مجلدات، ومختصره الأحكام الصغرى فى الصحيح، والكتاب الجامع الكبير فى نحو عشرين مجلدا جمع فيه ما وقع إليه من حديث النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلا الواهى والمتروك، وكتاب جمع فيه ما وقع إليه من الأحاديث المعتلة وبين عللها فى نحو ست مجلدات، وكتاب المستصفى من حديث المصطفى ﷺ، وكتاب التهجد وقيام الليل، وكتاب التوبة، وكتاب العاقبة وذكر الموت، وكتاب تلقين الوليد، وكتاب فى الرقائق أدخلها فى تأليفه، وكتاب اختصر فيه كتاب اقتباس الأنوار فى معرفة أنساب الصحابة ورواة الآثار تأليف محمد الرشتاكى، وكتاب شرح فيه ما ورد فى القرآن والحديث من غريب اللغة ضاهى به كتاب غريبى القرآن والحديث لأبى عبيدة الهروى وهو كتاب كبير. ا . هـ والله أعلم (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢٩٢).

له ترجمة فى فوات الوفيات ١ / ٥١٨ وفيه وفاته سنة ٥٨١ هـ، ومثله فى شذرات الذهب ٤ / ٢٧١، وعنوان الدراية بتحقيق عادل نويهض/ ٤١ ـــ ٤٤، وعصر المرابطين والموحدين ٢ / ١٥٠ والتكملة/ ٦٤٧ (كتاب الوفيات/ ٢٩٤).

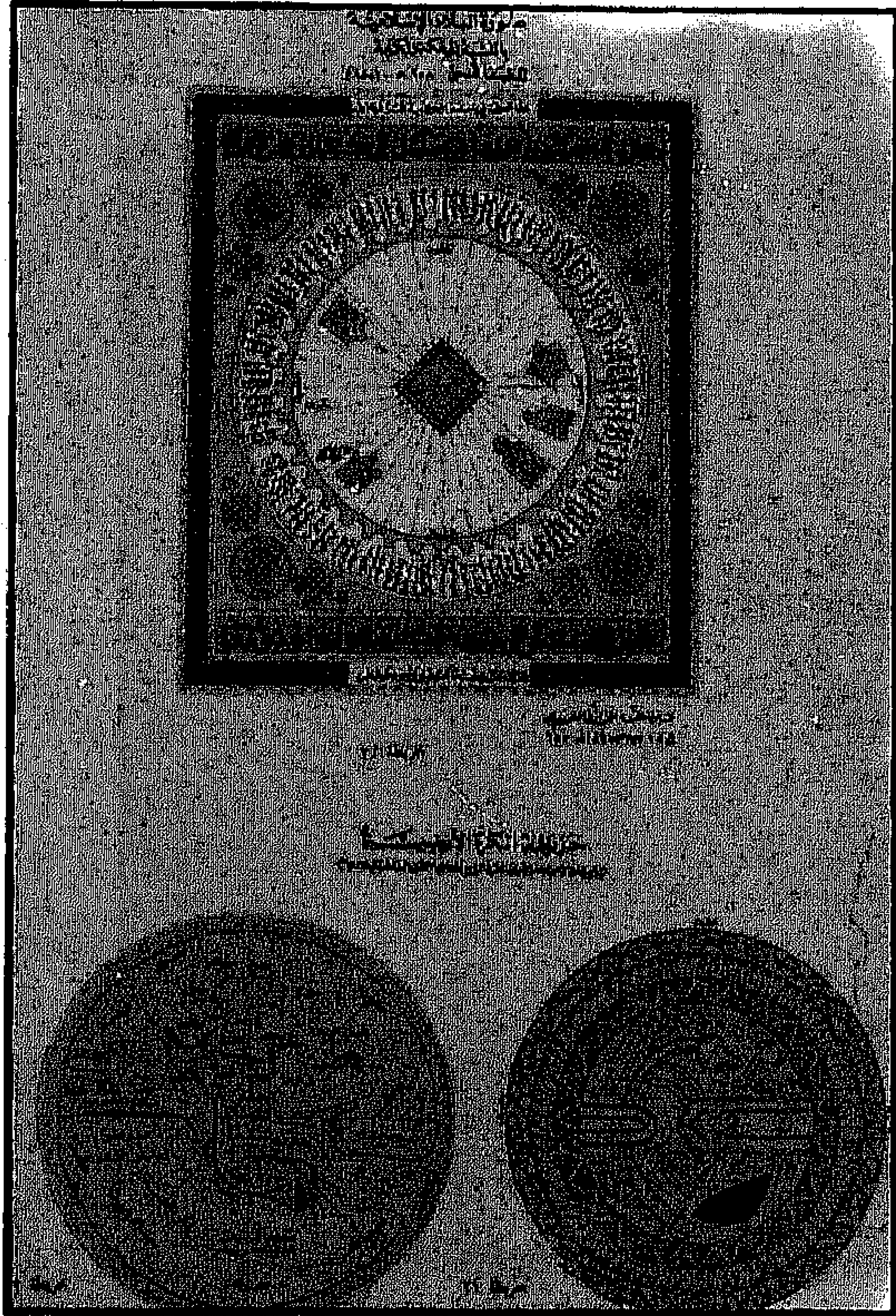
(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض/ ٢٩٣، ٢٩٤ وهامش٣ للمحقق، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ٢٩٢ وهامش ١) انظر مادة «تجريد كتب الأحاديث» فى م٨/ ٥١٧).

***الخرائط:**

جاء اهتمام العرب قبل الإسلام بالجغرافيا نتيجة ترحالهم وتنقلهم لكنه كان مقتصرا على معرفة الطرق والمعالم. ومع اتساع رقعة العالم الإسلامى بعد الفتوحات ازداد هذا الاهتمام فقام الخوارزمى (٣ هـ/ ٩م) بتأليف كتاب عن صورة الأرض استخرجه من كتاب بطليموس وضمنه عددا من الخرائط. وتركز اتجاه المؤلفين فى هذا الحقل على الجغرافية الوصفية والإنسانية. غير أن مؤلف الإدريسى (ق هـ/ ١٢ م) كان من أشهرها، لاتسامه بالشمولية ولدقة خرائطه التى بلغت درجة عالية من الصحة. ومن المؤلفات التى تناولت الملاحة واتصفت بالاختصاص وبالبراعة العملية مؤلف أحمد بن ماجد السعدى النجدى (٩ هـ/ ١٥م) الذى تناول وصف شواطىء ومراسى وجزر بحر العرب والمحيط الهندى. وكذلك مؤلفات أمير البحر العثمانى بيرى رئيس بن حاجى جقر (القرن ١٠ هـ/ القرن ١٦ م) خاصة مؤلفه الذى تضمن خرائط ووصفا وشرحا لموانىء سواحل البحر الأبيض المتوسط. . (كما هو مبين فى الصورة) (العلوم عند المسلمين/ ٣٨) سيأتى الكلام على «بيرى ريس» فيما بعد إن شاء الله تعالى:

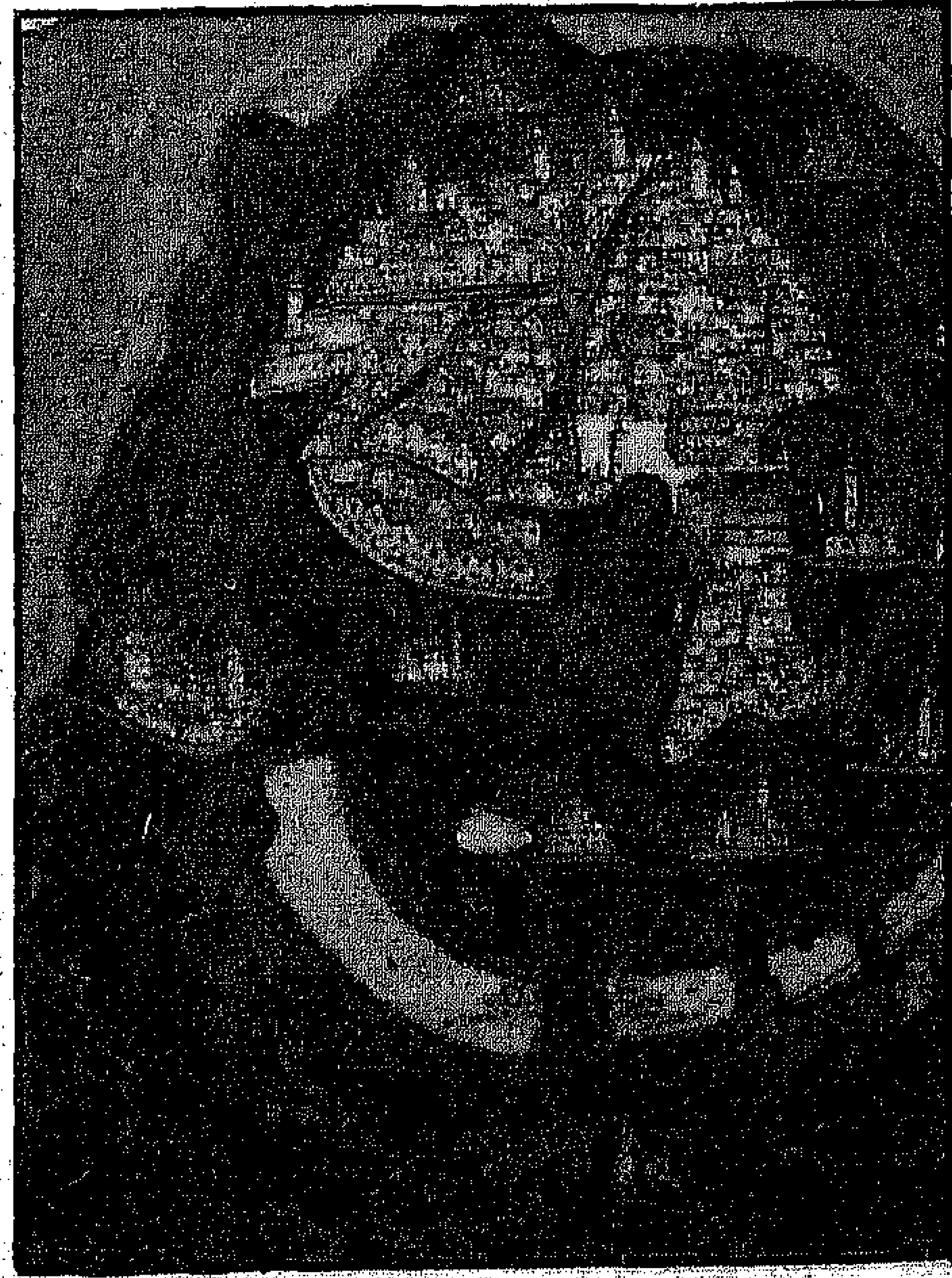
وترك الجغرافيون والفلكيون العرب مجموعة كبيرة من الخرائط تربو على ثلثمائة وأربعين خارطة، تصور العالم الإسلامى والمسيحى وبلاد الزنج والهنود والصينيين.

وواصل العرب النهوض بفن رسم الخرائط، فكانت الخريطة فى المدارس العربية وسيلة معروفة من وسائل الإيضاح فى دروس الجغرافية.



وأحسن نموذج من الخرائط التي وضعها الجغرافيون العرب خارطة الشريف الإدريسي ففي هذه الخارطة تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات أطوال البلدان وعروضها، وقد صنع كرة من الفضة ضخمة الحجم، تمثل الأرض بما عليها، وهو ما نعرفه اليوم بالخارطة المجسمة وقد رسم فيها جميع أقاليم وأقطار المعمورة المعروفة في ذلك الزمن رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء، وقال إنها تضمنت صور الأقاليم لبلادها وأقطارها وسيفها وريفها وخلجانها ومجاري مياهها ومواقع أنهارها وعامرها وغامرها والطرقات والأميال والمسافات والمشاهد، ثم وضع الكتاب المفصل في وصف كرته الفضية هذه رتبه على الأقاليم السبعة وأورد فيه أوصاف البلاد والممالك ومسافاتها وسماه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وجعل الإدريسي لكتابه ٦٩ رسما نقلها عن كرته المذكورة فوسعها وأضاف إليها أسماء جديدة لكثير من المدن والمواضع الأخرى. وظلت خرائط الإدريسي مقبولة ومعتمدا عليها عدة قرون.

وظل البحارة الأوربيون والجغرافيون يتناولونها حتى القرن السادس عشر الميلادي، وقد امتازت خرائط الإدريسي على



خريطة مواني البحر الأبيض المتوسط من صنع «بيري ريكس»

غيرها من خرائط الجغرافيين العرب، فقد كانت أغزر مادة فيما يتصل بوصف البلاد الأوربية.

وكان الإدريسي رسام خرائط ممتاز، فقد ابتكر طريقة لمساقط خرائط السماء والأرض وقبة سماوية وكرة أرضية من الفضة بين عليها أقاليمه المناخية السبعة وكذلك صنع خريطة للعالم على شكل طبق من الفضة وقد أتم ذلك كله في بلاط روجر ملك صقلية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧).

وخريطة الإدريسي تبين لنا تطور العلوم الإسلامية عن عصر المسعودي. . فالخريطة فقد رسمت على أساس أن الأرض كروية. . وجاءت خطوط العرض على شكل أقواس. وظهرت جزر المحيط الهندي واتصاله بالمحيط الهادي حول إفريقيا، وظهرت جزر المحيط الهادي والأطلسي. . وهناك تفاصيل جديدة عن كل من أفريقيا وآسيا وأوروبا حتى بحر الشمال. . وكذلك تفاصيل لنهر النيل إلى مصبه والبحيرات الثلاثة (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

يقول الأستاذ الدكتور حسين مؤنس: وخرائط الإدريسي خرائط حقيقية تعطي الناظر إليها فكرة واضحة وصحيحة عن المواضع التي تصورها. ونحن نرى خرائط الإدريسي اليوم في صورها التي رسمها النساخون الذين كتبوا نسخ «نزهة المشتاق» الموجودة بين أيدينا، والنساخ ليس رساما أو صانع خرائط، ومن ثم فإننا ينبغي ألا نتصور قط أن هذه هي خرائط الإدريسي التي رسمها بنفسه، فإذا ذكرنا ذلك تصورنا أن خرائط الإدريسي كانت أدق وأضبط لأنها من عمل جغرافي خرائطي موهوب، وهنا يزداد تقديرنا لعمل الإدريسي كله نصا وخرائط، ويزداد تقديرنا لمدرسة المسالكيين المسلمين الذين يعتبر الإدريسي القمة التي وصلت إليها أعمالهم «مكان المسلمين في التاريخ العام لعلم الجغرافية ٢٢ / ٢٣٩)

يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

وذهب العرب مذهب الإغريق في تقسيم العالم إلى خمس مناطق حرارية وهي المنطقة الحارة بين المدارين والمنطقتان المعتدلتان وتقعان بين منطقتي الحرارة والبرودة في نصف الكرة.

كان محمد بن موسى الخوارزمى من أسبق من عرف أن أهمية الخريطة كوسيلة لتوضيح المعلومات الجغرافية، فقد أضاف مجموعة من الخرائط إلى كتابه صورة الأرض.

ووضع البلخى أول أطلس عربى ألحقه بكتابه صور الأقاليم الذى لم يصل إلينا نصه الأصلى. ويشتمل هذا الأطلس فى تسلسل منتظم خرائط للعالم وللجزيرة العربية ولبحر فارس والمحيط الهندى، والمغرب ومصر والشام وبحر الروم والبحر المتوسط، ونحو اثنتى عشرة خريطة أخرى للجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامى.

ولم يبق فى المكتبة الجغرافية من مصورات مدرسة البلخى إلا مصور العالم فى كتابى القزوينى وابن الوردى، كما تظهر هذه المصورات بشكل أقل وضوحا فى مصورات العالم المستديرة الواردة فى كتاب الإدريسى.

ثم يقول الأستاذ عمر رضا كحالة:

ورسم المقدسى خرائط مستقلة، لكل قسم من الأقسام الأربعة عشر التى قسم إليها العالم الإسلامى، واستخدم فى تلك الخرائط طرق لتمثيل الظاهرات الجغرافية المختلفة، حتى يمكن للجميع أن يفهمها فهما صحيحا، فرسم الطرق المعروفة بالحمرة والرمال الذهبية بالصفرة والبحار المالحة بالخضرة والأنهار بالزرقة والجبال المشهورة بالغبرة.

ويظهر أن المسعودى قد درس بتعمق المؤلفات الجغرافية التى كانت موجودة فى عصره، ومن ثم كان فى استطاعته أن يشير إلى مراجع كثيرة لم تصل إلينا، وقد دعم دراساته برحلاته الطويلة التى وصل فيها إلى بحر الصين وإلى سواحل إفريقية الشرقية.

ومع أن المسعودى من أصحاب الجغرافية الوصفية إلا أن كتاباته لم تخل من شرح وتفسير لكثير من ظاهرات الجغرافية الطبيعية، فهو يعتقد بكروية الأرض وبالغلاف الغازى المحيط بها، ويصف الرياح الموسمية فى المحيط الهندى والبحر العربى، ويذكر المواقيت الصالحة للملاحة فى تلك المياه معتمدة على الرياح الموسمية، ويستطرد فيذكر أن البحارة المسلمين فى استطاعتهم بعلامات خاصة اكتسبوها بالمران أن يعينوا هبوب الرياح وطبيعتها.



أول خريطة عرفها الناس عن أمريكا من صنع « بيري رييس »

وشرح المسعودى حركتى المد والجزر، وناقش موضع نشأة البحار وامتدادها وملوحتها، كما حلل دورة التعرية النهرية، ولم يغفل الإشارة إلى التبخر والتكاثف والإشعاع وغير ذلك من موضوعات الجغرافية الطبيعية (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥-٢٢٧).

وخريطة المسعودى فى كتابه صورة الأرض تبين لنا الهوة الكبيرة بين حضارة الإسلام وحضارة أوربا فى نفس المرحلة «القرن العاشر الميلادى» الخريطة فى مخطوطات من الورق الأصفر وهى ملونة وتشمل على معلومات عن آسيا وإفريقيا وأوروبا أدق مما جاء فى خرائط هيرودوت وأكثر تفصيلا. وقد أورد مع نفس المخطوطة خرائط مفصلة لحوض البحر الأبيض ولحوض النيل ومنبعه وبحيراته. كما أن هناك تفصيلا أكثر عن شرق آسيا (العلوم الإسلامية ٢ / ٧٥).

ويلاحظ أن الجغرافيين العرب قد اعتادوا رسم الخرائط بحيث جعلوا الشمال بدل الجنوب والشرق مكان الغرب، إلا أن ذلك لا يضيع من اتجاه الحدود الحقيقى للبلاد (التاريخ والجغرافية / ٢٢٥).

وعن ذلك يقول الدكتور محمد محمود محمدين: وقد

حار الباحثون في تعليل ذلك، ويرى مؤلف هذا الكتاب (يعني نفسه) أن لوضع الجنوب في أعلى الخريطة مغزى دينيا. ذلك أن جميع العواصم الإسلامية كانت شمالي مكة (المدينة ــ الكوفة ــ دمشق ــ بغداد ــ القاهرة) ويعني ذلك أن الخليفة، كان يتجه في صلاته صوب الجنوب صوب الكعبة. لذلك كان لا بد أن يوضع الاتجاه الجنوبي في أعلى الخريطة لأن الاتجاه الجنوبي يعني الاتجاه صوب القبلة وهي أشرف بقعة يتجه إليها المسلمون. كما وأن وضع الجنوب أعلى الخريطة مخالفة لغير المسلمين (التراث الجغرافي الإسلامي/ ٢٣٤، ٢٣٦).

أما عن الخرائط البحرية فيقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري إن أول خريطة لأمريكا كانت إسلامية ويوضح ذلك بقوله:

فالخريطة الأولى اكتشفت سنة ١٩٥٢ في مكتبة الأسكوريال بمدريد.. وهي من صنع الجغرافي الإسلامي ابن الزيات المتوفى ١١٩٨ م وفيها رسم لمنطقة بحر الظلمات (أي المحيط الأطلسي) ويشمل رسم الجزر المأهولة وهي أمريكا وقد اكتشف الخريطة وحققها الدكتور (خوان فرتيط) الأستاذ بجامعة برشلونة.

أما الخريطة الثانية فهي تلك التي رسمها الجغرافي التركي «بيري ريس» الذي سبق ذكره ويقول عنها: الخريطة الثانية اكتشفها المستشرق الألماني عندما عثر عليها في مكتبة (توب كابي سراي) باستنبول ونشرها على العالم سنة ١٩٢٩ م بعد تحقيق علمي دولي استمر عدة سنوات.. فقد أذهلت هذه الخريطة العالم كله وحيرت العلماء. الخريطة من تأليف جغرافي تركي مسلم هو (بيري ريس) واسمه الكامل (محيي الدين بن محمد الريس) المتوفى سنة ١٥١٣ م وكان أحد قادة البحرية في الأسطول التركي الذي كان سيد البحار. وهي في الواقع أكثر من خريطة مفردة.

والخريطة تبين المحيط الأطلسي: في الشرق يرى اسبانيا والساحل الإفريقي وفي الغرب القارة الأمريكية بسواحلها وجزرها وموانيها وحيواناتها وسكانها الهنود الحمر الذين يرسمهم عراة وهم يرعون الغنم.

ويذكر المستشرق (كراتشوفسكي) في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) تعليلا لهذه الخريطة إنها ولا بد وأن يكون الريس قد بناها على أساس خرائط كولمبو التي ربما تكون سقطت في يده عندما انتصر الأسطول التركي على أسطول البندقية سنة ١٤٩٩ م وأسر بعض سفنه.. إلا أن هذا الرأي يلقى معارضة من كثير من الباحثين لأن الخريطة فيها تفصيل لأماكن لم يعرفها كولمبوس ولم يكن استكشفها ولكن هؤلاء الباحثين لم يقدموا تعليلا بديلا يكشف سر هذه الخريطة الغامضة..

وهناك تفسير آخر لهذا الخريطة: أن الريس قد نقلها عن أبي عبد الله والذي كان آخر حكام العرب في الأندلس وعندما هزمته إيزابيلا أبقته في خدمتها ثم أمرته بقيادة حملة بحرية إلى أمريكا لاعتقال كولمبوس وإرجاعه إلى أسبانيا مقيدا بالسلاسل وبذلك يكون أبو عبد الله العربي أول من وصل إلى أمريكا بعد كولمبوس مباشرة ولا بد أنه قد عاد من هناك بخرائطه الخاصة. وغير بعيد أن يكون الريس قد ذهب إلى أمريكا بنفسه مع أبي عبد الله والمعروف أنهما كانا صديقين وأن السلطان التركي كان قد أرسل الريس لمعاونة أبي عبد الله في حربه ضد إيزابيلا سنة ١٤٩٠ م قبل سقوط عرشه.

(العلوم الإسلامية ٢ / ٦١، ٦٢)

(العلوم عند المسلمين ـ إشراف حصة الصباح. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي / ٣٨، والتاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة / ٢٢٤ ـ ٢٢٧، والعلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقي الفنجري ٢ / ٦١، ٦٢، ٧٥، والتراث الجغرافي الإسلامي ــ تصنيف د. محمد محمود محمدين / ٢٣٤، ٢٣٦).

ملاحظة: صور الخرائط المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الواردة في ثبت المراجع أعلاه. أما صورة خرائط الأرض فقد أخذت من أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس.

*** الخرائطي:**

قال السمعاني:

الخرائطي: بفتح الخاء المعجمة والراء والياء آخر الحروف

بعد الألف وفى آخرها الطاء المهملة ... واشتهر بهذه النسبة أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطى من أهل سر من رأى، كان حسن التصانيف إخباريا جمع الملح والنوادر، وكان مكثرا منها، سمع إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد وعباد بن الوليد الغبرى وحماد بن الحسن بن عنبسة والحسن بن عرفة وعمر ابن شبة وطاهر بن خالد بن نزار وعباس بن عبد الله الترقفى وغيرهم، روى عنه أبو العباس أحمد بن إبراهم بن على الكندى وأبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان السلمى وغيرهما، ذكره الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب فى تاريخ بغداد وقال: أبو بكر الخرائطى كان حسن الأخبار مليح التصانيف، سكن الشام، وحدث بها، فحصل حديثه عند أهلها، ومن مصنفاته كتاب اعتلال القلوب، كان عليٌّ وعبد الملك ابنا بشران يرويانه عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم الكندى سمعاه منه بمكة عن الخرائطى. قلت له كتاب «هواتف الجان» كان يروى بدمشق عاليا فى أيامنا ولم ألحق الشيخ الذى حدث به، وهو أبو الحسن على بن المسلم بن الشهرزورى، قال عبد العزيز الكنانى: قدم الخرائطى دمشق فى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ومات بعد ذلك بعسقلان. وقال أبو سليمان بن زبر: سنة سبع وعشرين - يعنى وثلاثمائة - فيها توفى أبو بكر الخرائطى فى شهر ربيع الأول.

(الأنساب للسمعانى ــ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٠، ٥٠١).

***الخرْب:**

فى علم العروض والقافية الخَرْب هو دخول الخَرْم والكف معا على أول جزء من الهزج والمضارع: فمفاعيلن تصبح فى الكف مفاعيل ثم تخرم فتصبح التفعيلة فاعيل (ـــ ـــ ب) وسمعى بذلك لذهاب أوله وآخره، فكأن الخراب لحقه لذلك.

ويقول السكاكى: «خرم مفاعيلن وهو مكفوف يسمى أحز» وهذا تحريف لأخرب. ويرى ابن رشيق أن من زحافات الهزج الحزب وهو تصحيف. ويسمى الجزء الذى يجرى فيه ذلك «الأخرب». وقد يدخل الخرب الجزء الأول من الصدر، والجزء الأول من العجز، كقوله من المضارع:

قلنا لهم وقالوا كل له مقال
فاعيل فاعلاتن فاعيل فاعلاتن

ومن أمثلته من الهزج:

لو كان أبو موسى أميرا ما رضيناه
فاعيل مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

(معجم مصطلحات العروض والقافية ــ د. محمد على الشوابكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠٠).

***الخربانى:**

قال السمعانى:

الخربانى بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خربان، وهو اسم جد أبى عبد الله أحمد بن إسحاق بن خربان البصرى الخربانى، أصله من نهاوند، وكان فقيها مبرزا فاضلا، من أهل البصرة، سمع محمد بن أحمد بن عمرو الزئبقى وأبا بكر محمد بن بكر بن داسة التمار وأحمد بن الحسين المعروف بشعبة الحافظ والقاضى أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى ونحوهم، روى عنه أبو بكر البرقانى وأبو الحسن على بن محمد القالى وأبو الحسن على بن محمد بن نصر اللبان الدينورى وغيرهم، ودرس فقه الشافعى على القاضى أبو حامد المروروذى، وكانت وفاته بالبصرة فى حدود سنة عشر وأربعمائة.

وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الصفار الخربانى، من أهل بغداد، حدث عن الهيثم بن سهل التسترى وأيوب بن سليمان الصغدى، روى عنه أبو زرعة أحمد بن الحسين بن على الرازى وعبد الله بن أحمد بن طالب البغدادى ساكن مصر.

والسرى بن سهل بن خربان الجنديسابورى الخربانى، يحدث عن عبد الله بن رشيد بنسخة مجاعة بن الزبير وغير ذلك، روى عنه جماعة منهم عبد الصمد بن على المكرمى وأبو عبد الله الأبلى محمد بن على بن إسماعيل وعبد الباقى ابن القانع.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٣٩، ٣٤٠. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠١).

***الخِرْبز:**

خربز: بالكسر نقل الصاغانى عن الكسائى هو البطيخ وقال: عربى صحيح أو أصله فارسى قال أبو حنيفة [الدينورى] وقد جرى فى كلامهم وجاء ذكره فى حديث أنس رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ يجمع بين الرطب والخربز.

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٤٩).

*** الخَرْبق:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وفى علم طب الأعشاب. جاء فى اللسان: الخَرْبق نبت كالسُّم يُغشى على آكله ولا يقتله (اللسان ١٢ / ١١٢٣)

قال عنه القزوينى:

الخربق: نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد. قال صاحب الفلاحة: إذا غرست فى البستان قضبان الخربق مات ما فيها من البراغيث، وإذا زرعتها مع أى بذر كتان لا يقربها الطير، وإذا دخلت البيت به هربت الهرام منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها، وإن جعلته فى العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت، وإن دققته مع الكبريت ونثرته فى حجر النمل هربت، وإذا طليت اللحم بالخربق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة، وهو سم قاتل للإنسان والسباع (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقال عنه داود الأنطاكى:

الخربق: منه أبيض يوجد بالجبال والأماكن المرتفعة ساقه أجوف نحو أربعة أصابع له زهر أحمر إذا بلغ تقشر وصار متأكلا سريع التفتت يدرك بأبيب له رؤوس كثيرة عن أصل كالبصلة حار يابس فى الثالثة يخرج الأخلاط الباردة واللزوجات ويسكن وجع الأسنان شربا وغرغرة وينفع الفالج واللقوة ويدر ويسقط ويفتح السدد ويفتت الحصى وأكل بزره يقتل الدجاج وهو يقتل الكلاب والخنازير والفأر وأجود ما استعمل أن ينقع فى الماء يوما ويشرب أو يصفى ويعقد بسكر أو عسل وأسود مثله لكن ورقه أصفر وأشد حمرة وزهره إلى البياض يخلف عناقيد حب كالقرطم وحرارة هذه ويبسه فى الرابعة وهو سريع النفع من الماليخوليا والصرع والجنون وإخراج الباردين وأمراضهما ويسهل الصفراء حتى قيل إنه أجود من السقمونيا وأما قلعه الجرب والبرص والنمش والحكة فإنه مجرب لا مرية فيه ويكتحل به فيمنع البياض والظلمة والماء ويجعل فى الأذن فيفتح السدد ويقوى السمع ويمنع الهوام من موضع يجعل فيه فإن طبخ ورش كان أبلغ وهو عظيم النفع قيل إن الحكماء كانت تقلعه وهم تحت ستارة بخشوع وصلاة تعظيما له ويأكلون يوم قلعه نحو الثوم والسذاب تحفظا من رائحة تخرج منه تثقل البدن وتسدر وهو يخرج ما فى البطن وحيا ويسكن كل ضربان مطلقا ويصدع ويكرب ويفعل أفعالا سمية وتصلحه الكثيرا والعناب وشربته إلى نصف درهم وبدله اللازورد (التذكرة ١ / ١٣٨).

وقال عنه ابن سينا:

هو نبات له ورق أخضر شبيه بورق الدلب، إلا أنه أصغر منه، وفيه خشونة، وله ساق خشن، وزهر أبيض. فيه لون فرفير، يشبه فى هيئة الورد، وفى العنقود ثمر يشبه القرطم. له عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق أصله، وعروقه.

وينبت فى المواضع الخشنة، والكهوف، والتلول، وأماكن صلبة، يابسة. ومن الناس من يطرحه فى الماء ويرشه فى البيوت وذلك لأنهم يظنون أنه طهور. ولذلك إذا أرادوا قلعه من الأرض، قاموا فى قوة يحفرون حوله، ويصلون للمعبود، ويقلعونه وهم يصلون، ويحذرون فى وقت احتفاره أن تمر بهم عقرب، لأنه من مذهبهم، أنه يتخوف على قالعه الموت إن رأى العقارب الخربق محفورا عنه، فينبغى لمن يحفر عنه أن يسرع الحفر، لأنه يعرض من رائحته ثقل فى الرأس. وينبغى أن يحتالوا قبل ذلك بأكل الثوم، وشرب الشراب، دفعا لمضرة ذلك. ويعملون به مثل ما يعمل بالخربق الأبيض، ويسقونه مثل ما يسقى. أجوده المتوسط من العتيق والحديث، والسمين والمهزول، الرمادى اللون، السريع الانكسار، الغير

الثخين، الذى فى جوفه مثل نسيج العنكبوت، الحار الطعم، الحاذى اللسان، والجيد مما يستعمل منه أن تؤخذ العيدان الصغار التى عند أصله، ويبل بقليل من الماء، ويقشر، وتؤخذ تلك القشور، وتجفف فى الظل، ويستعمل مسحوقا منخولا، ويجب على الطبيب النظر فى إعطاء الدواء منه، فيصرف فيه بحسب السن، والعادة، والزمان، والوقت الحاضر، والسبب الموجب لذلك. هو محلل، ملطف، قوى الجلاء، حتى إنه يأكل اللحم الميت. وإذا نبت عند أصل الكرمة صار قوة شرابه مسهلة، ومن خواص الخربق إن يحيل البدن عن مزاجه ويفيده مزاجا شديدا، شبابيا. وكثير ممن يتناول الخربق الأبيض للقىء، فلم يقيئه ولم يسهله، لكنه فعل فعلا باقيا، وأسهل ... وموافقته بنيسان (إبريل)، وفى تشرين. إلا أنه يجب أن يتقدمه قبل ثلاثة أيام بالحمية عن المطاعم والمشارب الغليظة، وأن يتقيأ بعد العشاء مرتين، ثم يتناول. يطلى على الريق بالخل، وكذلك على الوضح. يطلى على الجرب، والقوابى بالخل، والتقشر، طلاء. وينفع من صلابة الناصور الصلب، يتخذ منه كالقالب، ويدخل فى الناصور، ويترك أياما، فإنه إذا أخرج منه قلعة محرقة، ينفع من الفالج، وأوجاع المفاصل، والاستفراغ به دواء لها، قوى. إذا طبخ بالخل، وقطر فى الأذن، سكن الدوى، وإذا تمضمض بذلك الخل، سكن وجع الأسنان، وإذا قطر طبيخه فى أذن الضعيف السمع قواه. وينفع من الوسواس والمالينخوليا، والصرع، والشقيقة، وأمراض الرأس جملة. يقوى البصر إذا وقع فى الأكحال ينفع من السودة، وعلته، ويسهل إسهالا من جميع البدن من غير إكراه، ويخرج الصفرة، والبلغم، ويخرج كل فضل يخالط الدم، حتى من أقصى البدن، ومن الجلد. وقد يسقى بأن ينقع بشراب حلو. أو سكنجبين، ويترك فيه مدة، ثم يطبخ ذلك الشراب بعدس، أو بماء الشعير، أو بالدجاجة، ويتحسا مرقه، وقد يطبخ فى العسل. وهو نافع جدا للأورام فى الأمعاء. والمثانة، ويدر الطمث، والبول.

وبعد ذلك أفرد ابن سينا مادة خاصة للخربق الأبيض فقال عنه:

الخربق الأبيض هو نبات له ورق مثل لسان الحمل، أو السلق البرى. منه أسود يضرب إلى الحمرة قليلا، وإذا ابتدأ جفافه ينقشر. وعروقه كثيرة، دقاق، مخرجها من رأس واحد مستطيل، شبيه ببصلة، وينبت فى أماكن جبلية، وينبغى أن يقلع فى زمان حصاد الحنطة. وأجوده ما كان منبسط السطح انبساطا معتدلا، وكان أبيض، هين التفتت، كثير اللحم، ولا يكون حاد الأطراف، شبيها بالأذخر، (نبات) وإذا فتت ظهر منه شىء شبيه بالغبار. ونسج العنكبوت فى الرقة ولا يلذع اللسان لذعا شديدا على المكان، ويجلب اللعاب، فإن هذا الصنف منه ردىء. وقد وصف الأولون الذين كانوا من الحذاقين، قوته، ومنافعه، على ما يحق وينبغى.

والقول فى وصفه طويل، لأنه أوفق فى صناعة الطب من سائر الأدوية. وبعض الناس قد يسقون منه قليلا مع السويق، ومن كان ضعيف الجسم، إذا أخذه على هذه الصفة، لم يضر شيئا.

ومن الخربق نبات له ورق طوال، وزهر أبيض، وأصل دقيق. لا ينتفع به، وبزر شبيه بالسمسم مر الطعم وله منافع كثيرة. المختار من الخربق المنبسط السطح باعتدال، الأبيض، السريع التفتت، الكثير العجم، (البزر) الرقيق لا يلذع اللسان فى الحال لذعا شديدا، ولكنه يجلب اللعاب. وأما الشديد اللذع فى الحال فخانق. الخربق الأبيض أشد مرارة، والأسود أشد حرارة، وإذا أكلته الفأرة ماتت. ويعمل ذلك ويطعم الفأر منه فى سويق وعسل. وإذا طبخ مع اللحم هدأه وأضعفه. ويجب أن يعد شاربه أشياء يداوى بها، ما يكاد ينفعه من التشنج، مثل: مرقة الدجاج، وشراب الزوفا، والفيجن، والعدس. وأدهان عطرية، كدهن السعد، والسوسن. ويجب أن يكون عند شاربه خل حاد الرائحة، وتفاح، وسفرجل، وخبز حار، ودواء معطس، وأشياء كثيرة غير ذلك إذا شم سحيقه يهيج العطاس. يحد البصر. الخربق الأبيض، يقىء بقوة، وفيه خطر. لأنه يخنق، وهو يقتل الناس إذا أفرطوا فى استعماله، وهو سم الكلاب والخنازير (القانون فى الطب/ ٣١٢-٣١٥)

كذلك أفرد المظفر الرسولى فى المعتمد مادة خاصة لكل من نوعى الخربق: الأبيض والأسود مما ننقله لك فيما يلى، وقد ذكر مصادره فرمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال:

الخربق الأبيض:

«ع» هو نبات له ورق شبيه بورق لسان الحمل، أو ورق السلق البرى، إلا أنه أقصر وأميل إلى السواد، وزهره أحمر اللون، وله ساق نحو من أربع أصابع، مضمومة جوفاء، تتقشر إذا ابتدأت تجف، وعروق كثيرة دقاق، مخرجها من رأس واحد صغير مستطيل كالبصلة، وإذا شرب الخربق الأبيض نقى المعدة، وأخرج منها أشياء مختلفة، وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين. وقد يخلط فى الشيافات الجالية لغشاوة البصر، وهو يهيج العطاس، وإذا خلط بالسويق وعجن بالعسل، قتل الفأر، وخاصيته إسهال الفصول اللزجة المخاطية، وربما أورث شاربه تشنجا، ويقتل الإفراط منه الناس، وهو سم للكلاب والخنازير، ورجيع شاربه يقتل الدجاج والسمانى التى ترتعيه والأجود أن يُنقع منه خمسة مثاقيل فى تسع أواق من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويشرب. وأجود منه أن يؤخذ منه رطل فيقطّع، وينقع فى قسطين من ماء المطر ثلاثة أيام، ثم يطبخ حتى يبقى الثلث، ثم يصفى ويطرح على الماء عسل فائق مصفى، قدر رطلين، ويرفع على النار حتى يصير له قوام الأشربة، وتنزع رغوته، وتؤخذ منه ملعقة كبيرة، كما هو أو مع ماء حار، وهذا سليم مأمون.

«ج» حار يابس فى وسط الدرجة الثالثة، وهو يجلب اللعاب، ويقيىء البلغم، ويخاف من شربه مسحوقا أن يُحدث معه تشنجا، وهو يقيىء بقوة، وهو خطر، فإنه ربما خنق، ولا ينبغى أن يشرب والمعدة خالية، ويداوى من سقى منه بمراق الدجاج، والأرايج الطيبة.

«ف» يشبه التربد البحرى، أجوده الأبيض السريع التفتت، وهو حار يابس فى الثالثة، يقيىء البلغم والأخلاط الباردة الرديئة. الشربة منه: خمسة قراريط. بدله: قال ابن الجزار: وزنه تربد، ونصف وزنه غاريقون، وأربعة أمثاله زبيب منزوع العجم. والله أعلم.

ثم قال عن الخربق الأسود:

الخربق الأسود: نبات له ورق أخضر، . يشبه ورق الدلب إلا أنه أصفر، وزهره أبيض، فيه شىء من لون الفرفير، وثمره يشبه حب القرطم، وله عروق دقاق سود، مخرجها من أصل واحد، كأنه رأس بصلة، وإنما يستعمل من الخربق الأسود هذه العروق. وأجوده ما كان غير ضامر، جوفه دقيق، وهو حريف يحذو اللسان، والحريفان الأبيض والأسود حاران يابسان فى الدرجة الثالثة، وفى الطعم الأسود أشد حرافة، والأبيض أشد مرارة. والخربق الأسود إذا أخذ منه مقدار درهمين، أو مقدار ثلاثة أو ثولوسات وشرب وحده أو مخلوطا بسقمونيا أو بملح، أسهل بلغما ومرة، وقد يطبخ بالعدس والأمراق، ويستعمل للإسهال، وينفع من الصرع، والماليخوليا، والجنون، ووجع المفاصل، والفالج العارض مع استرخاء. وإذا احتملته المرأة أدر الطمث، وقتل الجنين، ويدخل إلى ثقب النواصير، ويترك ثلاثة أيام فينقيها، ويدخل فى الآذان الثقيلة السمع، ويترك يومين أو ثلاثة أيام فينتفع به، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل أبرأ البهق والقوب والجرب المتقرح، ويسهل المرة الصفراء الغليظة جدا، أكثر مما يستفرغها بالسقمونيا، وربما أسهل السوداء، ويجب أن يعطى من أصوله مثقال واحد، خاصة فى ماء العسل على رأى القدماء؛ وأما المحدثون فيعطون منه نصف مثقال، والذى يجود أخلاطه الفوتنج والصعتر وسائر الأدوية اللطيفة الحارة النافعة للمعدة، ومن أخذه فليأتدم قبله، ويمتنع من الأغذية الغير الموافقة، وهو مع الترمس بماء عذب يذهب الكلف والنمش.

«ج» هو ملطف محلل، يأكل اللحم الميت، وإذا نبت عند أصل كرم، صارت قوة شرابه مسهلة، ويحيل البدن عن مزاجه، ويفيده مزاجا جديدا، ويوافق الرجال الأقوياء، ولا يصلح للنساء الضعيفات، ولمن بدنه رخو، وهو نافع من الوسواس، والشقيقة المزمنة، والماليخوليا؛ وينفع من السوداء، ويسهل من جميع البدن، وربما خنق، ووزن درهمين منه يحدث تشنجا. وبدله: نصف وزنه مازريون، وثلثا وزنه غاريقون.

وقال «ز» بدله: أصل الأنجرة، يابس، وقال آخر: مثل وزنه شيطرج، وإن شئت مثل وزنه غاريقون، وأربع وزنات وثلث زبيب منزوع العجم. وذكر في القانون بدله: مثله كُنْدُس، والله أعلم.

«ف» نبات خشبي الشكل، أسود اللون، يسهل السوداء والصفراء المحترقة. الشربة منه: دانقان. وهو ينفع من البهق الأسود والكلف والجذام، وكل برص سوداوى. والشربة منه: من نصف درهم إلى نصف مثقال، مع مطبوخ الأفتيمون والغاريقون والأسطوخودوس.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٨٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٨، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٢ ـ ٣١٥، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٢٢ ـ ١٢٤).

*** خربة المفجر:**

من القصور الأموية، وهى من العمائر المدنية التى يعنى بها علم العمارة الإسلامية، وصفه وصفا تفصيليا الدكتور عفيف بهنسى، مما ننقله لك فيما يلى:

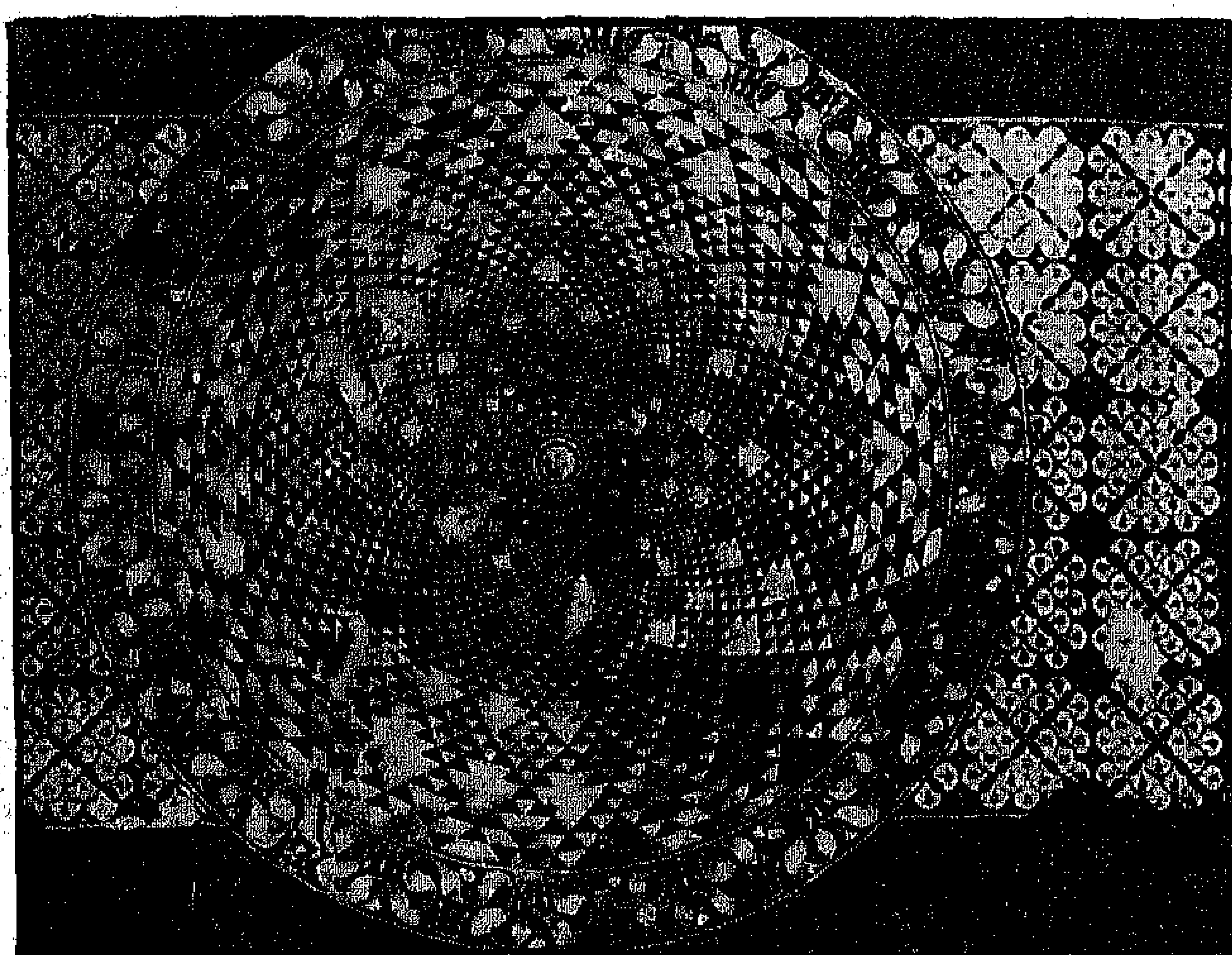
يقع قصر المفجر على مقربة من أريحا، كان قد شيده هشام بن عبد الملك لكى يكون استراحة ملكية تمتاز بوفرة الزخرفة.

ولقد قام بالكشف عنه كل من العالمين هاملتون وبرامكى فى الفترة بين ١٩٣٥ ـ ١٩٤٨ م. ولقد تأكد تاريخه الأموى نتيجة العثور على رسالتين كتبتا على قطع من الرخام وهما موجهتان إلى هشام أمير المؤمنين.

وكشفت الحفريات عن قصر وجامع وحمامات وفناء أمامى ذى أعمدة وبركة مزدانة بالزخارف.

ولقد كانت هذه المنشآت محاطة بسور واسع يمتد حوالى كيلو مترين باتجاه نهر الأردن لعل الخليفة كان يمارس هوايته فى الصيد ضمن نطاقه. ولقد جرت المياه إليه من ينابيع ليست بعيدة واستمر المكان مأهولا زمنا حتى دمر بتأثير زلزال عام ٧٤٧ م وبقى المكان مهجورا منذ ذلك الوقت، ويعرف باسم قصر المفجر أو خربة المفجر.

وبناء القصر هو الرئيسى فى هذه المجموعة ثم أضيف إليه الجامع والحمامات. ويشبه مخطط القصر مخطط القلاع الرومانية فهو على هيئة مربع طول ضلعه ٥, ٦٤ متر أما الضلع الشرقى فهو ٢٥, ٦١ متر فى أركانه الأربعة أبراج مدعمة وأمام مدخله الذى يقع فى الجدار الشرقى يوجد فسحة أمامية معمدة يمتد حتى الحدود الشمالية للحمامات، والمدخل الرئيسى لهذا الفناء يقع فى الجنوب يحيط به برجان. ولقد تركت معظم مساحة الفناء عارية وفى وسطها تقع البركة ذات الزخارف وهى من المنشآت الهامة إذ أنها بناء غريب يتألف من بركة مربعة عمقها متر تقريبا تعلوها قبة عظيمة ذات ثمانية أضلاع فوق أربعة أقواس ضخمة، وهى مزدانة بأجمل الزخارف. وكان بناء القصر مؤلفا من طابقين لهما شرفات فى الأعلى أو رواق سفلى يحيط بجوانب هذ الفناء؛ أما البوابة



زخرفة فسيفسائية فى قصر المفجر

فكانت ضمن برج كبير تعلوه أقواس متقنة تزدان واجهتها الأمامية بصف من المحاريب.

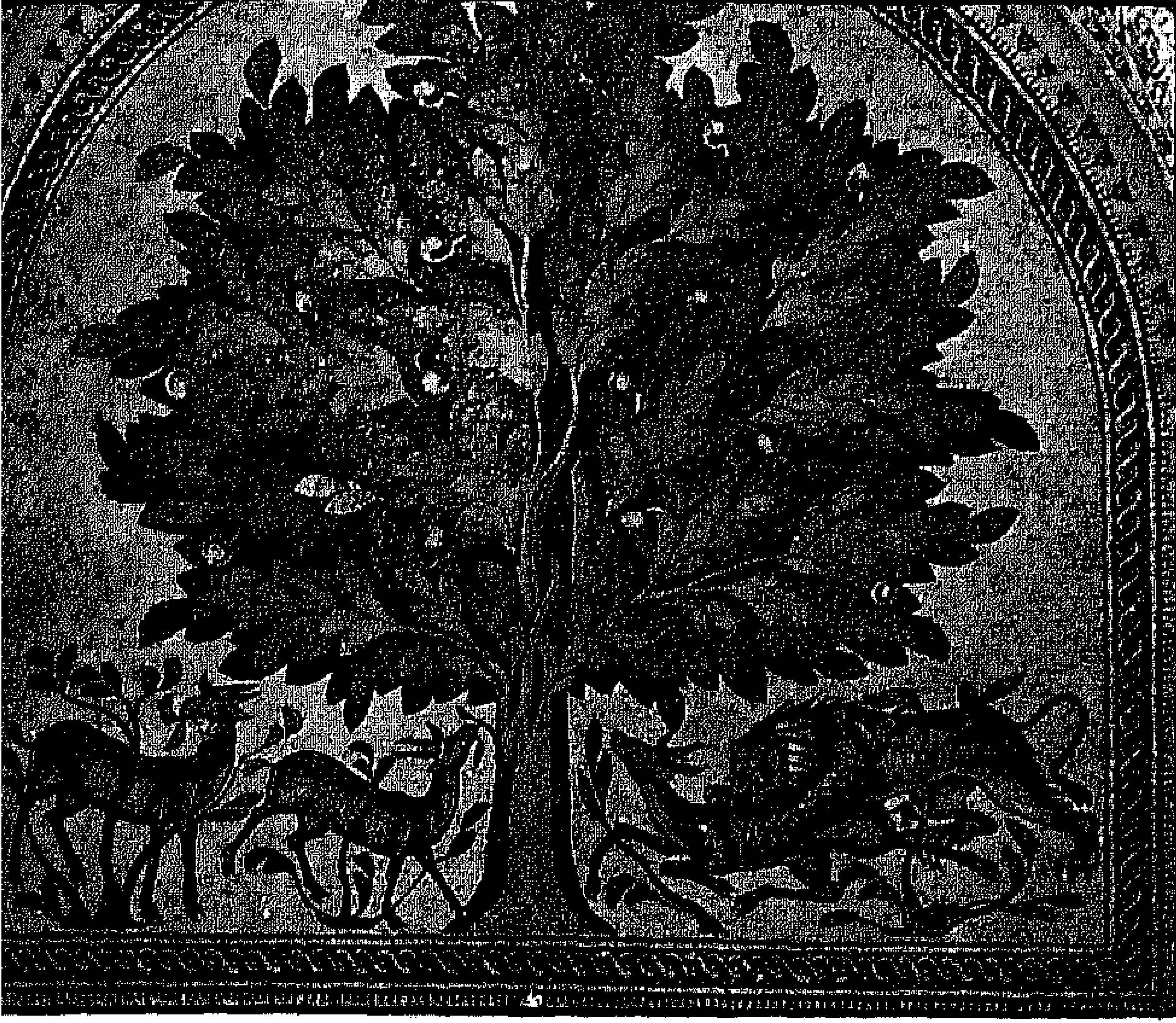
وينتهى الدهليز بالفناء الداخلى للقصر والمحاط بالغرف فى طابقين، وتشكل الغرف فى الجهة الغربية مجموعة متكاملة وتعتبر المقر الملكى بينما تبدو غرف الجهة الجنوبية مستقلة عن بعضها واسعة، أحدها كان بمثابة مسجد.

ويقع الجامع فى الجهة الشرقية بين القصر والحمامات، ولم يبق مسقوفا سوى الصدر الجنوبى المعقود الذى يضم المحراب.

وتتألف الحمامات من رحبة أمامية ومدخل مسقوف وقاعة ضخمة طول كل ضلع من أضلاعها ٣٠م، ويحمل سقفها على ست عشرة قاعدة ضخمة هى أعمدة متداخلة تحمل أقواسا فوقها أقواس محففة، وفى الجدارن تجاويف خمسة مغطاة بقباب عالية. وقد فرشت أرض الحمام بالفسيفساء بتشكيلات خارقة.

وعدا هذه القاعة الضخمة يوجد من الناحية الشمالية غرف للحمامات الساخنة وأخرى للحمامات الباردة وغرفة بخار. وفى الزاوية الشمالية الغربية غرفة خاصة للاستراحة، وهى الغرفة التى تحفل أرضيتها بأروع الفسيفساء.

وتتألف هذه الغرفة من قسمين، قسم مربع وعلى جانبيه



المفجر : لوحة فسيفساء - شجرة تفاح

دكتان مستطيلتان، وقسم مجوف ترتفع أرضيته من مستوى القسم الأمامى بشكل حنية مرتفعة.

الرسوم فى قصر المفجر

واكتشف العالمان هاملتون وبرامكى فى قصر المفجر ما يقرب من مائتين وخمسين قطعة مصورة وعلى عدد كبير من الفسيفساء والتى بقيت بحالة جيدة، ولقد نقلت أكثر القطع التصويرية إلى المتحف الفلسطينى بالقدس ولقد وجدت الصور فى الجزء الرئيسى من القصر وفى الحمام الكبير التابع للقصر. وهى جميعها تقريبا مؤلفة من صيغ هندسية غنية التنوع، كثيفة.

ويمتاز قصر المفجر بزخارفه الفسيفسائية الهامة جدا فإذا استعيض عن هذه الألواح بصور ملونة فى قصر الحير الغربى، فهى هنا فسيفساء حقيقية مؤلفة من مكعبات حجرية ملونة تشكل صورا تشبيهية أو زخرفية رائعة التصميم والتنفيذ.

ومن أهم هذه الألواح الفسيفسائية قطعة كبيرة تفرش قاعة الاستراحة بالحمام الكبير وتزين القسم المجوف المرتفع الذى يقع فى نهاية القاعة. ويتصل بهذه الصورة الكبيرة عدد من



مشبكات هندسية ونباتية

الصـور مما يجعل هـذه الغرفـة المترفة شـديدة الـزينة رائعـة الجمـال، فأرض القسم المربع مفـروشة بـالفسيفساء أيضـا، ولكن برسوم هنـدسية ملونة بنفس الشكل الـذى استعملت به على الدكة المجوفة المرتفعة المحيطة بها، ويظن هاملتون أن قطعة الفسيفساء هذه تمثل بساطا لأن فيها أهدابا تشبه حاشية أنواع معينة من الأبسطة.

ومع ذلك فإن هذه الزخارف الهندسية تعتبر من أروع الآثار الإسلامية فى الفن بل تجعلها نمـاذج من تأثير الفن الإسلامى على الفن الحديث التجريدى والبصرى. فلقد رصفت ضمن تشكيـلات منسجمـة كل تشكيل مختلف عن الآخـر، وهـذه القطعة هى أضخم قطعة فسيفسائية عرفت حتى ذلك الوقت، وهى ماتزال بحالة جيدة كاملة حتى اليوم.

أمـا الصورة الأسـاسية التى تـزين أرضية الحنيـة فى غرفـة الاستقبال هـذه فهى صورة تشبيهيـة رائعة التكـوين مؤلفـة من شجرة تفـاح أو نارنج مع نبـاتات إضـافية على طـرفى الشجرة حيث تختلط هذه النباتات من اليمين بصورة أسد ينقض على غزال هلع، بينما يبدو فى الجهة اليسرى غزالان هادئان ينعمان بقضم بعض أوراق هذه النباتات، وتمتاز الشجرة بواقعيتها إذا روعى فيهـا اختلاف مقاييـس الفروع والأغصان الطبيعـى كما روعى التكـوين الهنـدسى، فلقد ظهـرت الأوراق فى الـوسط صفراء شاحبة يعقبها أوراق خضراء ثم أوراق زرقاء مخضوضرة قائمة، ومقـابل هذه الألوان تبدو الثمار بلـون أحمر ساطع. ولقد التفت فروع الشجر وأغصانها بشكل واقعى صرف.

وتعتبـر هــذه الفسيفسـاء هى الـوحيـدة ذات التصــويـر التشبيهى ولأنها وضعت على منصة مرتفعة مخصصة للخليفة على ما يبدو، فإنها ذات قيمة خاصة أو وظيفة خاصة كما يرى «ايتنهـاوزن» (إذ أنها تـوضـح حسب رأيه قـوة الخلافـة التى لا تقاوم فلقـد نجح الفنان بـالتأكيد علـى الانسجام الرمـزى بين الشجرة والعالم وهو أمر مألوف حتى ذلك الوقت).

والشىء الهام فى هذه اللوحة هو الأسلوب الانتقائى الذى جمع عنـاصره من مختلـف الفنون القـديمـة والسائدة كـالفن الرومانى والساسانى والبيـزنطى. وهذا الأسلوب يبقى إلى حد بعيد ميسم الطريقة الفنية عند الأمويين الذين كان عليهم دائما أن يقيموا النماذج الأولى للعمارة والفن الإسلامى.

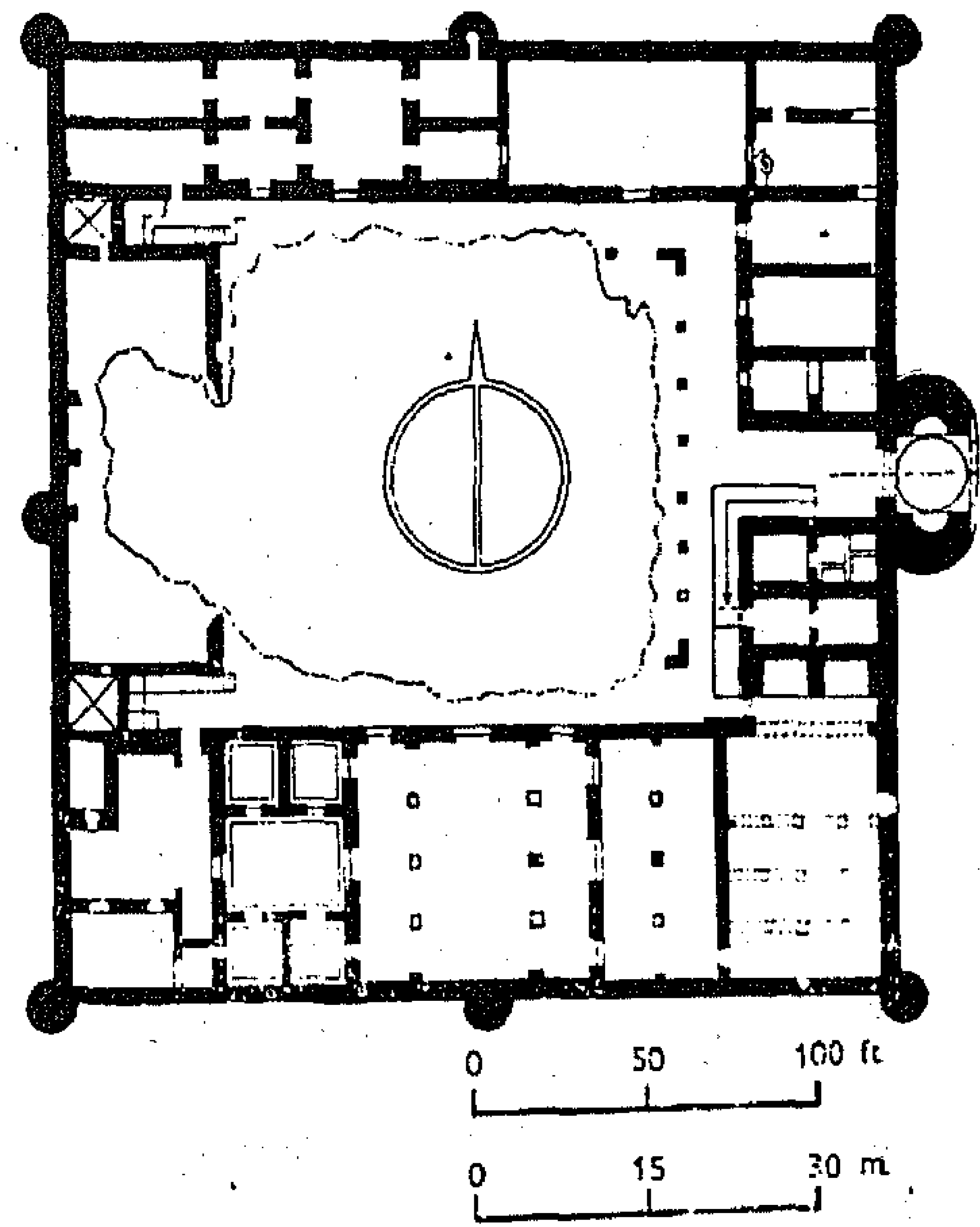
النحت فى المفجر

وأروع مـا فى هـذه الغـرفــة هـو سقفهـا المقبب المغشى بالنحت الجصى، ثم القبـة التى تعلو القسم المـربع وهى قبة عالية فيها رسـوم على هيئة جياد طائرة وفوقها إفـريز مؤلف من صور نافـرة مدهونة تمثل طيور الحجل. وفى عنق القبـة نوافذ ذات زجاج معشق ملون. وتزدان القبة بمنحـوتات بديعة مؤلفة من ست أوراق منهـا ست رؤوس لـرجـال ونسـوة ملـونـة وراء أغصان الكرمة. وأكثر هـذه الشواهد النحتية الجصية نقل إلى المتحف الفلسطينى فى القـدس مع منحـوتات حجـريـة من أهمها تماثيل لرجال ونساء كاملة أو نصفية كان بعضها موجودا فى المـدخل المسقـوف بقبـة تعتمـد على دعـائم الأقـواس الجـانبيـة، وعلى دعـائم هذه الأقـواس كـانت تقـوم تمـاثيل لأشخاص ذكور يحملون رباطا من أوراق الخرشوف فوق صف من الخراف الجاثمة مع امتداد الدائرة، ويتألف عنق القبة من اثنى عشر تجـويفا محـرابيا يقف فى كل منهـا تمثال لـذكر أو أنثى متتاليـين، هذه التماثيل مـدهونـة بألوان جـذابة، وتضم واجهة المدخل محرابين عثر فى أحدهما على تمثال يعتقد أنه للخليفـة هشـام وذلك بمقـارنتـه مع تمثـال فى قصـر الحير الغـربى. ولكن هذا التمثـال ملون ويحمل سيفـا ويقف على أسدين جاثمين.

(الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ـ د. عفيف بهنسى / ١٤٨ ـ ١٥٥).

*** خربة المنية:**

تقع خربـة المنية عند بحيـرة الناصـرة فى فلسطين، ولقد ذكر القزوينى فى معجمه (١٤٥ ـ ٢٢) أن منية هشام تقع عند منطقة الينابيع السبع. ولقد أطلق فيما بعد على بحيرة الناصرة اسم بحيرة المنيـة، والمنية كلمة ذات أصل يونـانى التى تفيد معنى منزل (فيـلا) ويرجع هذا القصر إلى عهـد قبل الإسلام ولعله رمم ووسع فى عهد الوليد (٧٠٥ ـ ٧١٥) فلقد عثر على لوح من المرمر كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم. ما أمر عبد الله الوليد أمير المؤمنين ... على يدى عبد الله بن..



مخطط قصر المنية - عن كريزويل

كما عثر على دينار مضروب عام ٩٨ هـ.

ولقد أجرى التنقيب فيها مادير ثم شنايدر ثم رينارد خلال ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م. وعندما احتل الإسرائيليون الموقع لم يسمح للمنقبين بمتابعة أعمالهم فى المنطقة. ولقد ذكره كريزويل بإيجاز ويتألف القصر من بناء مساحته ٧٣ × ٦٧ مترا تقوم فى زواياه أبراج مستديرة وله فى الوسط من الناحية الشرقية باب ضخم يحيط به برجان من الجانبين، ويمتاز هذا الباب الذى يبلغ عرضه ١٦,٥ م بقبته المربعة التى يقوم فى كل من جانبيها نصف برج، وكانت القبة مفتوحة من الأعلى وحولها طنف إكليلى مزخرف بغزارة والأقسام غير المنحوتة من القبة بالفسيفساء بلون أخضر وأزرق وأحمر وذهبى وفضى. وينتهى دهليز المدخل بالفناء المحاط بغرف منفتحة على بعضها وفى الجهة الجنوبية أقيم الجامع (١٩,٤٢ × ١٣,١م) ذى المحراب المتجه نحو الجنوب. ولقد أنشئ هذا الجامع متأخرا قبيل تهديم القصر ولعله لم يكن قد اكتمل بناؤه بعد. (الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه - د. عفيف بهنسى / ١١٣، ١١٤).

*** الخربوطلى (سبيل أحمد كتخدا) (١١٤٨ هـ/ ١٧٣٥) أثر ١٠٩:**

جامع الفكهانى هو المعروف قديما بجامع الظافر، وكان يقال له الجامع الأفخر، وقيل له - زمن على مبارك - جامع الفاكهيين (ويعرف الآن بجامع الفكهانى)، وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله ووقف حوانيته على سدنَّته ومن يقرأ فيه وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وخمسماية، وموضعه قبل ذلك كان زريبة، وتم بناؤه فى الحادى عشر من شوال من السنة المذكورة، وبوسط صحنه صهريج، ويصعد له بسلالم وتحته حوانيت.

والسبيل يشغل الركن الشمالى للجامع، وذو شباكين للتسبيل أحدهما يطل على شارع المعز لدين الله، يغشيه مصبعات نحاسية ويعلوه عتب وعقد عاتق ونفيس به بلاطات خزفية (قاشانى). كما يعلو العقد العاتق لوحة تأسيسية من ثلاثة أسطر مضمونها:

«أنشأ هذا السبيل.. أحمد كتخدا مستحفظان سابقا الخربوطلى.. فى شهر رمضان سنة ١١٤٨».

ويستفاد من النص أن أحمد كتخدا الخربوطلى قام ببناء السبيل فى ركن الجامع أثناء تجديده له فى عام ١١٤٨ هـ، أما الشباك الثانى فيطل على حارة حوش قدم، وهو يماثل الشباك الأول، يجاور هذا الشباك مدخل السبيل والكتاب.

والسبيل عباره عن حجرة تسبيل مربعة تقريبا، يعلوها حجرة الكتاب والتى تأخذ نفس الهيئة إلا أنها مجددة حاليا لاستعمالها عيادة صحية لأهالى الحى.

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة - د. محمد حامد الحسنى/ ٢١٤).

*** الخَرْتنكى:**

قال السمعانى:

الخَرْتَنكى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وسكون النون وفى آخرها الكاف، هذه النسبة خرتنك، وهى من قرى سمرقند على ثلاثة فراسخ منها، وبها كان موت الإمام أبى محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله، خرجت إليها أربع مرات للزيارة، والمشهور إليها أبو منصور غالب بن جبريل الخرتنكى، نزل عليه محمد بن إسماعيل بخرتنك، ومات فى داره، وهو تولى أسباب دفنه،

ويقال إنه كان من أهل العلم، حكى عنه حكايات فى مناقب البخارى، ومات بعده بقليل، وأوصى أن يدفن بجنبه، وكانت وفاة البخارى ليلة الفطر من سنة ست وخمسين ومائتين.

(الأنساب للسمعانى تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٠، ٣٤١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠١، ٥٠٢).

* **الخَرْجانى:**

قال السمعانى:

الخرجانى: بفتح الخاء المنقوطة بنقطة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم، وكسر النون، هذه النسبة إلى خرجان، وهى محلة كبيرة بأصبهان، اجتزت بها غير مرة. وأهل أصبهان يقولون لها خورجان إلى الساعة، وقال أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى الحافظ: خرجان قرية من قرى أصبهان. والمشهور بالانتساب إليها أبو حامد على بن أحمد بن محمد بن الحسين الأصبهانى، يروى عن أبى إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس المكى وأبى أحمد محمد بن محمد بن مكى الخرجانى، يروى عنه أبو بكر محمد بن إدريس الخرجانى وأبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب على سبيل الإجازة وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله بن منده الحافظ وغيرهم.

وأقدم منه أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن يوسف الخرجانى، من أهل أصبهان، يروى عن أبيه، روى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهانى.

وأبو العباس زياد بن محمد بن زياد الهيثم الخرجانى الأصبهانى من أهل أصبهان، يروى عن الحسن بن محمد الداركى ومحمد بن حمزة بن عمارة وجماعة، وتوفى بأصبهان فيما يظن حمزة بن يوسف سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

وشيخنا أبو بكر محمد بن أبى نصر شجاع بن محمد بن إبراهيم اللفتوانى الحافظ، كان يسكن محلة خرجان فيقال له الخرجانى، سمع أبا منصور بن شكرويه القاضى وسليمان بن إبراهيم الحافظ وأبا الحسين أحمد بن عبد الرحمن الذكرانى وجماعة سواهم، كتبت عنه الكثير وكان حافظا ورعا كثير الخير والعبادة، وكانت ولادته ... وستين وأربعمائة وتوفى سنة ... وثلاثين وخمسمائة بأصبهان.

وأبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين بن كوشيذ الخرجانى المعافرى، من أهل أصبهان، له رحلة وفيه لين، حدث عن عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقى عبدان وعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ومحمد بن يحيى بن زهير التسترى وغيرهم، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ.

وأبو عبد الله أحمد بن الحسين بن محمود الخرجانى، هو ابن أبى على الخرجانى المذكر، يروى عن ابن أخى أبى زرعة الحافظ وأبى الأسود وغيرهما.

وأبو سعيد جبير بن هارون بن عبد الله الخرجانى المعدل، قال أبو بكر بن مردويه الحافظ: هو من محلة خرجان، روى عن على بن محمد الطنافسى ومحمد بن حميد، روى عنه عبد الله بن محمد الأصبهانى، ومات سنة خمس وثلاثمائة.

وضرار بن أحمد بن ضرار الخرجانى، يروى عن أحمد بن يونس الضبى. روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى؛ وفى مسجد جامع أصبهان موضع يعرف بضراراباذ، هو بناها.

وأبو محمد طاهر بن إبراهيم بن يزيد الوراق الضبى الخرجانى، يروى عن أبى حاتم محمد بن إدريس، الرازى، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم.

وأبو جعفر محمد بن يحيى بن يزيد بن مالك الضبى الخرجانى مولى بنى ضبة، ثقة، سمع محمد بن أبان البلخى المستملى، روى عنه محمد بن أحمد بن إبراهيم، وتوفى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤١، ٣٤٢. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٥٠٢).

* **الخَرْجِرْدى:**

قال السمعانى:

الخَرْجِرْدِى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الجيم وسكون الراء الأخرى وكسر الدال المهملة، هذه النسبة إلى خرجرد، وهى بلدة من بلاد فوشنج هراة، سمعت أبا نصر عبد الرحمن بن محمد الخرجردى يقول غير مرة: ذكر صاحب

كتاب المسالك والممالك فيه : مدائن فوشنج أربع : خرجرد، وفلجرد، وفوشينج ـ وذكر أخرى نسيتها . والمشهور بالنسبة إليها شيخنا الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبى القاسم عبد الواحد بن إسماعيل الخرجردى نزيل هراة، وكان من العلماء العاملين بعلمه . كثير العبادة، غزير الفضل، سمع أبا صالح المؤذن وأبا عمرو اللخمى وأبا بكر بن خلف الشيرازى وأبا القاسم الواحدى وغيرهم، سمعت منه أجزاء بمرو، وسكن هراة، وتوفى بها فى جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

وابن عمته الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن بشار الخرجردى مثل ابن خاله فى الزهد والعلم ولزوم البيت، تفقه على الفقيه الشاشى بهراة، وعلى جدى الإمام وعبد الرحمن السرخسى بمرو، وبرع فى الفقه، ولزم منزله بنيسابور فى مدرسة البيهقى، يروى عن جماعة كثيرة من هذه الطبقة الحديث . سمعت منه بنيسابور فى النوبتين جميعا فى توجهى وانصرافى من العراق، ومات فى شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وأما قرابتهما فهو صاحبنا أبو نصر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الخطيبى الخرجردى، كان فقيها، تفقه على إسماعيل الخرجردى، وسمع الكثير بنيسابور، وكان كثير المحفوظ صالحا مواظبا على الجماعات، كنت قد أستأنسه فى المدرسة التميمية بمرو واحترق فى وقعة الغز بمرو فى المنارة بأسفل الماجان فى رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة والله يرحمه .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٢، ٣٤٣ ـ انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١/ ٥٠٢) .

*** الخَرْجة:**

انظر: الموشح .

*** الخَرجوشى:**

قال سمعانى :

الخَرْجُوشى : بفتح الخاء وسكون الراء وضم الجيم وفى آخرها الشين المعجمة، هذه النسبة إلى خرجوش، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه وهو أبو ... محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش بن عطية بن معن بن بكر بن شيبان بن منيع الخرجوشى الشيرازى، من أهل شيراز، يروى عن أبى بكر محمد بن يحيى الفارسى، روى عنه ابنه أبو الحسين الخرجوشى، ولم يحدث عنه غير ابنه ـ هكذا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى الشيرازى الحافظ فى تاريخ فارس .

وابنه أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر ابن أحمد بن خرجوش المعدل الشيرازى الخرجوشى، رحل إلى العراق، وسمع أبا الحسن على بن عبد الله بن مبشر الواسطى وأبا عبد الله محمد بن مخلد العطار وجماعة، وتوفى فى السادس عشر من شعبان سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ثقة نبيلا .

وحافده أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش المعروف بالخرجوشى، سكن بغداد وكان دينا ثقة صدوقا، سمع أبا عبد الله بن خفيف الشيرازى وأبا العباس الحسن بن سعيد المطوعى وإسحاق بن أحمد القاينى وغيرهم، روى عنه أبو بكر الخطيب الحافظ البغدادى وأبو إسحاق إبراهيم بن على الشيرازى، وأثنى عليه الخطيب قال : كان فاضلا صالحا دينا ثقة، كتبنا عنه بانتقاء أبى الفتح بن أبى الفوارس . مات ببغداد فى آخر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة .

وأما أبو سعد عبد الملك بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم الواعظ الخرجوشى من أهل نيسابور، فكان إماما زاهدا فاضلا عالما، له البر وأعمال الخير والقيام بمصالح الناس وإيصال النفع إليهم، سمع ببلده أبا عمرو بن نجيد السلمى وجماعة كثيرة سواه، ورحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك الشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، وذكره أبو الفضل محمد ابن طاهر المقدسى فقال : أبو سعد الخرجوشى، ويقال بالكاف بالفارسية، منسوب إلى قرية بخراسان . هكذا قال المقدسى، وأما قبر أبى سعد هذا ففى خانقاهه بسكة خركوش ولا أدرى أبو سعد هذا نسب إلى هذه السكة أو السكة نسبت إلى أبى سعد، وتوفى فى جمادى الأولى سنة سبع وأربعمائة .

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٣، ٣٤٤ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٣) .

* **ابن خُرْداذْبُه (نحو ٢٠٥ ـ نحو ٢٨٠ هـ / نحو ٨٢٠ ـ نحو ٨٩٣م):**

عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم، مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة ... واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل وجعله من ندمائه (الأعلام ٤/ ١٩٠) إقليم الجبال جنوب غرب بحر قزوين كتابات مضيئة / ٢١) وهو ميديا القديمة أو أذربيجان وكردستان الحالية، ثم شغل وظيفة رئيس هذه المصلحة في بغداد وفي سر من رأى. غير أن مكانة أسرته جعلته مقربا من الخليفة المعتمد (ولد وتوفي) بسامراء ومن ندمائه أصحاب النفوذ. وفي الوقت نفسه سمحت له مكانته والمناصب التي شغلها بأن يحصل على الوثائق التي استمد منها المواد اللازمة لمؤلفاته البالغ عددها عشرة، والتي لا نعرف منها سوى أسمائها، ومن المقتطفات المثبتة لدى المؤلفين المتأخرين أو الإشارات إليها في المراجع المختلفة (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

من مصنفاته «المسالك والممالك» و «جمهرة أنساب الفرس» و «اللهو والملاهي» طبعت مختارات منه، و«الشراب» و «الندماء والجلساء» و «أدب السماع» (الأعلام ٤/ ١٩٠) وجميع هذه المؤلفات تقريبا تدور في فلك الأدب الخفيف والحياة المرحة، وقد نعثر في بعضها على بعض الاتجاهات الشعوبية كما في كتابه «جمهرة أنساب الفرس» وبعضها يرمي إلى إمتاع علية القوم مثل «كتاب الشراب» و«كتاب الطبيخ» وقد كشف النقاب مؤخرا عن مخطوطة واحدة عنوانها «الملاهي والأسمار» وذلك ضمن مجموعة أحد الهواة. وله فضلا عن ذلك مصنف في «التاريخ» يعالج تاريخ العرب قبل الإسلام، كما يذكر المسعودي، كما تحتوي قائمة مؤلفاته على «كتاب الأنواء» كما هو مألوف لدى أدباء عصره.

لكن ما يهمنا هو كتابه الجغرافي الذي أسماه «المسالك والممالك»، والذي بدأ بتأليفه حوالي عام ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦م، وتابع العمل فيه إلى أن أدركته المنية في تاريخ أعقب عام ٢٧٢ هـ/ ٨٨٥م، المحتمل أن وضع هذا الكتاب جاء استجابة لطلب أحد العباسيين (أعلام الجغرافيين العرب / ١٠٦).

ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات المبكرة جدا في الجغرافية العربية الوصفية، وقد اقتبس منه الجغرافيون اللاحقون على نطاق واسع. وقد عني الكتاب عناية خاصة بوصف طرق المواصلات بين الأقطار والمدن الإسلامية، واشتمل على معلومات عن المدن وعن الإنتاج الزراعي والخراج في الممالك الإسلامية، كذلك اشتمل على بعض المعلومات الفلكية السطحية وعلى شيء من الغرائب والطرف عن البلدان القصية كالصين وتركستان والهند (كتابات مضيئة / ٢١)

يقول الدكتور عبد الرحمن حميدة:

وقد أصبح عنوان كتابه هذا شائعا جدا من بعده وينقسم إلى سبعة أقسام متفاوتة جدا في طولها. فالقسم الأول يشتمل على نظريات كوزموغرافية مستمدة على الأرجح من بطليموس، (الكوزموغرافيا: علم الحركات الفلكية للأرض والكون) بينما يضم القسم الثاني عرفية nomenclature جغرافية لإقليم بغداد، باعتباره مركز العالم حينذاك.

أما في الجزء الثالث والرابع والخامس والسادس فيعطينا المؤلف، بالتتالي، معلومات إضافية عن مسالك الشرق (فارس، الهند، والصين) والغرب (بلاد الشام، مصر، المغرب، شمالي مابين النهرين، وبيزنطة) والشمال (أرمينيا ومنطقة بحر الخزر) وجزيرة العرب. ونجد أخيرا في الجزء السابع معلومات عامة عن أقسام العالم وغرائبه، ويتراءى لنا أن شطرا من هذا الجزء، على الأقل، ليس من إنتاج جهده الشخصي. وقد ضمن ابن خرداذبة كتابه إحصاء جباية الإمبراطورية العباسية، وطول المسافات بين البلاد، وقبلة أهل كل بلد، وفوائد تاريخية كثيرة.

وعند تحقيقه ونشره عام ١٨٨٩ على يد المستشرق دي خويه ألحق به قطعة من كتاب «الخراج وصنعة الكتابة» لقدامة ابن جعفر البغدادي.

ويبدو أسلوب ابن خرداذبة جافا جدا عندما يتكلم عن العرفية، مثلما يظهر عديم اللون فى المقاطع الوصفية. ونميل للظن بأن المؤلف لم يهتم بتحسين أسلوبه، لأنه لم ينظر لكتابه كمصنف أدبى بل كوجيز معد لجمهور معين (أعلام الجغرافيين العرب/ ١٠٦، ١٠٧).

ولم يتبع ابن خرداذبة نظاما دقيقا فى تأليفه، وربما بدا لنا هذا، لأن كتابه لم يصلنا إلا مختصرا (التاريخ والجغرافية/ ٢٢٨).

وننقل لك فيما يلى نصا من كتاب «المسالك والممالك» وهو عن الأرض فى الكون وأبعادها. يقول ابن خرداذبه وقد أشار إلى نفسه بأبى القاسم:

قال أبو القاسم: صفة الأرض أنها مدوّرة كتدوير الكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمحّة فى جوف البيضة. والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض لأن النسيم جاذب لما فى أبدانهم من الخفة والأرض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذى يجتذب الحديد. والأرض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض، وهو أكبر خط فى كرة الأرض كما أن منطقة البروج أكبر خط فى الفلك. وعرض الأرض من القطب الجنوبى الذى يدور حوله سهيل إلى القطب الشمالى الذى يدور حوله بنات نعش. فاستدارة الأرض فى موضع خط الاستواء ثلاث مئة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعا والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة اصطرلابية واستدارتها عرضا مثل ذلك، إلا أن العمارة فى الأرض بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة، ثم الباقى قد غمره البحر الكبير. فنحن على الربع الشمالى من الأرض، والربع الجنوبى خراب لشدة الحر فيه والنصف الذى تحتنا لا ساكن فيه. وكل ربع من الشمالى والجنوبى سبعة أقاليم، وذكر بطليموس فى كتابه أن مدن الأرض على عهده كانت أربعة آلاف ومئتى مدينة (المسالك والممالك/ ٣، ٤).

(الأعلام للزركلى ٤/ ١٩٠، وكتابات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ــ د. شاكر خصباك/ ٢١، وأعلام الجغرافيين العرب ــ د. عبد الرحمن حميدة ١٠٦، ١٠٧، والتاريخ والجغرافية فى العصور الإسلامية ـ عمر رضا كحالة/ ٢٢٨، والمسالك والممالك لابن خرداذبه/ ٣، ٤).

*الخردل:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات وعلم طب الأعشاب وهو بقلة معروفة. أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر أربعة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ز: الزهراوى.

قال الخَرْدَل: «ع» أن يختار منه ما لم يكن مُفرط اليُبْس، ولا قَحْلا، ولا شديد الحمرة، وليكن كبير الحبة، وإذا دق كان داخله أصفر وفيه نداوة، فما كان على هذه الصفة فإنه جيد مستحكم. وللخردل قوة تسخين وتلطف، وتجذب وتقطع البلغم إذا مضغ، وإذا دق وقرب من المَنْخرين حرك العُطاس، وأنبه المصروعين والنساء اللاتى يعرض لهن الاختناق من وجع الأرحام، وإذا تضمد به نفع من النقرس، وقد يحلق الرأس ويضمد به للمرض الذى يقال له ليثرعس، وإذا خلط بالتبن، ووضع على الجلد إلى أن يحمر، وافق عرق النسا والطحال. وبالجملة فإنه موافق لكل وجع مزمن إذا أريد جذبه من عمق البدن إلى ظاهره، وهو يسخن ويجفف فى الدرجة الرابعة، ويحلل الرطوبات من الرأس والمعدة وسائر البدن، وينفع من وجع الكبد والطحال، ومن الريح والرطوبة، ويحلل البلغم، يجفف اللسان الثقيل من البلغم، وإذا سحق ووضع على مقدم الدماغ من المبرودين سخنه، ونفع من النزلات المتوالية، وإذا طليت به الأعضاء الباردة القليلة الحس سخنها وقوى حركتها، وإذا أكل مع الطعام هضمه وسخن المعدة.

«ج» الخردل البرى يسمى حرشاء، وأجوده البستانى الكبار الحديث الأحمر، وهو حار فى الدرجة الرابعة، ومن خواصه إذا ألقى فى عصير العنب منه، أن يغلى ويبقى على حاله، وهو يقطع البلغم، ويهرب من دخانه الهوام، وهو ينقى الوجه، والبرى منه ينفع من داء الثعلب، ويحلل الأورام المزمنة والخنازير، ويطلى به الجرب والقوابى، ويفتح سدد المصفاة ويستعمل فى حل الغشاوة، وينفع من اختناق الرحم، ويذيب الطحال... وينفع من الحميات العتيقة، وقدر ما يؤخذ منه درهم. والخردل الأبيض أجوده المائل إلى الصفرة، ويدر الحيض، وقدر ما يؤخذ منه درهم.

«ف» بزر معروف أبيض وأصفر، جيده الأصفر الكبار الرزين. وهو حار يابس فى الرابعة، ينفع من الأمراض الباردة، والأخلاط البلغمية، ويقوى البدن... ويحد البصر، وينفع من الأمراض الباردة، بالخدر، وإذا أدمن المجذوم استعماله نفعه وأبرأه.

«ز» بدله: وزنه بزر: الشلجم، وبزر الحرف، والخردل الأبيض وزنه أشج (المعتمد ١ / ١٢٠، ١٢١).

وأورده الأنطاكى فى تذكرته فقال عنه: الخردل هو اللبسان وأصوله بمصر تسمى الكبر وهو من تحريفهم لما سيأتى أن الكبر هو القبارى؛ والخردل نوعان: نابت يسمى البرى ومستنبت هو البستانى وكل منهما إما أبيض يسمى سفندا سفيدا وأحمر يسمى الحرش وكله خشن الأوراق مربع الساق أصفر الزهر يخرج كثيرا مع البرسيم فيدرك ببابة وهاتور حريف حاد إذا أطلق يراد بزره وهو حار يابس فى الرابعة أو البرى فيها وغيره فى الثالثة أو الأبيض فى الثانية نافع لكل مرض بارد كالفالج والنقرس واللقوة والخدر والكزاز والحميات الباردة بماء الورد شربا وضمادا ويحلل الورم ويجذب ما فى الأغوار فلذلك تسمن به الأعضاء الضعيفة ويحمر الألوان ويجذب الدم إذا مزج بالزفت ولصق ويطبخ ويغرغر به فيسكن أوجاع الفم والأسنان ويحلل ثقل اللسان ويمنع النزلات ضمادا ويسخن الأعضاء الباردة ويسكن النافض ويحلل الرياح الغليظة واليرقان والسدد وصلابات الكبد والطحال ويفتت الحصى ويدر الفضلات ويهضم هضما لايفعله غيره. ومن خواص أهل مصر: أكله مع الشواء فى عيد الأضحى وإذا اكتحل به جلا الظلمة والبياض والكمتة خصوصا ما اعتصر من بزره طريا وجفف أو أغلى بالزيت وقطر فى الأذن فتح الصمم وأزال الدوى وأخرج الديدان ويطبخ مع السذاب فيسكن ضربان المفاصل والرعشة ضمادا ونطولا ودهنا... ويفتح سدد المصفاة سعوطا ويزيل الاختناق شربا والتخم بدليل أنه إذا طرح فى عصير لم يغل وبالعسل يزيل السعال المزمن والربو وأوجاع الصدر والبلغم الغليظ ودخانه يطرد الهوام وهو معطش مكرب يولد الحرارة ويصلحه الخل واللوز والملح الهندى وأن يأكله المحرور باللبن وأن يؤخذ مع الأطعمة الغليظة كالهريستوللمصروع بالسلق (التذكرة ١/ ١٣٧، ١٣٨).

وقال عنه القزوينى: بزره يبقى فى عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله. قال محمد بن زكريا الرازى: إن جعلت الخردل فى كوى الحيات قتلها (عجائب المخلوقات / ١٨٦) قال ابن سينا: يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت. والبرى منه ينفع من حمى الربع، ومن داء الثعلب والقوباء ضمادا وكذلك وجع المفاصل وعرق النسا. عصارته قطورا لوجع الأذن، وإن شرب على الريق ذكى الفهم. يستعمل فى إكحال الغشاوة والخشونة. إن دق وشرب بماء العسل أذهب الخشونة المزمنة فى قصبة الرئة. يزيل الطحال ويعطشها. ينفع من اختناق الرحم... نافع من الحميات الدائرة والعتيقة (القانون فى الطب / ٣١٦).

وقال عنه محمد بن عيسى بن كنان الصالحى: هو الصناب، وعليه قول الشاعر:

تكلفنى معيشة آل زيد
فمن لى بالصلالق والصناب

الصلالق: الخبز الرقيق، والصناب: الخردل، بزره إذا دُقَّ وزُرَّ فى الخل منعه من الدودر (المواكب الإسلامية ٢ / ٢٤٦)

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٠، ١٢١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى

/ ١٨٦ ، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرحه ورتبه الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تحقيق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٦ ، والمواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحى الدمشقى ـ تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصرى وزارة الثقافة. إحياء التراث العربى (٩٣) منشورات وزارة الثقافة فى الجمهورية العربية السورية. دمشق ١٩٩٣/ ٢٤٦).

*** الخرزة:**

الخرزة: نبات وفى بعض الأصول حمضة من النجيل يرتفع قدر الذراع خيطانا من أصل واحد لا ورق له لكنه منظوم من أعلاه إلى أسفله حبا مدورا أخضر فى غير علاقة كأنه خرز منظوم فى سلك، نقله أبو حنيفة [الدينورى] فى كتاب النبات عن بعض أعراب عمان قال وهى تقتل الإبل ومنابتها منابت الحمض.

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتعليق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٠).

***الخرزى:**

قال السمعانى:

الخَرَزى: بفتح الخاء المعجمة والراء وبعدها الزاى، هذه النسبة إلى الخرز وبيعها، وهم جماعة، منهم أبو الحسن أحمد بن نصر بن محمد الزهيرى الخرزى البغدادى، من أهل بغداد، نزيل نيسابور فى المدينة الداخلة. ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ وقال أبو الحسن الخرزى البغدادى نزيل نيسابور فى المدينة الداخلة، سمعته غير مرة يذكر سماعه من أبى عبد الله بن مخلد وأبى عبد الله المحاملى، وتوفى بنيسابور فى شهر رمضان من سنة ثمانين وثلاثمائة، ودفن فى مقبرة الحيرة.

وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزى من أهل بغداد، ولى القضاء بالجانب الشرقى بها، وكان فاضلا فقيه النفس حسن النظر جيد الكلام، ينتحل مذهب داود بن على الظاهرى، وكان أبو بكر الخوارزمى يقول ما رأيت الخرزى كلم خصما له وناظره قط فانقطع، ومات فى جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة (الأنساب ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥).

ويضيف الدكتور الزحيلى قوله عن عبد العزيز بن أحمد هذا: كان نظارا قوى الحجة، جاء إلى بغداد هو والقاضى أبو بكر الباقلانى فى صحبة عضد الدولة من شيراز، وأخذ عنه فقهاء بغداد من أهل الظاهر.

عينه عضد الدولة قاضيا على الجانب الشرقى من بغداد، وكان فاضلا، حسن النظر، جيد الكلام. ذكره الذهبى فى «العبر» وقال فى لقبه «الجزرى». له كتاب «مسائل الخلاف» (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٦).

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٤، ٣٤٥، واللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٤، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٧٦ عن طبقات الفقهاء / ١٧٨، والفهرست لابن النديم/ ٣٠٧، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٦٦، والعبر ٣ / ٥٠).

*** خَرَشَة بن الحارث:**

قال عنه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى: خَرَشَة بفتحات ابن الحارث أو ابن الحر المحاربى. روى أحمد والبغوى والطبرانى وآخرون من طريق أبى كثير المحاربى سمعت خرشة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ستكون بعدى فتنة ...» الحديث. ووقع فى رواية الطبرانى «خرشة المحاربى» وفى رواية أحمد «خرشة بن الحر» وفى رواية الآخرين «خرشة بن الحارث» وهو الراجح. وقال ابن سعد: خرشة بن الحارث الأزدى له صحبة. نزل حمص. له حديث واحد، ثم أورد هذا. وقال أبو حاتم: خرشة شامى له صحبة، روى عنه أبو كثير المحاربى، وتعقبه ابن عبد البر وزعم أن الصواب أنه هو خرشة بن الحر... ولم يصب فى ذلك. والحق أنهما اثنان، وقد خرّق بينهما البخارى فذكر خرشة بن الحر فى التابعين وذكر هذا فى الصحابة، وكذلك صنع ابن حبان. وذكر الحاكم أبو أحمد فى ترجمة أبو كثير قول من قال عن أبى كثير عن خرشة بن الحر ووهّاه، وصوَّب أنه خرشة بن الحارث (الإصابة ١ / ١٠٨).

قال ابن السكن: له صحبة، نزل مصر. وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة وذكره ابن الربيع، وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد. وقال فى التجريد: له وفادة، وشهد

فتح مصر. وقال الحسينى فى رجال السند، خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادى، نزل مصر. له صحبة ورواية عند ابن أبى حبيب (المحدثون فى مصر والأزهر / ٣١، ٣٢).

(الإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى ١ / ١٠٨، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ. د. الحسينى هاشم، و أ. د. أحمد عمر هاشم / ٣١، ٣٢).

***الخرشوف:**

ذكره الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية، فقال يعدد منافعه ومضاره، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

٤٠٨ *الخرشف الغضُّ على أنواعه*
يفضى لنفع بين فراعه

٤٠٩ *فى طبعه الحر من اللطافه*
مع الطعام خذه لا مخافه

٤١٠ *يخرج أخلاطا وريحا فاسده*
وفيه للأدران خير فائده

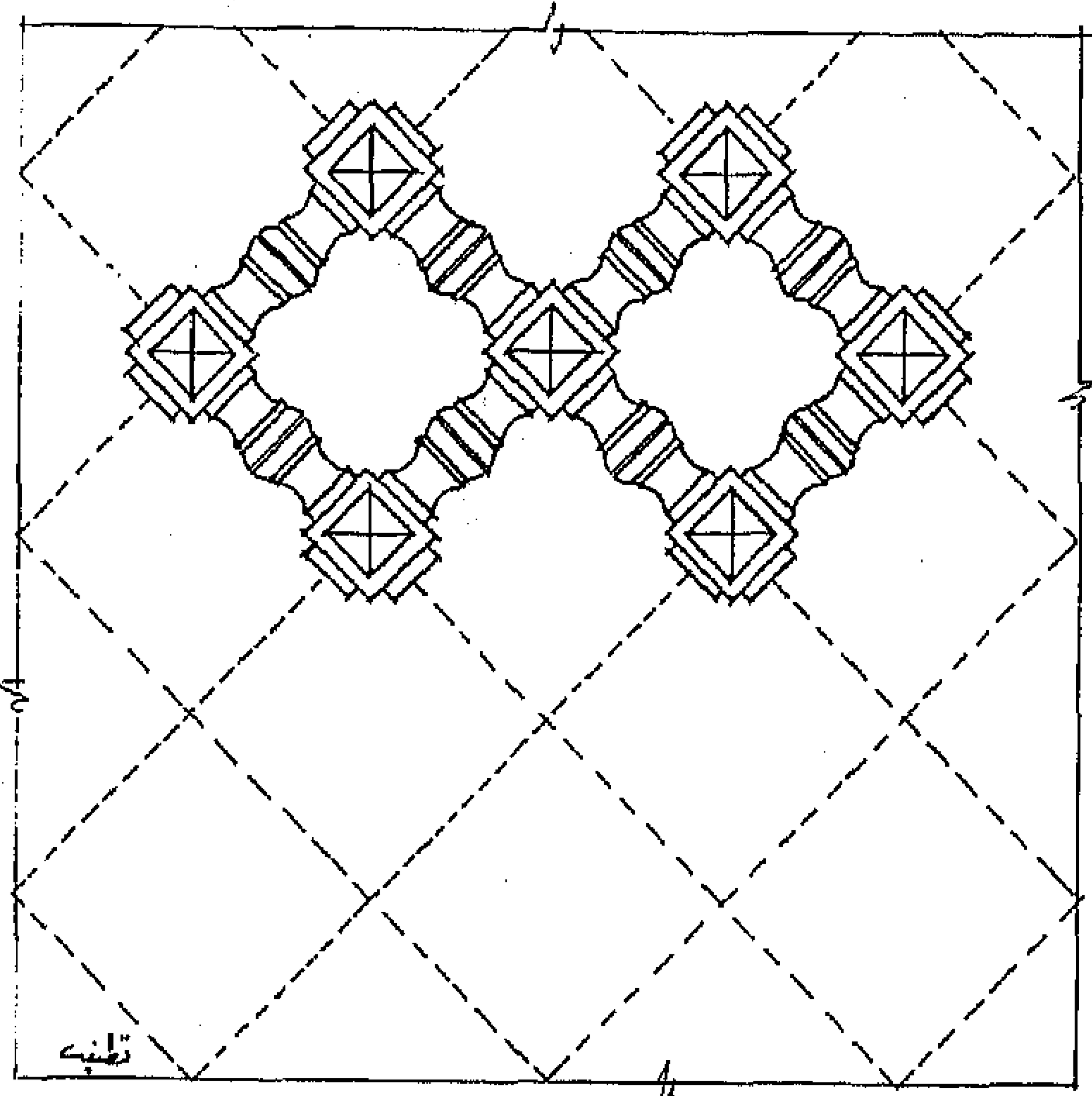
٤١١ *ينفى الصنان ويطيب البدن*
ويذهب الخلط السردى والعفن

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر التازى. تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٣٧).

***الخرط:**

قال عنه المهندس المستشار عبد السلام أحمد نظيف.

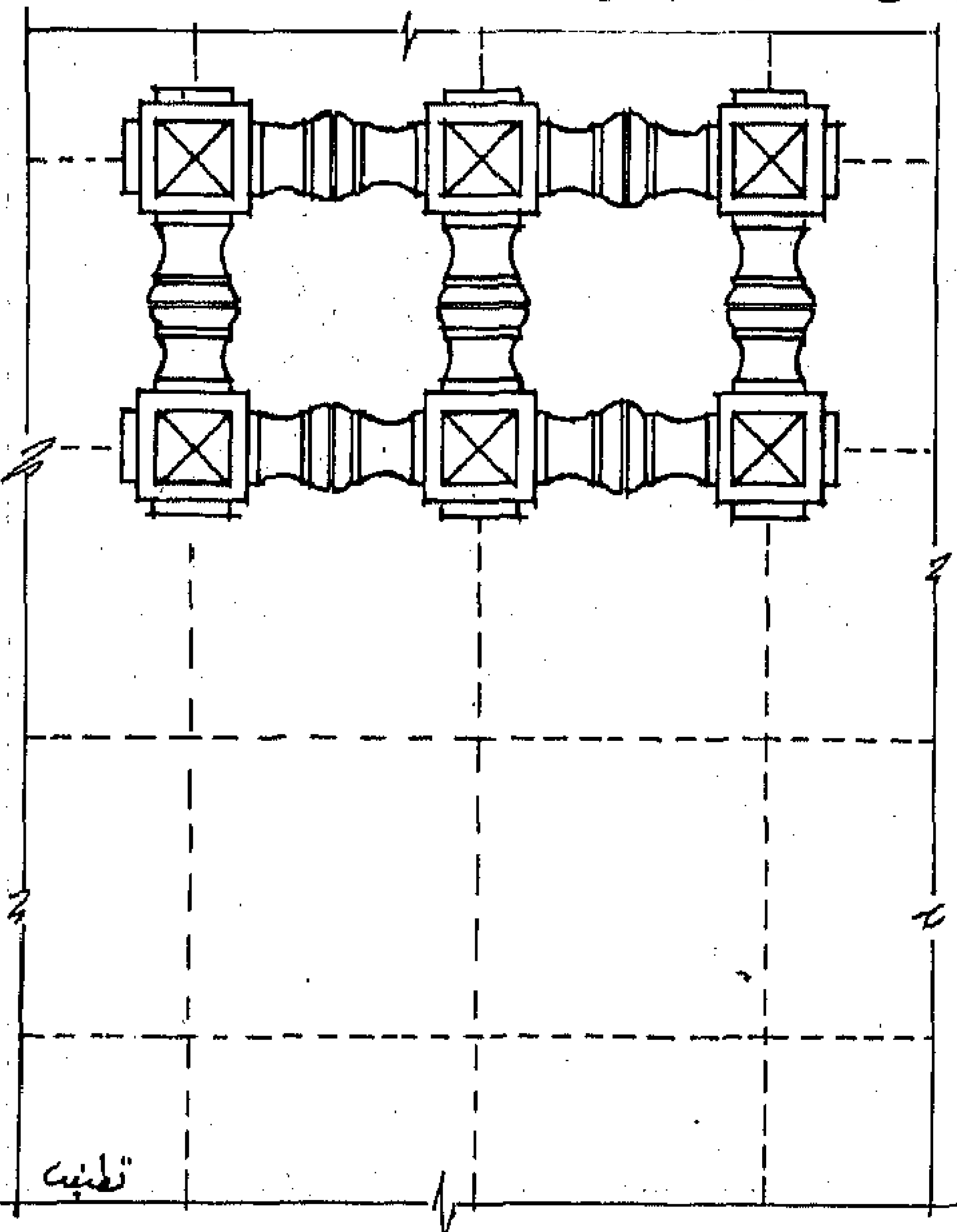
نشأ فن الخرط فى مصر مهد الحضارة من قديم الزمن - هذا الفن له متخصصون فى تصنيعه وتوارثوه أبا عن جد ولم يبق منهم الآن إلا نفر قليل وفى سن لا تسمح لهم بمزاولة هذه الحرفة، ولإحياء هذا الفن يجب تدريب الأجيال ورعايتهم الرعاية الكاملة التى تمكنهم من الاستمرار فى إنتاج هذا العمل اليدوى الدقيق خاصة وأنه يجد إقبالا كثيرا وتقديرا عظيما من معظم شعوب العالم التى تقدر العمل الفنى اليدوى وقد قامت بعض المخارط الآلية فى دول عديدة بإنتاج هذا الخرط بطريقة أوتوماتيكية.



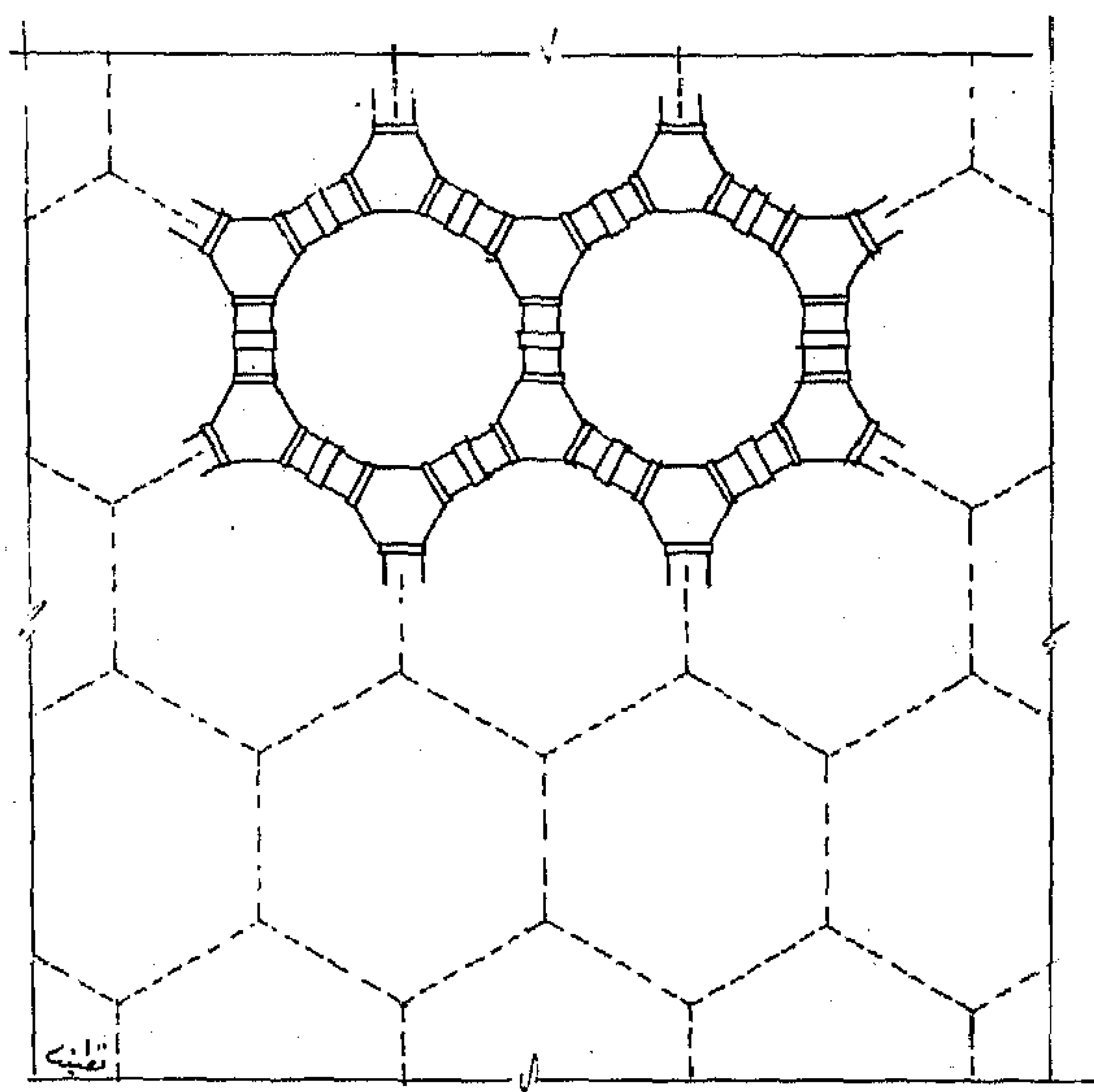
٢ - خرط صهريجى مائل «دمياطى»

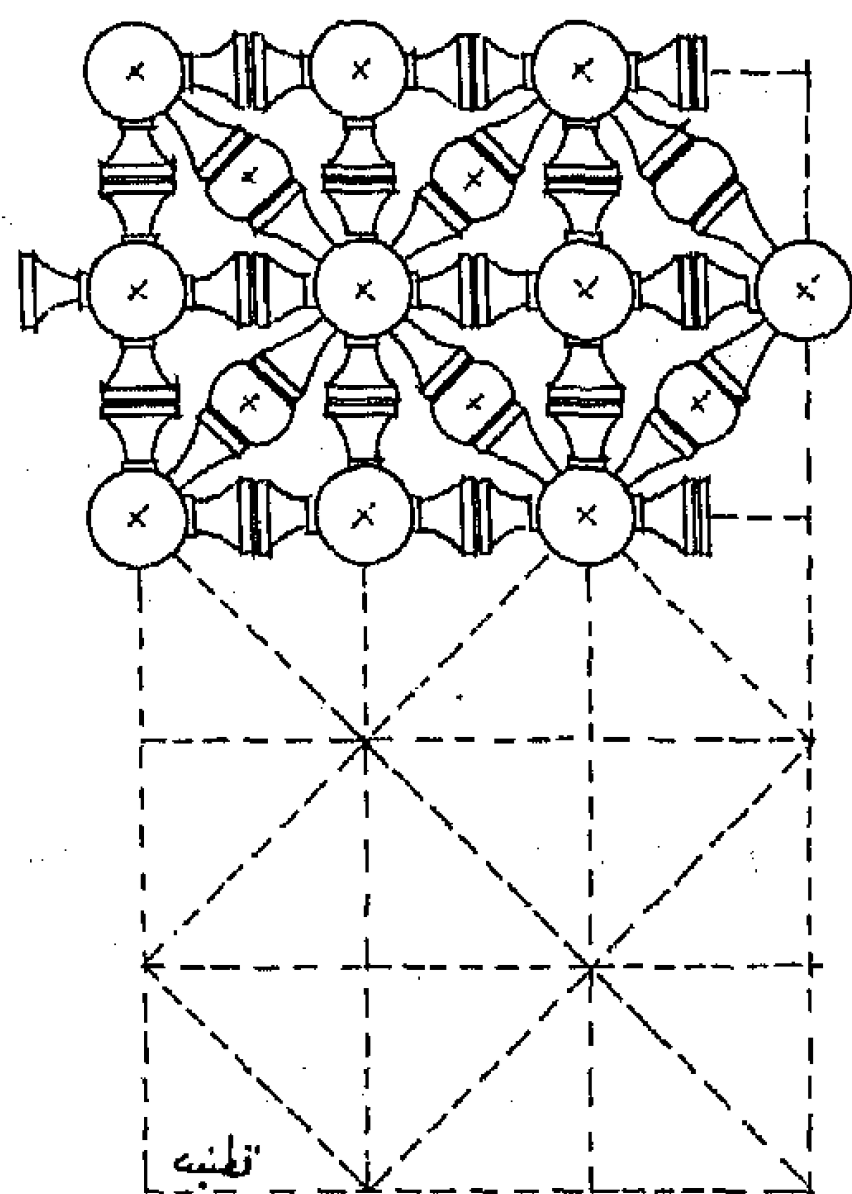
إن الخرط فيه من الإبدع ما تعجز عن تنفيذه الآلات الحديثة كالتطعيم بالصدف والعاج فى كل قطعة خرط.

وقد استعمل جميع أنواع الخرط فى المشربيات البارزة بالواجهات وفى القواطيع الداخلية سواء كانت ثابتة أو متحركة مثل (البارافان) كما استعمل فى الديكورات الداخلية فى العمارة الحديثة وكذلك فى نوافذ المساجد والقصور من الخارج وفى المنابر وكراسى السورة [المصحف].

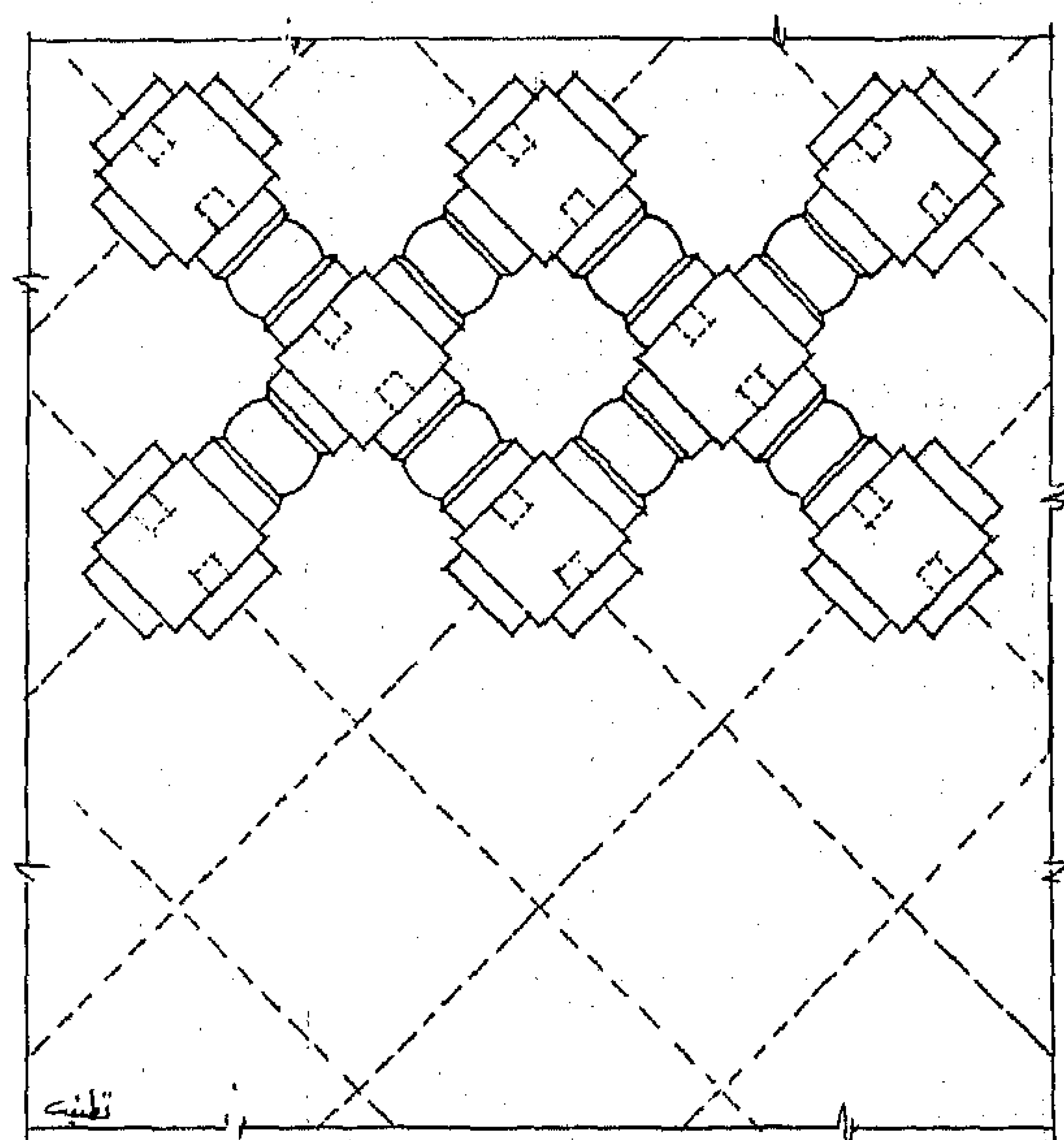


١ - خرط صهريجى


٤ - خرط مفوق


٣- خرط ميمونى

ازدهر الخرط فى عصر المماليك وخاصة صناعة المشربيات، وهى أجزاء متشابكة من وحدات خشبية متشابهة فى الشكل والحجم ولذلك أطلق عليها قديما «شبكيات» وهذه الأجزاء الخشبية عبارة عن قطع طولية ذات أسماك معينة سميت بالمصبعات وتركب مع بعضها بطريقة أفقية ورأسية بطريقة التعشيق. ومع تقدم العرب فى العمارة الإسلامية وفنونها أدخلوا عليها الأساليب الفنية من تهذيب هذه القطع


٢- نوع آخر من الخرط الصهريجى

وصقلها فخرجت منها أشكالا جميلة أسطوانية ومكعبة ومثمنة ومخروطية ومتقاطعة مع بعضها كما أضيف إلى هذه الأشكال الأسطوانية تخليق حلقات فى هذه الاستدارة إما حلقات بارزة أو مجوفة فجاء الخرط غاية فى الجمال والإبداع وللخرط أنواع خمسة وهى الخرط الصهريجى، الخرط الصهريجى المائل، الخرط الميمونى، الخرط المفوق، البرامق الخشبية.

ثم يورد المهندس المستشار نظيف نماذج من هذه الأنواع الخمسة، وهى كما يلى موضحة بالصور:

نموذج (١) (الخرط الصهريجى)

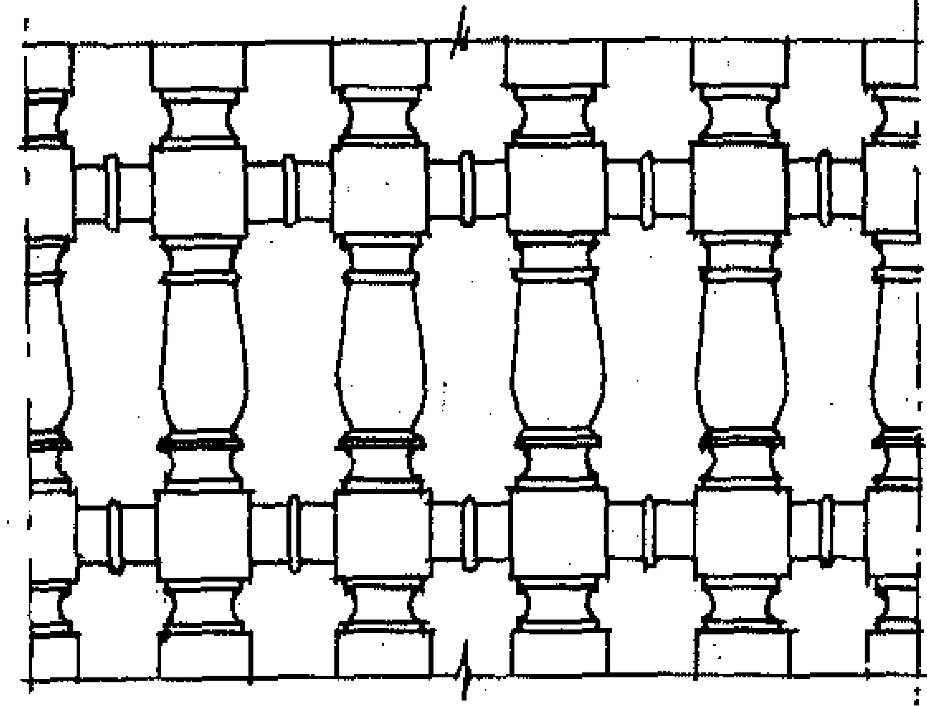
هو اصطلاح فى العمارة الإسلامية، وهذا النوع عبارة عن قطع من المكعبات الخشبية متصلة بقطع خشبية أسطوانية الشكل وتركب فى اتجاهات رأسية وأفقية بطريقة التعشيق.

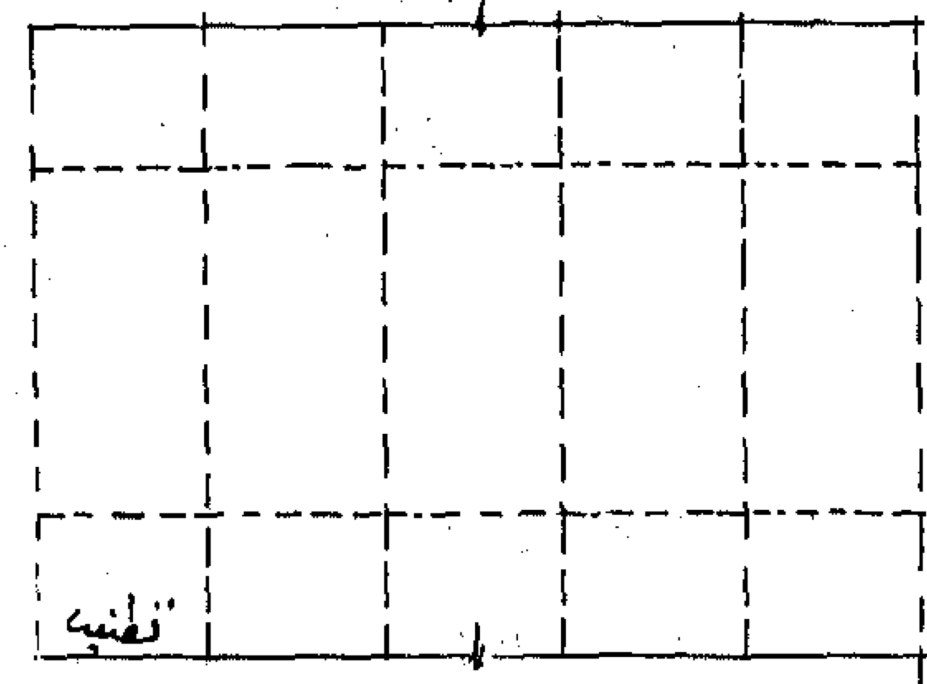
نموذج (٢) (الخرط الصهريجى المائل)

هو نفس الخرط السابق ولكن وضعه يكون مائلا على زاوية مقدارها ٤٥ درجة كما يسمى أحيانا هذا النوع من الخرط بالدمياطى.

نموذج (٢) (الخرط الصهريجى المائل) «دمياطى»

مثال آخر من الخرط الصهريجى المائل ويلاحظ هنا أن المكعبات التى بينها الخرط الدائرى الجزء الأوسط من هذه المكعبات هرمية الشكل.





٥- خرط برامق رأسية

نموذج (٣) (الخرط الميمونى)

هى قطع خشبية مخروطية الشكل مركزها كرة خشبية تأخذ هذه القطع ثمانية اتجاهات بادئة من المركز الذى هو الكرة الخشبية وبمعنى أوضح أربعة خطوط متقاطعة ومتعامدة تعطى هذه الاتجاهات الثمانية .

نموذج (٤) (الخرط المفوق)

عبارة عن وحدة هندسية مكررة تعطى تماما شكل خلية النحل ومحاورها توضح أن الخطين الرأسيين مع تقابلهما للأربعة خطوط المائلة على درجة ٣٠° من الجهتين تعطى شكل وحدة الخلية .

نموذج (٥) (البرامق الخشبية)

هى وحدات خرط طولية ورأسية بأطوال متساوية وتثبت بخطوط من الخرط الأفقية المتوازية فى المكعب العلوى والمكعب السفلى لوحدة البرامق .

جميع أشكال الخرط التى لا تخرج عن هذه الأنواع استعملها العرب فى المشربيات البارزة فى الواجهات وفى القواطيع الداخلية التى تفصل بين جزء وآخر وتعبر عنصرا هاما فى الطراز واستعملت أيضا كديكورات داخلية فى العمارات الحديثة حيث إنها مكملة للشكل المعمارى، واستعملت بالمساجد فى النوافذ العليا من الخارج وفى المنابر وكراسى السورة [المصحف] وفى البرافانات، والخرط هذا من الدقة فى التنفيذ وجمال نسبه مما حدى بالغربيين إلى استعماله فى مساكنهم من الداخل كقواطيع تجميلية وكذلك استعمل فى الأبواب المنخفضة الارتفاع فى القاعات التى تتسم بهذا الطراز.

(دراسات فى العمارة الإسلامية ـ إعداد ووضع المهندس الاستشارى عبد السلام أحمد نظيف / ٢٥٦ ـ ٢٦٩) .

*** الخرططى :**

قال السمعانى :

الخَرْطَطى : بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الطاء المهملة الأولى وكسر الأخرى، هذه النسبة إلى خرطط، وهى إحدى قرى مرو، قريبة من شاوان فى الرمل، على ستة فراسخ منها، ويقول الناس لها : خرطة، ومنها حبيب بن أبى حبيب الخرططى، من أهل مرو، يروى عن أبى حمزة محمد بن ميمون السكرى وإبراهيم بن ميمون الصائغ وعبد الله بن المبارك، روى عنه أهل مرو، وكان يضع الحديث على الثقات، لا يحل [كتابة] حديثه ولا الرواية عنه إلا على سبيل القدح فيه . هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستى .

ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن بشر الخرططى، يروى عن أبى عبد الرحمن محمد بن إبراهيم الكرابيسى، روى عن محمد بن عيسى بن موسى السرخسى وغيره .

والقاسم بن جعفر الخرططى، سمع علي بن خشرم هكذا ذكره أبو زرعة السنجى .

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٦ . انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠١)

*** الخرعونى:**

قال السمعانى :

الخَرْعُونى : بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم العين المهملة وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خرعون، وهى قرية من قرى سمرقند من ناحية أبغر، ومن هذه القرية الأخوان

أبو عبد الله محمد بن حامد بن حميد الخرعونى، يروى عن على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى وأبى رجاء قتيبة بن سعيد البغلانى والجارود بن معاذ الترمذى وسويد بن نصر الطوسانى وغيرهم، روى عنه أعين بن جعفر بن الأشعث ــ وحافده إسماعيل بن عمرو بن محمد بن حامد بن الخرعونى، تكلموا فيه وفى رواياته، ومات سنة إحدى وثلاثمائة.

وأخوه أحمد بن حامد الخرعونى، سمع مع أخيه محمد كتاب التفسير لأبى الحسين على بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلى السمرقندى، وكان أبو عبد الله محمد يقول سمعت الكتاب ـ يعنى التفسير ــ والمشافهات مع أخى أحمد بن حامد من على بن إسحاق سنة مائتين وثلاث وثلاثين، وأربع وثلاثين، وخمس وثلاثين، فارتفع لنا فى ثلاث سنين، وتوفى على بن إسحاق سنة مائتين وسبع وثلاثين، وجهنا والدنا إلى سمرقند والوالدة معنا، كانت تغزل الصوف وتنفق علينا.

وأبو عمران موسى بن الحارث الخرعونى، ذكره أبو العباس المستغفرى فى تاريخ نسف، وقال: دخل نسف مرارا فى صغره وكبره، وكان يختلف معى فى كتاب الأدب إلى أبى على المؤدب، وكان يتعلم منى الأدب، رحل إلى بلخ، وسمع من أبى نصر بن أبى شداد وغيره، يروى عنه اليوم أبو بكر محمد ابن عبد الله النجار خطيب سمرقند، شاب.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٦، ٣٤٧. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ١ / ٥٠٦).

***الخُرْفُع:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم النبات.

خُرْفُعٌ: كقنفذ قال الليث هو القطن الفاسد فى براعيمه وهى الأكمة قبل أن تفتق وقال غيره هو القطن عامة وقال أبو عمرو الخرفع ما يكون فى جراء العشر وهو حرّاق الإعراب وقال ابن جزلة هو ثمر العشر وله جلدة رقيقة إذا انشقت عنه ظهر منه مثل القطن وقال الدينورى الخرفع جنى العشر قال وقال أبو زياد: يخرج للعشر نفاخ كأنه شقاشق الجمال التى تهدر فيها ويخرج فى جوف ذلك النفاخ حراق لم يقتدح الناس فى أجود منه ويحشونه المخاد والوسائد وقال أبو نصر ثمر العشر الخرفع حشوه زغب مثل القطن يحشى به ويقال هو القطن المندوف نقله الأزهرى وهو قول أبى عمرو الخرفع كزبرج كما زعم بعض الرواة وقال أبو مسحل القطن يقال له الخرفع بالكسر ومما يستدرك عليه الخرفع بكسر الخاء وضم الفاء لغة فى الخرفع. والخرفع كقنفذ وزبرج نقله صاحب اللسان عن ابن جنى.

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥٠).

***الخَرَقانى:**

قال السمعانى:

الخَرَقانى: بفتح الخاء المعجمة والراء والقاف المفتوحات وفى آخرها النون، هذه النسبة إلى خرقان، وهى قرية فى جبال بسطام كبيرة كثيرة الخير على طريق أستراباذ إن شاء الله، منها شيخ عصره وفريد وقته أبو الحسن على بن أحمد الخرقانى، له الكرامات الظاهرة والأحوال السنية، كان قد راض نفسه وأجهدها، وكان ابتداء أمره أنه كان خربنده جا يكّرى الحمار ويحمل الأثقال عليه، وكان يقول وجدت الله فى صحبة حمار يعنى كنت خربنده جا لما فتح لى هذا الأمر وسلك لى فى هذا الطريق. قصده السلطان محمود وجرت بينه وبينه حكايات عجيبة، وهو أنه لما أراد أن يدخل عليه مسجده قدم بعض أقربائه ليتقدم إلى الشيخ وهل يعرف الشيخ أنه محمود أم لا؟ فلما رآه الشيخ أبو الحسن نادى: يامحمود! قدم من قدمه الله ـ قال بالعجمية آنراكه خداى فرابيش كرده است بكويدت كه فرابيش آيد. ثم جلس محمود بين يديه ووعظه ونصحه، وكان على باب المسجد غلام هندى ينظر إلى الشيخ فقال الشيخ له: تقدم ياغلام! فتقدم، فقال: يامحمود؟ تعرف هذا الغلام؟ فقال: لا؛ ثم قال: كم يكون فى عسكرك مثل هذا الأسود؟ قال: لعل يبلغ عددهم عشرة آلاف؛ فقال: ليس فيهم من الله تعالى نظر إلى قلبه إلا هذا، فقام محمود وعانقه وقال: آخ بينى وبينه، ثم قدم إليه صررا من الدنانير فما قبلها، فقال محمود: فرقها على أصحابك؛ فقال: ما لشكر را بيستكانى داده ايم وتو اين بلشكرخويش ده ـ يعنى أرزاق عسكرنا

وأصحـابنـا أعـدت لهم ووصلت إليهم، فـأعـد أنت هـذا لعسكرك. مات الشيخ أبـو الحسن الخرقانى فى يـوم الثلاثاء وهو يوم عـاشوراء من سنة خمس وعشرين وأربعمـائة وكان له يوم وفاته ثلاث وسبعون سنة.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٤٧، ٣٤٨. انظـر أيضـا اللبـاب لابن الأثير، ـ ١ / ٥٠٦).

* **الخرقانى:**

قال السمعانى:

الخَرْقَانى: بفتح الخاء المعجمة والراء الساكنة والقاف المفتوحة بعدها الألف ثم النون، هـذه النسبة إلى خـرقان، وهى من قـرى سمرقنـد، وبهـا رباط معـروف يقـال له ربـاط خرقان، منها القاضى أحمـد بن الحسين بن يوسف الخرقانى يعرف بمـاه اندرجبه، كـان واعظا، سمع الحـديث من السيد أبى الحسن محمد بن محمد بن زيد الحسينى العلوى، روى عنه عمر بن محمد النسفى إن شاء الله، وتـوفى بالفارياب من نواحى جـوزجانان فى أواخـر شهر رمضـان سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

وبكر بن عبـد الله بن عبد الرحيـم الخرقانى أحـد الأئمة، ذكره عمر النسفى فـى كتاب القند وقال: توفى فـى عصر يوم الثـلاثـاء الثامـن عشر من ذى القعـدة سنـة خمس وعشـرين وخمسمائة ودفن بمقبرة جاكرديزة، قال: وأنا صليت عليه ولى منه أحاديث.

والحسين بن أبى شهـاب بن أحمد بن حمـزة بن الحسين ابن القـاسم بن حمـزة بن الحسن بن على بن عبيـد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب العلوى الخرقانى، أبـوه أبو شهاب أخو السيـد أبى شجاع، يروى عن الخطيب أبى القاسم محمود بن أحمد الـزهرى، روى عنه أبو حفص عمـر بن محمـد بن أحمـد النسفى الحـافظ، وتـوفى بسمـرقند فى رجب سنـة أربع وعشـرين وخمسمائة وهـو ابن ست وسبعين سنة ودفن قبالة جامع سمرقند.

وأبـو على الحسين بن يـوسف بن أبى يعقـوب الخرقـانى الإمام الخطيب كـان فقيها فـاضلا وكـان يدرس بسمـرقند فى مدرسة رأس سكة عمور، يروى عن الإمام الخطيب أبى القاسم محمود بن أحمد الزهرى الخـرقانى، سمع منه عمر بن محمد النسفى، وتوفى بسمرقند يوم السبت الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول سنـة خمس وخمسمـائه، ودفـــن بجـاكـرديـزة، وكانـت ولادتـه فى سنة أربـع وثلاثيـن وأربعمائـة.

وأبو بكر محمد بن جبـريل بن يحيى بن جبريل بن صالح ابن يوسف الخرقانى الخطيب، يروى عن أبى القاسم محمود ابن أحمـد الـزهـرى الخرقـانى الخطيب، روى عنـه عمـر بن محمـد النسفى، وتـوفى فى ذى القعدة سنـة اثنتين وعشـرين وخمسمـائة، ودفن بجـاكـرديزة، وكـانت ولادتـه سنـة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

وأبو محمد مسعود بن محمود بن أحمد الخرقانى الزهرى، كان عالمًا فاضلا، وكان خطيب خرقان بعد أبيه، وأراد قاضى القضاة أحمد بن سليمان فى زمن أحمد خان أن يكون نائبه فى القضاء بخرقان فأبى فقصده فهـرب إلى كاشغر ومات بها وقد اكتهل.

(الأنسـاب للسمعـانى ٢ / ٣٤٨، ٣٤٩. انظـر أيضـا اللبـاب لابن الأثير، ١ / ٥٠٦).

* **الخرقة الصوفية:**

من المسـائل التى لها صلـة وثيقـة بالصـوفية هى إلبـاس الخرقة الصـوفية، وهذه الخرقة من أركـان الطريق الأربعة التى يقول عنها الدكتور توفيق الطويل: قالوا إن العصر العثمانى قد أقبل وللطـريق فى مصر أركـان أربعـة لا يستقيم بغيرهـا، ولا يتولى المشيخة واحد من أهله إلا إذا توفرت فيه خصائص هذه الأركان ـ التى تهيأت لأرباب الطـريق قبل العصر العثمانى فى عرف الداعين إليها ـ وهـذه الأركان هى: تلقين الذكر، إدخال الخلـوة، إرخاء العـذبة، وهى الـزيادة المـدلاة من العمامـة ـ وإلبـاس الخـرقـة: وهى عـرقيـة وجبـة ورداء، أو طـاقيـة من القطن، أو هى الأثـر قميصـا أو رداء أو جبـة أو عمـامـة !! (التصوف فى مصر / ٦٩، ٧٠).

وقد ألف الإمام السيوطى رسالة ردا على ابن تيمية، ويروى التاريخ أن السيوطى ألبس الشعـرانى خرقة الصوفيـة. وقد قال

ابن الربيع الشيباني الزبيدي في كتابه «تمييز الطيب والخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث»:

«لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من عليٍّ قال ابن دحية وابن الصلاح: إنه باطل، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدا من أصحابه بفعل ذلك، وكل مايروى في ذلك صريحا فباطل.

ثم قال: إن من الكذب المفترى قول من قال إن عليا ألبس الخرقة الحسن البصري، فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن أن يلبسه الخرقة.

وهنا يأتي رأي السيوطي الدال على تحمسه للصوفية والدفاع عنهم. قال في رسالة له بعنوان «إتحاف الفرقة برفو الخرقة».

مسألة ــ أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب، وتمسك بهذا بعض المتأخرين فخدش به في طريق لبس الخرقة وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه. وقد رجحه أيضا الحافظ ضياء الدين المقدسي في المختارة، فإنه قال: الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي وقيل لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر في أطراف المختارة.

الوجه الأول ــ أن العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدم على النافي لأن معه زيادة علم.

الثاني ـ أن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر باتفاق وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها، فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه وأخرجته إلى عمر فدعا له «اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس» ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسننه.

ثم قال: ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل عثمان وعلي إذا ذاك بالمدينة، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة.

وزيادة على ذلك أن عليا كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة والحسن في بيتها هو وأمه.

الوجه الثالث ــ أنه ورد الحسن ما يدل على سماعه منه أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس عن يونس بن عبيد قال: سألت الحسن قلت يا أبا سعيد!! إنك تقول: قال رسول الله ﷺ وإنك لم تدركه؟.

قال يا ابن أخي: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ولولا منزلتك مني ما أخبرتك إني في زمان كما ترى ـ وكان في عمل الحجاج ـ كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا.

ثم أورد السيوطي أحاديث وردت في السنن الصحيحة فيها رواية الحسن عن علي. من ذلك ما رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن الحسن عن علي قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول: رفع القلم عن ثلاثة عن الصغير حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يكشف عنه».

وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي عند الكلام على هذا الحديث: قال علي بن المديني: الحسن رأى عليًّا بالمدينة وهو غلام. وقال أبو زرعة: كان الحسن البصري يوم بويع لعلي ابن أربع عشرة سنة، رأى عليًّا بالمدينة ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك. وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًّا. انتهى. ثم قال السيوطي: قلت وفي هذا القدر كفاية. ويحمل قول النافي على ما بعد خروج علي من المدينة.

ولم يكتف الجلال السيوطي بذلك، بل تناول الموضوع في كتابه « تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية »:

قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين بن الصلاح إمام

الشافعية والمحدثين فى عصره : لبس الخرقة من القرب، وقد استخرج لهـا بعض المشايخ أصـلا من سنة النبـى ﷺ، وهو حديث أم خالـد بنت خالد بن سعيد بـن العاص أن رسول الله ﷺ أتى بكسـوة فيهـا خميصة فقـال : من تـرون أحق بهـذه؟ فسكت القوم. فقال: ائتونى بأم خالـد فأتى بها فألبسها إياها ثم قال: أبلى وأخلقى مرتين. رواه البخارى.

قال ابن الصلاح ولى فى لبس الخرقة إسناد عال جدا، وقد أخذها الحسن البصرى من على بن أبى طـالب، وهو أخذها من النبى ﷺ. قـال ابن الصـلاح: وليس بقـادح فيما أوردنـاه كون لبس الخرقة ليس متصلا إلى منتهاه على شـرط أصحاب الأحاديث فى الأسـانيد، فإن المراد ما تحصل البـركة والفائدة باتصـالها بجماعة من السـادة الصالحين (صفحـات من تـاريخ مصـر/ ٢٨ـ٣٢).

(التصوف فى مصر إبان العصر العثمـانى ـ د. توفيق الطويل. تاريخ المصريين (٢١) الهيئة المصـرية العامة للكتاب ١٩٨٨ / ٧٠، وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة/ ٢٨ ـ ٣٢. انظر أيضـا «إتحاف الفـرقة بـرفو الخـرقـة» للحفظ جلال الـدين عبد الـرحمن السيوطى المطبوع فى الحاوى للفتاوى ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٤).

*** الخرقة ونسبها:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم: ٧١٥٩.

ـ رسالة فى لبس الخـرقة الصـوفية ومن لقى المـؤلف من المشايخ والأولياء وبعض تراجمهم.

المؤلف : أبـو بكر محمد بن أبى العباس أحمـد التوزرى القسطلانى المتوفى سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م.

أولها : الحمـد لله الذى نشر ألـوية العارفين لطى نـزعات الخطـرات النفسـانيـة ، وستـر ظـاهـر المـوقنين بمـا كشف لظواهـرها من طرقـات اللحظات ... أما بعـد فقد سأل بعض السـادة الأعيـان من خُلَّصِ الإخـوان ... أن أعين من ألبسنى الخرقة ...

آخرهـا : ورأيت الشيخ أبا السعـود الواسطى وانتفعـت به ومن تركنا أضعاف من ذكرنا غير أن هذا لذوى الألباب ... فهو لما يؤمل من فضله أهل وهو بكل شىء عليم.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر

مصادر عن الرسالة : الكشف ١/ ٦٢ وجاء اسمها : ارتفاع الرتبة باللباس والصحبة.

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٨/ ٢٩٩، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٧.

(فهرس مخطـوطات دار الكتب الظاهـرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٩٧، ٤٩٨).

انظـر : رسـالة فى إلبـاس الخـرقـة، رسـالة فى الخـرقـة القادريـة، رسالـة فى لبس الخـرقة الشريفـة لأهل الطـريقة، سلسلة النسبـة المتواترة بين المـريدين فى لبس الخرقـة وأخذ العهد والتلقين، سنـد لبس الخرقـة والتلقين والصحبة، نسب الخرقة.

*** الخَرَقى:**

قال السمعانى :

الخرقى : بفتح الخاء المعجمة والـراء وفى آخرها القاف، هذه النسبة إلى خـرق، وهى قرية على ثلاثـة فراسخ من مرو، بها سوق قائمة وجامع كبير حسن، والمشهور بالنسبة إليها أبو قابوس محمد بن موسى الخرقى، يروى عن المقرئ وغيره، لا بأس به.

وعبد الرحمن بـن بشير الخرقى يعرف بمردانـه، يروى عن حدير وغيـره، وكان فاضلا، روى عنه أحمـد بن سيار الإمام، أثنى عليـه أبو زرعـة السنجى، وقال : عبـد الرحمن بن بشيـر الرجل الصـالح يعرف بمردانه، مـن قرية خرق، سمع جـريرا وابن عيينة.

وأبو مذعور محمد بن عبيـد الله الخرقى المروزى، حدث عن إسحــاق بن منصـور وعلى بـن حجـر وعلى بن خشـرم وغيرهم.

وإسحـاق بن الليث الجدى الخـرقى سكن قـرية خـرق، حدث عنه ابنه.

والحسن بن رشيـدالخـرقى، من القدمــاء، يـروى عــن

عبد الله بن جريج، روى عنه جماعة ذكره أبو زرعة السنجي.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن قطن الخرقى، كان عالما بالعربية ومسائل مالك، من قرية خرق ـ هكذا ذكره أبو زرعة السنجي.

وجماعة كثيرة من أهل هذه القرية سمعت منهم وهم أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى بشر الخرقى، فقيه فاضل متكلم يعرف الأصول، أقام بنيسابور مدة، سمع أبا بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى وأبا الحسن على بن أحمد بن محمد المدينى، سمعت منه بقرية خرق، وتوفى سنة نيف وثلاثين وخمسمائة.

وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى قاضى خرق، من أولاد العلماء، سمع أباه وجدى الإمام أبا المظفر السمعانى، كتبت عنه بقريته، وتوفى فى حدود سنة أربعين وخمسمائة.

(الأنساب للسمعانى ـ تحقيق وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٩. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٧).

* **الخِرَقى:**

قال السمعانى:

الخِرَقى: بكسر الخاء المعجمة وفتح الراء وفى آخرها القاف، هذه النسبة إلى «بيع الثياب والخرق» منهم جماعة ببغداد وأصبهان، وأبو على الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى الحنبلى، والد عمر بن الحسين صاحب المختصر الفقيه على مذهب أحمد بن حنبل، حدث عن أبى عمر الدورى المقرئ وعمرو بن على البصرى والمنذر بن الوليد الجارودى ومحمد بن مرداس الأنصارى وغيرهم، روى عنه أبو بكر الشافعى وأبو على بن الصواف وعبد العزيز بن جعفر الحنبلى.

وأبو طاهر عمر بن عمر بن محمد بن على بن عمر بن يوسف بن محمد بن عمرو بن زاده الدلال الخرقى، من أهل أصبهان، سمع أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المقرى، وروى عنه نسخة جويرية بن أسماء ونسخة ورقاء، روى لنا عنه الأديب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك الخلال، ولم يحدثنا عنه سواه، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، وكان أميًّا.

وأبو العباس أحمد بن بن محمد بن أحمد بن محمد الخرقى، من أهل أصبهان، حدث عن أبى على الحسن بن عمر بن يونس الحافظ الأصبهانى، سمعت منه بأصبهان، وقرأت عليه الأربعين التى جمعها أبو عبد الرحمن السلمى بروايته عن ابن يونس عنه.

وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد بن عبد الحميد الخرقى، المعروف بابن حمدى، من أهل بغداد سمع القاسم بن زكريا المطرز ومحمد بن طاهر بن أبى الدميك وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى وعلى بن إسحاق ابن زاطيا والهيثم بن خلف الدورى وعمر بن الحسن الحلبى وبشر بن أنس الموصلى وشعيب بن محمد الذارع وأحمد بن خالد البرتى وعبد الله بن يزيد الدقيقى ومحمد بن الحسن الخواتيمى ومحمد بن هارون الحضرمى، روى عنه أبو الحسن الدارقطنى وأبو بكر أحمد بن محمد البرقانى ومحمد بن الفرج البزاز وعلى بن أحمد بن عبد السلام المقرى وأبو الحسن العتيقى وأبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهرى فى آخرين، وكان ثقة أمينا وتوفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

وأبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى، من أهل بغداد، صاحب الكتاب المختصر فى الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان فقيها صالحا سديدا شديد الورع، قال القاضى أبو يعلى بن الفراء: كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج عن مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة وأودع كتبه، قال فحكى لى عن أبى الحسن التميمى أنه قال: كانت كتبه مودعة فى درب سليمان، واحترقت الدار التى كانت فيها، واحترقت الكتب أيضا، ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد، ومات الخرقى بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (الأنساب ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠).

وكتابه «المختصر» فى الفقه يعرف بمختصر الخرقى، وهو

أهم متن فى الفقه الحنبلى، شرحه كثيرون وأشهرها شرح ابن قدامة فى «المغنى» وتخرج على الخرقى جماعة من شيوخ المذهب (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٤٢) وشرحه أيضا الشيخ الإمام أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء الحنبلى.

قال صاحب كشف الظنون: والناس يتبركون بقراءته فى أيام الوباء (كشف الظنون ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦)

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٤٩، ٣٥٠، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د. محمد الزحيلى / ٤٤٢ وكشف الظنون لحاجى خليفة ٢ / ١٤١٥، ١٤١٦. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥٠٧).

*** الخَرْكُوشى:**

قال السمعانى:

الخَرْكُوشى: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الكاف وفى آخرها الشين، هذه النسبة إلى خركوش وهى سكة نيسابور كبيرة، كان بها جماعة من المشاهير مثل أبى سعد عبد الملك بن أبى عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشى الزاهد الواعظ أحد المشهورين بأعمال البر والخير، وكان عالما زاهدا فاضلا، رحل إلى العراق والحجاز وديار مصر، وأدرك العلماء والشيوخ، وصنف التصانيف المفيدة، سمع القاضى أبا محمد يحيى بن منصور بن عبد الملك وأبا عمرو إسماعيل ابن نجيد السلمى وأبا على حامد بن محمد بن عبد الله الرفاء وأبا سهل بشر بن أحمد الإسفراييني وعلى بن بندار الصوفى وأبا أحمد محمد بن محمد بن الحسين الشيبانى وأقرانهم، روى عنه أبو محمد الحسن بن محمد الخلال والحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو القاسم الأزهرى وعبد العزيز بن على الأزجى وأبو القاسم التنوخى وجماعة سواهم آخرهم أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى، تفقه فى حداثة السن وتزهد وجالس الزهاد المجردين إلى أن جعله الله خلفا لجماعة من تقدمه من العباد المجتهدين والزهاد القانعين، وتفقه للشافعى على أبى الحسن الماسرجسى، وسمع بالعراق بعد السبعين والثلاثمائة، ثم خرج إلى الحجاز وجاور حرم الله وأمنه مكة صحب بها العباد الصالحين، وسمع الحديث من أهلها والواردين، وانصرف إلى نيسابور ولزم منزله وبذل النفس والمال للمستورين من الغرباء والفقراء المنقطعين بهم وبنى دارا للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور، وقام جماعة من أصحابه المستورين بتمريضهم وحمل مياههم إلى الأطباء وشراء الأدوية، وصنف فى علوم الشريعة ودلائل النبوة وفى سير العباد والزهاد، كتب نسخها جماعة من أهل الحديث وسمعوها منه، وصارت تلك المصنفات فى بلاد المسلمين تاريخا لنيسابور وعلمائها الماضين منهم والباقين. وكانت وفاته فى سنة ست وأربعمائة بنيسابور، وزرت قبره غير مرة.

وأبو الفتوح عبد الله على بن سهل بن العباس الخركوشى من أهل هذه السكة شيخ صائن عفيف، مليح الشيبة، ثقة صدوق، سمع أبا القاسم إسماعيل بن زاهر النوقانى وأبا عمرو عثمان بن محمد بن عبد الله المحمى وأبا بكر أحمد بن على ابن خلف الشيرازى وأبا الفضل محمد بن عبيد الله الصرام وغيرهم، كتبت عنه بنيسابور فى النوبة الأولى، ورحلت بابنى إلى نيسابور فى الكرة الثالثة وأكثر عنه، وقرأت عليه أكثر التاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوى، وكانت ولادته فى شعبان سنة ست وستين وأربعمائة ووفاته فى شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة بنيسابور.

(الأنساب للسمعانى ٢ / ٣٥٠، ٣٥١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥٠٧، ٥٠٨).

*** الخَرْم:**

فى علم العروض والقافية: هو حذف الميم من مفاعيلن ليبقى فاعلين فينقل إلى مفعولن، ويسمى أخرم (التعريفات / ١٣٢).

وأصل الخَرْم فى اللغة ذهاب بعض الشىء، ومنه الخَرْم فى الأنف «والأخرم من الشعر» عند الخليل «ما كان فى صدره وتد مجموع الحركتين فخرم أحدهما وطرح، كقوله:

إنَّ آمْرَءًا قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً
إلى مثلها يرجو الخَلُودَ لجاهلُ

قال الخليل: تمامه: وإنَّ امرءا»

فالخَرْم هـو حذف أول متحرك من الوتـد المجموع فى أول البيت، يكون فى فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن. وإذا كان الجزء أولـه سبب وزوحف فصار أولـه وتـدا، فإن بعضهم يجيز فيـه الخرم تشبيهـا بما أوله وتـد أول. وبعضهم لا يجيز الخـرم فيه لأن الأصل أن أوله كان سببا. ومن يجيـز الخرم فى فعولن فى الجزء الذى يقع فى أول النصف الثانى من البيت يشبهه بالجزء الذى يقع فى أول البيت، كقوله:

وَعَيْـنٌ لهـــــا حَـــــدْرَةٌ بَـــــدْرَةٌ
شُقَّتْ مــــآقيهمَــــا من أُخَــــرْ

ومن أمثلة حـدوثه فى أول الجَـزء الأول من النصف الثانى من البيت قول الأعشى:

مـــوتـــوا كـــرامـــا بأسيـــافكـم
فـــالمـــوت يجشمــــه من جشم

وقـد يقع الخـرم فى الطـويل والمتقـارب والهزج والـوافـر والمضارع والكامل، ومن أمثلته فى الكامل:

غيـــر أن كُثْــر الأســود وأهلكت
صـرف المنـون أكـابـــر الأقــوام

فاعلن.

أصلهـا متفاعلن فحـذف حرفـان. وهنا جـاء الخرم بعـد الوقص والأخرم لقب لكل ما أصابه الخرم. وإن اختص أحيانا بأول الهزج، ويقابله فى الوافر الأقصم، وإن اجتمع مع الخرم زحــاف تغيـر المصطلـح كـالأثلـم، والأخـرب، والأثـرم، والأعقص ... إلخ. (معجم مصطلحـات العروض والقافيـة / ١٠١، ١٠٢).

قال صاحب العمدة:

وقد يأتـون بالخـرم كثيرا ــ وهو ذهـاب أول حركـة من وتد الجزء الأول من البيت ـ وأكثر ما يقع فى البيت الأول، وقد يقع قليـلا فى أول عجـز البيت، ولا يكـون أبدا إلا فى وتـد، وقـد أنكـره الخليل لقلتـه فلـم يجـزه، وأجــازه النـاس، أنشـده الجوهرى:

قـــدَّمت رجـــلا فإن لـم تـــزع
قـــدَّمت الأخــرى فنلت القـــرار

وأنشـد أبـو سعيـد الحسن بن الحسين السكـرى لامـرئ القيس:

لقـــد أنكـــرتنى بعلبكُّ وأهلهـــا
وابن جـــريـح كـــان فـى حمص أنكـــرا

هكذا روايته، ورواه غيره * ولَابْنُ جريح * بغير خرم. فإذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرم، وهو قبيح. وهذان عيبـان تدلك التسمية فيهما على قبحهمـا؛ لأن الخرم فى الأنف، والثـرم فى الفم، إنمـا كانت العـرب تأتى بـه لأن أحـدهم يتكلم بالكـلام على أنه غير شعر، ثم يـرى فيه رأيـا فيصـرفه إلى جهـة الشعـر؛ فمن ههنـا احتمل لهم وقبح على غيرهم. ألا ترى أن بعض كُتَّاب عبـد الله بن طاهر عاب ذلك على أبى تمام فى قوله:

* *هُن عوادى يوسف وصواحبه* *

على أنـه أولى الناس بمذاهـب العرب (العمـدة ١ / ١٤٠، ١٤١).

(التعـريفات للشـريف الجرجـانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢، ومعجم مصطلحـات العروض والقافية ــ د. محمد على الشـوابكة، و د. أنـور أبو سـويلم / ١٠١، ١٠٢، والعمدة فى محـاسن الشعر ونقده لابن رشيق ـ حققه وفصَّلـه وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ١ / ١٤٠، ١٤١).

*** الخُزَم:**

وهو عند المغاربة السـوسن الأزرق. قال ابن وحشية: هو نبات ينبت فى البساتين، ذو أوراق قليلـة العرض يحمل زهرا متفـرق الورق، لـونه بنفسجى، بل هـو أحسن من البنفسج، وهو كثير بأرض الفـرس، وهم يعظمونه ويتبركـون به لأن شمه والنظر إليـه يحدث سـرورا فى النفس ويفـرحها ويزيـل غمها المعتـرض لها بـلا سبب، وإذا أمسك إنسـان ورقة فى كفـه، حبب إلى كل من ينظر إليه، ولم يذكر أحد كيفية إفلاحه لكونه مما ينبت لنفسه زمن الربيع والله أعلم.

الوصف والتشبيه:

قال بعض الأندلسيين (الخفيف)

بـــز ثـــوب البهـــاء والـــلألاء
زهـــر الـــروض خـــزَّم الصحـــراء

عـــاف لـــون البيـــاض ثـــوب أخيـــه
وتبـــــدى فـى حلـــة زرقـــاء
لـــو حـــواهــا الطـــاووس أصبح
لاشك منهـــا يملك طيـــر الهـــواء
عــــزة فـى طبـــاعـــه وعلـــو
قـــد أنـــافـــا بـــه علـى العليـــاء

يريد بأخيه السوسن الأبيض.

(مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد / ٢٧٣).

*** الخرنوب (أو الخروب):**

الخرنـوب هـو الخـروب، وقـد ورد بـالاسمين فى معجم النباتات كما يلى:

خـروب: كتنـور نبت معـروف والخـرنـوب بـالضم على الأفصح وقد تفتح هذه الأخيرة واحدته خرنوبة وخرنوبة، أبدلوا النـون من إحدى الـراءين كـراهية التضعيف وقـال أبو حنيفـة [الدينورى] هو شجر برى وشامى بريه يسمى الينبوتة شوك أى ذو شوك وهو الذى يستوقد به يرتفع قدر الذراع ذو أفنان وحمل أجم خفيف كالتفاح هكـذا فى النسخ والصحيح النفاخ بضم النون وتشديـد الفاء وآخره خاء معجمـة لكنه بشع لا يؤكل إلا فى الجهد وفيه حب صلب زلال وشاميه وهو النوع الثانى حلو يؤكل ولـه حب كحب الينبوت إلا أنـه أكبر ذو حمل كـالخيار شنبر إلا أنه عـريض وله رب وسويق. وفى التهذيب الخـرنوبة والخروبة شجـر الينبوت وقيل الينبوت الخشخـاش قال وبلغنا فى حديث سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أنه كـان ينبت فى مصلاه كـل يوم شجـرة فيسألهـا ما أنت فتقـول شجرة كـذا أنبت فى أرض كذا أنـا دواء من داء كذا فيؤمـر بها فتقطع ثم تصـر ويكتب على الصـرة اسمها ودواؤهـا حتى إذا كان فى آخـر ذلك نبتت الينبوتـة فقال لهـا ما أنت فقـالت أنا الخـروبة وسكتت فقـال سليمان الآن أعلم أن الله قـد أذن فى خراب هـذا المسجد وذهـاب هذا الملك فلم يلبـث أن مات كـذا فى لسـان العـرب.

والخروب والخـرنوب شجر ينبت فى جبال الشـام له حب كحب الينبوت يسميـه صبيان أهل العراق القثاء الشـامى وهو يابس أسود (معجم النباتات / ٥١).

قال عنه داود الأنطاكى:

خرنوب: وقـد تحذف النون، نوعـان شامى يسمى القريط وهو شجر أعظم من شجر الجـوز جبلى لا يوجد إلا فى البلاد الـزائد عرضهـا على الميل وينمـو فى الجبال الشـامخة ورقـه مستدير إلى الغليظ وزهـره إلى الذهبية وحمله قـرون نحو شبر وأقل، وقد حشى حبا مفرطحا يوزن به الذهب. وأجوده الغليظ الشحم الصـادق الحلاوة الـرقيق القشر الـذى لم يجاوز سنـة وغيره ردىء ويقطف ببابـه (أكتوبر) وهو بـارد فى الأولى يابس فى الثـانية فإذا اشتـدت حلاوتـه ونضج صار حـارا فى الأولى يخصب البدن ويولـد خلطا جيدا إذا انهضم وينفع من الفتق إذا أكل ببزره ويـدر البول بالـدبس وتدلك به الثـآليل فيقطعها وقبل بلـوغـه يروِّب اللبن إذا طـرح فيـه فيصير لذيـذا يقـارب القـريشـة ويفتح الشهـوة ويسمن بـالتجربـة ويـزيل السعـال المزمن ويعصر منه دبس يسمـى الرب تستعمله أهل مصر فى إسهال الخلط المحترق وغلبـة الحر لبرد فيه بـالنسبة إلى باقى الحلاوات. وكثيرا مايشـربونه باللبن فيصلح لكنه يـولد الرياح الغليظة المـزمنة وهـو جيد لأوجاع الصـدر مقو للمعـدة وبزر الخـرنـوب إذا دق وطبخ وضمـد بـه حلل الأورام ومنع بـروز المقعدة وقطع النزف ونوع نبطى ويقـال برى ويسمى البطريون وهو شـوك بين أوراق دقيقة ينبت بالقطن والبطيخ كثيـرا يطول نحو ذراع بفروع زاهية وحمله كالكلية الصغيرة ولا يختص بزمن لكن فى الأغلب يدرك بآب (أغسطس) ...

وهذا بارد يابس فى الثـانية عفص قابض يرض وينقع وتبل فيـه الثيـاب المصبـوغـة فيفطمهـا عن نفض الصبغ مجـرب ويسهل بالعصـر كالسفرجل ويقطع الـدم حيث كان ويحبس الإسهـال المـزمن ويثبت الأسنـان وقشـره يقلعها بـلا حـديـد ويسقط الثآليل وإذا عجن مع الحناء وخضب بـه الشعر طوّله وشده وحسنـه وإن لوزم منع الشيب وإن خضب بـه البدن منع الإعياء وقوى الأعضاء وماؤه مع ماء الآس ينقى الأجساد ويثبت

الصاعد وهو يؤكل فى المجاعة خبزا كذا فى الفلاحة والخرنوب بأسره ردئ للمعدة بطئ الغذاء يولد السوداء ويصلحه الحلو (التذكرة/ ١٣٧).

وأورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز لها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية».

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

خرنوب ـ «ع» هو الخرنوب الشامى، وقوته قوة مجففة، فى ثمرته شيء من الحلاوة، وهى ما دامت غضة بإطلاق البطن أحرى، وإذا جففت حبست البطن من طريق أن رطوبتها تنحل، وهو يولد دما رديئا وفيه خشبية، وهو عسر الانهضام، ولا ينحدر ولا يخرج عن البطن سريعا وإن دلك الثآليل بالخرنوب الفج دلكا شديدا أذهبها البتة، والخرنوب الشامى ثلاثة أنواع، وهو حار فى الدرجة الأولى، يابس فى آخر الثانية، وهو حار حابس للبطن، قاطع لدم الطمث إذا جرى فى غير وقته، وهو رديء للصدر والرئة، مقو للمعدة، وأفضل أنواعه الصندلانى، فهو ألين من النوعين الآخرين، وأقوى حلاوة من جميعها، وأكثرها خشبية، وهو المأكول، والنوع الآخر يقاربه فى حلاوته، غير أنه أخشن جسما وأقوى، وهو شديد القبض، ظاهر اليبس، ومنه يتخذ فى الشام رب الخرنوب. ومن أعجب مافيه من قوة القبض: أنه إذا أكل على الريق حبس البطن، بالذى فيه من قوة القبض، وإذ طحن ونقع فى الماء واعتصر، واتخذ من مائه الرب المسمى برب الخرنوب، كان مطلقا للبطن، مائلا إلى البرودة والرطوبة، محركا للمرار الأصفر، بسرعة استحالته إلى جوهرها إذا وافاها فى المعدة. وأما الخرنوب البرى فإنه نحيف القرون دقيقها ضئيل لا حلاوة له ولا طعم، وليس ينتفع بثمرته بشيء، وإنما ترتعيه المعز. والخرنوب الهندى هو الخيار شنبر، والخرنوب النبطى هو خرنوب الشوك، وخرنوب المعزى، وهو الينبوت بالعربية، وخرنوب مصرى، وخرنوب قبطى، هو خرنوب شجر السنط، ومن هذا الخرنوب يعتصر الأقاقيا بالديار المصرية فى حين غضاضته، ويقال لعصيره: رب القرظ.

«ج» الخرنوب الشامى: المجفف منه أصلح من الرطب، وهو قابض بارد يابس، ييبسه فى الدرجة الثانية، وقيل إنه حار فى الدرجة الأولى، وهو يعقل البطن مع جلاوته ولا يلذع، والرطب يطلق، واليابس ينفع من الخلفة، والفج إذا دلكت به الثآليل أذهبها. والخرنوب النبطى يقال له خروب، بغير نون، وهو خروب الشوك ويسمى قضم قريش وهو بارد قوى القبض، يابس فى الدرجة الثالثة، يذهب الثآليل إذا دلكت به دلكا شديدا، والمضمضة بطبيخه تقوى الأسنان والجلوس فى طبيخه يقوى السفل، وهو نافع من سيلان الدم المفرط أكلا واحتمالا، وينفع من المغص والإسهال، وخلطه رديء القتل، خاصة إذا أكل رطبا.

«ف» هو ثلاثة أصناف: نبطى، وشامى، وبرى. أجودها الشامى المجفف، بارد يابس فى الثانية، يعقل الطبع. والنبطى ينفع من بروز الرحم والبواسير. والشربة: خمسة دراهم (المعتمد ١/ ١١٩، ١٢٠).

وقد أورده تحت اسم «خروب» الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى أرجوزته المعروفة بالشقرونية فى بيتين نسوقهما هنا مع الاحتفاظ بالأرقام التى وردت فى النص. قال الناظم:

٣٣٥ ـ *والحر ثم اليبس فى الخروب*
وهو عسير الهضم ذو خطوب

٣٦٣ ـ *يصير خلطا جيدا إذا انهضم*
ويعقل البطن إذا حل السقم

(الطب العربى/ ١٢٥)

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى/ ٥١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى/ ١/ ١٣٧، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١١٩، ١٢٠).

والطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ١٢٥ . انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى / ٣١٩).

*** الخروب:**

انظر: الخرنوب

*** الخروب الهندى:**

انظر الخيار شنبر

*** الخروبى (ـ٥٢٢هـ):**

أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى الوادى آشى، أبو العباس ـ وقيل أبو عبد الله ـ الخروبى . من أهل وادى آش، قال ابن الزبير: كان فقيها جليلا، نحويا لغويا أديبا . روى عن أبى الوليد بن رشد، وأبى القاسم بن الحصار المقرئ، وأبى عبد الله بن أبى العافية، وأبى عبد الله المازرى (بغية الوعاة ١ / ٣٨٢، وطبقات المفسرين للداودى ١ / ٨٥)

وعن أبى بحر سفيان بن العاصى، وأبى بكر بن غالب بن عطية، وأبى الحسين شريح، وأبى على الصدفى، وأبى الحسن بن الباذش، وابن خيرة، وعبد الحق بن غالب بن عطية، وأجازه المازرى.

وروى عنه أبو الخطاب بن واجب، وعبد المنعم بن الفرس، وأبو ذر الخشنى وأبو عبد الله الأندرشى وجماعة أجلاء فضلاء.

وكان فقيها عارفا متقنا للقراءات وأصول الفقه وعلم الكلام، حسن القيام على تفسير القرآن العظيم . محدثا راوية مكثرا، حسن المشاركة فى كثير من فنون العلم، يغلب عليه حفظ اللغة والآداب، مقدما فى كل ما ينتحله، موفور الحظ من علم العربية، يقرض يسيرا من الشعر، واستقضى ببلده فشكر.

توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة (طبقات المفسرين للداودى ١/ ٨٥، ٨٦)

(بغية الوعاة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٣٨٢، وطبقات المفسرين للداودى ـ بتحقيق على محمد عمر ١ / ٨٥، ٨٦ . انظر أيضا طبقات المفسرين للسيوطى ـ بتحقيق على محمد عمر / ٣٣).

*** الخرُّوبية (مدرسة ـ):**

عدد على مبارك نقلا عن المقريزى ثلاث مدارس بهذا الاسم جاء بيانها كما يلى:

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة بظاهر مدينة مصر تجاه المقياس بخط كرسى الجسر. أنشأها كبير الخرّاربية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى ـ بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة وضمها، ثم واو ساكنة بعدها ياء موحدة ثم ياء آخر الحروف ـ التاجر فى مطابخ السكر وفى غيرها بعد سنة خمسين وسبعمائة، وأنشأ أيضا ربعين بخط دار النحاس من مصر على شاطىء النيل، وربعين مقابل المقياس بالقرب من مدرسته، ومات بدر الدين هذا سنة اثنتين وستين وسبعمائة انتهى.

وهذه المدرسة: هى المعروفة الآن بجامع القبوة بمصر القديمة .

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة بخط الشون قبلى دار النحاس من ظاهر مدينة مصر. أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى، وهى أكبر من مدرسة عمه بدر الدين إلا أنه مات سنة ست وسبعين وسبعمائة قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها فليس لها مدرس ولا طلبة، ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة، ونشأ فى دنيا عريضة رحمه الله تعالى انتهى.

أقول: والذى يغلب على الظن أن الباقى من هذه المدرسة هو الضريح المعروف اليوم بضريح سيدى شاهين المغربى، الكائن على يسرة السالك فى طريق مصر القديمة بقرب بيت الست البارودية من الجهة القبلية، وهذا الضريح داخل مزار صغير وعليه قبة مرتفعة، ومغروس أمامه من الجهة

الغربية بعض أشجار، وهناك بئر ماء معينة بناؤها قديم.

المدرسة الخروبية

قال المقريزى: هذه المدرسة على شاطىء النيل من مدينة مصر. أنشأها تاج الدين محمد بن صلاح الدين أحمد بن محمد بن على الخروبى لما أنشأ بيتا كبيرا مقابل أخيه عز الدين قبلية على شاطىء النيل، وجعل فيه هذه المدرسة، وهى ألطف من مدرسة أخيه، وبجوارها مكتب وسبيل، ووقف عليها أوقافا وجعل بها مدرس حديث فقط، ومات بمكة فى آخر المحرم سنة خمسة وثمانين وسبعمائة أنتهى.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٥، ١٦).

*** الخروج:**

فى علم العروض والقافية:

الخروج بثلاثة أحرف وهى الألف والواو والياء يتبعن هاء الضمير إذا كانت وصلا. وإنما سمى خروجا لبروزه وتجاوزه للوصل التابع للروى. ومن أمثلة الخروج: الألف كقوله:

رَحَلَتْ سُمَيَّة غُدْوة أجمالها

فاللام روى والهاء وصل والألف خروج.

والياء كقوله:

تَجرَّد المجنون من كسائهى (كسَائه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والياء خروج.

والواو فى قوله:

وبَلَد عَامِيَةٌ أعماؤهو (أعماؤه)

فالهمزة روى، والهاء وصل، والواو خروج.

(معجم مصطلحات العروض والقافية ـ د. محمد على الشوابكة، و د. أنور أبو سويلم / ١٠٢، ١٠٣).

*** الخروج عن الأموال و التجرد منها:**

بسط القول فيه الإمام ابن الجوزى، وهو يشير إلى نفسه بعبارة «قال المصنف» وننقله لك فيما يلى، وقد ورد تحت عنوان «ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الخروج عن الأموال والتجرد منها»:

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم، فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤونة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيرا وضياعا والحديث بإسناد عن محمد بن الحسن السليمى قال: سمعت أبا نصر الطوسى قال: سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون: ورث أبو عبد الله المقرئ من أبيه من خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء.

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به. فأما إذا خرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدى الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمنن الإخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه، ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة عليهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع. وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاما طويلا وشيده أبو حامد الغزالى ونصره، والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه. فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه، فقد أزريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمدا ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة. ود ابن عوف فى القيامة أن لم يؤت من الدنيا إلا قوتا. قال: ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن بن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا، فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحى بعير

فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر. فقال له أبو ذر: هيه ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوما فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا، ثم قال: يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال بقولك، فلم يرد عليه حرفا حتى خرج.

قال الحارث المحاسبى: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف فى عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعى إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا. وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثما. وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة. وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل. ويحك هل تجد فى دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه، ويحك إنى لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب دنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل فقال: بعيد والله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد وشيده وقواه يحدث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك فى آن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات. إذ أقل ما فيه اشتغالهم بإصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغى للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل، قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال.

فصل فى رد هذا الكلام: أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواما للآدمى الشريف فهو شريف، فقال تعالى ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما**﴾ [النساء: ٥] ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد فقال ﴿**فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم**﴾ [النساء: ٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: «لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس» وقال: «ما نفعنى مال كمال أبى بكر. والحديث بإسناد مرفوع عن عمرو بن العاص، قال: «وبعث إلىَّ رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى، فأتيته فقال: إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة، فقلت يارسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام، فقال ياعمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح». والحديث بإسناد عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير، وكان آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له، وبإسناد عن الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته، قال: فقلت يا رسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك.

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل، ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقا كثيرا اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهه يعز سلامة القلب من الافتتان به ويبعد إشغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة ولهذا خيف فتنته. فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمن لا بد منه. وأما

من قصد جمعه، والاستكثار منه الحلال نظرنا فى مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان وإغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات، وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرضوا عليه وسألوا زيادته، وبإسناد عن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (الحضر بضم المعجمة عَدْو الفرس) فرسه بأرض يقال لها ثرثر، فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عبادة يدعو فيقول: اللهم وسِّع عليَّ.

وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه: «ونزداد كيل بعير» مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم. وأن شعيبا طمع فى زيادة ما يناله فقال «فإن أتممت عشرا فمن عندك» وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جرادا من ذهب (هو الكثير) فأخذ يحثو فى ثوبه يستكثر منه فقيل له أما شبعت فقال: يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز فى الطباع فإذا قصد به الخير كان خيرا محضا.

وأما كلام المحاسبى فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله: إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير ما ذكره من حديث كعب وأبى ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت، وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادى عن أبى ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل منى. أذر خلفى ست أواق، أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم.

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه، قال يحيى لا يحتج بحديثه، والصحيح فى التاريخ أن أبا ذر توفى سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفى سنة اثنتين وثلاثين، فقد عاش بعد أبى ذر سبع سنين، ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع، ثم كيف تقول الصحابة رضى الله عنهم، إنا نخاف على عبد الرحمن، أو ليس الإجماع منعقدا على إباحة جمع المال من حله، فما وجه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسر سير الصحابة، فإنه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد.

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة، فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناما وليس فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة، أفترى من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى، ثم الحديث يرويه عمارة بن ذازان، وقال البخارى: وربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدارقطنى: ضعيف؛ أخبرنا ابن الحصين مرفوعا إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتا فى المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت؛ فقالت عائشة رضى الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال إن استطعت لأدخلنها قائما، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل.

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه، ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند

العلمـاء. والحديـث الذى ذكـره عن رسـول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته إلخ محال: مـا قاله رسول الله ﷺ قط، وقوله: هل تجد فى دهرك حلالا، فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنبى ﷺ يقـول: «الحـلال بيِّن والحـرام بيِّن». أترى يـريـد بـالحلال وجـود حبة مـذ خـرجت من المعدن مـا تقلبت فى شبهة، هذا يبعد وما طولبنا بـه. بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك. هذا مـذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبى حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول إن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيـرات، ولو ادعى الإجماع على خلاف هذا لصح، ولكن تصوفه غير فتواه، وعن المروزى قال سمعت رجـلا يقول لأبى عبـد الله إنى فى كفـايـة فقال: الـزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى.

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله، وقد بينا أنه إن كان حراما أو فيـه شبهة أو أن يقنع هو باليسير أو بـالكسب جاز له أن يخـرج منه. وإلا فـلا وجه لـذلك، . وأما ثعلبـة فما ضـره المال إنما ضره البخل بالواجب.

وأما الأنبيـاء فقد كان لإبـراهيم عليه الصـلاة والسلام زرع ومـال ولشعيب ولغيره وكـان سعيد بن المسيب رضى الله عنـه يقول لا خيـر فيمن لا يطلب المال يقضى بـه دينه ويصـون به عرضه ويصل بـه رحمه فإن مات تركه ميـراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة، وقد خلف سفيان الثـورى رضى الله عنه مائتين وكان يقـول: المال فى هـذا الـزمـان سـلاح ومـا زال السلف يمـدحـون المـال ويجمعونـه للنوائب وإعـانة الفقراء. وإنمـا تجافـاه قوم منهم إيثارا للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقنعـوا باليسير ولو قال هذا القائل إن التقلل منه أولى قرب الأمر.

فصل: وأعلم أن الفقـر مرض فمـن ابتلى به فصبـر أثيب على صبره، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبـرهم على البلاء، والمال نعمة ولكنـه زاحم به مرتبة الإثم.

والنعمـة تحتـاج إلى شكـر، والغنى وإن تعب وخـاطـر كالمفتى والمجاهد، والفقير كالمعتزل فى زاوية. وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمـى فى كتاب سنن الصوفية بـاب كراهية أن يخلف الفقير شيئا، فذكر حـديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين فقال رسوله الله ﷺ: كيتان.

قال المصنف: وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقيـر كـان يزاحم الفقـراء فى أخـذ الصـدقة وحبس مـامعـه فلذلك قال. كيتان، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسـول الله ﷺ لسعد: إنك إن تـذر ورثتك أغنياء خيـر من أن تذرهـم عالـة يتكففون الناس، ولمـا كان أحـد من الصحـابة يخلف شيئا. وقد قال عمـر بن الخطاب رضى الله عنه: حث رسـول الله ﷺ على الصـدقة فجئت بنصـف مالــى، فقـــال رسـول الله ﷺ: ومـا ألقيت لأهلك؟ فقلـت مثلـه، فلم ينكـر عليه رسـول الله ﷺ قال ابن جريـر الطبرى وفى هـذا الحديث دليل على بطلان مـا يقوله جهلـة المتصوفة أن ليس لـلإنسان ادخار شىء فى يومه لغده، وإن فعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله. قال ابن جـرير، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام «اتخذوا الغنم فإنها بـركة» فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصـوفة أنه لا يصح لعبد التـوكل على ربه إلا بأن يصبح لا شـىء عنـده مـن عين ولا عـــرض ويمسى كذلك، ألا ترى كيف ادخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة.

فصل: وقـد خـرج أقـوام من أمـوالهم الطيبـة ثم عـادوا يتعـرضـون للأوسـاخ ويطلبـون وهـذا لأن حاجـة الإنسـان لا تنقطع، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عنـد بدايـة تزهـدهم مثل من روى فى طريق مكـة فبدد المـاء الذى معـه. والحديث بإسناد عن جـابر بن عبد الله قـال قدم أبو الحصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى دينا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه. فلما أكثر عليه أخذها من يديـه فحذفـه بها لـو أصابتـه لعقرتـه، ثـم أقبـل علـى رسـول الله ﷺ. فقال «يعمـد أحدكم إلى ماله فيتصـدق به ثم يقعد فيتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» وقـد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمـود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل

بمثل البيضة من ذهب فقال: يارسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته. فقال رسول الله ﷺ: «يأتى أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى». وفى رواية أخرى: «خذ عنا مالك لا حاجة لنا به» وروى أبو داود من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثيابا فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من خط أبى الوفاء بن عقيل، قال: قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول يا أبا بكر، أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: ارجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك وأطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: إن كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه.

فصل: وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها. وقال: ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال.

أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدى فى كتابه قال سمعت الجنيد يقول دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا. فقال: ما كان لكم شغل فى الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إلىّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم تنقطع عنه فسألته عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى. فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندى شيء.

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال ما قال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قلّ فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة فمن أين أطعم عيالى؟ وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل، وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرنى. وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال: حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كُلْ فقلت لا آكله فإنه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوما خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت: اللهم إنك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين، فسمعت هاتفا يهتف بى ويقول: ولا يوم اللبن؟

قال المصنف: وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها ـ واعلم أن من يقول هذا يضرنى لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «مانفعنى مال كمال أبى بكر» وقوله: ما نفعنى مقابل لقول القائل: ماضرنى: وصح عنه أنه قال: ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطع أبهرى» (الأبهر عرق فى الظهر، فإذا انقطع لم تبق معه حياة: وتعادنى بالدال المشددة تأتينى المرة بعد المرة).

قالت المؤلفة: هذا الحديث أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ «مازالت أكله خيبر تعتادنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى» من رواية ابن السنى، وأبى نعيم فى الطب، عن أبى هريرة وقال عنه: حديث حسن.

وقد ثبت أنه لا رتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى المطعم فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

فصل: قال المصنف: وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم زهدا فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا

وجمع المال من أى وجه كان إيثارا للراحة وحبا للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلل بطرق الباب. ومعلوم أن الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة (المرة بكسر الميم: القوة) سَوِى ولا يبالون من بعث إليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه. وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك بالفتوح ومنها أن رزقنا لا بد أن يصل إلينا، ومنها أنه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه، وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه. فإن النبى ﷺ قال: الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة. وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا ممن فى ماله شبهة وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفافا وتنزها وعن أبى بكر المروزى قال ذكرت لأبى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة. ثم سكت ثم قال: ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سُنة؟ فقال: لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ... إلخ.

(نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزى / ١٧٠ - ١٧٩، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ١٥٢).

*** الخروج عن مقتضى الظاهر:**

من أقسام علم المعانى، بسط القول فيه الإمام السيوطى فى منظومته على تلخيص مفتاح العلوم وأورده تحت عنوان «مسألة» بعد أن انتهى من الكلام على الحذف والذكر والتقديم والتأخير فقال:

[قد يخرج الكلام عما ذكرا
من ذلك المضمر عما أظهرا
كنعم عبدا وضمير الشان
ليثبت التاليه فى الأذهان
وعكسه إشارة لاعتنا
بكونه مميزا إذ ضمنا
حكما بديعا وادعاء الشهرة
أو الندا على كمال الفطنة
لسامع والضد والتهكم
به كمثل ما إذا كان عمى
وغيرها زيادة التمكين قد
مثله بقوله الله الصمد
أو ليقوى داعى المأمور
أو يدخل الروع على الضمير
أو المهابة والاستعطاف
قلت كذا الوصلة للأوصاف
وعظم الأمر وتنبيه على
علته وعود معناه على]

جميع ماتقدم فى هذا الباب من الحذف والذكر وما بعدهما هو مقتضى الظاهر وقد يخرج الكلام على خلافه لنكتة فمن ذلك وضع المضمر موضع الظاهر كنعم عبدا مكان نعم العبد إذ المقام يقتضى الإظهار لعدم تقدم المسند إليه فأضمر معادا إلى متعقل فى الذهن والتزم تفسيره بنكرة ليعلم جنس المتعقل وكذا ضمير الشأن والقصة نحو ﴿هو الله أحد﴾ و ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا﴾ والسر فى ذلك فى الموضعين قصد أن يتمكن فى ذهن السامع ما يتلو الضمير: أى يجىء بعده لأنه بالضمير يتهيأ له ويتشوق فيتمكن بعد وروده فضل تمكن لأن المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب ومنه عكسه وهو وضع الظاهر موضع المضمر فإن كان الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية بتمييزه لتضمنه حكما بديعا كقول ابن الراوندى:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

فإن أصله هو: أى ماتقدم من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل فعدل إلى الإشارة لكمال العناية بتمييزه ليرى

السامعين أن هذا المعنى المتميز هو الذى له الحكم العجيب وهو جعل الأوهام حائرة والعالم النحرير زنديقا. وقد يكون لادعاء شهرته وأنه كامل الظهور فلا يخفى ومنه من غير باب المسند إليه قوله:

تعاللت كى أشجى ومابك علة

تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

والأصل به أو للنداء على كمال فطنة السامع بأن الأشياء عنده كالمحسوسة فيشار له أو ضد ذلك: أى النداء على كمال بلادته بأنه لا يدرك غير المحسوس أو التهكم والاستهزاء بالسامع بأن يكون أعمى أولا مشار إليه موجود أصلا فيشار إليه موضع الإضمار تهكما به وإن كان غير إشارة فله نكت: منها زيادة التمكين عند السامع نحو ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ أى الذى يصمد إليه ويقصد فى الحوائج لم يقل هو الصمد لزيادة التمكين.

ومنها تقوية داعي المأمور وإدخال الروع: أى الفزع أو المهابة: أى الإجلال على قلب السامع كقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا آمرك ومنها الاستعطاف كقوله:

إلهى عبدك العاصى أتاكا

مقرا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لذاك أهل

وإن تطرد فمن يرجى سواكا

الأصل أنا أتيتك فعدل عنه لما فى لفظ عبدك من التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة.

ومنها وهو وما بعده من زيادتى أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف نحو: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى﴾ [الأعراف: ١٥٨] بعد قوله إنى رسول الله.

ومنها تعظيم الأمر نحو: ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠] إلخ.

ومنها التنبيه على العلية أى كونه علة للحكم المنسوب إليه كقوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ [البقرة: ٥٩] ثم نبهت من زيادتى على أن وضع الظاهر موضع المضمر إذا كان بمعنى الأول لا بلفظه أحسن كقوله تعالى ﴿الحمد لله الذى خلق السموات والأرض﴾ ثم قال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [الأنعام: ١]:

[وقال فى المفتاح كل ما ذكر

ليس بمختص بهذا الذى قدر

بل غيبة وأخواها قد نقل

كل لآخر التفات مستقل

ورد فالأشهر أنه أخص

لأنه التعبير عن معنى ينص

من الثلاث بعد ذكر بسواه

منها ليرفل الكلام فى حلاه

لأن نقل القول فى المهايع

أنشط للإصغاء فى المسامع

وقد يخص كل موضع نكت

كمثل ما أم الكتاب قد حوت

فالعبد إذ يحمد من يحق له

ثم يجىء بالسمى المبجله

فكلها محرك الإقبال

لمالك الأمور فى المآل

فيوجب الاقبال والخطابا

بغاية الخضوع والتطلابا

للعون فى كل مهم يقصد

وقس عليه كل ما قد يرد

ولم يكن فى جملة كما فى

عروس الأفراح وفى الكشاف]

قال السكاكى: هذا المذكور من نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة ليس مختصا بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل كل من الغيبة والخطاب والتكلم ينقل إلى آخر فى المسند إليه وغيره

ويسمى التفاتا والمشهور أن الالتفات التعبير عن معنى بواحد من الثلاثة بعد التعبير عنه بغيره منها وهذا أخص من قول السكاكى لأن قول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا التفات على رأيه لأنه منقول عن أنا لا على الثانى لعدم تقدم خلافه. ثم أقسام الالتفات ستة كما عرفت: الأول من التكلم إلى الخطاب نحو ﴿ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون﴾ [يس: ٢٢] والأصل وإليه أرجع. الثانى منه إلى الغيبة نحو: ﴿إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر﴾ الثالث من الخطاب إلى التكلم نحو:

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط وليها
وعادت عواد بيننا وخطوبُ

فالتفت فى قوله تكلفنى من قوله بك. الرابع منه إلى الغيبة نحو: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢]والأصل بكم. الخامس من الغيبة إلى الخطاب نحو. ﴿مالك يوم الدين * إياك نعبد﴾ السادس منها إلى التكلم نحو: ﴿الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ [فاطر: ٩] ثم النكتة فى الالتفات أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن وأشهى للقلب وألذ للسمع وأكثر إصغاء لما فيه من التنقل لما جبلت عليه النفوس من الضجر وربما اختص كل موقع منه بلطائف ونكت كالفاتحة فإن العبد إذا ذكر الله تعالى وحمده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الإقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه تعالى مالك الأمر كله فى يوم الجزاء فحينئذ يوجب الإقبال عليه والخطاب بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات ثم نبهت من زيادتى على أن الالتفات لا يكون فى جملة بل فى جملتين صرح به الزمخشرى فى الكشاف وابن السبكى فى شرحه المسمى عروس الأفراح قال ولا يلزم عليه أن يكون فى نحو أنت صديقى الالتفات وليس كذلك:

[ومن خلاف المقتضى إن جاوبا
مخاطبا بغير ما ترقبا
بحمله على خلاف قصده
لأنه أولى به من ضده
أو سائلا بغير ما قد سأله
لأنه الأولى أو المهم له]

من خلاف المقتضى بالفتح أى مقتضى الظاهر مجاوبة المخاطب بغير ما يترقب وسماه عبد القاهر المغالطة والسكاكى الأسلوب الحكيم وذلك بحمل كلامه على خلاف قصده تنبيها على أنه أولى بالقصد كقول القبعثرى وقد قال له الحجاج متوعدا «لأحملنك على الأدهم» مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب أراد الحجاج أن يقيده فتلقاه القبعثرى بغير ما ترقبه من فهمه التوعد بألطف وجه مشيرا إلى أن من كان مثله فى السلطنة والسعة إنما يناسبه أن يجود بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل لا أن يقيد فقال له الحجاج: إنه حديد فقال: «لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا» (انظر البيت السادس من أبيات الأخضرى التالية) ومنه إجابة السائل بغير ما يتطلب تنبيها على أنه الأولى أو الأهم قالوا كقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ [البقرة: ١٨٩].

سألوا عن الهلال لِمَ يبدو دقيقا ثم يتزايد حتى يستوى ثم ينقص حتى يعود كما بدأ فأى فائدة تحت ذلك؟ فأجيبوا بيان حكمة ذلك وهى أنه معرفة المواقيت والحلول والآجال وجاز بعضهم فى العبارة حتى تعدى إلى أن قال لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة (جاء وفى شرح الجوهر المكنون / ٦٩ أن القائل هو «السعد») وهذه قلة أدب منه وجهل بمقدار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد كانوا أدق نظرا وأذكى فطنة من ألوف من أضرابه فظن أنه وأمثاله يسهل عليهم إدراك ذلك ويصعب على مثل أولئك. أما شعر من السائل عن ذلك هو معاذ بن جبل أعلم الأمة بالحلال والحرام بشهادة النبى ﷺ وهل ذلك بأذق من دقائق الفقه والفرائض التى اشتهر عنهم بعضها بالتوقيف وبعضها بالاستنباط مما لم يصل المذكور ولا غيره من أهل هذه الفنون إلى فهم عشر معشارها ثم هل اعتقد أن علم الهيئة مما يعتبر أو يلتفت إليه؛

كلا بل هو هذيان بقول لا دليل عليه وليس إلى التوصل إلى تصحيحه من سبيل وقد قالوا زعما منهم إن الأرض كرة لاسطح فنزل القرآن بأنها سطح قال تعالى ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ٢٠] وقالوا لاتكسف الشمس إلا فى الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين للمقابلة التى يزعمونها قابلهم الله عليها فكسفت يوم موت إبراهيم ابن النبى ﷺ كما فى الصحيحين وكان عشر ربيع الأول كما رواه الزبير بن بكار وكسفت يوم قتل الحسين رضى الله عنه كما هو مشهور فى التواريخ وغيرها وكان يوم عاشوراء وقد روى ما يقتضى أنهم لم يسئلوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانه بل عن سبب خلقه فروى أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية قالوا بلغنا أنهم قالوا يارسول الله لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلة﴾ الآية وإنما أطنبت فى هذا المقام تنفيرا للناس عن هذا الكلام الشنيع وخوف أن يتلقفه من لم يرسخ فى قلبه تقوى فيتداولوه على ألسنتهم ومن لم يتأدب مع الصحابة وسلف الأمة ويترك شغب أهل الفلسفة لم يلتفت إليه كائنا من كان:

[ومنه ماض عن مضارع وضع
لكونه محققا نحو فزع
قلت وللإشراف أو إبراز كا
فى معرض الحاصل غير ذلكا
ومنه قلب كعرضت الإبلا
على الحياض ثم هل ذا قبلا
ثالثها الأصح إن لم يقتضى
معنى لطيفا لا وإلا فارتضى
كَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أرجاؤُه
كأنَّ لونَ أرْضِه سماؤُه]

من خلاف المقتضى وضع الماضى موضع المستقبل تنبيها على تحقق وقوعه نحو: ﴿ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض﴾ [النمل: ٨٧] والآية الأخرى ﴿فصعق﴾ [الزمر: ٦٨] ﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾[الأعراف: ٤٨] وهو كثير. وإما للإشراف أى مشارفة وقوعه أى مقاربته نحو: ﴿وليخش الذى لو تركوا﴾ [النساء: ٩] الآية أى لو شارفوا أن يتركوا ومثله الطيبى بنحو قولك: مت، أو لإبراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لقوة الأسباب الظاهرة كقول المشترى اشتريت حال انعقاد أسبابه ذكره الطيبى وليس منه التعبير بلفظ اسم الفاعل والمفعول عن المضارع نحو: ﴿وإن الدين لواقع﴾ [الذاريات: ٦] ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ [هود: ١٠٣] خلافا لصاحب التلخيص لأنهما صالحان للمستقبل حقيقة.

ومنه القلب وهو تقديم المؤخر وعكسه كعرضت الإبل على الحوض والأصل عرضت الحوض على الإبل وأدخلت القلنسوة فى رأسى والأصل أدخلت رأسى فيها. واختلف فى قبوله على أقوال قيل والتزم قائله وهو السكاكى أنه يورث الكلام ملاحة ورده غيره مطلقا لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود وهذان القولان مطويان فى النظم والحق كما قال صاحب التلخيص أنه إن تضمن معنى لطيفا قُبِل وإلا فلا فمن الأول قوله تعالى: ﴿ويوم يُعرض الذين كفروا على النار﴾ [الأحقاف: ٢٠] وهو من باب عرضت الإبل على الحوض والنكتة الإشارة إلى أنهم مقهورون ومجبورون فكأنهم لا اختيار لهم والنار متصرفة فيهم وهم كالمتاع الذى يتصرف فيه من يعرض عليه وكقول الشاعر:

** ومهمه مغبرة أرجاؤه **

البيت والمهمه المفازة والمغبرة المملوءة غبارا والأرجاء النواحى جمع رجا بالقصر والأصل كأن لون سمائه لغبرتها أرضه أى كلونها والنكتة فيها المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى صار بحيث يشبه الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه ونظيره فى القرآن ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] والأصل إنما الربا مثل البيع فقلب مبالغة إلا أن هذا من باب قلب التشبيه وهو متفق عليه إنما الخلاف فى غيره ومن المردود قوله:

فلما أن جرى سمن عليها
كما طينت بالفدن السياعا

يصف ناقته بالسمن والفدن القصر والسياع الطين بالسين المهملة والأصل كما طينت بالسيع الفدن وليس فى هذا القلب اعتبار لطيف.

[ومنـــــه ذكـــــر جمع أو مثنى
أو مفـــردا عـن آخـــر قـــد عنـــا
والانتقـــال مـن خطـــاب بعض ذى
إلـى خطـــاب آخـــر نـــوع شـــذى]

هذان البيتان من زيادتي وفيهما مسألتان مهمتان لهما شبه بالالتفات وليستا منه. الأولى التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع عن آخر منها وهو من أنواع المجاز بخلاف الالتفات والمسألة الآتية فإنهما حقيقتان مثال المفرد عن المثنى قول الأعشى:

فـــرجِّى الخيـــر وانتظـــرى إيـــابى
إذا مـــا القـــارظ العنـــزى آبـــا

وإنما هما القارظان لأن المثل حتى يئوب القارظان. ومنه فى غير المسند إليه ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] أى يرضوهما ومثال المفرد عن الجمع.

وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

أى النعال وقال تعالى ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤] ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ [المعارج: ١٩] أى الأناسى بدليل ﴿إلا المصلين﴾ ومثال المثنى عن المفرد ﴿ألقيا فى جهنم﴾ [ق: ٢٤] أى ألق * قفا نبك * أى قف وعن الجمع لبيك وحنانيك وقوله تعالى ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ [الملك: ٤] إذ المراد التكثير لا مرتان. ومثال الجمع عن المفرد ﴿رب ارجعون﴾ [المؤمنون: ٩٩] أى ارجعنى. وشابت مفارقه وليس له غير مفرق. وعن المثنى ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] والأصل قلباكما. الثانية الانتقال من خطاب واحد من الثلاثة إلى آخر منها. مثاله من خطاب الواحد إلى الاثنين ﴿لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء﴾ [يونس: ٧٨] وإلى الجمع: ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١] ومثاله من الاثنين إلى الواحد: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ [طه: ٤٩] وإلى الجمع: ﴿أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ [يونس: ٨٧] ومثاله من الجمع إلى الواحد: ﴿وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ [يونس: ٨٧] وإلى الاثنين ﴿يامعشر الجن والإنس﴾ إلى قوله: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ٣٣، ٣٤] والنكتة فى هذه المسئلة كالنكتة فى الالتفات.

(شرح عقود الجمان/ ٢٦ ـ ٣١)

وقد وردت الأبيات التالية عن الخروج عن مقتضى الظاهر فى منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضرى الموسومة بالجوهر المكنون. وقد شرحها الشيخ أحمد الدمنهورى شرحا يقارب شرح السيوطى السابق وروده آنفا، ومن ثم فإننا نستغنى عنه تجنبا للتكرار. قال الأخضرى.

١ ـ *وخرجوا عن مقتضى الظواهر*
كوضع مضمر مكان الظاهر

٢ ـ *لنكتة كبعث أو كمال*
تمييز أو سخرية اجهال

(فى حلية اللب المصون / ٦٨: أو إجهال)

٣ ـ *أو عكس أو دعوى الظهور والمدد*
لنكتة التمكين كالله الصمد

٤ ـ *وقصد الاستعطاف والإرهاب*
نحو الأمير واقف بالباب

٥ ـ *ومن خلاف المقتضى صرف المراد*
ذى نطق أو سؤل لغير ما أراد

٦ ـ *لكونه أولى به وأجدرا*
كقصة الحجاج والقبعثرا

٧ ـ *والالتفات وهو الانتقال من*
بعض الأساليب إلى بعض قمن

٨ ـ *والوجه الاستجلاب بالخطاب*
ونكتة تخص بعض الباب

٩ ـ *وصيغة الماضى لآت أوردوا*
وقلبوا لنكتة وأنشدوا

١٠ ـ *ومهمه مغبرة أرجاؤه*
كأن لون أرضه سماؤه

(متن الجوهر المكنون / ٧، ٨).

والخروج عن مقتضى الظاهر لغرض بلاغى من عوامل روعة النظم القرآنى عند الزمخشرى، ومن صوره

١ ـ وضع الظاهر موضع المضمر، وبالعكس:

ويكثر وضع الظاهر موضع المضمر فى القرآن الكريم فى مقام ذكر الكفار والظالمين ومجترحى السيئات إظهارا للغضب عليهم، والتنويه بذمهم، وتهجين أحوالهم.

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾** [الفرقان: ٧]، **﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾** [الفرقان: ٨].

يقول الزمخشرى: أراد بالظالمين إياهم بأعيانهم، ووضع الظاهر موضع المضمر، ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا.

ومنه قوله تعالى: **﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾** [ص: ٤].

يقول الزمخشرى: لم يقل: وقالوا ــ إظهارا للغضب عليهم، ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون فى الكفر، المنهمكون فى الغى، الذين قال فيهم: **﴿أولئك هم الكافرون حقا﴾** [النساء: ١٥١].

وقوله تعالى: **﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾** [مريم: ٣٨].

يقول الزمخشرى: أوقع الظاهر «أعنى الظالمين» موقع المضمر إشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم، حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين يجدى عليهم ويسعدهم.

وقوله تعالى: **﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا﴾** [سبأ: ٣٣] أى فى أعناقهم، فجاء التصريح للتنويه بذمهم، والدلالة على ما استحقوا به الأغلال.

وقوله تعالى: **﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾** [القصص: ٨٤].

يقول الزمخشرى: وضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير، لأن فى إسناد عمل السيئات إليهم مكررا أفضل تهجين لحالهم، وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين.

وقوله تعالى: **﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾** [البقرة: ٩٨]

يقول الزمخشرى: أراد عدوًّا لهم. فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر. وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف؟ [كذا].

وقوله تعالى: **﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾**[البقرة: ٥٩]

يقول الزمخشرى: وفى تكرير: الذين ظلموا: زيادة تقبيح فى أمرهم، وإيذان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم. وقد جاء فى سورة الأعراف: **﴿فأرسلنا عليهم﴾** على الإضمار.

وقوله تعالى: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾** [المائدة: ٧٣].

يقول الزمخشرى: لم يقل: ليمسنهم، لأن فى إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة، وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله: **﴿لقد كفر الذين قالوا﴾**.

وقوله تعالى: **﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾** [النبأ: ٤].

يقول الزمخشرى: والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم.

وضع المضمر موضع الظاهر: منه قوله تعالى: **﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾**. [البقرة: ٩٧].

يقول الزمخشرى: الضمير فى نزله للقرآن. ونحو هذا الإضمار ــ أعنى إضمار ما لم يسبق ذكره ــ فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته.

وقوله تعالى: **﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة﴾** [العنكبوت: ٢٠].

يقول الزمخشرى: كان القياس أن يقال: كيف بدأ الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة، ولكن الكلام معهم كان واقعا فى الإعادة، وفيها كانت تصطك الركب. فلما قررهم فى

الإبداء، بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الإبداء، فكأنه قال: ثم ذاك الذى أنشأ النشأة الأولى هو الذى ينشىء النشأة الآخرة، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أظهر المسمى وأوقعه مبتدأ.

٢ ـ الالتفات

أفردنا مادة للالتفات فى م ٥ / ٥٩٤ ـ ٦٠٠ فانظرها فى موضعها.

٣ ـ وضع المضارع موضع الماضى، بقصد حكاية الحال الماضية واستحضار صورتها ـ للدلالة على أهميتها. أو غرابتها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور**﴾ [فاطر: ٩].

يقول الزمخشرى: جاء «فتثير» على المضارعة دون ما قبله وما بعده، ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية. وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب، وغير ذلك.

قال تأبط شرا:

بأنى قد لقيت الغول تهوى
بسهم كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران

لأنه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها، ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل حول، وثباته عند كل شدة...

ومنه قوله تعالى: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران: ٥٩]

يقول الزمخشرى: فيكون: حكاية حال ماضية.

وقول تعالى: ﴿**أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**﴾ [البقرة: ٨٧].

ويقول الزمخشرى: لم يقل: وفريقا قتلتم: لإرادة استحضار الحال الماضية، لأن الأمر فظيع، فأريد استحضاره فى النفوس، وتصويره فى القلوب.

وقوله تعالى: ﴿**وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد**﴾ [سبأ: ٥٣]

يقول الزمخشرى: ويقذفون: معطوف على: كفروا: على حكاية الحال الماضية يعنى: وكانوا يتكلمون بالغيب؛ ويأتون به من مكان بعيد، وهو قولهم فى رسول الله (ﷺ): شاعر ساحر كذاب. وهذا تكلم بالغيب، والأمر الخفى، لأنهم لم يشهدوا منه سحرا، ولا شعرا، ولا كذبا. وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله، لأن أبعد شىء مما جاء به الشعر والسحر، وأبعد شىء من عادته التى عرفت بينهم وجُرِّبت ـ الكذب والزور.

ومنه قوله تعالى: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة**﴾ [الحج: ٦٣].

يقول الزمخشرى: لم يقل: فأصبحت، بل جاء بلفظ المضارع لنكتة، وهى إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان، كما تقول: أنعم علىَّ فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكرا له. ولو قلت: فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع وقد يكون وضع المضارع موضع الماضى للدلالة على الرغبة فى استمرار الفعل أو الدلالة على التعود عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم**﴾ [الحجرات: ٧].

يقول الزمخشرى: قال ﴿**يطيعكم**﴾ دون «أطاعكم» للدلالة على أنه كان فى إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه، وأنه كلما عَنَّ لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه، بدليل قوله: ﴿**فى كثير من الأمر**﴾، كقولك: فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم ـ تريد: مما اعتاده.

ومنه قوله تعالى: ﴿**كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك**﴾ [الشورى: ٢]

يقول الزمخشرى: لم يقل: أوحى إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيجاد مثله من عادته.

٤ ـ وضع الماضي موضع المضارع لغرض بلاغي هو تنزيل المتوقع الذي لا بد من وقوعه منزلة الواقع :

ومنه قوله تعالى : ﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس ...﴾ [الأعراف : ٧١] .

يقول الزمخشري : أي حق عليكم ووجب ، أو قد نزل عليكم . جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع . ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب : قد كان ذلك . وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور ، وهو طفل ، فجاء يبكي ، فقال له : يابني مالك؟ قال : لسعني طوير ، كأنه ملتف في بردي حبرة ، فضمه إلى صدره ، وقال له : يابني ، قد قلت الشعر .

ومنه قوله تعالى : ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ [النمل : ٨٧] .

يقول الزمخشري : قيل «ففزع» دون «يفزع» لنكتة هي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته ، وأنه كائن لا محالة ، واقع على أهل السموات والأرض ، لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل ، وكونه مقطوعا به . والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون .

ومنه قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [الفتح : ١]

يقول الزمخشري : هو فتح مكة ، وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره ، لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة ، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى .

وقوله تعالى : ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار﴾ [هود : ٩٨] .

يقول الزمخشري : هلا قيل يقدم قومه فيوردهم؟ ولم جيء بلفظ الماضي ويجيب : لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به ، فكأنه قيل : يقدمهم ، فيوردهم النار لا محالة .

وقوله تعالى : ﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ [التوبة : ٨٤] .

يقول الزمخشري : مات صفة ، وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي ، والمعنى على الاستقبال ـ على تقدير الكون والوجود ، لأنه كائن موجود لا محالة .

٥ ـ الرجوع من المثنى إلى الواحد :

ومنه قوله تعالى : ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ [طه : ٤٩]

يقول الزمخشري : خاطب الاثنين ، ووجه النداء إلى أحدهما ، وهو موسى ، لأنه الأصل في النبوة ، وهرون وزيره وتابعه .

ويقول في إفراد الجنة في قوله تعالى : ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ [الكهف : ٣٥] بعد تثنيتها في قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا﴾ :

أفرد الجنة بعد التثنية على معنى : ودخل ما هو جنته ، ما له جنة غيرها ، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون ، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ـ ولم يقصد الجنتين ، ولا واحدة منهما .

٦ ـ الرجوع من الواحد إلى الجمع :

ومنه قوله تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه﴾ [الروم : ٣٠، ٣١] .

يقول الزمخشري : خوطب رسول الله (ﷺ) وخطاب الرسول خطاب لأمته ، مع ما فيه من التعظيم للإمام ، ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص .

٧ ـ الرجوع من المثنى إلى الجمع ثم من الجمع إلى الواحد :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا ، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين﴾ [يونس : ٨٧] .

يقول الزمخشري : خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ، ويختاراها للعبادة ، وذلك مما يفرض على الأنبياء ، ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم

خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها.

٨ ـ وقوع الإنشاء موقع الخبر.

٩ ـ وقوع الخبر موقع الإنشاء.

أوردناهما فى مادة الخبر والإنشاء (علم ــ) فانظر كلا منهما فى موضعه .

١٠ ـ التغليب (أوردنا مادة بهذا العنوان فى م ١٠/ ٦٦ ـ ٧١ فارجع إليها فى موضعها) :

ومنه تغليب الكثرة على القلة كما فى قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ [البقرة : ٣٤].

يقول الزمخشرى : «إلا إبليس» استثناء متصل ، لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم ، فغلبوا عليه فى قوله ﴿فسجدوا﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ...

وتغليب الخطاب على الغيبة كما فى قوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ [النمل : ٥٥] .

يقول الزمخشرى : فإن قلت : «تجهلون» صفة لقوم ، والموصوف لفظه لفظ الغائب ، فهلا طابقت الصفة الموصوف ، فقرئ بالياء دون التاء ، وكذلك : بل أنتم قوم تفتنون»؟

ويجيب : اجتمعت الغيبة والمخاطبة ، فغلبت المخاطبة ، لأنها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة .

وتغليب الموجود على ما لم يوجد ، ومنه قوله تعالى : ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾[البقرة : ٤]

يقول الزمخشرى : قوله : ﴿بما أنزل إليك﴾ إن عنى به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها ــ فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم ، فكيف قيل : أنزل : بلفظ الماضى؟

وإن أريد المقدار الذى سبق إنزاله وقت إيمانهم ، فهو إيمان ببعض المنزل ، واشتمال الإيمان على الجميع : سالفه ومترقبه ـ واجب .

ويجيب : المراد المنزل كله ، وإنما عبر عنه بلفظ الماضى ـ وإن كان بعضه مرتقبا ـ تغليبا للموجود على ما لم يوجد ، كما يغلب المتكلم على المخاطب ، والمخاطب على الغائب ، فيقال : أنا وأنت فعلنا ، وأنت وزيد تفعلان . ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأنه كله قد نزل ، وانتهى نزوله . ويدل عليه قوله تعالى : ﴿إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ [الأحقاف : ٣٠] ولم يسمعوا جميع الكتاب ، ولا كان كله منزلا ، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا .

ونظيره قوله : كل ما خطب به فلان فهو فصيح ، وما تكلم بشىء إلا وهو نادر. ولا تريد بهذا الماضى منه فحسب ، دون الآتى ، لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه .

ويتكلم الزمخشرى ثانية على الخروج عن مقتضى الظاهر فى مجال تعداد عوامل روعة النظم القرآنى خارج دائرة الجملة فيقول :

الخروج عن مقتضى الظاهر فى ترتيب عناصر الموضوع الواحد لغرض بلاغى :

ويبدو ذلك فى قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى﴾ [البقرة : ٦٧ ، ٦٨] ﴿وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣]

يقول الزمخشرى : فإن قلت : فما للقصة لم تقص على ترتيبها ، وكان حقها أن يقدم ذكر القتيل ، والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها ، وأن يقال : وإذ قتلتم نفسا ، فادارأتم فيها ، فقلنا اذبحوا بقرة ، واضربوه ببعضها؟ ويجيب : كل ما قص من قصص بنى إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات ، وتقريعا لهم عليها ، ولما جدد فيهم من الآيات العظام . وهاتان قصتان ، كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع ، وإن كانتا متصلتين متحدتين : فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء ، وترك المسارعة إلى الامتثال ، وما يتبع ذلك ، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة ، وما يتبعه من الآية

العظيمة، وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل، لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض من تثنية التقريع.

ولقد روعيت نكتة بعدما استؤنف الثانية استئناف قصة برأسها: أن وصلت بالأولى دلالة على اتحادهما ـ بضمير البقرة، لا باسمها الصريح فى قوله ﴿اضربوه ببعضها﴾ حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتثنيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها؛ وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

(النظم القرآنى / ١١٩ ـ ١٣١، ٢١٩، ٢٢٠).

(شرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٢٦ ـ ٣١، ومتن الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون لعبد الرحمن الأخضرى / ٧، ٨، والنظم القرآنى فى كشاف الزمخشرى ـ د. درويش الجندى / ١١٩ ـ ١٣١، ٢١٩، ٢٢٠. انظر أيضا شرح الجوهر المكنون ـ الشيخ أحمد الدمنهورى / ٦٧ ـ ٧٣، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢ / ٤٨٢ ـ ٥٠٢).

*** الخروج فى سبيل الله تعالى:**

فى ابتداء الخروج فى سبيل الله تعالى والتخلى عن الانفراد فى السفر يقول صاحب مستند الأجناد:

عن كعب بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج يوم الخميس إلى غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس (البخارى ٤ / ٦ وأبو داود — / ٤٠٦) وعن ابن مسعود أن النبى ﷺ كان يعقد الألوية يوم الخميس، ويبعث السرايا يوم الخميس، ويسافر يوم الخميس (البخارى ٤ / ٦ وعيون الأخبار ١ / ١٢٢) وعن الزهرى أن النبى ﷺ كان يخرج يوم الخميس، ويرجع يوم السبت، وعن النبى ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها» (أبو داود ١ / ٤٠٦) وفى رواية: كان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار (المعجم الصغير للطبرانى ١ / ٣٠) وعنه ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل» (أبو داود ١ / ٤٠٢، ومجمع الزوائد ٥ / ٢٥٧). والدلجة: سير الليل وعن النبى ﷺ «لو علم من الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحده» (البخارى ٤ / ١٧، والترمذى ٧ / ١٦٩ ... ١٧٠) وعن ابن عباس عن النبى ﷺ «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة إذا صبروا وصدقوا» (أبو داود ١ / ٤٠٦ والترمذى ٧ / ٤٥) وعنه ﷺ أنه قال: (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب) (أبو داود ١ / ٤٠٧ والترمذى ٧ / ١٧٠) وعنه ﷺ «إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم» (الجامع الصغير ١ / ٢٤ وسنن أبى داود ١ / ٤٠٧).

(مستند الأجناد / ٧٩، ٨٠)

وعن الخروج للغزو ومشروعية الدعوة قبل القتال يقول الشيخ حافظ بن أحمد الحكمى فى منظومته الموسومة بالسبل السوية:

ثم الخروج فى الخميس يستحب
وأول النهار للبعث أحب
والحلف فى ابتدائه فى الحرم
كذاك أيضا فى الشهور الحرم
فالبعض قال النهى عنه محكم
وفرقة بنسخه قد حكموا
وجائز لامرأة أن تغزو
يسقين أو يصلحن للجرحى الدوا
ولا استعانة بمشرك لنا
حيث امتناع كان من نبينا
ويشرع التشييع للغزاة فى
خروجهم ثم بخير فاخلف
وإن أراد غزوة يورى
بغيرها من أجل كتم السر
وصح فى النص جواز الكذب
فى الحرب للفتك بأهل الحرب
والحرب خدعة وأن يستطلعا
الأخبار مع بعث العيون شرعا
والسرايا والجيوش رتب
واتخذ الرايات ذا فعل النبى

والــــذكـــر فى المسيــــر منـــه أكثـــر
سبح هبـــوطـــا وصعــــودا كبـــر
وللعــــــدو ابــــــدأ دعـــــاء أولا
إلى الهــــدى من قبل أن تقـــاتـــلا
وذمــــة الأميــــــر فى الحصــــار
يبــــذل وليحـــذر ذمـــام البــارى
كـــذاك جــائز نـــزولهم على
حكم امـــرىء منـــا لنص نقـــلا

(مجموع / ٥٦، ٥٧).

(مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن حجة الحموى ــ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى / ٧٩، ٨٠، ومجموع: «السبل السوية لفقه السنن المروية» ــ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٥٦، ٥٧).

*** الخروج من بلد وقع فيها الوباء:**

عَنْونه الإمام النووى بلفظ «كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارا منه، وكراهة القدوم عليه» وقال: قال الله تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾ [النساء: ٧٨] وقال تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسُرْغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أنّ الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال لى عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عنى ثم قال ادع لى من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر رضى الله عنه فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أفرارا من قدر الله فقال عمر رضى الله عنه لو غيرك قالها يا أبا عبيدة وكان عمر يكره خلافه: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال إن عندى من هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» فحمد الله تعالى عمر رضى الله عنه وانصرف. (العدوة جانب الوادى) وروى الشيخان عن أسامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها»

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف النووى ــ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٨٩ ــ ٩١)

*** الخروج (يوم ــ):**

من أسماء يوم القيامة. قال تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا﴾ فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لا خروج ولا دخول.

(التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبى ــ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر/ ٢٥٩).

*** الخِرْوَع:**

خِرْوَعٌ: كدرهم نبت معروف لا يرعى قال الجوهرى ولم يجئ على هذا الوزن إلا حرفان خروع وعتود وهو اسم واد.. قلت وزِيد زرود اسم جبل وعتور اسم واد وليس بتصحيف عتود. قيل سمى الخروع لرخاوته وهى شجرة تحمل حبا كأنه بيض العصافير يسمى السمسم الهندى مشتق من الخرع

(معجم أسماء النباتات/ ٥١).

قال عنه داود الأنطاكى: الخروع نبات يعظم قرب المياه ويطول أكثر من ذراعين وأصله قصب فارغ وورقه أملس عريض وحبه كالقراد مرقش كثير الدهن يدرك بتموز وآب (يوليه وأغسطس) يقيم أكثر من سنة وهو حار فى الثالثة يابس فيها أو فى الثانية أو رطب فى الأولى يحلل الرياح والأخلاط

الباردة وإذا طبخ فى زيت حتى يتهرى أزال الصداع والفالج واللقوة والنقرس وعرق النسا دهنا وسعوطا وإذا أكل أخرج البلغم والأخلاط اللزجة برفق وأدر الحيض وأخرج المشيمة ودهنه يلين كل صلب حتى المعادن اليابسة عن تجربة خصوصا مع ماء الفجل ويغسل به مع الخردل أوساخ الجسد فينقيه. وفيه خواص كثيرة؛ وهو يكرب ويسقط الشهوة ويصلحه أن يقشر ويستعمل مع الكثيرا وشربته إلى عشر حبات وضعفها مسكر وخمسون تقتل ودهنه بماء الكراث يقلع البواسير شربا ودهنا وإذا غلى مع سلخ الحية والخردل ودهن به داء الثعلب والقوابى والحزاز والكلف أبرأها (التذكرة ١ / ١٣٨)

وقد أورده المظفر الرسولى، كما أفرد مادة بعنوان «دهن الخروع»، وذكر مصادره التى رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال:

خروع ــ «ع» شجرة تكون فى مقدار شجرة التين صغيرة، ولها ورق شبيه بورق الدلب، وثمرة خشنة إذا قشرت كانت شبيهة بالقراد، ومنها يعتصر دهن الخروع، وهذا الدهن لا يستعمل فى الطعام بل فى السرج، وفى أخلاط بعض المراهم، وحب الخروع يسهل، وفيه مع هذا شىء يجلو وكذلك الحال فى ورقه، إلا أن الورق أضعف حرا، ودهنه أحد وألطف من الزيت الساذج، فهو يحلل أكثر منه، وإذا دق حب الخروع وتضمد به نفع الثآليل والكلف، وورقه إذا دق وخلط بسويق سكن الأورام البلغمية، والأورام الحارة العارضة للعين، وإذا تضمد به وحده أو مع الخل، سكن أورام الثدى الوارمة فى النفاس والحمرة، وهو مسخن فى الدرجة الثالثة، محلل ملين للعصب، مسهل للبطن، منق للعرق، نافع من الخام والإبردة، وكذلك دهنه، وهو أبلغ الملينات لكل صلابة شربا وضمادا، وحبه جيد للقولنج والفالج، وخاصة الترقيق والتلطيف، وورقه الغض إذا تضمد به مطبوخا ونيئا نفع من النقرس البارد ووجع المفاصل، وكذلك إن ركب على ورقه دهن نفع من ذلك، وحبه نافع من اللقوة ووجع المفاصل، إذا أُسهل به، ويورث البدن صحة، وهو يسهل البلغم إسهالا ضعيفا. ويجب أن يقشر ويعطى منه إحدى عشرة حبة إلى سبع عشرة حبة، وورق الخروع إذا سحق فى خل ثقيف حتى يحمى وتضمدت به الأورام الكائنة فى الحلق، المسماة نغانغ، ويعاود ذلك أسبوعا ثلاث مرات بالليل، وثلاثا بالنهار، حلله وأذهبه، مجرب.

«ج» أجوده البحرى. وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل رطب يحدر الحيض. وقدر ما يؤخذ منه إلى مثقال، وهو ينفع الصلابة، ويلين العصب، وخاصة البلغم، وينفع من القولنج والفالج واللقوة، وشربته لذلك إلى عشر حبات مقشورة.

«ف» مثله. والشربة إلى خمسة عشر حبة.

ثم يقول عن دهن الخروع:

دهن الخروع ــ «ج» هو أشبه شىء بالزيت العتيق. ولذا يستعمل بدله، وهو أكثر تحليلا من الزيت الحديث وألطف، هو أحد من الزيت الساذج، وهو يصلح للجرب، والقروح الرطبة التى تكون فى الرأس، وللأورام الحارة فى المقعدة، ولانضمام فم الرحم، ولانقلابه، ولآثار السحج إذا اندملت، ولوجع الأذن، وإذا خلط ببعض المراهم قوى فعلها، وإذا شرب أخرج الدود الذى فى البطن وأسهل، ويقوى العصب من اللزوجات وصنعته: يؤخذ من حب الخروع المستحكم على شجره، ويشمس، فإذا تشقق قشره وتساقط عنه، فاجمع ما فى داخله، ودقه فى هاون دقا ناعما، ثم اطرحه فى قِدر مرصَّصة برصاص قلعى فيها ماء، واغله، فإذا خرج دهنه، فانزل القدر عن النار، وخذ الدهن بصوفة، واخزنه؛ وإن كان كبيرا وأمكن عصره بلولب فاعصره.

«ج» وله فى المنهاج (هو منهاج البيان تأليف ابن جزلة) صفة غير هذه، لمن يريده مفوى بالأفاويه والعقاقير. وهو

حار يابس في الدرجة الثانية، ومنافعه كما ذكرها عبد الله (هو عبد الله بن البيطار). وبدله: دهن الفجل، أو دهن بزر الكتان.

«ف» حار رطب فى الأولى، يخرج البلغم وحب القرع، وينقى الأعصاب، ويستعمل بقدر الكفاية (المعتمد ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩)

وقال عنه القزوينى:

الخروع: إذا جف حبه فى أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن فربما وقعت على أكثر من قاب رمح حبها ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر ما يؤكل منه عشر حبات مقشورة: وذكر بليناس فى كتاب الخواص: أن دهن الخروع إذا مسحت به رأس الديك لايصيح ألبتة (عجائب المخلوقات / ١٦٦).

(معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ــ جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطى / ٥١، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٨، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢١، ١٢٢، ١٦٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٦٦. انظر أيضا القانون فى الطب لابن سينا - شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو إبراهيم، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى/ ٣٢٦).

*** ابن خروف (٥٢٤ - ٦١٠ هـ):**

هو أبو الحسن على بن محمد بن على الحضرمى الإشبيلى، ولد فى إشبيلية، وأخذ عن ابن طاهر ولد سنة ٥٢٤ هـ، برز فى العربية، ومن مصنفاته النحوية شرح كتاب سيبويه أهداه إلى صاحب المغرب فمنحه ألف دينار، وشرح الجمل للزجاجى. ومع طول باع المترجم فى النحو، وذيوع صيته فى التدقيق، وغزارة مؤلفاته، كان فى خلقه شراسة، فلا عجب أن يندفع إلى منازلة السهيلى فى المسائل المنوه عنها فى ترجمته، وأن يعدو على ابن مضاء فى مناقضته لكتابه المذكور فى ترجمته.

ومما هو جدير بالملاحظة أن ابن خروف النحوى غير ابن خروف الشاعر المشهور، وإن اتفقا اسما وكنية ولقبا وأبا، فقد اختلفا جدا ونسبا ووطنا ووفاة ومدفنا، فإن ابن خروف الشاعر هو أبو الحسن على بن محمد بن يوسف القيسى القرطبى، وهو الذى أرسل قصيدة للقاضى فى حلب يوسف بهاء الدين المعروف بابن شداد يستجديه فرد خروف، وتوفى متردیا فى جب بحلب سنة ٦٠٤ هـ. ولعل الاشتباه بين النحوى والشاعر هو الذى تسرب منه الخطأ فى نسبة شعر للنحوى، ولم يتنبه لهذا أحد ممن ترجم النحوى قبل ابن خلكان وبعده، فإنه وحده الذى حقق هذا الفرق فى وفيات الأعيان ترجمة القاضى يوسف المذكور، وهذا التحقيق من ابن خلكان جدير بالتقدير والاعتبار، توفى ابن خروف النحوى بأشبيلية سنة ٦١٠هـ (نشأة النحو/ ٢٣٢، ٢٣٣).

قال الرعينى: «له تواليف، منها كتابه الكبير الذى سماه «تنقيح الألباب فى شرح غوامض الكتاب» أودعه طرر بن طاهر وبسطها وأضاف إليها شرح الأبيات، ومنها «شرحه» لكتاب الجمل، ومفردات السبع، والمقنع فى الفرائض، ومجموعات كثيرة فى «الرد على الناس، كرده على السهيلى، وعلى ابن الطراوة، وعلى جماعة من معاصريه، وله رد على برهان أبى العالى». وقد خلط بعض المؤرخين بينه وبين ابن خروف الشاعر على بن محمد بن يوسف القرطبى المتوفى سنة ٦٠٤ هـ.

له ترجمة فى: «التكملة» لابن الأبار الترجمة ١٤٨٤، و «وفيات الأعيان» ٣ / ٢٣، و «برنامج شيوخ الرعينى» / ٨١، و «بغية الوعاة» ٢ / ٢٠٣ ت ١٧٩٣، و «الأعلام» ٥ / ١٥١ (كتاب الوفيات/ ٣٠٤، ٣٠٥)

(نشأة النحو ــ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٣٢، ٢٣٣، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٣٠٤، ٣٠٥، وهامش ٢ للمحقق).

*** خريدة الأمثال:**

خريدة الأمثال: «لأبى الحسن على بن المبارك المعروف بابن الزاهد المتوفى سنة ٥٩٤.

(كشف الظنون ١/ ٧٠١).

*** الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية:**

من المنظومات التعليمية فى علم التوحيد للإمام العارف بالله أبى البركات الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى حامد العدوى المالكى الخلوتى المشهور بالدردير المولود

سنة ١١٢٧ هـ والمتوفى سنة ١٢٠١ هـ (فهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية / ١٨٨)

ونقل لك فيما يلى هذه المنظومة النفيسة بتمامها

يبدأ الإمام الدردير رحمه الله منظومته بهذه المقدمة :

يقول راجى رحمة القدير

أى أحمد المشهور بالدردير

الحمد لله العلى الواحد

العالم الفرد الغنى الماجد

وأفضل الصلاة والتسليم

على النبى المصطفى الكريم

وآله وصحبه الأطهار

لاسيما رفيقه فى الغار

وهذه عقيدة سنيه

سميتها الخريدة البهيه

لطيفة صغيرة فى الحجم

لكنها كبيرة فى العلم

يكفيك علما إن تُرد أن تكتفى

لأنها بزبدة الفن تفى

والله أرجو فى قبول العمل

والنفع منها ثم غفر الزلل

ثم يتكلم على القسم الأول من أقسام علم التوحيد وهو الإلهيات (انظر «الإلهيات (علم ـ)» فى م ١٦/ ٢١) فيذكر أقسام الحكم العقلى وهى الوجوب والاستحالة والجواز» ثم يتكلم على العالم . قال رحمه الله :

أقسام حكم العقل لامحاله

هى الوجوب ثم الاستحاله

ثم الجواز ثالث الأقسام

فافهم منحت لذة الأفهام

فالواجب العقلى ما لم يقبل

الانتفا فى ذاته فابتهل

والمستحيل كل ما لم يقبل

فى ذاته الثبوت ضد الأول

وكل أمر قابل للانتفا

وللثبوت جائز بلا خفا

ثم اعلمن بأن هذا العالما

أى ما سوى الله العلى العالما

من غير شك حادث مفتقر

لأنه قام به التغير

حدوثه وجوده بعد العدم

وضده هو المسمى بالقدم

ثم يتحدث عن الوجود، وهو الصفة النفسية لله تعالى فيقول :

فاعلم بأن الوصف بالوجود

من واجبات الواحد المعبود

إذ ظاهر بأن كل أثر

يهدى إلى مؤثر فاعتبر

وذى تسمى صفة نفسيه

ثم تليها خمسة سلبية

ويعدد بعد ذلك الصفات السلبية الخمس لله تعالى، وهى : القدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية فيقول :

وهى القدم بالذات فاعلم والبقا

قيامه بنفسه نلت التقى

مخالف للغير وحدانيه

فى الذات أو صفاته العليه

ثم يتحدث عن التأثير فيقول :

والفعل فى التأثير ليس إلا

للواحد القهار جل وعلا

ومن يقل بالطبع أو بالعله

فذاك كفر عند أهل المله

ومن يقل بالقوة المودعة
فذاك بدعي فلا تلتفت
لو لم يكن متصفا بها لزم
حدوثه وهو محال فاستقم
لأنه يفضي إلى التسلسل
والدور وهو المستحيل المنجلي
فهو الجليل والجميل والولي
والظاهر القدوس والرب العلي
منزه عن الحلول والجهه
والاتصال والانفصال والسفه

(يلاحظ أن اللفظ الأخير في البيت الأخير ورد «الصفة» بالصاد في متن الخريدة البهية، و «السفه» في شرح الخريدة)

ثم يتكلم الناظم على صفات المعاني السبع وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فيقول:

ثم المعاني سبعة للرائي
أي علمه المحيط بالأشياء
حياته وقدرة إراده
وكل شيء كائن أراده
وإن يكن بضده قد أمرا
فالقصد غير الأمر فاطرح المرا
فقد علمت أربعا أقساما
في الكائنات فاحفظ المقاما
كلامه والسمع والأبصار
فهو الإله الفاعل المختار
وواجب تعليق ذي الصفات
حتما دواما ما عدا الحياة
فالعلم جزما والكلام السامي
تعلقا بسائر الأقسام
وقدرة إرادة تعلقا
بالممكنات كلها أخا التقى
واجزم بأن سمعه والبصرا
تعلقا بكل موجود يرى
وكلها قديمة بالذات
لأنها ليست بغير الذات
ثم الكلام ليس بالحروف
وليس بالترتيب كالمألوف

ثم يبين الإمام أحمد الدردير رحمه الله أن أضداد صفات المعنى هذه وهي العجز، والكراهية بمعنى القهر وعدم الاختيار والجهل والموت والصمم والعمى والبكم. مستحيلة عليه تعالى. يدل على استحالتها على الله تعالى أنه قد وجب اتصافه بصفات المعاني فتستحيل عليه أضدادها. يقول الناظم رحمه الله:

ويستحيل ضد ما تقدما
من الصفات الشامخات فاعلما
لأنه لو لم يكن موصوفا
بها لكان بالسوى معروفا
وكل من قام به سواها
فهو الذي في الفقر قد تناهى
والواحد المعبود لا يفتقر
لغيره جل الغني المقتدر

ثم يتكلم على الجائز في حقه تعالى فيقول:

وجائز في حقه الإيجاد
والتَّرك والإشقاء والإسعاد
ومن يقل فعل الصلاح وجبا
على الإله قد أساء الأدبا

وبعد ذلك يتكلم على رؤية الله تعالى وأنها حق فيقول:

واجزم أخي برؤية الإله
في جنة الخلد بلا تناهي
إذ الوقوع جائز بالعقل
وقد أتى فيه دليل النقل

ثم ينتقل الناظم إلى القسم الثانى من أقسام علم التوحيد وهو النبوات فيعدد مايجب للرسل والمستحيل عليهم، والجائز فى حقهم فيقول:

وصف جميع الرسل بالأمانه
والصدق والتبليغ والفطانه
ويستحيل ضدها عليهم
وجائز كالأكل فى حقهم
إرسالهم تفضل ورحمه
للعالمين جل مولى النعمه

وبعد ذلك ينتقل الناظم إلى القسم الثالث من أقسام علم التوحيد وهو السمعيات، وهى الأمور التى لا تؤخذ إلا بالسماع من الصادق، ولا يستقل العقل بإدراكها، وطريق ثبوتها الكتاب والسُّنة، فيقول رحمه الله:

ويلزم الإيمان بالحساب
والحشر والعقاب والثواب
والنشر والصراط والميزان
والحوض والنيران والجنان
والجن والأملاك ثم الأنبيا
والحور والولدان ثم الأوليا
وكل ما جاء من البشير
من كل حكم صار كالضرورى

ثم يختتم الإمام أحمد الدردير رحمه الله خريدته ببيان كيف أن كلمة الإسلام تتضمن جميع الأحكام التى جاءت فى أقسام التوحيد الثلاثة: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات فيقول متحدثا عن «السير» إلى الله تعالى، وعن أصول الطريق المستقيم العشرة وهى: التوبة، وشكر النعم، والصبر، والرضا، واتباع شيخ عارف قد سلك طريق أهل الله على يد شيخ كذلك، والجوع، والعزلة عن الناس، والصمت، والسهر، والتفكر، والذكر:

وينطوى فى كلمة الإسلام
ما قد مضى من سائر الأحكام
فأكثرن من ذكرها بالأدب
ترقى بهذا الذكر أعلى الرتب
وغلِّب الخوف على الرجاء
وسر لمولاك بلا تناء
وجدد التوبة للأوزار
لا تيأسن من رحمة الغفار
وكن على آلائه شكورا
وكن على بلائه صبورا
وكل أمر بالقضاء والقدر
وكل مقدور فما عنه مفر
فكن له مسلما كى تسلما
واتبع سبيل الناسكين العلما
وخلِّص القلب من الأغيار
بالجد والقيام فى الأسحار
والفكر والذكر على الدوام
مجتنبا لسائر الآثام
مراقبا الله فى الأحوال
لترتقى معالم الكمال
وقل بذل رب لا تقطعنى
عنك بقاطع ولا تحرمنى
من سرك الأبهى المزيل للعمى
واختم بخير يارحيم الرحما
والحمد لله على الإتمام
وأفضل الصلاة والسلام
على النبى الهاشمى الخاتم
وآله وصحبه الأكارم

(متن الخريدة البهية / ١ ـ ٥).

يوجد مخطوطه بالمكتبة الأزهرية برقم [١١٨] ٢٢١٢

(متن الخريدة البهية فى العقائد التوحيدية لأبى البركات سيدى أحمد الدردير. ط مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده / ١ ـ ٥ والخريدة البهية المطبوع فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢٣ ـ ٢٦، وفهرس مخطوطات المكتبة الأزهرية / ١٨٨).

* **خريدة العجائب وفريدة الغرائب:**

قال حاجى خليفة وقد حمل على الكتاب ومصنفه :

خريدة العجائب وفريدة الغرائب : لزين الدين عمر بن المظفر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة وهو مجلد نصف أوله [النصف الأول منه] فى ذكر الأقاليم والبلدان والباقى فى بعض أحوال المعدن والنبات والحيوان لكنه أورد فى أوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم والبحار زعما منه أنه كذلك فى نفس الأمر وهو الضلال البعيد عن الحق المطابق للواقع فإن الرجل ليس من أهل فن جغرافيا وتصويره لا يقاس على سائر النقوش والتصاوير ومع ذلك أورد فيه أخبارا واهية وأمورا مستحيلة كما هو دأب أهل العربية والأدباء الغافلين عن العلوم العقلية ثم إن هذا الكتاب متداول بين أصحاب العقول القاصرة كأمثاله أوله الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب ... إلخ ولعل المصنف أشار إلى أن هذا التأليف وأمثاله من الذنوب. وترجمته بالتركية لرجل من الأروام نقله بالتماس من عثمان بن إسكندر باشا.

(كشف ١ / ٧٠١).

قالت المؤلفة : الترجمة التركية التى أشار إليها حاجى خليفة أعلاه يوجد مخطوطها بدار الكتب القومية وقد أدرج فى الفهرس تحت عنوان «الجريدة الجديدة» وجاء بيانه كما يلى، وقد احتفظنا بأرقام النسخ كما وردت فى الفهرس :

١٢٦٨ ـ الجريدة الجديدة :

وهو ترجمة خريدة العجائب وفريدة الغرائب.

تأليف زين الدين عمر بن المظهر بن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

ترجمة محمود الخطيب من علماء القرن العاشر الهجرى

شرع فيها سنة ٩٧٠ هـ، بإشارة والتماس بعض إخوانه وقدمها إلى عثمان باشا بن إسكندر باشا. أولها : الحمد لله غافر الذنب، قابل التوب ... أما بعد قد أشار إلى العبد الفقير ... بلكل كه بورسالهٔ لطيفه ومجموعهٔ شريفة ... الخ.

نسخه مخطوطه فى مجلد، بقلم فارسى، تمت كتابتها فى ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٩٨٦ هـ بخط محمد، فى ... ورقة، مسطرتها ١٩ سطرا، فى ٢٠ × ١٥ سم. (٩٨ ـ م تاريخ تركى).



١٢٦٩ ـ نسخة أخرى :

ناقصة الأول وأول الموجود منها : بلكل كه بورساله ... مجموعه شريفدر.

ـ مخطوطه فى مجلد، الصفحة الأولى مجدلة بالمداد الأحمر، بقلم نسخ معتاد تمت كتابتها فى ١٨ رمضان سنة ١٠٣٠ هـ فى قلعة عاد الجواز، بخط محمد بن أحمد العاد الجوازى، فى ٢٢١ ورقة، مسطرتها ١٧ سطرا، فى ١٨,٥ × ١٢,٥ سم.

ناقصه بعض الأوراق من الوسط.

ذكر الخطاط فى آخر النسخه إحصاء عن المصاحف والكتب التى نسخها والرحلة التى قام بها واستغرقت أربع سنين وثلاثة أشهر.

(١٣ معارف عامة تركى طلعت)

١٢٧٠ ـ نسخة أخرى أولها كالسبقة مخطوطة فى مجلد مجدولة بالمداد الأحمر بقلم عادى تمت كتابتها يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢١٣ هـ، بخط محمد ابن الحاج محمد بن محمد، فى ٣٤٥ ص، مسطرتها ٢٣ سطرا، فى ٢٩,٥ × ٢٠,٥ سم.

بها ثلاث صور بالألوان: صورة للأرض، صورة مقياس النيل، دائرة بها صورة الكعبة الشريفة.

(١٥٩ البلدان التيمورية)

١٢٧١ ـ نسخة أخرى أولها كالسابقة مخطوطة فى مجلد، بقلم تعليق، بدون تاريخ، فى ١٥٤ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرا، فى ١٩,٥ × ١٣ سم.

بعض أوراقها ناقصة من آخرها.

(٤٢٩٢ س)

(فهرس المخطوطات التركية العثمانية ١ / ٣٢٦، ٣٢٧)

ويوجد مخطوط خريدة العجائب فى الخزانة العامة بالرباط وجاء بيانه كما يلى:

٥٨٠ د ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ تأليف أبى حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر المعروف بابن الوردى الشافعى، المولود بمعرة النعمان سنة ٦٨٩، والمتوفى سنة ٧٤٩هـ.

١٠٨٨ د ـ نسخة أخرى منه ـ

بها ورقات ١٣٣، مسطرتها ٢٠، مقياسها ٢٧٠ / ١٨٠.

فرغ منها عام ١٢٩٠، خطوط مغربية مختلفة.

أوله: قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله، الحمد لله غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب، عالم الغيب، كاشف الريب، مذلل الصعاب.

ذكر فيه الأقاليم والبلدان، وما فيها من العادات والنبات والحيوانات. بأوله دائرة مشتملة على صور الأقاليم.

به ورقات ١٨٠، مسطرته ٢١، مقياسه ٣١٠ / ٢٠٠.

وكان الفراغ من كتابته يوم الأحد فى سلخ شهر شعبان المعظم سنة ١١١٣، على يد إسماعيل بن محمد، خط مشرقى جيد.

تكلم عنه بروكلمان فى ملحقه ج ٢ ص ١٦٣، وسركيس فى معجمه ص ٢٨٤.

طبع موسوما بذكر البلدان والأقطار من خريدة العجائب، باعتناء هيلاندر (A. Hylander) ومعه ترجمة لاتينية فى لوند (أسوج) سنة ١٢٨٤، كما طبعت الخمسة أقسام الأولى منه فى جزءين ضمن ترجمة لاتينية بعناية ترنبورغ.

وذلك فى أوبسلا ١٨٣٥ ـ ١٨٣٩ م (مجموعة مختارة ق ١ / ٧٣).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى طبع مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون. الطبعة الأخيرة. بدون تاريخ وتقع فى ٢٨٠ صفحة من القطع الصغير.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠١، وفهرس المخطوطات التركية العثمانية التى اقتنتها دار الكتب القومية منذ عام ١٨٧٠ حتى نهاية عام ١٩٨٠ م، ١ / ٣٢٦، ٣٢٧، ومجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١ / ٧٣).

ملاحظة: الصورة المصاحبة لهذه المادة تبين الدائرة التى بأول كتاب خريدة العجائب والمشتملة على صور الأقاليم كما سبق ذكر ذلك فى مخطوط الخزانة العامة بالرباط المبين أعلاه، وتقع فى نسختى صفحة ٤.

*** الخريدة الغيبية فى شرح القصيدة العينية:**

من مصنفات التراث الإسلام فى الأدب

مخطوط فى المتحف العراقى

الرقم ٣١٣٨٥ / ٢

لأبى الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسينى الآلوسى المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ ـ ١٨٥٤ م.

الأول: (يا علىُّ أنت المخصوص بالحمد سرا وجهرا، والمقصور عليه بديع المدح نظما ونثرا ...)

وهى شرح على القصيدة العينية لعبد الباقى العمرى المتوفى سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م، فرغ منها الشارح سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م.

نسخة جيدة، كتبت سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م.

٢٢٠ ص. ٢٠×١٥ سم. ١٧ س.

معجم المؤلفين ١٢ / ١٧٥ معجم ٤، الأعلام ٧ / ١٧٦ طبعت على الحجر.

(مخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٦، ١٥٧).

*** خريدة الفوائد وجريدة الفرائد:**

خريدة الفوائد وجريدة الفرائد: لمحمد بن أحمد الدمشقى خطيب العادلية بحلب وهو مختصر أوله: الحمد لله محمود الفعال ... إلخ ذكر فيه أنه ألفه لمحمود باشا ورتب على أربعة أبواب الأول فى نصيحة الحكام، والثانى فيما

يتعلق باسمه من علم الحرف، والثالث فيما يناسبه من الأوفاق والخواتيم والأدعية، والرابع فيما يلزمه من تعظيم العلم والعلماء.

(كشف الظنون ١/ ٧٠١).

*** خريدة القصر وجريدة أهل العصر:**

قال حاجي خليفة:

خريدة القصر وجريدة أهل العصر: مجلدات لعماد الدين (الوزير العلامة) أبي عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني المتوفى سنة ٥٥٧ سبع وخمسين وخمسمائة (٥٩٧) أوله: الحمد لله مودع أرواح المعاني أشباح الألفاظ... إلخ ذكر أنه جعله ذيلا على كتاب زينة الدهر للخطيري وهو ذيل دمية القصر للباخرزي وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي وهو ذيل البارع لهارون المنجم وذكر أنه أيضا أورد الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٩٢ اثنتين وتسعين وخمسمائة من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب وهو في نحو عشر مجلدات.. ومختصره المسمى بعود الشباب ويسميه الشهاب بطرد الذباب في مجلد لمولانا علي بن محمد المعروف برضايي الرومي المتوفى قاضيا بمصر سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف أوله: الحمد لله الذي حمده عنوان كل جريدة (كشف ١/ ٧٠٢).

توجد صورة من مخطوطه بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانها كما يلي:

لعماد الدين الكاتب الأصفهاني أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.

(بروكلمان ١/ ٣١٥ وملحق ١/ ٥٤٨ سماه بروكلمان القصص المغرب عن الخبر المعرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب جزء من قسم الشام، ويشتمل أيضا على القسم الرابع في ذكر محاسن فضلاء مصر وبلاد المغرب.

يبدأ بترجمة الأديب أبي الفضل يحيى بن سلامة الحصكفي.

وينتهي أثناء ترجمة الصالح طلائع بن رزيك.

نسخة كتبت بخط نسخي جيد مشكول، في القرن الثامن، وهي في ٢١٤ ورقة، ومسطرتها ١٧ سطرا.

[مكتبة جامع الباشا بالموصل ٢٠] UNESCO

(فهرست المخطوطات المصورة جـ٢ ق٤/ ١٥٨، ١٥٩)

كما توجد قطعة من مخطوط في دار الكتب القطرية. نسخة بخط لا بأس به، ١٣٣ ورقة، ٢٨ × ١٨ سم، مسطرتها ٢٢ سطرا (مخطوطات دار الكتب القطرية ق ٣/ ١٠١)

طبعت الكتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥١، تحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس (الأعراب الرواة/ ٣٣١).

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٧٠٢، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية، التاريخ جـ٢ ق ٤ القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م/ ١٥٨، ١٥٩، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٠١، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقاني/ ٣٣١).

*** الخريدة والدرة الفريدة فيما ورد عن الحفاظ من مثلث الألفاظ:**

(ورد عنوانها أيضا «الخريدة والدرة النضيدة» وكذلك «مثلثات» في اللغة).

المؤلف: إبراهيم بن محمد سعيد بن مبارك فتة، المكي (ت ١٢٩٠ هـ/ ١٨٧٣ م).

قاض فاضل، من أهل مكة. ولي القضاء بمكة سنة ١٢٨٣ هـ، واستمر إلى أن توفي. صنف جملة كتب. أخباره في: «الأعلام» ١/ ٦٧، وقد رجع بشأنه إلى «نظم الدرر» مخطوط، «معجم المؤلفين» ١/ ٩٥).

أولها: «البسملة...،

حمداً لبارئ النسم

وذي البقاء والقدم

وقال: «وهذه أرجوزة (في ٢٣ بيتا)، من درة منظومة في جمعها، شبيهة مثلثات قطرب».

آخرها: «تمت هذه المثلثات والحمد لله والصلوات على سيد الكائنات، يوم الجمعة يوم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة ضمن مجموع [الرقم ٧ ــ ١٣٧١٦ مجاميع] فى مكتبة الأوقاف العامة ـ ببغداد («فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد» ٣ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣، تسلسل ٥١٤٥).

وهى بخط التعليق «فارسى» ١٧ ق، ٢٣س.

(٢٠ / لغة)

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١/ ١٥٢، ١٥٣).

* **الخريف:**

قال القزوينى عن هذا الفصل من فصول السنة:

وأما الخريف فهو وقت نزول الشمس فى أول الميزان فعند ذاك استواء الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة، والربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأشجار، فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها، فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبست أنواع النباتات، وماتت الهوام وانحجرت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة، وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب، ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس، وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء.

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٦٣، ٦٤).

* **خُرَيم بن فاتك الأسدى:**

هو من «بنى أسد». صحب النبى ــ ﷺ ــ فروى عنه... وابنه: أيمن بن خُريم، الشاعر.

وكان أبرص. وكان مع «بنى مَروان» يُسامرهم ويؤاكلهم.

حدثنى سهل بن محمد، قال حدثنا الأصمعى، قال: حدثنا زكريا الحبطى، عن أبيه، قال:

قال «عبد الملك بن مروان»، لـ «أيمن بن خريم الأسدى»: إن أباك كانت له صُحبة ولعَمِّك، فخذ هذا المال وانطلق فقاتل «ابن الزُّبير». فأَبَى، وقال:

[وافر]

ولستُ بقاتلٍ رجلاً يُصلِّى
على سُلطانِ آخرَ من قُرَيش
لـه سلطانُه وعلىَّ وِزْرى
معاذَ الله من سَفَهٍ وطَيش
أأقتلُ مؤمنًا وأعيش حَيًا
ولستُ بنافعٍ ما عشتُ عَيشى

(المعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٣٤٠).

* **الخز:**

جاء فى اللسان: الخَز: معروف من الثياب مشتق منه، عربى صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها؛ حكى سيبويه: مررتُ بَسرْجٍ خَزٍّ صفته.. والجمع خزوز. ومنه قول بعضهم: فإذا أعرابى يرفُل فى الخزوز، وبائعه خَزَّاز. وفى حديث على كرم الله وجهه: نهى عن ركوب الخَز والجلوس عليه. قال ابن الأثير. الخز: المعروف أولا ثياب تُنسج من صوف وإبْريسم (انظر هذه المادة فى م٢/ ١٧٨، ١٧٩) وهى مباحة. قال: وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزى المترفين. قال: وإن أُريد بالخَز النوع الآخر، وهو المعروف الآن، فهو حرام، لأنه كله معمول من الإبريسم. قال: وعليه يُحمل الحديث الآخر: «قوم يستحلون الخَز والحرير» (اللسان ١٢/ ١١٤٩).

وقد أدرج داود الأنطاكى فى تذكرته مادة بعنوان «خز» فقال: ليس هو الحرير كما ذكر بعضهم بل هو دابة بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة، يعمل من جلدها ملابس نفيسة تتداولها ملوك الصين، حارة يابسة فى الثانية، تنفع من النِّقرس والفالج وضعف المعدة والأمراض البلغمية، ووبرها يلحم الجراح ويقطع الدم وضعًا، ويسد الفتوق أكلاً، ولبسها يبرئ الجذام والحكة (التذكرة ١/ ١٣٩).

(لسان العرب لابن منظور ١١٤٩ / ٢ / ٨، وتذكره أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٣٩).

*** خزاعة:**

أفرد التقى الفاسى الباب الحادى والثلاثين للكلام على خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ومدة ولايتهم لمكة ننقل بعضا مما جاء فيه فيما يلى:

ذكر نسبهم:

أما نسبهم فاختلف فيه فقيل: إنهم من عدنان، ومن ولد قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. واسم قمعة عمير ورجح ذلك ابن حزم فى الجمهرة، واحتج له بأحاديث تقوم بها الحجة، وقيل: من ولد الصلت بن النضر ابن كنانة، ذكر هذا القول ابن قتيبة فيما نقله عنه القطب الحلبى. ونص كلامه: قال ابن قتيبة: وأما النضر بن مالك، فهو أبو مالك، والصلت. وأما الصلت فصار إلى اليمن ويقول قوم: إنه أبو خزاعة. ورجعت قريش إلى مالك بن النضر فهو أبوها كلها. ا هـ. وليس كل خزاعة على هذه المقالة من ولد الصلت وإنما بعضهم من ولده لأن ابن إسحاق قال فى السيرة: والذين يعزون إلى الصلت بن النضر ابن خزاعة فبنو مليح بن عمرو، رهط كثير عزة. وأنشد ابن إسحاق فى ذلك شعرا، وقيل: إنهم من قحطان. والقول الأول نسب لنساب مضر لأن ابن إسحاق قال فى سيرته: وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن يحيى بن قمعة بن إلياس. ا هـ. ونقل ابن عبد البر عن ابن إسحاق قال: وخزاعة بن ربيعة حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وخندف أمنا وإنما سميت خزاعة لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام، فنزلوا بمر الظهران (هو وادى فاطمة كما يسميه الحجازيون اليوم) فأقاموا بها ا هـ.

وما ذكر أن خزاعة من قحطان، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، لأنه قال فيما نقله عنه الزبير بن بكار: فلما لم تتناه جرهم عن بغيهم وتفوق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو بن عامر، فأوطنوا تمة. وسميق خزاعة خزاعة كعب، وفتح وسعد وعوف وعدى بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وأسلم وملكان ابن قصى ابن حارثة بن عمرو بن عامر ا هـ. وقال ابن الكلبى: عمرو بن لُحَى هو أبو خزاعة كلها منه تفرقت وذكر أن لُحيًّا هو ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن، بن الأزد، بن الغوث بن نبت، بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقال ابن الكلبى: قوله عمرو بن ربيعة يعنى عمرو بن لحى كعبا بطن وملحا بطن. وعديا بطن، وعوفا وسعدا وكل من ولد ربيعة بن حارثة فهم خزاعة. وإنما قيل لهم خزاعة: لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر تخلفوا عنهم وفارقوهم، وكذلك يقال أيضا: لبنى أفصى بن حارثة لأنهم تخزعوا من ولد مازن بن الأزد فى إقبالهم من اليمن. ثم تفرقوا فى البلدان وفى خزاعة بطون كثيرة.

وقال محمد بن عبدة بن سليمان النسابة: افترقت خزاعة على أربعة شعوب، فالشعب الأول ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر، الأسن بن ربيعة، وهم بنو جفنة. ويقال جفينة الذين بالشام من غسان، والشعب الثانى: أسلم بن أفصى. والشعب الثالث: ملكان. والشعب الرابع مالك بن قصى بن حارثة بن عمرو بن عامر. وقال: وإنما قيل لهم خزاعة لأنها تخزعت عن عظم الأزد والانخزاع التقاعس والتخلف، فأقامت بمر الظهران؛ بجنبات الحرم وولوا حجابة البيت دهرا، وما نقلناه عن أبى عبيدة وابن الكلبى نقله عنهما ابن عبد البر فى كتاب له فى الأنساب وقد ظهر بذلك وفيما ذكرناه عن أبى عبيدة وابن هشام أن خزاعة على القول بأنهم من قحطان من ولد حارثة بن عمرو بن عامر وذلك يرد ما ذكره السهيلى فى الروض الأنف، لأنه ذكر فى غير موضع من كتابه هذا ما يقتضى أن خزاعة من ولد حارثة بن ثعلبة بن عامر، لأنه قال: وأسلم إخوة خزاعة، وهم بنو حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر، ذكر ذلك لما تكلم على الحديث الذى احتج به على أن قحطان من عدنان. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: « ارموا يابنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» حين

قال ذلك لقوم من أسلم بن أفصى رآهم النبى ﷺ يرمون. وقاله السهيلى أيضا: لما تكلم على حديث عمرو بن لحى، وقد تقدم فى نسب خزاعة وأسلم أنهما ابنا حارثة بن ثعلبة ا هـ. وقد وافق السهيلى على ماذكره فى خزاعة صاحب الاكتفا الحافظ أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى، وقد ذكر ابن حزم فى الجمهرة (هو جمهرة أنساب العرب) ما يخالف ما ذكره السهيلى فى ثعلبة لأنه قال: لما ذكر أولاد عمرو بن عامر، وثعلبة الصيصاء بن عمرو من ولده الأوس والخزرج ا هـ. وابن حزم أقعد من السهيلى بالأنساب لأنه ممن يعول عليه فيها، كيف وفى كلام غيره من أئمة النسب ما يقتضى أن جد خزاعة على القول بأنهم من قحطان حارثة بن عمرو لا ثعلبة بن عمرو، وذكر السهيلى وجها فى الجمع بين قول من قال: إن خزاعة من مضر وبين قول من قال: إنهم من قحطان لأنه قال: وقول النبى ﷺ ارموا يا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان راميا» وهو معارض بحديث أكثم بن أبى الجون فى الظاهر إلا أن بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لُحَى كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن تأيمت من قمعة ولحى صغير، ولُحَى هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب إليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا إلى حارثة بالتبنى وإلى قمعة بالولادة، وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة فإنه أخو خزاعة، والقول فيه كالقول فى خزاعة، وقيل فى أسلم بن أفصى بن حارثة أنه من بنى أبى حارثة بن عامر أو من بنى حارثة ا هـ. وهذا الجمع يتجه أنه كان المتزوج لأم لحى حارثة بن عمرو بن عامر. لا حارثة بن ثعلبة بن عمرو لما سبق فى ذلك.

وقد بين ابن حزم نسب خزاعة على القول بأنهم من مضر وبيَّن الحجة على ذلك فنذكر ما ذكره لما فى ذلك من الفائدة. فأما ما احتج به ابن حزم على أن خزاعة من مضر فهو حديث أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال النبى ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر بن لحى، يجر قصبه فى النار». وكان أول من سيب السوائب، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبو خزاعة» قال ابن حزم: ليس هذا مخالفا لما قبله إذ قد ينسب الولد إلى جده نسبه إضافية، كما قال النبى ﷺ: «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» وحديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ورأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف أبا بنى كعب هؤلاء يجر قصبه فى النار»، وحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول ﷺ: «عرضت علىَّ النار، فرأيت فيها عمرو بن لُحَى بن قمعة بن خندف يجر قصبه فى النار. وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وأشبه من رأيت به أكثم بن أبى الجون فقال أكثم: أيضرنى شبهه يارسول الله؟ قال: لا، لأنه كافر وأنت مسلم» وحديث سلمة بن الأكوع، قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق. فقال: «ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا». وهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين. وأخرج ابن حزم منها الأول والثانى والخامس من صحيح البخارى، وأخرج الثالث من صحيح مسلم بسنده، وأخرج الرابع من طريق الدارقطنى عن المحاملى، وقال ابن حزم: وأما الحديث الأول، والثالث، والرابع، ففى غاية الصحة والثبات. وأما الثانى ففيه ما فيه ولكن فى الأحاديث حجة قاطعة، وكفاية. ولا يجوز تعدى القول بما فيها، فخزاعة من ولد قمعة بن مضر بلا شك وليس لأحد مع هذا الكلام وأسلم أخو خزاعة بلا شك عند أحد من النسابين. وقال: فولد قمعة بن إلياس عامر بن قمعة، وولد عامر بن قمعة قصى ربيعة، وهو لحى بن عامر ابن قمعة، وولد لحى بن عامر بن قمعة عامر بن لحى، وولد عامر بن لحى عمرو بن عامر بن لحى. وهو عمرو بن لحى نسب إلى جده. وهو أول من غير دين إبراهيم وإسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان، وولد عمرو بن عامر بن لحى كعبا بطن، وسليحا بطن. وعوفا بطن. أمهم أسدية. وعديا بطن أمه أيضا أسدية، وسعد أمه خارجة. ا هـ. وإذا تقرر أن خزاعة من مضر فلا يظهر تسميتها لخزاعة معنى، وإذا كانوا من قحطان فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة. والانخزاع هو المفارقة، وفى ذلك يقول عوف بن أيوب الأنصارى الخزرجى:

فلمَّـــا هَبَطْنَـــا بطن مُـــر تَخَـــزَّعـتْ
خـــزاعـــةُ منَّـــا فى حُلُـــول كـــراكـــر
حمتْ كل واد من تهـــامـــة واحتَمتْ
بصُمِّ القنـــا والمـــرهفـــات البـــواتـــر

هكـذا ذكر ابن هشـام فى السيـرة هذين البيتين لعـوف بن ايـوب الأنصـارى، وقـال: هـذان البيتـان لـه فى قصيـدة، وأنشدهما الأزرقى لحسان بن ثابت الأنصارى، وذلك فى خبر طويل رواه عن أبى صالـح ذكر فيه خبر جرهم وخزاعة، وفيه قـال حسان بن ثـابت الأنصارى يـذكـر انخزاع خـزاعة بمكـة ومسير الأوس والخزرج إلى المدينة، وغسان إلى الشام:

فلمـــا هبطنـــا بطـن مـــر تخـــزعـت
خـــزاعـــة منـــا فى حلـــول كـــراكـــر
حمـــوا كل واد فـى تهـــامـــة واحتمـــوا
بصُم القنـــا والمـــرهفـــات البـــواتـــر
فكـــان لهـــا المـــربـــاع فـى كل غـــارة
بنجـــد وفى كـل الفجـــاج الغـــوابـــر
ونحـن ظللنـــا فـى اجتهـــاد وهجـــرة
وأنصـــارنـــا جنـــد النبى المهـــاجـــر

وذكـر بقيتهـا وهى تسعـة أبيـات تتضمن مـدح الأنصار وغسان.

ذكر سبب ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قـد سبق فى أخبـار جـرهم ابتـداء ولايـة خـزاعـة لمكـة؛ واختلاف ما ذكره ابن إسحاق والكلبى فى سبب ولايتهم لمكة فأغنى ذلك عن إعادتـه ونذكـر ههنا غير مـا سبق مما يقتضى ذلك. قـال الفاكهى، بعـد أن روى فى هذا المعنى أخبـارا: قال ابن أبى سلمة، وابن إسحاق فى حديثهما: فلم يزل الأمر بجـرهم، وغبشـان وبكر حتـى اقتتلوا فغلبتهم بكـر وغبشـان وظهروا عليهم، ووطئـوهم، ونفوهم من مكـة إلى ما حـولها، وولوا عليهم البيت وما كانوا يلون بمكة من الحكم وغيره اهـ. وذكـر الزبيـر وغيره من أهل الأخبـار ما يقتضى أن سبب ولايـة خـزاعة للبيت غيـر ما ذكـره ابن إسحاق، وذلك أن امـرأة من خزاعة يقال لها قدامة كانت متزوجة فى بنى إياد بن نزار نظرت إلى بنى إياد لمـا دفنوا الحجر الأسود حين خرجـوا إلى العراق بعـد أن تعـذر عليهم حملـه فإنهم لم يحملـوه على شىء إلا عجز. ففقـدت مضر الركن. فعظم ذلك فى نفـوسها، ورأت المرأة الخـزاعية عظم مشقـة ذلك. فأمـرت قومها أن يـأخذوا على مضر أن يولـوهم حجابة البيت وتدلهم المـرأة على الركن ففعلوا ذلك، ووافقتهم عليه مضر، ودلتهم المرأة على الحجر الأسود، فـابتحثوه من تحت الشجرة وأعيد إلى مكـانه ووليت خزاعة بعد ذلك. ولم يبـرح فى أيديهم حتى قدم قصى؛ هذا معنى ما ذكـره الزبير والكلبى فى هـذا الخبر وقد سبق قـريبا، وبـان بـذلك أن سبب ولايـة خزاعـة للبيت غيـر مـا ذكـره ابن إسحاق. والله أعلم بالصواب.

ذكر مدة ولاية خزاعة لمكة فى الجاهلية

قال الأزرقى فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: قال: حدثنى جدى، قال: حـدثنا سعد بن سالم. عن عثمـان بن ساج عن ابن جريج، وعن أبى إسحاق يزيد أحدهما على الآخر. قال: قـامت خزاعـة على ما كـانت عليه من ولايـة البيت، والحكم بمكة ثـلاثمائة سنـة، وكان بعـض التبابعـة قد سـار إليه وأراد هدمه وتخريبه، فقامت دونه خـزاعة فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع، ثم آخر كذلك. وقال الأزرقى أيضا فيما رويناه عنه بالسند المتقدم: حدثنى جدى، قـال: حدثنا سعيد بن سالم عن عثمـان بن سـاج عن الكلبى عن أبى صـالح فـذكر خبـرا طويلا فى خبر جرهم وخزاعة، قال فيه: فكان عمرو بن لحى على البيت وولده من بعده خمسمـائة سنة، حتى كان آخرهم جليل ابن حبشية ابن سلول بن كعب فـزوج إليه قصى ابنته من ابنه جليل وكـانوا هم حجـابه وخـزانه والقـوام به وولاة الحكم بمكة وهو عامر ولم يخرب فيـه خراب ولم تبن خزاعة فيه شيئا بعد جرهم ولم يسرق منه شىء علمنـاه ولا سمعنا به، وترادفوا على تعظيمه والذب عنه، وقال فى ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغبشانى:

نحن ولينــــــاه فلــم نغشــــــه
وابـن مضــــاض قـــائم يهشـــه
يأخــذ مـــا يهـــدى لـــه يعشـــه
نتــــرك مـــال الله مـــا نمســـه

ذكر من ولي البيت من خزاعة وغير ذلك من خبر جرهم.

اختلف فى أول ملوك خزاعة بمكة، فقيل: عمرو بن لُحَى هو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر على القول بأنهم من قحطان. ويدل لذلك خبر رواه الزبير بن بكار عن أبى عبيدة فيه ذكر شىء من خبر جرهم وخزاعة، لأن فيه: فاجتمعت خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمه فهيرة بنت عمرو بنت الحرث بن مضاض الجرهمى، وليس بابن مضاض الأكبر فاقتتلوا ثم قال فيه بعد ذكره لخروج من بقى من جرهم إلى جشم من أرض جهينة: وولى البيت عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ا هـ. وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن عمرو بن لحى أول ملوك خزاعة وفيه ذكر شىء من خبره، وخبر جرهم. لأنه قال: ويقال فى رواية أبى عمرو الشيبانى: إن حجابة البيت صارت إلى خزاعة، لأن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن تزوج فهيرة بنت الحرث بن مضاض الجرهمى، فولدت له عمرو بن ربيعة فلما شب عمرو وساد وشرف طلب حجابة البيت، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم وبين جرهم. وذكروا: أن عمرو بن ربيعة عاش ثلاثمائة وخمسا وأربعين سنة وبلغ ولده فى حياته ألف مقاتل من ولد كعب وعدى وسعد ومليح وعوف بن عمرو، وكانت بينهم حروب طويلة وقتال شديد، ثم إن خزاعة غلبوا جرهمًا على البيت وخرجت جرهم حتى نزلت وادى إضم (واد فى الشمال الغربى من مكة يصب فى البحر) فهلكوا فيه وكان عمرو بن ربيعة أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام وأنه خرج إلى الشام فاستخلف على البيت رجلا من بنى عبد بن ضخم يقال له: آكل المروة [المرار] وعمرو يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم عليه السلام. فلما قدم الشام نزل البلقاء (الأردن الآن) فوجد قوما يعبدون أوثانا فقال: ما هذه الأنصاب التى أراكم تعبدون؟ فقالوا: أربابا نتخذها نستنصر بها على عدونا فننصر، ونستشفى بها من المرض فنشفى، فوقع قولهم فى نفسه. فقال: هبوا لى منها واحدا نتخذه ببلدى، فإنى صاحب بيت الله الحرام وإلىَّ وفد العرب من كل صوب، فأعطوه صنما يقول له: هُبَل، فحمله حتى نصبه للناس بمكة، فتابعته العرب على ذلك، وذكر بقية الخبر، وذكر الأزرقى شيئا من خبر عمرو بن لحى وأبان فيه غير ما سبق لأنه روى خبرا طويلا فى ولاية خزاعة بعد جرهم. وفى الخبر: فتزوج لحى وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحرث بن مضاض بن عمرو الجرهمى؛ فولدت له عَمرا وهو عمرو بن لحى، وبلغ ـ بمكة وفى العرب ـ من الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية. وهو الذى قسم بين العرب فى حطمة حطموها عشرة آلاف ناقة. وقد كان عوَّر عشرين فحلا، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عشرين فحلا، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمها على الثريد، وعم فى تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه فى العرب كل مذهب، فكانه قوله فيهم دينا متبعا، لا يخالف وهو الذى بحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحام، وسيب السوائب، ونصب الأصنام حول الكعبة. وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه فى بطن الكعبة؛ فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام. وهو أول من غيَّر الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام، وكان أمره بمكة فى العرب مطاعا لا يعصى، وكان بمكة رجل من جرهم (هو الحارث بن مضاض) على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكان شاعرا؛ فقال لعمرو بن لُحَى حين غير دينه الحنيفية:

يــاعمــرو لا تظلـم بمــــكة إنهــا بلـــد حـــرام
ســـائل بعـــاد أيـن هـم وكـــذلك تختــرم الأنـــام
ومـن العمـــاليق الـــذيــن لهم بهـــا كـــان الســوام

فزعموا أن عمرو بن لحى أخرج ذلك الجرهمى من مكة فنزل بإضم من أعراض مدينة النبى ﷺ فقال الجرهمى وتشوق إلى مكة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
وأهلى معا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفخ فى الثرى
لها بمنى والمأزمين زميل
منازل كنا أهلها لم يحل بنا
زمان بها فيها أراه يحول
مضى أولونا قانعين بشأنهم
جميعا وغالتنا بمكة غول

(العيس : الإبل . الزميل : صوت الإبل فى حدائها) وقيل : إن أول ملوك مكة من خزاعة ، لحى : وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر والد عمرو بن لحى السابق ذكره ، وهذا القول ذكره الأزرقى لأنه روى بسنده خبرا طويلا فى خروج جرهم من مكة . وولاية خزاعة لهم بعدهم ، وفيه بعد أن ذكر تفرق أولاد عمرو بن عامر فى البلاد : وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى أمر مكة وحجابة البيت انتهى . وقيل : إن أول ملوك خزاعة بمكة عمرو ابن الحارث الغبشانى ، ويدل لهذا القول ماذكره الزبير بن بكار عن أبى عبيدة ، لأن فى الخبر الذى ذكره فى إخراج خزاعة لجرهم من مكة بعد قوله : وولى البيت عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر. وقال أبو قصى : بل وليه عمرو ابن الحارث بن عمرو أحد بنى غبشان بن سليم بن بنى ملكان ابن قصى وولى البيت وهو الذى يقول :

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم
لنعمره من كل باغ وملحد

وقال أيضا :

واد حرام طيره ووحشه
ونحن ولاته فلا نغشه

ويرى :

نحن وليناه فلا نغشه

وزاد غير أبى عبيدة :

وابن مضاض قائم يهشه

ونقل الفاكهى ما يقتضى : أن عمرو بن الحارث أول من ولى البيت لأنه قال : قال الواقدى (صاحب كتاب فتوح الشام ت نحو ٢١٦ هـ) : وحدثنى حرام بن هشام عن أبيه قال : أول من وليه من غبشان من خزاعة ، وكان الذى وليه منهم عمرو ابن الحارث بن لؤى بن ملكان بن قصى ، نصب هبل صنما بمكة . فقال الحارث بن مضاض وهو يعظ عمرا :

يا عمرو لا تفجر بمكة
إنها بلد حرام

فتحصل من هذه الأخبار ثلاثة أقوال فى أول من ولى مكة من خزاعة هل هو عمرو بن لحى كما ذكر أبو عبيدة والفاكهى؟ أو أبوه لحى كما ذكر الأزرقى؟ أو ابن الحارث الغبشانى ، كما ذكر أبو عبيدة وابن الكلبى؟ والله أعلم .

وتحصل من هذا فيمن نصب هُبَل قولان : أحدهما أنه عمرو بن لحى ، وهو القول المشهور. والآخر عمرو بن الحارث الغبشانى كما نقل الواقدى عن ابن الكلبى .

ورأيت فى «المورد العذب الهنى ، فى شرح سيرة عبد الغنى» للحافظ قطب الدين الحلبى فى ذلك قولا ثالثا ، لأنه قال : لما ذكر خزيمة جد النبى ﷺ : وخزيمة هو الذى نصب هبل على الكعبة وكان يقال : هبل خزيمة هكذا ذكر ابن الأثير اهـ.

وذكر ابن إسحاق ما يقتضى أن غبشان من خزاعة انفردت بالكعبة دون بكر بن عبد مناة بن كنانة لأنه قال بعد أن ذكر إخراج بنى بكر وغبشان لجرهم من مكة : ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى اهـ.

وذكر الفاكهى عن ابن إسحاق ما يقتضى أن بنى بكر لم

تل مع غبشان البيت، وإنما كانت بكر عضدا لغبشان، وأفاد في ذلك غير ما سبق فاقتضى ذكر ما ذكره ونص كلامه: حدثنا عبد الله بن عمران المخزومي قال: حدثنا سعيد بن سالم، قال: قال عثمان يعني ابن ساج: أخبرني محمد بن إسحاق، وحدثني عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن ابن إسحاق، يزيد أحدهما على صاحبه في اللفظ، قال: ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت من بعد جرهم دون بكر بن كنانة فكانت بكر لهم عضدا وناصرا ممن بغى عليهم. وقد حاربتهم، وقريش إذا ذاك حلول وأصرام وهم بيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة. وكان الذي يلي البيت من غبشان عمرو بن الحارث بن لؤي بن ملكان بن قصي وهو الذي يقول:

نحن وليناه فلم نغشه
وابن مضاض قائم يهشه
يأخذ ما يهدى له يغُشُّه
نترك مال الله لا نمسه

وقال أيضا:

نحن ولينا البيت من بعد جرهم
لنمنعه من كل باغ وظالم
ونمنعه من كل باغ يريده
فيرجع منا عنده غير سالم
ونحفظ حق الله فيه وعهدنا
ونمنعه من كل باغ وآثم
ونترك ما يهدى له لا نمسه
نخاف عقاب الله عند المحارم
وكيف نريد الظلم فيه وربنا
بصير بأمر الظلم من كل غاشم
فوالله لا ينفك يحفظ أمره
ويعمره ما حج أهل المواسم
ونحن نفينا جرهما عن بلادها
إلى بلدة فيها صنوف المآثم

قال: فوليت خزاعة البيت زمانا طويلا، وهم أخرجوا أسافا ونائلة من الكعبة فوضعوهما على زمزم (انظر مادة «أساف ونائلة» في م ٤/ ١٤١، ١٤٢) وذكر الفاكهي خبرا يقتضي بأن قيس بن غيلان أرادوا إخراج خزاعة من مكة فلم يتم لهم أمر لأنه قال بعد أن ذكر شيئا عن الواقدي: فلما مات عمرو بن لحي ولي البيت من بعده كعب بن عمرو فاجتمعت قيس على عامر بن الظرب العدواني، فسار بهم إلى مكة ليخرج خزاعة، فقاتلتهم خزاعة فانهزمت قيس ووليت خزاعة البيت لا ينازعهم أحد. ا هـ. واستفدنا من هذا الخبر ولاية كعب بن عمرو بن لحي للبيت بعد أبيه عمرو.

وذكر الفاكهي لبعض عدوان شعرا نال فيه من خزاعة لأن بعض خزاعة قال شعرا تعرض فيه لعدوان فيما يظهر والله أعلم. ونص ما ذكره الفاكهي وقال حليل:

نحن بنو عمرو ولاة المشعر
نذب بالمعروف أهل المنكر
حَسا ولسنا بهذا المحصر

وقال: وأجابه نصر بن الأحت العدواني:

إن الخنا منكم وقول المنكر
جئناكمو بالزحف في المسنور
بكل ماض في اللقاء مسعر

وذكر الفاكهي: عن حليل ابن حبشية هذا شعرا آخر، لأنه قال: وقال حليل ابن حبشية:

واد حرام طيره ووحشه
وابن مضاض قائم يهشه

وقد سبق فيما ذكره الفاكهي عن ابن إسحاق أن عمرو بن الحرث الغبشاني هو الذي يقول:

نحن وليناه فلم نغشه
وابن مضاض قائم يهشه

ولعل حليلا قال ذلك استشهادا فينتفي التعارض والله أعلم. وحليل هذا آخر من ولي البيت وأمر مكة من خزاعة

على ماذكره الفاكهى فيما رواه بسنده عن عائشة وابن إسحاق وغيره من أهل الأخبار.

وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن أبا غبشان الخزاعى كان شريك حليل فى الكعبة، وأبو غبشان هو على ما ذكره الزبير عن الأبرم عن أبى عبيدة: سليم بن عمرو بن لؤى بن ملكان ابن أفصى (مضى ذكره على أن اسمه قصى) بن حارثة ابن عمرو بن عامر، ونص الخبر الذى ذكره الفاكهى قال الواقدى: وسمعت ابن جريج يقول: كان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل أعطى ابنته المفتاح حتى تفتحه، فإذا اعتلت أعطت زوجها قصيا يفتحه. وكان قصى يعمل فى أخذ البيت وحيازته إليه. وذكر قطع خزاعة منه وكان شريك حليل فيه أبو غبشان وكان حليل يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان. وذكر الفاكهى خبرا يقتضى أن حليلا أوصى بولاية البيت لأبى غبشان لأنه قال: حدثنا حسن بن حسين الأزدى قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال عيسى بن بكر الكنانى المدنى قال: قال ابن الكلبى أو غيره: يقال: إن قصيا دعا أبا غبشان الملكانى فقال: هل لك أن تدع الأمر الذى أوصى به إلى حبى وعبد المدان فتخلى بينهما وبينه وتصيب عرضا من الدنيا فطابت نفس أبى غبشان وأجابهم إلى ذلك فأعطاهم قصى أثوابا وأبعرة ولم يكن أبو غبشان وارثا لحليل ولا وليا إنما كان وصيًّا فجاز وصيته وصيرت حبى إلى ابنها حجابة البيت ودفعت المفاتيح إليه اهـ.

وذكر الزبير بن بكار خبرا يقتضى أن حليل بن حبشية جعل لأبى غبشان فتح البيت وإغلاقه، وأن قصيا اشترى ولاية البيت من أبى غبشان بزق خمر وقعود. وهذا الخبر نقله الزبير عن الأشرم عن أبى عبيدة. وقال الزبير: قال محمد بن الضحاك: اشترى قصى مفتاح بيت الله الحرام من أبى غبشان الخزاعى بكبش وزق خمر. فقال الناس: أخسر من صفقة أبى غبشان فذهبت مثلا. اهـ.

فتحصل من هذه الأخبار، فيما اشترى به قصى من أبى غبشان ما كان له فى الكعبة، ثلاثة أقوال: هل ذلك أثواب وأبعرة؟ أو هو زق خمر وقعود؟ أوهو كبش وزق خمر؟.

وفى ذلك قول آخر رابع، وهو زق خمر فقط. وذكر الزبير أن أبا غبشان كان يلى البيت وأفاد الفاكهى سببا فى بيع أبى غبشان ما كان له فى البيت لأن فى الخبر الذى نقله الفاكهى عن الواقدى عن ابن جريج بعد قوله «وكان يتنزه عن أشياء يفعلها أبو غبشان»: وكانت البحائر تنحر عند البيت عند أساف ونائلة، فكان أبو غبشان له من كل بحيرة رأسها والعنق ثم أنه استقل ذلك أن يرضى بذلك فقال: يزيدون الأكتاف. ففعلوا، ثم أدب لهم: فقال: يزيدون العجز، فأبى الناس ذلك عليه. فأتى رجل من بنى عقيل يقال له: مرة بن كثير أو كبير ببدنة له وكانت سمينة فنحرها وأبو غبشان قائم. فقال: ابدأ بالعنق، والرأس، والكتف، والعجز. فقال العقيلى: فما بقى إذا لمن سيقت إليه؟ قال: الأكارع، قال: فرفده الناس ومن حضر من قريش وغيرهم وقالوا: عبث، كنت أولا تقول: الرأس والعنق. فكان هذا أخف من غيره، ثم تعديت إلى «الأكارع فقال: لا أقيم فى هذا البلد أبدا إلا على ذلك. فلما أبوا عليه. قال: من يشترى نصيبى من البيت بأداوة تبلغنى إلى اليمن أو بزق خمر. فاشترى نصيبه فى ذلك قصى وارتحل أبو غبشان إلى اليمن. فقال الناس: أخسر من صفقة أبى غبشان.

قال الواقدى: وقد رأيت مشيخة خزاعة تنكر هذا. ونقل الفاكهى عن الزبير بن بكار ما يقتضى أن قصيا اشترى مفتاح البيت من أبى غبشان بالطائف، وهذا يخالف ما فى الخبر الذى قبله، فإنه يقتضى أن شراء قصى لذلك كان بمكة.

وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب له فى الأنساب شيئا من فضل خزاعة يحسن ذكره هنا، وذلك أنه قال بعد أن ذكر نسبهم نزول خزاعة الحرم ومجاورتهم قريشا. قال ابن عباس رضى الله عنهما: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب بن لؤى وكعب بن عمرو بن لُحَى، وذلك أن دارهم كانت واحدة، ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وسلم لأنهم حلفاء بنى هاشم وقد أدخلهم رسول الله ﷺ فى كتاب القضية عام الحديبية حين قاضى مشركى مكة معه وأدخلت قريش بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة معهم، فوقعت حرب بين خزاعة

وبين بنى بكر فأعان مشركو قريش حلفاءهم بنى بكر ونقضوا بذلك العهد. فكان ذلك سبب فتح مكة لنصر رسول الله ﷺ خزاعة حلفاءه (جاء فى هامش (١): وقد أنشد عمرو بن سالم الخزاعى فى ذلك قصيدة طويلة أمام رسول الله ﷺ، ذكرناها فى غير هذا الموضع. فلما سمعها الرسول وعرف منها غدر قريش أقسم قائلا: «والله لأغزون قريشا») وروى عنه ﷺ قال يومئذ لسحابة رآها: واها هذه السحابة تستهل بنصر ابن كعب، وأعطاهم النبى ﷺ منزلة لم يعطها أحدًا من الناس، أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا. اهـ. ووقع فيما ذكرناه من خبر عمرو بن لحى ذكر البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، من غير بيان لذلك، وقد بين ذلك ابن إسحاق، أما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة: الناقة إذا تابعت من بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما أنتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهى البحيرة بنت السائبة؛ والوصيلة: الشاة إذا أنتجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون الإناث إلى أن يموت منها شىء فيشركون فى أكله ذكورهم وإناثهم. قال ابن هشام: ويروى ما كان ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم. قال ابن إسحاق: والحام: الفحل إذا أنتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك. قال ابن هشام: هذا عند العرب على غير هذا إلا الحام فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق: فالبحيرة عنده الناقة تشق أذنها فلا تركب ظهرها ولا يُجَز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق بها ويهمل لآلهتهم. والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها إذا برأ من مرضه، أو أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان كذلك ساب من إبله ناقة أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فصارت لا ينتفع بها؛ والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطنها فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخاها معها فلا ينتفع به، حدثنى به يونس وغيره، وروى بعض من لم ير بعض.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ أنزل عليه ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون**﴾ [المائدة: ١٠٣] وأنزل عليه ﴿**وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**﴾ [الأنعام: ١٣٩] وأنزل عليه ﴿**قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون**﴾ [يونس: ٥٩]وأنزل عليه ﴿**ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم، إن الله لايهدى القوم الظالمين**﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤] اهـ. وقال السهيلى: فصل، وذكر البحيرة والسائبة، وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر، وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال، منها ما يقرب ومنها ما يبعد عن قولهما، وحسبك منها ماوقع فى الكتاب لأنها أمور كانت جاهلية والله أعلم.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين الفاسى ٢/ ٤٤-٥٦)

انظر خبر عمرو بن لحى فى مادة «الأصنام» فى م ٥/ ٢١٠، ٢١١. ونوافيك بخبر عمرو بن عامر الذى تنسب إليه خزاعة فى موضعه فى حرف العين إن شاء الله تعالى.

* **أبو خزامة:**

قال ابن عبد البر:

أبو خُزَامة. اسمه رفاعة بن عرابة. ويقال: ابن عرادة العذرى من بنى عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. ويقال فيه الجهنى، وهو بالجهنى أشهر وجهينة أخو عذرة، كان يسكن الحباب، وهى أرض عذرة، له صحبة، عداده فى أهل الحجاز. روى عنه عطاء بن يسار. وقد ذكر بعضهم فى الصحابة آخر أبا خزامة بحديث أخطأ فيه رواية عن ابن شهاب. والصواب ما رواه

يونس بن يـزيد، وابن عيينة، وعبد الـرحمن بن إسحاق. عن الزهرى، عن أبى خزامة، أحد بنى الحارث بن سعد، عن أبيه ـ أنـه قال: يارسـول الله، أرأيت رقًى نسترقيهـا، وتقًى نتقيها، وأدوية نتداوى بها، أترد من قدر الله؟ فقال رسول الله ﷺ: هى من قدر الله. وقال غيرهم فيه، عن الزهرى، عن أبى خزامة بن يعمر، عن أبيه، عن النبى ﷺ. وأبو خزامة هذا من التابعين لا من الصحابة، على أن حديثه هذا مختلف فيه جدا.

(الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبـد البر ـ تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣٩، ١٦٤٨).

* **الخُزامى:**

أدرجه المظفر الرسولى تحـت عنوان «خَزَم وخُزَامى» نقلا عن كتاب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» لعبد الله بن البيطار الذى رمز إليه بالحرف «ع» قال:

خـزَمَ وخُـزَامى ـ «ع» الخـزَم والخُـزامى: نبـات ينبت فى البساتين، ذو أوراق قليلة العرض، يحمل زهرا متفرق الورق، لـونـه بنفسجى، بل هـو أحسن من لـون البنفسج، لـه رائحـة حسنة، وهو كثير بأرض الفرس، وهم يعظمـونه ويتبركون به، لأن شمه والنظر إليه يحـدث سرورا، ويفرح النفس، ويزيل الغم المعتـرض بـلا سبب، وإذا أمسك إنسان ورقـه فى كفـه حُبب إلى كل من ينظر إليه. والخزامى: هى خيرى البر، وهى طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمـراء الزهر، طيبة الرائحة، ليس فى الزهر أطيب نفحة منها، تشاكل رائحة فاغية الحناء، وهـو حـار ملطف، مسخن للـدمـاغ البـارد إذا حمل عليـه، ويشرب لسـوء مزاج الكبد والطحال، وإذا بخـر به أذهب كل رائحة منتنة، ويسخن الـرحم، ويجفف رطوباته السـائلة منها سيلانـا مزمنا، ويحسن حـاله، ويعين على الحبل إذا احتمل فى فرزجة مجرب.

(المعتمد ١/ ١٢٥)

وقـال عنه داود الأنطـاكى، وقد كتب «خـزاما» بـالألف: خزامـا نبتةٌ لطيفة تقـارب البنفسج حتى إن بصلتها إذا عكست أو شقت صليبا كانت بنفسجا كذا فى الفلاحة وهو يبدو بأذار (مارس) ويـدرك بحزيـران (يونيـة) وموضعـه الجبال وبطـون الأوديـة وليس هو بـرى الخيرى بل مستقبـل يزهـر إلى الزرقـة واللازورديـة يخلف بزرا إلى سـواد ذكى الرائحـة يفوق الفـاغية ويقارب النسـرين حار فى الثـانية أو بـارد فى الأولى رطب فى أول الثانية أو يـابس يفتح سدد الدماغ ويقـوى ويجلب زكامًا كثيرا ورطـوبات من الأنف ويحلل الـرياح الغليظـة والصداع البارد ويقوى الكبد والقلب والطحال والكلى ويدر الفضلات وينقى الأرحام ويعين على الحمل شـربا وحمولا وإذا مـزج به البدن طيـب رائحته ومنع نتـونة العـرق وشد الأعصـاب ودهنه المستخرج منه يقوم مقام النفط فى أفعاله وهو يصدع المحرور ويصلحه الآس وشـربته إلى ثلاثـة وبدله البـابونج (التذكرة ١/ ١٣٩).

وجاء فى مفتاح الفلاحة مايلى:

الخزامى (الخيرى أو المنثور)

ضـرب من الريـاحين، وهـو خيـرى البر، ويسمى بمصـر المنثور وهـو خيرى أصفـر والبعض يسميـه البابـونة، طـويلة العيدان، صغيرة الـورق، حمراء الزهر، طيبة الـريح، كرائحة فاغية الحناء، ومنابتها الرمل والرياض (مفتاح الراحة / ٣٢٧).

وقال عنه الشيخ عبد الغنى النابلسى:

يزرع بـزره فى تشرين الأول (أكتـوبر) والثانى وكـانون الأول والثانى (ديسمبر ويناير) وهو لا يحب الماء ولا الزبل، وينقل فى شباط وآذار، ويؤخذ بزره فى آب ويحفظ، وهو أنواع، نوع طيب الـريح، وهو المـرماحـوز، ونـوع أقل ريحًا منـه يسمى سموما، ونوع يقال له الأبيض ويقـال له الثور، ونوع بارد، ونوع حـار يسمى مرمـاهونس. والأبيض معتـدل فيه قـوة مفرحـة، والنـوع الحار يـزيل الانتفاخ وينقى البلغم، ويفتح الانسـداد وينفع من الصـداع البـارد ووجـع المعـدة ويقـويهـا ويقـوى الأمعـاء، وبـزره ينفع من الإسهـال والـدوسنطـاريـة إذا قلى. والمرمـاحوز برى وبستـانى، وأجوده البستانى الأخضـر، وهو حـار يـابس فى الثـانيـة، وقيل فى الثـالثـة، وقيل يـابس فى الـرابعة، وقيل حـرارته فى الأولى، وهـو لطيف محلل مسكن للأريـاح ويفتح الانسدادات البلغميـة حيث كانت، وينشف رطوبة المعـدة ويقويها، وقدر ما يؤخـذ منه درهم، وهو يمنع

القيء، ويعين على الاستمراء، وشمه يجلب الصداع لكن ترياقه الرياحين الباردة (علم الملاحة / ١٦٢).

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٢٥، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١/ ١٣٩، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول - تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، ود. إحسان صدقي العمد / ٣٢٧، وعلم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي / ١٦٢. انظر أيضا المواكب الإسلامية لمحمد بن عيسى بن كنان الصالحي - تحقيق ودراسة د. حكمت إسماعيل، مراجعة محمد المصري / ٢٤٧).

*** خزانات ماء الشرب بالمدينة المنورة:**

قال تقي الدين الفاسي:

كان أهل المدينة المنورة في الجاهلية، وصدر الإسلام، يستقون من آبارها الشهيرة بعذوبة مائها: كبئر «بضاعة»، وبئر «اريس» وبئر «بيرحاء»، وبئر «غرس»، وبئر «رومة»، وبئر «البصة»، وبئر «السقيا» وبئر «ذروان»، وبئر «عروة» وبئر «أبي أيوب».

وما زال هذا شأن أهل المدينة المنورة، حتى انتقلت الخلافة من الكوفة إلى دمشق، وأصبح معاوية بن أبي سفيان هو الخليفة. فأحب أن يتخذ يدا عند أهل المدينة المنورة، فبعث إلى واليه فيها «مروان بن الحكم» وكان ذلك في طليعة النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وأمره بإجراء الماء من الضواحي إلى البلدة كما رأى ذلك في دمشق، وأمده من أجل ذلك بكل ما يحتاجه من أموال ورجال وآلات وسوى ذلك.

وبعد أن استقر رأى الخبراء على أن يكون مأتى الماء من ضاحية قباء لعذوبة مياهها وغزارتها. طفقوا يحفرون الأنفاق للديل وقد فرح أهل المدينة بذلك. وسموا عين الماء التي جرت إليهم بالعين الزرقاء نسبة إلى مروان الذي كانت عيناه زرقاوين (الديل: هو جدول الماء، والجمع ديول، وهو اللفظ المطلق لدى أهل المدينة حتى اليوم).

وقد ظل مصدر العين الزرقاء من بئر الأزرق الواقعة غربي مسجد قباء، مدة من الزمن، ثم ضوعف ماؤها من آبار كثيرة، وينابيع شتى، في عصور مختلفة على جملة من الأيدي البارة المحسنة.

وقد وافت عين الزرقاء المدينة المنورة وهي منخفضة، لذلك شيدت لها جملة مناهل ذات دركات يهبط منها إليها كمنهل الزكي، ومنهل درب الجنائز، ومنهل درب السلام، ومنهل حارة الأغوات ومنهل مسجد المصلي، ومن المناهل ماجعل كآبار يجذب الماء من «الديل» بواسطة، الدلاء كمنهل أبي جيدة الواقع قريبا من الجسر. ومنهل الباب المصري، ومنهل باب بصري. ومنهل الباب الشامي.

ولم يفت جلالة الملك سعود حين زار المدينة، أن يمد يده ويساهم في إصلاح العين الزرقاء مساهمة جليلة، حيث أصدر أمره، بإنشاء خزانات حديثة بالأسمنت المسلح، لتحفظ فيها المياه من منابعها صافية نقية، ثم توصل إلى المدينة المنورة في الأنابيب الحديدية الخفية في جوف الأرض وتوزع فيها على محلاتها.

والذي يدلنا على اهتمام جلالة الملك بمشروع خزانات العين الزرقاء، وضعه الحجر الأساسي بيده. وقد دس فيه جملة من النقود الذهبية والفضية وبعض الوثائق التاريخية والخرائط، وجملة من أعداد جريدة المدينة المنورة. وبالله التوفيق اهـ.

(شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي ٤٣٠، ٤٣١).

*** خزانة الأدب وغاية الأرب:**

من مخطوطات الأدب بخزانة المدرسة الأحمدية (في محلة الجلوم - البهراقية) بحلب، وهي الآن تحت رعاية الأوقاف - وجاء بيان المخطوط كما يلي:

١٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب - أو شرح بديعية ابن حجة الحموي.

- تأليف: أبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي ٧٦٧ - ٨٣٧ هـ ١٣٦٦ - ١٤٣٤م.

- شرح فيه قصيدته البديعة التي أسماها «تقديم أبي بكر» وعدد أبياتها مائة وثلاثة وأربعون بيتا وهي مشتملة على مائة وستة وثلاثين نوعا، وهذا الشرح من أجل كتب المجاميع

الأدبية لما اشتمل عليه من الشواهد والنوادر. وقد أتم تأليفه سنة ٨٢٦ هـ.

ـ أوله بعد البسملة: قال الشيخ ... أبو المحاسن تقى الدين ... أبو بكر بن حجة ... الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعه ...» .

ـ آخره: «... ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة والسلام. قال المصنف رحمه الله وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة والحمد لله وحده» .

ـ النسخة جيدة قريبة من عهد مؤلفها، تمت نساختها سنة ٨٨٤ هـ. خطها تعليق معتاد، وأبيات المتن بالحمرة، ولم نقف على اسم الناسخ.

(٢٣٢) ق ـ المسطرة (٣٥) س ـ الأحمدية ـ الأدب (١٠٥٣)

الكشف ١ / ١٩١ ـ بروكلمان ٢/ ١٦ ـ بروكلمان ـ الذيل ٢ / ٩ .

كما يوجد مخطوط بخزانة القرويين وجاء بيانه كما يلى:

شرح على قصيدته البديعية فى مدح النبى ﷺ. سفر ضخم بخط مشرقى واضح جيد فى أوراق ملونة أحيانا ومداد أسود مرصع بالألوان المختلفة جزئ إلى جزءين فى سفر واحد، من تحبيس السلطان مولاى عبد الله بتاريخ شوال عام ١١٦٩ .

فرغ منه مؤلفه سنة ٨٢٦ وبأول ورقة منها ما صورته: كتاب شرح البديعيات لإمام العصر وعلامة الزمان ملك النحاة وسلطان المتأدبين وقدرة الدين أبو بكر ابن حجة الحموى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته بجاه سيدنا محمد وآله وصحابته، وعقبه التعريف بابن حجة المذكور نقلا عن شهاب الدين ابن حجر فى كتابه إنباه الغمر بأبناء العمر وملخصه أن أبا بكر بن على ابن حجة الحموى شاعر الشام تقى الدين الأزرارى كان يعقد الأزرار ومهر فى الأزجال قال: ولما شاع أمره نظم قصيدة بديعة على طريقة شيخه العز الموصلى وشرحها فى ثلاث مجلدات ومات ببلده فى الخامس والعشرين من شعبان سنة ٨٣٧ قال ابن حجر: سمعت من نظمه كثيرا وسمعت عليه معظم شرحه على البديعية وجملة من إنشائه ولقيته بحماة سنة ٣٦ ونعم الرجل كان رحمه الله تعالى ا هـ باختصار.

وأول القصيدة البديعية المشروحة:

لى فى ابتداء مدحكم ياعرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

وأول شرحه: الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعه وأولانا جميل الصنيع.. على نمط بديعية شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الأندلسى الشهيرة ببديعية العميان، وبديعية صفى الدين الحلى، وقد تعرض المؤلف فى أول شرحه للمقارنة بين بديعيته وبديعيات من ذكر وأطنب فى ذلك كما نقل خطبة كتابه المسمى بمجرى السوابق فى وصف الخيول المسومة، وشرح البديعية هذا مملوء أدبا ورقة وعلما وقد أكثر فيه من ذكر صلاح الدين الصفدى وجمال الدين ابن نباتة وأطنب فى باب التورية من نقل كلام العصابة التى انتهجت طريقة القاضى الفاضل كما ورد ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعى وأتى بكثير من بدائعه وبيَّن أن الشيخ جمال الدين ابن نباتة أغار على الوداعى فى كثير من غرائبه كما أغار الصفدى على ابن نباتة وشرح ذلك واستشهد عليه فى هذا الباب (التورية)، وقد أورد المؤلف نص استجازة الشيخ الصفدى من ابن نباتة محمد بن محمد. وأورد نص الإجازة المذكورة مؤرخة بمستهل شعبان سنة ٧٢٩ وذكر ابن نباتة فى إجازته له أن مولده بمصر فى ربيع الأول سنة ٦٨٦ وعدد شيوخه وبعض إنشاداتهم له كما ذكر موضوعاته ومؤلفاته ثم نقل عن شهاب الدين ابن حجر بعض مقاطيع والده أبى الحسن وقال عنه: كان والدى رحمه الله معدودا فى طبقات ابن الصاحب وبينهما مجارة كثيرة عند أهل مصر مشتهرة لكننى لم أظفر بديوانه الكبير وإنما وقفت له على مقاطيع يسيرة وعلى مدائحه النبوية التى سماها ديوان الحرم.. ونقل عدة من ذلك كما نقل المؤلف ما خيره من نظم الشيخ شهاب

الـدين بن أبى حجلة وتكـرر قولـه فيه : إنـه كان يـرضى لأجل الكثرة بالرخيص كما نقل كثيرا من لطائف علامة العصر الشيخ بدر الـدين محمد بـن الدماميني المخـزومي المالكـى . وقال أيضا مرة عند ذكر ابن حجر: وممـا اختاره سيدنا الشيخ الإمام الحـافظ أبــو العبـاس ابن حجـر العسقـلانـى الشـافعى من مقطعـات نظمه لنفسـه الكريمـة حرسهـا الله تعالى فى بـاب التوريـة . فرأيت أن يكون وسيطة لهـذا العقد فكتبت ذلك من خطه الكريم من كراسة كان أتحف بها العبد فنظمتها فى عقد هذه الأسـلاك . . ثم ذكر من نظم الشيخ بـدر الدين الينتيكى فسح الله فى أجلـه ونقل عن كتـابـه المسمى بـرفع شـان العميـان . . وبالجملـة فقد أطنب المـؤلف فى بـاب التوريـة وأكثر فى ذلك ممـا أخذ نحو ٧٩ ورقـة حتى قال أثناء كـلامه مرة : وقد عَنَّ لى إذ أفرغت من هذا الشرح أن أفرد باب التورية والاستخدام ثم تكلم المؤلف على اللغز عند قوله وكلما ألغزوه حلة لسن ... وأتى بعدة الغاز لعـدة أفراد من الأدباء ولما تكلم على السجع أتى بعدة من نثره البديع ... ابتدأ قصيدتـه ببراعة المطلع وختم بحسن الخاتمة فى قوله :

حسن ابتـدائى بـه أرجـو التخلص من نـار الجحيم وهـذا حسن مختتم ويسمى أيضـا حسـن المقطع ، قـال المـؤلف : وكان الفراغ من هذا التصنيف المبارك فى شهر ذى القعدة سنة ست وعشرين وثمان مائة ، قال نـاسخه وكان الفراغ من كتابته يـوم السبـت المبـارك سـادس شهـر رجب الفـرد سنـة أربع وخمسين وثمان مائة وأورد الناسخ عقب ذلك تقريظ الكتاب لشهـاب الـديـن أحمـد بن أبى الحسن نـور الـدين على بن حجرالعسقلاني ، ومن جملـة قوله فيه أشهد أن أبـا بكر مقدم على أنصاره فلا أعدل في هذه الشهادة من أحمد وأجزم برفعه قدره على كل من انتصب لهذا الفن ولا أبلغ من حاكم يشهد .

قلت : وإنما أطلت في نقل بعض ما تضمنـه هذا الكتاب من الغـرائب والنـوادر لأجل تنبيه الكثيـر من النـاس على مـا تضمنته بعض هـذه الكتب التى أهملت إهمـالا من القـراء ، وربما يجـد فيها الباحث والأديب مـا لا يجده فى غيرهـا وقد طبع الشرح المذكـور عدة مرات بمصر كمـا طبع كتابه كشف اللثام الذى وعد بتأليفه ، ببيروت .

أوراقه ٣٠٧ مسطرته ٢٧ مقياسه ٢٧ / ١٨

(فهرس القرويين ٢ / ١٢١ ـ ٢٢٣)

(المنتخب من المخطوطـات العربيـة فى حلب . مـركـز الخدمـات والأبحـاث الثقـافيـة ق ٤ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، وفهـرس مخطـوطـات خـزانـة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢ / ١٢١ ـ ١٢٣) .

قالت المؤلفـة : أوردنا بديعية ابن حجة الحمـوى بتمامها فى مـادة «ابن حجـة الحمـوى» فى م ١٣ / ٢١٦ ـــ ٢٢٠ فانظرها فى موضعها .

* **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:**

كتاب من تأليف عبد القـادر البغدادى ، الذى نشأ ببغداد وتردد على القاهرة (توفى سنة ١٠٩٣) وهو أشهر كتبه شرح فيه شـواهد شـرح الكـافيـة للرضى ، واستطـرد فى الأدب واللغـة وتاريخ العرب . وهـذا الكتاب فى اتساع مباحثـه واستقصائها جدير بأن يوضع فى مرتبة الكتب التى ألفت فى عصور ازدهار التأليـف ، وهو كتـاب جليل القيمة جـدا يدل على علم واسع ودقة وتمحيص (المجمل / ١٦٥ ، والمفصل ٢/ ٢٨٤) .

وقد جاء فى فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية أن منه نسخة تامة فى جزأين ذكرا فى فهرس مخطوطات النحو صفحة ١٧٧ ولم يرد اسم الناسخ أو تاريخ النسخ وبيانها كما يلى :

الجـزء الأول : الـرقم ١٦٨٣ ٤٨٦ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم .

الجـز الثانى : الـرقم ١٦٨٤ ٦٠١ ق ٣٥ س ٢٩ × ١٩,٥ سم .

(فهرس الظاهرية ٢ / ٤٠٠ ، ٤٠١)

أما عن طبعات الكتاب فهنـاك طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ وطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ ، وظهر فى سلسلة تراثنا بتحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٦٧ م (الأعراب الرواة / ٣٣١) .

أما الطبعة التى عندى فقد عنيت بنشرها المطبعة السلفية ومكتبتها ، وإدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨ هـ. طبعت على نسخة العلامة الشنقيطى (رقم ١ نحو ش بدار الكتب المصرية) وهى منقولة من نسخة المؤلف وحليت بتصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا ، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص إتماما للفائدة. ومن هذه النسخة ننقل لك فيما يلى مقدمة المؤلف بتمامها رغم طولها لفوائدها اللغوية ، ولما تزخر به من معلومات عن المصادر التى اعتمد عليها المؤلف. وقد قسم المقدمة إلى «أمور» ثلاثة : الأمر الأول فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف، الأمر الثانى فى ذكر المواد التى اعتمد عليها وانتقى منها، وهما ما نكتفى بذكرهما هنا. وأما الأمر الثالث فيتعلق بترجمة الشارح الإمام محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأستراباذى، ونوردها فى موضعها فى حرف الراء إن شاء الله تعالى.

قال عبد القادر البغدادى بعد البسملة والحمدلة :

أما بعد فيقول المفتقر الى معونة ربه الهادى، عبد القادر ابن عمر البغدادى: هذا شرح شواهد شرح الكافية لنجم الأئمة ، وفاضل هذه الأمة ، المحقق محمد بن الحسن الشهير بالرضى الأستراباذى عفا الله عنه ورحمه؛ وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقق النظر فيه أماثل الفضلاء، وكفاه من الشرف والمجد، ما اعترف به السيد والسعد(السيد هو على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ صاحب التعريفات. قال كاتب جلبى : له حاشية على شرح الرضى للكافية. وله شرح الكافية بالفارسية . وأما السعد فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ هـ) لما فيه من أبحاث أنيقة، وأنظار دقيقة؛ وتقريرات رائقة، وتوجيهات رائقة، وتوجيهات فائقة؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة أو كالأمة الممسوخة؛ الا أن أبياته التى استشهد بها - وهى زهاء ألف بيت - كانت محلولة العقال ظاهرة الأشكال، لغموض معناها وخفاء مغزاها؛ وقد انضم اليها التحريف، وبان عليها أثر التصحيف؛ وكنت ممن مرن فى علم الأدب، حتى صار يلبيه من كثب؛ وأفرغ فى تحصيله جهده، وبذل فيه وكده وكده وجمع دواوينه، وعرف قوانينه، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار، ما لم يجتمع عند أحد فى هذه الأعصار؛ فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد، وشرعت فى شرحها على وفق المنى والمراد، فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد، فائقا على جميع شروح الشواهد، فهو جدير بأن يسمى «خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب» وقد عرضت فيه بضاعتى للامتحان، وعنده يكرم المرء أو يهان .

على أننى راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا على ولاليا

وقد جعلته هدية لسُدَّة هى مقبل شفاه الأقيال، ومخيم سرادق المجد والإقبال ... إلخ ألا وهو السلطان ابن السلطان، السلطان الغازى (محمد خان) ابن السلطان (ابراهيم خان)، نخبة آل عثمان ... إلخ .

وها هنا مقدمة تشتمل على أمور ثلاثة ينبغى ذكرها أمام الشروع فى المقصود فنقول بعون الله المعبود :

الأمر الأول

فى الكلام الذى يصح الاستشهاد به فى اللغة والنحو والصرف .

قال الأندلسى فى شرح بديعية رفيقه ابن جابر «علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ، لأنها راجعة إلى المعانى ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قُبِل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى وأبى تمام وأبى الطيب وهلم جرا» .

(الأندلسى هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى المتوفى ٧٧٩. وابن جابر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الهوارى (٦٩٨ - ٧٨٠ هـ) كلاهما نحوى. وكان أولهما معروفًا بالبصير وأما الثانى فقد كان ضريرا. وبديعيته تعرف ببديعية العميان، واسمها : الحلة

السيرا فى مدح خير الورى (وقد طبعتها المطبعة السلفية وكانا يترافقان فى التجوال والسفر من الأندلس إلى بلاد المشرق حيث طوفا زمنا طويلا فى ربوع مصر والشام. قال ابن حجر فى الدرر الكامنة: فكان ابن جابر ينظم والغرناطى يكتب، ثم نبغ الغرناطى فى النظم أيضا، لكن المكثر هو ابن جابر).

وأقول: الكلام الذى يستشهد به نوعان: شعر وغيره: فقائل الأول قد قسمه العلماء على طبقات أربع: (الطبقة الأولى) الشعراء الجاهليون وهم قبل الإسلام كامرىء القيس والأعشى، (والثانية) المخضرمون وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان، (والثالثة) المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق (والرابعة) المولدون ويقال لهم المحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبى نواس. فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعا، وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها؛ وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبى إسحاق والحسن البصرى وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم، كما سيأتى النقل عنهم فى هذا الشرح إن شاء الله فى عدة أبيات أخذت عليهم ظاهرا؛ وكانوا يعدونهم من المولدين لأنهم كانوا فى عصرهم والمعاصرة حجاب؛ قال ابن رشيق فى العمدة (الجزء الأول: باب فى القدماء والمحدثين) «كل قديم من الشعراء فهو محدث فى زمانه بالإضافة إلى من كان قبله، وكان أبو عمرو يقول: لقد حسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا بروايته. يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق ــ فجعله مولدا بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين؛ قال الأصمعى: جلست إليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى». وأما (الرابعة) فالصحيح إنه لا يستشهد بكلامها مطلقا؛ وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشرى وتبعه الشارح المحقق فإنه استشهد بشعر أبى تمام فى عدة مواضع من هذا الشرح؛ واستشهد الزمخشرى أيضا فى تفسير أوائل البقرة من الكشاف ببيت من شعره، وقال: «وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه» اهـ واعترض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق، واعتبار القول مبنى على معرفة أوضاع اللغة العربية والإحاطة بقوانينها؛ ومن البين أن إتقان الرواية يستلزم إتقان الدراية خاصة فهى كنقل الحديث بالمعنى وقال المحقق التفتازانى فى القول بأنه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى: «ليس بسديد بل هو بعمل الراوى أشبه وهو لا يوجب السماع إلا ما كان من علماء العربية الموثوق بهم فالظاهر أنه لا يخالف مقتضاها، فإن استؤنس به ولم يجعل دليلا لم يرد عليه ما ذكر ولا ماقيل من أنه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكل ما وقع فى كلام علماء المحدثين كالحريرى وأضرابه، والحجة فيما رووه لا فيما رأوه، وقد خطأوا المتنبى وأبا تمام والبحترى فى أشياء كثيرة كما هو مسطور فى شروح تلك الدواوين؛ وفى الاقتراح للجلال السيوطى «أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين فى اللغة والعربية، وفى الكشاف ما يتقضى تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها، فإنه استشهد على مسألة بقول أبى تمام الطائى: وأول الشعراء المحدثين بشار بن برد وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقربا إليه لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره، ذكره المرزبانى وغيره، ونقل ثعلب عن الأصمعى أنه قال: ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجج» اهـ (الاقتراح للسيوطى كتاب فى أصول علم النحو وجدله طبع فى حيدرآباد الدكن وهو قيم ممتع، قال فى مقدمته أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جنى ما يتعلق بهذا الفن، وأنه أول مقيم لذلك العلم)وكذا عد ابن رشيق فى العمدة طبقات الشعراء أربعا، قال: هم جاهلى قديم ومخضرم و إسلامى ومحدث. قال: ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا فى الهبوط إلى وقتنا هذا. وجعل الطبقات بعضهم ستا، وقال: الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر، والخامسة المحدثون وهم من بعدهم كأبى تمام والبحترى، والسادسة المتأخرون وهم من بعدهم كأبى الطيب المتنبى. والجيد هو الأول، إذ ما بعد

المتقدمين لايجوز الاستدلال لكلامهم فهم طبقة واحدة ولا فائدة فى تقسيمهم.

وأما قائل الثانى (أى النوع الثانى وهو ماكان غير شعر) فهو إما ربنا تبارك وتعالى فكلامه - عز اسمه - أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه، كما بينه ابن جنى فى أول كتابه (المحتسب) وأجاد القول فيه؛ وإما بعض أحد الطبقات الثلاث الأُول من طبقات الشعراء التى قدمناها.

وأما الاستدلال بحديث النبى ﷺ فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق فى ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم، وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أمران: أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى ﷺ وإنما رويت بالمعنى (النقل بالمعنى شىء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب، بل إن تعدد الروايات فى بيت واحد من هذا القبيل. والقول بان منشأه تعدد لغات القبائل ليس مما يتمشى فى كل موضع. أن إثبات ذلك فى كل بيت دونه خرط القتاد. زد إلى ذلك ما طرأ على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاق من مثل ابن دأب وابن الأحمر والكلبى وأضرابهم، ورواة الشعر أيضا فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم. على أن المسلمين فى القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت فى روايته، وقد قيض الله لأحاديث رسوله من الجهابذه النقاد من نفى عنه ما كان فيه شبهة الوضع والانتحال، وهذا حرم الشعر مثله)، وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصرّين لم يحتجوا بشىء منه. ورد الأول - على تقدير تسليمه - بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق، على أن اليقين غير شرط بل الظن كاف. ورد الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه، ويلحق به ماروى عن الصحابة وأهل البيت كما صنع الشارح المحقق.

وإن شئت تفصيل ماقيل فى المنع والجواز، فاستمع لما ألقيه بإطناب دون إيجاز:

قال أبو الحسن بن الضائع فى شرح الجمل «تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة - كسيبويه وغيره - الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصيح اللغة كلام النبى ﷺ لأنه أفصح العرب. قال: وابن خروف يستشهد بالحديث كثيرا فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئا وجب عليه استدراكه فليس كما رأى» اهـ.

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل (نقل السيوطى فى الاقتراح قول أبى حيان هذا): قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب. وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره؛ على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب - كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين - لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس. وقد جرى الكلام فى ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم فى إثبات القواعد الكلية، وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها: نحو ما روى من قوله ﷺ «زوجتكها بما معك من القرآن» «ملكتكها بما معك من القرآن» «خذها بما معك من القرآن» وغيرذلك من الألفاظ الواردة، فنعلم يقينا أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظا مرادفا لهذه الألفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه، إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيما مع تقادم السماع، وعدم ضبطها بالكتابة، والاتكال على الحفظ، والضابط منهم من ضبط المعنى وأما من ضبط اللفظ فبعيد

جدا لا سيما في الأحاديث الطوال؛ وقد قال سفيان الثوري: «إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني إنما هو المعنى» ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم يروون بالمعنى. الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيرا فيما روي من الحديث، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون، ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب. ونعلم قطعا من غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم ذلك له من غير معلم. والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعقبا بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز. وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ـ وكان ممن أخذ عن ابن مالك ـ قلت له: يا سيدي هذا الحديث رواية الأعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول؛ فلم يجب بشيء. قال أبو حيان: وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ ما بال النحويين يستدلون بقول العرب، وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأضرابهما؟! فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث» اهـ.

وتوسط الشاطبي فجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها. قال في شرح الألفية « لم نجد أحدًا من النحويين استشهد بحديث رسول الله ﷺ وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنا، ويتركون الأحاديث الصحيحة، لأنها تنقل بالمعنى وتختلف رواياتها وألفاظها، بخلاف كلام العرب وشعرهم فإن رواته اعتنوا بألفاظها لما ينبني عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات. وأما الحديث فعلى قسمين: قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان وقسم عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص؛ كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته ﷺ، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية. وابن مالك لم يفصل هذا التفصيل الضروري الذي لا بد منه، وبنى الكلام على الحديث مطلقا؛ ولا أعرف له سلفا إلا ابن خروف فإنه أتى بأحاديث في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع لا أعرف هل يأتي بها مستدلا بها أم هي لمجرد التمثيل؟ والحق أن ابن مالك غير مصيب في هذا، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى، وهو قول ضعيف» اهـ.

وقد تبعه السيوطي في الاقتراح. قال فيه: «وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما أثبت أنه قاله على اللفظ المروي؛ وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا، فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بألفاظ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد مرويا على أوجه شتى بعبارات مختلفة، ومن ثم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث» ثم نقل كلام ابن الضائع وأبي حيان وقال «ومما يدل على صحة ما ذهبا إليه أن ابن مالك استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون، وقد استشهد به السهيلي، ثم قال: لكني أنا أقول: إن الواو فيه علامة إضمار، لأنه حديث مختصر، رواه البزار مطولا. فقال فيه «إن لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» وقال ابن الأنباري ـ في الإنصاف ـ في منع «أن» في خبر كاد. وأما حديث «كاد الفقر أن يكون كفرا» فإنه من تغيير الرواة لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد» اهـ وقد رد هذا المذهب الذي ذهبوا إليه البدر الدماميني في شرح التسهيل، ولله دره! فإنه قد أجاد في الرد، قال «قد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية، وشنع أبو حيان عليه وقال: إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى، فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه

عليه الصلاة والسلام حتى تقوم بـه الحجة. وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنـا فصوب رأى ابن مالك فيما فعلـه، بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هـذا الباب وإنما المطلـوب غلبة الظن الذى هو منـاط الأحكام الشرعية، وكذا مـا يتوقف عليه من نقل مفـردات الألفاظ وقـوانين الإعراب، فـالظن فى ذلك كلـه كاف، ولا يخفى أنـه يغلب على الظن أن ذلك المنقـول المحتج بــه لم يبـدل لأن الأصل عـدم التبـديـل، لا سيمـا والتشديد فى الضبط، والتحرى فى نقل الأحاديث، شائع بين النقلة والمحدثين؛ ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هـو عنـده بمعنى التجـويـز العقلى الـذى لا ينافى نقيضـه، فلـذلك تـراهم يتحـرون فـى الضبط ويتشـددون، مع قـولهم بجواز النقل بالمعنى؛ فيغلب على الظن من هـذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ولا يقدح فى صحة الاستدلال بها. ثم إن الخـلاف فى جواز النقل بالمعنى انما هو فيما لم يـدوَّن ولا كتب، وأما ما دون وحصل فى بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم، قال ابن الصلاح بعـد أن ذكر اختـلافهم فى نقل الحديث بـالمعنى إن هذا الخلاف لانـراه جاريا ولا أجراه الناس ـ فيمـا نعلم ـ فيما تضمنته بطون الكتب فليس لأحد أن يغير لفظ شىء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظـا آخر ا هـ وتدوين الأحـاديث والأخبار بل وكثير من المـرويات وقع فى الصدر الأول قبل فسـاد اللغة العربية، حين كـان كلام أولئك المبدلين على تقـدير تبديلهم يسوغ الاحتجـاج به، وغـايته يـومئذ تبـديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به؛ فلا فـرق بين الجميع فى صحة الاستدلال؛ ثم دون ذلك المبدل ـ على تقدير التبـديل ـ ومنع من تغييره ونقله بالمعنى كما قـال ابن صلاح، فبقى حجةً فى بـابه، ولا يضر تـوهم ذلك السـابق فى شىء من استـدلالهم المتأخـر، والله أعلم الصواب» ا هـ كلام الدماميني.

وعلم مما ذكرنا ــ من تبيين الطبقات التى يصح الاحتجاج بكلامها ــ أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعـرف قائله، صـرَّح ذلك ابن الأنبـارى فـى كتـاب الإنصـاف فى مسـائل الخلاف؛ وعلة ذلك مخافة أن يكـون ذلك الكلام مصنوعا أو لمـولد أو لمن لا يـوثق بكلامـه؛ ولهذا اجتهـدنا فى تخـريج أبيات الشـرح، وفحصنا عن قـائليها حتى عزونـا كل بيت إلى قائله ــ إن أمكننا ذلك ـ ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلتـه، وميزنا الإسلامى عن الجاهلى، والصحابى عن التابعى، وهلم جرا، وضممنا إلى البيت مـا يتوقف عليه معناه؛ وإن كـان من قطعة نـادرة أو قصيدة عـزيـزة أوردنـاها كـاملـة، وشـرحنا غـريبهـا ومشكلهـا، وأوردنـا سببهــا ومنشأهــا؛ كل ذلك بــالضبط والتقييـد، ليعم النفع ويؤمن التحـريف والتصحيف، وليـوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه. قال ابن النحاس فى التعليقة «أجاز الكوفيون إظهار «أن» بعد «كى» واستشهدوا بقول الشاعر:

أردت لكيمـــا أن تطيـــر بقـــربتى
فتتـــركهـــا شنـــا ببيـــداء بلقع

قال: والجـواب أن هذا البيـت لا يعرف قـائله ولـو عرف لجاز أن يكون من ضرورة الشعر. وقـال أيضا: ذهب الكوفيون إلـى جــواز دخـول الـلام فـى خــبر لـكــن واحتجـــوا بقـوله:

ولكننى من حبها لعميدُ

والجواب أن هذا البيت لا يعرف قائلـه ولا أوله، ولم يذكر منه إلا هذا، ولم ينشده أحد ممن وثق فى اللغة، ولا عزى إلى مشهـور بالضبط والإتقـان» ا هـ ويـؤخذ من هـذا أن الشاهـد المجهول قائله وتتمته إن صـدر من ثقة يعتمد عليه قُبل، وإلا فلا. ولهذا كانت أبيات سيبويـه أصح الشواهد، اعتمد عليها خلف بعد سلف، مع أن فيها أبياتا عديدة جهل قائلوها، وما عيب بها نـاقلوها. وقـد خرج كتـابه إلى الناس والعلمـاء كثير العناية بالعلم وتهذيبه وكيدة، ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادعى أنه أتى بشعر منكر. وقد روى فى كتابه قطعـة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغـة جميع ما فيها ولا ردوا حرفا منها. قال الجرمى «نظرت فى كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتـا، فأما الألف فقد عرفت أسمـاء قائليها فأثبتهـا، وأما الخمسـون فلم أعرف أسمـاء قائليهـا» فاعتـرف بعجزه ولم يطعن عليه بشىء.

(كتب الأستاذ أحمد تيمـور باشا على هامش الخـزانة فى هذا الموضع ما يأتى:

«ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطى رحمه الله تعالى فى كتابه الحماسة السنية أن واحدا منها عرف اسم قائله وهو:

«أفبعد كندة تمدحن قبيلا»

قال: وصدره «قالت فطيمة جل شعرك مدحه»

وهو لامرىء القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتا نادرة الوجود، أوردها كلها فى الحماسة المذكورة» انتهى)ولم يطعن عليه بشىء. وقد روى هذا الكلام لأبى عثمان المازنى أيضا، ولكون أبياته أصح الشواهد التزمنا فى هذا الشرح أن ننص على ما وجد فيه منها بيتا بيتا، ونميزها عن غيرها ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها، وربما روى البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة ربما لا يكون موضع الشاهد فى بعضها أو جميعها، ولا ضير فى ذلك لأن العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التى فطره الله عليه وبسببه تكثر الروايات فى بعض الأبيات فلا يوجب ذلك قدحا فيها ولا غضا منه، فإذا وقع فى هذا الشرح من ذلك شىء نبهنا عليه.

والتزمنا فى شرح هذه الشواهد عدها واحدا بعد واحد ليسهل موضع الحوالة فيه، ويزول التعب عن متعاطيه.

الأمر الثانى:

فى ذكر المواد التى اعتمدنا عليها وانتقينا منها، وهى «ضروب وأجناس» فمنها ما يرجع إلى «علم النحو» وهو كتاب س (أى كتاب سيبويه) والأصول لابن السراج، ومعانى القرآن للفراء. ومعانى القرآن للزجاج. وتآليف أبى على الفارسى: كالتذكرة القصرية، والمسائل البغدادية، والمسائل العسكرية، والمسائل البصرية، والمسائل المنثورة، ونقض الهاذور على ابن خالويه، وكتاب الشعر. وتآليف تلميذه ابن جنى: كالخصائص، والمحتسب، وشرح تصريف المازنى، وسر الصناعة، وإعراب الحماسة، والمبهج فى شرح أسمائها، وشرح ديوان المتنبى. والإنصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى. وتذكرة أبى حيان، وارتشاف الضرب له أيضا. والضرائر الشعرية لابن عصفور. والأمالى لابن الحاجب. والآمالى لابن الشجرى. وشروح الكافية وشروح التسهيل. ومغنى اللبيب، وشروحه. وغير ذلك من المتداول.

ومنها ما يرجع إلى «شروح الشواهد» وهو شرح أبيات الكتاب: لأبى جعفر النحاس، وللأعلم الشنتمرى، ولابن خلف، ولأبى محمد الأعرابى المسمى فرحة الأديب. وشرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسى، ولابن هشام اللخمى، ولغيرهما. وشرح أبيات المفصل لابن المستوفى الإربلى، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير. وشرح أبيات شروح ألفية ابن مالك للعينى، وشرح أبيات ابن الناظم لابن هشام الأنصارى، ولم يكمل. وشرح أبيات الكشاف للحموى. وشرح أبيات التفسيرين لخضر الموصلى (يوجد منه نسخة بحيدر آباد وأخرى ببانكى بور واسمه «الإسعاف بشرح شواهد القاضى والكشاف» وخضر هذا ترجم له الخفاجى فى الريحانة ص ١٠٦ سنة ١٣٠٦ هـ).

وشرح أبيات الإيضاح والمفتاح فى علم المعانى. وشرح أبيات التلخيص للعباسى. وشرح أبيات إصلاح المنطق ليوسف بن السيرافى. وشرح أبيات الغريب المصنف له أيضا. وشرح أبيات أدب الكاتب للجواليقى، ولابن السيد البطليوسى، وللبلى (أحمد بن يوسف بن على) وشرح أبيات الآداب. المسمى بالعباب وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «تفسير أبيات المعانى المشكلة» وهو أبيات المعانى للأخفش المجاشعى؛ وأبيات المعانى للاشناندانى بخط ابن جنى وعليها إجازة أبى على له. وأبيات المعانى لابن السكيت. وأبيات المعانى لابن قتيبة فى مجلدين ضخمين. وأبيات المعانى لابن السيد البطليوسى وغير ذلك.

ومنها ما يرجع إلى «دفاتر أشعار العرب» وهو قسمان: دواوين ومجاميع (فالأول) ديوان امرىء القيس الكندى، وديوان الأعشى ميمون، وديوان علقمة الفحل، وديوان ابن حِلِّزة، وديوان أبى دواد الإيادى، وديوان طرفة بن العبد، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان طفيل الغنوى، وديوان عامر بن

الطفيل، وديـوان بشـر بن أبى خازم، وديـوان أوس بن حجـر، وديوان أعشى باهلة، وديوان عوف بن عطية بن الخرع، وديوان مطير بن الاشيم، وديـوان الحادرة، وديـوان المثقب العبدى، وديـوان لقيط بن يعمـر الإيادى، وديـوان نـابغة بنى شيبـان، وديوان النابغـة الذبيانى، وديوان زهيـر بن أبى سلمى، وديوان أبى طالب عم النبى ﷺ.

«ومن شعر الصحابة» ديوان حسـان بن ثابت، وديوان لبيد ابن ربيعة العـامرى، وديوان كعب بن زهير، وديـوان حميد بن ثـور، وديـوان أبى محجن الثقفى، وديوان النمـر بن تـولب، وديوان عمرو بن معد يكرب، وديـوان خفاف بن ندبة، وديوان الخنساء أخت صخر وغير ذلك.

ومن «شعر الإسـلاميين» ديوان رافع بـن هريم اليربـوعى، وديوان القطامى، وديوان جران العـود، وديوان محمد بن بشير الخـارجى (الخارجى مـن خارجـة عـدوان) وديوان ابن همـام السلولى، وديـوان الشماخ، وديوان عدى بن الـرقاع، وديوان عروة بن حـزام العذرى، وديـوان عبـيد الله الهـذلى، وديـوان أبى دهبل الجمحى، وديوان الحطيئة، وديوان عمرو بن الأهتم المنقرى، وديوان ابن قيس الرقيات، وديوان الفرزدق، وديوان جرير، وديـوان الأخطل النصرانى، وديوان ذى الـرمة، وديوان جميل العذرى، وديـوان المغيرة بن حبناء، وديوان رجـز رؤبة ابن العجـاج، وديـوان رجز الـزفيـان السعـدى، وديوان رجـز الأخزر الحمانى وغير ذلك.

«ومن ديـوان المــولـدين والمحـدثين» ديـوان مسلم بن الوليد، وديوان ابن الوكيع، وديوان العباس بن الأحنف وديوان على بن جبلة الطوسى، وديوان أبى نواس، وديوان ابن المعتز، وديــوان ابن الـرومى، وديــوان أبى تمـام الطـائى، وديـوان البحترى، وديـوان الشريف الـرضى، وديوان المتنبـى، وديوان أبى فراس الحمدانى. وغير ذلك «والمجاميع» منها أشعار بنى محارب للشيبـايى، والمفضليات للمفضل الضبـى، وأشعار الهذليين للسكـرى، وشرحهـا له ولـلإمام المـرزوقى، وأشعار لصـوص العـرب للسكرى أيضـا، والنقـائض لأبى حبيب، ومختار شعـر الشعراء الستة: امـرىء القيس والنابغـة وعلقمة وزهير وطرفة وعنتـرة، وشرحهـا لـلأعلم الشنتمرى، وأشعـار تغلب لأبى عمـرو الشيبـانـى، ومختـار شعـراء القبـائل لأبى تمـام، والحمـاسة لـه أيضـا وشـرحها للنمـرى وأبى محمـد الأعرابى وللإمام المرزوقى، وللخطيب التبريزى، ولأبى الفضل الطبرسى، والحمـاسة البصرية، وحماسـة الشريف الحسينى (هـو ابن الشجرى، وطبعت بحيـدر آبـاد)، وحماسـة الأعلم الشنتمرى، وأشعار النساء للمرزبانى، وشروح المعلقات لابن النحـاس، وللزوزنى، وللخطيب التبـريـزى، وجمهرة أشعـار العرب، ومنتهى الطلب من أشعار العـرب: فيه أكثر من ألف قصيدة، واليتيمة للثعالبى، وكتـاب المغربين، وكتاب النساء الفـوارك، وكتـاب النسـاء النواشـز؛ والثلاثـة للمدائنـى، والمجتنـى لابن دريـد، وشـروح لاميـة العـرب للخطيب التبريـزى، وللزمخشرى، ولغيـرهما، وشرح بـانت سعاد لابن الأنبارى، ولأبى العباس الأحول، ولابن خـالويه، ولابن هشام الأنصارى، ولابـن كتيلة البغدادى، وشـرح البردة (هى بـانت سعـاد) للمـرزوقى وغيـر ذلك «ومن المجـاميع» النـوادر والأمالى: أمـا النوادر فهى نوادر أبى زيد الأنصـارى، وشرحها لأبـى الحســن الأخفـش ولغيــره. ونــوادر ابـن الأعـرابى، وشرحها لأبى محمد الأعـرابى. ونوادر أبى على القالى (اشتبه على البغدادى أمـر الأمالى والنـوادر. والأعجب أنه عـد شرح الأمالى أيضا للبكرى مع أنه شـىء واحد. فإن كل ما نقله عنه فى اللآلى شرح أمالى القالى سواء نقله بلفظ شرح الأمالى أو شرح النوادر).

وشرحها لأبـى عبيد البكرى (كان هذا الكتـاب من النوادر المظنون أنهـا فقدت فعثرنا فى مكـة على نسخـة منه نقلنـاها بالتصـوير الشمسـى. وقــد تولـى العلامـة الكبيـر الأستـاذ عبد العـزيز الراجكـوتى تصحيح هذا الشرح وتحقيقـه). وأما الأمـالى فهـى أمـالى ثعلب، وأمــالى الـزجـاجـى الصغـرى والكبـرى، وأمـالـى أبى على القـالى، وشـرحهـا لأبى عبيـد البكرى، وذيل أمالى القالى للقـالى أيضا، وصلة ذيل الأمالى له أيضـا؛ وأمالى الصولى، وأمـالى السيد المـرتضى المسماة بالغرر والدرر فى مجلـدين ضخمين. وأمالى شيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنهـا مـا يـرجع إلى فن الأدب وهى: البيـان للجـاحظ، والمحـاسن والأضداد لـه أيضـا، وكتاب الشعـر والشعراء لـه أيضـا. والكامل للمبـرد، وشـرحه لابـن السيـد البطليـوسى؛

ولأبى الوليد الوقشى، ولغيرهما. والعقد الفريد لابن عبد ربه. وزهر الآداب للحصرى، وجواهر النكت والملح له أيضا. وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى. والأغانى للأصفهانى فى عشرين مجلدا. والعمدة لابن رشيق، فى مجلدين. والمثل السائر لابن الأثير. وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع ومساوى الخمر لابن الحباب السعدى. والأوائل لابن هبة الله الموصلى فى مجلدين. ومدرج البلاغة لابن فضالة [ابن فضال] المجاشعى. ونقد الشعراء لقدامة الكاتب، وشرحه لعبد اللطيف البغدادى. وسفر السعادة للسخاوى.

ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب وهو: سيرة ابن هشام، وشرحه: الروض الأنف للسهيلى، وسيرة الكلاعى، وسيرة ابن سيد الناس، وسيرة الشامى، والاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر، وجمهرة الأنساب لابن الكلبى، ومختصرها لياقوت الحموى، وأنساب قريش للزبير بن بكار، ومقدمة الاستيعاب لابن عبد البر، والمعارف لابن قتيبة، وتنكيس الأصنام لابن الكلبى.

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو: كتاب الشعراء لابن قتيبة، والمؤتلف والمختلف للآمدى، والموشح لأبى عبد الله المرزبانى (صوابه لأبى عبيد الله. والمرشح ظنه البغدادى فى طبقات الشعراء، وللمرزبانى كتب فى هذا المعنى. إلا أن الموشح فى ما أخذوه على الشعراء ليس إلا) وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى، وكتاب المقتولين غيلة لابن حبيب، وكتاب من نُسب إلى أمه من الشعراء له أيضا، وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلوانى بخطه، وطبقات النحويين للتاريخى، وطبقاتهم أيضا لأبى عبد الله اليمنى، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى، فى عدة مجلدات.

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو: الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهرى، والعباب للصاغانى (نسبة إلى صغانيان والصغانى نسبة أخرى إليها وبها ينعت صاحب العباب أحيانا) والقاموس لمجد الدين، والياقيت لأبى عمرو الطرزى (الصواب لأبى عمر المطرز، وهو الزاهد غلام ثعلب وقد ترجمنا له وأوعينا فى أول كتاب المداخل له، وجعلناه أطروحتنا على انتقائنا عضوا بالمجمع العلمى بدمشق فى سنة ١٩٢٩ ــ وهذا الغلط يكثر فى هذا الكتاب وغيره أيضا. وكانت صناعة أبى عمر تطريز الثياب) وكتاب ليس لابن خالويه، والنهاية لابن الأثير، والزاهر لابن الأنبارى، والمصباح لخطيب الدهشة (هو أحمد بن محمد بن على الفيومى وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة، توفى سنة ٧٧٠ هـ)، والتقريب فى علم الغريب لولده (واسمه محمود)، وكتاب النبات فى مجلدات كبار ستة لأبى حنيفة الدينورى، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وشرحه للَّبلى، ومختصره للخطيب التبريزى، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وشرحه للجواليقى، ولابن السيد البطليوسى، وللزجاجى، وللبلى، ولابن برى، والفصيح لثعلب، وشروحه لابن درستويه، وللهروى، وللمرزوقى، وللبلى، ولابن هشام اللخمى، ولغيرهم، وذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادى، وكتاب الأضداد لابن السكيت، ولعبد الواحد اللغوى، ولغيره، وكتاب الفروق لأبى هلال العسكرى، وكتاب البيضة والدرع لأبى عبيدة، وخلق الإنسان للزجاج، والمعربات للجواليقى، والمثلثات لابن السيد البطليوسى، وكتاب التفسح فى اللغة لأبى الحسين النحوى، والمرصع لابن الأثير، والمزهر للجلال السيوطى، وكتاب القلب والإدغام لابن السكيت (الصواب: القلب والإبدال، والكتاب مطبوع) وكتاب المذكر والمؤنث له أيضا ولغيره، وكتاب الأيام والليالى للفراء، وكتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر لأبى عمرو المطرزى، وكتاب الأنواء وأسماء الشهور للزجاج، والأنواء لأبى العلاء المعرى (هذا الكتاب لم أر من ذكره فى عداد تآليف المعرى) وغيره، والمقصور والممدود لابن الأنبارى. وللقالى، ولابن ولاد، ولغيرهم، وغير ذلك. •

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو: التنبيهات على أغلاط الرواة (المعروف اسمه « على أغاليط الرواة) لعلى بن حمزة البصرى وفيه: أغلاط نوادر أبى زياد الكلابى، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى، وأغلاط الغريب المصنف لأبى عبيد، وأغلاط

إصلاح المنطق لابن السكيت، وأغلاط الجمهرة لابن دريد. وأغلاط المجاز لأبى عبيد، وأغلاط الفصيح لثعلب، وأغلاط الكامل للمبرد، وغير ذلك، وكتاب التصحيف للحسن العسكرى، وكتاب التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهانى، (منه فى الخزانة التيمورية نسخة فتوغرافية) ولحن العامة للجواليقى، ولأبى بكر الزبيدى، وحاشية ابن برى على صحاح الجوهرى، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى، ودرة الغواص للحريرى، وشرحها لابن برى ولابن الحنبلى، ولشيخنا الشهاب الخفاجى.

ومنها كتب الأمثال وهى: أمثال أبى عبيد القاسم بن سلام، وشرحها لتلميذه، وأمثال أبى فيد: مؤرج السدوسى، والفخر للمفضل الضبى (هذا وهم، والصواب أن الفاخر لأبى طالب المفضل بن سلمة. والمفضل بن محمد الضبى صاحب المفضليات أقدم منه) والأمثال التى على «أفعل» لحمزة الأصفهانى، ومجمع الأمثال للميدانى، ومستقصى الأمثال للزمخشرى. وغير ذلك.

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهى: المعجم فيما استعجم لأبى عبيد البكرى فى ثلاث مجلدات كبار. ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى عشر مجلدات كبار وغير ذلك مما لو سردته لطال، وأورث السأم والملال (خزانة الأدب ١/ ١٨ ـ ٣٧).

(المجمل فى تاريخ الأدب العربى ـ طه حسين وزملائه / ١٦٥، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢/ ٢٨٤، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد، وياسين محمد السواس ٢/ ٤٠٠، ٤٠١، والأعراب الرواة د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادى. عنى بنشره المطبعة السلفية ومكتبتها، وإدارة الطباعة المنيرية ــ تصحيحات العلامة الجليل تيمور باشا، وتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ١/ ١٨ ـ ٣٧)

انظر طبعات الكتاب فى مادة «البغدادى» (عبد القادر) فى م ٧/ ٢٤٣، ٢٤٤، وترجمة المؤلف/ ٢٤١ ـ ٢٤٥.

*** خزانة الأكمل:**

قال حاجى خليفة

خزانة الأكمل فى الفروع: ست مجلدات لأبى يعقوب يوسف بن على بن محمد الجرجانى الحنفى ذكر فيه أن هذا الكتاب محيط بجل مصنفات الأصحاب بدأ بكافى الحاكم ثم بالجامعين ثم بالزيادات ثم بمجرد ابن زياد والمنتقى والكرخى وشرح الطحاوى وعيون المسائل وغير ذلك واتفق بدايته يوم الأضحى (يوم عيد الأضحى) سنة ٥٢٢ اثنتين وعشرين وخمسمائة (كشف ١/ ٧٠٢).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى: الرقم ٩٤١٦

الجزء الثالث:

يبتدىء بكتاب الصرف وينتهى بكتاب الذبائح.

أوله: كتاب الصرف، قال الله سبحانه وتعالى﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين﴾.

آخره: فقال رسول الله ﷺ إن لها أوابد كأوابد الوحش، فإن فعل شيئا من ذلك فافعلوا بها كما فعلتم بهذا ثم كلوه.

نسخة جيدة ومقابلة وقديمة.

الخط نسخ معتاد. كتبه عمر بن بلال بن إبراهيم الحنفى النصيبى ٦٣٥ هـ.

المراجع: معجم المؤلفين ١٣/ ٣١٩، فهرس الخديوية ٣/ ٤٣ (فهرس الظاهرية ــ١/ ٢٩٤، ٢٩٥)

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢ وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٤، ٢٩٥).

*** خزانة البنود:**

كانت هذه الخزانة من منشآت الدولة الفاطمية بناها الخليفة الظاهر بين قصر الشوك وباب العيد لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام عدا أنواع السلاح والآلات الحربية، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وبها مدرسة لتعليم مماليك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة. ثم احترقت تلك الخزانة بما فيها من أنواع المتاع سنة ٤٦١ هـ وجعلت بعد هذا الحريق حبسا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية. وقد اتخذها ملوك بنى أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه

الأمراء والمماليك ثم جعلوها منازل للأسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية، واستمرت مخصصة لذلك الغرض زمن دولة المماليك حتى عهد الناصر محمد بن قلاون.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٣٥٤، وخطط المقريزى ١/ ٤٢٣).

* **خزانة التجميل:**

من عهد الفاطميين وهى خزانة فيها أنواع من السلاح، وتحتوى كذلك على الآلات الثمينة التى ربما تستخدم فى المناسبات الرسمية على الخصوص ففيها عدة صناديق مملوءة بالفصوص والجواهر وأوان من ذهب وفضة وسروج ذهب وكنابيش مطرزة وملابس مطرزة وحوائص وأمتعة حسنة من كل نوع. وكان يشرف عليها ناظر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٧ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٧٤، ٥٠٠، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين / ١١٥).

* **الخزانة التيمورية:**

أوردناها فى مادة «تيمور باشا (أحمد) فى م ١١/ ٢٠٠، ٢٠١ فانظرها فى موضعها.

* **خزانة جامع القرويين:**

تعد خزانة جامع القرويين أغنى المكتبات العامة وأعظمها وأقدمها فى المغرب. وقد ضمت نوادر من المخطوطات التى لا توجد فى مكان، وكثير منها نسخ قديمة جدا.

والقرويين، مسجد وجامعة وخزانة. فأما المسجد قامت ببنائه فاطمة أم البنين بنت محمد بن عبد الله الفهرى فى القرن الثالث الهجرى، وأما الجامعة فقد أخذت تعقد فى فترة جد قريبة من تاريخ البناء.

وأما الخزانة فقد بنيت فى أواسط القرن الثامن الهجرى وهذه الخزانة ضمت نوادر غريبة جدا. وقد أدرجت مجموعة من مخطوطاتها فى كتاب مجموعة مختارة من ص ٩٥ إلى ٢١٤.

(مجموعة مختارة لمخطوطات عربية نادرة من مكتبات عامة فى المغرب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ١/ ٩٥).

* **خزانة الحكمة:**

انظر: دار الحكمة.

* **خزانة الخاص:**

وتسمى أيضا «ديوان الخاص» أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، وكان يشرف على هذه الخزانة «ناظر الخاص». وكان عمله الإشراف على ما هو خاص بمال السلطان وكان يتبعه مستوفى الخاص وشاد الخاص وحتى شاد القصر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٥٢).

* **خزانة الخواص:**

خزانة الخواص: لعبد الفتاح اللارندوى وهو مختصر على سبعة أبواب وخاتمة أوله حمدا لملك ملكوت الملك حكما إلخ وترتيب أبوابه هكذا الأول فى خواص الأدعية والثانى فى الأوراد والدعوات والثالث فى خواص الفاتحة وسائر السور والرابع فى خواص الأسماء والحروف والخامس فى دفع كيد العدو والسادس فى تسهيل المآرب والسابع فى الطهارة والخاتمة فى المهمات.

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢).

* **خزانة داود الجلبى:**

هو الدكتور داود بن محمد سليم بن أحمد بن محمد الجلبى (تُلفظ الجيم شينا مفخمة) (١٢٩٧ - ١٣٧٩ هـ/ ١٨٧٩ - ١٩٦٠ م) وقد أفردنا له مادة تحت عنوان» داود الجلبى» فانظرها فى موضعها.

ولما كانت خزائن الكتب من معالم الحضارة الإسلامية سواء كانت عامة كما فى الجوامع والمدارس ودور العلم بأنواعها والربط، أو كانت خاصة كما فى قصور الملوك والأمراء والوزراء والعلماء وغيرهم من صنوف الناس. ومن بين هذه الخزائن الخاصة وجدنا نموذجًا جيدا هو خزانة الدكتور داود الجلبى التى يقول عنها الدكتور فيصل دبدوب: للدكتور داود الجلبى خزانة كتب تضم ١٨١٤ مجموعة وكتابا ورسالة

معظمها مطبوع، وقد وقفها وقفا خاصا وقامت أسرته مؤخرا بإنشاء بناية خاصة لكتب الخزانة بأجمعها وستدعى مكتبة المرحوم الدكتور داود الجلبي الموصلي» وحينذاك يسمح لرجال العلم بالتزود من كنوزها العلمية الثمينة (ملاحظة: بحث الدكتور فيصل دبدوب هذا نشر في مجلة المخطوطات عام ١٩٦٧).

وقد أحصى الدكتور فيصل دبدوب ما تضمه خزانة الدكتور داود الجلبي من مخطوطات رأينا أن ننقل بيانها لتكون بين أيدي رجال العلم والدارسين والباحثين والمؤلفين ـــ يقول الدكتور فيصل:

تضم خزانته ١٦٠ مجلدة خطية تحتوي على ٢٧٥ كتابا ورسالة. وقد صنفتها حسب موضوعاتها وإليك بيانها:

القرآن وما يتعلق به:

١ ـ مجموعة فيها:

(١) حرز الأماني ووجه التهاني «الشاطبية في القراآت» للشاطبي بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٢) عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٣) رسالة في جمع الأوجه السبعة، في أربع صحائف، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٤) القول المكين في تكبير سنة المكيين، لم يذكر اسم مؤلفها، بخط عبد الرحمن بن محمد أمين.

(٥) ذكر الأحرف التي أدغمها الإمام أبو شعيب السوسي في المتقاربين والمتماثلين (الإدغام الكبير) للناسخ عينه.

(٦) العقود المجوهرة واللآلئ المبتكرة «شرح البقرية في القراآت» (١٢٦٩ هـ) الناسخ عينه.

(٧) رسالة في أوقاف القرآن.

الفقه:

١ ـــ كنز الدقائق للنسفي. بخط رسول بن بري بن طوسون (٩٤٠ هـ).

٢ ـــ كتاب القدوري. بخط حسين ابن الشيخ مصطفى الزيباري (١١٢٤ هـ) في آخر رسالة العقائد للغزالي.

٣ ـــ الفتاوى الخيرية، لخير الدين الرملي. بخط الحاج حسين ابن الحاج محمد الغلامي (١١٨٧ هـ).

٤ ـــ الربع من ابن حجر. بخط ملاً ياسين بن ملا شريف وآخرين (١١٨٨ هـ).

٥ ـــ تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب. المتن والشرح للقاضي زكريا.

٦ ـ الأعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيتمي. بخط السيد سليمان بن هلال المشهداني (١٢٥٥ هـ).

٧ ـــ مختصر على المقدمة الرحبية، لمحمد بن سبط الماريني، بخط أحمد جلبي بن محمد جلبي (١٢٦٨ هـ).

٨ ـ (١) ترجيح البينات لملا كاظم البغدادي. أوله الحمد لله الذي أظهر قواطع الحجج والبينات.

(٢) كتاب في ترجيح البينات أيضا، للسيد عبد الرحمن ابن سليمان الشهير بخصال. أوله: الحمد لله عظيم البرهان.

(٣) ترجيح البينات الأسيرية. يليه حل ألغاز لمحمد صالح بن طه الموصلي وحل عويصات له ولغيره.

(٤) رد لداود بن السيد سليمان البغدادي، يرد به ترجيح بهاء الدين العاملي لمسح الرِّجْلَين في الوضوء عام ١٢٨٢.

٩ ـ مسائل كالأغاليط في الفرائض، لملاً حسين الشيفكي. بخط محمد (١٢٩٢ هـ) كتب الشبلي غلطا.

١٠ ـــ جدول في الفرائض، للدكتور داود الجلبي وبخطه ١٣٤٥ هـ.

١١ ـ أرجوزة في الفقه خط، قسم منها فقط.

١٢ ـ يزيديان حقارندة فتواي شريفة، لأبي سعيد العمادي بخط الدكتور داود الجلبي (١٩٣٧ م) (باللغة التركية).

١٣ ـ صورة وقفية جامع نبي الله شيت، من قبل أحمد باشا الجليلي.

العقائد الإسلامية :

١ ـ مجموعة فيها (١) الابتهاج بالكلام على الإسراء والمعراج، لنجم الدين الفيظى (٩٧٩ هـ).

(٢) الآية الكبرى فى قصة الإسراء. لجلال الدين السيوطى (١٢١٨ هـ).

٢ ــ مجموعة فيها (١) أسئلة وأجوبة فى العقائد والإيمان، للشيخ عطية القهوقى. بخط أحمد بن الشيخ حسن الأمليطى (١٠٨٤ هـ).

(٢) شرح صغرى الصغرى، لأبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى الحسينى، بخط أحمد ابن الشيخ حسن الأمليطى.

٣ ـ حاشية الخيالى على شرح سعد الدين التفتازانى لرسالة العقائد النسفية (١٠٨٩ هـ).

٤ ـ كشف الشبهات فى رد أهل الضلالات، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بخط يوسف (١٢٦٣ هـ).

المواعظ والخطب والأدعية والعبادات :

١ ـ بداية الهداية للغزالى.

٢ ـ مجموعة فيها (١) رسالة فى فضل عاشوراء، الشيخ على الأمهورى (١٠٨٢ هـ).

(٢) رسالة فى فضل ليلة النصف من شعبان للشيخ على الأمهورى أيضا (١٠٨٢ هـ).

التصوف :

١ ـ بلغة الغواص إلى معدن الإخلاص، للشيخ محيى الدين ابن عربى. فيه نقص فى عدة أماكن.

٢ ــ فصل فى ذكر الطريقة النقشبندية، بخط محمد جلبى الجد الأكبر للدكتور داود الجلبى.

(٢) النفحات الأنسية فى تبرئة عقائد الصوفية، لمحمد سعيد النقشبندى البغدادى، بخط إبراهيم (١٣٠٤ هـ).

٣ ــ إجازة من السيد إبراهيم القادرى ابن السيد مصطفى، بخط إسماعيل بن محمد سعيد (١٣١٨ هـ) أعطيت لدرويش هندى.

٤ ـ البهجة، للحسين بن منصور الحلاج. كتبت للدكتور داود الجلبى عام (١٩٣١ م).

الأديان والمذاهب والجدال فيها :

١ ـ رسالة فى الرد على النصارى، لسليمان بك بن مراد بك الجليلى، بخط الدكتور داود الجلبى عام (١٩٢٥ م).

٢ ـ الفريدة السنية فى كشف عقائد اليزيدية، لمحمد أفندى ابن أحمد أفندى الخياط بخط الدكتور داود الجلبى عام (١٩٤٠م).

٣ ــ الجلوة ومصحف ورش، بخط أحمد بن طاهر أفندى الموصلى (١٩٤١ م).

٤ ــ مجموعة فيها (١) الرسالة المحمدية فى الرموز الخفية، للشيخ محمد الكلازى الأنطاكى فى مذهب النصيرية، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ).

(٢) الرساله الشافية فى الحقائق المخفية للشيخ محمد الكلازى الأنطاكى فى مذهب النصيرية، بخط عبد الله ابن الشيخ نجم الدين (١٣٢٩ هـ).

(٣) اللؤلؤة السنية بحل رموز الطلسمات الخفية، للشيخ درويش محمد. فى مذهب النصيرية، بخط يوسف ابن الشيخ نجم الدين (١٣٣٥ هـ).

(٤) درياق العليل فى مسائل الخليل. للشيخ حسين أحمد فى مذهب النصيرية.

٦ ـ رساله الملا سعيد الجوادى إلى مطران اليعاقبة بالموصل موسى بن اللثيى بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٤٧ م).

٧ ـ سلم المسيح، للقس يوحنا الحكيم الموصلى ابن القس عبد الأحد الصباغ. بخط صليبا شمعون البرطلى عام (١٩٥٢ م).

العلوم الإلية :

١ ــ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسى، بخط المؤلف (٩٢١ هـ).

٢ ـ مجموعة فيها (١) حواشى الزيبارى على شرح عصام لرسالة الاستعارات لأبى القاسم الليثى السمرقندى، بخط عبد الله.

(٢) شرح عاصم الدين الإسفراييني لرسالة الاستعارات لأبى القاسم السمرقندى. أتم نقصها عام ١٢٦٧ هـ.

(٣) ميزان الأدب المعروف بالحنفية، وهو شرح محمد الحنفى التبريزى للرسالة العضدية فى أدب البحث، بخط عبد الوهاب عام ١١٥٢ هـ.

٣ ــ شرح عروض الأندلس لعبد المحسن القيصرى. بخط عثمان بن الملا على السوسنى عام ١١٥٥ هـ.

٤ ــ مجموعة فيها (١) تلخيص الحساب لبهاء الدين العاملى، بخط محمد حسن الأيروانى ولد مشهدى على أولوخابلو عام (١٢٤٢ هـ).

(٢) تلخيص المفتاح فى الحساب لجمشيد بن مسعود الملقب بغياث، بخط محمد حسن الايروانى أيضا عام (١٢٤٢ هـ).

(٣) كتاب الأمداد والأرطال لمحمد باقر ابن محمد تقى، بخط محمد حسن الأيروانى عام (١٢٤٢ هـ).

٥ ـ مجموعة فيها (١) الرسالة العضدية فى علم الوضع لعضد الدين بن عبد الرحمن الإيجى الشيرازى.

(٢) شرح الرسالة العضدية فى علم الوضع لعصام الدين الإسفرائينى عام (١١٦٥ هـ).

٦ ـ حقائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق. مبتور الطرفين. والكتاب فى النحو.

٧ ـ الروضة المزهرة فى شرح نظمنا المسمى بالميسرة، لعلى ابن الحاج يونس بن عبد الجليل، وهو نظم قواعد الإعراب لابن هشام وشرحه.

٨ ـ الرشيدية وهى شرح عبد الرشيد الجونفورى لرسالة السيد الشريف الجرجانى فى المناظرة، بخط أحمد الرمضانى عام (١٣٢٤ هـ).

٩ ــ حواشى على بن عبد الله محضر باشى الموصلى على شرح خواجه على السمرقندى لرسالة الوضع.

١٠ ـ حاشية عبد الغفور على الجامى فى النحو (٩٤٥ هـ).

الهيئة والتقويم :

١ ـ الروض العاطر فى تلخيص زيج ابن الشاطر، لمحمد بن على بن زريق، نقله الجد الأكبر للدكتور داود الجلبى ـ محمد جلبى ـ من طول دمشق إلى طول الموصل.

٢ ــ مجموع فيها (١) مقاصد الغوالى بقلائد اللآلى فى علم التوقيت، لمحمد بن سليمان المغرى الروانى بخط عبد الفتاح السيد حسن.

(٢) سراج الاستخراج من استخراج التقاويم لفريد بخومى دهلوى. (فارسى).

٣ ــ رسالة فى قواعد الاسطرلاب، لحيدر بن السيد عبد الرحمن الحسينى الجزرى (١٣٢٨ هـ).

٤ ـ كشف غمرة اللبس فى كسف الزهرة للشمس، لدرويش محمد بن أحمد الطالوى، بخط الدكتور داود الجلبى.

الجغرافيا :

١ ـ كتاب جغرافيا عربى قديم مبتور الأول والآخر، يظن أنه لساهى زاده.

٢ ـ تقويم البلدان للملك المؤيد صاحب حماة. بخط محمد جلبى ١٢٤٩ هـ ـ الجد الأعلى للدكتور داود الجلبى ـ وقد زا د محمد جلبى هذا الكتاب الكثير من الفوائد.

الرحلات :

١ ـ سياحة الخورى إيلياس ابن القسيس حنا الموصلى، تاريخها ١٧٨٦، عن نسخة حررها الكواليرِ اندراوس (١٦٩٩ م).

٢ ـ رحلة أوليفى. القسم المختص منها بالموصل. ترجمة الدكتور داود الجلبى عام ١٩٥٣ م.

التاريخ :

١ ـ محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر للشيخ على دَدَه. بخط على بن الحاج أيوب العمرى (١٠٩٢ هـ) تنقصه ورقتان.

٢ ـ كتاب تاريخ للأنبياء (مجهول) مبتور الأول والآخر.

٣ ـ شجرات أنساب للأنبياء والملوك. ناقصة.

٤ ـ صفحات من كتاب عثمان بن حبيب بن حجر القارصى المسمى بوقائع قارص وإيران، نقلها الدكتور داود الجلبى، تركية العبارة.

٥ ـ مجموعة تحتوى على :

(١) صفحات من تاريخ الموصل من كتاب ألفه الأب لنزا، مترجم من الفرنسية من قبل الدكتور داود الجلبى عام (١٩٤٨ م).

(٢) ثلاث كتابات تاريخية وجدت فى كنيسة فى قرة قوش، بخط ناظم أفندى العمرى.

(٣) كتابة تاريخية وجدت فى أحد الكتب السريانية فى كنيسة بحزانى، بخط ناظم أفندى العمرى.

(٤) صورة كتاب من محمد أمين بك إلى خاله عبد الله أفندى فخرى زاده يصور فيه وقعة عبد الفتاح بك الجليلى التى حدثت فى الموصل عام (١١٧٥ هـ).

(٥) زبدة الآثار الجلية استخرجها الدكتور داود الجلبى من الآثار الجلية لياسين العمرى، بخط الدكتور داود الجلبى.

التراجم :

١ ـ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للخفاجى شهاب الدين أحمد.

٢ ـ إتحاف الأنام بأخبار سيدنا جرجيس عليه السلام لأبى الفتوح على بن مصطفى الدباغ. بخط المؤلف عام (١١٤٥ هـ).

٣ ـ مجموعة فيها (١) صورة الكتاب الوارد من ملا باشى على أكبر إلى السيد يحيى أفندى بأمر نادر شاه وجواب المكتوب بخط الدكتور داود الجلبى.

(٢) قصيدة هجوم فى حق حمام العليل للملا جرجيس الموصلى وقصيدة مدح لها ردا على الملا جرجيس، بخط الدكتور داود الجلبى.

(٣) منهل الأولياء ومورد الأصفياء فى سادات الموصل الحدباء، لمحمد أمين بن خير الله العمرى، بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٢٤ م).

الأدب :

١ ـ مجموعة فيها (١) شرح المعلقات السبع للزوزنى، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٢) قصائد وأشعار لشعراء جاهليين بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ) أغلبها مشروح ومشكل.

(٣) القصيدة الحرباوية لعثمان بن عيسى البلطى بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٤) شرح مقصورة ابن دريد، بخط عبد الله ابن عبد الله (٦٠٠ هـ).

(٥) لامية العجم للطغرائى، بخط عبد الله بن عبد الله (٦٠٠ هـ).

٢ ـ تخميس الوترية فى مدح خير البرية لمجد الدين أبى عبد الله محمد البغدادى خط (٩٤٤ هـ) الأصل على حروف الهجاء.

٣ ـ بستان الحكماء وسراج العلماء للقمان الحكيم؟ خط عام ٩٩٨ هـ ـ قد سقطت منه أوراق فى سبعة مواضع.

٤ ـ شرح سروري لكلستان الشيخ سعدي بالعربية، بخط خواجة خليل ابن الشيخ محمود (١٠٢٣ هـ).

٥ ـ رسالة صغيرة في الحكميات. مجهولة تبدأ بقال أبو العيناء لصاعد. مبتورة الأول والآخر.

٦ ـ مجموعة فيها (١) كلزار إبراهيم. (فارسي) خط في غاية الجودة.

(٢) نثر نصيراني همذاني ودبياجات ورقع مختلفة لغيره. فارسي بالخط عينه عام (١٠٣٢ هـ).

(٣) إنشاء ملا ظهوري. فارسي بالخط عينه.

(٤) إنشاء ملا ظهوري. فارسي ـ غير الأول ـ وبالخط عينه.

٧ ـ الفريدة السنية في الحِكم العربية لمحمد أمين خير الله الخطيب العمري الموصلي بخطه (١١٨٤ هـ).

٨ ـ مجموعة تحتوي على:

(١) مجموعة خطوط مختلفة فيها قصائد وأشعار لمحمد أمين بك ياسين أفندي زاده وموسى الحدادي وغيرها على بعضها مكتوب عام (١١٤٩ هـ).

٩ ـ ألفية العراقي بخط حمو الكردي النفيس (١١٨٤ هـ) فيها نقص كبير في الوسط.

١٠ ـ المنح المكية في شرح الهمزية لابن المكي الهيتمي بخط أحمد بن الحاج حسين أفندي الغلامي عام (١٢٠٤ هـ).

١١ ـ مجموعة فيها (١) تخميس الهمزية لعلي الجفعتري خط عام (١٢٣٢ هـ).

(٢) تشاطير وتخميس لسليمان أفندي.

١٢ ـ ديوان الشيخ الحاج أبي بكر بن جميل خليفة مصطفى (١٢٣٢ هـ).

١٣ ـ مجموعة فيها أشعار قاسم بن يحيى أفندي بن يونس أفندي ديوان أفنديسي وأشعار أخيه صالح وأشعار موصليين آخرين.

١٤ ـ قصائد محبوكة الطرفين لمحمد الغلامي بن حسن بن علي بن مصطفى الغلامي مفتي الشافعية في مدح أحمد باشا الجليلي.

١٥ ـ مجموعة (ديوان) محمد أفندي ابن الحاج إسماعيل أفندي قاضي زاده. في آخرها قصيدة في الدفاع عن الأولياء والطعن بابن تيمية.

١٦ ـ مجموعة تبدأ بزهرة البستان في تجربة الخلان لفتح الله الموصلي يتلوها قصائد وأشعار لشعراء موصليين وغيرهم.

١٧ ـ مجموعة التواريخ في مدح الوزراء من بني عبد الجليل.

١٨ ـ مجموعة تحتوي على:

(١) ديوان صفي الدين الحلي مبتور الآخر.

(٢) قصائد محبوكة الطرفين لمحمد بن مصطفى الغلامي الموصلي في مدح فتاح باشا الجليلي.

(٣) قصيدة للسيد فتح الله القادري الموصلي في حصار نادر شاه طهماسب قولي للموصل.

١٩ ـ مجموعة فيها (١) المعشرات. نظم. تحت كل كلمة ترجمتها بالفرنسية بين السطور.

(٢) المخمسات. نظم. تحت كل كلمة ترجمتها بالفارسية بين السطور.

(٣) ترجمة لامية العجم إلى الفارسية.

(٤) شرح القصيدة الحرباوية التي هي لتاج الدين عثمان بن عيسى البلخي.

(٥) النجديات، لأبي المظفر محمد ابن أبي العباس أحمد بن إسحاق الأبيوردي.

(٦) آيات وأحاديث وحكم وأشعار شتى. لعل جميع ما احتوته هذه المجموعة هو للأبيوردي المذكور.

٢٠ ـ مجموعة من الأقوال والأشعار الحكمية، لعبد الله جلبي ابن أحمد جلبي. بخطه ـ عم الدكتور داود الجلبي.

٢١ ـ مجموعة أشعار من جمع الدكتور داود الجلبى . بخطه .

٢٢ ـ رسالة الطيف لبهاء الدين على بن عيسى الأربلى ، بخط الدكتور داود الجلبى .

٢٣ ـ مجموعة فيها (١) تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم لأبى المظفر فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ قدر الدين محمد بن حمويه . بخط الدكتور داود الجلبى (١٩٣٩ م) .

(٢) مقامة له ألفها عند سفر الملك الكامل إلى ثغر الإسكندرية . بخط الدكتور داود الجلبى الموصلى (١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م) .

٢٤ ـ ديوان مرتب على حروف المعجم لبعض شعراء العجم من بجر الدوبيت كتب للدكتور داود الجلبى (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) .

الفنون الجميلة :

١ ـ مجموعة قصائد وعتابات وزهيريات منسوبة إلى نعمان أفندى العمرى وغيره .

المنطقه والفلسفة :

١ ـ مجموعة فيها (١) شرح إيساغوجى ، لحسام الدين حسن كاتى ، بخط أحمد الدرويش العمرى عام (١٢٠٠ هـ) .

(٢) حاشية على شرح حسام كاتى لمحيى الدين التالجى ، بخط أحمد الدرويش العمرى عام (١٢٠٠ هـ)

٢ ـ مجموعة فيها (١) شرح الرسالة القياسية لمحمد بن مصطفى الأرض زوض عام (١٢٥٤ م) .

(٢) متن الرسالة القياسية لموسى الكليم البهلوانى عام (١٢٥٤ م) فى آخر المجلدة .

٣ ـ مجموعة فيها (١) شرح محمد بن شريف الحسينى لقسمى الطبيعى والإلهى من هداية الحكمة لأثير الدين الأبسمدى ، بخط يوسف ابن مولانا عبد اللطيف .

(٢) شرح ما سوى المنطق من هداية الحكمة ، لملا زاده ، بخط يوسف بن مولانا عبد اللطيف عام (٨٨٧ هـ) .

الحيوان :

١ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميرى . الجزء الأول . بخط على ابن أحمد بن على بن عمر المقرى اليمنى . المعروف بالشواطبى عام (٨٥٨ هـ) .

النبات :

١ ـ كتاب نبات مصور قديم مخطوط .

٢ ـ سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار لابن الشماع الحلبى ، بخط الدكتور داود الجلبى (١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) .

الكيمياء :

١ ـ مجموعة تحتوى على :

(١) رسالة لمحمد بن عمر المحمدى فى الحجر الأعظم .

(٢) رسالة فى الكيمياء نسبت لخالد بن يزيد .

٢ ـ مجموعة فى علم الكاف (الكيمياء القديمة) .

٣ ـ مجموعة فيها (١) الطب الجديد الكيمياوى لبراكلسوس ، بخط محمد جلبى جد الدكتور داود الجلبى عام (١٢٣٦ هـ) .

(٢) الكيمياء الملكية فى صناعة الطب الكيميائى لفروليوس ، بخط محمد جلبى جد الدكتور داود الجلبى عام (١٢٣٦ هـ) .

الطب :

١ ـ دفع مضار الأغذية لمحمد بن زكريا الرازى ، بخط محمد ابن الحسين بن زيد تاريخها (٤٠٣ هـ) . لا يوجد أقدم من هذ المخطوط فى الموصل .

قالت المؤلفة : الكتاب الذى عندى بعنوان «منافع الأغذية

ودفع مضارها ــ راجعه وقدم له د. عاصم عيثاني. دار إحياء العلوم بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٥ م.

٢ ــ انتخاب الاقتضاب المشتمل على سؤال وجواب وهو المدخل للمبتدئ فى علم صناعة الطب تصنيف أبى النصر سعيد بن أبى الخير المسيحى بن عيسى ـ المطبب ـ يليه نهاية القصد فى صناعة الفصد لمحمد بن إبراهيم صاعد الأنصارى.

٣ ـ بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطيب الهروى. قال إنه ألفه بأمر الوزير محمد المشتهر بأمير بيك، وهو دائرة معارف للطب القديم لم يذكر فى كشف الظنون. قد سقطت ورقة من أوله وأخرى عند حرف الجيم عند الكلام على الجدرى.

٤ ـ برء الساعة لمحمد بن زكريا الرازى (١٢٨١ هـ).

٥ ـ جداول الحاوى نقلها الدكتور داود الجلبى من مجلد من أجزاء الحاوى وجده فى مدرسة جامع الباشا بالموصل.

٦ ـ رسالة فى النبض، فى ٢٤ صفحة من جمع محمد جلبى ـ يليها فصل فى النبض أيضا مقتبس من نور البيان وآخر من كامل الصناعة.

٧ ـ شرح الموجز لنفيس بن عوض. المتن لعلاء الدين على ابن أبى الحزم القرشى.

٨ ـ شفاء السقيم. كتاب صغير لم يذكر اسم مؤلفه. قد جمع فيه صفات للأمراض المختلفة منقولة من التحفة الجامعة لمفردات الطب للشيخ يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى ومن غاية البيان لصالح أفندى ومن يادكار بن شريف ومن رسالة نصرة أفندى الإسلامبولى ومفردات ملا قاسم المولوى الموصلى بخط مصطفى الحافظ عام (١٢٤١ هـ).

٩ ـ العيسوى فى صناعة الطب، لأبى سهل عيسى بن يحيى المسيحى وقد يسمى كتاب المائة لأنه مقسم إلى مائة كتاب.

١٠ ــ غاية الإتقان فى تدبير بدن الإنسان لصالح أفندى الحلبى. أدرك هذا الرجل أوائل الحركة الطبية عند الإفرنج واقتبس من مؤلفاتهم. النسخة تامة وخطها جيد.

١١ ــ مجربات أحمد جلبى بن محمد جلبى المتوفى فى جمادى الآخرة عام (١٢٨٢ هـ) فى الطب ٢٥ ورقة بخطه والمؤلف هو جد الدكتور داود الجلبى.

١٢ ـ مجلد فيه رسالتان فى العلة المراقية.

(١) تبدأ الأولى بقوله (الحمد لله رب العالمين. أما بعد فهذه رسالة ألفها مصطفى أفندى فيضى حكيم باشى سلطان محمد الفاتح بن سلطان إبراهيم (كذا. ويقتضى أن يكون الصواب محمد الرابع لا الفاتح) أشار بتأليفها فصنفها برسمه فى بيان معالجة العلة المراقية السوداوية والعلة المراقية غير السوداوية.

(٢) الرسالة الثانية: جاء فيها بعد أسطر من البدء ما نصه (اعلم أن العلة المراقية السوداوية والعلة المراقية المحضة كل منهما علة مستقلة كما بينا فى الرسالة الأولى) فيفهم أن مؤلف الرسالتين واحد فى أسفل الصفحة الأخيرة قال الناسخ «كتب بخط الفقير قس عبد الأحد الطيب وذلك قد كتبه لنفسه» ثم إنه محا اسم (قس عبد الأحد الطيب) وكتب فوقه بخطه أيضا (محمد الطيب المهتدى) إذن قد استنسخ هذا الكتاب قبل اهتدائه [للإسلام] عام (١١٣٦ هـ) ومحمد المهتدى هو محمد جلبى الطيب ـ الموصلى الجد الأعلى للدكتور داود الجلبى.

وإليك هذا الفهرست للمخطوطات.

فهرست مخطوطات خزانة الدكتور داود الجلبى
ويشتمل على (الموضوعات وعدد المجلدات وعدد الكتب والرسائل)

الموضوع	عدد المجلدات	عدد الكتب والرسائل
القرآن وما يتعلق به	١	٧
الفقه	١٣	١٦
العقائد الإسلامية	٤	٦
المواعظ والخطب	٢	٣
التصوف	٤	٤

الأديان والمذاهب والجدال فيها	٦	٩
العلوم الآلية	١٠	١٥
الهيئة والتقويم	٤	٤
الجغرافيا	٢	٢
الرحلات	٢	٢
التاريخ	٥	٨
التراجم	٣	٥
الأدب	٢٤	٤٠
الفنون الجميلة	١	١
المنطق والفلسفة	٣	٦
الحيوان	١	١
النبات	٢	٢
الكيمياء	٣	٥
الطب	٣٤	٤٢
الصيدلة	٥	٥
التربية والتدريس	٢	٢
العلوم غير المثبتة	٧	١٣
كتب شتى	٢	٤
المجاميع	٢٠	٧٣
المجموع	(١٦٠)	(٢٧٥)

ونكتفى بهذا القدر ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصدر ص ٢٥ ـ ٣٩.

(«الدكتور داود الجلبى : حياته ومخطوطات خزانته» ـ د. فيصل دبدوب. مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية. المجلد الثالث عشر. الجزء الأول. ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م / ٧ ـ ٢٤، ٤٠).

انظر : خزائن الكتب، داود الجلبى .

* **خزانة الروايات:**

خزانة الروايات فى الفروع : القاضى جكن الحنفى الهندى الساكن بقصبة كن من الكجرات وهو مجلد أوله : الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ... إلخ ذكر فيه أنه أفنى عمره فى جمع المسائل وغريب الروايات وابتدأ بكتاب العلم لأنه أشرف العبادات .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٢)

* **خزانة سابور:**

انظر: دار العلوم ببغداد

* **خزانة السلاح:**

ما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى الفنون الحربية والفروسية مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى : خزانة السلاح

لم يعلم مؤلفه .

وهى مختارات فى وصف السلاح .

أوله : الحمد لله الذى أنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وجعل الجنة تحت ظلال السيوف تأتى من الخير بأنواع وأجناس ... وبعد، فهذه رسالة كتبتها على وفق الاقتراح، وسميتها خزانة السلاح، تطعن صدور المعاندين برماح ألفاتها، وترمى مقاتل الأغراض بقسى نوناتها ... وذلك أنى لما تشرفت بالمثول فى الحضرة الشريفة الإمامية العالمية العاملية العادلية السلطانية الناصرية، حضرة مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأرفع الأكرم ... أبى الفتح أحمد شاه بن سلطان محمد شاه بن السلطان مظفر شاه ... إلخ .

وآخره : فدونكها رسالة قد حلت من حرمة المنيع بأعز الأوطان، وآثرت الاختصاص بخدمته الشريفة، ومن أحق بخزانة السلاح من السلطان، وأنا أعتذر بما أجده من تشتت الخاطر الكليل، واسأل إقامة العذر بما أنا بصدده من العزم على الرحيل ... إلخ .

ـ نسخة كتبت بخط نسخ جميل، جاء بآخرها أنها تمت كتابة سنة ٨٤٠ فى ٤١ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا .

[دار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦ أدب]

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م، جـ ٤/ ١٥) .

* **خزانة الشراب:**

هى الصيدلية الملحقة بالبيمارستان، وقد عرفها

أبو العباس القلقشندي على الشكل الآتي: «هي الخزانة المعبر عنها في زماننا (أي زمن القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ / ١٤١١) بالشرابخانة، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية، والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصيني من الزبادي والبراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك». وكان للشرابخانة رئيس يسمى رئيس صيدلاني البيمارستان.

كانت الصيدلية في بادئ الأمر تابعة لعلم الطب، غير مستقلة عنه إذ كان الطبيب في الوقت نفسه صيدلانيا، وكان له أعوان يساعدونه في عمله، فيجمعون له الأعشاب الطبيعية. وكان ثمة تجار يتعاطون تجارة العقاقير والمواد الطبية، كما كانوا يتعاطون تجارة البخور والتوابل وغير ذلك، وكان الطبيب على رأس هذه الشبكة، يتولى صنع الدواء وتركيبه في دكانه، ثم يقدمه للمريض ويقبض ثمنه.

(الطب عند العرب ـ د. حنيفة الخطيب / ٢٢١).

انظر مادة «البيمارستان» في م ٨ / ٢٣٧ ـ ٢٤٤.

*** خزانة شمايل:**

اسم السجن الذي كان يقع مكان جامع المؤيد بالقاهرة. وشمايل هذا من مماليك الكامل الأيوبي، أظهر شجاعة وبراعة خلال الحملة الصليبية التي استولت على دمياط فكان يسبح في النيل ليلا ويتسقط أخبار الصليبيين، فكافأه الكامل بتعيينه واليا على القاهرة عقب الانتصار وإجلاء الحملة، فبنى سجنا في هذا الموضع بالقرب من باب زويلة ونسب هذا السجن إليه. وكان المؤيد شيخ من سُجن فيه خلال استبداد منطاش بالأمور، ويذكر المؤيد شيخ أنه قاسى في هذا السجن الشدائد، فنذر لله تعالى: إن أوتي ملك مصر ليجعلن هذه البقعة مسجدا لله تعالى ومدرسة لأهل العلم.

(صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي ـ عبد الوهاب حمودة / ٩٣، ٩٤).

*** خزانة الطعم:**

كانت في عصر الفاطميين وعرفت في عصر المماليك «بالحوائج خاناه»، وكانت تحتوي على عدة أصناف من جميع أصناف القلويات من الفستق وغيره والسكر والقند (القند عسل قصب السكر إذا جمد، معرب كند وهو قصب السكر) والأعسال على أصنافها والزيت والشمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصا وعاما وما ينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلي / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣/ ٤٧٢، ٤٧٣).

*** الخزانة الظاهرة:**

عرفت في العصر الفاطمي وهي جزء من خزانة الكسوة، وعرفت في عصر المماليك بخزانة الخاص وكان فيها من الحواصل من الديباج الملون على اختلاف أنواعه والشرب الخاص الدبيقي والسقلاطون وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عظم المملكة وإليها يحمل ما يعمل بدار الطراز بتنيس ودمياط والإسكندرية من مستعملات الخاص وفيها يفصل ما يؤمر به من لباس الخليفة وما يحتاج إليه من الخلع والتشاريف وغير ذلك.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلي / ١٨٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٧٢).

*** الخزانة العالية:**

يعبر عن الخزانة في دمشق بالخزانة العالية ومتوليها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشية ويكون متحدثا في أمر التشاريف والخلع وما معها، وهي وظيفة جليلة يوليها النائب بتوقيع كريم.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلي / ١١٨ عن صبح الأعشى للقلقشندي ٤ / ١٩١).

*** خزانة الفتاوى:**

لأحمد بن محمد

قال حاجي خليفة:

خزانة الفتاوى: لأحمد بن محمد بن أبي بكر الحنفي صاحب مجمع الفتاوى وهو مجلد أوله: أحمد الله حمدًا

بعدد ما أظهر من معدن الإنسان ... إلخ ذكر فيه أنه جمعه من الفتاوى وأورد فيها غرائب المسائل (كشف ١/ ٧٠٣).

من مخطوطات الفقه الحنفي في دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)، وجاء بيانه كما يلي:

تأليف أحمد بن محمد بن أبي بكر الحنفي المتوفى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨هـ

جمع فيه من كتب العلماء العظام أولها الفتاوى الكبرى والصغرى للصدر، وفتاوى أبي بكر محمد بن الفضل البخاري وفتاوى الشيخ محمد بن الوليد السمرقندي، وفتاوى أبي الحسن الرستغفني وفتاوى عطاء بن حمزة والناطفي وغريب الرواة والمنتقى والشرح المنتسب بالجصاص، وملتقط أبي القاسم وتحفة الفقهاء والعلائي وبديع الدين وجامع ظهير الدين.

وبجمعه هذا ألف كتاب مجمع الفتاوى، ثم اختصره وجمع غرائب المسائل في خزانة الفتاوى.

أوله: أحمد الله حمدا بعدد ما أظهر من معدن الإنسان يواقيت ودررا.

آخره:

وقد ضمنته سحرًا حلالا

وقد نظمته سمط الكفايه

ولا أدرى لسانا قد تبدى

لأدنى حسنه أقصى النهايه

نسخة جيدة قديمة عليها بعض التعليقات.

الخط نسخ جيد كتب سنة ٩١٦هـ

٢٢٠ق ١٦س ١٨ × ١٢,٥ سم.

المراجع: معجم المؤلفين ٢/ ٨٥ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(كشف الظنون ١/ ٧٠٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

*** خزانة الفتاوى:**

لطاهر بن أحمد.

خزانة الفتاوى: للشيخ الإمام طاهر بن أحمد البخاري الحنفي السرخسي المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة صاحب الخلاصة وهو كتاب معتبر قليل الوجود.

(كشف الظنون ١/ ٧٠٢، ٧٠٣).

*** خزانة الفقه:**

خزانة الفقه للإمام أبي الليث نصر بن محمد الفقيه السمرقندي الحنفي المتوفى سنة ٣٨٣ ثلاث وثمانين وثلثمائة وهو مختصر أوله: الحمد لله رب العالمين جمع فيه مسائل الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر ورتب ترتيب الكنز ثم نسج صاحب النتف على منواله (كشف ١/ ٧٠٣).

من مخطوطات الفقة الحنفي بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي: الرقم ٦٠١٠

تأليف أبي الليث إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وفي رواية سنة ٣٧٣، أو ٣٨٣)/ ١٠٠٣م.

جمع فيه مسائل الفقه معدودة الأجناس مجموعة النظائر تسهيلا للحفظ، ورتبه ترتيب الكنز.

أوله: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبيه محمد وآله أجمعين الطيبين، قال الشيخ الإمام الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله: اعلم أن الفقه علم حسن.

آخره: لرجل جراكرد حلال نكرديدى، فقال: من حرام يايم حلال راجه كنم: معناه: أن يقول لرجل لم لا تدور حول الحلال قال: ما دام أجد الحرام ليس أعمل بالحلال يكفر. والله أعلم.

نسخة جيدة. مشكولة.

الخط نسخ معتاد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتبه على المصري الأزهري سنة ١٠٦٠هـ.

١٩٩ق ١٥س ١٩,٥ × ١٣,٥سم.

وتوجد خمس نسخ أخرى أرقامها على التوالي هي: ٦٨٥٣، ٥٢٧٩، ٨١٢٩، ١١١٥٧، ٨٢٧٤ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٩٦-٢٩٨).

كما يـوجد مخطـوط فى مكتبة متحف «مـولانا» فى قـونيا وجاء بيانه كما يلى :

لأبي الليث نصـر بن محمـد السمـرقنـدى المتـوفى سنـة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م.

انظـر ترجمة المـؤلف في معجم المؤلفين ١٣/ ٩١، وقد طبعت ببغداد سنـة ١٩٦٥، بتحقيق الـدكتـور صلاح الـدين الناهي.

خط السلجوقى، الأبواب بالذهب .

في الورقة الأولى فهرست ناقص وعليها ثلاثة قيود للتملك ومكان الاسم فيها ممسوح وفي نفس الورقـة قيد بمطالعته سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٥٤٠م. قام أحدهم بالكتابة على الورقة الأخيرة لإتمامه.

أولـه : بسم ... اعلم أن الفقـه علم حسن وهـو أجل من سائر العلوم .

آخره : وقـال لرجل ... والله أعلم بالصـواب ... تم الكتاب بعون الملك الوهاب .

مقياس المجلد : ١٨,٥ × ١٣ .

مقياس الكتابة : ١٥×٩,٥ .

عدد الأوراق : ١٤١ .

عدد الأسطر.

رقمه في الخزانة : ٥٥١٧ .

رقم المجلد : ٩٨٢ (المخطوطات العربية ق٥/ ١٣٠) .

كما يوجد مخطوط فى دار الكتب القطرية وقد ورد فيه وفاة المؤلف سنة ٣٧٣هـ وجاء بيانه كما يلى :

أوله : الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله . تملكها الخطيب بالجامع الكبير.

نسخـة كتبت سنـة ٩٢٠هـــ بخط فـارسي جميل ودقيق، عليها أختام عـديدة، وتملكات كثيرة منهـا تملك باسم : هبة الله بن محمد بن هبة الله الحنفى الخطيب، بالجامع الكبير .

٦٧ ورقـة، ٢٤ × ١٥ سم، مسطـــرتهــا ٢١ سطــرا (مخطوطات القطرية/ ٦١، ٦٢).

وتوجد فى المجمع العلمى العراقى خمس نسخ من كتاب خزانة الفقه نورد بيان كل منها فيما يلى. ونبدأ أولا بما جاء فى هامش (١) لواضع الفهرس الأستاذ ميخائيل عواد الذى يقول : نهض الدكتـور صلاح الدين الناهـي، لدراسة طائفـة من آثار أبي الليث السمـرقنـدى، وعني بتحقيقهـا ونشـرهـا، بعنـوان «المصنفات الفقهيـة لإمام الهـدى الفقيه أبى الليث نصـر بن محمد بن أحمـد بن إبراهيم السمـرقندى : من فقهـاء الحنفية بما وراء النهـر في القرن الرابـع للهجرة» فظهر منهـا. المجلد الأول ويتنـاول «خـزانـة الفقـه وعيـون المســائل» : (بغـداد ١٩٦٥)، والمجلـد الثـاني : « عيــون المسـائل» : (بغــداد ١٩٦٧).

قـال في مقدمتـه التي صـدر بها المجلـد الأول (ص٧) : « ... وثمة كتـاب ثالث لهـذا المؤلف، هو بمثـابة المقـدمة، وأعني به : خـزانة الفقه . لأن هـذا الكتاب عبـارة عن مختصر للفقه، أراد به تقريب الفقه لأذهان الجميع من عالم وجاهل، أي بيان ما لا يستغنى عنه كل مسلم من أحكام الفقه».

كما جاء فـى هامش (٢) هذه الترجمة مختصـرة للمؤلف أبى الليث : نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث، الملقب بإمام الهـدى : علامة، من أئمة الحنفية، مـن الزهاد المتصـوفين . لـه تصانيف نفيسـة . تـرجمته وذكـر آثـاره في : «الأعلام» ٨/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩، «معجم المؤلفين» ١٣/ ١٩، وما ذكراه من مراجع بشأنه .

وقـد استوفى تـرجمته : د. صـلاح الدين النـاهي، ضمن مقدمته التى صدر بها «خزانة الفقه» : (ص ٧ ـ ٦٧) .

وكان عبد الحميد العلوجى، كتب بحثًا مستفيضا، بعنوان «مؤلفات أبى الليث السمرقندى» : (مجلة «الأقلام» ٣ [بغداد ــ مارس ١٩٧٦] ج٩، ص٤٤ ـ ٥٢)، تناول فيه تـرجمة أبى الليث، ومصنفاته، ونسخها الخطية، ومواطن وجودها .

وإليك بيان نسخ المخطوطات :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى (ت : ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣م، وقيل٣٧٥ و ٣٨٣ و ٣٩٣هـ) .

أوله : « البسملـة ... ، الحمدلة ... ، قـال الشيخ الإمـام

أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى. اعلم أن الفقه علم حسن وهو أجل من سائر العلوم ، وهو علم الدين والشريعة ، وقوام الشرائع به ، ... ».

آخره : « ... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف والدفتر اللطيف على يد ... سمت [؟] بن حاجي القرمانى ، فى يوم الأحد ، وهو اثنا شر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة بعد العصر بمحمية قسطنطينية».

يلى ذلك :

«تم كتاب خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه وأرضاه. تأليف الشيخ الإمام العالم ... أبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى. تغمده الله ... ».

يلى ذلك كلمة فى ترجمة أبى حنيفة .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب ينى جامع باستانبول (برقم ٦٧٧) بخط نستعليق .

على حواشى النسخة تعليقات كثيرة مكتوبة بخط التعليق ، دقيق للغاية . صفحة العنوان ساقطة ، وكتب فى صفحة أخرى : «هذا فهرس ما فيه» .

٦١ ق ، ٢٧ س (٣/ فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى .

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب السليمانية باستانبول (برقم ٤١٦) وعلى حواشيها تعليقات مختلفة .

آخرها : «تمت الكتاب [كذا] بعون الله الملك الوهاب . قد وقع الفراغ من هذه النسخة الشريفة فى يوم (الثلاثاء) شنبه من ربيع الآخر سنة ١٠٤٦ قصبة إيزنجه بخط تعليق .

١١٥ ق ، ١٩ س

(٤/ فقه - فرائض - قضاء)

خزانة الفقه :

المؤلف : أبو الليث السمرقندى

نسخة أخرى مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط - المغرب (برقم D 1666)

أولها : «البسملة ... ، الحمدلة ... ، اعلم أن الفقه علم حسن ، وهو أجل العلوم ، وهو علم الدين والشريعة ... » .

آخرها : « ... تمت الكتاب [كذا] بعناية الله المرشد بالصواب ، وهو المسمى بخزانة الفقه ، تأليف الشيخ الفقيه العالم الزاهر المحقق أبو [كذا] الليث السمرقندى ، رحمة الله عليه رحمة واسعة » .

يلى ذلك :

« قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب المستطاب بعون الله الملك الوهاب فى الدمشق [كذا] المحروسة حرسها الله تعالى من جميع الآفة [كذا] والبلايا فى يوم الأحد الأول من شهر شوال المعظم فى تاريخ سنة ست وسبعين وتسعمائة عن يد العبد الحقير الفقير محمود بن محمد المتوفى ، غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه واستكتب ... » .

يلى ذلك فى ورقة أخرى :

« هذا مما وقفه الفقير إلى الله تعالى محمود بن محمد متوفى فى حال حيوته من ثلث ماله هبة لله وطلبا لرضاه على نفسه ، وبعد نفسه إلى أولاده ، وإلى أولاد أولاده إلى انقراض الأولاد . وبعد انقراض الأولاد على أهله من أصلح المؤمنين فى المدون وقفا مؤبدا حبسا تاما صحيحا شرعيا ، وشرط أن لا يباع ولا يوهب ولا يرهن ولا يعار لغير أهله ، ولا يعطى لأحد إلا برهن يحرز القيمة مثلين ، ﴿ **فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم** ﴾ [البقرة : ١٨١] وكان فى أوائل شوال المعظم من سنة ست وسبعين وتسعمائة»

يلى ذلك أسماء شهود الحال مع ذكر السنوات .

وفى أخير الورقة ٩٤ : «وتم كتابته فى ضحوة يوم الثلاثاء ستة عشر من رجب ... فى شهور سنة سبع وسبعين وتسعمائة بمدينة السلام ، تمام وقت التوجه إلى بيت الله الحرام ، وأنا الفقير محمود المتوفى ... » .

وفى هامش الورقة نفسها : « وقع الفراغ من تأليف هذه الأوراق وجمعها ، ضحوة يوم الخميس الثانى والعشرين من

شعبان المعظم فى شهور سنة سبع وسبعين وثمانمائة بمدينة السلام بغداد، وقت التوجه إلى بيت الله الحرام، وأنا الفقير عبد الرحمن أحمد الجامى، وفقه الله سبحانه لما يحبه ويرضاه. تم بحمد الله وتوفيقه بمكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا».

١٤٢ق، ٢١ س

(٥/ فقه ـ فرائض ـ قضاء).

خزانة الفقه (فى الورقة الأولى فهرست موضوعات الكتاب. وفى أعلاها، بقلم مغاير، كتب: «عيون المسائل». والصواب« خزانة الفقه» كما جاء فى مقدمة الكتاب».

المؤلف: أبو الليث السمرقندى.

أوله: «البسملة ...، الحمدلة ...، قال الشيخ الإمام أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى. اعلم إن الفقه علم حسن ...، وقد استجمع فى هذا التأليف من مسائل الفقه معدودة الأجناس ... وسمى خزانة الفقه، فوائده أكثر من أن تحصى وتعد. وابتدأت فى مسائل الطهارات والوضوء ...».

آخره: «... قد وقع الفراغ من تنميق هذا السفر الشريف والدفتر اللطيف على يد أضعف عباد الله العائذ برب الناس من شر الوسواس الخناس ضير [خير؟] الدين بن إلياس، يوم السبت وقت الظهر وهو الثالث والعشرون من شهر شعبان الشريف المنخرط فى سلك شهور سنة تسع وخمسين وتسعمائة باستانبول المحمية فى إحدى الثمان وهى الثالثة من الجانب الأيمن المحاذية بالحرم فى الزاوية الصغرى. تم».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب حميدية باستانبول (برقم ٤٨٠).

بخط النسخ. وعلى حواشى النسخة تعليقات مختلفة.

١١٧ ق، ١٩س

(٦ / فقه ـ فرائض ـ قضاء).

«كتاب» خزانة الفقه على مذهب الإمام الأعظم:

المؤلف: أبو الليث السمرقندى:

أوله: «البسملة ...، النون النوازل للفقيه أبى الليث، والعين عيون المسائل، والواو واقعات الناطفى، والباء فتاوى الإمام أبى بكر الفضل ...».

آخره: «... تم فتاوى فى قعود الأجناس بعون تعالى».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى خزانة كتب حميدية باستانبول بخط النسخ.

الورقة الأولى فيها العنوان، وعليها أيضا تعليقات مختلفة، وأختام. وتملكها بعضهم.

٧٣ق، ١٧ س

(٧ / فقه ـ فرائض ـ قضاء).

(مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١ / ٥٣ ـ ٥٧).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥ / ١٣٠، والمنتخب من دار الكتب القطرية. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٣/ ٦١، ٦٢، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى. دراسة وفهرسة ـ ميخائيل عواد ١ / ٥٣ ـ ٥٧).

* **الخزانة الكبرى:**

كان يطلق عليها الخزانة السلطانية وأيضا بيت المال، وكانت فى أول أمرها مستودع أموال المملكة وكان ناظر الخاص يشرف على جميع أموال الدولة. وعندما أنشئت وظيفة الخاص قل شأن الخزانة الكبرى وأصبحت لا تستعمل إلا فى تخزين الفائض والاحتياطى أو حفظ ما يخصص للموظفين من أرزاق. وكان يعمل بها ناظر وشهود وصيارفة وكاتب.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١١٨، ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٣٠، وخطط المقريزى ٣/ ٣٦٩).

* **خزانة الكتب:**

انظر: خزائن الكتب.

* **خزانة الكعبة :**

كانت الكعبة فى الجاهلية تكسى بكساوَى كثيرة ومتعددة، كانت البدن تجلل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن، وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل ما بقى فى خزانة الكعبة فإذا بلى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤ / ٢٧٣) .

* **خزانة اللباس :**

انظر : الطشت خاناه .

* **خزانة المفتين :**

قال حاجي خليفة :

خزانه المفتين فى الفروع : للشيخ الإمام حسين بن محمد السميقانى [السمنقانى] الحنفى صاحب الشافى فى شرح الوافى وهو مجلد ضخم أوله : الحمد لله حمد الشاكرين ... إلخ ذكر فيه أنه صنفه بإشارة حكيم الدين محمد بن على الناموسنى فأورد ما هو مروى عن المتقدمين ومختار عند المتأخرين وطوى ذكر الاختلاف واكتفى بالعلامات من الهداية والنهاية وقاضيخان والخلاصة والظهيرية وشرح الطحاوى وغير ذلك من المعتبرات وفرغ فى محرم سنة ٧٤٠ أربعين وسبعمائة (كشف ١ / ٧٠٣) .

يوجد مخطوطه بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم - البهراقية) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف، وجاء بيانه كما يلى، وقد ورد اسم المؤلف فيه « السمعانى » :

خزانة المفتين - الجزء الأول :

تأليف : حسين بن محمد السمعانى كان حيا سنة ٧٤٠هـ، ١٣٣٩م .

كتاب فى فروع الفقه الحنفى، ذكر مصنفه فى خطبته دواعى تأليفه هذا الكتاب والكتب التى أخذ عنها وأورد فيه المعول عليه فى الذات وطوى ذكر الإضافات، واكتفى بجميع ما أورد فيه من الكتب بالعلامات والرموز وبين كيفية الأخذ بالمذاهب. ويبدأ بكتاب الطهارة، وينتهى بباب دعوى الوقف والشهادة وفرغ من تأليفه سنة ٧٤٠ هـ .

أوله بعد البسملة : « الحمد لله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الموقنين ... » .

آخره : « ... وأقام البينة بوقف جميع الدار تقبل تم النصف الأول من خزانة المفتين والحمد لله رب العالمين » .

النسخة ملفقة إذ كتبت خطبة الكتاب بخط النسخ الجيد، وأما الكتاب نفسه فكتب بخط فارسى مستعجل وعلى هوامشه تعليقات كثيرة وكتبت الأبواب والفصول والكتب والرموز بالحمرة نسخها محمد ابن الحاج نعيم المعضنلى سنة ٩٧١هـ .

(٣٥٣) ق　المسطرة (٢٤) س الأحمدية (٥٦٥ / ١) الفقه .

الجزء الثانى منه :

يبدأ هذا الجزء بكتاب البيع وينتهى بكتاب الفرائض، وفى أوله فهرس ضم الكتب الواردة فيه مع أرقام صفحاتها .

أوله بعد البسملة «كتاب البيع وهو فى اللغة عبارة عن تمليك المال ... » .

آخره وختمته : « ... قال مؤلف هذا الكتاب : هذا آخر خزانة المفتين وقد أثبت به على ... من تلك القواعد واجتهدت فى التوفيق بين المسائل واخترت فيه ما هو المقول فى الباب، وذكرت ما هو الأصح فى المذاهب فى الكتاب، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ الجيد. لصفحاتها أطر، وعلى هوامشها بعض التعليقات، كتبها محمد ذارى بن نسيماتى الحنفى سنة ٩٧٣هـ .

(٤٥٢) ق　المسطرة (٢٧) س　الأحمدية (٥٦٥/ ٢) الفقه .

بروكلمان : ٢/ ١٦٣　　ذيل بروكلمان : ٢/ ٢٠٤

(كشف الظنون ١/ ٧٠٣، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٤/ ١٧٨، ١٧٩) .

*** خزانة الواقعات :**

خزانة الواقعات : للشيخ الإمام افتخار الدين طاهر بن أحمد البخارى الحنفى المتوفى سنة ٥٤٢ اثنتين وأربعين وخمسمائة لخص منه ومن النصاب الخلاصة كما ذكر فى ديباجته .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣) .

*** خزانة الواقعات فى الفروع :**

خزانة الواقعات فى الفروع : للشيخ الإمام أحمد بن محمد ابن عمر الناطفى الحنفى المتوفى سنة ٤٤٢ اثنتين وأربعين وأربعمائة وهو مختصر مشهور بالواقعات .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٣) .

*** خزائن الأسرار وبدائع الأفكار شرح تنوير الأبصار :**

من مخطوطات الفقه الحنفى بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) : وجاء بيانه كما يلى :

الرقم : ١٠١٠٤

تنوير الأبصار وجامع البحار تأليف شمس الدين محمد ابن عبد الله بن محمد التمرتاشى الغزى المتوفى سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٦م.

خزائن الأسرار تأليف علاء الدين محمد بن على بن محمد الحصكفى المتوفى سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م

وهذا شرح آخر غير الدر المختار، وقد ألفه المؤلف ووصل فيه إلى باب الوتر والنوافل ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى .

أوله : حمدًا لك يا من شرحت صدورنا بأنواع الهداية سابقا ، ونورت بصائرنا بتنوير الأبصار لاحقا ...

آخره : وهذا يقتضى أن المذهب خلاف ما فى الخانية ، وأنه ترجيح متنه لا اختيار فى المذهب وأقره فى النهر والله أعلم .

نسخة جيدة . كتبها تلميذ المؤلف .

الخط نسخ معتاد والمتن مكتوب بالحمرة . كتبه محمد ابن عمر الميدانى سنة ١١٢٨هـ.

١٣٠ق ٢٧س ٢٢×١٦سم

المراجع : معجم المؤلفين ١٠/ ١٩٦ ١١/ ٥٦، هدية العارفين ٢/ ٢٦٢، ٢٩٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٩٣، ٢٩٤) .

*** خزائن الجواهر ومخازن الزواهر:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علوم القرآن الكريم .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم : ٨١١١

المؤلف : أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان المفتى الخادمى الحنفى المتوفى ١١٧٦ .

أوله : بسم الذى جعل البسملة شريفة للافتتاح ، الرحمن الذى جعلها لوصول كل بركة المفتاح ، وجناحا إلى حل رموز الخطاب ...

وبعد فيقول أبو سعيد محمد الخادمى ... هذه خزائن الجواهر ومخازن الزواهر رقية عجائب أسرارها ، رقيقة غرائب أزهارها ، حاوية لفرائد العقليات جامعة لفرائد النقليات ، لم يأت بمثلها الأعصار ولم يسمح إلى الآن الأدهار.

آخره : وهى مفتاح للكلام القديم ومظهر بجميع أسرار القرآن العظيم ، فالمطلب فى غاية العزة والبضاعة فى نهاية القلة مع كون ذلك ثمرة قريحة جامدة ونتيجة فطنة خامدة مع صدور عند تلاطم الأشعار وتكاثر عوائق الأحوال فالمرجو من الإخوان فالمتحابين فى الله سلام الله عليهم أجمعين وأوصلهم إلى عز بيعتهم إلى أن يصلوا إلى مرتبة حق اليقين ... هذا آخر ما أبدع حكمة الحكيم من بيان بسم الله الرحمن الرحيم فى وسط شهر رجب سنة ١١٥٩ .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى كتبت بخطين فارسيين مختلفين ، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات . الأبواب ورؤوس الفقر وبعض العناوين على الهوامش . أصيب المخطوط بالرطوبة دون أن تتأثر الكتابة بذلك ، على الورقة الأولى قيد وقف باسم نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية .

٢٩(١ ق ـ ٢٩) ٢١ م × ١٥ ٢٧ س

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٢/ ١١٠، ١١١).

* **خزائن الحكمة:**

كانت خزائن الحكمة بجانب دور الحكمة، تسهل نشر العلوم والمعارف، أودع بها بعض محبي العلم ما اجتمع لديهم من هذه الكتب الجليلة . ومنها :ـ خزانة الحكمة للفتح ابن خاقان (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) جمع فيها الكتب التى حصل عليها والتى ألفت له . أو نقلت باسمه، وحوت نفائس المخطوطات فى العلوم والحكمة .

ـ خزانة الحكمة لآل المنجم التى أنشأها أبو الحسن على ابن يحيى المنجم المتوفى سنة ٢٧٥هـ بكركر من نواحى القفص، وكانت خزانة كتب عظيمة يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون بها، والكتب لهم مبذولة من كل علم .

وأسس منصور بن نوح بن نصر الله السامانى (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ) خزانة كتب حكمة فى بخارى، وممن تولاها الرئيس أبو على بن سينا الطبيب المشهور، واستفاد من كتبها، كما استفاد منها كثيرون غيره ممن كانوا يرتادونها .

(التربية والتعليم فى الإسلام ـ سعيد الديوه جى، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى فى الجمهورية العراقية ١٩٨٢ (مقدمة المؤلف)/ ٦٤) .

* **خزائن الخليفة:**

هى التى يحتفظ فيها بدواة الخليفة المحلاة بالذهب وفيها الشمع الذى يحمل إليه موقدا عند ركوبه فى ليالى الوقود الأربع ويكون فى كل جانب ثلاثون شمعة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٨٦، ٤٨٧) .

* **الخزائن السلطانية :**

هى التى تحفظ فيها الأموال والنقد ويحمل إليها معدن النفط المستخرج من ساحل بحر القلزم فهو يسيل دهنه من أعلى جبل قليلا قليلا وينزل إلى أسفله فيجمع فى أوان قد وضعت لذلك منذ أزمان بعيدة وتأتى العرب فتحمله إلى الخزائن السلطانية ويدخل هذه الخزانة أيضا ما يحمل إليها من البلاد الخارجية ويدخلها كذلك ما يتحصل من الثغور وتحمل إليها كذلك المعادن كمعدن الزمرد ومعدن الشب .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٢٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٢٨٤، ٤٥٥و ٥/ ٤٦٢ و ١١/ ٤٢١) .

* **خزائن القصر الكبير :**

القصر الكبير بالقاهرة . كان فى الجهة الشرقية، ولذلك يقال له القصر الشرقى الكبير، ويسمى القصر المُعِزّى . قال المقريزى :

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضى إلى موضع من هذه الخزائن فى كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فرّاش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١/ ٤٠٨) .

وقد تناول المقريزى بالتفصيل كلا من هذه الخزائن على حدة فارجع إليه إن شئت .

* **خزائن الكتب:**

من المعالم الحضارية فى ديار الإسلام، وهى إما عامة وإما خاصة .

فالعامة منها قائمة فى المعاهد الدينية وفى بعض المساجد الكبيرة، على أنها لم تكن من التنظيم والتبويب بحيث يسلس للمستعير تناول ما شاء منها . وخاصة فى نوادر الكتب، وفى غير الدائر من العلوم .

وهناك الخزائن الخاصة فى قصور الأمراء ومن إليهم، وفى دور متقدمى العلماء . كما كان هناك جماعات الوراقين يبيعون صنوف الكتب فى حواضر البلاد . ولا يذهب عنك،

في الغاية، أن هذه الكتب مخطوطة كلها، فهي في الجملة، نادرة. وتناولها ليس بالسهل اليسير على كل إنسان (المفصل ٢/ ٣٠٠، ٣٠١).

وكان بكثير من المدارس في مصر خزائن كتب حافلة بالكتب الثمينة النادرة النافعة في شتى العلوم والفنون، فكان بالمدرسة الفاضلية في صدر هذه الدولة خزانة بها نحو مائة ألف مجلد. وكان بالمدرسة الصاحبية البهائية خزانة كتب جليلة. وحوت المدرسة الظاهرية التي أسسها بيبرس خزانة كتب كانت تشتمل على كثير من أمهات الكتب في سائر العلوم. وعمل بالمدرسة المحمودية التي أنشئت سنة (٧٩٧هـ) خزانة كتب.

قال المقريزي في شأنها: «ولا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم، وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن».

وكانت بمدرسة الأمير جمال الدين التي أنشئت سنة (٨١٠هـ). خزانة حافلة بالمصاحف الثمينة والكتب النفيسة.

وقد ضم مسجد المؤيد خزانة كتب حافلة بمختلف العلوم الدينية منها ما نقل من القلعة، ومنها خمسمائة (٥٠٠) مجلد قدمها ناصر الدين محمد البارزي كاتب السر، تقربا وزلفى إلى السلطان، وفي نظير هذه الهدية القيمة عينه السلطان خطيبا للمسجد وخازنا لمكتبته وناظرًا له (صفحات من تاريخ مصر / ١٠٢، ١٠٣، ٩٤، ٩٥).

وقد كانت خزانة الكتب في عهد الفاطميين من أجل الخزائن وأعظمها شأنا وكان مقرها القلعة وكانت تتكون من أربعين حجرة وفيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة مجموعة متعددة، وفيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في فنون متنوعة وقد يكون من الكتاب الواحد عشر نسخ، وكان بها نسخ خطية من خطوط ابن مقلة وابن البواب وغيرهما. ولكن هذه المكتبة احترقت في عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م فتلف ما بها من كتب الفقه والحديث والتاريخ وبعد ذلك نهبت.

وقد أهمل المماليك إعادة إنشاء خزانة الكتب لأنهم انشغلوا بالحروب والدفاع عن بلاد الإسلام ضد أعدائه الذين تكالبوا عليه؛ فلم يستكينوا فترات طويلة في بلاطهم لكي يهتموا بالكتب والمكتبات (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ١١٩).

ويصف المقريزي خزانة الكتب بالقصر الكبير في عهد الفاطميين فيقول: قال المسبحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل ابن أحمد وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها.

وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعاته بخطوط منسوبة زائدة الحُسْن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وإن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما.

قال وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجبليين وأن حصة الوزير أبي الفرج منها قوِّمت عليه من جاري مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة

ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالإسكندرية ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب ، وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار إليه بالابتياع والغصب فى بحر النيل إلى الإسكندرية فى سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل فى سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وأن فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم ، سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الأقطار وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية إلى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب .

وقال ابن الطوير: خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق فيجىء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولاها وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر إليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فإن عنَّ له أخذ شىء منها أخذه ثم يعيده .

وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره .

وتولى بيعها ابن صورة فى أيام الملك الناصر صلاح الدين فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج إلى غيرها .

وقال ابن أبى طى بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال إنه لم يكن فى جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى إلى غير ذلك ويقال إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة انتهى .

ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شيء وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد (المواعظ والاعتبار ١/ ٤٠٨، ٤٠٩) .

موظفو خزانة الكتب فى العصرين الأيوبى والمملوكى :

أما موظفو خزانة الكتب فأهمهم الخازن وكان يشترط فى خازن الكتب أن يكون عالما فقيها وفى وثيقة للسلطان برسباى يذكر على من يتولى خزانة الكتب أن يكون رجلا من أهل الدين والخير والإمامة وكان يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عونا للطلبة والباحثين ويمكنه إرشادهم للمراجع وحددت وثائق الوقف مهمة الأمين فى العصر المملوكى فكان الناظر يسلم الكتب إلى الخازن ويقوم بمراجعتها ونفط الغبار وترميمها وكان أحيانا يختار من بين الطلبة المترددين على المدرسة ، وكان يتسلم الخزانة بحضور الشهود ويعتبر مسئولا عنها ولقد حددت بعض الوثائق المملوكية مدة العطلة التى يحصل عليها مثل الحج أو زيارة الأهل فكان يسمح له بثلاثة أشهر لا غير، ومن غاب عن وظيفته شهرا بغير عذر استبدل بآخر .

وكان الخازن لا يستطيع التنازل عن عمله إلا بإشهار شرعي على يد القاضي وكان الخازن يحصل على أجر من الوقف وكان بعضهم من الواقفين كخوند الحجازية يفرق كل سنة أيام عيد الفطر الكعك والخشكنائك وفي عيد الأضحى اللحوم وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام .

وكانت المدرسة الناصرية تفرق على سائر أرباب الوظائف سكرا كل شهر ولحوم الأضاحي كل سنة ، وذكر المقريزي أن خازن مكتبة القصر الفاطمي يحصل على أربعين دينارا أما في العصر المملوكي فيتراوح أجره بين عشرة إلى أربعين درهما في الشهر فخازن قلاوون كان يحصل على أربعين درهما وخازن مكتبة الأمير جمال الدين عشرة دراهم ، وكان الناظر يتم اختياره بناء على رغبة الواقف وأحيانا يليها أحد أقربائه أو أبنائه أو أحد العلماء أو الفقهاء (مكتبات المدارس — ٢١٩ ـ ٢٢١) .

ويمدنا الأستاذ كوركيس عواد بمادة مستفيضة عن خزائن الكتب القديمة في العراق ، وهو في إحصائه لها يقسمها إلى خمسة أقسام ، وننقل فيما يلي ملخصه :

١ ـ خزائن كتب الخلفاء ببغداد وهي : خزانة المنصور ، وخزانة الحكمة ببغداد (خزانة الرشيد والمأمون) ، وخزانة المعتضد ، وخزانة المكتفي ، خزانة الراضي بالله ، خزانة القائم بأمر الله ، خزانة المقتدي بأمر الله ، خزانة الناصر لدين الله ، خزانة المستنصر بالله ، خزانة المستعصم بالله .

٢ ـ خزائن كتب الملوك والسلاطين وهي : خزانة عضد الدولة البويهي ، وخزانة الملك العادل نور الدين إرسلاه شاه بالموصل ، وخزانة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

٣ ـ خزائن الكتب العامة : خزائن المساجد والمدارس والربط ودور العلم وغيرها : الخزانة الحيدرية بالنجف ، دار العلم بالموصل ، خزانة الوقف بالبصرة ، دار كتب بالبصرة ، دار العلم ببغداد (خزانة سابور) خزانة المدرسة النظامية ببغداد ، خزانة الكتب في مشهد أبي حنيفة ، خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي ، خزانة الرباط الخاتوني السلجوقي ، خزانة كتب الرباط بالحريم الطاهري ببغداد ، دار الكتب التي برباط المأمونية ببغداد ، خزانة مشهد عبيد الله بن علي في المذار ، خزانة جامع قمرية ببغداد ، خزانة المدرسة المستنصرية ببغداد ، خزانة رباط باتكين في البصرة ، خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، خزانة المدرسة المجاهدية ببغداد ، خزانة مدرسة سيدي خان العباسي ، خزانة مدرسة قاسم العبادي في العمادية ، خزانة مدرسة قبهان في العمادية ، خزانة مدرسة العقر ، خزانة مدرسة قباذ العباسي ، خزانة مدرسة مرادخان في العمادية .

٤ ـ خزائن كتب الوزراء في العراق : خزانة يحيى البرمكي ، خزانة كتب الوزير ابن شاه مرادان بالبصرة ، خزانة محمد بن عبد الملك الزيات بسر من رأى ، خزانة الفتح بن خاقان ، خزانة الوزير القاسم بن عبيد الله ، خزانة الوزير سابور بن اردشير (نوردها تحت عنوان «دار العلم ببغداد» إن شاء الله تعالى) ، خزانة الوزير ابن هبيرة ، خزانة الوزير مؤيد الدين ابن القصاب ، خزانة الكندري ، خزانة ابن العلقمي ، خزانة علاء الدين عطا ملك الجويني .

٥ ـ خزائن الكتب الخاصة بالعراق منذ صدر الإسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة :

(أ) خزائن المائة الثانية للهجرة :

خزانة أبي عمرو بن العلاء ، خزانة سفيان الثوري .

(ب) خزائن المائة الثالثة للهجرة :

خزانة الواقدي ، خزانة الأصمعي ، خزانة إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، خزانة كتب أحمد بن حنبل ، خزانة كتب أبي حسان الزيادي ، خزانة أبي كريب بالكوفة ، الخزانة الكندية ، خزانة الجاحظ ، خزانة أبي حاتم السجستاني ، خزانة إسحاق بن سليمان الهاشمي ، خزانة العصفري ، خزانة علي بن يحيى المنجم (خزانة الحكمة) ، خزانة إسماعيل بن إسحاق الأزدي ، خزانة إبراهيم بن إسحاق الحربي ، خزانة بني موسى بن شاكر المنجم ، خزانة ثعلب النحوي ، وخزانة ابن سعدان ، وخزانة محمد بن الحسين في الحديثة ، خزانة الحسن بن موسى التوبختي .

(حـ) خزائن المائة الرابعة للهجرة :

خزانة جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، وخزانة ابن دريد ، وخزانة أبي بكر بن الأنباري ، وخزانة ابن عقدة في

الكوفة، وخزانة كتب الصولى، وخزانة هرون بن المقتدر بالله، وخزانة على بن أحمد العمرانى بالموصل، وخزانة ابن الكوفى، وخزانة ابن الجعابى، وخزانة كتب الحبشى بن معز الدين البويهى، وخزانة أحمد بن محمد الجراح، خزانة محمد بن العباس بن الفرات، خزانة ابن طاراذ، خزانة ابن حاجب النعمان، خزانة ابن النديم، خزانة أبى خليفة فى البصرة، خزانة أبى سليمان.

(د) خزائن المائة الخامسة للهجرة:

خزانة الشريف الرضى، خزانة ابن الخفاف، خزانة الشريف المرتضى، خزانة أبى حسن الفالى (بالفاء)، خزانة الخطيب البغدادى، خزانة مسعود بن ناصر الشجرى، خزانة غرس النعمة الصابىء، خزانة عبد السلام بن بندار القزوينى، خزانة الحميدى، خزانة ابن جزلة، وخزانة القاضى أبى الفرج ابن أبى البقاء.

(هـ) خزائن ألمائة السادسة للهجرة:

خزانة أبى سعيد بن المعوّج، خزانة ثابت بن منصور بن المبارك الكيلى، خزانة عبد الوهاب الأنماطى، خزانة سعد الخير الأندلسى، خزانة عبد الله بن على بن أحمد بن عبد الله، خزانة محمد بن ناصر البغدادى، خزانة ابن المرخم القاضى، خزانة ابن الخشاب البغدادى، خزانة ابن الدهان النحوى، خزانة كتب الزيدى، خزانة سبط بن التعاويذى، خزانة كتب صبيح بن عبد الله الحبشى، وخزانة الحازمى، وخزانة ابن الجوزى، خزانة ابن المارستانية.

(و) خزائن المائة السابعة للهجرة:

خزانة مبارك شاه بن الحسين المروروذى، خزانة أبى المعالى أحمد بن هبة الله، خزانة الحربوى، خزانة قثم بن طلحة الزينبى، خزانة الحسن بن حمدون، خزانة عبد السلام الجيلى، خزانة ابن البرفطى، خزانة على بن البورى، خزانة ابن النجار، خزانة رضى الدين بن طاوس، خزينة غياث الدين ابن طاوس، خزانة عز الدين الفاروثى.

(ز) خزائن المائة الثامنة للهجرة:

خزانة معاوية الموصلى البغدادى، خزانة على بن أحمد بن يوسف بن الخضر الآمدى الحنبلى، خزانة ابن الفوطى، خزانة قوام الدين الشيبانى، خزانة ابن عبد الحق، خزانة ابن الثردة (خزائن الكتب القديمة / ١٠١ ـ ٢٧٦) وسيأتى ذكر هذه الخزائن عند أدراج بعض تراجم أصحابها أو بلادهم فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٣٠٠، ٣٠١ وصفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ـ عبد الوهاب حمودة / ١٠٢، ١٠٣، ٩٤، ٩٥، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١١٩ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣ / ٤٧١، ٤٧٢، وخطط المقريزى ٣ / ٢٥٣ ـ ٢٥٥، ٣٤٥، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزى) لتقى الدين المقريزى ١ / ٤٠٨، ٤٠٩، و «مكتبات المدارس (خزانة الكتب) فى العصرين الأيوبى والمملوكى» أ. د. زبيدة محمد عطا تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) / ٢٢٠، ٢٢١، وخزائن الكتب القديمة فى العراق ـ كوركيس عواد / ١٠١ ـ ٢٧٦. انظر أيضا «المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى» ـ د. أيمن فؤاد سيد، تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية. تاريخ المصريين (٥١) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ / ١٠٩، ١١٠).

* **خزائن الكسوات:**

أفاض المقريزى فى وصف «خزانة الكسوات» التى كانت بالقصر الكبير، ونحن إذ ننقل وصفه هذا بتمامه فإنما نفعل ذلك لأنه يعكس ثراء الدولة الفاطمية، كما أنه يمدنا بمعلومات هامة عن نظام الإنعام بالخلع فى المناسبات المختلفة مثل العيدين، والجمعة، وفتح الخليج وغيرها.

يقول المقريزى تحت عنوان «خزانة الكسوات» معددا أسماء المنعم عليهم بالكسوات ووظائفهم، قال ابن أبى طى وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لأولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى الأعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم أنهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدامهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم

من صغيـر وكبيـر ورفيع وحقير كسـوات الصيف والشتـاء من العمـامة إلى السـراويل ومـا دونه من المـلابس والمنـديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجمع ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول إنه حضـر كسـا القصـر التى تخـرج فى الصيف والشتـاء فكـان مقدارها ستمائة ألف دينـار وزيادة وكانت خلعهم على الأمراء الثياب الـديبقى والعمائم بالطـراز الذهب وكان طـراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الأمراء الأطواق والإسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر.

وقال ابن المأمـون وجلس الأجلُّ يعنى الوزيـر المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الأمور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الـدفتر ومعه ما كـان أمر به من عمل جـرائد الكسـوة للشتاء بحكم حلـولـه وأوان تفرقتهـا فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الأصناف أربعة عشر ألفـا وثلثمائة وخمس قطع وإن أكثر مـا أنفق عن مثل ذلك الأيـام الأفضلية فى طـول مـدتها لسنـة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكـون الزائد عنهـا بحكم ما رسم به فـى منفق سنة ست عشرة ، خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة .

ووصلت الكسـوة المختصة بـالعيـد فى آخـر الشهر وقـد تضاعفـت عما كانـت عليه فى الأيـام الأفضلية لهذا المـوسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عنـدهم الموسم الكبيـر ويسمى بعيد الحلل لأن الحلل فيـه تعم الجماعة وفى غيره للأعيـان خاصة فأحضر الأمير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو بـرسم الموكب بـدلة خـاص جليلة مذهبـة ثوبهـا موشح مجاوم مـذايل عدتهـا باللفـافتين إحدى عشـرة قطعة السلف عنهـا مائة وستـة وسبعـون دينارا ونصف ومـن الذهب العـالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال أجرة غـزله ثمن دينـار ومن الذهب العـراقى ألفان وتسعمـائة وأربع وتسعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمـود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبـة ذهبا عراقيـا فإن كان الذهب نظيـر المصرى كان الـذى يرقم فيـه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقـالا لأن كل مثقـال نظيـر تسع قصبـات ذهبـا عراقيـا وسط سـرب بطـانـة للمنديل السلف عشرة دنـانير وسبعون قصبة ذهبا عـراقيا ثوب مـوشح مجاوم مطـرف السلف خمسون دينـارا وثلثمائة وأحـد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليـا أجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملـة مبلغه وقيمـة ذهبه ثلثمـائة وأربعة وتسعيـن دينارا ونصفا ، ثوب ديبقى حريرى وسلطانى السلف اثنا عشر دينارا ، غـلالة ديبقى حـريرى السلف عشـرون دينارا ، منـديل كم أول مـذهب السلف خمسة دنـانيـر ومائتـان وأربع قصبات ذهبـا عراقيا ، منـديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنـانير، حجرة السلف أربعـة دنانير، عـرضى مذهـب السلف خمسة دنـانير وخمسة عشـر مثقالا ذهبا عاليـا ، عرضى لفافـة للتخت دينار واحد ونصف ، بدلة ثانية بـرسم الجلوس على السماط عدتها بـاللفافتين عشـر قطع ، السلف مائة وأربعـة عشر دينـارا ومن الذهب العـالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الـذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة .

تفصيل ذلك شاشية طميم السلف دينـاران وسبعون قصبة ذهبا عراقيـا ، منديل السلف ستون دينارا وستمـائة قصبة ذهبا عراقيا ، شقـة وكم السلف ستة عشر دينـارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا أجرة كل مثقال ثمن دينار، شقة ديبقى حريرى وسطـانى اثنا عشـر دينارا ، شقـة ديبقى غلالـة ثمانيـة دنانيـر منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانيـر عرضى برسم التخت دينار واحـد ونصف وهذه البـدلة لـم تكن فيما تقـدم فى أيـام الأفضل لأنـه لم يكن ثم سمـاط يجلس عليه الخليفـة فإنـه كان قـد نقل مـا يعمل فى القصور من الأسمطة والدواوين إلـى داره فصار يعمل هناك ما هـو برسم الأجلّ أبى الفضل جعفـر أخى الخليفة الآمـر بدلـة مذهبـة مبلغها تسعون دينـارا ونصف وخمسة وعشـرون مثقالا ذهبا عاليـا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبـا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسـون دينارا وأربعمـائة وسبعون قصبـة ذهبا

عراقيا شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى ديبقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة، سداسى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة، معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرّف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف، رداء حريرى أول السلف عشرة دنانير ونصف، رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير، دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا، ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة، شقة ديبقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة، منديل كم أول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة، منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة، منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضىْ ديبقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة، جهة عنبر مثل ذلك، السيدة جهة ظل مثل ذلك، جهة منجب مثل ذلك، الأمير أبو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة، الأمير داود مثله، السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الأعمام وهم أبو الميمون بن عبد المجيد والأمير أبو اليسر ابن الأمير محسن، والأمير أبو على ابن الأمير جعفر، والأمير حيدرة ابن الأمير عبد المجيد، والأمير موسى ابن الأمير عبد الله والأمير أبو عبد الله ابن الأمير داود لكل منهم بدلة مذهبة.

البنون والبنات من بنى الأعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى، ست سيدات لكل منهن حلة حريرى، جهة المولى أبى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة، جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى، ما يختص بالدار الجيوشيةوالمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك، المعلّمة مقدمة المائدة كذلك، رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك، المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات، وممن انضاف إليهن من الأفضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم، المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الأمراء الأستاذون المحنكون الأمير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة، الأمير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك، الأمير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك، الأمير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الأمير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفى الدولة إسعاف متولى المائدة مثله، الأمير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالأمير الثقة.

ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة. مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة أستاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الأمير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك أمين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله، فنون متولى خدمة التربة مثله، مرشد الخاصى مثله النواب عن الأمير الثقة فى زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى. العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة، نائب الستر مثل ذلك، الأستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة إسكندرانى وفوطة.

الأستاذون الشدادون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ماحمل برسم السيد الأجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة

مذهبة كبيرة موكبية عدتها إحدى عشرة وما هو برسم أولاده الأجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم أولاد الأفضل بن أمير الجيوش وهم حسن وحسين وأحمد الأجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الأزمة وبرسم الجهة المختصة به، وركن الدولة عز الملوك أبو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عماله من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات.

وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الأجل أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم، وعرضى، الأمير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى، الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحقيق بدلة مذهبة الأمير الشريف أبو على أحمد بن عقيل نقيب الأشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة، الشريف أنس الدولة متولى ديوان الإنشاء بدلة كذلك، ديوان المكاتبات الشيخ أبو الرضى ابن الشيخ الأجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم، أبو المكارم هبة الله أخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة، أبو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم أبو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة، الشيخ أبو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزنر، أبو سعيد الكاتب بدلة حريرى، أبو الفضل الكاتب كذلك، الحاج موسى المعين فى الالصاق كذلك.

وأما الكتاب بديوان الإنشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه أسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك. الشيخ ولى الدولة أبو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى، ولامرأته حلة مذهبة، الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن أبى الليث متولى الدفتر وما جمع إليه بدلة، أبو المجد ولده بدلة حريرى، أبو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون إلى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدمو الركاب، عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة، القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك، أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى، الرواض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى، الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، الأطباء الشديد أبو الحسن على بن أبى الشديد بدلة حريرى، أبو الفضل النسطورى بدلة حريرى، وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى، والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة، المستخدمون فى المواكب الأمير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى، حاملا الرّمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة. وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة، متولى بغل المركب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى، متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء المركب لكل منهم منديل وشقة وفوطة، حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى، المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى، الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالإيوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فإنها لا تشد إلا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان إسكندرانى المستخدمون برسم حل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف

خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها أعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الأعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد إليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية، مشارف خزائن السروج بدلة حريرى مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى، بركات الآدمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على أبواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين أكثر من صبيان الركاب وذلك أنهم يتولون الأسمطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بمالهم من المتحصل فى المخلفات فى العيدين وهو مامبلغه ستة آلاف دينار ما لأحد معهم فيها نصيب.

وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الإنشاء فمهما كتب به من إنشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة: ولم يزل أمير المؤمنين منعما بالرغائب، موليا إحسانه كل حاضر من أوليائه وغائب، مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه، موصلا إليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه، وإنك أيها الأمير لأولاهم من ذلك بجسيمه، وأحراهم باستنشاق نسيمه، وأخلقهم بالجزء الأوفى منه عند فضه وتقسيمه، إذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا، وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا. ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم، ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم، ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه، وفى المواسم التى تجاريه، بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال، ولا يبقى بعدها مطمع للآمال، وكنت من أخص الأمراء المقدمين.

قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى، وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات، وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية، وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شيء فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والأخرى حريرى برسم العود وكذلك ما يختصى بإخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبة مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات.

وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفترق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى، وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر، وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الإسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها.

وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قوّمنا ما أخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدى وبحضرتى أكثر من ألف قطعة وحدثنى أبو الفضل يحيى بن إبراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الأمناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الألف دينار إلى عشرة

دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني وحدثني عميد الملك أبو الحسن علي بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء إلا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت إليه.

وقال ابن الطوير الخدمة في خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة في المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشي الخليفة إما أستاذ أو غيره وفيهامن الحواصل ما يدل على إسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الدبيقي الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون وإليها يحمل ما يستعمل في دار الطراز بتنيس ودمياط وإسكندرية من خاص المستعمل. وبها صاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولأصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه ثم ينقل إلى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه إلا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب أصلا ولا يلبس إلا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطيء الخليج يعني أبدا فيه النسرين والياسمين فيحمل في كل يوم منه شيء في الصيف والشتاء لا ينقطع ألبتة برسم الثياب والصناديق فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون إلى السوسي والإسكندراني على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتي شدة، فالخواص في العراضي الدبيقي، ودونهم في أوطية حرير ودونهم في فوط إسكندرية. ويدخل في ذلك كُتّاب ديواني الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكُتّاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجواري في الشهر المطلقات.

وقال القاضي الفضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد، وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل إن الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش.

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي ١/ ٤٠٩-٤١٣).

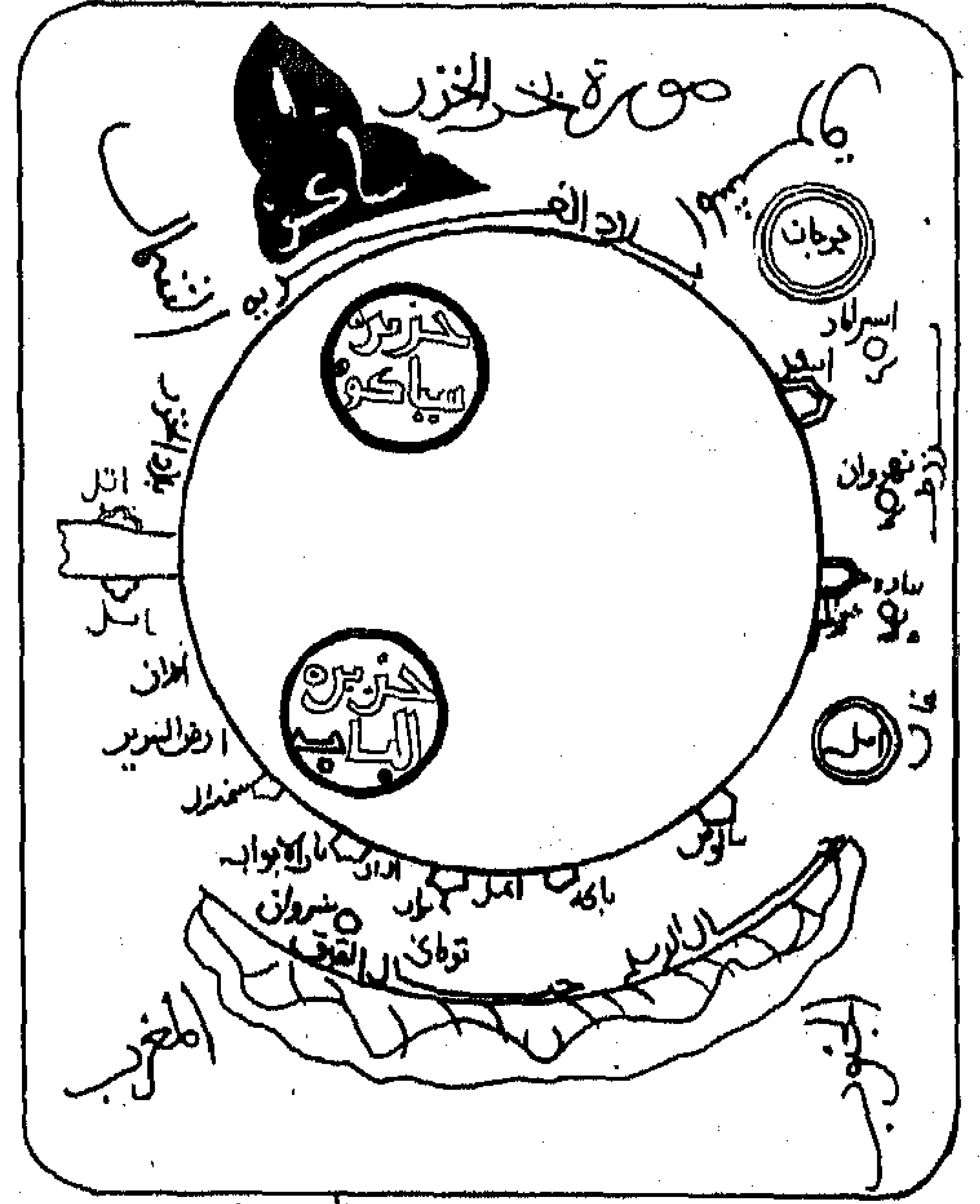
* **الخزر (بحر»):**

اسمه أيضا بحر قزوين. ولكنه يرد في مصنفات التراث الإسلامي الجغرافية باسم بحر الخزر فأما الوصف الحديث له فهو كما يلي: بحيرة ساحة (٤٢٤ ٤٢ كم^{2}) في ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي و إيران، بين أوربا وآسيا، تنخفض ٢٨ م عن سطح البحر. أكبر بحر داخلي في العالم، ترتفع من ساحله الجنوبي (الإيراني) جبال البورز، ومن ساحله الجنوبي الغربي جبال القوقاز. تصب فيه أنهار فولجا وأورال وكورا وترك. معدل التبخر مرتفع، وبه رواسب ملحية ضخمة. مصايده المصدر الأول للكافيار. أهم موانيه باكو، واستراخان (الموسوعة الثقافية / ٧٥٩).

أما في مصنفات التراث الإسلامي الجغرافي فلدينا نموذجان. الأول وصف القزويني الذي يقول عنه:

بحر الخزر هو البحر الذي في جهة الشمال على شرقيه جرجان وطبرستان وفي شمال بلاد الخزر وفي غربيه جبال العقيق وفي جنوبيه الجبل والديلم، وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشيء من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذي ابتدأ منه، وهو بحر صعب المسلك سريع المهلك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شيء من اللآلي والجواهر، وجزائره غير مسكونة ولكن في جزائره غياض مياه وأشجار وليس فيها أنيس، قالوا: إن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل، وهو مدور الشكل (عجائب المخلوقات / ٩٥، ٩٦).

والنموذج الثاني نص مأخوذ من كتاب «مسالك الممالك»



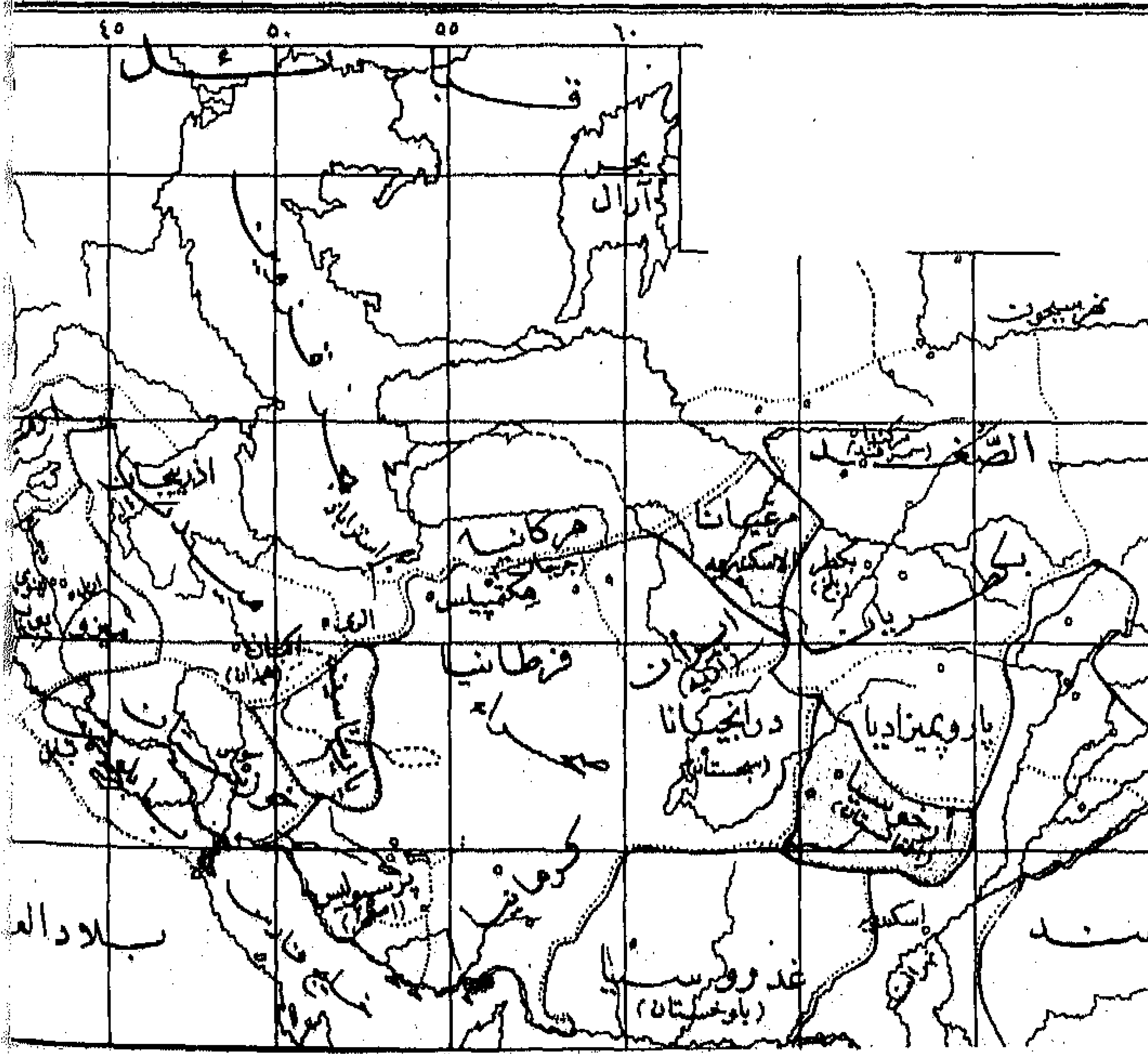
خريطة بحر قزوين والمناطق المجاورة (للإصطخري) في القرن العاشر

للإصطخري عن بحر الخزر والأقطار المحيطة به. قال الإصطخري:

«وأما بحر الخزر فإن شرقيه بعض الديلم وطبرستان وجرجان وبعض المفازة التي بين جرجان وخوارزم، وغربيه أرّان وحدود السرير وبلاد الخزر وبعض مفازة الغزية، وشماليه مفازة الغزية بناحية سياكوه، وجنوبيه الجيل والديلم.

وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار على وجه الأرض، فلو أن رجلا طاف بهذا البحر لرجع إلى مكانه الذي ابتدأ منه لا يمنعه مانع إلا نهر عذب يقع فيه، وهو بحر مالح ولا مد له ولا جزر وهو بحر مظلم، قعره طين بخلاف بحر القلزم وسائر بحر فارس، فإن في بعض المواضع من بحر فارس ربما يرى عمقه لصفاء ما تحته من الحجارة البيض، ولا يرتفع من هذا البحر شيء من الجواهر من لؤلؤ أو مرجان أو غيره، مما يرتفع من البحار، ولا ينتفع بشيء مما يخرج منه سوى السموك، ويركب فيه التجار من أراضي المسلمين إلى أرض الخزر، وما بين الران والجيل وطبرستان وجرجان، وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة فيها عمارة كما ذكرنا في بحري فارس والروم، إلا أن فيها جزائر، فيها غياض ومياه وأشجار، وليس بها أنيس، ومنها جزيرة سياكوه، وهي جزيرة كبيرة، بها عيون وأشجار وغياض وبها دواب وحش، ومنها جزيرة بحذاء الكر، وهي كبيرة، بها غياض وأشجار. ومياه ويرتفع منها الفوة، ويخرج إليها من نواحي برذعة، فيحملون منها الفوة ويحملون في السفن إليها دواب من نواحي برذغة وسائر المواضع فتسرح فيها حتى تسمن.

وليس من آبسكون إلى الخزر عن اليمين على شط البحر قرية ولا مدينة سوى موضع من آبسكون على نحو خمسين فرسخا يسمى دهستان، وهي داخلة في البحر تستتر فيها السفن في هيجان البحر. ويقصد هذا الموضع خلق كثير من النواحي ويقيمون بها للصيد وبها مياه، ولا أعلم غير هذا المكان مكانا يقيم به أحد إلا أن يكون سياكوه فإنه تقيم به طائفة من الأتراك، وهم قريبو العهد بالمقام به لاختلاف وقع بين الغزية وبينهم، فانقطعوا عنهم واتخذوه مأوى ومرعى لهم، ولهم عيون ومراع، وهذا ما عن يمين هذا البحر من آبسكون، ومن آبسكون عن يسارها إلى الخزر في عمارة متصلة إلا شيئا بين باب الأبواب والخزر، وذلك أنك إذا أخذت من آبسكون مضيت على حدود جرجان وطبرستان والديلم والجيل، ثم تدخل في حدود الران، وإذا جزت موقان إلى



باب الأبواب على يومين فهو بلد شروان شاه، ثم تتجاوز إلى سمندر أربعة أيام، ومن سمندر إلى أثل سبعة أيام مفاوز. ولهذا البحر بناحية سياكوه زنقة يخاف على السفن الداخلة بها الريح أن تنكسر، وإذا انكسرت السفن هناك لم يتهيأ جمع شيء منها من الأتراك فإنهم يستولون على ذلك.

وأما الخزر فإنه اسم الإقليم وقصبته تسمى أثل، وأثل اسم النهر الذى يجرى إليه من الروس وبلغار، وأثل قطعتان قطعة على غربى هذا النهر المسمى أثل، وهى أكبرهما، وقطعة على شرقيه، والملك يسكن فى الغربى منهما. ويسمى الملك بلسانهم بك ويسمى أيضا باك. وهذه القطعة مقدارها فى الطول نحو فرسخ، ويحيط بها سور إلى أنه مفترش البناء، وأبنيتهم خركاهات لبود إلا شيئا يسيرا بنى من طين. ولهم أسواق وحمامات، وفيها خلق من المسلمين يقال: إنهم يزيدون على عشرة آلاف مسلم، ولهم نحو ثلاثين مسجدًا. وقصر الملك بعيد من شط النهر، وقصره من آجر وليس لأحد بناء من آجر غيره، ولا يسوغ الملك لأحد أن يبنى بالآجر. ولهذا السور أبواب أربعة؛ منها إلى ما يلى النهر، ومنها إلى ما يلى الصحراء على ظهر المدينة. وملكهم يهودى يقال: إن له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل، والخزر مسلمون ونصارى ويهود، وفيهم عبدة أوثان، وأقل الفرق اليهود، وأكثرهم المسلمون والنصارى. إلا أن الملك وخاصته يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم وأحكام خصوا بهاعلى رسوم قديمة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى. وللملك من الجيش اثنا عشر ألف رجل، وإذا مات منهم رجل أقيم آخر مكانه. وليست لهم جراية دارّة إلى [إلا] شيء نزر يسير يصل إليهم فى المدة الطويلة إذا كان لهم حرب أو حزبهم أمر يجتمعون له، وأبواب مال هذا الملك من الأرصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر، ولهم وظائف على أهل المحال والنواحى من كل صنف مما يحتاج إليه من طعام وشراب وغير ذلك. وللملك سبعة من الحكام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان إذا عرض للناس حكومة قضى منها هؤلاء، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه، وإنما يصل إلى هؤلاء الحكام، وبين هؤلاء الحكام يوم القضاء وبين الملك سفير يراسلونه فيما يجرى من الأمر وينتهون إليه، فيرد عليهم أمره ويمضونه، وليس لهذه المدينة قرى إلا أن مزارعهم مفترشة، يخرجون، فى الصيف، فى الزروع نحو عشرين فرسخا ليزرعوا ويجمعوا بعضه على النهر، وبعضه على الصحارى، فينقلون غلاتهم بالعجل وفى النهر، والغالب على قوتهم الأرز والسمك وهذا الذى يحمل منهم من العسل والشمع إنما يحمل إليهم من ناحية الروس وبلغار، وكذلك هذه الجلود الخز إلى الآفاق لا تكون إلا فى تلك الأنهار التى بناحية بلغار والروس وكويابة، ولا تكون فى شيء من الأقاليم فيما علمته، والنصف الشرقى من الخزر فيه معظم التجار والمسلمين والمتاجر، والغربى خالصة للملك وجنده والخزر الخلص.

ولسان الخزر غير لسان الترك والفارسية، ولا يشاركه لسان فريق من الأمم.

وإنما [وأما] نهر أثل فإنه فيما بلغنى يخرج من قرب خرخيز فيجرى فيما بين الكيماكيةوالغزية وهو الحد بين الكيماكية والغزية، ثم يذهب غربا على ظهر بلغار ويعود راجعا إلى ما يلى المشرق حتى يجوز على الروس، ثم يمر على بلغار ثم على برطاس حتى يقع فى بحر الخزر، ويقال: إنه يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا، ويبقى عمود النهر يجرى على الخزر حتى يقع فى البحر. ويقال إن هذه المياه إذا كانت مجموعة فى نهر واحد أعلاه يزيد على جيحون، وبلغ من كثرة هذه المياه وغزارتها أنها تنتهى إلى البحر فتجرى فى البحر داخلا مسيرة يومين، وتغلب على ماء البحر حتى يجمد فى الشتاء لعذوبته وحلاوته، ويبين فى البحر لونه من لون ماء البحر.

وللخزر مدينة تسمى سمندر فيما بينها وبين باب الأبواب لها بساتين كثيرة، ويقال: إنها تشتمل على نحو من أربعة آلاف كرم إلى حد السرير، والغالب على ثمارها الأعناب، وفيها خلق من المسلمين، ولهم بها مساجد، وأبنيتهم من خشب قد نسجت، وسطوحهم مسنمة، وملكهم من اليهود

قرابة ملك الخزر، وبينهم وبين حد السرير فرسخان، وبينهم وبين صاحب السرير هدنة.

والسرير هم نصارى، ويقال: إن هذا السرير هو لبعض ملوك الفرس من ذهب، فلما زال ملكهم حمل إلى السرير وحمله بعض ملوك الفرس، بلغنى أنه من أولاد بهرام جوبين. والملك إلى يومنا هذا فيهم، ويقال: إن هذا السرير عمل لبعض الأكاسرة فى سنين كثيرة، وبين السرير وبين المسلمين هدنة. ولا أعلم فى عمل الخزر مجمع ناس سوى سمندر.

وبرطاس هم أمة متاخمون للخزر ليس بينهم وبين الخزر أمة أخرى، وهم قوم مفترشون على وادى أثل، وبرطاس اسم الناحية، وكذلك الروس والخزر، والسرير اسم للملكة لا للمدينة ولا للناس.

والخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان صنف يسمون قراخزر. وهم سمر يضربون لشدة السمرة إلى السواد، كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهرو الحسن والجمال، والذى يقع من رقيق الخزر هم أهل الأوثان الذين يستجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم بعضا. فأما اليهود منهم والنصارى فإنها تدين بتحريم استرقاق بعضهم بعضا مثل المسلمين.

وبلد الخزر لا يرتفع شيء منه يحمل إلى الآفاق غير الغرى. وأما الزيبق والعسل والشمع والخز والأوبار فمجلوب إليها.

ولباس الخزر وما حواليها القراطف والأقبية وليس يكون عندهم شيء من الملبوس وإنما يحمل إليهم من نواحى جرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان والروم.

وأما سياستهم وأمر المملكة بهم فإن عظيمهم يسمى خاقان خزر (انظر مادة «الخاقان») وهو أجل من ملك الخزر إلا أن ملك الخزر هو الذى يقيمه، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاؤوا به فيخنقونه بحريرة حتى إذا قارب أن ينقطع نفسه قالوا: كم تشتهى مدة الملك؟ فيقول كذا وكذا سنة، فإن مات دونها وإلا قتل إذا بلغ تلك السنة. ولا تصلح الخاقانية عندهم إلا فى أهل بيت معروفين، وليس له من الأمر والنهى شيء، إلا أنه يعظم ويسجد له إذا دخل إليه، ولا يصل إليه أحد إلا نفر يسير مثل الملك ومن فى طبقته، ولا يدخل عليه الملك إلا لحادثة، فإذا دخل عليه تمرغ فى التراب وسجد وقام من بعد حتى يأذن له بالتقرب، وإذا حزبهم حزب عظيم أخرج فيه خاقان، فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تعظيما له، وإذا مات ودفن لم يمر بقبره أحد إلا ترجل وسجد، ولا يركب ما لم يغب عن قبره، ويبلغ من طاعتهم لملكهم أن أحدهم ربما يجب عليه القتل، ويكون من كبرائهم، فلا يحب الملك أن يقتله ظاهرا فيأمره أن يقتل نفسه، فينصرف إلى منزله ويقتل نفسه، والخاقانية فى قوم معروفين ليس لهم مملكة ويسار، فإذا انتهت الرياسة إلى أحدهم عقدوا له، ولم ينظروا إلى ما عليه من حال، ولقد أخبرنى من أثق به أنه رأى فى بعض أسواقهم شابا يبيع الخبز كانوا يقولون: إن خاقانهم إذا مات فليس أحد أحق منه بالخاقانية إلا أنه كان مسلما ولا تعقد الخاقانية إلا لمن يدين باليهودية، والسرير والقبة الذهب التى لهم لا تضرب إلا لخاقان ومضاربه إذا برزوا فوق مضارب الملك ومسكنه فى البلد أرفع من منزل مسكن الملك.

وبرطاس اسم للناحية، وهم أصحاب بيوت خشب وهم مفترشون، وبسجرت هم صنفان: صنف من آخر الغزية على ظهر بلغار، ويقال: إن مبلغهم نحو ألف رجل، ممتنعون فى مشاجر لا يقدر عليهم، وهم فى طاعة بلغار وبسجرت آخرهم متاخمون لبجناك، وهم وبجناك أتراك وهم متاخمون للروم، ولسان بلغار مثل لسان الخزر، ولبرطاس لسان آخر، وكذلك لسان الروس غير لسان الخزر وبرطاس.

وبلغار اسم المدينة، وهم مسلمون، وفيها مسجد جامع، وبقرب مدينة أخرى تسمى سوار، فيها أيضا مسجد جامع، وأخبرنى من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل، ولهم أبنية خشب يأوونها فى الشتاء، وفى الصيف يفترشون فى الخركاهات، وأخبرنى الخاطب بها أن الليل عندهم لا يتهيأ أن يسير فيه الإنسان أكثر من فرسخ فى الصيف، وفى الشتاء يقصر النهار ويطول الليل حتى يكون نهار الشتاء مثل ليالى الصيف.

والروس هم ثـلاثة أصناف: فصنف هم أقـرب إلى بلغار، وملكهم يقيم بمـدينة تسمـى كويـابـة، وهـم أكبر من بلغـار. وصنف أبعد منهم يسمونه الصلاوية. وصنف يسمونه الأرثانية وملكهم مقيم بأرثا. والنـاس يبلغون في التجارة إلى كويـابة. فأما أرثا فإنه لا يذكر أن أحـدا دخلها من الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطىء أرضهم من الغـرباء، وإنما ينحـدرون في الماء يتجرون فـلا يخبرون بشيء من أمورهـم ومتاجرهم ولا يتـركون أحدا يصحبهم ولا يـدخل بلادهم. ويحمل من أرثـا السمور الأسود والـرصاص. والـروس قوم يحـرقون أنفسهم إذا مـاتوا، وتحرق مع ميـاسيرهم الجـواري بطيبة من أنفسهن، وبعضهم يحلق اللحى وبعضهم يفتله مثل الذوائب، ولباسهم القراطق القصار، ولباس الخزر وبلغار وبجناك القراطق التامة.

وهؤلاء الروس يتجرون إلى الخزر ويتجرون إلى الروم وبلغار الأعظم، وهم متاخمـون للروم في شمـاليها، وهم عـدد كثير يبلغ من قـوتهم أنهم ضربـوا خراجـا على ما يلي بـلادهم من الروم، وبلغار الداخل هم نصارى.

المسافات بيـن بلاد الخزر ونواحيها من آبسكـون إلى بلاد الخزر عن اليمين نحو ثلاثمئة فرسخ، ومن آبسكون عن يسار السـائر إلى الخـزر نحـو ثلاثمئـة فـرسخ، ومن آبسكـون إلى دهستان مراحل، ويقطع هذا البحر إذا طابت الريح عرضا من طبرستـان إلى باب الأبـواب في أسبوع. وأمـا من آبسكون إلى بـلاد الخزر فإنـه زائد على العـرض لأنه مـزوى، ومن أثل إلى سمندر أيـام، ومن سمندر إلى باب الأبواب ستـة أيام، وبين مملكة السرير وباب الأبواب ثلاثة أيام، ومن أثل إلى أول حد برطـاس مسيرة عشرين يومـا، ومن أول برطاس إلى آخـره نحو خمسة عشر يوما، ومن برطاس إلى بجناك نحو عشر مراحل، ومن أثل إلى بجنـاك مسيـرة شهـر، ومن أثل إلى بلغـار على طريق المفازة نحو شهر، وفي الماء نحو شهرين في الصعود، وفي الحدور نحو عشـرين يوما، ومن بلغار إلـى أول حد الروم نحو عشر مراحل، ومن بلغار إلى كويابة نحو عشرين مرحلة، ومن بجنـاك إلى بسجرت الداخـل عشرة أيام، ومـن بسجرت الداخل إلى بلغار خمس وعشرون مرحلة (أعلام الجغرافيين العرب /٢٠١ـ٢٠٨).

(الموسـوعـة الثقافيـة ـ بإشراف د. حسين سعيـد/ ٧٥٩ وعجـائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني/ ٩٥، ٩٦، وأعلام الجغرافيين العرب ـ د. عبد الرحمن حميدة/ ٢٠١ـ٢٠٨).

* **الخزرج:**

انظر مادة «الأوس والخزرج» في م ٦/ ٢٣٦، ٢٣٧).

* **الخزرجي:**

قال السمعاني: الخزرجي: بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وفتح الـراء وفي آخرهـا الجيم، هذه النسبـة إلى الخزرج وهـو بطن من الأنصار، وهـو الخزرج بن حـارثة بن ثعلبـة بن عمرو بن عامر بن امـرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطـان. وفي اللغة: الخزرج: الـريح الباردة، قـال ابن فـارس: وبهـا سمي الرجـل. قال الفـراء: خـزرج: الجنوب، غير مجرى بوسيد الخزرج لأبو [لأبي] ثابت، وقيل أبـو قيس، وقيل أبو الحبـاب سعد بن عبـادة بن دليم بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، شهـد بدرا والعقبـة، وكـان نقيبا ومـات لسنتين ونصف من خلافة عمر رضي الله عنه بحوران من أرض الشام، وهو الذي يقال له سعد الخزرج.

وأبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الحسن بن عيسى الأنصاري الخـزرجي من ولد سعد بن عمرو بن حـرام بن زيد ابن النعمان بن مـالك الأغر بن ثعلبـة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، من أهل بغـداد سكن مصر، وحدث بها عن حامد بن محمـد بن شعيب البلخي وأحمد بن الحسن بن عبـد الجبـار الصـوفي، روى عنـه أبـو محمـد بن النحـاس المصري، وكـانت ولادته بحـربية بغـداد في المحرم مـن سنة ثمانين ومائتين، وتوفي بمصر في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. قال أبـو الفتح بن مسرور: ما علمت من أمره إلا خيرا.

وأبـو يعقـوب إسحـاق بن إبـراهيم بن عمـار بن يحيى بن العباس بن عبـد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعـد بن عبادة الخزرجي ثم الأنصاري، من أشرف بيت للأنصار، ومن أوجه

مشايخ نيسابور فى الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان فى الرواية، وأكثرهم طلبا للحديث بالفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمد بن رافع وإسحاق بن منصور وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبة النميرى والحسن بن محمد بن الصباح ومحمد بن إسماعيل الأحمسى وأحمد بن سنان القطان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولانى، وبالرى أبا زرعة ومحمد بن مسلم بن وارة، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم ابن عبدوس ومحمد بن شريك الإسفراييني وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريا بن حرب، ومات فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وثلاثمائة بنيسابور.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٥٩، ٣٦٠: انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٣).

* **الخزرجى (عبد الله بن محمد) (- ٦٢٦ هـ/ - ١٢٢٩م):**

عبد الله بن محمد الخزرجى، ضياء الدين، أبو محمد، عروضى أندلسى نزل بالإسكندرية وتوفى قتيلا. له «الرامزة فى علمى العروض والقافية» مطبوع قصيدة تعرف بالخزرجية نسبة إليه (انظرها فى موضعها)، و «علل الأعاريض» مخطوط.

(الأعلام للزركلى ٤ / ١٢٤).

* **الخزرجى (على بن الحسن) (- ٨١٢ هـ/ ١٤١٠ م):**

على بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن وهّاس الخزرجى الزبيدى، أبو الحسن موفق الدين، مؤرخ، بحاثة، من أهل زبيد فى اليمن. عاش نيفا وسبعين سنة. من كتبه «الكفاية والإعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من الإسلام»، و «طراز أعلام الزمن فى طبقات أعيان اليمن»، و «العسجد المسبوك فى تاريخ الإسلام وطبقات الملوك» مخطوط مجلد واحد منه، و «العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية» مطبوع. جزءان، و «العقد الفاخر الحسن فى طبقات أكابر اليمن»، و «مرآة الزمن فى تاريخ زبيد وعدن»، و «ديوان شعره».

(الأعلام للزركلى ٤ / ٢٧٤ ومصادره بهامش ١).

* **الخزرجى (على بن محمد):**

من شيوخ الرحالة ابن رُشيد الذين التقى بهم فى الإسكندرية، وهو الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد الخزرجى الساعدى أندلسى المولد والمنشأ، شيخ صالح ثبت حاضر الذهن عالم، له ديوان المواجد الخزرجية. سمع جعفر الهمذانى وابنى دحية، وقبل سفره إلى المشرق أبا محمد بن حوط الله، ولقى أبا الحجاج المنصفى، وقرأ على الفزازى شعره.

وذكر له ابن رشيد قطعا من النظم عارض بها الحريرى وكعب بن زهير، وقصيدة رائية دعا فيها إلى سلوك سبيل المتقين الصالحين.

وإليك ما قاله عنه ابن رشيد. وقد أبقينا على أرقام هوامش المحقق فى مواضعها، ونورد ماجاء بها فى نهاية المادة إن شاء الله تعالى لما بها من فوائد. قال ابن رشيد:

ومن لقيناه أيضا بثغر الإسكندرية المحروس: الشيخ الأديب الفاضل المعمر ضياء الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف بن عفيف الخزرجى الساعدى، من أهل غرناطة ويشهر بالخزرجى.

مولده ببيغو (١٦٧)، رحل عن الأندلس قديما واستقر أخيرا بالإسكندرية. لقيته بها غير مرة. وأجاز لى ولابنى محمد ولأختيه عائشة وأمة الله ولأخواتى عائشة وفاطمة ورحمة جميع ما جوز له روايته وما له من نظم ونثر. وكتب عنه ـ بإذنه وبمحضره ومحضرى ـ زين الدين أبو بكر بن منصور شيخنا، وذلك فى الثامن من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وستمائة، لتعذر بصر الشيخ.

سألت الشيخ ضياء الدين فى هذه السنة عن مولده فقال: سنى خمس وتسعون سنة. فعلى هذا يكون فى حدود التسعين وخمس المائة.

وضياء الدين هذا شيخ صالح فاضل ثبت حاضر الذهن، يتصرف فى حوائجه بنفسه، عدل بالديار المصرية، أديب ناظم مطيل مطيب. وقد وصف لنا بالعالم العامل. وجمع بعض شعره فى ديوان سماه المواجد الخزرجية

سمع جعفر الهمدانى، وقرأ عليه ملخص القابسى، وكتاب كفاية المتحفظ فى اللغة (١٦٨) تصنيف إبراهيم بن

إسماعيل الأجدابي (١٦٩) وسمع أيضا على أبي الخطاب بن دحية ملخص القابسي. وسمع الموطأ رواية يحيى (١٧٠) على أخيه أبي عمرو بن دحية (١٧١) وأجازوا له ثلاثتهم.

وسمع، قبل رحلته، القاضي أبا محمد بن حوط الله (١٧٢) قال: وأول حديث سمعت منه الحديث المسلسل (١٧٣):

« الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (١٧٤).

قلت: وقد أسمعني المتن من لفظه. وهو أول حديث سمعته منه.

قال: وسمعت عليه صحيح مسلم سنة سبع وستمائة.

قال: ولقيت أبا الحجاج المنصفي (١٧٥) سنة ست وستمائة بمالقة ولم أسمع منه.

قال: ورأيت ابن أبي يحيى الذي قتله شابا وقيحا.

ولقي أبا زيد القازازي، وقرأ عليه من معشراته الحبية إلى حرف العين، وأجاز له جميع ما قاله من نظم ونثر.

أنشدنا شيخنا ضياء الدين هذا قصائد من قيله، وأمر أن يكتب لنا بعض شعره. ودفعه إلينا.

فمما قرىء لي عليه وأنا أسمع قصيده المسمط (١٧٦) الذي عارض به قصيدة أبي محمد القاسم بن علي الحريري التي أولها:

[مجزوء الرجز]

خل ادكار الأربع (١٧٧)

وهذا القصيد الذي صنعه شيخنا ضياء الدين الخزرجي - نفع الله به - مطلعه:

هـوّن بأهل البدع
والهُجر والتصنع
ودِن بترك الطمع
ولُذ بأهل الورع
وعذ عن كل بذ
لم يكترث بالنبذ
والهج ببر جهبذ
وعالم متضع
واندب زمانا قد سلف
ولم تجد منه خلف
وابعث بأنفاس الأسف
رسائل التضرع

وهي طويلة، عددها أحد وأربعون بيتا، تقيدت بجملتها في غير هذا الموضع.

ومما قرىء لي عليه من قيله وأنا أسمع:

[البسيط]

بأمر دنياك لا تحفل وكن حذرا
فقد أبانت لأرباب النهى عبرا
فأي عيش بها ما شابه غير؟
وأي صفو تناهى لم يصر كدرا؟
كم سالم أسلمته للردى فقضى
حتفا، لم يقض من لذاتها وطرا!
ومترف قلبت ظهر المجنّ له
فعاد بعد علو القدر محتقرا!
فعدّ عنها ولا تلهج بزخرفها،
وغض طرفك عنه، قل أو كثرا.
فكل عيش تراه العين من حسن
كرُّ الأهلة لا يبقى له أثرا
طوبى لمن جال فيها فكرُهُ فنأى
عما تغيب يوما منه أو حضرا
وقام في حندس الظلماء مجتهدا
يردد الذكر والآيات والسورا
ذاك الذي سرحت في العلو همته
فخالف النوم لما حالف السهرا
حتى إذا الليل ولى منه أكثره
وراقب الوقت لما قارب السحرا

أهدت له نسمات اللطف ساعة هل
من سائل فدعا مولاه واعتذرا
ولم يزل واقفا بالباب مبتهلا
يرجو الإجابة ممن جل واقتدرا
حلا له المورد الأصفى فتاق إلى
ورد أبان له ما عنه قد صدرا
سما بمدحة سيماهم فلاح له
عند السجود هلال القرب فابتدرا
فبات يبذر فى أرض الرضا حسنا
وإنما يحصد الإنسان ما بذرا
مشى على منهج التقوى، ودام على
حفظ الأوامر، فاحتاجت له الأمرا
تالله، ما الملك إلا ملك من مُنحت
له القناعة فاستغنى وما افتقرا
تاقت إلى رؤية السادات همته
فى روضة الأنس فاستاقوا له زمرا
هم الأخلاء يوم الملتقى، وهم
حزب الإله على من ند أو بطرا
أنوارهم، يوم جُز، تطفى وتخمد ما
قد لاح من لفحات النار واستعرا
تيقنوا أنهم فى كل معضلة
بعين محبوبهم فاستعذبوا الصبرا
مانوا ومنوا وما منوا فمنيتهم
أمن وجبر لمن قد جاء منكسرا
لهم جنوب تجافى عن مضاجعها
وأعين أقسمت أن لا تذوق كرى
يا نائما وعيون القوم ساهرة،
ولا يبالى أطال الليل أم قصرا
قم للتجهد يا نومان مجتهدا
فللجديدين سيف ينسف العمر
هذا الظلام قد اشمطت ذوايبه
وكَلَّ ركب الدجى واستصحب الخزرا
واعتاضت الزهر بعد الزهو إذ جنحت
إلى الغوارب من إشراقها غيرا
وغادر الطل زهر الروض حين سرت
رويحة الفجر غضا ناعما نضرا
وبشّر الفجر باليوم الجديد، فقم
وناد من لم يزل فى الملك مقتدرا
يا عالم السر لا تفضح سريرة من
وافاك، يافالق الإصباح، مفتقرا
وجُد على خزرجى قد ألمَّ به
ضيم، فأضعف منه السمع والبصرا،
وقد دعاك قريح القلب منكسرا
وأنت تعلم ما أبدى وما سترا
فهب له توبة. وارحم تضرعه
إليك، واغفر له يا خير من غفرا
وصل وصل وواصل كل آونة
على النبى سلاما طيبا عطرا
وصحبه ومن استهدى بهديهم
فهم أئمة من صلى ومن ذكرا

ومما أمر بكتبه إلىَّ. وأنشدنى بعضه إن لم يكن كله، وأذن لى: قصيده الطويل الذى عارض به قصيد كعب بن زهير:

[البسيط]

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

ومطلع قصيده:

ما فى سعاد لنا قصد ولا سول
فإن قلبىَ عنها اليوم مشغول
وما سعاد وما مقدار منصبها
حتى أبيت وقلبى منه مبتول

سيَّان عندي إن بانت وإن وصلت
فوصلها بنصال الصد مفصول
ما أن يدوم لها عهد، وإن غدرت
فهو الوفاء، وعهد الغيد ممطول
فاعجب لمن بالغواني قد غدا كلفا،
وعقدهن وإن آلين محلول
وذر أغن غضيض الطرف ذا كحل
ولا تغرنك العيس المراقيل،
وعد عن نسبة الوجناء إن نسبت
وسيرها، فهو أمر فيه تطويل
إن كان أعرب كعب عن فصاحته
فإن كعبا على الإعراب مجبول
فهو الذي فاز بالفضل العميم، ومن
رام امتداحا سواه فهو مفضول
أوْلاه خير الورى أمنا، وشرفه
عند القدوم ببرد فيه تجميل
فمن تكلف ما أبدت بديهته
وإن أصاب فما في ذاك محصول
الأمر أعجل من هذا فكن حذرا
بغت المنون فإن الوقت مجهول
وأطنب المدح فيمن قد أعدَّ له
في حضرة القدس ترحيب وتبجيل:
خير البرية من عرب ومن عجم
ومن عليه لنا في الحشر تعويل،
أولاه موجده مجدا، وتوجه
تاج الرسالة، والتبليغ إكليل

ثم تمادى في مدح النبي ﷺ مطيبا، ودعا الإحسان فلباه مجيبا، وأتى بأعلام من معجزاته ﷺ متبعا الطيب بالطيب، وجائدا بعد الجود بالصيّب، ناسجا على منوال الإحسان، واسجا في ميدان البيان، إلى أن نيَّف على مائتين وثلاثين بيتا، تعلي قدره حيا وتحيي ذكره ميتا. يقول في خاتمتها.

يا من له في حديث المصطفى سند
عال، ويسمعه والنقل معلول
خذ هذه، فهي للناسين تذكرة،
ونظمها فيها تقريب وتسهيل
بمسلم، والبخاري والموطإ قد
صحَّت، وبالترمذي فيها، الأقاويل
وما رواه ابن إسحاق الذي نُقلت
عنه المغازي، وهذا القول منقول
علو الرواية في الأخبار تكملة
تشفي الغليل، ولكن ثم تعليل
إن كان ممن له علم ومعرفة
وحُسن لفظ، وإلا فيه تأويل.
فاحفظ وصحح وقيد ما استطعت فللـ
ـمحدث اليقظان الدهر تبجيل
يا سامعيها، سلوا عن كل واقعة
منها، فرب سؤال فيه تحصيل
وأخلصوا دعوة منكم لناظمها
فعزمه بحلول الشيب محلول
وحين عاين شمس العمر قد جنحت
إلى الغروب شدا والقلب متبول
يا عالم السر لا تفضح سريرة من
له على عفوك المرجو تعويل
وقد دعاك قريح القلب منكسرا
وما له في حماك اليوم تحويل
فهب له توبة قبل الممات، فقد
آن الرحيل، ووقتي فيه تعجيل
وصلِ صلاة على خير الورى، فله
بين النبيين تخصيص وتفضيل

وصحبـــــه، ومـن استهـــدى بهـــديهـم
فأنـت يـا ســا مـع الأصـوات مسـؤول

نجزت، وتمامها مكتوب فى غير هذا الموضع.

وإليك تعليقــات المحقق الفـاضل التى جــاءت فى الهوامش:

(١٦٧) مدينـة بالأندلس من عمـل غرناطـة وإليها ينسب أبو محمد يعيش بن محمد بن سعيد الأنصارى البيغى. راجع الحميرى / ٦٠، الحموى ٢ / ٣٣٩.

(١٦٨) مصنف مختصـر فيمـا يحتـاج إليـه مـن غـريب الكلام. وليس هـو كفاية المحتفظ لابن الخـوبى التى نظمها ابن جابر الأعمى والبعلى. الكشف.

(١٦٩) هو أبو إسحاق اللـوائى الطرابلسى الأجدابى ٦٥٠ / ١٢٥٢، لغوى بـاحث، له الكفاية، والعـروض، ومختصر فى علم الأنساب. وآخر فى الأنواء. الزركلى: ١ / ٢٥.

(١٧٠) هــو أبـو محمــد يحيى بن يحيى بـن أبى عيسى الليثى١٥٢/ ٧٦٩ـ ٢٣٤ / بقـرطبة ٨٤٩ عـالم الأندلس فى عصـره. قـرأ بقـرطبـة ورحل إلى الشـرق. وسمع المـوطأ من مالك. ونشر مذهبه بالأندلس. الزركلى: ٩/ ٢٣.

(١٧١) تقـدم ذكر ابنى دحيـة فى أول تـرجمة ابن منصـور الهمدانى. وأبو عمرو هذا هو عثمان بن الحسن أخو الحافظ أبى الخطاب بن دحيـة وفدا على القاهرة من الأنـدلس. وكان أبو عمـرو أسن من أخيه. بـالقاهـرة. وهو لغـوى رتبه الملك الكـامل مكان أخيـه على دار الحديث الكـاملية. المقـرى. النفح ٢ / ٩٤، ٩٥، ٥١.

(١٧٢) هو الحافظ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حـوط الله الأنصارى الحـارثى الأنـدلسى ٥٤٦ / ١١٥٤ بأنده ٦١٢ / ١٢١٥ بغرناطة. محدث مقرئ كاتب، شاعر، نحوى. كحالة ٦ / ٦١

(١٧٣) التسلسل من نعوت الأسانيد. وهو عبارة عن تتابع رجال الأسناد وتواردهم فيه واحدا بعد واحدا على صفة أو حالة واحدة. وينقسم إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل، وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم. ابن الصلاح٢٣٦، ٢٣٧ وفى ترجمـة المراغى من هذا الجزء ذكـر لصلة الناسك فى معـرفة المناسك. قال ابن رشيد: وهـو جزء نبيل نبيه تكلم فيه على حديث الرحمة المسلسل وطرقه وفوائده. وهو جزء مملوء فوائد بغـرائب من النفع عــوائد. وقـد دخل لنـا حـديـث الـرحمـة المسلسل مصرحا به فى ما أجازنا به المغفور له شيخنا محمد الفاضل بن عاشور.

(١٧٤) ورد الحديث فى آخر باب ما جاء فى رحمة الناس وعقب عليـه بقولـه هـذا حـديث حسن صحيح وورد عن ابن عمرو بلفظ «الراحمـون يرحمهم الرحمن تبارك وتعـالى ارحموا من فى الأرض يـرحمكم من فى السمـاء». حم، د، ت، ك، (لأحمد فى مسنـده، وأبى داود، والترمـذى، والحاكـم، وزاد الثـلاثـة دون أبى داود: والـرحم: الشجنـة من الـرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله». النبهانى: وقد ضمن جماعـة من الحفاظ هـذا الحديث فـى أبيات نظموهـا. فمن ذلك أما نشده أبو الحسن على بن حسن بن عساكر:

بـــادر إلى الخيـــر يـــا ذا اللـب مغتنمـــا
ولا تكـن عن قليـل الخيــــر منحــــرمــــا
واشكـــــر لمــــولاك مــــا أولاك من نعـم
فـــالشكـــر يستـوجب الأفضـال والكــرمـــا
وارحـــم بقلبـــك خلـــق الله وارعهـــم
فإنمـــا يـــرحم الــــرحمن من رحمـــا

ومنه ما قاله ابن حجر العسقلانى:

إن مـن يــــــرحم مـن فـى الأرض قـــــد
جــاءنـــا يـــرحمــــه من فـى السمـــا
فـــــارحـم الخلـق جميعــــا إنمـــا
يــــــرحم الـــــرحمـن من رحمـــــا

ومن هذا النحو قول العراقى:

إن كنت لا تـــرحم المسكيـن إن عـــدمـــا
ولا الفقيــــر إذا يشكـــو لـك العـــدمـــا
فكيف تـــرجـــو مـن الـــرحمن رحمتــه
فإنمـــا يـــرحم الـــرحمن من رحمـــا

انظر الفادانى : ١٧٧

(١٧٥) هو أبو الحجاج يوسف المنصف نسبة إليى قرية المنصف من قرى بلنسية . زاهد مشهور سكن سبتة . المقرى . النفح : ٣/ ٥٩٥ ابن سعيد . المغرب ٢ / ٣٥٤، ٥٧٠ ولا نعلم شيئا عن ابن أبى يحيى الشاب الوقح . وورد هذا الوصف بالأصل على زنة فعيل ولعله خطأ من الناسخ .

(١٧٦) هو الذى تكون أبياته مقسمة إلى أجزاء عروضية مقفاة على غير روى القافية .

(١٧٧) بالأصل قصيد فانثنا اللفظ للتطابق مع ما بعده . وتمام البيت والطالع :

خل ادكار الأربع والمعهد المرتبع
والظاعن المودع وعد عنه ودع

راجع المقامة الخمسين البصرية للحريرى

(ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٣/ ٣٤، ٣٥، ٤٣ ـ ٤٩).

* **الخزرجية :**

منظومة فى العروض والقافية اشتملت على نيف وسبعين بيتاًلضياء الدين الخزرجي الأندلسى المتوفى سنة ٦٢٦هـ . ويذكر البقاعى أن القلصادى بحث مع القرباقى شرحه للخزرجية فى العروض (رحلة القلصادى / ٨٨) وجاء فى ترجمة تقى الدين الشمنى أنه قرأ على الشيخ ناصر الدين البارنبارى الخزرجية فى العروض (المنهل الصافى ٢/ ١٠٢) .

يوجد مخطوط الخزرجية بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وجاء بيانه كما يلى :

رقم الحفظ : ٦١ ف .

الفن : عروض .

عنوان المخطوطة : الخزرجية فى العروض .

عنوان المخطوط الفرعى : الرامزة .

اسم المؤلف : عبد الله بن محمد بن عثمان ، الخزرجى، ضياء الدين

اسم الشهرة : الخزرجى .

تاريخ وفاته : ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م القرن ٦هـ .

قالت المؤلفة : وفاته فى الأعلام ٤/ ١٢٤ هى سنه ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م .

بداية المخطوطة :

وللشعر ميزان يسمى عروضه بها النقص والرجحان يدريهما الفتى

نهاية المخطوطة :

ويسأل عبد الله والخزرجى من مطالعها إتحافه منه بالدُّعا

نوع الخط : نسخى واضح .

تاريخ النسخ : القرن ٩هـ/ ١٥م .

عدد الأسطر : ٢٨س .

ملاحظات عامة : نسخة جيدة وكاملة .

مكان الحفظ : رئيس الكتاب، برقم ١١٨٩/ ٥ (فهرس المصورات / ٥٩) .

(رحلة القلصادى لأبى الحسن على القلصادى الأندلسى ـــ دراسة وتحقيق محمد أبى الأجفان / ٨٨ هامش ٤٠ للمحقق، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢/ ١٠٢ هامش ٤ للمحقق، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الرياض. العدد الثانى، السنة الثانيه ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ٥٩) .

* **الخزّرى:**

الخزرى : بفتح الخاء والزاى المعجمتين وكسر الراء المهملة، هذه النسبة إلى الجد لبعضهم، ولبعضهم إلى موضع من الثغور عند السد لذى القرنين يقال له دربند خزران، ونسب الخزر إلى خزر بن يافث بن نوح وقيل الخزر (وجلان وموقان وجماعة بنو كاشح بن يافث بن نوح وقيل الخزر) والصقالبة ولد ثوبان بن يافث . فأما المنسوب إلى الجد فهو أبو بكر محمد بن جزر الصوفى الخزرى العالم بهمذان، كان

يروى تفسير السدى عاليا، وكانت له رقة فى بعض الأوقات إذا قرئ عليه شيء يتغير عليه، روى عنه أبو جعفر بن محمد بن الحسين الأبهرى وأبو سعد أحمد بن محمد المالينى وأبو نصر الحسن بن عبد الواحد الشيرازى وغيرهم ، وروى عن إبراهيم ابن محمد بن فيرة الطيان عن الحسين بن محمد الزاهد عن إسماعيل بن أبى زياد كتاب التفسير، كتبه عنه ببغداد أبو حفص بن شاهين، وسمع منه أيضا ببغداد عبد الله بن عثمان الصفار وأبو القاسم بن الثلاج فيما زعم، وروى عنه محمد بن أبى الفوارس الحافظ وكان سماعه منه بهمذان.

والمشهور بالانتساب إليها - يعنى إلى دربند عبد الله بن عيسى الخزرى - حدث عن عفان بن مسلم، روى عنه الطستى، كانوا يضعفونه .

وأحمد بن موسى البغدادى يعرف بأخى خزرى، حدث عن على بن حرب، روى عنه أبو بكر الشافعى، وعياش بن الحسن بن عياش أبو القاسم البغدادى، يعرف بالخزرى، حدث عن النيسابورى أبى بكر بن زياد والقاضى المحاملى وابن مخلد وابن الأنبارى، حدث عنه الدارقطنى وجماعة من مشايخنا.

وأبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن بن على بن محمد المؤدب الحربى، يعرف بابن الخزرى، سمع أبا بكر بن مالك القطيعى والحسين بن أحمد الشماخى الهروى .

(الأنساب للسمعانى ١/ ٣٦٠، ٣٦١. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١/٥١٣، ٥١٤).

*** الخُزَزى:**

قال السمعانى :

الخُزَزى: بضم الخاء المعجمة والزايين بعدها أولاهما مفتوحة، هو لوالد محمد بن خزز الطبرانى الخزرى، من أهل طبرية، قال أبو الحسن الدارقطنى: محمد بن خزز له تاريخ كبير كتبته بطبرية .

(الأنساب ٢/ ٣٦١. انظر أيضا اللباب ١/ ٥١٤، ٥١٥) .

*** الخزَف:**

الخزف: هو الفخار، قال الشاعر:

بنى غدانة ما إن أنتم ذهب
ولا صريف ولكن أنتم الخزف

(المعتمد ١/ ١٢٥) .

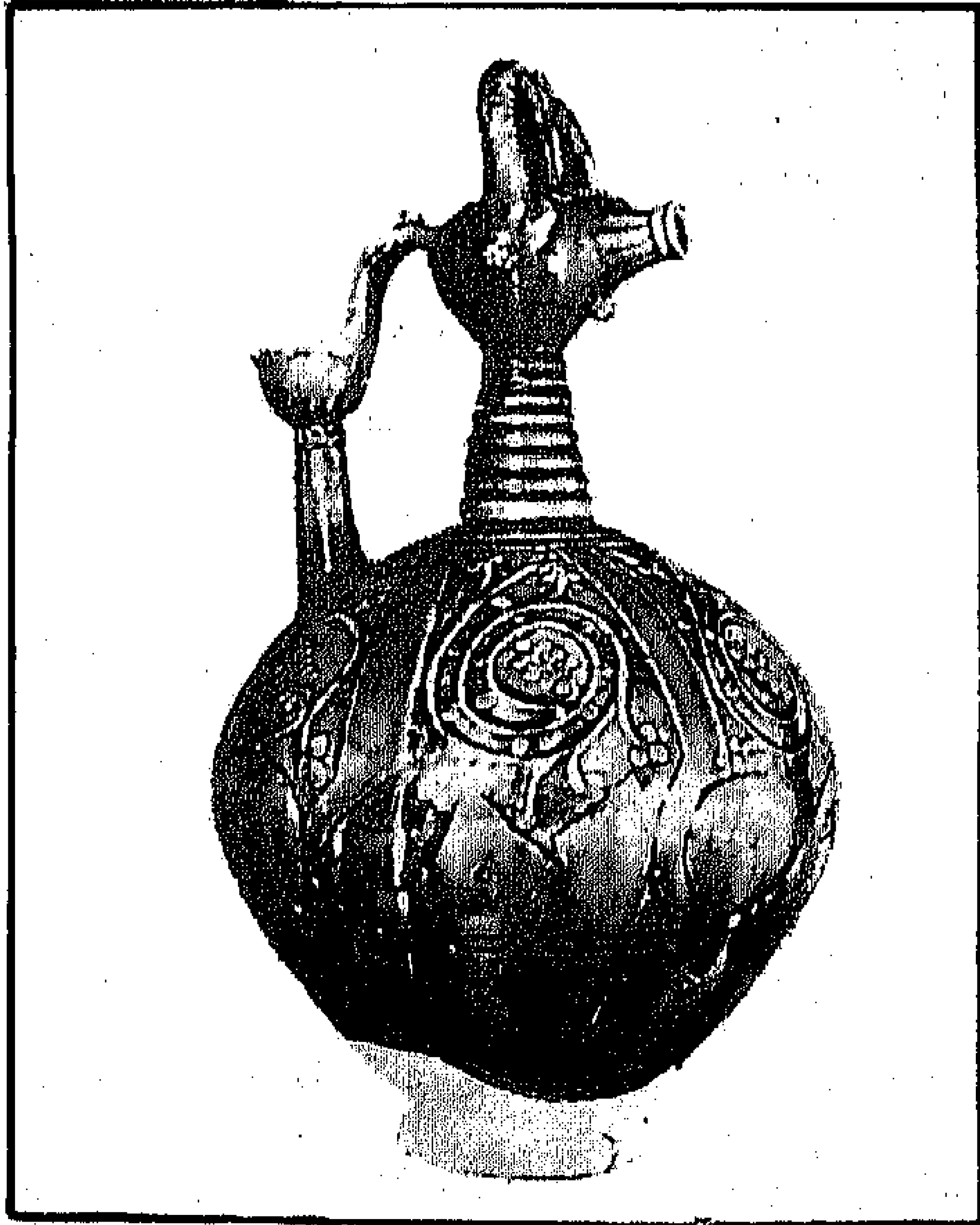
ذكره المظفر الرسولى نقلاً عن مصدرين رمز إلى أحدهما بالحرف «ع» وإلى الآخر بالحرف «ج» :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية» .

ج : ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» .

قال : الخزف - «ع» قوة الخزف تجلو وتجفف، وخاصة خزف التنور، لأنه قد ناله من السجر يبس كثير، ولهذا يكون المرهم الذى يقع فيه دواء نافعا جدا فى ختم الجراحات وإدمالها، وله قوة تكوى، فإذا خلط بالخل وتلطخ به نفع من الحكة والبثور، وقد ينفع من النقرس، ويجفف من غير لذع، فينفع من القروح المترهلة، ومن انسلاخ الجلد، ويجلو الأسنان.

«ج» ألطف الأخزاف خزف السرطان البحرى المجفف، يجلو الكلف والنمش. والمرهم المتخذ من الخزف قوى



إبريق من الخزف بزخارف بارزة تحت طلاء زجاجى فيروزى اللون، إيران - القرن ٧ هـ (١٣ م).

الاندمال، وينفع من القروح، ويجلو الجرب. وخزف التنور يطلى على النقرس والجرب والحكة والقوباء والسعفة والحصف، مع الخل، فينفع. وخزف الأجاجين الخضر يجلو العين، ويقويها. وخزف الغضار الصينى ينفع من القروح والجرب والنقرس الشربة منه: درهمان (المعتمد ١/١٢٥، ١٢٦).

وقال داود الأنطاكى: الخزف هو الفخار إذا شوى بحيث يبلغ الحرق وهو قسمان مدهون بالمرداسنج وغيره كالزبادى المشهورة وهذا إما شريف الصناعة كالصينى وسيأتى أو ما يقاربه كالمعمول بأذنيك ومالقة وأنطاكية غير مدهون كالقدور والشقف ومنه الآجر والكل حار يابس فى الثالثة إذا بولغ فى سحقه وعجن بنحو الخل كان ضمادا جيدا للاستسقاء والترهل وتحليل الأورام والنقرس والمدهون بلحم الجراح ويقطع الدم ويجلو الآثار ونحو الحكة. (التذكرة ١/١٣٩).

ذاك كان على المستوى الطبى. أما على المستوى الفنى فيعرف الخزف السيراميك بأنه طين تصنع منه أوعية وأقنية وبلاطات، يطلى بمواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها، أو يعجن مع بعضها قبل إدخاله الفرن مرة واحدة، كالفخار، فهو منه وله خصائصه، ولكن غالبا ما يشوى، قبل المعالجة بتلك التراكيب وبعدها.

وقد أخذ الخزف تسميات متعددة، حسب نوعه أو البلد



صحن من الخزف ذى البريق المعدنى، مصر، القرن ٥ هـ (١١ م) [رقم السجل ١٤٩٢٣]



بلاطات من الخزف. آسيا الصغرى، القرن ١٠ هـ (١٦ م) [رقم السجل ٦٣٢١]

الذى صنع فيه، وأهمها: زليج، كما فى إسبانيا وشمال إفريقية، وزليزلى: كما عرف فى شمال مصره وفرفورى: نسبة إلى بلاد الفرفور، أى اليابان، وقاشانى نسبة إلى قاشان، المدينة الفارسية التى كانت لها سمعتها العالية فى هذا المجال، وقاشى وكاشى كما يسمى فى العراق حاليا، وغيرى: وهو خزف فارسى مزخرف متين، نادر وثمين (موسوعة العمارة الإسلامية / ١٥٩، ١٦٠).

يقول الأستاذ أنور الرفاعى:

إن مجموعة الخزف هى أكبر ما وصلنا من تحف الفن الإسلامى فهى كثيرة العدد جدا، متنوعة المواضع. نجدها فى كل بلد إسلامى. كما تتشابه أساليبها الفنية بكل مكان. ويبدو من تطور الفنون الخزفية أن منبع الابتكار فيها كان فى فارس والعراق وهى استمرار وتطوير لصناعة الآجر المزجج الذي استخدمه بكثرة العرب القدماء فى بلاد ما بين النهرين ومنها كانت تنتقل الأساليب بسرعة غريبة إلى غرب «مملكة الإسلام».

وقد استعمل المسلمون الخزف فى صناعة البلاطات الزخرفية الجميلة لكسوة الجدران فى البيوت والمساجد والمدارس وغيرها من المبانى. كما استعملوه فى عمل الأوانى من أكواب وصحون وسلطانيات وأباريق ودوارق وقدور وأزيار وشماعد ومسارج ومباخر وزهريات وتماثيل صغيرة ولعب، وأنواع أخرى من التحف الفنية.

وقد بدأ صنع الخزف الإسلامى أول الأمر كتتمة لصناعة الخزف الساسانى والبيزنطى، ثم استقل بأسلوب إسلامى خالص وتنوعت أساليب الزخرفة بالرسم تحت الطلاء الزجاجى الشفاف بالألوان، أو بالبريق المعدنى، أو



١٤٢ - مشكاة من الخزف : مصر فى عصر المماليك (القرن ١٤)

بالتذهيب فوق طلاء زجاجى شفاف أو غير شفاف، وبالنحت والحز والتخريم، وبالصب فوق القالب، والمينا، كما تعددت أنواع العناصر الزخرفية، من زخارف عربية، وهندسية ونباتية، سواء الطبيعى منها كالأشجار والثمار والزهور أو المقتبس والمعدل بشكل فنى زخرفى تزيينى، ورسوم مبان ومراكب تمخر مياه البحر، وصور حيوانات وطيور وأسماك، وأشخاص فى مناظر الحياة اليومية .

واختص الفن الإسلامى، سواء فى الخزف، أو فى غيره، دون سائر الفنون العالمية بالكتابة العربية الزخرفية، وهنا فى الخزف استخدم الخزافون المسلمون الكتابة بالخط الكوفى بمختلف أشكاله أو النسخى كوسيلة للربط بين العناصر الزخرفية الأخرى، أو لملء شريط زخرفى بكلمات ذات صيغة دعائية لصاحب التحفة، أو حكمة عربية، أو آية من القرآن الكريم أو حديث من أحاديث الرسول عليه السلام .

وجميع مخلفات العصور الإسلامية من الخزف تدل على أنها تنتمى إلى وحدة فنية تجمع بينها، رغم ما فيها من تنوع فى الأساليب الزخرفية التى ازدهرت فى شتى بلاد العالم الإسلامى، فلكل بلد أسلوب زخرفى خاص به، يميزه عن غيره، ولكن ضمن وحدة الزخرفة الإسلامية كإطار عام يختلف عن الأساليب الأخرى الصينية أو الهندية أو الأوروبية مثلا .

ومما يثير إعجاب ودهشة الناقدين الفنيين لصناعة الخزف الإسلامى، الإتقان الزائد فى استغلال تأثير النور والظل، ونجاح الخزافين المسلمين فى ذلك نجاحا بز جميع زملائهم من خارج العالم الإسلامى .

ـ وكما يقول د. محمد مصطفى: نجد فى الخزف الإسلامى الألوان دافئة، مريحة للنظر، ونجد الزخارف البارزة المنحوتة أو المصبوبة فى القالب، يختلف عليها النور والظل، ويكسبانها رونقا، ويعطيانها نوعا من الحياة . ويتخلل النور الزخارف المخرمة فى جدران الأوانى، والمكسوة بطلاء زجاجى شفاف، يبعث الحياة فيما يوجد داخل الإناء، كما تلمع الزخارف المدهونة بالبريق المعدنى وتبهر الأبصار، بينما تظهر الصور المرسومة باللون الأسود تحت طلاء زجاجى شفاف فيروزى اللون وكأنها أشباح فى ليلة مقمرة .

وكان الخزافون المسلمون هم أول من اخترع البريق المعدنى فى زخرفة الخزف . ويعتقد أن ابتكاره تم فى العراق، ولكنه نضج وأصبح لونه ذهبيا منذ القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وانتشر استعماله فى مصر والعراق وإيران ثم فى الشام والأندلس . وكانت الزخارف ترسم فوق الطلاء الزجاجى بأكاسيد بعض المعادن ، أو تحجز على أرضية مدهونة بهذه الأكاسيد، تثبت فى أفران خاصة، فيظهر لها لمعان معدنى واضح ، يختلف بين اللون الذهبى والأحمر النحاسى والبنى والزيتونى .

وكان الفنانون من الخزافين ينتقلون فى البلدان الإسلامية ويصنعون بنفس أساليبهم ، عددًا من التحف، فى البلدان التى يحلون فيها، لذلك نجد أوانى خزفية متشابهة فى أشكالها وفى أساليبها الزخرفية، مصنوعة فى مصر أو العراق أو إيران فى نفس العصر، مع اختلاف بتاريخ الصناعة متقارب .

ومن المراكز التى اشتهرت بصنع الخزف «قاشان» وإليها تنسب صناعة تربيعات (بلاط) القاشانى ذى البريق الملون ويسمى بالمغرب الزليج (يأتى الكلام على البلاطات الخزفية فيما بعد عند وصف البلاطات العثمانية) واشتهرت به سوريا (الرقة) فى العهد السلجوقى، كما عُرفت مصر بالصناعة

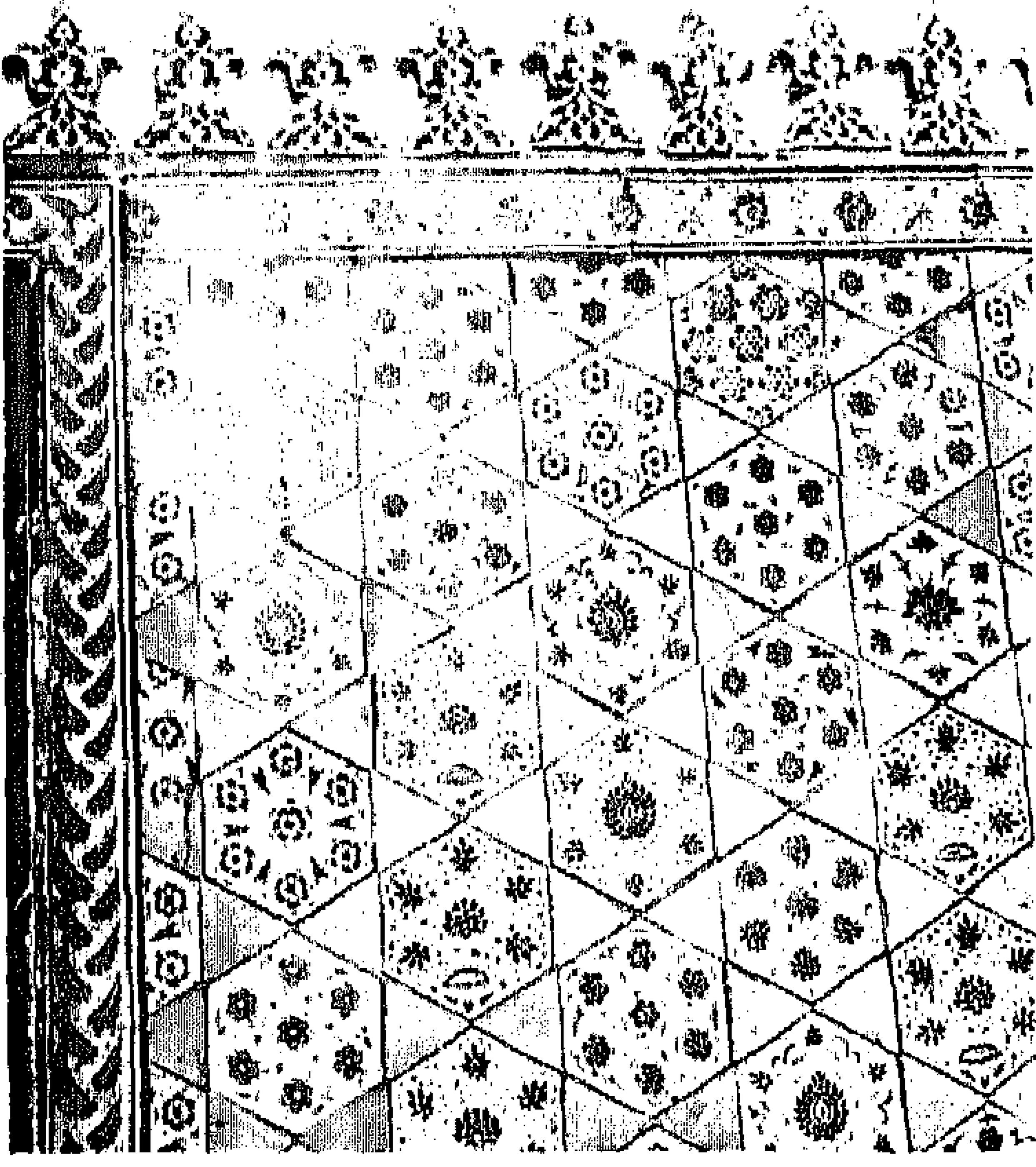
الخزفية الراقية زمن الفاطميين والأيوبيين والمماليك وأما فى المغرب والأندلس فذاعت شهرة ملقة وغرناطة وبلنسية . وأما فى العهد العثمانى فاشتهرت «بروسة» فى آسيا الصغرى ودمشق بالبلاط القاشانى (تاريخ الفن عند العرب والمسلمين / ١٥٤ ـ١٥٩) .

ويتابع الدكتور محسن محمد عطية تطور أساليب صناعة الخزفيات عبر العصور الإسلامية المختلفة فيقول:

تعددت أساليب صناعة الخزف فى عصور الإسلام المختلفة، وتحققت من خلالها القيم الفنية المتميزة، حتى أن وصلت إلى حد من الفخامة والإبداع، أصبحت معه بعض الأوانى من النوع ذى البريق المعدنى تنافس المنتجات المصنوعة من ذهب أو فضة . أما الطريقة التى اشتملت بعض مراحلها على رسم بألوان تحت طلاء شفاف، بالإضافة إلى أسلوب الحفر أو التخريم على سطح الآنية فقد كانت على مستوى فنى غاية فى الإتقان .

وفى عصر الخلافة العباسية كانت مصر مركزًا لإنتاج نوعية من الأوانى الفخارية، من التى ترسم بنقوش بارزة وتدهن بطلاءات زجاجية رصاصية، خضراء أو صفراء، وقد يضاف إليها الطلاء اللماع . ونوعية أخرى لونت بألوان حمراء، أو صفراء، أو برتقالية، أضيفت إليها زخارف مزججة فى أجزاء بطريقة القاشانى، بحيث تغطى الآنية ببطانة، وينقش عليها رسم محزوز بخدش طبقة الصلصال بإبرة دقيقة . ثم تغلف الآنية بأكملها بطبقة زجاجية رقيقة، وبحرق الآنية تكتسب الأجزاء المكشوفة منها درجة ظلية أكثر عتامة . وفى هذه المرحلة كانت تضاف بقع من الألوان المزججة، أغلبها الأخضر المنجنيزى أو الأصفر.

وقد عثر فى سامراء على أوانٍ تميزت بسمات الفن الإسلامى الأصيل، استخدمت فى تلوينها الطلاءات اللماعة للمرة الأولى، وقد غلب على ألوانها العديدة، الياقوتى الصارخ وإليه يضاف قليل من ظلال صفراء أو بنية . أما النوعية التى لونت أرضيتها بالأبيض الناعم فكانت تغطى بطبقة زجاجية شفافة، بعد تسخينها تطلى أجزاء التصميم المرسوم



شكل ١٥١ – ادرنة، مسجد المرادية، تفاصيل للبلاطات السداسية الزرقاء والبيضاء.

بمزججات معدنية، وبتعريض الآنية للتسخين مرة أخرى، فى تنور خامد ودرجة حرارة منخفضة، ينتج فوق التصميم سطح رقيق لماع .

نمت الأساليب المستحدثة فى مجال صناعة الخزف فى مصر فى العصر الفاطمى، إلى الحد الذى أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء بزخارفها الملونة بالمزججات القلوية تستخدم فى الحاجات اليومية . أما الطراز اللماع الذى كان قد تطور فى تاريخ مبكر فيتميز بالجودة، وعوضت تصميماته الماهرة المتنوعة عن ضعف مستوى الصقل فى هياكله . ومن أكثر التصميمات التى استخدمت فى تزيين مثل هذه الطرز نجدها رسوم الأسماك والأشكال الآدمية، ومن أساليب التلوين طريقتان : الأولى أحادية، والثانية متعددة الألوان . وفى المتحف الإسلامى بالقاهرة العديد من النماذج الرائعة من الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى، وعليها توقيع «سعد» أو «مسلم» (يأتى بيان محتويات المتحف إن شاء الله تعالى) وتتميز هذه النماذج بالدقة والإتقان فى رسوم الأشخاص والحيوانات، المنقوشة فوق أرضيات من التفريعات النباتية، وبالمتحف أيضا يحفظ صحن ينسب إلى ذلك العصر ومرسوم عليه ديك .



لقد انتشرت فى إيران فى القرن الثانى عشر صناعة البلاطات الحائطية، والتى تميزت بثراء زخارفها التى اشتملت عناصرها على رسوم الحيوانات والطيور والتفريعات النباتية، بالإضافة إلى النصوص الكتابية، واستخدمت مثل هذه البلاطات ذات البريق المعدنى فى تكسية المحاريب. وغالبًا ما كانت الموضوعات الزخرفية ترسم وسط أرضية بطلاءات البريق المعدنى. والسلطانية المزينة برسم «البُراق» على أرضية من التفريعات النباتية تعد من أبدع نماذج الخزف ذى البريق المعدنى، من النوعية التى انتجت برسوم حيوانية، أو بطيور على أرضية نباتية.

وخلال الحكم الفاطمى ظل يتطور طراز صناعة أباريق الماء الفخارية، غير المزججة بشكل راق، تدل عليه النماذج التى اشتملت على مرشحات مثقبة فى أعناقها، ونقشت عليها زخارف تتمتع بمنتهى الزينة. ونمت الأساليب الحديثة فى هذا المجال، وبلغ انتشارها أن أصبحت نماذج الأوعية ذات الهياكل البيضاء منها، بزخارفها الملونة وبمزججات قلوية تستخدم فى أغراض الحياة اليومية.

والأوانى المشهورة باسم «الباربوتانية» ترجع فى الأصل إلى نوع من المنتجات الخزفية، التى صنعت فى مدينة الزهراء الأسبانية. ومعظمها أباريق مزخرفة وملونة بطلاءات خضراء وبنية على أرضية صفراء. وربما نلاحظ فى مثل هذه النوعية من الأوانى بعض التأثيرات، مأخوذة عن أساليب بلاد النهرين. غير أنه لا يمكن إغفال السمات المحلية الواضحة. أما الخزف الذى يعرف بالذهب «الطليطلى» فهو نوعية متقنة الصنع من تلك الأوانى الباربوتانية، بل على مستوى فنى متميز.

تطورت صناعة الخزفيات فى عهد الأيوبيين (١١٧١ - ١٢٥٠م) وشملت أنواعا من القاشانى وأوانى مطلية ولماعة، ذات لون متميز بدرجة بنية خاصة، على أرضية زرقاء. أما التطور الأكبر فقد تحقق برعاية المماليك (١٢٥٠ - ١٣٨٢م) فازدهرت الفنون بكل أشكالها واتصفت الصناعات الخزفية بالإتقان والرقة.

وتمتاز المنتجات من الخزف التى عثر عليها فى مدينة «الفسطاط» بصغر حجمها وبدقة صناعتها، وبالأسلوب المتقن لطلائها اللماع، وغالبا ما وجدنا زخارفها قد احتوت طيورًا أو تفريعات نباتية. وفى الفسطاط أيضا انتشر نوع الأوعية الخزفية التى استخدمت فى زخرفتها القاشانى، وتطلى بتزججات تحت درجة حريق عالية فتكتسب لونا بنيا قاتما. ومثل هذه الأوعية نجدها قد تميزت بقواعدها العالية وهياكلها السميكة الثقيلة، وسادت فى زخرفتها أشكال الطيور والحيوانات.

أما فى دمشق فقد اقترن بها نمط خزفى معظمه أوانٍ فيما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر، وجرار مزخرفة بطريقة الطلاء اللماع بألوانه الزرقاء والسوداء. واتخذت وحدات زخارفها من التفريعات النباتية وأشكال الأسماك والطيور، بالإضافة إلى الأشكال الآدمية. وبمتحف «المتربوليتان» إناء خزفى على شكل مشكاة، وعليه كتابات بخط كبير على أرضية من الزخارف النباتية وتزهيرات باللون الأزرق والأبيض على أرضية سوداء. وهو نموذج للخزف المملوكى المصنوع فى مدينة الفسطاط (موضوعات فى الفنون الإسلامية / ٩٤ - ١٠٠).

ويقدم الدكتور ربيع حامد خليفة دراسة عن الإنتاج اليمني المحلي من الفخار والخزف، ويرجعه إلى أنواع من الخزف كان اليمن يستوردها في الفترات الإسلامية المختلفة. وهذه الأنواع هي كما يتضح فيما يلي: الخزف العراقي، والصيني، والمصري، والإيراني، ثم يعدد أنواع الخزف اليمني المحلي وهي:

١ ـ الخزف المطلي باللون الأزرق (خزف تهامة الأزرق).

٢ ـ خزف تهامة الأخضر والأزرق.

٣ ـ الخزف المحزوز تحت الطلاء.

٤ ـ الخزف المحفور بطريقة السجرافيتو.

٥ ـ خزف مدينة حيس (الفنون الزخرفية اليمنية / ٢٠٥ ـ ٢١٠).

وعن فن الخزف في الأندلس يقول الدكتور عبد الرحمن زكي:

كانت الصدارة للأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي وكانت بلاد المغرب تستورد منها الأصناف البديعة ـ ومن أنواع المنتجات الخزفية في الأندلس بين القرنين الخامس والسابع الهجري (١١ ـ ١٣م) أباريق كبيرة وقدور لاستخراج المياه من الآبار. وقد ذاعت شهرة ملقة وغرناطة خلال القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة (١٤ ـ ١٥م) في إنتاج صحون وقدور وبلاطات من الخزف ذي البريق المعدني ذي اللون الذهبي أو اللونين الأزرق والذهبي. ومن أبدع هذه التحف الخزفية القدور التي عرفت باسم «قدور قصر الحمراء» وتنسب إلى القرن الثامن. ونلاحظ فيها كتابات كوفية ونسخية وفروعا نباتية، كما أننا نجد بينها أحيانا شارات ملوك غرناطة، فضلا عن رسوم حيوانات محورة عن الطبيعة. ومن المراكز الخزفية التي شهرت في إنتاج الخزف ذي البريق المعدني «منيشة» من أعمال بلنسية، وقد ازدهرت فيها هذه الصناعة بين القرنين الثامن والعاشر الهجري (١٤ ـ ١٦م)، وظلت تتطور وتتجدد في الزخارف التي تستعملها إلى القرن ١١ الهجري (١٧م). ولما سقطت بلنسية في يد النصارى عام ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) ظلت صناعة الخزف في يد المسلمين مدة طويلة.

(الفن الإسلامي / ٩٩ ، ١٠٠).

يقول الدكتور أمين فكري: وقد استمرت صناعة هذا النوع من الخزف قائمة في إسبانيا بعد العصور الإسلامية، واشتهرت مدينة بلنسية بهذه الصناعة شهرة جعلت كبار الأمراء في إيطاليا وفرنسا يوصون صانعي هذه المدينة بصنع أوان خاصة بهم تحمل أسماءهم وشعاراتهم، ومن ذلك صحن مطلي بالبريق المعدني الأصفر والأزرق صنع لأمير من أسرة (أنجلي) من فلورنسا، وهو محفوظ حاليا بمتحف فكتوريا والبرت في لندن. ومن إسبانيا اقتبس الإيطاليون أسلوب الخزف المعدني البراق، ونشأت في مدينة (جوبيو) منتجاتها بالبريق المعدني الذهبي والأحمر.

وكذلك قلد الخزافون الإيطاليون صناعة الخزف الإسلامي المعروف بطريقة الرسم بالحفر وكانت هذه بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة الخزف عند المسلمين، عاونت معاونة كبيرة على ازدهار هذه الصناعة في عصر النهضة الأوربي فنشأت، مثلا الصناعة المعروفة باسم (البارلو) وربما اشتق هذا الاسم من الكلمة العربية (البرنية) وهي التي كانت تطلق على الآنية المخصصة لحفظ الأدوية. وازدهرت صناعة هذه الأواني في مدينة إيطالية كذلك هي (فاينزا) في منتصف القرن الخامس عشر («في العمارة والتحف الفنية »/ ٤٠٥ ، ٤٠٦).

أما عن البلاطات الخزفية واستخدامها في تزيين العمائر الإسلامية فلدينا نموذج رائع هو البلاطات العثمانية، التي يبسط الكلام عليها أوقطان أصلان آبا في كتابه النفيس مما ننقله لك فيما يلي، يقول المؤلف: كان التقاء فن الفسيفساء الخزفية السلجوقي، مع أساليب صناعة الطلاء المتعدد الألوان، هو الأساس الذي استند إليه فن صناعة البلاطات الخزفية عند العثمانيين.

ومع أن مئذنة الجامع الأخضر بأزنيق جاءت أقرب للتقاليد الفنية السلجوقية، إلا أنها كانت أول عمل تظهر فيه الألوان: الفيروزي، والأزرق، والأخضر بدرجات متفاوتة، مع الأبيض والأصفر الفاتح، ومما يؤسف له أن هذه المئذنة تهدمت حديثا وأعيد بناؤها ببلاطات جديدة.

بدأت التقاليد العثمانية الرائعة فى صناعة الخزف ببلاطات الجامع الأخضر والتربة الملحقة به فى بورسة . وتجمع هذه البلاطات فى الواقع بين أساليب صناعية مختلفة . فنرى أمثلة من الفسيفساء الخزفية ذات المستوى الرفيع والصناعة الجيدة ، إلى جوار أمثلة من الخزف العثمانى المتعدد الألوان والبعيد عن التقاليد السلجوقية . وما الأشكال الرقيقة من الفسيفساء التى تزين باطن أسقف الجناح الملكى ، وحنيات النوافذ من الداخل ، وباطن عقد الشرفة الملكية ، وأسفل حنيات الأبواب ، والنوافذ الموجودة بالضريح ، ما هذه كلها إلا فيض من الأعمال الخزفية التى استخدمت فيها الألوان المتعددة . وتجمع البلاطات هنا بين اللونين السائدين عند السلاجقة ، وهما الفيروزى والأرجوانى . ثم زادت بهجة البلاطات بإضافة ألوان أخرى أخاذة ، هى الأصفر والأخضر والأبيض . وثمة تجديد آخر ، هو استخدام مادة حمراء داكنة أو مغبرة أضيفت إلى الطَّفْل لتقسيته ، لملء ما بين التصميمات من فراغات ، وزيد فى زخرفة البلاطات الصفراء بالتذهيب . وإذا كانت قد حدثت طفرة ثراء فى التصميمات ، فقد حدث مثلها فى غنى الألوان ، وأصبحت زخارف التوريق الكبيرة ذات المسحة الصينية (خطاى) هى التعبير المميز لأعمال القرن الخامس عشر (انظر مادة « التوريق » فى م١١/ ٦٦ ـ ٧٢) وتخللت تلك الرسوم أغصان ممتدة فيروزية اللون ، وتوريقات كبيرة ذات طابع أناضولى (رومى)ثم ، زيادة فى البهجة ، استخدمت بلاطات صفراء جذابة ، وطَفلة حمراء داكنة بالأركان ، لوضع نهايات للأشكال المرسومة . وهكذا ، كانت البلاطات المكسوة بالكامل بالتعبيرات المورقة ذات التفاصيل الرقيقة ، والفواصل أو التحديدات الدقيقة ، من بين الابتكارات التى فرقت بين الخزف العثمانى والخزف السلجوقى .

أما الحشوات الخزفية ذات البلاطات المتعددة الألوان داخل مناطقها المحددة بالخطوط الفاصلة ؛ فإنها تعلن عن ظهور أسلوب فنى جديد ، يختلف تماما عن أسلوب السلاجقة . ونشاهد أرق أمثلة أسلوب هذه البلاطات فى الجامع الأخضر ، والمقبرة الملحقة به ، فى بورسة . فهناك ، نرى بوضوح خطوطا باللونين الأحمر والأسود ، تحدد وتفصل ما بين ألوان الطلاء المختلفة . وتمهد خطوط التحديد هذه بدورها إلى ابتكارات أخرى فى استخدام أشكال الزهور الطبيعية ، والتوريق الصينى الطابع ، والورود وعود الصليب (الفاونيا) إلى جانب التعبيرات النباتية المستخدمة فى الفسيفساء الخزفية السلجوقية ، مع المحاولة فى بلوغ مستواها الرفيع .

والمثل الذى يبشرنا بقدوم أسلوب جديد فى محاكاة الطبيعة ، نراه فى الأزهار التى تخرج من زهرية بمحراب تربة الجامع الأخضر؛ كما نرى سيادة الألوان : الأصفر والأخضر والأبيض والأرجوانى . وإن نظرة إلى محراب التربة وبلاطات الناووس الموجود بها ، لتوضح لنا ما هنالك من درجات متعددة من اللونين الأزرق والأرجوانى ، وكيف أنهما استخدما بمهارة فائقة ، من غير استعانة بخطوط التحديد الفاصلة .

كان تعدد الألوان إذن ، هو أول ابتكار قدمه العثمانيون لفن الخزف ، وكانت هذه البلاطات تصنع فى بورسة ؛ ولم تثبت الحفريات التى أجريت فى أزنيق ، أن بلاطة واحدة من هذا النمط قد اكتشفت هناك . وقد تعطى النظرة الأولى ، لمحة من التشابه بين هذه البلاطات العثمانية ، وبين البلاطات التى استخدمها التيموريون فى عمائرهم أوائل القرن الخامس عشر؛ إلا أن البلاطات السمرقندية ضعيفة المستوى ، سيئة الطلاء لكثرة تشققها . وتجيء السيادة للطلاء الفيروزى ، لكن درجة اللون وتكوين الطَّفلة (أو العجينة) يختلفان . على أن خطوط تحديد سوداء وحمراء ، قد ظهرت لتفصل بين الطلاء المتعدد الألوان فى بلاطات جامع بيبى هانم (١٣٩٩ ـ ١٤٠٤) ومدرسة أولوغ بك (١٤٢٠) فى سمرقند ، وقد نفِّذت بعناية ، وكشفت عن تقدم فى أسلوب الصنعة .

واستخدمت بمسجد المرادية فى بورسة ، بلاطات فسيفسائية ، سادها اللون الأصفر الغامق ، وذلك فى فتحات النوافذ وفى خصرى عقد مدخل الصفة .

ومن الابتكارات التى ظهرت أوائل العصر العثمانى فى مجال البلاطات ، النوع المرسوم تحت الطلاء باللونين الأبيض والأزرق . ونرى هذا النوع ضمن أشرطة تزين حافات فى

مقبرتين بجامع المرادية فى بورسة ومن أجمل أمثلة هذا النوع، ٣٧ بلاطة سداسية الشكل، تضم كل منها أشكالا زخرفية مختلفة عن الأخرى، تغطى الجدران فى مسجد المرادية بادرنة (انظر الصورة) وأهم ما يلفت النظر فى هذا المسجد، محرابه الرائع، المصنوع من بلاطات متعددة الطلاء، على مساحة يبلغ قدرها ٣,٦ × ٨,٥ مترا مربعا؛ وهى أكبر بلاطات المحاريب مساحة، بعد بلاطات محراب الجامع الأخضر فى بورسة، حيث يوجد تشابه كبير بينهما. ولا يُرى أثر للون الأحمر فى التحديدات، وكل ما نلاحظه أن حنية المحراب بها تصميمات من نوع أدق وأرق من تلك التى عرفناها فى بلاطات بورسة. ومن العناصر الموجودة بمرادية أدرنة أيضا، استخدام الخطوط الفاصلة فى البلاطات، إلى جانب استخدام البلاطات الزرقاء، والبيضاء.

ويدخل ضمن هذه المجموعة، محراب رابع، يرجع إلى دار للمرق أسسها إبراهيم بك (١٤٣٢) فى قره مان. وتوجد فى هذا المحراب تحديدات باللون الأحمر، تفصل بين مختلف ألوان الطلاء. وهذا المحراب موجود الآن فى كوشك الخزف (جينلى كوشك) باستانبول.

وإيوان المدخل فى كوشك الخزف (١٤٧٢)، الذى بناه السلطان محمد الفاتح فى استانبول؛ يعتبر قمة الروائع فى صناعة البلاطات الفسيفسائية. ومع أن أسلوب هذا العمل، من حيث مستوى الصناعة والتأثير العام، يتفق وتقاليد الفسيفساء السلجوقية، إلا أن توزيعاته وأزهاره المحاكية للطبيعة وألوانه الفيروزية الأخاذة، تعيد إلى الأذهان أسلوب بلاطات مدينة بورسة .

وأول أمثلة البلاطات ذات الطلاء المتعدد الألوان ، موجود فى استانبول بمسجد وتربة السلطان سليم (١٥٢٢)؛ لكن أبدع الأمثلة هى ما يوجد فى تربة شهزادة محمد (١٥٤٨) وتتفوق هذه البلاطات كثيرا على بلاطات بورسة من حيث دقة الصنعة وروعة اللون وثراء التصميم. والواقع أن ذلك كله، أحال التربة من الداخل، إلى عالم من عوالم الخيال .

وعندما بطل استخدام خطوط التحديد الفاصلة منذ منتصف القرن السادس عشر؛ بدأت تحل محله عملية أخرى هى الرسم تحت الطلاء. وبهذا يكون الخزف العثمانى قد انتقل إلى مرحلة ثانية وعظيمة لهذه الصناعة وما علينا إلا أن نشاهد أسلوب هذه المرحلة الجديدة، فى البلاطات التى تزين جامع السليمانية (١٥٥٧)، وبالذات على جانبى المحراب، وعلى الأجزاء العليا من الجدران. ونشاهد مثلا آخر، أكثر من حيث البهجة والتنوع، فى ضريح خرم سلطان ثم تتوالى التجديدات، الواحد فى إثر الآخر، ويشمل ذلك الألوان والتصميمات معا. ويكفينا هنا للتدليل على ذلك، أن ثمة ٤١ نوعا من أزهار الخزامى (التوليب)، نراها فى بلاطات مسجد رستم باشا، الذى يرجع لعام ١٥٦١ وفى ضريح سليمان القانونى (١٥٦٦) أما البلاطات الموجودة فى مسجد صوقوللى محمد باشا، الموجود إلى جوار السلطان أحمد (١٥٧٢) وفى مسجد بيالة باشا بمنطقة قاسم باشا باستانبول (١٥٧٤)؛ فإنها تكشف عن قفزة متطورة فى ألوانها ومستوى صناعتها. ويظهر من بلاطات هذه الأماكن، استمرار ظهور خط عقيقى اللون، على مدى أربعين عاما، إلى أن اختفى فجأة. ويبدو أن هذه الطفرة الفنية العظيمة كانت من ابتكارات مصانع أزنيق. والواقع أن إنتاج عدة ألوان مختلفة، هى الفيروزى والأزرق والأخضر الغامق الجذاب والأزرق الفاتح والأبيض والأسود أحيانا، واستخدامها فى زخرفة الخزف تحت الطلاء قد خلق أسلوبا صناعيا لا نظير له فى العالم كله. وتتكون التصميمات فى معظمها من الأزهار الطبيعية كالخزامى والسنبل البرى والقرنفل وزهر الرمان والفاونيا. إلى جانب أفرع يانعة من شجر الإجاص ومن براعم الكرز وملئت المسافات التى بين الأزهار بأوراق كبيرة خضراء تشبه الخناجر المقوسة. ولم يحل النصف الثانى من القرن السادس عشر إلا وقد سادت أشكال الأزهار الطبيعية كل أعمال الفنون الزخرفية التركية. ويضم طوب قابى سراى مجموعة من أبدع البلاطات التى لم يستخدم فيها اللون الأحمر العقيقى إطلاقا .

وتبدو ألوان وتصميمات بلاطات الحشوات الكبيرة، التى تزين جدران جانبى محراب مسجد السليمية فى أدرنة عام ١٥٧٤ أكثر تناسقا وانسجاما. أما تلك التى تزين الجناح

السلطاني فتمتاز بثراء أكثر في ألوانها ودقة أعلى في رسومها ومن العناصر الجديدة التي نراها رسوم أفرع شجر الرمان وبراعم شجر التفاح ونشاهد نوعية بلاطات استانبول ذات الخطوط العقيقية الحمراء الزاهية في مسجد الوالدة القديم في أسكدار (١٥٨٢)، وفي مسجد تكية إبراهيم أغا خارج أسوار طوبقبو (١٥٩١)، وفي كل العمائر الهامة حتى نهاية القرن السادس عشر. ويصل هذا النمط إلى نهايته بضريح السلطان مراد الثالث عام ١٦٠٠.

وأحسن ما نصادفه من بلاطات خزفية، فيما يلي بلاطات طوبقابي سراي، هي بلاطات مسجد السلطان أحمد، حيث نجد ٧٠٠ تصميما يختلف بعضها عن بعض، و٢٠٤١٣ بلاطة منفصلة أو منسقة. ويبدو أن الطاقة الفنية وحيوية الابتكار والقدرة على الخلق، كانت قد بلغت حد الجهد، بعد عام ١٦٠٠. ومع أن التصميمات ظلت تحتفظ بكثير من البراعة، إلا أنها نفذت بطريقة محورة؛ كما كانت ندرة استخدام اللون الأحمر مدعاة لانعدام البهجة والقوة.

ثم بدأت بعد ذلك مرحلة زاد فيها التطور والاضمحلال. ونلاحظ أن جدران قاعة احتفالات الختان (سنت أوداسي) التي بناها السلطان إبراهيم في طوبقابي سراي عام ١٦٤٠، قد كسيت ببلاطات تمثل مراحل فنية مختلفة فهناك حشوات عليها وعول (٤٨ × ١٢٦ سم) وحشوات عليها زهريات (٣٤ × ١٢٣ سم)، وكلها مصنوعة من بلاطة واحدة كبيرة الحجم. ولا جدال في أن مثل هذه البلاطات الكبيرة المساحة، ملفتة للنظر؛ وقد سادها اللون الأزرق الفاتح والأزرق الغامق والأرضية البيضاء الناصعة ولا شك أن هذه الحشوات، بقية باقية من أزهى عصور الخزف التركي ازدهارا في القرن ١٦. وفي كوشك بغداد (١٦٣٩) أعمال مطابقة تماما لحشوتي الوعول والزهريات ولكن كل حشوة اشتملت على سبع بلاطات، وضعت الواحدة منها فوق الأخرى. ويظهر اللون الأحمر في هذه البلاطات عن طريق وضع حبات توت حمراء في مناقير الطيور.

ويأخذ التدهور الذي أشرنا إليه في الوضوح، مثلا في البلاطات الموجودة في يني جامع والتربة الملحقة به (١٦٦٩)؛ سواء من حيث الألوان أو من حيث مستوى الصناعة. وبعد عام ١٧٢٥، أقيم مصنع لإنتاج البلاطات الخزفية في قصر تكفور باستانبول، وقد تم إنتاج هذا المصنع في تكية دافود مسجد السلطان أحمد، وفي مسجد حكيم أوغلي على باشا. والواقع أن مستوى إنتاج المصنع كان ضعيفا جدا، كما اقتصرت الوانه على الأخضر والأحمر الزاهي، ثم الأصفر الذي يعود هنا ثانية بعد أن كان الخزافون العثمانيون قد تخلوا عنه بعد مرحلة إزنيك الأولى، وكانت الأرضية ذات لون أزرق مخضر. وهذا الإنتاج المتدهور هو ذاته الذي عجل بغلق المصنع.

ولا بد أن تكون البلاطات العثمانية الشكل هي التي استخدمت في تغطية شكل جامع (الجامع الأخضر) في بورصة من إنتاج مصانع أخرى على غير ذلك من تلك الآثار. فنحن نعلم أن أزنيق كانت أكبر مراكز إنتاج البلاطات الخزفية في القرن السادس عشر؛ وكانت تعمل بإشراف دقيق من إدارة مباني طوبقابي سراي باستانبول. كما كانت كوتاهية واستانبول من مراكز هذه الصناعة في وقت واحد. لكن، بينما كان ضوء شعلة هذه الصناعة يخبو ويكاد ينطفئ في أزنيق، كانت مصانع كوتاهية، وما تزال إلى اليوم، مستمرة وتفرض وجودها بقوة (فرين الك وصاحبهم / ٢٥٤ ـ ٢٥٧).

وهناك نموذج آخر هو البلاطات اليمنية، ويمكن الاطلاع على ما جاء بها في كتاب الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي للدكتور ربيع حامد خليفة ص ٢١١، ٢١٢.

ويزخر المتحف الإسلامي بالقاهرة بأنواع التحف الخزفية المختلفة، ويمدنا دليل المتحف بمعلومات قيمة عنها ننقلها لك فيما يلي:

كشفت أعمال التنقيب عن الآثار في المدن الإسلامية، في مصر والعراق وإيران والشام وشمال إفريقية والأندلس وتركيا، عن كميات وافرة من الخزف ترجع إلى كل العصور والطرز الإسلامية، أكثر مما كشفت عنه من أي نوع من أنواع المنتجات الفنية الأخرى.

ولذلك يعتبر الخزف في طليعة المراجع التي يمكن منها الاستدلال على مدى ما كانت عليه الحياة الفنية في الأقطار

الإسلامية منذ أوائل القرن الثاني للهجرة (٨م) على الأقل ، والتي يمكن منها دراسة تطور العناصر الزخرفية في الطرز المختلفة ودراسة أشكال الأواني وتنوع طرق صناعتها .

ويلاحظ أنه قد عثر في هذه الحفريات إلى جانب منتجات الخزف المحلية على أنواع أخرى كانت تستورد من البلاد الأجنبية ولاسيما من بلاد الصين ، وكان لهذه الأنواع الأجنبية تأثير يذكر في صناعة الخزف وأشكال الآنية وطرق زخرفتها في البلاد الإسلامية منذ القرن الثاني الهجري (٨ م)، وهذا يفسر وجود بعض الأنواع التي تشترك في الأشكال والأساليب الفنية نتيجة لتقليد كل من هذه البلاد لنوع من أنواع الخزف الأجنبية كان يستورد إلى كل منها رأسا وفي نفس الوقت . وفيما يلي نستعرض أهم أنواع الخزف الإسلامي المعروضة في المتحف الإسلامي بالقاهرة الذي يقع في ميدان باب الخلق .

في فجر الإسلام حتى القرن ٤ هـ (١٠ م) .

في مصر والعراق وإيران .

الخزف ذو الزخارف البارزة المضغوطة بالقالب .

من بين أنواع الخزف المصري في العصر الروماني نوع ذو زخارف بارزة مضغوطة على سطح الإناء بالقالب ويكسوها طلاء زجاجي شفاف ملون . واستمرت هذه الصناعة في مصر حتى العصر العباسي ، فكانت تصنع بهذه الطريقة صحون صغيرة ومسارج وأكواب تتألف زخارفها البارزة من صور حيوانات وطيور وأشرطة زخرفية نباتية وكتابات كوفية وكانت تطلى بطلاء زجاجي شفاف ملون باللون الأخضر أو الأصفر أو البني .

وقد عرف هذا النوع في العراق وفي إيران في أوائل القرن الثالث بعد الهجرة (٩ م) ، ولكن غلبت هناك العناصر الزخرفية الهندسية وفروع نباتية محورة عن الطبيعة وقد عرض المتحف بالقاعة ٢ (خزانة ١) ثلاث مسارج من النوع المصري وصحنا (رقم السجل ١٥٩٩٧) عليه زخارف هندسية تحت طلاء أصفر ذهبي يؤرخ بالقرن ٣ هـ (٩ م) .

الخزف ذو البريق المعدني

طريقة رسم الزخارف على الخزف بأكاسيد معينة تجعلها ذات بريق معدني هي طريقة ابتكرها الخزافون المسلمون في القرن الثالث الهجري (٩ م) ولا تزال هذه المسألة موضع جدل بين مؤرخي الفنون من حيث تحديد الموطن الأول لصناعة الخزف ذي البريق المعدني وهل هو مصر أو العراق أو إيران ويكفينا أن نقول إن أوجه الشبه كثيرة بين أقدم الخزف ذي البريق المعدني في كل من هذه البلاد .

وزخارف هذا النوع من الخزف في العراق مرسومة ببريق معدني ذي لون واحد أو متعدد الألوان ، ومن عناصره الزخرفية فروع نباتية محورة ورسوم هندسية وأشكال حيوانات وطيور المعروضة في القاعة ٣ بالخزانة ١ .

ويمتاز الخزف ذو البريق المعدني الذي عثر عليه في مصر وإيران من هذا العصر بما نراه عليه فضلا عن العناصر السابقة من صور الحيوانات والطيور والرسوم الآدمية . وفي القاعة ٢٢ بالخزانة ١٢ تحف من الخزف ذي البريق المعدني الإيراني من بينها الصحن رقم السجل ١٦١٠٢ عليه رسم شخص يجلس القرفصاء وعلى رأسه قلنسوة عالية من أعلاها وهو يعزف على قيثار . وفي القاعة ١٣ بالخزانة ١ تحف مصرية من بينها الصحن رقم السجل ١٦٣٣٥ وعليه رسم أوزة تسبح .

الخزف الأبيض ذو اللونين الأزرق والأخضر فوق الطلاء :

وجد من هذا النوع في العراق وفي إيران . وأشكال الأواني منه تشبه أشكال الأواني من الخزف ذي البريق المعدني المعاصر له . ونرى على هذا الخزف رسوما نباتية وأشجارا وزخارف هندسية . وعلى بعض الصحون توقيع الصانع مثل «مما عمل سهيل» على الصحنين رقمي السجل ١٣٦١٨ و ١٦٠٠٥ ، وتوقيع «عمل صالح» على الصحن رقم السجل ١٦٠٠٤ وهي معروضة بالخزانة ١ في القاعة ٢٢ حيث توجد تحف أخرى من هذا النوع ، وكذلك في الخزانة ١ بالقاعة ٣ .

خزف بلاد ما وراء النهر

ازدهرت صناعة الخزف في بلاد ما وراء النهر ولا سيما في سمرقند ونيسابور فيما بين القرنين ٢و٦ هـ (٨ و ١٢ م) وتأثرت

العناصر الزخرفية بالأصول الساسانية وهى تظهر لذلك فى وضوح وقوة تعبير .

وترسم الزخارف بالبطانة الملونة تحت طلاء زجاجى شفاف سمنى اللون ، أو ترسم بالألوان فوق الطلاء الزجاجى . والألوان التى استعملت هى الأسود والبنى والمنجنيز والأحمر والأصفر والأخضر والأزرق ، وتتألف الزخارف من كتابات كوفية جميلة ومن رسوم حيوانات وطيور ونباتات وعناصر هندسية .

ويوجد من هذا النوع تحف فى الخزانة ١ بالقاعة ١٦ وفى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ .

خزف بخطوط أو نقط من ألوان متعددة

ويعرف فى مصر باسم خزف الفيوم

عثر على تحف من هذا النوع فى العراق وإيران ومصر، وهى مصنوعة من الفخار الأحمر وعليها خطوط أو نقط أو رسوم بسيطة بالألوان الأحمر والأخضر والأصفر والمنجنيز على أرضية بيضاء أو لونها سمنى وتشبه هذه التحف فى مظهرها الخارجى الأوانى الصينية المرشوشة أو المنقوطة بالألوان المتعددة .

ويوجد من هذا النوع بالمتحف صحن (رقم السجل ١٦٠١١) فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٢ وبهذا الصحن زخارف أخرى محزوزة بخطوط رفيعة وتتألف من مراوح نخيلية ودوائر صغيرة، وهو من صناعة إيران فى القرن الرابع الهجرى (١٠ م) وفى القاعة ١٣ بالخزانة ٦ مجموعة من الخزف المصرى من هذا النوع وهو المعروف باسم «خزف الفيوم» ويؤرخ فيما بين القرنين ٣ و ٦ هـ (٩ و ١٢ م) .

الخزف بعد منتصف القرن الرابع الهجرى (١٠ م) .

أولا ـ فى مصر .

١ ـ الخزف ذو البريق المعدنى

تطورت صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى مصر تطورا طبيعيا حتى بلغت أوج ارتفاعها فى العصر الفاطمى . ويمتاز هذا النوع بما وصل إليه الخزافون الفاطميون من دقة التعبير فى الرسوم الآدمية والإتقان فى الزخارف النباتية والكتابية . وقد وصلت إلينا إمضاءات طائفة من الخزافين الفاطميين على تحف من الخزف ذى البريق المعدنى، وعلى رأسهم «مسلم ابن الدهان» و «سعد» وكان لكل منهما مدرسة فى صناعة الخزف لها ذاتيتها ومميزاتها . والراجح أن مسلما عاش فى بداية العصر الفاطمى فإن العناصر الزخرفية فى منتجاته متأثرة بالطراز الطولونى وعليها طابع البساطة والحرية والقوة فى الزخرفة ، أما سعد فنلاحظ فى طرازه شيئا من الدقة والرشاقة والتناسق ، والراجح أنه عاش فى أواخر القرن الخامس أو القرن السادس الهجرى (١١ ـ ١٢م) .

٢ ـ الخزف ذو الزخارف البارزة بالحفر أو المحزوزة تحت طلاء زجاجى من لون واحد

تأثر هذا الخزف فى طريقة تنفيذ زخارفه بالسيلادون المصنوع فى بلاد الصين فى عصر أسرة سونج . وقوام زخارفه رسوم آدمية وصور حيوانات وطيور وزخارف نباتية بارزة بالحفر أو محددة بخطوط محزوزة تحت طلاء زجاجى من لون واحد ، أزرق أو سمنى أو أخضر أو بنى أو منجنيز، ويؤرخ بالقرنين ٦ ـ ٧ هـ (١٢ ـ ١٣م) . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ وكذلك نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف .

٣ ـ خزف دقيق الصنع

يمتاز هذا النوع من الخزف بالدقة فى رسم العناصر الزخرفية ، وبأن رسوم الحيوانات والطيور فيه كثيرا ما تكون محورة عن الطبيعة تحويرا يجعلها فى بعض الأحيان ذات طابع زخرفى أنيق . ويوجد من هذا النوع فى الخزانة ٦ بالقاعة ١٣ كما توجد منه نماذج كثيرة فى قاعة دراسة الخزف . ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٧ هـ (١٣ م) .

٤ ـ الخزف المملوكى

أقبل الخزافون المصريون فى عصر المماليك على تقليد الخزف من نوعى البورسيلان والسيلادون المصنوع فى بلاد الصين سواء فى ألوانه أو فيما يمتاز به من صور الحيوانات والطيور والنباتات القريبة من الطبيعة فى شكلها وما فيها من حركة والمرسومة باللونين الأزرق والأخضر على أرضية بيضاء تحت طلاء زجاجى شفاف كما نراها على البورسيلان، أو

البارزة والمرسومة بخطوط محزوزة تحت طلاء من لون واحد كما نراها على السيلادون.

وإلى جانب هذا الأسلوب الصينى نجد أسلوبا آخر احتفظ بالتقاليد الفنية المتوطنة فى مصر منذ العصر الفاطمى من زخارف عربية ورسوم هندسية.

ولقد وصلت إلينا أسماء بعض الخزافين الذين أنتجوا فى هذا العصر ومنهم: غيبى وغزال والهومزى ودهين وابن الملك والعجيل والشاعر والرزاز وأبو العز. وقد عرض المتحف قطعا عليها توقيعات بعضهم فى الخزانة ٩ بالقاعة ١٣ كما توجد بالقاعة ٥ فى الخزانة ٢ زهرية من الخزف رقم السجل ٤٥٧٧ عليها توقيع الصانع «أبو العز».

وامتاز عصر المماليك بنوع خاص من الفخار المطلى بالمينا عليه زخارف عربية ورسوم هندسية وكتابات نسخية تظهر بارزة بالمينا ذات اللون البنى تحت طلاء زجاجى شفاف ملون باللون الأصفر. ومن أشهر الخزافين الذين وصلتنا أسماؤهم: شرف الأبوانى وعمر وغازى وأحمد الأسيوطى.

واضمحلت صناعة الخزف فى مصر بعد الفتح العثمانى فأخذ القوم يجلبون الخزف من آسيا الصغرى، ولكن هذه الصناعة لم تندثر تماما فى مصر، بل كانت لها نهضة متواضعة فى القرن الثانى عشر الهجرى (١٨ م) على يد خزاف اسمه «عبد الكريم الزريع الفاسى»، وتوجد من آثاره بالمتحف مشكاة من الخزف رقم السجل ٧٥٩ بالقاعة ٢٣ وعليها اسمه وتاريخ سنة ١١٥٥هـ (١٧٤٢م) وفى الشباك الأيمن بالقاعة ١٣ بلاطات عليها اسمه وتاريخ صناعتها.

ثانيا ـ فى إيران

١ ـ الخزف ذو الزخارف المنحوتة أو المحزوزة

(ا) الخزف الأبيض

جدار الأوانى فى هذا النوع من الخزف ذى الزخارف المنحوتة رقيق جدا ومصنوع من عجينة بيضاء ناعمة تشبه مادة البورسيلان، وتنحت الزخارف على الجدار. أو تحز فيه بخطوط غائرة ثم يغطى الجدار بطلاء زجاجى شفاف غير ملون أو بلون عاجى خفيف. والواقع أن هذا النوع من الخزف تقليد للخزف المصنوع فى بلاد الصين فى عهد أسرة سونج، ولكن الخزافين الإيرانيين جددوا فى أشكال الأوانى وزخارفها، فنرى منها الأكواب والسلطانيات والأباريق ذات الأشكال الإسلامية وعليها فروع نباتية متموِّجة وأوراق وكتابات كوفية أو نسخية ورسوم طيور وحيوانات وصور أشخاص ويؤرخ هذا النوع بالقرن ٦هـ (١٢ م) ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ٢ بالقاعة ١٥.

(ب) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء زجاجى من لون واحد:

وحوالى منتصف ٦هـ (١٢م) بدأ الخزافون بتلوين الطلاء الزجاجى لهذا النوع بلون واحد، أزرق أو أخضر أو بنى أو أصفر، ولكننا نلاحظ أن جدار الأوانى ليس فى رقة جدار الخزف الأبيض. وعرض المتحف تحفا من هذا النوع فى المكانين السابقين.

(جـ) الخزف ذو الزخارف المنحوتة تحت طلاء متعدد الألوان:

يعرف هذا النوع باسم «خزف لقبى» ويمتاز عن النوعين السابقين بتعدد ألوان الطلاء لتظهر تفاصيل الرسوم المنحوتة فيه. ونلاحظ أن الزخارف محددة بخطوط بارزة أو غائرة لتفصل بين ألوان الطلاء الزجاجى كى لا يمتزج بعضها بالبعض ويؤرخ هذا النوع الثانى من القرن٦هـ (١٢م). ويوجد منه بالمتحف صحنان أحدهما رقم السجل ١٦٠٤٠ فى الخزانة ٢ بالقاعة٢٢.

٢ ـ خزف منطقة مازنداران

(ا) متعدد الألوان

وينسب إلى مدينة سارى. وهو نوع من الخزف ريفى المظهر عليه رسوم طيور محورة ودوائر بالألوان البرتقالى والأحمر والأخضر والأسود والبنى والمنجنيز.

ويؤرخ بالقرنين ٤ ـ ٦هـ (١٠ ـ ١٢م). ويوجد منه بالمتحف بعض الصحون منها الصحن رقم السجل ١٦٠٣٧ فى الخزانة ٤ بالقاعة٢٢.

(ب) خزف آمل

وينسب إلى منطقة آمُل صحون من الخزف بزخارف محزوزة ملونة بالأخضر على أرضية من لون سمنى، وتتألف من

أشرطة بها شبه كتابة كوفية ورسوم طيور وحيوانات في أساليب تخطيطية محورة عن الطبيعة أو من مناطق برسوم هندسية .

ويؤرخ هذا النوع أيضا فيما بين القرنين ٤ ـ ٦ هـ (١٠ ـ ١٢ م) وتوجد منه عدة صحون في أسفل الخزانة السابقة .

٣ ـ خزف جبري

يطلق هذا الاسم على نوع من الخزف يعرف به في سوق العاديات وله مجموعات جاءت من مراكز مختلفة في إيران ولا سيما من مناطق آمل وزنجان وهمدان وبلد قان .

وزخارفه بارزة بحفر ما يحيط من طبقة البطانة البيضاء الرقيقة حتى يظهر جدار الإناء ذو اللون الأحمر . وتتألف موضوعات الزخارف من رسوم طيور وحيوانات وصور آدمية نجدها كلها محورة عن الطبيعة تحويرا قوي المظهر فضلا عن الكتابات الكوفية والرسوم النباتية . ويرجع هذا النوع إلى ما بين القرنين ٤ ـ ٧ هـ (١٠ ـ ١٣ م) . ويوجد منه بالخزانة السابقة مجموعة طيبة .

٤ ـ الخزف «الميناثي» متعدد الألوان

ينسب هذا النوع إلى مدينتي الري وقاشان ، وزخارفه مرسومة بألوان متعددة بعضها تحت الطلاء وبعضها الآخر فوقه ، ويؤرخ فيما بين القرنين ٦ ـ ٨ هـ (١٢ ـ ١٤ م) . ويوجد منه بالمتحف تحف معروضة في الخزانة ٨ بالقاعة ٢٢ وكذلك في الخزانة ٢ بالقاعة ١٦ .

٥ ـ خزف بزخارف بارزة وطلاء زجاجي أزرق غامق أو فيروزي .

أكثر التحف من هذا النوع مصبوبة في القالب ، وهي عبارة عن قدور وأباريق وسلطانيات وتماثيل من أنواع مختلفة لأشخاص أو طيور أو حيوانات أو غير ذلك . والطلاء الزجاجي الشفاف ملون بأحد اللونين الأزرق الغامق أو الأزرق الفيروزي ، ويؤرخ بالقرنين ٧ ـ ٨ هـ (١٣ ـ ١٤ م) . وقد عرض المتحف تحفا منه في الخزانة ٦ بالقاعة ٢٢ وفي الخزانة ٢ بالقاعة ١٦ .

٦ ـ الخزف ذو الزخارف وباللونين الأزرق والأخضر تحت الطلاء .

وينسب هذا النوع إلى منطقة سلطان آباد ، وتتألف زخارفه من زهور اللوتس ومورقات الشجر والطيور والحيوانات والصور الآدمية . وقد تأثر الفنانون في رسومها بالأساليب الصينية تأثرا ظاهرا وقد تكون أجزاء من زخارف هذا النوع بارزة بعض البروز ويؤرخ بالقرنين ٨ و ٩ هـ (١٤ و ١٥ م) . ويوجد منه في الخزانة ٧ بالقاعة ٢٢ والخزانة ١ بالقاعة ١٤ .

٧ ـ الخزف ذو البريق المعدني

ازدهرت صناعة الخزف ذي البريق المعدني في إيران فيما بين القرنين ٦ ـ ٨ هـ (١٢ ـ ١٤ م) ولا سيما في مدينتي الري وقاشان ، فكانت تصنع منه الأواني من سلطانيات وصحون وأباريق وكذلك البلاطات لكسوة الجدران . وتطورت عناصر الزخرفة وتأثرت تأثرا ظاهرا بالأسلوب الصيني في محاكاة الطبيعة برسوم النباتات والطيور والحيوانات مع تأثيرات صينية كالحيوانات والطيور الخرافية مثل التنين والرخ (فينكس) وتوجد بلاطات من هذا النوع على جدران القاعات ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ كما توجد تحف منه في خزانات القاعات ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ .

وبعد فترة ركود قصيرة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني في القرن ٩ هـ (١٥ م) عادت هذه الصناعة ثانية إلى الازدهار في العصر الصفوي بمدينة أصفهان وبعض البلاد الأخرى . ويمتاز هذا النوع الأخير ببريقه المعدني الذي يختلف بين الذهبي والبني والأحمر النحاسي ، وزخارفه تمتاز بدقتها ومرونة خطوطها . ويوجد منه في الخزانة ١٢ بالقاعة ٢٢ .

٨ ـ خزف كوبتشي

نسبة إلى بلدة في جبال داغستان بالقوقاز ، ويمتاز بعض أنواع منه برسوم المناظر الطبيعية وصور أشخاص وفرسان بألوان متعددة نرى منها اللون الأحمر بارزا على سطح الإناء . ويؤرخ هذا النوع بالقرنين ١١ ـ ١٢ هـ (١٧ ـ ١٨ م) ويوجد منه في الخزانة ٧ بالقاعة ٢٢ .

٩ ـ خزف تقليد البورسيلان

وفق الخزافون الإيرانيون في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (١٦ م) إلى إنتاج نوع من الخزف يكاد يشبه

البورسيلان الصينى تمام الشبه، وهو متنوع الزخارف ولكن معظمها رسوم طيور وحيوانات فى مناظر طبيعية صينية، وكلها باللونين الأزرق والأسود الرمادى على أرضية بيضاء. ويوجد منه فى الخزانة ١ بالقاعة ٤١.

ثالثا ـ فى تركيا.

١ ـ خزف إزنيق (إسنك).

كانت مدينة إزنيق فى آسيا الصغرى أعظم مراكز صناعة الخزف التركى فى القرنين ١٠ ـ ١١ هـ (١٦ ـ ١٧ م) وينسب إليها من هذا العصر نوع من الخزف يعرف فى سوق العاديات باسم «خزف رودس»؛ كما ينسب إلى آسيا الصغرى عامة نوع يعرف باسم «خزف دمشق». وكل من النوعين لا يختلف عن الآخر كثيرا، فهما سواء فى العجينة التى يصنعان منها وفى البطانة الناصعة البياض التى تكسى بها وفى معظم الرسوم التى تحدد بخطوط سوداء وترسم تحت طلاء زجاجى شفاف، ولكنهما يختلفان فى أن النوع الذى ينسب إلى رودس يمتاز بوجود اللون الأحمر الطماطمى بارزا على سطح الإناء، بينما يمتاز النوع المنسوب إلى دمشق بوجود لون بنفسجى إلى جانب الألوان المشتركة بين النوعين وهى الأزرق والأخضر والزيتونى والأسود والزخارف فى النوعين متشابهة غير أن الخزافين كانوا يقبلون فى النوع المنسوب إلى دمشق أكثر من النوع الآخر على رسوم المراوح النخيلية وشجر السرو وعلى نوع من الأوراق الطويلة المسننة يشبه سعف النخل. وإلى جانب هذا نجد فى هذين النوعين رسوم الزهور الطبيعية كالورد والقرنفل وقرن الغزال والسنبل البرى وأنواع من الثمار ورسوم السحب الصينية وقشور السمك والسفن والحيوانات والزخارف الهندسية وغير ذلك. ويوجد بالمتحف بلاطات من النوعين على جدران القاعات ١٤، ١٥، ١٦، ٢٣ كما توجد صحون وأباريق وأكواب وقماقم من النوعين فى خزانات القاعة ٢٣.

٢ ـ خزف كوتاهية

اشتهرت مدينة كوتاهية فى القرن ١١، ١٢، ١٣ هـ (١٧، ١٨، ١٩ م) بصناعة الأوانى من الخزف من أكواب وأباريق وصحون وفناجين وعلب وزهريات وزمزميات وغير ذلك، وقوام زخرفتها زهور ونباتات ورسوم حيوانات وطيور وصور آدمية وذلك بألوان متعددة منها الأزرق والأحمر والأخضر والبنفسجى فضلا عن اللون الأصفر الذى امتاز به هذا النوع. كما صنعت فى كوتاهية تحف بزخارف من لون واحد أو من خزف أبيض وزخارف زرقاء. وتوجد بالمتحف بلاطات من صناعة كوتاهية بالقاعة ١٤ كما توجد صحون وتحف أخرى بخزانات القاعة ٢٣.

٣ ـ خزف چنك قلعة

ينسب إلى هذه المدينة التى تقع على ساحل الدردنيل نوع من الخزف مصنوع من عجينة حمراء، قوام زخرفته موضوعات زخرفية بسيطة ترسم بألوان متعددة هادئة منها الأزرق والأصفر والأحمر والزيتونى. وبعض هذه الزخارف متأثر بالزخارف الأوربية. ويؤرخ هذا النوع بالقرن ١٣ هـ (١٩ م). ويوجد منه بالمتحف فى الخزانة ١ بالقاعة ٢٣.

القاعة ١٣

خصصت هذه القاعة لأنواع من الخزف المصرى فى عصور مختلفة.

وقد عرض المتحف فى خمس من خزانات هذه القاعة على جانبى المدخل وفى الوسط وعلى الجدار الأيسر أرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٥ مجموعة كبيرة من الخزف المصرى ذى البريق المعدنى تختلف تواريخ صناعة تحفها بين القرنين ٣ ـ ٦ هـ (٩ ـ ١٢ م).

وعلى الجانب الأيمن من الحائط القبلى المواجه لمدخل القاعة خزانة ٦ بأعلاها إلى اليمين تحف من الخزف ذى الزخارف المحفورة تحت الطلاء من القرنين ٦ ـ ٧ هـ (١٢ ـ ١٣ م) وإلى اليسار تحف من الخزف دقيق الصنع المتعدد الألوان من القرن ٧ هـ (١٣ م). وعلى الرفين الأوسط والأسفل صحون وقدور من الخزف المعروف باسم خزف الفيوم ذى الألوان المتعددة المرشوشة، وترجع هذه التحف إلى ما بين القرنين ٣ ـ ٦ هـ (٩ ـ ١٢ م).

وعلقت على الجدار فوق هذه الخزانة لوحة بها بلاطات من الخزف من النوع المعروف باسم بلاطات دمياط، وتتألف زخارفها من خطوط هندسية باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء، وهى من القرن ١٢ هـ (١٨ م).

وعلى الجانب الأيسر من هذا الجدار خزانة ٧ بها خزف من عصر المماليك، فى أعلاها خزف مرسوم بالألوان تحت الطلاء، وعلى الرفين الأوسط والأسفل توجد تحف من الفخار المطلى بالميناء كما نرى مجموعة أخرى من هذا النوع من الفخار فى الخزانة الصغيرة ٨ المجاورة لهذه.

وفى الخزانة الكبيرة ٩ التى تتوسط الجدار الأيسر، نجد أجزاء من أوانٍ من الخزف عليها توقيعات صانعيها ويرجع أغلبها إلى عصر المماليك، كما نجد فى هذه الخزانة بعض الأوانى الصغيرة من الخزف مثل أغطية الأوانى والأباريق والأكواب وغير ذلك.

وعلى جدران هذه القاعة علقت مجموعات من قطع من الخزف والفخار المطلى تمثل بعض أنواع الخزف المصرى من خزف ذى بريق معدنى أو محفور تحت الطلاء أو خزف مصرى تقليد للبورسلان أو السيلادون الصينى أو أجزاء من الفخار المطلى بالمينا عليها رنوك مختلفة الشارات.

وعلى الجدار الأيمن لهذه القاعة مجموعات من بلاطات الخزف بعضها على الجانب الأيمن باسم السلطان الأشرف الغورى.

وفى الشباك الأيمن لوحتان من بلاطات عليها توقيع الخزاف عبد الكريم الزريع إحداهما مؤرخة سنة ١١٧١ هـ (١٧٥٧ م) والأخرى سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م). ولهذا الخزاف أيضا مشكاة من الخزف معروضة فى الخزانة ٣ بالقاعة ٢٣ عليها اسمه وتاريخ سنة ١١٥٥ هـ (١٧٤٢م).

ومن أهم التحف المعروضة فى هذه القاعة:

خزانة ١ إلى يمين مدخل القاعة

رقم ١٦٣٣٥ ـ صحن صغير من الخزف ذى البريق المعدنى المبكر الزيتونى اللون، عليه رسم محور لأوزة تظهر وكأنها تسبح، وعلى حافة الصحن صفوف من نقط صغيرة مثلثة الشكل تشبه رؤوس السهام أو القلب، وهى عنصر زخرفى نلاحظه فى هذا الخزف ذى البريق المعدنى المبكر.

مصر ـ القرن ٣ هـ (٩ م)

رقم ٧٩٠٠ ـ صحن من الخزف ذى البريق المعدنى عليه رسم قارب ذى مجاديف وترفرف عليه الأعلام، ورسم تحت القارب ثلاث سمكات تسبح حتى يخيل للناظر إلى القارب أنه يسير فوق الماء. مصر ـ القرن ٤ هـ (١٠ م)

(دليل متحف الفن الإسلامى / ٧٣ ـ ٨٥)

وثمة بيانات عن معروضات خزفية أخرى وردت فى الدليل فى الصفحات ١٥٥، ١٥٦، ١٤٣، ١٤٧ فارجع إلى المصدر إن شئت الاستزادة.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٥، ١٢٦، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٣٩، وموسوعة العمارة الإسلامية ـ د. عبد الرحمن غالب / ١٥٩، ١٦٠، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين ـ أنور الرفاعى / ١٥٤ ـ ١٥٩، وموضوعات فى الفنون الإسلامية ـ د. محسن محمد عطية / ٩٤ ـ ١٠٠، والفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ـ د. ربيع حامد خليفة / ٢٠٥ ـ ٢١٢، والفن الإسلامى ـ د. عبد الرحمن زكى / ٩٩، ١٠٠، و «فى العمارة فى التحف الفنية ـ د. أحمد فكرى. أثر العرب فى النهضة الأوربية / ٤٠٥، ٤٠٦، وفنون الترك وعمائرهم لأوقطاى آصلان آبا ـ ترجمة أحمد محمد عيسى / ٢٥٤ ـ ٢٥٧، ودليل المتحف الإسلامى. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٥٢/ ٧٣ ـ ٨٥. انظر أيضا الفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ٢٦٢ ـ ٢٧٥، والفنون الإسلامية ـ م. س. ديمان / ١٦٤ ـ ٢٣٩، ودراسات فى الفنون والعمارة الإسلامية ـ د. محمود وصفى محمد / ٥٦ ـ ٥٨، و «الفنون الزخرفية» ـ د. سعاد ماهر. دراسات فى الحضارة الإسلامية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥. المجلد الأول / ٢٨٢ ـ ٢٩٢).

انظر مادة «التوريق» فى م ١١/ ٦٦ ـ ٧٢. وانظر صورة التكسية بالقاشانى لجدار القبلة فى جامع آق سنقر فى م ١ / ٤٩٣.

* **الخزفى:**

قال السمعانى:

الخَزَفى: بفتح الخاء المعجمة والزاى وفى آخرها الفاء،

هذه النسبة إلى بيع الأوانى الخزفية واشتهر بهذه النسبة الإمام أبو بكر محمد بن على الراشدى الخزفى، من أهل سرخس، ولعل بعض أجداده كان يعملها ويبيعها، كان فقيها فاضلا دينا خيرا مرجوعا إليه فى الفتاوى، وكان عالما بالنحو والأدب، تفقه أولا على محمد بن أحمد السانواجردى وأدرك آخر عهده، ثم تفقه على أبى محمد الزيادى، سمع أبا الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه الرواسى الحافظ، حج سنة أربع وثلاثين، وتصاحبنا فى الطريق وظنى أنى سمعت منه شيئا يسيرا، وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة سبع وأربعين وخمسمائة فى العشر الأواخر. وأما أبو الحسن محمد ابن الفضل بن على بن العباس بن الوليد بن بهراذان بن جعفر الناقد الحربى الخزفى، كان ينزل ساباط الخزف موضعا ببغداد، حدث عن عبد الله بن محمد البغوى ويحيى بن محمد بن صاعد، قال أبو بكر الخطيب: حدثنى عنه أبو القاسم الأزهرى ونسبه لى وسألته عنه فقال: ثقة. وقال أحمد ابن محمد بن الفضل الحربى مات لأربع بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة؛ قال: وكان ثقة مأمونا انتقى عليها الدارقطنى.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٦١، ٣٦٢. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٤، ٥١٥).

*** الخزل:**

قال الجرجانى:

الخزل: هو الإضمار والطى من متفاعلن، يعنى إسكان التاء منه وحذف ألفه ليبقى متفعلن. فينقل إلى مفتعلن، ويسمى أخزل (التعريفات / ١٣٢).

وجاء فى اللسان: الخَزْل والخُزْلة فى الشعر ضرب من زحاف الكامل، سقوط الألف وسكون التاء من متفاعلن، فيبقى مُتْفَعِلُنْ، وهذا البناء غير مقول فيُصرف إلى بناء مقول وهو مُفْتَعِلُنْ وبيته:

منزلةٌ صَمَّ صداها وعفت
أرسمُها إن سُئلت لم تُجب

الليث: الخُزلة سقوط تاء متفاعلن ومفاعلتن، وبعضهم يقول: خزلة كقوله:

وأعطى قومه الأنصار فضلا
وإخوتهم من المهاجرينا

وتمامه: من المتهاجرينا. قال: ولا يكون هذا إلا فى الوافر والكامل، ومثله:

لقد بححت من النداء
ء بجمعكم: هل من مُبارز؟

تمامه: ولقد بالواو، ويسمى هذا أخزل ومخزولا (لسان العرب ١٢ / ١١٥٢)

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٢ ولسان العرب لابن منظور ١٢/ ١١٥٢).

*** الخَزم:**

الخَزْم: أُخذ من خزمت البعير إذا جعلت فى أنفه خزامة. وهو زيادة فى أول البيت لا يُعتد بها فى التقطيع. ولا يكون الخَزْم إلا فيما أوله وتد وقد تكون الزيادة حرفا أو حرفين وأكثرها أربعة أحرف (معجم مصطلحات العروض والقافية / ١٠٣).

قال ابن رشيق:

ويأتون بالخزم ـ بزاى معجمة ـ وهو ضد الخرم ـ بالراء غير معجمة، الناقص منهما ناقص نقطة، والزائد زائد نقطة ـ وليس الخزم عندهم بعيب؛ لأن أحدهم إنما يأتى بالحرف زائدا فى أول الوزن، إذا سقط لم يفسد المعنى، ولا أخل به ولا بالوزن، وربما جاء بالحرفين والثلاثة، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف، أنشدوا عن على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ورضى عنه:

أُشدد حيازيمك للموت
فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت
إذ حل بواديكا

فزاد «أشدد» بيانا للمعنى لأنه هو المراد. قال كعب بن مالك الأنصارى يرثى عثمان بن عفان رضى الله عنه:

لقـــد عجبت لقـــوم أسلمـــوا بعـــد عـــزهم

إمـــامهم للمنكـــرات وللغـــــدر

فزاد «لقـد» على الوزن، هكـذا أنشدوه. وأنشد الـزجاج ـ وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته:

نحـن قتلنـــــا سيـــــد الخـــــزر

ج سعـــــــد بـن عبـــــــــاده

رمينـــــــــــــــاه بسهميـــن

فلــم نُخْــط فــــــــــــؤاده

فزاد على الوزن «نحن» وأنشد الزجاج أيضا:

** بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا **

فزاد «بل» وأنشد أيضا:

يـــامطـــر بـن خـــارجـــة بن مسلم إنني

أُجفَـــى وتغلـق دونـــى الأبـــــــواب

و إنما الوزن «مطر بن خارجة» والياء والألف زائدة.. ومما جـاء فيه الخـزم فى أول عجـز البيت وأول صـدره، وهو شـاذ جدا، قول طرفة:

هـل تـــذكـــــرون إذ نقـــــاتلكم

إذ لا يضـــر معـــدمـــا عـــدمـــه

فـزاد فى أول صـدر البيت «هل» وزاد فى أول العجـز «إذ» والبيت من قصيدته المشهورة:

أشجـــاك الـــربع أم قِـــدَمُــــه

أم رمــــــاد دارس حُممـــــــــه

وقـال جـريبـة بن الأشيم أنشـده أبـو حـاتم عن أبى زيـد الأنصارى:

لقـــد طـــال إيضـــاعى المخـــدَّم لا أرى

فـى النـــاس مثلـى مـن معـــد يخطـب

حتـى تـأوبـت البيـــــوت عشيـــــة

فـــوضعت عنـــه كـــوره تتثـــاءب

فـاللام فى «لقـد» زائدة، وصـاحب هـذا الشعر جـاهلى قديم، وقالت الخنساء:

أقـــــذى بعينـك أم بـــــالعيـن عُــــوَّار

أم أوحشـت إذ خلت مـن أهلهـــا الـــدار

فزادت ألف الاستفهـام، ولو أسقطتـا لـم يضر المعنى ولا الـوزن شيئا، وروى أن أبـا الحسن بن كيسان كـان ينشد قـول امرىء القيس:

كأن ثبيرا فى عرانين وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول:

** وكأن ذرى رأس المجيمر غُدوة**

** وكأن السباع فيه غرقى عشية**

معطوفا هكذا؛ ليكون الكلام نسقا بعضه على بعض

وقال عبـد الكريم بن إبـراهيم: مذهبهم فى الخـزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التى تعطف الاسم علـى الاسم والفعل على الفعل والجملـة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامـة الناقة، ومن شأنهـم مد الصـوت فجعلوه عـوضـا من الخرم الـذى يحـذفونـه من أول البيت.

وقـد قـال غيـره: إنمـا أسقطـوه كأنهم يتـوهمـون أنـه فى السكتة؛ فلذلـك جعلوه فى الوتد المجمـوع؛ لأن المفروق لو أسقطوا حـركته الأولى لبقى أوله سـاكنا، ولا يبتدأ بـالساكن، فيسقط أيضـا، والسكتة لا تحمل عنـدهم إلا حـرفا واحـدا؛ وهذا اعتلال مليح بيِّن جدا (العمدة ١/ ١٤١، ١٤٣).

(معجم مصطلحات العروض والقافية ــ د. محمـد علـى الشوايكة، و د. أنـور أبو سـويلم / ١٠٣، والعمـدة فى محـاسن الشعر ونقـده لابن رشيق ـ حققه وفصلـه وعلق حواشيه محمد محيى الـدين عبد الحميد ١/ ٣٤١ـ٣٤٣).

*** الخزَم:**

انظر: الخزامى

*** ابن خُزيمة (٢٢٣ ـ ٣١١ هـ / ٨٣٨ ـ ٩٢٤ م):**

من رواة الحديث من التابعين، وهو محمد بن إسحاق بن خـزيمة بن المغيـرة السلمى بالـولاءة النيسابـورى، أبو بكـر، المشهور بابن خزيمة، المحدث الفقيه المجتهد.

مولده ووفاته بنيسابور، سمع الحديث فيهاوالكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط .

جمع بين الفقه والحديث، وكان إمام نيسابور فى عصره، ويعُرف عند المحدثين والفقهاء بإمام الأمة، وكان أحد أعلام الأمة بحفظ الحديث والفقه والقراءة والزهد، وبلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان يدرّس، ويُفتى ويناظر ويحدِّث فى نيسابور (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين . ولد فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين رحل إلى الرى وبغداد والبصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر وواسط، وسمع الحديث من خلق كثير منهم إسحاق بن راهويه ومحمد بن حميد الرازى ولم يحدث عنهما لكونه سمع منهما فى صغره، وحدث عن محمود بن غيلان ومحمد بن إبان المستملى وإسحاق بن موسى الخطمى وأبى قدامة السرخسى وغيرهم، وروى عنه الأئمة الكبار كالبخارى ومسلم خارج الصحيح ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم شيخه ويحيى بن محمد بن صاعد وأبو على الغسانى وإسحاق بن سعد النسوى وخلائق كثير.

كان ابن خزيمة قبلة العلم والعلماء وإماما يقصده الناس من كل ناحية .

كالبحر يقذف للقريب جواهرا

كرما ويبعث للغريب سحائبا

وكان شديد التحرى للحديث حتى ليتوقف فى التصحيح لأدنى كلام يقال فى الإسناد . روى الحاكم عن أبى العباس بن سريج أنه قال فيه : «إنه يخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش» وقال الربيع بن سليمان : «استفدنا من ابن خزيمة أكثر مما استفاد منا» وقال محمد بن حبان التميمى : «ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق»، وقال الدارقطنى : «كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدوم النظير». عده الحاكم من فقهاء الحديث قال : «ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء فإن فقه حديث بريرة ثلاثة أجزاء ومسألة الحج خمسة أجزاء» وله كتاب الصحيح وهو من أجل كتب الحديث يتلو صحيح مسلم بن الحجاج على ما ذكره السيوطى فى ألفيته إلا أنه قد انعدم أكثره . توفى رحمه الله سنة ٣١١ هـ (الحديث والمحدثون / ٣٤٧، ٣٤٨).

وله أيضا «كتاب التوحيد»، و «إثبات صفة الرب» (مرجع العلوم الإسلامية / ٢٥٤).

وهكذا كانت مؤلفاته وعلمه فقد بلغ رتبة الاجتهاد وإن كان يذكره المؤلفون فى طبقات الشافعية شافعيا روى عنه أنه قال :

ما قلدت أحدا منذ بلغت سنة عشر وكان يرى رأى السلف فى الصفات والقرآن وإن كان لم يسلم من تقول المفترين عليه وقد كذبهم فيما يدعون عليه (السنة النبوية وعلومها / ٣٢٦).

وقد ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب الكتب التى التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين فقال عن صحيح ابن خزيمة : منها صحيح أبى بكر محمد بن إسحاق (بن خزيمة) بن المغيرة السلمى النيسابورى الشافعى شيخ ابن حبان المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . ويعرف عند المحدثين بإمام الأئمة ا هـ (الرسالة المستطرفة / ١٦).

(مرجع العلوم الإسلامية ــ د. محمد الزحيلى / ٢٥٤، والحديث والمحدثون ــ محمد محمد أبو زهو / ٣٤٧، ٣٤٨، والسنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٣٢٦، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتانى / ١٦).

*** خزيمة بن ثابت:**

خزيمة بن ثابت الصحابى رضى الله عنه تكرر فى المهذب فى أول باب الإحرام بالحج وفى عشرة النساء والشهادات هو أبو عمارة خزيمة بن ثابت بن عمارة بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصارى الأوسى الخطمى المدنى (تهذيب ١/ ١٧٥).

ذو الشهادتين، أمه كبشة بنت أوس الساعدية (الرياض المستطابة / ٦٦)، وسمى خَطْمة لأنه ضرب رجلا على خطمه شهد خزيمة مع رسول الله ﷺ بدرا وما بعدها من المشاهد وكان خزيمة وعمير بن عدى يكسران أصنام بنى خطمة وكانت

راية بنى خطمة بيده يوم فتح مكة وشهد مع على رضى الله عنه الجمل وصفين ولم يقاتل فيهما فلما قتل ابن ياسر بصفين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتل عماراً الفئةُ الباغية فسل سيفه وقاتل حتى قتل وكانت صفين سنة سبع وثلاثين (تهذيب ١/ ١٧٥، ١٧٦).

روى عنه ابنه عمارة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم اشترى فرسا من سواء بن قيس المحاربى، فجحده سواء، فشهد عليه خزيمة، فقال له رسول الله ﷺ: ماحملك على الشهادة؟ قال: صدَّقتُ بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقا. وروى أنه قال: نصدقك فى خبر السماء ولا نصدقك فى خبر الأرض! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه. وعنه أيضا عن أبيه (خزيمة) أنه رأى فى منامه أنه سجد على جبهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فاضطجع له النبى ﷺ وقال: صدَّق رؤياك. فسجد على جبهته. وروى عن أنس قال: تفاخرت الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا ذو الشهادتين، وغسيل الملائكة، ومن اهتز لموته عرش الرحمن وحَمِيُّ الدَّبْر. فقالت الخزرج: منا أربعة حفظوا القرآن كله فى حياة رسول الله: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، رضى الله عنهم أجمعين.

خرَّج مسلم لخزيمة حديثا واحدا مشتركا بينه وبين أسامة، وخرَّج عنه الأربعة، وعنه ابنه عمارة وابن أبى ليلى وآخرون (الرياض المستطابة / ٦٦، ٦٧).

روى له عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثا. ومن أجلِّ مناقبه أن رسول الله ﷺ جعل شهادته كشهادة رجلين فكان يسمى ذا الشهادتين. روينا فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ جعل شهادة خزيمة بن ثابت شهادة رجلين (تهذيب ١ / ١٧٦).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٧٥، ١٧٦، والرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر اليمنى / ٦٦، ٦٧. انظر أيضا مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١٢٦، ١٢٧، والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٥ وما جاء بهامش (١) من مصادر.

انظر: الخُزَيْمى

* **الخُزَيمى:**

قال السمعانى:

الخُزَيمى: بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفى آخرها الميم، هذه النسبة إلى أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر النيسابورى الخزيمى (إمام الأئمة)، (انظر ترجمته تحت عنوان «ابن خزيمة» اتفق أهل عصره على تقدمه فى العلم، حدث عن إسحاق بن راهويه وعلى بن حجر وعلى بن خشرم المروزيين، ورحل إلى العراق والشام ومصر؛ وجماعة إليه ينسبون يقال لكل واحد منهم الخزيمى، وكان أدرك أصحاب الشافعى وتفقه عليهم، ومات فى ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ودفن فى داره ثم جعلت مقبرة.

وعلى بن محمد الخزيمى، سمع سريا السقطى، روى عنه العباس بن يوسف الشكلى.

وحفيد أبى بكر بن خزيمة هو أبو طاهر محمد بن الفضل ابن محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى الخزيمى، من أهل نيسابور من أولاد الأئمة سمع جده وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج وأبا العباس الماسرجسى وجماعة سواهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عثمان سعيد بن محمد البحيرى وأبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى وأبو سعد محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكنجروذى وأبو بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربى، وغيرهم، وذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ فقال: أبو طاهر حفيد إمام المسلمين أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة كاتبوه للتزكية سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقد كان سمع الكثير من جده أبى بكر وأبوى العباس السراج والماسرجسى، فعقدت له المجلس للتحديث فى شهر رمضان من سنة ثمان وثلاثمائة، ودخلت بيت كتب جده وأخرجت له مائتين وخمسين جزءا من سماعاته الصحيحة وحملت إلى منزلى فخرجت له الفوائد فى عشرة أجزاء؛ وقلت دع الأصول عندى صيانة لها وحدَّث

بالفوائد، فلما كان بعد سنين حمل تلك الأصول وفرقها على الناس وذهبت، ومد يده إلى كتب غيره فقرأ منها، ثم إن أبا طاهر مرض وتغير بزوال العقل فى ذى الحجة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة فإنى قصدته بعد ذلك غير مرة فوجدته لا يعقل، وكل من أخذ عنه بعد ذلك فلقلة مبالاته بالدين، وتوفى فى جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ودفن فى بيت جده بقربه.

وأبو بكر محمد بن على بن محمد بن على بن خزيمة العطار الخزيمى، من أهل نسا، كان شيخا دينا فقيها صالحا، من المشاهير، وكانت إليه التزكية، سمع جده محمد ابن على الخزيمى وأبا عامر الحسن بن محمد النسوى وغيرهما، حدث ببلده وبنيسابور، وكتب إلىَّ بالإجازة بجميع مسموعاته، وروى لى عنه أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشحامى بنيسابور وأبو الفتح سعد بن محمد بن على الخزيمى وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الخالق التميمى وأبو عمرو عثمان بن الفرج الطاهرى، بنسا وغيرهم، توفى بنسا فى رجب سنة عشر وخمسمائة.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٣٦٢ ـ انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١/ ٥١٥، ٥١٦).

*** خزينة العلاج:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الصيدلة.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٠٩٩٦

لأبى القاسم حكيم سيد على المتخلص بشوق الذى كان حيا سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦ م. الأول «الحمد لله الذى خلق المواليد بتجليات قدرته وأودع فيها الخواص والتأثيرات لأشرف مخلوقاته...».

استفاد المؤلف فى وضع هذا الكتاب من كتب الطب المشهورة وانتخب منها وطابقها مثل كتاب القانون لابن سينا والأسباب والعلامات للسمرقندى وشروح الموجز وتذكرة الأنطاكى وتحفة المؤمنين والقرباذين القادرين وغيرها..

كتبه المؤلف سنة ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦ م، ورتبه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. المقدمة فى المبادىء التى يجب أن تتقدم. الفصل الأول فى شرح الأدوية والأغذية المفردة بأسمائها اليونانية والعربية والفارسية والهندية وقد رتبها على حروف الهجاء.

الفصل الثانى فى معالجة الأمراض لكل واحد منها مشتملة على قواعد كلية وأدويته المخصوصة.

الفصل الثالث فى إصلاح بعض الأعضاء بالأدوية

الفصل الرابع فى أحوال غير ما كان لمرض كمصنفات الصوت ومجففات اللبن فى الثدى.

الخاتمة فى فوائد متفرقة

نسخة جيدة فى صفحة العنوان طبعة ختم مؤرخة ١٢٣٥ هـ/ ١٨١٩ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٩٨، ٩٩).

*** خزينة العلماء وزينة الفقهاء:**

خزينة العلماء وزينة الفقهاء: للشيخ محمد البلغارى وهو مختصر فى الموعظة أوله: الحمد لله الذى لم يلده والد... إلخ أورد فيه من الأحاديث والآثار والحكم.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧٠٤).

*** الخس:**

أورده المظفر الرسولى فى المعتمد نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى:

قال:

الخس: «ع» جيد للمعدة، مبرد، منوم، مدر للبول. وإذا طبخ يكون أكثر غذاء وإذا أُكل كما يقلع وافق الذين يشكون

مِعَدَهُم ... وإذا أكل دائما أحدث غشاوة على العين . والخس البرى شبيه بالخس البستانى ، غير أنه أكبر منه ساقا ، وأشد بياضا ، وأدق وأخشن . وطعمه مر ، ولبنه شبيه بلبن الخشخاش الأسود ، وهو نافع لقروح قرنية العين ، وينوم ، ويسكن الوجع ، ويدر الطمث ، ويشفى لسعة العقرب ، ونهشة الرتيلاء . والخس بارد رطب ، وليس فى الغاية ، ولولا ذلك لكان مما لا يؤكل لكن برودة الخس كبرودة مياه الغدران ، وهو أجود البقول غذاء ، لأنه يولد دما ليس بكثير ولا بالردىء ، إلا أنه ليس فى غاية الجودة ، ويبرد المعدة الحارة ، ويصلح للشيوخ مسلوقا لمداومة السهر ، وإذا دق وضمد به اليافوخ سكَّن الحرارة فى الرأس والهذيان ، وهو سريع الهضم ، وهو دواء لاختلاف المياه وتغيرها ، وتغير الأرضين ، ويسكن وجع الثدى ، وإذا أخذ نيئا سكن الصداع المتولد عن أبخرة صفراوية ، ولا يصلح لمن به قيح فى صدره ، أو ربو ، أو خلط يحتاج أن يرمى به ، فإنه يخنق هؤلاء خنقا سريعا .

«ج» الخس بارد رطب فى الدرجة الثالثة ، وقيل إن بزره فى الثانية وغير المغسول منه أقل توليدا للرياح ، وإن استعمل فى وسط الشراب منع من أمراض السكر ، وينفع من الأورام الحارة والحمرة طلاء ، ويضمد به الوثء ، وينوم ، ويزيل السهر نيئا ومسلوقا ، وينفع من الهذيان وإحراق الشمس الرأس ، ويضمد به الورم الحاد ، ولبن البرى منه يجلو آثار القرنية ، ونصف درهم ربما أسهل كيموسا مائيا ، ودوام أكلها يضعف العين ويظلمها .

«ف» من البقول . برى ، وبستانى بارد رطب فى الثانية ، ينفع من العطش وبالخل من اليرقان ، ويشهى الطعام . الشربة منه : بقدر الحاجة .

وجاء فى هامش : عن ص . ق (لعلهما اختصار اسم المصحح) ما يلى :

الخس : بارد رطب ، يسكن اللهب العارض فى المعدة الحارة ، والدم المتولد منه أفضل من الدم المتولد من سائر البقول . منفعته : إدرار البول ، ملين للطبيعة ، مسكن حرارة المعدة ، مطفىء حدة الدم ، جالب للنوم . دفع ضرره : أن يؤكل كما يقلع ، من غير أن يغسل بالماء ، ويؤكل بعده الزنجبيل المربى لمن كان مزاجه باردا . والله أعلم . عن هامش ص ، ق (المعتمد ١ / ١٢٦ ، ١٢٧) .

أما الشيخ داود الأنطاكى فيقول عنه فى تذكرته :

الخس نبت من خضروات البقول ينمو ويزيد على الزفر والزبل والمياه ويخرج طبقات متراكمة على أصل صنوبرى ، وهو على قسمين غليظ خشن شديد المرارة بلا ساق ، وقسم سبط غض يقوم له ساق فوق شبر وكل منهما برى ينبت وبستانى يستنبت ويدرك بالخريف والربيع له زهر أبيض يخلف بزرا ليس بالمستدير وهو بارد رطب فى الثانية والبرى فى الأولى يدفع تغيرات الهواء الوبائى والماء والسعال اليابس والعطش ويكسر سورة الدم إذا أكل بعد نحو الفصد والحميات المحرقة والخلفة والسهر المزمن مفردا فى الشباب ومع الصندل فى الشيخوخة ويولد دما صالحا ليس بالكثير كما هو شأن البقول وينفع من ضرر اليابسين وأمراضهما كالبثور والحكة والجنون والجذام ومزاوره ألطف المزاور وأنفعها خصوصا فى الحميات ويفتح السدد ويدر ويفتت ويمنع الحرقة ولبنه ينفع من السموم وخصوصا العقرب والبياض والجرب طلاء وكحلا والنزلات والأورام دهنا ويسهل الأخلاط شربا وبزره يصلح الأدمغة وأوجاع الصدر ودهنه يحلل الصلابات مطلقا ويرطب جفاف الرأس وينفع من الصرع والماليخوليا عن يبس ويبطىء بالسكر ورماده يلحم القروح وذهب القلاع ومع العسل يجلو الآثار وبدهن الورد يطوّل الشعر... وهو يولد رياحا غليظة وقراقر ونسيانا يصلحه الكمون والنعنع والكرفس وأن لا يغسل . والشربة من عصارته إلى ثلاثين وبزره إلى اثنين ولبنه إلى نصف والبرى أقوى وبدله الأفيون (التذكرة ١ / ١٣٩) .

وعن إفلاحه يقول القزوينى فى عجائبه :

قال صاحب الفلاحة : إذا تركت بزره فى وسط النانخواه ثم زرعته يسلم منه جميع الآفات ، وإذا أخذت بعر الجمل ونقبتها وتركت فيها بزر الخس والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت علها هذه الأنواع الثلاثة

على ساق، وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات، والخس يجلب النوم ويدفع العطش (عجائب المخلوقات / ١٨٦).

وقد أفرد له السيوطي مقامة من مقاماته جاء فيها ما يلي.

الخس وما أدراك ما الخس بارد رطب أشد من الهندبا ترطيبا وأوفى في التطفئة، وتسكين العطش نصيبا، مبرد للبطن منوم، مدر للبول إذا عليه دووم، وإذ طبخ فهو أكثر في الغذاء، وإذا أكل كما قلع غير مغسول وافق من يشتكي من معدته أذى، وينفع من الحمرة والورم الحار، وليكثر من أكله من معدته تولد المرار.

قال ابن البيطار: ولم أجد شيئا من البقول يُداوى به السهر غيره، والخلط المتولد منه بارد رطب لا يوازي بقل خيره، إذ ليس يعرض له رداءة الاستمرار كما يعرض لسائر البقول، والبطن معه لا هو مطلق ولا معقول، وهو يهيج للإنسان بشهوة المأكول، وينفع من اللدغ العارض في المعدة، ومن حرقة المثانة التي هي من خلط صفراوي متولد هو في السعال الذي لا نفث معه، وهو من مادة رقيقة تنجلب من الرأس الدمعة، ويغزر اللبن ويذهب اليرقان، ويسكن حرارة الرأس والهذيان، ويسكن وجع الثدي، وهو دواء لاختلاف المياه والأرضين والهواء، وإن أكل بالخل نيئا سكن المرار والصداع المتولد عن صفراوي البخار، وإذا عجن بمائه دقيق الشعير سكن الورم الحار من العين، والإكثار من أكله يضعف البصر ويكسبه الغشاوة والغيم، وبزره يسكن وجع الصدر ولدغة العقرب والهوام ...

وفيه يقول الشاعر

أتاني الغلام قبيل الطعام
وقد حم جسمي بخس نضير
كقضب اللجين بأطرافها
لمبصرها عذبان الحرير

(المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر الرسولي ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ١٢٦، ١٢٧، وتذكرة أولي الألباب لداود بن عمر الأنطاكي ١ / ١٣٩، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ١٨٦، ومقامات السيوطي للإمام جلال الدين السيوطي تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، ومحمد السعيد بن بسيوني زغلول / ٢٩. انظر أيضا مفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقي العمد / ١٤٩، ١٥٠، والطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر الستازي، تعريب وتقديم د. عبد الهادي الستازي / ١٣٥).

*** خسرو:**

«خسرو» لفظ فارسي معناه ملك، وتعريبه كسرى

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٥).

*** خسرو إيران**

أطلق لقب «خسرو إيران» على أبي الفتح محمد بن قرا أرسلان في نص تعمير بتاريخ سنة ٥٧٩ هـ في باب ارفا في ديار بكر، وكذلك على أبي الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في نقش بتاريخ سنة ٦٢٥ هـ على اسطرلاب من سوريا.

(الألقاب الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٧٥).

*** خسرو باشا (سبيل وكتاب ـ) (٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) أثر ٥٢:**

قال الأستاذ محمود أحمد:

هذا السبيل أمام مارستان قلاوون ويحجب جزاء من المدرسة الصالحية. أنشأه خسرو باشا والي مصر في دولة السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الأول. (هو أحد ولاة مصر المعينين من قبل الدولة العثمانية، وليها سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) نيابة عن سليمان باشا وبقي نائبا عنه نحو سنة وعشرة شهور إلى أن عاد إليها في رجب سنة ٩٤٣ هـ ١٥٣٧ م).

وهو سبيل له وجهتان بهما زخارف مدقوقة في الحجر ويعلوه كتاب منسجم الشكل متناسب الأوضاع حليت أعتاب شبابيكه بالرخام، ومكتوب عليه اسم المنشيء وألقابه وتاريخ الإنشاء.

وبه من الداخل سقف منقوش بالذهب والألوان. وأرضية من الرخام الدقيق وسلسبيل من الرخام.

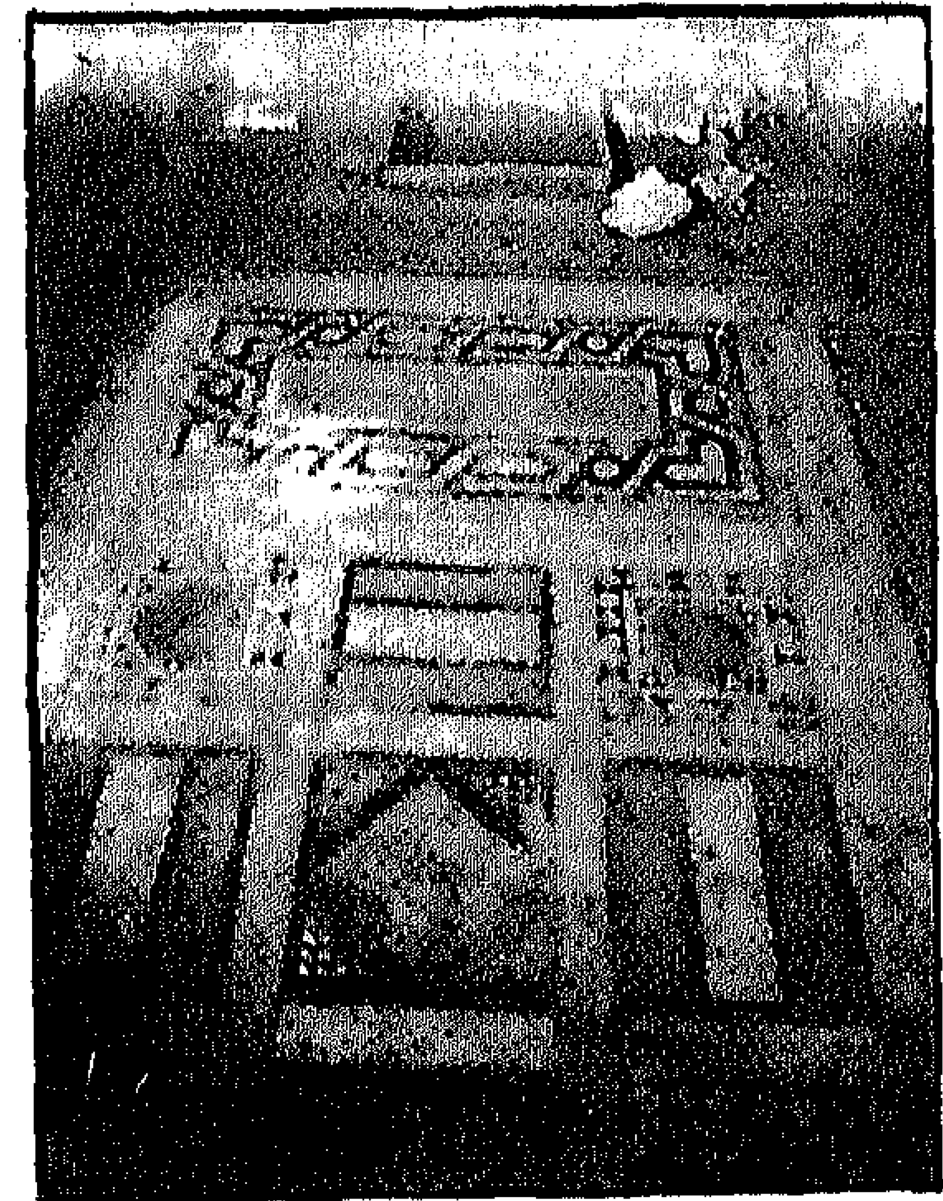
وهو ثانى سبيل وكتاب أنشىء مستقلا إذ الأول سبيل وكتاب الأشرف قايتباى بالصليبة (دليل موجز / ١٨٧).

وقد وصف الدكتور محمود حامد الحسينى هذا الأثر وصفا مفصلا ننقله لك فيما يلى يقول المؤلف:

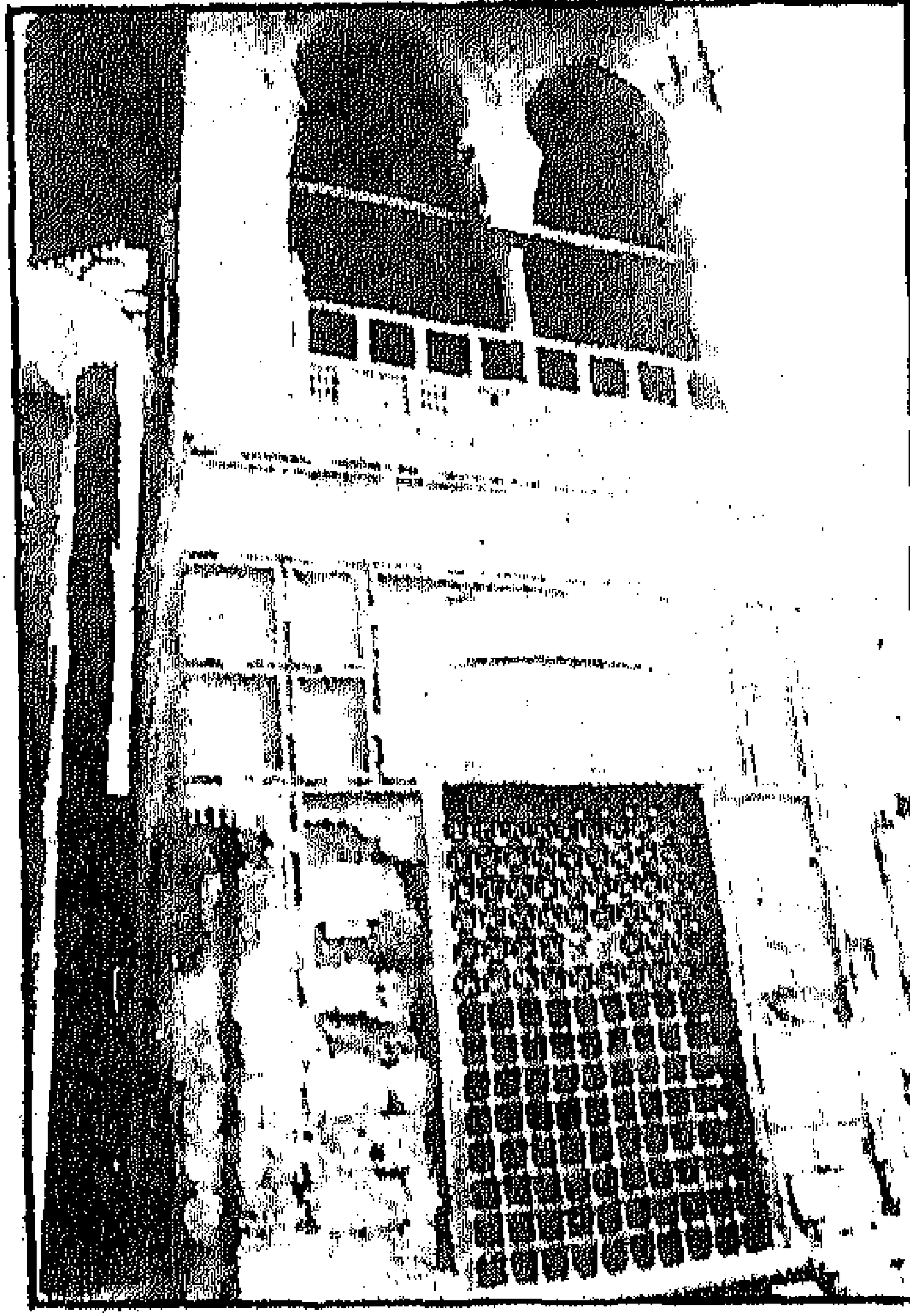
يقع بشارع النحاسين مقابلا لمجموعة قلاوون ويلاصق الناحية الجنوبية لبروز ضريح الصالح نجم الدين، ويحتوى على واجهتين حرتين على الشارع هما الواجهة الشمالية الغربية، والواجهة الشمالية الشرقية. أما الواجهة الجنوبية الغربية فملاصقة لمحلات بيع النحاس والذهب، والتى كانت تحتوى قديما على كتلة الدخول للسبيل والكُتّاب. أما الواجهة الجنوبية الشرقية فتطل على الواجهة الخارجية للإيوان الشمالى الغربى للمدارس الصالحية.

وأنشأ هذا السبيل مع الكتاب - خسرو باشا والى مصر فى جمادى الثانية عام ٩٤٢، كما ورد بالنص التأسيسى على الواجهة، وهو أقدم سبيل ما زال باقيا من العصر العثمانى بالقاهرة، كما أنه مستقل غير ملحق بأبنية أخرى، وهو سبيل ناصية ذو شباكين للتسبيل ويعلوه كتاب.

واجهات السبيل: يحتوى على واجهتين متشابهتين تماما هما «الشمالية الغربية»، و «الشمالية الشرقية» ومحليتين بالزخارف، كذلك حليت أعتاب شبابيكهما بالرخام،



أرضية حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢.



لوحة (١)

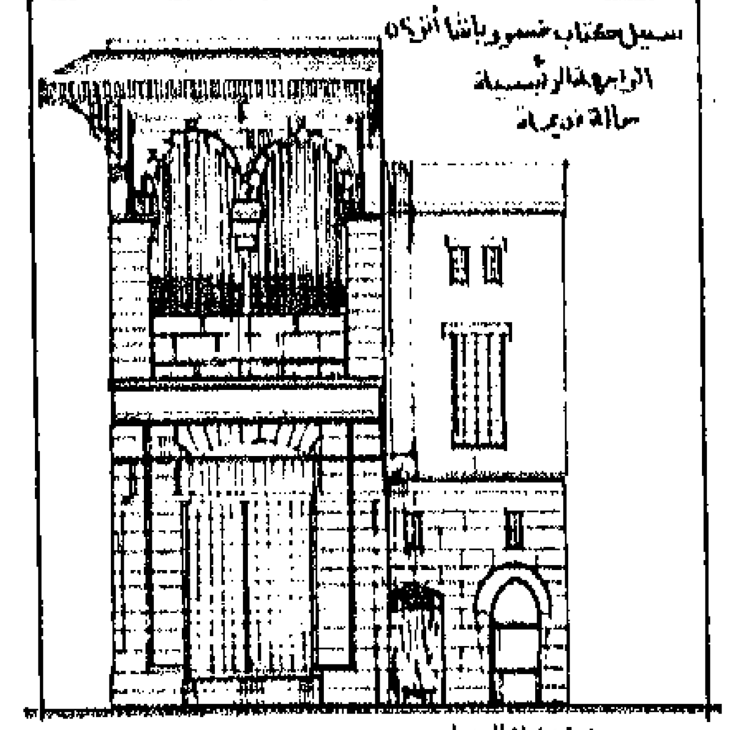
الواجهة الشمالية الغربية لسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢».

ومكتوب عليها اسم المنشىء وألقابه وتاريخ الإنشاء.

الواجهة الشمالية الغربية: (لوحة ١) يتوسطها شباك للتسبيل مستطيل الشكل مغشى بمصبعات نحاسية، فى جزئها العلوى تشابيك هندسية تكون أشكالا غير منتظمة يتوسطها لفظ الجلالة (الله) يتقدم شباك التسبيل لوح رخامى مخصص لوضع كيزان الشرب، يرتكز على ثلاثة كوابيل حجرية بمحاذاة الأرض الآن نظرا لارتفاع الشارع، هذا ويعلو شباك التسبيل عتب مستقيم ملبس بالرخام على شكل صنجات مزررة على هيئة الورقة النباتية يعلوه عقد عاتق مكون من صنجات رخامية مزررة على هيئة ورقة نباتية فى شكل أفقى متتابع أو متقابل.

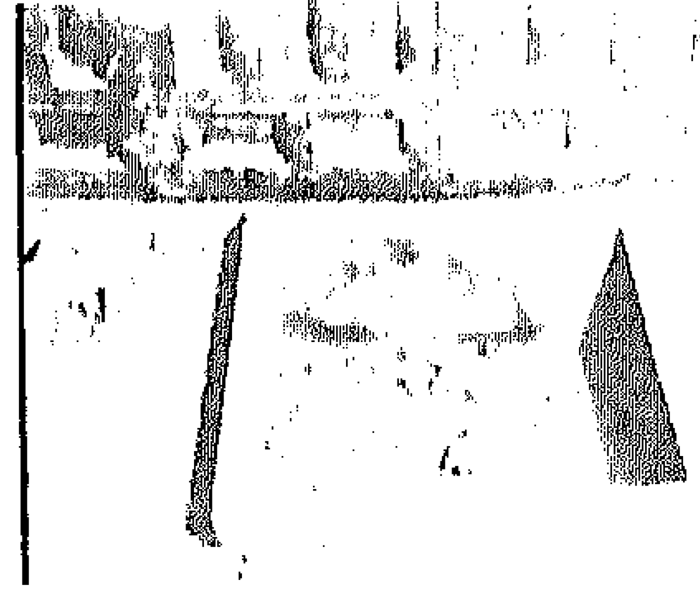
وعلى جانب العتب والعقد العاتق أربع مناطق مستطيلة ومربعة فى كل جانب بها زخارف منحوتة فى الحجر نحتا دقيقا قوامها إما زخارف هندسية عبارة عن شكل طبق نجمى أو زخارف نباتية محورة تشبه زخرفة الأرابسك ولكنها منفذة بشكل بسيط. هذا وتنتهى واجهة السبيل من أعلى بشريط ممتد ليتوج الواجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية ويحتوى على نص كتابى بالخط الثلث يقرأ كالآتى:

«أمر بإنشاء هذا السبيل المبرور اغتنام الثواب والأجور فى



لوحة (١١)

الواجهة الشمالية الغربية لسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين، أثر ٥٢، ويتضح فيها كيفية الدخول للسبيل والكتاب على الشارع (حالة قديمة) «عن محفوظات هيئة الآثار».



لوحة (١٠)

أيـام مولانـا الإمام الشـريف ظل الله الوريف الخنكـار الأعظم مالك رقاب الأمم ملك ملوك العرب والعجم السلطان سليمان خان ابـن السلطان سليم خـان ابن السلطان بـايزيد خـان ابن عثمان خلد الله ملكه وسلطانـه وأدام أيامه، منشى هذ السبيل مولانا الباشا الأعظم والكافل المفخم مدير مصالح الأمم ناظم منـاظم العالم خسرو باشـا كافل الـديار المصـرية والأقطـار الحجازية غفر الله له ولمن دعا لـه بالمغفرة بمحمد وآله وكان الفـراغ من ذلك فى شهر جمـادى الآخرة سنة اثنـان [اثنتين] وأربعين وتسعمائة من الهجرة النبوية».

وقد حـددت المناطق الـزخرفيـة والكتابيـة لهذه الـواجهة بجفوت لاعبـة سداسيه الميمـة، كما يشغل ناصيتيـه عمودان مدمجان لهما تيجان مقرنصة.

الواجهـة الشمالية الغربيـة للكتاب: تمتد بامتـداد واجهة السبيل وهى عبـارة عن بـائكـة من عقـدين على شكل حـدوة الفرس مـرتكزين على عمود أوسط فى جزئهـا السفلى درابزين من الخشب الخـرط. وهذه الـواجهة بصفـة عامـة خاليـة من الزخرفة عدا الجفوت اللاعبة التى تلتف حول عقدى البائكة.

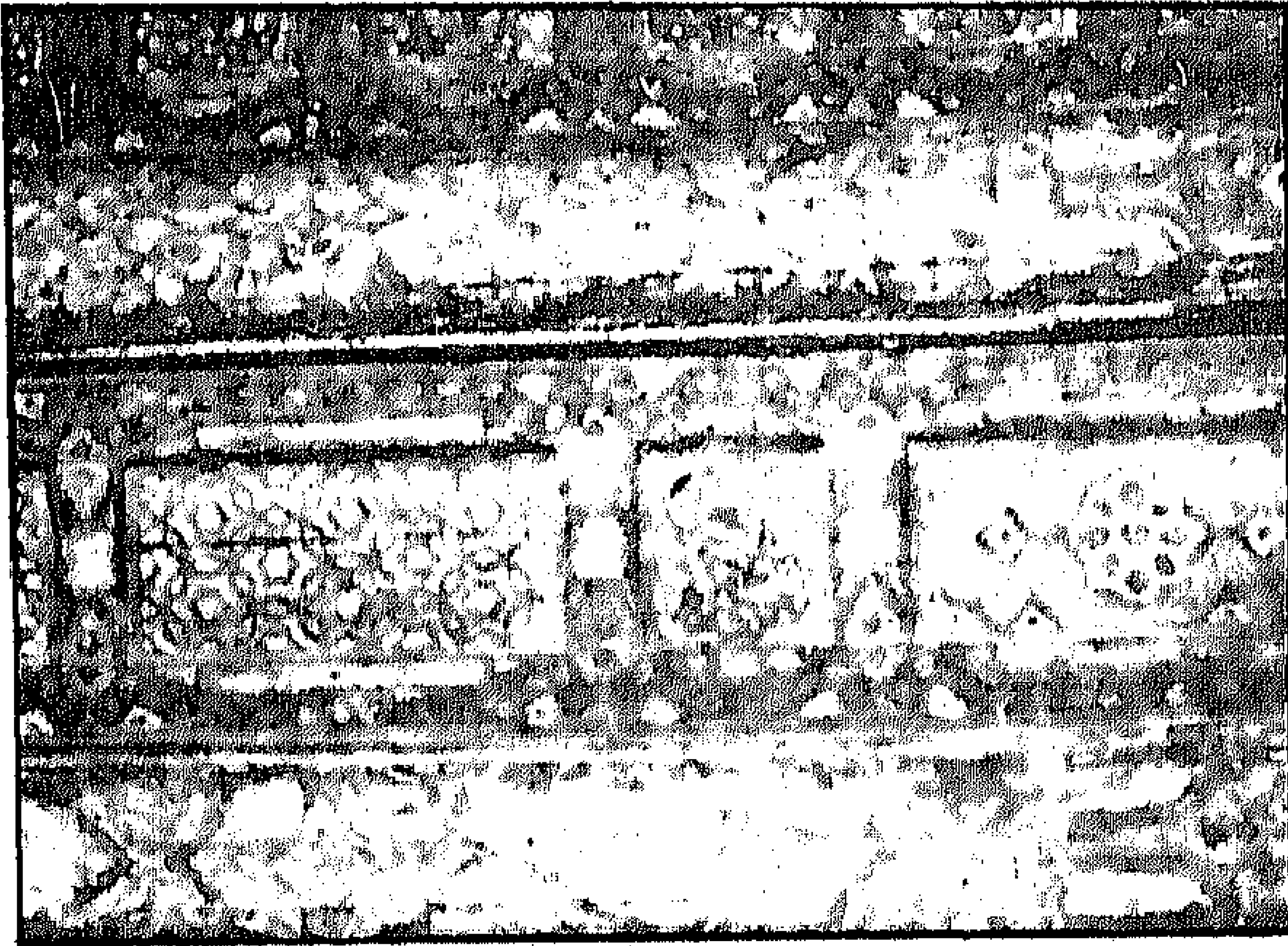
يتـوج واجهـة الكتاب رفـرف خشبى يـرتكـز على كـوابيل خشبية يتدلى منه شراريف على هيئة ورقة نباتية ثلاثية.

كيفيـة الدخـول للسبيل: يتم الـدخول من بـاب مستطيل الشكل فى الطـرف الجنـوبى مـن الضلع الجنـوبى الغـربى لحجـرة التسبيل، ويتم الوصـول لـه من ممر خلف محـلات النحاس والصاغة.

تخطيط السبيل:

يتكون من حجرة تسبيل مستطيلة الشكل مساحتها ٥٧٠ × ٣٧٠ سم بضلعهـا الشمالى الغـربى دخلة مستطيلـة الشكل اتسـاعها ٢٠٠ سم وعمقها ٦٠ سم تطل على الخـارج بشباك للتسبيل يقابلهـا فى الضلع الجنوبى الشرقى ثـلاث دخلات، الجـانبيتان اتخـذتا كخـزانتين لحفظ أدوات المـزملاتى، أمـا الوسطى فهى المخصصـة للشاذوران والتى يبلغ اتسـاعها ٨٠ سم وعمقها ٢٠ سم، كـان يكتنفها عمـودان اندثـرا الآن. أما الضلع الشمالى الشرقى فيحتـوى على دخلة مستطيلة الشكل تفتح على الشـارع بشبـاك للتسبيل مماثـلـة تمـامـا للـدخلـة الموجـودة بالضلع الشمـالى الغربى، إلى اليسـار منها خـزانة للمـزملاتى مستطيلة الشكل. أمـا الضلع الجنـوبى الغـربى فيحتوى على باب الدخول لحجرة التسبيل يجاوره جهة اليسار باب آخر، كان يؤدى قديما إلى كتلة دخول السبيل على شارع النحاسين.

أرضيـة حجـرة التسبيل: مغطاة بألواح رخاميـة مقسمة إلى مناطق هنـدسية من مستطيـلات، ومربعـات، ودوائر محددة



لوحة (٩)

تفاصيل من سقف حجرة التسبيل بسبيل خسرو باشا بشارع النحاسين. أثر ٥٢.

بإطارات من الرخام الخردة المختلف الألوان إما على شكل معينات متقابلة الرءوس أو مثلثات دقيقة أو شكل الجفوت اللاعبة ذات الميمة السداسية (لوحة ٦).

السقف : عبارة عن سقف خشبي مسطح يرتكز على براطيم خشبية عددها ستة تحصر فيما بينها تجاويف طولية ذات مستطيلات ومربعات، مزخرفة بالتجليد والألوان المتعددة وقوام الزخرفة فى المناطق المستطيلة إما صرة مفصصة فى الوسط وأرباعها فى الأركان بينما شغلت بقية المساحة بزخارف هندسية زجزاجية، أو مناطق سداسية متقاطعة تحصر بداخلها أشكال نجوم سداسية أيضا بداخلها زهور (لوحة ٩).

أما فى المناطق المربعة فنجد أفرع متداخلة تكون فى مجموعها زخارف شبيهة بالأرابيسك (لوحة ٩)، كما نجد أن الفنان لم يترك المساحات بين المستطيلات والمربعات خالية دون زخرفة فقام بملئها بالأفرع الممتدة والتى تخرج منها الأوراق النباتية.

أما البراطيم فقد حظيت أيضا بنصيب كبير من الزخارف حيث شغلها الفنان بأفرع حلزونية تكون أشكالا بيضاوية تحصر بداخلها زخارف نباتية (لوحة ٩)، هذا ويرتكز السقف على إزار خشبى عريض ذى حنايا ركنية ووسطية مقرنصة تنتهى الركنية منها بذيول هابطة ذات ورقة نباتية ثلاثية.

ينقسم الإزار إلى قسمين. العلوى يحتوى على بحور كتابية بالخط النسخ على أرضية نباتية وهذه الكتابة مضمونها كالآتى: «بسم الله الرحمن الرحيم. **﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾** صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم سيدنا محمد» والسفلى عبارة عن صفين من المقرنصات المسطحة والتى تتوج جدران حجرة السبيل من أعلى.

الشاذروان: عبارة عن دخلة فى الضلع الجنوبى الشرقى مستطيلة الشكل تتوجها من أعلى طاقية خشبية مقرنصة قمتها ذات قطاع على شكل عقد منكسر تمتد إلى أسفل إزار السقف مباشرة، وبصدد هذه الطاقية زخرفة حجرية محفورة من الأرابيسك، وفى الجزء السفلى، من دخلة الشاذروان نجد لوحا رخاميا مائلا (السلسبيل) قوام زخرفته ورقة نباتية ثلاثية بارزة وغائرة ويحيط بهذا اللوح إطار مستطيل يحتوى على زخرفة من أنصاف مراوح نخيلية، وكان من الطبيعى أن يعلو هذا اللوح حوض مربع أو مستطيل (هذا اللوح غير موجود حاليا) ينساب منه الماء على السطح الخارجى للسلسبيل متجمعا فى حوض آخر أسفل السلسبيل حتى تسير المياه منه عن طريق المحان الرصاصية إلى أحواض الشرب.

أحواض الشرب: نجد فى أرضية دخلة كل من شباك التسبيل الشمالى الشرقى، والشمالى الغربى حوضا للشرب مستطيل الشكل من الرخام (لوحة ١٣).

الكتاب: يتم الصعود إليه عن طريق سلم حديدى ركب فى عام ١٩٠٩ م خلف الجدار الجنوبى الشرقى لحجرة التسبيل والذى ينتهى يسارا بباب يفتح على حجرة الكتاب حيث تأخذ نفس تخطيط حجرة التسبيل مع الاتساع قليلا نظرا لقلة سمك الجدران فى الطابق العلوى عنه فى الطابق السفلى.

الحالة القديمة للسبيل والكتاب:

يقول المؤلف: من حسن الحظ أننى استطعت العثور على بعض المساقط واللوحات لهذا السبيل بمركز تسجيل الآثار، ترجع إلى عام ١٩٠٣م، والتى تبين حالة السبيل والكتاب القديمة (لوحة ١٤)، ويتضح منها أنه كان للسبيل والكتاب كتلة دخول على شارع النحاسين بالجهة الغربية من الواجهة الشمالية الغربية للسبيل حيث مدخل مستقل لكل من السبيل والكتاب ـ إلا أن هذين المدخلين قد اندثرا الآن وحل محلهما دكان لبيع النحاس ـ ومما يؤكد صحة هذا القول أيضا أن الواجهة الجنوبية الغربية للكتاب مازالت تحتوى حاليا على بعض الدخلات فى الجدران من الخارج.

مدخل السبيل: (لوحة ١٤)، عبارة عن باب يؤدى لدهليز

مستطيل ينتهى يسارا بباب يفتح على حجرة التسبيل، أما باب الدخول الحالى لحجرة التسبيل والذى يجاور الباب السالف الذكر فقد كان يؤدى إلى دهليز مستطيل مغلق مغطى بقبو ربما كان من ملاحق حجرة التسبيل، ويشغله الآن دورة مياه حديثة.

مدخل الكتاب: (لوحة ١٤)، يجاور كتلة الدخول للسبيل جهة اليمين مدخل معقود يؤدى إلى دهليز ينتهى بسلم صاعد للكتاب حيث يفتح فى النهاية بباب على حجرة الكتاب وذلك فى الجدار الجنوبى الغربى (هذا الباب مسدود حاليا واستبدل بباب فى الجدار الجنوبى الشرقى كما سبق القول».

(الأسبلة العثمانية بمدينة القاهر ـ د. محمود حامد الحسينى / ١٢٢ ـ ١٢٦).

*** الخُسْرُوْجِردى:**

قال السمعانى:

الخُسْرَوْجِرْدى: بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفى آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى خسروجرد، وهى قرية من ناحية بيهق وكانت قصبتها ثم صارت القصبة سبزوار، خرج منها جماعة من الأئمة مثل أبى سليمان داود بن الحسين ابن عقيل بن سعيد الخسروجردى البيهقى كان شيخا مكثرا رحالا، سمع بنيسابور يحيى بن يحيى التميمى وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى وعمرو بن زرارة، وبمرو على بن حجر وعلى ابن خشرم، وببلخ قتيبة بن سعيد، وبالعراق عبد الله بن معاوية الجمحى ونصر بن على الجهضمى، وبالحجاز أبا مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى ويعقوب بن حميد بن كاسب، وبمصر عيسى بن حماد التجيبى ومحمد بن رمح وحرملة بن يحيى، وبالشام أبا التقى اليزنى ومحمد بن خلف العسقلانى وغيرهم؛ روى عنه أبو حامد أحمد بن محمد بن الشرقى وأبو بكر بن على الحافظ وبشر بن أحمد الإسفراينى وعبد الله بن محمد بن سلم وغيرهم، ومات بقريته سنة ست وتسعين ومائتين، وقيل سنة ثلاث.

وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن الأزهر الخسروجردى البيهقى، كان قديم السماع حسن الأصول، سمع أبا سليمان داود بن الحسين الخسروجردى وأقرانه بتلك الناحية، وسمع بنيسابور جعفر بن محمد الحافظ وعبد الله بن محمد بن شيرويه، وسمع يوسف بن موسى المروروذى عند اجتيازه به، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، ذكر أنه توفى سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

وأبو حامد أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الخطيب الخسروجردى، سمع أبا سليمان داود بن الحسين وعبدان بن عبد الحليم الخسروجرديين بخسروجرد، وإبراهيم ابن على الذهلى بنيسابور، وأبا عبد الله محمد بن أيوب الرازى بالرى، وعيسى بن محمد بن عيسى المروزى بمرو، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وذكره فى التاريخ، فقال: أبو حامد الخسروجردى شيخ كبير السن حسن المعرفة بالأدب وقلما كان يرد البلد، إنما كان ملازما لوطنه بخسروجرد يخطب بها وهناك كتبنا عنه، وتوفى بخسروجرد فى شهر ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ـ كذلك قال أبو أحمد التميمى.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢ / ٣٦٤. انظر أيضا اللباب لابن الأثير تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٦).

*** الخُسرو شاهى:**

قال السمعانى:

الخسروشاهى: بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفى آخرها الهاء، هذه النسبة إلى خسروشاه، وهى قرية من قرى مرو على فرسخين مشهورة، منها سعد محمد بن أحمد بن على بن مجاهد بن على الخسروشاهى، كان شيخا صالحا عفيفا تقيا سليم القلب، سمع جدى الإمام أبا المظفر السمعانى وأبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى، كتبت عنه قبل الرحلة، وبعد رجوعى عنها، وكانت ولادته فى

المحرم سنة أثنتين وسبعين وأربعمائة، ووفاته في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (الأنساب ٢ / ٣٦٤. ٣٦٥).

وقد ذكر البدر العيني فيمن توفي من الأعيان في سنة ٦٥٢ هـ الخسروشاهي المتكلم عبد الحميد بن عيسى شمس الدين وقال عنه:

أحد مشاهير المتكلمين، وممن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن الملك المعظم وحظي عنده.

وقال أبو شامة: وكان شيخا نبيها فاضلا متواضعا حسن الظاهر.

وقال السبط: كان كيسا، محضر خير، لم ينقل عنه أنه آذى أحدا، فإن قدر على نفع وإلا سكت.

توفي رحمه الله بدمشق، ودفن بقاسيون على باب تربة المعظم اهـ.

له ترجمة في: المنهل الصافي، فوات الوفيات، ٢ / ٢٥٧ رقم ٢٤٥، مرآة الزمان ٨ / ٧٩٣، النجوم الزاهره ٧/ ٣٢، العبر ٥/ ٢١١، شذرات الذهب ٥ / ٢٥٥، البداية والنهاية ١٣ / ١٨٥، الذيل على الروضتين ١٨٨.

(الأنساب للسمعاني ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين محمود العيني ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١/ ٩٤ وهامش (١) للمحقق. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ١/ ٥١٦، ٥١٧).

*** الخسروية (جامع ومدرسة):**

جامع ومدرسه الخسروية (أو الخسرفية) إحدى مدارس حلب التي قمنا بزيارتها يوم الإثنين ٩ صفر ١٤١٢ هـ/ ١٩ أغسطس ١٩٩١ م، وتقع في منتهى المحلة المعروفة بالسفاحية. وفي شرقيها المدرسة السلطانية الواقعة تجاه باب القلعة. وقف عليها خسرو باشا ومصطفى باشا ابن سنان باشا. تولى الخطابة بها عدد من علماء حلب. وتعد أول عمارة أنشئت بحلب منذ الفتح العثماني، وتدعى اليوم الثانوية الشرعية (معادن الذهب/ ٢٣٥).

قال عنها خير الدين الأسدي وقد أدرجها تحت محلة السفاحية: وفيها الخسروية وهي جامع كبير ومدرسة وتكية ومطبخ، وتمنح طلابها حاليا درجة الثانوية الشرعية. أمر بعمارتها خسرو باشا عام ٩٥١ (أحياء حلب وأسواقها/ ٢١٧).

(معادن الذهب في الأعيان المشرّفة بهم حلب لأبي الوفاء بن عمر الحلبي العُرضي ـ حققه وشرحه د. محمد التونجي / ٢٣٥، وأحياء حلب وأسواقها لخير الدين الأسدي ـ تحقيق عبد الفتاح رواس قلعه جي / ٢١٧).

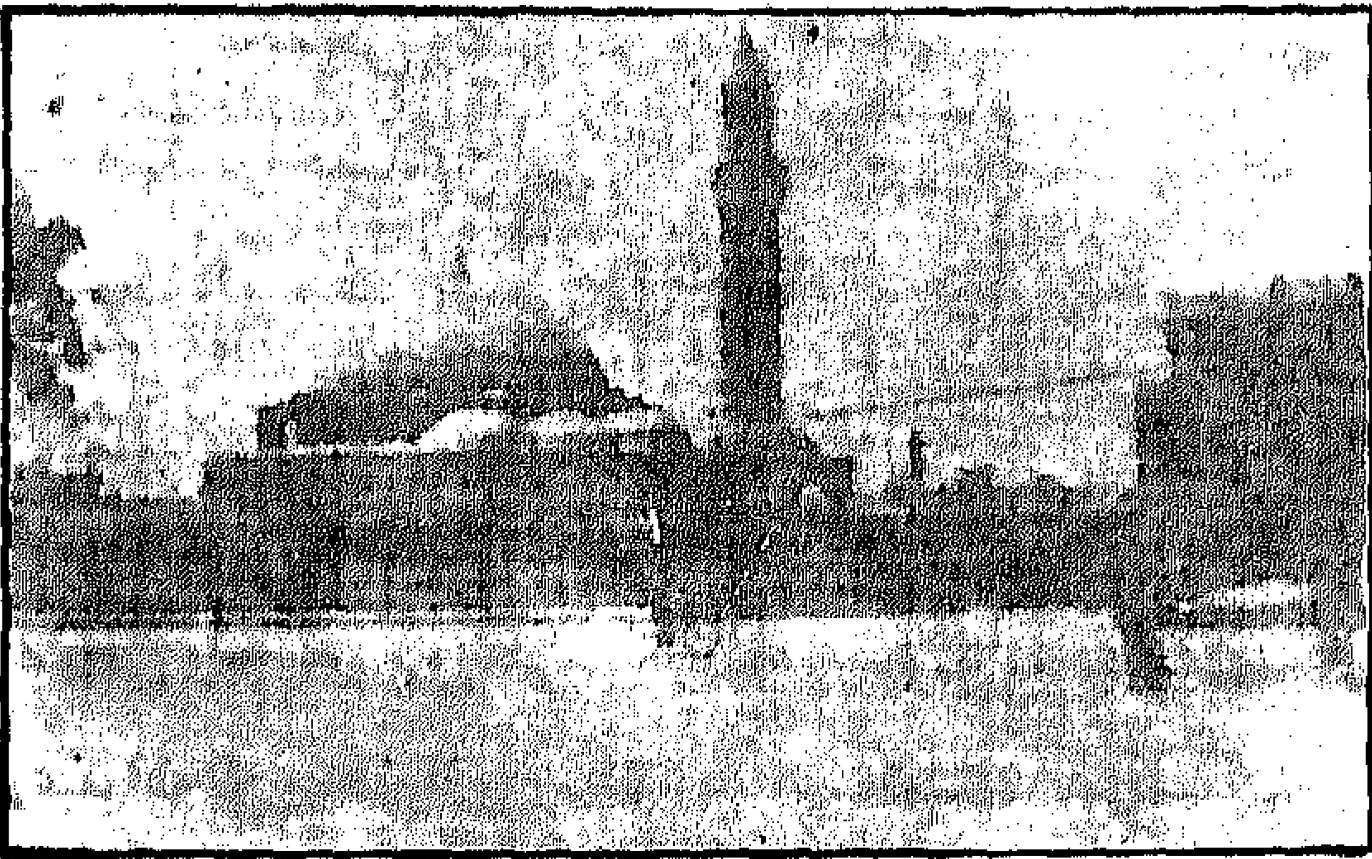
قالت المؤلفة: كانت زيارتنا لهذا الأثر الجليل في خلال العطلة الصيفية، وحين صحبنا المسئول عن المدرسة في جولة في أنحائها وجدنا أطفالا عاكفين على قراءة القرآن الكريم، وعلمنا أن الإدارة تستغل المبنى في تلك الفترة لعقد فصول لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم.

*** الخشاب:**

قال السمعاني:

الخَشاب: بفتح الخاء والشين المعجمة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة، هذا اسم لمن يبيع الخشب، والمشهور بهذه النسبة جماعة، منهم سليم بن مسلم الخشاب من أهل مكة، يروي عن ابن جريج وسعيد بن بشير، روى عنه محمد ابن أبان ومخلد بن مالك والناس، يروي عن الثقات الموضوعات التي يتخايل إلى المستمع لها وإن لم يكن الحديث صناعته أنها موضوعة، وكان يحيى بن معين يزعم أنه كان جهميا خبيثا ـ قاله أبو حاتم بن حبان.

وإبراهيم بن عثمان بن المثنى الأزرق الخشاب



المدرسة الخسروية

أبو إسحاق، مصرى روى عن يونس بن عبد الأعلى والحسن ابن سليمان وغيرهما، توفى فى رمضان سنة ثلاث وثلاثمائة.

وأحمد بن عيسى اللخمى الخشاب، حدث عن عمرو بن أبى سلمة وغيره. توفى بتنيس سنة ثلاث وسبعين ومائتين، كان مضطرب الحديث جدا.

وسعيد بن يحيى الخشاب، أندلسى وشقى، توفى بها سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ـ قاله ابن يونس.

وأبو محمد عبد الله بن مزيد الخشاب، أصبهانى، يروى عن أحمد بن يوسف الرقام وغيره، روى عنه أبو بكر بن مردويه الحافظ وأبو بكر بن أبى على الأصبهانى.

وأبو سعيد محمد بن على بن محمد الخشاب، من أهل نيسابور، صاحب أبى عبد الرحمن السلمى وخادمه كتب الكثير من كتبه، وروى عن أبى طاهر بن خزيمة والمخلدى والخفاف وأبى نعيم الأزهرى وغيرهم، روى لنا عنه محمد بن الفضل الفراوى وهبة الله بن سهل السيدى وأبو المظفر بن القشيرى بنيسابور، وأبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامى بمرو، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد البيهقى بخسروجرد، وكان فيه لين، وتوفى سنة نيف وخمسين وأربعمائة.

وأبو الفتح محمد بن عبد الرحمن الخشاب الكاتب، ووالده أبو الفضل، كان من الكتبة الفضلاء، وأبو الفضل كان له شعر رائق وخط فائق، سمع الحديث بنيسابور من أبى القاسم القشيرى وفاطمة بنت أبى لعى الدقاق وأبى القاسم الفضل بن عبد الله بن المحب، وبأصبهان من أبى منصور محمد بن أحمد بن على بن شكرويه القاضى وغيرهم، لقيته بمرو غير مرة وكتبت عنه بأصبهان فى دار شيخنا الحسين الخلال الأديب، وتوفى بكشانية فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وحمل إلى مرو ودفن بها.

وأما الخشاب لقب أبى حامد أحمد بن محمد بن يحيى ابن بلال البزاز، قيل له الخشاب لا لبيعه الخشب، بل لأنه يسكن الخشابين بنيسابور، وكان يكره هذه النسبة، وكان من الثقات الأثبات المكثرين، سمع أبا الحسن أحمد بن يوسف السلمى وعبد الرحمن بن بشر بن الحكم وطبقتهما، روى عنه أبو عبد الله بن منده الحافظ الأصبهانى وأبو على الحسين بن على الحافظ وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب الصبغى وغيرهم، وتوفى بنيسابور يوم الأضحى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عيسى بن مزيد الخشاب المدينى من أهل أصبهان، ثقة مأمون، حدث عن أحمد بن مهدى وأبى بكر عبد الله بن محمد بن النعمان وأبى خالد القرشى وهشام السيرافى وغيرهم من البصريين، روى عنه أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، وتوفى فى شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(الأنساب للسمعانى ـ تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧. انظر أيضا اللباب لابن الأثير ـ تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، ١ / ٥١٧).

*** ابن الخشاب (٤٩٢ ـ ٥٦٧ هـ / ١٠٩٩ ـ ١١٧٢ م):**

الخطيب الحافظ المحدث أبو محمد عبد الله بن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ هو عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن عبد الله بن نصر، المعروف بابن الخشاب: من أئمة اللغة والنحو فى عصره. ولد ببغداد سنة ٤٩٢ هـ، وسمع منه على الربعى وابن النرسى، وأخذ العربية عنه ابن الشجرى وابن الجواليقى. قال ابن النجار: «كان أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة بالحديث واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة» وقال الذهبى: «كان إليه المنتهى فى حسن القراءة وسرعتها وفصاحتها مع الفهم والعذوبة، وانتهت إليه الإمامة فى النحو، وكان ظريفا مزاحا. وقد عُد من أعلم أهل وقته فيه، مع الحظوة الكبرى فى سائر الفنون، فذاع اسمه، وكان حسن الخط والحظ فانتفع الناس به (كتاب الوفيات / ٢٨٦) وله مصنفات فى النحو وغيره، فمن النحوية «شرح جُمل الزجاجى»، و «الرد على ابن بابشاذ» وغيرهما (نشأة النحو / ٢٠٦).

توفى ببغداد سنة ٥٦٧ هـ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريبا من بشر الحافى. له كتب منها «نقد المقامات الحريرية» و «المرتجل فى شرح الجمل»، للزجاجى، و

«شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة» فى النحو وغير ذلك (كتاب الوفيات/ ٢٨٦).

وهذا الشرح فى أربع مجلدات وله أيضا «الرد على التبريزى فى تهذيب الإصلاح» (الأعلام ٤ / ٦٧).

له ترجمة فى إنباه الرواة ٢ / ٩٩، ومعجم الأدباء ١٢ / ٤٧، وذيل طبقات الحنابلة ١ / ٣١٦، والمنتظم ١٠/ ٢٣٨، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩ ـ ٣١، والنجوم الزاهرة ٦ / ٦٥، ومرآة الجنان ٣ / ٣٨١ (فوات الوفيات ٢ / ١٥٦).

(كتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٨٦ وهامش ١ للمحقق، ونشأة النحو ـ الشيخ محمد الطنطاوى / ٢٠٦، والأعلام للزركلى ٤ / ٦٧، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ٢ / ١٥٦ هامش ٢١٢ للمحقق. انظر أيضا طبقات المفسرين للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ١٠٠ هامش ٢ للمحقق).

*** الخشاب (إسماعيل) (ـ ١٢٣٠ هـ / ـ ١٨١٥ م):**

ذكره على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على جامع الكردى الذى بالحسينية، ومن دفن فيه فقال تحت عنوان «ترجمة سيدى إسماعيل الخشاب»:

وممن دفن بهذا الجامع كما فى الجبرتى نادرة الزمان السيد إسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب توفى سنة ثلاثين ومائتين وألف.

كان أبوه نجارا فتولع هو بحفظ القرآن، ثم بطلب العلم فجد فى التحصيل حتى نجب فى فقه الشافعية والمعقول بقدر الحاجة، ونزل فى حرفة الشهادة بالمحكمة الكبرى وطالع كتب الأدب والتاريخ؛ فحفظ كثيرا من الأشعار والمراسلات والحكايات الصوفية انتهى (الخطط التوفيقية ٥ / ٢١٣، ٢١٤).

وكان قد أقبل على حفظ القرآن الكريم حتى أتمه، ثم طلب العلم فى الأزهر حتى أصبحت له مشاركة فى كثير من علومه تجرد فى قراءة كتب الأدب والتاريخ والتصوف، واستظهر كثيرا من الشعر ومحاضرات الأدباء ومراسلاتهم حتى برع فى هذا جميع لداته (المفصل ٢ / ٣٣٤).

وقال الشعر الرائق والنثر الفائق، وصحب بلطف سجاياه ودماثة أخلاقه وكرم شمائله أرباب المظاهر من الكتاب والأمراء والتجار وتنافسوا فى صحبته وارتاحوا لمنادمته، وكان الوقت إذ ذاك غاصا بالأكابر فى هنىء من العيش.

ولما رتب الفرنساوية ديوانا، لقضايا المسلمين تعين فى كتابة التاريخ لحوادث الديوان؛ لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية فى سجلهم وتسوزيعها على الجيش، فكان يرقم كل ما يصدر فى المجلس من أمر أو نهى أو خطاب أو جواب أو خطأ أو صواب (الخطط ٥ / ٢١٤) وكانوا ينشرونها فى صحيفة «التنبيه» (المفصل ٢ / ٣٤).

وقرروا له كل شهر سبعة آلاف فضة مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة، وكان ديوانهم ضحوة يومين فى الجمعة، فجمع من ذلك عدة كراريس ولا أدرى ما فعل بها.

ولما رجع الشيخ حسن العطار من سياحته رافقه ووافقه ولازمه، فكانا يقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ويجولان فى فنون الأدب والتاريخ والمحاضرات وهما حينئذ فريدا عصرهما لم يعززا بثالث فى تلك الشئون التى أربت على المثانى والمثالث. (الخطط ٥ / ٢١٤).

والخشاب، بالإضافة إلى عصره، يعد من أفحل الأدباء، وأبلغ الشعراء، وأبرع الكتاب، وشعره فى الجملة يمتاز بالسهولة والرصانة وقلة التكلف، وخاصة ما يتعلق منه بألوان البديع.

وقد امتد به الزمن حتى أدرك عصر محمد على الكبير، ولكنه لم يل له عملا. وإذا كان محمد على لم يستصنعه فذلك لأن السنة التى مات فيها (١٢٣٠ هـ) لم تكن الحاجة قد دعت بعد إلى استخدام أصحاب البيان.

ولما توفى الخشاب جمع صديقه الشيخ حسن العطار أشعاره فى ديوان خاص طبع بعد فى الأستانة (المفصل ٢/ ٣٣٥).

ولم يزل على رقته ولطافته مع كرم النفس والعفة وكثرة الإنفاق وكان له صاحب يسمى أحمد العطار بباب الفتوح توفى فتزوج بزوجته وهى نصف، وكان لها ولد من المتوفى

فتبناه ورفهه بالملابس وأشفق به وزوجه وأنفق فى زواجه مالا كثيرا ثم مات الولد؛ فجزع عليه جزعا شديدا وبكى وانتحب، واختارت أمه دفنه بجامع الكردى بالحسينية ثم اتخذت مسكنا ملاصقا لقبره أقامت به نحو ثلاثين سنة مع دوام عمل الثريد والكعك بالعجمية والسكر للمقرئين والزائرين، والمترجم طوع يدها فى كل ما طلبته تسخيرا من الله تعالى لها ولأقاربها لا لذة له فى ذلك (الخطط ٥ / ٢١٣ ـ ٢١٥).

قال الجبرتى: توفى يوم السبت ثانى شهر الحجة الحرام بمنزله الذى استأجره بدرب قرمز بين القصرين، وصلينا عليه بالأزهر فى مشهد حافل، ودفن عند ابنه المذكور بالحسينية وكثيرا ما كنت أتذكر قول القائل فى ذلك:

ومن تـــراه بأولاد الســـوى فـــرحـــا
فـى عقلـــه عُــزّه إن شئت وانتـــدب
أولاد صلب الفتى قلّت منـــــــافعهم
فكيف يلمـح نفع الأبعـــــد الجنب

مع أنه كان كثير الانتقاد على غيره فيما لا يدانى انقياده لهذه المرأة وحواشيها (الجبرتى ٣ / ٥٠٠، ٥٠١).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٥ / ٢١٣ ــ ٢١٥، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ــ أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٣٣٤، ٣٣٥، وعجائب الأثار فى التراجم والأخبار للشيخ عبد الرحمن الجبرتى ٣ / ٤٩٩ ــ ٥٠١. انظر أيضا الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة ـ د. محمد كامل الفقى ٣ / ١٤١ـ ١٦٠).

*** الخشاف:**

قال عنه الشيخ داود الأنطاكى:

خشاف عجمى هو ما يغلى من الأجسام ذات الحلاوة حتى يقارب التهرى ويؤخذ ماؤه فيشرب بالسكر وأجوده المأخوذ من الزبيب الجيد وهو حار رطب فى الثانية يصفى الصوت ويصلح الصدر ويفتح السدد ويزيل اليرقان ومبادى الاستسقاء وضعف الكبد وعسر البول والمعمول من الخوخ يزيل العطش واللهيب والخلفة والأخلاط المحترقة وأوجاع الطحال ومن السفرجل ينعش الأرواح ويقوى الأعضاء الرئيسة والهضم ويزيل الصداع ويخرج الثقل والعفونات، ومن التفاح يزيل الخفقان والكرب والغشى لكنه يولد الرياح ويصلحه الأنيسون، ومن الكمثرى يحبس البخار عن الرأس ويصلح السعال وحمى العفن والخشاف بأسره جيد لتصفية الخلط وتنقية العروق وأردؤه ما عمل من المشمش وإصلاح ضرره بالمصطكى أو العسل.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٤٠، ١٤١).

*** الخشاورى:**

قال السمعانى:

الخشاورى: بفتح الخاء والشين المعجمتين والواو بعد الألف وفى آخرها الراء، هذه النسبة إلى خشاورة وهى سكة بنيسابور، منها أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم القارى الخشاورى من أهل نيسابور، وكان على رأس سكة خشاورة ــ ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى التاريخ فقال: إبراهيمك القارى، كان من الصالحين حدثونا أنه كان يقرأ عند أبى عمرو الحيرى والمتقدمين من مشايخنا ولا نذكره إلا شيخا هرما كان على رأس سكة خشاورة، سمع أبا زكريا يحيى والسرى بن خزيمة وأقرانهما بنيسابور، وبلغنى أنه كان كتب عن على بن الحسن الداربجردى ولم أسمع منه، ثم إنه خرج مع أبى عمرو الحيرى إلى هراة فسمع المسند الكبير من عثمان بن سعيد الدارمى وعقد عليه مجلس لقراءة المسند، وكان أبو عبد الرحمن بن الشيخ أبى بكر بن إسحاق يستعير سماعه من ورثة أبى عمرو الحيرى، ويقرأ عليه، وتوفى يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وصلى عليه الحاكم يحيى بن منصور ودفن فى مقبرة الحسين بن معاذ، وشهدت الصلاة عليه، وتوفى وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقد احدودب.

(الإنساب للسمعانى ٢ / ٣٦٨. انظر أيضا اللباب لابن الأثير، ١ / ٥١٨).

*** الخشب:**

ويقال الحفر على الخشب، والتحف الخشبية

كانت صناعة التحف الخشبية من الميادين البارزة فى تاريخ الفنون الإسلامية

يقول الدكتور زكى محمد حسن عن فن الحفر فى الخشب :

كانت مصر ولا تزال فقيرة فى الخشب ، فإن ما يوجد بها من الشجر لا يستخدم خشبه إلا لأعمال النجارة البسيطة ، ومثل ذلك شجر السنط والجميز والزيتون والنبق والسرو.

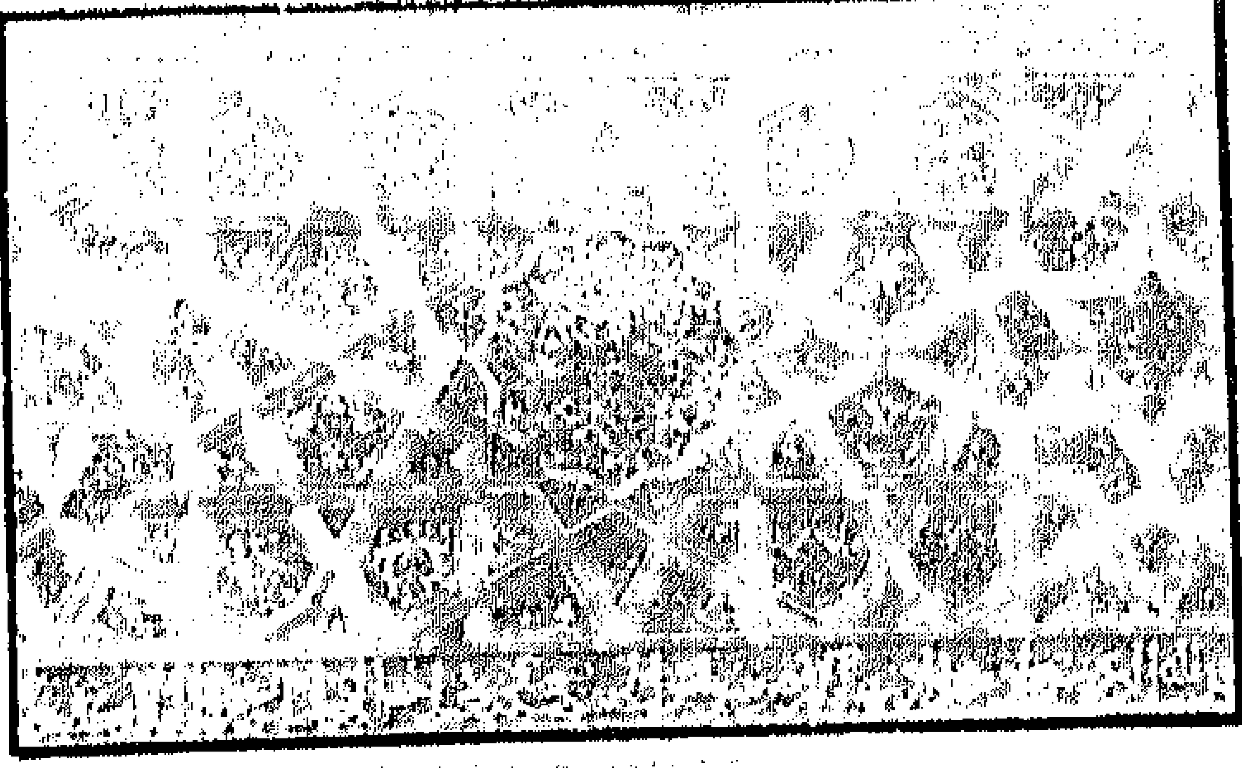
وبدأت الحكومة منذ قيام الدولة الفاطمية فى زرع الأشجار والعناية بالغابات . وإذا كان الغرض الأساسى من هذا العناية إنما كان استخراج الخشب اللازم لعمل مراكب الأسطول فإن جزءا كبيرا من الخشب المنتج استعمل فى الأبنية والأثاث .

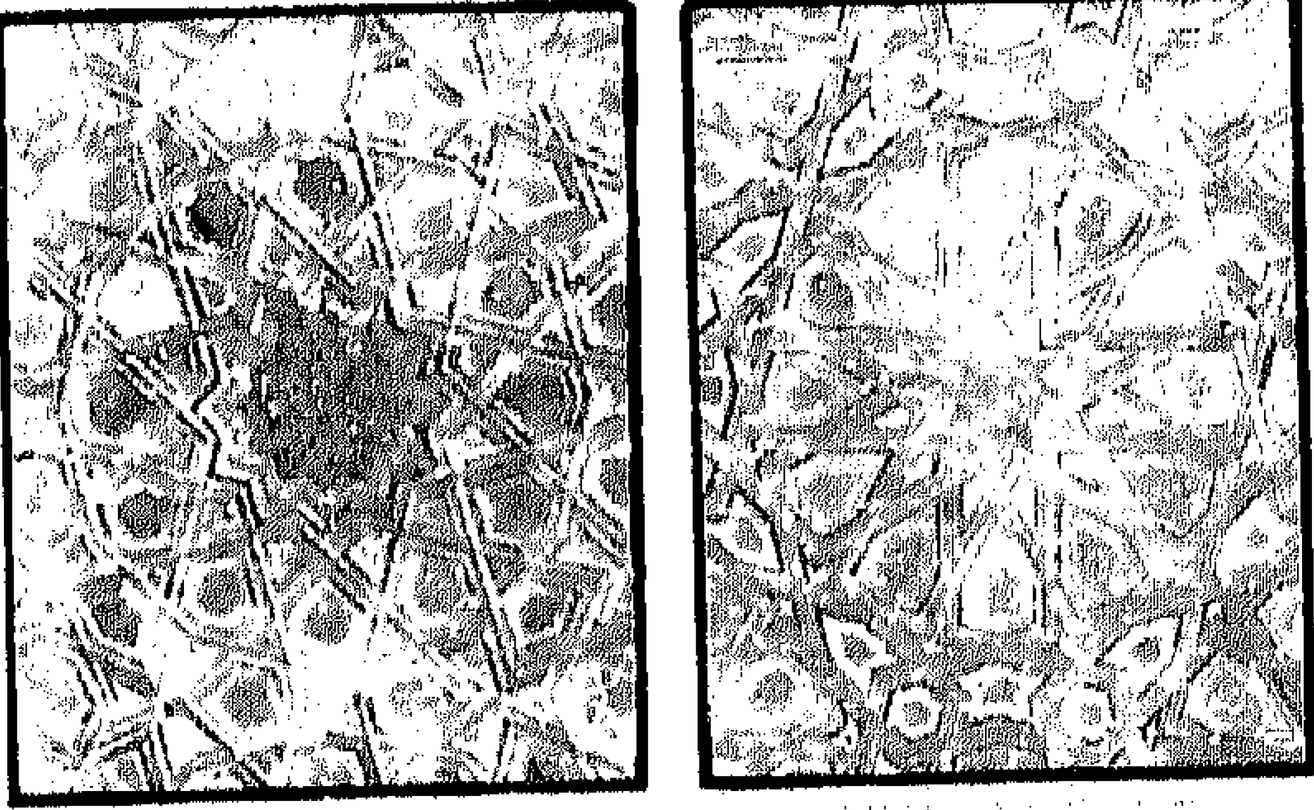
وعلى كل حال فقد كان استعمال الخشب ذائعا فى مصر الذيوع كله ، ولا سيما أن جفاف الجو كان يساعد على حفظه فى حالة جيدة . ومن ثَمَّ عمل التجار على استيراده من الأقطار المجاورة فكانوا يجلبون خشب الأرز والصنوبر من تركيا وسورية ، والآبنوس من السودان ، والتك من بلاد الهند ، فضلا عن أن جنوب أوربا كان مصدرا كبيرا من المصادر التى استمدت منها مصر حاجتها من الخشب . وإذا صح ما ذكره المقريزى تبين أنه كان للخشب أسواق هامة فى الفسطاط منذ العصر الطولونى (الخطط ١ / ٢٣٢ ، ٢٣٣) .

ولم يستعمل المسلمون الخشب فى مساجدهم بكثرة إذ لم يكونوا فى حاجة إلى مذبح أو مقاعد أو غير ذلك من أثاث الكنائس . فلم يستعملوا الخشب إلا فى السقوف والأبواب والمنابر والدكك ، وفى عمل أشرطة الكتابة التاريخية أو الزخرفية ، أو فى ربط القوائم والأعمدة بعضها ببعض ، وفى صناعة القباب أو تقويتها .

واستعمل الخشب أحيانا فى صناعة محاريب منقولة ، كالمحاريب الثلاثة المحفوظة بدار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى الآن] والواردة إليها من مساجد الأزهر والسيدة رقية والسيدة نفيسة .

وقد وصلت إلينا قطع كثيرة من الخشب ذى الزخارف



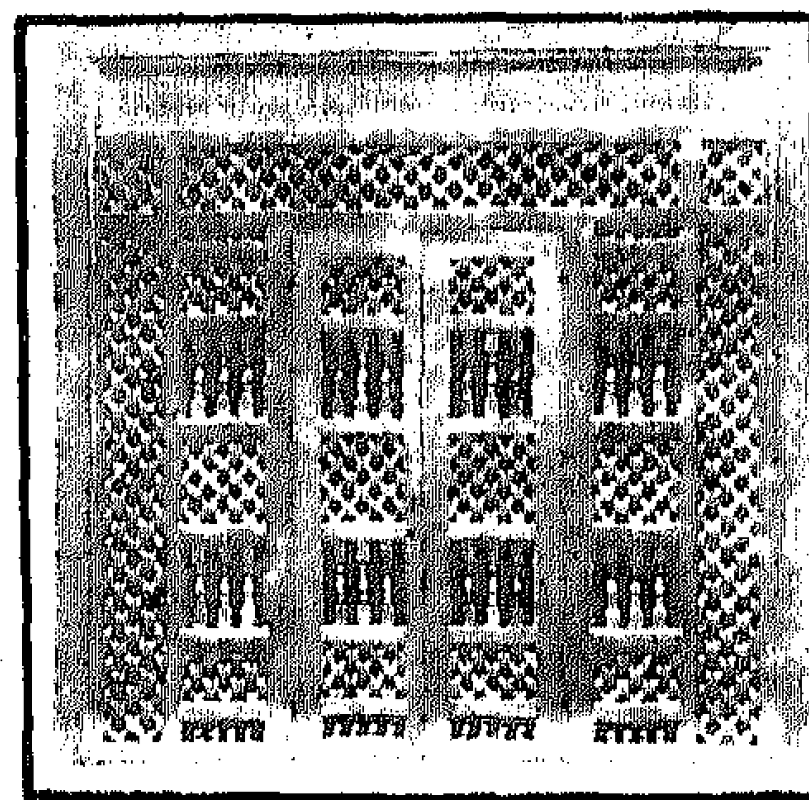


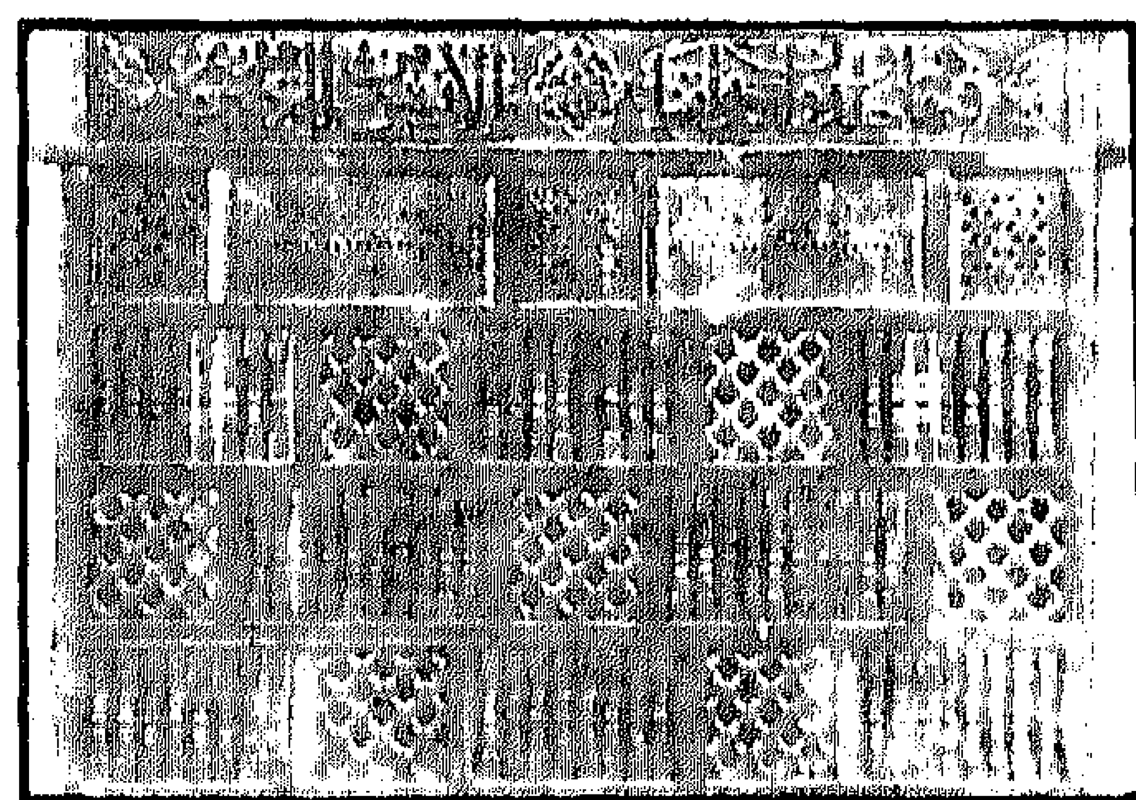
أصلها من الأبنية أو قطع الأثاث . وأقدم هذه القطع يرجع إلى القرن الثامن والتاسع الميلادى . وقد وجد فى القرافة القديمة بالفسطاط حيث كان يستعمل ـ بعد كسره من الأبنية والآثاث ـ لمنع انهيار الأتربة فى المدافن .

وتظهر الكتابة الكوفية فى عصر الانتقال (من القرن السابع إلى التاسع) ، ولكن حروفها لا تصل فيه إلى ما وصلت إليه بعد ذلك من أشكال زخرفية جميلة ... وقد تأثر الطولونيون بسامرا وبالفن العراقى فى هذا الميدان ، كما تأثروا بهما فى العمارة وفى زخرفة المبانى .

وتملك دار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى] وبعض المتاحف والمجموعات الأثرية المصرية والأجنبية تربيعات من الخشب الطولونى مصدرها إما المسجد الجامع أو القصور والأبنية الطولونية . ومن السهل تمييزها لأن ما عليها من زخرفة محفورة بعمق فى الخشب تذكرنا بزخارف الطراز الأول من سامرا .

والأخشاب الطولونية تمثل طراز الحفر منحرف الجوانب ، وتظهر فيها الصناعة الطولونية التى تخلق زخرفة من بضعة فروع





وخطوط حلزونية تغطى الأرضية كلها، ويتجلى فيها الإبداع والبراعة النادرة. وقد يغطى التربيعة من الخشب الطولونى رسم تخطيطى، أو آخر موضوعاته نباتية تحيط به أشرطة من أقراص صغيرة محفورة، أو فروع مستديرة، أو مربعات، أو أشكال مستطيلة.

وفى متحف اللوفر بباريس قطعة من تربيعة من الخشب يرجع عهدها إلى العصر الطولونى. وتمثل زخرفتها طائرا تقليديا، جناحاه وساقاه على شكل فروع نباتية ونقوش حلزونية الشكل، كما أن فى دار الآثار العربية قطعة تمثل زخرفتها عصفورين متقابلين.

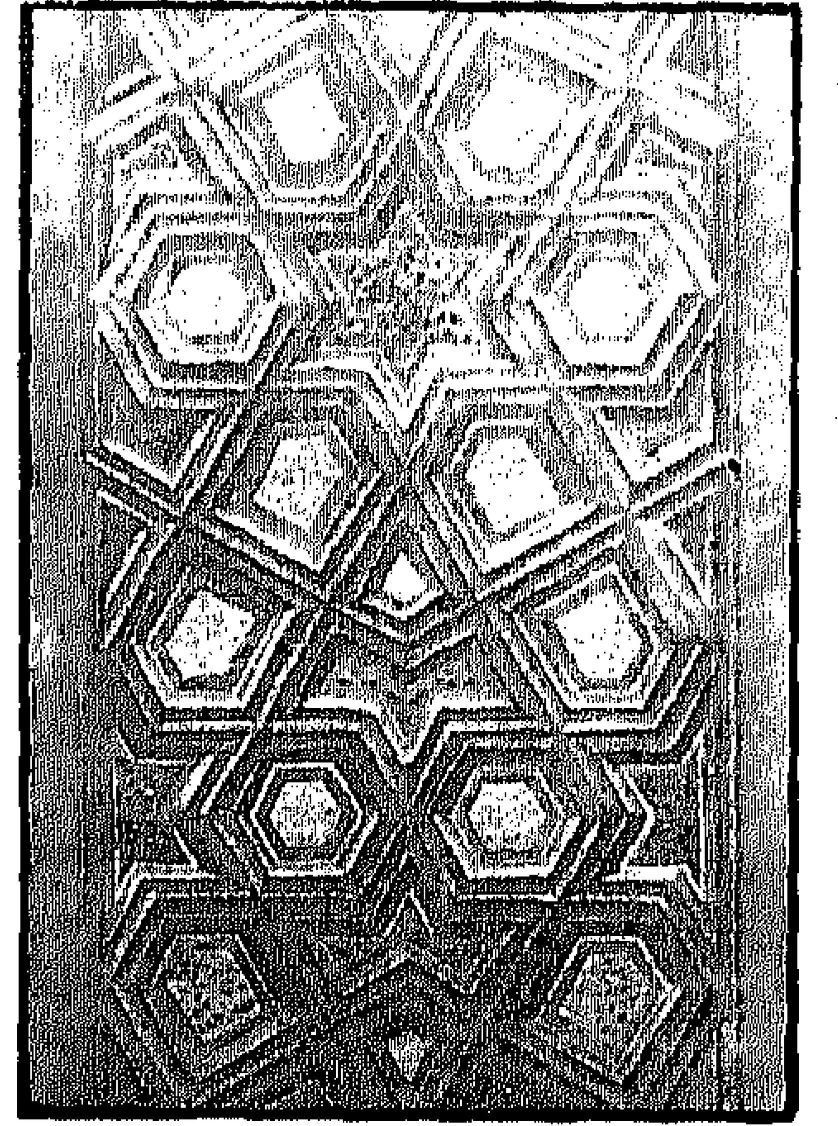
ونجد فى الأخشاب الطولونية التأثير العراقى الكبير الذى يميز هذا الفن فى خلال العصر الطولونى ...

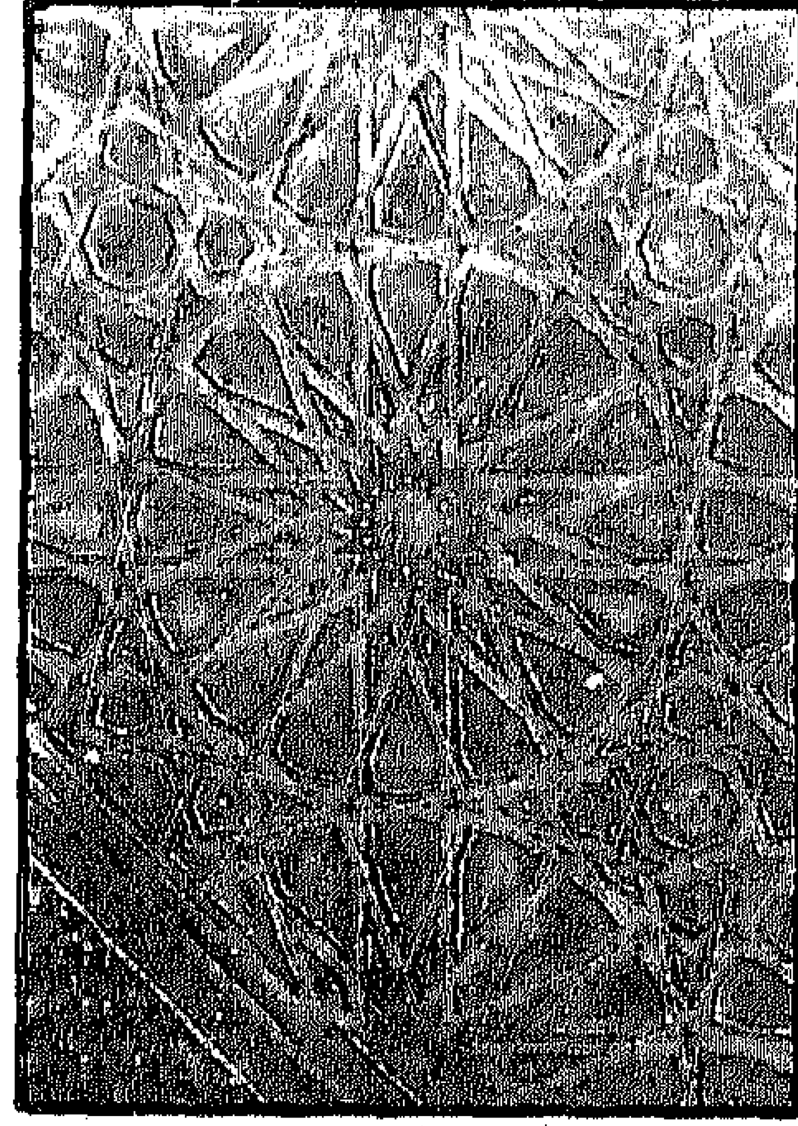
وتقودنا إلى هذه النتيجة أيضا التماثيل الخشبية التى اتخذها خمارويه، والتى لا نعرف عنها إلا ما ذكره المقريزى عن وصف «بيت الذهب» من أن خمارويه «جعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا، فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى يغنينه بأحسن تصوير وأبهج تزويق» (خطط المقريزى ١ / ٣١٦).

ولكن عبارة المقريزى لا توضح هل كانت هذه التماثيل بارزة كلها ويمكن فصلها عن الجدران، أو كانت منقوشة عليها بالبارز وتكون جزءا لا يتجزأ منها. ولكن الفرض الأول أكثر احتمالا؛ لأن المقريزى يضيف على عبارته سالفة الذكر أن خمارويه «جعل على رؤوس هذه التماثيل الأكاليل من الذهب الخالص الأبريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب».

بقى علينا أن نشير إلى الأخشاب الطولونية ذات الكتابات؛ فإن للجامع الطولونى طرازا من الخشب تحت السقف بأعلى الجدران، عليه كتابة من آيات قرآنية حروفها من الكوفى البسيط المعاصر لبناء الجامع. وقد نقشت هذه الحروف بارزة فى الألواح الخشبية، وليست قطعا منفصلة ومسمرة فى الخشب كما ظن كوربت بك. وقد زعموا طويلا أن القرآن كله كان مكتوبا فى الإزار ولكن كوربت بك نفى احتمال ذلك مثبتا من عدد حروف القرآن وطول الإزار أن هذا لا يمكن أن يسع أكثر من $\frac{١}{١٧}$ من القرآن الكريم.

وكتابات الجامع الطولونى ليس فيها عناصر زخرفية فهى نموذج مما كان عليه الخط الكوفى قبل تطوره. والمعروف أن الحروف الكوفية لم يكن لها فى القرن التاسع الميلادى المسحة الزخرفية التى اكتسبتها فى العصور التالية؛ فإنها كانت لاتزال الحروف المربعة ذات الزوايا، بالرغم من أن الكوفى المشجر ثابت وجوده فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى، كما يتبين من شاهد قبر محفوظ بدار الآثار العربية [متحف الفن الإسلامى] وتاريخه ٢٤٣ هجرية (٨٥٧ م). وفضلا عن ذلك فقد لاحظ «فلورى» استعداد الحروف للتحول إلى زخرفة فى كتابة صغيرة تحيط بأحد الشبابيك الجصية المخرمة الموجودة فى الجامع الطولونى.





زخارف من الخشب

بقى علينا قبل أن نختم الكلام على الخشب الطولونى أن نشير إلى الأثر الذى كان لصناعته على الأخشاب الفاطمية فى القرن التالى، كما يتبين من باب جامع الحاكم، حيث أكثر التربيعات الخشبية تزينها زخارف نباتية عميقة الحفر وظاهر فيها تأثير الصناعة الطولونية (الفن الإسلامى فى مصر/ ٩١ ـ ٩٧، ٩٩).

وإليك ماجاء عن فن الحفر فى الخشب فى دليل متحف الفن الإسلامى من واقع ما يحتويه من تحف خشبية:

فى متحف الفن الإسلامى مجموعة طيبة من الأخشاب التى تنسب إلى مختلف العصور الإسلامية، عثر على عدد كبير منها فى حفائر الفسطاط وعين الصيرة ومعظمها من الأخشاب التى استعملت فى العمائر أو قطع الأثاث.

وأهم ما يلاحظ فى أخشاب العصر الأموى ٤١ ـ ١٣٢ هـ (٦٦١ ــ ٧٥٠ م)وضوح التأثيرات الساسانية والهلينستية والقبطية فيها، سواء فى طريقة الحفر العميق أو تصوير الطبيعة فى حفر العناصر الزخرفية، كعناقيد وأوراق العنب والورقة النباتية ذات الثلاثة الفصوص والفروع الملتوية التى تحصر بينها العناصر الزخرفية الموروثة عن الفن الهلينستى.

أما الأخشاب التى تنسب إلى صدر العصر العباسى (القرن ٢ ـ ٣ هـ) (القرن ٨ ـ ٩ م)، فتمتاز زخارفها بالدوائر ذوات المركز الواحد ورسوم العقود المتشابكة والمستطيلات الصغيرة المفرغة؛ ولكن التطور الفنى فى الحفر فى الخشب تأثر بقدوم ابن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨ م) فقد أخذ يظهر فى صورة جديدة لم تكن معروفة فى مصر قبل ذلك، سواء فى تكوين العناصر الزخرفية أو فى طريقة الحفر، فالأخشاب الطولونية مزينة بزخرفة محفورة حفرا مائلا وتمثل بضعة فروع وخطوط، وقد يؤلف منها رسم تخطيطى محور عن الطبيعة لحيوان أو طائر. ويلاحظ أن هذا الأسلوب الجديد فى الحفر والزخرفة يذكرنا بأسلوب الطراز الأخير من طراز الزخرفة فى الجص العباسى فى سامرا.

أما أخشاب العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ ــ ١١٧١ م) فتوجد منها مجموعة طيبة فى حالة جيدة من الحفظ، وطبيعى أن أساليب الحفر فى الأخشاب التى تنسب إلى بداية هذا العصر، كانت لا تزال وثيقة الصلة بالأساليب التى كانت شائعة فى عصر الدولة الطولونية.

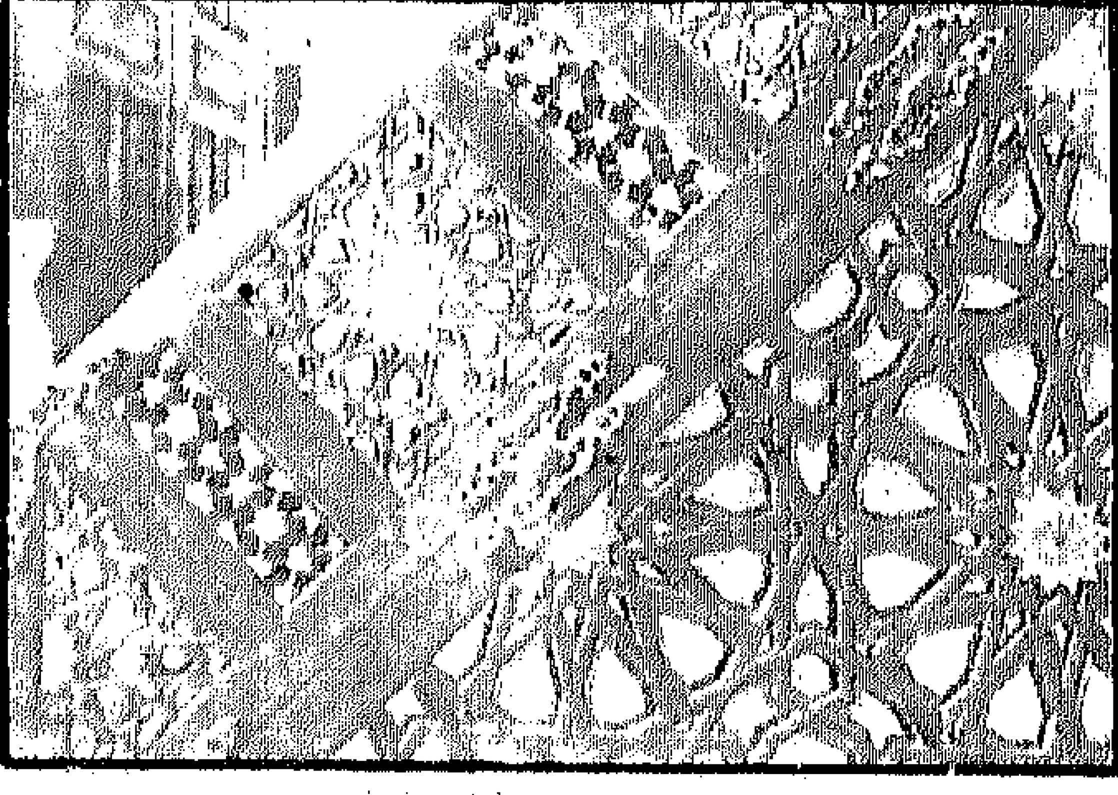
وبانتهاء عصر الخليفة الحاكم سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) تنتهى الفترة الأولى من عصر الفاطميين فى مصر وتبدأ الفترة الثانية التى تشمل حكم الخليفتين الظاهر والمستنصر والتى تطور فيها الحفر فى الخشب إلى أقصى ما بلغه فى عهد هذه الدولة. بدأت الفترة الثانية حيث أخذت الأساليب الزخرفية الطولونية تختفى تدريجيا بينما زادت الدقة فى الحفر والإتقان العظيم فى نقش الفروع النباتية والأوراق فضلا عن التوفيق العظيم فى استعمال رسوم الحيوانات والطيور عنصرا زخرفيا وتمثيل الطبيعة فى إخراج هذه الزخارف أصدق تمثيل. ومن أبرز أمثلة الحفر فى الخشب لهذه الفترة مجموعة من ألواح خشبية عثر عليها بمارستان قلاوون ولكن طراز زخارفها يشهد بأنها ترجع إلى العصر الفاطمى.

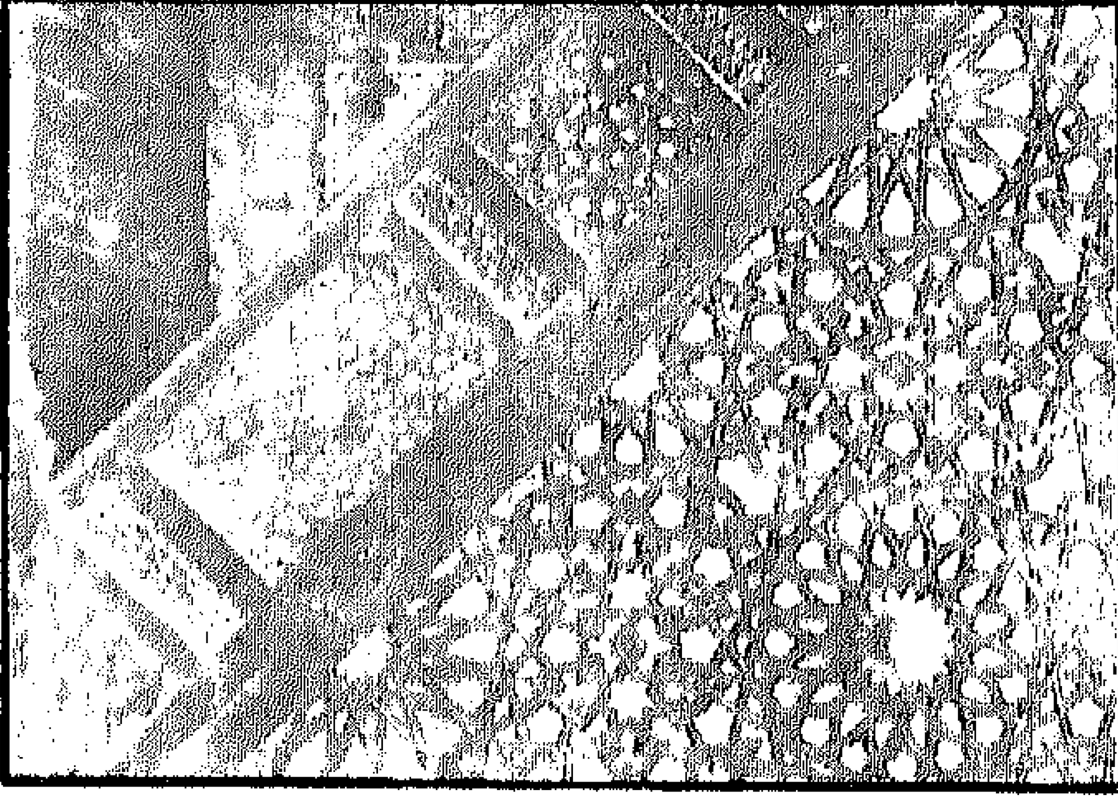
والجديد فى زخارف هذه الألواح (وهى معروضة فى القاعة ٦) أنها نضم رسوما كثيرة لأشكال آدمية فى مناظر صيد أو موسيقى أو رقص وطرب وغير ذلك من المناظر التى تصور الحياة الاجتماعية لهذا العصر، كما أن هذه الزخارف توجد داخل مناطق ذات أرضية نباتية بالنقش البارز فى مستوى أقل بروزا من مستوى الرسوم الآدمية، ومعنى ذلك أن الزخارف فى الحفر على هذه الألواح فى أكثر من مستوى واحد.

أما التحف الخشبية التى ترجع إلى الفترة الأخيرة من حكم الفاطميين ابتداء من عصر المستعلى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) فأهم ما تمتاز به أن الفنان بدأ يتجه نحو زخرفة المساحات الكبيرة من غير أن تكون الزخرفة فيها وحدة مستمرة لأن زخرفة هذه المساحات كانت عن طريق تجميع عدة حشوات صغيرة ذات أشكال نجمية أو مسدسة، وعلى كل حشوة منها زخرفة قائمة بذاتها. وفى محراب السيدة رقية المعروض فى المتحف الإسلامى (انظر الصورة) مثال واضح لهذا التطور فى زخارف أخشاب هذه الفترة. أما العناصر الزخرفية لهذه التحف فتتألف من رسوم هندسية وأخرى نباتية فى غاية الدقة وتشتمل على سيقان ووريقات بينها أوراق العنب وحباته مرسومة فى أسلوب يمثل الطبيعة أحسن تمثيل. كما أن الكتابات الكوفية أذنت بالتجويف وببداية الخط النسخ، هذا إلى جانب استمرار استخدام رسوم الطيور والحيوانات فى الزخارف غير أن هذه الرسوم كانت أقل تفاصيلا من مثيلاتها فى القرن الخامس الهجرى (١١ م).

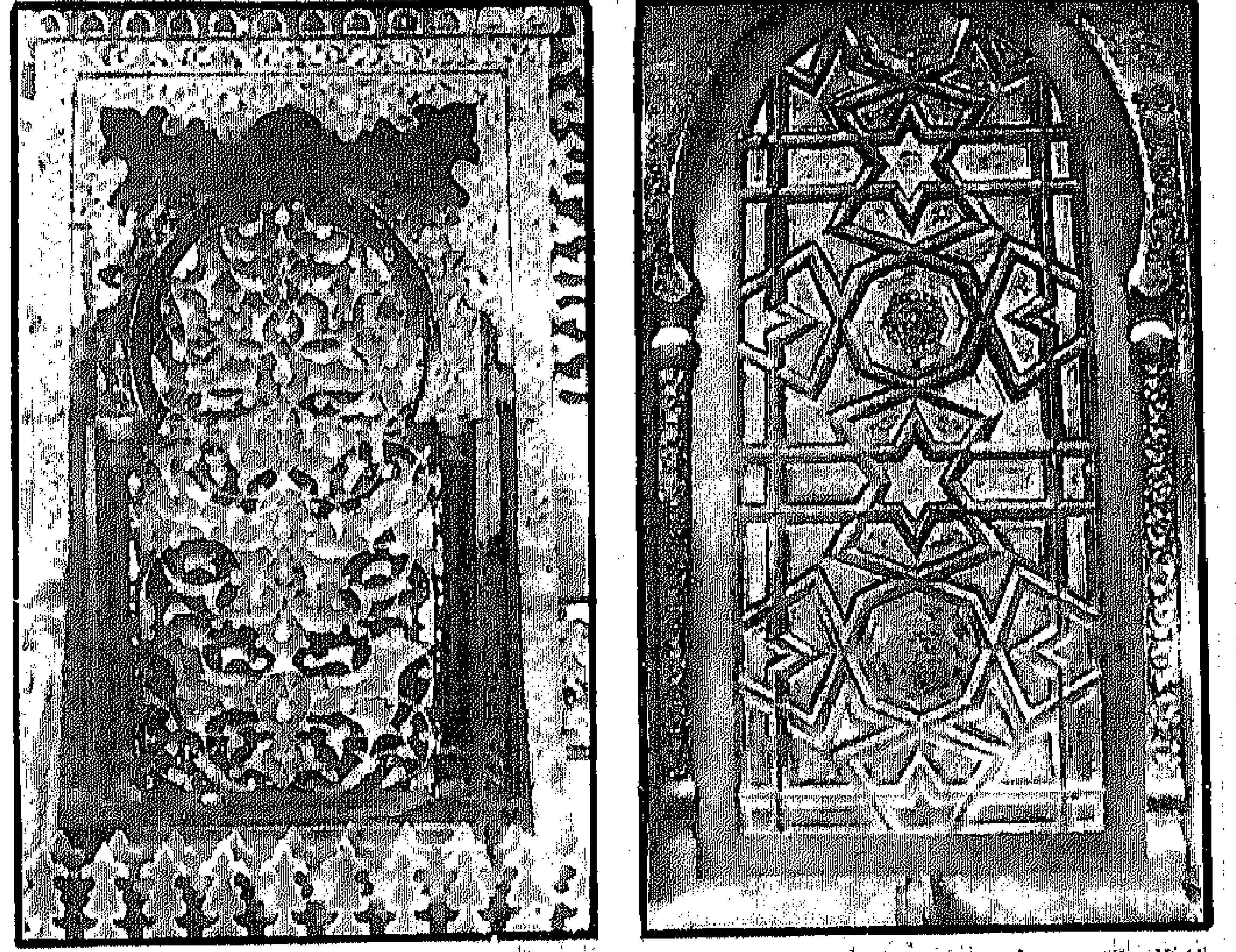
أما فى عصر الدولة الأيوبية (٥٦٤ ـ ٦٤٨ هـ) (١١٦٨ ـ ١٢٥٠ م) فقد احتفظت صناعة الحفر على الخشب فى هذا العصر بالأساليب الفنية التى كانت مستعملة فى نهاية العصر الفاطمى، ولكن الذى نلاحظه فى التحف الأيوبية أن الخط النسخ يحل محل الخط الكوفى فى معظم الحالات وأن الزخارف النباتية فى الحشوات تزداد دقة وإبداعا كما أن زخارف بعض الحشوات، وخصوصا التى ترجع إلى صدر هذه الدولة وتنسب إلى سوريا، تظهر فيها التأثيرات السلجوقية بوضوح.

أما فى عصر دولتى المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) فقد استطاع الفنان أن يبدع فى زخرفة الحشوات





بالرسوم الدقيقة وأصبح العنصر الزخرفى السائد فى ترتيب الحشوات تجميعها بحيث تؤلف أطباقا نجمية وأجزاء من أطباق. أما رسوم الحشوات فكانت تمتاز بأنواع المراوح النخيلية والفروع النباتية والوريقات وما إلى ذلك مما تبدو فيه الثروة الزخرفية جلية واضحة. وطبيعى أن استعمال هذه الحشوات المتكررة جعل زخارف الخشب المملوكى خالية من أى موضوع زخرفى رئيسى يظهر بوضوح بين تفاصيل ثانوية تحف به. وأقبل الفنان فى عصر المماليك على إنتاج التحف الدقيقة ولا سيما المنابر والخزانات والأبواب والكراسى والدكك، كما ازدهرت أساليب أخرى فى زخرفة الخشب كتطعيم الحشوات بخيوط أو أشرطة رفيعة من نوع آخر من الخشب أغلى ثمنا وأندر وجودا أو بالعاج والعظم، كما استخدم الفنان أيضا طريقة الترصيع وذلك بأن يكسو التحفة الخشبية بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتألف فى الغالب من قطع صغيرة من الأبنوس والسن وتلصق على السطح كله، كما كانت بعض الأخشاب تزخرف بنقوش ملونة ومذهبة تتألف من زخارف نباتية أو كتابات ورنوك.



زخارف من الخشب

نفيسة وتزين حنيته عناصر نباتية وأشرطة هندسية تكوّن أشكالا متعددة الأضلاع ، وله إطار مزين بالخط الكوفى المزخرف الذى يقترب ـ بسبب طبيعته اللينة ـ من الخط النسخى . وظهر المحراب مقسم إلى حشوات مستطيلة ذات نسب مختلفة زخارفها نباتية وهندسية ، ورقة وانسجام وتكامل زخارف هذا المحراب ، تذكرنا بالقدرة الفائقة على جمع أسلوبين من أساليب الزخرفة فى وحدة واحدة ، وهما الأسلوب الهندسى العلمى وأسلوب الأرابسك الذى يعتمد على الخط اللين يدفعه الشوق الصوفى إلى الملاذ الأعلى فى المطلق (الفن الإسلامى / ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

وعن فن الحفر فى الخشب عند المسلمين يقول الأستاذ أنور الرفاعى .

فأما فى الخشب فقد وصلنا من العصرين الأموى والعباسى عدة أمثلة منها حشوات فى المسجد الأقصى بالقدس . وباب أموى ، فى الغالب ، مملوء بالزخارف الهندسية والنباتية ، ومنبر جامع عقبة فى القيروان ، المتميز بالإتقان . ويبدو أن الحفر الخشبى تقدم فى مصر فى العهد الطولونى ولكنه بلغ أوجه فى العصر الفاطمى إذ دقت الزخرفة وظهر التفريغ الدقيق .

ومن أمثلة ذلك تابوت قبر سكينة (فى دمشق) . وظلت هذه الصناعة محتفظة بأساليبها وانتشارها فى العهد الأيوبى والمملوكى وقد تركت لنا عددا كبيرا من المحاريب والنوافذ والحواجز والمنابر والتوابيت . (كتابوت صلاح الدين بدمشق) وقد تأثر الحفر فى العهد السلجوقى فى إيران وآسيا الصغرى بأساليب الشام ومصر وترك لنا تحفا محدودة كما تأثرها حفارو الأندلس . غير أن العصر المغولى والتيمورى أدخل على الزخارف الخشبية عناصر جديدة أكثر حياة وشبها بالطبيعة من الزخرفة الفاطمية (تاريخ الفن / ١٦٥ ، ١٦٧) .

ويقول الدكتور عبد الرحمن زكى :

وتابوت الإمام الشافعى يعتبر أروع ما وصل إلينا من التحف الخشبية الأيوبية ، وهو مصنوع من خشب الساج على هيئة منشور مستطيل يعلوه جزء هرمى الشكل ، وجميع جوانبه

وقد ازدهرت فى هذا العصر صناعة الشبكيات من الخشب المخروط حيث استعملت فى صناعة المشربيات التى تكسو واجهات المنازل وفى مقصورات المساجد . وكانت فتحات العيون فى المشربيات تتفاوت اتساعا بأن يملأ بعضها بقطع من الخشب المخروط لتؤلف كتابات أو رسوما .

ومنذ نهاية القرن التاسع الهجرى (١٥ م) كان للعوامل الاقتصادية والسياسية أثرها فى الضعف الذى تسرب إلى هذا الفن وغيره من الفنون الأخرى فقلّ ظهور الرسوم الزخرفية كما استخدم العظم بدلا من العاج فى التطعيم وكثر استعمال الحشوات البسيطة الخالية من الزخارف والمهيأة فى خشب التحفة نفسه بدلا من الحشوات ذات الزخارف المحفورة والمطعمة بالعاج التى امتاز بها العصر المملوكى الزاهر.

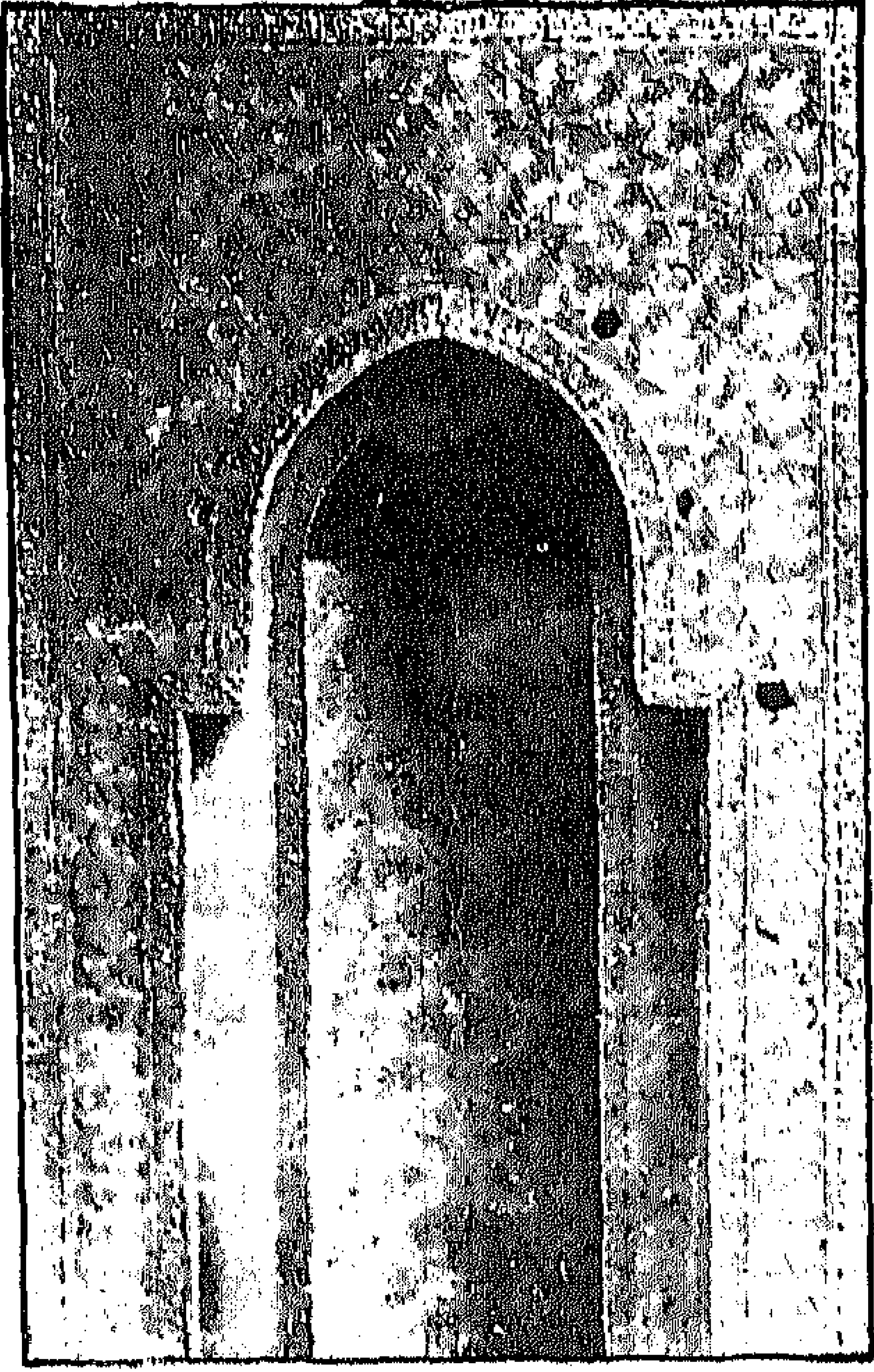
(دليل متحف الفن الإسلامى / ٤١ ـ ٤٤) .

ويوجد فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ثلاثة محاريب خشبية ، نقالى ، تعود إلى القرن ١٢ م . أبدعها محراب السيدة

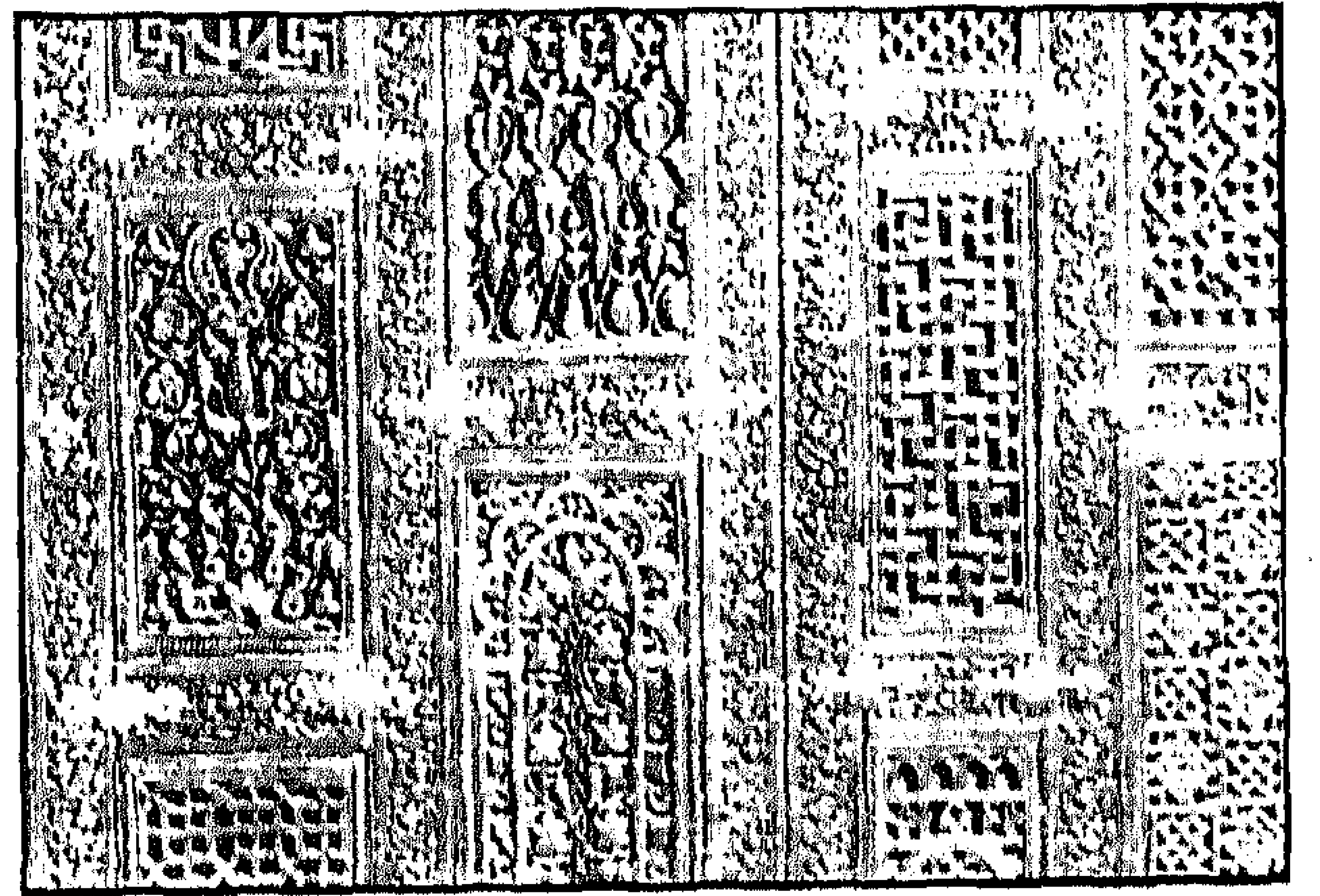
الأربعة مغطاة بحشوات منقوشة بزخارف نباتية دقيقة الصنع.
والنصوص التى نقرؤها على هذا التابوت تنقسم قسمين: قسم بالخط الكوفى مثبت على حشوة كبيرة بمقدمة التابوت، وقسم منقوش فى نهاية الجزء الهرمى الذى يعلو التابوت وهو بالخط النسخ والنص هو: «عمل هذا الضريح المبارك للإمام الفقيه أبى عبد الله بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن الهاشم بن المطلب بن عبد مناف رحمه الله صنعت (كذا) عبيد النجار».

وإلى جوار تابوت الإمام الشافعى يوجد تابوت آخر موضوع فوق تربة زوجة الملك العادل وهو لا يقل أهمية من الناحية الفنية أو التاريخية عن تابوت الإمام الشافعى، وهو مصنوع من الخشب وتتألف جوانبه من حشوات مجمعة ذات زخارف نباتية دقيقة تؤلف فيما بينها أطباقا نجمية ويتضمن نصا تاريخيا بالخط النسخ (الفن الإسلامى/ ٤٤، ٤٥).

وأنفس قطع الخشب المحفورة التى وصلتنا تعود إلى عهد الخليفة هارون الرشيد، وأهمها منبر جامع القيروان فى تونس (انظر الصورة)، وقد زخرف حسب الطراز العباسى، واستعملت فيه أشكال أغصان دالية العنب المتداخلة، وعليها أوراقها، ومعها أكواز الصنوبر بدلا من عناقيد العنب، ويعد منبر جامع القيروان تحفة نادرة لمدرسة بغداد فى فن الحفر على الخشب؛ وتدل الزخارف على براعة فائقة فى تنفيذ التفاصيل الدقيقة على السطوح النافرة، والتضاريس المختلفة.



لوحة (٦٥) محراب من الخشب المزخرف بالحفر — من مشهد السيدة رقية — القرن ١٢ م.



١٧ - تفصيل لمنبر القيروان بتونس

وقد استمر استعمال أشكال الصنوبر الذى ظهر أول مرة فى العهد الأموى حتى العهود اللاحقة، وأصبح أحد العناصر الزخرفية الهامة فى الزخرف الإسلامى والرقش، كما استعملت اللوحات الخشبية المحفورة أو الحشوات فى تزيين السقوف والأبواب، وبعضها لوّن بألوان جميلة جذابة بالإضافة إلى تحفيرها (الأمويون. والعباسيون. الأندلسيون/ ١٢٠).

(الفن الإسلامى فى مصر - د. زكى محمد حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثانية ١٩٩٤/ ٩١-٩٧، ٩٩ ودليل متحف الفن الإسلامى/ ٤١ - ٤٤، والفن الإسلامى - أبو صالح الألفى/ ٢٨٢، ٢٨٣، وتاريخ الفن عند العرب والمسلمين - أنور الرفاعى/ ١٦٥، ١٦٧، والفن الإسلامى - د. عبد الرحمن زكى/ ٤٤، ٤٥، والأمويون. والعباسيون. الأندلسيون - وجدان على نايف/ ١٢٠. انظر أيضا «الفنون الزخرفية» - د. سعاد ماهر. دراسات فى الحضارة الإسلامية الهيئة المصرية

العامة للكتاب ١٩٨٥، المجلد الأول/ ٣١٥ ـ ٣٢١، والفنون الإسلامية ـ م. س. ديماند ـ ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم د. أحمد فكرى / ١١٥ ـ ١٣٠ والفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ـ د. ربيع حامد خليفة / ٦٣ ـ ١٥٠).

*** الخشخاش:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب:

ويسمى الخشخاش فى مصر أيضا (أبو النوم). وتستعمله النساء لنوم الأطفال أورده المظفر الرسولى نقلا عن مصادر ثلاثة رمز إليها بالحروف التالية:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب «الجامع لقوى الأدوية والأغذية»

ج: ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان»

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى

قال:

الخشخاش: «ع» منه بستانى، وبزره أبيض، ومنه برى، وبزره أسود، وله رءوس إلى العرض مائلة، ومنه صنف ثالث برى أصغر من هذين الصنفين، وأشد كراهة، وله رءوس مستطيلة. وجميع الخشخاش قوته قوة تبرد، والخشخاش الذى يزرع فى المناهل، بزره ينوم تنويما معتدلا قصدا، ولذلك صار الناس ينثرون منه على الخبز، ويأكلونه، ويخلطونه بالعسل. والثانى من جنس الأدوية. والدوائية عليه أغلب، ويبرد تبريدا بليغا. والثالث هو أكثر دخولا فى جنس الأدوية، ويبلغ من شدة تبريده أن يحدث خدرا وتماوتا، فلا يستعمله إلا الطبيب المجيد، ليكسر قوة تبريده، لأنها فى الدرجة الأخيرة الرابعة من درجات الأشياء المبردة. والأبيض منه إذا سحق الرأس منه كما هو بقشره، وحمل على مقدم الدماغ، سكن الصداع الحار ونوم، وإذا سحق الرأس كما هو بقشره وأضيف إلى مثله حلبة مسحوقة، وطبخ بماء أو ماء ورد، بحسب حرارة العلة، ووضع على الرمد فى ابتدائه، سكن الوجع، وردع المادة، وإذا خلط بالأدوية النافعة من السهال، بحسب استعماله مطبوخة أو ممسكة، نفع من السعال الرقيق المادة، بأن يغلظها، ومن الحارة بأن يعدلها، ومما ينصب من الدماغ، بأن يمنعه من انصباب المواد إلى الحلق.

«ج» خشخاش أبيض: هو البستانى، وهو أصلح الخشاخيش للأكل، وأجوده الحديث الرزين، وهو بارد رطب فى الدرجة الثانية، وقيل فى الثالثة، وقيل إنه يابس فى الثانية، وهو نافع من السعال البارد، ونوازل الصدر، ونفث الدم، والمواد الحارة النازلة من الرأس ... وقشره أشد تقويما من بزره إذا طبخ وصب ماؤه على الرأس، والأسود هو البرى المصرى. وهو بارد يابس فى الثالثة، وقيل فى الرابعة، وقد يستعمل فى وجع العين إذا اشتد عند الضرورة إليه، على خطر فيه، وهو نافع من شدة حرارة الكبد، وقدر ما يؤخذ منه دانقان، وهو منوم مخدر، يحتمل فى فتيلة فينوم وخشخاش بحرى، ثمرته معقفة كقرن الثور ويعرف بالمقرّن، وهو مقطّع شديد الجلاء، يطلى به النقرس مع اللبن.

«ف» الخشخاش الأبيض معروف. وهو صنفان: برى وبستانى، ينفع من السعال والنوازل فى الصدر، وجرمه يحبس البطن، وماؤه يُسهل. الشربة منه: ثلاثة دراهم. والأسود برى وبستانى، وأجوده المصرى الحديث الرزين، وهو بارد يابس فى الثانية وينقى الصدر، وبالشراب للإسهال المزمن، ومنه يصنع الأفيون، أى من عصارته، وهو من الأدوية المسبتة، إذا دق وأغلى وصب ماؤه على الرأس ينفع من الصداع الحادث من إحراق الشمس، ومن الحرارة التى فى البدن، فإذا أحرق وأخذ رماده، وطلى على الجرب مع دهن الخل ودهن الورد فى الحمام، وترك حتى ينزل من تلقاء نفسه بالعرق، نفع مزمنه. والمقرّن البحرى مقطّع، شديد الجلاء، وورقه نافع من القروح الوسخة، ويأكل اللحم الزائد، ويقطع الخشكريشات، وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهرة لفرط جلائه. (المعتمد ١/ ١٢٧، ١٢٨).

كما أورده الشيخ داود الأنطاكى فقال عنه: الخشخاش: إذا أطلق يراد به النبات المعروف فى مصر بأبى النوم وهو أبيض هو أجوده وأحمر أعدله وأسود أشده قطعا وأفعالا وزهر

كل كلونه وقد يزهر أصفر وله أوراق إلى خشونة ما ويطول إلى نحو ذراع ويخلف هذا الزهر رؤوسا مستديرة غليظة الوسط يجمع آخرها قمعا يشبه الجلنار لكن أدق تشريفا وداخلها نقطة كان تلك التشاريف خطوط خارجة منها وداخلها هذه بزر مستدير صغير كما ذكرنا من الألوان وقد تكون الحبة الواحدة ذات ألوان كثيرة وكله إما برى مشرف الورق مزغب كثيرا أو بستانى ويزرع الخشخاش بأواخر طوبة إلى تمام أمشير ويدرك ببرمودة ومنه يستخرج الأفيون والخشخاش بارد يابس لكن الأسود من البرى فى الرابعة والأبيض البستانى فى الأول وغيرهما فى الثالثة هذا من حيث جملته فإذا فصل كان بزره حارا رطبا فى الثانية على الأرجح وقشره كما سبق فإذا دق بجملته رطبا وقرص كان مرقدا جالبا للنوم مجففا للرطوبة محللا للأورام قاطعا للسعال وأوجاع الصدر الحارة وحرقة البول والإسهال المزمن والعطش شربا وطلاء ونطولا وكذا إن طبخ بجملته بعد الإنضاج لكن يكون أضعف ويفعل قشره كذلك أما بزره فنافع لخشونة الصدر والقصبة وضعف الكبد والكلى مسمن للبدن تسمينا جيدا إذا لوزم على أكله صباحا ومساء أو خبز مع الدقيق ومتى أضيف إلى مثله من اللوز وعمل حشوا وشرب سمن المهازيل وقوى الكلى وأذهب الحرقة وولد الدم الجيد وقشره يقطع الزحير والثقل مع النيمرشت شربا ويحلل الأورام بدقيق الشعير طلاء وإذا نقع فى ماء الكزبرة وعمل طلاء على الجمرة والقروح والنملة الساعية أذهبها ويصب طبيخه على الرأس فيشفى صداعه وأنواع الجنون كالبرسام والماليخوليا وزهره عظيم النفع فى المراقد ويقع فى الأكحال لأجل الحرقة وقروح القرنية والإكثار منه يسدر ويثبت والأبيض يضر الرئة ويصلحه العسل أو المصطكى والأسود الرأس ويصلحه المرزنجوش والشربة من زهره إلى نصف درهم ومن قشره إلى درهم ومن بزره إلى عشرة والأسود نصف ما ذكر وبدله الخس.

والخشخاش الزبدى نبت طويل الأوراق مزغب الساق أبيض جلاء حاد مقطع والخشخاش المقرن نبت له ورق كالجرجير يشبه المنشار فى تشريفه له زهر أصفر يخلف قرونا معوجة فيها بزر كالحلبة حار يابس فى الثالثة يقطع الأخلاط الغليظة اللزجة بالقيء والإسهال وينفع من الاستسقاء وربما اشتبه بالجبلهنك والفرق بينهما عدم صفرة هذا والمعروف بجلجلان الحبشة هو الخشخاش البرى لا المقرن والزبدى خلافا لمن زعمه (تذكرة أولى الألباب ١/ ١٤٠).

وقال عنه القزوينى :

الخشخاش : يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر وأما الأبيض فنافع للسعال جدا من نوازل الصدر ومع العسل... وأما الأسود فمنوم جدا وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع به، عصارة المصرى تسمى أفيونا، وهو مخدر مسكن كل وجع شربا وطلاء، الشربة منه مقدار عدسة، وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه (غرائب المخلوقات/ ١٨٦).

وقد بسط ابن سينا الكلام عليه وتناول الخصائص الطبية لأنواعه المختلفة فقال :

الخشخاش أصناف كثيرة، منها البستانى. ويتخذ من بزره خبز يؤكل فى الصحة. وقد يستعمل أيضا مع العسل بدل السمسم. رأس هذا الصنف مستطيل، وبزره أبيض. ومنها البرى، له رؤوس إلى العرض، وبزره أسود. ومن الناس من يسميه راوس، لأنه تسيل منه رطوبة لينة. ومنه صنف ثالث برى، أصغر من الصنفين، وأشد كراهة، له رؤوس مستطيلة، وقوة الثلاثة الأصناف مبردة. وينبغى أن تدق الرؤوس وهى طريئة، ويعمل منها أقراص ويجفف ويخزن.

وأما صمغة الخشخاش، فإنما تستخرج إذا زال عنه الظل الذى يقع على النبات، بأن يشق بالسكين حول رأس الخشخاش شقا رقيقا، بقدر ما لا يثقب، ويشرط جوانب الخشخاش شرطا ابتداؤه من الشق الأول مارا على استقامة، ولا يعمق الشرط. فإذا نبع لبنه وصمغه أخذ بالإصبع، ويجمع فى صدفة، وعلى هذا، كلما نبع مسح، وجمع فيها وقتا بعد وقت، فإنه إذا مسح موضع الشرط وتركه قليلا، وجد من الصمغة شيئا قد ظهر طول النهار، ومن الغد، ينبغى أن تؤخذ هذه الصمغة وتسحق على صلابة، ويعمل منها أقراص الخشخاش، ويخزن.

ومن الخشخاش صنف آخر سواحلى. وهو نبات له ورق

عليـه زغب، مسرف الطـرف كسرمق المنشـار، مثل ورق الخشخاش البرى. وساق شبيه بساقـه، وله زهر أصفر، وثمر صغار بغلف منحن كالقرون، وفيه بزر أسود صغار، وشبيه ببزر الخشخاش الأسـود. وينبت أصله على وجـه الأرض. غليظ أسود. ينبت فى سواحل البحر وأماكن خشنة. ومن الناس من غلط وظن أنه يستخرج من هذا النبات.

ومن الخشخاش صنف آخر يسمى الخشخـاش الزبدى. وإنما سمى بهذا الاسم لأنـه يشبه بالزبد فى بياضـه، له ساق طولـه نحو من شبر، وورق صغـار، وله ثمر وهذا النبـات كله أبيض. وساقه، وورقه، وثمره، شبـه الزبد. وله أصل دقيق. ويجمع ثمره متى استكمل الفطم، وذلك يكون فى الصيف. وإذا جمع جفف وخـزن. أجـوده وأسلمـه الأبيض. يجب أن تدق رؤوس الخشخاش من كل صنف طريا، ويقرص ويخزن ويستعمل. وأجـود مـا يكـون من صمغـه شـديـد الـريح من الطعم، حين الـذوب، لينـا، أملس، أبيض، ليس بخشن، ولا يجمد إذا خلط بـالماء، كما يجمـد الموم. وإذا وضع فى الشمس ذاب. وإذا قـدم من لهيـب السـراج اشتعل، وإذا اطفىء كـانت رائحتـه قـويـة. قيل: إنـه يظلم العين، ويثقل السمع، وقال إدريـوس الحكيم: إن هذا الدواء لـولا أنه يغش لكان يعمى من يكتحل به. وقال آخر إنما ينتفع به من الرائحة فقط لينوِّم، وأما فى سائر الأشياء فهو ضار وقد ـ لعمرى ـ إنهم غلطوا، وخالفوا ما يتعرف بـالتجارب من قوة هذا الدواء، فإن ما يظهر منه عند التجارب يدل على حقيقة ما أخبرنا من فعله.

أصناف الخشخاش مبرده، وليس فيـه تغذية يتغذى بها. والأسـود منه مغلظ، مجفف، والخشخـاش البحرى المقـرن الذى ثمرتـه معقفة كقرن الثور، حار، مقطع، شـديدُ الجلاء، وزهره البـرى منه ينقى آثـار قروح عين المـواشى. وَرَقُ المقرن السـاحلى نـافع من القـروح الـوسخـة، ويأكل اللحم الـزائد لجلائه، ويقلع الخشكريات (النتوءات). وكذلك زهره، ولا يصلح للقروح الظاهـرة لفرط جلائه. والبرى يتخـذ منه ضماد بـالزيت علـى القرح فيقلعهـا. يطلى البحـرى مع اللبن على النقـرس فينفع، وإذا طبخ أصل الخشخـاش البـرى ليـذهب النصف، وسقى، نفع من عرق النسا. منـوم. وخاصة الأسود مخدر. وصـاحب السهر إذا ضمد به جبهتـه انتفع وكذلك إذا نطل بطبيخه، والزبدى منه إذا بقى شربا فى ماء القراطن انتفع به المصروعون، من جهة أنـه ينقى معدهم خاصة. ودهنه مع دهن الورد صـالح للصداع إذا مرغ به الرأس. علـى أن اجتنابه مـا أمكن أولى. فقـد يقطر طبيخـه فى الأذن الشـديـدة الألم فيسكن وجعها.

يستعمل البـارد فى أوجاع العين الشـديدة عنـد الضرورة، وفيه خطـر، كما قلنا فى الأفيـون، إلا أن يخلط ببعض الأدوية المـانعـة لمضرته، فيقل ضـرره. نـافع من السعـال الحـار، والنوازل إلى الصدر، ومن نفث الدم، وقد يتخذ منه لعوق نافع لذلك جدا، وخصـوصا إذا خلط بأقاقيا وعصـارة لحية التيس (اسم نبات). قال ابن ماسـويه: إن بزر الأسود ينقى الصدر. وأما القشر فالأظهر من حاله أنه يعسر النفس، وفى جميع بزره تنقية. نافع من رطوبات المعدة. والبحرى المقرن منه إذا طبخ أصله بـالماء حتى ينتصف الماء، نفـع من علل الكبد، ولمن فى بطنه، خلط غليظ. وبزر الزبـدى منه ينقى. وقيل هذا فى البـرى أيضا. الأبيض الأسـود إذا دق نـاعمـا وسقى بالشـراب الأسود العفص قطع الإسهال المزمن، وليس يجلو طبيعته من قسـوة مطلقـة. ومع ذلك ينحـل فى المـاء، وطبيخـه القـوى للطبخ إذا حقن نفع الـدوسنطـاريـا، وإذا شرب بـزره بشـراب قراطن لين الطبيعـة، وإذا سقى من الزبدى قـدر أكسوف فى ماء القراطن قيًّا ويسهـل بزر الزبدى البلغم (القانـون فى الطب / ٢٩٩ ـ ٣٠٣).

وعن زراعة الخشخاش جاء ما يلى فى مفتاح الراحة:

قـال ابن وحشية: وهـذا نبات مشهـور فى أكثر البلـدان، وهو نـوعان: أبيض وأسـود، أعنى بزره، وقـد يطحن الأبيض منـه، ويـؤكل خبـزه بعـد أن يعجن ويخبـز، فيغـذو البـدن، وينبغى أن يؤكل خبزه مع الحـلاوات، وهو نبات شتوى يحب الأرض التى يخالط تـربتها رمل، والتى فيها أدنى رطوبـة ونز، والتى قد استنقعت، ويعيش بـريح الشمال والغربيـة، ويذبل إن دامت عليه الجنـوب الخالصة. وقد ينبت منـه شىء لنفسه فى البـرارى والقفار، ويورد وردا نصـف الوردة الفوقـى أسود، ونصفها الآخـر أبيض، وينبغى ألا يقرب أحد هذا النبـات فإنه

سم قاتل. وليس يحتاج الخشخاش البستانى إلى إصلاح ولا إلى علاج، لقلة ما يعرض له من الآفات. وهو يزرع على وجهين، نثرا على الماء، ثم يغطى إذا نصب. أو يؤخذ منه برؤوس الأصابع فيجعل فى حفائر صغار، ثم يطمر بالتراب. ومن أراد أن يكثر زريعته، فليزرعه فى غلفه، فإذا زرع هكذا نبت منه أصل كثير، يكون منه قضب كثيرة إلا أنه يبطىء، ويحتاج قبل زرعه أن تحرث له الأرض بشبر نصف ثم يزرع فيها.

الوصف والتشبيه: (الوافر)

وخشخاش كأنا منه نَفْرى
قميص زَبَرْجَد عن جسم دَر
كأقداح من البلور صِيغَتْ
بأغشية من الديباج خُضْر

(مفتاح الراحة/ ١٣٢)

وقد أورد السيوطى هذين البيتين فى حسن المحاضرة (٢/ ٤٢٨) ونسبهما لابن وكيع.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ١٢٧، ١٢٨، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى١/ ١٤٠، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ١٨٦، والقانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبور. قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى/ ٢٩٩ ـ ٣٠٣، ومفتاح الراحة لأهل الفلاحة لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ـ تحقيق ودراسة د. محمد عيسى صالحية، و د. إحسان صدقى العمد/ ١٣٢، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٤٢٨. انظر أيضا معجم أسماء النباتات الواردة فى تاج العروس للزبيدى ـ جمع محمود مصطفى الدمياطى/ ٥٢).

*** خشداش:**

معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش، أى الزميل فى الخدمة. والخشداشية أو الخجداشية أو الخواجداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر: الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحدفنبتت بينهم رابطة الزمالة القديمة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١٢٠).

*** خشقدم الأحمدى:**

انظر: خشقدم اللالا.

***خشقدم الأحمدى (جامع ـ) أثر: ١٥٣**

وصفه على باشا مبارك كما كان فى زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع درب الحصر من خط الخليفة. وله باب على الشارع وآخر داخل درب الحصر، وبه إيوانان ومنبر ودكة تبليغ من الخشب تحتها عمودان من الرخام، وبأعلاها لوح رخام منقوش فيه بليقة ذهبية: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾** وبدائرة إزار خشب مكتوب فيه أسماء الله الحسنى، وتاريخ سنة سبعين وثمانمائة. وله مطهرة ومنارة، وهو الآن مقام الشعائر مع قلة أوقافه، وهو تحت نظر الديوان.

ولعل هذا الجامع هو جامع خشقدم اللالا الذى ذكره السخاوى فى الضوء اللامع ا هـ.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢٢٢).

*** خشقدم (حارة):**

حارة خشقدم أو خوشقدم ذكرها على باشا مبارك فى خططه عند الكلام على شارع العقادين وكان يعرف أيضا بشارع الشوايين (ويعرف الآن بشارع الغورية) يقول على مبارك: وآخره باب سوق المؤيد الذى فى مقابلة زاوية سالم. وعلى يسار المار بهذا الشارع باب حارة خوشقدم، وهى حارة الديلم التى ذكرها المقريزى، وكانت كبيرة جدا، فإن درب الأتراك الذى تجاه سور الجامع الأزهر القبلى أصله منها، واليوم يفصل بينهما حارة الكحكيين فما كان يعرف بحارة الديلم فى القديم صار الآن ثلاث حارات: حارة الكحكيين، ودرب الأتراك، وحارة خوشقدم.

حارة خوشقدم

وإلى الآن يوجد بحارة خوشقدم زقاق مشهور بحبس الديلم، وهو كدهليز صغير ضيق عليه باب ولا شىء فيه، واليوم فتح فيه باب منزل على يمين الداخل إليه.

جامع كافور الزمام (المدرسة الزمامية، أثر ١٠٧).

وبهذه الحارة من الآثار القديمة المدرسة التى تجاه منزل خسرو باشا، وتعرف الآن بجامع الديلمى، وهو جامع صغير

بناؤه شركسى بغير عمد وشعائره مقامة، ومنافعه تامة، وبه منبر وخطبة، وله منارة، ويعرف أيضا بالجامع الحوانى، وبجامع كافور الزمام، وهو مدرسة حارة الديلم التى ترجم لها المقريزى ولم يذكرها.

حمام الجبيلى

وحمام الجبيلى له بابان: أحدهما من الكحكيين، والآخر من زقاق فى حارة خوشقدم يعرف بزقاق المزار، وهى حمام قديمة، سماها المقريزى حمام الجوينى، عرفت بالأمير عز الدين إبراهيم بن محمد الجوينى والى القاهرة فى أيام الملك العادل أبى بكر بن أيوب، لأنه أنشأها بجوار داره، وتنقلت إلى أن اشتراها القاضى أوحد الدين ياسين كاتب السر الشريف فى أيام الملك الظاهر برقوق بطريق الوكالة عن الملك الظاهر، وجعلها وقفا على مدرسته بخط بين القصرين، وهى الآن فى جملة الموقوف عليها. (انتهى ملخصا). وقال صاحب «قطف الأزهار»: هى باقية إلى اليوم، وتعرف بحمام الجبيلى (انتهى). (قلت): وهى لم تزل باقية إلى يومنا هذا يدخلها الرجال والنساء، وعليها حكر لوقف السلطان الغورى، وأظنها جددت فى عهده.

قال المقريزى: وهذه الحارة عرفت بحارة الديلم لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولاه معز الدين البويهى وجماعة من الأتراك فى سنة ثمان وستين وثلثمائة، فسكنوا بها، فعرفت بهم، ثم قال: وحارة الأتراك هى تجاه الجامع الأزهر، وتعرف اليوم بدرب الأتراك وكان نافذا إلى حارة الديلم. والوراقون القدماء تارة يفردونها من حارة الديلم، وتارة يضيفونها إليها ويجعلونها من حقوقها فيقولون حارة الديلم والأتراك وتارة يقولون حارتى الديلم والأتراك، وقيل لها حارة الأتراك لنزول جماعة من الأتراك بها، وكانت مختلطة بحارة الديلم لأنهما أهل دعوة واحدة إلا أن كل جنس على حدة لتخالفهما فى الجنسية، ثم قيل بعد ذلك درب الأتراك. (انتهى ملخصا).

وكانت حارة خوشقدم مسكنا للأمراء والأعيان كما هى الآن، ولذلك يقال لها فى حجج الأملاك حارة الأمراء، وإلى وقتنا هذا بها عدة دور من دور الأمراء والأعيان مثل دار خسرو باشا، ودار الأمير سليمان باشا أباظة (ويغلب على الظن أنها هى دار الأمير خوشقدم)، ودار الحاج محمد الطوير، والحاج سيد الخرزاتى، والسيد الحمصانى وغيرهم.

قالت المؤلفة: كما أن بها الآن بيت جمال الدين الذهبى كبير تجار مصر، وقد أفردنا مادة بعنوان «بيت جمال الدين الذهبى» فى م ٨ / ٨٥، ٨٦ فانظرها فى موضعها.

ويمضى على مبارك فى الكلام على حارة خوشقدم فيقول: وبها سبع عُطف منها أربع على يمين المار بها، وليست نافذة.

الأولى: عطفة شق العرسة (قالت المؤلفة: اسمها الآن عطفة خوشقدم): هذه العطفة يغلب على الظن أنها زقاق العريسة الذى ذكره المقريزى فى ضمن الكلام على الحريق الذى حصل فى القاهرة حيث قال: وقع الحريق بحارة الديلم فى زقاق العريسة بالقرب من دار كريم الدين ناظر الخاص فى خامس عشرى جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكانت ليلة شديدة الريح، فسرت النار من كل ناحية، حتى وصلت إلى بيت كريم الدين، وبلغ ذلك السلطان، فانزعج انزعاجا عظيما لما كان هناك من الحواصل السلطانية، وجمعوا الناس لإطفائه، ووقف الأمير بكتمر الساقى، والأمير أرغون النائب على نقل الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده بدرب الرصاصى وخربوا ستة عشر دارا من جوار الدار وقبالتها حتى تمكنوا من نقل الحواصل. (انتهى). ودرب الرصاصى المذكور هو عطفة الحمام الآن.

الثانية عطفة الطاحون عرفت بذلك لأن بها طاحونا يطحن فيه بالأجرة.

الثالثة العطفة الصغيرة.

الرابعة عطفة الجامع، وبداخلها ضريحان: أحدهما لسيدى الغمرى، والآخر لسيدى الطباخ.

وثلاثة على اليسار: الأولى هى التى سماها المقريزى درب ابن المجاور، فقال: إن على يسرة من دخل من أول حارة الديلم دربا يعرف بدرب ابن المجاور بداخله دار الوزير نجم الدين بن المجاور وزير الملك العزيز عثمان، مات بمكة سنة ست وثمانين وخمسمائة. (اهـ).

الثانية عطفة الحمام، وهى زقاق الحمام الذى ذكره المقريزى حيث قال: زقاق الحمام بحارة الديلم عرف قديما بخوخة المنقدى، ثم عرف بخوخة سيف الدين حسين بن أبى الهيجاء صهر بنى رزيك وزوج ابنة الصالح بن رزيك، ثم عرف بزقاق حمام الرصاصى، ثم عرف بزقاق المزار، ثم قال: وفيه قبر تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب، وأنه كان مؤدبا للحسين بن على بن أبى طالب، وهو كذب مختلق وإفك مفترى كقولهم فى القبر الذى بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق، وفى القبر الآخر إنه قبر أبى تراب النخشبى، وفى القبر الذى على يسرة من خرج من الباب الحديد ظاهر باب زويلة إنه قبر زرع النوى وإنه صحابى، وغير ذلك من أكاذيبهم. (انتهى).

الثالثة عطفة الطوير بداخلها بيت محمد بيك الطوير أحد تجار المغاربة بمصر.

وهذا وصف حارة خوشقدم قديم وحديثا. (انتهى).

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٢ / ١١٩ ـ ١٢١).

*** خُشْقَدَم (الظاهر) (٧٩٥ ـ ٨٧٢ هـ / ١٣٩٣ ـ ١٤٦٧ م):**

خشقدم بن عبد الله الناصرى، أبو سعيد سيف الدين، السلطان، أول ملوك الروم بمصر والشام والحجاز: وكان مملوكا للخوجة ناصر الدين ــ وإليه نسبته ــ واشتراه منه «المؤيد» شيخ بن عبد الله، بمصر، وأعتقه واستخدمه. ثم عينه الظاهر جقمق «مقدم ألف» فى دمشق سنة ٨٥٠ هـ، وأيعد إلى مصر، فعينه الأشرف إينال «أمير سلاح» ثم ولاه المؤيد أحمد «أتابكية» العساكر، وهى أعلى الرتب فى الدولة. وثار المماليك على المؤيد فخلعوه، ونادوا بسلطنة «خشقدم» سنة ٨٦٥ هـ، فتلقب بالملك «الظاهر» وسجن بعض أمراء الجيش، وقتل آخرين، فقامت فتنة أتباعهم، فقمعها، وصفا له الجو. وكان داهية، فهيبا، كفؤا للسلطنة، فصيحا بالعربية، قليل الأذى بالنسبة إلى من جاء بعده من ملوك الروم. وهدأت البلاد فى أيامه. واستمر إلى أن توفى ٨٧٢ هـ بالقاهرة (الأعلام ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦).

قال السخاوى: وأنشأ مدرسة بالصحراء بالقرب من قبة النصر، وتُربة، وكثرت مماليكه الذين غطُّوا ما لعله اشتمل عليه من المحاسن، وعظُم وضخُم وهابته ملوك الأقطار فمن دونهم وانقطع معاندوه، إلى أن مرض فى أوائل المحرم ولزم الفراش حتى مات بعد ظهر يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين [وثمانمائة] وقد ناهز خمسا وستين، وصلى بباب القلة (انظر: القلة (باب ـ) بحضرة الخليفة ممن دونه، ثم دفن بعد عصر يومه بالقبة التى أنشأها بمدرسته، وكان عاقلا مهابا عارفا صبورا بشوشا مدبرا متجملا فى شئونه كلها حشما مليحا رشقا عارفا بأنواع الملاعب كالرمح والكرة وسوق الخيل، مكرما للعلماء والفقراء، معتقدا فيمن ينسب إلى الخير، وربما كان يقرأ فى القرآن على التاج السكندرى وغيره. واستدعى بى فى مرض موته فقرأت له الشفا فى ليلة فاتحته وخاتمته بحضرته وتأدب كثيرا وأنعم بما قسمه الله، وله فهم وذوق بحيث يلم ببعض ما يتكلمه الفقهاء عنده (الضوء اللامع م٢ ج٣/ ١٧٥، ١٧٦).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٥، ٣٠٦، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م ٢ جـ ٣/ ١٧٥، ١٧٦).

*** خُشقدم اللالا (ـ ٨٩٤ هـ):**

قال السخاوى فى الضوء اللامع: خشقدم الظاهرى جقمق الرومى اللالا، ويقال له أيضا الأحمدى لتاجره. لم ينتقل فى أيام أستاذه عن كونه لولده (اللالا لفظ تركى يوصف به من يعمل مربيا لأولاد السلاطين. انظر مادة «جوهر اللالا (مسجد ومدرسة ـ) فى م ١٢ / ٥٧٣) ... وقد عمل إحدى قاعاته بالقرب من درب الرملة جامعا تقام فيه الجمعة والجماعة، وجدد زاوية قطاى تحت القلعة وبنى بها بيوتا ونحوها، وحفر هناك بئرا تكلف نقرها فى الحجر، وكان أول أمره لالة ولد سيده ثم صار أحد السقاق، ثم فى أيام الأشرف فايتباى كان رأس نوبة السقاة، ونوبة الجمدارية، وشاد السواقى، ثم عمل وزيرا بمشارفه، ثم استقر خازندارا زماما فظلم وعسف وأهين مرة بعد أخرى، وتأمر على الحج، وربما كان يتلو القرآن، ويصلى بالليل، ويستعمل بعض الأوراد ويبكى، واستمر على الزمامية والخازندارية حتى غضب عليه

السلطان وأرسله مع ابن عمر شيخ هوارة ليرسله إلى سواكن، فكانت منيته بسواكن فى شوال سنة أربع وتسعين ذليلا مهانا، وقد بلغ السبعين إن لم يكن جازها، وكان يقول قبل انفصاله بنحو سنة إن له فى القلعة أربعا وخمسين سنة رحمه الله تعالى:

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٢٢، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م٢ حـ٣ / ١٧٦، ١٧٧).

*** خشنام البصرى:**

من كتاب المصاحف المشهورين والمجودين فى الخط الكوفى، عاش فى أيام الرشيد وعاصر مهدى الكوفى، ذكر أن خشنام البصرى كان على كل حال كبير الحجم فخما يملأ العين.

(نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبيش / ٢٧٤).

*** الخُشَنى (ـ ٥٤٤ هـ ١١٤٩ م):**

محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود، أبو بكر الخُشَنى، ويقال له ابن أبى الرُّكب، عالم بالعربية والقراءات. أندلسى، من أهل جبان. استوطن غرناطة وولى الخطبة بجامعها له «شرح كتاب سيبويه».

(الأعلام ٧ / ٩٦).

*** الخشوع:**

جاء فى التعريفات:

الخشوع والخضوع والتواضع: بمعنى واحد، وفى اصطلاح أهل الحقيقة الخشوع الانقياد للحق، وقيل هو الخوف الدائم فى القلب. قيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول.

(التعريفات / ١٣٢، ١٣٣).

وقال الراغب الأصفهانى:

خشع: الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح، قال تعالى: ﴿ويزيدهم خشوعا﴾ [الإسراء: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾، [الأنبياء: ٩٠] ﴿وخشعت الأصوات﴾ [طه: ١٠٨] ﴿خاشعة أبصارهم﴾، [القلم: ٤٣] ﴿أبصارهم خاشعة﴾، [النازعات: ٩] كناية عنها وتنبيها على تزعزعها كقوله تعالى: ﴿إذا رجت الأرض رجا﴾، [الواقعة: ٤] و ﴿إذا زلزلت الأرض زلزا لها﴾ [الزلزلة: ١] ﴿يوم تمور السماء * مورا وتسير الجبال سيرا﴾، [الطور: ٩، ١٠] (المقررات / ١٤٨).

وجاء فى اللسان فى مادة «خشع»: خَشَع يخشع خُشُوعا واختشع وتخشَّع: رمى ببصره نحو الأرض وغضَّه وخفض صوته. وقوم خشع: متخشعون. وخشع بصره: انكسر ... واختشع إذا طأ طأ صدره وتواضع، وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع فى البدن، وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع فى البدن والصوت والبصر، كقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارُهم﴾ [القلم: ٤٣]، ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ [طه: ١٠٨]... والتخشُّع: تكلف الخشوع. والتخشع لله: الإخبات والتذلل (لسان العرب ١٣ / ١١٦٥).

وينكر الإمام ابن الجوزى على المتخشعين ادعاءهم الخشوع بطأطأة رءوسهم لما فيه من رياء، ويذكر أن السلف كانوا يستنكرون ذلك، فيقول، مشيرا إلى نفسه بعبارة «قال المصنف رحمه الله»:

قال المصنف رحمه الله: إذا سكن الخوف القلب أو جب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقا متأدبا متذللا وقد كانوا يجتهدون فى ستر ما يظهر منهم من ذلك. وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم. فقد روى عن على رضى الله عنه: إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب. ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح فى المباح فينبغى أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذمور تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحه وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه

يستنزل الإجابة . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا ، فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حمله الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لاخشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيرا مايرفع رأسه إلى السماء ، وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى ﴿فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ [ق : ٦] وقال ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ [يونس : ١٠١] وفي هذا وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء ، وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن إطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة ، فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخود منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزار ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون ، أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له : ياهذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملطي ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثني يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميم نا أبو بكر عن عاصم أبن كليب الجرمي : قال لقي أبي عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشي وكان إذا مشى يمشي جنب الحائط متخشعا هكذا : وأمال أبو بكر عنقه شيئا فقال أبي مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط ، أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهوري الصوت .

أخبرنا محمد بن طاهرنا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله وقدرت فتيانا يقصرون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت : ما هذا؟ قالوا نساك . قالت : كان والله عمر إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السختياني أنه كان في ثوبه بعض الطول ليستر حاله . وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من علمي . وقال لصاحب له ورآه يصلي ما أجرأك تصلي والناس يرونك قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر ابن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعني السلمي ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يالها من سجدة لو كانت في بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيي بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل في مجلس الحسن بن عماره آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد المقري نا أحمد بن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبد الله محمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول :

ودع الـــــــذين إذا أتـــــوك تنسكــــــوا
وإذا خلـــــوا فهــم ذئاب خفــــــاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو عمر الحسن ابن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطى نا الحسين بن عبد الله الا بزارى قال سمعت إبراهيم بن سعيد يقول: كنت واقفا على رأس المأمون فقال لى يا ابراهيم: قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد إلى الله والله منها شيء. قلت ماهى يا أمير المؤمنين فقال بكاء إبراهيم على المنبر، وخشوع عبد الرحمن بن إسحاق، وتقشف ابن سماعة، وصلاة خيعويه بالليل، وصلاة عباس الضحى، وصيام ابن السندى الاثنين والخميس، وحديث أبى رجاء، وقصص الحاجى، وصدقة حفصويه وكتاب الشامى ليعلى بن قريش (فقد العلم والعلماء / ٢٨٠ ـ ٣٨٣).

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٣٢، ١٣٣، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٤٨، ولسان العرب لابن منظور ١٣ / ١١٦٥، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزى / ٢٨٠ ـ ٢٨٣. انظر الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشرى / ١٥٥ ـ ١٢٠).

*** خُشَيش بن أَحْرَم (ـ ٢٥٣ هـ / ٨٦٧):**

خُشَيْش بن أحرم بن الأسود النسائى، أبو عاصم، من حفاظ الحديث. له كتاب «الاستقامة» فى الرد على أهل البدع. مات بمصر (الأعلام ٢ / ٣٠٦).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة فى أصحاب الكتب التى تعرف بكتب السنة، وهى «الكتب الحاضة على اتباعها والعمل بها وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء» وقال عنه: «وكتاب الاستقامة فى الرد على أهل البدع لأبى عاصم خشيش بمعجمات مصغرا ابن أصرم النساب الحافظ المتوفى سنة ثلاثة وخمسين ومائتين» (الرسالة المستطرفة / ٣٠).

(الأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٦، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٢٩، ٣٠).

*** الخصاف (ـ ٢٦١ هـ / ـ ٨٧٥ م):**

من فقهاء الحنفية:

أحمد بن عمر، وقيل: عمرو، بن مهير، وقيل: مهران الشيبانى، أبو بكر، الخصاف

ذكره صاحب «الهداية» فى الوديعة، بلقبه الخصاف.

روى عن أبيه، وحدث عن أبى عاصم النبيل، وأبى داود الطيالسى ومسدد بن مسرهد، والقعنبى، ويحيى بن عبد الحميد الحمانى. وعلى بن المدينى، وعارم بن محمد أبى الفضل. وأبى نعيم الفضل بن دكين، فى خلق.

ذكره النديم، فى «فهرست العلماء»، فقال: كان فاضلا، فارضا حاسبا، عارفا بمذهب أصحابه، وكان مقدما عند المهتدى بالله، وصنف للمهتدى «كتابا فى الخراج»، فلما قتل المهتدى نُهب الخصاف، وذهبت بعض كتبه، ومن جملتها كتاب الخراج هذا، و «كتاب» عمله فى المناسك، لم يكن خرج للناس.

قال النديم: وله من المصنفات: كتاب الخيل» فى مجلدين، و «كتاب الوصايا»، وكتاب «الشروط الكبير» وكتاب «الشروط الصغير»، و «كتاب الرضاع»، و «كتاب المحاضر والسجلات»، وكتاب أدب القاضى»، و «كتاب النفقات على الأقارب»، « كتاب إقرار الورثة بعضهم لبعض»، و «كتاب أحكام الوقف» و «كتاب النفقات» و «كتاب العصير وأحكامه» و «كتاب ذرع الكعبة والمسجد الحرام والقبر».

قال ابن النجار: وذكر بعض الأئمة، أن الخصاف كان زاهدا ورعا، يأكل من كسب يده.

وقال شمس الأئمة الحلوانى: الخصاف، رجل كبير فى العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وقال شمس الأئمة الحلوانى: الخصاف، رجل كبير فى العلم، وهو ممن يصح الاقتداء به.

وروى عن بعض مشايخ بلخ، أنه قال: دخلت بغداد، وإذا على الجسر رجل ينادى ثلاثة أيام، يقول: إن القاضى أحمد بن عمرو الخصاف، استفتى فى مسألة كذا، فأجاب بكذا وكذا وهو خطأ، والجواب كذا وكذا، رحم الله من بلّغها صاحبها.

قلت: هكذا ينبغى أن يكون العلماء، وهكذا يجب أن يكون التحفظ فى دين الله، والنصيحة لعباد الله، لا كعلماء زماننا الذين ليس لهم غرض إلا التفاخر بالعلم، والتكبر به، وإظهار القوة والغلبة، فلا يبالى أحدهم إذا كان مستظهرا فى البحث على خصمه، أن يكون على الحق أو على الباطل، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكانت وفاة صاحب الترجمة ببغداد، سنة إحدى وستين ومائتين رحمه الله تعالى.

له ترجمة فى: تاج التراجم / ٧، الجواهر المضية ١ / ٨٧، ٨٨، ٢/ ٣٦٩، طبقات الفقهاء للشيرازى / ١١٨، طبقات ابن هداية الله / ٢٤، الفهرست ١ / ٢٠٦، الفوائد البهية / ٢٩، ٣٠، كشف الظنون ١ / ٢١.

(الطبقات السنية فى تراجم الحنفية للمولى تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى الغزى المصرى - تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ١ / ٤٨٤، ٤٨٥. انظر أيضاً مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٣٨١).

*** الخصال:**

الخصال: لأبى الحسن على بن مهدى الأصبهانى الطبرى ثم البغدادى المتوفى فى حدود سنة «٣٣٠» جمع فيه الأشعار والحكم والإمثال.

(كشف الظنون / ٧٠٥).

*** الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام:**

مجلد شرحه أبو محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ ست وخمسين وأربعمائة وسماه الإيصال إلى فهم كتاب الخصال وهو شرح كبير أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة فى مسائل الفقه ودلائله.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٤، ٧٠٥).

*** خصال السلف:**

خصال السلف فى آداب السلف والخلف: لمولانا حسن ابن حسين التالشى وهو مختصر أوله: الحمد لله مميت الأحياء ومحيى الأموات إلخ ... ذكر فيه أنه ألفه حين قدم من مكة المكرمة

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

*** الخصال فى الفروع:**

الخصال فى الفروع: لأبى ذر عبد الله بن أحمد الهروى الحافظ المتوفى سنة ٤٣٤، والطرسوسى نجم الدين ابراهيم ابن على بن أحمد الحنفى المتوفى سنة ٧٤٦، وفى فروع الشافعية لابن سريج أحمد بن عمر الشافعى المتوفى سنة ٣٠٦ ست وثلثمائة وفى فروع المالكية لأبى بكر محمد المالكى القرطبى المتوفى سنة ٣٨١ إحدى وثمانين وثلثمائة مجلد ذكر فى أوله نبذة من الأصول وسماه بالأقسام والخصال ولو سماه بالبيان لكان أولى لأنه ترجم الباب بقوله البيان عن كذا.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

قالت المؤلفة: أورده حاجى خليفة تحت عنوان «الخصال فى فروع الحنفية»، ولكنه كما ترى أورد فروعا أخرى هى الشافعية والمالكية، ومن ثم فقد غيرنا العنوان إلى «الخصال فى الفروع» وأحلنا إليها «الخصال فى فروع الحنفية».

*** الخصال فى فروع الحنفية:**

انظر: الخصال فى الفروع

*** الخصال المكفّرة للذنوب المقدمة والمؤخرة:**

الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة: لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو مختصر أوله: الحمد لله غافر الذنب، وفى بعض النسخ أحمده والحمد له ... الخ رتب على أربعة أبواب مشتملة على الأحاديث الواردة فيه والآثار.

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥).

*** الخصائص:**

كتاب فى النحو لابن جنى، واحد زمانه فى التصريف

والبحث فى فقه اللغة وخصائصها . أورده حاجى خليفة تحت عنوان «الخصائص فى النحو» وقال عنه :

الخصائص فى النحو: لأبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ اثنتين وتسعين وثلثمائة قال السيوطى فى اقتراحه وضعه فى أصول النحو وجدله لكن أكثره خارج عن هذا المعنى فلخص منه الاقتراح وضم إليه فوائد كما سبق . واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلى المتوفى سنة ٦٥١ إحدى وخمسين وستمائة . ولموفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادى حاشية على الخصائص المذكورة (كشف ١ / ٧٠٦).

وقد طبع الجزء الأول فى القاهرة سنة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م، وطبع بدار الكتب بتحقيق الأستاذ محمد على النجار من سنة ١٩٥٢ م إلى سنة ١٩٥٥ م فى ثلاثة أجزاء (الأعراب الرواة / ٣٣١، ٣٣٢).

وقد أورد المنتخب فقرة من كتاب الخصائص كنموذج للنشر العلمى التأليفى ننقلها لك فيما يلى :

باب القول على اللغة وما هى؟

أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . هذا حدها . وأما اختلافها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمواضعة هى، أم إلهام، وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعَلَةٌ من لَغَوتُ أى تكلمتُ . وأصلها لغة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، لقولهم كروْت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دللت على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى «سر الصناعة» . وقالوا لها : لغات ولغون، ككرات وكرون، وقيل منها : لغى يلغى : إذا هذى . قال :

ورب أسراب حجيج كظَّم
عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ [الفرقان : ٧٢] أى بالباطل . وفى الحديث : «من قال فى الجمعة صَه فقد لغا» أى تكلم . وفى هذا كاف (المنتخب ٢ / ٣٣٩).

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦، والأعراب الرواة ـ د. عبد الحميد الشلقانى / ٣٣١، ٣٣٢ والمنتخب فى أدب العرب ـ طه حسين وزملائه ٢ / ٣٣٩).

انظر ترجمة ابن جنى فى م ١٢/ ٣٩٧ـ٤٠١ .

*** خصائص الأحجار:**

من المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى : خصائص الأحجار.

مجهول المؤلف .

أوله : الحمد لله العلى المجيد القوى الشديد . . وبعد فإنى قد جمعت فى كتابى هذا ملخص كلام المتقدمين والمتأخرين من الحكماء المعتبرين من الجواهر والأحجار، والله تعالى هو الموفق والمستعان ... إلخ

وآخره : والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٦٦ . فى ٥٦ ورقة ومسطرتها ١٥ سطرا .

١٠×٢٠ سم

[دار الكتب المصرية ـ ٣٦ طبيعة]

منه نسخة أخرى بعنوان «سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار»

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية حـ ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهر ١٩٦٣ / ٣٨، ٣٩).

*** خصائص الأقاليم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الجغرافيا كتاب المقدسى الموسوم «بأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» وقد تناول فى أحد فصوله خصائص الأقاليم مما ننقله لك فيما يلى كنموذج للنشر العلمى : قال المقدسى، وقد امتدح بعض الأقاليم وذم بعضها الآخر :

أظرف الأقاليم العراق. وهو أخف على القلب، وأحد للذهن، وبها (أنث الضمير ذهابا بالعراق إلى البلاد) تكون النفس أطيب، والخاطر أدق إذا كانت كفاية . وأجلها وأوسعها فواكه، وأكثرها علما وأجلة وبردا المشرق. وأكثرها صوفا وقزا

ودخلا على قدره الديلم. وأجودها ألبانا وأعسالا وألذها أخبازا وأمكنها زعفرانا الجبال. وأكثرها ثمارا، وأرخصها أسعارا ولحوما، وأثقلها قوما الرحاب. وأسفلها قوما وأشرهم أصلا وفصلا خوزستان (الجبال والرحاب وخوزستان من أقاليم العجم). وأحلاها تمورا، وأوطؤها قوما كرمان. وأكثرها فانيذا (حلواء من السكر والدقيق) وأرزازا ومسكا وكفارا السند. وأكيسها قوما وتجارا، وأكثرها فسقا فارس. وأشدها حرا وقحطا ونخيلا جزيرة العرب. وأكثرها بركات وصالحين وزهادا ومشاهد الشام. وأكثرها عبادا وقراء وأموالا ومتجرا وخصائص وحبوبا مصر. وأخوفها سبلا، وأجودها خيلا، وأوسطها قوما أقور (هو إقليم الجزيرة وقد أوردناه تحت عنوان أقور (إقليم ـ) فى م ٥ / ٥٤٥ ـ ٥٤٧ فانظره فى موضعه) وأجفاها وأثقلها وأغشها قوما، وأكثرها مدنا، وأوسعها أرضا المغرب.

وقال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى: دخلت على الجاحظ فقلت: أفدنى فى البلدان فائدة. قال: نعم الأمصار عشرة:

المروّة ببغداد، والفصاحة بالكوفة، والصنعة بالبصرة، والتجارة بمصر، والغدر بالرى، والجفاء بنيسابور، والبخل بمرو، والصلف ببلخ، والحرفة بسمرقند.

وقد صدق، لعمرى، إلا أن بنيسابور أيضا صناعا حذاقا، وبالبصرة تجارات، وبمكة فصاحة، وبمرو دهاة.

وصنعاء طيبة الهوا، وبيت المقدس حسنة البنا، وصغر وجرجان موضع الوبا، ودمشق كثيرة الأنهار وصغد ممتدة الأشجار، والرملة لذيذة الثمار، وطبرستان دائمة الأمطار، وفرغانة رخيصة الأسعار، والمروة والجحفة معدن الدعار، والرقة موضع الأخطار، وهمذان وتنيس مركز الأحرار، والشام إقليم الأخيار، وسمرقند فرضة (الفرضة: محط السفن) التجار، ونيسابور بلدة الكبار، والفسطاط أهل الأمصار. وطوبى لأهل الغرج بعدل الشار (جاء فى «بلدان الخلافة الشرقية» لسترنغ ٤٥٨: «الغرج ـ على ماذكر المقدسى ـ هى الجبال فى لغة أهل البلاد تلك، والشار الملك فى لغة خراسان، فتفسير «غرج الشار» جبال الملك. وصاروا يسمون هذه البلاد فى أواخر العصور الوسطى: غرجستان، وهى جبال فى خراسان وقد ورد هذا التفسير فى أحسن التقاسيم ص: ٣٠٩ وأضاف إليها المقدسى: «وثم عدل حقيقى، ونظر غريزى، وبقية من سنن العمرين، ورسوم تقر بها العين» وهو المعنى المقصود) ولإصفهان الهواء والحلل والفخار (أفردنا لها مادة خاصة فى م ٥ / ١٣٢ ـ ١٤١ فانظرها فى موضعها) ورسوم شيراز على الإسلام عار، وعدن دهليز مع صحار، وبالصغانيان الكلأ والثمار والأطيار، وبخارا جليلة لولا الماء وحريق النار، وبلخ خزانة الفقه مع الرحب واليسار، وإيليا تصلح لأهل الدين والدار، وأهل بغداد قليلو الأعمار، وصنعاء ونيسابور بالضد. وليس أكثر ولا أرذل من مذكرى نيسابور، ولا أطمع من أهل مكة، ولا أفقر من أهل يثرب، ولا أعف من أهل بيت المقدس، ولا آدب من أهل هراة وبيار، ولا أذهن من أهل الرى، ولا أنقب من أهل سجستان، ولا أبخس من أهل عمان، ولا أجهل من أهل عمان، ولا أصح موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم، ولا أحسن من أهل حمص وبخارا، ولا أقبح من أهل خوارزم، ولا أحسن لحى من الديلم، ولا أشرب للخمور من أهل بعلبك ومصر، ولا أفسق من أهل سيراف، ولا أعصى من أهل سجستان ودمشق، ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش، ولا أوطأ من أهل مصر، ولا أبله من أهل البحرين، ولا أحمق من أهل حمص، ولا ألبق من أهل فسا ونابلس ثم الرى بعد بغداد، ولا أحسن لسانا من أهل بغداد، ولا أوحش من لسان صيدا وهراة، ولا أصح من لسان خراسان، ولا أحسن عجمية من أهل بلخ والشاش، ولا أعفط من أهل البطائح، ولا أسلم صدورا من أهل هيطل، ولا أخير قوما من أهل غرج الشار.

فإن سأل سائل: أى البلدان أطيب نُظر: فإن كان ممن يطلب الدارين قيل له: بيت المقدس. وإن كان مخلصا آمنا من الطمع قيل: مكة. وإن كان ممن يطلب النعمة والحيازة والرخص والفواكه قيل له: كل بلد أجزاك، وإلا فعليك بخمسة أمصار: دمشق والبصرة والرى وبخارا وبلخ. أو بخمس مدائن: قيسارية، وباعيناثا (بلدة لها نهر كبير يصب فى دجلة، تشبه بدمشق لكثرة بساتينها، وخجندة (بلدة نزهة

كثيرة الفاكهة على شاطئ سيحون) والدينور، ونوقان (إحدى قصبتى طوس والأخرى طابران). أو بخمس نواح: الصغد والصغانيان ونهاوند وجزيرة ابن عمر وسابور (كورة مدينتها النوبندجان) فاختر ما شئت منها فإنها مناره الإسلام. وأما الأندلس فيقال: إنها جنات. ومستفاض جنات الدنيا أربع: غوطة دمشق ونهر الأبلّة وروضة الصغد وشعب بوّان. ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر. وكل ما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمعزل خاصة الفقهاء، لأنى رأيت الفضل فيهم.

واعلم أن كل بلد فيه صاد فأهله حمُق إلا البصرة، فإن اجتمعت صادان مثل المصيصة وصرصر فنعوذ بالله. وكل بلد نسبت صاحبه إليه فلقيت الزاى الياء فهو داه مثل رازى مروزى سجزى. وكل بلد آخره (آن) فله خاصية أو طيبة، مثل: جرجان موقان أرجان. وكل بلد شديد البرد فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى، مثل: فرغانة وخوارزم وأرمينية ... وكل بلد يحيط به أنهار، فإن فى أهله شغبا وخروجا، مثل: دمشق وسمرقند والصليق. وكل بلد رحب رخى فإن المعايش به ضيقة إلا بلخ.

واعلم أن بغداد كانت جليلة فى القديم. وقد تداعت الآن، وإن مدحناها فللتعارف. وفسطاط مصر اليوم كبغداد فى القديم. ولا أعلم فى الإسلام بلدا أجل منه. وأما إقليم المشرق فقد فشا فيه الجور، وفسد. وهو خير من غيره. وأقاليم الأعاجم فلا تطيب لأهل أسفل. ولو كان للرملة ماء جار لما استثنينا أنها أطيب بلد فى الإسلام، لأنها ظريفة خفيفة، بين قدس وثغور، وغور وبحور، معتدلة الهواء، لذيذة الثمار، سرية الأهل، غير أن فيهم جهلا، خزانة مصر ومطرح البحرين رخية.

(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المعروف بالبشارى - وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم / ٤١ - ٤٣، ومن أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم - اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها غازى طليمات / ٧٨ - ٨٣ وقد وضعنا تعليقاته بين أقواس فى ثنايا النص).

* خصائص رسول الله ﷺ:

قال الجرجانى: الخاص: عبارة عن التفرد، يقال فلان خُصَّ بكذا أُفْرِد به ولا شركة للغير فيه (التعريفات / ١٣٣).

ومن ثَمَّ فإننا حين نتكلم على خصائص رسول الله ﷺ فإنما نعنى ما خُصَّ به صلى الله ﷺ دون سائر البشر.

وما من مؤلف تناول السيرة النبوية العطرة إلا وحصى تلك الخصائص فى إيجاز أو فى إسهاب. وفيما يلى ما أورده الشيخ الشبلنجى رحمه الله فى فصل أفرده لخصائص رسول الله ﷺ ودلائل نبوته. قال عن خصائصه ﷺ، وننقل لك منها بعضها:

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر فى ثمانية أنواع:

النوع الأول: ما اختص به فى ذاته فى الدنيا اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقا وبتقدم نبوته فكان نبيا وآدم منجدل فى طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ﴿ألست بربكم﴾.

قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ [الأعراف: ١٧٢] أى أنه ﷺ أول من شهد من بنى آدم.

وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت، وذكر الملائكة له فى كل ساعة، وذكر اسمه فى الأذان، والتبشير به فى الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره على قول، وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم، وبأن له ألف اسم، وبأنه سُمِّى من أسماء الله بنحو سبعين اسما، وبأنه سُمى أحمد ولم يُسَمَّ به أحد من قبله، وبأنه أرجح الناس عقلا، وبأنه أوتى كل الحسن، ولم يؤت يوسف إلا الشطر، وبغطِّه ثلاثا عند ابتداء الوحى عَدَّها البيهقى، وبرؤيته جبريل على صورته التى خلقه الله عليها، وبانقطاع الكهانة

لمبعثه وحراسة السماء، وبإحياء أبويه له حتى آمنا به، وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قوسين، وبوطئه مكانا ما وطأه نبى مرسل ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للبارى تعالى مرتين، وقتال الملائكة معه، وإيتائه الكتاب وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشتمل على ما اشتمل [اشتملت] عليه جميع الكتب وزيادة، جامع لكل شىء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

النوع الثانى: ما اختص به أمته فى شرعه ﷺ: اختص ﷺ بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً ولم تكن الأمم تصلى إلا فى البيع والكنائس، والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمجموع الصلوات الخمس، وبالعشاء ولم يصلها أحد، وبالأذان والإقامة وافتتاح الصلوات بالتكبير والتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين وبقول اللهم ربنا ولك الحمد وباستقبال الكعبة، وبالصف فى الصلاة كصفوف الملائكة، وبالجماعة فى الصلاة، وبتحية السلام، وبالجمعة، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وشهر رمضان، وأن الشياطين تصفد فيه، وأن الجنة تُزَيَّن فيه، وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك، وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا، وبالغفران فى آخر ليلة منه، وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان فى صدر الإسلام، وبليلة القدر كما قاله النووى فى شرح المهذب، وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته، وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاسترجاع عند المصيبة (أى قول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وبالحوقلة (أى قول: لا حول ولاقوة إلا بالله)وباللحد ولأهل الكتاب الشق، وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة، وبالعذبة للعمامة وهى سيما الملائكة، وبالاتزار فى الأوساط، وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم فقضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا. واشتق له اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع الإصر عنهم الذى كان على الأمم قبلهم، وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج، ورفع المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وحديث النفس وأن من هَمَّ بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فإن عملها كتبت سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرة، ووضع عنهم قتل النفس فى التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربع المال فى الزكاة، وشرع لهم نكاح أربع ...

وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة، وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذابا، والطاعون لهم شهادة ورحمة، وما دَعَوْا استُجيب لهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعدوا أن لا يهلكوا بجوع، ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم، ولا يعذبون بعذاب عذب به من قبلهم وإذا شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفة إذا شهد منهم مائة ردت شهادتهم، وهم أقل الأمم عملا، وأكثرهم أجرا، وأقصرهم أعمارا، وأوتوا العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليهم خزائن كل شىء حتى العلم، وأوتوا الإسناد والأنساب والإعراب وتصنيف الكتب، ولا تزال طائفة منهم على الحق حتى يأتى أمر الله، وفيهم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال، ومنهم من يصلى إماما بعيسى ابن مريم، ومنهم من يجرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، وعلماؤهم كأنبياء بنى إسرائيل، وتسمع الملائكة فى السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة فعل الأمر إن شاء الله تعالى، وإذا غضبوا هللوا، وإذا تنازعوا سبحوا، ومصاحفهم فى صدورهم، وسابقهم سابق، ومقتصدهم ناج، وظالمهم مغفور له، ويلبسون ألوان

ثياب الجنة، يراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله لهم، وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الرسل والأنبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد، وأُعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء وقال الله فى غيرهم ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: ١٥٩] ونودوا فى القرآن بيا أيها الذين آمنوا ونوديت الأمم فى كتبهم بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين.

النوع الثالث فيما اختص به فى ذاته فى الآخرة: اختص ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر فى سبعين ألف ملك، ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه فى الموقف... وأول شافع مشفع وبالشفاعة العظمى فى فصل القضاء، وبالشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة فى رفع درجات ناس فى الجنة جوز اختصاصها النووى والتى قبلها به، وبالشفاعة فيمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنهم، وبالشفاعة فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وأنه أول من يجوز على الصراط، وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نورا وليس للأنبياء إلا نوران ... وأنه أول من يقرع أبواب الجنة، وأول من يدخلها وبعده أمته، وبالكوثر، والوسيلة، وهى أعلى درجة فى الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنة، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبياء، وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه، قيل إن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب والله أعلم بالصواب.

النوع الرابع: ما اختص به فى أمته فى الآخرة: اختص ﷺ بأن أمته أول من تشق عنهم الأرض من بين الأمم، ويأتون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء، ويكونون فى الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد، ولهم سيما فى وجوههم من أثر السجود، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وعجل الله عذابها فى الدنيا وفى البرزخ لتوافى القيامة ممحصة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها، ولها ماسعت وما سعى لها وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قاله عكرمة، ويُقضى لهم قبل الخلائق، يدخل منهم الجنة سبعون ألفا بغير حساب.

النوع الخامس: ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات: اختص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد أى صلاة الليل، والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح وركعتى الفجر لحديث فى المستدرك وغيره، وغسل الجمعة ورد فى حديث ضعيف، وقضاء دين من مات من المسلمين معسرا على الصحيح، وقيل كان يفعله تكرما وأن يقول إذا رأى ما يعجبه لبيك العيش عيش الآخرة فى وجه حكاه فى الروضة وأصلها، وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردى وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما فى زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع.

النوع السادس: ما اختص به من المحرمات: اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه، وفى صدقة التطوع قولان: كذا نقل عن مغلطاى وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضا وعليها المالكية وعلى موالى آله فى الأصح، وتحريم كون آله عُمالا على الزكاة فى الأصح، وصرف النذر والكفارة إليهم، وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل ورد به حديث فى المسند، والمن ليستكثر (قالت المؤلفة: يقصد قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] ومعناه: لا تعط عطية لتعطى أكثر منها: مصحف الشروق / ٦٦٤) ومد العين إلى ما مُتع به الناس، ونكاح الكتابية، وقيل والتسرى بها، ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرا ولا يلزمه قيمته ولا يشترط فى حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول، وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين: ولو قدر نكاح الغرر فى حقه لا يلزمه قيمة الولد. قال ابن الرفعة: وفى تصور ذلك فى حقه فيه نظر.

النوع السابع: ما اختص به من المباحات: اختص ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنبا وفيها خلاف وبأنه لا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا ... وبإباحة الصلاة بعد العصر، وبإباحة النظر إلى الأجنبيات، والخلوة بهن ونكاح أكثر من

أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا ولى وبلا شهود وفى حال الإحرام ... وكان له أن يستثنى فى كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضاء فى حال الغضب ذكره النووى فى شرح مسلم، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلى إلا على نبى أو ملك، وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحى عن غيره إلا بإذنه، وكان يقطع الأراضى قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها. وأفتى الغزالى بكفر من عارض أولاد تميم الدارى فيما أقطعه لهم وقال إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى.

النوع الثامن : ما اختص به من الكرامات والفضائل: اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه، ويرى فى الليل والظلمة كما يرى بالنهار والضوء، وبأن ريقه يعذب الماء الملح، ويغذى الرضيع، وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه، وما تثاءب قط، ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء فى الثلاثة، وعرقه أطيب من المسك وكان إذا مشى مع الطويل طاله، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض، ولا رؤى له ظل فى شمس ولا قمر، ولا يقع ذباب على ثيابه، ولا آذاه قمل. وكانت الأرض تطوى له إذا مشى ... ولم ير له أثر قضاء حاجة بل كانت الأرض تبتلعه وكذلك الأنبياء، وكان يبيت جائعا فيصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة، ولم يضغط فى قبره وكذلك الأنبياء ولا يسلم منها لا صالح ولا غيره، ولا تأكل السباع جسده وكذلك الأنبياء، ولا يجوز للمضطر أكل ميتة نبى، وهو حى فى قبره يصلى فيه بأذان وإقامة وكذلك الأنبياء، ولهذا قيل لا عدة على أزواجه، وُمَوَكَّل بقبره ملك يبلغه صلاة المصلين، وتعرض عليه أعمال أمته ويستغفر لهم والمصيبة بموته عامة لأمته إلى يوم القيامة، ومن رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله فى أحد وجهين واستحب فى الآخرة، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها، وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظيم منصب النبوة ونورها فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الإعرابى الجلف ينطق بالحكمة. وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة، ولا يكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقى فى نكته، والمصلى بمسجده لا يبصق عن يساره كما هو السنة فى سائر المساجد، ويحرم التقدم عليه، ورفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول، ونداؤه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبة له ألبتة كما قال ابن عباس وغيره، ولم تبغ امرأة نبى قط، وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يُتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفى هذا القدر كفاية لأولى الأبصار وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطى فى رسالة سماها أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (نور الأبصار / ٤٠ - ٤٥).

قالت المؤلفة: ذكر حاجى خليفة (كشف ١ / ٧٠٥) تحت عنوان «الخصائص النبوية» يأتى، أن السيوطى ذكر أنه اختصر الخصائص النبوية وسماه « أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» كما ذكر شرحيه فانظره فى موضعه.

ويزيدنا علما بخصائص رسول الله ﷺ الإمام محيى الدين النووى فى التهذيب، وننقله لك فيما يلى إتماما للفائدة. قال رحمه الله:

قال أصحابنا خصائصه ﷺأربعة أضرب .

الأول ما اختص به ﷺ من الواجبات قالوا والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات العلى فلم يتقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افترض عليهم كما صرح به الحديث الصحيح ونقل إمام الحرمين عن بعض أصحابنا أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة واستأنسوا فيه بحديث، فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجد والسواك، والمشاورة. والصحيح عند أصحابنا أنها واجبات عليه وقيل ستين [درجة] والأصح عند أصحابنا أن الوتر غير التهجد والصحيح أن التهجد نسخ وجوبه فى حقه ﷺ كما نسخ فى حق الأمة وهذا هو

المنصوص للشافعي رحمه الله. قال الله تعالى ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ٧٩] وفي صحيح مسلم عن عائشة ما يدل عليه. ومنه وجوب مصابرته العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف. ومنه قضاء دين من مات وعليه دين لم يخلف وفاء. وقيل كان يقضيه تكرما لا وجوبا والأصح عند أصحابنا أنه كان واجبا وقيل يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئا يعجبه أن يقول لبيك إن العيش عيش الآخرة. ومن هذا الضرب في النكاح أنه أوجب عليه تخيير نسائه بين مفارقته واختياره. وقال بعض أصحابنا كان هذا التخيير مستحبا والصحيح وجوبه فلما خيرهن اخترنه والدار الآخرة فحرم عليه التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن قال الله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ [الأحزاب: ٥٢] ثم نسخ لتكون المنة لرسول الله ﷺ بترك التزوج عليهن. فقال تعالى ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ [الأحزاب: ٥٠] واختلف أصحابنا هل حرم طلاقهن بعد الاختيار فالأصح أنه لم يحرم وإنما حرم التبدل وهو غير مجرد الطلاق.

الضرب الثاني: ما اختص به من المحرمات عليه ليكون الأجر في اجتنابه أكثر وهو قسمان: أحدهما في غير النكاح فمنه الشعر والخط. ومنه الزكاة وفي صدقة التطوع قولان للشافعي أصحهما أنها كانت محرمة عليه وأما الأكل متكئا وأكل الثوم والبصل والكرات فكانت مكروهة له غير محرمة في الأصح. وقال بعض أصحابنا محرمات وكان يحرم عليه إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل. وقيل كان مكروها والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعض أصحابنا تفريعا على هذا أنه كان إذا شرع في تطوع لزمه إتمامه وهذا ضعيف وكان يحرم عليه مد العين إلى ما متع به الناس من زهرة الدنيا وحرم عليه خائنة الأعين وهي الإيماء برأس أو يد أو غيرهما إلى مباح من قتل أو ضرب أو نحوها على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وكان لا يصلي أولا على من مات وعليه دين لا وفاء له ويأذن لأصحابه في الصلاة عليه. واختلف أصحابنا هل كان يحرم عليه الصلاة أم لا ثم نسخ ذلك وكان يصلي عليه ويوفي دينه من عنده.

القسم الثاني: في النكاح فمنه إمساك من كرهت نكاحه والصحيح عند أصحابنا تحريمه وقال بعضهم كان لا يفارقها تكرما ومنه نكاح الكتابية والأصح عند أصحابنا أنه كان محرما عليه وبه قال ابن سريج وأبو سعيد الأصطخري والقاضي أبو حامد المروروذي. وقال أبو إسحاق المروذي ليس بحرام ويجري الوجهان في التسري بالأمة الكتابية ونكاح الأمة المسلمة لكن الأصح في التسري بالكتابية الحل وفي نكاح الأمة المسلمة التحريم. وأما الأمة الكتابية فقطع الجمهور بأن نكاحها كان محرما عليه وطرد الحناطي الوجهين وفرع الأصحاب هنا تفريعات لا أراها لائقة بهذا الكتاب.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أبيح له ﷺ دون غيره نوعان. أحدهما لا يتعلق بالنكاح فمنه الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك المختار الصفي والصفية وجمعها صفايا، ومنه خُمس الخمس في الفيء والغنيمة، وأربعة أخماس الفيء، ودخول مكة بلا إحرام، وإباحة القتال فيها ساعة دخلها يوم الفتح. وله أن يقضي بعلمه وفي غيره خلاف، ويحكم لنفسه وولده، ويشهد لنفسه وولده، ويقبل شهادة من يشهد له، ويحيي الموات لنفسه، ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعا. وذكر بعض أصحابنا في انتقاض وضوئه بلمس المرأة وجهين والمشهور الانتقاض. وفي إباحة مكثه في المسجد مع الجنابة وجهان لأصحابنا قال أبو العباس بن القاص في التلخيص يباح وقال القفال وغيره لا يباح وغلّط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة وقد يحتج للإباحة بحديث عطية عن أبي سعيد قال النبي ﷺ «ياعلى لا يحل لأحد يجنب في هذ المسجد غيري وغيرك» قال الترمذي حديث حسن. وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه. وأبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكيهما المحتاج إليهما إذا احتاج هو ﷺ إليهما ويجب على صاحبهما البذل له ﷺ وصيانة مهجته ﷺ قال الله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] واعلم أن معظم هذه المباحات لم يفعلها ﷺ وإن كانت مباحة له والله أعلم.

النوع الثانى : متعلق بالنكاح فمنه إباحة تسع نسوة والصحيح جواز الزيادة له ﷺ ومنه انعقاد نكاحه بلفظ الهبة على الأصح والأصح انحصار طلاقه فى الثلاث وقيل لا ينحصر وإذا عقد نكاحه بلفظ الهبة لا يجب مهر بالعقد ولا بالدخول بخلاف غيره . ومنه انعقاد نكاحه بلا ولى ولا شهود وفى حال الإحرام على الصحيح فى الجميع وإذا رغب فى نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة على الصحيح ويحرم على غيره خطبتها وفى وجوب القسم بين أزواجه وإمائه وجهان ، قال الإطخرى لا يجب فيكون من الخصائص . وقال آخرون يجب فليس منها . وبنى الأصحاب أكثر هذه المسائل ونظائرها على أصل عندهم وهو أن نكاحه ﷺ هل هو كالنكاح فى حقنا أم كالتسرى وأعتق صفية وتزوجها وجعل عتقها صداقها فقيل أعتقها وشرط أن ينكحها فلزمه الوفاء بخلاف غيره . وقيل جعل نفس العتق صداقا وصح ذلك بخلاف غيره وقيل أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا فى الحال ولا فيما بعد وهذا أصح وذكر الأصحاب فى هذا النوع أشياء كثيرة جدا حذفتها .

الضرب الرابع : ما اختص به ﷺ من الفضائل والإكرام فمنه أن أزواجه اللاتى توفى عنهن محرمات على غيره أبدا وفيمن فارقها فى الحياة أوجه أصحها تحريمها وهو نص الشافعى رحمه الله فى أحكام القرآن وبه قال أبو على بن أبى هريرة لقوله تعالى ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب : ٦] والثانى يحل والثالث يحرم التى دخل بها فقط . فإذا قلنا بالتحريم ففى أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان ومنه أن أزواجه أمهات المؤمنين سواء من توفيت تحته ومن توفى عنها وذلك فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم حقوقهن لا فى النظر والخلوة وتحريم بناتهن وأخواتهن فلا يقال بناتهن أخوات المؤمنين ولا آباؤهن وأمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين . وقال بعض أصحابنا يطلق اسم الأخوة على بناتهن واسم الخؤولة على إخوتهن وهذا ظاهر نص الشافعى رحمه الله فى مختصر المزنى . وهل كن أمهات المؤمنات فيه وجهان لأصحابنا أصحهما : لا بل هن أمهات المؤمنين دون المؤمنات وهو المنقول عن عائشة رضى الله عنها بناء على المذهب المختار لأهل الأصول أن النساء لا يدخلن فى ضمير الرجال . وقال البغوى من أصحابنا ويقال للنبى ﷺ أبو المؤمنين والمؤمنات ونقل الواحدى عن بعض أصحابنا أنه لا يقال ذلك لقوله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب : ٤٠] قال ونص الشافعى رضى الله عنه على جوازه أى أبوهم فى الحرمة قال ومعنى الآية ليس أحد من رجالكم ولد صلبه . وفى الحديث الصحيح فى سنن أبى داود وغيره « أن النبى ﷺ قال إنما أنا لكم مثل الوالد» قيل فى الشفقة وقيل فى ألا يستحيوا من سؤالى عما يحتاجون إليه من أمر العورات وغيرها . وقيل فى ذلك كله وغيره وقد أوضحت ذلك كله فى كتاب الاستطابة من شرح المهذب .

ومنه تفضيل نسائه ﷺ على سائر النساء وجعل ثوابهن وعقابهن ضعفين ، وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب ويجوز فى غيرهن مشافهة . وأفضل أزواجه خديجة وعائشة . قال أبو سعد المتولى واختلف أصحابنا أيتهما أفضل .

ومنه فى غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيين وخير الخلائق أجمعين . وأمته أفضل الأمم وأصحابه خير القرون وأمته معصومة من الاجتماع على ضلالة . وشريعته مؤبدة وناسخة لجميع الشرائع . وكتابه معجزة محفوظ عن التحريف والتبديل وهو حجة على الناس بعد وفاته ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت . ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت له الغنائم ، وأعطى الشفاعة والمقام المحمود ، وأرسل إلى الناس كافة وهو سيد ولد آدم ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وهو أكثر الأنبياء تبعا ، وأعطى جوامع الكلم ، وصفوف أمته فى الصلاة كصفوف الملائكة وكان لا ينام قلبه ويرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه ولا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته ولا أن يناديه من وراء الحجرات ولا أن يناديه باسمه فيقول يامحمد بل يقول يا نبى الله يارسول الله ويخاطبه المصلى بقوله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ولو خاطب آدميا غيره بطلت صلاته ، ويلزم المصلى إذا دعاه أن يجيبه وهو فى الصلاة ولا تبطل صلاته ، وكان بوله ودمه يتبرك بهما . وكان شعره طاهرا وإن حكمنا بنجاسة شعر الأمة .

واختلف أصحابنا فى طهارة دمه وبوله وسائر الفضلات. وكانت الهدية حلالا له بخلاف غيره من ولاة الأمور فلا تحل له هدية رعاياهم على تفصيل مشهور ولا يجوز الجنون على الأنبياء ويجوز عليهم الإغماء لأنه مرض بخلاف الجنون واختلفوا فى جواز الاحتلام والأشهر امتناعه. وفاته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر وواظب عليهما بعد العصر وفى اختصاصه بهذه الملازمة والمداومة وجهان لأصحابنا أصحهما وأشهرهما الاختصاص وقال ﷺ «لاتسموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى» وفى جواز التكنى بأبى القاسم خلاف أوضحته فى الروضة وفى كتاب الأذكار وقال ﷺ «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» قيل معناه أن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لا تنسب إليهم. وقيل ينتفع يومئذ بالانتساب إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب. قال أصحابنا: ومن استهان أو زنى بحضرته كفر كذا قالوه. وفى الزنا نظر. قال ابن القاص والقفال والمروزى ومن الخصائص أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقى الوحى ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها ومنه أن من رآه فى المنام فقد رآه حقا فإن الشيطان لا يتمثل بصورته ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائى منه فى المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر فى الشرع لعدم ضبط الرائى لا للشك فى الرؤية لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه.

ومنها أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور. ومنها قوله ﷺ «إن كذب على ليس ككذب على أحد» قال أصحابنا وغيرهم فتعمد الكذب عليه من الكبائر فإن استحله المتعمد كفر وإلا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها. وقال الشيخ أبو محمد الجوينى والد إمام الحرمين يكفر بذلك والصواب الأول وبه قطع الجمهور والله أعلم.

واعلم أن هذا الضرب لا ينحصر ولكن نبهنا بما ذكرناه على ما سواه ولنختم الفصل بكلامين. أحدهما قال إمام الحرمين قال المحققون ذكر الخلاف فى مسائل الخصائص خبط لا فائدة فيه فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس الحاجة إليه وإنما يجرى الخلاف فيما لا نجد بدا من إثبات حكم فيه فإن الأقيسة لا مجال لها والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة.

الكلام الثانى قال الصيمرى منع أبو على بن خيران الكلام فى الخصائص لأنه أمر انقضى قال وقال سائر أصحابنا لا بأس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم. هذا كلام الأصحاب والصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا إن لم يمنع منه إجماع لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتا فى الصحيح فعمل به أخذا بأصل التأسى فوجب بيانها لتعرف ولا مشاركة فيها وأى فائدة أعظم من هذه. وأما ما يقع فى أثناء الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل جدا لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفه الأدلة وتحقيق الشىء على ما هو عليه كما يقولون فى الفرائض ترك مائة جدة ونحو ذلك وبالله التوفيق (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣٨ـ ٤٤).

وقد صاغ كل هذه الخصائص شعرا، الحافظ زين الدين العراقى، والنظم ممزوج بشرح فضيلة الشيخ عبد الرزاق المناوى، ولكننا آثرنا حذفه تجنبا للتكرار. وقد بدأ الشارح بقوله عن الخصائص:

وهى كثيرة وفيها مؤلفات غزيرة شهيرة وذكرها جائز مندوب بل قيل يجب ثم هى أربعة أضرب الأول الواجبات لزيادة ثوابها على مثلها نفلا بسبعين درجة وإليها أشار الناظم بقوله.

خص النبى بوجوب عده
الوتر والسواك والأضحيه
كذا الضحى لوصح والمصابره
على العدو وكذا المشاوره
والشافعى عن الوجوب صرفه
حكاه عنه البيهقى فى المعرفه

ثم يمضى كل من الناظم والشارح فى الكلام على الضرب الثانى: وهو المحرمات، والضرب الثالث وهو المباحات له دون غيره، والضرب الرابع وهو ما اختص به من الواجبات عليه، يقول الناظم:

كذا التهجد ولكن خففا
نسخا وقيل الوتر ذا وضعّفا

كذا قضاء دين من مات ولم
يترك وفاء وقيل بل هذا كرم
كذاك تخيير النساء اللاتى
معه وأما فى المحرمات
مما أبيح لسواه حرما
عليه فهو مد عينيه لما
قد متع الناس به من زهرة
دنياهم كذاك من خائنة
الأعين اعدده ونزعه لما
لبس من لأمة حرب حرما
حتى يلاقى العدا فينزعا
صدقة فامنع ولو تطوعا
والشعر والخط وقيل يمنع
ثوم ونحوه وأكل يقع
مع أتكاء والنكاح للأمَه
مع الكتابية غير المسلمه
كذاك إمساك التى قد كرهت
نكاحه والخلف فى هذا ثبت
وقد أباح ربه الوصالا
له وفى ساعة القتالا
بمكة كذا بلا إحرام
دخولها وليس بالمنام
مضطجعا نقض وضوئه حصل
كذا اصطفا ماله الله أحل
من قبل قسمة كذلك يقضى
لنفسه وولده فيمضى
كذا الشهادة كذاك يقبل
من شهدوا له كذاك يفصل
فى حكمه بعلمه للعصمه
واختلفوا فى غيره للريبه

كذا له أن يحمى المواتا
لنفسه ويأخذ الأقواتا
وغيرها من الطعام مهمها
احتاج والبذل فأوجب حتما
من مالك إن يكن محتاجا
لكنه لفعل هذا ماجا
والخلف فى النقض بلمس المرأه
والمكث فى المسجد مع جنابه
وجائز نكاحه لتسعه
وفوقها وعقده بالهبه
فإن فلا بالعقد حتم مهره
ولا الدخول بخلاف غيره
كذا بلا ولى أو شهود أو
فى حال إحرام بخلف قد حكوا
ومن يرم نكاحها لزمها
إجابة وحرمت خطبتها
ومن لها زوج فحقا وجبا
طلاقها كما جرى لزينبا
وفى وجوب قسمه بين الإما
وبين زوجات له خلف نما
زوجاته كل محرمات
هن لذى الإيمان أمهات
نكاحهن مع عقوقهنَّهْ
مع الوجوب لاحترامهِنَّه
لا نظر وخلوة بهنَّه
ولا بتحريم بناتهنَّه
من دخلت عليه أو قد فورقت
أو مات عنها أو تكون سبقت
وهن أفضل نساء الأمه
ضعفن فى الأجر وفى العقوبه

أفضلهن مطلقا خديجه
وبعدها عائشة الصدّيقه
وأنه خاتم الأنبياء
خير الخلائق بلا مراء
أمته فى الناس أفضل الأمم
معصومة من الضلال بعصم
أصحابه خير القرون فى الملا
كتابه المحفوظ أن يُبدّلا
شرعته قد أبدت ونسخت
كل الشرائع التى قبل خلت
والأرض مسجد له طهور
والرعب شهرا نصره يسير
سيد أولاد أبينا آدما
قد حل الله له الغنائما
أرسل للناس جميعا أعطيا
مقامه المحمود حتى رضيا
وخص بالشفاعة العظمى
التى يحجم عنها كل من لها أوتى
أول من تنشق عنه الأرض
ولا ينام قلبه بل غمض
أول من يقوم للشفاعه
أول من يقرع باب الجنه
أكثر الأنبياء حقا تبعا
يرى وراءه كقُدّام معا
آتاه ربه جوامع الكلم
قرينه أسلم فهو قد سلم
صفوفه والأمة المباركه
كصف عند ربها الملائكه
ولا يحل الرفع فوق صوته
ولا ينادى باسمه بل نعته
خوطب فى الصلاة بالسلام
عليك دون سائر الأنام
ومن دعاه فى الصلاة وجبت
إجابة له وفرضه ثبت
وبوله ودمه إذ أتيا
تبركا من شارب ما نهيا
يقبل ما يُهدى له فحل
دون الولاة فهو لا يحل
فاتته ركعتان بعد الظهر
صلاهما ودام بعد العصر
وما لنا دوام ذا بل يمتنع
وما سوى سببه فمنقطع
ونسب يوم القيامة ومن
رآه نو بن أبى طالبما فهو قد رآه لن
يكون للشيطان من تمثل
بصورة النبى أو تخيل
وكذب عليه ليس ككذب
على سواه فهو أكبر الكذب

(العجالة السنية / ١٣٣ ـ ١٥٠).

وقد ألفت فى ذلك كتب منها «الخصائص الكبرى» للإمام الشيخ عبد الرحمن السيوطى، و «الخصائص الصغرى» له أيضا رحمه الله تعالى. ومنها كتاب «الخصائص» للعلامة مغلطاى التركى (محاسن الإسلام / ١٣١).

(التعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٣، ونور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى. ط دار الغد العربى / ٤٠ ـ ٤٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ٣٨ ـ ٤٤، والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقى ـ الشيخ عبد الرزاق المناوى / ١٣٣ ـ ١٥٠، ومحاسن الإسلام ـ الشيخ محمد سعد بن عبد الله الرباطابى العباسى / ١٣١).

*** خصائص السّواك:**

خصائص السّواك ـ للشيخ أبى الخير أحمد بن إسماعيل

القـزوينى الطـالقـانى وهـو مختصـر مشتمل على اثنى عشـر فصلا .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٥) .

*** الخصائص فى فضل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه:**

الخصائص فى فضل على بن أبى طـالب رضى الله تعالى عنـه : لـلإمـام أبى عبـد الـرحمن أحمـد بن شعيب النسـائى الحافظ المتوفى سنة ٣٠٣ ثلاث وثلثمائة ذكر أنه قيل له لـم لا صنفت فى فضائل الشيخين قال دخلت إلى دمشق والمنحرف عن على بها كثير فصنفته رجاء أن يهـديهم الله سبحانه وتعالى به فأنكروا عليه وأخرجوه من المسجد ثم من دمشق إلى الرملة فمات بها .

(كشف الظنون ١ / ٧٠٦) .

*** خصائص القرآن:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٦٤٢٣

رسالـة فى خصائص القرآن نقل مؤلفهـا عن ابن عربى فى تفسيره الكبير الجمع والتفصيل فى أسـرار معانى التنزيل وعن أوحد الدين الكرمانى .

المؤلف :

أولهـا : اعلم أن للشيخ الأكبـر؟ محيى الـديـن بن على العربى الأنـدلسى الحاتمى الطائى قـدس سره العزيـز تفسيرا لكـلام الله تعـالى واسمـه كتـاب الجمع والتفصيل فى أسـرار معانى التنزيل وقدره ستـون وستمائة مجلد ووجد منه الآن فى مصر القاهرة إلى قوله تعالى وإذا قال موسى لفتاه ...

آخرها : هـذه الآيات قطب الأقطاب والخـواص المذكورة جمعت ودونت من كتـب التفـاسيـر والأحـاديث ... وشـرح خواصها خارجة من أن يدركها العقل والفهم وهذه الآيات ... ياقدوس ياقائم يا قابل التوب ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

(فهرس مخطـوطات دار الكتب الظاهـرية . التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٨) .

*** الخصائص الكبرى:**

الخصـائص الكبـرى ، أو كفـايـة الطـالـب اللبيب فى خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ وهـو عن خصائص رسول الله ﷺ (انظر هذه المادة تحت عنوانها) .

وننقل لك فيما يلى خطبـة الكتاب، وقد وضعنـا تعليقات المحقق الدكتور هراس بين أقواس فى ثنايا النص . قال الإمام السيوطى رحمه الله بعد البسملة :

الحمد لله الذى أطلـع فى سماء النبوة سراجـا لامعا وقمرا منيرا ، وأطلع من أكمـام الرسالة ثمـرا يانعا وزهرا منيـرا ، تبارك اسمه ، وتمت كلِمُـه ، وعمَّت نعمه ، وجمَّت حكمـه ، وجرى بما كان وبما يكون قلمه .

(حـديث القلم وارد من طـرق عن أبى هـريـرة وعبـادة بن الصامت وابن عباس من رواية مقسم وأبى الضحى وأبى ظبيان ومجاهـد ولفظ رواية مجاهد «قيـل لابن عباس إن هاهنا قـوما يقولون فى القدر فقال : إنهم يكـذبون بكتاب الله عز وجل لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه .

(قـالت المـؤلفة : نصـاه : قبض على نـاصيتـه . المعجم الوسيط٢ / ٩٢٧) إن الله عز وجل كـان عرسـه على الماء قبل أن يخلق شيئا ثم خلق فكان أول ما خلق القلم ثم أمره فقال اكتب فكتب ما هو كـائن إلى قيام الساعة وإنمـا يجرى الناس على أمر قد فرغ منه) .

أوجـد الأنام من العـدم ، وجعل الضيـاء والظلم ، وخلق اللوح والقلم ، وقدر الآجـال والأرزاق والأعمال وقسم ، أحمده وهو المحمود أزلا وأبـدا ، وأشكره مستزيدا من نعمـه مسترفدا وأستهديه ، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا ، وأستنصره ولن تجـد من دونـه ملتحـدا ، وأستكفيه ولـه الحـول ، والقـوة سرمـدا ، وأستعينه ونعم المولـى والنصير مؤيـدا ، وأعتصم به وأستمسك بحبله فـلا انفصام لـه أبدا وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له إلها واحـدا ، أحدا ، فردا صمـدا لـم يتخذ صاحبـة ولا ولدا ، تنزه عن سمـات المحدثـات فلا جسم ولا

عـرض ولا صوت ولا انتقـال، ولا يحويـه مكان ولا زمـان ولا يخطر بالبال، ولا يدركه العقل ولا يحيط به الإدراك ولا للذهن إلى حقيقته مجال وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبى ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عنـد سدرة المنتهى * عنـدها جنـة المأوى﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥]، وسمع صريف الأقلام بالمستوى، وكتب الرحمن اسمه على العـرش إذ استـوى (أخـرجـه الحـاكـم وصححـه وأفـرده السبكى فى شفـاء السقـام والبلقينى فى فتـاويه، ولكنـه غيـر صحيح ففى سنده عمـرو بن أوس وهو مجهول) وآذن بـاسمه فى المبتدأ فى الأرض وفى السمـاء، ويوم النشأة الأخرى سلَّم عليـه الحجر والشجـر، ودر لـه ضرع الجـذعـة بالـدَّرر وحن الجذع لفـراقه حتى خـار خوار البقـر، ونبع الماء من أصـابعه ومن الأرض انفجـر، وانشق له وكـان يناغيـه فى مهده القمـر، ونبع المـاء من أصابعه ومـن الأرض انفجر، وانشق لـه وكـان يناغيه فى مهده القمر، وحى له الميت، وآمنت لدعوته أسكفة الباب وحوائط البيت (حنين الجذع ونبع الماء وانشقاق القمر كلها معجـزات صحيحة واردة فى الصحيحيـن وغيرهمـا وأما منـاغـاة القمـر فى المهـد وإحيـاء الميت وإيمـان الأسكفـة والحيطان فهى آثـار موضوعة أو واهية)، وأشـار إلى السحاب بـالغيث، فأجاب من غيـر ريث هيث ﷺ صـلاة تسعد عنـد الممات، وتسعـف عند أهوال المسـألة بالثبات، وتجيز على الصـراط إذا كثر الـزالون والـزالات، وعلى آلـه وصحبه نجـوم الهدى، وليوث العدى، وغيوث الندى، ما صاح حاد وشدا. وراح شـاد وغدا، وصـاب غـاد وهـدى، وغاب صـاد ونـدا، وصال باد وودى، وسـال واد وجدى، هذا كتاب مـرقوم يشهد بفضلـه المقـربون. وسحـاب مـركـوم يحيى بوابلـه الأقصـون والأقربون. كتاب نفيس جليل، محله من الكتاب محل الدرة من الإكليل، أو مـوضع السجـدة من آى التنـزيل، كتـاب أمرعت قطراته، وأينعت ثمراته وعبقت زهراته، وأشرقت أنواره ونيِّراته. وصـدقت أخباره آياته، كتـاب بسقت فنونه، وأورقت غصـونـه، واتسقت أسـانيـده ومتـونـه، كتـاب يـؤجـر قـارئه ومستمعـه، ويحفظ بـه إن شـاء الله تعالـى مؤلفـه فيمـا يأتيـه ويدعـه، ويثبته بالقول الثـابت إذا حان مصرعه ويكـون له فى عـرصات القيـامة نـورا يسعى بين يديـه ويتبعه، كتـاب جمع فأوعى، مـا كَل عن جمعـه ووهى، كل بطل شـديد القـوى، كتـاب فاق الكتب فى نـوعـه جمعا وإتقـانـا، يشرح صـدور المهتدين إيقانـا، ويزداد به الذين آمنوا إيمانـا، ديوان مستوف لما تنـاسخته السفرة الكرام البـررة، مستوعب لما تناقلتـه أئمة الحديث بأسانيدها المعتبـرة، مشتمل على ما اختص به سيد المرسلين من المعجـزات الباهرة، والخصـائص التى أشرقت إشـراق البدور السـافرة، أوردت فيـه كل مـا ورد، ونزهتـه عن الأخبار الموضـوعة، وما يرد وتتبعت الطرق. والشـواهد، لما ضعف من حيث السنـد، ورتبتـه أقسـامـا متناسقـة، وأبـوابـا متـلاحقة، بحيث جـاء بحمد الله كـاملا فى فنـه؛ وابلا مطر دجنه سـابغة ذيـوله، سـائغة نيولـه، حلله ضـافية، ومنـاهله صـافية، ومـوارده كافيـة، ومصادره وافيـة، لا تجمع واردة إلا وهى فيـه مسمـوعة، ولا تسمع شـاردة إلا وتـراها فـى ديوانـه مجموعـة، قربت فيه مـا كان بعيـدا. وآنست ما كان فـريدا، وأهَّلت ما كـان شريدا وفتحت لكل غـريبة وصيدا (الـوصيد: البـاب) وشـرحت بـه صـدور قـوم مـؤمنين. وقلـوب طـائفـة آمنين، وغِظت به الجاحدين والمفسـدين، والطائفة المبتدعة والملحدين والفلاسفة المتمردين، ورجوت به الحسنـى ومـن يهـده الله فـهو مـن المهتـدين (الخـصائـص الكبـرى ١ / ٥٠٩).

قـالت المـؤلفـة: لـم أجـد فيمـا لـدى من المـراجع التى ترجمت للسيـوطى أو فى ترجمته الـذاتية (حسن المحاضـرة ١ / ٣٣٥ ـ ٣٤٤) أى ذكر لكتـاب بعنوان «الخصـائص الكبرى» أو بـالعنـوان الفـرعى «كفـايـة الطـالـب اللبيب فى خصـائص الحبيب»، وليس لـدى من دليل على نسبة الكتـاب للسيوطى سوى الطبعتين اللتين نقلت منهما هذه المادة، وهما طبعة دار الكتب الحـديثـة بـالقاهـرة، تحقيق الـدكتـور محمـد خليل هـراس، وطبعة مكتبة ٣٠ تموز ببغداد أما عن الترجمـة الذاتية للسيوطى، وهى المشار إليها آنفـا، فقد ذكر السيوطى من بين مؤلفـاته فـى فن الحديث وتعلقـاته كتـابا بعنـوان «المعجزات والخصائص النبـوية» وهو الـذى ذكره صـاحب الأعلام (٣ / ٣٠٢) باسم «الخصائص والمعجزات النبوية»

وذكر السيوطى فى ترجمته الذاتية أيضا من بين مؤلفاته فى الأجزاء المفردة كتابا باسم «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب» ويأتى بيانه فيما بعد.

وأورد صاحب كشف الظنون كتابا للسيوطى بعنوان «الخصائص النبوية» (كشف ١ / ٧٠٥ ، ٧٠٦) وذكر أول الكتاب وهو مطابق لأول كتاب الخصائص الكبرى الذى نحن بصدده. مما قد يشجعنا على القول بأن الاسمين هما لكتاب واحد. ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه يوجد بمعهد المخطوطات العربية كتاب نورده فى موضعه إن شاء الله تعالى وهو بعنوان «الخصائص النبوية الكبرى»، أى أنه يجمع بين العنوانين. بقى أن نضيف أن العنوان الفرعى، وهو «كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب» لا يرد فى أى من المراجع التى بين يدى.

قال صاحب كشف الظنون تحت عنوان «الخصائص النبوية».

الخصائص النبوية:

للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وهو مجلد أوله: الحمد لله الذى اطلع فى سماء النبوة ... إلخ ذكر فيه أنه تتبع هذه الخصائص عشرين سنة إلى أن زادت على الألف ثم اختصره وسماه أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب روى أنه أخذه بعض معاصريه وأسنده إلى نفسه فكتب السيوطى فيه مقامة تسمى الفارق بين المصنف والسارق. واختصره أيضا الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى المتوفى سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة. وعلى الأنموذج المذكور شرحان كبير وصغير لعبد الرءوف المناوى. وصنف فيه أيضا سراج الدين عمر بن على بن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة، وجلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينى المتوفى سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة، وإمام الكاملية (هو كمال الدين محمد بن محمد الشامى المتوفى سنة ٨٧٤) والقطب الخيضرى ويوسف بن موسى الجذامى (الأندلسى المعروف بابن المعدى المتوفى سنة ٦٦٣) وابن حجر العسقلانى وسماه الأنوار (كشف ١ / ٧٠٥، ٧٠٦).

كما أورد كتاب أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب كما يلى:

أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة. مختصر أوله: الحمد لله الذى أتقن بحكمته كل شىء ... إلخ ذكر فيه أنه لخصه من كتابه الكبير فى الخصائص وجعله على بابين: الأول فى التى اختص بها عليه الصلاة والسلام عن جميع الأنبياء، والثانى فى التى اختص بها عن أمته (كشف ١ / ١٨٥).

أما مخطوط معهد المخطوطات العربية الذى سبقت الإشارة إليه فقد ورد فى الفهرس (مسلسل ١٥٩٠) تحت عنوان «الخصائص النبوية الكبرى» وجاء بيانه كما يلى:

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى، المتوفى سنة ٩١١ هـ (بروكلمن ٢ / ١٤٦ وملحق ٢ / ١٨١).

أوله: «الحمد لله الذى أطلع فى سماء النبوة سراجا لامعا».

وآخره: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ... والحمد لله رب العالمين. نجزت الخصائص الكبرى والمعجزات النبوية ... ووافق فراغه يوم الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الأول عام خمسة وثلاثين وألف للهجرة ... قال ذلك كاتبه ... محمد السعيد بن عمر بن أحمد بن محمد الحسنى تاب الله عليه. نسخة كتبت بخط مغربى فى ٣١٠ ورقات، ومسطرتها ٢٦ سطرا.

[ليبيا. مكتبة الأوقاف. طرابلس الغرب ٢٣] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة حـ ٢ ق ٤ / ١٥٩، ١٦٠).

(الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق د. محمد خليل هراس. ط دار الكتب الحديثة. القاهرة ١/ ٥-٩، و ط مكتبة ٣٠ تموز.

بغداد ١ / ٢ ، ٣ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ١٨٥ ، وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م / ١٥٩ ، ١٦٠) .

*** الخصائص الكبرى ـ للنبى ﷺ:**

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية وجاء بيانه كما يلى :

لمحمد بن إبراهيم الرحمانى الحنفى ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى (فهرست المكتبة الأزهرية ١ / ٤٦٦) .

أوله : «الحمد لله الذى أتقن بحكمته فاحتبك ، وبعث حبيبه محمدا فأنار به كل حلك» .

وآخره : «واجعلنا من الفائزين بقربه وجواره ولذذ بصائرنا بالنظر إلى طلعة جمال أنواره بدار القرار يا كريم والحمد لله رب العالمين» .

نسخة كتبت بقلم معتاد فى ٢٦٧ ورقة ، ومسطرتها ٢٣ سطرا . وقد فرغ المؤلف من تبييض كتابه يوم الأحد سابع محرم سنة ١٠٣٩ هـ

[الأزهر ٩٠٧ حديث] UNESCO

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، التاريخ ، جـ٢ ق ٤ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠م / ١٥٩) .

*** خصائص المدن:**

مما عنى به الجغرافيون العرب وصف خصائص المدن ، فالمدينة الإسلامية تحتل عندهم مكانة بارزة ، ونحن نفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى ونسوق لك فيما يلى نموذجا من ذلك الوصف هو ما أورده ابن قتيبة عن عدد كبير من المدن الإسلامية ، وذلك فى كتابه «عيون الأخبار» . قال رحمه الله :

قالت الحكماء : المدائن لاتبنى إلا على ثلاثة أشياء : على الماء والكلأ والمحتطب .

قال ابن شهاب : من قدم أرضا فأخذ من ترابها فجعله فى مائها ثم شربه عوفى من وبائها .

وقال معاوية لقوم قدموا عليه : كلوا من فحا أرضنا ، فقلما أكل قوم من فحا أرض فضرهم ماؤها (الفحا : التوابل ، كالفلفل والكمون وغيرهما) .

حدثنى الرياشى قال : حدثنى الأصمعى قال :

قال معاوية : أغبط الناس عندى سعد مولاى ، وكان يلى أمواله بالحجاز ، يتربع جُدَّة ويتقيظ الطائف ويتشتى مكة .

حدثنا الرياشى قال : حدثنا الأصمعى قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : الخطر والكندر والعصب والورس . (الخطر: نبات يجعل ورقه فى الخضاب الأسود يختضب به . والكندر: اللبان . والعصب : برود يمنية يعصب غزلها أى يجمع ويشد . والورس : نبت أصفر يصبغ به) .

وقال الأصمعى عن معمر قال : وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة : ما تسمى هذه القرية؟ فقالت : ويحك! أما سمعت قول الشاعر:

أحب أثافت عند القطاف
وعند عصارة أعنابها

قال الأصمعى : سواد البصرة : الأهواز ودستميسان وفارس . وسواد الكوفة : كسكر إلى الزاب إلى عمل حلوان إلى القادسية . وعمل العراق : هيت إلى الصين والسند والهند ، ثم كذلك إلى الرى وخراسان إلى الديلم والجبال كلها ، وأصبهان صرة العراق ، افتتحها أبو موسى الأشعرى . والجزيرة ما بين دجلة والفرات ، والموصل من الجزيرة ، ومكة من المدينة ، ومصر لا تدخل فى عمل العراق .

حدثنى عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : أول قرية بنيت بعد الطوفان قرية بقردى تسمى سوق ثمانين ، كان نوح لما خرج من السفينة ابتناها وجعل فيها لكل رجل آمن معه بيتا وكانوا ثمانين ، فهى اليوم تسمى سوق ثمانين .

قال : وحران سميت بهاران بن آزر أخى إبراهيم النبى ﷺ وهو أبو لوط .

قال النبى ﷺ لبريدة : «يابريدة إنه سيبعث بعدى بعوث ، فإذا بعثت فكن فى أهل بعث المشرق ، ثم فى بعث خراسان ، ثم فى بعث أرض يقال لها : مرو ، فإذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه

وأما في ... [illegible] ... قرية أنهاما تجري بالبركة في كل ... [illegible] ... السوق إلى ... [illegible] ... بالبصرة ...

حدثني أ... بن الخليل قال: حدثني الأصمعي قال: أخبرني ... [illegible] ... عن قتادة عن أبي ... قال:

الدنيا كلها أربعة وعشرون ألف فرسخ، فملك السودان اثنا عشر ألف فرسخ، وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ، وملك فارس ثلاثة آلاف فرسخ، وأرض العرب ألف فرسخ.

وقال أبو ...: كنا عند ابن عباس فأقبل رجل فجلس، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أهل خراسان، قال: من أي خراسان؟ قال: من هراة (وهي مدينة عظيمة بخراسان) قال: من أيها؟ قال: من بوشنج (وهي بلدة خصيبة من نواحي هراة بينها عشرة فراسخ). ثم قال: ما فعل مسجدها؟ قال: على حاله فيه. قال ابن عباس: كان لإبراهيم (وهو إبراهيم الخليل عليه السلام) مسجدان: المسجد الحرام ومسجد بوشنج. ثم قال: ما فعلت الشجرة التي عند المسجد؟ قال: بحالها. قال: أخبرني العباس أنه قال (أي نام وقت القيلولة أي الظهيرة) في ظلها.

حدثني محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا يزيد بن خالد ابن عبد الله بن ميمون الحمراني عن عوف بن أبي جميلة عن الحسن البصري قال:

لما قدم علي رضي الله عنه البصرة ارتقى على منبرها فحمد الله وأثنى عليه، وكان مما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح أرض يقال لها البصرة، أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، وعالمها أعلم الناس، ومتصدقها أعظم الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة. منها إلى قرية يقال لها الأبلة أربعة فراسخ يستشهد عند مسجد جامعها أربعون ألفا، الشهيد منهم يومئذ كالشهيد معي يوم بدر».

حدثنا القاسم بن الحسن قال: أبو سلمة قال: أخبرني أبو المهزم، عن أبي هريرة قال: مُثِّلت الدنيا على مثال طائر، فالبصرة ومصر الجناحان فإذا خربتا وقع الأمر.

وحدثني أيضا عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب عن خالد بن ميمون قال:

البصرة أشد الأرض عذابا وأسرعها خرابا.

قال: وقال ابن شوذب عن يزيد الرشك: قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسري فوجدت طولها فرسخين غير دانق (الدانق وزن ما يساوي ٠،٤٠١ جم والمراد هنا إلا قليلا).

وقال محمد بن سلام عن شعيب بن صخر: تذاكروا عند زياد بن أبيه البصرة والكوفة فقال زياد: لو ضلت البصرة لجعلت الكوفة لمن دلني عليها.

قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة بن شعبة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة. ونزل عتبة بن غزوان بموضع المربد فوجد فيها الكذان الغليظ (الكذان: حجارة رخوة نخرة تميل إلى البياض) ما عدتها كذانة فقال: هذه البصرة فانزلوا بسم الله.

وقال أبو وائل: اختط الناس البصرة (أي عمروها) سنة سبع عشرة هـ/٦٣٨ م)

فخر ناس من بني الحارث بن كعب (وهي قبيلة يمنية) عند أبي العباس، فقال أبو العباس لخالد بن صفوان: ألا تكلم يا خالد؟ قال: أخوال أمير المؤمنين وأهله. قال: فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته. قال خالد: ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد، دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة (يريد هدهد النبي سليمان، والفئران التي كانت سبب خراب سد مأرب، والمرأة: بلقيس).

سئل خالد عن الكوفة فقال: نحن منابتنا قصب، وأنهارنا عجب، وثمارنا رطب، وأرضنا ذهب، قال الأحنف نحن أبعد منكم سرية، وأعظم منكم بحرية، وأغذى منكم برية. وقال

أبو بكر الهذلى : نحن أكثر منكم ساجا (الساج : شجر عظيم طيب الرائحة، قيل يشبه الأبنوس وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجاجا) .

وقال الخليل (وهو الخليل بن أحمد الفراهيدى، واضع علم العروض وإمام اللغويين، توفى سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م) .
فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة :

زر وادىَ القصر نعم القصر والوادى
لا بد من زورة عن غير ميعاد
ترفا بن السفن والظلمان واقفة
والضب والنون والملاح والحادى

(ترفا : تصلح ،الظلمان : مفردها ظليم وهو ذكر النعام، والنون : الحوت) .

قال ابن أبى عيينة فى مثل ذلك :

يا جنة فاتت الجنان فما
تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطنا
إن فؤادى لحبها وطن
زوج حيتانها الضباب بها
فهذه كنة وذا ختن
فانظر وفكر فيما تطيف به
إن الأريب المفكر الفطن
من سفن كالنعام مقبلة
ومن نعام كأنها سفن

أنشد محمد بن عمر عن ابن كناسة فى ظهر الكوفة

(وهو محمد بن عبد الله (الملقب بكناسة) الأسدى، من شعراء الدولة العباسية ومن أهل الكوفة، وكان عالما بالعربية وأيام الناس وراوية للشاعر الكميت وغيره . توفى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣م)

وإن بها لو تعلمين أصائلا
وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

وكان يقال : إذا كان علم الرجل حجازيا وسخاؤه كوفيا وطاعته شآمية فقد كمل .

لما اجتوى (أى كرهوا المقام بها) المسلمون المدائن (من بلاد الفرس بالعراق) بعد ما نزلوا وآذاهم الغبار والذباب كتب عمر إلى سعد فى بعثة رواد يرتادون منزلا بريا فإن العرب لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل والشاء . فسأل من قبله عن هذه الصفة فيما يليهم، فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان . وظهر الكوفة يقال له اللسان، وهو فيما بين النهرين إلى عين بنى الحداء، وكانت العرب تقول : أدلع البر لسانه فى الريف (أى خرجه) فما كان يلى الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلى الظهر منه فهو النجاف، فكتب إلى سعد يأمره به .

وقال النابغة الجعدى يمدح الشأم :

جاعلين الشأم حما لهم
ولئن هموا لنعم المنتقل
موته أجر ومحياه غنى
وإليه عن أذاه معتزل

(الحم : القصد) .

وقال أيضا :

ولكن قومى أصبحوا مثل خيبر
بها داؤها ولا تضر الأعاديا

قال الأصمعى : لم يولد بغدير خم (خم : واد بين مكه والمدينة عند الجحفة به غدير) مولود فعاش إلى أن يحتلم إلا أن يتحول عنها .

قال وحرة ليلى ربما مر بها الطائر فيسقط ريشه . الحرة : الأرض الغليظة ذات الحجارة النخرة السود كأنها أحرقت بالنار. وحرة ليلى يطؤها الحجاج فى طريقهم إلى المدينة المنورة وهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة) .

قال عمرو بن بحر يزعمون أن من دخل أرض تبت (وهى المعروفة بالتبت المتاخمة للصين) لم يزل ضاحكا مسرورا من غير عجب حتى يخرج منها .

ومن أقام بالموصل عاما ثم تفقَّد قوته وجد فيها فضلا .

ومن أقام بالأهواز حولا فتفقد عقله وجد النقصان فيه بيّنا .

والناس يقولون : حمى خيبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة، وطواعين الشأم .

قالوا : من أطال الصوم بالمصيصة (وهى مدينة على شاطىء نهر جيحان بين أنطاكية وبلاد الروم (تركيا اليوم) تقارب طرسوس) فى الصيف خيف عليه الجنون .

وأما قصبة الأهواز فتقلب كل من ينزلها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ووباؤها وحماها يكون فى وقت انكسار الوباء ونزوع الحُمى عن جميع البلدان، وكل محموم فإن حماه إذا أقلعت، عنه فقد أخذ عند نفسه منها البراءة إلى أن يعود إلى التخليط، وإلى أن يجتمع فى جوفه الفساد إلا محموم الأهواز فإنها تعاود من فارقته لغير علة حدثت، ولذلك جمعت سوق الأهواز الأفاعى فى جبلها المطل عليها، والجرارات (وهى عقارب قتالة تجر ذنبها إذا مشت لا ترفعه كما تفعل سائر العقارب) فى بيوتها، ومن ورائها سباخ ومناقع مياه غليظة، وفيها أنهار تشقها مسايل كنُفهم(جمع كنيف وهو المرحاض، يريد المياه القذرة الناتجة عن المراحيض) ومياه أمطارهم، فإذا طلعت الشمس طال مقامها واستمرت مقابلتها لذلك الجبل قبل تشبب (أى ارتفاع) الصخرية التى فيها الجرارات، فإذا امتلأت يبسا وحرا وعادت جمرة واحدة قذفت ما قبلت من ذلك عليهم وقد بخرت تلك السباخ وتلك الأنهار. فإذا التقى عليهم ما بخرت به السباخ وما قذفه ذلك الجبل فسد الهواء، وفسد بفساد الهواء كل ما يشتمل عليه الهواء .

وقال إبراهيم بن العباس الكاتب (هو الصولى، كاتب العراق فى عصره، كان كاتبا للمعتصم والواثق والمتوكل، توفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) : حدثنى مشايخ أهل الأهواز عن القوابل جمع قابلة وهى التى تقوم بالتوليد أنهن ربما قبلن الطفل فيجدنه فى تلك الساعة محموما يعرفن ذلك ويتحدثن به .

قال : وفى عهد سجستان على العرب حين افتتحوها : ألا يقتلوا قنفذا ولا يصيدوه، لأنها بلاد أفاع والقنافذ تأكلها ولولا ذلك ما كان لهم بها قرار.

وقال ابن عياش لأبى بكر الهذلى يوم فاخره عند أبى العباس : إنما مثل الكوفة مثل اللهاة من البدن يأتيها الماء ببرده وعذوبته، والبصرة بمنزلة المثانة يأتيها الماء بعد تغيره وفساده .

وقال محمد بن عمير بن عطارد (وهو ابن حاجب بن زرارة التميمى الدارمى، من أشراف أهل الكوفة وأجوادهم توفى نحو سنة ٨٥ هـ / ٧٠٥م) : إن الكوفة قد سفلت عن الشأم ووبائها، وارتفعت عن البصرة وعمقها فهى مريئة مربعة عذبة ثرية إذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور (هو فتات الكافور) وإذا هبت الجنوب جاءتنا بريح السواد ووروده وياسمينه وأترجه (انظر مادة «الأترج» فى م ٢ / ٣٠٥ ـ ٣١١)وماؤنا عذب وعيشنا خصب .

وقال الحجاج : الكوفة بكر حسناء، والبصرة عجوز بخراء أوتيت من كل حلى وزينة .

اجتمع أهل العراق ليلة فى سمر يزيد بن عمر بن هبيرة، فقال يزيد : أى البلدين أطيب ثمرة : الكوفة أم البصرة؟ فقال خالد بن صفوان : بل ثمرتنا أيها الأمير منها الأزاذ والمعقلى وكذا وكذا فقال عبد الرحمن بن بشير العجلى لست أشك أيها الأمير أنكم قد اخترتم لأمير المؤمنين ما تبعثون به إليه . قال : أجل، قال : قد رضينا باختيارك لنا وعلينا . قال : فأى الرطب تحملون إليه؟ قال المشان. قال ليس بالبصرة منه واحدة. ثم أيه؟ قال : السابرى. قال : ولا بالبصرة منه واحدة. قال خالد ابن صفوان : بل عندنا بالبصرة منه شىء يسير. قال : فأى التمر تحملون إليه؟ قال : النرسيان. قال : ولا بالبصرة منه واحدة. قال : ثم أيه؟ قال الهيرون أزاذ قال : ولا بالبصرة منه واحدة (وكلها أنواع جيدة من التمر) قال : فأى القسب (وهو التمر اليابس) تحملون إليه قال : قسب العنبر. ولا بالبصرة منه واحدة. قال ابن هبيرة لخالد : ادعى عليك خمسا فشاركته فى واحدة وسلمت له أربعا، ما أراه إلا قد غلبك .

قال خالد بن صفوان : ما رأينا أرضا مثل الأبلة أقرب مسافة ولا أعذب نطفة ولا أوطأ مطية ولا أربح لتاجر ولا أخفى لعابد (الأُبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة، انظر مادة «الأبلة» فى م ٢ / ٢٠٦).

وقال ابن أبى عيينة يذكر قصر أنس بالبصرة :

فيا حسن ذاك القصر قصرا ونزهة
بأفيح سهل غير وعر ولا ضنك
بغرس كأبكار الجوارى وتربة
كأن ثراها ماء ورد على مسك
كأن قصور الأرض ينظرن حوله
إلى ملك موف على منبر الملك
يدل عليها مستطيلا بحسنه
ويضحك منها وهى مطرقة تبكى

(من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة / ٢٣٠ ـ ٢٤٦) .

*** الخصائص المكية لزائرى الحبيب محمد ﷺ إلى المدينة:**

(جاء فى عنوان المطبوعة كما يلى : الدرة الثمينة فيما لزائر النبى ﷺ إلى المدينة) من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٤٣٢٣

وهو فى فصول، وفى مائة طبقة، منها الطبقة السادسة من طبقات الزيارة والزائرين وأن لهم من الله توبة ورحمة من حضرة الله العليم مفاتحة ومكافحة بسلطان العلم القاضى فى المعلومات بسلطانه . ضمنه كثيرا من مشارب الصوفية ومقابلتها مع الأسماء الإلهية والأسماء المحمدية .

المؤلف : صفى الدين أحمد بن محمد المدنى الأنصارى الدجانى البدرى الحسينى المتوفى سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦١ م .

أوله : بسم الله وصلى الله على سيدنا محمد الذى ألهم بالعقل الأقوم، لبروز الأمر منه إليهم بداعى **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** وآله وصحبه الرقيب عند قول القائل : وهمة الهام فى سائر الهمم بما فاؤوا به منه ...

آخره : ونقل صاحب الدر المنظم أنه ﷺ لما مات ... فى أمته رحمة لهم فإنه ﷺ عز وجل أن يكون بين أمته الى ... م القيامة وحديث «أنا أكرم على ربى أن يتركنى فى قبرى .. »

الخط نسخ مقروء، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة قيمة مصححة ومراجعة قوبلت على المطبوعة فصح أولها وآخرها، كانت مجهولة فأثبتها بالمقابلة مع نسخة مطبوعة لدى .

مصادر عن الكتاب : الإيضاح ١ / ٤٥٧ معجم المطبوعات / ١٧٢١ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ١٧٠ .

طبعة الكتاب : مصر بمطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٦ هـ بـ ١٥٧ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ... وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٩٩ ، ٥٠٠)

*** الخصائص النبوية:**

انظر : الخصائص الكبرى .

*** الخصائص النبوية الكبرى:**

انظر : الخصائص الكبرى

*** الخصم:**

الخصم (بفتح الخاء) : المخاصم والمنازع يقع على المفرد وغيره والذكر والأنثى بلفظ واحد، فتقول : هذا خصمى، وهذه خصمى وهم خصمى، وهن خصمى، وفى لغة فصيحة يطابق فى التثنية، وبها ورد قوله تعالى فى سورة الحج : **﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾** [الحج : ١٩] وفى سورة ص : **﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض﴾** [ص : ٢٢] ويطابق فى الجمع فيقال : هؤلاء خصوم .

فى المختار : الخصم معروف يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع لأنه فى الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول : خصمان، وخصوم (الرسالة الرشادية / ٢٤) .

قال الراغب الأصفهانى :

خصم : الخصم مصدر خصمته أى نازعته خصما، يقال خاصمته وخصمته مخاصمة وخصاما، قال تعالى ﴿وهو ألد الخصام﴾ [البقرة : ٢٠٤] ﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾ [الزخرف : ١٨] ثم سمى المخاصم خصما، واستعمل

للواحد والجمع وربما ثُني، وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر أي جانبه وأن يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب، وروى نسيته في خصم فراشي، والجمع خصوم وأخصام وقوله تعالى ﴿خصمان اختصموا﴾ [الحج : ١٩] أي فريقان ولذلك قال اختصموا وقال تعالى ﴿لا تختصموا﴾ [ق : ٢٨] وقال تعالى : ﴿وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء : ٩٦] والخصيم الكثير المخاصمة، قال ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ [النحل : ٤] و [يس : ٧٧] والخصم المختص بالخصومة، قال ﴿قوم خصمون﴾ [الزخرف : ٥٨].

(المفردات / ١٤٩).

وفي منظومته التاريخية «دول العرب وعظماء الإسلام» يسجل أمير الشعراء أحمد شوقي ما شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه، وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وننقله فيما يلي، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها. قال الناظم رحمه الله تحت عنوان «الخصمان» :

١ - يا فطنا بسير الكبار
مفتشا بغرر الأخبار
٢ - وطالب الجوهر في التراجم
ملتمس التبر من المناجم
٣ - جئتك بالبرجاس والمريخ
خصمين بين يدي التاريخ
٤ - قرنت خيرها تقى وعلما
بخيرها سياسة وحلما
٥ - بل قرنت بينهما أيدي الغير
وافترقا على التلاقي في السير
٦ - أبو الشهابين وهل يخفى القمر
والثاقب الرأي اللعوب بالزمر
٧ - أو قيم الدين ولا أحابي
وقيم الدنيا من الصحاب
٨ - إن ذكر الآباء جاءا بالقمر
جدا تمناه العتيق وعمر
٩ - تحدرا مزنين من غمام
ولاقيا السابقة في الأعمام
١٠ - قربى على تفاوت المنسوب
كالموم والشهد من اليعسوب

وإليك معاني بعض الألفاظ :

البيت٣ : البرجاس : المشتري، ويعني بالبرجاس والمريخ عليًا ومعاوية.

البيت ٤ : صدر البيت : هو عليٌّ رضي الله عنه

: عجز البيت : هو معاوية رضي الله عنه

البيت ٥ : الغير : يريد بالغير ما شجر بين علي ومعاوية

البيت ٦ : صدر البيت : أبو الشهابين : علي رضي الله عنه، والشهابان : الحسن والحسين

: عجز البيت : معاوية

البيت ٨ : القمر : هو عبد مناف وهو جدهما الذي يلتقيان فيه

العتيق : هو أبو بكر

البيت ١٠ : الموم : الشمع، واليعسوب : أمير النحل (دول العرب / ٥٢)

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معًا في العربية . محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٤، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني / ١٤٩، ودول العرب وعظماء الإسلام ـ نظم أحمد شوقي / ٥٢).

*** خصوصيات يوم الجمعة:**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٥٢٦٨

كتاب في مائة خصوصية ليوم الجمعة وما ورد فيها من الآثار والأخبار. الخصوصية الأولى أنه عيد هذه الأمة. الخصوصية المائة وواحد أن الجمعة تبعث يوم القيامة كالعروس.

المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

السيوطي الشافعي المصري المتوفى سن ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م.

أوله: الحمد لله الذي خص هذه الأمة المحمدية بما ادخر لها من الفضائل السنية ... وبعد فقد ذكر الأستاذ المصنف ...

آخره: الحادية بعد المائة أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبي موسى ... لا يطرقون تعجبا حتى يدخلوا الجنة ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثانية

الرقم ٧٦٦٤

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط فارسي واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصادر عن الكتاب: الدكتور صلاح الدين المنجد معجم المخطوطات المطبوعة ٢ / ٨٣ برقم ٤ فهرس الخديوية ٧ / ٢٤٧، مخطوطات جامعة الرياض ١٨ رقم ٩ نشرة خاصة بمؤلفات السيوطي.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥ / ١٢٨.

طبعة الكتاب: ١ـ مصر ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ١٨٨ باسم نور اللمعة في خصائص يوم الجمعة سنة ١٣٤٣ هـ. ٢ ـ صورت في بيروت صورها أمين دمج سنة ١٩٧٠ م ٣ ـ مصر مكتبة التوفيق بالصنادقية بـ ٣٤ ص بلا تاريخ. ٤ ـ يقول الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس: طبعته بدمشق بتحقيقي وشرحي المرة الأولى سنة ١٩٦٤ م بمطابع دار الفكر بدمشق بـ ١٤٠ ص ٥. طبعته ثانية بدمشق بمطبعة العلم سنة ١٩٦٦ م بـ ١٤٠ ص مع تنقيح وزيادات.

بعض نسخ الكتاب: أحتفظ بنسخة مخطوطة منه، دار الكتب المصرية مجموعة ١٩٤ / ١٢ عارف حكمت بالمدينة ٧٢ حديث، جامعة الرياض ١٢٧ متسلسل ٢٩ رقم ١٣٨٢ / ٨.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٥٠٢، ٥٠٣).

*** الخضاب:**

جاء في اللسان في مادة «خضب»: الخضاب: ما يخضب به من حِنَّاء وكتم ونحوه، وفي الصحاح: الخضاب ما يختضب به

واختضب بالحناء ونحوه، وخضب الشيء يخضبه خضْبا، وخضبه: غيَّر لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما. قال الأعشى:

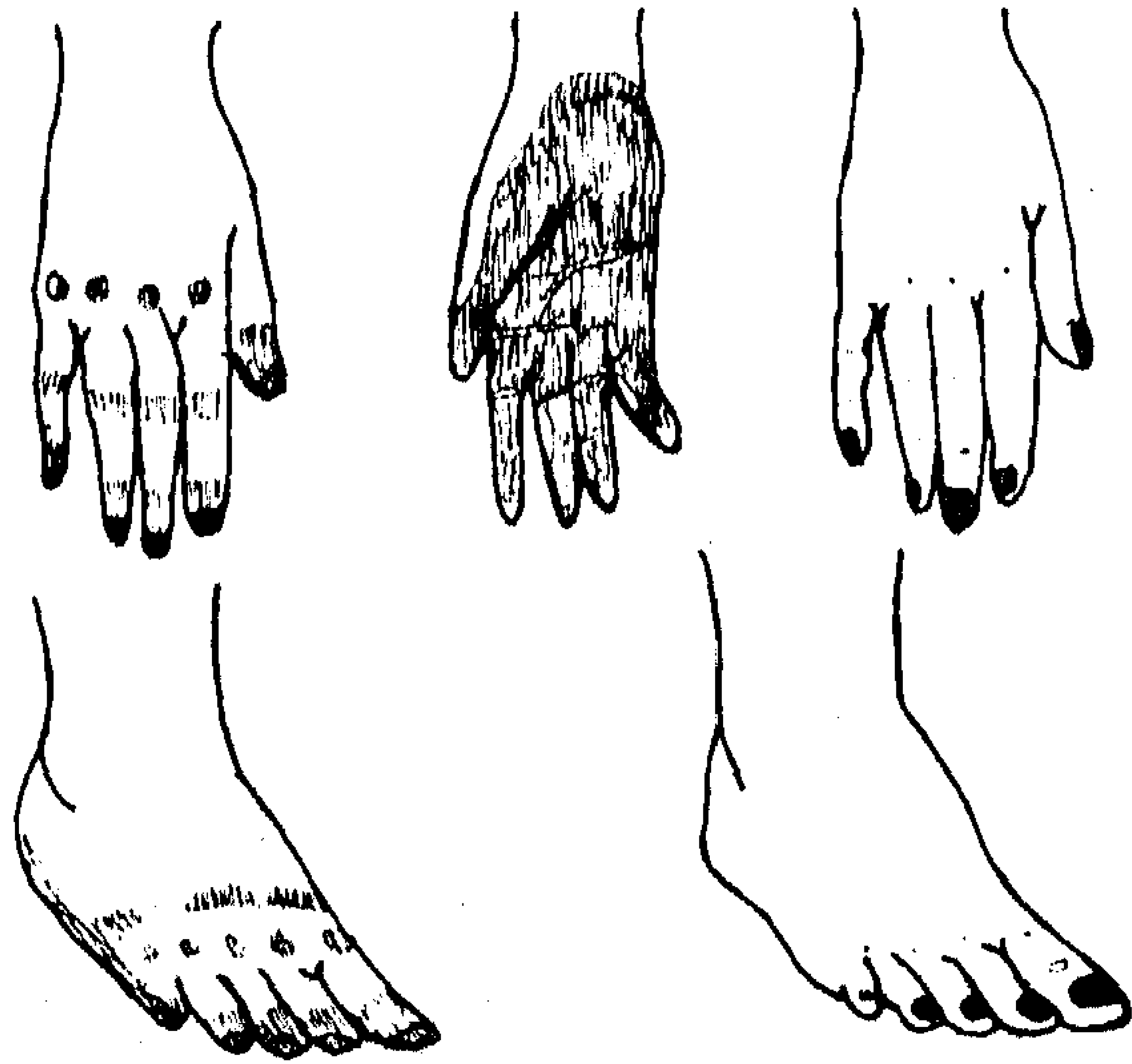
أرى رجلا منكم أسفا كأنما
يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وخضب الرجل شيبه بالحناء يخضبه، والخضاب: الاسم: قال السهيلي: عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب. ويقال: اختضب الرجل، واختضبت المرأة، من غير ذكر الشَّعر.

وكل ما غير لونه فهو مخضوب وخضيب، وكذلك الأنثى، يقال: كف خضيب، وامرأة خضيب (الأخيرة عن اللحياني)، والجمع خُضُب

التهذيب: كل لون غيَّر لونه حمرة فهو مخضوب ... وقد اختضب بالحِناء ونحوه وتخضب، واسم ما يخضب به: الخضاب (لسان العرب ١٤ / ١١٧٩).

وقد ذكره صاحب تسهيل المنافع من بين عشرة أشياء في تدبير البدن الصحيح فقال في فصل في الخضاب في الرأس



واللحية واليدين والرجلين : هو سنة مندوب إليها وهو يلين الأعضاء، ويزيد فى نور البصر قلت وما ذكره فى الخضاب بالحناء فهو جائز للرجال والنساء فى اليدين والرجلين فقال الإمام الريمى عليها ونقله البيهقى وقال هو مقتض ما فى البيان والشامل والحاوى الكبير للماوردى ونقل عن الإمام محمد بن إسماعيل والد الفقيه إسماعيل المشهور وقال ولا التفات إلى ماوقع فى شرح الوجيز للعجلى والروضة من تحريمه وله فى ذلك كلام طويل فليطلبه من أراد ذلك واختار هذا الفقيه أبو بكر العرضى رحمه الله تعالى فقال فى شرح المهذب : وأما الخضاب بالحناء فمستحب للزوجة فى يديها ورجليها تعميما لا تطريفا ويكره لغيرها ويحرم ذلك للرجل لعموم الأحاديث الصحيحة فى نهى الرجال عن التشبه بالنساء إلا لحاجة وفى الروضة وفتاوى ابن الصلاح نحوه . والمراد بالتطريف هو خضب أطراف الأصابع كما قاله فى الروضة والله أعلم . ومال صاحب كتاب الرحمة إلى ترجيح التحريم فقال ما لفظه : وأما الرجل فيحرم عليه خضاب يديه ورجليه بالحناء إلا لحاجة وقد نص على ذلك حسين والبغوى والجيلى والعجلى والنووى وغيرهم وذكر فى شرح المهذب أنه صنف فيه بعض الحكماء كتابا فى إثبات تحريمه والرد على فاعله فقد فعل ذلك من الرجال مع العلم بتحريمه ولم يصح عن النبى ﷺ فى ذلك شىء بل الوارد عنه خضاب الشعر الشائب لا غير فإنه يجوز خضاب الرأس واللحية بصفرة أو حمرة وأحسن ما غيَّر به الشيب الحناء والكتم كذا قاله النبى ﷺ ويحرم خضابه بالسواد إلا لجهاد الكفار ودليل جميع ما ذكرته من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة معروف فى كتب الحديث انتهى لفظه فحينئذ تكون المسألة مسألة خلاف وفى فتاوى الإمام محيى الدين النووى ما صورته . ما الحكم فى خضاب اللحية البيضاء؟ الجواب خضابها بصفرة أو حمرة سنة وخضابها بالسواد حرام على الصحيح وقيل مكروه وهذا فى حق الرجل والمرأة إلا الرجل المجاهد قال الماردينى لا يحرم فى حقه . وقال فى صحيح مسلم عن جابر أن النبى ﷺ حين رأى لحية أبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بيضاء قال غيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد هذا لفظه بحروفه انتهى . وفى سنن أبى داود فى الخضاب بالصفرة عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ وسلم كان يلبس النعال السبتية وهى التى لا شعر فيها أى خلقة كما قاله فى فقه اللغة وكفاية المتحفظ وغيرهما والله أعلم ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما مر على النبى ﷺ رجل وقد خضب لحيته بالحناء فقال ما أحسن هذا قال ومر رجل آخر قد خضب بالحناء والكتم فقال ما أحسن هذا كله انتهى كلامه . وفى كتاب الأربعين أن جرير بن عبد الله البجلى هذا كان من كرام أصحاب رسول الله ﷺ فاق الناس كما قال فيه النبى ﷺ على وجهه مسحة ملك وكان نعله زراعا وقد أحببت أن أذكر أشياء فى خضاب الشعر والدليل على ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب اللقط .

فصل : وأما الخضاب فقد روى الزبير وعبد الرحمن بن عوف وعائشة رضى الله عنهم عن النبى ﷺأنه قال «غيِّروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى» وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام : «اختضبوا فإن الملائكة عليهم السلام يستبشرون بخضاب المؤمن» وروى الشيخ بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن وهب قال دخلنا على أمّ سلمة فأخرجت لنا شعرا من شعر رسول الله ﷺ مخضوبا بالحناء والكتم رواه الإمام أحمد فى مسنده قال الشيخ وقد خضب بالحناء والكتم أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهم فى خلق كثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين وقد روينا أن رسول الله ﷺ اختضب بالحناء أى خالصا لم يخلط بغيره والله أعلم . وروى الشيخ بإسناده عن أبى رمثة قال فى رسول الله ﷺ ورأيته قد لطخ لحيته بالحناء وقد اختضب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنس بن مالك وأبو هريرة وعبد الله بن أبى أوفى فى خلق كثير من صحابته رضى الله عنهم أجمعين . فإن قال قائل أليس قد صح فى الحديث عن أنس قال لم يختضب رسول الله ﷺ فقد أجاب عن هذا أحمد بن حنبل فقال شوهد من رسول الله ﷺ أنه خضب وقال الإمام محيى الدين النووى فى شرح مسلم المختار أنه ﷺ صَبَغَه فى وقت وتركه فى معظم الأوقات فأخبر كل بما رآه وهو صادق والله أعلم . ورأى أحمد بن حنبل رجلا قد خضب فقال إنى لأرى الرجل يحيى شيئا من السنة فأفرح به

وإني لأسر أني أرى الشيخ قد خضب قال الشيخ وما زالوا يخضبون بالسواد... وروي أيضا في مسند الإمام أحمد وقد صح عن الحسن والحسين عليهما السلام أنهما كانا يخضبان بالسواد وروى ابن جرير في كتاب تهذيب الآثار ذلك عنهما وعن عثمان بن عفان أيضا. وكذلك كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، وعمرو بن العاص. ومن التابعين عمرو بن عثمان بن عفان، وعلي بن عبد الله بن العباس، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن أبي طلحة، وإسماعيل ابن معد يكرب الزبيدي، والزهري وغيرهم. وخضب بالسواد محارب ويزيد الرشك والحجاج ابن أرطاة وابن جريج وابن يعقوب ومحمد بن إسحق وابن أبي ليلى وابن علاقة وسليمان بن جامع ونافع بن جبير وعمر بن علي المقدمي وأبو عبد الله القاسم بن سلام في جماعة يطول ذكرهم؛ ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وأبو جعفر المنصور وعبد الله بن المغيرة وذكرت الأطراف وأمثالها بأسانيدها في كتاب الشيب والخضاب فكرهت إعادتها ههنا.

فإن قال قائل الخضاب بكل شيء لا يلبس وإنما يلبس بالسواد وقد جاءت فيه أحاديث تدل على الكراهة. الجواب أنه متى ما قصد به التدليس كان مكروها منهيًا عنه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل من يخطبها ويخضب المملوك ليباع فالغرر منهي عنه لا نفس الخضاب. والكراهة في أحاديث النهي ترجع إلى الغرور وكل هذا مبين في كتاب الشيب والخضاب. واعلم أن الشرع جاء بالأخلاق السديدة والأمور الرشيدة فما غيروا الشيب حرافا ولكن تهابه منه النفس لأن الإنسان إذا رآه استشعر الموت وكان في تغطيته أمل يعيش به وإن كانت النفس تعلم باطن الحال، والثاني أمن لزوجته فإن علمت ذلك أنست به ولم تنفر من الشيب كما قال الشاعر:

** وبين البيض والبيض الحروب **

إلى غير ذلك من الفوائد انتهى، والمفهوم من كلامه جواز الخضاب بالسواد مطلقا إذا لم يكن تدليس وغرور كما ذكره في كلامه مثل أن تخضب المرأة لتغر من يتزوجها والرجل ليغر من يخطبها ويخضب المملوك ليغر من يشتريه فهذا عنده غش وتدليس ولا يجوز الخضاب بالسواد حينئذ إن كان بهذه الصفة. وأما إذا انتفت هذه العلة فالخضاب جائز بالسواد كما يجوز بالحمرة والصفرة وغيرهما العامري. والصحيح المجزوم به عندنا تحريم الخضاب بالسواد لغير المجاهد كما سبق في فتاوى النووي وأشاره في شرح مسلم وهو الصحيح في الروضة وغيرها والله أعلم (قول المنافح / ٨٣، ٨٥).

وجاء في زهر الخمائل على الشمائل في باب ما جاء في خضاب رسول الله ﷺ ما يلي، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ مصطفى عاشور بين أقواس في ثنايا النص، كما أبقينا على الأرقام التسلسلية للأحاديث:

سئل أبو هريرة:

[٢٠] «هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم»

في طبقات ابن سعد عن ابن عمر أنه قيل له: «أراك تغير لحيتك قال: رأيت رسول الله ﷺ يغير لحيته».

(انظر طبقات ابن سعد بباب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ حيث ذكر السؤال موجها إلى عبد الله بن بريدة ١ / ٤٣٧ / ٤٣٨. لم يخرج من أصحاب الصحاح حديثه إلا النسائي وهو الراوي عن أنس كما جاء في الفوائد البهية).

[٢١] ومن طريق نافع عن ابن عمر «أنه كان يصفر لحيته بالخلوق ويحدث أن رسول الله ﷺ كان يصفر» (انظر طبقات ابن سعد. ذكر شيب رسول الله ﷺ ١ / ٤٣٥ وذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير، وعزاه لابن عساكر عن محمد بن علي مرسلا، وهو حديث ضعيف ٣٤٢٠).

وعن أبي جعفر قال:

[٢٢] «شمط عارضا رسول الله ﷺ فخضبه بحناء وكتم».

(انظر طبقات ابن سعد بباب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ حيث ذكر السؤال موجها إلى عبد الله بن بريدة ١ / ٤٣٧، ٤٣٨.

والكتم: نبت يشبه الفلفل يصبغ به الشعر فيكسر بياضه أو حمرته إلى السواد، وإذا خلط مع الحناء يقوي الشعر.

والشمط اختلاط بياض الشعر بسواده. والعارض: جانب الوجه وصفحة الخد وهما عارضان ويقال: هو خفيف العارضين: شعر العارضين.

وعن عبد الرحمن الثمالى قال:

[٢٣] «كان رسول الله ﷺ يغير لحيته بماء السِّدر، ويأمر بتغيير الشعر مخالفة للأعاجم (انظر طبقات ابن سعد. باب ذكر من قال: خضب رسول الله ﷺ ١ / ٤٣٧، ٤٣٨. (والسدر شجر النبق والواحدة سدرة).

[٢٤] «وبرأسه رَدعٌ من حناء».

الردع: ضبطوه فى كتب اللغة والغريب بمهملات

هو: لطخ من زَعفران أو وَرْس.

أو قال: «ردغ» يعنى بالغين المعجمة.

(الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب اللباس (باب) فى الخضرة، بلفظ «ذو وفرة بها ردع من حناء» ح (٤٠٦٥)، ص (٤ : ٥٢)، ويونس عن عبد الله بن إياد، عن إياد بن لقيط بقصة البردين، وقال: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن إياد». وأخرجه النسائى فى كتاب الصلاة عن بندار محمد ابن بشار به ـ مختصرا، وزاد «يخضب» وزاد فى كتاب الزينة بهذا الإسناد قصة خضابه بالحناء.

قال النووى: والمختار أنه ﷺ خضب فى وقت لما دل عليه حديث ابن عمر فى الصحيحين، ولا يمكن تركه، ولا تأويله. وتركه فى معظم الأوقات. فأخبر كل بما رأى وهو صادق. والله أعلم.

ويحتمل أن من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما واراه الدُّهن ظن أنه خضب.

ومن نفاه علم أنه لم يخضب، وإنما واراه الدهن (زهر الخمائل/ ٦١ـ٦٣).

وقد ذكره الحكيم الترمذى فى «المنهيات»، ونقله لك فيما يلى، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ محمد عثمان الخشت بين أقواس فى ثنايا النص، كما أبقينا على الرقم التسلسلى للحديث الذى ورد فى النص وهو الرقم ١٢٦ :

[١٢٦] وأما قوله: «ونهى عن الخضاب بالسواد». (مسلم: كتاب اللباس، حديث ٧٩. وأبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٣. وأحمد: الثالث؛ ص ٢٤٧، ٣٣٨).

فهذا من أجل أنه غرر (أى خداع)، فإن أراد أن يتزوج ولم يبحه كان غررا ومن أجل أن الشيب وقار أكرم الله به إبراهيم عليه السلام ومن تبعه على ملته، فإذا شاب وغيَّره بالسواد فكأنه رفض تلك الكرامة وزينتها وحرم وقاره؛ لأنه يريد أن يتشبه بالحالة الأولى.

وهذا تأديب واختيار من النبى ﷺ للأمة. ومن فعله لم يقع فى النهى المأثوم، وقد كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يخضبان بالسواد، وقد فعله كثير من الصحابة، إلا أن الخضاب على الغالب الحمرة والصفرة، فقد زجر عن ذلك فى وقته.

حدثنا أبى، حدثنا أبو نعيم، عن سفيان، عن أبى رباح، عن مجاهد قال: أول من خضب بالسواد فرعون.

فهذا فعل الجبارين الذين يأنفون من الشيب، ويكرهون أن يكونوا فى زى الضعفاء المشيخة. فأما عبد تذلل لله عبادة وعبودة، فإن خضب بالسواد ليتزين عند أهله أو ليهيب العدو إذا خرج غازيا، فإن الشاب أنكى فى العدو من الشيخ وأهيب له، لم تلحقه سنن الفراعنة، وهو على كل مراده أمر جميل.

حدثنا قتيبة، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبى عمران، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا الشيب، ولاتقربوه السواد، ولا تشبهوا باليهود».

(الترمذى: كتاب اللباس. باب ٢٠. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٤. وأحمد: الأول ص ١٦٥. والثانى؛ ص ٢٦١، ٣٥٦، ٤٩٩. والثالث؛ ٢٤٧، ٣٣٨).

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى، حدثنا سفيان، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وحدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن أبى الزبير، عن جابر، قال: جىء بأبى قحافة يوم فتح مكة ولحيته كالثغامة بياضا، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا الشيب، وجنبوه السواد» (مسلم: كتاب اللباس، حديث ٧٩. أبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٥. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٣، حديث ٣٦٢٤).

قال: أبو عبد الله رحمه الله: فالشيب وقار، وإنما قصد رسول الله ﷺ لتغييره مخالفة أهل الكتاب.

حدثنا حميد بن الربيع اللخمي ويعقوب بن شيبة قالا: حدثنا محمد بن كناسة، عن هشام بن عروة، عن أخيه عثمان ابن عزوة، عن الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

(البخارى: كتاب الأنبياء، باب ٥٠. وكتاب اللباس، باب ٦٧. ومسلم. كتاب اللباس، حديث ٨٠. وأبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨. والنسائى: كتاب الزينة؛ باب ١٤. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الثانى؛ ص ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

حدثنا على بن حجر، عن ابن عباس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا اللحى ولا تشبهوا بالأعاجم» (البزار. وقال الهيثمى: وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف. مجمع الزوائد: الخامس، ص ١٦٠)

وحدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق العبدى، حدثنا أبى، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا الأجلح، عن عبد الله بن بريدة، عن أبى الأسود الديلى، عن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم».

(أبو داود: كتاب الترجل، باب ١٨ والترمذى: كتاب للباس، باب ٢٠. والنسائى: كتاب الزنية، باب ١٦. وابن ماجه: كتاب اللباس، باب ٣٢. وأحمد: الخامس، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩.

وحدثنا على بن حجر السعدى ويحيى بن أحمد الطائى، قالا: حدثنا إسماعيل بن عياش الحمصى، حدثنا سالم بن عبد الله الكلاعى، عن أبى عبد الله القرشى، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر. (رواه الطبرانى. وقال الهيثمى: وفيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد: الجزء الخامس، ص ١٦٣).

حدثنا أبى رحمه الله، حدثنا جندل بن والق، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقى، عن عبد الكريم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون قوم فى آخر الزمان يخضبون بالسواد كحواصل الطير لا يجدون رائحة الجنة».

وحدثنا محمد بن على الشقيقى، حدثنا أبى، حدثنا أبو حمزة، حدثنا عبد الكريم، عن مجاهد: أنه ذكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد لا ينظر الله إليهم يوم القيامة». (أبو داود: كتاب الترجل، باب ٢٠. والنسائى: كتاب الزينة، باب ١٥. وأحمد: الأول، ص ٢٧٣. وابن سعد فى الطبقات. والبيهقى فى السنن. وجمع الجوامع: الأول، ص ١٠١٢).

قال أبو عبد الله رحمه الله: فهذا فعل أهل العتو والجبرية فى آخر الزمان، وكذلك كان من قبل فعل الفراعنة. فإن المرء إذا شاخ راح، وإذا راح استحقره السفهاء، واستوقره العقلاء، وكان أهل العتو يأنفون من ذلك، ويغيرونه بالسواد، يخفون على الناظرين إليهم أحوالهم.

فهذه مثلة يريد أن يعود فى هيئة الشاب، وقد قال الله تعالى فى تنزيله فيما يحكى عن قول العدو: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[النساء: ١١٩] وقال الله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم: ٣٠] فإذا أذهب المغيِّر وقاره بسواد، فهو كأنه يريد أن يعود كما كان، لحبه للشباب، وحرصه على العمر. فإنه يكره الشيب؛ لأنه علامة لإقباله على الموت... ألا ترى أن أول من خضب بالسواد فرعون، فهو السابق على العتو.

إلا أن المجوس يحفون لحاهم، ويعفون شواربهم، يريدون بذلك التعلم والتجلد للسنين، فقال ﷺ: «خالفوا المجوس؛ جزوا الشوارب، وأوفروا اللحى» (البزار. عن أنس وفيه الحسن بن أبى جعفر، وهو ضعيف متروك. مجمع الزوائد: الخامس؛ ص ١٦٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الشرك يعفون شواربهم ويحفون لحاهم. فخالفوهم فأعفوا اللحى وحفوا الشوارب».

(الطبرانى، عن أبى هريرة، بإسنادين فى أحدهما عمر بن أبى سلمة، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه شعبة وغيره، وبقية رجاله ثقات) ففى مذهب كسرى التجلد والتجبر والعتو، وأن يكون فى هيئة الغلمان والشبان. وفى مذهب محمد ﷺ التواضع، والعبودية لله، والتطهير، وزينة الرجال فى اللحى، وتطهرهم فى قص الشارب لئلا يبق فيه وضر الطعام. (الوضر: الوسخ من الدسم أو غيره، والجمع: أوضار).

قال أبو عبد الله رحمه الله: فأما من يرخص فى خضاب السواد من السلف فلمعنى غير هذا...

وحدثنا عبد الجبار، حدثنا الحسن بن حبيب بن ندية، عن عبد الصمد بن حبيب، عن أبيه عن الحكم بن عمرو الغفارى، قال: دخلت أنا وأخى رافع على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنا مخضوب بالحناء وأخى بالصفرة، فقال: أما خضابك فخضاب الإسلام، وأما خضاب أخيك فخضاب الإيمان... وسئل عن السواد، فكرهه.

وإنما قال: «الحمرة خضاب الإسلام، والصفرة خضاب الإيمان»؛ لأن الإسلام فى الحياة، والإيمان عند الموت، لأن إذا قرب الموت زالت عنه أعمال الشريعة والإسلام ما ظهر، والإيمان ما بطن. وإنما يبقى عند الموت الباطن. فقد زال الظاهر؛ ففى ذلك الوقت يصفر، حتى يقدم إلى ربه وقد غير شيبه، لئلا يشبه أهل الكتاب... ألا ترى إلى قوله عليه السلام فى دعائه على الجنازة: «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان».

(أبو داود: كتاب الجنائز؛ باب ٥٦. والترمذى: كتاب الجنائز؛ باب ٣٨. وابن ماجه: كتاب الجنائز؛ باب ٢٣. وأحمد: الثانى؛ ص ٣٦٨. والرابع؛ ص ١٧٠. والخامس؛ ص ٢٩٩، ٣٠٨. وانظر: نيل الأوطار: الرابع؛ ص ٦٣) (المنهيات/ ١٩٦ـ٢٠٣).

وقد أورد الحافظ السيوطى هذه الفتوى لمسألة وردت إليه فأجاب عنها:

مسألة ـ خضب الرجل لحيته ويديه ورجليه بالحناء هل يجوز له من غير ضرورة أم لا؟ وهل المرأة والرجل فى ذلك سواء أم لا وهل ورد فى ذلك شيء من السنة الشريفة؟.

الجواب ـ خضاب الشعر من الرأس واللحية بالحناء جائز للرجل بل سنة صرح به النووى فى شرح المهذب نقلا عن اتفاق أصحابنا لما ورد فيه من الأحاديث الصحيحة، منها حديث الصحيحين عن أبى هريره «أن رسول الله ﷺ قال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» وروى مسلم عن جابر قال: «أتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق ـ يوم فتح مكة ـ ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال رسول الله ﷺ: غيروا هذا واجتنبوا السواد» وأما خضاب اليدين والرجلين بالحناء فيستحب للمرأة المتزوجة وحرام على الرجال إلا لحاجة ـ هكذا قاله أيضا فى شرح المهذب، قال ومن الدليل على تحريمه للرجال ما رواه أبو داود عن أبى هريرة «أن رسول الله ﷺ أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال ما بال هذا؟ فقيل يارسول الله يتشبه بالنساء فأمر به فنفى الى البقيع» ومنها حديث الصحيحين عن أنس «أنه ﷺ نهى أن يتزعفر الرجال» قال النووى: علة النهى اللون لا الرائحة فإن ريح الطيب للرجل محبوب والحناء فى هذا كالزعفران، والأحاديث فى استحبابه للنساء المتزوجات كثيرة مشهورة (الحاوى للفتاوى ١/ ٧٤).

ومما قيل فى الشعر فى مدح الخضاب ما أورده الثعالبى وهو كما يلى:

كان يقال: الخضاب أحد الشبابين.

ويقال: الخضاب تذكرة الشباب.

ومن أحسن ما قيل فى مدحه:

الشيب موت ولكن فى إماتته
محيا ليال قليلات وأيام

وقال ابن المعتز:

وقالوا: النصول مشيب جديد
فقلت: الخضاب شباب جديد
إساءة هذا بإحسان هذا
فإن عاد ذاك فهذا يعود

وقال آخر:

للضيف أن يقرى ويعرف حقُّه
فالشيب ضيفك فاقره بخضاب

وأطرف ما قيل فى الخضاب قول عبدان الأصفهانى:

فى مشيبى شماتة لعداتى
وهو ناع منّغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه
لى أنس إلى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى
ما به رمت خلة الغانيات

إنمـــــــــــا رمت أن يغيِّب عنـي
مــــا تـــــرينـــه كـل يـــوم مـــراتـي
وهــــــــونـــــــــاع إلـيَّ نفسـي ومـن ذا
ســــرَّه أن يـــــرى وجـــــوه النُّعـــــاة

(اللطائف والظرائف / ٢٦٢، ٢٦٣)

(لسان العرب لابن منظور ١٤ / ١١٧٩، وتسهيل المنافع فى الطب والحكمة لابن الأزرق / ٨٣ ـ ٨٥، وزهر الخمائل على الشمائل. أوصاف النبى ﷺ للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق مصطفى عاشور / ٦١ ـ ٦٣، والمنهيات لأبى عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى ـ دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت / ١٩٦ ـ ٢٠٣، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ٧٤، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ٢٦٢، ٢٦٣).

*** خضر:**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة «خضر»:

خضر: قال تعالى: ﴿فتصبح الأرض مخضرة﴾ [الحج: ٦٣] ﴿ثيابا خضرا﴾ [الكهف: ٣١] خضرة جمع أخضر والخضرة أحد الألوان بين البياض والسواد وهو إلى السواد أقرب ولهذا سمى الأسود أخضر والأخضر أسود قال الشاعر:

قــــد أعسف النــــازح المجهـــود معسفـــة
فى ظـل أخضـــر يــدعــو هــامـه البــوم

وقيل سواد العراق للموضع الذى يكثر فيه الخضرة، وسميت الخضرة بالدهمة فى قوله سبحانه ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن: ٦٤] أى خضراوان وقوله عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن» فقد فسره عليه السلام حيث قال «المرأة الحسناء فى منبت السوء» والمخاضرة المبايعة على الخضر والثمار قبل بلوغها، والخضيرة نخلة ينتثر بسرها أخضر.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـــ (تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥٠).

الخضر:

ومن اصطلاحات الصوفية. قال الجرجانى:

الخضر: يعبر به عن البسط فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب، وكذلك قواه الروحانية (التعريفات / ١٢٣).

وقال القاشانى: الخضر كناية عن البسط، واليأس كناية عن القبض. أما كون الخَضِر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد أو روحانيا يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندى. بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس (اصطلاحات الصوفية/ ١٦٠)

(التعريفات للشريف الجرجانى ـــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٣٣، واصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى ـ تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ١٦٠).

*** خضر (زاوية الشيخ-):**

قال على باشا مبارك:

هى بشارع السروجية بين رأس درب الدالى حسين ورأس حارة عبد الله بيك عن شمال الذاهب من باب زويلة إلى الصليبة.

كانت متهدمة فجددها حضرة محمدأفندى مناو، وكيل الأمير منصور باشا يكن سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، وجعلها علوية فى دور ثان، وجدد تحتها الضريح الذى بها المعروف بالشيخ خضر الصحابى رضى الله عنه. ويعرف أيضا بزرع النوى.

قال السخاوى فى كتاب المزارات: ثم بعد المدرسة اليونسية تقصد إلى رأس الهلالية والمنجبية وسوق الطير؛ فتجد على رأس الطريق مسجدًا يعرف القبر الذى فيه بزرع النوى الصحابى، ويقال: خضر الصحابى. وهذا لا حقيقة له فإن المخرِّجين للأحاديث لم يذكروا أن فى الصحابة من اسمه زرع النوى.

وقال المقريزى: كان هناك قبر فهو لأمين الأمناء أبو عبد الله الحسن بن طاهر الوزان. انتهى من كتاب المزارات، وسمى المقريزى هذا المسجد بمسجد زرع النوى، ثم ترجم أمين الأمناء بأنه كان يتولى بيت المال، ثم جعله الخليفة الحاكم بأمر الله فى الوساطة بينه وبين الناس والتوقيع عن الحضرة فى سنة ثلاث وأربعمائة ثم أبطل أمره وذلك أنه ركب مع الحاكم على عادته فضرب رقبته بحارة كتامة خارج القاهرة، ودفن فى هذا الموضع تخمينا أى فى المسجد المعروف بزرع النوى.

وكانت مدة نظرة الوساطة والتوقيع، وهى رتبة الوزارة سنتين وشهرين وعشرين يوما، وكان توقيعه عن الحضرة الإمامية: الحمد لله وعليه توكلى «انتهى بتصرف» وسمعت من بعض الفضلاء أن صاحب هذا الضريح هو خضر السحابى بالسين المهملة لا بالصاد.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٢، ٧٣).

*** الخضرُ بن ثروان (٥٠٥ ـ ٥٨٠ هـ / ١١١١ ـ ١١٨٤ م):**

الخضر بن ثروان بن أحمد الثعلبى التوماثى الفارقى الجزرى. أبو العباس وتوماثا: قرية عند برقعيد، ولد بجزيرة ابن عمر من أرض الموصل، ونشأ بميافارقين، وقرأ بها الأدب على جماعة، ثم انحدر إلى بغداد، وقرأ الأدب على الشيخ أبى منصور بن الجواليقى، والنحو على الشريف أبى السعادات بن الشجرى ولا زمهما.

وكان ضريرا حافظا لأصول اللغة، عالما بها. وكان يحفظ «المجمل»، وشعر الهذليين وأخبار الأصمعى وشعر رؤبة بن العجاج وذى الرمة وغيرهما من المخضرمين وأهل الإسلام والجاهلية. وسار بعد ذلك إلى خراسان، وأقام بنيسابور، ودخل مرو وبلخ، وكان مولده فى المحرم سنة خمس وخمسمائة، وله شعر منه:

أنت فى غمرة النعيم تعوم
لست تدرى بأن ذا لا يدوم
كم رأينا من الملوك قديما
هم دوا فالعظام منهم رميم
ما رأينا الزمان أبقى على شخـ
ـص شقاء فهل يدوم النعيم
والغنى عند أهله مستعار
فحميد منهم به وذميم

ومن شعره أيضا:

كتبت وقد أودى المداد بمقلتى
وقد ذاب من شوقى إليكم سوادها
فما وردت لى نحوكم من رسالة
وحقكم إلا وذاك مدادها

ومن شعره أيضا:

لا تعجبوا من نزول الشيب فى شعرى
فإنه لم ينازلنى من الكبر
لكن رأى مقلتى قد شاب ناظرها
فجاءنى ليعزينى على النظر

(إنباه الرواة ١ / ٣٥٦، ٣٥٧)

توفى فى بخارى سنة ١١١١ هـ ١١٨٤. أثنى عليه ياقوت فى معجميه وأورد شيئا من شعره (الأعلام ٢ / ٣٠٦)

قالت المؤلفة: ذكره ياقوت فى معجم البلدان (٣، ٥٩، ٦٠) فى مادة «توماثا»، ونقلناها عنه تحت عنوانها فى م ١١ / ١٣٩، ١٤٠ فانظرها فى موضعها

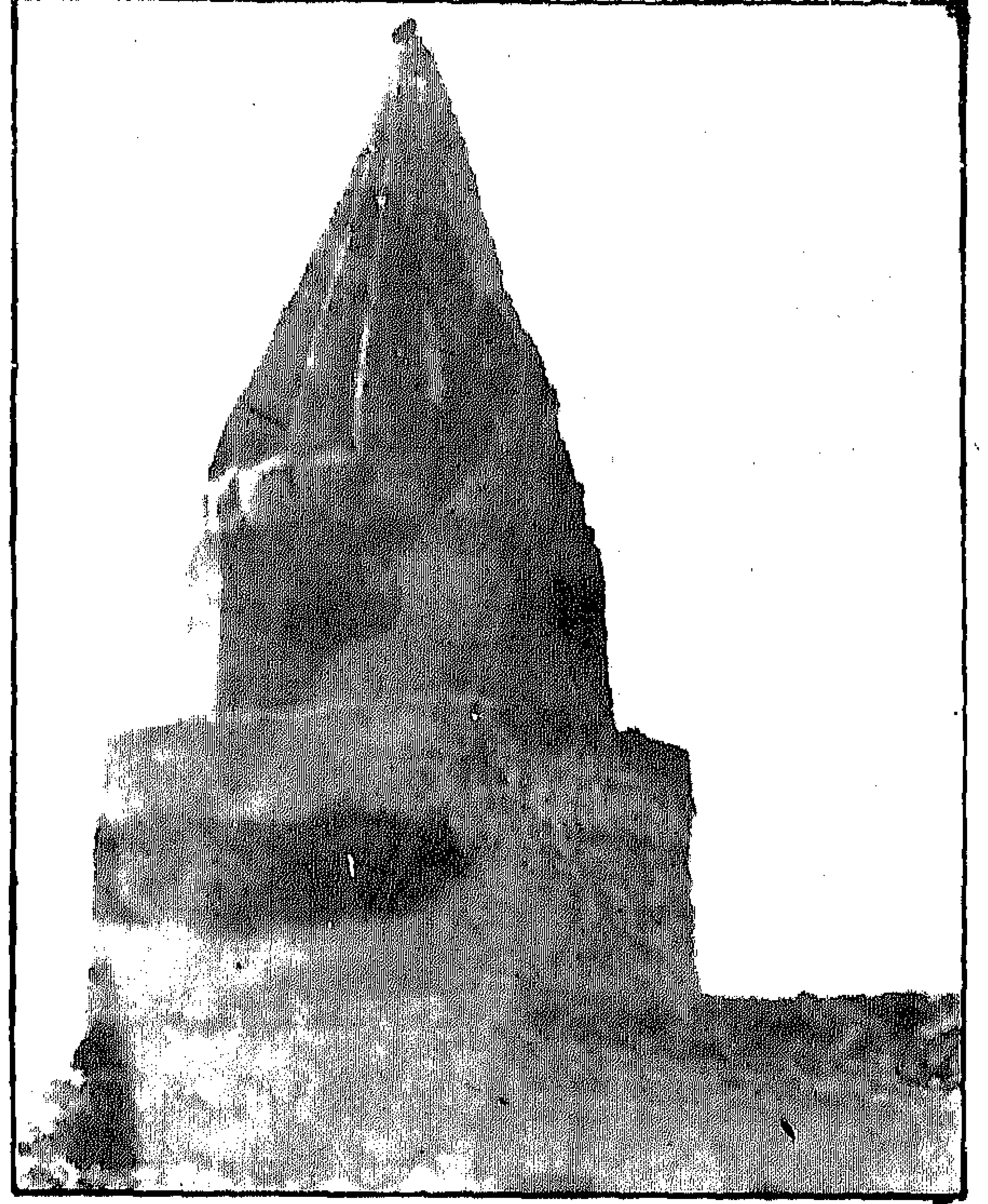
له ترجمة فى: بغية الوعاة / ٢٤١، وتلخيص ابن مكتوم / ٦٨، ٦٩، وروضات الجنات / ٢٧٠، ومعجم الأدباء ١١ / ٥٩ ـ ٦١، ونكت الهميان / ١٤٩، والوافى بالوفيات جـ ٤ م ٢ / ٢٧٣) (إنباه الرواة / ٣٥٦).

(إنباه الرواة للقفطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ١/ ٣٥٦، ٣٥٧ والأعلام للزركلى ٢ / ٣٠٦).

*** الخَضِر عليه السلام:**

ترد قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فى سورة الكهف فى الآيات ٦٠ ـ ٨٢. يقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات الكريمة:

حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرنى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. قال ابن عباس: كذب عدو الله؛ حدثنا أُبَى بن كعب رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك: فقال موسى: يارب، وكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا، تجعله بمكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ: فأخذ حوتا، فجعله بمكتل، ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون عليهما السلام، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل، فخرج منه، فسقط فى البحر، واتخذ سبيله فى البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال



موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذى أمره الله به. قال له فتاه: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ [٦٣] قال: فكان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا، فقال: ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا﴾ [٦٤] قال: فرجعا يقصان أثرهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى (أى مُغطى) بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنَّى بأرضك السلام!، قال: أنا موسى: قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا. ﴿قال إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ [٦٧] ياموسى، إنى على علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ﴿ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا﴾ [٦٩] قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أُحدث لك منه ذكرا﴾ [٧٠].

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلمهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهم بغير نول (أى بغير أجرة) فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول، فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها، لتغرق أهلها قال. لقد جئت شيئا إمرا. ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا * قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا﴾ [٧٢، ٧٣] قال: وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى نسيانا ـ قال: وجاء عصفور فنزل على حرف السفينة، فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر: ما علمى وعلمك فى علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه. فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾ [٧٤، ٧٥] قال: وهذه أشد من الأولى ـ ﴿قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا * فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها * فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض﴾ [٧٦، ٧٧] قال: مائل. فقال الخضير بيده ﴿فأقامه﴾، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بينى وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا﴾ [٧٧، ٧٨] فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)، وكان يقرأ: (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين) (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦/ ١١٠ ـ ١١٢).

ثم رواه البخارى عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة ... فذكر نحوه، وفيه: «فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة، فنزلا عندها ـ قال: فوضع موسى رأسه فنام ـ قال سفيان وفى حديث غير عمرو قال: وفى أصل الصخرة عين يقال لها «الحياة»، لا يصيب من مائها شىء إلا حيىَ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل، فدخل البحر فلما استيقظ قال موسى لفتاه! آتنا غداءنا [٦٢] كذا قال: وساق الحديث «ودفع

عصفور على السفينة، فغمس منقاره فى البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره» (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦/ ١١٥/ ١١٦) وذكر تمامه بنحوه،

وقال البخارى أيضا: حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير - يزيد أحدهما على صاحبه - وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس فى بيته، إذ قال: سلونى. فقلت: أى أبا عباس، جعلنى الله فداك، بالكوفة رجل قاص، يقال له «نوف»، يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل - أما عمرو فقال لى: قال: كذب عدو الله! وأما يعلى فقال لى: قال ابن عباس: حدثنى أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ موسى رسول الله، ذكّر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون، ورقت القلوب، ولى، فأدركه رجل فقال: أى رسول الله، هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى، قال: أى رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال: أى رب، اجعل لى علما أعلم ذلك به - قال لى عمرو: قال: حيث يفارقك الحوت. وقال لى يعلى: خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فى الروح، فأخذ حوتا فجعله فى مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرنى حيث يفارق الحوت، قال: ما كلفت كبيرا. فذلك قوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾[٦٠] يوشع بن نون، ليست عن سعيد بن جبير - قال: فبينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان، إذ تضرب الحوت وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره فى حجر. قال: فقال لى عمرو: هكذا كأن أثره فى حجر، وحلق بين إبهاميه والتى تليهما - ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ [٦٢] قال: «وقد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد - أخبره، فرجعا فوجدا خضرا: قال: قال عثمان بن أبى سلمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر (أى وسطه) قال سعيد بن جبير: مسجى بثوب، قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرض من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا. قال: يكفيك التوراة بيدك، وأن الوحى يأتيك! : ياموسى، إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه. فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر، حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح؟ - قال: فقلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم - لا نحمله بأجر. فخرقها، ووتد فيها وتدا. قال موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ [٧١] قال مجاهد: منكرا ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا﴾[٧٢]، كانت الأولى نسيانا، والوسطى شرطا، والثالثة عمدا: ﴿قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله﴾ [٧٣، ٧٤] قال يعلى: قال سعيد، وجد غلمانا يلعبون، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه، ثم ذبحه بالسكين، فقال: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] لم تعمل بالحنث: وابن عباس قرأها (زكية) (زاكية): مسلمة كقولك: غلاما زكيا فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا، ورفع يده فاستقام - قال يعلى: حسبت أن سعيدا قال: فمسحه بيده فاستقام ﴿قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ [٧٧] قال سعيد: أجرا نأكله (أى نأكل به): ﴿وكان وراءهم ملك﴾ [٧٩] وكان أمامهم، قرأها ابن عباس: (أمامهم ملك)، يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَدُ ابْن بُدَدَ، والغلام المقتول اسمه - يزعمون - جيسور ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصبا﴾ [٧٩]، فأردت إذا هى مرت به أن يدعها بعيبها، فإذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول: سدوها بقارورة، ومنهم من يقول: بالقار. ﴿كان أبواه مؤمنين﴾، وكان كافرا، ﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾ [٨٠] كقوله: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [٧٤] ﴿وأقرب رحما﴾ [٨١] هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر: وزعم غير سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية، وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية (البخارى، تفسير سورة الكهف ٦ / ١١٢-١١٥).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: خطب موسى عليه

السلام بنى إسرائيل فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره منى . فأمر أن يلقى هذا الرجل : فذكر نحو ما تقدم بزيادة ونقصان ، والله أعلم(تفسير القرآن العظيم ٥ / ١٧٥) .

تلك كانت قصة الخضر مع موسى عليهما السلام كما وردت فى الآيات ٦٠ ــ ٨٢من سورة الكهف فى القرآن الكريم .

أما عن الخضر نفسه فقد قال عنه الإمام النووى رحمه الله :

مذكور فى المهذب فى باب التعزية هو بفتح الخاء وكسر الضاد ويجوز إسكان الضاد مع كسر الخاء وفتحها كما فى نظائره . والخضر لقب قالوا واسمه بليا بموحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت . ابن ملكان بفتح الميم و إسكان اللام وقيل كليمان ، قال ابن قتيبة فى المعارف قال وهب بن منبه اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح قالوا وكان أبوه من الملوك واختلفوا فى سبب تلقيبه بالخضر فقال الأكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفروة وجه الأرض وقيل الهشيم من النبات وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله والصواب الأول. فقد روينا فى صحيح البخارى عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هى تهتز من خلفه خضراء فهذا نص صحيح صريح . وكنية الخضر أبو العباس وهو صاحب موسى النبى عليه السلام الذى سأل السبيل إلى لقيه وقد أثنى الله تعالى عليه فى كتابه بقوله تعالى ﴿**فوجدا عبدا عن عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما**﴾ فأخبر الله عنه فى باقى الآيات بتلك الأعجوبات وموسى الذى صحبه هو موسى بنى إسرائيل كليم الله تعالى كما جاء به الحديث المشهور فى صحيحى البخارى ومسلم وهو مشتمل على عجائب من أمرهما واختلفوا فى حياة الخضر ونبوته فقال الأكثرون من العلماء هو حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك قال وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين . قال وهو نبى واختلفوا فى كونه مرسلا وكذا قاله بهذه الحروف غير الشيخ من المتقدمين . وقال أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب الأولياء لم يكن الخضر نبيا و إنما كان وليا . وقال أقضى القضاة الماوردى فى تفسيره قيل هو ولى وقيل هو نبى وقيل إنه من الملائكة وهذا الثالث غريب ضعيف أو باطل . وفى آخر صحيح مسلم فى أحاديث الدجال أنه يقتل رجلا ثم يحيا قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال إن ذلك الرجل هو الخضر وكذا قال معمر فى مسنده أنه يقال إنه الخضر. وذكر أبو إسحاق الثعلبى المفسر اختلافا فى أن الخضر كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام أم بعده بقليل أم بعده بكثير قال والخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار. قال وقيل إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان عند رفع القرآن (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٧٦ ، ١٧٧) .

ويحكى القزوينى فى عجائبه الحكاية التالية عن الخضر عليه السلام ، ويختتم بها المقالة الأولى فى العلويات فيقول :

ولنختم هذا الفصل بحكاية عجيبة وهى ما روى أنه كان فى بنى إسرائيل شاب عابد ، وكان الخضر عليه السلام يأتيه ، فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال : إذا جاء الخضر فائتنى به وإلا قتلتك ، فقال الشاب : ويحك أآتيك بالخضر؟ قال : نعم وإلا قتلتك ، فرجع الشاب إلى مكانه متفكرا فى أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام ، فحدثه بحديث الملك فقال : امض بى إليه ، فلما دخلا على الملك قال له الملك : أنت الخضر؟ قال : نعم ، قال : حدثنى بأعجب شىء رأيته ، فقال الخضر عليه السلام : رأيت كثيرا من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرنى الآن . كنت فى اجتيازى مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلا من أهلها متى بنيت هذه المدينة؟ فقال : هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثرا ، ورأيت هناك رجلا يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة؟ فقال : لم تزل هذه الأرض كذلك ، فقلت : أما كانت هاهنا مدينة؟ فقال : ما رأينا هاهنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا ، ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحرا ، فلقيت هناك جمعا من الصيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحرا؟ فقالوا : مثلك يسأل عن هذه؟ إنها لم تزل كذلك ، قلت : أما كان قبل ذلك يبسا؟ قالوا :

مارأيناه ولا سمعنا به عن آبائنـا، ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختلي، فقلت: متى صارت هذه الأرض يبسـا؟ فقال لم تزل كـذلك، فقلت له: أما كان بحر قبل هذا؟ فقـال، ما رأينـاه ولا سمعنـا به قبل هـذا، ثم مررت بها بعـد خمسمـائة عام فـوجدتهـا مـدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتها أولا، فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال: إنها عمارة قديمـة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا، فقـال الملك إني أريـد أن أتبعك وأفـارق ملكي، فقال لـه: إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشـاب فإنه يـدلك على الرشـاد، والله المـوفق للصـواب. تمت المقالـة الأولى في العلويات والحمد لله رب العالمين.

(عجائب المخلوقات / ٦٥).

ويـورد الحافظ السيـوطى مسألة وردت إليـه عما إذا كـان الخضـر قد مـات أم لا يزال حيـا ثم يـرد على السائل، وهـذه هي:

مسألة:

مــا أشهــر القــولين يــامن علمــه
أربى على الأقــران والنظــراء
فى مــوت مشهــور الحيــاة أى الخضــر
وحيــاتــه يــا فــائزا بثنــاء
قــولان مشهــوران قــالهمــا الــرضــا
شيخ الــزمــان وفــائق العلمــاء
بقـــوام ديـن الله لُقِّب وهـــو مـن
بغـــداد يشهـــر بين كـل مـــلاء
وأقــام بــرهــانــا على فقــدانــه
فــاعجب لــذا يــاكــامل الآراء
لا زلـت معـــدودا لكـل ملمـــة
وجــزيت يــوم الحشــر خيــر جــزاء

الجواب:

مـن بعــد حمــدى دائمــا وثنــائى
ثـم الصـــلاة لسيـــد النجبـــاء
للنـــاس خلف شـــاع فى خضـــر وهل
أودى قـــديمـــا أو حيى ببقـــاء
ولكـل قـــول حجـــة مشهـــورة
تسمـــو على الجـــوزاء فـى العليـــاء
والمـــرتضى قـــول الحيـــاة فكم لـــه
حجـج تجل الــــدهـــر عن إحصـــاء
خضـــر وإليـــاس بـأرض مثل مـــا
عيسى وإدريس بقـــوا بسمـــاء
هـــذا جـــواب ابن السيـــوطى الـــذى
يـــرجـــو من الـــرحمن خيـــر جـــزاء

(الحاوى للفتاوى ٢ / ١٣٩).

ويرى الإمام ابن قيم الجوزية أن الأحـاديث التي يذكر فيها الخضـر وحيـاتـه كلها كـذب، ولا يصح فى حيـاتـه حـديث واحد، ويسوق أمثلـة من هذه الأحاديث كما يـدحض بالأدلة قول القائلين بأن الخضر لا يزال حيا، مما ننقله فيما يلي، وقد وضعنـا تعليقات المحقق الأستـاذ طه عبـد الرءوف سعـد بين أقواس في ثنايـا النص إتماما للفائدة، كمـا أبقينا على الأرقام التسلسلية التي وردت في النص. قال ابن القيم رحمه الله.

١٢٣ ـ ومنهـا (أى من الأحاديث الموضوعـة)، الأحاديث التي يـذكر فيها الخضـر وحياتـه، كلها كـذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

١٢٤ـ كحديث «إن رسـول الله صلى الله عليه وأله وسلم، كان في المسجد، فسمع كلاما من ورائه، فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضـر». (أخرج ابن عدى من طريق كثيـر بن عبد الله بن عمـرو بن عوف عن أبيـه عن جده: «أن النبى سمع وهـو فى المسجد كلاما، فقال: يا أنس، اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفـر لى فـذهب إليـه فقـال: قل لـه إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهـور قال: فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر» وإسناده ضعيف).

١٢٥ـ وحديث «يلتقى الخضر وإلياس كل عام ... (روى الدارقطنى فى الأفراد من طريق عطـاء عن ابن عباس مرفوعا: يجتمع الخضر وإليـاس كل عام في المـوسم فيعلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان من هؤلاء الكلمات. باسم الله ما شـاء الله ... إلخ وفى إسناده محمـد بن أحمـد بن زيد وهـو ضعيف).

١٢٦ ـ وحـديـث: «يجتمع بعرفـة جبريـل وميكـائيل

والخضر. (الحديث المفترى الطويل). (الحديث المفترى الطويل).

سئل إبراهيم الحربى عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان.

١٢٧ ــ وسئل البخارى عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» (رواه الشيخان. وممن جزم أيضا أنه غير موجود الآن واستدل بهذا الحديث إبراهيم الحربى وأبو جعفر بن المنادى وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادى وأبو بكر بن العربى وطائفة. انظر ما قيل فى الحديث فى فتح البارى بتحقيقنا)

وسئل عن ذلك كثير غيرهم من الأئمة فقالوا:

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾[الأنبياء: ٣٤].

١٢٨ ـ وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى النبى ﷺ وآله وسلم، ويجاهد بين يديه، ويتعلم منه. وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد فى الأرض»، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟!

(حديث ابن عباس أخرجه البخارى «ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه» ولو كان الخضر موجودا لجاء إليه وآمن به، ولم يصح أنه جاءه أو قاتل معه)

قال أبو الفرج بن الجوزى: والدليل على أن الخضر ليس بباق فى الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء. والمعقول.

١٢٩ ـ أما القرآن: فقوله تعالى: **﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾**[الأنبياء: ٣٤] فلو دام الخضر كان خالدا.

١٣٠ ـ وأما السنة: فذكر حديث: «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد». متفق عليه.

١٣١ ـ وفى «صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ـ قبل موته بقليل ـ: «ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية».

١٣٢ ــ وأما إجماع المحققين من العلماء فقد ذكر عن البخارى، وعلى بن موسى الرضا: أن الخضر مات؛ وأن البخارى سئل عن حياته فقال: وكيف يكون ذلك؟ وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم «أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مئة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد.

قال: وممن قال إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق الحربى، وأبو الحسين بن المنادى وهما إمامان، وكان ابن المنادى يقبح قول من يقول: إنه حى.

وحكى القاضى أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد، وذكر عن بعض أهل العلم: أنه احتج بأنه لو كان حيا لوجب عليه أن يأتى إلى النبى ﷺ.

١٣٣ ــ وقال: حدثنا أحمد حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذى نفسى بيده، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى»، فكيف يكون حيا ولا يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة والجماعة ويجاهد معه؟ (روى أحمد بن جابر عن رسول الله ﷺ أن عمر أتاه فقال: «إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها. فقال رسول الله ﷺ: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى»).

ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلى خلف إمام هذه الأمة، ولا يتقدم، لئلا يكون ذلك خدشا فى نبوة نبينا ﷺ.

قال أبو الفرج: وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر، وينسى ما فى طى إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة.

أما الدليل من المعقول: فمن عشرة أوجه:

الوجه الأول: أن الذى أثبت حياته يقول: إنه ولد آدم لصلبه هذا فاسد (روى الدارقطنى فى الأفراد عن طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: هو ابن آدم لصلبه، وهو ضعيف منقطع).

ذلك أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة، فيما ذكر فى كتاب يوحنا المؤرخ. ومثل هذا بعيد فى العادات أن يقع فى حق البشر.

الوجه الثانى: أنه لو كان ولده لصلبه (ذكر أبو حاتم السجستانى فى المعمرين أنه ابن قابيل بن آدم، رواه عن أبى عبيدة وغيره)، أو الرابع من ولد ولده ـ كما زعموا ـ وإنه كان وزير ذى القرنين، فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا، بل مفرط فى الطول والعرض.

(قال الطبرى فى تاريخه: كان الخضر فى أيام أفريدون فى قول عامة علماء الكتاب الأول. وكان على مقدمة ذى القرنين الأكبر).

١٣٤ ـ وفى «الصحيحين» من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«خلق الله آدم طوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعد». وما ذكر أحد ممن رأى الخضر: أنه رآه على خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

الوجه الثالث: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه فى السفينة، ولم ينقل هذا أحد.

الوجه الرابع: أنه قد اتفق العلماء أن نوحا لما نزل من السفينة مات من كان معه، ثم مات نسلهم، ولم يبق غير نسل نوح، (روى ابن إسحاق فى كتاب المبتدأ أو مبتدأ الخلق عن أصحابه أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده بالتعمير حتى يدفنه. فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه حتى كان الذى تولى دفنه الخضر).

والدليل على هذا: قوله تعالى:

﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾ [الصافات: ٧٧] وهذا يبطل قول من قال: إنه كان قبل نوح.

والوجه الخامس: أن هذا لو كان صحيحا أن بشرا من بنى آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر، ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، وكان خبره فى القرآن مذكورا فى غير موضع، لأنه من أعظم آيات الربوبية. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عاما.

(وهو نوح عليه السلام فقد جاء فى القرآ ن الكريم: ﴿**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾ [العنكبوت: ١٤] وجعله آية، فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر؟ ولهذا قال بعض أهل العلم: ما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.

والوجه السادس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم. وذلك حرام بنص القرآن.

أما المقدمة الثانية: فظاهرة. وأما الأولى: فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة. فهذا كتاب الله تعالى، فأين فيه حياة الخضر؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة، هل أجمعوا على حياته!؟

الوجه السابع: أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة، يخبر بها: أنه رأى الخضر. فيالله العجب. هل الخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر. ومعلوم: أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله. فأين للرائى أن المخبر له صادق، ولا يكذب؟

(روى ابن وهب من طريق ابن المنكدر: أن عمر صلى على جنازة فسمع قائلا يقول: لا تسبقنا. وذكر أنه دعا للميت فقال عمر: خذوا الرجل. فتوارى عنهم فإذا أثر قدمه ذراع. فقال عمر: هذا والله الخضر. وفى إسناده مجهول مع انقطاعه، إلى غير ذلك من أحاديث ضعيفة واهية).

الوجه الثامن: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقال له: ﴿**هذا فراق بينى وبينك**﴾ [الكهف: ٧٨] فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم، ولا يعرفون شيئا؟ وكل منهم يقول: قال الخضر.

فيا عجبا له! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال من لا يعرف كيف يتوضأ، ولا كيف يصلى؟! (روى عمر الجمحى فى فوائده والفاكهى فى كتاب مكة بسند فيه مجهول عن جعفر بن محمد أنه رأى شيخا كبيرا يحدث أباه ثم ذهب فقال له أبوه: رده علىَّ: فطلبته فلم أقدر عليه. فقال لى أبى: ذاك الخضر).

الوجه التاسع: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول: أنا الخضر ولو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: وكذا، لم يلتفت إلى قوله، ولم يحتج به في الدين. إلا أن يقال: إنه لم يأت إلى رسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعه، أو يقول هذا الجاهل: إنه لم يرسل إليه. وفي هذا من الكفر ما فيه (حيث إنه ثبت أنه ﷺ أرسله الله إلى الناس كافة، وإلى الجن)

الوجه العاشر: أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة، وتعليمه العلم: أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات. وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه، والعيب له؟؟ (المنار المنيف / ١٢٨ ـ ١٣٦).

يقول ابن الحوراني: وفي مقبرة باب كيسان، شرقي دمشق، موضع يقال إن الخضر رؤي فيه، وهو موضع يتبرك به الناس ويزورونه (الإشارات ٢٤).

قالت المؤلفة: اثناء زيارتنا الأولى لدمشق من الأثنين/ ٢ صفر ١ أغسطس إلى ١٢ صفر / ٢٢ أغسطس، سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م، شاهدنا في باب أنطاكية ضريحا قال لنا الدليل إنه ضريح الخضر عليه السلام!

وفي العراق، يوجد أثر يعرف بقبة مقام الخضر، وهو مدرج ضمن القباب المخروطية في العراق، وجاء عنه ما يلي:

بناء منفرد يقوم على مرتفع أثري يعرف بالاسم نفسه ويقع على بعد حوالي كيلو متر واحد إلى الجنوب من ناحية كبيسة من أعمال هيت.

الضريح مبني بالحجر والجص بشكل مربع وتقوم فوقه قبة مضلعة مخروطية ذات ستة عشر ضلعا ويدخل إليه من مجاز مقبي مستطيل الشكل أبعاده ٩٠ / ٦ × ٩٠ / ٢ متر وارتفاعه ٣ أمتار ملتصق بالضلع الغربية من القبة ويمتد بموازاتها. والأرجح أن هذا المجاز متأخر عن بناء قبة الضريح.

البناء مربع، كما ذكرنا، طول ضلعه من الداخل ٥٠ / ٣ × ٥٠ / ٣ومن الخارج ٣٠/ ٥ × ٣٠/ ٥ متر يتوسط الجدار المواجه للمدخل محراب عرضه ٦٠ سم وعمقه ٨٥ سم وارتفاعه ٥٠ / ١ متر. وعلى ارتفاع ٣ أمتار من الأرضية نلاحظ ثلاثة مستطيلات تحوي في داخلها زخارف جصية اثنان منها في جدار القبلة والثالث في الجدار الغربي. عرض كل مستطيل ٧٠ سم وارتفاعه ٣٠ / ١ متر. قوام زخرفة هذه المستطيلات أشكال هندسية مركبة، إذ تتألف الوحدة الزخرفية من مربع داخله دائرة في داخلها مربعان متعاكسا الأضلاع داخلهما نجمة ذات ثمانية رؤوس.

وعلى ارتفاع أربعة أمتار من الأرضية توجد أربع نوافذ متقابلة، في كل ضلع نافذة، يعلوها إطار يبرز عن سطح الجدار بمقدار ١٠ سم يعلوه إطار آخر بارتفاع ٥٠ سم خال من الزخرفة تقوم فوقه صفان من الحنيات تكون مرحلة الانتقال من المربع إلى المثمن فالدائري.

يتكون الصف الأول من حنيات مقوسة مسطحة القاعدة تنتهي بعقود مدببة، في كل ضلع حنيات فتكون بمجموعها ثمانية حنيات يقوم فوقها صف آخر من حنيات مشابهة للأولى في كل جدار ثلاث حنيات وتكون بمجموعها اثنتي عشرة حنية وهي مرحلة الانتقال من المثمن إلى الشكل الدائري للقبة. تعلو هذه المنطقة من الحنيات منطقة تحوي أربعة صفوف من الأشكال المعينية، تتكون من شرائط متعاكسة ثم تتقارب وهكذا بصورة متتالية وتحصر بينها زخارف هندسية معينية الشكل عددها ستة عشر معينا في كل صف وتنتهي هذا الأشكال في الصف الرابع مكونة نجمة ذات ستة عشر رأسا بارزة الأضلاع والقبة نصف كروية من الداخل ومخروطية من الخارج وبين القبتين فراغ.

ويمكننا أن نلاحظ على الجدار الخارجي للقبة وعلى الصف الأول من المقرنصات فوق المدخل بقايا قطع من القرميد الأزرق.

ويرجح نسبة هذا القبة إلى العهد الأتابكي.

هذا وقع جاء عن الصورة المصاحبة لهذه المادة مايلي منظر خارجي لمقام الخضر، وهو مبني من الحجر. وتشهد فيه القبة المخروطية ذات الستة عشر ضلعا، ومنطقة الانتقال المثمنة وتبدو فيها نافذتان من أصل ست نوافذ، كما يشاهد عقد المدخل إلى المقام.

كما جاء في هامش (١) هذا التنويه: لم نعثر على اسم الشخص المدفون في هذا الضريح. أما اسم الخضر بصفة عامة فمعناه الرجل الأخضر، ثم نسي هذا اللقب على مر

الأيام. يطلق المفسرون اسم الخضر على العبد الذى صحب موسى عليه السلام فى قصة الحوت ... ويتبين أن الخضر لم يكن نبيا بل عبدا صالحا من عباد الله كان يسكن مجمع البحرين، وكان يعيش فى جزيرة أو على طنفسة خضراء على كبد البحر.

وتذكر تواريخ متفاوتة للعهد الذى وجد الخضر فيه فيقال (١) إنه معاصر لإبراهيم الذى هاجر معه من أرض بابل. (٢) فى عهد أفريدون (٣) معاصر للإسكندر وإنه عمِّر إلى زمان موسى (٤) ولد فى عهد ناشية بن أموص ويرجع الخلاف فى هذه الأقوال إلى خلوده.

وإذا عد نبيا بقى الخلاف فى اعتباره من الرسل وكان إلى هذا إنسيا ملكيا أرضيا سماويا.

وهناك مثل صوفى إن لكل عصر خضره، وهو من الخالدين ويعيش فى بيت المقدس (القباب المخروطية فى العراق / ٦٧ـ٩٦، ١٧٤).

(تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ـ تحقيق عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنا. كتاب الشعب. دار الشعب م ٥/ ١٧٢ ـ ١٧٥، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٧٦، ١٧٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى/ ٦٥، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ٢ / ١٣٩، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية ـ حقق أصوله وخرّج أحاديثه وكتب مقدماته وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ١٢٨ ـ ١٣٦ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، والإشارات إلى أماكن الزيارات المسمى زيارات الشام لعثمان بن أحمد السويدى الدمشقى المعروف بابن الحورانى ـ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابى / ٢٤ والقباب المخروطية فى العراق ـ عطا الحديثى وهناء عبد الخالق، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة. بغداد ١٩٧٤ / ٦٧ ـ ٦٩، ١٧٤. انظر أيضا تيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٣/ ٢٢٣، والمنار المنيف فى الصحيح والضعيف للإمام ابن قيم الجوزية ـ حققه وضبطه أحمد عبد الشافى / ٦٦ ـ ٧٤ والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د. ثروت عكاشة / ٤٢).

*** الخضراء (الجزيرة ـ):**

وصف الحميرى الجزيرة الخضراء بقوله:

بالأندلس، وهى الجزيرة الخضراء، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهى جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير كان حملها معه فخلَّفها هذه الجزيرة فنسبت إليها وعلى مرسى أم حكيم مدينة الجزيرة الخضراء، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلا، وهى على ربوة مشرفة على البحر وسورها متصل به، وبشرقيها خندق وبغربيها أشجار تين وأنهار عذبة؛ وقصبة المدينة موفية على الخندق وهى منيعة حصينة سورها حجارة وهى فى شرق المدينة ومتصلة بها؛ وبالمدينة جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من جهة الجوف وهو فى وسط المدينة فى أعلى الربوة، وأسواقها متصلة من الجامع إلى شاطىء البحر؛ وعلى البحر بين القبلة والشرق من مدينة الجزيرة مسجد سِوّى يعرف بمسجد الرايات، ركزت فيه المجوس راياتها، فنسب إليها، وله باب من خشب سفن المجوس، وبها كانت دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين للأساطيل، وأتقن بناءها، وعلّى أسوارها، ثم اتخذها المنتزون بها فى الفتنة قصرا، وبقرب المدينة مدخل الوادى فى البحر، عليه بساتين كثيرة، ومهبطه من حيث تدخله السفن، ومنه شرب أهل الجزيرة، ويسمونه وادى العسل، ويمده البحر إلى قدر شطر المدينة، وهو نحو نصف ميل، وتجاهه أثر مدينة الجلندى الملك صاحب قرطاجنة إفريقية بقبلى مدينة الجزيرة، وهو اليوم خربة تزدرع، وبها حائط عريض مبنى بالحجارة داخل البحر، ومن هذا الحائط كانت تشحن المراكب، وبنى عليه محمد ابن بلال برجا.

ومدينة الجزيرة طيبة رفيقة بأهلها جامعة لفائدة البر والبحر قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس مجازا إلى العدوة. ومنها تغلّب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية؛ وبها ثلاث حمّامات، ولها كُور كثيرة، وكانت جبايتها ثمانى عشر ألفا وتسعمائة.

وأهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر (عليهما السلام) وبها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة، والجلندى هو الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا، حكى ذلك عن وكيع بن الجراح.

ومرسى الجزيرة مشتى مأمون، وهو أيسر المراسى للجواز، وأقربها من بر العدوة، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة، ويقطع البحر بينهما فى ثلاث مجار، ويتلوه جبل طارق.

وللخضراء هذه سور حجارة مفرغ بالجيار، ولها ثلاثة

أبواب، وبها دار صناعة داخل المدينة؛ وعلى نهرها المسمى نهر العسل بساتين وجنات بضفتيه معا، وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط، وأمام المدينة الجزيرة المعروفة بأم حكيم المتقدمة الذكر؛ والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس فى صدر الإسلام سنة ٩٠ من الهجرة على يد موسى ابن نصير من قبل المروانيين، ومعه طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتى فى قبائل البربر.

وعلى باب البحر مسجد يسمى مسجد الرايات يقال إن هناك اجتمعت رايات القوم للرأى. وكان وصولهم أيضا من جبل طارق، وإنما سمى بجبل طارق لأن طارق بن عبد الله لما جاز بالبربر الذين معه تحصن بهذا الجبل. وقدر أن العرب لا ينزلونه، فأراد أن ينفى عن نفسه التهمة، فأمر بإحراق المراكب التى جاز بها فتبرأ بذلك مما اتهم به. وبين هذا الجبل والجزيرة الخضراء ستة أميال، وهو جبل منقطع مستدير، فى أسفله كهوف فيها ماء.

ولها من الأبواب الباب الكبير، يعرف بباب حمزة غربى، وباب الخوخة قبلى، وباب طرفة جوفى؛ ولها ثلاث حمّامات. وتغلب المجوس عليها فى سنة ٢٤٥، وأحرقت المسجد الجامع بها؛ وفى الشرق من مدينة الجزيرة مسجد يقال إنه من بناء صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال إنه أول مسجد بنى بالأندلس، ويعرف الموضع الذى هو فيه بقرطاجنة، فإذا أقحط أهل الجزيرة استسقوا فيها فسقوا بفضل الله تعالى ورحمته.

والجزيرة فى شرق شذونة، وقبلى قرطبة، ولها أقاليم عدة.

(صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى. عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها إ. لاڤى بروڤنصال / ٧٣-٧٥).

*** الخضراء (قصر-):**

يقول الدكتور عفيف بهنسى:

أما معاوية بن أبى سفيان فلم يعرف له من القصور إلا قصر الخضراء الذى بناه أيام ولايته على الشام كدار للإمارة يقع قبلى المسجد وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكاملها بهذا الاسم، وسكنها معاوية أربعين سنة كما يقول ابن كثير (البداية والنهاية ٩ / ١٤٣) ولعل قصر معاوية أقيم على أنقاض قصر قديم إذ يذكر ابن عساكر: «أن الخضراء التى فيها قصر معاوية من بناء أهل الجاهلية، من البناء القديم» (تاريخ دمشق تحقيق المنجد ٢ / ١٣٨).

ويقع القصر فى المكان المحاذى لجدار الجامع الأموى من الجهة الجنوبية، ولقد كان القصر يتصل بحرم الجامع من خلال باب كان يطلق عليه اسم باب الخضراء وهو فى الأصل أحد الفتحات الثلاثة لمعبد جوبيتر.

ويعتبر قصر معاوية أول قصر عربى يشاد فى بلاد الشام، ولقد أصابه الخراب بعد زوال الأمويين من الشام، ثم التهمته النار فى أواخر عهد الفاطميين كما يروى ابن كثير الذى يذكر: «ألقيت نار بدار الملك وهى الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة فاحترقت» (البداية والنهاية ١٢ / ٩٧).

ويضيف ابن كثير: «وبادت الخضراء فصارت كوما من تراب بعدما كانت فى غاية الإحكام والإتقان وطيب الغناء ونزهة المجلس، وحسن المنظر». وبقيت المنطقة التى كان فيها القصر تحمل اسم الخضراء حتى أقيم على جزء منها عما ١٧٤٩ م قصر العظم الذى ما زال حتى الآن مستعملا كمتحف للتقاليد الشعبية. وتجرى التنقيبات حاليا فى تلك المنطقة للتعرف على آثار الخضراء.

وهكذا فإننا لانعرف عن هذا القصر إلا الملامح التالية:

١ ـ موقعه المؤكد الذى سبق عرضه.

٢ ـ قبته الخضراء التى شملت تسميتها القصر والمنطقة.

٣ ـ قيامه المحتمل على قصر سابق للإسلام.

٤ ـ مادة بنائه وهى الحجارة كما ذكر ابن عساكر (انظر تاريخ دمشق ٢ / ١٣٨) فقد روى: «أن معاوية بناها بالطوب فلما فرغ منها قدم عليه رسول ملك الروم فنظر إليها فقال معاوية: كيف ترى هذا البنيان، قال: أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله فللنار. قال: فنقضها معاوية وبناها من الحجارة.

وعدا هذه الملامح تروى الأخبار أنه كان قصرًا تحف به حدائق غناء ويطل على السهل المخصب النضر الممتد إلى الجنوب الغربى، حتى جبل الشيخ المعمم بالثلج، ولقد سمى هذا القصر بالخضراء نسبة إلى قبة خضراء كانت تعلوه (انظر ابن جبير / ٢٦٩ والأغانى ٦ / ١٥٩).

ويتحدث صاحب الأغانى (٤ / ٨٠) فى هذا القصر عن كرسى الخلافة وهو عرش مربع الجوانب تستره الوسائد المطرزة الفخمة، وقد تربع الخليفة على عرشة فى لباسه متشحا بجبته الفضفاضة واصطف عن يمينه أهل بيته حسب أسنانهم وعن شماله أخواله ووقف أهل خاصته والشعراء وأهل الشكاوى خلفه ولعل ميسون زوجة معاوية وأكثرهن حظوة لديه، وهى عربية من بنى بجدل التى تنسب إلى قبيلة كلب التى تقيم فى بادية تدمر، كانت قد أقامت فى هذا القصر المنيف، ولكنها عبرت عن حنينها المستمر للبادية بأبيات منسوبة إليها:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلىَّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلىَّ من لبس الشفوف

(الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه — د. عفيف بهنسى / ٩٩، ١٠٠).

*** ابن خضرويه (ـ ٢٤٠ هـ):**

ذكره الإمام أبو عبد الرحمن السلمى فى الطبقة الأولى للصوفية وقال عنه:

هو أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى، وهو من كبار مشايخ خراسان. صحب أبا تراب النخشبى، وحاتما الأصم، ورحل إلى أبى يزيد البسطامى. وهو من مذكورى مشايخ خراسان بالفتوة، ودخل نيسابور فى زيارة أبى حفص النيسابورى الذى قيل له: من أجلُّ من رأيت من هذه الطبقة؟ فقال: «ما رأيت أحدا أكبر همة، ولا أصدق حالا، من أحمد بن خضرويه».

توفى سنة أربعين ومائتين.

ومن كلامه:

ـ ولى الله لا يسم نفسه بسيماه، ولا يكون له اسم يتسمى به.

ـ القلوب جوالة: إما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش (وهو موضع قضاء الحاجة كالمرحاض).

ـ فى الحرية تمام العبودية، وفى تحقيق العبودية تمام الحرية.

ـ لا تتم معاشرة متضادين فى دين أو فى دنيا.

ـ واستقرض أحمد بن خضرويه من رجل مائة ألف درهم. فقال له الرجل: ألستم أنتم الزهاد فى الدنيا؟ ما تصنع بهذه الدراهم؟ قال: أشترى بها لقمة، فأضعها فى فم مؤمن، ولا أجترىء أن أسأل ثوابه من الله تعالى قال: لم؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وما مائة ألف درهم فى الدنيا من جناح بعوضة؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا، ما الذى تعطى بها؟ والدنيا كلها هذا القدر؟!

ـ الصبر زاد المضطرين. والرضا درجة العارفين.

ـ من صبر على صبره فهو الصابر، لا من صبر وشكا.

ـ كنت فى طريق مكة، فوقعت رجلى فى شكال (وهو شيء كالقيد يوضع فى رجل الفرس) فكنت أمشى فرسخين وهو متعلق بها، فرآنى بعض الناس فنزعه عنى، ثم دفعنى، فقدمت بسطام، فابتدأنى أبو يزيد، فقال: الحال التى وردت عليك فى طريق مكة، كيف كان حكمك مع الله فيها؟ قلت: أردت ألا يكون لى فى اختياره اختيار. فقال لى: يافضولى، قد اخترت كل شيء حيث كانت لك إرادة.

ـ من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس.

ـ الطريق واضح، والحق لائح، والداعى قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى.

ـ وقرىء بين يديه قول الله عز وجل: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٥٠] فقال: أعلمهم بهذا أنه خير مفر.

ـ حقيقة المعرفة: المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمة عن كل شيء سواه.

ـ القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطن أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

ـ وقال له رجل: أوصنى. فقال: أمت نفسك حتى تحييها.

ـ أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خُلقا.

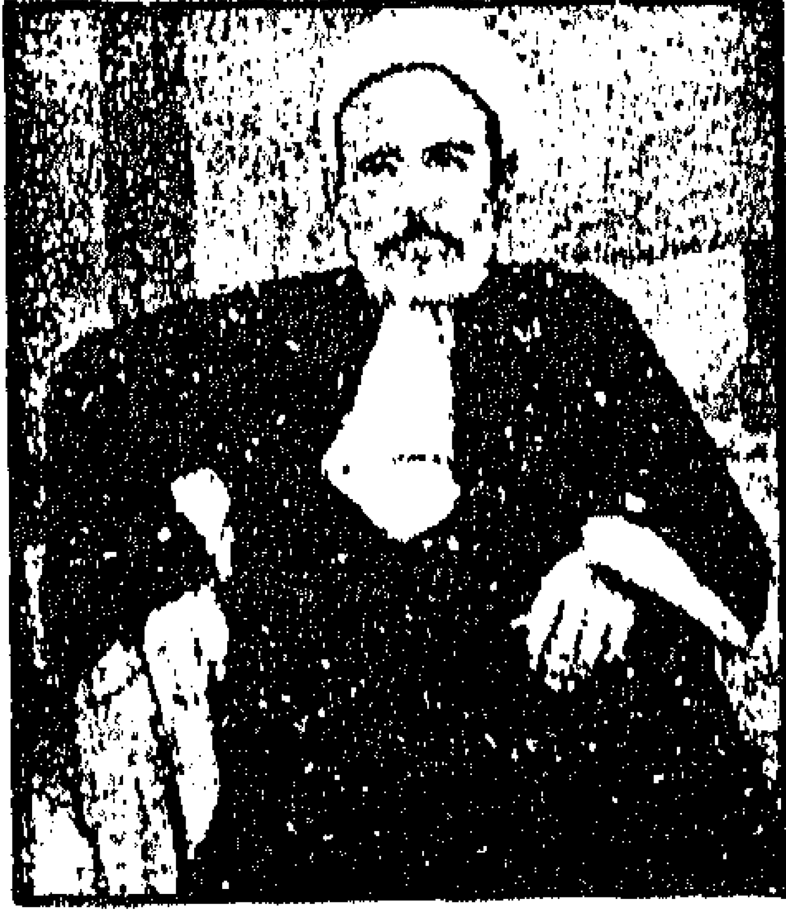
- بلغنى أنه استأذن بعض الأعيان على بعض الزهاد، فرآه - فى رمضان - يأكل خبزا يابسا بملح، فرجع إلى منزله وبعث إليه بألف دينار، فرده وقال: إن هذا جزاء من أفشى سره إلى مثلك.

- لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظهرت بك الشهوة.

- ليس من طالبه الحق بآلائه كمن طالبه الحق بنعمائه.

- وسئل: أى الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلى شىء سوى الله تعالى.

(طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى - يسره ورتبه أحمد الشرباصى / ٢٥، ٢٦).


محمد بن عفيفي الخضري

* **الخُضَرى (١٢٨٩ - ١٣٤٥ هـ / ١٨٧٢ - ١٩٢٧ م):**

هو العالم المؤرخ الأديب الشيخ محمد بك الخضرى ابن الشيخ عفيفى الباجورى نسبة إلى بلدة الباجور من أعمال مديرية المنوفية. ولد بالقاهرة ونشأ فيها. تعلم فى بعض كتاتيبها مبادىء القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم. ثم أدخل الأزهر فطلب العلم فيه بضع سنين، وكان رحمه الله وافر الذكاء جيد الحفظ، ثم تحول إلى دار العلوم فتخرج على كبار أساتيذها. وكان معروفا عندهم كما كان معروفا بين لداته بالجد فى طلب العلم، والحمل على النفس فى سبيل تحصيله. ولما أحرز إجازة تلك المدرسة خرج للتعليم فى مدارس الحكومة سنين عددا. ثم تولى القضاء فى السودان دهرا. ثم تحول إلى التدريس فى كلية غردون. حتى إذا أنشئت مدرسة القضاء الشرعى دعى للتدريس فيها. ثم صارت إليه وكالتها. وظل فى هذا المنصب إلى أن قبض إلى رحمة الله. وفوق عمله الأصيل فى مدرسة القضاء ندب لتدريس التاريخ الإسلامى فى الجامعة المصرية القديمة.

وكان فيه ميل شديد إلى التاريخ الإسلامى، يعالج مباحثه ما تهيأ له ذلك بالمحاضرة والكتابة والتأليف. وهو مرسل القلم، سلس العبارة، لا يتعمل ولا يتكلف بديعا، على أنه كان على حظ من الأدب غير يسير. ومن مؤلفاته: نور اليقين، فى سيرة سيد المرسلين، وإتمام الوفاء بسيرة الخلفاء (قالت المؤلفة: كتاب إتمام الوفاء هذا عندى منه نسخه طبع دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة. بدون تاريخ)، وتاريخ التشريع الإسلامى وكتاب الأصول (فى أصول الفقه)، ومهذب الأغانى (لأبى فرج الأصبهانى) تسعة أجزاء، فضلا عن محاضراته فى الجامعة فى التاريخ الإسلامى، فقد جمعها بعد ذلك. ومؤلفات كلها مطبوعة بمصر. وله مقالات كان يبعثها فى الصحف السيارة فى المسائل الدينية الأخلاقية والاجتماعية والأدبية، وفى أكثرها كان يطوى اسمه عن جمهرة القارئين (المفصل ٢ / ٤٠٧، ٤٠٨) (والأعلام ٦ / ٢٦٩).

ويضيف الزركلى إلى مؤلفات الشيخ الخضرى ما يلى: «محاضرات» فى نقد كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين، و «الغزالى وتعاليمة وآراؤه» مطبوع نشر تباعا فى المجلد ٣٤ من مجلة المقتطف، و «دروس تاريخية» مطبوع (الإعلام ٦ / ٢٦٩).

(المفصل فى تاريخ الأدب العربى - أحمد الإسكندرى وزملائه ٢ / ٤٠٧، ٤٠٨، والأعلام للزركلى ٦ / ٢٦٩).

* **الخضيرى (- ٩٦٥ هـ):**

هو الذى أنشأ الجامع المعروف باسمه. قال عنه على مبارك:

والشيخ الخضيرى - كما فى كتاب مناقب السادة الخضيرية للشيخ عبد الرحمن جاويش - هو السيد سليمان أبو الربيعين الزبيرى الصديقى الحسينى ابن نور الدين على بن شهاب الدين أحمد، ينتهى نسبه إلى ثابت بن عبد الله

ابن الزبير بن العوام رضى الله عنهم، يجتمع مع النبى ﷺ فى قصى. والمراد بالربيعين علم الظاهر والباطن. وكان صاحب كرامات وزار الرحاب الحرمية مرارا، وكان لا يذكر أحدا بمنقصة ولا يسمع من أحد ذلك، ويقول: لا يذكر نقائص الناس إلا ناقص. وكان شأنه الصمت، أخذ القرآن والطريق عن الشيخ أحمد المرحومى المدفون بمصر القديمة، وأخذ عن الجلال السيوطى. ومن إخوانه فى الطريق الشيخ أبو السعود الجارحى رضى الله عنه، وكان من العلماء العاملين، وكان مسموع الكلمة عند الأمراء، وكان له نحو خمسمائة تلميذ، وتوفى تاسع شهر ذى الحجة سنة خمس وستين وتسعمائة، ودفن بزاويته فى مزاره المشهور لجده السيد محمد المزبور وصلى فى قبره ركعتين.

وكان ابنه الشيخ أحمد عارفا بالله تعالى وليا صالحا مجذوبا، مربيا للمريدين ومرشدا للسالكين، حصلت له جذبة قوية وهو صغير فى حياة والده رضى الله عنه، وكانت إقامته غالبا فى هذا الحالة بساقية مكى من بر الجيزة فوق ساقية هناك على الطريق، ثم رجع إلى الصحو وأخذ عن والده وأقام طريقته من بعده، وصار عالما هُماما، وأطعم الفقراء، وزادت تلامذته، وكان يقيم كل سنة أربعة أشهر فى ثغر الإسكندرية، ولم يزل على حالة حسنة إلى أن توفى ودفن بجوار والده. وقد نظم تاريخ موته بعض تلامذته فقال:

مات مولانا سعيداً
لا يرى فى الحشر ضيرا
قلت حقا فى تاريخ
قد جزاه الله خيرا

وترك من الأولاد ثلاثة ذكور: عليا، وصالحا، وعبد الرحمن، وأنثى واحدة، وقام مقامه ابنه الشيخ على إلى أن مات فدفن بهذه الزاوية أيضا انتهى.

يعمل للأستاذ الخضيرى مولد كل سنة فى شهر ذى القعدة وقد نقله الشيخ أحمد تاج الدين إلى شعبان، ثم حوله السيد محمد قاسم إلى ذى القعدة ثانيا، ويستمر نحو عشرة أيام.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤ / ٢٤٤، ٢٢٥).

انظر: الخضيرى (جامع ـ)

*** الخضيرى (جامع ـ) (١١٨١ هـ / ١٧٦٧ م) أثر ٥٥٢:**

وصفه على باشا مبارك كما كان فى زمانه فقال:

هذا المسجد بشارع حدرة الحناء بالقرب من قلعة الكبش عن يمين الذاهب من الصليبة إلى جهة السيدة زينب رضى الله عنها تجاه مدرسة صرغتمش. كان أصله زاوية أنشأها العارف بالله تعالى سيدى الشيخ سليمان الخضيرى رضى الله عنه قبل وفاته، ووقف عليها أطيانا كثيرة لإقامة شعائرها، وشرط فى الوقفية أن ما فضل من الريع يكون لذريته طبقة بعد طبقة، تحجب الطبقة العليا الطبقة السفلى، الذكروالأنثى فى ذلك سواء، إلا أن أولاد الظهور مقدمون على أولاد البطون، بحيث لا يستحق أولاد البطون إلا بعد انقراض أولاد الظهور، إلى آخر ما هو موضح بحجة الوقفية. وقد رتب فيها مجلس ذكر وصلوات بعد صلاة الجمعة يستمر إلى آخر الليل، ورتب لذلك شموعا وجرايات مستمرة إلى الآن.

ثم إن ابنه الولى الصالح العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الخضيرى هدم بعضها وجددها بأحسن مما كانت عليه، وبعد وفاته دفن بها بجوار قبر والده.

ثم فى سنة ألف ومائة وثمان وثمانين جددها ناظرها سليمان أفندى بن الشيخ عبد الرحمن ابن نسل الأستاذ الخضيرى، وزاد فيها سعة من الجهة البحرية وجعلها مسجدا جامعا، وأحدث بها المنبر والدكة، ووضع فى حيطانها القيشانى مكتوبا فيه أبيات من بردة المديح، وتاريخ هذه العمارة مكتوب على واجهة باب المسجد فى بيت شعر وهو:

باب الخضيرى لما تبغى عليك به
وأرخن فهو جاه حاضر المدد

ووقف عليها رزقا من الأطيان ورتب لها علوفات مقبوضة، وكذا ابن عمه مصطفى أفندى وقف أوقافا كثيرة للصرف على شعائر المسجد والمجاورين به، وقد انضمت تلك الأطيان لجانب الديوان سوى ثلاثة أفدنة وكسور بناحية طوخ طنبشا.

ورتب له العزيز محمد على باشا بالمروزنامجة بدلا عن تلك الأطيان كل شهر مائتين وستة وثمانين قرشا ديوانيا، وذلك غير مرتب أوقاف سليمان أفندى ومصطفى أفندى وغيرهما وهو كل شهر مائة وسبعة وخمسون قرشا.

ولم يكن لهذا المسجد مطهرة إلى أن تولى نظره السيد محمد قاسم الخضيرى بعد رجوعه من سفر الشام صحبة سر عسكر الوزير إبراهيم باشا والد الخديوى إسماعيل باشا فأجرى به عمارة وأحدث الميضاة والمغطس والحنفية والأخلية على ما هى عليه الآن.

وفى سنة تسع وسبعين ومائتين وألف حصل خلل بالبوائك فهدمها السيد حسن قاسم وهدم الدهليز ليجددها، وكان ناظر الأوقاف يومئذ الأمير راتب باشا الكبير، فمر بتلك الجهة فرأى ذلك فأحضر الحاج محمد صالح سريه المهندس المعمارى وأمره بتكميل بناء هذا المسجد على طرفه، فجدد على ما هو عليه الآن. وهو مسجد عامر مقام الشعائر إلى الغاية وحضرته مستمرة على ما كانت عليه، ويصعد إليه بسلم من حجر مدور، وبداخل الباب دهليز بآخره خلوة صغيرة بها نصبة القهوة، وعن يمين الداخل من الجهة الشرقية سلم بعده درج يوصل إلى المطهرة والبئر، فإذا توضأ الشخص يصعد إلى المسجد من سلم آخر يسمى سلم الطهارة، وعن يسار الداخل بالدهليز باب للمسجد يسمى باب الوسط، وبه عشرة أعمدة بعضها من حجر وبعضها من رخام وعليها بوائك من الحجر، وأرضه مفروشة، وسقفه من الخشب المنقوش وتحت السقف كرنيش مكتوب عليه: أنشأ هذا المسجد أبو العباس أحمد الخضيرى.

وضريح الأستاذ تجاه باب الوسط عليه قبة ومقصورة من الخشب، وبداخل المقصورة قبر ابنه الشيخ أحمد، وقبر آخر فيه السيد حمزة الخضيرى، وبجوارها مقصورة أخرى صغيرة بها قبر السيد أحمد تاج الدين، وهناك قطعة من إزار خشب عليها أبيات شعرية، وتحت الإزار دواليب للوازم المجاورين، ودكته قائمة على عمودين من أعمدته وتحتها إزار خشب فيه أبيات تتضمن مدح السادة الخضيرية، وتحت ذلك ألواح من القيشانى ممتدة من ابتداء الحائط إلى سلم الطهارة، وتحت ذلك خزانة الكتب بجوارها باب يسمى باب القبة يوصل للسطح، وبأعلى المسجد شبابيك مصنوعة من الجبس والزجاج الملون، ويكتنف القبلة شباكان من الحديد مطلان على الشارع، وفوقهما شباكان من الزجاج، وبين المنبر والمقام فجوة صغيرة تسع المصلى وشباك من الخشب المخروط، وعلى يسار القبلة مكتوب: قال الله تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ [آل عمران: ٣٧] وعلى يسارها خلوة صغيرة تسمى المعبد هى مخزن للجراية.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد محمد مصطفى إبراهيم ٤ / ٢٢٢ـ ٢٢٤).

قالت المؤلفة: القيشانى الذى يغطى الحائط فى جامع الخضيرى الذى ذكره على مبارك أعلاه قد أدرج تحت عنوانه ذلك الجامع فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة، والعنوان هو «قاشانى بمسجد الخضيرى»، ولا أدرى إن كان ذلك يعنى أنه لم يبق من ذلك الأثر سوى القيشانى إذ أننى لم أشهد هذا الجامع رغم أنه كما يقول على مبارك يقع تجاه مدرسة صرغتمش، وهى من المدارس التى قمت بزيارتها.

انظر: الخضيرى.

*** الخضيرى (زاوية ـ):**

قال عنها على مبارك: زاوية الخضيرى بحارة درب شغلان من شارع التبانة، على يمين الداخل بهذا الدرب من شارع التبانة، وكانت قد تخربت فجددتها الآن امرأة تدعى الحاجة فاطمة الناظرة عليها من ريع ربع وقفه عليها الحاج محمد الفيومى الطحان زوج هذه المرأة، ولم تزل هذه الزاوية ناقصة العمارة لكن شعائرها مقامة، ولها مطهرة وأخلية وبها ضريح ولى يقال له الشيخ على الخضيرى، وقبر آخر يقال إنه لزوجته.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ٧٣).

*** الخط:**

قال الراغب الأصفهانى:

خط: الخط كالمد، ويقال لما له طول، والخطوط أضرب فيما يذكره أهل الهندسة من مسطوح ومستدير ومقوس وممال، ويعبر عن كل بأرض فيها طول بالخط كخط اليمن وإليه ينسب الرمح الخطى، وكل مكان يخطه الإنسان لنفسه ويحفره يقال له خط وخطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين

أرضين ممطورتين كالخط المنحرف عنه، ويعبر عن الكتابة بالخط قال تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت : ٤٨] (المفردات/ ١٥٠).

وقال الجرجانى :

الخط : تصوير اللفظ بحروف هجائية، وعند الحكماء هو الذى يقبل الانقسام طولا لا عرضا ولا عمقا، ونهايته النقطة. اعلم أن الخط والسطح والنقطة أعراض غير مستقلة الوجود على مذهب الحكماء، لأنها نهايات وأطراف للمقادير عندهم، فإن النقطة عندهم نهاية السطح وهو نهاية الجسم التعليمى. وأما المتكلمون فقد أثبت طائفة منهم خطا وسطحا مستقلين حيث ذهبت إلى أن الجوهر الفرد يتألف فى الطول فيحصل منهما خط، والخطوط تتألف فى العرض فيحصل منها سطح، والسطوح تتألف فى العمق فيحصل الجسم والخط والسطح على مذهب هؤلاء جوهران لا محالة، لأن المتألف من الجوهر لا يكون عرضا.

الخط : ماله طول لكن لا يكون له عرض ولا عمق (التعريفات/ ١٢٣).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى/ ١٥٠ والتعريفات للشريف الجرجانى ـ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة/ ١٢٣).

*** الخط الرومى:**

الخط الرومى : وهو أربعة وعشرون حرفا كما ذكرنا فى المقدمة ولهم قلم يعرف بالساميا ولا نظير له عندنا فإن الحرف الواحد منه يدل على معان وقد ذكره جالينوس فى ثبت كتبه.

(كشف ١/ ٧٠٩).

*** الخط الزنجى والحبشى:**

الخط الزنجى والحبشى : على ندرة لهم قلم حروفه متصلة كحروف الحميرى يبتدىء من الشمال إلى اليمين يفرقون بين كل اسم منها بثلاث فقط (كشف ١ / ٧١٠).

*** الخط السريانى:**

الخط السريانى : ثلاثة أنواع المفتوح المحقق ويسمى اسطريجالا وهو أجلها والشكل المدور ويقال له الخط الثقيل ويسمى أسكولينا وهو أحسنها، والخط الشرطا وبه يكتبون الترسل. والسريانى أصل النبطى (كشف ١ / ٧٠٩).

*** الخط الصينى:**

الخط الصينى : خط لا يمكن تعلمه فى زمان قليل لأنه يتعب كاتبه الماهر فيه ولا يمكن للخفيف اليد أن يكتب به فى اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة وبه يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم. ولهم كتابة يقال له كتابة المجموع وهو أن كل كلمة تكتب بثلاثة أحرف أو أكثر فى صورة واحدة ولكل كلام طويل شكل من الحروف يأتى على المعانى الكثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب فى مائة ورقة كتبوه فى صفحة واحدة بهذا القلم (كشف ١ / ٧٠٩).

***الخط العبرانى:**

الخط العبرانى : أول من كتب به عامر بن شالح وهو مشتق من السريانى وإنما لقب بذلك حيث عبر إبراهيم الفرات يريد الشام وزعمت اليهود والنصارى لا خلاف بينهم أن الكتابة العبرانية فى لوحين من حجارة وأن الله سبحانه وتعالى رفع ذلك إليه (كشف ١ / ٧٠٩).

*** الخط العربى:**

الخط العربى : قال ابن إسحاق أول خطوط العربية الخط المكى وبعده المدنى ثم البصرى ثم الكوفى. وأما المكى والمدنى ففى ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وفى شكله انضجاع يسير قال الكندى لا أعلم كتابة يحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن فى غيرها من الكتابات (كشف ١ / ٧٠٩).

انظر: الخط العربى (علم ـ).

*** الخط العربى (علم-):**

حينما نتكلم عن الخط العربى فإن ذلك يكون من وجهين الأول من حيث إنه علم فنتكلم على تعريفه وتاريخ نشأته وأطوار تطوره، وهو فى هذه الحالة ما يمكن أن يسمى بالكتابة الخطية.

أما الوجهة الثانية فهو أن الخط العربى فن من الفنون الإسلامية، ، ذو عظمة وجلال، وهو ما يمكن أن نسميه بالزخرفة الخطية.

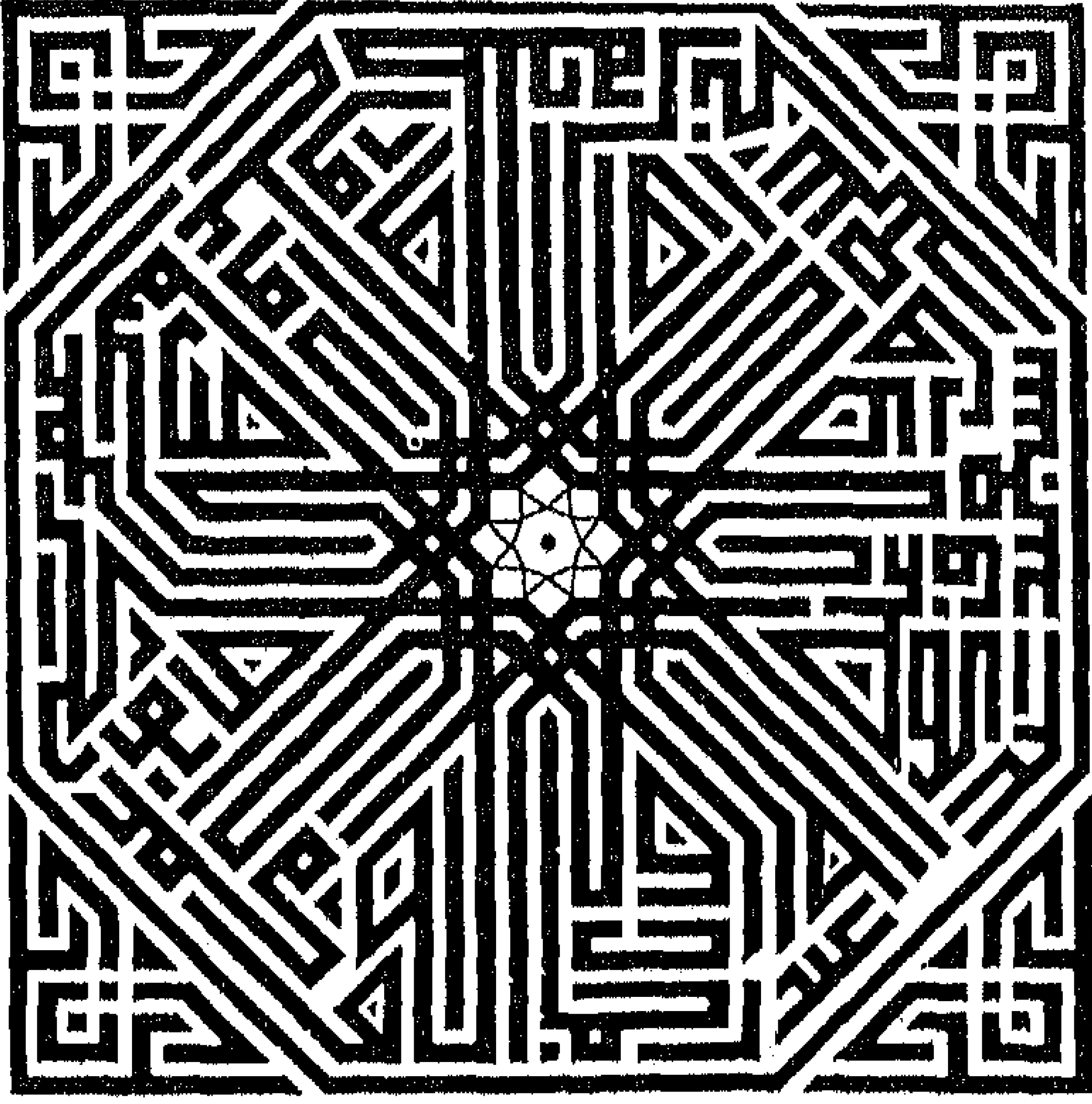
ونبدأ بالتعريف بالخط من حيث هو علم من العلوم، وذلك بما أورده ابن الحاجب فى الشافية قال رحمه الله :

الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه إلا أسماء الحروف إذا قصد المسمى بها، نحو: قولك اكتب جيم عين فاراً، فإنك

تكتب هذه الصورة جعفر لامسماها خطا ولفظا، ولذلك قال الخليل لما سألهم: كيف تنطقون بـالجيم من جعفر، فقالوا: جيم، فقال: إنمـا نطقتم بالاسم ولم تنطقـوا بالمسئـول عنه، والجواب ج لأنـه المسمى، فإن سمى بها مسمـى آخر كتبت كغيرها، نحو: يـاسين وحاميم، وفى المصحف على أصلها على الـوجهين، نحـو: يٓس وحٓم، والأصل فى كل كلمـة أن تكتب بصورة لفظهـا بتقدير الابتـداء بها والـوقف عليها، فمن ثمت كتب، نحو: دهْ زيدا، وقه زيدا بالهاء، ونحو: مه أنت، ومجىء بالهـاء أيضا بخلاف الجار، نحـو: حتامَ وإلام وعلام لشـدة الاتصال بـالحروف، ومـن ثمت كتبت معها بألفـات، وكتبت مِمَّ، وعمَّ بغيـر نـون، فإن قصدت إلـى الهاء كتبتهـا، ورجعت اليـاء وغيـرهـا إن شئت، ومن ثمت كتب أنـا زيـد بالألف، ومنـه لكنا هو الله، ومن ثمـت كتبت تاء التأنيث فى نحـو: رحمة، وقمحـة هاء، وفيمن وقـف بالتـاء تاء بخـلاف أخت، وبنـات، وباب قـائمـات، وباب قـامت هنـد، ومن ثمت كتب المنون المنصوب بـالألف، وغيره بالحذف، وإذا بالألف على الأكثـر، وضرَّابا كذلك على الأكثـر، وكان قياس اضربن واضـربَن بواو وألف واضربن بياء، وهل تضـربن بواو ونون، وهل تضربن بياء ونـون، ولكنهم كتبوه على لفظه لعسر تبينه، أو لعدم تبين قصدها.

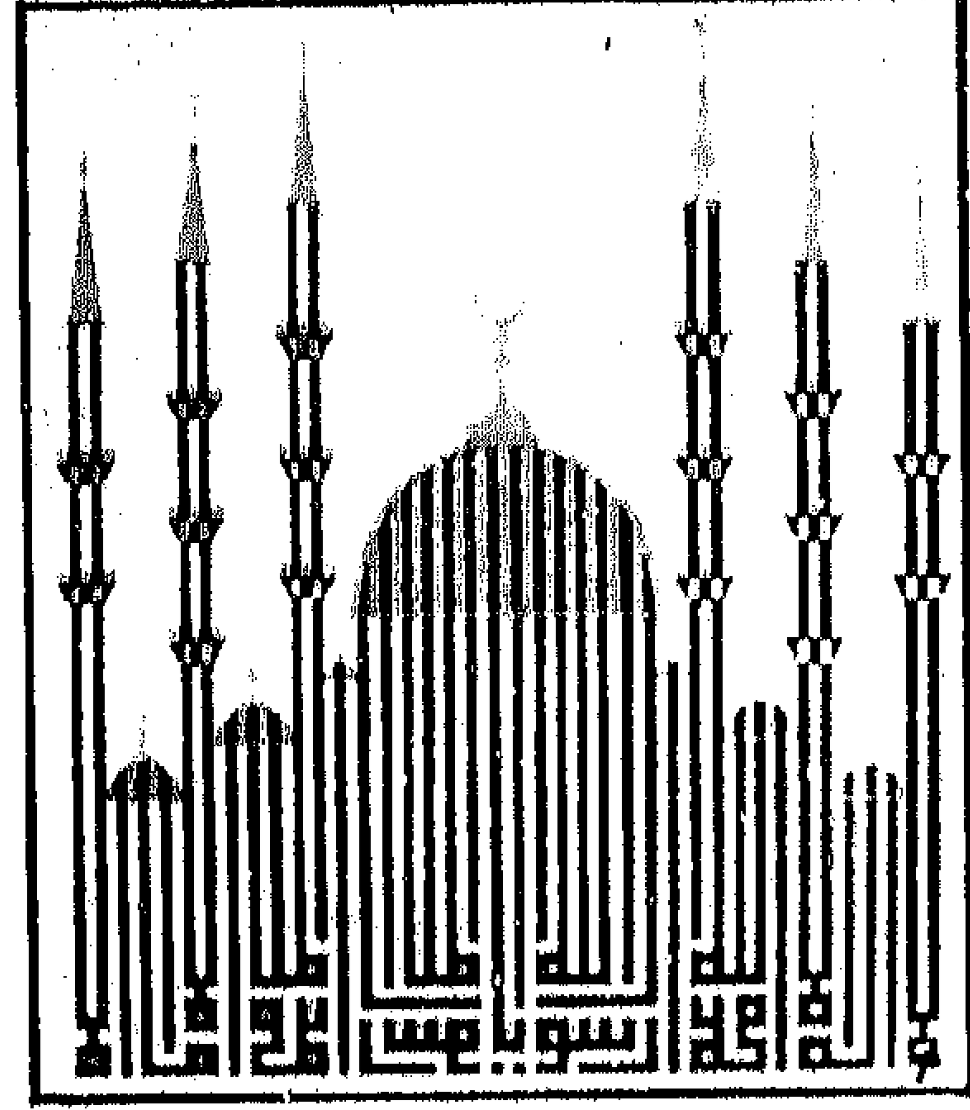
وقـد يجرى اضـربن مجـراه، ومن ثمت كتب باب قـاض بغير ياء، وباب القاضى بالياء على الأفصح فيهما، ومن ثمت كتب، نحو: بزيـد، ولزيد، وكزيد متصلا لأنـه يوقف عليه، وكتب، نحو: منك، ومنكم، وضـربكم متصلا لأنـه لا يبتدأ به، والنظـر بعد ذلك فيما لا صـورة له تخصه، وفيمـا خولف بوصل، أو زيادة، أو نقص، أو بدل.

فـالأول الهمـزة، وهــو أول، ووسط، وآخـر والأول ألف مطلقـا، مثل: أَحَـد، وأُحُـد، وإبل. والـوسط إمـا سـاكن، فَيُكْتَبُ بحرف حـركة ما قبله، مثل: يـاكل، ويومن، وبيس، وإما متحرك قبله ساكن، فيكتب بحرف حركته، مثل: يسأل، ويلؤُم، ويسئـم، ومنهم من يحذفهـا إن كان تخفيفها بـالنقل والإدغام، نحو: مسلة، ومسِّل، ومنهـم من يحذف المفتوحة فقط، والأكثر على حذف المفتوحة بعد الألف، نحو: سال، ومنهم من يحذفها فى الجميع. وإما متحرك، وقبله متحرك، فيكتب على نحو: مـا يسهل، فلذلك كتب، نحـو: مـوجَّل



صورة تزيينية [illegible]

بالواو، ونحو: فِيَةٍ بالياء، وكتب، نحو: سأل ولؤُم، ويئس، ومن مقرئك، ورءوف بحـرف حركته، وجـاء فى نحو: سئل، ويقرئك القولان، والآخـر إن كان ماقبله ساكنـا حذف، نحو: خبءٌ، وخبئا، وخبءٍ، وإن كان متحركـا كتب بحرف حركة ما قبله كيف كانت مثـل: قرأ، ويقرئُ، وردؤَ، ولم يقرأ، ولم يقرىء ولم يردؤ، والطرف الذى لا يوقف عليه لاتصال غيره به كالـوسط، نحـو: جزأك، وجزؤُك، وجـزئك، ونحو: ردءُك، ردءَك، وردئِك، ونحو: يقـرؤه، ويقرئك إلا فى نحـو: مقروءةً وبريـة، بخلاف الأول المتصـل به غيـره، نحو: وردؤك ردئك بأحد ولأحد وكأحَد، بخلاف لئلا لكثـرته ولكراهة صورته وكل همـزة بعدهـا حـرف مد كصـورتهـا تحذف، نحـو: خطأً فى النصب، ومستهزءون، ومستهزئين، وقد تكتب بالياء بخلاف قرآ ويقرآن للبس، وبخلاف نحـو: مستهزئين فى المثنى لعدم المد، وبخـلاف ردائى ونحوه فى الأكثر لمغايـرة الصورة، أو للفتح الأصلى، وبخـلاف نحو: حنـائى فى الأكثر للمغـايرة والتشديد، وبخـلاف نحو: لم تقرئى للمغايـرة واللبس. وأما الوصل فقـد وصلوا الحروف وشبههـا بما الحرفية، نحـو: إنما إلهكم الله، وأينما تكن أكن، وكلمـا أتيتنى أكرمتك، بخلاف إن ماعنـدى حسن، وأين ما وعدتنى، وكل مـا عندى حسن، وكـذلك من ما وعن مـا فى الـوجهين، وقد تكتبـان متصلتين مطلقا لوجوب الإدغام، ولم يصلـوا متى بما لما يلزم من تغيير الياء. ووصلـوا أن الناصبة للفعل مع لا، بخـلاف المخففة،

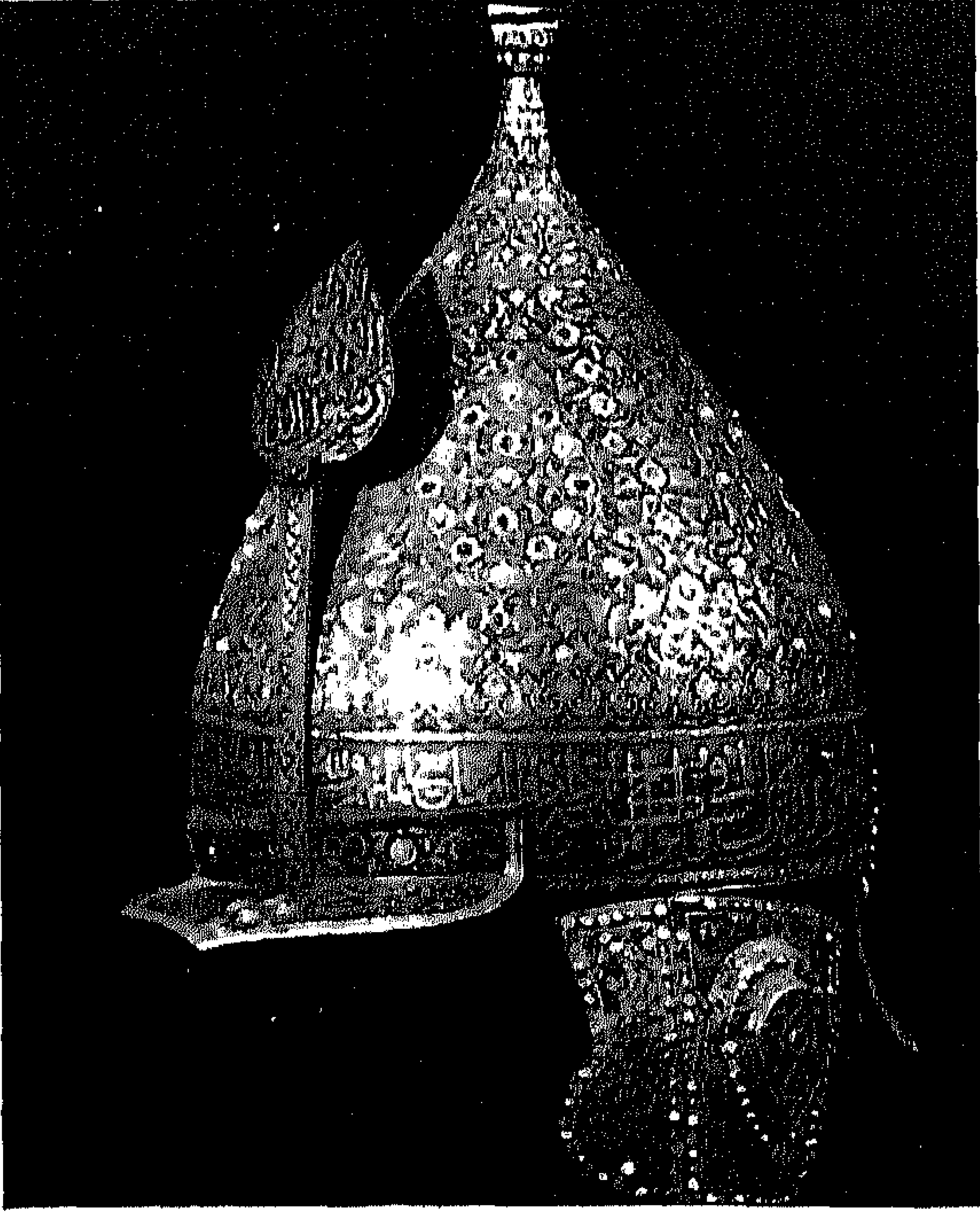


نحو: علمت أن لا يقوم، ووصلوا إن الشرطية بلا، وما، نحو: إلا تفعلوه، وإما تخافن، وحذفت النون فى الجميع لتأكيد الاتصال. ووصلوا نحو: يومئذ، وحينئذ فى مذهب البناء، فمن ثمت كتبوا الهمزة ياء، وكتبوا نحو الرجل على المذهبين متصلا لأن الهمزة كالعدم، أو اختصارا للكثرة. وأما الزيادة فإنهم زادوا بعد واو الجمع المتطرفة فى الفعل ألفا، نحو: كلوا واشربوا فرقا بينها وبين واو العطف، بخلاف نحو: يدعو، ويغزو، ومن ثمت كتب، نحو: ضربوا هم فى التأكيد بألف، وفى المفعول بغير ألف، ومنهم من يكتبها، فى نحو: شاربوا الماء، ومنهم من يحذفها فى الجميع، وزادوا فى مائة ألفا فرقا بينها وبين منه، وألحقوا المثنى بها. بخلاف الجمع، وزادوا فى عمرو واوا فرقا بينه وبين عمر مع الكثرة، ومن ثمت لم يزيدوه فى النصب، وزادوا فى أولئك واوا فرقا بينه وبين إليك، وأجرى أولاء عليه، وزادوا فى أولى مالٍ واوا فرقا بينه وبين إلى، وأجرى أولو عليه، وأما النقص فإنهم كتبوا كل مشدد من كلمة حرفا واحدا، نحو: شذ، ومد، واذكر وأجرى، نحو: قَنَّتُ مجراه، بخلاف نحو: وعدت، وأجبهه، وبخلاف لام التعريف مطلقا، نحو: اللحم، والرجل لكونهما كلمتين ولكثرة اللبس، بخلاف الذى، والتى، والذين لكونها لا تنفصل عنها، ونحو: اللذين فى التثنية بلامين للفرق، وحمل اللتين عليه، وكذلك اللاءون وأخواته، ونحو: عم، ومم، وإما، وإلا ليس بقياس، ونقصوا من بسم الله الرحمن الرحيم، الألف لكثرته، بخلاف باسم الله، وباسم الله الرحمن ونحوه، وكذا الألف من اسم الله والرحمن مطلقا، ونقصوا من نحو: للرجل وللرجل، وللدار وللدار جرا وبابتداء الألف لئلا يلتبس بالنفى بخلاف بالرجل ونحوه، ونقصوا مع الألف اللام فيما أوله لام، نحو: للحم وللبن كراهة اجتماع ثلاث لامات، ونقصوا من نحو: أبنك بار؟ فى الاستفهام، وأصطفى البنات ألف الوصل، وجاء فى نحو: آلرجل الأمران، ونقصوا من ابن إذا وقع صفة بين علمين ألفه مثل: هذا زيدٌ بن عمرو، بخلاف زيد ابن عمرو، وبخلاف المثنى، ونقصوا ألف ها للتنبيه مع الإشارة، نحو: هذا، وهذه، وهذان، وهؤلاء، بخلاف هاتا، وهاتى لقلته، فإن جاءت الكاف ردت، نحو: هاذاك، وهاذانك لاتصال الكاف، ونقصوا الألف من ذلك وأولئك، ومن الثلٰث والثلٰثين، ومن لكن ولكن، ونقص كثير الواو من داود لكراهة اجتماع الواوين، والألف من إبرٰهيم، وإسمٰعيل، وإسحٰق، وبعضهم الألف من عثمان، وسليمان، ومعاوية. وأما البدل فإنهم كتبوا كل ألف رابعة فصاعدا فى اسم أو فعل ياء إلا فيما قبلها ياء إلا فى يحيى وريَّى علما. وأما الثالثة فإن كانت عن ياء كتبت ياء، وإلا فبالألف، ومنهم من يكتب الباب كله بالألف، وعلى كتبه بالياء، فإن كان منونا، فالمختار أنه كذلك وهو قياس المبرد. وقياس المازنى بألف، وقياس سيبويه: المنصوب بألف، وما سواه بياء، ويتعرف الياء من الواو بالتثنية، نحو: فتيان وعصوان، وبالجمع نحو: الفتيات والقنوات، وبالمرة، نحو: رمية وغزوة، وبرد الفعل إلى نفسك، نحو: رميتُ وغزوت، وبالمضارع نحو: يرمى ويغزو، وبكون الفاء واوا، نحو: وعى، وبكون العين واوا، نحو: شوى إلا ماشذ، نحو: القوى والعُّوى فإن جهلت فإن أميلت فالياء نحو: متى، وإلا فالألف، وإنما كتبوا لدى بالياء، لقولهم: لديك، وكلا كتبت على الوجهين لاحتمالهما. وأما الحروف فلم يكتب منها بالياء غير بلى، وإلى وحتى، وعلى. والله أعلم بالصواب (متن الشافية/ ٥٥١ ـ ٥٥٧).

أما من حيث النظم فلدينا ما أورده الحافظ السيوطى فى خاتمة ألفيته النحوية، وهى من زياداته على ألفية ابن مالك،

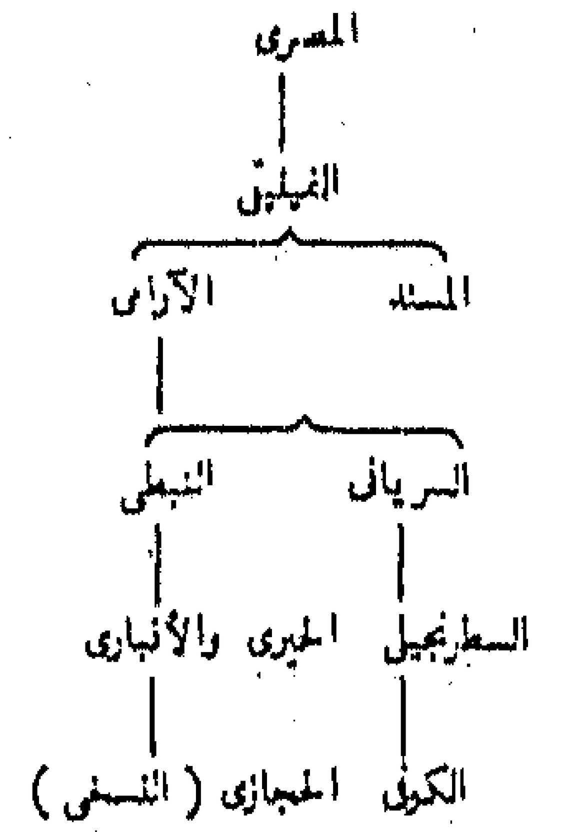
ومن ثم وضعت كلها بين قوسين. قال السيوطى رحمه الله تحت عنوان «خاتمة فى الخط».

(الخط رسم لفظة بأحرف
هجائها أن تبتدى أو تقف
فره ورحمه ومجىء مه بها
والياء فى القاضى وقاض دونها
ونحو زيدا واضربا بالالف
ومدغم بلفظه إذا يفى
من كلمة لا كلمتين واكتب
الهمز بالألف بدءا تصب
ووسطا ساكنة بحرف
حركة قبل وعكسا تلف
ابحرفها وتلو تحريك على
تسهيلها وطرفا قد خُزلا
تلو سكون أو بحرف ما تلا
واحذف من ابن علمين اتصلا
وبعد لام ال كذاك البسمله
وصل بخط كل حرف قبله
ومضمر الوصل وما تكف أو
ملغاة أو بالشرط لا متى تلوْ
وكلما ما قبلها لم يعمل
وغالبا بفى ومن إن توصل
وبهما وعن إذا ما استفهما
وصل بفى من إن أتى مستفهما
ومن وعن موصولة وأن وإن
شرطا بلا وما ونونها أبن
وألف لواو فعل جمع
زيد وواو فى أولو والفرع

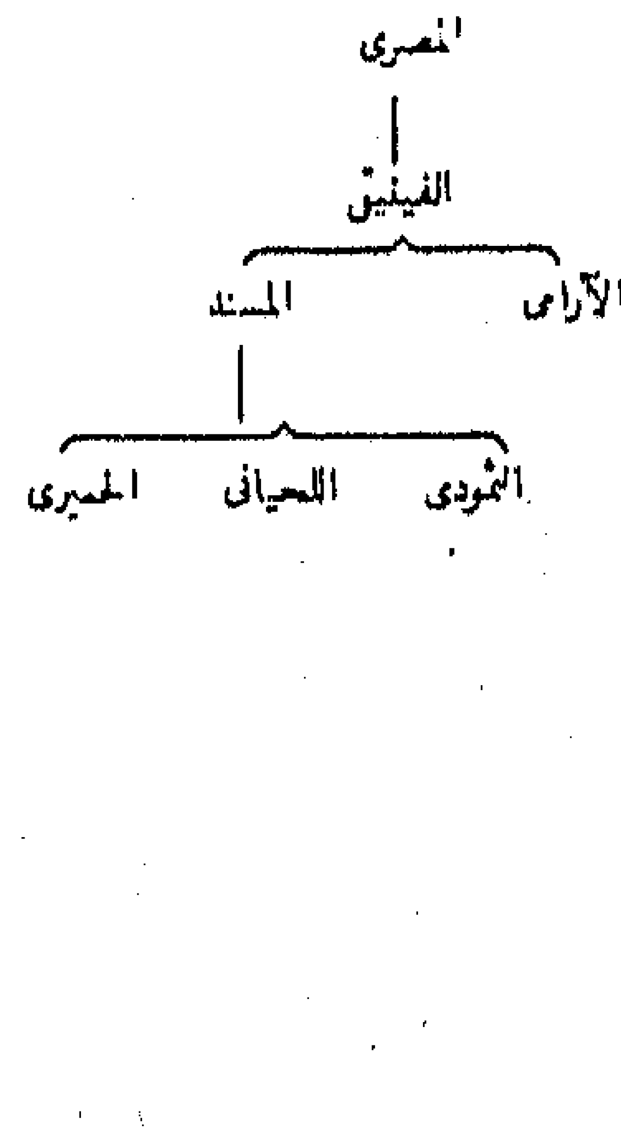


وفى أولئك ويا أخى مع
عمرو بلا نصب وتصغير يقع
ولام موصول سوى المثنى
تحذف أو فيه ثلاث عنا
وألف الرحمن والآله
سبحان ذاضافة والله
ونحو ذلك وهذا وثلاث
ولكن والأعلام أرتقت فوق الثلاث
ما لم ترى حذفا كداود ولا
كعامر بالحذف لبس حصلا
والواو من واوين ضم الأول
وياء إسرائيل واليا تجعل
فى ألف رابعة فصاعدا
أو أصلها اليا أو تمال راشدا
وكل حرف كتبوا غير بلى
حتى على بألف ثم إلى

سلسلة الخط العربي على رأي الإفرنج



سلسلة الخط العربي على رأي رواة العرب



وفي لدى الخلف حكام الناس
والخط في المصحف لايقاس
ومثل هذا أجرف القصيده
هذا تمام نظمي الفريده
فريدة في كل عقد دره
في جبهة المختصرات غره
كافية للطالبين وافيه
بقصد للمعضلات شافيه
أتيت من التسهيل بالخلاصه
فما لقارىء بها خصاصه

(ألفية السيوطي النحوية / ٧٥ـ٧٧).

ويفرد ابن خلدون في مقدمته الفصل الثلاثين للكلام على أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، ويتكلم على تاريخ الخط وكونه مظهرا من مظاهر الحضارة، وأثرا من آثار الاجتماع والتجارة، ومن ثم فإن رقيه أو تأخره يرتبط برقي أو تأخر الحضارة في بلد بعينه. يقول ابن خلدون:

الخط هو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا أن هذا شأنها وأنها تابعة للعمران لهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرانها عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل طريقا لاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وأن بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف ويزيدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال.

وقد كان الخط العربي بالغا مبالغا من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها من دول آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الإجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر ويقال إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدرة وهو قول ممكن وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم:

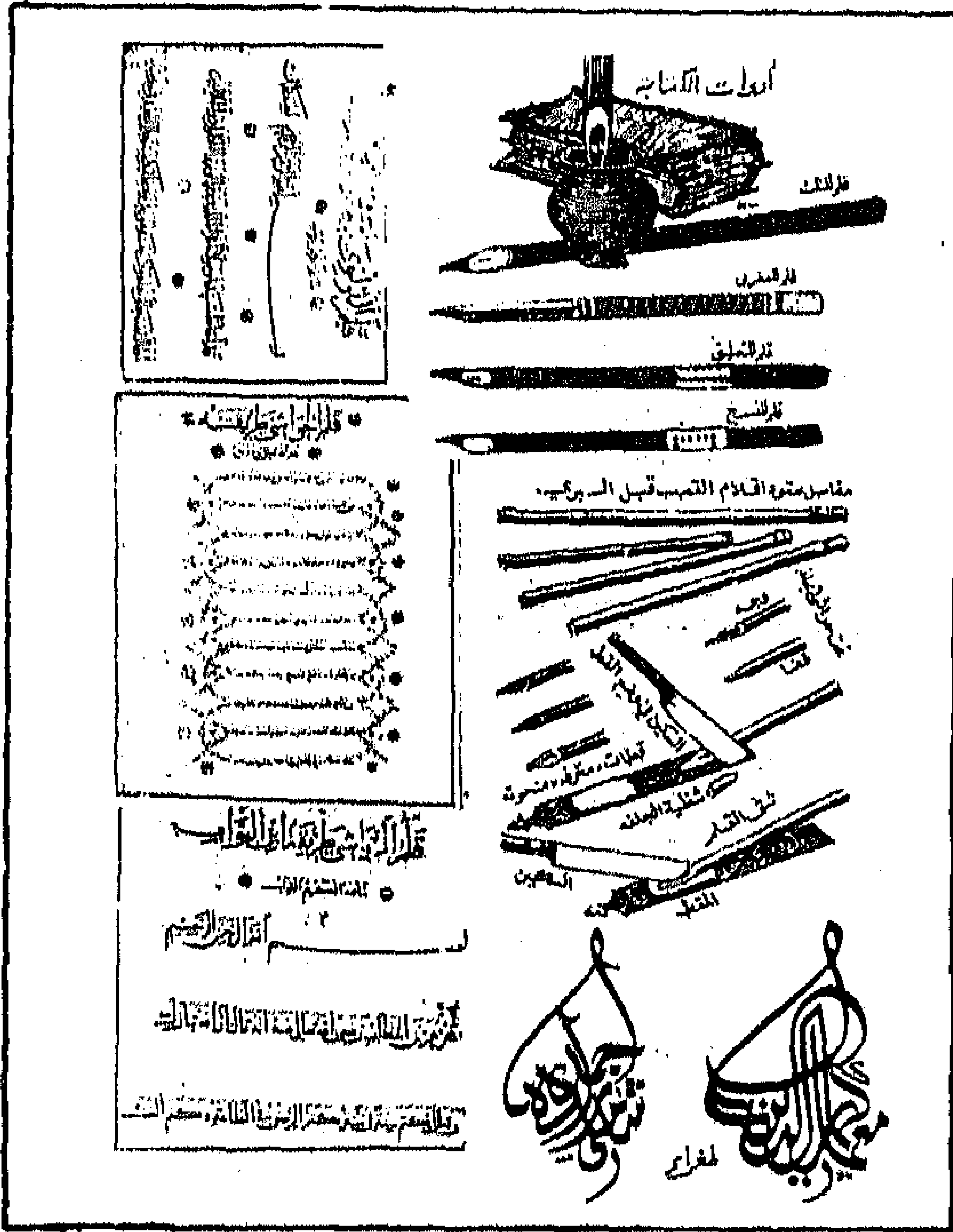
قوم لهم ساحة العراق إذا
ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لأن إياد وإن نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة، والخط من الصنائع الحضرية وإنما معنى قول الشاعر إنهم أقرب إلى الخط والقلم من العرب

لقربهم من ساحة الأمصار وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحيرة ولقنها الحيرة من التبابعة وحمير هو الأليق من الأقوال.

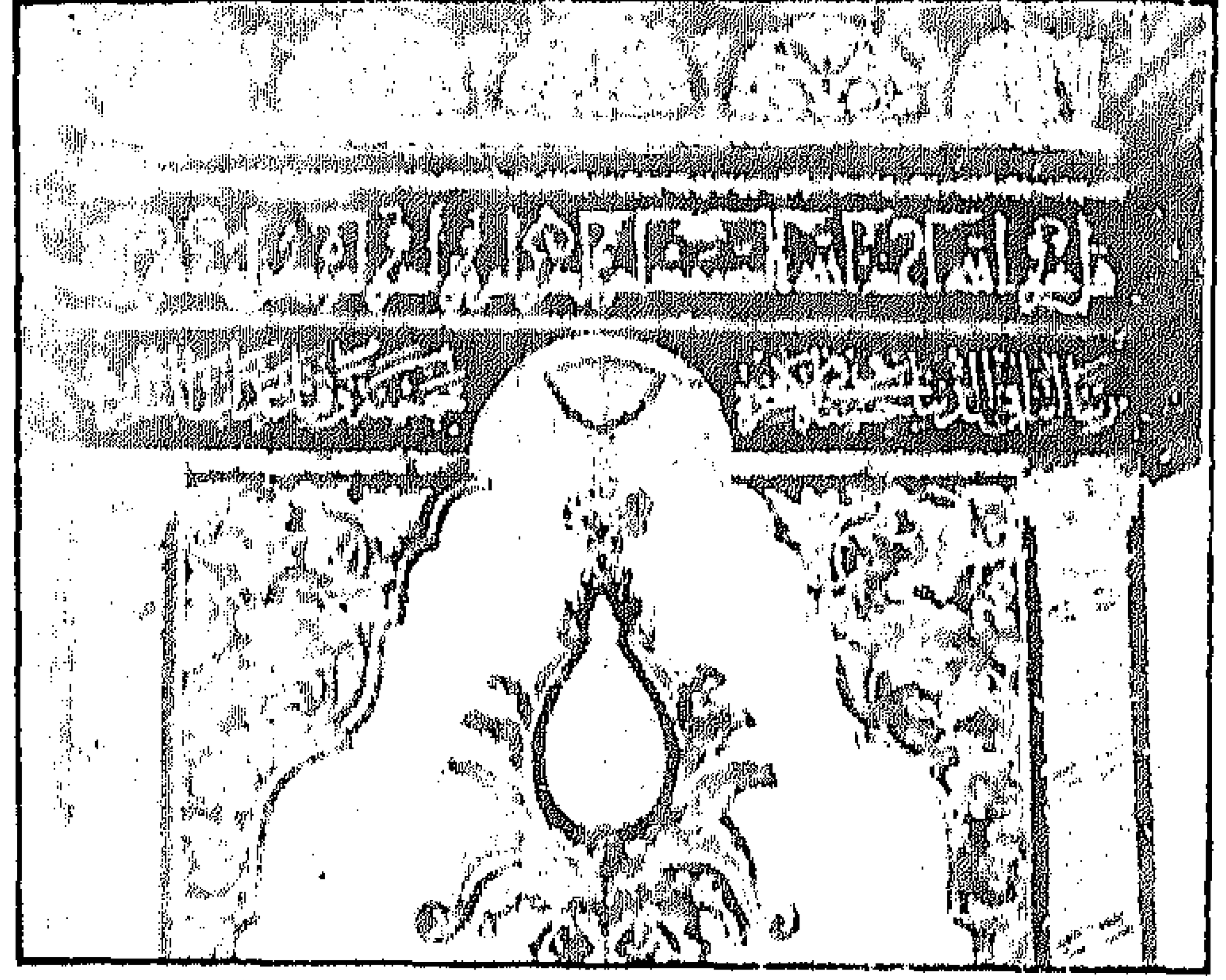
وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها فى الأكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل كتابتهم أو قريبا من كتابتهم لهذا العهد أو نقول إن كتابتهم لهذا العهد أحسن صناعة لأن هؤلاء أقرب إلى الحضارة ومخالطة الأمصار والدول.

وأما مضر فكانوا أعرق فى البدو وأبعد عن الحضر من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لأجل ذلك فى رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة فى الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا بما رسمه أصحاب الرسول ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتفى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ أو صوابا وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسما ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن فى ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه يقولون فى مثل زيادة الألف فى لا أذبحنه إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع وفى زيادة الياء فى بأييد إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن فى ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص فى قلة إجادة الخط وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم أن الخط ليس



بكمال فى حقهم إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية كما رأيته فيما مر والكمال فى الصنائع إضافى بكمال مطلق إذ لا يعود نقصه على الذات فى الدين ولا فى الخلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما فى النفوس. وقد كان ﷺ أميا وكان ذلك كمالا فى حقه وبالنسبة إلى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هى أسباب المعاش والعمران كلها وليست الأمية كمال فى حقنا نحن إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها. حتى العلوم الاصطلاحية فإن الكمال فى حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا.

ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة إلى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الإجادة فيه وأستحكم وبلغ فى الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان إلا أنها كانت دون الغاية والخط الكوفى معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب فى الأقطار والممالك وافتتحوا أفريقية والأندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها إلى الغاية لما استبحرت فى العمران وكانت دار الإسلام ومركز الدولة العربية



سورة الإخلاص كتبت بالخط الكوفي البسيط مدمجة على صدر محراب من العصر التركي في تركيا وتعلوها قوله تعالى «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» بخط الثلث

وكان الخط البغدادى معروف الرسم وتبعه الأفريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من أوضاع الخط المشرقى وتحيز ملك الأندلس بالأمويين فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الأندلسى كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة فى الدول الإسلامية فى كل قطر وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاء له وتنافس أهل الأقطار فى ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من الخط والكتابة بل والعلم إلى مصر والقاهرة فلم تزل أسواقه بها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقوانين فى وضعها وأشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا وأخذها قوانين علمية فتجىء أحسن ما يكون.

وأما أهل الأندلس فافترقوا فى الأقطار عند تلاشى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتألبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا فى عدوة المغرب وأفريقية من لدن الدولة اللمتونية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الأفريقى وعفى عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما وصارت خطوط أهل أفريقية كلها على الرسم الأندلسى بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس وبقى منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الأندلس ولا تمرسوا بجوارهم إنما كانوا يغدون على دار الملك بتونس فصار خط أهل أفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس.

حتى إذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشىء وتراجع أمر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسى تشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل فى دولة بنى مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فارس قريبا واستعمالهم إياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط بأفريقية والمغربيين مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد عسر ووقع فيه ما وقع فى سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم. (المقدمة / ٤١٧ ـ ٤٢١).

وفى فصل بعنوان «فى ذكر من وضع الخط وأصله، ووصله وفصله» يقول الزبيدى فى كتابه الموسوم بحكمة الإشراق (أفردنا له مادة فى م ١٤ / ٤٢٢، ٤٢٣ فانظره فى موضعه):

يقال: إن أول من وضع الخط والكُتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها فى طين وطبخه، فلما أصل القوم الغرق أصاب كل قوم كتابهم.

وقيل: أول من وضعه أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام.

وقيل إن نفيس (تسميه التوراة «نافيش»)، ونصر [يطور]، وتيما، وروميه، بنو إسماعيل، وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا غير متفرق، موصول الحروف كلها، ثم فرقة نبت (هو «نبايوت»، وهو بكر إسماعيل) وهميسع وقيذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه.

وأمـا الخط العـربى فأول مـن وضعـه وألّف حـروفـه ستـة أشخاص من طسم، كـانوا نزولا عند عدنـان بن أدد، وكانت أسماؤهم : أبجد هوز حطى كلمـن سعفص قرشت، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلمـا وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمـائهم ألحقوهـا بها، وسمـوها الـروادف، وهى ثخذ ضظغ.

وقيل : أول من وضع الخط العربـى مرامر بن مـرة (ويقال «ابن مروة») وقيل، عامر بن جدرة.

وقـد ذكر كـلا منهما صـاحب القـاموس ـــ وقيل أسلم بن سدرة، وهم نفر من بولان رسموه أحرفا مقطعة، ثم قاسوه على هجاء السريانية، فوضع مـرامر صوره، وعامر أعجمه، وأسلم وصل وفصل.

وقال ابن خلكان (فى الـوفيات ١ / ٣٤٦ فى تـرجمة على ابن هلال، المعروف بابن البواب) : والصحيح عند أهل العلم أن أول من خط هو مرامر بن مـرة من أهل الأنبار، وقيل إنه من بنى مـرة، ومن الأنبـارانتشـرت الكتـابـة فى النـاس. قـال الأصمعى : ذكـروا أن قـريشا سئلـوا : من أين لكم الكتـابـة؛ فقالوا : من الأنبار.

وقـال هشـام بن محمد بن السـائب : تعلم بشـر بن عبـد الملك الكتابة من أهل الأنبار وخـرج إلى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية تعلم منه حرب، ومنه ابنه سفيان، ومنه ابن أخيه سيدنـا معاوية رضى الله عنه، ثم انتشـر فى قريش، وهو الخط الكوفى الذى استنبطت منه الأقلام التى هى الآن.

وفيه كلام فى الإعلام (هو التعريف والإعلام ونقل له دائما فى المـواد التى تختص بسـور القـرآن الكـريم) للسهيلى، والمزهر للسيوطى، والأوليات العسكـرى، وقد ذكرنا كلامهم فى كتابنـا «تاج العـروس لشرح جـواهر القـاموس». فمن أراد الزيادة على ذلك فليراجعه (حكمة الإشراق / ٦٣، ٦٥).

وقد أفرد الأستـاذ عبد الله الزنجانى الفصل الأول فـى كتابه «تاريخ القرآن» للكلام على حدوث الخط فى الحجاز وانتشاره فيه وعلى الخط الذى كتب به القـرآن ننقله لك فيما يلى، وقد وضعنـا تعليقات المحقق الأستـاذ طه عبد الرءوف سعد بين أقـواس فـى ثنايـا النـص إتمام للفـائـدة. يقـــول المـؤلف:

أول حلقة من سلسلـة الخط العربى هـى الخط المصرى (ديموطيق) وهو خط الشعب.

وهاك جدولا يبين لك نشأة هذه الخطوط المختلفة على رأى العرب :

مصرى العامة	فينيقى	مسند وآرامى	كوفى ونبطى	عبرى وأنبارى	نسخ عادى
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ا
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ب
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ج
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	د
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	و
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ح
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ه
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ز
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ط
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ى
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ك
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ل
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	م
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ن
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		س
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ع
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ف
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ص
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ق
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ر
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ش
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	ت

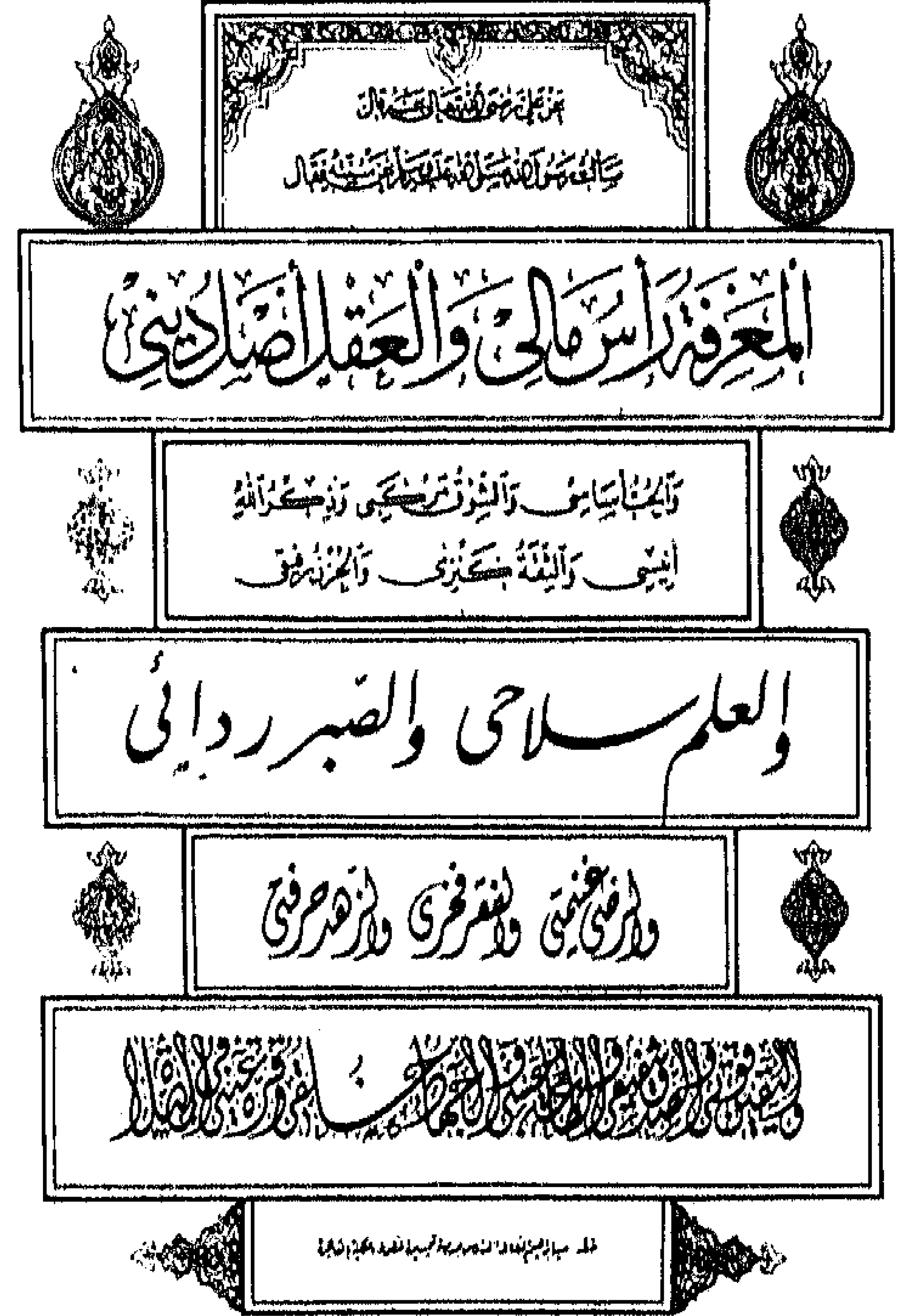
وثانى حلقة من سلسلتـه : الخط الفينيقى نسبة إلى فينيقيا بقـرب أرض نعان على سـاحل البحر الأبيض، وتسمى اليـوم جبل لبنان. والفينيقيـون من الأمم الساميـة، كانوا أكثـر الناس مخـالطة للمصـريين للتجـارة ولدواع أخـرى فتعلموا حـروف كتابتهم. ثم وضعوا لأنفسهم حروفـا بسيطة خالية عن التعقيد للكتابات التجارية، وقـد أخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل ـ كمـا قال الأثرى ماسبرو فى كتابه تاريخ المشـرق ـ وأضـافوا إليهـا باقى الحـروف، ثم اشتهرت حروفهم لسهولتها فى آسيا وأوربا.

وثـالـث حلقـــة من سلسلتـه : الآرامى أو المسنـــد، على خلاف بين مؤرخى أوربا والعـرب (الآرامى نسبة إلى الآرام أبناء آرام بن سام المعـروف عند العرب باسم آرم، وهـو من أسلاف العـرب، سكـــن أبنـاؤه بـلاد العـرب فـــى فلسطـــين والشـــام)

رأى مؤرخى أوربا :

خلاصة رأى مؤرخى أوربـا هى أن الخط الفينيقى تولد منه أربعة خطوط وهى :

(١) اليـونـانى القـديم أصـل خطـوط أوربـا كلهـا والخط القبطى.



تبين هذه اللوحة نماذج من الخط العربى ، من أعلى إلى أسفل : ١ ـ الرقاع أو الإجازة ٢ ـ الثلث ٣ ـ النسخ ٤ ـ الفارسى ٥ ـ الديوانى ٦ ـ الجلى الديوانى ٧ ـ [illegible]

(٢) العبرى القديم ، ومنه الخط السامرى نسبة إلى سامرة نابلس .

(٣) المسند الحميرى ، ومنه تولد الخط الحبشى .

(٤) الخط الآرامى ، وهو أصل ستة خطوط :

(أ) الهندى بأنواعه .

(ب) الفارسى القديم : الفهلوى .

(جـ) العبرى المربع .

(د) التدمرى .

(هـ) السريانى .

(و) النبطى (مملكة الأنباط الممتدة من دمشق إلى قرب المدينة إلى خليج السويس ، وقد وجدت آثار الأنباط فى مدائن صالح وحوران ودمشق وسيناء) .

وعلى رأى الإفرنج ، الخط العربى قسمان : أحدهما كوفى ، وهو مأخوذ من نوع من السريانى يقال له اسطرنجيل وهو مأخوذ من النبطى ، فعلى هذا الرأى لا يقع الخط المسند فى سلسلة الخط العربى ، ووضعوا السريانى مع النبطى فى آخر حلقة منها .

رأى مؤرخى العرب :

ملخص رأى مؤرخى العرب قبل الإسلام وبعده أن خطهم الحجازى مأخوذ فى أهل الحيرة وأهل الأنبار ووصل الخط إلى أهل هذين البلدين من عرب كندة ، ومن النبط الناقلين عن المسند . أجمع مؤرخو العرب أن الخط دخل إلى مكة بواسطة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان قد تعلمه فى أسفاره من عدة أشخاص ، منهم : بشر بن عبد الملك أخو أكيدر صاحب دومة الجندل ، وقد حضر بشر إلى مكة مع حرب بن أمية وتزوج الصهباء ابنته ، وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل ، وفيه يقول شاعر من كندة يمن على قريش :

ولا تجحدوا نعماء بشر عليكمو
فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو
من المال ما قد كان شتى مبعثرا
وأغنيتمو من مسند القوم حمير
وما زبرت فى الكتب أقيال حميرا

وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنه أن أهل الأنبار تعلموا الخط من أهل الحيرة .

(روى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال : قلت لابن عباس : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربى قبل أن يبعث محمد ﷺ تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق . قال : أخذناه عن حرب بن أمية . قال : فمن أخذه حرب؟ قال : عن عبد الله بن جدعان . قال : فمن أخذه ابن جدعان! قال : من أهل الأنباط قال : فمن أخذه أهل الأنبار . قال من أهل الحيرة : قال فمن أخذه أهل الحيرة . قال : من طارىء طرأ عليهم من اليمن من كندة . قال : فمن أخذه ذلك الطارىء؟ قال : من الخفلجان كاتب الوحى لهود عليه السلام) .

فالخط المسند على رأى مؤرخى العرب من حلقات سلسلة الخط العربى ، ومن أصوله .

وقد رجح بعض الباحثين من علماء العرب فى كتابه «حياة اللغة العربية» رأى مؤرخى العرب لوجوه :

الأول : أن الخط المسند عرف له أربعة أنواع ، وأقرب تلك

الأنواع إلى الفينيقى هو الصفوى، فيدل ذلك على أن الخط المسند هو خط واحد فى الأصل، قريب من أصله الفينيقى، وغير بعيد الشبه عن الآرامى، وقد وصل الخط من اليمن والآراميين إلى الحيرة والأنبار بواسطة كندة والنبط، ومن الحيرة والأنبار وصل لأهل الحجاز، وفيه أن هذا احتمال ضعيف، مؤداه أن قرب الصفوى من الخط الفينيقي يؤيد كون المسند مأخوذا من الفينيقى، وانتشر فى اليمن ووصل إلى الحيرة والأنبار، مع أن الاعتراف بوصول الخط بواسطة الآراميين يقوى كون الآرامى من أصول الخط الحجازى، لأن نشر هؤلاء الآراميين غير خطهم الخاص بعيد جدا.

الثانى: اختلاط النبط باليمانيين ومجاورتهم لهم، كاختلاطهم ببعض طوائف الآرام يقتضى أخذ النبط خطهم المسند منهم، وفيه أن المخالطة إن دلت على أخذ النبط خطهم من اليمانيين، كذلك تدل على أخذهم من الآراميين لنفس الدليل.

الثالث: إجماع مؤرخى العرب وتضافر رواياتهم، واتفاق كلمتهم، بأن الخط وصل إلى الحجاز من اليمن، وفيه أن وصول الخط من طريق اليمن لا ينافى كون أصله آراميا، لإمكان أخذ اليمانيين عن الآراميين لمخالطتهم كما سبق.

الرابع: وجود حروف الروادف، وهى (ثخذ، ضظغ) فى الخط المسند الحميرى دون الآرامى، وفيه أن المسند لو كان من أصول الخط الحجازى، لكان لتلك الحروف صور خاصة فيه، متسلسلة عن أصلها كسائر الحروف، ففقد الخط الحجازى صورة خاصة لتلك الحروف، يدل على أن الخط الآرامى الفاقد لها من أصوله، ولكن أصوات حروف الروادف الموجودة فى لسان العرب، دعاهم إلى وضع الحروف الروادف بالإعجام لتلك الأصوات ـ ويؤيده قول مؤلف كتاب حياة اللغة العربية ص ٨٨، فلا بد أن يكون واضع الحروف العربية قد أخذ لها صورة الباء والجيم والدال والصاد والطاء والعين، ووضع لها النقط للتمييز، ويدل أيضا على أن الآرامى من أصول الخط العربى، أن الحافظ شمس الدين الذهبى ذكر فى تذكرة الحفاظ فى ذيل رواية خارجة بن زيد عن أبيه، أن زيد بن ثابت رضى الله عنه بأمر النبى ﷺ تعلم كتابة اليهود وحذقها فى نصف شهر، فتعلمه فى مدة نصف شهر يدل على

تراثٌ فريد .. تراثٌ تليد .. غابَ عنه أبناؤه ومُتلَقّوه، وذهب عنه عشّاقه ومحبّوه، تراثٌ غارب .. تراثٌ مَهيض

أنه تعلم نفس الخط السطرنجيلى أصل الخط الكوفى وأحد نوعى الخط السريانى ـ خط اليهود، ولذلك ذكر فى ترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه تعلم السريانى ومنه حدث الكوفى.

ثم إن الخط الكوفى أشبه الخطوط للخط الحيرى، والحيرى قريب الشبه من النبطى، وهو من الآرامى، وهو من الفينيقى، وهو من ديموطيق ـ خط الشعب المصرى ـ فذلك يدل على تسلسل تلك الخطوط حسب الترتيب المذكور.

الخط فى المدينة «يثرب».

أما الخط فى المدينة (يثرب) فقد قرر أهل السير أن النبى ﷺ دخلها، وكان فيها يهودى يعلم الصبيان الكتابة، وكان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفون الكتابة، منهم سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبى بن وهب، وزيد بن ثابت، ورافع بن مالك، وأوس بن خولى، والظاهر أنهم كانوا يعرفون الخط الحجازى المأخوذ من الحيرى، فلا ينافى هذا تعلم زيد كتابة اليهود بأمر النبى ﷺ بعد دخوله ﷺ المدينة.

وأول من نشر الكتابة بطريقة عامة، هو الرسول الأكرم محمد ﷺ بعد مهاجره إلى المدينة، فقد أسر فى غزوة بدر سبعين رجلا من قريش وغيرهم وفيهم كثير من الكتاب فقبل من الأميين الافتداء بالمال، وجعل فدية الكاتبين منهم أن

الخط الكوفى

خط الثلث

خط الإجازة

خط النسخ

خط التعليق

أنواع الخط العربى

يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة. ففعلوا ذلك وانتشر الخط بالتدريج من هـذا الحين فى المدينة، والأمصار التى دخلت فى حوزة الإسـلام، وبقيت الأمية الصرفة فى البوادى.

للخط الحجازى نوعان: أحدهما النسخى المستعمل فى المكاتبات، والثانى الكوفى نسبة إلى الكوفة بعد بنائها، لأن الخط الحجازى هذبت قواعده وصور حروفه ولذلك نسب إليها.

فقد عثر الباحثون على نفس الكتابين المرسلين من النبى الأكرم إلى المقوقس والمنذر بن ساوى، وأخذوا صورتهما بالتصوير الشمسى (فتوغراف) وطبعوهما والكتاب المرسل إلى المقوقس محفوظ فى دار الآثار النبوية فى الآستانة، وكان قد عثر عليه عالم فرنسى فى دير بمصر قرب إخميم، وسمع بحديثه السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرض النسخة على العلماء، فقرروا إنها هى بعينها كتاب النبى ﷺ إلى المقوقس فاشتراها بمال عظيم، والكتاب الثانى محفوظ فى مكتبة فيينا عاصمة النمسا. (تاريخ القرآن/ ١ ـ ٦).

ومن أشهر كتاب الصحابة النفر الأربعة الذين كتبوا المصاحف لعثمان، وهم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. ولما فتح المسلمون الممالك ومصروا الأمصار ونزلت جمهرة الكتاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربى وهندسة أشكاله وتمطيط عراقاته (كاساته) حتى صار خط أهل الكوفة ممتازا بشكله من الخط الحجازى، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفى) وبه كانت تكتب المصاحف المجودة الخط، وحلى القصور والمساجد، وسك النقود. وبقى الحجازى مستعملا فى المكاتبات العادية. ثم حدث فى الكوفى أنواع بعد هذا العصر نذكرها بعد.

وكان الصحابة وتابعوهم من بنى أمية يكتبون بلا إعجام (أى الإعجام بالنقط لتمييز الحروف). ولا شكل إلا قليلا، اعتمادا منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة، واكتفائهم بالرمز القليل فى قراءة اللفظ. فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم، وظهر اللحن والتحريف فى الألسنة وفى قراءة القرآن. أشفق المسلمون على تحريف كلم الكتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلى علامات فى المصاحف بصبغ مخالف، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة أسفله، والضمة نقطة من الجهة اليسرى، وجعل التنوين نقطتين، وكان ذلك فى خلافة معاوية.

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذى كان يكتب به الكلام حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبى الأسود. وكان ذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان. ثم شاع فى الناس بعد (الوسيط/ ١٢٢، ١٢٣).

وقد تفرع من الخطين الكوفى والنسخى ستة أقلام هى:

الثلث ـ النسخ ـ التعليق ـ الريحانى ـ المحقق ـ الرقاع، ثم تفرع من هـذه الأقلام: القلم الديوانى والقلم الفارسى وغيرهما.

«الخط المغربى» وهو من الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها انتشارا وهو منتشر الآن فى جميع أنحاء إفريقيا الشمالية (غير مصر) وكان مستعملا فى أسبانيا فى القرون الوسطى.

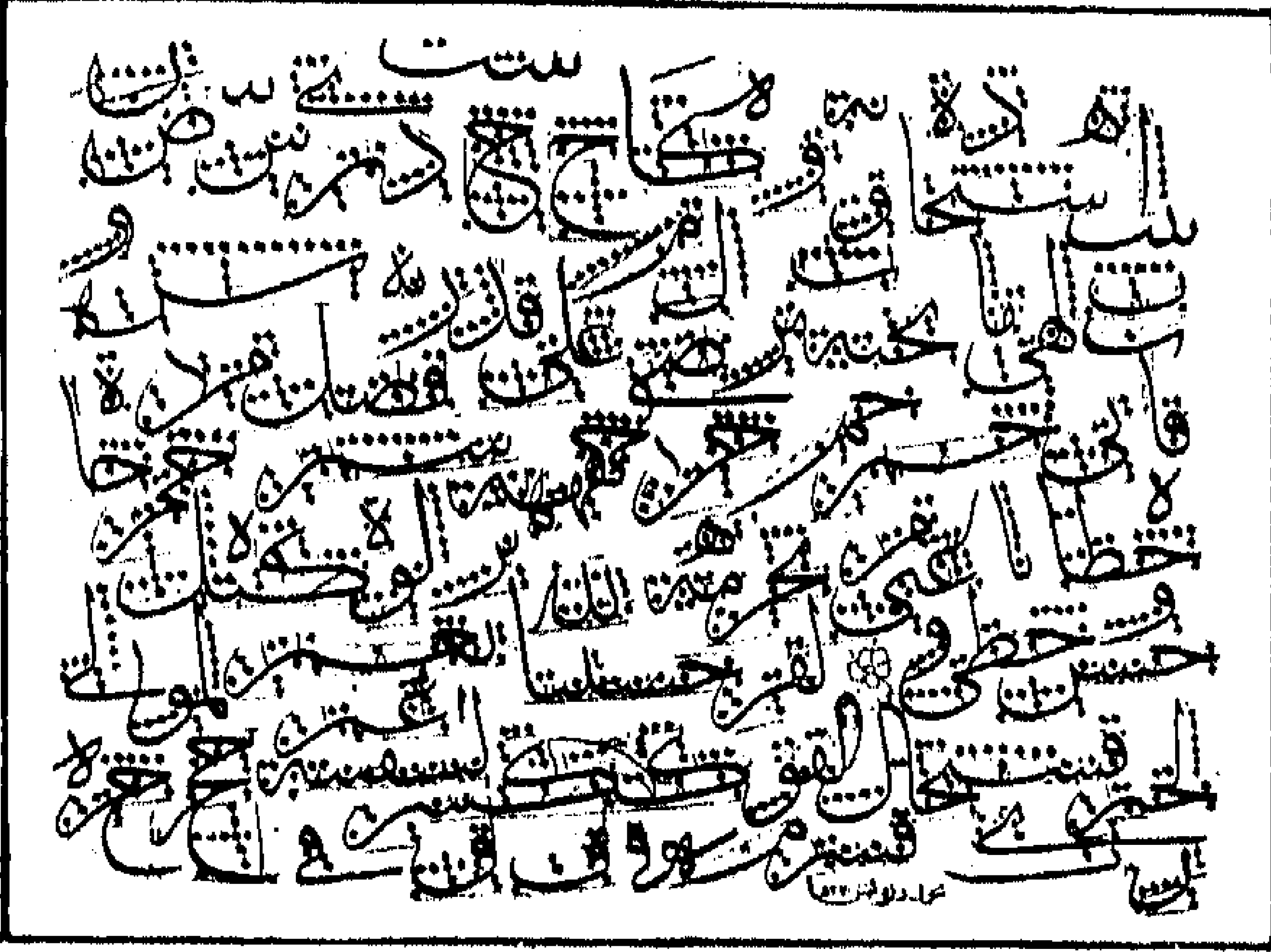
والخط المغـربى مشتق من الخط الكوفى القـديم وتكتب قاف هذا الخط كالفاء فـى الخطوط الأخرى كما تختلف أيضا كثير مـن حروفه عـن الحروف الأخرى فـى غيرها مـن الحروف العربية (معرض دار الكتب المصرية / ١١ ، ١٢) .

تنوع فى عصـر الدولة العبـاسية (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ) الخط الكـوفى إلى أنـواع أربت علـى خمسين نـوعـا . من أشهرهـا المحرر والمشجر والمربع والمدور والمتداخل وبقى مستعملا فى المبانى والسكـة إلى حدود الألف ، ثم نسى جملـة . وقد جددت منه أنواع فى عصرنا .

أما تـاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث فى آخر الـدولة الأموية أن استنبط قطبة المحـرر من الخط الكوفى والحجازى خطـا هـو أساس الخط الـذى يكتب بـه الآن ، واختـرع القلم الجليل الـذى يكتب به علـى المبانى ونحـوهـا وقلم الطومـار (الورقة الكبيـرة) وهو أصغر أنواع الجليـل ، وعرض قطته ٢٤ شعـرة من شعر ذنب البـرذون ، وحسن عملـه غيره من كتـاب صـدر الدولـة العباسيـة ، حتى ظهر إبـراهيم الشحرى وأخـوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثانى ، فولد إبراهيم من الجليل قلم الثلثين (أى ثلثى الطومار) وعـرض قطته ١٦ شعرة ، وقلم الثلث وعرض قطته ٨ شعرات . وولد يوسف من الجليل القلم الرياسى (نسبة الى الفضل ذى الـرياستين وزير المأمون) وهو قلم التوقيع .

وعن إبراهيم أخـذ الأحول المحـرر (من صنائع البـرامكة) واخترع النصف وعرضه ١٢ شعرة ، وخفيف الثلث والمسلسل (هو المشتبك الحروف) وغبـار الحلبة (شبه لدقته بغبار حلبة الخيل ويكتب به فى بطائق الحمام الزاجل : انظر مادة «حمام الرسائل» فى م ١٤ / ٥٢٥ ـ ٥٢٩) . والرقاع وغيرها . هذه هى أشهـر الخطوط ، وقد تولد منهـا نحو من ٢٠ خطا يختص كل منها بعـرض خاص . واتفقوا على أن طول الألف يعتبـر معيارا لارتفاع بقية الحروف ، وأن يكون طـول الألف مربع مقدار قطة القلم .

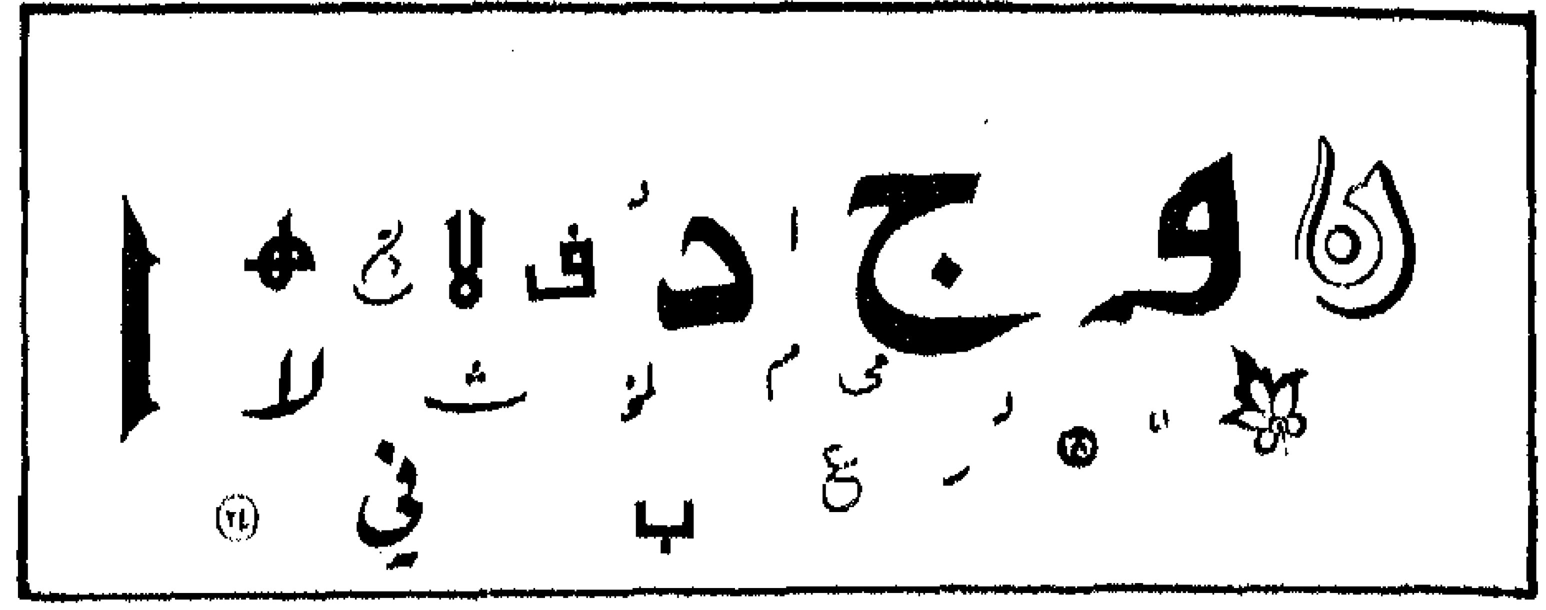
وعن الأحول أخـذ مهندس الخط الأعظم الوزيـر أبو على محمد بن مقلـة وأخوه أبو عبد الله الحسن المتـوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التى نعـرفها الآن ، وأتما العمل الذى بدأ



به قطبة ، فهندسا الحروف وقدّرا مقاييسها وأبعادها ، وضبطاها ضبطا محكما ، واخترعا له القواعد ، وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبـو عبد الله بن أسـد القارئ المتـوفى ٤١٠ هـ وعنـه أخذ أبـو الحسن على بن هلال البغـدادى المعروف بابن البـواب (انظر ترجمتـه فى م ٧ / ٥٨١ ـــ ٥٨٦) المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهـو الـذى أكمل قواعـد الخط واختـرع عـدة أقلام ، وإليـه انتهت الغايـة ، وكل من جاء بعده فهـو تابع لطريقتـه ، كأمين الدين يـاقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقى .

أما الأندلسيـون والمغاربة فلم يعبأوا بهـذا الإصلاح وبقوا يكتبـون على طـريقـة الخط الحجـازى إلى الآن بنـوع من التعديل .

ضبط الحروف بـالشكل : قد ذكرنـا فيما تقدم طـريقة أبى الأسـود التى اتبعت فى زمـن بنى أميـة وصـدر بنى العبـاس ، وبقيت مستعملة فى الأنـدلس إلى أواسط القرن الـرابع . ولما استكثر الناس من إعجـام الحروف لتسهيل التعليم ، اشتبهت نقط الإعجـام بنقط الشكل ، مع أن هـذه كـانت تلـون بمـداد مخالف ، فكـان من الصعب وضياع الزمن كتابتهـا بمدادين ، فـاخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمـة واوا صغيرة تكتب فوق الحرف ، والفتحة ألفا ، والكسرة ياء والشدة رأس شين (مختـزلة من لفظ «تشـديـد») والسكون رأس خـاء



نماذج من الخط العربى القديم والحديث

(مختزلة من لفظ «تخفيف») وهمزة القطع رأس عين (مختزلة من لفظ «قط») ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن.

أما فى العصر التركى (٦٥٦ ـ ١٢٢٠ هـ) فقد درج الخط فى الطريق التى مهدها ابن مقلة وابن البواب وياقوت الملكى وياقوت المستعصى، واستعملت فيه أكثر أنواعه، إلا أنه اشتهر من بينها تسعة أنواع.

١ ـ الجليل (على قاعدة الثلث المعروفة لنا) وتشاهد نماذجه المتعددة على جدران مساجد القاهرة، ومدارسها وأربطتها، وخرائب قصور أمرائها.

٢ ـ قلم الطومار (على قاعدة الثلث أيضا) وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها (راجع صبح الأعشى الجزء الثالث).

٣ ـ قلم الثلث ويشبه قلم الثلث عندنا، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسمى الآن بالريحانى.

٤ ـ النسخ على قاعدته المعروفة إلا أن بعض حروفه معلق الأطراف إلى فوق ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق ـ وكانت تكتب به كتب العلم والأدب.

٥ ـ التعليق ـ وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف إلى أعلى.

٦ ـ قلم الرقاع ـ وكان وسطا بين النسخ والتوقيع، وكانت تكتب به كتب العلم والأدب والرسائل.

٧ ـ القلم المسلسل المشتبك الحروف ـ وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقف ونحوها.

٨ ـ الخط الفارسى ـ وكان استعماله عاما فى أواسط آسيا وفارس.

٩ ـ الخط الأندلسى ـ وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر أو الكبر، وربما مال الجليل منه إلى بعض قواعد الثلث فى أواخر عصورهم، كما يشاهد على جدران الحمراء بغرناطة (الوسيط / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

ويضيف الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط فى تعداده لأنواع الخط العربى السالفة أنواعا أخرى فيقول.

من تتبعنا لتاريخ الخط العربى ظهر أن للخط أنواعا كثيرة منها ما استعمل قديما، وقد أطلق عليها أسماء كثيرة، قد استغنى عن معظمها لحلول خطوط أحسن وأجمل منها وإن تلك الخطوط: هى ١ ـ الكوفى ٢ ـ الطومار ٣ ـ الجليل ٤ ـ المجموع ٥ ـ الرياسى ٦ ـ الثلثين ٧ ـ النصف ٨ ـ الجوانحى ٩ ـ المسلسل ١٠ ـ غبار الجلية ١١ ـ المؤامرات ١٢ ـ المحدث ١٣ ـ المدمج ١٤ ـ المنثور ١٥ ـ المقترن ١٦ ـ الحواشى ١٧ ـ الأشعار ١٨ ـ اللؤلؤى ١٩ ـ المصاحف ٢٠ ـ فضاح النسخ ٢١ ـ الغبار ٢٢ ـ العهود ٢٣ ـ المعلق ٢٤ ـ المخفف ٢٥ ـ المرسل ٢٦ ـ المبسوط ٢٧ ـ المقور ٢٨ ـ الممزوج ٢٩ ـ المفتح ٣٠ ـ المعماة ٣١ ـ المؤلف ٣٢ ـ التوامان ٣٣ ـ المعجز ٣٤ ـ المخلع ٣٥ ـ الديوانى ٣٦ ـ سياقت ٣٧ ـ القرمة ٣٨ ـ السجلات ٣٩ ـ الأمانات ٤٠ ـ الديباج ٤١ ـ المديح ٤٢ ـ المرصع. ومن الخطوط العربية السائدة الآن فى البلاد العربية والإسلامية هى:

١ ـ الخطة الكوفى: وهو أصل للخطوط العربية ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب ويستخدم فى كثير من زخارف المبانى والحفر على الخشب والزجاج والتحف المعدنية وغيرها.

٢ ـ خط الثلث: ويعبر عنه بأم الخطوط ويستعمل فى كتابة عناوين الكتب وأوائل سور القرآن الكريم وجدران المساجد والأماكن المقدسة وكارتات الأسماء.

٣ ـ خط النسخ: وهذا خاص لكتابه المصاحف الشريفة وجميع ما يطبع من الكتب والصحف والمجلات العربية.

٤ ـ الخط الفارسى: يستعمل غالبا مقام خط الثلث خاصة فى إيران والهند وأفغانستان وباكستان.

وكان النقط والشكل فى هـذا العصر قليلى الاستعمال فى الرسائل الديوانية والإخوانية كثيريهما فى كتب العلم .

ومـازال الخط يجرى فى مضمـاره حتى نبض على عنانـه مكتّبـو الترك العثمـانيين ، فحولـوا بعض أنواعـه وخاصـة قلم الرقـاع (الرقعة) إلى ما نعـرفه ، وارتقوا بالمسلسل إلى الغـاية ، وولّدوا منه خط العلامة السلطانية (الهمايونى) وأبدعوا فى بقية الأنواع بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق .

ومن أشهـرهم الشيخ حمـد الله الأماسى إمـام الخطـاطين العثمانيين (انظـر ترجمـة فى م ١٤ / ٥٧٧ ، ٥٥٨) . وجـلال الدين ، والحافظ عثمان

ووقف الخط فى سبيل تقـدمه عند الحـد الذى رسمتـه له الطبقة النـاشئة فى القرن العاشـر والحادى عشر والثـانى عشر من خطـاطى التـرك ، وكل من نشأ بعـدهم فإنمـا هـو متبع طريقهم وحاذ حذوهم .

وأشهر من نبغ فى العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه وهو عصر النهضة الحديثة عبد الله الزهدى ، وهو الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجـد النبوى ، وجـامع الرفـاعى ، ومحمد مـؤنس ، وتخرج عليـه وعلى تلميـذه المرحـوم محمد جعفـر جميع خطاطى قطرنـا المصرى . (كان مدرسـا للخط بمدرسة دار العلوم وهو الذى كتب حروف المطبعة الأميرية المستعملة الآن)(الوسيط / ٢٩٤ ، ٣٢٧) .

وفى إبـريل سنــة ١٩٣٩ كتب الأستـاذ سيد إبراهيــم الخطـــاط ـــ الــذى كـان حينذاك مـدرسا بمـدرسـة تحسين الخطـوط الملكية ـــ مقـالا بعنوان «الخط العـربى فى العصـر الحديث» فى مجلة الهلال فى عددها الذهبى جاء به ما يلى : لمـا ولى الترك الخـلافـة الإسـلامية ازدهـر الخط العـربى فى عهودهـم أيمـا ازدهار وازداد بهجـة وجمالا ، فـاستخلصوا من الأقلام الشائعة فى العصور الماضية : الخط الجلى الديوانى ، والديوانى وخط الرقعة . وكان «إبراهيم منيف» هو الذى وضع الأصول الأولى للخط الديوانى بعد فتح القسطنطينية بنحو ربع قرن .

وفى القـرن الحادى عشر انتهت بـراعة الخط إلـى الصدر الأعظم «شهلا باشا» وقد بلغ من عنايته بهذا الفن أن رحل إلى آسيا وافريقية يدعو له ويعمل على نشره .



لوحة بخطي الثلث والنسخ، كتبها الخطاط المبدع الحاج حسن رضا سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م).

ثم ولى الخـلافة السلطـان محمود الثـانى الخطاط النـابغ الذى لا تـزال آثار قلمـه خالـدة حتى اليوم ، تحتفـظ منها دار الكتب فى معرضهـا ببدائع نـادرة . . وتداول خلفاء التـرك هذا الفن بـالرعايـة ، حتى أوفى على الغـاية من الإتقان فـى أواخر العصر العثمانى .

وكانت العنـاية بـالخط العربى فى فـارس لا تقل عنها فى تركيا ، فهناك نهض الأستاذ «خوجـه أمير على التبريزى» يمزج بين الخط النسخ والتعليق مخرجـا من بينهما خط«النستعليق» المعـروف الآن بالفـارسى ، وقد اشتهـر هذا النـوع حتى أصبح الخط المعتاد فى كتابة الرسائل وغيرها .

ولمـا دخلت مصر فـى عهد الممـاليك ، وبخـاصة عهـد نصيـر الخط «الملك قانصوه» ، كـان لمصـر حظ موفـور فى إجادة الفـن والمهارة فيه ، وذلك بحكـم ما كان يقضـى عليها مركزهـا من المشاركة فى الفنون الإسلاميـة فى المشرق ، وهذه آثار الممـاليك فى نسخ المصـاحف المعروضة بـدار الكتب تنطق بفرط تفوقهم فى هذا الفن الجميل .

ثم أشـرق على مصر عصـر محمد على الكبيـر ، فمضت مصر تجـارى العثمانيين بحكـم الصلة السياسيـة مقتبسة فنهم سـائرة على نهج مشهورى رجـال الخط الترك . وشـاءت إرادة مؤسس الأسرة العلوية أن يبنى مسجده فى القلعة ، فاستقدم له أحـد كبـار الخطاطيـن الفرس ليحلى جـوانبه بنفـائس خط «النستعليق» فكـان ذلك إغـراء لـرجـال الخط فى النـزوح إلى مصر ينشرون فنهم بين أبناء وادى النيل .

وقد تـابعت النهضة الفنية خطـواتها فى عهـد إسماعيل ،



بفضل تشجيعه لها، واستقدامه «عبد الله الزهدى بك» كاتب الحرمين. وما تزال آثاره على «سبيل أم عباس» شاهدة بعبقرية هذا الخطاط العظيم.

وانتشر الخط بعد ذلك تبعا لرقى مصر العلمى، وانتشار المدارس فيها، فنبغ كثير من أبناء مصر فى هذا الفن، وفى طليعتهم «محمد مؤنس زاده» الذى تخرج عليه طائفة من مشاهير الخطاطين، وكذلك الأستاذ «جعفر بك» الذى كانت شوارع القاهرة وما زالت تزدان بخطه الرائع.

ثم عرضت فترة تعرض فيها هذا الفن للتدهور لأسباب ليس هذ مقام بسطها، فقلت العناية به.

وألهمت عناية الله المغفور له الملك فؤاد الأول أن يتدارك هذا الفن، فأنشأ له «مدرسة تحسين الخطوط الملكية» وعين لها أساتذة من الترك والمصريين، فكانت بارقة الأمل فى إنعاش الخط بعد أن اندثر أو كاد.

(الخط العربى فى العصر الحديث/ ١٥٠).

ولأهمية الخط نجد المؤلفين يتحدثون عن فضائله، ومنهم الزبيدى الذى يقول:

جاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ [فاطر: ١]: أنه الخط الحسن وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف: ٤] قال: الخط.

ويروى فى الخبر المأثور: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فحسنه أحسن الله إليه. كذا فى منهاج الإصابة للزفتاوى.

وفى شرعة الإسلام (للإمام الواعظ محمد بن أبى بكر المعروف بإمام زاده الحنفى المتوفى سنة ٥٧٣) من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له. وفى الجامع الصغير من رواية سلمة، فى الجامع الصغير أم سلمة: «الخط الحسن يزيد الحق وضحا (الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ وأشار السيوطى إلى أنه حديث ضعيف، وروى الحديث منسوبا إلى علىّ فى صبح الأعشى ٣ / ٢). وفيه أيضا: قيّدوا العلم بالكتاب الجامع الصغيروقال عنه: حديث صحيح»، قال شارحه المناوى: العلم يعقل ثم يحفظ، والنسيان كامن فى القلب، فلخوف ذهاب العلم قيد بالكتابة.

وجاء فى حديث آخر: حق الوالد على ولده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقةإلا طيبا (فى الجامع الصغير ٣٧٤ من حديث. أبو رافع، قال حديث ضعيف) وفى رواية أخرى: «حق الوالد على ولده أن يحسن اسمه، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب» (فى الجامع الصغير عن أبى هريرة، وذكر أنه ضعيف). قال الشارح: يعنى القرآن، ويحتمل إرادة الخط.

وفى الحديث أيضا، قال ﷺ لزيد بن ثابت «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه» (حديث ضعيف كما فى الجامع الصغير ٨٣٥).

وذكر صاحب الشِّرعة أيضا أنه ﷺ قال لمعاوية رضى الله عنه وهو يكتب بين يديه. «ألق الدواة، وحرِّف القلم، وانصب الباء، وفرق السين، ولا تعور الميم، وحسِّن الله، ومد الرحمن، وجود الرحيم.

وقالوا: لما كانت الكتابة شريفة كان حسن الخط فيها فضيلة.

وقال المأمون: لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفخرناها بما لنا من أنواع الخط يقرأ بكل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان.

وقال النَّظَّام: الخط أصل فى الروح يظهر بآلة جسدانية.

وقال بعض الحكماء (فى صبح الأعشى أنه جعفر بن يحيى) : الخط سمط الحكمة ، بها يفصل شذورها وينتظم منثورها .

ويقال : قريش أهل الله ، لأنهم كتبة حسنة .

(كذا . وفى أدب الكتاب للصولى / ٢٨ : «وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «قريش أهل الله ، وهم الكتبة الحسبة» : جمع كاتب وحاسب)

وكان يقال : حسن الخط أحد اللسانين ، كما قيل : قلة العيال أحد اليسارين .

وقال بعض العلماء (انظر صبح الأعشى ٣ / ٢٠ ، ٢١) الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسان جميلا وسيما حسن الهيئة كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أفخم ، وبضد ذلك تسأمه النفوس . فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، مليح الرصف ، مفتح العيون ، أملس المتون ، كثير الائتلاف ، قليل الاختلاف ، هشت إليه النفوس واشتهته الأرواح ، حتى إن الإنسان ليقرؤه - وإن كان فيه كلام دنىء ، ومعنى ردىء مستزيدا منه ولو كثر ، من غير سأم يلحقه ولا ضجر . وإن كان الخط قبيحا مجته الأفهام ، ولفظته العيون والأفكار ، وسئمه قارئه وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ، ومن الألفاظ غرائبها .

وقيل : إن وزن الخط مثل وزن القراءة ، فأجود الخط أبينه ، كما أن أجود القراءة أبينها (صبح الأعشى ٣/ ٢١) .

فحرفة أصول الخط وهندسته ، وكيفيته وحقيقته ، أشرف من عمله تقليدا من غير تحقيق .

قيل : وصف أحمد بن إسماعيل خطا فقال : لو كان نباتا لكان زهرا ، ولو كان معدنا لكان تبرا ، أو مذاقا لكان حلوا ، أو شرابا لكن صفوا .

وقال عمرو بن مسعدة : الخطوط رياض العلوم ، وهى صورة روحها البيان ، وبدنها السرعة ، وقدمها التسوية ، وجوارحها معرفة الفصول ، وتصنيفها كتصنيف النغم واللحون .

وقيل : إن أحمد الخطوط رسما ما اعتدلت أقسامه ، وانتصبت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده وحدوره ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وقدرت أصوله ، واندمجت وصوله ، وتناسب دقيقه وجليله . ولا يجمع فى سطر بين مدتين ولا ياءين مردودتين ، ويراعى موضع الفصول والوصول ، ولا تقطع كلمة بحرف يفرد فى غير سطره (حكمة الإشراق / ٦ -٦٩) .

أما حاجى خليفة صاحب كشف الظنون فيقول عن فضل الخط :

اعلم ان الله سبحانه وتعالى أضاف تعليم الخط إلى نفسه وامتن به على عباده فى قوله علم بالقلم وناهيك بذلك شرفا . وقال عبد الله بن عباس الخط لسان اليد قيل ما من أمر إلا والكتابة موكل به مدبر له ومعبر عنه وبه ظهرت خاصة النوع الإنسانى من القوة إلى الفعل وامتاز به عن سائر الحيوانات وقيل الخط أفضل من اللفظ لأن اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب وفضائله كثيرة معروفة .

ثم يفرد فصلا فى وجه الحاجة إلى الخط فيقول : واعلم أن فائدة التخاطب لما لم تبين إلا بالألفاظ وأحوالها وكان ضبط أحوالها مما اعتنى بها العلماء كان ضبط أحوال ما يدل على الألفاظ أيضا مما يعتنى بشأنه وهو الخطوط والنقوش الدالة على الألفاظ فبحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كل زمان وحركاتها وسكناتها ونقطها وشكلها وضوابطها من شداتها ومداتها وعن تركيبها وتسطيرها لينتقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف ومنها إلى المعانى الحاصلة فى الأذهان (كشف ١ / ٧٠٧) .

كذلك ذكر الماوردى فى كتابه «أدب الدنيا والدين» فضل الخط ووجه النظر إلى ما ينبغى أن يعمله من أراد حفظه ، ونوه على أهمية صحته وحسنه ، كما عدد الأسباب المانعة من قراءته وفهم ما تضمنه .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿أو أثارة من علم﴾ [الأحقاف : ٤] قال الخط . وعن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ [البقرة : ٢٦٩] يعنى الخط والعرب تقول :

الخط أحد اللسانين وحسنه إحد الفصاحتين . وقال جعفر ابن يحيى : الخط سِمْط الحكم (السمط ، بكسر السين المشددة ، الخيط ما دام فيه الخرز ، وقيل : خيط النظم ، وقيل : القلادة) به يفصل شذورها وينظم منثورها . وقال

ابن المقفع اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم على الشاهد والغائب . وقال حكيم الروم : الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية . وقال حكيم العرب : الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس الجسد .

واختلف فى أول من كتب الخط فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلثمائة سنة فى طين ثم طبخة فلما غرقت الأرض فى أيام نوح على نبينا وعليه السلام بقيت الكتابة فأصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتاب العربى إلى أن خص الله تعالى به إسماعيل فأصابه وتعلمها ، وحكى ابن قتيبة أن أول من كتب إدريس على نبينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعده من أجل المنافع ، حتى قال عكرمة : بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف حتى أن الرجل ليفادى على أنه يعلم الخط لما هو مستقر فى نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه وأثره . وقد قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم﴾ [العلق ٣ ، ٤] فوصف نفسه بأن علَّم بالقلم كما وصف نفسه بالكرم وعد ذلك من نعمه العظام ومن آياته الجسام حتى أقسم به فى كتابه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم : ١] فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم .

واختلف فى أول من كتب العربية فذكر كعب الأحبار أن أول من كتب بها آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان إسماعيل على نبينا وعليه السلام . وحكى ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من كتب بها ووضعها إسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه ، وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه أن أول من كتب بها قوم من الأوائل أسماؤهم أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت وكانوا ملوك مدين . وحكى ابن قتيبة فى المعارف أن أول من كتب بالعربى مرامر بن مرة من أهل الأنبار (مدينة مشهورة فى غرب بغداد) ومن الأنبار انتشرت . وحكى المدائنى أن أول من كتب بها مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فمرامر وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامر وضع الإعجام .

ولما كان الخط بهذه الحال وجب على من أراد حفظ العلم أن يعنى بأمرين : أحدهما تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها والثانى ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميزة لها ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحة نظمه فإنما هو زيادة حذق بصنعته وليس بشرط فى صحته . وقد قال على بن عبيدة : حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير. وقال أبو العباس المبرد : رداءة الخط زمانة الأدب . وقال عبد الحميد : البيان فى اللسان [والخط فى] البنان . وأنشدنى بعض أهل العلم لأحد شعراء البصرة :

أعذر أخاك على رداءة خطه ... واغفر نذالته لجودة ضبطه

واعلم بأن الخط ليس يراد من ... تركيبه إلا تبين سمطه

فإذا أبان عن المعانى لم يكن ... تحسينه إلا زيادة شرطه

ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على الكلام المفهوم من فصاحة الألفاظ وصحة الإعراب ولذلك قالت العرب : حسن الخط إحدى الفصاحتين وكما أنه لا يعذر من أراد التقدم فى الكلام أن يطرح الفصاحة والإعراب وإن فهم وأفهم كذلك لا يعذر من أراد التقدم فى الخط أن يطرح تصحيح الحروف وتحسين الصور وإن فهم وأفهم . وربما تقدم بالخط من كان الخط أجل فضائله وأشرف خصائله حتى صار علما مشهورا وسيدا مذكورا غير أن العلماء أطرحوا صرف الهمة إلى تحسين الخط لأنه يشغلهم عن العلم ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجد خطوط العلماء فى الأغلب رديئة إلا من أسعده القضاء وقد قال الفضل بن سهل : من سعادة المرء أن يكون رديء الخط لو أن الزمان الذى يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هى السعادة وإنما السعادة أن لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن أن يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيدا وإن لم تكون رداءة الخط سعادة . وإذا كان ذلك كذلك فقد يعرض للخط أسباب تمنع من قراءته ومعرفته كما يعرض للكلام أسباب تمنع من فهمه وصحته .

والأسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمنه قد تكون من ثمانية أوجه :

الوجه الأول: إسقاطه ألفاظا من أثناء الكلام يصير الباقى بها مبتورا لا يعرف استخراجه ولا يفهم معناه وهذا يكون إما من سهو الكاتب أو من فساد نقلـه وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشى الكلام وما سلم منه على ما سقط أو فسد لا سيما إذا قل لأن الكلمة تستدعى ما يليها ومعرفة المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فأما من كان قليل الارتياض بذلك فإنه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما إذا كان كثيرا لأنه يحتاج فى فهم المعانى إلى الفكرة والروية فيما قد استخرجه بالكتابة فإذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن إدراكه وضل فكره من استنباطه.

والوجه الثانى: زيادة ألفاظ فى أثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا إلا أن يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل فى أثنائه ما يمنع من فهمه فيصير ذلك رمزا يعرف بالمواضعة. فأما وقوعه سهوا فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره.

والوجه الثالث: إسقاط حروف من أثناء الكلمة تمنع من استخراجها على الصحة وقد يكون هذا تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كالقول فى الوجه الأول.

والوجه الرابع: زيادة حروف فى أثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل ولا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب إخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالقول فى الوجه الثانى.

والوجه الخامس: وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك إلى الإشكال لأن الكلمة ينبه عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فإن كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجه وإن كان ذلك من قلة معرفة بالخط أو مشقا (المشق: السرعة فى الكتابة) تسبق به اليد كثُر فصعب استخراجه إلا على المرتاض به. ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: شر الكتابة المشق كما أن شر القراءة الهذرمة (الهذرمة: القراءة السريعة) وإن كان للتعميه والرمز لا يعرف إلا بالمواضعة.

والوجه السادس: تغيير الحروف عن أشكالها وإبدالها بأغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل الراء وهذا يكون فى رموز التراجم لا يوقف عليه إلا بالمواضعة إلا لمن قد زاد فيه الذكاء فيقدر على استخراج المعمى.

والوجه السابع: ضعف الخط عن تقويم الحروف على الأشكال الصحيحة وإثباتها على الأوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن أغيارها حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحاء وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج ذلك ممكن بفضل المعاناة وشدة التأمل وإن كان ربما أضجر قارئه وأوهى معانيه. ولذلك قيل: إن الخط الحسن ليزيد الحق وضوحا.

والوجه الثامن: إغفال النقط والأشكال التى تتميز بها الحروف المشتبهة وهذا أيسر أمرا وأخف حالا لأن من كان متميزا بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم تَخْفَ عليه معرفة الخط وفهم ماتضمنه مع إغفال النقط والأشكال بل قد استقبح الكتاب ذلك فى المكاتبات ورأوه من تقصير الكاتب أو سوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقباحهم له فى مكاتبة الرؤساء أكثر. حكى قدامة بن جعفر: أن بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكا العامل منه إلى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه ووضوح شكواه فوقّع فيها عبيد الله بن سليمان هذا، هذا، فأخذها العامل وقرأها فظن أن عبيد الله أراد بهذا هذا إثباتا لصحة دعواه وصدق قوله كما يقال فى إثبات الشىء هو هو فحمل الرقعة إلى كاتب الديوان وأراه خط عبيد الله وقال له: إن عبيد الله قد صدق قولى وصحح ما ذكرت فخفى على الكاتب ذلك وأطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله فرد إليه ليسأل عن مراده فشدد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله المستعان استعظاما منه لتقصيرهم فى استخراج مراده حتى احتاج إلى إبانته بالشكل فهذه حال الكتاب فى استقباحهم إعجام المكاتبات بالنقط والأشكال.

فأما غير المكاتبات من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسنوه لاسيما فى كتب الأدب التى يقصد بها معرفة صيغة

الألفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر والغريب فإن الحاجة إلى ضبطها بالشكل والإعجام أكثر وهى مما سواه من العلوم أيسر. وقد قال الثورى (هو سفيان بن سعيد، وثور اسم قبيلة من مضر، وهو من أئمة المحدثين وعلماء الكلام فى العراق، وأحد المذاهب الستة المتبوعة، وهو من تابعى التابعين، وكانوا يطلقون عليه : أمير المؤمنين فى الحديث . توفى سنة ١٦٢ هـ) : الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة. وقال بعض البلغاء : إعجام الخط يمنع من استعجامه وشكله يؤمن إشكاله : وقال بعض الأدباء : رُب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله. وكما استقبح الكتاب والإعجام فى المكاتبات وإن كان فى كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط فى المكاتبات وإن كان فى العلوم مستقبحا وسبب ذلك أنهم لفرط إدلالهم بالصنعة وتقدمهم فى الكتابة يكتفون بالإشارة ويقتصرون على التلويح ويرون الحاجة إلى استيفاء شروط الإبانة تقصيرا ولقصد ما يعتقدونه من التقدم بهذا الحال رأوا ما نبه عليه من سواد المداد أثرا جميلا وعلى الفضل والتخصيص دليلا. حكى أن عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه أثر صفرة فأخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال : المداد بنا أحسن من الزعفران وأنشد :

إنما الزعفران عطر العذارى

ومدادُ الدُّوِىِّ عطر الرجال

فهذه جملة كافية فى الإبانة عن الأسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة معانيه لفظا كان أو خطًّا والله ولى التوفيق (أدب الدنيا والدين. انظر ثبت المراجع).

وعن انتشار الخط العربى فى الأمصار يقول الدكتور أبو صالح الألفى :

أدت قوة الكتابة العربية وعظم سلطانها إلى اتخاذها لرسم لغات الكثير من الأمم التى فتحها العرب، كماحدث فى بلاد فارس حيث حلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية فى كتابة اللغة الفارسية، مع زيادة الحروف الخاصة، كما حلت الحروف العربية كذلك محل الحروف الأوردية الهندوستانية ولغة أهل كشمير، وامتدت الحروف العربية إلى المسلمين من أهل الملايو لكتابة لغتهم، كما استعملها كذلك أهل جاوة والفلبين للغرض نفسه . وامتد انتشار الكتابة العربية حتى الصين فكتبت بها النصوص الدينية الإسلامية لصالح مسلمى الصين.

كذلك، تداولت الكتابة العربية الأمم التركية والترية التى تسكن حول بحر قزوين وشمالى البحر الأسود وجنوب جبال الأورال. على أن لغات هذه البلاد لم تدون بالحرف العربى إلا منذ القرن السابع الهجرى، وهو عصر التدوين فى محيط الأمم الترية والتركمانية، بخلاف الفرس والهنود الذين سبقوا إلى اعتناق الإسلام واتخاذ الكتابة العربية.

بل وصل الخط العربى إلى مسلمى سيبيريا بتأثير من مسلمى تركستان الروسية، واقتضى ذلك زيادة حروف معينة لتحقيق صلاحية الحروف لأداء المخارج التى ليست أصلا فى اللغة العربية. وكان الأتراك وسيلة لنقل الكتابة العربية إلى بعض دول البلقان التى انتشر فيها الإسلام كألبانيا وبلغاريا.

من الملحوظات الجديرة بالاهتمام أن تدوين القرآن الكريم وكتب الدين بين الأمم الإسلامية التى احتفظت بلغاتها الأصلية كان بالخط النسخى، لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه. على أن الفرس استطاعوا بما لديهم من نفوذ خاص، فى الهند والصين، أن ينشروا خط التعليق (الخط الفارسى) فى هذه البلاد لكتابة الشروح والتفسيرات، أما الآيات القرآنية فكانت تكتب بالخط النسخى.

ومنذ فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب (١٨ ـ ٢٠ هـ) ثم فتح شمال أفريقيا بعد ذلك ثم إسبانيا، امتد الخط العربى فى هذه البقاع، وأصبح له فى شمال أفريقيا والأندلس خصائص مميزة.

وعندما نشر المغاربة الإسلام فى غرب أفريقيا نشروا معه الخط العربى، وكان ذلك حوالى القرن السابع الهجرى، حيث كانت النيجر مركزا للنشاط الإسلامى، وبديهى أن يكون الخط الذى استعمل فى غرب أفريقيا متفرعا من الخط المغربى، وقد سمى «الخط السودانى»، والخط المغربى السودانى كان وسطا بين الخط اللين والخط الجاف.

وعرف شرق أفريقيا الكتابة العربية فى أرتريا والصومال ومدغشقر التى ساد فيها الإسلام مبكرا بسبب كثرة وفود العرب إلى هذه الجزيرة بقصد التجارة، وهم يستخدمون الحرف

العربى لكتابة اللغات المحلية . على أن الصومال ترك استعمال الحرف العربى فى كتابة اللغة الصومالية قبل بضع عشرة سنة، والمأمول أن يعود إلى استعمال الكتابة العربية بعد أن انضم إلى جامعة الدول العربية .

وقد بلغت العلوم والمعارف العربية شأوا كبيرا، وانتقلت هذه العلوم والمعارف المدونة فى مخطوطات، إلى أوربا عبر إسبانيا الإسلامية، وظل الكثير من كتب العرب يدرس فى جامعات أوربا إلى عهود ليست بعيدة («الخط العربى أرقى الفنون الإسلامية» / ٧٧).

ومن أمثلة الخط الكوفى فى وسط آسيا :

نقش قرآنى بضريح شاه فاضل من الداخل بجمهورية قرغيزيا من القرن السادس الهجرى (١٢ م) .

ومن أمثلة الخط النسخ فى إيرانى :

مصحف بخط عبد الله بن محمد الهمدانى كتبه للسلطان الإيلخانى أولجايتو سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٣ م بالخط الثلث الريحانى .

كما وجد فى إيران والهند وباكستان وبعض المناطق الملحقة بها مصاحف بخط النستعليق ومن أمثلتها :

صفحة من مصحف بخط النستعليق كتبه شاه محمد النيسابورى سنة ٥٨٦ هـ / ١٥٦٠ م محفوظ بمكتبة جامعة استانبول .

ووصلنا من وسط آسيا كتابات قرآنية كثيرة على الآثار بالخط الثلث منها :

نقش بمحراب مسجد بلند فى بخارى يرجع إلى القرن العاشر الهجرى (١٦ م) نقش ببوابة ضريح بيان قلى خان فى بخارى يرجع إلى سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م نقش فى بوابة شاه زنده بسمرقند (ضريح شيرين) سنة ٧٨٧ هـ / نقش بالمدخل الرئيسى لمسجد بى بى خانم بسمرقند سنة ٨٠٢ ـ ٨٠٧ هـ / ١٣٩٩ ـ ١٤٠٤ م) .

وبالإضافة إلى هذه الخطوط الأصلية استخدمت بعض الشعوب فى الكتابات القرآنية خطوطا ذات طابع محلى مستمدة من خطى النسخ والثلث، ومن أمثلة هذه الخطوط خط بهار الذى استخدم فى كتابة بعض المصاحف فى الهند وبكستان وأفغانستان ومناطق أخرى مرتبطة بها حضاريا .

ومن أمثلتها من الخطوط ذات الطابع المحلى : نقش من كيتاهار مؤرخ سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م) (بالبنغال) .

نقش قدم رسول مؤرخ ٩٣٧ هـ / ١٥٣٠ م من مزار قدم رسول فى غور (بالبنغال) (المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ٢ / ٢٠٦، ٢٠٧) .

وفيما يلى بعض التعريفات والاصطلاحات الخطية التى أوردها الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط :

جاوة : قلم من الخشب الصلب والذى تكفى قطته لكتابة على ما لا يقل عن مائتى صفحة ولا يتغير عرضه .

الحبر العربى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية راجعة .

الحبر الصينى : وهو الحبر الذى مادته الصمغية غير راجعة .

الخط العربى : هو فن الكتابة العربية الذى له قاعدة وزينة .

سلاية كروكى : وهى نوع من السلايات المعدنية الرفيعة جدا وتستعمل للزخرفة .

الطرمة : وهى المحبرة الموجودة فى الطقم الهندسى .

الطرة : وهى محبرة الخطاط الحاوية على خيوط الإبريسم والحبر .

عراقة : هى نهايات الحروف القابلة قسم منها للتدوير والقسم الآخر بالإرسال والمد .

الكشيدة : هى مد الحروف القابلة للمد فى الخطوط وتأتى أيضا فى بداية الألف .

ورق الترمة : وهو ورق يصنع باليد ويطلى بصفار البيض ويستغرق وقتا طويلا وهو أجود أنواع الورق للخط ويكون لونه أصفر مُسمرا يستعمل للكتابات الخطية الجيدة والحليات (الخط العربى : تاريخه وأنواعه / ١٢٧، ١٢٨) .

وبالإضافة إلى تعريفنا لعلم الخط العربى الذى تناولناه من الناحية التاريخية والاجتماعية يضيف الدكتور الفنجرى وجها آخر، هو ارتباط الخط بالعلوم الرياضية، ومن ثم فإنه يعرف الخط العربى باعتباره علما وفنا فيقول :

إنه علم لأن الخطاط يعتمد على علم الهندسة وحساب المثلثات والدوائر وعلم الحساب . . وجميع اللوحات القيمة

يعمل لها رسم هندسى قبل تنفيذها على الطبيعة، وتعمل لها مقاييس ونسب مدروسة تماما كما يفعل المهندس المعمارى قبل أن يبنى العمارة الضخمة.. ويستوى فى ذلك إذا كان الرسم ضخما يملؤ قبة كبيرة فى سقف مسجد .. أو كان دقيقا كمن يكتب القرآن كله على قشرة بيض أو يكتب سورة كاملة على حبة قمح (متحف طوب كابى اسطنبول).

أما كون الخط العربى فنا فلأن الخطاط لا يكتب مجرد كتابة تؤدى الوظيفة والغرض. ولكنه يضع روحه وخياله وفنه فى كل حرف يخطه بيده. وإذا كان الإسلام قد كره رسم الأشخاص فقد شجع على رسم الكلمات وإحسان الخط .. ومن هنا فقد وضع الفنان المسلم كل طاقاته الفنية وعبقريته فى إظهار الكلمات بطريقة تعبر عن مشاعره.. ومن هنا أيضا نقول إن كبار الخطاطين المسلمين لا يقلون أهمية عن كبار الرسامين فى أوربا أمثال ليوناردو - وزوفائيل - وبيكاسو، ورغم أنهم أقل شهرة من هؤلاء الرسامين إلا أن فنهم أصعب من فن الرسم لأنه فن تجريدى بحت (العلوم الإسلامية ٢/ ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩).

ذاك كان الكلام على الخط كعلم. بيد أن الخط العربى يعتبر أيضا فنا قائما بذاته، وكما يقول الدكتور أحمد شوقى الفنجرى:

لا توجد أمة فى التاريخ لعب الخط الجميل فى حياتها دورا هاما مثل الأمة العربية الإسلامية.. فأينما أدرت عينيك فى الآثار الإسلامية القديمة.. فسوف تجد الكلمات المكتوبة بخط جميل وزخرف إسلامى بديع.. تملأ القصور والمساجد والمدارس والحمامات والبيمارستانات.

فعلى الحوائط والسقوف آيات قرآنية وشعارات إسلامية مكتوبة بخط جميل تتناسب مع المكان والغرض الذى يستعمل من أجله.

وعلى المعلقات والقناديل الضوئية والأوانى الفخارية والنحاسية والبرونزية وعلى الصناديق والأبواب الخشبية والمقابض النحاسية ... وعلى العملات الذهبية وآلات الجراحة والأسلحة بأنواعها من دروع وسيوف وسهام ورماح.. بل أن المسلمين عندما استعملوا البندقية والمسدس والمدفع لأول مرة لم يستغنوا عن تزيينها بآيات من القرآن من باب التبرك والدعاء بالنصر أولا.. ثم الناحية الزخرفية والجمالية ثانيا (العلوم الإسلامية ٢/ ١٠٤، ١٠٦).

ونحن حين نتكلم على الخط باعتباره فنا فإنما نقصد ما يمكن أن يسمى بالزخارف الكتابية أو الزخرفة بالخط.

لقد كان فن الزخارف الكتابية فى الفن الإسلامى له عظيم الأثر فى كثير من المصاحف والألواح المعروضة فى القسم الرابع بدار الكتب. لذلك رأينا أن نعرض لها بإيجاز ليستفيد المشاهد.

للكتابة الزخرفية شأن عظيم فى تاريخ الفنون الإسلامية. لأن لكل إقليم فى العالم الإسلامى أسلوبا فى الخط وزخرفته. ويستطيع ذوو الخبرة أن يدرسوا الزخارف الكتابية فينسبوا التحفة إلى العصر أو الإقليم الذى صنعت فيه.

وإن استعمال الزخارف الكتابية ازداد شيوعا فى العالم الإسلامى من القرن الرابع الهجرى وبلغ ذروة مجده فى القرنين الخامس والسادس.

وكان الخط الكوفى الذى هو عماد الزخارف فى الخطوط العربية بسيطا فى مبدأ أمره لا توريق فيه ولا تعقيد ولا ترابط بين الحروف. ومع ذلك كله فإن المتقن من هذا النوع البسيط لا يخلو من طابع زخرفى رصين هادىء.

ورأى الفنانون أن فى خطوطه العمودية والأفقية عنصرا يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية فأقبلوا على ذلك وأبدعوا فيه وصنعوا ضروبا من الكتابة الزخرفية متعددة الجوانب والصفات، فمنها الكوفى المورق والمشجر، يخرج من أطراف حروفه سيقان نباتية دقيقة محملة بالوريقات المختلفة الأشكال، وتزخرف نهايات حروفه بما يشبه الفروع عندما تخرج من السيقان.

ومن أنواعها الأخرى كتابات كوفية تقوم على أرض من الزخارف النباتية المستقلة عنها، وقوام هذه الزخارف النباتية فروع وسيقان ووريقات لا تتصل بالكتابة بل تبدو كأنها تنحدر فى اتجاه واحد.

ولزخرفة الكتابة بالخط الكوفى ضروب كثيرة لا يسعنا أن نعرض لها كلها هنا. يجدها الباحث فى كتاب فنون الإسلام وضع الدكتور زكى حسن (قالت المؤلفة: انظر كتابه» الفن الإسلامى فى مصر / ٩٧ - ٩٩).

كمـا للخطوط الأخـرى زخارف هى ولا شك دون زخـارف الخط الكـوفى وأقل شأنـا منـه كـالخط النسخى والـديـوانى وغيرهما يراها الناظر فى القاعة الكبرى (معرض دار الكتب / ١٢، ١٣).

ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى، عم استخـدام الخط النسخـى، وكـــان قبل ذلـك لا يكـــاد يستعمل إلا فـى المخطوطات العادية، فاستخدم فى شواهد القبور والكتابات التـاريخيـة، وكان ذلـك وسيلة من الـوسـائل التى لجأ إليهـا السنيون للقضاء على آثار الشيعة الفاطمية.

واستعملت أشرطة الكتابة على التحف المختلفة، وعلى العمائر تحت السقف لربط المستويات الـرأسية بالمستويات الأفقيـة أو بالقبـة.. كما ابتكـر الخطـاطون كتـابة العبـارات بالخط الكوفى المربع أو الكـوفى المتداخل لتبدو على شكل حيوان أو طائر.

والمعروف أنه كان للخطاطين المنزلة الأولى بين الفنانين، إذ كان الخطاط هو الذى يحدد الفـراغات التى يملؤها الرسام بالصور التوضيحية لتزيين الكتاب. وكان هواة الخط يتسابقون لشراء نماذج من خطوط مشاهير الخطاطين، كما يحدث الآن بالنسبة للوحـات التصوير (الفن الإسلامى / ١٢٠). وبالإضافة إلى هـذا كله فإن للخط جـانبا آخـر هامـا، ألا وهو الجـانب الفقهى، إذ أن الخط من أدلـة إثبـات الـدعـوى فـى الفقـة الإسلامى كما يتضح مما يلى:

مذهب الحنفية:

اختلف فقهاء الحنفية فى اعتبـار الكتابة حجة يـؤخذ بها فى إثبـات الحق ويعتمـد عليهـا فى القضـاء وعدم اعتبـارهـا كـذلك، وبالـرغم من اقتناع الكثيـرين من عدم جـواز العمل بالخط معللين ذلك بأحد أمرين:

الأول: احتمـال أن الكـاتب لم يقصـد بمـا كتبـه إفـادة المعانى الحقيقيـة للكلمات والألفاظ التى كتبها وإنمـا قصد تجربة خطه أو مجرد اللهو والتسلية.

والثانى: احتمال التزوير فى الخط إذ الخطوط تتشابه كثيرا إلى درجة كبيرة.. وقد قسموا الكتابة إلى ثلاثة أقسام.

أولا: كتابة مرسومة، أى معنـونة، ومصدرة يعنوان على ما جرى به العرف المتبع. كأن يكتب من فلان ابن فلان إلى فلان ابن فلان، أو وصلنى فلان ابن فلان، من فلان ابن فلان مبلغ كذا، أو بذمتى لفلان ابن فـلان كذا، وهكذا، ومستبينة، أى ظاهرة ومقروءة.

ثانيا: كتابة مستبينة، غير مرسومة كالكتابة على غير الوجه المعتاد عرفا أو الكتابة على الحائط وأوراق الشجر.

ثـالثا: كتـابة غيـر مستبينـة، كالكتـابة على المـاء أو فى الهواء.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمال الأول، وهو قصد التجربة أو اللهو مع استثنـاء الاحتمال الثانى، يكون حجـة ويعمل به دفعا للضـرر عن الناس، ولا سيمـا التجار، وأخذا بـالعرف، وذلك كالكتـابة المستبينـة المرسومـة مطلقا وهى التى عنـاها الفقهـاء حين قالـوا إن الإقـرار بالكتـابة كـالإقـرار باللسـان، وألحقوها بالصريح من القول فى عدم توقف دلالتها على شبه أو إشهاد أو إمـلاء. وكالكتـابة المستبينـة غير المـرسومـة إذا وجـدت نية أو كـان معها إشهـاد عليهـا أو إملاء على الغيـر ليكتبها ممـا ينفى احتمال التجربـة أو اللهو. أما إذا لم يـوجد معها شىء من ذلك فـلا يعمل بها لقيام الاحتمـال وكذلك إذا قضت العادة بأنه لا يكتب إلا على سبيل الجدية وجرى العرف باعتباره حجة كما فى دفاتـر السمسار والتاجر والصراف، وما يكتبه الأمـراء والكبراء ممن يتعذر الإشهـاد عليهم من سندات وصكـوك، ويعترفـون بهـا أو يعـدهم الناس مكـابـرين حين ينكرونها أو تـوجد بعد موتهم فإنهـا تكون حجة عليهم ويعمل بها.

وكذلك مـن توجد فى صنـدوقه صـرة مكتوب عليهـا هذه أمانة فلان الفلانى يؤخذ بها لأن العادة تقضى بأن الشخص لا يكتب ذلك على ملكه.

وقالوا: إن ما ينبغى فيه الاحتمالان معا يكون حجة ويعمل به كما فى سجـلات القضاة المحفوظة عند الأمنـاء ولو كانت حديثـة العهد فإنه يـؤخذ بمـا فيها من أقوال الخصـوم وشهادة الشهود ويحكم بها ويعتمد عليها فى ثبوت وشروط ومصارف الأوقاف المنقطعة الثبوت المجهولـة الشرائط والمصارف وكما فى البراءات، والقـرارات السلطانية المتعلقـة بالوظـائف فإنها تعتبـر حجة فيمـا تضمنتـه واشتملت عليـه، إذ العرف جـرى باعتبارها من أقوى الحجج والأدلة لبعدها عن احتمال التزوير والتجربة واللهو.

أما الكتابـة غير المستبينة أصلا فهى لغـو ولا أثر لها (ابن عابدين جـ ٤ ص ٤٧٨ ومابعدها، وص ٥٤٦ وما بعدها).

مذهب المالكية :

قال فى الجواهر: لا يعتمد على الخط لإمكان التزوير فيه، وإذا وجد فى ديوانه حكما بخطه ولم يتذكره لا يعتمد عليه لإمكان التزوير، ولو شهد به عنده شاهدان فلم يذكر.

قال القاضى أبو محمد : ينفذ الحكم بشهادتهما، أى لا يعتمد على المدون ، وما وجد فى ديوان القاضى من شهادات الناس لا يعتمد القاضى منه إلا ما دونه بخطه أو بخط كاتبه العدل المأمون إذا لم يستنكر فيه شيئا (التبصرة ١ / ٣٨ و ٢ / ٥٠).

ونقل ابن القيم فى الطرق الحكمية أن ابن وهب روى عن مالك فى الرجل يقوم فيذكر حقا قد مات شهوده ويأتى بشاهدين عدلين على خط كاتب الخط، قال: تجوز شهادتهما على كاتب الكتاب إذا كان عدلا مع يمين الطالب، وهو قول ابن القاسم، وأنه يجوز عند مالك الشهادة على الوصية المختومة (الطرق الحكمية ص ٢٤٤ وما بعدها).

مذهب الشافعية :

المشهور من مذهب الشافعى أنه لا يعتمد على الخط لا فى القضاء ولا فى الشهادة، لاحتمال التزوير فيها، فإن كانت محفوظة وبعد التزوير فيها وتذكرها القاضى أو الشاهد يجوز الاعتماد عليها، وإن لم يتذكرها فالصحيح عدم جواز الاعتماد. (الأشباه والنظائر للجلال السيوطى / ٢٦٢).

مذهب الحنابلة :

إذا رأى القاضى حجة فيها حكمه لإنسان وطلب منه إمضاؤه، فعن أحمد ثلاث روايات :

إحداها : أنه إذا تيقن أنه خطه نفذه، وإن لم يذكره، واختاره فى الترغيب، وقدمه الشيخ مجد الدين فى التحرير ومثله الشاهد إذا وجد شهادة بخطه.

الثانية : أنه لا ينفذه إلا إذا تذكره فإن لم يتذكره لم ينفذه.

الثالثة : إذا كان فى حرزه وحفظه كقمطره نفذه، وإلا فلا.

وقال إسحاق بن إبراهيم : قلت لأحمد رضى الله عنه : الرجل يموت وتوجد له وصية تحت رأسه من غير أن يكون قد أشهد عليها أحدا، فهل يجوز إنفاذ مافيها؟

قال: إن كان قد عرف خطه وهو مشهور الخط، فإنه ينفذ ما فيها.

قال الزركشى : نص عليه الإمام أحمد رضى الله عنه واعتمده الأصحاب

وقد نص فى الشهادة على أنه إذا لم يذكرها ورأى خطه لا يشهد حتى يذكرها .

وقال الإمام فيمن كتب وصيته وقال اشهدوا على بما فيها : أنهم لا يشهدون إلا أن يسمعوها منه أو تقرأ عليه فيقر بها .

فنص الإمام رضى الله عنه على الصحة وجواز التنفيذ بعد معرفة الخط فى الصورة الأولى .

ونص على عدم الصحة وعدم جواز الشهادة إلا بعد السماع أو الإقرار بعد القراءة فى الصورة الثانية .

وقد اختلف أصحاب أحمد فى ذلك، فمنهم من خرج فى كل مسألة حكم الأخرى وجعل فيها وجهين بالنقل والتخريج، فجوز عدم الصحة فى الأولى أخذا من الثانية، وجعل فى الثانية وجها بالصحة أخذا من الأولى، ومنهم من منع التخريج وأقر النصين، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وفرق بين الحالتين بأنه فى الحالة الأولى انتفى احتمال التغيير فى الوصية بالزيادة والنقص بعد موت الموصى، فلم تمنع الشهادة عليها .

وفى الثانية هذا الاحتمال قائم لوجود الموصى فمنعت الشهادة عليها ما لم يتأكد بالسمع أو الإقرار . فالروايات عن الإمام مختلفة فى الأخذ بالخط واعتباره حجة . (الطرق الحكمية ص ٢٣٩ وما بعدها) .

مذهب الزيدية :

وفى مذهب الشيعة الزيدية لا يحكم القاضى بما وجده فى ديوانه من خطه ولو عرفه لأن الخطوط تشتبه .

جاء فى البحر الزخار: (٥ / ١٣٣) ولا يحكم بما وجد فى ديوانه ولو عرف خطه لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء / ٣٦].

وقال ابن أبى ليلى وأبو يوسف يصح بمعرفة الخط، قلنا تشتبه الخطوط.

وفى باب الشهادة منه أنه لا تجوز الشهادة ولو عرف خطه أو خط غيره بإقرار بحق لاحتمال التزوير (٥ / ٢٠) .

وجاء فى شرح الأزهار: ولا يجوز للحاكم أن يحكم بما وجد فى ديوانه مكتوبا بخطه وختمه سجلا أو محضرا إن لم يذكر، هذا مذهبنا، فقيده بما إذا لم يذكر.

مذهب الإمامية :

وفى مذهب الشيعة الإمامية : جاء فى كشف اللثام من باب القضاء : لا يجوز للحاكم أن يعتمد على خطه إذا لم يتذكره وكذا الشاهد وإن شهد معه آخر ثقة لإمكان التزوير عليه .

واكتفى الحفيد والقاضى وأبو على بخطه مع شهادة ثقة والصدوقان كذلك مع ثقة المدعى، وجاء فيه أنه لا يكتفى بما يجده مكتوبا بخطه وإن كان محفوظا عنده . وعلم عدم التزوير، وكذا ما يجده بخط مورثة كما هو الشأن فى الشهادة، لاحتمال اللعب، أو السهو، أو الكذب، فى الكتابة .

واعتمد الشيخ جعفر الكبير على الكتابة فى إثبات الوقف إذا كانت مضبوطة مرسومة تظهر منها الصحة وإن لم تبلغ حد العلم وإلا ضاعت الأوقاف، لأن طريقها الكتابة وفى الجواهر من باب القضاء : التحقيق أن الكتابة من حيث هى كتابة لا دليل على حجيتها من إقرار أو غيره .

نعم، إذا قامت القرينة على إرادة الكاتب بكتابته مدلول اللفظ المستفاد من رسمها فالظاهر جواز العمل بها للسيرة المستمرة فى الأعصار والأمصار على ذلك بل يمكن دعوى الضرورة على ذلك .

كتاب القاضى إلى القاضى

ويتصل بما نحن فيه كتاب القاضى إلى القاضى، وهو عند الحنفية إما بنقل الحكم إلى المكتوب إليه للتنفيذ أو بنقل الشهادة إليه للحكم بها ويقبل عندهم فيما عدا الحدود والقصاص، ويعنونه القاضى الكاتب من فلان إلى فلان بما يميزه ويدون فيه ما قام لديه، ويقرؤه على الشهود ويختمه أمامهم، ولا يقبله المكتوب إليه إلا بحضور الشهود والخصم ولا بد من تعديلهم (ابن عابدين جـ ٤ ص ٥٤٣ وما بعدها) .

مذهب المالكية :

وعند المالكية، كذلك يكون كتاب القاضى تارة بنقل الحكم للتنفيذ والتسليم واختلفوا فيما إذا كان الحكم على غير رأى المكتوب اليه، كما إذا كتب قاضى حنفى لقاض مالكى بأن يمكن رجل من امرأة زوجت نفسها منه بغير ولى، هل يجب عليه التنفيذ أو لا .

فعن سحنون لا ينبغى له تنفيذه لأنه خطأ عنده، وعن أشهب يجب التنفيذ لأنه صدر من صاحب سلطة وتعلق به حق المحكوم له فلا يجوز له أن يبطله، وتارة يكون بما ثبت عند القاضى الكاتب من حق لرجل على غريم غائب ويطلب إليه الحكم بما ثبت، وهذا لا خلاف فى وجوب قبوله والعمل به وهل يلزم أن يشهد عليه شاهدان يشهدان عند المكتوب إليه، أو يكفى أن يختمه ويقبله المكتوب إليه بعد معرفة الخط والختم؟ خلاف .

ويقبل كتاب القاضى عندهم فى جميع الحقوق والأحكام (التبصرة جـ ٢ ص ٣٨ ومابعدها) .

مذهب الشافعية :

وعند الشافعية، تارة يكون كتاب القاضى إلى القاضى وجوبا بناء على طلب المدعى بما قام لديه من دعوى وإثبات على غائب بشروطها ليحكم له بها أو ينهى إليه بحكم أصدره على غائب بشروطه لينفذه عليه فى ماله .

وفى صورة أخرى يكون المدعى به عينا فى بلد تحت ولاية المكتوب إليه فيكتب إليه يطلب إرسال العين بكفالة ليشهد عليها البينة بالمعاينة . أو يتداعى الخصمان هناك لدى المكتوب إليه إذا لم يمكنه أو تعذر إرسال العين (حواشى تحفة المحتاج جـ ١٠ ص ١٦٣ وما بعدها) .

مذهب الحنابلة :

وعند الحنابلة يكون الكتاب بنقل الحكم لتسليم المحكوم به أو تنفيذه فى مال الغائب أو الهارب، وتارة بنقل الشهادة المعدلة عند الكاتب أو عند المكتوب إليه ليحكم بها، وكتاب القاضى إلى القاضى عندهم بمثابة الشهادة على الشهادة، ويشترط أن يقرأ الكاتب الكتاب على عدلين ويشهدهما عليه للتحمل . ثم يقرؤه المكتوب إليه ويشهدان بما فيه عنده . ولا يكفى معرفة الخط والختم للاشتباه وإمكان التزوير .

ويقبل فى دعوى العين لإرسالها بكفالة أو مع أمين للشهادة عليها بالمعاينة كما عند الشافعية .

مذهب الزيدية :

وفى مذهب الشيعة الزيدية : للقاضى أن يكتب إلى حاكم آخر بحكمه إن كان قد حكم وينفذه المكتوب إليه ولو خالف مذهبه . وقيل ينفذه إن وافق مذهبه . ورد ببطلان فائدة الحكم ونصب الحكام . وإن كان لم يحكم وكتب إليه يعرفه أن فلانا وفلانا شهدا عندى بكذا لم ينفذه المكتوب إليه ما لم يحكم الكاتب .

وللمكتوب إليه أن يحكم بشهادتهما إن وافق مذهبه واجتهاده لكن بشروط تضمنها الفروع، وهى أن يشهد القاضى الكاتب شاهدين على الكتاب وأن يقرأه عليهما أو يقرأ بحضرته عليهما ، ويقول أشهدكما أنى كتبت إلى فلان ابن فلان، فإن ختمه ولم يقرأه عليهما لم يعمل به .

وقال الإمام يحيى : إذا ختمه وأشهدهما أنه كتابه فقد حصل أمان التحريف . وكذا يشترط أن يكتب اسم المكتوب إليه فى باطنه ولا يعمل به إذا مات الكاتب قبل بلوغ الكتاب إلى المكتوب إليه، وكذا إذا فسق أو عزل، ولو مات المكتوب إليه أو فسق أو عزل قبل بلوغه الكتاب لم يعمل به من ولى مكانه لأنه موجه إلى غيره .

ولا يعمل بالكتاب إلا ببينة كاملة أنه كتابه وقيل يعمل به من غير شهادة لعملهم بكتب رسول الله ﷺ من غير شهادة وقيل إن عرف الخط والختم عمل به وإلا فلا ورد بأن الخطوط والختوم تشتبه وعلى الرأى الأول لا بد أن يقرأ الكاتب الكتاب على الشاهدين أو يقراء الكتاب عليهما بحضرته ويقول أشهدكم أنى كتبت إلى فلان ابن فلان (البحر الزخار ٥ / ١٢٧) .

مذهب الإمامية :

وعند الشيعة الإمامية : المشهور عند علمائهم عدم جواز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى وقال ابن الجنيد لا يجوز ذلك فى حقوق الله تعالى، أما فى حقوق العباد وفى الأموال وما يجرى مجراها فيجوز العمل بكتاب القاضى إلى القاضى إذا كان القاضى من قبل الإمام .

وقال ابن حمزة : لا يجوز للحاكم أن يقبل كتاب حاكم آخر إلا بالبينة فإن شهدت البينة على التفصيل حكم به (مختلف الشيعة ٢ / ١٥٤ وكفاية الأحكام باب القضاء) .

وفى المختصر النافع (ص ٢٨٣) لا يحكم الحاكم بأخبار حاكم آخر ولا بقيام البينة لثبوت الحكم عند غيره، نعم لو حكم بين الخصوم وأثبت الحكم وأشهد على نفسه فشهد شاهدان بحكمه عند آخر وجب على المشهود عنده إنفاذ ذلك الحكم .

مذهب الأباضية :

جاء فى شرح النيل (جـ ٦ ص ٥٧٣ وما بعدها) : الخطاب فى عرفهم فى الأحكام أن يكتب قاضى بلد إلى قاضى بلد آخر بما يثبت عنده من حق لشخص فى بلد الكاتب على آخر فى بلد المكتوب إليه لينفذه فى بلده وذلك واجب إن طلبه ذو الحق ويقبل كتاب القاضى فى الأحكام والحقوق بمجرد معرفة خطه بلا شهادة ولا خاتم وليس ذلك قضاء بعلمه بل لقبول بينة .

وقال بعض أصحابنا لا يحكم القاضى بكتاب القاضى إليه، وقال بعضهم يحكم، ويجوز كتاب القاضى فى الحقوق كلها إلا الحدود والقصاص، وإنما يكتب فيما اختص عليه الخصمان وليس حاضرا فى بلده فيكتب الدعوى والجواب والشهادة إلى حاكم البلد الذى فيه الشىء بكتابه وكذا يكتب الدعوى والشهادة إن لم يحضر المدعى عليه إلى قاضى بلد هو فيه . (موسوعة جمال عبد الناصر ٢ / ١٧١ ـ ١٧٧) .

انظر مادة «الإثبات» فى م ٢ / ٣٣٩، ٣٤٠ .

وفى مجال الأدب جاءت هذه الأقوال فى مزايا الخط :

خط القلم يقرأ فى كل مكان وفى كل زمان، ويترجم بكل لسان . ولفظ اللسان لا يجاوز الآذان، ولا يعم الناس بالبيان، ولولا الكتَّاب ـــ أى الفنانين الخطاطين ـــ لانتفت أخبار الماضين وانقطعت أنباء الغابرين . »

والفن ينقل العواطف الكامنة فى النفس ويفصح عنها بشكل فصيح جذاب . فهو يعبر عن العالم الداخلى للإنسان المبدع . وليس فقط عن العالم الخارجى، وعن آثار الإنسان والزمان . وقال على بن عبيدة : «القلم أصم ، ولكنه يسمع النجوى؛ وأبكم، ولكنه يفصح عن الفحوى؛ وهو أعيا من باقل، ولكنه أفصح وأبلغ من سحبان وائل؛ يترجم عن الشاهد، ويخبر عن الغائب» .

وقال جبل بن يزيد : «القلم لسان البصير يناجيه بما استتر من الأسماع . ويناغيه بما استتار من الطباع، ويحدثه بما

حدث وإن كان فى البقاع». ويقول أبو حيان عند تعريفه للفن، «أنه مؤلف من شكل ومضمون، من فكر هو الحكمة، وإبداع هو البلاغة، وهو لرى العقول الظامئة والنفوس التواقة للجمال».

قال عبد الحميد بن يحيى - كاتب مروان -: «القلم شجر ثمرته اللفظ والفكر، وبحر لؤلؤه الحكمة والبلاغة، ومنهل فيه رى العقول الظامئة، والخط حديقة زهرتها الفوائد البالغة». (الخط العربى / ٨٧).

وقد أورد أبو منصور الثعالبى فى لطائفة بابا فى مدح الخط والقلم، وآخر فى ذمها، فقال فى مدح الخط والقلم.

يقال: القلم أحد اللسانين. ، وقال إقليدس: القلم صانع الكلام يفرغ ما يجمعه القلب، ويصوغ ما يسكبه اللب؛ وقال أيضا: الخط هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية؛ وقال أفلاطون الخط عقل العقل. وقال جعفر بن محمد، رضى الله عنهما: لم أر باكيا أحسن تبسما من القلم (نسبه فى خاص الخاص ص ٧ ليحيى بن خالد البرمكى وفيه أحسن ضحكا)؛ وقال المأمون: لله در القلم كيف يحوك وشى المملكة؛ وقال ثمامة (هو ثمامة بن أشرس النميرى المعتزلى ت ٢١٣ هـ): ما أثرته الأقلام، لا تطمع فى دروسه الأيام؛ وقال ابن المعتز: القلم مجهز لجيوش الكلام يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة، كأنه يفتح باب بستان، أو يقبل بساط سلطان؛ وقيل: الأقلام مطايا الأوهام فامتطوها يطرد لكم الكلام، ويسهل بجريها النظام.

ويقال: عقول الرجال تحت أسنة أقلامها (نسبه فى خاص الخاص ص ٧ لأبى عبد الله كاتب المصرى)؛ وعن بعض الفلاسفة أنه قال: صورة الخط فى الأبصار سواد، وفى البصائر بياض.

وقال مؤلف الكتاب: قد نوه الله باسم الكتابة وعظم من شأنها إذ أضافها إلى نفسه جل ذكره، وإن لم تكن تلك الإضافة من النوع الذى يضاف إلى خلقه، ولا راجعة بوجه من الوجوه إلى شبهه، إلا أنه دلنا بها على علو رتبتها وشرف منزلتها، فقال عز من قائل: ﴿وكتبنا له فى الألواح﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقال تعالى جده: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١]. وجعل جل جلاله من ملائكته كتب سفرة، وهم أرفع الخلق درجة وقال عز ذكره: ﴿وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين﴾[الانفطار: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿ورسلنا لديهم يكتبون﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال جل ذكره: ﴿بأيدى سفرة * كرام بررة﴾ [عبس: ١٥، ١٦]، ومعلوم أنه لو لم تكتب أعمال العباد كانت محفوظة لا يتخللها خلل، ولا يتداخلها نسيان ولا زلل، لكنه علم، عز اسمه، أن نسخ الكتاب أبلغ فى التحذير، وأوكد فى الإنذار، وأهيب فى الصدور، وأراد تعريف عباده فضيلة الخط والكتابة وأقسم، عز اسمه، بالآلة التى تتهيأ بها الكتابة، وهى القلم، فقال: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١]، كما أقسم بالأشياء الجليلة الأقدار، الكبيرة الأخطار فى نفوس عباده وعيون بلاده، كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض؛ وذاكرت فى هذا أبا الفتح البستى فأنشدنى لنفسه:

إذا افتخر الأبطال يوما بسيفهم
وعدوه مما يكسب المجد والكرمْ
كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة
مدى الدهر أن الله أقسم بالقلمْ

وفى رسالة، لمؤلف الكتاب أوردها فى كتاب النظم والنثر وحل عقد السحر للمجلس الرفيع، أولها فى طريق اللغز وآخرها فى مدح القلم: ما أصم سميع، أخرس بليغ، ضعيف قوى، مهين عزيز، دقيق الجسم جليل الفعل، نحيل الشخص، سمين الخطب، حقير المنظر، شهير المخبر، صغير الجرم عظيم الجرم ... إلخ؛ وقال ابن المعتز:

إذا أخذ القرطاس خلت يمينه
يفتح نورا أو يَنظِّم جوهرا

وقال كشاجم:

وإذا نمّمت بنانك خطا
معربا عن ملاحة وسداد
عجب الناس من بياض معان
تجتلى من سواد ذاك المداد

وقال البستى:

إن هزَّ أقلامه يوما ليعملها
أنساك كل كمى هز عامله

وإن أقـــر علـى رق أنـــــاملـــــه
أقـــر بـــالـــرق كتـــاب الأنـــام لـــه

ثم يقول الثعالبى فى باب ذم الخط والقلم:

قال ابن المعتز:

وأجـــوف مشقـــوق كأن سنـــانـــه
إذا استعجلتــــه الكف منقـــار لاقـط
وتـــاه بـــه قـــوم فقلت رويـــدكـم
فمـــا كـــاتب بـــالكف إلا كشـــارط

وقال أبو العلاء المعرى: لو كان فى الخط فضيلة لما حرمها رسول الله ﷺ؛ وقال بعض أولاد الأمراء: الخط صناعة، ولا تحسن الصناعة بالملوك؛ وقال كشاجم:

سـل بـى عـن الأيـــام تعـــرف
أنـــى ابـن دهـــــر ليـس ينصـف
وبـــلاغتـى معـــروفـــة
سهـل وأخطـــاهـــا التكلف
وسطـــور خـط مـــونـق
كـــالـــروض والبـــرد المفـــوَّف
والخـط ليـس بنـــافـع
مـــالـم يكـن فـى خـط مصحـف

وقال بعض الحكماء: ماذا لقينا من الكتاب فى الدنيا والآخرة؟ أما فى الدنيا فقد بلينا به وأخذنا بحفظ فرائضه وإقامة شرائطه، وأما فى الآخرة فإنا نلقاه منشورا بسرائرنا وخفايا ضمائرنا؛ وذكر الجاحظ عامة الكتاب فقال: أخلاق حلوة وشمائل معسولة، وثياب مغسولة، وتظرف أهل الفهم، ووقار أهل العلم، فإذا صلوا بنا الامتحان والاختبار، وعرضوا على محك الاعتبار، كانوا كالزبد يذهب جفاء، أو كنبات الربيع فى الصيف تحركه هيفاء الرياح، لا يستندون إلى وثيقة، ولا يدينون بحقيقة، أخفر الخلق لأماناتهم، وأشراهم بالثمن البخس لعهودهم ودياناتهم: ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال الشاعر:

وإذا أخطأ الكتـــــابـــــة حظ
عـــدمت تـــاؤهـــا فصـــارت كـــآبـــه

ومن ملح ما قيل فى ذم الكتابة لأبى عروس:

تعس الـــزمـــان لقـــد أتـى بعجـــاب
ومحـــا رســـوم الظـــرف والآداب
فـأتـى بكتـــاب لـــو انطلقت يـــدى
فيهـم رددتهـم إلـى الكُتَّـــــاب

وقوله أيضا:

وكـــاتب يقـــرأ القـــرآن فـى سنـــد
مـن بعـــد حيـن وأمـــا بعـــد فى حين
لا يعـــرف الفـــرق فـى عمـــرو ولا عمـــر
جهـــلا ولا الفـــرق بيـن السين والشين

ولبعض أهل العصر:

وكـــاتب كُتبـــه تـــذكـــرنـى القـــرآن
حتـــى أظـــل فـــى عجـــب
فـــاللفظ قـــالـــوا: قلـــوبنـــا غلف
والخـط تبت يـــــدا أبـى لهـب

وقيل: فلان قد صدأ فهمه، وتبلد طبعه، وتكدر خاطره؛ ويقال: خط ممجمج (خلط وأفسد)، ولفظ ملجلج (مختلط ليس بمستقيم) (اللطائف والظرائف/ ٥٢ ـ ٥٦).

أما عن المخطوطات التى وردت فى الخط العربى فنسوق أمثلة منها مما هو محفوظ بالمجمع العلمى العراقى وبيانها كما يلى:

١ ـ شرح الخطبة:

المؤلف: مجهول.

أوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين: «ذكر أصناف الكُتَّاب».

أصناف الكُتَّاب على ما ذكر، ابن مقلة: خمسة، كاتب خط، وكاتب لفظ، وكاتب عقد، وكاتب حكم، وكاتب تدبير...».

آخره: «كمل شرح الخطبة وما تعلق بها من الزوايد بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط، برقم (D. ١٩٧٣).

بخط مغربى .

٢٤ ق، ٢٠ ص

(١ / خط وكتابة)

وقد تناول فيه مؤلفه ، أو جامعه ، الموضوعات الآتية : أصناف الكتاب ، إصلاح الدواة بالمداد ، القلم وأصناف الأقلام ، الورق ، السكين ، الكتاب ، طبع الكتاب [كذا : لعله : طى الكتاب] وختمه ، العنوان ، الديوان ، البراءة ، التوقيع ، التاريخ ، ذكر أول من افتتح كتابه بالبسملة ، وأول من قال أما بعد ، وأول من طبع الكتاب [كذا] ، وأول من كتب من فلان بن فلان إلى فلان ابن فلان .

استشهد المؤلف فى مواطن كثيرة بابن مقلة [أبى على محمد بن على بن الحسين ، ت ٣٢٨ هـ ـ ٩٤٠ م] ، وأخذ عنه .

٢ ـ «كتاب» الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها :

المؤلف : البغدادى (من أهل المئة الثالثة للهجرة/ المئة العاشرة للميلاد)

أوله : «البسملة ... ، وبه أثق . ما يحتاج إليه الكاتب من آله الكتابة : أخبرنى جعفر بن مهلهل بن صفوان ، عن أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه ، قال : أول من وضع الخط نفر من طىء من بولان ، وهم : ...» .

آخره : «تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل» .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى مكتبة فاتح ـ باستانبول برقم ٥٣٠٦ ، بخط النسخ .

٢٤ ق، ١٩ س

(٢ / خط وكتابة)

نشر المستشرق الفرنسى دومينيك سورديل ، قسما كبيرا منه فى المجلد ١٤ من مجلة المعهد الفرنسى بدمشق ، الصادر سنة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤ ، وصدره بمقدمة فرنسية ، قيمة ، وقد استغرق النص والمقدمة : الصفحات ١١٥ ـ ١٥٣ من المجلد المذكور.

وعنى بتحقيقه : هلال ناجى ، فظهر فى («المورد» ٢ [بغداد ـ حزيران ١٩٧٣] ع ٢ ؛ ص ٤٣ ـ ٧٨) .

وقد تناول بالبحث فى المقدمة التى صدر بها الكتاب(ص ٤٣ ـ ٤٦) : وصف المخطوط ، ومؤلف الكتاب ، ومحتوياته ، ومناحى علمية أخرى .

والمؤلف هو عبد الله بن عبد العزيز ، أبو القاسم الضرير النحوى البغدادى ، المعروف بأبى موسى . كان يؤدب المهتدى بالله (محمد بن هارون الواثق) (٢١٠ ـ ٢٥٦ هـ) . كان من أهل بغداد ، وسكن مصر ، وحدث بها عن أحمد بن جعفر الدينورى ، وجعفر بن مهلهل بن صفوان الراوى ، عن ابن الكلبى . صنف بعض الكتب . ترجمته فى («نكت الهميان فى نكت العميان» ١٨٢) ، و (مقدمة المحقق ـ هلال ناجى ـ ، ص ٤٤) .

٣ ـ لوحات خط :

كتبت بخطوط مختلفة فى بعضها زخرفة .

إحدى اللوحات فيها «البسملة» كتبها : الخطاط حامد الآمدى .

سبع لوحات ، فيها أدعية ، وأبيات من الشعر . . كتبها حامد الآمدى سنة ١٣٨٠ هـ .

لوحة أخرى فيها من أقوال عمر بن الخطاب ، وبعض أبيات من الشعر ، خطت سنة ١٣٠٨ هـ .

لوحة كتبها حسنى .

لوحة أخرى كتبها حسين حسنى ، ت ١١٨٩ هـ .

لوحة أخرى كتبها (يوسف) معلم الخط فى المكاتب العمومية بالشام .

لوحة كتبها (إسماعيل البغدادى) .

اللوحات مصورة بالفتستات عن نسخ خطية فى المؤسسة العامة للآثار والتراث ـ ببغداد .

١٦ لوحة ، أحجامها مختلفة

(٣/ خط وكتابة) .

٤ ـ لوحات خط :

الخطاط : هاشم محمد الخطاط ، المعروف بالبغدادى . (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)

آيات قرآنية

٤ لوحات : الأولى . الثانية . الثالثة . الرابعة

بخط الثلث والنسخ

(٤ / خط وكتابة)

المؤلف هو أبو راقم هاشم بن محمد بن الحاج درباس القيسى البغدادى . أبصر النور فى محلة العزة ببغداد، يوم الخميس ٢٤/ ١١/ ١٩٢١ . وأخذ الخط فى صباه عن الخطاط ملا عارف الشيخلى (ت ١٩٤٢ م) . والحاج محمد على الملقب «صابر» (ت ١٩٤١م) . وأجازه الملا على الفضلى، والسيد إبراهيم بمصر، وحامد الآمدى فى تركية .

ثم انتقل لدراسة أصول الخط، فتمهر به وأجاد .

فى سنة ١٩٦١ أخرج كتابه الموسوم بـ «قواعد الخط العربى» .

أسهب فى ترجمته، وذكر ما خطه من الروائع :

إبراهيم الدروبى : («البغداديون : أخبارهم ومجالسهم» ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .

الخطاط وليد الأعظمى : («مجلة المجمع العلمى العراقى» ٢٣ [بغداد ١٩٧٣] ص ٣١٠ ـ ٣١٦) .

الدكتور نورى حمودى : («آفاق عربية» ٢ [بغداد ـ تشرين الثانى / ١٩٧٦] ع ٢ ـ، ص ٤٦ ـ ٥٧، بعنوان «معجزة الخط العربى هاشم محمد الخطاط») .

ثابت منير : («المورد» ٥ [بغداد ١٩٧٦] ع ٣، ص ٥١ ـ ٥٣) .

(جريدة «العراق» . بغداد ـ الأحد ٢ / ٦ / ١٩٧٩ ، بعنوان «نبع الخط من دار السلام، وعاد اليها على يد هاشم الخطاط») .

٥ ـ مقدمه فى الخط :

أولها : «البسملة ... الخط تصوير اللفظ بحروف هجائية ...» .

آخره : «... عن يد أحقر الطلاب وأعجز الكتاب حسين المعروف بجنباز ذاد، وهو حسين بن عمر بن ده ده مصطفى ابن عمر بن مصطفى، غفر الله لهم ... من تلاميذ خليل الوهبى غفر الله له ولأستاذه ولوالديه ... ، فى يوم ثلثة فى ٢٥ سنة ١٢٦٣ .

نسخة مصورة بالفتستات عن نسخة خطية فى الخزانة العامة بالرباط ـ المغرب، برقم ١٦٢٤ ، بخط النسخ غير مشكول .

٧ ق ، ١٣ س

(٥ / خط وكتابة)

٦ ـ نماذج خطوط مشاهير الخطاطين «فى السنوات الأخيرة» :

(١) هاشم محمد الخطاط ، المعروف بـ «البغدادى» .

(ت : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)

لوحة . تاريخها ١٣٧٨ هـ

لوحة . تاريخها ١٣٨٩ هـ

(٢) الشيخ عبد العزيز الرفاعى لوحة . تاريخها ١٣٤٣ هـ

(٣) موسى عزمى المعروف بـ «حامد» الآمدى .

١١ لوحة، تواريخ بعضها :

١٣٤٨ ، ١٣٧١ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٧ هـ

(٤) الحاج السيد حسن رضا لوحة . تاريخها ١٣٢٩ هـ

(٥) الحاج محمد نظيف . لوحة . تاريخها ١٣٠٧ هـ

(٦) محمد أمين لوحة . تاريخها ١٣٣٩ هـ

(٧) الحاج مصطفى عزت «إمام الثانى لأمير المؤمنين عبد المجيد خان» . لوحة . تاريخها ١٢٦٤ هـ

(٨) حقى لوحة . تاريخها : (تحريرا فى اليوم التاسع عشر من شهر شوال المكرم . يوم الجمعة سنة ١٣٣٩ هـ) .

مجموع النماذج ١٩ لوحة، مصورة بالفتستات عن الأصل المحفوظ فى خزانة المرحوم هاشم محمد، الخطاط البغدادى .

(٦ / خط وكتابة)

(٢) [كذا] عبد العزيز الرفاعى : تركى الأصل، أقام بمصر، أسس معهد تحسين الخطوط بالقاهرة . كتب مصحف فؤاد .

(٣) حامد الآمدى : يكتب اسمه فى أكثر الأحيان «حامد» وفى بعضها «حامد الآمدى» . يعيش اليوم فى تركيا، وقد بلغ التسعين، وهو من تلاميذ الخطاط محمد نظيف .

(٤) الحاج السيد حسن رضا : تركى . توفى . وهو من

كتّـاب المصـاحف ، ولـه مصحف طبعتـه وزارة الأوقـاف العراقية .

(٥) الحـاج محمـد نظيف : تـركى . تـوفى . لـه مصحف بخطبه .

(٦) محمـد أمين : تـركى . لـه مصحف الأوقـاف الكبيـر بخطه . وله «دلائل الخيرات» فى الأدعية .

(٧) الحـاج مصطفى عـزت : من مشاهيـر الخطـاطين العثمانيين . له «كراسة عزت» .

(٨) حقى : من مشاهير الخطاطين العثمانيين .

٧ ـ مجموع فيه :

خصائص الخط العربى :

المؤلف : الحاج وليد الأعظمى (الخطاط) .

أولهـا : «أول مـا كتب القلم : بسم الله الـرحمن الـرحيم . الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه وأتباعهم إلى يـوم الدين . أما بعد : فهذه رسـالة شيقة منيفة ، وضعتهـا فى خصائص الخط العربى ، تتضمن الكشف عن أصول التشكيل ، وفنون التركيب والتوليـد ، وأبعاد الحروف واتجاهـاتها ، بعبارة واضحـة لطيفة بعيدة عن التعقيد ، مع نماذج توضح الكلام ... » .

آخـرها : « ... وبعـد : فقد تمت هـذه الـرسـالـة المباركـة «خصـائص الخط العـربى» ، وهى مقـدمـة لكتـابى (تـراجم خطاطى بغداد المعـاصرين) . واعتبرت هذه الرسـالة وقفا فى سبيل الله . . وأهديتهـا إلى مكتبة الأوقاف العامـة ببغداد ، ... وقد فرغت من كتابتها فى حـرم جامع الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت ... يوم الإثنين الثانى والعشرين من شهر ذى الحجـة الحـرام سنة ألف وثلثمـائة وإحـدى وتسعين لهجـرة المصطفى عليـه الصلاة والسلام ، المـوافق لليوم السـابع من شباط سنة ألف وتسعمائة واثنتيـن وسبعين ميلاديـة ... ، وأنا الفقير إليه أبو خالد الحاج وليد بن الحاج عبد الكريم ابن ملا إبراهيم كاكا بن مهـدى بن صالح بن صافى بن عزو الأعظمى العبيدى الحنفى ، ... » .

هـذه الرسـالـة تبحث فى أصـول التشكيل وفنون التـركيب والتـوليد وأبعـاد الحـروف ، مع نماذج جيـدة من فنـون الخط العربى . لم تطبع .

والمـؤلف ولد فى سنـة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م ، فى محلـة الشيوخ بالأعظمية .

فى سنة ١٩٥٩ طبعت مجموعتـه الشعرية الأولى ، بعنوان «الشعاع» .

له جملة آثار فنية كتبها بالكاشانى .

لـه جملـة تـآليف ، بينهـا دواوين شعـر ، ودراسـات فى التراجم ، ونحوها .

راجع بشأنـه : («شعـراء العراق فى القـرن العشـرين» ١ / ٤١٣ ـ ٤٢٤) ، («معجم المؤلفين العراقيين ٣ / ٤٥٨) .

طبع فى بيروت ، سنة ١٩٧٧ .

المتن بخط النسخ . والنماذج متنوعة الخطوط

١ / ٨٢ ص .

(٨/ خط وكتابة)

قالت المؤلفة : عندى للمؤلف الشيخ وليد الأعظمى كتاب من جزءين بعنوان جمهرة الخطاطين البغداديين يتضمن ستين وأربعمائة ترجمة نشرته دار الشئون الثقـافية العامة ببغداد طبعة أولى سنة ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ وجاء على الغـلاف أن المؤلف خطاط بالمجمع العلمى العراقى .

٨ ـ مجموعة خطوط :

كتبها

هاشم محمد الخطاط (ت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م)

حامد الآمدى

آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة

(٨) أوراق ، تضم (١٠) لـوحـات مـزخـرفـة ، وبخطـوط مختلفة .

ثمان لوحـات : كتبها هاشم الخطـاط ، خلال السنوات : ١٣٧٣ ـ ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ هـ .

لوحتان : كتبهما الخطاط حامد .

(٩ / خط وكتابة)

٩ ـ مجموعة من خطوط :

الخطاط ماجد الزهدى التركى (ت ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م)

مجموعها (٣٦) لوحة . كتبها فى تواريخ مختلفة ، منها : السنـوات : ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ م .

المجموعة مصورة بالفتستات. وخطوطها مختلفة.

(١٠ / خط وكتابة)

المؤلف ماجد زهدى إيرال: من مشاهير الخطاطين فى استانبول. راجع: (مجلة «سومر» ٣٢ [بغداد ١٩٧٦] ج ١ و ٢؛ ص ٤١٤، ٤١٦: ضمن مقال «الخط العربى فى تركية» بقلم المرحوم عباس العزاوى المحامى.

توفى باستانبول يوم ١ شوال ١٣٨١ هـ / ٢٧ آذار ١٩٦١ م (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١/ ٢١٢-٢٢٠).

أما عن النظم فننقل إليك أولا أبياتا مستقلة ساقها الأستاذ يحيى سلوم العباسى الخطاط وهذه هى:

تعلم قوام الخط يا ذا التأدب
فما الخط إلا زينة المتأدب
فإن كنت ذا مال فخطك زينة
وإن كنت محتاجا فأفضل مكسب

(منسوب للإمام على رضى الله عنه)

خط حسن جمال مرء
إن كان لعالم فأحسن
كالدر مع البنات أحلى
والدر مع البنات أزين

إذا افتخر الأصناف يوما بفاخر
فنحن بإقلام وطرس نفاخر
فهن رماح الماجدين ولعبهم
كما ورثت عن كابرين الأكابر

مما نبا يتباهى الفضل والأدب
بمثلنا اليوم يزهو العجم والعرب
نحن الذين إذا اهتزت قريحتهم
تهتز من وجدها الأشعار والخطب
للمستريب وإن لسنا نجده كفى
هذي الرسائل والأوراق والكتب
ويبقى الخط فى القرطاس دهرا
وكاتبه رميم فى التراب

ولى خط وللأيام خط
وبينهما مخالفة المداد
فأكتبه سوادا فى بياض
وتكتبه بياضا فى سواد

كتبت فلولا أن هذا محلل
وذاك حرام قست خطك بالسحر

أرونى مرشدا فى الخط مثلى
ومن أحيا الكتابة فى البلاد
فلا فى الشرق لى ضد يضاهى
ولا فى الغرب من تبع اجتهادى

وقد أبدعت خطا لم تنله
سراة بنى الفرات ولا ابن مقله
فإن كانت خطوط الناس عينا
فخطى فى عيون الخط مقله

أنا الذى شهدت بالمعجزات له
أقلامه وحروف الخط والنقط
أخذت من كل فن من عجائبه
حتى تعجب منى الفن والنمط
زاد خطى وقل حظى فمن لى
نقل نقط من فوق خآء لطآء

(الخط العربى: تاريخه وأنواعه / ١٣٠، ١٣١).

وقد ذكر الزركلى (الأعلام ٨ / ١٧٥) فى ترجمة «ابن هبيرة» أن له أرجوزة فى علم الخط.

ولدينا نص أرجوزة بعنوان «نظم لآلى السمط، فى حسن تقويم بديع الخط» لأحمد بن محمد بن محمد بن قاسم الرفاعى الحسنى الرباطى ننقلها بتمامها لفوائدها التعليمية. والناظم فى هذه الأرجوزة يمتدح الخط الحسن، وينعى على الناس إهمالهم لهذا الفن، مما دعاه إلى نظم هذه الأرجوزة فى حسن تقويم الخط، يوجهها إلى الولدان، وإلى المؤدبين كى ينتفعوا بها. يقول الناظم:

قال الرفاعى الفقير أحمد
الله جل وتعالى أحمد

مصليا على الرسول الهادى
المصطفى سيد كل هاد
وآله صفوة خلق الله
وصحبه ذوى العلى والجاه
(وبعد) فاعلم أن حسن الخط
أجل مقتنى وخير أعطى
فكم سما إلى العلا من رامه
ونال منه العز والكرامه
وحسبه أثنى عليه الله
فى الذكر بالحكمة واجتباه
بقوله يزيد ما يشاء
فى خلقه ويوتى من يشاء
وهو ما اختص به الإنسان
كالعقل يشهد به العيان
وإننى لما رأيت الناسا
قد شربوا من الونى أكواسا
وقصرت هممهم وما اعتنا
بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سره دون عذر
ونبذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه
وما رووا مما رويت منه
حتى غدا بغربنا مفقودا
وكاد لم يكن به موجودا
قمت لذا نظمت فيه أرجوزه
قريبة ألفاظها وموجزه
(سميتها) نظم لئالى السمط
فى حسن تقويم بديع الخط
قلدتها الجيد من الولدان
زيادة فى الحسن والمعانى
وللمؤدبين تاجا قد علا
رؤوسهم فخيرهم قد كملا
نظمتها على ما بى من عيب
مبتغيا بها رضاء الرب
والله أرجو أن تكون نافعه
لى ولهم وكل خير جامعه

تقويم السطور وتسويتها :

السطر فى اصطلاحهم خط وصل
ما بين نقطتين من ذاك حصل
وكونه خطا رقيقا صافيا
مستحسن ولا يكون خافيا
بحيث يرشد البنان لالتئام
وضع الحروف فى اتساق وانتظام
كسلك عقد من لئالى الدر
فى جيد لبات ذوات الخدر
فإن أضفته وصار اثنين
فاجعلهما إذا موازيين
وإن جمعت فكذاك والتزم
تساوى كلهم وعدل واحتكم

تقويم القلم وكيفية قبضه :

من قصب يكون فهو خير
من ذهب وذاك فيه سر
وانح برأسه أعالى القصبه
مصطفيا له أجل أنبه
كالرمح فى التقويم حاد الرأس
سليل صدر لا ترى من بأس
ذا فضلة من لحمه وقشرته
بذاك تعجب إذا من جريته
وسوِّفى الفرى جريدتيه
من غير ميل نحو حافتيه
وإن أردت أمنه من كسر
وقت الكتابة يمينا أجر

وبعضهم إلى اليسار ينحرف
لحكمة زائدة بها عرف
وقبضة القلم شيء معتمد
فاعن بها فإنها أمر أكد
فصفف الأربع من بنانك
منعطفا بها إلى جنابك
واقرن إبهامك برأس الشاهد
كحلقة واجعله خير راشد
بينهما معتمدا على الوسط
لكن على رأسه والشد وسط

الدواة وما يتعلق بها :

يقال للدواة نون والرقيم
كذاك ألفى بدفتر قديم
جمع دواة دوايات نادوا
وهي التي يلقى بها المداد
وإن أليقت فهي نون مليقه
وصوفة المداد هي الليقه

تقويم الحروف القائمة :

أجل ما انتصب واستقاما
وخير خط في اعتدال قاما
الألف الحائز قصب السبق
بسجدة سجدها للحق
يشهدنا بأن الله واحد
ما إن له من ولد ووالد
واللام مثله بلا تناه
وارسم كذاك باء بسم الله
واتبعن في الوصف هاء واقفه
وهي لأسفل اليسار عاطفه
كالها من الحياة في الوقف ولا
تجعل أنبوبا فحسن عملا
ودون ذي الحروف في القيام با
وتا وثا واليا ونون نسبا

والسين والشين كذا ولهما
ثلاث أسنان لكل منهما
واظهر السين كما في الخبر
واتبع الشين لها في الأثر
واستحسنوا التواء رأس اللام
ورأس أولى السين خذ نظام

تقويم الحروف المفتوحة :

الميم دائرة تامة بدت
صغيرة على بياض احتوت
فإن تكن صادرا بنصف دائره
وترها السطر ووسطى دائره
لكن ذي فوق وتحت جاءيه
والسطر قطرها وحتى التاليه
ومثل ميم أول السطر تري
واو وباليمين قوسه جرى
والفاء مثل الميم أيضا جاءت
لكن لها ساق عليه قامت
قد وصلت بالسطر ، والقاف الوسط
كذا وإن أخرت دع النقط
والساق منهما كقوس ظهرت
من يمنة الوتر للسطر جرت
وهاء يائها قل دائرتين
صغرى بوسط كبرى متصلتين
وأيه الساحر كالمثلث
حدت زواياه فكن ذا بعث
وهكذا الهاء من اسم الجلاله
فاعن بفتحها تحز جلاله
وخذ من الدائرة العظيمه
ثلثها لصاد مستقيمه
والضاد والظاء كذا والطاء
وذان خط لهما وفاء

والسطر هو وتر للكل
إياك أن تحيد عن ذا الأصل
والعين إن تك بوسط الكلمه
مثلث الزوايا ليست قائمه
ساقاه بالجنب وأعلى قاعده
وصله بالسطر وصن ذا لفائده
كذاك إن تكن أخيره ورد
تعريقها نحو اليسار فلتمد

تقويم الحروف المشقوقة :

الدال شكلها كقوس فاعلما
وقطرها إلى اليسار يمما
حتى إذا جاز محيط قوسه
ثنا بزائد لنحو عكسه
وبعضهم يجعلها كطائره
لها جناحان وصدر طائره
والذال مثلها يزيد نقطه
بوسط القوس ترى منحطه
واليا من الذى كذاك لكن
معكوسة بدون نقط كائن
وقد يرى دال كراء رفعا
رأس له ما إن تراه منعا
كدال مهد ومحمد وما
أشبهه والذى خيرا قدما
والكاف فوق السطر خط ائتلف
بلا موازله طوله ألف
متصلا بقوس ربع الدائره
تحيط لليسرى وقيت الدائره
وابداه من أعلاه غير قاسم
له وثغره الزهى باسم
والعين قوس ينتحى للكبرى
محيطها محدب لليسرى
طرفها الأسفل بالسطر اتصل
ومنه خط لليسار قد وصل
وذا إذا كانت فى الخط صدرا
كعين عبلى وكعين عذرا
وغين غيب وبنقطة جلا
كفلك كوكبه الأوج علا
وشطر سن حربنة للرايه
جيم بذا حقق له درايه
والحاء والخاء كذلك الحقن
مفرقا لرأسها أو ألصقن
واختر من الوجهين أولهما
فهو الذى تجده أفضلهما

تقويم الحروف المعرقة :

الراء قوس وهى ربع دائره
رأسها بالسطر وتحت سائره
واحكم كذا للزاى واجعل نقطته
ظاهرة فوق وعدل صورته
والنون فى التعريق نصف دائره
ليس لها قرن لأعلى ظاهره
وامنع أخيرها لئلا يتصل
بالسطر واجعله قريبا منفصل
واللام والقاف كذا والياء
ما بين سطريها لها انتهاء
بحيث إن وقع تحتها ألف
لم يختلط معها وذا حكم ألف
وارفع قرين الياء كالمثلث
واعطف وعرق وعن الشيخ ابحث
والسين والشين إن كانا طرفا
كالياء فى الرفع ودع ما انعطفا
والصاد والضاد كنون مسحا
واردد عنان قلم إن جمحا

ونون إن قاربت منها أخرى
أو شبهها فتلك أم الأخرى
ولا تقاطع أو تطابق حرفا
لآخر فذاك شين يلفى
والحاء والجيم والخا إن عرقت
فثلث قوس لليسار رجعت
ومثلها عين وغين وقعا
فى طرف من غير خلف فاسمعا

تقويم لام الألف :

خطان رأساهما قد تفوقا
واقتطعا من أسفل واعتنقا
واجتمعا فأعجب لقاطعين
مجتمعين متعانقين
وإن لويت رأس كل منهما
أو واحد أحسن من تركهما

تقويم حروف التركيب :

وأحرف التركيب عند الكتبه
جيم وحا وخا كخاء الخشبه
وكمحمد وكالجنات
ما قبلها فوق السطور ياتى
متصلا بغير رفع يبدو
لرأسها فذاك فيه قيد
كذاك إن حرفان قبل سبقا
كحاء سبِّح واعطف وعرقا
وبعضهم السين فى السطر يضع
كالشيخ مروان والياء قد رفع
ويجرى ذا فى حاء مصبحين
والصلحات وكمصلحين
وحاء حمرا قد ترى سركبه
على تلك الميم رواه الكتبه

وراءها ركب وأعل الطرفا
منها وذاك حسن قد وصفا
واللام من على وصلى وبلى
فوق قرين الياء سره اجتلا
وحاز هذا السر بين الناس
أندلس ولم يكن بفاس
وفاء جر إن تكن مقطوعه
محمولة وقد ترى موضوعه
كفاء فى الأرض وفى الجنات
(محمد) مع آله الثقات
وياء يرتضى اجعلن فى السطر
وفوقها ما قبلها فلتدر

اتساق الحروف وانتظامها :

قد مثلوا الحروف بالجواهر
والسطر بالسمط وهذا ظاهر
بل للحروف عندهم أسرار
أودعها من الورى المختار
فإن كتبت فاجعل الحروف
فى وسط السطر ولا تحيفا
وسو ما بين الحروف فى النظام
من غير زيد يبدو أو نقص يرام
سيان ما قد كان منها متصل
بغيره أو كان عنه منفصل
وذا المسمى عندهم فى الأصل
بالنظم إلا أن يكن كالفصل
وقائم الحروف سو قامته
مع أخيه واحذرن تفاوته
بحيث لو أتت عليه مسطره
مرت برأسهم غير مسفره
والزم أخى حروف ربع الدائره
ما بين سطريك اجعلنه آخره

كـــذاك فـى التعـــريـق ميم تـــاليـــه
فهى مـن أقطـــاب الحـــروف العـــاليـــه
إن التــــــزمت ذا بخطك تـــــرى
ســــرا وهـــــو معنى قصـــر (مـــزوزرا)
وقـــد يـــزيـــد الخط حسنـــا حـــرف
إذا التـــوى يحـــار فيـــه الـــوصف
كطـــاء سلطـــان سطـــا ولطفـــا
خطـــه واصطفى وطـــاء لطفـــا
وهـــاء هـــاد وبهـــاء حسّنـــوا
التـــواءهـــا ومـــذهبى قـــد أحسنـــوا
لكـن فـى التـــوائهـــا تفصيـــلا
فـــاشـــرب إذا مـــا شئت سلسبيـــلا
كمـــا لـــوى الشيـخ الـــوزيـــر الكـــاتب
كـــاف هنـــالك للـــه كـــاتب

***

والخـط أنـــواعـــه لا تنحصـــر
أفـــرادهـــا يقصـــر عنهـــا الخبـــر
لكن خيـــره الـــذى انتمـــا [انتمى] إلى
أنـــدلس فســـرُّه قـــد اجتـــلا
واقتبســـوا مـن نـــورهم أهـل ســـلا
فخطهم قـــدمـــا ووقتـــا قـــد عـــلا
كـــابـن الفقيـــه المـــرتضى الجـــريـــرى
وكـــالســـوسى ذى البهـــا المنيـــر
فضـل هـــذا مـــولانـــا الإمـــام
عـن غيـــره (سليمـــان) الهمـــام
واشتهـــرت بـــه ربـــاط الفتح
عنـــد أنـــاس منحـــوا بفتـح
وأرجـــو ربـى أن أكـــون منهم
فينظمـــوا جـــوهـــرى فى سلكهم
والســـر فـى الشيخ لا بـــد منـــه
فبـــه تسمـــو فـــابحثن عنـــه

***

(وهـــذه) نبـــذة فيـــه كـــافيـــه
طـــالبهـــا يجنى بهـــا أمـــانيـــه
نظمتهـــا غـــرة (شكـــر) لامعـــه
مـع (أربـع) مـن السنيـن واقعـــه
أبيـــاتهـــا (قـــوم) قـــد احتـــوا على
ســـر وأدركـــه مـن تبتـــلا
(وهـــاهنـــا) قـــد تم مـــا قصـــدت
مـن صنعـــة الخـــط كمـــا أردت
وذاك مـع جهلـى الـــذى اتسمـت
بـــه وفـــرقتـى لمـن أحببت
وأسئـل (الـــرحمـــان) جمـع الشمـل
بـــالأهـل والمنشـــا وكـل أمـل
والختـم بـــالحسنى مع الـــزيـــاده
بجـــاه (طـــه) صـــاحب السيـــاده
صلـى عليـــه ربنـــا وسلمـــا
وآلـــه مـــا سح سحب وهمـــا
وصحبـــه ذوى العـــلا ومن تـــلا
فنـــال مـن حسـن الختـــام أمـــلا

(تاريخ الوراقة المغربية / ٢١٥ - ٢٢٠)

انظر منظومة ابن البواب فى م ٧ / ٥٨٢، ٥٨٤

ويرتبط بمـا جاء فى هذه الأرجوزة ما أورده الدكتور عفيف البهنسى عن شروط الخط الجميل، وعن الميزان فى الخط.

أما عن شروط الخط الجميل فيقول:

يضع أبو حيـان شروطا للخط الجميل فيقول: «والكتاب يحتاج إلى سبعة معان: الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسن بالتشقيق والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق.

أمـا المجرد بالتحقيق فإبانـة الحروف كلها، منثورها ومنظومها، مفصلها وموصلها، بمداتها وقصراتها، وتفريجاتها وتعويجاتها، حتى نراها كأنها تبتسم عن ثغور مفلجة، أو تضحك عن رياض مدبجة.

وأما المراد بالتحديق، فإقامة الحاء والخاء والجيم وما

أشبهها على تبييض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، سواء أكانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة.

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة.

وأما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيفما وقعت أفرادا وأزواجا، بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها.

وأما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع فى أعجاز الكلمة مثل عن وفى ومتى وإلى وعلى بما يكون كالمنسوج على منوال واحد.

وأما المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوى. فإن الشكل يصح ومعها يحلو، والخط فى الجملة كما قيل هندسة روحانية بآلة جسمانية.

وأما المراد بالتنسيق، فتعميم الحروف كلها، مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت فى التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية.

وأما المراد بالتوفيق فحفظ الاستقامة فى السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقا لا خلافا.

وأما المراد بالتدقيق، فتحديد أذناب الحروف بإرسال اليد، واعتمال سن القلم، وإدارته مرة بصدره، ومرة بسنيه، ومرة بالاتكاء ومرة بالإرخاء، بما يضيف إليهما بهجة ونورا ورونقا وشذورا.

وأما المرد بالتفريق، فحفظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض، وملابسة أول منها الآخر ليكون كل حرف منها مفارقا لصاحبه بالبدن، جامعا بالشكل الأحسن».

ويختم أبو حيان شروط الخط الجميل، بشرط أساسى جامع فيقول «فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتيا، وفعله مواطئا وقريحته عذبة وطينته وطئة» (أبوحيان: الرسائل / ٤٢).

وأما عن الميزان فى الخط فيقول (انظر الصورة):

الخط فن بمعنى أنه يستقيم مع الإبداع وينمو بازدهار الحرية فيه، ولكننا مع ذلك إذا دققنا فى الخط العربى، فإننا نرى أن ثمة مقاييس يمكن استخلاصها لتحقيق سلامة الخط. الأصل إذن أن يقوم الفنان الخطاط، وليكن ابن مقلة أو ابن البواب بإبداع هذا الخط الذى يصبح أسلوبا راسخا يعزز قاعدة، ثم يأتى تلاميذ هؤلاء لكى يطبقوا هذه الخطوط، ويكون مقياسهم فى ذلك قاعدة أو مقياسا.

صحيح أن تطبيق المقياس فى الخط قد يجعل منه عملا تطبيقيا، ولكن هذا التطبيق نفسه يتطلب تفوقا ومهارة، ويفسح المجال إلى إبداع جديد. فالطيبى كان تلميذا للبواب، قلد خطه بدقة، فى مخطوط (جامع محاسن كتابة الكتاب) وكان فى ذلك أعجوبة عصره، ثم إنه - أى الطيبى - قدم أنماطا من الخط جديدة لم يكن أستاذه قد قدمها مثل الخط اللؤلئى.

إن أول من استخلص المقياس فى الخط لإحكام حسنه ولإحكام نسخه كان ابن مقلة. والألف عند الخطاطين العرب هى الحرف الذى أصبح مقياس التناسب لباقى الحروف الجميلة فى جميع أنماط الخطوط، وأما أسباب اختيار الألف لكى تكون مقياسا فهى أولا شكل الألف الممتد، وقيمة هذا الحرف القدسية الذى يشير إلى معنى (الله) لأنه الحرف الذى يبتدىء به اسم الجلالة، ولأنه الحرف الذى يشابه الرقم واحد الأحد، وطول الألف مختلف عليه بين الخطاطين وهو يقاس عادة بنقاط معينة، أى بنقطة القصبة التى تكون قطتها نفس قطة الألف. والقطة ذات عرض فنى، ولكن فى بعض الخطوط كالطومار، وهو خط رسمى يكتب به السلطان اسمه وتوقيعه، تكون قطة القلم فيه ثابتة، وعرضها، كما يقول القلقشندى، أربعة وعشرون شعرة. أما فى باقى الخطوط فإن لكل خطاط أن يقط قلمه حسب ما اعتاد عليه، وحسبما جرت العادة عليه بين أهل صنعته وحسب نوع النص الذى يريد أن يكتبه.

وهكذا فإن أسلوب الكتابة يخضع فى الواقع إلى نوع القلم وعرض قطته، ففى الخط الثلث نرى أن عرض قطة القلم يعادل ثلث عرض قطة الطومار، كذلك عرض النقطة.

إن ارتفاع الألف يختلف من ثلاث نقاط إلى اثنى عشر نقطة، وعرض الألف يبقى بعرض النقطة فى جميع الحالات. واختيار ارتفاع الألف فى نص من النصوص يقيد الخطاط فى تحديد مقاييس الألف فى النص كله.

وتستعمل الألف أيضا كقطر لدائرة موهومة، نستطيع فيها أن نكتب جميع الأحرف. وهكذا فإن الخطاط عندما يرسم أحرفه، يقيسها فى الواقع بواسطة ثلاثة مقاييس؛ هى عرض الحرف، وقطة القلم، وقطر الدائرة. وهذه المقاييس الثلاثة تختار من قبله وتكون أساسا لتناسب خطه (الخط العربى / ٧٦، ٧٧، ٨٩، ٩٠).

وكما نعى شاعرنا هذا فى أرجوزته انصراف الناس عن الخط وعلومه، وإهمالهم لبدائعه وفنونه نجد الخطاط الفنان محمد حداد يعبر عن ذلك بما كتبه بخطه وأوردنا صورته مع ذلك المادة وهو قوله عن الخط: تراث فريد.. تراث تليد.. غاب عنه أبناؤه ومتلقوه، وذهب عنه عشاقه ومحبوه، تراث غارب.. تراث مهيض (الموسوعة الجامعة للخط العربى / ٢١٤).

ولا نملك بعد هذه هذه الرحلة الطويلة مع الخط العربى وتاريخه وتطوره وقواعده وخصائصه ومزاياه ومحاسنه وبدائعه وفنونه إلا أن ندعو الله أن يعيد إليه سابق عهده من الانتشار والازدهار.

ولقد حاولنا فى هذه الموسوعة أن نسجل روائع هذا الفن الإسلامى الفريد فى نوعه، وذلك بإدراج كل ما يتصل به فى موضعه من مواد الموسوعة، مع الحرص على تزويد كل مادة بالصور التى تنقل إلينا إبداع الخطاط المسلم فى التعبير عن الحرف فى أبهى حلله.

ومما يدعو إلى الغبطة أن نعلم أن جامعة سلجوق فى قونية بتركيا قد منحت شهادة الدكتوراه الفخرية فى فن الخط إلى الخطاط التركى حسين وكسوز المعروف بلقب «القنوى» تقديرا لدور فن الخط العربى (مجلة الوعى الإسلامى / ٣٩).

(الشافية فى الصرف لابن الحاجب، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون / ٥٥١ ـ ٥٥٧، وألفية السيوطى النحوية للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٧٥ ـ ٧٧، ومقدمة ابن خلدون / ٤١٧ ـ ٤٢١، وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق لمحمد مرتضى الحسينى الزبيدى، المطبوع فى كتاب نوادر المخطوطات بتحقيق عبد السلام هارون / ٦٤ ـ ٦٩، وتاريخ القرآن لأبى عبد الله الزنجانى ـ حققه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد / ١ ـ ٦، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ـ الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٢٧، والخط العربى: تاريخه وأنواعه ـ يحيى سلوم العباسى الخطاط / ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٥٣، ١٥٤) ومعرض دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م). ١٢، ١٣ و «الخط العربى أرقى الفنون الإسلامية» ـ د. أبو صالح أحمد الألفى مجلة الفيصل ـ العدد (٢٠٩) ذو القعدة ١٤١٤ هـ ـ إبريل ـ مايو ١٩٩٤م / ٧٧، و «الخط العربى فى العصر الحديث» ـ سيد إبراهيم الخطاط. مجلة الهلال ـ العدد الذهبى، إبريل ١٩٣٩ / ١٥٠، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٧٠٧، وأدب الدنيا والدين للماوردى. طبعة وزارة المعارف العمومية، الطبعة ١٦ / ٤٤ ـ ٤٩، وطبعة الدار المصرية اللبنانية بتحقيق محمد فتحى أبى بكر / ٨٢ ـ ٨٩، والمسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز ـ إعداد مصطفى كسبة. هدية مجلة الأزهر رجب ١٤١٤ هـ / ٢٠٧، ٢٠٨، والعلوم الإسلامية ـ د. أحمد شوقى الفنجرى ٢ / ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، والفن الإسلامى ـ أبو صالح الألفى / ١٢٠، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٢ / ١٧١ ـ ١٧٧، والخط العربى: أصوله، نهضته، انتشاره ـ د. عفيف البهنسى / ٧٦، ٧٧، ٨٧، ٨٩، ٩٠، واللطائف والظرائف لأبى منصور الثعالبى / ٥٢ ـ ٥٦، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى ـ ميخائيل عواد، ١/ ٢١٢ ـ ٢٢٠، وتاريخ الوراقة المغربية ـ محمد المنونى / ٢١٥ ـ ٢٢٠، والموسوعة الجامعة للخط العربى ـ كتبها محمد حداد / ٢١٤، «الخط العربى تراث إسلامى أصيل» ـ محمود بيومى. الوعى الإسلامى ـ العدد ٣٤٢، السنة الحادية والثلاثون. صفر ١٤١٥ هـ ـ يوليو ـ تموز ١٩٩٤ م / ٣٦ ـ ٣٩.

انظر أيضا كيف نعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٢٢، ٢٣، والخط العربى وأدوات الكتابة ـ د. مجاهد توفيق الجندى، وتراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة ـ د. على الخطيب / ٣٦، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/ ٧٩ ـ ٨٤، ومدخل إلى الآثار الإسلامية ـ د. حسن الباشا / ٢٩٧ ـ ٣٣٢، والحضارة العربية الإسلامية ـ د. رشيد الجميلى / ٢٠٥، ٢٠٦، و «رحلة مع الخط العربى» ـ محمد عباس محب الدين. المجلة العربية. العدد (١٠) السنة الخامسة. ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ يناير ١٩٨٢ م / ١٠٢ ـ ١٠٤، ومدخل إلى علم الجمال الإسلامى ـ عبد الفتاح رواس قلعه جى. دار قتيبة. بيروت. دمشق. الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م / ٨٢ ـ ٩٠، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٧٧، ٧٨، والخط العربى ـ زكى صالح / ١٦٨ ـ ١٧٧، وكشاف اصطلاحات الفنون التهانوى ١/ ٤٣٥ والعلوم والفنون عند العرب ـ د. سيد رضوان على / ١٣٤ ـ ١٣٦، والأمويون ـ العباسيون ـ الأندلسيون ـ وجدان على بن نايف / ٧٠ ـ ٧٢، ١٣٦ ـ ١٤٠، ٢٢٧ ـ ٢٣٠، وانتشار الخط العربى فى العالم

الشرقى والعالم الغربى ــ عبد الفتاح عبادة الطبعة الثانية، وموسوعة الخطوط العربية وزخارفها ــ معروف زريق، ودراسات فى التراث العربى ـ د. محمد عبد القادر أحمد / ٧٥ ـ ٩٧، والمزهر فى علوم اللغة وآدابها للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ـ شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٣٤١ ـ ٣٥٢، و «الخط العربى بالتنوع والتأريخ ـ إعداد عبد الغنى محمد عبد الله الوعى الإسلامى العدد ٣١١ ــ ذو القعدة ١٤١٠ هـ ـ يونية ١٩٩٠ م / ٩٠ ـ ٩٧، ودراسات فى الفنون والعمارة العربية الإسلامية ــ د. محمود وصفى محمد / ٨٦ ـ ١٠٩، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٣ حيث أورد المؤلف كتابا بعنوان «أرجوزة فى الخط لعون الدين أبى المظفر يحيى بن محمد الوزير المتوفى سنة ستين وخمسمائة، وموضوعات فى الفنون الإسلامية ـ د. محسن محمد عطية / ٨٦ ــ ٩٣، ومفاتيح العلوم للخوارزمى / ١١٨ ـ ١٢٠).

*** خط العروض (علم ـ):**

قال عنه صاحب مفتاح السعادة:

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض فى تقطيع الشعر، واعتمادهم فى ذلك على ما يقع فى السمع دون المعنى. إذا المعتد به فى صنعة العروض إنما هو اللفظ لأنهم يريدون عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحركا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ساكنة. ولا يراعون حذفها فى الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ويحذفون اللام مما يدغم فيه فى الحرف الذى بعده، كالرحمن، والذاهب، والضارب. ويعتمدون فى الحروف على أجزاء التفعيل، فقد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء. كما فى قول الشاعر:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فيكتبونه على هذه الصورة:

ستبدى لكلأييا مما كن تجاهلن

ويأتى كبلأ خبار منلم تزودى

قال فى «الكشاف»: وقد اتفقت فى خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان، لاستقامة اللفظ وبقاء الخط. وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف.

قال عبد الله بن درستويه فى كتابه «المترجم بكتاب الكتاب المتمم»: فى الخط والهجاء خطان لا يقاسان، خط المصحف: لأنه سنة، وخط العروض: لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ. ويسقط عنه ما أسقطه.

واعلم: أن خط العروض وإن كان من أنواع علم الخط، لكن لما كان من فروع علم العروض أيضا أخرنا تفصيله، وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك. والمسؤول من الله تعالى الوصول إلى هذا السؤال. إنه أكرم مسؤول ومعطى كل مأمول.

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٩٣، ٩٤. انظر أيضا كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٧١٢، ٧١٣)

انظر: العروض (علم ـ).

***الخط (علوم):**

قال حاجى خليفة عند الكلام على الخط:

وأما المولى أبو الخير فأورد فى الشعبة الأولى من مفتاح السعادة علوما متعلقة بكيفية الصناعة الخطية فنذكرها إجمالا فى فصل.

فما ذكره أولا علم أدوات الخط من القلم وطريق بَرْيها وأحوال الشق والقط ومن الدواة والمداد والكاغد. فأقول هذه الأمور من أحوال علم الخط فلا وجه لإفرازه ولو كان مثل ذلك علما لكان الأمر عسيرا وذكر أن ابن البواب نظم فيه قصيدة رائية بليغة استقصى فيها أدوات الكتابة ولياقوت رسالة فيه أيضا.

ومنها علم قوانين الكتابة أى كيفية نقش صور الحروف البسائط وما ذلك إلا علم الخط.

ومنها علم تحسين الحروف وهو أيضا من قبل تكثير السواد قال ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة من مقتضى الطباع السليمة بحسب الألف والعادة والمزاج بل بحسب كل شخص و شخص وغير ذلك مما يؤثر فى استحسان الصور واستقباحها ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم وقوم ولهذا لايكاد يوجد خطان متماثلان من كل الوجوه. أقول ما ذكره فى الاستحسان مسلم لكن تنوعه ليس بمتفرع عليه وعدم وجدان الخطين المتماثلين لا يترتب على الاستحسان بل هو أمر عادى قريب إلى الجبلى كسائر أخلاق الكاتب وشمائله وفيه سر إلهى لا يطلع عليه إلا الأفراد.

ومنها علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها بالاختصار والزيادة والتغيير وهو أيضا من هذا القبيل . ومنها علم ترتيب حروف التهجى بهذا الترتيب المعهود وإزالة التباسها بالنقط . ولابن جنى والجنزى رسالة فى هذا الباب . أما ترتيب الحروف فهو من أحوال علم الحروف وإعجامها من أحوال علم الخط .

ذكر النقط والإعجام فى الإسلام ـ اعلم أن الصدر الأول أخذ القرآن والحديث من أفواه الرجال بالتلقين ثم لما كثر أهل الإسلام اضطروا إلى وضع النقط والإعجام فقيل إن أول من وضع النقط مرار [مرامر] والإعجام عامر وقيل الحجاج وقيل أبو الأسود الدؤلى بتلقين على رضى الله تعالى عنه إلا أن الظاهر أنهما موضوعان مع الحروف إذ يبعد أن الحروف مع تشابه صورها كانت عرية عن النقط إلى حين نقط المصحف وقد روى أن الصحابة جردوا المصحف من كل شيء حتى النقط ولو لم يوجد فى زمانهم لما يصح [لما صح] التجريد منه . وذكر ابن خلكان فى ترجمة الحجاج أنه حكى أبو أحمد العسكرى فى كتاب التصحيف أن الناس مكثوا يقرءون فى مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات فيقال إن نصر بن عاصم وقيل يحيى بن يعمر قام بذلك فوضع النقط وكان مع ذلك أيضا يقع التصحيف فأحدثوا الإعجام انتهى . واعلم أن النقط والإعجام فى زماننا واجبان فى المصحف وأما فى غير المصحف فعند خوف اللبس واجبان البتة لأنهما ما وضعا إلا لإزالته وأما مع أمن اللبس فتركه [فتركهما] أولى سيما إذا كان المكتوب إليه أهلا . وقد حكى أنه عرض على عبد الله بن طاهر خط بعض الكتاب فقال ما أحسنه لولا أكثر شونيزه ويقال كثرة النقط فى الكتاب سوء الظن بالمكتوب إليه وقد يقع بالنقط ضرر ... إلا فى حروف لا يحتمل غيرها كصورة الياء والنون والقاف والفاء المفردات وفيها أيضا مخير .

ثم أورد فى الشعبة الثانية علوما متعلقة بإملاء الحروف المفردة وهى أيضا كالأولى فمنها علم تركيب أشكال بسائط الحروف من حيث حسنها فكما أن للحروف حسنا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل ومباديها أمور استحسانية ترجع إلى رعاية النسبة الطبيعية فى الأشكال وله استمداد من الهندسيات وذلك الحسن نوعان حسن التشكيل فى الحروف يكون بخمسة أولها التوفية ، وهى أن يوفى كل حرف من الحروف حظه من التقوس والانحناء والانبطاح ، والثانى الإتمام وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار فى الطول والقصر والدقة والغلظة ، والثالث الانكباب والاستلقاء ، والرابع الإشباع ، والخامس الإرسال ، وهو أن يرسل يده بسرعة وحسن الوضع فى الكلمات وهى ستة : الترصيف وهو وصل حرف إلى حرف ، والتأليف وهو جمع حرف غير متصل ، والتسطير وهو إضافة كلمة إلى كلمة ، والتفصيل وهو مواقع المدات المستحسنة ومراعاة فواصل الكلام وحسن التدبير فى قطع كلمة واحدة بوقوعها فى آخر السطر وفصل الكلمة التامة ووصلها بأن يكتب بعضها فى آخر السطر .

(كالفصل بين المضاف والمضاف إليه والصفة والموصوف والاسم والصفة والاسمين المركبين)وبعضها فى أوله .

ومنها علم إملاء الخط العربى أى الأحوال العارضة لنقوش الخطوط العربية لا من حيث حسنها بل من حيث دلالتها على الألفاظ وهو أيضا من قبيل تكثير السواد .

ومنها علم خط المصحف على ما اصطلح عليه الصحابة عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه ويسمى الاصطلاح السلفى أيضا وفيه العقيلة الرائية للشاطبى .

(كشف الظنون ١/ ٧١١ ـ ٧١٣) .

*** الخط المانوى:**

مستخرج من الفارسى والسريانى استخرجه «مانى» كما أن مذهبه مركب من المجوسية والنصرانية وحروفه زائدة على حروف العربية وهذا القلم يكتب به قدماء أهل ما وراء النهر كتب شرائعهم وللمرقونية قلم يختصون به . (كشف الظنون ١ / ٧١٠) .

*** خط المصحف (علم ـ):**

قال عنه صاحب مفتاح السعادة : على ما اصطلح عليه الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، عند كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم على ما اختاره زيد بن ثابت ، رضى

الله عنـه ويسمى: الاصطلاح السلفـى، أيضا. وهـذا العلم، وإن كان من فروع علـم الخط ـ من حيث كونه بـاحثا عن نوع من الخط ـ لكنا نبحث عنه فى علوم تتعلق بالقرآن الكريم.

[وهى رسم المصحف]

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاد ١٥ / ٩٣).

انظر: رسم المصحف

*** الخط الهندى والسندى:**

وهو أقلام عدة يقال إن لهم نحو مائتى قلم بعضهم يكتب بالأرقام التسعة على معنى أبجد وينقطون تحته نقطتين وثلاثا.

(كشف الظنون ١/ ٧١٠).

*** الخطأ:**

قال الجرجانى:

الخطأ: هو ما ليس لـلإنسان فيه قصد، وهـو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة فى العقوبة حتى لا يؤثم الخـاطىء، ولايؤاخذ بحد ولا قصاص، ولم يجعل عـذرا فى حق العبـاد حتى وجب عليـه ضمـان العدوان، ووجب بـه الدية كما إذا رمى شخصـا ظنه صيدا أو حـربيًّا، فإذا هـو مسلم، أو غـرضا فأصـاب آدميًّا وما جـرى مجراه كنائم ثم انقلب على رَجُلٍ فقتله. (التعريفات/ ١٣٣).

وقال التهانوى:

الخطأ: بفتحتين نقيض الصواب وقد يمـد وقرىء بالقصر والمد قـوله تعـالى ﴿ومن قتل مـؤمنـا خطأ﴾ [النسـاء: ٩٢] وبـالكسر الإثم قـال تعـالى ﴿إن قتلهم كـان خطئًـا كبيـرا﴾ [الإسـراء: ٣١] إى إثمـا كـذا فى الصـراح والمنتخب وفى المهـذب الخطأ بالفتح خـلاف الصواب والمفهـوم من الفتح المبين شـرح الأربعين أن الخطأ يطلق على ثـلاثـة معـان: الإثم، وضد العمد، وضد الصواب قال المراد بالخطأ فى قوله عليه السـلام «إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ» ضد العمـد وهو أن يقصد بفعلـه شيئا فيصادف غيـر ما قصد لا ضـد الصواب خـالفـا لمن زعمه لأن تعمـد المعصيـة يسمى خطأ بـالمعنى الثانى وهو غير ممكن الإرادة ههنا.

ولفظـة يمـد ويقصـر ويطلق على الـذنب أيضـا من خطأ وأخطأ بمعنى على ماقاله أبو عبيدة. وقال غيرة المخطىء من أراد الصـواب فصار إلى غيـره والخـاطىء من تعمد إلى غيـره انتهى كلامه، ومـن قال الخطأ فعل يصدر بلا قصـد إليه عند مباشرة أمر مقصود سواه فقد أراد ماهو به ضد العمد ثم الخطأ بهذا المعنى يجوز المؤاخذة به لكن عفى عنه المؤاخذة تفضلا خلافا للمعتزلة فإنهم قالـوا لا يؤاخذ به لأن المؤاخذة إنما هى على الجناية وهى بـالقصد والجواب أن ترك التثبت منـه جناية وقصد وبهـذا الاعتبار جعل الأصـوليون الخطأ مـن العوارض المكتسبـة وفى الحمـاديـة الخطأ والصـواب يستعمـلان فى المجتهدات (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٤٠١، ٤٠٢).

وقال الراغب الأصفهانى:

الخطأ العدول عن الجهة وذلك أضرب، أحدها: أن يريد غير مـا تحسن إرادته فيفعله وهـذا هو الخطأ التام المأخـوذ به الإنسان، يقال خطئ يخطأ خطأ وخطأة قال تعالى ﴿إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾ [الإسراء: ٣١] وقال: ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ [يوسف: ٩١] والثانى أن يريـد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خـلاف ما يـريد فيقـال أخطأ إخطاء فهـو مخطئ، وهذا قـد أصـاب فى الإرادة وأخطأ فى الفعل وهذا المعنى بقـوله عليـه السلام: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان». وبقـوله «من اجتهد فأخطأ فله أجر» ﴿ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبه﴾ [النساء: ٩٢] والثالـث أن يريد مـالا يحسن فعلـه ويتفق منه خـلافه، فهذا مخطئ فى الإرادة ومصيب فى الفعل فهو مـذموم بقصده وغيـر محمـود على فعله، وهـذا المعنى هـو الـذى أراده فى قوله:

أردت مسـاءتى فـأجـرت مسـرتـى
وقـد يحسن الإنسـان من حيث لا يـدرى

وجملة الأمـر أن من أراد شيئا فاتفق منه غيـره يقال أخطأ، وإن وقع منه كما أراده يقال أصـاب، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لاتجمل إنـه أخطأ ولهـذا يقال أصـاب الخطأ وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب وأخطأ الخطأ، هذه اللفظة مشتـركة كما تـرى مترددة بين معـان يجب لمن يتحرى الحقائق أن يتأملهـا. وقولـه تعالى ﴿وأحاطت بـه خطيئته﴾ [البقرة: ٨١] والخطيئة والسيئة يتقاربان لكن الخطيئة أكثر ما تقال فيما لا يكون مقصودا إليه فى نفسه بل يكون القصد سببا لتولد ذلك الفعل منه كمن يرمى صيدا فأصاب إنسانا أو شرب مسكـرا فجنى جنايـة فى سكـره. والسبب سببـان: سبب محظـور فعله كشـرب المسكر ومـا يتولـد عنه من الخطأ غيـر متجاف عنـه، وسبب غير محظور كـرمى الصيد، قـال تعالى ﴿وليس عليكم جنـاح فيمـا أخطأتم بـه ولكن مـاتعمـدت قلوبكم﴾ [الأحزاب: ٥] وقال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما﴾ [النساء: ١١٢] فـالخطيئة ههنـا هى التى لاتكون

عن قصد إلى فعله، قال تعالى ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالا * مما خطيئاتهم﴾ [نوح : ٢٤، ٢٥] ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا﴾ [الشعراء : ٥١] ﴿ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ [العنكبوت ١٢] وقال تعالى : ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ [الشعراء : ٨٢] والجمع الخطيئات والخطايا وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٥٨] فهى المقصود إليها والخاطئ هو القاصد للذنب، وعلى ذلك قوله ﴿ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾ [الحاقة : ٣٦، ٣٧] وقد يسمى الذنب خاطئة فى قوله تعالى : ﴿والمؤتفكات بالخاطئة﴾ [الحاقة : ٩] أى الذنب العظيم وذلك نحو قولهم شعر شاعر. فأما مالم يكن مقصودا فقد ذكر عليه السلام أنه متجاف عنه، وقوله تعالى : ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة : ٨٥]، فالمعنى ماتقدم (المفردات / ١٥١، ١٥٢).

(التعريفات للشريف الجرجانى ــ تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة / ١٣٤، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠١، ٤٠٢، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٥١، ١٥٢٢).

*** خطأ المجتهدين من المفتين والحكام :**

أفرد الإمام ابن عبد البر فى كتابه «جامع بيان العلم فضله» بابا بهذا العنوان جاءفيه يلى . قال رحمه الله :

حدثنا عبيد الله بن محمد ومحمد بن عبد الملك قالا : حدثنا عبد الله بن مسرور قال : حدثنا عبيد بن مسكين قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سنجر قال حدثنا الحسن بن بشر قال حدثنا شريك عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بغير الحق وهو يعلم فذلك فى النار وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك فى النار وقاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة».

(رواه أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه . وقد جمع طرقه الحافظ ابن حجر العسقلانى فى جزء مفرد. قال فى مختصر شرح السنة إنه لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء ولا يجوز للإمام توليته . قال والمجتهد من جمع خمسه علوم علم كتاب الله وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأقاويل علماء السلف من إجماعهم واختلافهم ، وعلم اللغة ، وعلم القياس وهو طريق استنباط الحكم من الكتاب أو السنة إذا لم يجده صريحا فى نص كتاب أو سنة أو إجماع فيجب أن يعلم من علم الكتاب الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والخاص والعام والمحكم والمتشابه والكراهة والتحريم والإباحة والندب . ويعرف من السنة هذه الأشياء ويعرف منها الصحيح والضعيف والمسند والمرسل ويعرف ترتيب السنة على الكتاب وبالعكس حتى إذا وجد حديثا لا يوافق ظاهره الكتاب اهتدى إلى وجه محمله فإن السنة بيان للكتاب فلا تخالفه وإنما تجب معرفة ما ورد فيهما من أحكام الشرع دون ما عداها من القصص والأخبار والمواعظ وكذا يجب أن يعرف من علم اللغة ما أتى فى الكتاب والسنة فى أمور الأحكام دون الإحاطة بجميع لغات العرب ويعرف أقاويل الصحابة والتابعين فى الأحكام ومعظم فتاوى فقهاء الأمة حتى لا يقع حكمه مخالفا لأقوالهم فيأمن فيه خرق الإجماع . فإذا عرف كل نوع من هذه الأنواع فهو مجتهد وإذا لم يعرفها فسبيله التقليد ، والله أعلم).

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قالا حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبى العوام البغدادى قال سمعت أبى يقول حدثنا خلف بن خليفة قال قال أبو هاشم الرمانى لولا حديث ابن بريدة لقلت إن القاضى إذا اجتهد فليس عليه سبيل ولكن قال ابن بريدة عن أبيه قال النبى ﷺ «القضاة ثلاثة قاض فى الجنة واثنان فى النار قاض عرف الحق فقضى به فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجهل فذلك فى النار وقاض عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار» وحدثنا عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا ابن وضاح قال حدثنا يوسف بن عدى قال حدثنا عبد الله بن بكير الغنوى عن حكيم بن جبير عن أبى بريدة قال أراد يزيد بن المهلب أن يستعمله على قضاء خراسان فقال ابن بريدة لقد حدثنى أبى عن النبى ﷺ فى القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة قاض علم الحق فقضى به فهو من أهل الجنة وقاض علم الحق فجار متعمدا فهو من أهل النار وقاض قضى بغير الحق واستحيا أن يقول لا أعلم فهو فى النار».

حدثنا أحمد بن قاسم بن عيسى قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن حبابة قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى قال حدثنا على بن الجعد قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا العالية قال قال على : القضاة ثلاثة قاضيان فى

النار وقاض في الجنة فأما اللذان في النار فرجل جار متعمدا فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار وأما الذي في الجنة فرجل اجتهد فأصاب الحق فهو إلى الجنة قال قتادة فقلت لأبي العالية ماذنب هذا الذي اجتهد فأخطأ قال ذنبه ألا يكون قاضيا إذا لم يعلم .

وروى المعتمر بن سليمان عن عبد الملك بن أبي جميلة أنه سمعه يحدث عن عبد الله بن موهب أن عثمان بن عفان قال لابن عمر اذهب فافت بين الناس قال أو تعافيني يأمير المؤمنين قال فما تكره من ذلك وكان أبوك يقضي قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان قاضيا فقضى بالعدل فبالحرا أن ينقلب منه كفافا فما أرجو بعد ذلك» .

قرأت على أحمد بن عبد الله أن الحسن بن إسماعيل حدثهم بمصر قال حدثنا عبد الملك بن بحر قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا سنيد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن بسطام بن مسلم عن عامر الأحول عن الحسن بن أبي الحسن قال والله لولا ما ذكره الله من أمر هذين الرجلين يعني داود وسليمان لرأيت أن القضاة قد هلكوا فإنه أثنى على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده .

حدثني عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير وحدثني عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا المطلب بن شعيب قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا الليث بن سعد عن أبي الهادي عن محمد بن إبراهيم عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاصي عن عمرو بن العاصي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول« إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد بن حنبل . وقوله إذا حكم أي أراد الحكم لأن الحكم متأخر عن الاجتهاد . وقوله وأصاب معناه صادف ما في نفس الأمر من حكم الله . وقوله ثم أخطأ أي ظن أن الحق في جهته صادف أن الذي في نفس الأمر بخلاف ذلك والله أعلم) فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن عن أبي هريرة . ورواه الدراوردي عن يزيد بن عبد الله بن الهادي فحدثت هذا الحديث أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فقال هكذا حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة فجعل مكان أبي بكر بن عبد الرحمن أبا سلمة والقول قول الليث والله أعلم ذكره الشافعي وأبو المصعب وغيرهما عن الدراوردي . وروى عبد الرزاق عن معمر عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر» .

قال البخاري لم يرو هذا الحديث عن معمر غير عبد الرزاق وأخشى أن يكون وهم فيه يعني في إسناده قال أبو عمر اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث فقال قوم لا يؤجر من أخطأ لأن الخطأ لا يؤجر أحد عليه وحسبه أن يرفع عنه المأثم وردوا هذا الحديث بحديث بريدة المذكور في هذا الباب وبقوله «تجاوز الله لأمتي عن خطائها ونسيانها» وبقول الله ﴿ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ [الأحزاب : ٥] ونحو هذا . وقال آخرون يؤجر في الخطأ أجرًا واحدًا على ظاهر حديث عمرو بن العاصي لأن رسول الله ﷺقد فرق بين أجر المخطيء والمصيب فدل أن المخطيء يؤجر وهذا نص ليس لأحد أن يرده .

وقال الشافعي ومن قال بقوله يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه . قال المزني فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطيء أحدث في الدين مالم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر في نيته لا في خطئه قال أبو عمر لم نجد لمالك في هذا الباب شيئا منصوصا إلا أن ابن وهب ذكر عنه في كتاب العلم من جامعه قال سمعت مالكا يقول : من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطيء وفي هذا دليل أن المخطيء عنده وإن اجتهد فليس بمرضي الحال والله أعلم .

وذكر إسماعيل القاضي في المبسوط قال قال محمد بن مسلمة إنما على الحاكم الاجتهاد فيما يجوز فيه الرأي فإذا أحتهد وأراد الصواب يجهد نفسه فقد أدى ما عليه أخطأ أو أصاب قال وليس أجد في رأي على حقيقته أنه الحق وإنما حقيقته الاجتهاد فإن اجتهد وأخطأ في عقوبة إنسان فمات لم يكن عليه كفارة ولا دية لأنه قد عمل بالذي أمر به قال وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنة ولا ما مضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفا للقرآن والسنة والأمر المجمع عليه .

هذا كله قول محمد بن مسلمة على ما ذكره عنه إسماعيل القاضى وذكر عبيد الله بن عمر بن أحمد الشافعى البغدادى فى كتابه فى القياس جملا مما ذكر الشافعى رحمه الله فى كتابه فى الرسالة البغدادية وفى الرسالة المصرية وفى كتاب جماع العلم وفى كتاب اختلاف الحديث فى القياس وفى الاجتهاد وقال فى هذا من قول الشافعى دليل على ترك تخطئة المجتهدين بعضهم لبعض إذ كل واحد منهم قد أدى ما كلف باجتهاده إذا كان ممن اجتمعت فيه آلة القياس وكان ممن له أن يجتهد ويقيس قال وقد اختلف أصحابنا فى ذلك فذكر مذهب المزنى قال وقد خالفه غيره من أصحابنا قال ولا أعلم خلافا بين الحذاق من شيوخ المالكيين ونظارهم من البغداديين مثل إسماعيل بن إسحاق القاضى وابن بكير وأبى العباس الطيالسى ومن دونهم مثل شيخنا عمرو بن محمد أبى الفرج المالكى وأبى الطيب محمد بن محمد بن إسحاق بن راهويه وأبى الحسن بن المنتاب وغيرهم من الشيوخ البغداديين والمصريين المالكيين كل يحكى أن مذهب مالك رحمه الله فى اجتهاد المجتهدين والقائسين إذا اختلفوا فيما يجوز فيه التأويل من نوازل الأحكام أن الحق من ذلك عند الله واحد من أقوالهم واختلافهم إلا أن كل مجتهد إذا اجتهد كما أُمر وبالغ ولم يأل وكان من أهل الصناعة ومعه آلة الاجتهاد فقد أدى ما عليه وليس عليه غير ذلك وهو مأجور على قصده الصواب وإن كان الحق عند الله من ذلك واحدا قال وهذا القول هو الذى عليه عمل أكثر أصحاب الشافعى. قال وهو المشهور من قول أبى حنيفة فيما حكاه محمد بن الحسن وأبو يوسف وفيما حكاه الحذاق من أصحابهم مثل عيسى بن أبان ومحمد بن شجاع البلخى ومن تأخر عنهم مثل أبى سعيد البرذعى ويحيى بن سعيد الجرجانى وشيخنا أبى الحسن الكرخى وأبى بكر البخارى المعروف بحد الجسم وغيرهم ممن رأينا وشاهدنا.

وحدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا الخشني حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه عن مسعود بن الحكم قال أتى عمر فى زوج وأم وإخوة لأم وإخوة لأب وأم فأعطى الزوج النصف وأعطى الأم السدس وأعطى الثلث الباقى للإخوة للأم دون بنى الأب والأم فلما كان من قابل أتى فيها فأعطى الزوج النصف والأم السدس وشرك بين بنى الأم وبنى الأب والأم فى الثلث وقال إن لم يزدهم الأب قربا لم يزدهم بعدا فقام إليه رجل فقال ياأمير المومنين شهدتك عام الأول قضيت فيها بكذا وكذا فقال عمر تلك على ما قضينا وهذه على ما قضينا.

(جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ٦٩ ـ ٧٤).

* **الخطأ والصواب فى أمور الحرب:**

عن ذلك يقول الهرثمى فى الباب الثلاثين من كتابه:

ليعلم صاحب الحرب أن الخطأ والصواب فى أمور الحرب كل واحد منهما، قد يكون من جهة التدبير، وقد يكون بالاتفاق (أى بالصدفة) وليعلم أن الخطأ والصواب كل واحد منهما قد يكون ظاهرا يعرفه بديهة كل ذى رأى من الناس، وقد يكون ظاهرا يعرفه أهل المعرفة بالحرب، وقد يكون باطنا لا يعرفه إلا المدبر له الذى هو فيه.

وليعلم أنه قد يكون على الصواب، فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الخطأ، وأنه قد يكون على الخطأ فلا يعرفه أو يشك فيه أو يظن أنه على الصواب، وكذلك قد يكون عدوه.

وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب فلا يعرف هو ذلك من عدوه أو يشك فيه أو يظنه على الصواب، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه.

وليعلم أنه قد يكون على الصواب الذى يرجو ولا يشك أن فيه ظفره بعدوه ويكون فيه الظفر من عدوه به، وأنه قد يكون على الخطأ الذى يخاف أو لا يشك أن فيه الظفر من عدوه به، فيكون فيه ظفره بعدوه وكذلك قد يكون عدوه.

وليعلم أن عدوه قد يكون على الصواب الذى يخاف هو أو لا يشك فى ظفر عدوه به. فيكون ظفره بعدوه، وأن عدوه قد يكون على الخطأ الذى يرجو هو أو لا يشك فى ظفره بعدوه، فيكون ظفر عدوه به، وكذلك قد يكون حاله عند عدوه. وليعلم أنه قد يعرض فى أمور الحرب وأعمالها وفيما ليس من الحرب أيضا فى شىء أعاريض كثيرة عجيبة يكون فيها الظفر وتكون الهزيمة منه أو من عدوه.

وليس على صاحب الحرب إلا الاجتهاد فى اجتناب الخطأ الذى يقع منه الذم كيف كانت عاقبته، والتعمد للصواب الذى يقع منه الحمد كيف كانت عاقبته، وأن يلجأ فى ذلك كله وفى جميع أموره إلى الله والتوكل عليه، ومسألته

التوفيق والتسديد، والنصر والتأييد بمنه وقدرته.

(مختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة / ٦٨، ٦٩).

*** الخطأ والنسيان:**

الحديث التاسع والثلاثون من الأربعين النووية وهو: ما لا إثم فيه:

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه» حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقى وغيرهما.

المقدمة:

هذا الحديث حديث عظيم عام النفع، لقد اشتمل على فوائد وأمور مهمة فهو يحوى حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه بأنه لا إثم على ذلك.

الشرح:

شرحه الإمام النووى بقوله:

قوله ﷺ: «إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وأما حكم النسيان والمكره عليه فغير مرفوع، فلو أتلف شيئا خطأ أو ضاعت منه الوديعة نسيانا ضمن. ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنا والقتل، فلا يباحان بالإكراه، ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه، فإنه يأثم بفعله لتقصيره، وهذا الحديث اشتمل على فوائد وأمور مهمة جمعت مصنفا لا يحتمله هذا الكتاب ا. هـ.

أفكار الحديث:

١ - أن الله لا يعاقب الناسى.

٢ - أن الله لا يعاقب المخطىء الناسى.

٣ - أن الله لا يعاقب المكره.

ما يستنبط من الحديث:

١ - أن الله لا يؤاخذ إلا عن عمد وتصميم

٢ - هذا الحكم خاص للأمة المحمدية.

٣ - إذا ضاق الأمر اتسع.

(شرح متن الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيى بن شرف الدين النووى - تحقيق وتعليق عبد الله إبراهيم الأنصارى / ١٢٩، ١٣٠).

*** الخطاب:**

الخطاب بالكسر وتخفيف الطاء المهملة على ما فى المنتخب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب قال فى الأحكام الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيىء لفهمه، فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة، وبالمتواضع عليه عن الأقوال المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا وبقوله لمن هو متهيىء لفهمه عن الخطاب لمن لا يفهم كالنائم والظاهر عدم اعتبار القيد الأخير، ولهذا يلام الشخص على خطابه من لا يفهم.

والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم بالنفس فالخطاب إما الكلام اللفظى أو الكلام النفسى الموجه به نحو الغير للإفهام، والمتبادر من عبارة الأحكام الكلام اللفظى، والمراد بالخطاب فى تفسير الحكم هو الكلام النفسى كما سبق.

ثم الخطاب قسمان تكليفى ووضعى اعلم أنه قد جرى الخلاف فى تسمية كلام الله تعالى خطابا فى الأزل قبل وجود المخاطبين تنزيلا لما سيوجد منزلة الموجود أولا. وهو مبنى على تفسير الخطاب، فإن قلنا إنه الكلام الذى علم إنه يفهم كان خطابا وإنما اعتبر العلم ولم يقل من شأنه لفائدتين إحداهما أن المتبادر منه الإفهام بالقوة فيخرج عنه الخطاب المفهم بالفعل، وثانيتهما أن المعتبر فيه العلم بكونه مفهما فى الجملة فما لا يفهم فى الحال ولم يعلم إفهامه فى المآل لا يكون خطابا، بل إن كان مما يخاطب يكون لغوا بحسب الظاهر على ذلك التقدير، وليس المراد من صيغة يفهم معنى الحال أو الاستقبال بل مطلق الإنصاف بالإفهام الشامل لحال الكلام وما بعده.

وإن قلنا إنه الكلام الذى أفهم لم يكن خطابا، والمراد

بالإفهـام هنا الإفهـام الواقع بـالفعل أعم من المـاضـي والحال ويبتنى عليه أن الكلام حكم فى الأزل أو يصيـر حكما فيما لا يزال هذا كله خلاصة ما فى العضدى وحاشيته للسيد الشريف والحـاصل أن من قال الخطـاب هـو الكلام الـذى يقصد بـه الإفهام سمى الكلام فى الأزل خطابـا لأنه يقصد به الإفهام فى الجملة، ومن قال هو الكلام الذى يقصد به إفهام من هو أهل للفهم على مـا هو الأصل لايسميـه فى الأزل خطابـا. والأكثر ممن أثبت لله تعالى الكلام النفسى من أهل السنة على أنه كان فى الأزل أمر ونهى وخبـر واستخبار ونداء والأشعريـة على أنه تعالى تكلم بكلام واحد وهو الخبر ويرجع الجميع إليه لينتظم له القـول بالوحدة. وليس كـذلك إذ مدلول اللفظ مـا وضع له اللفظ لا ما يقتضى مـدلوله أويؤول إليه أو يـأول به وإلا لجاز اعتباره فى الخبر أيضا فحينئذ يرتفع الوثوق عن الوعد والوعيد لاحتمال معنى آخر من البشارة والإنـذار وغيرهما ومن يريد أن يأمر أو ينهى أو يخبـر أو يستخبر أو ينادى يجـد فى نفسه قبل التلفظ معنـاهـا ثم يعبـر عنـه بلفظ أو كتـابـة أو إشـارة وذلك المعنى هـو الـكلام النفسـى ومـا يعبـر بـه هـو الكـلام اللفظـى.

وقد يسمى الكلام الحسى ومغايرتهمـا بينة إذ المعبر به قد يختلف دون المعنى والفرق بين الكـلام النفسى والعلم هو أن ما خـاطب به مع نفسه أو مـع غيره فهو كـلام وإلا فهو علم. ونسبة علمه تعالى إلى جميع الأزمنة على السوية فيكون جميع الأزمنة من الأزل إلى الأبـد بالقياس إليـه تعالى كالحـاضر فى زمان واحـد فيخاطب بالكـلام النفسى مع المخاطب النفسى ولا يجب فيه حضـور المخاطب الحسى فيخـاطب الله تعالى كل قوم بحسب زمانه وتقدمـه وتأخره مثلا إذا أرسلت زيدا إلى عمـرو تكتب فى مكتوبك إليـه إنى أرسلت إليك زيدا مع أنـه حين ماتكتبه لم يتحقق الإرسال فتلاحظ حال المخاطب وكما تقدر فى نفسك مخاطبا فتقـول له تفعل الآن كذا وستفعل بعد كـذا ولا شك ان هذا المضى والحضـور والاستقبـال إنما هـو بالنسبة إلى زمان الوجود المقدر لهذا المخاطب لا بالنسبة إلى زمـان المتكلم. ومن أراد أن يفهم هـذا المعنى فليجرد نفسـه عن الزمـان يجد هذا المعنى معـاينة. وهذا سر هـذا الموضع والله الموفق هكذا فى كليات أبى البقاء.

ودليل الخطـاب عند الأصـوليين هـو مفهـوم المخالفـة، وفحوى الخطاب ولحـن الخطاب عندهم هو مفهـوم الموافقة والبعض فرق بينهما.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٤٠٣، ٤٠٤).

تـم بحمد الله وحســن توفيقـه

المجلـــد الخامس عشـــر

من الموسـوعـة الذهبيـة للعلوم الإسلامية

ويليـه إن شاء الله تعالى

المجلد السادس عشر

وأوله مادة:

الخطاب فى القرآن الكريم

أعان الله على إتمامه

تجليـــــد



دار الغد العربى

